أنا الملك
قصة حياة
محمد علي
(ص ١٢٣)

اكتشاف اثري
في سورية
يشغل علماء العالم
(ص ٢٥)

مأساة عائلة
في حرب لبنان
(ص ٤٩)

ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٨ - محرم ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
ابو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

بين السطور

التحدي المزدوج

ماذا يبرر صدور أي مطبوعة جديدة؟

الجواب لدينا، نحن في "المختار"، ان الحاجة الى نشر المزيد من المعرفة هي المبرر الوحيد لصدور اي مطبوعة، سواء اكانت هذه سياسية ام اقتصادية ام ثقافية.

ذلك ان التطور المدهش الذي طرأ على وسائل الاتصال في العقدين الأخيرين جعل العالم صغيراً وقرّب بين الشعوب والثقافات كما جعل من المطالعة خبزاً يومياً.

ومن اجل توفير المزيد من هذا الخبز يعود "المختار" الى قرائه واصدقائه في العالم العربي، بعد انقطاع استمر ١١ سنة.

ان مجلة "ريدرز دايجست" التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة قد تحولت، منذ تأسيسها في العام ١٩٢٢، اهم واسطة لنقل المعرفة ولتحقيق التقارب بين الشعوب والثقافات. وفي هذا الاطار يجد "المختار" نفسه امام تحديين: فهو من جهة مدعو الى الانتقاء من خزان المعلومات لدى "ريدرز دايجست" ما يناسب العالم العربي ويساعد القارىء فيه على توسيع معرفته واغنائها، كما انه مدعو، من جهة اخرى، الى ان يكون عقد الاتصال بين الشرق والغرب، ينقل الى اللغات الـ١٤ لدى "ريدرز دايجست" افضل ما في حضارة العرب وثقافتهم.

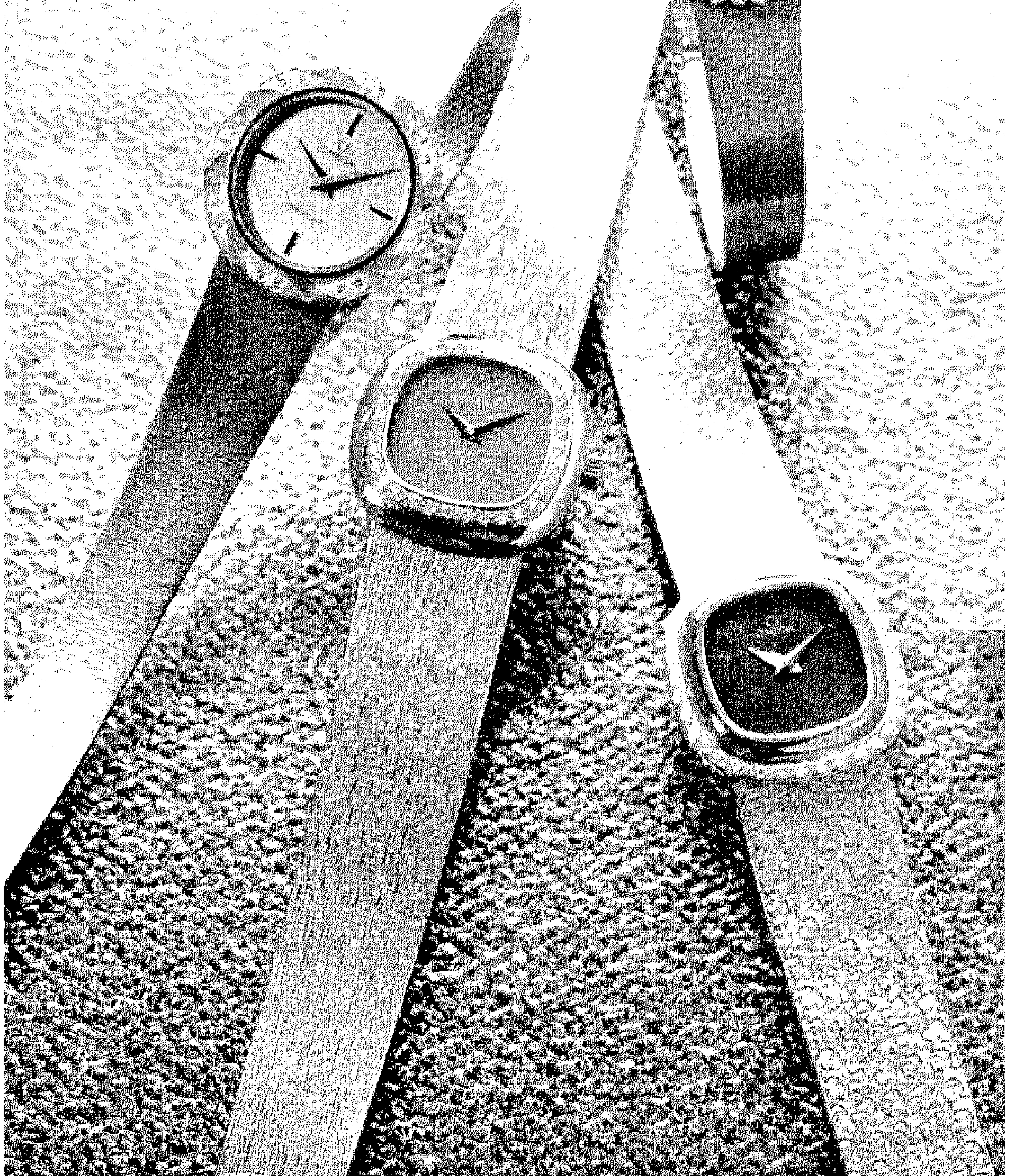
بهذا التحدي المزدوج يشق "المختار" طريقه الى قرائه آملا في ان يقيم بينه وبينهم علاقة وثيقة تتعمق يوما بعد يوم.

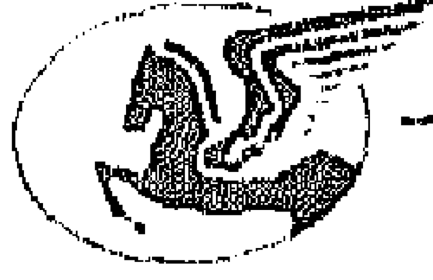
رئيس التحرير

Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهّة بالذهب، من أوميغا

Ω
OMEGA





المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين .
رئيس التحرير: ادمون صعب .
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب .
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم .
امانة التحرير: رينا نداف .
الاخراج: اروى سيف الدين .
الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس .
الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية .
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح .
الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.
الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V 75008 Paris FRANCE
الاعلانات: شركة تمام
TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, France
التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .
الصف والتركيب:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس .
الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي ـ بولونيا ـ ايطاليا .
الخط: محمد ماجد .

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"

المدير العام: جون أ. اوهارا .

مدير التحرير: آلان دوليرو .

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية .

الغلاف: الارض والفضاء الخارجي

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
December 1978. N°1 (*New Series*). Vol. 1.

Poligrafici Editoriale Spa — Printed in Italy



تعرّف على أجهزة بايونير PIONEER الموسيقية !

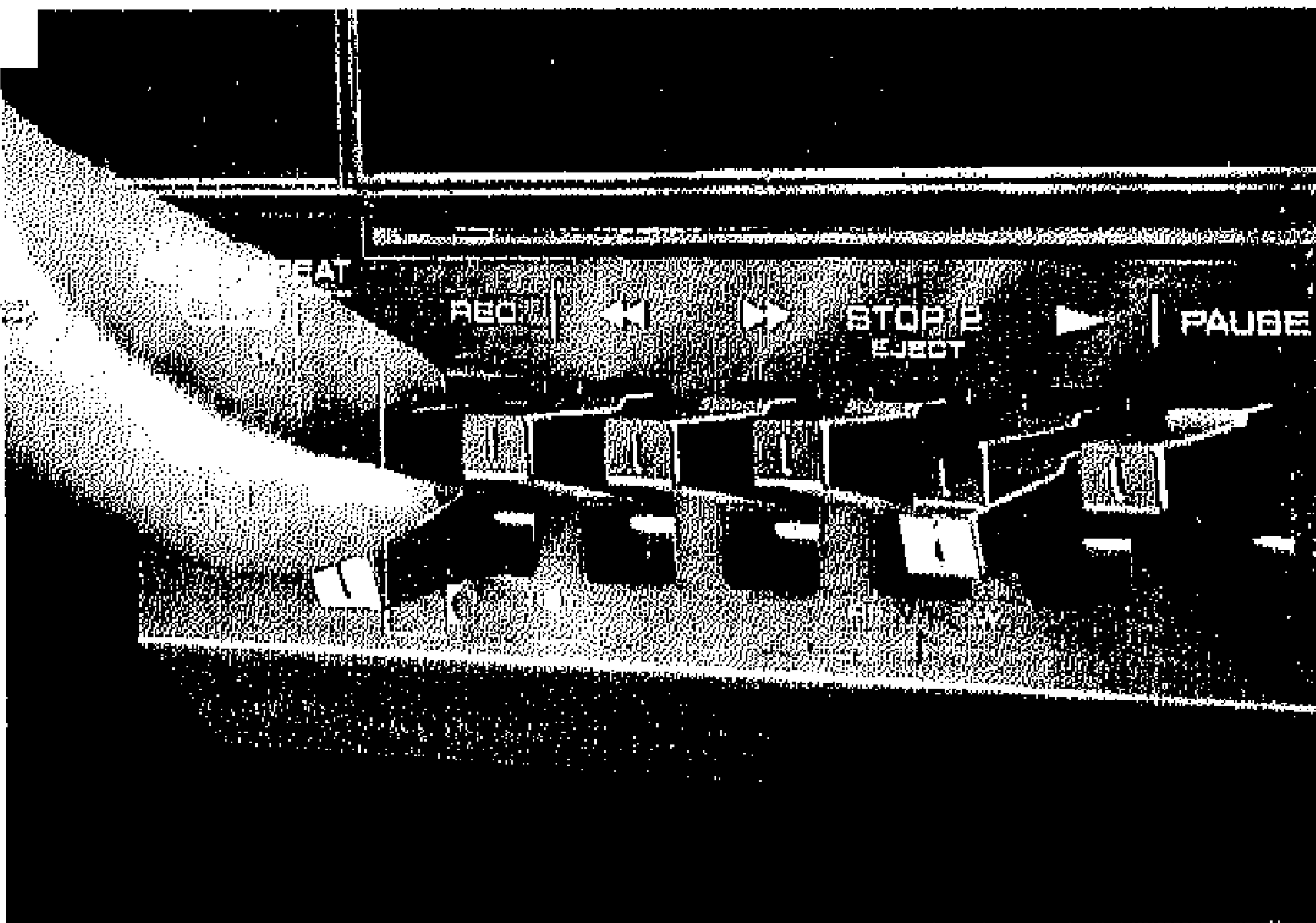
لوحة كاسيت فريدة متعددة الاغراض وسهلة الاستعمال للغاية ٠



نعم، ان استعمالها سهل لدرجة انك ستدهش كيف فكرت في جهاز ستيريو غير جهاز **بايونير** الموسيقي الممتاز ٠

اليك ما يحتويه **بايونير** من عناصر رائعة:

- مكبر ستيريو صلب، قوته الموسيقية ٩٠ واطاً يبث اعذب الموسيقى ٠
- جهاز موالفة FM/AM قوي لالتقاط الموجات من مسافات بعيدة ٠
- قرص اسطوانات FG SERVO تنزل الاسطوانات عليه تلقائيا ويدار بحزام، مع جهاز مركب فيه لضبط السرعة والدوران والصوت بدقة متناهية فيدور القرص باتزان وتعطي الاسطوانة انغاما ممتازة ٠
- لوحة كاسيت متعددة الاغراض وفريدة في نوعها ، مع مفتاح "لانتقاء الاغاني"، تساعدك على اختيار الموسيقى التي تحبها من الشريط ٠
- مفتاح لاعادة بث وجه الشريط نفسه تلقائياً ٠
- زر واحد - بدلا من اثنين - تضغطه للتسجيل على الشريط ٠
- جهاز "دولبي" (★) لكتم الضجيج ، وازرار لا تحدث صوتا لدى ضغطها ٠

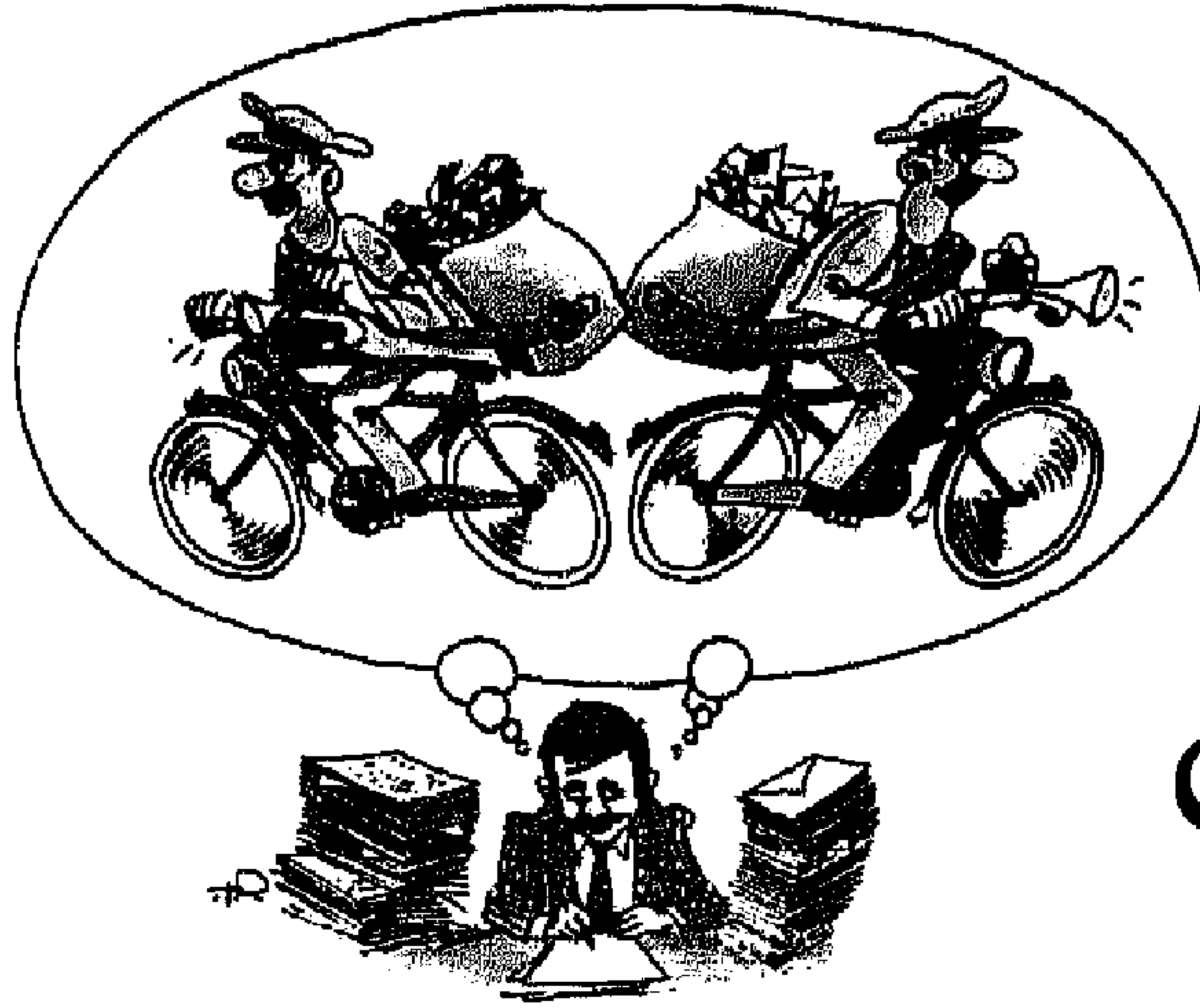


ومع كل هذه، فهناك جهازان انيقان "باس ريفليكس" لنقل الصوت بايونير بثلاثة ميكروفونات وثلاثة اتجاهات مع مكبر ضخم للصوت قطره ٢٥ سم ٠

وتستطيع الاختيار بين اربعة اجهزة موسيقية بايونير مختلفة:



اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟

خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفا وجذابا ومثيرا للاهتمام.

□ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

□ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولارا عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

– الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.

– يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.

– يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.

– لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

– يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

حكمة الطبيعة

ليس ضروريا ان تكون خبيرا في الارصاد الجوية حتى تستطيع التنبؤ بتغيرات الطقس.

كنت في المطار استعد للاقلاع بطائرتي ذات المحرك الواحد، واذ اقترب مني كهل كان هناك، وقال: "اتظن انك تستطيع ان تطير بهذا الشيء وقد آذنت العاصفة بالهبوب؟" فأجبته: "كلا، اذا هبت العاصفة، ولكنها لن تهب فالدلائل كلها تشير الى جو يصلح للطيران".

وعقّب الكهل "الا ترى كيف يلطو ابو الحن في الآجام كشأنه دائما قبيل العاصفة". تجاهلت هذه الترهات الفلسفية البالية واقلعت.



ولم تكد الطائرة تحلق وتقطع نحو الف متر في سماء المطار، حتى رأيت حشدا من السحب السوداء المثقلة بالامطار تنقلب في الفضاء، فسارعت الى الرجوع وهبطت.

كان الكهل ينتظر في حظيرة الطائرات، وما ان رآني حتى قال: "أجئت تلطو انت ايضا مثل الطيور؟" قال هذا وكأنه يريد ان يقول: "ألم انذرك بذلك؟". كانت هذه اول تجربة لي بحكمة القدماء الجوية. فهذا الكهل، ربما لم يسمع ابدا في حياته بالارصاد الجوية، ولكنه تنبأ بالجو بدقة غريبة، يسميها بعض الناس الفطرة الشعبية على تلمس الاحوال الجوية، والبعض الآخر التنبؤ المبني على الملاحظة، وآخرون يقولون ببساطة ان لهذا الكهل حكمة استكشاف الجو.

فما هو السر الذي يتيح لحكماء الجو ابداء هذه التنبؤات الدقيقة؟ انهم يقرأون الجو المحيط بهم كفي كتاب مفتوح، ويهتدون الى الادلة في

Condensed from «Weather Wisdom» Copyright 1976 by Albert Lee.
Doubleday & Co., Inc., 245 Park Ave., New York, N.Y. 10017

السماء وفي اوضاع الطيور والاشجار، بل يتحسسونها في عظام اجسادهم عندما يحركها الالم، ويلمسونها في آلاف المؤشرات الاخرى. وفي مقدورك ان تحذو حذوهم، انت ايضا، حتى اذا ما الفت الاشياء التي تنبغي مراقبتها استطعت ان ترى الجو يتغير امام ناظريك.

في ايام الصحو يرتفع الضغط الجوي ويستقر الهواء نسبيا. وعادة يكون الهواء محملا بالتراب. ومع اقتراب العاصفة وانخفاض الضغط، يتنقى الهواء فيتسنى للناظر اليه ان يستجلي ما حوله بوضوح أكبر. واذا بدت الاشياء في الافق بعيدة وغير واضحة الخطوط، فالغالب ان الجو سيبقى صحوا. ولكن عندما تبدو الاشياء في الافق جلية وقريبة، فالامطار تكون على ابواب السماء. وقد سجل البحارة هذه الشواهد في قول مأثور:

"كلما بعد النظر

دنا المطر".

عندما تشتد الرائحة - كما انه يمكن استشمام التغيرات الجوية، فمع اقتراب المطر تغدو حاسة الشم أكثر حدة من المعتاد. وتشتد رائحة كل شيء، سواء أكان زهرا في الحقول او عفنا في المياه الآسنة. وسبب ذلك انه عندما يرتفع الضغط الجوي تنكبت الروائح ويتوقف انتشار عبيرها. ولكن عندما ينخفض الضغط مع اقتراب العاصفة، تنطلق الروائح من عقالها.

كذلك بالنسبة الى السمع، فالآذان تزداد فعالية مع اقتراب العاصفة. وثمة نظريات حول هذه الظاهرة، منها ان السحب الكثيفة التي تحيط بالعاصفة تقف بمثابة الحاجز، فتصطدم بها موجات الصوت الآتية من الارض لترتد الى الارض مرة أخرى. ومهما يكن الامر، فالاسهل هو اعتماد الحكمة القديمة القائلة:

"اذا امتد الصوت وجلجل بعيدا

فالعاصفة آتية لا شك قريبا".

ومن علامات اقتراب الامطار والعواصف، تضاعف الآلام في جسم الانسان. فمن المسلم به عادة، ان المصابين بالروماتيزم والتهاب المفاصل ووجع الاسنان او لديهم آثار ورضوض في العظام او ثغن وتورم في الاقدام، تتضاعف آلامهم مع ارتفاع الرطوبة وانخفاض الضغط الجوي، وهي شواهد عبر عنها الاقدمون بقولهم:

"اذا زادت الاوجاع في الاسنان

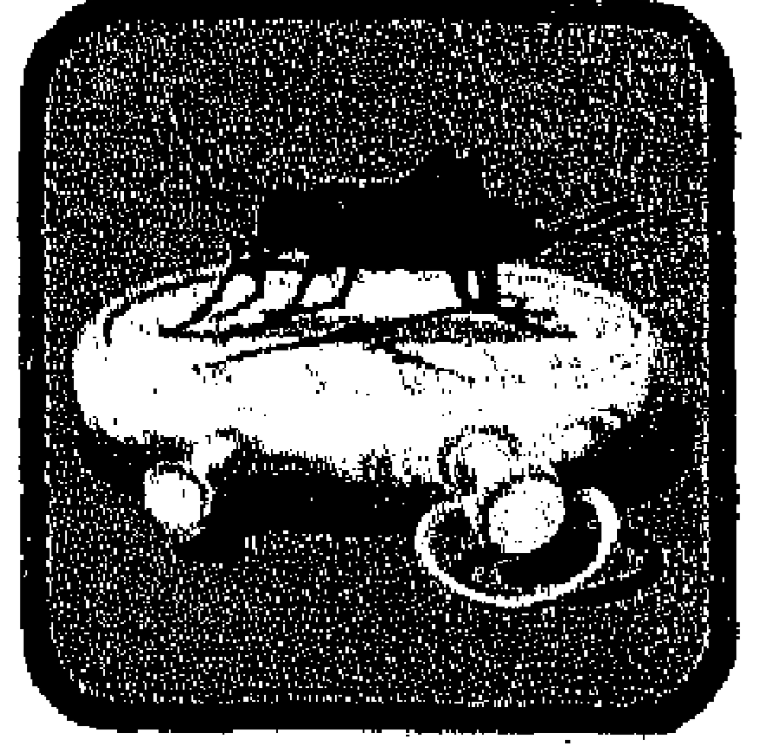
وتكالبت على جسمك الآلام

وتحرك الثغن في الاقدام

فلن يكون الجو كما يرام"

ولا بد ان انخفاض الضغط قبيل العواصف يؤثر ايضا على سلوك الحيوان، فمع اقتراب العواصف الكبرى يزداد النشاط العصبي لدى الحيوانات الاليفة، وتتجمع الماشية والخيول وتهبط من التلال الى الأودية كذلك الطيور فأن لها دوراً كبيراً في حكمة الجو. فهناك انواع منها تأبى ان تطير قبل العاصفة. ويقال عن صائدي الكركند في مقاطعة نيو انغلاند الامريكية، انهم يستيقظون باكرا ليراقبوا طيور النورس، فاذا انطلقت هذه نحو البحر خرج الصيادون للصيد، واما اذا اتجهت نحو اليابسة او توارت في مغاور الشاطىء فعندئذ يحجم الصيادون عن النزول الى البحر. وتقول احدى

النظريات ان انخفاض الضغط الجوي قبل العاصفة يجعل تحليق الطيور اكثر صعوبة. ثم ان بعض الطيور الاخرى، تبني اعشاشا رقيقة فتخشى عليها التدمير بفعل العاصفة والامطار، وتفضل ان تقبع فيها حتى يزول الخطر.



ويعتبر ابو الحن اشهر الطيور تمسكا والتصاقا بعشه عند اقتراب العاصفة، وشأن الطيور كشأن الاطفال في هذا الصدد. فالطفل يقبع داخل المنزل بسبب سوء الجو، وتتكاثر احاديثه وشكاويه، كذلك الطيور، فهي تزقزق وتعلو اصواتها احتجاجا: صياح الاوز، ونعيق الغربان، وتحرك القرّاع نقرا للشجر.

واما الحشرات فهي من أكثر الكائنات تأثرا بالاحوال الجوية، وبالتالي فان لتصرفاتها مدلولا كبيرا لدى حكماء الجو.

واذا راودك شك في ذلك، فاذهب الى الحقل ومعك ساعة توقيت. فستجد ان طنين الجدجد يتزايد بمعدل ثابت كلما ارتفعت درجة الحرارة، اما صرصور الاشجار الابيض (ويسمى ايضا "ميزان الحرارة") فان طنينه من الدقة والانتظام بحيث انك لو اجريت حسابا لوحداته على فترة ١٤ ثانية واضفت الى المجموع الرقم ٤٠، لتوصلت بدقة الى معرفة درجة حرارة الجو السائدة في تلك اللحظة.

ولئن كان الصرصور بمثابة ميزان الحرارة الجوية بالنسبة الى الرجل الفقير، فاننا لنرى لنا في عالم النبات مقياسا لضغط الجو. ان بعض الزهور والنباتات، ومنها ازهار الخزامى والقطيفة والنفل (البرسيم) والهندباء البرية، تطوي اوراقها مع زيادة الرطوبة واقتراب المطر، في حين تتكاثر نبتة الفطر بشكل ملحوظ كلما ارتفعت رطوبة الجو ودنا انهطال المطر.

لون السماء – ويعد لون السماء ايضا من المؤشرات الدقيقة لتغير الطقس. فاحمرار الشفق عند الغسق، يدلل على الصحو في اليوم التالي. لكن هذا الاحمرار يعني عادة الاحمرار الوردي او الزهري. فاللون الوردي ينجم عن مرور ضياء الشمس عبر جسيمات من الغبار الجاف، بينما يدلل اللون الاحمر الغامق على مرور ضياء الشمس عبر ستار من الغبار المشبع بالرطوبة، الذي يؤذن بقرب هطول المطر. وتقول الحكمة الشعبية:

"اذا احمرت السماء ليلا
نزلت السعادة على البحارة سيلا"

على ان نتذكر ان المقصود



بالاحمرار هنا هو الاحمرار الباهت .

ويحمل الليل، بالطبع، مجموعة من المؤشرات الخاصة بالجو، لعل اكثرها رواجا الهالة المحيطة بالقمر. فهي تسبق الامطار والثلوج والجو العاصف الرديء.

ويقول بعض حكماء الجو ان الخطوط الظاهرة المعالم على وجه القمر والنجوم المتألقة في السماء، دليل على هبوب رياح سطحية قوية تزداد سرعتها في غضون ساعات معدودة. وان كثرة النجوم تدلل على وضوح الرؤية وتنذر بأحتمال هبوط الندى او الصقيع.

اما السحب، ويسميها حكماء الجو "رجال الارصاد في السماء"، فهي ادق مؤشرات التنبؤ بالطقس. فالسحب المتحركة على مستويات عالية بشير بالصحو، بينما السحب المنخفضة تعني ازديادا في الرطوبة، وهذا يعني المطر في غالب الاحيان.

وعندما يتحدث الناس عن السحب يتصورون غالبا تلك السحب البيضاء المنتفخة. وعندما تظهر هذه السحب بقلة وبياض ناصع في سماء زرقاء صافية، فهي تبشر بجو لطيف ومعتدل. لكنها قد تتطور الى سحب محملة بالرعد والبرق، وقد تقذف قطعا من البرد في حجم كرة المضرب، وقد تأتي برياح شديدة تطوح الاشجار وزوابع اعصارية تتجاوز سرعتها ٤٠٠ كيلومتر في الساعة. وبالتالي فأن هذه السحب تنطوي على تناقض غريب: فهي تنبيء في أحسن حالاتها بجو جميل، وتنذر في اسوأ حالاتها بعواصف قد تقضي على الكثير مما بناه الانسان.

لا شك في ان حكمة الجو تنبع من تحسسنا العالم المحيط بنا، وتؤتي ثمارها متى اهتدينا الى النماذج الجوية السائدة في المنطقة التي نعيش فيها، وعرفنا كيف نستوحيها. ولا ريب اذا في ان خير من يتنبأون بتقلبات الجو هم الذين يعرفون دقائق منطقتهم حق المعرفة، مثل المزارع الذي يتحسس، بفضل خبرته الطويلة، دنو العاصفة من مجرد بروز نوع معين من السحب فوق حظيرة جاره.

وكلنا نعلم ان "مصلحة الارصاد القومية" نفسها قد تخطيء احيانا في تنبؤاتها، وانها تحتاط للامر فتبطن بياناتها بعبارات "الاحتمال" و"الترجيح" وفي استطاعة كل منا ان يتخذ بيانات مصلحة الارصاد اساسا ويضيف اليها ما استخلصه من ملاحظاته الشخصية، فيخرج بتنبؤات اكثر دقة، ولو انها لا تصيب الهدف دائما، لان الطبيعة لا تأذن بذلك، ولكنه قد ينجح الى حد بعيد.

■ **البرت لي**



رفض المسؤول في احدى دور النشر مخطوطا لرواية بوليسية الفها كاتب شاب، وقال له وهو يعيد اليه كتابه: "انه لا يصلح اطلاقا، فليست فيه جثة واحدة. ويجب ان تعرف ان الموت هو الذي يبعث الحياة في اي رواية".

صحيفة "لوهيربيسون" - فرنسا

قسيمة اشتراك

املأ هذه القسيمة وارسلها الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً على ان تدفع بدل الاشتراك بعد ثلاثة اشهر،

الاسم : ....

العنوان : ....
....

التوقيع : ....

التعريفة: ☐ سنة ☐ ستة اشهر

بالبريد العادي ١٥ دولارا ٨ دولارات

بالبريد الجوي تضاف الى التعريفة العادية بدلات الارسال جوا،

يرسل بدل الاشتراك اما شيكا باسم "المختار"

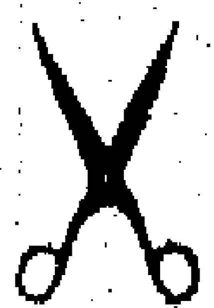
Al Mukhtar min Reader'S Digest
37, Avenue George V 75008 Paris FRANCE

واما حوالة باسم "المختار" على:

Banque de la Mediterranee France
23 rue Quentin Bauchart — 75008 Paris

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V — 75008 Paris, France



فوزنا في السباق
سبب كاف لشراء
شمعة الاشعال "شامبيون"
••• لكنه ليس السبب الوحيد

صحيح أننا نفوز في بطولة سباق السيارات أكثر من أي شمعة
إشعال (بوجي) اخرى٠ لكن إحرازنا البطولة في سباقات دولية
عدة ليس السبب الوحيد الذي يدعو الزبائن الى شراء شمعة
إشعال "شامبيون"٠ فنحن مختصون في صناعة شموع الاشعال،
ولذلك نصنعها لتلائم سيارتك بالضبط مهما كان نوعها٠
وهذه الدقة هي التي جعلتنا موضع ثقة كبيرة٠ فمعظم صانعي
السيارات في العالم يستعملون "شامبيون"
أكثر من أي شمعة إشعال اخرى٠
والآن إليكم السبب الذي يدعوكم إلى شراء "شامبيون":
إنها الاولى مبيعاً بين شموع الاشعال وعندما تضع الأولى إلى جانبك،
فأنت لا تبحث عن شيء أفضل٠





World's
No.1 Seller.





اصداء من عالم الطب

المشاجرات تعوق النمو

قرر اربعة من الاطباء، هم الدكتور جيرالد باول من مدرسة الطب في جامعة ديوك، والدكاترة جوان بريزيل وروبرت بليزارد وسلفاتوري تايتي وكلهم من مدرسة الطب في جامعة جونز هوبكنز، ان الاضطرابات العاطفية التي يتعرض لها الاطفال بسبب النزاع بين الوالدين قد تعوق نموهم الى حد كبير.

وقد نشر هؤلاء الاطباء الاربعة في مجلة "نيو انغلاند الطبية" نتائج الدراسة التي اجروها على ١٣ طفلا يعانون بطأ في النمو بدرجة غير عادية. ووجد الاطباء ان جميع هؤلاء الاطفال يعانون اضطرابات عاطفية، وان لكل منهم ابوين كثيري الشجار. وحين وضع الاطفال في مستشفى للنقاهة، لوحظ ان سرعة نموهم قد ازدادت زيادة ملحوظة. وبعد ان خرج الاطفال من المستشفى وعادوا الى بيوتهم، توقفوا مرة اخرى عن النمو الطبيعي. واظهرت الدراسات البيوكيميائية ان اجسام الاطفال في اثناء اقامتهم في بيوتهم كانت تفرز كميات صغيرة الى درجة غير عادية من هورمون النمو، وهو مادة كيميائية تتحكم في افرازها الغدة الصنوبرية. ويحتاج الامر، بالطبع، الى مزيد من البحوث والاختبارات قبل ان تعتبر هذه النتائج نهائية، لكن دلالتها واضحة.

مداواة الرهاب العصبي

يعالج مرضى الرهاب العصبي الآن عن طريق "ازالة حساسيتهم" لمخاوفهم غير الطبيعية، بواسطة حقنهم بمخدر من مركبات "الباربيتيورايت". وقد اتاح هذا العلاج لاحدى السيدات ان تسافر من دون تخوف للمرة الاولى منذ ثمانية عشر عاما، كما اتاح لمرضى آخرين ان يتخلصوا من خوفهم من محلات الحلاقة والرعد والاماكن المكشوفة و المغلقة.

وقد نشر الاطباء البريطانيون في مجلة "لانسيت" تقريرا عن هذه الطريقة الجديدة وهي تقوم على اثارة القلق لدى المريض بجعله يتخيل نفسه في الوضع الذي يخاف منه وعندما يتصاعد قلقه، يعطى حقنة من المادة المخدرة.

("شيكاغو ديلي نيوز")

"رحلة" الى العمى

اصيب اربعة من مستعملي عقار الهلوسة "ال.اس.دي" باضرار دائمة في قواهم البصرية لانهم حدقوا في الشمس وهم تحت تأثير العقار.

ويقول تقرير جمعية اطباء العيون في سانتا باربارا ان التحديق في الشمس قد تسبب في حرق جزء معين في قرنية كل من الاربعة مما ادى الى فقد جزئي للقدرة على القراءة.

(أ.ب)

العمل المنزلي لم يعد وظيفة الام وحدها بل هو بات وظيفة جماعية تشمل كل من يعيش في المنزل. هذا التقليد القديم - الجديد هل له مكان في العالم العربي؟

حرّر أسرتك بالعمل المنزلي

ثمة ازواج، كما تبادر الي، ينعمون بالتحرر التام. فهم توصلوا الى التوقيع بالحبر على عقد زواج يتعهدون فيه بتبادل الحب والاحترام و... مسح غرفة الحمام كل يوم خميس.

وهناك ازواج آخرون لديهم فكرة ثابتة عن الزواج بانه عقد يقضي على العروس بأن تأتي ومعها مجموعة من الدواجن، حتى اذا لم يرتح الرجل الى الزواج، لأي سبب، سعى الى التبرؤ من زوجته والاحتفاظ بالدواجن. وبموجب هذا العقد، لا يترتب على الزوج ان يمسح غرفة الحمام او حتى ان يهتم بتعليق قميصه.

اما زوجي فيقف موقفا وسطا بين هذين النقيضين: فهو يطبخ، لكنه لا ينظف. لذلك، ربما كانت اسرتنا الوحيدة بين عائلات الطبقة الوسطى التي وجدت الحل للتحرر الكلي: فولدانا يمسحان غرفة الحمام وينظفان السجاد بالمكنسة الكهربائية ويغسلان ثيابهما ويتحوجان البقالة ويشاركان في تحضير الطعام ويرتبان سريريهما وينظفان غرفتيهما ويمسحان الغبار، فضلا عن تركيبهما ازرار قمصانهما الساقطة. وقد بلغ الولدان الآن سن المراهقة، لكنهما اعتادا هذه المهمة الرائعة بدءا من السادسة او السابعة. ويمكنني القول باخلاص انهما يديران شؤون المنزل بجدارة ربة بيت متوسطة.

الوظيفة الجماعية - ولا يتبادرن الى الاذهان اننا ندفع لهما اجرا في مقابل اي من هذه الاعمال. فموقفنا كعائلة واحدة هو اننا جميعا وسط هذه المعمعة. وهما لا يختاران من الاعمال اليومية ما يروقهما لكي "يساعدا والدتهما". كذلك الامر بالنسبة الى والدهما. فالعناية بالمنزل ليست وظيفة الأم، انما هي وظيفة كل من يعيش في المنزل.

ان زوجي - وهو طبيب نفساني مختص في معالجة المراهقين - يعتقد ان المشكلة، في معظم البيوت المضطربة، ليست وليدة "التساهل" لكنها تنطلق من انعدام التفاعل

العائلي. فالمنزل الذي تعمل فيه الأم معظم الوقت، فيما يسترخي الأب ويلعب الأولاد، لا يعد محيطا سليما لأي من هؤلاء. ونحن في منزلنا وحدة متعاونة على غرار الفرقة الرياضية.

لي صديقة، وهي فنانة ممتهنة وعندها ثلاثة اولاد تراوح اعمارهم بين السادسة والثالثة عشرة. تقول صديقتي شاكية: "آمرهم بأن يرتبوا أسرّتهم، لكنهم يرفضون". فيقول احدهم: "انت ترتبين سريري يا امي، فليس لديك شيء مهم تفعلينه". وليس مهما ان تكون الوالدة رسامة علقت لوحاتها في المتاحف. وتعتقد الابنة البالغة السنوات الست ان عمل المنزل هو الوظيفة "الحقيقية" لأمها، مقتنعة بأن أمها سترضخ في أي حال.

"هذا مستحيل!" – هل لاحظتم ماذا يحدث عندما تزور ام كهذه، للمرة الاولى، ولدها في مخيم العطلة المدرسية؟ تصرخ الأم لدى رؤيتها اطراف السرير المبيت مثل اسرة المستشفيات "انني لا اصدق ان يكون هذا سرير ابني" ثم تتساءل: "اين هي ثيابه؟ هل هي مطوية بترتيب في صندوقه؟ ام مبعثرة هنا وهناك؟ هذا مستحيل!". وتحدق الأم في وجه مرشدة ابنها. لكن المخيم كان نظيفا وخاليا من العيوب، ولا يقع النظر فيه على ملبس زري او جوارب قذرة. اما الابن فقد كان جلفا للغاية في البيت، كذلك رفقاؤه. والفارق بين المنزل والمخيم هو ان المخيم ليس فيه امهات ليقمن بأعمال المنزل.

كثيرة هي الاعمال التي يقوم بها الصغار بطريقة طبيعية افضل مما يفعل الكبار. فكون بنيتهم اقرب الى الارض يمكنهم من مسح الغبار في نصف الوقت. وهم يحصلون على مردود ايجابي من تشغيل الادوات الرئيسية. فكبس الازرار لادارة آلة غسل الاواني والسيطرة على مكنسة كهربائية معقدة يعطي اولاد القرن العشرين حسا بالقوة لا يعادله حس آخر.

الفكرة قديمة – ان "الطريقة" التي تعتمدها عائلتنا، كمعظم الافكار الثورية، بعيدة عن ان تكون جديدة. فمنذ مئة سنة، مثلا، كان ينظر الى الولد، في المقام الاول، بانه يجيء بيدين تساعدان على القيام بأعباء المزرعة. وعندما تشتد هاتان اليدان الصغيرتان وتقويان على حمل علف الدجاج، كان على الولد ان ينهض من النوم في الخامسة صباحا ويهتم بتغذية الدجاج: ويخامرني الشك حول ما اذا كان اي ولد في تلك الايام القديمة الطيبة (والصعبة) شعر بأنه عديم الجدوى او منحى او ضجورا، او عديم الطاقة. الحقيقة ان العائلة كانت تحتاج الى كل واحد من اولادها، وكان الاولاد يعرفون ذلك.

اما اليوم، فقلما تحتاج العائلات حقا الى جهد الاولاد، ربما باستثناء تلك العائلات التي تشعر فيها الأم بانها عديمة الجدوى، او منحاة ضجورة او عديمة الطاقة من دون اولادها، كتلك الام التي تقيم في جيرتي والتي كرست حياتها لتغذية ولديها الصغيرين المتجاوزين الوزن الطبيعي، بطريقة قسرية قاسية. فهي تحشوهما كما لو كانا اوزتين معدتين للعرض في اسواق اللحوم الفاخرة، وهي تردد: "انهما حياتي



داتسون "٢٠٠ ل" الحسناء
تحبها من أول نظرة !

لا تكتف بالاعجاب بملامحها الخارجية الراقية والانيقة، بل امعن النظر في واجهتها الجسورة ومقدمها الطويل وطراز مؤخرها القصير الديناميـ، طبعا، عليك ان ترى قوة محركها (١١٥ حصانا) وصندوق الحقائب الفسيح.
ولا بد انك لاحظت كم هي واسعة ووثيرة من الداخل - مقعدان اماميان متحركان وانيقان يغريانك براحة تامة، وكل ما حولك ينضح بالاناقة والرفاهية. وهناك مزايا اساسية عدة، منها كوابح امامية تعمل على "الديسك" واقتصاد في الحركة واشارة انذار وجهاز تعليق امامي مستقل كذلك جهاز تعليق خلفي متطور مكون من ملفات ذي ٤ حلقات تمكنك من التمتع براحة تامة. ويمكن طلب مقود معان كهربائيا وشبابيك يرفع زجاجها وينزل كهربائيا ودواليب الومينيوم كذلك.
جرب الداتسون "٢٠٠ ل" - السيارة الجميلة التي تزداد تعلقا بها يوماً بعد يوم.

داتسون

كلها". وقد قلت لها مرة: "يا جارة هذا تصرف سيء جدا".

نحن نعيش في المدينة. ويقطع ولدانا مسافة ١٥ مبنى من البيت الى المدرسة ومن المدرسة الى البيت. ويذهبان وحدهما ايضا، سيرا في الغالب، الى المتاحف والحدائق العامة وبيوت الاصدقاء وعيادة طبيب الاسنان.

غير ان لي صديقة لها ولدان في سن ولدينا تأبى ان يذهبا من دونها الى اي مكان. وحياة هذه الصديقة دوامة مستمرة. وقد اتصلت بها هاتفيا صباح احد الايام خلال عاصفة رعد عنيفة، فقالت: "لا يمكنني ان اتكلم الآن، اذ علي ان اكون في مدرسة ولدي الساعة ١١:٤٠". وكان هذا نسي علبة الغداء في المنزل. فأجبتها ان المطر يتدفق في الخارج، وان احد رفقائه سيعطيه نصف سندويشه، وهو، في اي حال، لن يتضور جوعا. لكنها صعقت وقالت: "انه لن يغفر لي البتة".

وأعرف امرأة اخرى مرهقة بالعمل، تُعلم بعض الوقت ثم تغمرها مشاغل المنزل. هذه تتذمر من ان ابنها البالغ تسع سنوات لا يركن اليه، حتى في الذهاب الى المخزن. فهو "يعود الى البيت حاملا من الكعك المحلى والمغلف بالشوكولا ما لا تقل قيمته عن ١٥ دولارا".

اما ولدانا فانهما يقومان بتحوج ثلثي حاجاتنا اليومية تقريبا. واذا نسيا الحليب، عادا الى المخزن لشرائه. ونحن نتوقع منهما ان يتحوجا بدقة، وهذا يتناول ضبط الوزن ومقارنة الاسعار وقراءة المعلومات الملصقة على اصناف البضاعة. وفي اعتقادي انهما يستمتعان بكونهما مستهلكين مدركين وربما كانا يتحسسان ذلك اكثر من اولاد كثيرين في سنهم.

الزر والسفينة — قد يرتئي بعض النساء انه من الأفضل ان يقمن هن بالعمل، بدلا من الصراخ بصوت اجش على الاولاد كي يقوموا بذاك العمل. وانا لا اوافق هذا الرأي. فالصراخ ارق على يدي من سوائل التنظيف الاكثر نعومة. وزوجي يشارك عن طيب خاطر في نصف الاعمال اليومية على الاقل، التي تستدعي الشكوى.

لذلك نظن اننا، عموما، تمكنا من المواظبة على عمل جيد الى حد. فولدانا يتعلمان العناية بنفسيهما وبالاشياء التي تكون حياتهما وحياتنا. انهما يتعلمان ان المشاركة والعمل الهادف جزء مهم مما تعنيه العائلة. وهما فخوران بأن في امكانهما رتق الزر، وفي الوقت نفسه تعلم قيادة السفينة.

ونحن، بدورنا، فخوران ايضا.

■ لوويس غولد

كانت ابنة صديقي الصغيرة تلعب بمجموعة من الدمى. واخيرا جمعتها كلها ووضعتها في عربتها، والتفتت الي وقد بدا على ملامحها القلق، وقالت: "لست ادري كيف سأتدبر شؤون كل هؤلاء الاطفال، فانا اتوقع طفلة اخرى في عيد مولدي".

و.د.

لم يحل داء الصرع دون العداءة الصغيرة باتي ويلسون والفوز في احد سباقات الضاحية.



باتي ويلسون ووالدها يستهلان السباق، وهي تحمل "مشعل التفاهم" رمز مؤسسة مرضى الصرع.

الرياضية الشجاعة

كلما حاولت باتي ويلسون الصغيرة ان تعدو، ارتعشت ذراعاها وساقاها، وكأنها اطراف دمية من القماش. وكانت حركاتها غير متناسقة، حتى انه لم يكن في استطاعتها ان تقذف الكرة.

كم من طفل يعوزه تناسق الحركة، لكن باتي كانت تشعر بعجزها اكثر من غيرها من الاطفال، لانها تنتمي الى اسرة من الرياضيين، الى بيئة مكرسة للرياضة والتنافس الرياضي. تقول باتي عن هذه الفترة: "كنت اشعر وكأني على هامش العالم الذي اعيش فيه". وبدأت تحاول العدو مع والدها جيم، محاولات متواضعة وخجولة، وكان هو دائما بجانبها،

Condensed from Family Weekly (September 25, 77) Copyright 1977 by Family Weekly, 641 Lexington Ave New York, N.Y. 10022

يراقبها ويرعاها علما منه بان باتي، فضلا عن افتقارها الى المهارة الرياضية، كانت تعاني مرض الصرع.

حققت باتي اول انجاز متواضع لها في السن الثالثة عشرة، عندما قطعت عدوا مسافة ٥٠ كيلومترا من منزلها في مدينة لابالما (ولاية كاليفورنيا)، الى بيت جدها في لوس انجلس. وركزت باتي تفكيرها في هذه المناسبة على عداء يدعى بيتر سترودويك، كانت قابلته قبل ان تبدأ هي العدو، فقررت ان تفعل ما فعله وعقدت العزم على الانتصار وتخطي الصعاب كما تخطاها بيتر الذي لم تكن له قدمان مكتملتان بل كان يركض على قرمة قدمه.

وفي عام ١٩٧٥ قطعت باتي ووالدها مسافة ١٥٠ كيلومترا عدوا، من لابالما الى سان دييغو. وكان عزمها قد تحول الى ارادة لا تقهر، وان كانت الاقدار تخبىء لها بعض لحظات الحقيقة القاسية. ففي ذلك العام نفسه، وهي بعد طالبة في الصف الاول من الدراسة الثانوية، انضمت باتي الى فريق الذكور لاختراق الضاحية (كروس كنتري). وفي اول مرة اشتركت باتي في العدو، فاجأتها ازمة صرع جزئية مركبة. وكان الجو ملبدا بالضباب، ودرجة الحرارة تبلغ الثلاثين. وبعد اجتياز ٤٠٠ متر من السباق، بدأت تعدو كالدمية الآلية، ولكنها ظلت على قدميها حتى نهاية السباق، وان تكن لم تتذكر شيئا على الاطلاق عن هذا الحادث.

الازمة الجزئية المركبة هي ضرب من ضروب مرض الصرع: اضطراب، ونظرة زائغة، وحركات آلية. ولم تكن هذه الازمة التي اصابت باتي هي أزمتها الاخيرة، لكن طبيبها قرر انها تستطيع الاستمرار في العدو شرط ان تكون دائما في صحبة احد.

"كنت خائفة" ـ دعيت باتي الى الاشتراك في سباق في سانتا باربارا لفتيات المدارس الثانوية. وتقول باتي: "كنت خائفة. فالسباق على مسافة ٣٢٠٠ متر من التلال، وهي منطقة لم اكن قد رأيتها ابدا". وفازت باتي، كما حصلت من فريقها على لقب "العداءة الملهمة".

وجاء اختبار آخر بعد ذلك ببضعة اسابيع، عندما قطعت باتي مع والدها مسافة ٥٠٠ كيلو متر الى لاس فيغاس. وبعد انتهاء العام الدراسي، قطعا معا المسافة المرهقة الى سان فرنسيسكو والتي تبلغ ٨١٧ كيلومترا.

وفي عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ عندما كانت باتي في الصف الثاني من الدراسة الثانوية، اشتركت في سباق الضاحية للفتيان وفي سباق فريق الفتيات للعدو. ثم أخذ والدها جيم يتحدث عن الاشتراك في سباق بين بوينا بارك في كاليفورنيا وبورتلاند في ولاية اريغون، على مسافة ١٦٠٠ كيلو متر. فحاولت والدة باتي وهي ممرضة متمرسة، ان تثنيهما عنه ولكنهما، اقنعاها بان تساعدهما على مواجهة هذا التحدي الذي يعتبرانه اكبر تحد عرفاه في حياتهما.

وقد تطلب الاستعداد لهذا السباق الجرىء، ان يقطع باتي ووالدها حوالى ٢٠٠ كيلو متر عدوا اسبوعيا. وفي خلال احد التمرينات بلغ جيم قمة تل صغير والتفت وراءه فلم ير باتي. ثم قطع حوالى نصف كيلومتر، فاذا بباتي قد اختفت عن الانظار،

فعاد جيم ادراجه وظل يبحث عنها في دائرة تبلغ كيلو مترا ونصف كيلومتر شرقا ومثل ذلك غربا، حتى احاط به الظلام ولم يجد لها اثرا، بل ان احدا لم يرها. ويقول جيم: "اصابني الذعر خشية ان تكون قد دهمتها سيارة عابرة".

عاد جيم الى منزله وخرج مع زوجته دوتي يجوبان الطرق في سيارتهما بحثا عن باتي، وعندما رجعت باتي اخيرا الى البيت في حالة من الاضطراب، فهم جيم انها فوجئت بأزمة صرع وهي تعدو.

وعلى أثر هذا الحادث المؤسف، صمم جيم على ان يضاعف اهتمامه بمراقبة باتي عندما يعدوان معا، ولكنها لم تتبرم من ذلك.

مرضها لم يعقدها - كانت باتي تتحدث عن مرضها بلا حرج، فعرف مدربوها في المدرسة بحالتها، وان يكن والداها قد احتفظا بذلك سرا عن الصحافة والجمهور. وتفسر والدتها هذا الموقف قائلة: اصيبت باتي بازمة الصرع الاولى وهي بعد تلميذة في الصف الثالث الابتدائي فبدأ الاولاد يتحاشونها، وبدأت ترفض هي الذهاب الى المدرسة. وخشيت عليها من ردة فعل مماثلة بالنسبة الى الجمهور. فاخفينا الحالة عن جدها. كنت اتخوف من كلمة صرع وكنت اجهل كل شيء عن طبيعة هذا المرض. لكن خوفي اخذ يتقلص بعد ان بدأت افهم ان باتي وان تكن مصابة بالصرع الا ان حالتها لا تدعو الى القلق الكبير. واستخلصت من ذلك ان الواجب يحتم علينا ان نهدىء من روع من هم اقل حظا منا وان نساعدهم في هذا الصدد: وقد حمل هذا القرار أسرة ويلسون على اعلان حالة باتي قبل سباق بورتلاند بشهر واحد.

وفي ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٧ جاء مصورو التلفزيون وممثلو الصحافة والولاية والمسؤولون عن المنطقة والمدينة، كما جاء بعض اعضاء جمعية الصرع وغيرهم من الاصدقاء، ليشجعوا باتي قبيل السباق. وكانت الفتاة تبتسم وتطفح غبطة وسرورا وتتحدث الى الزائرين في لطف وايناس، حتى انطلقت في سباقها. وبعد ان قطعت باتي ٤٠ كيلومترا واجهت اول التحديات، صدمة كان من شأنها ان توقف عن العدو كثيرا من الرياضيين: كسر في العظمة المشطية الثالثة من قدمها اليسرى. فحملها والداها الى المستشفى، ونصح طبيب الاشعة بوضع قدمها في الجبس لمدة ستة اسابيع، وحذرهم بانها اذا استمرت فقد لا تتمكن من العدو ابدا بعد الآن.

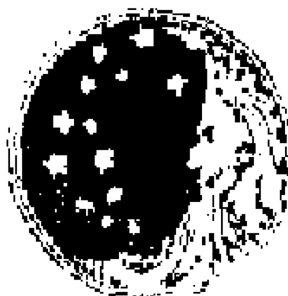
وتقول باتي: "ولكنني صممت على الاستمرار. وكان ذلك تحديا لي لكي اعرف مدى قوتي الداخلية". وكان يبدو لها وكأنها اصبحت بمثابة رمز للاخرين.

اما التحدي الثاني، فقد حدث عندما تبينت أسرة ويلسون ان السباق ستطول مدته اسبوعين زيادة على الفترة المتوقعة له، لانها قد اختارت له طريقا ساحليا معروفا بمناخه اللطيف. واضافت والدة باتي: "ولكننا لم نتصور انه سيكون اطول من غيره بخمسمئة كيلومتر". وفي اول الامر ظنت باتي ان المسافة الاضافية لن تهمها، ولكنها كانت تستيقظ في صباح كل يوم وتهزها الرهبة كلما فكرت في الكيلومترات الـ ٢١٠٨ التي يجب عليها ان تقطعها. ثم قالت:

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.

Today she gets the job done twice as well in half the time. But we still don't think that's good enough. So what are we doing about it? Lots!

Laundry products: ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, FAIRY SNOW, GAIN, IVORY FLAKES, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers: COMET, FLASH, MR. CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps: CAMAY, FAIRY, IVORY,



LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products: CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCAN HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMIN, PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD. Catamenial products: RELY.

Procter & Gamble

"وقد ساعدني والدي على النظر الى المسألة بعقلية العداء، والتبصر في كل كيلومتر على حدة وكل يوم بيومه، فلم اعد ابالي بكل هذه المسافة المخيفة".

وكانت اسرة ويلسون تعيش في سيارة معدة للسكن، طوال فترة ابتعادها عن منزلها، بسبب السباق. وكان افراد الاسرة ينهضون في الرابعة والنصف صباحا لتبدأ باتي استعداداتها الشاقة، فتضمد لها امها القروح المتعددة في قدميها (وهي عملية تتكرر في العصر والمساء ايضا). ثم يلف والدها قدميها وساقيها بالضماد من الفخذ حتى الكاحل. ويبدأ العدو في السادسة فيقطع الجميع ٥٠ كيلومترا يوميا في المتوسط. ويقول جيم: "كانت باتي تشد ازري كما اشد انا ازرها. نروي الحكايات، ونلعب، ونجمع الزجاجات الفارغة القابلة للاستعادة. كانت باتي تتمرن على اللغة الاسبانية احيانا، وتقلد ممثلتها المفضلة بربارة سترايسند، احيانا اخرى. واما السيارة التي تقودها زوجتي دوتي فقد اصبحت قبلتنا ومحط رحالنا، وكنا نتلهف للوصول اليها، واذا ما استولى علينا التعب واليأس فكنا نتبادل عبارات التشجيع".

وبعد اجتياز ٣٠ الى ٣٥ كيلومترا، كان العداءان يتوقفان قليلا لاحتساء بعض العصير وكانا يشربان منه ما لا يقل عن ٧ ليترات ونصف ليتر يوميا، ويتناولان شرابا آخر يستعيض بد الجسم عما فقده من مادة البوتاسيوم ويعيد اليه توازن الذائب الكهرباوي. كما كانا يتناولان بعض اقراص الملح. وكانت تقتصر وجبات طعامهما على الافطار والعشاء. تورمت قدم باتي اليسرى حتى كادت ان تعجز عن ادخالها في حذائها المطاط. فحاول والداها معالجتها بوضع اكياس الثلج عليها، وبوضعها في الماء الدافىء، وبابدال الاحذية كذلك.

واضافة الى العقاقير الثلاثة اللازمة لمعالجة الصرع اضطرت باتي الى تناول دواء مسكن للالم. وفي منتصف الليلة الحادية والعشرين من السباق، انتابت باتي حالة قيء عنيفة. وقالت امها: "لقد خيل الي ان نوبة القيء ستمزق احشاءها، وتمنيت يائسة لو تخلت باتي عن السباق".

لكن باتي لم تتوان عن قطع خمسة كيلومترات في صباح اليوم التالي. ثم نامت لمدة خمس ساعات، وقطعت خمسة وعشرين كيلومترا. وكانت ارادتها الفولاذية تمكنها من العدو ساعات عدة بعد ان يتملك جسمها العياء.

وكانت التلال المرتفعة والرياح مشكلة اخرى يصفها جيم بقوله: "كانت التلال التي نواجهها في نهاية يوم شاق من العدو تبدو وكأنها اعلى التلال قاطبة. ولو كنا استشرنا سائقي الدراجات قبل ان نبدأ السباق، لما سلكنا الطريق الذي سلكناه، ولكنا اخترنا بدلا منه الطريق من بورتلاند الى لوس انجلس.

ولئن تكن امنا الطبيعة قاسية احيانا، فان طبيعة البشر تفوقها قسوة. وكثيرا ما يصرخ المارة من نوافذ سياراتهم: "أهكذا تركضون؟ اهذه اقصى سرعة لكم؟" بل ان بعض الاطفال قذفوهم مرة بكرات من الطين.

وما ان اجتازت باتي حدود ولاية اوريغون، حتى اخذت ترافقها فرق العدو التابعة للمدارس الثانوية. وكان

المصابون بمرض الصرع يستوقفونها في الطريق ويتحدثون اليها · ولم يكن عدوها في ذاته هو الذي يثير اهتمامهم، بل انهم كانوا يرون في باتي صاحبة رسالة، رسالة مرضى الصرع·

وكان والدها يقول في هذا الصدد: "كانت باتي في نظرهم حاملة المشعل"·

وفي المرحلة الاخيرة من السباق عندما وصل باتي ووالداها الى بورتلاند، تهافتت الجماهير لتحيتهما، وانضم اليهما بوب ستراوب المحافظ الرياضي في الـ١٥٠٠ متر الاخيرة· وتفحص والد باتي وجه ابنته في المئة متر الاخيرة ليرى ابتسامة النصر على محياها، ولكنها لم تستطع الا ان تعض على نواجزها من الالم· ثم انتهى السباق وبدأت الاحتفالات وحبس البعض دموع الابتهاج· بينما انهمر دمع الآخرين· واعلن المحافظ أن يوم ٢٩ يوليو (تموز) يعتبر "يوم باتي ويلسون"، في ولاية اوريغون باجمعها· وكان بالفعل يوما له مغزاه الخاص لكل من عرف معنى "الصراع ضد غوائل الدهر"، ولا سيما اولئك الذين يسمونهم المعوقين·

وقالت باتي بعد السباق: "لم يحل الصرع ولن يحول بيني وبين عزيمتي على الاستمرار· وآمل ان يحث ذلك غيري من المعاقين على الاقدام على تحقيق ما تصبو اليه نفوسهم"·

■ جيلا كراغ



حتى التفاهة تتطلب موهبة

روت ابنة تولستوي تاتيانا القصة الآتية :

كان ابي في احدى الفترات شديد الاهتمام بالمسرح· وذهب ذات مساء الى مسرح مالي في موسكو ليشاهد ملهاة لابيش المسماة "قبعة ايطالية من القش"· وكان هو في ذلك الوقت يكتب مسرحيته الهزلية "ثمار التنور"·

وفي اثناء الاستراحة، التقى في الردهة صديقا من اساتذة الجامعة، بدا عليه الحرج لان تولستوي فاجأه وهو شاهد مثل هذه المسرحية الطائشة، فقال لابي وهو يتصنع الضحك: "انت ايضا يا ليونيكولايفيتش قد جئت تشاهد هذه المسرحية التافهة؟"·

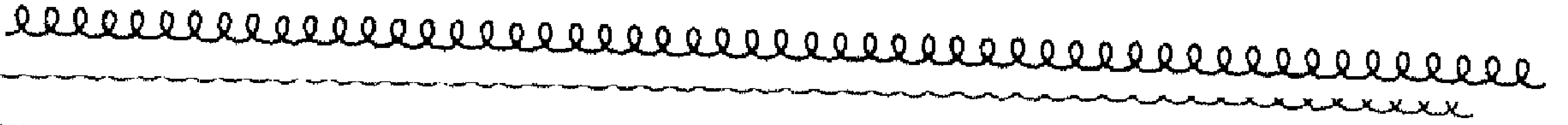
فرد ابي: "لقد ظللت احلم طوال حياتي بكتابة شيء مثل هذا، ولكني لا املك مقدرا كافيا من الموهبة"·

من كتاب "مع ليو تولستوي"

كانت احدى البائعات في محل تجاري كبير، تعرض اداة لتنظيف النوافذ· وكانت تلطخ الزجاج بالسمن النباتي ثم تنظفه مرة أخرى، لكي تثبت للناس فعالية الاداة التي تستعملها· واثار هذا اهتمام امرأة الى جواري فسألت البائعة : "ما هي كمية السمن التي ينبغي ان استعملها لتنظيف زجاج المنزل؟"

س· ب·

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ المختار السنة الأولى (سلسلة جديدة)



كشف أسرار مملكة سورية

كشف أسرار مملكة سورية

بعثة ايطالية اكتشفت في تل مرديخ، قرب حلب، آثار مملكة ايبلا التي كانت اعظم قوة في الشرق الأدنى القديم.

لا ريب في ان المطل من قمة هضبة عارية لا يستطيع ان يتبين بالتفصيل معالم مدينة منسية طي السفوح الجرداء ما لم تكن له عين حادة نافذة تبصر ما وراء الاطلال، كعين الخبير باولو ماتييه، استاذ علم الآثار في جامعة روما. فهو يقف بك فوق هضبة صغيرة لا يزيد قطرها على ٨٠٠ متر، ويشير الى القطع البارز في جانبها الذي لا يتجاوز ثلاثة امتار ويقول لك: "هناك كانت البوابات الرئيسية للمدينة". ثم يلوح بيده في اتجاه منحدر متصاعد من البوابة الى قمة الهضبة، ويستطرد: "وعلى طول ذلك الجانب من الهضبة كان يعيش سكان ايبلا. وقد وجدنا على القمة معابد آلهتهم وقصور ملوكهم".

وقفت اخيرا على قمة تلك الهضبة تحت اشعة الشمس اللاهبة في شمال سورية، ورحت اراقب العلماء وهم يحفرون ويستخرجون اسرار ايبلا التي كانت تتمتع بسلطة كبرى في العالم القديم، بينما ينتظر الباحثون في ترقب ولهفة نتيجة العمليات التي يقوم بها علماء الآثار الايطاليون هؤلاء وهم يكشفون عن هذه المدينة حجرا بعد حجر.

اما اللهفة فيعود مبررها الى الاعتقاد القائل بأن التاريخ القديم سادته حضارتان متألقتان: حضارة مصر وحضارة ما بين النهرين، في حين ان الخبراء الايطاليين يزيحون الستار حاليا عن قوة ثالثة ظلت مجهولة حتى الآن، كانت تقف صنوا للقوتين الاخريين المتنافستين. فقد كانت ايبلا، قرابة العام ٢٣٠٠ ق.م.، على رأس امبراطورية مزدهرة، غنية بالتجارة والفنون والآداب، يحكمها ملوك فاتحون حملوا نفوذها الى مناطق بعيدة. ويبتهج ايغناس ج. غيلب، استاذ تاريخ الشرق الادنى القديم في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة، ويقول وهو يتوقد حماسة: "ان هذه الاكتشافات تزيح الستار عن ثقافة جديدة، ولغة جديدة، وتاريخ جديد. انها اكتشافات باهرة مثيرة!".

اما الباحثون المتخصصون في دراسات الكتاب المقدس فأن لهم ايضا نصيبهم الخاص من اسباب الاثارة في هذا الكشف: لقد اظهرت الحفريات ان اعظم ملوك ايبلا كان يدعى "ايبروم" ـ وهو اسم شبيه بأسم "ايبر"، جد العبرانيين حسب رواية الكتاب المقدس. كما وجدت اسماء اخرى تشير الى مقابلات لها كان يحملها اشخاص واماكن ورد ذكرها في الكتاب المقدس، مثل داود

Photos by Tor Eigeland — Courtesy Aramco World Magazine

حاضرة وحضارة من الالف الثالث

احتلت ايبلا (سورية) مكانا مرموقا في اهتمام علماء الآثار والتاريخ في العالم، للاسباب الآتية:

□ ان ايبلا كوجود حضاري مدعم بوثائق علمية اصبح حقيقة واضحة بعدما كان خبرا.

□ ان هذا الوجود الحضاري متفاعل في الشرق مع الوجود الرافدي (الاكادي) كما هو متفاعل مع عدد كبير من المواقع والمدن المزدهرة في ذلك الوقت، وان رقعة هذا التفاعل تشمل شمال سوريا وجنوب الاناضول وغرب الرافدين.

□ ان ايبلا التي ترجع الى عام ٢٤٠٠ ق.م، كانت قد عرفت التوحيدية بدليل اسماء اسماعيل – ايل واسبر – ايل وميكا، ايل الخ. وان هذه الاسماء التي تذكرنا باسماء آل ابرهيم ترجع الى عهد سابق لعهد ابرهيم بخمسة قرون.

□ ان ايبلا تشكل حلقة من سلسلة مدن اقام فيها اجدادنا القدامى حضارات تنتمي الى ارومة واحدة، ودليلنا على ذلك هو وحدة اللغات القديمة وقرابة لغة ايبلا من لغة اكاد في الشرق ولغة كنعان في المغرب، كما هو وحدة العقيدة.

ان هذه النقاط الرئيسية اثارت كثيرا من الاسئلة منها ما يتعلق بالعقيدة، فهل عقيدة ابرهيم قديمة ومعروفة يؤمن بها الناس في هذه المنطقة منذ بداية التاريخ، وهل البطاركة الاجداد او آل ابرهيم هم مجموعة متكاثرة متناثرة من المؤمنين (بدلالة وجود اسماء متكررة لهؤلاء في الواح ايبلا) وان آل ابرهيم المعروفين هم رمز محدد لهم.

وثمة اسئلة اخرى تتعلق باهمية التوراة كمصدر تاريخي بعدما ابانت الواح ماري وايبلا واوغاريت ان الآداب التوراتية ليست طارئة وانما هي قديمة متداولة وان القصص الواردة في التوراة هي القصص الرافدي والاوغاريتي والايبلائي.

والسؤال الآخر وليس الأخير، يتعلق بلغة ايبلا، هل هي لغة مستقلة ام هي لهجة من لهجات لغة واحدة، بدلالة قرابتها الشديدة من الاكادية والكنعانية، واذا كانت اللغة العربية هي من اعرق اللغات واوفرها لفظا واحكمها قاعدة، فهل تكون لغة ايبلا هي اصل هذه اللغة وقد مرت بمراحل عبر الكنعانية والآرامية لتلتقي بالعربية الجنوبية، ثم هل تسمية لغات او لهجات سامية هي تسمية صحيحة خاصة وقد رفض التوراة اعتبار الكنعانيين ساميين؟ وما هي التسمية البديلة من هذه اللغات؟

انها مجموعة من الاسئلة ستحدث اجوبتها انعطافا في علم التاريخ.

ان ايبلا ستكون فعلا كعبة العلماء خلال السنوات المتبقية من هذا القرن.

الدكتور عفيف بهنسي

المدير العام للآثار والمتاحف في سورية

واشعيا وشاول وابرهيم واسرائيل وسيناء وغزة، وحتى اورشليم. ولا شك في ان المناقشات بين الخبراء حول مدلول هذه الاكتشافات ستظل دائرة على مدى اعوام.

وقد بدأ الايطاليون الحفر في جانب هذه الهضبة بعدما كلفت جامعة روما الاستاذ ماتييه عام ١٩٦٣ البحث عن موقع توفد اليه بعثة اثرية. ووقع الاختيار على سورية لانها البلد الذي جرى فيه اقل مقدار من الحفريات في الشرق الادنى، مع ان سهولها مرصعة بمئات الروابي والآكام الترابية المعروفة بأسم التلال والتي تكونت من ركام المستقرات والمدن المتعددة التي بنتها حضارات متعاقبة من الطين الهش، بعضها فوق حطام بعض. وتكمن تحت كل من هذه التلال كومة من الحضارات في طبقات متراكمة، بينما لم تتناول الحفريات بعد الا بضع عشرات من هذه التلال. وفي الثلاثينات توصلت بعثتان فرنسيتان الى كشفين رائعين في موقعي مدينتي اوغاريت (رأس

شمرا) وماري القديمتين، انطلقت منهما الاضواء الكاشفة على تاريخ ثقافة سورية، خصوصا خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٠ ق٠م٠ و١٤٠٠ ق٠م٠ لكن العصر الذي كان ماتييه يريد الكشف عنه هو فترة الكتابة للمرة الاولى في مصر وما بين النهرين٠

تل مرديخ ــ وتساءل ماتييه: على اي تل من تلك التلال الكثيرة يقع اختياره؟ وأجتذبه تل مرديخ، وهو رابية ضخمة تبلغ مساحتها ٥٦ هكتارا وتقع على بعد ٥٥ كيلومترا الى الجنوب الغربي من حلب، وكان قد وجد على سطحها حوض كبير منحوت وشظايا اوعية فخارية بالغة القدم٠ وكان ماتييه مقتنعا بوجود مجتمع غني وراق، في الماضي، على موقع هذا التل، وبالعثور في جوفه على آثار ذلك المجتمع٠

وفي الصيف التالي، اصطحب ماتييه الى حلب فريقا صغيرا من المعاونين الايطاليين، وتمكن، بفضل مساعدة مديرية الآثار السورية، من تأمين العمال اللازمين وبدأ الحفر٠ وبعد اسابيع قليلة، برزت اطلال مدينة قديمة كانت زاهرة في منتصف العصر البرونزي الذي بدأ قرابة العام ٣٠٠٠ ق٠م٠ وقد ظهرت اولا البوابة الضخمة للمدينة، واعقبها في ١٩٦٦-١٩٦٧ ظهور جزء من القصر الملكي، ثم معبد كبير بعد سنة٠ ومع ذلك الاكتشاف جاء التساؤل: اي مدينة هي هذه؟

وذات يوم من عام ١٩٦٨، استخرج الحفارون من بين الحطام جذعا مكسورا لتمثال ملكي٠ وبدت على كتف التمثال وصدره الخطوط الشبيهة بالاسافين التي تتميز بها اول كتابة في التاريخ، وهي "الكتابة المسمارية" او "الخط المسماري"٠ وكان احد اعضاء الفريق ملما بقراءة اللغة الاكادية- وهي من اقدم لغات ما بين النهرين- فتولى ترجمة السطور الستة والعشرين التي تبين انها صلاة مكرسة لاحدى الالهات المحليات٠ غير ان المترجم وقع في السطر السابع على كلمتي: "في ايبلا"٠

ايبلا! لدى سماع هذا الاسم، حبس اعضاء الفريق انفاسهم٠ أمن المحتمل ان تكون هذه مدينة ايبلا التي يكتنفها الغموض والتي ورد ذكرها في النقوش المكتشفة في مصر وما بين النهرين؟ لقد ظن كثير من العلماء ان موقعها قد يكون في الاناضول (تركيا الحديثة)٠ وبعد دراسة مفصلة دقيقة للنقوش المدونة على الجذع قرر ماتييه واعضاء فريقه انهم قد عثروا بالفعل على مدينة ايبلا القديمة، واعلنوا ذلك للدوائر العلمية في العالم، فجاءهم رد الفعل مزيجا من الاهتمام والشك٠ لكن الايطاليين استمروا في عزم وثبات يبحثون عن مزيد من الادلة٠

وفي عام ١٩٧٣، بدأوا يعثرون على اطلال تقع عند مستوى اعمق ومن ثم اكثر قدما٠ وقد تبين من شظايا الآنية الفخارية التي تم استخراجها وفرزها وغسلها وتصنيفها بمنتهى الدقة والعناية، ان المدينة الاقدم يرجع عهدها الى ما لا يقل عن ٢٤٠٠ق٠م٠

اللغوي الحائر ــ وعثر الحفارون، عند هذا المستوى الجديد، على اطلال قصر له ثلاث طبقات وردهة فسيحة للمقابلات وسلم صاعدة وعدة غرف مبلطة٠ وكان القصر مليئا بالحطام الذي تنتشر فيه شظايا اثرية من آنية

فخارية محروقة. وقارن الاثريون هذه الشظايا بأدوات خزفية اخرى معروفة التاريخ ومستخرجة من الاطلال في الشرق الادنى، فقرروا ان القصر بقي قائما حتى عام ٢٢٥٠ق٠م. تقريبا.

وبدأت الامور تتضح. فهناك عدد من نقوش ما بين النهرين يشير الى ان دولة اكاد القوية التي قامت في ما بين النهرين، قد غزت ايبلا ودمرتها بالنار قرابة عام ٢٢٥٠ق٠م٠، وهو تاريخ مناظر للتاريخ المقدر لشظايا الآنية المحروقة التي عثر عليها في اطلال القصر القديم.

وعام ١٩٧٤، في اثناء تنظيف احدى حجرات القصر، عثر الايطاليون على دليل جديد يثبت ان المدينة هي ايبلا، وذلك عندما رفعت مجرفة احد العمال شيئين مستديرين، يحمل كل منهما نقشا بالغ الصغر، فنفضت عنهما اغشية الغبار وتبين الاثريون انهما صحيفتان من الفخار مليئتان بالكتابة المسمارية.

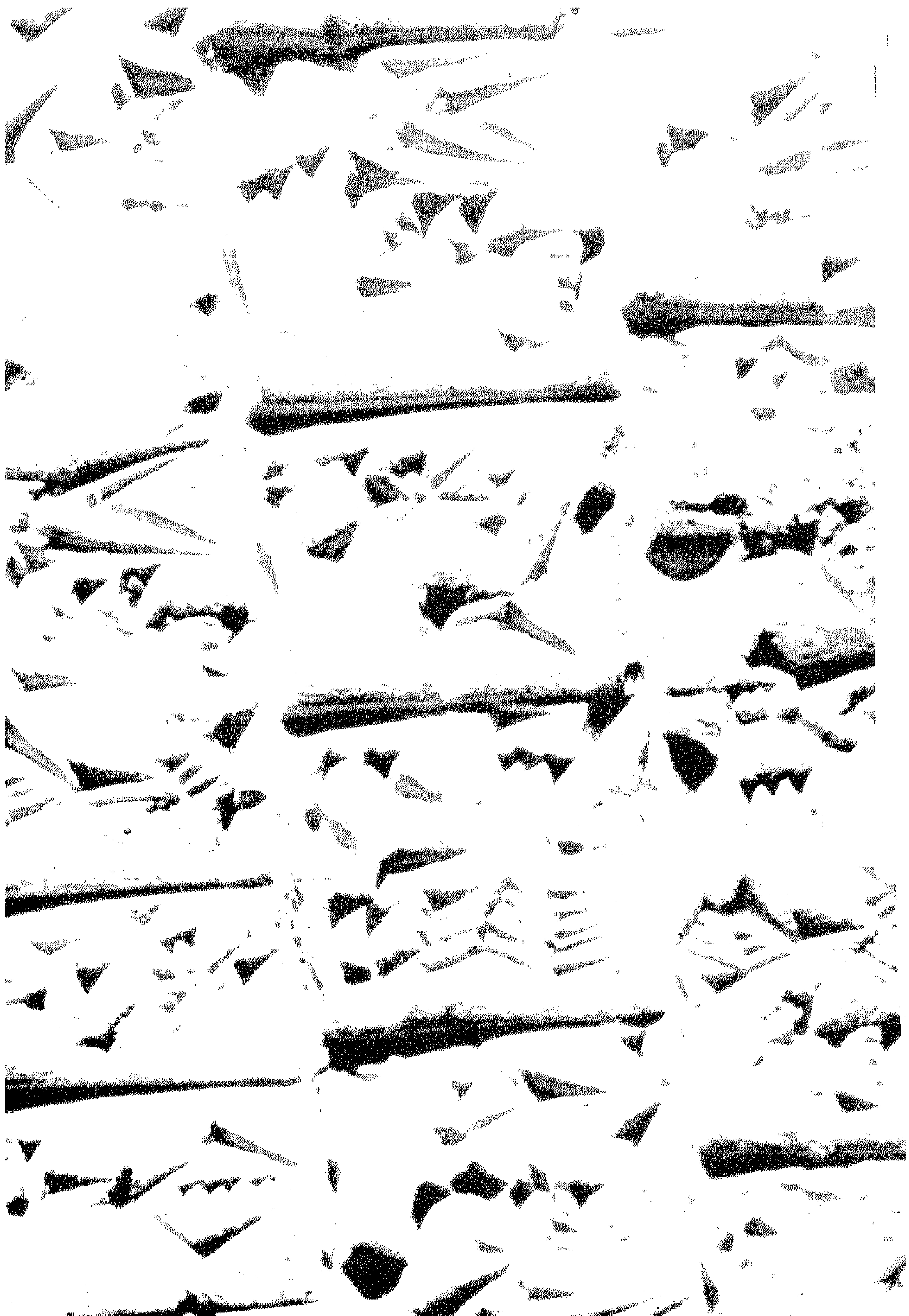
وقد بلغ مجموع الصحائف المدونة التي عثر عليها ٤٢، لم يتمكن من قراءتها احد من افراد البعثة. فما كان من ماتييه الا ان ارسل برقية يستدعي بها خبير النقوش الايطالي جيوفاني بيتيناتو الذي اسرع في الحضور الى سورية. غير ان بيتيناتو لم يلبث ان تملكه الارتباك، وقال: "انني لا استطيع ان افهم كلمة واحدة". لقد كانت الرموز مكتوبة فعلا بالمسمارية العادية، لكن الكلمات لم تكن باللغة الاكادية أو السومرية، وهما اقدم لغات ما بين النهرين، وانما كانت بلغة جديدة تماما.

وعام ١٩٧٥ عثر فريق ماتييه على غرفة مجاورة لمدخل القصر، فوجد فيها ما يقرب من الف صحيفة منقوشة مبعثرة على الارض. وكان موسم الحفر على وشك الانتهاء عندما عثر العمال في غرفة اخرى على كنز العمر: قرابة ١٤٠٠٠ صحيفة منقوشة مكومة على الارض حيث سقطت من على الرفوف المحترقة، ومعظمها سليم تماما.

وكان الكنز الجديد يشتمل على أكثر من ١٠٠ "معجم" فخاري، توضح المقابلات السومرية لنحو ٣٠٠٠ كلمة من لغة ايبلا، الامر الذي كان له اثره البعيد في فك رموز اللغة الجديدة. وسرعان ما تأكد ان الايطاليين قد عثروا هنا على اقدم محفوظات دولة في العالم، اذ ان ما وجدوه كان يمثل السجلات الرسمية لمملكة ايبلا طوال فترة تزيد على قرن.

امبراطورية تتكشف — يتبين من الصحائف البضع عشرة التي تمت دراستها حتى الآن، ان سلطان ايبلا كان يمتد بعيدا وراء حدودها. فقد كانت اموال الجزية ترد عليها من دول المدن النائية القائمة في وادي الفرات. ويقول بيتيناتو "ان ايبلا كانت اعظم قوة في الشرق الادنى القديم خلال جزء من الالف الثالث قبل الميلاد".

وكانت المدينة تستعرفها التجارة. فالكثير من الصحائف الفخارية هي "فواتير شحن" تضم قوائم السلع المرسلة في قوافل على ظهور الحمير. وكان للعاملين في النسيج والمعادن في ايبلا شهرة واسعة. كما كان حرفيوها يصدرون الإثاث الخشبي الانيق المطعم بالذهب في كثير من الاحيان. ولعل عملاء ايبلا كانوا يدفعون لها في مقابل هذه السلع الثمينة سبائك من الفضة او سلعا اخرى، مثل الشعير الذي كان يعتبر



▲ تفصيل من احدى الصحائف

▼ جزء من خاتم اسطواني

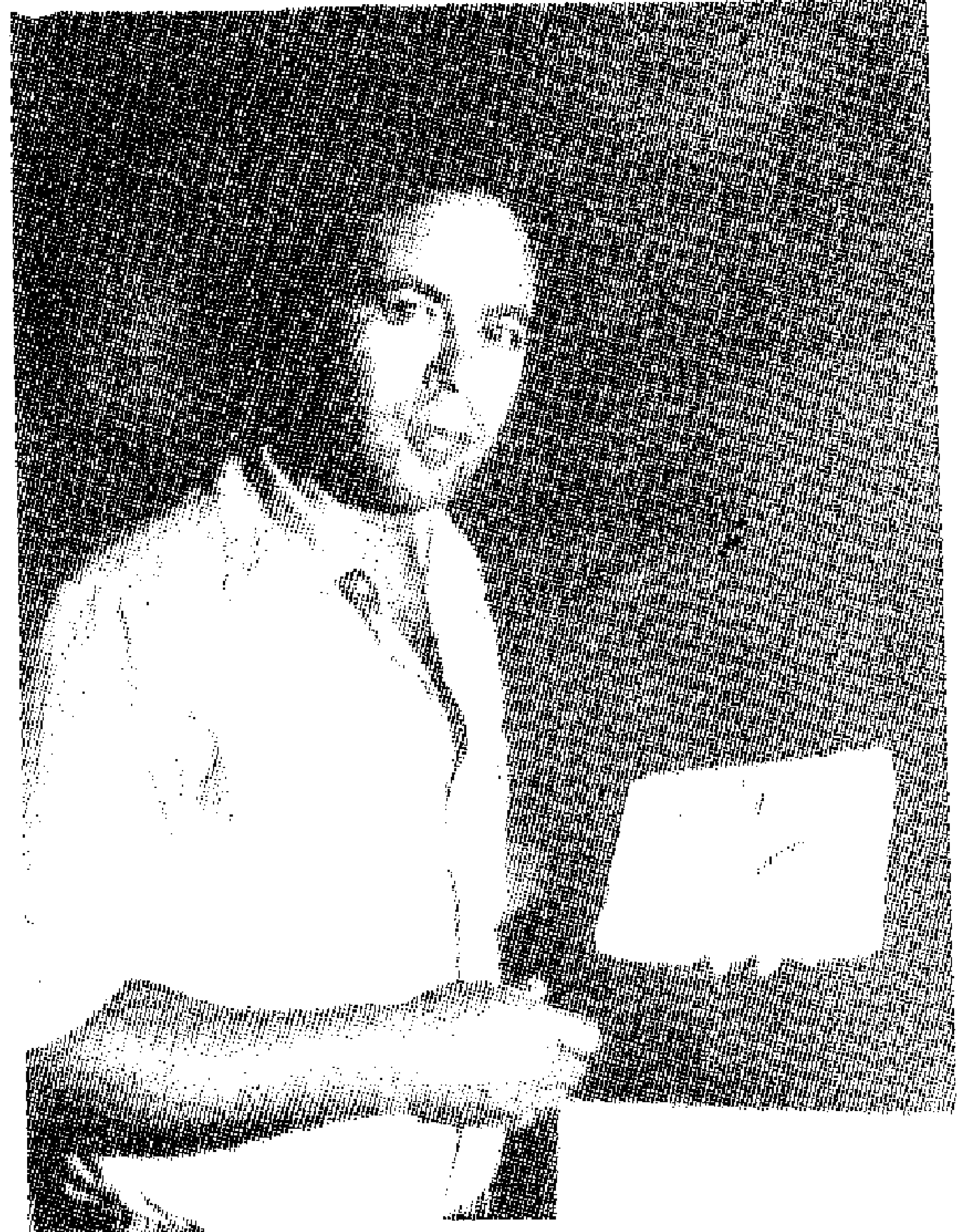
◀ واحدة من صحائف ابلا

غذاء رئيسيا في المدينة، وربما كان هو الاساس في صنع الجعة التي تشير الصحائف الى انها كانت احد المشروبات الشائعة في ايبلا.

وكان سكان ايبلا يعبدون ما يقرب من ٥٠٠ اله وآلهة، من بينها الآلهة عشتار والاله داجان المعروفان في الشرق الادنى القديم. وكان للمعابد في ايبلا كشأنها في بلاد ما بين النهرين، دور اجتماعي واقتصادي كبير. فقد كان العاملون في هذه المعابد يقتاتون ويلبسون من انتاج اراضيها وقطعانها. وكان في وسع اي مواطن ان يلجأ الى المعبد في اوقات الازمات.

اما البلاط الملكي فكان المقصد الاكبر للايدي العاملة، تتدفق اليه غلات الضياع الملكية والجزيات الواردة من المدن الخاضعة. وكان هناك ١٧٠٠٠ عامل وموظف - اي ربع

قطعة من ايبلا في يد موظف في متحف حلب.





تمثال من حجر وذهب.

سكان المدينة- يتقاضون اجورهم من الخزانة العامة ويعمل عدد منهم على الانوال في صناعة النسيج التي كانت تسيطر عليها الدولة.

ويحمل عدد كبير من الصحائف الفخارية التي اكتشفت في المحفوظات دروسا او امتحانات لمدرسة الكتبة. فالملوك كانوا يصدرون المراسيم والتجار يتفاوضون على الاسعار، وكان على الكتبة - وهم عماد المجتمع في ايبلا- ان يحولوا هذه القرارات جميعا الى لغة مفهومة من سائر الناس. فكان الطلبة يستعدون لهذه المهمة بالدأب شهرا بعد شهر على نسخ السطور التي يكتبها استاذهم بلغة ايبلا او باللغة السومرية. وهناك صحائف كثيرة تحمل علامات خطها قلم الاستاذ امام اخطاء تلاميذه.

نظائر من الكتاب المقدس - ومن اكثر الغاز ايبلا اثارة تلك المشابهات بين بعض فقرات من العهد القديم في الكتاب المقدس، كتبت بعد انقراض ايبلا بأكثر من الف عام. ومن امثلة ذلك اشارة وردت الى "مدينتي الخطيئة"، سدوم (مدينة

النبي لوط) وعمورة. ولم يحدث ان وجد الباحثون من قبل اي اشارة الى هاتين المدينتين خارج نصوص العهد القديم. اما الآن فقد عثر على اسميهما في قائمة وردت في احدى صحائف ايبلا.

وهناك نظير آخر لنصوص العهد القديم يثير العجب. يشير الى انه في عهد الملك ايبروم، انشط ملوك ايبلا، طرأ تغير على ديانة المدينة. فبعدما كانت اسماء الرجال تحمل مقطعا لصيقا في آخرها يمجد الآله "يل": مثل ميخائيل واسرائيل، تغير المقطع فاصبح يمثل تمجيدا لاله آخر، هو "يا". مثل ميخايا واسرايا. وقد يبدو هذا امرا بلا مغزى، لولا ان من الحقائق الثابتة ان العبرانيين ايضا كانوا يستخدمون كلا المقطعين، "ئيل" و"يا" (يهوه) كاسمين لله.

لكن ايا من هذه التفسيرات لا يعتبر حجة كافية تجعلنا نعتقد ان ايبلا هي اصل الشعب العبراني. غير ان سايروس غوردون، استاذ الدراسات العبرانية في جامعة نيويورك، يقول ان هذه الامور توضح اننا نواجه هنا الخلفية الثقافية عينها التي ظهر منها العبرانيون.

الا ان الدكتور عفيف بهنسي، المدير العام للآثار والمتاحف في سورية حث الباحثين الغربيين على النظر الى حضارة سورية في ضوء الحقائق المكتشفة وليس بوحي من التوراة.

وأعلن ان السلطات السورية شكلت لجنة (★) خبراء دوليين في اللغات القديمة وكلفتها ترجمة صحائف ايبلا ونشرها وذلك وضعا للامور في اطارها العلمي الصحيح.

في آخر امسية قضيتها عند تل مرديخ، كانت قبة السماء الزرقاء تتلألأ بالنجوم فوقفت احدق في الرابية الضخمة القابعة امامي متسائلا عما يطويه ماضيها من اسرار. وبدت لي ايبلا كأنما عاودتها الحياة وتخيلت برهة انني ارى حشود الناس تتدفق من ابواب المدينة الواسعة، واسمع اختلاط اصواتهم وقرقعة حوافر الحمير المثقلة بالاحمال وهي تتهادى من سفح التل. وعلى مقربة من القمة، حيث يزهو البلاط الملكي، يقف الملك ايبروم مقطبا جبينه في قاعة الاستقبال الواسعة ويعلن انتهاء اعمال اليوم... منذ ٤٣٠٠ سنة.

■ ا. هـ.

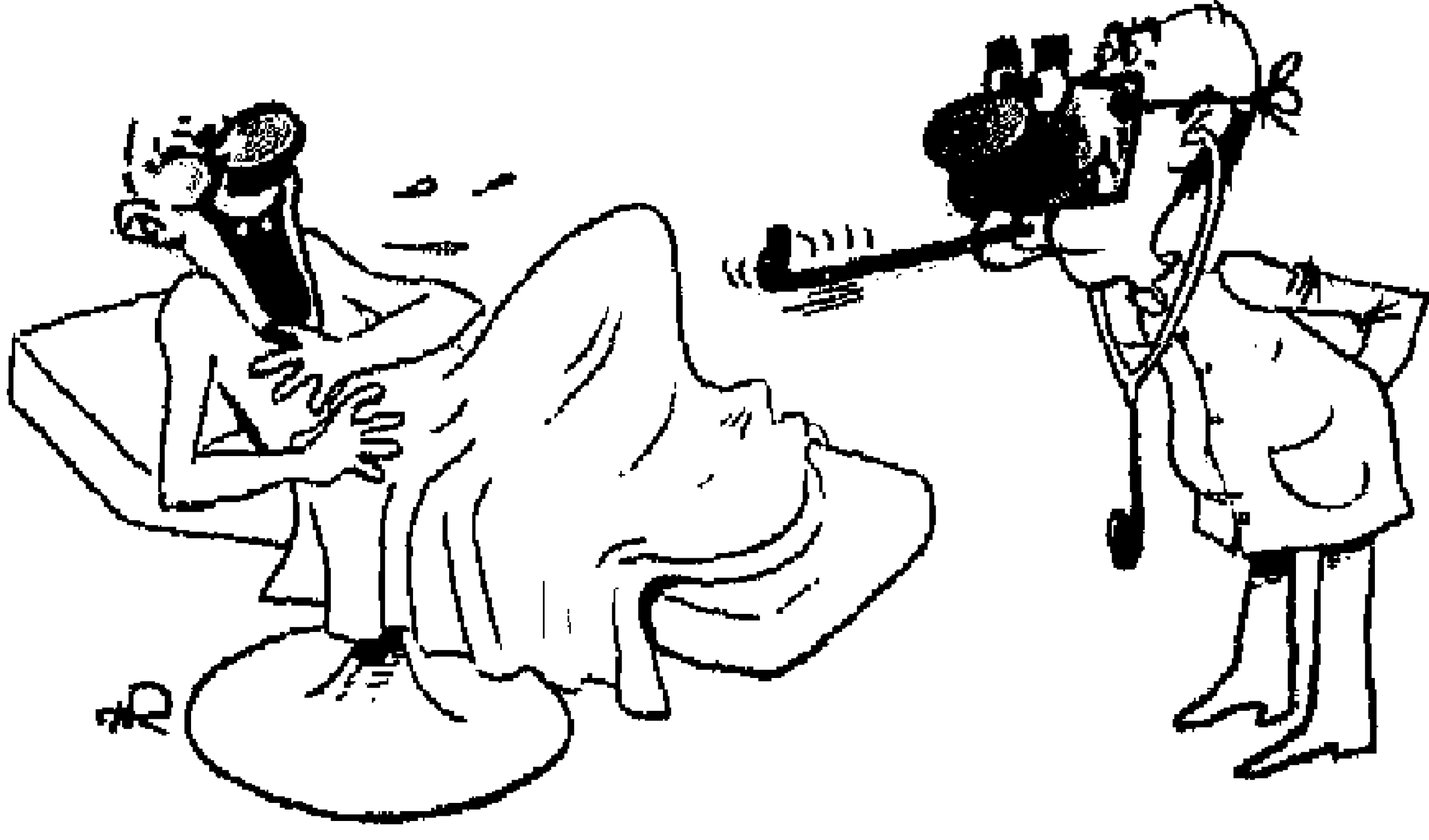
(★) تضم اللجنة السادة: جيورجيو بوشيلاتي (الولايات المتحدة) وأ. سلوبرغر (بريطانيا) وديانز ادزار (المانيا الغربية) وهورست كلنغل (المانيا الشرقية) وجيوفاني بيتيناتو وبيليو فرانزرولي (ايطاليا) وبول غاريلي (فرنسا) وجان روبرت كوبر (بلجيكا) وفوزي رشيد (العراق).



ان عمل السلطة يحتاج الى اربعة رجال. كريم يسكب الزيت، وبخيل يضيف الخل، وحكيم ينثر الملح، ومجنون يضع الفلفل.

فرنسوا كوبيه

الضحك خير دواء



اعنف من الطقس

اعتاد مزارع ان يتذمر في كل موسم من الطقس والغلال، فكان يشكو على السواء من كثرة الامطار والجفاف والعشب الضار والسوس وجمود السوق وقلة المبيع وما شاكل ذلك من دون ان يعجبه شيء.
ثم جاءت سنة ازدهرت فيها مواسم المحاصيل، فارتفعت الاسعار وازدادت الادخارات المصرفية. ولما قال له جاره: "انه موسم ممتاز، فلا بد لك من التسليم بذلك". اجاب: "بل انه متوسط، ولكنه بالغ العنف، شديد القسوة على التربة".

رسالة لطيفة الى زبون متأخر

طلب رئيس شركة الى سكرتيرته ان تكتب رسالة الى بعض الزبائن المتأخرين في تسديد حساباتهم، فقال لها: "ذكريهم بان هذا الحساب قد مضت ثلاثة اشهر على موعد استحقاقه". فذهبت السكرتيرة الى مكتبها ثم عادت بعد بضع دقائق بالرسالة. فقال لها: "اخشى ان تكون هذه الرسالة شديدة اللهجة قليلا، فانا لا ابغي اهانتهم، فاكتفي بلفتهم الى الفاتورة". وبعد قليل، قرأ الرسالة الثانية، فقال لها: "انها لا تزال شديدة اللهجة بعض الشيء. فانا كل ما اريد ان اقوله لهم بكل كياسة هو انهم اهملوا تسديد الفاتورة". فكتبت السكرتيرة رسالة ثالثة، وعندما قرأها رئيس الشركة صرخ قائلا: "هذا ما كنت اريده بالضبط. الان من فضلك اعيدي طباعة هذا النص وصححي غلطتي املاء: "استعملي "خ" بدلا من "ح" في كلمة الحسيس، وارفعي النقطة عن "الخاء" في كلمة "مختال".

السيارة في رومانيا

مجلة "اورزيكا" الساخرة التي تصدر في بوخارست (رومانيا) اجرت دراسة لاسباب ازدياد اقبال الرومانيين على اقتناء السيارات. فاجرت استفتاء، لهذا الغرض، تناول ١٧،٨٧٥ شخصا، "مساعدة منها لاصحاب مصانع السيارات على وضع خطط الانتاج بناء على معلومات تحليلية اجتماعية ونفسانية متينة".
وقد اتضح من هذا الاستفتاء ان ٣٥٪ يريدون السيارة للقيام برحلات خلال فرص نهاية الاسبوع والاعياد، وان ٣٦٪ يهدفون الى خلق عُقد لدى اصدقائهم وزملائهم في العمل ممن ليس لديهم سيارة، وان ١٤٪ يرمون الى كسب امتيازات حاسمة في علاقاتهم مع الجنس الآخر.

جسمها فريد في نوعه

ارسل والدا زوجتي بعض النقود اليها، لمناسبة ذكرى مولدها، فقررت ان تنفقه على شراء الملابس، وامضت ليلة كاملة تقلب كتالوغات الازياء التي استقدمتها بواسطة البريد. ولكنها قنطت من العثور على زي يلائمها، فطرحت الكتالوغات جانبا وقالت: "لا فائدة من هذا التعب، فان جسمي فريد في نوعه".

ج.ن

ربح المدخنون جولة على شركات التبغ، فهي اضطرت الى الاستجابة لطلب المدخنين . سجائر ادنى ضررا واقل تسببا في الادمان... لكن الخطر ما زال قائما .

التدخين: السّيجارة تقصّر العُمْر

عالم مدخني السجائر يتحول الى رماد. ففي جميع البلدان المتقدمة لم يعد المدخنون اكثر من اقلية ضئيلة. ولا يكاد يمر يوم من دون ان تصدر الاغلبية غير المدخنة قوانين جديدة تؤكد حقها في هواء نظيف في الاماكن العامة. واوشك التدخين ان يكون امرا لا يسمح بمعاطاته الا للكبار الراغبين، وفي اماكن خاصة.

كان التدخين في السابق معتبرا مجرد عادة سيئة، فأصبح الان موضع ادانة عامة من خبراء الطب.

تقول منظمة الصحة العالمية: "يساعد الحد من التدخين على تحسين الصحة واطالة الحياة في الدول النامية، اكثر مما يستطيعه ميدان الطب الوقائي بأكمله".

وتصف مصلحة الصحة العامة الامريكية، التدخين بأنه: "السبب الرئيسي للامراض التي يمكن الوقاية منها، وللموت كذلك".

وتردد الكلية الملكية البريطانية للاطباء هذا الصدى، فتقول: "ان التدخين سبب خطير من اسباب الموت، وهو بمثابة الامراض الوبأية الكبرى في الماضي".

وتعمل جميع الشركات الكبرى لصنع السجائر الامريكية تحت اسماء

اتحادية لا ترد فيها كلمة "التبغ". وراحت جميعها تزيد من استثماراتها في مشروعات لا صلة لها بالتدخين: كأغذية الكلاب وناقلات المعلبات والمذيبات الصناعية ورقائق الالومنيوم والجعة وعشرات غيرها.

وقال لي احد كبار المسؤولين الصناعيين: "اننا نستعد لالغاء التبغ تدريجا. لن يتم هذا في العام المقبل، ولكن ربما خلال ٣٠ عاما".

من الملحوظ ان نسبة المدخنين من الراشدين في الولايات المتحدة آخذة في الانخفاض السريع. ففي عام ١٩٦٥ كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٢٪، وكانت نسبة المدخنات من النساء ٣٢٪. وانخفض مجموع المدخنين من ٤٢ الى ٣٤٪ من الكبار. ولو استمرت اتجاهات اوائل الخمسينات حتى الان، لكان في الولايات المتحدة اليوم ٧٥ مليون مدخن، بينما لا يتجاوز عددهم ٥٤ مليونا في الوقت الحاضر.

وأكثر دلالة على الهبوط بالنسبة الى مسوقي السجائر الامريكية، تلاحظ بين الرجال المراوحة اعمارهم بين ٢١ و٢٤ سنة، على اعتبار ان هذه الاعمار تضم مجموعة مهمة من المدخنين وتعتبر مؤشرا رئيسيا تستند اليه صناعة التبغ في تركيز مشروعات مبيعاتها. فقد انخفضت نسبة المدخنين من هذه المجموعة من ٦٧ الى ٤١٪ في غضون ١١ سنة.

النيكوتين والقطران - وهناك دلائل اخرى تعتبر، هي ايضا، نذيرا لصناعة التبغ: ففي الولايات المتحدة يود ٩٥٪ من المدخنين التخلص من هذه العادة. وقد حاول الكثيرون ذلك بالفعل لكنهم اخفقوا حتى الان. غير ان هذا الوضع آخذ في التغير. فقد تبين من البحث الذي اجراه مركز تبادل المعلومات القومي الخاص بالتدخين والصحة، عام ١٩٦٤، ان ٤٥٪ فقط من اولئك الذين حاولوا الاقلاع عن التدخين استطاعوا التخلي عن هذه العادة لفترة استمرت شهرا واحدا. وفي ١٩٧٠، ارتفعت هذه النسبة الى ٦٥٪. وفي عام ١٩٧٥، استطاع ٨٠ الى ٨٥٪ من المدخنين الامتناع لمدة ٣٠ يوما على الاقل.

ولا يعني الارتفاع المثير في امكان الاقلاع عن التدخين ان المدخنين اصبحوا الان اشد عزيمة مما كانوا. بل هذا يعني ان التخلي عن السجائر التي يدخنونها اصبح أكثر سهولة.

ومن المعلوم ان النيكوتين في دخان السجائر، هو الذي يؤدي الى الادمان. فنسبة النيكوتين في السجائر الامريكية عموما قد انخفضت خلال العشرين السنة الاخيرة، بأكثر من ٥٠٪. كما انخفضت بنسبة الثلثين مادة القطران التي تعطي السيجارة مذاقها ونكهتها، ولكنها تحتوي على المواد المسببة للسرطان. وبما ان المدخنين قد فطموا. من دون ان يدركوا ذلك في كثير من الحالات، من نسب النيكوتين المرتفعة التي كانت تؤدي بهم الى الادمان، فقد مكن هذا الفطام اعدادا متزايدة منهم من الاقلاع عن عادة التدخين.

سجائر أقل خطرا - وقد اجريت دراسة اخيرا على اكثر من مليون رجل وامرأة خلال ١٢ عاما، فكشفت ان معدل الوفيات بين مدخني الاصناف التي تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين اقل منه بين مدخني الاصناف التي ترتفع فيها هذه

النسبة. ومن ثم، فمن المتوقع ان يؤدي خفض القطران والنيكوتين عموما، الى فوائد صحية واسعة النطاق. ويبدو ان هذا هو ما يحصل الان. ففي السنوات الاخيرة مثلا، قد انخفض معدل الوفيات بسرطان الرئة بين الرجال من ٣٠ عاما الى ٣٩ عاما، في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. ويرجع هذا من ناحية الى تدني عدد المدخنين من تلك الفئة، ومن ناحية اخرى الى تدخين سجائر اقل ضررا.

وثمة قوى جبارة تعمل جاهدة للمزيد من خفض القطران والنيكوتين من جهة وتقليص عدد المدخنين من جهة اخرى، فضلا عن التقليل من الاخطار التي يتعرض لها المدخنون.

مجازفات أقل - بدأ المد يتحول ضد السجائر في عام ١٩٥٤ عندما نشرت جمعية السرطان الامريكية اول تقرير لها عن دراسة كان لها اثرها الفعال اجرتها على ١٨٨٠٠٠ رجل. ويتضح منها ان معدل الوفيات في اوساط المدخنين يبلغ ضعف معدل الوفيات لدى غير المدخنين، ومعظمها بسبب سرطان الرئة وامراض القلب والدورة الدموية. وعلى اثر ذلك انخفضت مبيعات السجائر فجأة بعدما كانت في ارتفاع مستمر طوال ٣٠ عاما.

ثم تحولت شركات السجائر على نطاق واسع الى الاصناف ذات المرشح (الفيلتر). لكن المنتجين لم يحددوا كمية القطران والنيكوتين التي يحجزها المرشح. وقد وقعت مجلة "ريدرز دايجست" عام ١٩٦٧ عقدا مع مختبر مستقل مسؤول لتحليل كميات القطران والنيكوتين التي تفلت من الترشيح. واثبتت تلك التقارير الرائدة أن المدخن يحصل في بعض الحالات على سيجارة خادعة، اكثر طولا، من الحجم الكبير (كينغ سايز) في طرفها مرشح وتحتوي على مقدار اقل من التبغ، ولكنها تحتوي على مقدار من القطران والنيكوتين يفوق الكمية الموجودة في السيجارة العادية الخالية من المرشح.

وفي ١٩٦٧، اثبت فريق من الخبراء للجنة التجارة في مجلس الشيوخ الامريكي ان المرشحات ما زالت تمرر كميات كبيرة من القطران وقطرات كثيرة من النيكوتين. ففرضت الحكومة حينذاك تحليل جميع الاصناف واصبحت ارقام القطران والنيكوتين تنشر الآن بأنتظام.

وفي العام ذاته، شكل معهد السرطان القومي الامريكي "فريق عمل التبغ"، سعيا الى الحد من خطر السجائر. وقد ضم هذا الفريق اختصاصيين من وزارة الزراعة خبراء وعلميين من شركات السجائر، وساعد على استنباط انواع جديدة من التبغ تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين انخفاضا كبيرا.

وابتكر الفريق ايضا سجائر تقل فيها "الغازات" السامة غير المرئية، وخصوصا اوكسيد الكربون الاحادي واوكسيد النيتروجين، وسيانيد الهيدروجين التي تتسبب في النوبات القلبية والنزلات الشعبية المزمنة وضيق التنفس التي تصيب المدخنين.

وتلك الاصناف الجديدة التي استولت على نصيب كبير من الاسواق، تختلف عن جميع الانواع التي كانت متوافرة حتى الان، بحيث ان كمية القطران في السيجارة الواحدة تراوح بين ١ و٩ ميلليغرامات

كمية النيكوتين بين ميلليغرام واحد واقل (منذ عشرين عاما كان متوسط القطران ٤٣ ميلليغراما والنيكوتين ٣ ميلليغرامات)٠ وقد تدنت كذلك كمية الغازات في هذه الاصناف الى حد كبير، ولكنها احتفظت ببعض المذاق٠

عامل المخاطرة - ان المدخن الذي يتحول الى الاصناف التي تقل فيها درجة السموم، يحد فقط من تدخينه ولكنه لا يقضي على الخطر الناتج عن التدخين (★)٠ فتحول المدخن لا يلغي الخطر المترتب على آلاف السجائر الغنية بالقطران التي دخنها من قبل٠ والطريقة الوحيدة لتحقيق هذه النتيجة هي الامتناع عن التدخين لمدة عشر سنين على الاقل٠ حينئذ يقترب وضع المدخن السابق من وضع الرجل الذي لم يدخن ابدا، بشرط الا تكون انسجة الجسم قد اصيبت بأضرار لا يرجى اصلاحها٠

ان للتحول الى السجائر الفقيرة القطران فائدة ذكرت سابقا وهي ان التحول يجعل من السهل على المدخن الاقلاع٠ ولكن يجب ان يتم هذا بحرص٠ فلكل مدخن كمية النيكوتين الثابتة المعتادة وطعم الدخان الخاص٠ والتحول الى كمية بالغة الانخفاض، وبسرعة زائدة، قد يؤدي الى نتيجة عكسية٠ فالمدخنون الذين يتحولون سريعا الى السجائر المنخفضة السموم يميلون الى ابتلاع الدخان اكثر عمقا ومرات أكثر، مما يؤدي الى زيادة ضخمة في السموم التي يستنشقونها او يحملهم على تدخين المزيد من السجائر، والنتيجة واحدة في الحالين٠

والطريق الى التحول يقضي بأن "تخدع نفسك برفق"، كما يقول جيو باتا غوري، مدير برنامج التدخين والصحة في المعهد القومي الامريكي للسرطان٠ اختر صنفا تقل فيه كمية القطران والنيكوتين بنسبة ١٠٪ عن الصنف الذي تستعمله حاليا٠ وقد اثبتت التجارب ان المدخنين لا يلحظون نقصا بهذا المقدار٠ ويستمر تدخين الصنف الجديد حتى يعتاده المدخن، وحينئذ يستطيع التحول الى صنف يقل ١٠٪ اخرى٠

وينصح غوري بالوصول الى ادنى الارقام - من فئة ميليغرام او اثنين - خلال عام اذا اقتضى الامر٠ والتخلي عن السجائر التي تنخفض فيها نسبة القطران والنيكوتين والغازات الى هذا الحد، يكاد يكون غير مؤلم٠

واما دانييل هورن من مركز تبادل المعلومات والوثائق القومي الاميركي للتدخين والصحة، فأنه يحاول ان يثير الذعر في مستمعيه، عندما يقول: "لقد كسبت الحرب ضد التدخين وكل ما تبقى هو التطهير الشامل"٠ ولكنه يقر بأن هذا التطهير قد يستغرق عشرات السنين٠ ومع هذا، فليس هناك كبير شك في ان الحرب ضد التدخين قد كسبت، وفي عدالة شاعرية تامة، قد يكون صانعو السجائر هم الذين يستحقون انفسهم بالاستجابة لطلب المدخنين سجائر اقل تسببا في الادمان٠

■ ولتر س٠ روس

(★) كتبت الكلية الملكية البريطانية في آخر تقرير لها بعنوان "التدخين ام الصحة" ما يأتي: "ربما ادى الاعلان عن تدني ضرر السجائر الى صعوبة اقناع المدخنين بالتوقف، ولكن ينبغي الاقدام على هذه المخاطرة، وذلك لانه لو انخفض ضرر السجائر الذي نستطيع منعه يوازي المقدار نفسه الذي نمنعه لو اننا قمنا بعمل ضخم مثل محاولة اقناع كل مدخن بالاقلاع عن التدخين٠

"اننا نكره الروس لما الحقوه بنا من اذى، لكننا نحترمهم لانهم نفذوا، بالضبط، الخطوات التي اعلنوا عزمهم على تنفيذها، في حين لم يحافظ الرئيس كارتر على مواقفه".

مسؤول حكومي صومالي

هل يمكن وقف الزحف السوفييتي في افريقيا؟

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، وقفت الدفعة الاخيرة من المستشارين السوفييت، البالغ عددهم قرابة ٣٠٠٠ رجل، في مطار مقديشو تحت الحر والغبار، وهي عاجزة فيما كان الموظفون الصوماليون يمعنون في تفتيش حقاب اعضائها. لقد هيمن الروس عقدا من الزمن على حياة ذلك البلد، لكنهم اخذوا يتخبطون في شكل فاضح في محاولتهم توسيع نفوذهم في "القرن الافريقي". وسارع الرئيس الامريكي، الجديد حينذاك، جيمي كارتر الى تحدي نفوذهم. اما اليوم فقد اغلقت القواعد السوفييتية في هذا البلد الاستراتيجي الموقع وطُرد المستشارون السوفييت وارتفعت الشعارات المنادية بطرد "الامبريالية السوفييتية" من "القرن الافريقي".

لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد. فلم تمض اربعة اشهر حتى حدث انعطاف مذهل حين اخذ حلفاء موسكو الكوبيون يسحقون الجيش الصومالي.

وبدلا من ان يعاني السوفييت هزيمة مذلة في "القرن الافريقي"، برزوا باعتبارهم القوى الاكثر نفوذا في المنطقة اذ باتوا - حسب تعبير احد محللي المخابرات المعروفين - على "ابواب اكبر نصر لهم منذ سقوط اوروبا الشرقية".

وتساءل الغرب مبهوتا: كيف انتزع السوفييت النصر بهذه السهولة بعد الهريمة الديبلوماسية التي لحقت بهم قبل فترة قصيرة؟ وما هي يا ترى الضربة التالية؟

صفقة مزدوجة - يكمن جوهر الاستراتيجية السوفييتية الحديثة في افريقيا في انتشار مخابىء واسعة

لخزن الاسلحة القديمة في ارجاء الاتحاد السوفييتي. ففي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، عوض السوفييت تخلف تكنولوجيتهم العسكرية بانتاج كميات هائلة من الاسلحة الثقيلة. وحين ابدلت الاسلحة القديمة باخرى حديثة، كانت الأولى تخزن لاستعمالها في المستقبل.

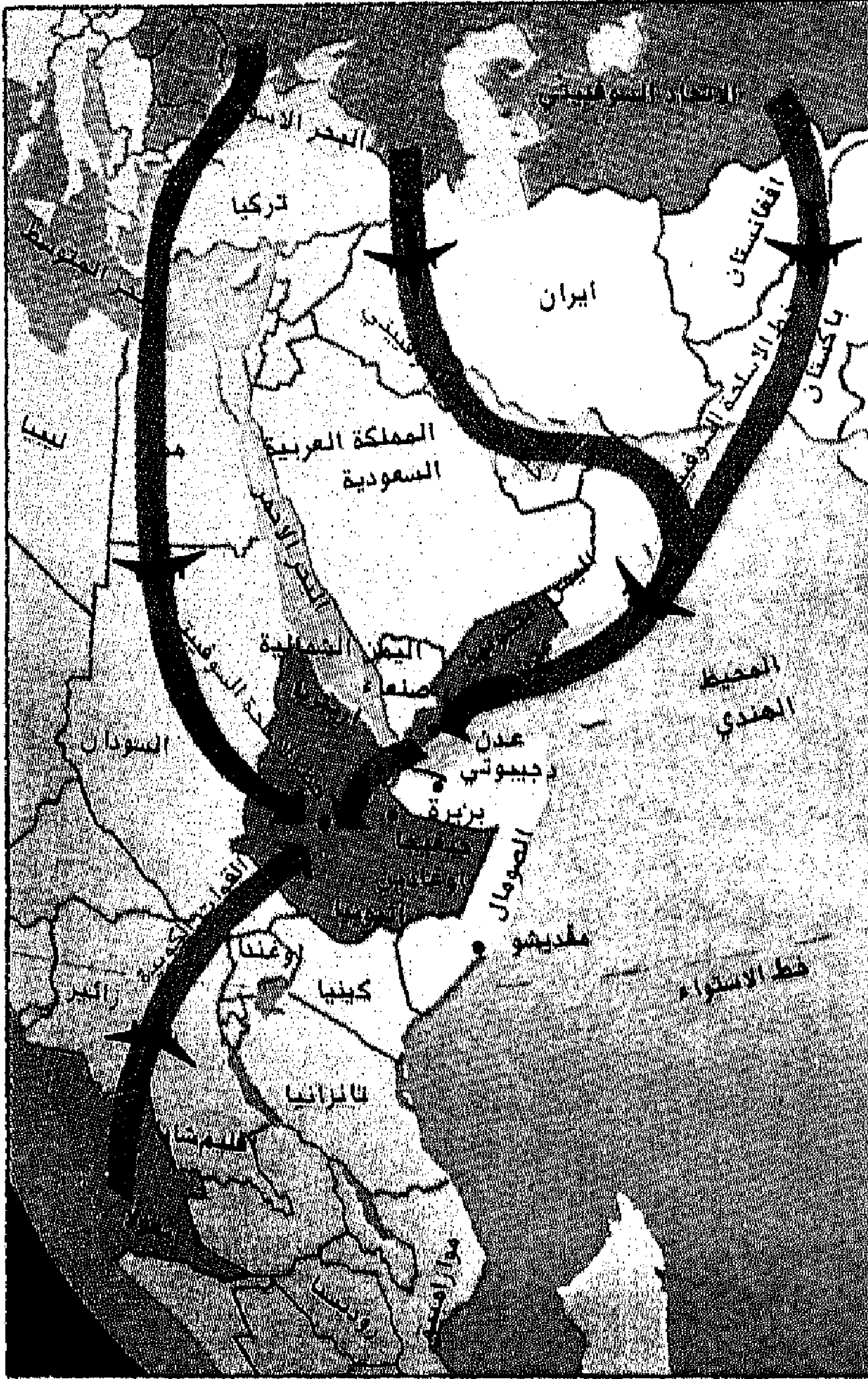
وفي مجرى الصراع بين الشرق والغرب لكسب مناطق النفوذ في بلدان العالم الثالث الناشئة، لم يكن الاتحاد السوفييتي في وضع يمكنه من منافسة الولايات المتحدة في ميدان المساعدات الاقتصادية، ولكن كانت لديه مستودعات الاسلحة التي اختزنت آلاف الدبابات والعربات المدرعة والطائرات التي حظيت بتقدير عال من جانب كثرة من قادة بلدان العالم الثالث، بمن فيهم الرئيس الصومالي سياد بري.

ان الصومال الذي اصبح دولة عام ١٩٦٠، نتيجة اندماج المستعمرات البريطانية والايطالية السابقة، امة بدوية معظم ابنائها من رجال القبائل الصحراويين وتفتقر الى الموارد الطبيعية. وعلى رغم انها كانت من بين اكثر البلدان عوزا الى المساعدات الاقتصادية، الا ان الصوماليين كانوا في الوقت ذاته ذوي نزعة وطنية متصلبة، يستحوذ على مشاعرهم حلم توحيد الاراضي التي تسكنها اغلبية صومالية في البلدان المجاورة كأثيوبيا وكينيا ودجيبوتي. وكان لا بد لهم من اقتناء الاسلحة اللازمة لتحقيق هذا الحلم. وحين رفض الغرب تزويدهم بالسلاح خشية من عواقب ذلك على جيرانهم في الدرجة الأولى، سارع الكرمليين الى انتهاز تلك الفرصة ليتخذ موطئا لاقدامه في "القرن الافريقي".

وطوال السنوات اللاحقة تدفق المستشارون العسكريون والاسلحة السوفييتية الى الصومال، مما حول الجيش الصغير الى قوة ضاربة يبلغ عدد افرادها ٢٥٠٠٠ مدججين بالسلاح. ولم يكن الصومال المستفيد الأوحد من هذه الصفقة. فقد كانت الموانيء الصومالية المطلة على خليج عدن والمحيط الهندي مواقع مثالية لاقامة مرافق بحرية في خدمة الاسطول البحري السوفييتي المتوسع.

وعلى رغم ذلك، لم تخل العلاقة من بعض التوتر. ذلك ان الرئيس سياد بري لم يقدم سوى خدمات محض كلامية للفلسفة الماركسية - اللينينية، بينما وقف النفوذ الاسلامي العميق عائقا في سبيل المحاولات في فرض عقيدة شيوعية صارمة. اضافة الى امتعاض الصوماليين من استغلال السوفييت للتنمية الاقتصادية في بلدهم الفتي. فحين اقام السوفييت مصنعا لتعليب اللحوم، مثلا، كان من المفروض عليه ان يزود الاتحاد السوفييتي بمعظم انتاجه وباسعار مخفوضة.

ولئن لم يحظ الروس بشعبية كبيرة، الا ان اسلحتهم كان لها رواج كبير، بعد ان اخذ الصوماليون يهيئون انفسهم لتحقيق حلمهم بتحرير "الصومال الكبير"، وبخاصة اوغادين الشاسعة - ذلك النجد شبه القاحل الذي ضمه المستعمرون الاوروبيون الى الامبراطورية الاثيوبية في القرن التاسع عشر. وكان يسعد السوفييت، بالطبع، ان يدعموا حليفهم الرئيسي في القرن الافريقي في تنفيذ مخططه الطموح.



لا لبيع الاسلحة -

وكان من شأن اطاحة نظام هيلاسيلاسي الموالي للغرب في اثيوبيا عام ١٩٧٤، انها اتاحت الفرصة لتوسيع نطاق الطموحات السوفييتية. فقد استولى فريق عسكري ماركسي على السلطة، ودشن عهدا من الارهاب ادى في الواقع الى ابادة جيل كامل تقريبا من القادة الاثيوبيين، وذهب ضحيته آلاف الرجال والنساء والاطفال الابرياء. وكانت غالبية هذا الفريق الذي فرض النظام الماركسي في اثيوبيا من اشباه المتعلمين ممن لم يلموا تماما بالنظرية الشيوعية. لكن الحكومة التي اقاموها تميزت بكونها متطهرة تماما من النفوذ "الرجعي". يضاف الى ذلك ان تلك الامة التي تعد ثلاثين مليون نسمة وتعتبر رقعتها واحدة من اوسع البلدان الافريقية قد تكون نقطة انطلاق استراتيجية لتنفيذ الطموحات السوفييتية في مناطق اخرى، اذ ان لاثيوبيا مرفأين على البحر الاحمر، كما انها تسيطر على المنبع الرئيسي لمياه النيل، عصب حياة مصر.

لكن الرياح لم تجر تماما كما تشتهي السفن. فقد واجه الحكام الجدد معارضة وحركات انفصالية اصبحت مصدر قلق لهم. كما كانوا يخشون الصوماليين المدججين بالسلاح

السوفييتي والمصممين على استرجاع اوغادين التي تعادل مساحتها خمس مساحة اثيوبيا·

ولكـي يحـافظ السوفيـيـت علـى حظوتهـم لـدى الخصميـن كليهمـا، عمدوا في ربيع عام ١٩٧٧ الى عرض خطة على الصومال تقترح توحيدها مع اثيوبيا واليمـن الجنوبيـة المجـاورة ذات نظام الحكم الماركسي· وقد اوضح الرئيس سياد بري في ما بعد للقادة الغربيين ان الكرملين صور هذا الاتحاد بمثابة حجر الزاوية لخطة رئيسية تمكنه من فرض السيطرة على بلدان افريقيا الجنوبية وشبه الجزيرة العربية الغنية بالنفط· ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل تجاوزه للجوء الى رئيس الوزراء الكوبي فيديل كاسترو الـذي طـار الـى مقاديشـو لاقنـاع الصومـاليـيـن بـحـتميـة المـخطـط السوفييتـي· غيـر ان الصوماليـيـن الوطنييـن لـم يستجيبـوا للصفـقـة المعروضـة عليـهـم· وللـتـو اخـذ المستشـارون السوفييـت والكوبيـون يفـدون الـى اثيوبيـا، تصاحبـهـم الاسلحة التي تدفقت من مستودعات موسكو لدعم نظام اديس ابابا الذي كان يتهيأ للحرب·

وفي هذه الاثناء، اصدر الرئيس كارتر اوامـره الـى وزيـر خارجيتـه سايروس فانس والى كبير مستشاريه لشؤون الامـن القـومـي زبغنـيـو بريجنسكي "باتخاذ جميع الخطوات الممكنة لاجتذاب الصومال الى معسكر اصدقائنا"· ثم اكد رأيه هذا علنا حين قال انه خطط للقيام بـ"تحد هجومي" لنفوذ الاتحاد السوفييتي فـي الصومـال نظـرا الـى الاهميـة الاستراتيجية التي يتسم بها·

وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٧، ابلغ مبعوث امريكي القادة الصوماليين شروط الولايات المتحدة لتزويدهم بالسلاح الامريكي، وهي الا تستعمل تلك الاسلحة الا لاغراض دفاعية والا توجه، لاي سبب كان، ضد كينيا ودجيبوتي· لكن المبعوث الامريكي اوضح ان الولايات المتحدة لن تعارض تقديم دعم غير مباشر الى فدائيي جبهة التحرير الصومالية العاملين في اوغادين·

اذ ذاك شعر الصوماليون بان الوقت قد نضج للاستيلاء على تلك المقاطعة التي عاش شعبهم عليها وقاتل من اجلها لمدة تزيد على خمسة قرون، خصوصا ان مساعدات الكتلة الشيوعية لاثيوبيا كانت لا تزال في مرحلتها البدائيـة، فجـاءت وعـود الولايـات المتحدة تطمئن الصوماليين الى دعم قضيتهم في تلك المنطقة· وهكذا بدأت القوات الصومالية التحرك في منتصف يوليـو (تمـوز)، مستخدمـة السلاح الذي زودها به السوفييت من قبل·

وما ان ادركـت واشنطـن قـيـام الصومـال بشـن هجـوم شامـل ضـد اثيوبيا، حتى اتخذت قرارا مفاجئـا بان سياد بري تجاوز الحدود المسموح بها· وحين وصلت القوات الصومالية الى الاراضي الاثيوبية الغت وزارة الخارجية الامريكية علنا صفقة السلاح التي وعدت بها·

ضربة الحظ السخية - بدا الامر لفترة كما لو ان السوفييت قد انزووا في الظل بعدما اكتسح الصوماليون اوغادين وسحقوا القوات الاثيوبية وعزلوا خطوط سككها الحديد عن ميناء دجيبوتي، وبعدما طرد سياد بـري المستشـاريـن العسكـريـيـن السوفييت واغلق منشآتهم·

لكن الكرملين كان لا يزال لديه بعد ورقة رابحة، هي مستودعات اسلحته الهائلة. فابدى رغبته في لعب تلك الورقة. وكان السفير السوفييتي في مقديشو قد قطع على نفسه عهدا باركاع الصوماليين.

ولم يكن ذلك تهديدا اجوف. ففي ساعة متقدمة من ليل السبت ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) رصدت اقمار التجسس الاصطناعية الامريكية ومحطات الرادار المنتشرة من مصر الى باكستان حركة مفاجئة، واسعة وكثيفة، للطيران السوفييتي في اتجاه "القرن الافريقي"، واخترقت طائرات "انطونوف٢٢" و"اليوشن٧٦" العملاقة على نحو مكشوف المجال الجوي لعدد من البلدان غير الشيوعية، من دون ان تبدر عن الغرب سوى بضع عبارات احتجاج خافتة.

وفي الوقت ذاته كانت الاسلحة تشحن بحرا الى اثيوبيا من مستودعات في اليمن الجنوبية. وبلغ مجمل ما تسلمته اثيوبيا ٢٥٥ طائرة مقاتلة من طراز "ميغ ٢١" و٤٠٠ دبابة حديثة و٣٠ طائرة عمودية من طراز "مي٨" وآلاف القطع من الاسلحة المتنوعة الاخرى، تبلغ قيمته مليار دولار على الاقل.

الى هذا توافدت قوات كوبية من انغولا يقدر عددها بـ ١٥٠٠٠ مقاتل، وهي التي تصدرت في ما بعد حملة اوغادين تحت قيادة عينتها هيئة الاركان الروسية برئاسة الجنرال فاسيلي بتروف النائب الاول لقائد القوات البرية في الاتحاد السوفييتي.

ولجأ الصوماليون الى الغرب طلبا للسلاح. فقد التهمت حملة اوغادين الطويلة اسلحتهم ونفدت ذخيرتهم من العتاد السوفييتي، فسارع شاه ايران طالبا الحصول على ترخيص عاجل من البيت الأبيض، اذ كان محظورا عليه ان يحول الاسلحة الامريكية الصنع الى بلد ثالث من دون موافقة الولايات المتحدة. وضج بعض القادة العرب من السودان الى العربية السعودية طالبين مجرد اشارة من واشنطن لكي يزودوا الصومال بدعم عسكري فعال. لكن البيت الأبيض لم يكتف بالرفض فحسب، بل رفع الحظر عن دفعة من الشاحنات وسيارات الجيب الى النظام الاثيوبي في ما بدا حركة يائسة لاستعادة نفوذه في اديس ابابا.

وحذر بريجنسكي، مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي، من ان محادثات الحد من التسلح ستصاب بالشلل ان لم يوقف الكرملين "تدخله الفظ" في الصراع بين هذين البلدين الافريقيين. لكن الحسابات السوفييتية قدرت ان قادة الولايات المتحدة سيبذلون قصارى جهدهم لتفادي المواجهة في تلك المنطقة. ولذا امر الجنرال بتروف ببدء الهجوم في فبراير (شباط).

وسرعان ما ازاحت نيران المدفعية وطائرات "الميغ" التي ادارها الكوبيون والقت اطنانا من القنابل، القوات الصومالية لتتخذ لها مواقع دفاعية في التلال وشعاب الجبال المجاورة لبلدة جيغجيغا. وهناك حوصر الصوماليون ومزق جيشهم بعد ثلاثة ايام من القتال الدامي مع قوات تتجاوزهم من حيث العدد والعدة باضعاف. وبلغت خسائرهم آلاف الجنود.

النمر الورقي ضد الدب — لم تكن المسألة بالنسبة الى الغرب ان تتولى

ادارة كارتر دعم حملة الصومال لاحتلال اوغادين عسكريا او عدم دعم هذه الحملة. ذلك ان قلة من الناس فقط كانت تحبذ مثل هذه الخطوة. ولكن ما يثير القلق هو ان سياسة الولايات المتحدة الخارجية، التي غالبا ما اتسمت بعدم التماسك وبالسذاجة احيانا مكنت السلاح السوفييتي من اشعال نار حرب واطفائها من دون مبرر ايجابي. وهذا ما جعل الولايات المتحدة توصف الآن في مقديشو بانها "نمر من ورق".

لقد اخذت الآن آثار عرض القوة السوفييتية الاخير تتجاوز حدود الصومال. ففي عملية اخرى لتعزيز السلاح تم شحن قرابة ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز "ميغ (٢)" مع ملاحيها الكوبيين اضافة الى ١٥٠ دبابة الى موزامبيق، الدولة الماركسية المحاذية لروديسيا. وفي افغانستان المجاورة لايران ذات حقول النفط الحيوية، اسقط القادة العسكريون ذوو الميول اليسارية الحكومة الافغانية غير المنحازة في ابريل (نيسان) الماضي، مستعينين بالسلاح السوفييتي. وفي جنوب شبه الجزيرة العربية يفرض السوفييت سيطرتهم الفعلية على ميناء عدن ويتولى الكوبيون تدريب اليمنيين على استعمال الاسلحة السوفييتية التي تردهم بكميات هائلة.

في مقابل ذلك، ما الذي تفعله واشنطن؟

يرى احد سفراء الولايات المتحدة في افريقيا انه ليست لادارة كارتر سياسة واضحة، بل ان البيت الأبيض الذي حذر الكرملين من ان استمرار السياسة العدوانية في "القرن" سيشل محادثات الحد من التسلح، سارع الى ارسال وزير الخارجية فانس الى موسكو للتفاوض حول التسلح قبل انقضاء ستة اسابيع على النصر السوفييتي الساحق في اوغادين.

لقد دعا بريجنسكي مرارا الى الرد على الخطر السوفييتي بمزيد من الحزم والتركيز. وبدهي ان تترجم الولايات المتحدة اقوالها الى افعال هذه المرة وان تبلغ السوفييت انه لا يمكنهم التمتع بثمار الانفراج فيما هم يحاولون غزو العالم الثالث، وان المضي في النزعة المغامرة لن ينجم عنه الا تعليق فوري لمحادثات الحد من التسلح واقفال باب التعاون الاقتصادي الذي يعود على السوفييت بنفع كبير.

واذا تبين ان مثل هذه الخطوات لن تحقق كبح جماح السوفييت فان الحل يكمن، حسب رأي المخططين الاستراتيجيين، في انضمام الولايات المتحدة الى القوى الغربية الاخرى توفيرا لقوة مضادة لتدخل الكتلة السوفييتية. ففي مايو (ايار) الماضي استولى الثوار الذين تلقوا تدريبهم على ايدي الكوبيين، على مركز اقليم شابا الغني بالنحاس في زائير، وقتلوا مئات الافريقيين والاوروبيين، غير انهم اجبروا على الانسحاب السريع حين بادرت فرنسا الى تقديم مساعدة عسكرية استجابة لطلب زائير. ولا يقترح احد ارسال قوات امريكية الى افريقيا، بل يمكن الاتعاظ بما قاله احد القادة البارزين من الذين يناهضون القوى الماركسية في اثيوبيا: "لدينا الرجال... اعطونا وسائل القتال فقط".

■ كينيث توملنسون

لماذا يفقد بعض الازواج اهتمامهم بالجنس؟

الى اي مدى يؤثر نوع العمل الذي يتعاطاه الزوج او الزوجة على حياتهما الجنسية ؟
ثمة خطر يتهدد الحياة الجنسية لبعض الازواج، وهنا نماذج عنه ومحاولة لتداركه.

"أحب اليانور، ولكنني لم اعد ابالي بالجنس كما كنت من قبل". هذا ما ذكره جيمس دونلي متحدثا عن ستة أعوام من الزواج. "واني لم اخصص بكل بساطة وقتا كافيا للتفكير في هذا الامر"، الى ان حصل ذلك في احدى الليالي منذ أشهر. تناولت عائلة دونلي وجبة العشاء وانصرف كل فرد الى سبيله. وصعد جيمس، الموظف في احدى شركات التامين، السلم وهو يتحدث من دون انقطاع عن زبون عنيد. وبينما كان يزرر بيجامته قال: "ان هذا الرجل لا يبرح مخيلتي. والافضل هو ان اشاهد التلفزيون حتى يغلب علي النعاس".

واستلقت اليانور تحدق في السقف وتتساءل: ما الخبر؟ ولماذا كان جيمس يتجنبها على الدوام وقت النوم؟ وأخيرا نزلت الى الطابق الاسفل واطفأت جهاز التلفزيون وانتصبت امام الشاشة، وصاحت بعفوية: "ما بالك؟ هل انت هائم بأمرأة اخرى؟ هل انت عاجز جنسيا؟".

فذعر جيمس لهذا التساؤل، لانه لم تكن هناك اية امرأة اخرى، وانما لم يكن هناك ايضا مهرب من مواجهة الحقيقة، وهي انه لم يعد يبالي كثيرا بالجنس.

وان مشكلة عدم المبالاة بممارسة الجماع هي أكثر شيوعا لدى الشباب المتزوجين الاصحاء مما نتصور عموما. ولئن تعذرت الاحصاءات الموثوقة في هذا الصدد، الا ان مستشاري الزواج يسمعون الكثير عن هذا الامر على نحو متزايد.

ان قلة اهتمام الرجل بالجنس تدلل على عدم تكييف جنسي خطير بينه وبين زوجته. ويعني ذلك، في بعض الاحيان، انهما على درجة من الاختلاف حول المواضيع الاخرى، اصبح الجنس معها امرا تافها. فقد تحطمت بذلك علاقتهما بأكملها. ولكن ما عسانا ان نقول عن اولئك الرجال الذين يبتعدون عن الجنس،

بينما هم في زواج سعيد من نواح أخرى؟

يعزو فان بيليسنغ، مدرس الرياضيات في احدى المدارس الثانوية، تضاؤل اهتمامه بالجنس، الى نمط المعيشة الذي اختاره خلال دراسته العليا. ويقول: "لقد اردت نيل درجة الجدارة من دون اي شيء آخر، وكان ذلك يعني المذاكرة حتى الثالثة صباحا، ومن ثم الزحف الى السرير، بجانب زوجة تغط في النوم".

وأخيرا، فطن فان وزوجته نانسي الى نمط الحياة الذي اتبعاه وكان ذلك في احدى عطل نهاية الاسبوع في منتجع للاجازة مع صديقين حديثي الزواج. فتسللا الى غرفتهما بعد وجبة الغداء واختفيا قبل ان تطلب الزوجة القهوة. وتتذكر نانسي قائلة: "لقد اكتفينا بالجلوس جنبا الى جنب، يحدق احدنا في الاخر". ويقول فان: "لقد علمت منذ زمن بعيد ان شيئا ما لم يعد على ما يرام، ولكنني كنت اعلم ايضا كم كانت تخوننا الكلمات التي نتبادلها حول هذا الموضوع. لو كنت "زوربا اليوناني" لاختطفتها من مكانها وحملتها الى غرفتنا في الفندق بعد ظهر ذلك اليوم البغيض. الا انني لست ذلك الرجل".

ويتضح من اخفاق فان كيف ان الرجال تصعقهم توقعات المجتمع.

ويقول الدكتور هوارد هوفمان، المدير الطبي لمعهد علم النفس في واشنطن العاصمة: "كثير من الرجال يشعرون بأن الذكورة تعني اكتمال الرجولة والجموح والرغبة في ممارسة الجنس والقدرة على هذه الممارسة، بغض النظر عن بقية ما يجري في حياتهم. فهذا عبء لا حاجة لهم في تحمله على عواتقهم".

الشعور بالذنب – بدأت مشكلة فان بالضغوط الدراسية الثقيلة الوطأة، مصحوبة بشعوره بالذنب الذي يرتكبه بأهماله زوجته نانسي. وعندما حصل اخيرا على درجة الجدارة، استكمله الذعر فظن انه غير مكتمل الرجولة الى حد مقبول. وربما كان من الافضل عدم المحاولة غالبا، وذلك من باب الاحتياط.

قد يتجنب الرجل ان يتعاطى الجنس في بعض الاحيان، بسبب الاضطرابات النفسية التي تعتريه من دون ان يقر بها. فشارون كارتر، مثلا، تعي تماما سوء الاثر الذي يحدثه نشاطها المهني في زوجها رالف. وهي تعترف بذلك فتقول: "لقد كان من شأن مهنتي انها حطمت حياتنا الجنسية، بيد ان رالف يفضل الموت قبل الاعتراف بذلك". وتشغل شارون وظيفة مرموقة في مصرف ضخم، وتتمتع بمقدار كبير من الاستقلال، اسوة بكثير من النساء العاملات، وبالتالي، فأنها تتمتع بنصيب اضافي من السيطرة في كفة ميزان القوى الزوجية الدقيق. وتقول شارون: "لقد تعلمت كيف اتعاطى الامور في المصرف، فلماذا لا يسعني ان اطلب ما اريده من زوجي في غرفة نومي؟"

وقد استثارت سطوة شارون المخاوف التي كان يعانيها رالف منذ بعض الزمن، وهو يخشى جزئيا ان تنزلق زوجته في اتصالها ببقية الرجال.

وعلى الرغم من ان شارون لم تكن تبالي باللقاءات الجنسية، فأن سهولة حدوث هذه اللقاءات كانت كافية لاثارة قلق رالف وزجه بين نارين. فالنار الاخرى هي تخوفه من عدم

اشباع الجموح الجنسي الجديد الذي يتصوره لدى زوجته.

وفي هذا الصدد، تقول عالمة الاجتماع، جيسي برنارد: "انها رواية معكوسة لقصة قديمة. فقد كان الجنس في السابق واجب المرأة، وها هو قد اصبح الآن واجب الرجل ايضا، ولكنه غالبا ما يكون غير معد لذلك".

وكثيرا ما يتجنب الرجال ايضا ممارسة الجنس لانهم غير مستعدين للهبوط المحتوم لمشاعرهم الشهوانية بعد الزواج. وفي استطاعة باري جنكنز ان يستعيد اليوم ذكر تجربته الشخصية بشيء من المرح، وان تكن قد شغلت باله مدة طويلة. فقد اقدم كل من باري وزوجته جانيت على الزواج وهما يظنان ان الاثارة الجنسية تستمر" ما دام هما استمرا في حب احدهما الاخر". لكن الاثارة تلاشت مع الوقت واصبح باري كسائر الرجال الذين يهتمون بوجبة العشاء اكثر من اهتمامهم بملابس زوجاتهم، وراح يساوره القلق، ويسائل نفسه: هل اختلت تواتراته الجنسية الاساسية؟ هل ذوى الحب في قلبه؟ وفي النهاية، راجع باري وجانيت طبيبا متخصصا في الاختلال الجنسي.

التفكير المزدوج – وبعد بضع جلسات علاجية، اصبح في مقدور باري ان يسلم بمواقف عدة لم يكن يعترف بها من قبل، فقال: "في بعض الاحيان لم اكن اشعر بميل الى ممارسة الجماع لانني كنت تعبا للغاية، او لوقوع مشاجرة حامية بيني وبين زوجتي جانيت، لكنني كنت امضي في التفكير بأنه يتحتم علي ان ارغب في الجماع مهما كان الامر".

كثير من الرجال ينبذون تلك الصورة عن انفسهم التي يتحتم عليهم فيها دوام الاداء الجنسي. الا ان عددا كبيرا من المتزوجين اخذوا يتجنبون اي اتصال وانصرفوا تماما عن اي شيء يعني لهم الاخفاق في السرير. ولا شك في ان مثل هذا التصرف يصبح هو المشكلة الكبرى على الاطلاق.

ويقول الدكتور هوفمان: "يدخل الزوجان في ما اسميه طور التفكير المزدوج: يعود الرجل الى منزله ويقول: لدي اوراق يجب انجازها هذه الليلة، بينما تفكر الزوجة: "ان ما تعنيه في الحقيقة هو انك تريد تجنب المضاجعة"".

وبعد فترة يفقد هذا الامر اهميته، سواء اكان ادعاء الزوج شرعيا ام مجرد عذر. وينقطع الاتصال بكليته ويتوقف الاخذ والرد.

عندما جابهت اليانور دونلي زوجها جيمس اخيرا، بدأ الاثنان يتراشقان الكلام. فمم كان يشكو جيمس في الحقيقة؟ انه لم يكن مريضا. ولم تكن له علاقة غرامية بامرأة اخرى. ولم يكن يعاني العجز الجنسي، لكن الجهود التي بذلها لشق طريقه في الحياة قد استنفدت قواه. وحيث ان ذلك قد تم ببطء، فلم يشعر هو بأن طموحاته كانت تدفعه بعيدا عن اليانور.

وكانت الخطوة الاولى لكليهما ان اعترفا بوجود مشكلة. وكانت المشكلة جنسية، وكانت امرا يعني حله كلا منهما. بدأ الاثنان بطرح اسئلة جديدة كل منهما على الاخر: ما هو شعور كل منهما، بصراحة، نحو الجنس؟ هل يجوز ان يكون الواقع الجنسي بالنسبة الى اليانور اقوى منه بالنسبة الى جيمس؟ وهل يمكن اصلاح ذلك؟

وقد توصل الدكتور هوفمان في معالجة المتزوجين الى الاعتقاد بضرورة امور عدة لكسر حلقات الفخ الجنسي:

ـ قرر درجة اهمية الجنس لديك .

يقول الدكتور هوفمان: "ان ممارسة الجماع مرة واحدة في الشهر كافية بالنسبة الى بعض المتزوجين. وقد يصل ذلك الى خمس مرات في الاسبوع بالنسبة الى الاخرين. والنقطة الاساسية هي ان كل ما يناسب الزوجين يعتبر طبيعيا. اذا كان رجل وامرأته مخلصين احدهما للاخر بالنسبة الى حاجاتهما، ففي وسعهما ان يتوصلا الى تسوية".

ـ لا تفترض ان كل اتصال جنسي يجب ان يؤدي في النهاية الى الجماع .

يقول الدكتور هوفمان: "ان هذا الافتراض شائع بين الرجال. اما الجنس فأنه ينطوي على كثير من الامور، ولا يفترض ان وجود هياج جنسي عنيف طيلة الوقت. فالنساء يعلمن اذا كان هناك شعور بالاهتمام، وعندها تسير الامور على ما يرام".

ـ خطط للجنس .

يقول الدكتور هوفمان: "الناس يقاومون التخطيط الجنسي، الا ان العفوية ليست كل شيء. فالزوجان يحتاجان الى تخصيص وقت للجنس كلما ازدحمت مشاغل الحياة".

ومن جانب آخر، يجب عدم التقيد بتوقيت تقليدي. "غالبا ما تكون المرأة اكثر اهتماما بالجنس ليلا، عندما يكون الاطفال نياما وتكون هي قد فرغت من عملها المنزلي. بيد ان الرجل اقل ما يكون اهتماما بالامر آنذاك".

ويضيف الدكتور هوفمان: "يجب على الزوجين الاهتداء الى اوقات يكون فيها كلاهما مهتمين بذلك".

ـ حاولا الانفراد سوية بكل بساطة .

يقترح الدكتور هوفمان على الزوجين ان "يتناولا العشاء في ساعة متقدمة عندما يكونا على انفراد، وان يحاولا تناول الطعام في ضوء الشموع، او ان يتناولا بطانية ويجلسا في الخارج تحت النجوم ويتجاذبا الحديث. المهم هو تخصيص بعض الوقت لانفسهما".

ويضيف: "واذا لم تكن اي من هذه الوسائل كافية، فأذهبا لمراجعة اختصاصي معروف".

وقد اتضح لجيمس واليانور انهما لا يحتاجان الى الدواء والمعالجة، بل انهما يحتاجان الى تخصيص بعض الوقت لانفسهما فحسب.

وقد بدأ باري جنكنز يمارس الرفض عندما لا يشعر بميل الى الجماع (على غرار ما فعلت النساء منذ قرون). واما شارون كارتر، فأنها لا ترى مزيدا من التقدم في تحسين حياتها الجنسية مع رالف. فهو لا يزال يستصعب مناقشة هذا الموضوع بأرتياح.

الا ان فان ونانسي يحاولان نبذ روتينهما البالي. ففي احدى عطل نهاية الاسبوع خلال الربيع اخذا اجازة ثانية، هذه المرة وحدهما. واستراحا، وتجاذبا اطراف الحديث، واكتشفا من جديد ما كانا يتحسسان به منذ البدء: الحب، والعاطفة، وارادة ابداء اهتمام احدهما بالاخر. ويقول فان: "لن اصبح ابدا زوربا اليوناني. ولكنني اعلم الان ان لا حاجة بي الى ذلك".

■ **باتريشيا اوبراين**

مأساة عائلة في حرب لبنان

على مدى عامين تقريبا (١٩٧٥ - ١٩٧٦) اجتاحت حرب مأسوية مدينة بيروت وتركت فيها وفي سكانها ندوب جروح لن تمحي آثارها بسهولة، غير ان غريزة البقاء لدى البشر سجلت لها في صميم المأساة انتصارات برزت في صور تبعث على الاعجاب وتثير القلق في آن٠

وفي هذا المقال قصة ترويها امرأة عن ادارة بيت ورعاية طفل رضيع في مدينة حولها العنف الى جحيم لا يطاق٠

لقد اصبحت بيروت مستقري منذ العام ١٩٦٩، ذهبت اليها ككاتبة صحافية جوالة ثم اسرتني طريقة الحياة التي تجمع فيها مختلف المظاهر المتباينة من شتى انحاء الارض في مظهر عالمي فريد٠ وفي ١٩٧١ قابلت جهاد بشر الذي يعمل في وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للامم المتحدة (الأونروا) مسؤولا عن الخدمات في احد المخيمات٠

وفي العام التالي تزوجنا، وولد ابننا طارق في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٥، وبعد انقضاء ثلاثة اشهر، اندلعت الحرب الاهلية، وقضيت العامين التاليين اعيش حياة تختلط فيها الاهوال بالمضحكات، وامثل مهازل الحياة اليومية البيتية في المدينة بعدما بلغ القتال شوارع بيروت٠ لكن جهاد زوجي فلسطيني، وقد اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية موقفا متشددا ازاء اي فلسطيني يحاول هجر المدينة٠

انقضت اشهر عدة من دون ان نتحسس باي تغيير في مدينتنا، ومر وقت طويل من دون ان ندرك الى اي مدى غيرتنا الحرب٠

في البداية، كنا لا نزال نجد الماء والوقود والكهرباء وكان همي الاكبر ان لا يغلق المغسل الآلي الوحيد في بيروت ابوابه٠ وهذا ما حدث بالفعل عندما سقطت القذائف المدفعية، ذات صباح، في شارع قريب٠ وكانت كمية

ولدت ديانا ويلمان في سيدني - اوستراليا وعملت مراسلة للاذاعة الاوسترالية في لبنان في اثناء الحرب اللبنانية٠ ولقد كان لرسائلها عن هذه الحرب صدى بعيد اصبحت معه هذه الصحافية من اشهر الاصوات التي تحملها امواج راديو اوستراليا٠

كبيرة من ملابسنا داخل المغسل في ذلك الحين، الا انه لم يكن هناك ما يمكن عمله. فدفعت عربة الطفل عائدة الى البيت، ووضعته في فراشه ليغفو غفوته المعتادة في الصباح.

وفي تلك اللحظة سقطت قذيفة مدفعية قرب باب مطبخنا، وتطايرت الحجار والشظايا لتصطدم بالجدران. فانتزعت طارق من فراشه وانبطحت به فوق ممر ضيق. وفيما كانت القنابل والصواريخ تصفر فوق رأسينا، زحفت الى غرفة الجلوس ونقلت التلفون والراديو الى ركننا الآمن نسبيا. وأخذ طارق يعبث بمفاتيح جهاز الراديو، ورحت اتبادل الحديث بالتلفون مع الاصدقاء في مختلف انحاء المدينة. وكان مجرد التحدث الى احد، وتبادل الانطباعات والقيل والقال مصدر عزاء وسلوى لنا جميعا.

وبعد يومين فتح المغسل الآلي ابوابه من جديد. وفي تلك الاثناء كان كثيرون من سكان حينا قد لاقوا حتفهم في ميتة عنيفة. لكن اكبر بواعث قلقي كانت تلك الكومة من الغسيل القذر ذي الرائحة المزعجة التي ترقد تحت طبقة من رغوة الصابون الرمادية المستهلكة. وانقضى اسبوع كامل قبل ان تزول الرائحة الكريهة من ملابسنا.

وراحت الحرب تحكم قبضتها على المدينة، فاخذت الاوضاع الشاذة تبدو طبيعية اكثر فاكثر. وحين كنت اذهب الى المصرف لاسحب بعض النقود للمشتريات (كانت قلة من الناس في بيروت تحتفظ بالمال الفائض نقدا، الا اذا كان في استطاعتها استئجار حرس



ديانا بشر مع طفلها طارق امام منزلهما في بيروت

خصوصيين)، لم يعد يلفتني وجود الحرس من الفدائيين الفلسطينيين الذين يقفون بالباب وهم يحملون البنادق الرشاشة على اكتافهم ويفتشون كل الزبائن من الذكور.

وعندما كان الحراس يوقفونني احيانا كي يلاعبوا طارق، كان رد الفعل لدي لا يختلف عما كان يحدث لو ان حارس الباب في احد مصارف مدينة سيدني في اوستراليا تصرف بالطريقة نفسها. وفي المصرف كنت اضع الكرسي ذا العجلات الذي يجلس فيه طارق بعيدا عن الحائط الزجاجي المواجه للشارع، احتياطا لما قد يحدث اذا سقطت قذيفة مدفعية. وبعد فترة اصبحت افعل ذلك تلقائيا.

وذات يوم، بينما كنت في طريقي الى المصرف، رأيت صبيا يلعب بمسدس على ناصية شارع ولم يلبث ان اطلق النار على صدره بلا وعي، وترنح الى منتصف الطريق وهو ينزف، ثم سقط ميتا. عندئذ توقفت مع بعض المارة الاخرين برهة قصيرة حتى استوثقنا من أن الامر لا ينذر

بمعركة نارية بين فئات مختلفة، ثم اسرعت في طريقي وقد شغلني التفكير في الحوانيت التي قد تكون مفتوحة وفي انواع السلع التي احتاج اليها.

قرية الاشباح - وتحولت مدينتي المضيئة الى ما يشبه قرية الاشباح. فنحن نسكن شارعا ترتفع مبانيه الى ما بين ٨ طوابق و ١٤ طابقا، ولكن في بداية عام ١٩٧٦ لم يبق في كل مبنى اكثر من اسرتين او ثلاث. وراح اصدقائي الاجانب يرحلون عن بيروت واحدا بعد الآخر، ولم ينقض اسبوع واحد من دون ان نسمع عن مقتل صديق عربي او جرحه.

وعند اضطراري الى التقوقع داخل الحجرات الاربع الصغيرة التي تتألف منها شقتنا كنت اجد في غالب الاحيان ان الملل اصبح مصيبتي الكبرى. فبعد الظهر، حين يكون جهاد غائبا في عمله وطارق نائما لم يكن لدي ما افعله سوى اختيار علب الاغذية المحفوظة التي نتناول منها طعامنا. وكانت مكتبة المجلس الثقافي البريطاني مصدر عزاء كبير. فحين يهدأ التراشق بالقذائف كانت تفتح المكتبة ابوابها في جو من الشجاعة الهادئة وسط رنين فناجين شاي الصباح. وفي الامسيات، عندما كان الماء يقل لدينا وتنقطع الكهرباء وتتقارب القنابل اكثر فاكثر، كنت افتح احد كتب ب.ج. وود هاوس (*) التي استعيرها من المكتبة، واقرب الشمعة واهرب الى قصر "بلاندنغز" بينما جهاد يستمع الى الراديو ويغلبه النعاس.

وفي عام ١٩٧٦، اصبح الماء مصدر قلقنا الدائم. فكنت اقضي معظم الوقت واقفة في طابور في الشارع لكي املأ اوعية البلاستيك ماء من المواسير المنفجرة. وتعلمت انني كلما توغلت في منطقة تدور فيها المعارك، زادت فرصتي في العثور على مواسير منفجرة احصل منها على الماء.

وحين كان التيار الكهربائي يعود - ربما مرة في الاسبوع- كنت ادير جهاز الضخ واملأ غسالتي العتيقة (فقد اغلق المفسل الآلي) واغسل طارق، واستحم وانظف الاطباق المتراكمة، واملأ الدلاء وصفيحتي نفط فارغتين كميات احتياطية من الماء. واذا ظل الماء يجري في الصنابير بعد ذلك كله، غسلت ارض الشقة وسقيت النباتات.

لكن نباتاتي لم تعش طويلا في الحرب، وكنت اعاينها تموت واحدة تلو الاخرى: ورود من اوستراليا اهديت الينا في اثناء شهر العسل الذي قضيناه هناك، وزهور اقحوان من بلغاريا اشتريناها جهاد وانا خلال اول عطلة قضيناها معا، وشجيرات كاميليا نحيلة زرعتها حين ولد طارق. وقد احزنني موت النباتات، وادهشني حزني في الوقت نفسه، علما مني بان الناس في مخيمات اللاجئين المحاصرة كانوا يموتون من قلة الماء.

لقد عاش ولدي طارق، منذ ولادته تقريبا، في خضم الحرب وهو يستطيع الان ان يميز بين طلقة

(*) كاتب انكليزي اشتهر بقصصه المسلية عن احد اللوردات الانكليز الذي كان يجمع بين السذاجة وغرابة الاطوار في مزيج مضحك، وخادمه الخبيث "جيفز". وتدور كثير من احداث هذه القصص في قصر "بلاند نغز"، قصر اللورد المذكور.



طارق مع والدته بين مسلحين قرب آلية مصفحة في احد شوارع العاصمة اللبنانية.

البندقية الرشاشة وقذيفة المدفع الصافرة فوق الرؤوس. ولذا، فقلما تقوى اصوات الحرب وضجيجها على تعكير نومه، ومع ذلك فقد حدث مرة ان اوقف بعض الجنود دبابة في الشارع قرب مسكننا وبدأوا يطلقون نيران مدفعهم على هدف بعيد لا يراه احد فاستيقظ طارق على صوت اطلاق النيران وهو يصرخ خوفا ورعبا. عندئذ اندفعت الى خارج مسكني ورحت ازعق في الرجال الواقفين حول الدبابة قائلة انهم يخيفون طفلي. واخرجت صورة فوتوغرافية لطارق ولوحت بها امام عيونهم فابتسم الجنود في شيء من الارتباك وابدوا اعتذارهم وانطلقوا بدبابتهم بعيدا... وبذلك انتقلت قطعة من جحيم الحرب الى مكان آخر لانها ارعبت طفلا صغيرا.

وكان عمل جهاد يحمله الى مخيمات اللاجئين خارج بيروت، فكان انتظار عودته الى البيت تجربة حافلة دائما بالقلق المؤلم، لكنني كنت استمد شيئا من الراحة من ثقتي بحكمته ودرايته بحسن التصرف في ظروف الحرب.

وذات مرة انفجرت قذيفة مدفعية في احد الشوارع على بعد امتار قليلة امام سيارته وكان جهاد يعرف ان العادة المتبعة غالبا هي اطلاق ثلاث قذائف متتالية على الهدف نفسه خلال دقائق قليلة. فسارع الى الاندفاع بسيارته تاركا وراءه السيارات الاخرى التي كان اصحابها قد هجروها وهربوا يختبئون. فسقطت القذيفتان الثانية والثالثة خلفه.

وفي كل مرة كنت اغادر مسكني لشراء الحاجات او للعمل، او لكي

اقدم الى مستشفى الجامعة الاميركية كمية الدم التي اتبرع بها كل شهرين، كنت اجدني مضطرة الى اتخاذ عدد من القرارات المنهجية، مثل تحديد ساعات النهار التي يصل فيها اطلاق النار الى ادنى حد واختيار اكثر الطرق امنا.

وكانت صفتي الاستثنائية كامرأة اوروبية مصدر عون لي. فخلال تنقلي في انحاء المدينة كمراسلة صحافية، كنت امر غالبا عبر حاجزين او ثلاثة من حواجز الطرق التي يقوم على كل منها افراد من فئات متحاربة مختلفة. وكان الرجال المسلحون يتولون احيانا تفتيش السيارة (حين يسعدني الحظ على استعارتها من جهاد)، او بفحص اوراق هويتي غير انهم كانوا احيانا كثيرة اخرى يلوحون ببساطة، مشيرين الى المرأة الغربية المخبلة (التي هي انا) بالمرور.

الملاك الحارس ـ وعندما كنت اخرج في جولة صحافية، كنت احاول جهدي ترك طفلي طارق لدى الجيران لكنني كنت اضطر احيانا الى اصطحابه وبمجرد سماعي اطلاق النار كنت ادفع عربته خلف جدار او في مدخل بيت وانتظر سكوت الرصاص، قبل ان اشق طريقي عبر الحطام والزجاج المتناثر على الارض. وحدث مرات عدة ان تولى مسلحون، من المسيحيين والمسلمين على السواء، حراسة طفلي بصفة موقتة فكان الواحد منهم يجلس ارضا في احد الملاجىء او على كيس من الرمل في احد مواقع اطلاق النار، ويعطي طارق غلافات الطلقات الفارغة لكي يلهو بها...

هل كنت طائشة آنذاك؟

اعتقد الآن بانني كنت احيانا كذلك. وان لم يكن هذا الخاطر يراودني اطلاقا في خضم الحرب. لم يكن هناك مكان اكثر امنا من سواه عندما يحتدم القتال.

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٦، حين اتخذت الولايات المتحدة الاميركية تدابير اجلاء الاجانب، وافقت بعد الحاح جهاد على ان اصطحب طارق في زيارة لاسرتي في اوستراليا. وكان الافتراق عن زوجي مؤلما للغاية. ولو لم نألف عدم الاطمئنان بين ساعة وساعة الى سلامة كل منا لما استطعت الارتحال. وخلال المرحلة الاولى من سفرتنا على متن طائرة نقل برمائية امريكية، كان طارق كثيرا ما يقف على منصة الملاحة ويلوح بيده مشيرا الى بعيد، ويقول: "الى اللقاء يا بابا".

وفي اوستراليا بدا الاحساس بالامن والسلامة شيئا كالاحلام بكل ما حفل به من حمامات وامتلأ به من اللحم والفاكهة الطازجين. وقضينا ثلاثة اشهر في هدوء سيدني وامنها، جعلت فظائع الحرب واهوالها تبدو لي على بشاعتها الحقيقية اكثر مما كانت وانا في غمارها.

غير اني، حين عدت مع طارق في شهر اوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٦، اصبح العالم الخيالي ترابيا على الفور. فانقضت ساعات قبل ان اهتدي الى سائق تاكسي يرضى بنقلنا من دمشق الى بيروت. واضطررنا مرات عدة الى تجنب نيران القناصة المنبعثة من قرى كانت لا تزال تقاوم سيطرة الجيش السوري الزاحف.

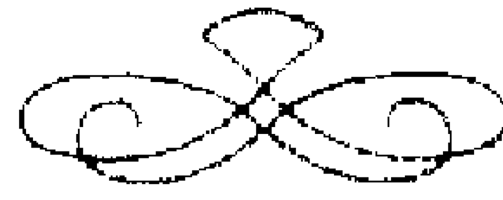
وكان جهاد متغيبا في عمله عندما

وصلت الى شقتنا وخرجت ترحب بنا عائلتان بقيتا في بيتيهما ولم تبرحا المدينة في اسوأ اشهر القتال.

كانت الشقة في حالة يرثى لها من الفوضى وحين عاد جهاد الى البيت عصرا اندفع طارق الى احضانه وهو يصيح في جذل: "بابا، بابا" وتملكني مزاج معاكس، فرحت اتذمر من الصراصير وقشور الفستق المتناثرة تحت المقاعد. واخذت اصيح بجهاد في لهجة الزوجة المشاكسة: "لقد تملكني المرض من القلق والخوف على حياتك، بينما انت تجلس هنا وتأكل الفستق". فقال جهاد وهو يبتسم: "لم يكن هناك شيء آخر يمكن عمله".

وحين انزلنا طارق من احضاننا بعد فترة، اخذنا جهاد وانا نتأمل احدنا الآخر. وقلت لزوجي انه يبدو على حاله من دون تغيير، فبادلني القول نفسه، لكن الامر استغرق وقتا حتى ادركنا مدى خطأنا واتضح لنا التغير الكبير الذي الحقته بنا الاشهر الثمانية عشر الاخيرة. لقد تحملت اسرتنا الصغيرة شدة المحنة، لكن الابتهاج بمجرد اللقاء على قيد الحياة لم يلبث ان خبا. فقد اصبحت غريزة المحافظة على الذات لدينا شيئا حيوانيا بالغ الارتباط بتجنب الدمار تمتد جذورها عميقة في انفسنا الى حد انها اصبحت القوة المسيطرة على حياتنا.

■ ديانا بشر



ينتظرون رسائل من ١٠٠ عام!

نشرت وزارة البريد الفرنسية نداءات في مجلة "هواة الطوابع" موجهة الى احفاد الباريسيين الذين لهم رسائل تنتظرهم... منذ مئة عام.

فأثناء حصار باريس بالقوات البروسية في ١٨٧٠، لجأ الفرنسيون الراغبون في مراسلة انسبائهم او اصدقائهم المقيمين في العاصمة المحاصرة الى استخدام كرات مجنحة من الزنك المفرغ، تحمل عبارة "باريس عن طريق مولان"، فيلقونها في اعلى مجرى نهر السين قرب فونيتنبلو، وكانت تطفو في منتصف النهر تحت أنف البروسيين حتى تبلغ باريس، حيث تلتقطها شباك ممدودة عبر النهر.

وثمة عدد من هذه الكرات لم تبلغ اصحابها، والتقطها الملاحون بعد ذلك بسنوات وسلموها الى وزارة البريد، وقد حوت الكرة الاخيرة منها ٥٣٩ رسالة تحمل كلها طوابع بريد من ذلك العهد، مما يعزز شأنها لدى هواة الطوابع.

وهذا ما حمل وزارة البريد على البحث عن احفاد الـ٥٣٩ باريسيا من المحاصرين الذين لم يتسلموا رسائلهم، لان هؤلاء الورثة قد يطيب لهم ان يتلقوا اخبارا من امواتهم وان يحصلوا ايضا على طوابع نادرة وثمينة.

ومثل ذلك ان طابع البريد البنفسجي غير المختوم الذي كانت قيمته فرنكا واحدا في عهد الجمهورية الثانية (١٨٧٢) يباع الآن في باريس بخمسين الف فرنك (نحو عشرة آلاف دولار)، والطابع الاخضر غير المستعمل من اصدار عام ١٨٥٠ الذي كانت قيمته ١٥ سنتيما (اقل من ٦/١ دولار) يباع الآن بأحد عشر الف فرنك (٢٥٠٠ دولار تقريبا)، والطوابع البريدية العادية الصادرة في القرن التاسع عشر يتلقفها الهواة بشغف في اسواق الطوابع.

ك. ب.

صخرة باردة بين عالمين

"ديوميد" جزيرتان توأمان في مضيق بيرينغ، بين سيبيريا والاسكا، تبرزان فوق سطح الارض طافيتين بين عالمين. غير ان الانفراج الدولي قد امتد اليهما.

تقوم جزيرة "ديوميد الصغرى" في مضيق بيرينغ المعتدل البرودة والغائم الجو، وهي في منتصف الطريق بين الاسكا وسيبيريا، في منطقة يغلفها الضباب المغمّم، وتتنابها عواصف الشمال، فتبدو الجزيرة مكانا متفردا بانعدام الفتنة والجاذبية. وتنتصب القرية الوحيدة في "ديوميد الصغرى"، على قمة رابية عملاقة من الركام يغمرها الصقيع وتضم بقايا الذين سكنوا هذه القرية على مدى الفي عام.

ويبلغ طول الجزيرة اربعة كيلومترات وعرضها كيلومترين ونصف كيلومتر تقريبا، وهي ترتفع بانحدار شديد من جميع جوانبها حتى ذروتها التي يبلغ علوها ٣٩٩ مترا.

والواقع ان جزيرة "ديوميد الصغرى" هي جرف قديم من الغرانيت الممزوج بكتل الجلمود والحجر الجيري. وتحيط الاجراف العمودية الشاهقة بالجزء الاكبر منها، ولا يعتدل الانحدار الا في الركن الشمالي الغربي، حيث يقل الارتفاع تدريجا حتى يبلغ شريطا ساحليا ضيقا من الصخور الجلمودية الضخمة تقوم عليه القرية التي يعد سكانها ١١٩ نسمة والممتدة الى سفح الجبل في مواجهة الجزيرة الاخرى التوأم "ديوميد الكبرى" التي يسمونها بالروسية "اوستروف راتمانوفا" والتي تقع على بعد اربعة كيلومترات الى الغرب، ويبلغ حجمها اربعة اضعاف حجم "ديوميد الصغرى".

وبين الفينة والفينة، تنطلق طائرة هليكوبتر سوفييتية من جزيرة "ديوميد الكبرى"، وتتجه نحو الشرق على مسافة كيلومترين، ثم تتوقف فجأة وكأنها اصطدمت بحائط زجاجي، لتسير بعد ذلك نحو الشمال او الجنوب على طول هذا الخط الوهمي ثم تعود الى منطلقها. ويقع هذا الخط الحدودي في منتصف المسافة بين الجزيرتين حيث يفصل بين عالمين مختلفين: آسيا وامريكا الشمالية، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية، الشيوعية والرأسمالية. بل ان هذا الخط يفصل بين اليوم والغد، لان مسار الحدود هنا يتزامن مع خط تحديد التاريخ الدولي.

لهداية العابرين – وفي موضع هذه الحدود الحالية وهذا الحاجز الراهن، كان يقوم في الماضي جسر بيرينغ البري او "بيرنغيا"، تلك الرقعة

المترامية الاطراف التي زالت من الوجود. فخلال الفترة الجليدية من عصر البلايستوسين، في باكورة الزمن الجيولوجي الرابع كانت صحائف الجليد الهائلة التي يبلغ سمكها ١٥٠٠ متر متراكمة على مساحة ١٥ مليون كيلومتر مربع تقريبا، تمتد من امريكا الشمالية الى اجزاء وسيعة من اوروبا وآسيا، وكان هناك ممر ضخم عرضه ١٥٠٠ كيلومتر يربط بين آسيا وامريكا، وقد عبرت فوقه قطعان عدة من الحيوانات الآسيوية الثديية التي تعيش اليوم في امريكا الشمالية، كما انتقل عبره في الاتجاه المضاد اسلاف الجمل والحصان اللذين يعيشان الآن في آسيا واوروبا. وجاء الانسان، الجد الاعلى للهنود الحمر والاسكيمو، في الموكب الاخير الذي اجتاز بيرنغيا عبر سهول التوندرا الشاسعة. وفي نهاية العصر الجليدي الاخير، ذابت الواح الجليد واطلقت مخزونها الهائل من المياه، فاختفت بيرنغيا تحت سطح الطوفان الصاعد، وكأنها اطلنطيك اخرى في البحر القطبي.

وهكذا ظهر الى الوجود مضيق بيرينغ، تتوسطه جزيرتا "ديوميد الصغرى" و"ديوميد الكبرى" وكأنهما محطتان على الطريق لهداية العابرين المتأخرين.

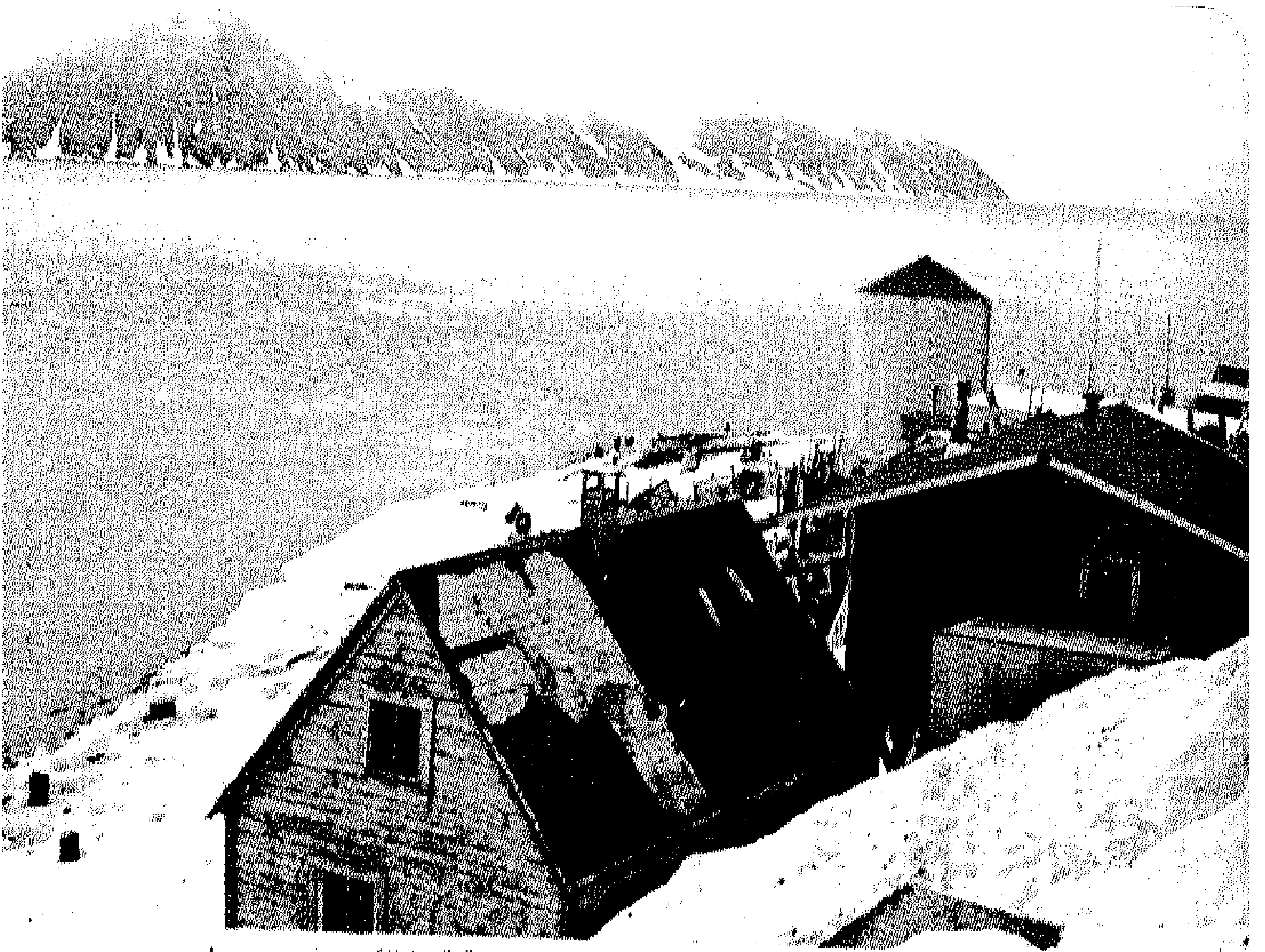
ويمضي التيار في هذه المنطقة مندفعا الى الشمال عبر مضيق بيرينغ، محملا بالمياه الغنية بالاملاح المعدنية، الى بحر تشوكتشي الضحل القليل العمق، حيث تتجمع ثروة غذائية تجتذب القطعان الضخمة المهاجرة كل عام من الحيتان القطبية والحيتان الرمادية وافيال البحر ومختلف فصائل الفقمة.

ولا مفر لهذه الحيوانات الكبيرة من ان تتجمهر معا في عبورها المضيق الذي لا يتجاوز اتساعه ٩٠ كيلومترا مما يجعله في فصلي الربيع والخريف جنة لصائدي الثدييات البحرية الذين لديهم الشجاعة الكافية لتعقب هذه الطرائد العملاقة في بحر عاصف يغطيه الضباب وتتلاطم فيه كتل الجليد المتزاحمة.

ولقد كان لسكان ديوميد الكبرى والصغرى موقع مثالي من جزيرتيهم لاستغلال تلك الثروة البحرية، معتمدين في ذلك على مهارتهم وجرأتهم اللتين تجعلان منهم حتى اليوم ابرع صيادي الفظ (الفوك او فيل البحر) والفقمة (عجل البحر). وقد قام هؤلاء السكان ايضا بدور الوسطاء في التجارة الرائجة حينذاك بين سيبيريا والاسكا. ذلك انهم كانوا يستعملون قوارب الاميك السريعة الرائعة المصنوعة من الجلود والتي لا تجارى على سطح البحر (يبلغ طول قارب الاميك ١٢ مترا وحمولته ٤٠ شخصا او خمسة اطنان من البضائع)، ولا تعدو الرحلة بها عبر المضيق ان تكون امرا يسيرا، ولا يستغرق عبوره بالمجاذيف والمراكب الشراعية اكثر من يوم واحد اذا كانت الريح مؤاتية.

وحين جاء المستكشفون في مطلع القرن التاسع عشر الى قرى الاسكيمو في الاسكا لزيارتها، وجدوا سكانها مزودين بما يكفيهم واكثر من البضائع التجارية الآسيوية.

الصلات مع روسيا - ولعل من العوائق التي حالت دون التوسع في التجارة ان الاهالي الاسيويين واهالي الاسكا الاصليين كانوا في حرب دائمة مع

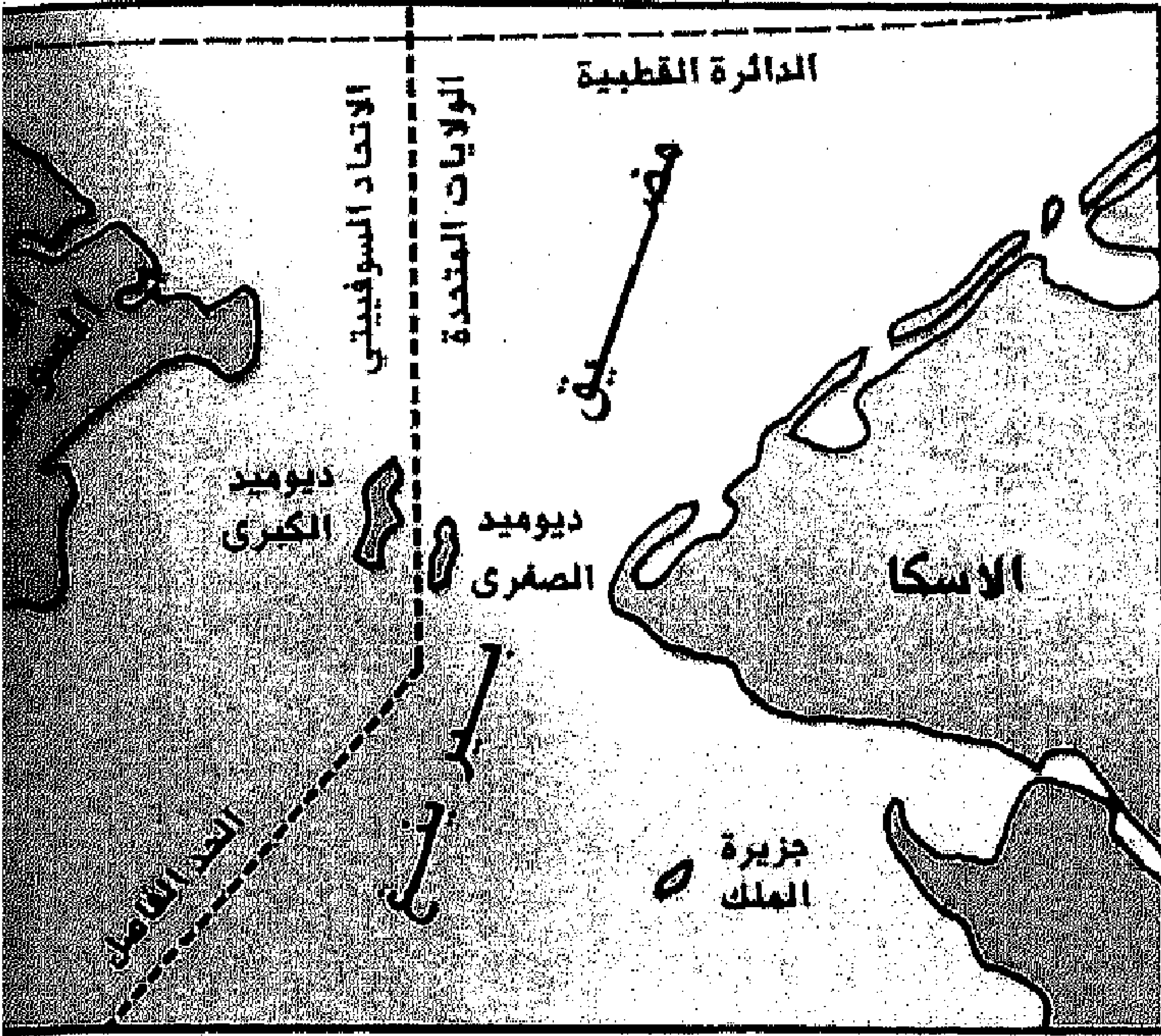


"ديوميد الصغرى" تتطلع عبر مضيق بيرينغ الى شقيقتها الكبرى في سيبيريا·

بعضهم البعض· وخلال فترة الحكم الروسي لالاسكا، منذ اكتشافها في عام ١٧٤١ حتى بيعها للولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٦٧، توقفت الحرب تدريجا وتزايدت حركة التجارة· وتنص معاهدة ١٨٦٧ المعقودة بين الولايات المتحدة وروسيا على ان خط الحدود بين الدولتين يمر في منتصف المسافة بين جزيرة "ديوميد الصغرى" وجزيرة "ديوميد الكبرى"· وعلى الرغم من ان التجار الامريكيين منعوا اخيرا من ارتياد ساحل سيبيريا، فقد حافظ سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" على صلاتهم بجيرانهم الروس، وكان لجميع السكان تقريبا اصدقاء واقارب على جانبي مضيق بيرينغ· وقد استمر اهل سيبيريا يزورون جزيرة "ديوميد الصغرى" حتى الثلاثينات من هذا القرن، كما استمر سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" يبحرون الى سيبيريا كلما عن لهم ذلك، من دون اكتراث باي قيود، وهم كانوا يفعلون ذلك عادة مرة كل عام للاتجار بالفراء والعاج·

الا ان هذا الوضع في الشؤون التجارية انتهى فجأة عام ١٩٤٨، حين امتدت امواج الحرب الباردة الى جزيرتي ديوميد· ففي صيف ذلك العام ابحر ١٨ شخصا من سكان "ديوميد الصغرى" لزيارة جيرانهم في "ديوميد الكبرى"، فقبض عليهم بمجرد وصولهم وظلوا محتجزين لمدة ٥٢ يوما تعرضوا فيها لشتى

التحقيقات والاستجوابات الطويلة، واقتصر غذاؤهم على الخبز الاسود والحساء المائي. ولم يطلقوا الا بعدما بلغ الامر مسامع وزارة الخارجية الامريكية فتدخلت للافراج عنهم فعادوا الى جزيرتهم، والجوع والغضب يضطرمان بين جوانحهم.



وبعد هذا الحادث بفترة قصيرة اعادت السلطات السوفييتية توطين الاسكيمو من سكان جزيرة "ديوميد الكبرى" على الساحل السيبيري.

وظلت القطيعة تامة بين مجموعتي الاهالي على مدى ربع قرن تقريبا، حتى بلغ الانفراج الدولي اخيرا جزيرتي ديوميد. فاثناء اقامتي على جزيرة "ديوميد الصغرى" من ابريل (نيسان) الى يوليو (تموز) ١٩٧٥، فوجئنا ذات يوم من ايام الربيع برؤية بائنتين داكنتين مقبلتين عبر الجليد من الغرب، لا تكادان تظهران وسط الثلوج التي تذروها الرياح. وتدافع نصف سكان القرية متزاحمين الى زحافات الجليد وتسابقوا الى ملاقاة الزائرين اللذين اقبلا وكل منهما يرتدي سترة ضخمة من الفراء وسراويل من جلد الفقمة. وتبين انهما شابان بشوشان يدعيان فيكتور وفولوديا وينتميان الى احدى مزارع الدولة في سيبيريا، وقد اوفدتهما المزرعة لاقتناص الثعالب القطبية واصطياد الحيوانات لتوفير اللحم الطازج لحرس الحدود السوفييت المتخذين مركزهم على جزيرة "ديوميد الكبرى".

وكان الزائران يتكلمان لهجة غريبة جعلت التفاهم صعبا مع مضيفيهما، فتغلب الجميع على المشكلة بتبادل الحديث بالروسية والانكليزية، واستخدموني للترجمة بين الطرفين. بدأت بالتساؤل عما سيقوله حرس الحدود السوفييت عن رحلة الشابين للقاء الديوميديين فرد فيكتور وهو يلوح بيده مستهينا وكأنه يطرح الحرس جانبا: "اوه! هم! انهم لا يحبون ذلك، ولكن ما الذي يقدرون عليه، نحن صيادون نرتحل مسافات شاسعة، فكيف يمكنهم ان يتتبعوا خطانا؟ قالوا: "اذهبوا للقاء هؤلاء، هناك، ولكن كونوا حذرين فاننا لا نريد المتاعب!"

فنانون في صناعة العاج - يقول اهل جزيرة "ديوميد الصغرى": "ان العاج هو ذهبنا". فهو اساس اقتصاد الجزيرة، بل هو بمثابة عملتها الى حد

ما . ومعظم الرجال من سكان الجزيرة وعدد من نسائها، يجيدون النقش على العاج على نحو ممتاز. ويقبل متجر الجزيرة من اهل القرية العاج الخام والعاج المنقوش بدلا من النقود نظير ما يشترونه من الطعام والذخيرة والغاز او زيت الوقود. كما يمكن تسديد بدل المكالمات الهاتفية نقدا او بالعاج. وفي ليالي "البنغو"، اللعبة التي تعتبر من الهوايات الغالية لدى السكان، تدفع قيمة غالبية الاوراق بقطع العاج المنقوش. وتقدر قيمة زوج اسنان الفظ في نظر النقاشين من الاسكيمو، بعد النقش ما بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ دولار.

ويعيش سكان جزيرة "ديوميد الصغرى" على نظام غذائي متنوع وصحي وتقليدي في جانبه الاكبر، تتألف عناصره الاساسية من لحم الفظ ودهنه. ويدخل زيت الفقمة في معظم الوجبات، ويعتبر المادة الرئيسية لحفظ الاغذية. ويجمع السكان بيض الطيور خصوصا بيض المور من طيور البحار الجنوبية بالآلاف في بداية الصيف، ويخزنونه منقوعا في الزيت نيئا او مسلوقا، فيتمكنون بذلك من حفظه قرابة عام كامل، كما يتمكنون من حفظ الطيور في حفر جليدية او يسلقونها ويخزنونها منقوعة في الزيت. ويبقي السكان شحم الحيوانات البحرية الضخمة حتى "ينضج" ويصفر لونه، ثم ينقعونه في زيت الفقمة ويستخدمونه مع الطعام كنوع من المشهيات. ويعد "الكبد المر" من مأكولاتهم الشهية فهم يأخذون الكبد النيء لعجل البحر ويتركونه بضعة اسابيع في طبق خشبي واسع بالقرب من الموقد حتى يتحول الى سائل بني لاذع الطعم، فيه شيء من مذاق الخل.

ويجمع سكان الجزيرة ويأكلون اصنافا متنوعة من النباتات الخضراء وسيقان النباتات وجذورها واعشاب البحر وانواع التوت البري. ولكن بقاءهم ونجاحهم يعتمدان الآن، كشأنهما في الماضي، على مهارة السكان وجرأتهم في الصيد والقنص وعلى قواربهم الرائعة المصنوعة من الجلود والمكسوة بطبقة من جلد فيل البحر المشقوق الذي يبلغ سمكه ٢٥ ملليمترا. وتبدأ صناعة القارب بخياطة عدد من الجلود ثم فردها على الهيكل وشدها اليه بسيور من جلد فيل البحر. وثمة شراع عرضه متر واحد من قماش القنب السميك (كان يصنع قبلا من جلد عجل البحر ايضا) يبقى مطويا عند شفير القارب (حافته العليا) متى يكون البحر هادئا، ويفرد ويرفع على مجاذيف واعمدة حول القارب لوقايته من رذاذ البحر العاصف. وتكسى الكيلة (قعر الزورق) بعظام فك الحوت الناعم والدقيق التعرق الذي يسهل معه انزلاق القارب عبر الجليد. وقد اصبحت كيلة القوارب الجديدة تكسى الان بخرطوم "الفينيل" الذي يؤدي الغرض نفسه. وهذه القوارب التي تدفعها محركات قوة كل منها ٤٠ حصانا، تعتبر غير قابلة للغرق، ولا يتردد اهل جزيرة ديوميد المعروفون بجرأتهم عن الابحار بها في أي جو تقريبا، سواء أكان عاصفا ام ضبابيا، بل وحتى عندما يكتظ البحر بكتل الجليد المتسارعة المتلاطمة.

ولئن كانت هذه القوارب مزودة عادة ببوصلات بحرية، الا ان الضباب

والتيارات القوية وتعرج طرق الصيد كثيرا ما يستصعب معها البحارون، عند عودتهم، الاهتداء الى جزيرتهم ثانية، نظرا الى صغر حجمها وسط المضيق الكبير، فيلجأون اذ ذاك الى اطلاق النار في الفضاء، لعل رجع الصدى من البر يرشدهم اليها، كما انهم يعاينون اتجاهات الطيور او مسار الجليد الطافي. فاذا لم يلقوا نتيجة من كل ذلك تفيدهم عن معرفة موقعهم بالضبط، اوقفوا محركات قواربهم توفيرا للوقود، وتركوا القوارب تطفو على وجه الماء، وناموا متلاصقين نشدا للدفء في الجو البارد الرطب، وانتظارا لانقشاع الضباب، واذ اعيتهم الحيل جميعا، عمدوا الى الابحار نحو الشرق، لانهم كما يقولون، لن يخطئوا بلوغ البر.

الصيد الكبير - يبدأ الربيع هادئا، فالرجال ينحتون العاج او يصطادون عجول البحر على الجليد الطافي، بينما يقضي النساء والاطفال ساعات طويلة من الصبر والاناة في صيد الحيوانات البحرية خلال ثقوب يحفرونها في الجليد. وفي شهر مايو (ايار) تفد الحيوانات والطيور المهاجرة عن طريق البحر والجو، ومثال ذلك ان قرابة ٢٠٠٠٠ طائر من غرانيق التلال وربع مليون طائر من لوز الثلوج تطير عبر مضيق بيرينغ في هذا الوقت، متجهة الى مواطن توالدها في سيبيريا، فيمتلىء الليل القطبي المضيء بصيحاتها العالية الملحة. وتجيء في المقابل من آسيا اسراب الطيور الصغيرة، كطائر الهزاز والمنشد القطبي وغير ذلك، قاصدة مواطن توالدها في الاسكا. وقد حدث لنا مرة ان كنا تائهين في الضباب نطفو نحو الشمال، في اتجاه بحر تشوكتشي، واذ بطائر صغير ضائع مثلنا قد هده التعب، فحط على قاربنا، وقد حرص الجميع على عدم ازعاج الضيف المنهك الصغير، فظل يؤنسنا بوجوده اللطيف الى ان بدت اليابسة على مرمى البصر.

وفي شهر مايو (ايار) ايضا تصل الطيور البحرية لتتوالد فوق جزيرة "ديوميد الصغرى"، مئات الالوف من طائر البطريق الصغير وعشرات الالوف من طائر البطريق المتوج ومن طيور الغرياق والميور، والجلموت وغيرها. وفي شهر يونيو (حزيران) تصل افيال البحر ويبدأ الصيد السنوي الكبير. وينعت الديوميديون يونيو (حزيران) بالشهر الذي لا ينام فيه الناس. وتمر الحيتان، ولكنها نادرا ما تطارد، لان اهل ديوميد بحكم تقاليدهم يميلون في المقام الاول الى صيد افيال البحر.

والصيد مرتفع التكاليف، فهو يكلف كل قارب ما بين ٣٠ و ٤٠ دولارا يوميا ثمنا للوقود، ويتحمل ربان القارب هذه التكاليف اضافة الى ثمن الجانب الاكبر من الطعام، ولكنه يحصل على نصيب اضافي من العاج يستعيض به عن جزء من هذه التكاليف على الاقل. وقد ينفق كل فرد من الملاحين نحو ٢٠ دولارا يوميا ثمنا للذخيرة التي يستهلكها. وفي اثناء الصيد، يتشاور الربان عادة مع جماعة الملاحين ولكنه صاحب الرأي الاخير. وكثيرا ما يبقى معظم الملاحين الصيادين مجموعة واحدة على مدى سنوات متزاملين في السباق الخطر بين كتل الجليد الطافية وافيال البحر الحانقة، عاملين معا في فريق ماهر، متكامل، قدير.

وفجأة، ينتهي كل شيء، وتمر آخر الذكور الضخمة من افيال البحر، وتزدحم المناشر الكبيرة في جزيرة ديوميد بشرائح اللحم الضخمة المجففة، وتكتظ المخازن باللحم المدخر، ويقتسم البحارون ما احرزوه من العاج وعظام الاصلاب، التي يشتد عليها اقبال السياح وتباع الواحدة منها بقرابة ١٠٠ دولار في الاسكا وعندها يصفو الجو، ناعما بالدفء وتحلو المياه باليسر الرخي.

ومع ذلك، فلن تنقضي بضعة اسابيع حتى يغادر معظم السكان جزيرتهم، قاصدين الاسكا لزيارة الاقارب في الجنوب، او للعمل في خط انابيب البترول. ويطول غيابهم ما بين شهرين وثلاثة اشهر، حتى مستهل سبتمبر (ايلول) اذ تبدأ العواصف تلذع البحر بسياط الرياح، فيعودون الى جزيرتهم كالطيور المتقاطرة الى مجاثمها.

ويعود الصيد لفترة قصيرة في الخريف، عندما تعود افيال البحر باعداد قليلة ينذر معها ان يكون الموسم مزدهرا. ثم لا تلبث عواصف الخريف ان تزمجر برياحها الهوجاء فوق المضيق وتتساقط الثلوج من الشمال، وتغمر العزلة مرة اخرى سكان "ديوميد الصغرى" فوق صخرتهم الموحشة العائمة بين عالمين.

■ فريد برومير

زار فريد برومير المنطقة القطبية الشمالية للمرة الأولى عام ١٩٥٧، وتكررت زياراته لها منذ ذلك الحين، وعاش مع عدد من اهلها الاصليين مسجلا حياتهم وثقافتهم. وقد الف خمسة كتب عن المنطقة القطبية الشمالية اما بيته "الجنوبي" فهو في مونتريال.



على الطريقة الالمانية

كانت معركة كريت عام ١٩٤١ اولى العمليات الحربية التي شهدها الروائي الانكليزي ايفلين ووغ، لكنه ابدى فيها شجاعة ورباطة جاش احدثتا اثرا عميقا في نفس قائده بوبي لايكوك. وحين ركب الاثنان باخرة مزدحمة ليعودوا الى الاسكندرية، سأله لايكوك عن انطباعاته عن اولى معاركه هذه، فقال ايفلين: "كانت شبيهة بالاوبرا الالمانية، اطول مما يجب وعالية الضجيج اكثر مما يجب".

ك.س.

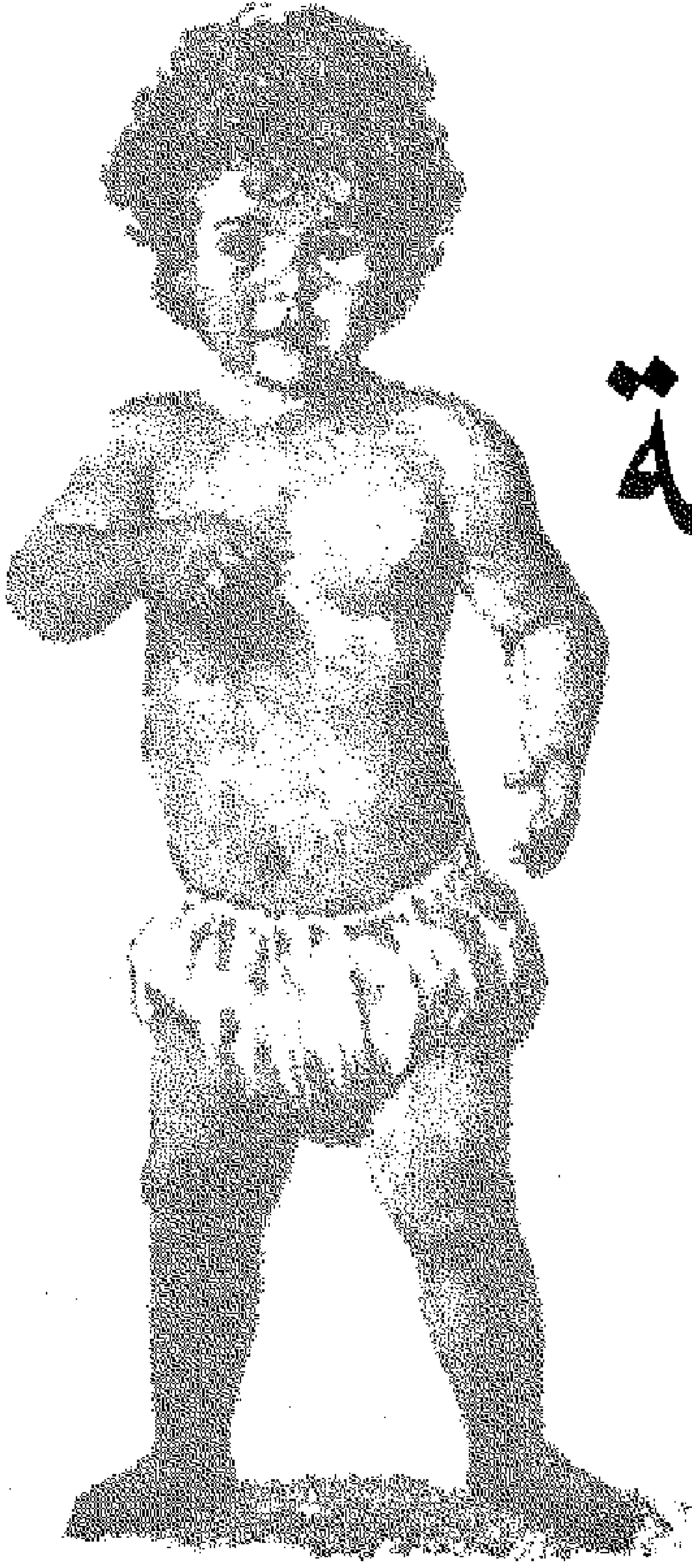
يتلقى الشباب كثيرا من اللوم لانهم يظنون ان العالم يبدأ بهم، غير ان الشيوخ اكثر اقتناعا بأن العالم سينتهي بهم.

ف. هـ.

ان نوع المستقبل الذي ينتظر اي مجتمع لا يتوقف على مدى اقتراب تنظيمه من الكمال، بل على درجة المثالية التي يتمتع بها كل فرد من اعضائه.

البرت شفايتزر

مأساة واقعية



... وانقضّت الحيّة على الطفلة ولدغتها في ساقها

"... ورأيت من داخل المنزل مذعورا وعاجزا، ابنتي الصغيرة تدرج مباشرة في اتجاه الافعى المجلجلة، الملتفة على نفسها".

قارب النهار الاصيل، والجو لا يزال حارا خانقا في ذلك الاثنين ٢٨ اغسطس (آب). كانت زوجتي سوزي تعد العشاء في مطبخ بيتنا في ضواحي لوس انجيلوس، بينما وقفت خارج البيت اراقب ابنتنا دينا البالغة ٢٢ شهرا، واذ بزوجتي تناديني لمكالمة تلفونية. وبينما كنت اتحادث مع مخاطبي، نظرت من النافذة فشاهدت دينا تسير في الفناء نحو حصانها الهزاز.

وفجأة وقع نظري على افعى مجلجلة، بنية من النوع الذي يحدث صوتا كالجرس لدى تقلبه، ولم تكن دينا ابصرتها بعد. وراحت الافعى تتحرك وتتنصب امام الشجيرة الخضراء، وتستعد للدغ فريستها، وقد تعادل طولها مع طول دينا. وكانت الصغيرة لاهية، لا تبالي، وتبتسم لي من البعيد، عندما انقضت الافعى عليها مرة، ثم اخرى، فعلا صوت الاستغاثة الصارخ على وتيرة متقطعة ودوى في ذلك الجو الخانق، المثقل بالاسى.

وسرعان ما توشح وجه دينا بعلامات الارتباك والاضطراب، دلائل البراءة امام الغدر. وجمدت زوجتي الى جانبي، وفي صدرها نبرات كالحشرجة. ثم اندفعنا الى الفناء بينما كانت الحية تنساب عبر السياج. وعندما حملنا دينا الى المطبخ، كانت اصواتنا محتبسة في حناجرنا وكنا نهتز ارتعاشا بالترقب الملح. ونتساءل:

– "اين هو موضع اللدغ"؟

ونجيب: "هنا، انظر، في باطن فخذها".

تركت اللدغة اثرين بائنين

Condensed from McCall's (November '77) Copyright 1977 by The McCall Publishing Co. 230 Park Ave. New York. N.Y. 10017

منفصلين، ينز منهما دم جديد كلما خفق قلب دينا. وعندما بدأنا نشق ساق الطفلة لامتصاص السم، علا صراخها خوفا والما. وقلت: "لا بد لنا من تهدئة اعصابها والا ازدادت دقات قلبها وتفاقم تدفق الدم منه".

وذهبت زوجتي الى الهاتف وطلبت المركز الطبي في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، وشرحت الحادث والضرورة القصوى لمعالجته، ثم قالت: "ها نحن في طريقنا الى المركز". واخذنا منشفة ولففناها على ملعقة خشبية، وجعلنا منها رباطا ضاغطا لوقف النزف من باطن فخذ دينا الايسر، ونقلناها الى السيارة.

كانت الشوارع مكتظة بالسيارات حتى الذروة، وقد استولى علي الغضب والذعر من جراء ذلك، ونحن نتحرك ببطء شديد وسط رتل طويل من السيارات المتلاصقة. واعتصر قلبي احساس يقيني مروع بان ابنتنا ستموت

وعندما وصلنا اخيرا الى المركز الطبي، بعد عشرين دقيقة، انتزع احد الاطباء المقيمين دينا من ايدينا ومنعنا من دخول غرفة الطوارىء، وكنا نسمع من وراء الابواب نحيب دينا يرتفع صراخا ثم يخفت من جديد. ثم عاد بها الطبيب المقيم، ملفوفة في بطانية المستشفى وحملها واسرع بها الى المصعد وهو متجهم الوجه.

وسألته: "الى اين تأخذها؟"

"الى قسم الاطفال، وحدة "العناية الفائقة".

ومضت ساعات جاء بعدها الطبيب المسؤول الدكتور كحيل ليتحدث الينا: "لا استطيع ان اؤكد لكم انها ستنجو، فهي صغيرة جدا، ولسنا نعرف بالضبط كمية المضاد لسم الافعى التي يمكن ان تتحملها، ولكننا سنراقبها عن كثب ونزودها بكل العناية اللازمة. ان دخول وحدة "العناية الفائقة" ممنوع، فلماذا لا تحاولان اخذ قسط من النوم؟".

لن اترك ابنتي - وقالت سوزي: "لن اترك ابنتي". وقبل ان يتمكن احد من منعها قطعت الردهة عدوا ودخلت "العناية الفائقة". وهناك، وقفت عند الجزء الادنى من سرير دينا، ولفت ذراعيها حول قضبانه، ولم يفلح احد في اقناعها بان تغادر القاعة.

وقال الدكتور كحيل: "لنعقد معا اتفاقا، ساضع لكما مقعدين خارج الباب، وساطلعكما على آخر تطورات حال دينا كلما استطعت ذلك".

وقضينا الفترة التالية بين وقوف وخطى حائرة، وفي عدا ذلك كنا نجلس وجها لوجه نرقب اندفاع الممرضات، داخلات خارجات، يحملن عشرات الزجاجات وادوات الحقن واخيرا خرج



الدكتور كحيل ليقول لنا:

"لقد تبين لنا، من كل ما استطعنا معرفته عن الحالات المماثلة، ان الفترة الخطرة هي فترة الثماني والاربعين الساعة الاولى. فاذا قويت على الصمود حتى نهاية هذه الفترة كتبت لها النجاة".

وفي الساعة الحادية عشرة اطفئت انوار الردهة، وتذكرنا انه لا مكان لنا في جناح الاطفال. وتناهت الينا في الردهة اصوات بكائهم، وصراخ بعضهم وهم يطالبون بذويهم الغائبين.

وقامت سوزي من مقعدها قائلة: ستحتاج دينا الى "بوه"، دبها الصغير الذي لا يفارقها ابدا.

وقلت، وقد خفف عني انني ساستطيع المساعدة باي شيء: "ها انذا ذاهب الى المنزل لآتيها به". وفي طريقي، وانا مختل بنفسي في سيارتي، تركت العنان لخوفي وانطلق من صدري نشيج عاجز متقطع.

وفي صباح اليوم التالي، قال لنا احد الاطباء: "اعتقد ان حالها في تحسن واضح، وانما لا بد لنا من الانتظار يوما آخر لكي نتأكد الامر، فربما كان للعلاج المضاد للسم الذي نستعمله بعض المضاعفات".

كنا، سوزي، وانا، قد قررنا ان نتناوب السهر على دينا، كل اربع ساعات. وعندما عدت عصر ذلك اليوم الى المستشفى لا تسلم نوبتي، وجدت ان زوجتي قد حصلت على الترخيص لنا بالجلوس داخل وحدة "العناية الفائقة". ولاحظت من كرسي الى جانب سرير دينا ان في ساقها اليسرى ورما مروعا وزرقة واضحة. وكانت تتغذى بحقن مستمر في الوريد، ولكنها بذراعها الاخرى كانت تضم بشدة الى صدرها صديقها الدب "بوه". وفي كل ساعة، كانت الممرضات يراجعن كل المؤشرات الحيوية: درجة الحرارة وضغط الدم والنبض. اما الورم الواضح في ساقها، فكان يتزايد ساعة بعد ساعة. ثم ارتفعت درجة حرارتها عندما دخل السم مع العلاج المضاد له في صراع حياة او موت. وامتدت الزرقة من فخذها حتى قدمها، بل وتسربت ايضا الى بطنها وقفصها الصدري.

الخطر باق - وفي التاسعة من صباح الاربعاء، حلت نهاية الساعات الثماني والاربعين الحاسمة، وما تحمله من امل في النجاة. وكانت ابنتنا لا تزال على قيد الحياة. لكن الدكتور مايو طبيب الاطفال الذي يعتني بدينا نبهنا الى: "اننا لم نتجاوز بعد مرحلة الخطر. وربما استلزم الامر بتر الساق".

وفي صباح الخميس ازاح الدكتور كحيل الرباط الضاغط عن فخذ دينا لكي يعاين حال الجرح، وقلت له وكأنني اتحداه: "ان الورم يتناقص، اليس كذلك؟ "من دون ان اجرؤ على النظر بنفسي الى الجرح.

وصمت الدكتور كحيل برهة ثم قال متنهدا: "اجل"، واشار الى علامة رسمت بالقلم وقال: "هذه علامة الورم امس، واما اليوم فقد وصل الى هنا".

الورم اذا ينحسر. ورفع الطبيب بصره الينا وابتسم ابتسامة عريضة.

وفي تلك العشية، عندما عدت الى طابق الاطفال، رأيت سوزي منكفئة على نافذة الردهة خارج غرفة "العناية الفائقة". وكانت احدى

الممرضات واقفة الى جانبها وتحيط كتفها باحدى ذراعيها. وما ان رأتني زوجتي حتى اقتربت مني وهي ترتعش وتبكي. وامسكت بمعصمي وقالت بصوت خافت: "يجب ان نصلي. فقد توقف قلب دينا. ربما ماتت".

قبل ذلك بقرابة ربع ساعة، كانت سوزي قد انتهت من تلقيم دينا اول وجبة طعام تتناولها منذ حادثها المشؤوم. وكان الطبيبان كحيل واولسون يراقبانها فخورين مبتهجين. وفجأة سعلت دينا مرتين. ثم زاغت عيناها، وارسلت زفرات بطيئة عميقة. وعلى الفور حمل اولسون الطفلة وانطلق بها خارج الغرفة. ودوى في الردهة رنين جرس عال... وهو النذير بتوقف قلب المريض عن الخفقان. واسرع الى الغرفة طبيبان من اختصاصيي القلب، وراحا يحاولان تنشيط القلب عن طريق التدليك.

انتعش القلب – وعند ذاك خرج كحيل من وحدة "العناية الفائقة" ووافانا عند النافذة قائلا: "لقد عاد القلب الى الخفقان. ولكنها تعاني ضعفا شديدا. وكل ما استطيع ان اقوله لكما هو ان الطبيبين اللذين معها لا يفوقهما احد. وانهما يبذلان كل ما في وسعهما".

ثم دنا منا رجل ضخم البنية يتصبب عرقا وقدم نفسه الينا، قائلا: "انا الاب كيلي... انني قس اسقفي". وتشابكت ايدينا نحن الثلاثة في شبه دائرة ورحنا نردد الدعاء وراءه. ولئن كنا انا وسوزي لم ندرج على التردد الى الكنيسة، الا انه كان لابتهال الاب كيلي تأثير عظيم علينا، فاتكلنا عليه، ونفوسنا مفعمة بالرجاء والعرفان.

واخيرا سمحوا لنا برؤية دينا. وكانت بين الغيبوبة والوعي، بينما الدم ينقل الى عروقها من زجاجة معلقة فوقها. وسألت: "كيف حدث ذلك؟" واجابني احد الاطباء: "لعل قطعة من الطعام انحشرت في حلقها. نحن لا نعرف على وجه التأكيد".

واستأنفنا، سوزي وانا، عيادتنا لها طوال الليل، ونحن بين اليأس والرجاء. لم يكن في وسعنا ان نفعل لها شيئا، وانما كان لنا اعتقاد عنيد بائس انها لن تموت، ما دام احدنا الى جانبها.

وفي اليوم التالي، لاحظت ان دينا تتنفس بصعوبة وحشرجة. وتبين للاطباء في ما بعد ان تدليك القلب احدث فجوة هوائية فوق الرئة، واجريت لها جراحة لادخال انبوبة في الرئة تحسينا للتنفس.

وكنت اترقب ما يشير الى تحسن حالها، ولكن شيئا من هذا لم يحدث. وظلت دينا مربوطة باجهزة الانعاش، وعيناها زائغتان. وبعد انقضاء يومين نزعت الانبوبة ووضعت دينا في خيمة الاوكسيجين. ولاحظت ان صلابة جسمها اصبحت اشد وان السواد اخذ يغلب على ساقها المصابة.

وكانت في غيبوبة تحدق عيناها بانشداد في غيوم من الضباب.

ومساء الاحد اضطرب تنفس دينا. وقال الجراح بصوت وديع: "سنفتح ثقبا في القصبة الهوائية لكي ينتظم تنفسها من جديد. انني اجهل سبب هذا الاضطراب. لعله استسقاء رئوي. على كل حال لن تستغرق العملية اكثر من ٤٥ دقيقة".

وحملوا دينا من غرفة "العناية الفائقة" وهي في سريرها وفي فمها انبوبة وعلى وجهها دماء متجمدة. وكانت عيناها مغمضتين.

وبينما كنت جالسا وحدي في غرفة الممرضات، اخذت اتصفح مرجعا طبيا، فلفتتني فقرة بعنوان: "الاستسقاء الرئوي" وكانت العبارة الاخيرة في الفقرة تقول: "وعادة ما يؤدي الى الوفاة..."؟ وسرت في مخيلتي صورة دينا كما رأيتها آخر مرة. ومضت ساعة. ثم سمعت صوت باب يفتح بعنف، ورأيت الممرضين في زيهم الاخضر يدفعون سرير دينا بسرعة عبر الردهة. ثم توقفوا عند باب "العناية الفائقة" وادخلوا السرير في الغرفة. واستطعت ان ارى خصلات شعر دينا الحمراء قبل ان تختفي عن ناظري. وحدثت نفسي قائلا: "انها على قيد الحياة!" ثم كررت بصوت عال: "انها على قيد الحياة!"

وفي الثامن عشر من سبتمبر (ايلول) بعد الحادث بثلاثة اسابيع، رخص لنا بان نحمل دينا ونضمها الى صدورنا للمرة الاولى. وبعد اربعة ايام عدنا بها الى بيتنا.

ان دينا لا تعي اليوم ما حدث لها. ولولا التورم الخفيف وندب الجرح في باطن فخذها الايسر لما كان هناك اي دليل على وقوع الحادث. لكن سوزي وانا نتذكر جيدا ما حدث، نحن، وبعض الاصدقاء، وربما ايضا عدد من الذين كان لهم الفضل في انقاذها. فاليهم جميعا اوجه ما كتبته هنا، فهو رسالة محبة وعرفان اليهم جميعا.

■ **برادفورد ديلمان**

(ممثل مسرحي وسينمائي امريكي شهير).

عندما وصل النقاش ليتولى دهان منزلنا، بدا عليه الأسف حين لاحظ ان والدي ضرير. وعلى رغم ذلك فقد دارت بين الاثنين محادثات طويلة وممتعة خلال الايام التالية، ولم تصدر من الرجل اي اشارة الى حالة ابي.

واخيرا انتهى العمل، وقدم النقاش فاتورته وقد اجرى فيها حسما واضحا. وحين سألته عن سبب ذلك قال وهو يضحك: "هذا من اجل ابيك. فلنقل انني حسمت مبلغا نظير ما خففه علي من عناء العمل". ب.ج.

كان صبي صغير يقوم مع اصحابه بلعبة رعاة البقر والهنود الحمر، فانضم اليهم تلقائيا كلب ضخم متحمس، لم يلبث ان اوقع الصبي ارضا، فجاءت امه مسرعة تسأله بلهفة: "هل عضك الكلب؟".

فقال الصغير باكيا: "كلا، لكنه تذوقني". ج.ب.

اتصلت سيدة بزوجها في عمله لتنبئه بان محرك السيارة قد تسرب اليه الماء.

فقال الزوج: "سأتصل بمن يصلحه، فاين السيارة الآن؟".

فردت الزوجة: "انها ترقد في النهر". ج.ب.

شارلي شابلن
أدخل الفرح
الى قلوب
الملايين



منذ عام غاب الكوميدي المتشرد الذي جعل من اضحاك الناس تقنية تتجاوز حدود البلاد واللغات.

ولد شارلي شابلن في لندن سنة ١٨٨٩، من اب سكير وام كادت ان تكون على عتبة الجنون.

اثنتان من سني حداثته قضاهما في بيوت البر ودور الايتام حيث عانى ضرب السياط والاذلال. لكنه، نتيجة لاحتراف التمثيل في السن الخامسة كولد شقي يتسكع في الشوارع خالي الوفاض، اصبح، في السن الثامنة والعشرين، احد اوائل نجوم السينما الاميركية ذوي الملايين.

وكممثل وكاتب ومخرج ومنتج للافلام الصامتة في مطلع القرن العشرين، نال شهرة لتشخيصه دور "المتسكع الصغير" المتجول ابتغاء للتسول او السرقة، في اعمال من الطراز الاول مثل "الذراعان المتدليان"، "الولد"، اضواء المدينة"، "الهجوم على الذهب"، "العصر الحديث". وحين مات في الثامنة والثمانين، كانت ثروته ٤٠ مليون دولار، وكان، كما كتب احد النقاد، "قدم اكبر مقدار من الفرح والضحك الى اكبر عدد من الناس - وهو ما لم يفعله اي شخص آخر حتى الآن".

ان شارل سبنسر شابلن، المتشرد الكوميدي الصغير الذي واجه، في الوقت نفسه، مقدارا عميقا ومأسويا من الظلم والاضطهاد، نال اعجاب الناس في كل جزء من الكرة الارضية.

فأفلامه الثمانون لا تزال تعرض في استمرار. وحتى اعماله الكوميدية التي تعود الى ١٩١٤ و١٩١٧ لا تزال تعرض على اساس تجاري، اي ليس كآثار متحفية بل كاعمال تسلية حديثة. وهي هي هذا تتفرد على الصور المتحركة التي تعود الى ذلك الوقت. ويقدر ان ٣٠٠ مليون شخص شاهدوا كلا من اعمال شابلن الكوميدية.

(ثيودور هاف، "مجلة بيوغرافر")

لولا صوت امه - عبقرية شابلن كممثل كانت واضحة منذ البداية. وهو كتب في سيرته ما يأتي:

"انا مدين لتدهور حال الصوت لدى امي في ظهوري الاول على المسرح في الخامسة من عمري. وكانت امي تحيي الحفلات في مسرح متخلف، يقدم ضروب التسلية، خصوصا للجنود. وكان هؤلاء زمرة مشاكسة، تنتظر اوهى المبررات للاسترسال في السخرية.

واذكر انني كنت واقفا في احد اطراف المسرح، حين بح صوت امي واستحال الى ما يقارب الهمس. فاخذ النظارة يضحكون ويطلقون صيحات الاستهجان، مما اضطر امي الى التنحي عن خشبة المسرح. وما كان من المدير، الذي سبق ان رآني امثل امام اصدقاء امي، الا ان فاتحها في مسألة السماح لي باستكمال دورها. واذكر انه قادني باليد وسط الجلبة، ووجه الى الجمهور بعض الكلمات الايضاحية وتركني وحدي على الخشبة. ووقفت قبالة اضواء الخشبة الامامية، والوجوه المتوهجة وسط الدخان، وبدأت أؤدي اغنية يعرفها الجميع.

وفي منتصف الاغنية انهمر وابل من النقود على خشبة المسرح. فتوقفت على الفور واعلنت انني سألتقط قطع النقود اولا، ثم اعود الى الغناء. فأثار كلامي موجة من الضحك. وبعدها تكلمت الى الجمهور، ورقصت، وقمت بعدة تقليدات، منها تقليد امي وهي تغني لحنها العسكري الايرلندي. ولدى تكراري لازمة النشيد، قلدت بمنتهى البراءة صوت امي الاجش، ودهشت للوقع الذي احدثه على الجمهور. فقد علا الضحك والهتاف، ورميت بقطع نقد اخرى. وعندما تقدمت امي الى المسرح لتأخذني، اثار حضورها تصفيقا حادا. وشهدت تلك الليلة ظهوري الاول على المسرح وظهور امي الأخير".

كانت شخصية "المتسكع الصغير" التي خلقها شابلن، ذاك الحدث الذي استهل به عمله السينمائي الضخم الذي استمر ٥٢ سنة. فقد ولد المتسكع سنة ١٩١٤، اي بعد اربع سنوات من هجرة شابلن الى امريكا. ويروى ان منتج شابلن الجديد ماك سينيت، كان يبحث عن شخصية روائية فذة، او زي بارز او طراز له طابعه الخاص لكي يصب فيه شابلن الخام ويستخرج منه شابلن النجم. وادار شابلن نظره في حجرة الملابس المسرحية، فرأى سروالا ضخما متدليا على كرسي فأخذه وهو، الذي يزن ٦٠ كيلوغراما، ولبسه، وتزنر بخيط. وارتدى ايضا سترة ضيقة جدا كانت معلقة بالقرب منه، وتناول قبعة مستديرة سوداء، صغيرة جدا هي الاخرى. ثم وضع شاربين مستعارين، مقصوصين الى حد يمكن معه ان يتلويا بسهولة. وجاء دور الحذاء، فوجد زوج احذية ملفوفا عند موضع الاصابع، وهو من الكبر بحيث ان الطريقة الوحيدة لثباته في الرجلين كانت لبس حذاء اليسار في الرجل اليمنى وحذاء اليمين في الرجل اليسرى.

(جو بولاك في "سان لويس بوست دسباتش")

ضحكوا ... ففهمت - ويضيف شابلن في سيرته:

"لم تكن لدي فكرة عن شخصية البطل، ولكن ما ان ارتديت ملابس التمثيل واضفت الماكياج الى وجهي حتى رأيتني اغدو ذلك الشخص المنشود. ورحت اشرح لسينيت ان "هذا الشخص، كما تعلم، متعدد الجوانب. فهو متسكع ورزين، وشاعر وحالم ومتوحد وشغوف بالمواقف الغرامية والمغامرات الفروسية، ويود ان يقنعك بانه في وقت معا عالم وموسيقي ودوق ولاعب بولو (لعبة رياضية تمارس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية). لكنه، في الوقت نفسه، لا يعف عن التقاط اعقاب السجائر او انتشال قطعة حلوى من يد طفل. واذا قضت الحال فهو، بلا شك، يرفس سيدة في المؤخرة، ولكن في حالات الغضب الشديد!". وبينما كنت اتكلم، كان سينيت يقهقه حتى اخذ جسمه يهتز. واشار علي بان اصعد الى الخشبة وارى ما يمكنني فعله.

وفيما كنت اصعد الى المسرح زلت بي قدمي وتعثرت برجل سيدة، فاستدرت ورفعت قبعتي معتذرا. ثم عدت وتعثرت بمبصقة، فرفعت قبعتي لها ايضا. وراح الواقفون وراء الكاميرا يضحكون. وفهمت انني

أجدت والشخصية نجحت"٠

فيلم "المتسكع"، الذي بدأ عرضه سنة ١٩١٥، يعتبر باكورة اعمال شابلن الممتازة، ويبقى احد اهم هذه الاعمال٠ وهو اول فيلم يلقحه شابلن بعناصر العطف والشفقة التي بقيت تحتل اهمية قصوى في معظم افلامه اللاحقة٠ وقد تجرأ شابلن على اختتام تلك الكوميديا بنهاية "حزينة"، وهو امر لم يكن له مثيل في تلك الايام٠

في دور "المتسكع" ينقذ شارلي فتاة من عصابة لصوص، فيكافأ على ذلك بوظيفة في مزرعة ابيها٠ ويعود اللصوص الى سرقة هذا المزارع فيهزمهم شارلي، لكنه يصاب برصاصة في رجله٠ وتتولى الفتاة تمريضه، فيشعر وكأنه في منتهى السعادة الى ان يصل حبيب الفتاة الوسيم٠ وحزينا، يربط شارلي صرته الصغيرة وينطلق من جديد في طريق التشرد٠ ونراه في المشهد الانتقالي مديرا ظهره للكاميرا وسائرا باكتئاب في طريقه الطويل٠ وفجأة يتوقف، ويهز كتفيه كمن يفكر، ويقلب عقبيه، ثم يسير متمهلا ومرحا في اتجاه الافق٠

(ثيودور هاف)

اشهر شخص — على مَ ترتكز شعبية شابلن الهائلة؟

ان شهرة شابلن ترتكز على عنصر قوي من المطابقة بينه وبين تحسس الجمهور٠ فهو جسد شيئا كان معظم الناس يودون لو امكنهم التعبير به عن ذواتهم، اي المرونة لدى ابتلائهم بالشدائد، والرغبة، ان لم نقل العزيمة، في مقاومة الظلم، والترنح بالعواطف المشبوبة٠ وكان لمظهره المتشرد وللرقة التي اوحاها اثر في ايقاظ عطف النساء جميعا٠ كذلك هو ابهج الرجال برشاقته ومهارته في مقاومة اعدائه٠ وقد جسد شارلي هذه الصفات الانسانية، لكنه استطاع، فوق هذا كله، ان يثير الضحك لدى كل انسان٠

الى هذا، كان الكل يعرف ان شارلي نفسه، في نظر اولئك الاكثر فقرا بين جمهوره، كان مثالا حيا لقدرة الانسان على غلبة الشدائد واكتساب الملايين الطائلة، مع آيات التقدير والاعجاب بل والتملق من كبار الاغنياء وذوي الالقاب وزعماء الدول، فغدا اشهر من اي شخص في العالم٠

(رودجر مانفيل في "بيوغرافر")

في العام ١٩١٦، وقع شابلن على اتفاق يجني بموجبه ٦٧٠٠٠٠ دولار في السنة٠ لكن هذا الاثراء المفاجىء لم يغير شيئا في طريقة حياته٠

ومع انه لم يفارقه الخوف ابدا من ان يفتقر مرة اخرى، فقد كان يصرف المال بلا حساب على الاشخاص الذين يحبهم، من دون ان يكون متهورا في حياته الشخصية٠ واصبحت الطمأنينة تعني له ان يأكل حين يشاء، وان يكون له مكان يطوف في ارجائه، مدندنا الحان التانغو القديمة، وعازفا على الاكورديون٠ وكانت الطمأنينة تعني له ايضا الا يقيده تقويم زمني او تضايقه شخصية من شخصيات هوليوود العالية النغمة٠ وغالبا ما كان النجوم الجدد يجرحون في كبريائهم من جراء عدم اكتراثه لشهرتهم او حفلاتهم٠ واذا كان مدعوا الى حفلة انس وسمر او الى حفلة موسيقية، واعترضه كتاب او صديق، فالمرجح ان ينقطع عن الحفلة٠

(اليستير كوك في "اتلانتيك مانثلي")

جامع الادوار — لقد بلغ شابلن مرتبة الكمال، فاخرج وانتج وكتب وحرر والف موسيقى أفلامه. ويتذكر المخرج روبرت باريش عندما اراد، وهو صغير، ان يتمرن مع صديق له على دوريهما في "اضواء المدينة" وكانا يلعبان دور بائعي صحف يطلقان حبوب البازلا من بندقية خاصة على شابلن، وهو يساعد الفتاة العمياء الجميلة، فرجينيا شيريل، في عبور الشارع.

ارانا شابلن كيف كان لنا ان نمشي، وان ندير العصا، وان نمس طرف القبعة، وان نبتسم لفرجينا شيريل، وما الى ذلك. ثم اصبح هو فرجينيا شيريل، الفتاة الجميلة العمياء، والمتسكع في الوقت نفسه، قافزا من مكان الى آخر وهو يدير عصاه ويضع يديه امام عينيه "المطفأتين".

ولدى مروره من امامنا، رفعنا، اوستن جويل وانا، بندقيتينا لاطلاق حبوب البازلا، فقال شابلن: "لا... انتظرا!" وتوقف فجأة عن كونه المتسكع والفتاة العمياء، وتحول الى بائعي صحف يطلقان حبوب البازلا من بندقيتيهما. وكان يطلق حبة ويركض متظاهرا بانه اصيب بها، ثم يعود ويطلق اخرى. واصبح اشبه ما يكون بالدرويش، يؤدي الادوار جميعها ويستعمل معينات الاخراج: مبصرا وهازا عصاه كالمتسكع، ضريرا ومغرا بالجميل كالفتاة العمياء، مطلقا حبوب البازلا كبائعي الصحف. وبعدما حقق كل شيء بنجاح، رد الينا دورينا على مضض. وكان شعوري انه يؤثر القيام بجميع الادوار منفردا.

("النشوء في هوليوود")

ابو الثمانية — ان حياة شابلن الشخصية دُوِّنت بتفصيل مثير عبر ثلاثة طلاقات ودعوى ابوة شهيرة خسرها في النهاية. وفي ١٩٥٢، عندما كان يزور بلده الام بريطانيا، الغت حكومة الولايات المتحدة الترخيص له بالعودة الى امريكا، على اساس اتهامه بالفساد الخلقي والتعاطف مع الشيوعية. وقد كتب في سيرته: "خطيئتي الضخمة كانت ولا تزال انني غير ملتزم. ولكن على الرغم من كوني غير شيوعي، فانا ارفض الموافقة على ما يفعله الآخرون او يرغبون في فعله، عن طريق كره الشيوعيين..."

ومنذ حادثة ١٩٥٢ حتى آخر حياته، اتخذ شابلن مقرا له في فيلا قائمة على مساحة ١٥ هكتارا وتشرف على بحيرة جنيف في سويسرا، حيث عاش مع زوجته الرابعة اونا اونيل (سابقا)، ابنة الكاتب المسرحي الامريكي يوجين اونيل. وكانا قد تزوجا سنة ١٩٤٣، عندما كان شابلن في الرابعة والخمسين والآنسة اونيل في الثامنة عشرة. وانجبا ثمانية اولاد.

(ج. سميث في "الواشنطن بوست")

الدنيا حظوظ — كأب، كان معرضا لان يكون مرهقا للغاية. فهو عديم الصبر مع الأولاد، ويؤمن بالطاعة والمثابرة والعمل الشاق والعادات الحسنة، وأن يكون الاولاد مقرين بالجميل ويسلمون حقيقة بان اهلهم يعرفون ما هو الافضل لهم. ويعبر شارلز جونيور عن هذا بقوة: "ابي لا يدع اطلاقا واحدا من الاولاد يتصرف على طريقته الخاصة".

وكان من عادته ان يلبس ثيابا

رديئة بقصد التخفي، ويصطحب ابنيه شارلز جونيور وسيدني الى "شارع السقوط" في لوس انجلس، وهو منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة ووكالات الاستخدام التي يألفها العمال المهاجرون والسكيرون والمتشردون، مشيرا الى اولئك المنبوذين وبيئتهم البائسة. ويعود بالولدين الى البيت ليلقي عليهما الدرس الآتي: "انظرا كم انتما محظوظان".

(جيرولد فرانك في "لايديز هوم جورنال")

الاجلال والتكريم – لقد كانت حياة شابلن طافحة بما هو مجرد امنية لمعظم الناس: الغنى، والشهرة، والتسلية الخلاقة، والنساء الجميلات. لكنه لم يعرف كيف يتمتع بأي من هذه الاربعة.

(ماكس ايستمان في "لايديز هوم جورنال")

مع التقدم في السن زادت الاسقام. فكان شابلن يوضع على كرسي ذات عجلات، خائر البصر والكلام والسمع. لكن سني حياته الاخيرة تميزت ايضا بمظاهر الاجلال والتكريم. ففي ١٩٧٥ انعمت عليه الملكة اليزابيت الثانية بلقب فارس (سير). وفي ١٩٧٢ دخل هوليوود مرة اخرى دخولا مظفرا لتسلم جائزة اوسكار خاصة به، مكافأة له على "اثره الذي لا يقدر في جعل الصور المتحركة الشكل الفني لهذا القرن".

(ج. سميث في "الواشنطن بوست").

ففي، سويسرا، ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧: مات شارلي شابلن، الغلام اللندني الرث الثياب الذي اصبح فنانا خالدا لتصويره مجابهات الانسان المبكية – المضحكة مع القدر تصويرا سينمائيا. وقد توفي خلال نومه، في عزبته المطلة على بحيرة جنيف. وكان له من العمر ٨٨ عاما. وقال طبيب العائلة ان شابلن "مات من الشيخوخة، بهدوء وامان". وحصلت الوفاة في الرابعة فجراً، بضع ساعات قبل بدء احتفال العائلة التقليدي بعيد الميلاد.

(يونايتدبرس انترناشونال)

حين كان يعمل، كان يخلق شيئا اكثر من محض الافلام... كان يخلق الحياة كما ارادها ان تكون: حياة ملؤها الضحك والحب، الاحلام والآمال، الفقر والقسوة، ولكن حيث النهاية دائما سعيدة، وان لم تكن اكثر من مسيرة على طريق الغد.

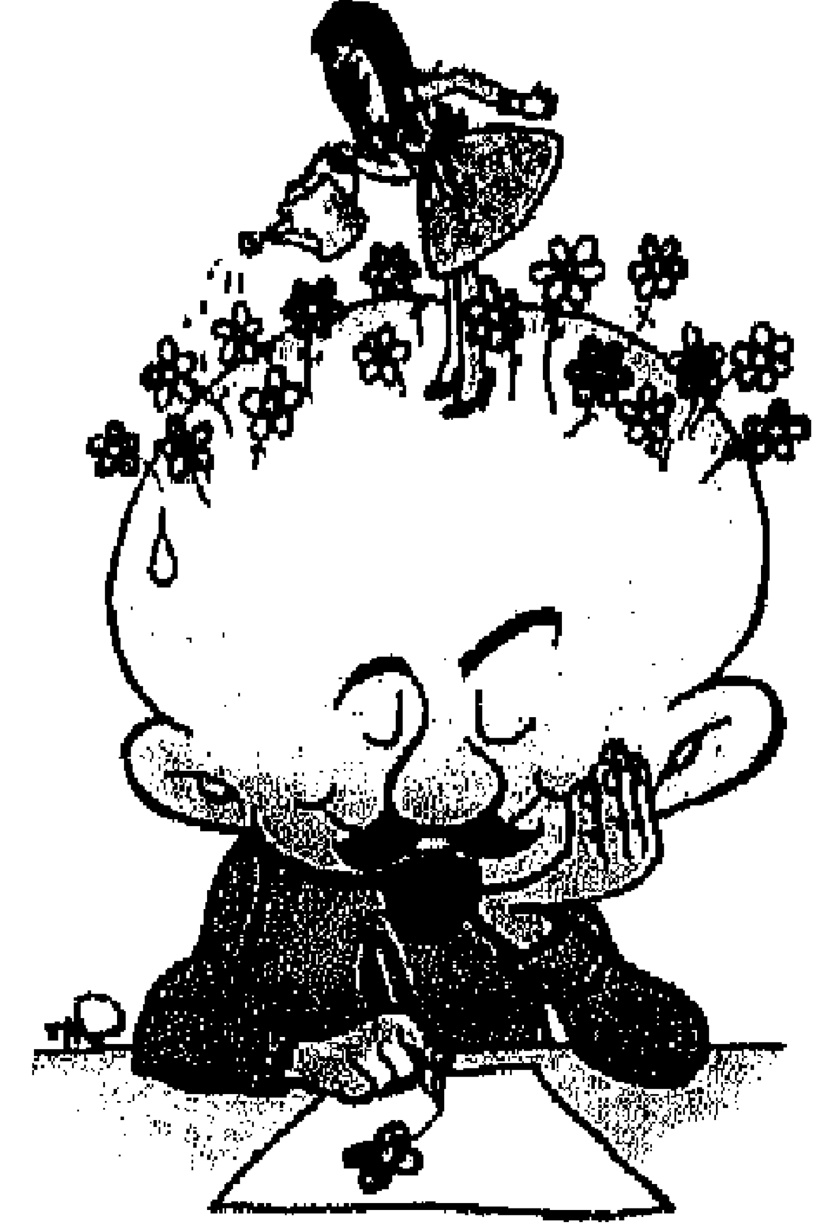
(دنيس غيفورد في "بيوغرافر").



اللعب بالاسماء

يرى الزائر القادم الى مكتب النائب الامريكي توماس كايندنس عبارة "حاول قليلا من اللطف" منقوشة نقشا بهيا على جدار المكتب. ويوضح النائب تلك الكلمات حين يقول: "ذلك شعار حملة انتخابية قديمة. اما لهذا العام فان هيئة المكتب تفكر في الشعار الآتي: "اللطف يؤدي الغرض".

والطريف في الامر ان اسم عائلة النائب تعني بالعربية "اللطف".



حديقة افكار

- انا ضد اصحاب الملايين ولكن من الخطورة ان تعرض علي هذا الموقف.

مارك توين

- البشاشة مثل الربيع، تتفتح بها الازهار الكامنة في الانسان.

جان بول ريختر

- ذكرى الزواج هي الاحتفال بالحب والثقة والتعايش والتسامح والتماسك. ويختلف هذا الترتيب باختلاف السنوات.
- من غالى في قلة ثقته بالآخرين استحق لنفسه اقل الثقة.
- حالما تظن انك تخرجت في مدرسة الخبرة، راح شخص آخر يفكر في فرض درس جديد.
- تبادل القليل من اللطف والمودة بين شخص وآخر افضل من حب يتسع للانسانية بكاملها.
- اذا شئت ان تستعيد صباك فجرده من الاباحة.
- الرغبة في الشفاء هي جزء من العلاج.
- اللجنة المثالية تتألف من شخصين اثنين، او اربعة او ستة ممن ليس لديهم وقت، وشخص واحد يشاء ان يدير الامور بطريقته الخاصة.
- الاعتذار خير الوسائل للاحتفاظ بالكلمة الاخيرة.
- استقبل الافكار بترحاب يليق بالملوك، فربما كانت احداها هي الملكلة.
- الغرباء اصدقاء لم تقابلهم بعد.
- نصف الفن هو ان تعرف متى تتوقف.
- كلما فعلت اكثر، كلما اصبحت اكبر.
- لولا المتفائلون لما عرف المتشائمون مقدار تعاستهم.
- شرط السفر الممتع ان يكون لك مقر مريح تغادره وتعود اليه.



حكاية صبي وكلبه : حقيقة حلوة ومريرة

لولا الحب...

وجدناه مع بقية المواشي في المزرعة التي اشتريناها. ولم يخطر في بالنا ان نحتفظ بذلك الكلب الاسود المجنس الغزير الشعر، بل جل ما كنا نريده هو اقتناء جرو صغير من الكلاب الحارسة ندربه للعمل في المزرعة ويصبح رفيقا لابننا تيم البالغ الخامسة من عمره. لكن اصحاب المزرعة السابقين اغفلوا اصطحاب كلبهم معهم وتخلفوا عن العودة لاخذه

فلم نجد مفرا من الاحتفاظ به مع اعتقادنا ان الامر سيكون موقتا. وقلت لزوجي كارل الذي يعلم في احدى المدارس: "لعلنا اذا تجاهلناه غادرنا ومضى الى سبيله". لكن الحيوان الضخم لم يفعل ذلك وراح يتصرف وكأن مسؤولية المزرعة ملقاة على عاتقه. فهو يخرج يوميا فيالفجر ليتفقد المواشي ومباني المزرعة ثم يجول جولة استطلاعية

كاملة في هكتاراتها الخمسة والعشرين (٦٠ فدانا)٠ وعندما ينتهي من ذلك، يمضي متواثبا عبر الحقول المنحدرة، ويخرج زاحفا من تحت السور لكي يقوم بزيارته اليومية للسيد غوليف العجوز، الذي يعيش قرب الجدول الصغير عند حافة المزرعة٠

وقد عرفنا من السيد غوليف ان اسم هذا الكلب الضخم "سبع الليل"٠ وهو بدا مهموما ومتباعدا بنفسه خلال الاسابيع الاولى، كئيبا، لاختفاء سيده السابق، فلم يطلب العطف من احد ولم نقدم اليه نحن من جانبنا اي عاطفة باستثناء ابننا تيم، الذي كان يجلس ساعات على درجات الباب الخلفي وهو يتحدث برقة الى الحيوان الذي لا يبدي اي استجابة٠ حتى حدث ذات صباح ان زحف "سبع الليل" مقتربا من الصبي ووضع رأسه في حجره، ولم ندر بما حدث، الا بعد ان اصبح "سبع الليل" ظلا ثانيا لابننا تيم، لا يفارقه على الاطلاق٠

قضى الصبي والكلب ذلك الصيف باكمله، يتواثبان عبر الحقول ويتجولان في الغابات المجاورة ويكتشفان جحور الثعالب وغيرها من الحيوانات ويعودان كل يوم محملين بالمغانم لاقتسامها معنا٠ فكان تيم يصيح لدى اطلالته: "ماما، ها نحن قد عدنا!"، وهو يفسح الباب المكسو بشباك السلك ليمر منه "سبع الليل"، ثم يستطرد: "تعالي، انظري ما احضرناه!" ثم يغرز يديه في جيوبه ويعرض محتوياتها على طاولة المطبخ: ريشة طائر جميل وزهور شقائق نعمان ذابلة ذات وريقات تشبه الدهان المبتل، وبضع حصوات من جدول المياه تسترد الوانها في ما يشبه السحر حين يلعقها بلسانه٠

وسرعان ما حل شهر سبتمبر (ايلول) فذهب كارل وتيم الى المدرسة، واصبحت الايام حافلة بالوحدة لي ول"سبع الليل"٠ وكنت قبل ذلك قليلة الاهتمام بالكلب، فغدا الآن يصحبني الى صندوق البريد، والى حظيرة الدجاج وعبر الممر الضيق الطويل حين اذهب لزيارة السيد غوليف٠

القطة في فراشه - وفي احدى العشيات، سألت غوليف: "لماذا لم يرجع اصحاب "سبع الليل" لاسترداده؟ فأجاب: "لماذا؟ ليحبسوه في شقة في المدينة؟ ان سبع الليل كلب مزرعة وقد يموت ان هو ذهب الى المدينة٠ وفضلا عن ذلك، فمن حسن حظكم ان يبقى لديكم"٠

من حسن حظنا؟ تواردت على ذهني خواطر مؤسفة عن الثقوب المحفورة في الساحة المعشبة، والملاءات المغسولة المنزوعة من مناشرها، والكراكيب الملقاة على العتبة الخلفية: من عظام قديمة واحذية عتيقة رماها اصحابها وقوارض ميتة وعلب البيرة! ففي كل صباح كان "سبع الليل"، وهو عائد من زيارة السيد غوليف، يحمل علبة بيرة فارغة من جانب الطريق ويضعها معتدلة على عتبة الباب٠ وكان كثير الضوضاء ايضا، يتابع كل سيارة نقل وجرار على الطريق بنباح عال يجعلني اهرول اليه لارى ما الخبر٠

وعلى رغم ذلك، فلا مفر لي من الاعتراف بان "سبع الليل" كان كلب مزرعة ماهرا٠ وقد ادركنا ذلك في اوائل الربيع، عندما لفتنا نباحه

المتواصل الى نعجة على وشك الولادة، وقد وقعت في حفرة على ظهرها العريض وعجزت عن النهوض. ولولا انذار "سبع الليل" لماتت. وكانت له طريقة عجيبة للتحسس بوجود الكلاب الضالة التي تهدد القطيع، او بشرود نعجة من اغنام القطيع.

وذات صباح لم يحضر "سبع الليل" علبة البيرة المألوفة، وانما احضر بدلا منها قطة رمادية صغيرة يستبد بها الجوع ووضعها على عتبة الباب واخذ يتجول حولها بقلق بينما كانت تبدو هي مثل كرة صغيرة من الفراء وهي تلعق اللبن الدافىء حتى الشبع. وحين انتهت، حملها الى البطانية التي ينام عليها في حظيرة الماشية واخذ يلعق جسمها كله باتقان لينظفها، ثم قبع بجانبها عندما استغرقت في النوم. ومنذ ذلك اليوم اصبحت القطة تشاركه فراشه.

ولكن اعمق مشاعر الحب في قلب "سبع الليل" كانت من نصيب تيم. وفي عشية كل يوم، عندما كانت حافلة (اوتوبيس) المدرسة تقعقع على الطريق، كان "سبع الليل" يركض في ابتهاج للقائها. وكانت تلك اروع لحظات اليوم كله عند "سبع الليل" - وعند تيم كذلك.

وذات يوم من اواسط اوكتوبر (تشرين الاول) كنت في المدينة، فمررت على المدرسة واصطحبت تيم بعد انتهاء الدراسة في سيارتنا. وحين وصلنا الى الممر المؤدي الى البيت ولم نجد "سبع الليل" في انتظارنا، بدت على تيم بوادر الذعر. فقلت له: "لا تقلق يا تيم. ان سبع الليل ينتظرك ان تعود دائما في الحافلة ونحن قد وصلنا مبكرين. ولعله قد عاد يتمشى على حافة الغابة".

وجرى تيم في الممر الضيق وهو ينادي بلا انقطاع، وبينما كنت انتظر عودته رحت ابحث في الساحة فلم ار اثرا ل"سبع الليل"،فاستولى علي الجزع.

وفجأة تملكني الانزعاج فجريت الى حظيرة الماشية وتيم في اثري ودفعنا الباب الثقيل وبحثنا في ظلام الحظيرة الرطب فلم نعثر على شيء. وفيما كنا نهم بالخروج تناهى الى سمعنا عواء خافت باك صادر من ركن بعيد في مربط احد الخيول فوجدناه هناك يترنح قليلا على ثلاثة ارجل وعيناه الغائمتان بالالم تلتمسان الغوث. وعلى رغم الضوء الخافت، استطعت ان ارى ان احدى رجليه الخلفيتين تتدلى بلا حول، وقد انفصمت عظمتها انفصاما جزئيا، فصدر انين خافت من تيم وجرى نحو "سبع الليل" يدفن وجهه في عنقه.

وحين وصل الطبيب البيطري كان زوجي كارل عاد من عمله. فوضعنا الكلب على بطانيته ورفعناه برفق الى محفة الاسعاف. وعوى "سبع الليل" في الم، فبدأ تيم يبكي. وقال الطبيب البيطري: "لا تجزع يا بني. فامامه فرصة جيدة للنجاة". لكن عينيه كانتا تحكيان قصة مغايرة.

هل يعود غدا؟- كان وقت نوم تيم قد حان، فاخذته الى الطابق الاعلى من البيت حيث غرفته واستمعت الى تضرعاته. وحين انتهى منها نظر الي وسألني: "هل يعود سبع الليل الى البيت غدا؟".

قلت: "ليس غدا يا تيم، فهو مصاب بجرح بالغ".

قال: "لقد قلت لي ان الاطباء يعيدون الصحة الى الناس. افلا يشمل ذلك الكلاب ايضا؟" فنظرت من النافذة عبر الحقول التي يغمرها ضوء عنبري اللون. كيف السبيل الى افهام صبي صغير ان لا مفر لكلبه من ان يموت او ان يعيش عاجزا؟ وقلت في النهاية: "نعم يا تيم. اعتقد ان ذلك يشمل الكلاب ايضا." ولففت حوله الاغطية ثم نزلت الى الطابق الاسفل.

كان كارل قد انهى نصيبه من العمل المنزلي وتأهب للخروج الى اجتماع في المدرسة، فوضعت رداء صوفيا على كتفي، وقلت: "سأذهب الى بيت غوليف، فلعله يعرف ما حدث".

ووجدت العجوز جالسا الى طاولة مطبخه في الضوء المتلاشي، فتناول كرسيا آخر لاجلس عليه، وقدم الي فنجانا من القهوة، وسأل: "هل تيم في فراشه؟ انني افتقده الآن بعد ان انتظم في المدرسة. ومن حسن الحظ ان سبع الليل لا يزال يأتي لزيارتي، وان خطر لي انه لن يأتي هذا الصباح، فساورني شيء من القلق عليه".

ولسبب ما، انعقد لساني دون الحديث عن الكلب، وبدلا من ذلك سألته: "هل تعلم اذا تولى احد اليوم قطع الحشائش؟"

فأجاب غوليف: "يبدو لي انني سمعت صوت جرار على بعد، بجانب الجدول هذا الصباح. لماذا؟ "ونظر الي متسائلا: "هل حدث شيء لسبع الليل؟" قلت وحلقي يغص بالكلمات: "نعم. لقد قطعت ساقه تقريبا، وجاء الطبيب البيطري واخذه..." واردت ان اقول اكثر من ذلك، ولكنني عجزت. واخيرا همست: "ان الظلام يهبط، والافضل ان اعود الى البيت".

وتبعني غوليف الى الساحة امام بيته وقال في تردد: "في خصوص سبع الليل، اذا عاش فارى ان اعطيه فرصة، فهو لا يزال ينعم بصحبتكم وصحبة تيم، والمزرعة والمواشي وكل ما يحبه. وبعد، فالحياة غالية.. خصوصا حيث وجد الحب".

قلت: "نعم. ولكن اذا فقد ساقه، فهل الحب يعوضه عجزه؟"

فقال شيئا لم اتبينه، ولكني حين استدرت اليه كان قد خلع نظارته واخذ يمسح عينيه بقفا يده العجوز المتصلبة.

وحين وصلت الى ساحة بيتنا كانت الشمس قد غربت، وخلفت العالم لسحر رطيب رقيق من الفضة والظلال، فمشيت الى حظيرة الماشية ووقفت مسندة ذراعي الى اعلى السور. وكانت الجياد وراء الممر تتهادى نحو الغابة وهي ترعى الكلأ في اثناء سيرها، فراقبتها حتى اختفت كالاشباح في الضباب المشبع بضوء القمر الذي يملأ المرج، ثم اسندت رأسي الى ذراعي واطلقت العنان للدموع...

بكيت لان "سبع الليل" كان بالغ الرقة مع المواشي، ولانه يحب تيم حبا لا مزيد عليه، ولان تيم يبادله هذا الحب. لكن اكثر ما ابكاني هو انني لم اكن في الحقيقة اريده حتى تلك اللحظة، عندما اصابته هذه الكارثة، ترى لماذا يندر ان نعرف مدى حبنا للشيء الا عندما نواجد فقده؟

ولم يكن في الامكان انقاذ "سبع الليل". وعاودتني الذكريات. وهو

يجري عبر الحقول والمروج، سريعا حرا وكأنه ظل سحابة. وترددت في اذني المتشائمتين كلمات الطبيب البيطري وهو يحاول ان يطمئننا بقوله: "انه صغير السن وقوي، ولن تصعب عليه الحياة بثلاث قوائم".

وتلقى تيم النبأ بهدوء مدهش، وقال: "لا بأس. المهم ان يعود سبع الليل الى البيت".

فقلت احذره: "لكن تلك الجولات الطويلة التي اعتدتما ان تخرجا فيها معا سترهقه الآن".

قال: "لقد كان دائما ينتظرني حتى الحق به، وسأنتظره الآن بدوري حتى يلحق بي. وفضلا عن ذلك، فليس هناك ما يدعونا الى العجلة"

الحنين يمرضه - وزارنا الطبيب البيطري بعد ايام قليلة وقال: "يحسن بكم ان تسترجعوا كلبكم لان الحنين الى البيت يسقمه". فذهبت على الفور وصدمني التغيير الذي بدا على "سبع الليل": فقد خبا النور في عينيه وتدلى ذيله كالخرقة البالية بينما كانت الجدعة الباقية من ساقه ملفوفة برباط مبقع بالدم. وما ان رآني حتى جاء عارجا الى جانبي، واتكأ الى ساقي في عياء. وسرت رعشة في جسده الساخن النحيل، ثم تنهد تنهيدة طويلة عميقة مليئة باحاسيس التعاسة والوحدة التي انزلتها به الايام القليلة الماضية.

ولدى وصولنا الى المزرعة، ساعدت "سبع الليل" على الخروج من السيارة، اقبلت القطة الرمادية الصغيرة مسرعة لاستقباله تنساب خلال اوراق الشجر المتناثرة ولكنه لم يبد انه شاعر بوجودها. وتوجه اولا بانظاره الى الاغنام وهي ترعى في المرج، ثم مد بصره عبر الحقول المكسوة بقمح الشتاء الاخضر الى الغابات التي يلونها الخريف، حيث كانت الجياد المرقشة بضياء الشمس تتنقل بين الاشجار. وامتلأ قلبي الما حين لمست مدى حنينه الى هذا المكان. واخيرا، سار متطلعا الى الحظيرة وانزلق بين مصراعي بابه الثقيلين.

وبينما كان جرح "سبع الليل" يلتئم، بقي يلازم الحظيرة، ولا يبرحها الا في الامسيات، حين تميل اشعة الشمس الغاربة عبر الحقول وتأتي الجياد لتشرب، فيظل واقفا الى جوار المسقى الى ان تعود الجياد الى المرج، فيؤوب مختفيا في الحظيرة.

وقد تملكني شعور اليم طيلة تلك الايام، وكنت اقول لنفسي: "انه جبن منك ان تتركيه يعيش. فانت تخافين ايذاء مشاعرك ومشاعر تيم". ولكني لم اتأكد من ذلك في اعماقي، وقلما يعرف المرء الاسباب الحقيقية لما يفعله، ولما يمتنع عن فعله.

وبعد اسبوع تقريبا من عودة "سبع الليل" كنت اقلب اوراق الشجر في ساحة البيت، وحين انتهيت من ذلك تحت شجرة الاسفندان (القيقب)، جلست على درجات العتبة لاستريح. كان جو الخريف مثاليا في ذلك اليوم وكان طريقنا الريفي شبيها بنفق ذهبي، وازهار شجيرات السماق تتدلى كاللهب المنخفض على طول المرج الجنوبي، فمددت يدي من دون حماسة للعمل كي اتناول المدقة المسننة لتقليب التربة والعشب. ثم احسست بهبة خفيفة في كومة اوراق الشجر واذ بـ"سبع الليل" يقف الى

جانبي. فركعت واخذت امسح شعره بيدي فعاد لامعا ناعما مرة اخرى. ولما تحرك ولاحظت ساقه الضائعة، تملكني الم شديد، وقلت: "انني لشديدة الاسف، يا سبع الليل". وطوقت عنقه بذراعي، واسندت رأسي الى رأسه فجلس في حرجي جلسة مربكة ووضع كفه على ركبتي ونظر الي بعينين وديعتين ذكيتين. وبعد لحظة ارهف اذنيه وادار رأسه صاغيا، ولم يلبث ان انطلق ليستقبل حافلة المدرسة. كان يعدو وفي هيئة معوجة تعوزها الرشاقة، ولكنه كان يعدو بابتهاج.

ووثب تيم من سلم الحافلة العالي وتلقى الكلب في احضانه، وصاح: "اوه، يا سبع الليل، يا سبع الليل". واخذ "سبع الليل" يلعق وجه تيم وهو يتلوى ويتأوه فرحا واغتباطا. وبقيا على هذه الحال بعض الوقت، متناسيين كل شيء الا نشوة الاجتماع مرة اخرى.

وتبينت وانا اراقبهما، كم كنت مصيبة اذ تركت الكلب يعيش. فنحن جميعا مخلوقات الله، ومن منا لم يصبه بعض التشويه الجسدي او العاطفي، ويندر بيننا من يريد ان يموت. ولقد عبر عن ذلك السيد غوليف خير تعبير عندما قال:

"ان الحياة غالية.. ولا سيما حيث وجد الحب".

■ **اليثا جين ليند ستروم**



الحصان يعرف مصلحته

استبد القلق باحد المزارعين على حصانه بسبب الطعام الذي يقدمه اليه اصحاب النيات الطيبة من الزوار القادمين لقضاء اجازاتهم، فعلق على السور لافتة كتب عليها: "ارجو عدم تقديم الكعك والفطائر الى الحصان. التوقيع: صاحب الحصان".

وبعد فترة قصيرة، ظهرت تحت اللافتة الاولى لافتة اخرى تقول: "ارجو عدم الاكتراث بما تقوله اللافتة اعلاه. التوقيع: "الحصان".

الاسماك والتماسيح

ذهبنا لنسبح على شاطىء صغير قرب مصب نهر زامبيزي في موزامبيق، فسألنا صبيا يصطاد السمك على صخرة قريبة ما اذا كانت ثمة اسماك قرش مفترسة في مياه تلك المنطقة، فاجابنا بلهجة تبعث على الشك: "كلا!".

ولم نابه كثيرا للامر، فوثبنا الى الماء واستمتعنا بالسباحة بعد الوقت، ثم انتابني القلق، فعدت أصيح بالصبي: "هل انت متأكد من انه ليست هناك اسماك قرش في هذه المنطقة؟".

فاجاب: "كلا، لان اسماك القرش تخاف من التماسيح!".

ف.ب.

وصفت احدى السيدات مشهدا مأسويا في فيلم رأته لتوها، فقالت: "هناك على قمة التل وقف البطل الوسيم، وقد تطاير شعره في مهب الرياح بينما كبرياؤه منعته من الجري وراءها!".

س.ا.ا.

تمارين تساعدك على الاسترخاء

اليكم طريقة بسيطة وفعالة للتخفيف من حدة الانفعالات الناجمة عن التوتر المفرط.

تمارس الدا تروي وظيفة مرهقة في احد اقسام المشتريات الشديدة الزحام. ولقد اعتادت الشكوى من الصداع لدى عودتها من العمل كل يوم. كان هذا الشعور ينتابها مع تزايد ضغط العمل بعد الظهر، ثم يتصاعد حتى يبلغ اقسى مراحله في فترة انتهاء العمل، ويظل ملازما لها طوال المساء، كما تقول.

اما اليوم فقد طرأ تغيير كبير على حياة الدا بعدما استفادت من برنامج تعليم الاسترخاء الذي نظمته جامعة ولاية بنسلفانيا، بالاستناد الى اعمال ارنولد لازاروس، استاذ علم النفس في جامعة راتغرز. وقد بدأت ماريان ووكر، وهي مدرسة فن التمريض، في اعداد هذا البرنامج على شكل سلسلة من دروس الاسترخاء كعلاج مضاد للتوتر.

تقوم اساليب هذا البرنامج على خطوات بسيطة وفعالة يمكن تعلمها وتطبيقها بسهولة في المنزل.

ليس الاسترخاء البسيط امرا سهلا في متناول معظم الناس. وقلما يجدي المرء، وهو في حالة مثيرة للانفعال، ان يعظ نفسه بضرورة عدم الانجرار للغضب. وهكذا فكثيرا ما ينتابنا الشعور بالانهاك ونحن في غمرة المتطلبات الوظيفية والعائلية والمشاكل الاخرى التي يفرضها علينا محيطنا، وما التوتر الا استجابة طبيعية في مواجهة هذه المتطلبات لكنه يؤدي الى شل العضلات ورفع ضغط الدم وتعريض صحة الانسان لجملة امراض يسببها او يزيد من حدتها الضغط العصبي، كقرحة المعدة وصداع الشقيقة وامراض القلب والتهاب المفاصل وآلام الظهر، حتى داء السكري.

بيد ان اتقان الاساليب التي تقترحها السيدة ووكر كفيل بان يعلم كل شخص طريقة "اخماد" التوتر والقلق حسبما يشاء. ويمكن تطبيق هذه الوسائل في اثناء معاناة الفرد لحال مؤدية الى الانفعال، كما يمكن اتباعها في شكل منتظم للتخفيف من ضغوط الحياة اليومية. وفي كلا الحالين يمكن تحقيق مجموعة من الفوائد السريعة والدائمة الاثر، حسب تعبير السيدة ووكر.

المفصل والمختصر : لكي تتعلم هذه الاساليب في المنزل، عليك ممارستها في غرفة هادئة. وللوصول الى تطبيقها المثالي لا بد لك من قضاء ثلاثين دقيقة يوميا خلال ثلاث فترات تمتد كل منها على اسبوعين. ولكن اذا لم تتمكن من التفرغ اكثر من بضع دقائق يوميا، يمكنك الوصول الى نتائج مفيدة بفضل برنامج مختصر. ومن الممكن لمن يمارس التمارين ان يقرأ التعليمات بنفسه في فترة تطبيقها او ان يهتدي الى من يقرأها له او ان يتبع طريقة التلاميذ في تسجيل التعليمات على اشرطة والاستماع اليها وهو يمارس التمارين.

تنصب تمارين فترة الاسبوعين الاولين على توضيح الفارق بين الشعور بالتوتر والشعور بالاسترخاء. وحسب تعبير السيدة ووكر، "ان هذه التمارين تجعلك اكثر يقظة تجاه التوتر المتسلل الى جسمك. وهي بمثابة مقدمة لابراز الطريقة الآلية الطبيعية للتخلص منه".

اما الاسبوعان اللاحقان فيركزان على الوسائل الذهنية التي يمكنها مساعدتك في ازالة طبقات التوتر والقلق "هنا تبدأ بادراك قدرتك على الاسترخاء لمجرد تفكيرك في ذلك"، وهذا يعني تحقيق الاسترخاء عند الحاجة اليه.

وتتجه فترة الاسبوعين الاخيرين الى التركيز على ايقاظ المشاعر المسترخية، سواء كنت جالسا او واقفا او سائرا "والغرض من ذلك هو تمكينك من الاسترخاء حيثما كنت، وفي اي وضع كنت"، كما توضح مديرة البرنامج. وتضيف: "ان الامر شبيه، الى حد كبير، بقيادة السيارة، اذ يكون المرء واعيا كل ما يقوم به في البدء، لكن العملية تغدو تلقائية في اثناء الممارسة".

المرحلة الأولى : استلق على ظهرك في غرفة مظلمة واغمض عينيك طارحا ذراعيك الى جانبيك. لتكن ساقاك في وضع مستقيم. ضع الوسائد تحت العنق والركبتين والقدمين اذا كان ذلك يبعث فيك الراحة. ارخ او اخلع الملابس المقيدة كالاحذية والاحزمة والياقات الضاغطة. ثم ابدأ بعملية متناوبة يتتابع عبرها تقلص اجزاء جسمك وارتخاؤها بحيث يتم التركيز على جزء معين كل مرة. خلال عملية تقليص العضلات، حاول ان تتركها مشدودة قدر الامكان مبقيا على هذا الوضع لفترة تقارب نصف دقيقة. بعدئذ ابسط عضلاتك ببطء شديد، متحسسا الارتخاء النامي.

وفي ما يأتي السياق المقترح لحركات التقلص والاسترخاء:

- ☐ اطبق قبضتي يديك باحكام.
- ☐ اثن الذراعين وكلا المرفقين وشد قويا العضلات ذات الرأسين في اعلى الذراع.
- ☐ جعد جبينك حتى تشعر بالتوتر تحت جلدة رأسك.
- ☐ اعبس بشدة حتى تتقلص كل عضلة في وجهك.
- ☐ اغلق جفنيك باحكام.
- ☐ صر على اسنانك وتحسس التوتر يدب في فكيك وخديك وعنقك.
- ☐ اضغط لسانك على سقف فمك.
- ☐ ادفع ذقنك نحو صدرك واحن رأسك الى الامام.
- ☐ ارفع كتفيك حتى تلامسا اذنيك.

توقف قليلا عند هذا الحد، وتحسس دبيب الاسترخاء من اخمص قدميك حتى رأسك، الى العنق والكتفين.

☐ وجه اهتمامك الآن الى الاجزاء الوسطى. خذ نفسا عميقا، واحتفظ به قبل ان تزفره ببطء. كرر هذه العملية.

☐ قلص عضلات بطنك قدر المستطاع، من دون ابتلاعها الى الداخل.

☐ اجذب معدتك الى الداخل وابق عليها كذلك.

☐ قلص ظهرك وابقه كذلك اطول مدة ممكنة.

توقف ثانية عند هذا الحد، وعاود التفكير في الاسترخاء الزاحف من رأسك، مرورا بكتفيك فالذراعين. تخيل مشاعر الاسترخاء هذه تتغلغل في الصدر والظهر والبطن.

☐ركز ساقيك وقدميك واضغط كلا الكعبين بقوة على الارض.

☐ وجه قدميك واصابعهما في اتجاه معاكس للرأس ما امكنك ذلك.

توقف هنا وتأمل هذا الشعور بالاسترخاء المنطلق من اصابع قدميك ليتسلق جسدك. تخيل التوتر الذي كنت ستشعر به لو كانت ساقاك مرفوعتين بالفعل. ويمكنك الاسترسال في حالة الارتخاء طوال الفترة التي ترغب. واذا ما عاودك الاحساس بالتوتر ثانية، فحاول استعادة شعور "الارتخاء" الذي خبرت.

المرحلة الثانية : استلق بوضع مريح في غرفة مظلمة وتنفس بعمق مرات عدة. خلال عملية الزفير البطيئة تأمل الاحساس الدافىء والعميق والمهدىء الذي ينتشر عبر جسدك. فكر في تلك الموجة من الدفء تغمرك في تعاقب بطيء، منتظم.

ومع كل عملية زفير، اقض بعض الوقت متأملا في كلمة "استرخاء"، ولتكن هذه منطلقا لكلمات اخرى مثل: هادىء، ساكن، صاف، دافىء، مستريح، مستكين... توقف بعد كل عملية محاولا ربطها بالشعور بالاسترخاء. اختر كلمتين يبدو مفعولهما اكثر تأثيرا عليك وردهما ببطء قرابة عشرين مرة حتى تعمق استرخاءك. وتبرز السيدة ووكر اثر هذه العملية اذ تقول: "ان مجرد التلفظ بتلك الكلمات مع نفسك يوقظ فيك مشاعر الاسترخاء وان كنت في وضع متوتر. ولكن لا بد لك من الممارسة لكي تصل الى ذلك".

انصرف، بضع دقائق، الى تخيل هذا الاسترخاء منتشرا ببطء عبر جسدك، حيث يبدأ عند الجبهة وينتهي باصابع القدمين. وفكر في ما ينطوي عليه من احاسيس اذ يتسلل من عضلة الى اخرى او من منطقة الى اخرى.

تخيل لوحة كتابة فارغة، ثم ابدأ بوضع ارقام متسلسلة من واحد الى عشرة. ومع ظهور كل رقم عمق استرخاءك عبر استرجاع الاحاسيس التي اوحت لك بها كل كلمة حافزة (دافىء، هادىء، ساكن). فما ان تصل الى العدد عشرة حتى تكون غمرتك حالة استرخاء تام.

المرحلة الثالثة : أبدأ جلستك اليومية بالاستلقاء في وضع مريح على الظهر. وتنفس بعمق مرات عدة، متأملا دبيب الاسترخاء في انحاء جسدك. استخدم ما اخترت من كلمات حافزة في محاولة للتوصل الى الهدوء

حتى يأخذ شعور التوتر بالانحسار. وعند ذاك يمكنك الانتقال الى الخطوات الآتية:

□ تخيل منظرا مريحا لاعصابك، كأن يكون ساحلا مشمسا او كوخا وسط غابة او امسية يتساقط فيها الثلج او بحيرة على سفح جبل او جلسة جنب موقد. واصرف بضع دقائق متأملا المنظر فسترى انه تكونت لديك "صورة شخصية للاسترخاء" يمكنك اللجوء اليها الى جانب الكلمات الحافزة الرئيسية، للتخلص من حالات التوتر، وذلك حين تغدو خبيرا في الاستجابة لها.

□ اجلس على كرسي في وضع مريح، واغمض عينيك ملقيا ذراعيك الى الجانبين. ارفع كل ذراع على حدة ثم ارفع الاثنتين معا. استشعر التوتر الناجم عن رفعهما عاليا، ثم دعهما تسقطان جانبا. عليك بتكرار العملية، على ان يصاحب رفع الذراعين تنفس عميق، في مقابل زفير يصاحب سقوطهما. وانتبه الى ضرورة بقاء جسدك مسترخيا في اثناء رفع الذراعين.

□ انتصب وحاول استعادة الشعور بالاسترخاء، وبخاصة عند الكتفين والبطن والدراعين. سر مسافة قصيرة مجيئا وذهابا مع ابقاء عينيك مغلقتين، مؤرجحا ذراعيك بلطف. وهنا حاول اخماد اي توتر قد يدب بالتصاعد.

تنفس ببطء وانتظام في اثناء وقوفك ساكنا، ولاحظ انتشار الاسترخاء بطيئا عبر جسدك. استعن بما انتقيت من كلمات حافزة لتعميق هذا الشعور.

□ استلق واختبر كم يلزمك من الوقت كي تستعيد الشعور بالهدوء. استحضر في ذهنك "صورة الاسترخاء الشخصية"، صارفا قرابة دقيقة في تأملها.

لعلك ستكتشف ان هذه المراحل تتفاوت في مدى فائدتها لك. فذلك ما يجده سائر الطلاب ايضا. عند ذاك عليك اتباع المرحلة التي تعطيك نفعا اكبر، كما تنصح السيدة ووكر. لكنك لن تتعرف الى الجزء ذي المزايا الاكبر في تحسين اوضاعك او في جعلك تستجيب للضغوط بهدوء اكبر، الا بالممارسة اليومية. ولا بد من مضي فترة قبل ان ينبئك ايقاع جسمك نفسه بحاجتك الى هذه الاساليب.

■ شارل وبوني ريمزبرغ



معادلة شخصية

سألت الام ابنها البالغ من العمر اربعة عشر عاما عن سبب استهوائه الرفيقة المقربة اليه، فقالت: "ما الذي يجذب هذه الفتاة اليك؟" فأجاب: "انها تفكر في انني جميل، مرح، ذكي، موهوب، وراقص ممتاز".

- وانت، لماذا تهواها؟

- لانها تفكر في انني جميل، مرح، ذكي، وموهوب، وانني اجيد الرقص.

هذه دراسة رائدة تلقي اضواء جديدة على عتاة المجرمين وتقترح اسلوبا لتغيير عقلية البعض منهم ·

هل يمكن التغلب على عقلية الاجرام!

ماذا عسانا نفعله لمجرم يدمن الاجرام مثل شارلي؟ فأن حياته المسلكية لا تنطبق عليها اي من النظريات الاجتماعية والسيكولوجية المعروفة والمقبولة على نطاق واسع، في ما يتعلق بأسباب الجريمة واساليب معالجتها · فهو من اسرة متوسطة متماسكة، يسودها التآلف بين الوالدين واولادهما الثلاثة · بل ان اثنين من اخوة شارلي الاصغر منه سنا متخرجان في الجامعة ويعيشان عيشة المواطنين والموظفين الجادين ·

اما شارلي، فقد اصبح مجرما محترفا · وكان، وهو طفل، كذابا ولصا مشاغبا يهدد رفقاءه بشهر السكاكين، ويسرق السلع من المتاجر، ويسطو على المنازل ليلا، ويرتكب جرائم السطو المسلح، فضلا عن الاعتداءات والعشرات من جرائم الاغتصاب قبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره ·

ثم قضى تسعة اشهر في اصلاحية للاحداث، ولكنه لم يرتدع · وما ان بلغ السن الثامنة عشرة حتى كانت الجنايات التي ارتكبها تعد بالآلاف ·

وفي السن التاسعة عشرة قبض عليه بتهمة اللصوصية والاعتداء والاغتصاب · ولكنه تصنع الجنون فحكم عليه بالاقامة في مستشفى الامراض العقلية، حيث قضى عشر سنين، ثم افرج عنه، ووجد وظيفة مجزية كسمسار عقاري · بيد ان ذلك لم يثنه عن العودة خفية الى اسلوبه الاجرامي السابق في السرقة والسطو والاعتداء · وقبض عليه بعد ثلاث سنوات بتهمة محاولة اعتداء واغتصاب · وصدر ضده حكم مخفف بالبقاء قيد المراقبة مدة عشر سنين ·

وهو اليوم في السابعة والثلاثين، هائم على وجهه، يقترف عشرات الجرائم كل عام وكأنه قنبلة موقوتة قد تتسبب في هلاك شخص ما، اذا

لم يسجن مدى الحياة او لم يدهمه الموت قتلا .

ويدهي ان شارلي ، ومن على شاكلته ، يواجهون المجتمع بمشكلة هائلة . فثمة دلائل متزايدة على ان نسبة كبيرة جدا من الجرائم يرتكبها قلة من المجرمين العتاة من امثال شارلي ، وان نظام القضاء الجنائي قد اخفق اخفاقا ذريعا في الاهتداء الى امثال شارلي وعزلهم عن المجتمع ، وان نظام السجون الحالي عاجز عن اصلاح هؤلاء المجرمين او الاهتداء اليهم وحبسهم لكي يعيش المواطنون الصالحون في امان من براثنهم .

وقد صدرت اخيرا دراسة في ثلاثة مجلدات عن الشخصية الاجرامية استغرق اعدادها ، بتمويل من الحكومة الامريكية ، ١٧ عاما ، ويمكن اعتبارها كاعمق دراسة صدرت حتى الان عن شخصيات المجرمين من امثال شارلي . وان النتائج المذهلة التي كشفت عنها هذه الدراسة تبعث على القنوط من اصلاح معظم هؤلاء المجرمين العتاة . وكل ما يمكن عمله في المستقبل القريب ، هو ان نودعهم السجون مدى الحياة .

العقلية الضارية _ انشا الطبيب الدكتور يوشلسون في ١٩٦٠ عيادة للعلاج النفسي في بافالو في ولاية نيويورك ، وذاع صيته في الاوساط الطبية . فطلب اليه الدكتور ونفريد اوفرهولسر ، مدير مستشفى سانتا اليزابيث الحكومي للامراض العقلية في واشنطن ، ان يشرف على اجراء استقصاء واسع النطاق حول السلوك الاجرامي . ووافق يوشلسون على القيام بهذه المهمة بشرط واحد هو ان يطمئن المجرمون الذين يقابلهم الى ان ما يدلون به من معلومات لن يؤثر مطلقا على معاملتهم او مقاضاتهم او اطلاق سراحهم . وبذلك ، قلما تبقى لديهم ذريعة لتصنع المرض او التحسن او اخفاء الحقائق .

وفي غضون الخمسة عشر عاما التالية ، درس يوشلسون وزملاؤه ٢٥٢ حالة من حالات المجرمين العتاة ، من بينهم ١٦٢ بالغا و ٥٩ يافعا تراوح اعمارهم بين السادسة عشرة والواحدة والعشرين . وفي السنوات الاولى كان يقتصر اختيار المجرمين الخاضعين للدراسة على مستشفى سانتا اليزابيت فقط ، من بين النزلاء المفرج عنهم بدعوى الجنون . ثم تناولت الدراسة مجرمين مختارين من السجون ، ومن المفرج عنهم قيد المراقبة وبعد ذلك مجرمين من الشارع . كما تحدث القائمون بالدراسة الى اسر المجرمين وصديقاتهم ، وارباب عملهم ، وزملائهم .

وقد حاول يوشلسون ، في بادىء الامر ، تطبيق جميع النظريات المقبولة عن الاسباب الاجتماعية والنفسية للجريمة . كما جرب الاساليب التقليدية للعلاج النفسي والتحليل النفسي ، واجرى عددا من اختبارات الدم والهرمونات والكروموزومات ، في محاولة للاهتداء الى الاسس الفيزيولوجية لسوء السلوك .

ولكنه ادرك في عام ١٩٦٥ ، بعد انقضاء خمس سنوات على بداية تجاربه ، ان كل هذه النظريات والاساليب لا تؤدي الى شيء ، وخلص الى الاستنتاج الآتي :

ان مفاهيم المعالجة النفسية واساليبها لا تفلح مع المجرمين لان تشخيص العقلية في غالبية الاحيان .

ناشيء عن اختلاقات المجرمين انفسهم.

ومع ذلك، فقد استمر يوشلسون في محاولاته، فقرر في عام ١٩٦٦ تجربة اسلوب جديد مهم هو اسلوب "تيار التفكير" او تقرير "الظاهرات". فكان يقول للمجرم الذي تتناوله الدراسة: "انس الماضي وركز على الحاضر، واسرد افكارك كل يوم. وتصور ان عقلك متصل بكاميرا تلفزيونية تنقل افكارك وتسجلها. فسجل كل شيء بالتفصيل ثم اسمعني التسجيل غدا".

وقد تبين ان اسلوب "الكاميرا التلفزيونية" هذا مفتاح سحري يفتح مغاليق عقول المجرمين. فقد ظل هؤلاء طيلة سنوات "يحاورون" يوشلسون ويخادعونه بحكايات ملفقة وحيل شتى. اما هذا النوع الجديد المراوح بين سرد الماضي البعيد والحاضر القريب، فكان من الصعب ان يتسنى معه الايهام والتلفيق.

صورة الشر – وكان من الامور المذهلة التي اكتشفها يوشلسون، عند اصغائه الى المجرمين وهم يسردون افكارهم، كثرة مظاهر ضراوتهم واتساع نطاقها. اذ تبين له ان كلا منهم قد ارتكب عشرات بل آلاف الاثام قبل القبض عليه للمرة الاولى. واعترف له كل من المجرمين المئتين والاثنين والخمسين بارتكابه من الاثام ما يكفي لتبرير الحكم عليه بالسجن اكثر من ١٥٠٠ سنة. كما تبين له، فضلا عن ذلك، ان كلا منهم قد اقترف جرائم تندرج تحت الفئات الجنائية الثلاث: الملكية، والعرض والاعتداء على الارواح.

وفي ١٩٧٠، طلب يوشلسون الى اختصاصي الطب النفسي الاكلينيكي ستانتون سامنو ان يشاركه في الدراسة، فاتضح لهما ان تطور شخصية المجرم العتيد واحد في جميع الحالات سواء اكان من فئة الاوباش الذين يعتدون على الارواح ام من فئة الموظفين الذين يختلسون الاموال. فقد لاحظ الوالدان ان ابنهما الاصغر كان مختلفا عن سائر اخوته منذ نعومة اظفاره. وهو لفرط نشاطه البدني والعقلي، مع تمتعه عادة بذكاء متوسط او فوق المتوسط، يدمن "الاثارة" اي انه كان محمولا على افتعال المنكرات. وهو دائم القلق، سريع الغضب، لا يعجبه العجب، وهي طباع تلازمه طيلة حياته. وهو، حتى قبل التحاقه بالمدرسة، كان يسرق النقود من كيس امه ويكذب ويغش ويشاكس الآخرين.

ومع ذلك، فاكثر من نصف هؤلاء المجرمين العتاة ينتمون الى اسر راسخة تتوافر فيها عناصر الاستقرار واسباب الرعاية، اسر غنية واخرى فقيرة، ويأتون من احياء فقيرة وأوساط ثرية. وهم تعلموا منذ صغرهم التماس التبريرات لتصرفاتهم بلوم آبائهم او اعتبار انفسهم "من ضحايا البيئة" ناسين ان اخوتهم واخواتهم قد نشأوا في الظروف نفسها وعاشوا مواطنين صالحين.

وقد تبين ان المجرم العتيد يعزف دوما عن مشاعر الحنان فهو لا يتقبلها من الآخرين ولا يتحسس بها نحوهم. وهو لا ينتظر ان تأتي الجريمة اليه بل هو الذي يتوجه اليها عامدا متعمدا وغالبا ما يرتحل عن المنطقة التي نشأ فيها بحثا عن

"الاثارة" وعن احداث جانحين آخرين يقلدهم ويحاول التفوق عليهم. فهو يريد ان يكون الزعيم والاول.

وعندما يكشف امره ويقبض عليه، فانه يستمتع بالاثارة الناشئة عن تهربه من العقاب او نجاحه في تخفيف وطأته. وعندما يمثل امام القضاء الجنائي تراه يطالع كتب القانون ويتعلم الكثير عن الامراض العقلية فيصبح خبيرا في تصنع الجنون. وقد تدارس يوشلسون وسامنو اكثر من ١٠٠ حالة من المجرمين العتاة الذين برئت ساحتهم بسبب الجنون وانتهيا الى الشك في تشخيص اي حالة من حالاتهم.

واكتشف يوشلسون وسامنو ان وراء الصلابة التي يبديها المجرمون "الكبار" تكمن شخصيات ضعيفة وجبانة. وقد يتذكر آباؤهم انهم في صغرهم كانوا يخشون النوم في الظلام، ولا يتحملون اقل الم، ويخافون اكثر من غيرهم من الطبيب ومن الرعد والمرتفعات، و"الغول" والتأذي في العراك. بيد ان معظمهم يتغلبون على الخوف لئلا يسخر منهم الآخرون. ويتكون لدى كل منهم نوع من الحجاب الواقي يجعلهم في مأمن من الخوف وتأنيب الضمير عند ارتكاب الاثام.

ولعل اغرب ما اكتشف يوشلسون وسامنو هو ان كلا من المجرمين المئتين والاثنين والخمسين، لصوصا كانوا او سفاحين، يعتبر نفسه انسانا دمثا وطيبا ولطيفا. وعادة ما يقف مثل هؤلاء المجرمين، وهم في طريقهم الى ارتكاب جرائمهم، لمساعدة عجوز تعبر الطريق، ويهبون غنيمة سطوهم المسلح الى اصدقائهم المحتاجين. ولعل هذه الحسنات تساعدهم على خفت الوازع الداخلي عندهم، فتبعث فيهم بعض الارتياح لدى ارتكاب آثامهم.

برنامج التغيير — وبحلول عام ١٩٧٢، توصل يوشلسون وسامنو الى افتراض اساسي يختلف اختلافا جذريا عن الافكار السيكولوجية والسيوسيولوجية التقليدية، وهو "ان المجرم يستطيع ان يختار ويعمد الى اختيار اسلوب حياته بمطلق حريته. في تطلعه الى النفوذ والسطوة والاثارة. وهو، فضلا عن ذلك، يستطيع ان يغير نفسه اذا ما توافرت لديه الشجاعة والعزيمة الكافيتان لتحمل عواقب اختياره".

ولكي يؤكد يوشلسون وسامنو سداد اسلوبهما، فقد تخليا عن تسمية نفسيهما "اختصاصيين في المعالجة" واعتنقا لقب "معلم" اعتبارا لانهما يستهدفان تعليم هؤلاء المجرمين العتاة القيم والضوابط الاساسية التي يكتسبها الصغار تلقائيا قبل ان يصلوا الى الصف الابتدائي الثالث، واعلنا انهما يتخذان موقفا اخلاقيا سافرا.

وعملية تغيير انماط التفكير لدى المجرمين، طويلة ومملة. ففي المقابلة الاولية مع المجرم يبدأ المعلم الجديد على الفور بالمعلومات التفصيلية عن شخصية المجرم بما في ذلك مخاوفه وانطباعه على الكذب والسرقة والغش منذ نعومة اظفاره. ويجتهد المعلم في استثارة اشمئزاز المجرم من نفسه، فيصف له ضحاياه. فتكون هذه، بالنسبة الى معظم المجرمين، اول مرة يشعرون بانهم يجابهون صراحة تهمة الاجرام، ويسمعون فيها اوصافهم التي يعلمونها في قرارة انفسهم.

ويختم المعلم الدرس بتوجيه انذار

صارم الى المجرم قائلا له: "امامك ثلاثة اختيارات لا غير: فاما السجن واما الا... واما أن تغير نفسك. ونحن ... الوحيد الى النجاة، لاننا ... ان نعلمك كيف تغير نفسك. فلك الخيار ما شئت".

والواقع ان معظم المجرمين يهملون هذه الفرصة. ففي السنوات الاربع الاولى، اقتصر عدد الذين اختاروا على ٣٠ مجرما فقط، اي دون نصف العدد الذي عرضت عليه هذه التجربة، بيد ان هذه الاقلية ادت الى استنتاج مشجع، وهو ان المجرم اذا التزم باشتراطات برنامج "التعليم" يستحيل عليه الا يحقق التغيير الاساسي المطلوب.

في مايو (ايار) ١٩٧٦ اصبح ١٣ من المجرمين العتاة الثلاثين الذين تناولتهم التجربة، يعيشون كمواطنين مسؤولين لهموظائفهم وزوجاتهم وابناؤهم ويلتزمون الى حد كبير بالمعايير السبعة والثلاثين التي حددها يوشلسون وسامنو ضمانا لنجاح التغيير المنشود. بل يمكن اعتبار كثرة من المجرمين الآخرين الذين تناولتهم التجربة انهم اجتازوا هذه التجربة بنجاح اذا ما نعموا بتطبيق المعايير الاصلاحية التقليدية وهي التوظف، وعدم الوقوع مرة اخرى تحت طائلة القانون. ولكنهم سرعان ما واجهوا نواقص جديدة في امور مثل سوء التصرف المالي والافراط في شرب الخمر، والاكثار من تغيير الوظيفة والافتقار الى الحس بالمسؤولية في ممارسة الجنس.

"اشعر انني نظيف!" - ويقضي البرنامج الاصلاحي ان يلتقي المجرم المفرج عنه تحت المراقبة، لمدة عام كامل بمعدل ثلاث ساعات يوميا في مدة خمسة ايام اسبوعيا، "المعلم" هو واثنان او ثلاثة مجرمين آخرين، وان يمتنع عن شرب الخمر، ويظل وفيا لزوجته او خطيبته. ويجب عليه ايضا ان يجد عملا لنفسه، وعادة ما يكون عملا يدويا يمارس ليلا لاضطراره الى حضور الدروس نصف النهار، كما يجب عليه ان يطلع رب العمل على سجله الاجرامي.

ويسجل المجرم افكاره كل يوم في تقرير يبدأ بعرض ما تعلمه في اليوم السابق. واذا ما كذب المجرم او غش ففي وسع "المعلم" ان يعرف الحقيقة سريعا، بالتحقق منها من الاسرة او من صاحب العمل. وعندئذ يودع المجرم السجن من جديد.

ويتعين على المجرم، لدى التحاقه بالبرنامج، ان يمتنع عن الانزلاقات التي اعتاد عليها في حياة الاجرام. واما اذا تاق الى "الاثارة" فانه يعاني الكثير من اعراض الحرمان: كالدوار والصداع واضطرابات المعدة وارتجاج النبض والتعرق والارق والبكاء. ولكنه يتعلم. وقد تعرض احد المجرمين لنوبة من البكاء والارق طيلة عطلة نهاية الاسبوع، ولكنه سجل في تقريره شيئا جديدا يوم الاثنين اذ قال "احس بالانتعاش واشعر بانني نظيف". ومع الوقت، يستطيع "المعلم"، بالرجوع الى المعايير السبعة والثلاثين، ان يتحقق مما اذا كان المجرم قد تغير حقا.

وقد احتدم نقاش واسع حول التجارب الرائدة التي قام بها يوشلسون (الذي توفي في نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩٧٦) وسامنو، لما فيها من احراج لاساليب الصحة العقلية

والعلاج النفسي في مداواة السلوك الاجرامي فضلا عن استياء علماء الاجتماع الذين يعتقدون ان الاجرام ينجم عن الفقر وسوء المعاملة. ولكن هذه التجارب قد لقيت ايضا الكثير من الثناء. ويقول روبرت ب. ميلز استاذ علم النفس المسؤول عن برنامج اصلاح المجرمين في جامعة سينسيناتي في الولايات المتحدة: "ان دراسة "الشخصية الاجرامية" توفر لمستشاري الاصلاح مخططا اساسيا للبدء في عملية تأهيل جادة".

ويخطط سامنو حاليا لاجراء بحوث جديدة عن المراحل الاولى لحياة المجرم العتيد. وهو يقترح سلسلة من البرامج الرائدة لمواصلة عملية التغيير واختبارها، مثل احداث عيادات جماعية تعمل فيها فرق عدة من المعلمين والمعاونين يعالج كل منها في آن نحو عشرة من المجرمين المفرج عنهم والموضوعين قيد المراقبة. ولكنه يصر على ان من يخادع "المعلم" من هؤلاء المجرمين لا بد ان يعاد الى السجن من دون رحمة او شفقة، لان المجرمين العتاة لن يغيروا ما في انفسهم من ضراوة ما لم يجبروا على مواجهة البدائل المطروحة عليهم.

■ يوجين ميثنين



نوادر

الزبون لخادم المطعم: "احضر لي غذاء رجل اعمال". اما زوجتي فتكتفي "بغداء بسيط لربة بيت".

حمل الموظف في يده شيكا بمرتبه ودخل على رئيسه وقال: "في خصوص علاوتي يا سعادة المدير، كنت اظنها شيئا اقرب الى التضخم من هذا".

تلا الرجل صلاته قبل ان يتناول طعامه، وختمها بقوله: "وامنحنا يا رب المناعة من اثر ما يحويه هذا الطعام من المواد الكيميائية".

مشنوق مع وقف التنفيذ

هناك قصة قديمة عن قاض ريفي في مقاطعة ساساكاتشوان (في كندا)، كان عليه ان يحاكم رجلا متهما بسرقة زورق صغير من زوارق التجديف. وكان على القاضي ايضا ان يساعد الشرطي الذي اعتقل المتهم في صياغة الاتهام، نظرا الى عدم وجود ممثل للنيابة في المنطقة. واخذ القاضي يقلب صفحات القانون الجنائي حتى استقر رأيه اخيرا على أن سرقة القارب عمل من اعمال القرصنة، فكانت تلك هي التهمة التي وجهت الى الرجل. وفي المحاكمة، اعترف الرجل بانه مذنب، فعاد القاضي يقلب صفحات القانون الجنائي ليعرف العقوبة التي ينص عليها. وهاله ان يجد ان تلك العقوبة هي الاعدام. غير ان القاضي كان يملك نصيبا من التفكير السليم، فأمر المذنب بأن يقف، ونطق بالحكم الآتي: "انني احكم عليك بالشنق... مع وقف التنفيذ".

ا.ج.ب.

يني، طفل في الثالثة، ملح، لجوج، كثير المطالب والاسئلة، لكن قبلاته مفعمة بالرقة والحنان، وعناقه طافح بالنعومة والطيبة.

عندما يتعهّد الجد حفيده الصغير

كانت والدة الطفل منهمكة في ترتيب حياتها العملية، خارج البلد، فاضطررت الى رعاية طفلها البالغ من العمر ثلاث سنوات لفترة شهر. الطفل يدعى ينّي، وهو تصغير اسم "يوانيس" الذي سمي به تيمنا بجده اليوناني الأصل. اما انا - الجد الآخر - فيدعونني الآن "بوبي" وهو الفضلة التي بقيت من الأسم المصغر "بابو" الذي اختارته لي امه وكانت تناديني به منذ حداثة سنها.

نقيم الآن في منزل ريفي قديم، على ضفاف بحيرة حيث تزورنا الجدة الكريمة في عطلات نهاية الاسبوع، لدى انتهاء عملها في المدينة. والمشكلة العظمى تبقى تحضير الطعام.

فلست اذكر ان احدهم قال عني يوما انني اجيد الطهي. الا ان وجبة الفطور ليست بالامر الصعب، فينّي يهوى الكعك والحلوى على اصنافها، وهذه اشياء بتّ اجيدها الآن واحيانا ينقضي الامر معنا باكل البيض او الحبوب.

وتنحصر المسألة الكبرى في الهائة عندما انصرف الى ترميم الزورق. فهو يلتهي بتكويم الرمال لفترة قصيرة، ثم يلحّ عليّ في مشاركته في اللعب، ويشدد على استخدام كلتا اليدين، فنبادر الى المصارعة مثلا، (ويبدو انه يتقن هذا الفن) او نتقاذف الكرة (وهو لم يتقنها بعد) فاضطر الى التظاهر بضعف همتي التي باتت ضئيلة. الا ان الجدة قد احتاطت لهذا الامر، وهيأت لينني انماطا من

التسليات المشوقة، كأن تجلسه على طاولة صغيرة على مقربة ثلاثة امتار منها حيث يلهو بلعبته البلاستيكية ويصدر عنه سيل من الاصوات: كلام وتنهد وتلهف وصياح، تعكس ما يتحسس به من بهجة او حرمان.

ناموس الحياة المتبدل ـ عندما ننقل النفايات فيالعربة الصغيرة الى مقلب الاقذار، فالويل لي ان لم تكن البقرات فيُ مرعاها كالعادة، اذ وجب علي تعليل الامر تعليلا وافيا. ثم يتهلل بهجة لرؤية حصان، لكن ذلك لا يثنيه عن طرح الاسئلة وابداء التعليقات من دون ادنى انقطاع.

ولدى الانتهاء من تناول الغداء، يرفض قطعيا ان يأخذ سنة من النوم، الا ان الجدة بواسع حيلتها، استنبطت ما سمته "فترة الصمت والاسترخاء" فيتمدد كل منا على سريره، من دون تبادل الكلام. لكن بني كثيرا ما يغافلني ويختطف الدب الصغير المطروح الى جانبه ويمضي به مسرعا. وليس من النادر ان انهض واتعقب خطواته.

وكثيرا ما يقبل علي، بعد الظهر، بينما انجز بعض الاشغال، ويطلب الي بالحاح ان اساعده على دق بعض المسامير، فلا يسعني الا ان اشك له صفا من المسامير على لوحة مربعة صغيرة من خشب الصنوبر، ويأخذني العجب حين اراد يمسك المطرقة بكلتا يديه، ويدق المسامير بضربات متينة. ثم يتحول انتباهه بغتة الى شيء آخر. وفي بعض الاحايين يمسك بساقي ويشدني قائلا: "بوبي، اعطني قبلة" وليس هذا الا من باب الاغواء المدروس بكل دم بارد خصيصا لتفتيت قلب ابو الهول.

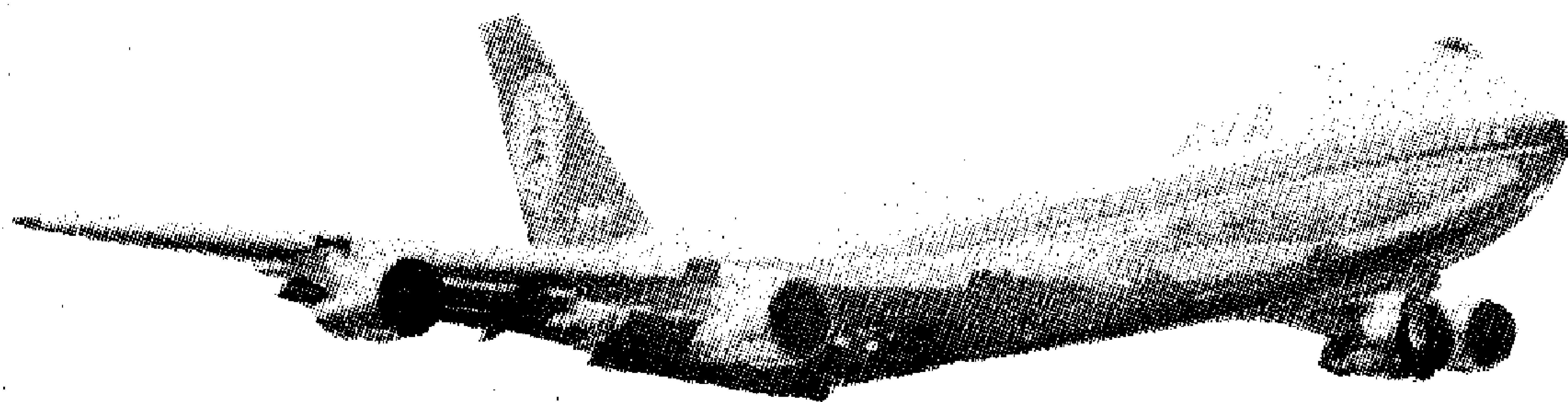
ثم نتوقف عن العمل قرابة الرابعة والنصف ونقصد البحيرة للاستحمام. والطفل شديد الحذر والحرص حيال الماء، ولكن يكفي لتخطي هذه المسألة ان تقذف بالكرة الى البحيرة فيهم، او بالاحرى يلح بسائلا، الى اللحاق بها. ولم يمض اسبوع حتى اخذ يسبح بيديه ورجليه ويتخبط في الماء ويجذف ولكن بمساعدتي بالطبع.

ليست الامور اضواء وانوارا، وليست الحياة مفروشة بالورود على الدوام. فعلى الرغم من التنبيه والتحذير خرج، وكأن امرا لم يكن، يتجول تحت وابل من المطر. ولدى عودته، قابلته بتأنيب شديد اللهجة وببعض الصفعات المدروسة على مؤخرته مما اثار لديه نوبة من الصراخ والعويل. لقد ذهبت بعيدا هذه المرة فشعرت بتأنيب الضمير، وتساءلت عما اذا انقطع الود بيننا الى الابد. ولم اعد احتمل الامر فما كان مني الا ان التقطته ورفعته، وهو لا يزال يبكي وينوح، وحاولت ان اشرح له الموقف، لكن الكلمات لم تكن ضرورية لانه، والحمد لله، لا يعرف الضغينة.

وما اعذب الهدنة بعد الخصام. وما اطيب قبلاته المفعمة بالحنان وقد شعرت بوقعها في نفسي اعذب مما بقي عالقا في ذاكرتي من قبلات وحنان اولادي الثلاثة لخمس وعشرين سنة خلت. ولكنني اذا تفحصت هذا الامر، وانا في حالة شعورية اقل حدة من حالتي هذه، لوجدتهغير مبرر. فهذا نمط من الشعور غير المنطقي الذي لا يستبعد صدوره عن قلب الجد، الا ان الفكرة تنباطأ في الظهور.

■ وليم. ب. بروير (الابن)

١٨ مركزاً تجارياً هاماً
في الشرق الأوسط
تنقلك منها واليها
طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية



أبوظبي
عدن
عمّان
انقره
بغداد
البحرين
بنغازي
القاهرة
الظهران
الدوحة
دبي
جدّة
الخرطوم
الكويت
لرنكا
مسقط
رأس الخيمة

بيروت

أتينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية



MEA

يربط أوروبا وأفريقيا بالشرق الأوسط

نحوَ عقلٍ يفوق عقل الانسان

التطور المدهش الذي حققته الادمغة الالكترونية بات يفرض ايجاد نماذج جديدة من البشر قادرة على التعايش مع "الاحياء" الاصطناعية.

ان ما قاله الدكتور صموئيل جونسون في عصر منصرم عن النساء اللواتي يقفن واعظات، يصلح قوله الآن عن الادمغة الالكترونية: فالمسألة ليست ان هذه الادمغة تفكر اقل كثيرا من الانسان، بل أنها تفكر فحسب.

ان الدماغ الالكتروني الاول لم يبق من حسناته سوى ذاكرته المذهلة وبعض مهاراته الحسابية. اما اليوم فقد اصبحت افضل النماذج المصنوعة مزوّدة بأسلاك كهربائية تمكنها من التعلم عن طريق الخبرة ومتابعة مناقشة معينة وطرح اسئلة وثيقة الصلة بالموضوع وكتابة شعر وموسيقى ممتعين. كما يمكنها التغلب على ابطال الشطرنج والقيام بنوع من المحادثات المتقطعة.

هذه صفات تضفي بعض الانس على الكمبيوتر: فهو يقلد الحياة وكأنه نسناس الكتروني. وكلما زادت هذه الآلات تعقيدا، تحسن التقليد، الى ان يمحي الخط الفارق بين الاصل والتقليد. ومن المحتمل في غضون ١٥ سنة او أكثر ان ننظر الى الكمبيوتر كشكل طارىء من أشكال الحياة.

وقد يبدو هذا الظن سخيفا للوهلة الاولى اذ ان الادمغة الالكترونية، من ناحية واحدة على الاقل، تنقصها دوافع الكائنات الحية وانفعالاتها. لكن الدوافع يمكن ان تبرمج في الدماغ الالكتروني كما فعلت الطبيعة

Condensed from Time (February 20 '78) Copyright by Time Inc
Time & Life Building Rockefeller Center New York N.Y

بأدمغة اسلافنا تجهيزا لهم لمعركة البقاء.

الانسان ملك - لقد غدت الادمغة الالكترونية تجاري الناس في القيام ببعض الادوار. وهي غالبا ما تفوق الانسان في الازمات التي تستدعي الاسراع فياتخاذ القرارات. فالدماغ البشري تطور عندما كانت حركة الحياة ابطأ منها اليوم، مما جعل فيه خللا سلكيا يحول دون استيعاب معلومات متعددة المصادر في وقت واحد، والاسراع في بتها... فاذا ما القمت الدماغ اشياء كثيرة في وقت معا، لجعلته يتجمد.

الانسان لا يزال مالكا زمام امره حتى الآن. لكن قدرات الكمبيوتر تزداد على نحو مدهش، في حين ان الذكاء البشري يتغير بطيئا، اذا كان يتغير على الاطلاق. ان قدرة الكمبيوتر تنمو على وتيرة أسيّة. فهي، منذ ١٩٤٦، ازدادت بمعدل عشر مرات كل ثماني سنوات. وهناك اربعة اجيال من الكمبيوتر توالت في تطور سريع، وسينزل الجيل الخامس الى السوق في الثمانينات. وعندما يظهر الجيل السادس في التسعينات، ستبدأ القوة الذهنية للعقل المصنوع من مادة "السليكون" في مجاراة العقل البشري.

في ذلك الحين، ستتعاون الآلات الخارقة الذكاء مع افضل العقول البشرية على حل جميع مشكلات العصر الخطيرة. وما الذي يحصل بعدئذ؟

ان رئيس كلية دارتموث (في هانوفر، ولاية نيوهامشير الامريكية)، جون كيميني، وهو احد رواد استعمالالكمبيوتر، ينظر الى العلاقة الاخيرة بين الانسان والكمبيوتر كوحدة تكافلية تنطوي على تعايش صنفين من الاحياء، يعتمد الواحد منهما على الآخر لبقائه. فالكمبيوتر - وهو شكل جديد من الحياة موقوف على الفكر الخالص - سينال عناية من شركائه الآدميين الذين سيُشبعون حاجاته الجسدية الى الكهرباء وقطع الغيار. وفي المقابل، سيلبي الكمبيوتر حاجاتنا الاجتماعية والاقتصادية.

شركة موقتة - غير ان هذه الشركة لن تدوم طويلا جدا. فذكاء الدماغ الالكتروني ينمو قفزا ووثبا، من دون حدود ضمن مرمى البصر، فيما يكاد التطور البشري يصبح فصلا منتهيا في تاريخ الحياة.

ان الدماغ البشري لم يتغير، على الاقل من حيث الحجم الاجمالي، في السنوات الـ١٠٠٠٠٠ الماضية. وكمية المعلومات والاسلاك التي يمكن حشرها في جمجمة محددة الحجم محدودة هي الاخرى.

بيد ان هذا لا يعني نهاية تطور الذكاء على الارض. فاذا بنينا حكما على الماضي، أمكننا ان نتوقع نشوء شكل بشري جديد من انسان اليوم، يتخطى انجازات هذا الانسان، كما تخطى هو انجازات سلفه، "الانسان المنتصب"، وليس سوى مغال في التعصب للقديم من سيفترض ان الشكل الجديد لا يتحدر الا من لحم الانسان ودمه. ذلك ان هناك احتمالا اقوى لان يكون الشكل الجديد للحياة العاقلة مصنوعا من "السليكون".

ان تاريخ الحياة يوحي بان هذا التطور للاحياء الجديدة سيستغرق قرابة مليون سنة. وبما ان غالبية الاجرام الكونية تفوق الارض قدما،

ليس بملايين السنين فحسب، بل بالمليارات فالحياة علىهذه الاجرام - اذا كان ثمة حياة - تكون قد تجاوزت المرحلة التي نتصدى لها منذ زمنبعيد.

ان مليار سنة حقبة طويلة في مجال التطور. فأرقى شكل من الحياة على الارض، لمليار سنة خلت، كان دودة. والحياة العاقلة في الافلاك الشمسية الاخرى، الاقدم من فلكنا، مختلفة عنا ولا شك، كما نحن نختلف عن الكائنات التي تعج في المستنقعات.

في أي حال، ربما أشبِع فضولنا قريبا. فهناك الآن فلك من الاشارات التلفزيونية يدور حول الارض بسرعة الضوء. وجيراننا (في الافلاك الاخرى) يعرفون اننا هنا، وأجوبتهم واردة في طريقها الينا. وسنتسلم رسالتهم بعد ١٥ او ٢٠ سنة، ونواجه مستقبلنا. فلا نتعجبن اذا كان على شكل "آرتو ديتو"، العلبية الذكية الجذابة، المحشوة بشرائح "السليكون".

■ روبرت جاسترو



البلاستيك يفني نفسه

اكتشف فريق من الكيميائيين في بيرمنغهام طريقة تجعل المواد المصنوعة من البلاستيك تضمحل من تلقائها بعد طرحها مع المهملات.

وبدلا من ان تظل الزجاجات والاكياس واللفافات المصنوعة من البلاستيك متناثرة على الشواطىء، وفي المنتجعات تنتظر ان يجيء عمال التنظيف لرفعها، فانها تضمحل وتختفي بعد بعض الوقت، فتتحول اولا الى جزئيات حبيبية، ثم تصبح هذه الحبيبات فريسة تبتلعها البكتيريا، وفي النهاية يختفي اثرها تماما.

وقد تحدث البروفسور جيرالد سكوت، رئيس فريق جامعة آستون الذي اهتدى الى هذه الطريقة، فاوضح ان هذا الاكتشاف الحاسم هو عبارة عن مجموعة من الاصباغ التي تضاف الى العجائن البلاستيك لدى طبخها فتجعلها بعد ذلك تضمحل بتأثير الاشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس المباشر. وقد كانت هناك جماعات اخرى من العلماء تعمل في الاتجاه نفسه، ولا سيما في كندا واسوج.

ويقول علماء بيرمنغهام ان هذا النوع من الاصباغ لا يتأثر بالاشعة فوق البنفسجية التي تخترق زجاج النوافذ، فلا خوف اذا منها على منتجات البلاستيك الموجودة على رفوف المطابخ او في واجهات المحلات التجارية، باعتبار ان عملية الاضمحلال لا تبدأ الا اذا تعرض البلاستيك مباشرة لضوء الشمس وبقي كذلك لمدة معينة.

والجهود المبذولةحاليا تستهدف تحسين هذه الطريقة بما يكفل تدمير البلاستيك خلال ثلاثة اشهر من التعرض لضوء الشمس في الصيف ومن الجائز ان تتدنى هذه المدة الى فترة لا تتجاوز اربعة اسابيع، اذا دعت الحاجة الى ذلك.

ولكي يطمئن اصحاب المحلات التجارية وربات البيوت الى عدم مفاجأتهم باضمحلال زجاجات البلاستيك التي تحوي المواد المنظفة وتحولها الى حبيبات، فقد احتاطت "طريقة بيرمنغهام" لهذا الامر وارفقت براءة الاكتشاف بوسيلة انذار مبكر في هذا الصدد. وفي صورة عامة فان الاصباغ الملونة تبدأ بفقد الوانها اولا قبل ان يبدأ اضمحلال البلاستيك بفترة معينة.

رحّالة الفضاء

الاستكشاف الذي تجاوز حدود كوكبنا لم يقتصر اثره على اسلوب حياتنا ، لكنه احدث ايضا تغييرا عميقا في طريقة تفكيرنا .

ثمة شيء حصل في السنوات العشرين الاخيرة ، يبزّ بالتأكيد كلّ شيء آخر حصل سابقاً ، وقبل كل شيء . فإن المؤرخين المقبلين سينظرون الى هذه المرحلة ويتذكرونها لا لأنها اتسمت بخطر الابادة النووية الشاملة ، او التفجّر السكاني ، او ازمة الطاقة ، بل لأنها المرحلة التاريخية ، التي بسط فيها الانسان المتململ ، الذي ينقصد الكمال ، راحتيه الى خارج جوّ الارض ، وشرع في استكشاف خفاياه ، فأصبحنا ، للمرة الأولى ، رحالة في ارجاء الفضاء .

ويقول بعض المؤرخين اليوم ان الاندفاع نحو الفضاء يمثل نقطة تحول في التاريخ . ويعتقد عالم الفلك والمؤلف كارل ساغان ان استكشاف الفضاء "سيغير التاريخ على نحو غير معكوس" . ومرة قال رائد الصواريخ ورنر فون براون ان التحليق الى القمر لم يكن ليقل عن خطى تضاف الى التطور البشري وتجعل الحياة قبلها مشابهة للحياة التي نشأت من البحر ووطدت نفسها على البرّ .

بيدّ ان موضوع الفضاء لم يثلج صدور الجميع الى هذا الحد . فالنقاد - وهم كثيرون - يقولون ان خوض الفضاء فرّط في استعمال موارد كان يجب تحويلها الى تغذية الناس واكسائهم وايوائهم . وفي حين لا يستطيع احد إنكار وجود عدد من القضايا الملحة التي لم تلق اهتماماً ، كما كانت الحال دائما ، لكن هذا ربما لا يعود امره الى نشاط الانسان المبذول لاستكشاف الفضاء . فالموازنة السنوية الخاصة بالادارة القومية للطيران والفضاء ، تقل عن واحد في المئة من مجموع الموازنة الامريكية الشاملة التي يذهب معظمها الى

شؤون الدفاع والصحة والتربية والانعاش الاجتماعي. وفي هذا الصدد، تقول عالمة الانتروبولوجيا مارغريت ميد: "ليس هناك ادنى برهان على اننا لو لم نهتم بمسائل الفضاء لكنا قمنا بعمل يفوقها قدراً في قيمته الانسانية". وكفانا ان نكون تعلمنا امثولة واحدة، وهي ان للبحث والاستكشاف طريقة رائعة في ردّ أتعابهما، اضافة الى دلالتهما على حيوية الانسان وحبه النّهِم للاستطلاع.

العالم يتوسع – وقد اتاح لنا هذا الفضول ان نشهد المنبسطات الواسعة لحفرة كوبرنيكوس البركانية على سطح القمر، وان نتفرس في سهول المريخ الحمراء وصدوعه العميقة. ويعتقد فيزيائي عصر الفضاء جيمس فان الن الذي اكتشف احزمة الارض الأشعاعية، ان عربة الفضاء المزدوجة "الرحالة" (فوياجر) التي اطلقت خلال صيف ١٩٧٧ سترسل معلومات من النظام الشمسي الخارجي، طوال السنوات الثماني المقبلة على الاقل، على مدى طريقها الى اورانوس. ومن الواضح ان معرفتنا بالطبيعة قد اتسعت رحابها، بحيث صار لزاما على العلماء الاحيائيين ان يوسعوا آفاقهم العقلية للبحث في شكل الحياة المحتمل على الكواكب الاخرى.

في هذه الاثناء، غدت بعض المردودات الناتجة من استكشاف الفضاء جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية. ففي حالة الاتصالات الفضائية، مثلا، اهتدينا الى تكنولوجيا تتيح تبديل الطريقة التي نتعامل بها بعضنا مع بعض، وطريقة تفكيرنا في ذواتنا وفي العالم. وان الاشارات التلفونية – التلفزيونية المنقولة عبر البحار، مع تضاؤل اصواتها وصورها التي تبدو كأنها مرسلة من مكان قصي، لم تعد بعد اليوم الطريقة المثلى في مجال الاتصال.

لقد اصبحت غالبية المكالمات الهاتفية وجميع البرامج التلفزيونية المذاعة عبر القارات والمحيطات تنقل عن طريق الاقمار الاصطناعية، وهكذا، اصبح في استطاعة المزيد من الناس الذين تفصلهم آلاف الكيلومترات ان يشاركوا في الاحداث وكأنهم يعيشونها، كالاحتفالات الرسمية والالعاب الاولمبية. لقد اقتضى مرور زهاء ثمانية اشهر على ابحار كولومبوس قبل ان تنجلي الآمال المعقودة عليه. ولم يصل خبر اغتيال لنكولن الى اوروبا الا بعد مضي اسبوع تقريبا على وقوعه. ولكن لم يلزم اكثر من ١،٣ من الثواني (وهو الوقت الذي استغرقته اشارة التلفزيون المتحركة في سرعة الضوء للوصول الى الأرض) كي يشاهد مئات الملايين رائد الفضاء آرمسترونغ في "وثبته العملاقة لمصلحة الجنس البشري".

الاقمار الاصطناعية – ومن المكافآت الاخرى التي جاءت عن طريق الفضاء، تلك الصور التي تبثها الأقمار الاصطناعية عن تكون الغيوم وحقول الرياح، بما لها من اهمية في التنبؤات الجوية. ولئن تكن هذه التنبؤات لا تزال اقرب الى الفن منها الى العلم، فقد افلحت الاقمار الاصطناعية – من بين اشياء اخرى – في تعيين امكنة العواصف العاتية وتيارات المحيطات الخطرة،

ومراقبتها، وانذار الناس والسفن باخلاء المناطق المهددة.

وهناك القمر الاصطناعي الخاص بالموارد الأرضية الذي لم يكن له ذكر في المخططات الفضائية الأولى. ولكن بعدما عاد رواد الفضاء بروايات عن حسن رؤيتهم للارض، فكر العلماء الجيولوجيون في ابتكار مجموعة "لاندسات" من الاقمار الاصطناعية المعدة لمسح الارض وتفحصها بدقة من خلال سلسلة من الصور الطيفية. فأخذت هذه الأقمار تدور حول الأرض ١٤ مرة يوميا، وترسل من نقطة ممتازة تبعد ٩٠٠ كيلومتر عن سطح الارض صورا بالراديو ساعدت في رسم الخرائط التفصيلية للمناطق النائية، وفي عمليات البحث عن المياه في الاراضي القاحلة، والتنقيب عن المعادن، ومراقبة المحاصيل والغابات.

اما الاستطلاعات العسكرية فقلما يتكلم عنها الناس، ظنا منهم انها امور سرية. لكننا نعرف ان الاقمار الاصطناعية الخاصة بهذه الاستطلاعات تعتمد تقنيات للاستشعار عن بعد تفوق تقنيات "لاندسات". والمراقبة التي تجريها هذه الاقمار من مدارات عالية، تشمل القذائف البالستية (الذاتية الدفع) ما بين القارات والتغييرات الرئيسية في خطط الدفاع وخرق اتفاقات الحد من الاسلحة. والحقيقة انه لولا وجود هذه الوسائل للمراقبة لما امكن التوصل الى اي اتفاق حول السلاح، ولما كانت اية دولة من الدولتين العظميين مستعدة لوضع ثقتها بالثانية.

هذا بعض المردود المباشر من استكشاف الفضاء، ناهيك بكاشفات الحريق المصممة لعربة "سكايلاب" الفضائية والتي اصبحت اليوم متوافرة للاستعمال المنزلي، فضلا عن صناعات معينة بأكملها. وقد ازدهرت بعض التقنيات الالكترونية المتناهية الصغر، على طراز المستنبتات الزجاجية، استجابة لمتطلبات الطيران الفضائي الجديد، واصبحت في عداد الصناعات الانمائية المتقدمة وذات اثر مطرد في حياتنا اليومية.

التصور الجديد للأرض - الا ان ما حدث في هذه السنوات العشرين يتجاوز وطء سطح القمر وكاشفات الحريق وإلفَتَنا الجديدة للنظام الشمسي. بل هو اعمق من هذه كلها، ان لم يكن الآن ففي غضون السنوات المقبلة. ذلك لاننا طبعنا في اذهاننا الآن تصورا جديدا مذهلا للأرض وللمكان اللائق بنا جميعا في الكون.

وحينما صورت الارض من مسافة القمر بدت صغيرة جدا وكأنها جوهرة في بحر المدى الاسود، بل شيء استثنائي لا نظير له. وقد كتب ارشيبالد مكليش على اثر تجربة "أبولو ٨": "اذا ما رأينا الارض كما هي في الواقع، رأينا انفسنا وكأننا نمتطي الأرض معاً".

وفي نظر العالم والكاتب رينه دوبو، ربما كانت تلك التجربة باعثا على تحول روحي ثابت، وصفه في كتابه "اله في الداخل" بأنه "لاهوت من الأرض". ويقول دوبو: "الى ان تحققت رؤية الارض من مسافة بعيدة، ظلت الفكرة القائلة بأن الانسان يستمد انسانيته من الأرض، وبان عليه ان يتعهد الارض اذا ما شاء هو الحفاظ على انسانيته، فكرة

مجردة وغير ذات معنى لغالبية الناس".

ويضيف: "ارى ان اعظم انجاز حققه ابولو كان تحويل تلك الافكار المجردة جميعا، مثل "ارض السفينة الفضائية" و"علم التبيؤ الكوني" (الايكولوجيا)، الى ايقاظ الوعي بوجود حقيقة فريدة حول الأرض وحقيقة فريدة حول الانسان. ومن شأن هذا التفرد الأرضي والتفرد الانساني ان يهيبا بالجنس البشري التحسس بشعور خلقي جديد".

ويقول دوبو، في تعبير عملي يتناول المدى الطويل، ان لاهوت الأرض الشمولي الجديد "بدأ يؤثر في البرامج الخاصة بالبيئة، ليس بالمعنى الضيق المنحصر في التلوث وانقراض الموارد، بل بمعنى النظر الى الكرة الارضية على انها وحدة بيولوجية متماسكة". ويضيف ان هذا تغير أساسي لانه "يحملنا على الثقة بأن في استطاعة الانسان ان يدرك الكرة الارضية كنظام كلي، وبالتالي يمكنه ان يتدخل فيه ويدير شؤونه".

لقد قصرنا الكلام حتى الآن على المرحلة البدائية، اي السنوات العشرين الأولى من عصر الفضاء، ولكن بعد سنة او ما الى ذلك، سنشهد تدشين نوع جديد من مركبات الفضاء، هو المكوك الفضائي. فقد صممت العربات الفضائية الضخمة لتنطلق كالصاروخ، وتحلق في مدار معين كالسفينة الفضائية، ثم تعود وتهبط في مدرج كالطائرة الشراعية. ويتوقع لهذه العربات أن تجعل مراحل الفضاء القريبة في متناول الناس العاديين، من دون الاقتصار على كبار رواد الفضاء، بحيث تشمل العلماء

وسواهم من المسافرين·
ويقول فيليب موريسون من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا: "ان امكاناتنا لم تتحقق بعد· ومع الوقت، سيتسع حضورنا، الآلي على الأقل ان لم يكن البشري أيضاً، ليشمل النظام الشمسي بأسره"·

نحو الخلود - اجل، ربما كنا نتجه، الآن نحو نوع من الخلود، فيما تجتاز عرباتنا النظام الشمسي لتصل بنا الى دهور لا نهاية لها، حيث يعيش الناس لا على الأرض وحدها، بل أيضاً في مخيمات التنجيم على سطح القمر وفي افلاك صنعها الانسان امدادا لسكان الأرض بالطاقة الشمسية·
ويقول فريمان دايسون، الفيزيائي في معهد الدراسات العليا في برنستون: "اذا كنتم تعتقدون اننا سنبقى ملتصقين بسطح الارض الى الأبد، فانكم تقفون موقفا متشائما· أنا لا أظن ان الحال ستكون هكذا في المدى الطويل· فالفضاء يهيىء لنا مستقبلا لا حد له"·
ولعل ارتحالنا الى الفضاء يتسبب في هذا التغيير الذي كنا قبله عرضة للانقباض الذي قد يبلغ بنا حد الجنون، فقد توافرت لنا عبر رحيلنا الفضائي عوالم جديدة يمرح فيها الخيال البشري· وربما اهتدينا، في كشفنا وتسخيرنا للفضاء، الى اعظم الاكتشافات طراً، وهو معرفة مكاننا من الكون، وتقدير نواحي ضعفنا ومحدوديتنا الأرضية·

■ جون نوبل ولفورد



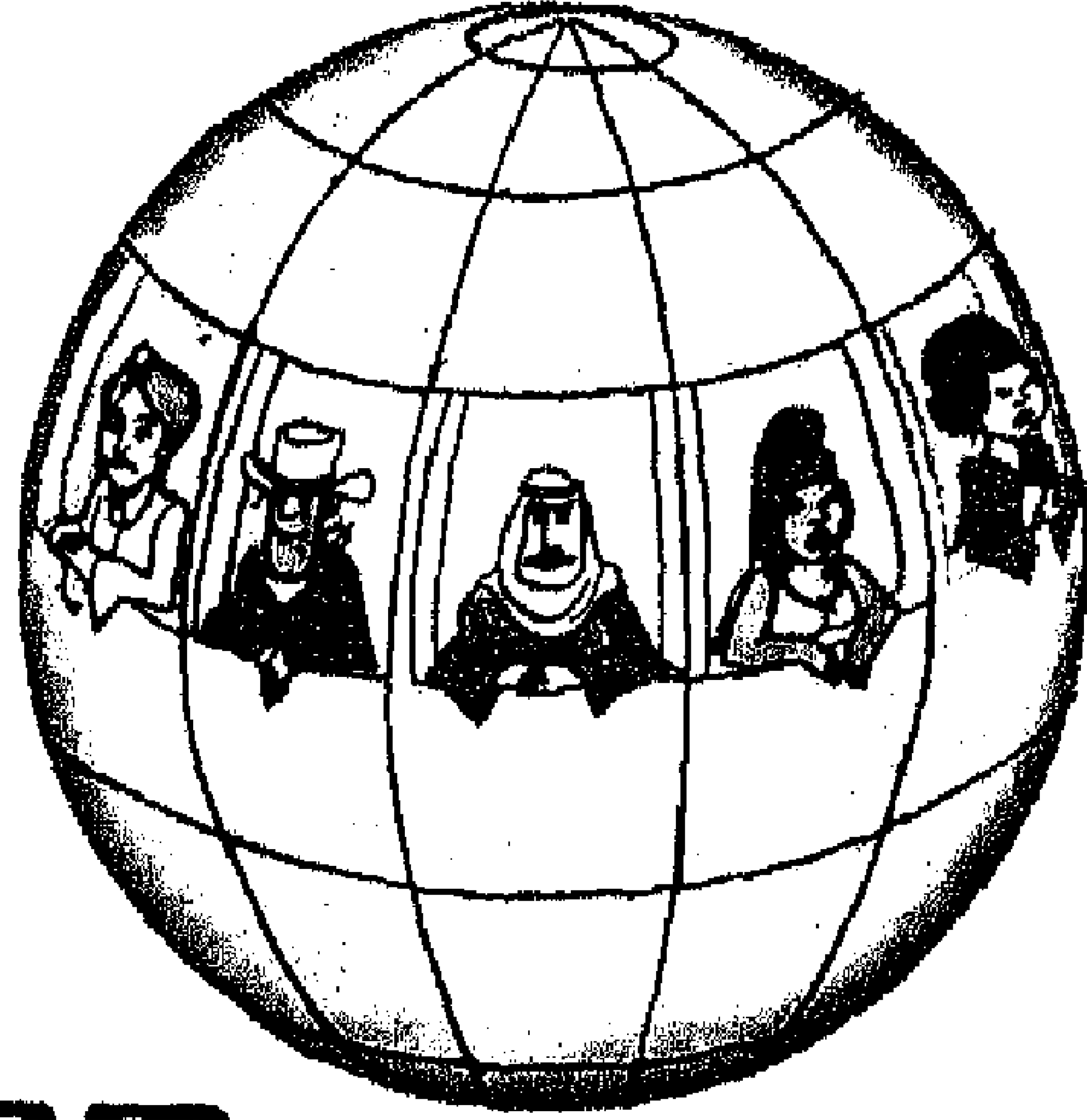
مصابيح البعوض الكاشفة

خرج صديقان في نزهة طويلة في العراء لايام عدة، وفي اول ليلة اقاما فيها مخيمهما هاجمهما سرب من البعوض فاسرعا الى الاختباء داخل اكياس النوم· وعندما جرؤوا على اخراج رأسيهما بعد فترة كان البعوض قد ذهب·
وبعد بضع دقائق، رأيا سربا من الفراشات المضيئة يتجه نحوهما فقال الاول للثاني، وهو يتنهد في يأس: "لقد ضعنا هذه المرة، فها انهم جاؤوا يبحثون عنا بالمصابيح الكاشفة"·

ت·ن·م·

احتكاك

ركبت سيارتي ذات صباح متوجهة الى عملي· لكن رجلا تحرك بسيارته من جانب الرصيف امامي واخطأ المناورة واصاب جانب سيارتي· فخرجنا من سيارتينا لتسجيل ما حصل·
وعندما اصلحت سيارتي، ارسلت اليه الفاتورة، فتلقيت منه الرد الآتي: "ارفق مع هذا شيكا بالمبلغ المطلوب، آملا في الا اكون قد سببت لك في ازعاج كبير· ولكم يسعدني دائما ان احتك بسيارة سيدة رائعة الجمال"·



حكايات صغيرة من العالم

مدينة لا تدخن

اعلنت مدينة سوشي الروسية الواقعة على البحر الاسود، انها اولى مدن العالم "غير المدخنة". فالقوانين الجديدة تحظر التدخين في جميع المطاعم والمسارح ووسائل النقل العام والمدارس والمستشفيات، بل وعلى الشواطيء.
ويقول فياشيلاف فورونكوف في هذا الصدد: "اننا نريد ان يصبح التدخين في مدينتنا نادرا كندرة التجول في الشوارع الرئيسية بالبيجاما".
والمعروف عن الروس انهم من اكثر المدخنين في العالم، وان هناك قرابة ٣٠٠ صنف سجائر في الاتحاد السوفياتي تبلغ مبيعاتها نحو ٤٠٠ الف مليون سيجارة سنويا.

سوق سوداء

نظمت حملة في اوروبا الشرقية لوقف تدفق السراويل الزرقاء (البلودجين) بطريقة غير مشروعة من الغرب، فسجلت نجاحا جديدا بالقضاء على مركز تهريب ايطالي على الحدود اليوغوسلافية، وذلك ان رجال الشرطة قد عثروا على سلك عبر نهر اندريا بين يوغوسلافيا وايطاليا يستخدم في نقل كميات كبيرة من سراويل "الدجين" لبيعها في السوق السوداء في يوغوسلافيا.
وقد ادى ولع الشباب في اوروبا الشرقية بسراويل "الدجين" الى بروز مشكلات عدة انحاء المنطقة. فقد كان من شأن التعريفات الجمركية الباهظة وغيرها من القيود المفروضة على الملابس المستوردة في غالبية الدول الشيوعية، ان فسحت المجال لظهور سوق سوداء واسعة، خصوصا في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا اصبح معها ثمن سروال "الدجين" المهرب، وهو من اكثر الملابس رواجا، قرابة ١٠٠ دولار.

اقزام وجبابرة

كان من بين ما عرضه احد متاحف ارهوس في الدانمرك، مائدة افطار وكراسي بالغة الضخامة يتقزم امامها الزوار من الكبار. والغرض من هذا المعرض الذي كان عنوانه "امزاح ان يكون المرء صغيرا؟" حمل الزائرين على العزوف عن التباهي بانفسهم وتذكير الكبار، لاسيما اولئك الجالسين الى المائدة، بما يشعر به الطفل وهو في وسط الكبار.
فالدانمركيون يدينون بالفلسفة القائلة بان الاطفال ليسوا مجرد كبار لم يكتمل نموهم، وانما افراد صغار يجب ان تؤخذ احجامهم واهتماماتهم في الاعتبار.

نقود خاصة بالمكفوفين

يستطيع المكفوفون في هولندا تحسس اوراق النقد بالنقاط البارزة التي تحملها وتمكنهم من معرفة قيمة كل منها. وتطبع سويسرا ايضا مثل هذا النوع من النقود.

الزواج على الطريقة اليابانية

منذ اربع سنوات اضاف تجمع شركات ميتسوبيشي اليابانية نشاطا اجتماعيا جديدا الى قائمة انشطته المتزايدة، وهو تنظيم الجمع بين الناس عن طريق الزواج. فانشأ نادي "دياموند" العائلي الذي يعنى بتبادل المعلومات الخاصة بالعاملين في ميتسوبيشي الراغبين في الزواج. وقد قرر رؤساء الشركات الثماني والعشرين التي يضمها ميتسوبيشي السماح بقبول طلبات الزواج من غير العاملين في هذا التجمع.
وقد بلغ عدد المسجلين في نادي "دياموند" العائلي ١٢٠٠٠ طالب او طالبة زواج، وهو يستخدم الان حاسبا الكترونيا لتعريف هؤلاء الى بعضهم البعض. وهناك، بعد ذلك، عملية متابعة ينظمها لفيف من المستشارين يضم عادة زوجات مديري ميتسوبيشي وكبار موظفيه. ويتقاضى النادي رسما على التسجيل مقداره ٧٠ دولارا، ويرتفع هذا المبلغ الى ٣٥٠ دولارا اذا تم الزواج. وقد تحققت ٤٢٠ زيجة عن هذا الطريق.

اجمع المال واطرح السروال

بدأ يوناني من اصحاب المطاعم في مونريال عمله بطريقة فريدة في معالجة حساباته. فقد وضع علبة سيجار فارغة على كل من جانبي آلة صرف النقود امامه، وكان يضع في العلبة اليسرى الفواتير التي يجب عليه دفعها، بينما كانت الآلة تحتوي على دخله اليومي. وكان كلما سدد قيمة فاتورة ينقلها مع ايصال الدفع الى علبة السيجار اليمنى.
وعندما انهى اصغر ابنائه دراساته وأصبح محاسبا قانونيا، اعرب عن تخوفه من الاسلوب البدائي الذي يعالج به ابوه شؤونه المالية، وقال: "لست افهم كيف يمكنك ان تدير عملا بهذه الطريقة. كيف تستطيع معرفة ارباحك؟"
فأجاب الاب: "حسنا يا بني. عندما نزلت من السفينة التي حملتني من اليونان لم أكن املك سوى البنطلون الذي ارتديه. اما الآن، فان شقيقك طبيب وأنت محاسب قانوني وشقيقتك اختصاصية في علاج عيوب النطق وامك وانا نملك سيارة جميلة وبيتا في المدينة ومثله في الريف، اضافة الى عمل مزدهر، وهذا كله قد دفع ثمنه بالكامل. واذا شئت معرفة الربح الذي تبحث عنه، فما عليك اذا سوى ان تجمع ذلك كله، وتطرح منه البنطلون".

و.ج.ك. - مونريال

جمال مشعة

اصبح التنقل بالجمال سببا شائعا للحوادث التي تقع ليلا في بعض بلاد الشرق الاوسط الى حد اقتضى معه اتخاذ بعض التدابير لمواجهة هذا الامر. وكان الحل في تزويد الجمل بعدة من مادة فوسفورية مشعة تيسر رؤيته بعد حلول الظلام.

الامارة.. في خير

اعلنت ليختنشتاين، وهي امارة تبلغ مساحتها قرابة ١٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٢٤٣٠٠ نسمة، ان شؤونها الاقتصادية تسير على ما يرام على رغم الاضطرابات المالية في دول العالم الاخرى.
ويتضح من احصاءات البنك المركزي هناك ان عدد العاطلين عن العمل قد تدنى من ٥٨ الى ١٧ كما انخفض عدد العاطلين من غير المتفرغين من ١٣٩ شخصا الى شخص واحد، وان هناك ١٤ وظيفة خالية.

"زميل" متواضع!

في مطعم من افخم مطاعم الريفييرا الايطالية، حدق الزبون الوجيه في فاتورة الحساب، وشهق، ثم تمالك نفسه وقال مخاطبا خادم المطعم: "خمسة آلاف لير (٨ دولارات) لوجبة واحدة؟ آمل في ان يكون لديكم حسم لزميل لكم في هذه المهنة".
فسأله الخادم: "هل انت ايضا خادم في مطعم؟".
فقال الرجل: "كلا. انا لص".

المحسن الفقير

هذه قصة رجل فذ، عادي الموارد،
لم يسمح أبداً للمال - أو لعدم وجوده -
بأن يحول دون قيامه بما يعتقد انه الصواب

ليست هناك مكتبات تحمل اسم توماس كانون، وهو لم يوقف مالا وعقارا على اي كلية، ولم ينشىء اي متحف، ومع ذلك فان هذا الرجل المتين البنية، ذا الشعر الذي مسه المشيب، والبالغ الاثنين والخمسين من العمر والذي يعمل موظفا في بريد ريتشموند في ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة قد جاد بتبرعات مالية لأوجه الخير ربما فاقت - بالنسبة الى ضآلة دخله الذي لا يكاد يبلغ ١٧٠٠٠ دولار في العام - ما قدمه كثيرون من كبار المحسنين الامريكيين.

فقد استطاع كانون، بفضل الانكباب على عمله وتقشفه في عيشه منذ عام ١٩٦٨، ان يقتصد ٣٥٠٠٠ دولار قدمها منحا وهبات الى مستحقيها من معارفه والغرباء عنه، وشمل عونه المباشر عشرات الناس، وكان قدوة طيبة لآلاف سواهم من المحسنين.

يقول كانون: "يظن بعض الناس اني مؤسسة خيرية من رجل واحد، ولكني لست كذلك. انا اعطي الناس، لان الله اسبغ علي نعمته، كأمريكي وكفرد، واريد ان اتشاطر النعمة مع الآخرين. كما اريد ان اضرب مثلا يحتذى في مكافأة العمل الطيب، او الشجاعة الفائقة، او مساعدة اولئك الذين ناضلوا وهم الان على حافة اليأس".

ومثال ذلك ان لصين مسلحين دخلا بعد ظهر احد الايام، قبل بضع

سنوات، مركزا لتوزيع طوابع الغذاء على المحتاجين والعاطلين الذين يتلقون اعانات من الدولة. وكان يتولى الحراسة آنئذ ضابط الشرطة الشاب فرنون ل. جاريل، الذي يبلغ من العمر ٢٢ سنة. واعقبت دخول اللصين معركة بالاسلحة النارية قتل فيها جاريل مخلفا وراءه ارملة وطفلة رضيعا من دون مورد او معيل. وفي اليوم التالي، قرأ كانون في الصحف خبر الكارثة التي حاقت بالسيدة جاريل، فأرسل اليها شيكا بالف دولار.

ويقول كانون: "كنت اجهل حالتها المالية. لكن الموقف بالنسبة الي كان موقفا استطيع انا، بتصرفي الفردي، ان اقدم عونا فوريا. كانت السيدة يعوزها التشجيع في تلك اللحظة، وفي ذلك اليوم عينه، وليس بعد ذلك باسابيع او اشهر".

وبلغ كانون يوما ان هناك صبيا يجهد في كسب القوت لاسرته على الرغم من اصابته بورم خبيث في المخ يوهن قواه، وقد ثابر ايضا على الدراسة فنال الشهادة الثانوية. وتأثر كانون باقدام هذا الصبي وشجاعته، فوقع على شيك لامره بالف دولار.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، قرأ كانون في الصحف قصة اب شاب يدعى بوبي هدسون، راحت زوجته في غيبوبة بعد ان وضعت طفلها الخامس. وكان هذا الاب الشاب يقوم مجتهدا بعملين لكي يعول اسرته. وحين مرضت زوجته، اصبح مضطرا الى وضع اطفاله او بعضهم في دار للحضانة، ما لم يجد امرأة تتولى رعايتهم. وما ان قرأ كانون القصة حتى ارسل الى هدسون شيكا بالف دولار، مصحوبا بكلمة وجيزة يقول فيها: "ان ما يدفعني الى ارسال هذه الهبة، ليس مجرد حاجتك اليها فحسب، وانما ايضا ما تبديه من ابوة متفانية شجاعة".

وليس في فهم كانون لاعمال البر، اي سذاجة على الاطلاق. فهو ادرك منذ زمن بعيد ان مصاعب المحتاجين في العالم تتجاوز كثيرا موارده المالية الضئيلة، لكن ذلك لم يثنه عن ان يفعل ما في قدرته. وهو يقول: "كنت استطيع ان إكتفي بالقعود والتأسف على احوال العالم من دون ان افعل شيئا، لان المشكلات كثيرة وضخمة ودخلي محدود وقليل. ولكن تلك ليست شيمتي. فانني استطيع الكثير، بمجرد ان افعل ما في قدرتي".

الخروج من الفقر — ولقد كان لهذا الاسلوب، مضافا اليه مقدار كبير من الانضباط الشخصي، الفضل، في اول الامر، في انتشال كانون من اعماق الفقر في الريف. فهو ولد لاسرة من فقراء السود ولم يكد يبلغ الثالثة من العمر حتى توفي ابوه تاركا اسرته بلا مورد او عائل سوى مجموعة متواضعة من الاشياء، من بينها قصص مصورة من الكتاب المقدس كان لها تأثيرها الكبير في نفس كانون.

وفي السن الثالثة عشرة، انقطع كانون عن الدراسة كي يعاون في اعالة والدته ويتولى اعالة نفسه. وفي السابعة عشرة التحق بالاسطول الامريكي وعين في كتيبة، كل افرادها من السود، تولى شحن سفن الذخائر المتجهة الى منطقة القتال

في المحيط الهادي. وفي ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٤، نقل كانون الى مدرسة المدفعية، وفي يوم نقله بالذات من كتيبته القديمة، انفجرت سفينتان من سفن الذخائر التي كان يشترك في شحنها، وقتل في الحادث ٣٢٢ شخصا من زملائه السابقين. فتعجب كانون لنجاته، واخذ يتساءل عن سببها، فقال: "انني عازب ووحيد، ولا تنجم عن وفاتي خسارة كبيرة بينما لكثير من الرجال الذين قتلوا في الحادث اسر تحتاج اليهم. ومع ذلك، فقد قدرت لي النجاة وحملتني على التفكير العميق". لكن هذا لم يهده الى تفسير حسن طالعه، الى ان وقع له حادث مماثل آخر، هو الآتي:

بعد انتهاء خدمته في الاسطول، اشتغل كانون عاملا في تفريغ السفن المحملة سكرا وذات يوم كانت الرافعة ترفع من عنبر احدى السفن حملا من السكر "وكنت قد ابتعدت قليلا لاحصل على شربة ماء. وما ان سرت حوالى عشر خطوات حتى سمعت الزملاء يصرخون، فنظرت الى اعلى، واذا بي ارى بالة وزنها عدة اطنان تهوي نحوي. واذا حاولت ان اجري تعثرت، فصدمتني البالة الساقطة في اثناء وقوعي وطوحت بي في بقعة مخفوضة وسط بعض اكياس السكر. وبدا ذلك امرا لا يمكن تفسيره بانه مجرد مصادفة، فتحققت آنذاك من ان هناك قوة ترعاني، واقتنعت بأن داعيا دعا لانقاذي".

وقرر كانون ان يعود الى المدرسة، فسجل نفسه في الصف الابتدائي الثامن، بطريقته المباشرة الخاصة، ويصف كانون ذلك بقوله في ضحكة خافتة: "اعترف بان الامر اثار دهشة الكثيرين حين تقدمت لابدأ الدراسة، فقد كنت في الثالثة والعشرين اكبر تلميذ في الفصل".

ولفت كانون في فصله معلمة كان لها اثر كبير في حياته. وهو يروي ذلك بالآتي: "بعد ان تبادلت المعلمة الرأي مع مستشار التوجيه المدرسي، تحققت من طاقتي على متابعة الدراسة في مستوى اعلى من الصف الثامن، فاتخذت الترتيبات لكي اتقدم لاختبار القبول في احدى الكليات، وقد نجحت فيه فانتقلت خلال عام واحد من الصف الابتدائي الثامن الى الكلية ولما تحقق ذلك لي لولا اهتمام المعلمة بأمري".

وفي تلك الاثناء، تزوج كانون وراح يعمل ليلا في مصنع للنسيج كي يعول نفسه وزوجته برنسيا وطفليهما. وقد ترتب على نجاحه في امتحان القبول في الكلية ان اصبح له حق الانتفاع بقانون حقوق المجندين المسرحين الذي يكفل لقدامى المحاربين المشتركين في الحرب العالمية الثانية بعض الفوائد التعليمية وغيرها. ولم يعتبر كانون هذه الفوائد كحق خولته اياه خدمته العسكرية، وانما اعتبرها نعمة اسبغها عليه وطنه.

موظف البريد — واراد كانون بعد انتهاء دراسته في الكلية ان يشتغل في تدريس الفن، ولكن لم تكن هناك وظيفة خالية من هذا النوع في أي مدرسة ثانوية، فانتهى الى الالتحاق بخدمة البريد. وطلب بعد ذلك ان يعمل في فرز الخطابات في عربات البريد الملحقة بالقطارات. وهو يقول

في ذلك: "اتاح لي ركوب القطار في الليل وقتا طويلا للتفكير. واحسست احساسا بالغ العمق بوجوب مساعدتي للآخرين في شكل ما، لكنني لم اهتد الى الوسيلة".

ثم نقل كانون للعمل في مكتب البريد المركزي في ريتشموند حيث جرى له حادث غريب يرويه هنا: "كنت مع عدد من الزملاء نعمل في فرز الخطابات على حزام ناقل، ونحن نتجادل في مسألة فلسفية. وفي لحظة معينة، تفوهت بعبارة مستقاة من رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية فقلت: "ان الانسان انما يحصد ما زرع". ولم تكد العبارة تخرج من فمي حتى انفتح امامي على الحزام الناقل مظروف كبير تبعثرت منه اوراق كثيرة، تعلوها جميعا ورقة عليها الآية نفسها مطبوعة بخط واضح".

كانت رغبة كانون في مساعدة الاخرين تلقائية من دون تكلف، اما الآن، بعد هذه الواقعة، فقد تملكته الرغبة في القيام بعمل مباشر ومنظم. ولكن ما الذي يستطيعه كاتب بسيط في البريد مثلا؟

"لقد اتضح لي الامر بأكمله عندما ادركت ان المال هو اقوى الرموز في حضارتنا هذه، فرأيت انني اذا استخدمت مبالغ - وان صغيرة - من هذا المال استخداما سليما لتمكنت من مساعدة الناس، وتسجيل كلمتي عالية قوية. فاذا اجتهدت في كسب اكثر ما استطيع، وراعيت الحرص والاقتصاد في نفقاتي واستخدمت الفائض من المال لمعاونة الآخرين اصبح للحياة معنى لدي، آنذاك".

ان كلمة "فائض" غامضة. فبعض الناس لا يتوافر لديهم اي "فائض" على الاطلاق، مهما كسبوا. غير ان كانون، بحكم نشأته الفقيرة، يملك احساسا لا يخيب بما هو ضروري وما هو كمالي. فهو يعيش في بيت قديم يستلزم كثيرا من التحسينات ويركب سيارة عمرها ١٤ عاما، وينفق القليل على الملابس، واقل القليل على المشروبات ولا شيء اطلاقا على التدخين. ويقول كانون: "اننا ننعم بالدفء، ونأكل كفايتنا، ولا نفتقر الى شيء من ضروريات الحياة".

بيد ان كانون لم يهمل اسرته من اجل الانفاق على الهواية التي اختارها لنفسه. فهو انفق على تعليم ابنائه حتى تخرجوا في الجامعة، ويجتهد في ادخار الفين او ثلاثة آلاف دولار لمواجهة الطوارىء التي قد تتعرض لها الاسرة، ولكنه نادرا ما يتجاوز ذلك الى اي انفاق كمالي آخر، اذ ان كل دانق بعد ذلك ينفق على مساعدة الآخرين.

ولا تقابل اعمال كانون دائما بالثناء. وهو يقول: "ان بعض جيراني يعتقدون اني مخبل، شديد الاهتياج، ويحذرون برنسيا بأن تصدني عما افعله. الا انها - بعد ٣١ عاما من الزواج - تفهم ما افعله وتدرك دواعيه".

وهناك فئات اخرى من الناس تفهم اعماله وتقدرها حق قدرها. فقد تلقى كانون منذ عهد قريب خطابا من تلك الخطابات التي تفحم كل نقد، جاءه من تلاميذ الصف الابتدائي الثالث في مدرسة سان دييغو، في كاليفورنيا، يقولون له فيه: "ان بلادنا لمحظوظة بان تضم مواطنا من امثالك يهتم كل هذا الاهتمام بالآخرين".

ويقول كانون معلقا: "ان خطابا كهذا لأثمن من كل ما يشرى بالمال".

■ جيرالد مور

رحلة مدهشة في قلب مريض

لكل منا قلب آخر يخفق في حناياه، قلب فيه من النشوة والعذوبة ما يتعذر على اي علم من العلوم الطبية٠

بعد انقضاء ستة عقود تقريبا من الصحة الممتازة، اتممت اخيرا الدورة الثلاثية المراحل التي بات يخضع لها كل المصابين بمرض القلب: النوبة الحادة، الشفاء، التكيف لاستعادة الحالة الطبيعية٠ وها أنذا اتمتع بالمزايا - وهي كثيرة - التي ينعم بها الاعضاء العاملون في ذلك النظام الشامل المنبثق من زوال الاعتدال الجسدي٠

ومن هذه المزايا استعادة العافية٠ فلكم سمعنا من اصدقائنا اننا لم نبد بصحة افضل قبل الآن، ولكنهم هم اول من يدهشون عندما يكتشفون انهم كانوا يخلصون القول في الوقت الذي لم يقصدوا سوى المجاملة٠ واما نحن فلا تلحق بنا الدهشة لعلمنا اننا عدنا قبل فوات الوقت الى الحمية الحقيقية، والى اقامة التوازن الدقيق بين التمريـن والراحـة، والـى نبـذ العادات القديمة عن طيب خاطر، فاتاحت لنا بعض الوقت - وان على حساب غيره - للتحسس بالمزيد من الحياة٠

فنحن، مرضى القلب، نجد العالم وكل ما فيه، اكثر رونقا وبهجة٠ عندما تقرر امر مرضي القلبي في المرة الاولى، ونقلت علىالفور الى احد المستشفيات في سولفاج (ولاية كاليفورنيا)، بدأت مغامرات قلبي، بينما رافق ما تبقى مني - مجرد وعاء - ذلك العليل٠ورحت انتظر وكأنني من لحمة اقربائي خارج حلقة المعالجين الذين انحصر اهتمامهم في مداواة قلبي، وكان يفطن احدهم احيانا قليلة الى تحرير نشرة طبية او

Condensed from Blair and Ketchum's Country Journal (January 1978) Copyright 1978 by Country Journal Publishing Co. Inc. 139 Main Street, Brattleboro, Vermont 05301

وضع وسادة تحت رأسي.

ولكي يتيسر الحصول على استشارة طبية عاجلة مساء السبت، حين يتعذر الاهتداء الى اي اختصاصي محلي، فقد لجأ عدد من المستشفيات الريفية الى الاشتراك في احدى مؤسسات "عصر الفضاء" التي تهتم بنقل نبضات القلب المريض الى طبيب يقيم على مسافة نائية. فحاولنا الاتصال به بواسطة الهاتف المعلق الى جانب السرير، وانتظرنا المهلة اللازمة لتركيب رقم المكالمات البعيدة. ثم انفتحت طريق المكالمة بطنين عميق ومرتفع، على غرار صفارة الانذار، وعلى الاثر تم انذار الطبيب بالامر، فاتصلت شرايين قلبي في الحال بسان فرنسيسكو، وراحت ابرة التسجيل تتأرجح على شريط من الورق المخطط، في غرفة تطل، حسبما خيل الي، على خليج سان فرنسيسكو. وكانت المسافة الفاصلة بين قلبي واذن الطبيب لا تقل عن ٥٠٠ كيلومتر، ومع ذلك فقد سمعني الى الصميم.

ولما كنت انتظر، بعيدا عن مسمع الاذن، فقد تساءلت حول هذا الموضوع:

هل قضى الطبيب امسية سبته على غرار ما قضيته انا؟ وهل كان يتبين من خلال الخط المترجرج الذي سجله المخطط الالكتروني للقلب، طوية افكاري في تلك الآونة؟ ام انني لم اكن بالنسبة اليه سوى عضلة منتفضة في مكان ما على الساحل؟ وعلى اية حال، فان نبضة القلب، التي يتحسسها امرؤ على بعد ٥٠٠ كيلومتر تبعث في نفس مخاطبه التلفوني شعورا بما هو عليه من الاهمية. وهكذا كان تأثيري على الاقل.

قلبي على الشاشة — وبعد تلك الليلة الاولى التي قضيتها منعزلا في قسم المعالجة القلبية، التحقت بمجموعة صغيرة من الممرضات لمشاهدة "ماراثون" تلفزيوني. فبعد ان وضعت الاسلاك الناقلة بالشكل الذي يلائمني، استلقيت تحت الجهاز التلفزيوني المثبت على الحائط، فوق سريري.

ولدى اشارة من مدير البرامج، بدأت خفقات قلبي ترقص عبر الشاشة. وقد ادت هذه الخفقات المترجرجة الى تكسر الخط الضوئي الافقي في منحنيات عنيفة مليئة بالمسننات والوثبات البارزة، كما يتكسر الجليد على سطح بركة متجمدة.

انها حقا طاقة بالغة وقدرة هائلة على الاحتمال.

ولكن هل سينزل الكلل بالراقص قبل انتهاء العرض؟ وماذا لو غلبني النعاس وفاتتني الخاتمة؟ هل ينحني الراقص وينصرف، ويتجاوز الخط الابيض المستقيم متبوعا بعزف النشيد الوطني؟

وتمنيت لو ان لراقصي حذاء احمر على غرار بطلة هانز كريستيان اندرسون كلما كان يتوقف عن الرقص.

واستمر "الماراثون" التلفزيوني طيلة خمسة ايام وليال، ولم يحل التعب ابدا بالراقص، ولكنه استولى على الحضور. وظل الراقص يرقص فيما نحن سئمنا. ثمة فترة استراحة تحل في مغامرات قلب مشهور لا يتخللها اي ظهور علني. انها مرحلة

قصيرة من الراحة حظيت فيها اخيرا بنصيبي من الاعتبار ولقيت مزيدا من العناية فاصبحت انعم بالخدمة المناسبة وأساعدُ على اقتعاد كرسي خلال اعداد السرير وأسألُ عن الطعام الذي ارغب فيه للعشاء.ولكنها مرحلة خطرة ايضا: ففي الوقت الذي يرتاح القلب يبدأ الذهن بالرقص، قافزا بين الماضي والحاضر، شديد القلق والاضطراب لكونه في هذا الجوار. وسلاح الدفاع الوحيد فيهذا الوضع هو التسلية. التقطت رواية بوليسية من على منضدة السرير. وكانت الحبكة القصصية تتناول القاء حبوب كافية للقتل في زجاجة من الشراب. وقد كشف التحليل ان السم هو حبة القلب نفسها التي كنت ابتلعها مرة كل يوم.

وكان زائري الاول خلال هذه الفترة صديقة مات زوجها اخيرا على اثر نوبة قلبية. وما كان منها الا ان روت لي الحادثة. وعندما انصرفت، فتحت جهاز التلفزيون. وكان "الشهر القومي" للقلب، وراح المذيع يحثني بلهجته الوقورة على تقديم الدعم لجمعية القلب المحلية. سأفعل ذلك، سأفعل ذلك.

وفي نهاية "اسبوع الاستراحة" اعادوني الى منزلي، مع تمكيني من استعادة الحياة الروتينية السابقة، باستثناء بعض القيود المحددة: الاكثار من المشي، اختيار دقيق للحدود الجديدة التي يجب الالتزام بها، انسحاب سريع من كل النزاعات.

وخلال هذه المرحلة، وهي المرحلة الثالثة لاستعادة حالتي الطبيعية، اصبح قلبي وذهني في نهاية الامر متجاريين متوافقتين يرتقبان الايام المقبلة، ويلاحظان اصغر الامور.

الا ان مغامرات قلبي لم تنته مع ذلك. فما ان بدأت انسى النجم الذي في صدري حتى اعلموني بوجوب الرجوع الى المستشفى لاجراء مزيد من الفحوصات. وقد سافرنا، انا وقلبي، هذه المرة، الى مستشفى في المدينة حيث كانت تنتظرنا اجهزة اشد تعقيدا من ذي قبل، فطلب الاطباء اجراء تخطيط حيوي للقلب، اي صورة لجوانب تظهر على الشاشة عن طريق رشق القلب بامواج فوقصوتية. وتوجهنا، انا وقلبي، الى الوحدة الفوقصوتية، حيث اعلموني بان تردد الصوت بتجاوز مجال السمع البشري. ربما سيعهد القيام بذلك الى كلب. ولكن لم يكن هناك كلب، بل عوضا عن ذلك كانت هناك ممرضة في انتظارنا، كذلك جهاز تلفزيوني من الطراز الضخم، واسلاكه تلتوي بحثا عن مأخذ.

بعدما ربطت بسلكين اضافيين، استلقيت على منضدة عالية بينما راحت الممرضة تمرر جهاز ارسال باردا جيئة وذهابا فوق قلبي، هذا الممثل المسرحي.

وعلى الرغم من انني لم اكن استطيع مشاهدة الشاشة، فقد سمعت تعليقات الحضور. وتم تصوير الفيلم في اقل من نصف ساعة، وأُذِن لنا بالانصراف.

لقد انسحب قلبي من الحياة العامة لاستعادة العلاقة التي يجب ان تقوم بين الانسان وقلبه. لقد تبدلت صلتي بالآلات. وبدأت اشعر الآن بعدم

الارتياح· لقد قيدت بهذه الآلات بكل معنى الكلمة· واصبحت غير قادر على الابتعاد عنها·

انه لامر مزعج ان يحكم علي الواقع بعدم استطاعتي البقاء على قيد الحياة من دون مجموعة من الآلات الطبية، وعدم تمكني من الموت من دونها·

ولئن كانت هذه الآلات قد فسحت لي، بلا شك، فرص البقاء، فانها قد تسببت في الحط من قدري، فاصبحت اشعر معها بانني اضحيت اصغر مما انا واقل كرامة مما كنت·

وقد تركت لقلبي ان يؤدي دوره على المسافة البعيدة، وطبت نفسا لسماعي الثناء على خاتماته، كأنني في ذلك مثل ام الممثل التي تتسلى بحياكة الصوف وراء خشبة المسرح وادركت حظي في ان اعيش في زمن المخططات الصوتية للقلب

الا ان اصحاب القلوب المريضة قد تعلموا شيئا آخر·تعلموا انلدينا جميعا في اطار صدورنا قلبين: قلبا الى اليسار قليلا من محور الجسم، وهو المضخة الكهربائية الكبيرة التجاوب مع الآلات العجائبية، وقلبا آخر مركزي الموقع تماما، وهو جوهر انفسنا العميق الذي يتعذر تصويره ويصعب نقل نبضاته ولكنه يحتاج هو ايضا الى العناية، ويلزمه ان يكون موصولا، وانما بسوى الآلات علما بان يد الذي يبالي بنا تظل هي المعجزة العظمى·

■ ارفنغ تاونسند



المبدأ هو المهم

كان احد المحامين يترافع في قضيته امام المحكمة العليا في الهند، فاستشهد بمرجع انكليزي يؤيد دعواه، فما كان من احد القضاة الا ان سأله: "كيف تستند الى مرجع انكليزي في محكمة هندية في حين ان الفرق بين القانون الانكليزي والقانون الهندي كالفرق بين البنطلون والسروال الهندي الضيق"·

فافحم المحامي برهة لكنه لم يلبث ان رد: "لكن المحكمة تقدر بلا شك ان الاثنين يكمن خلفهما المبدأ نفسه!"·

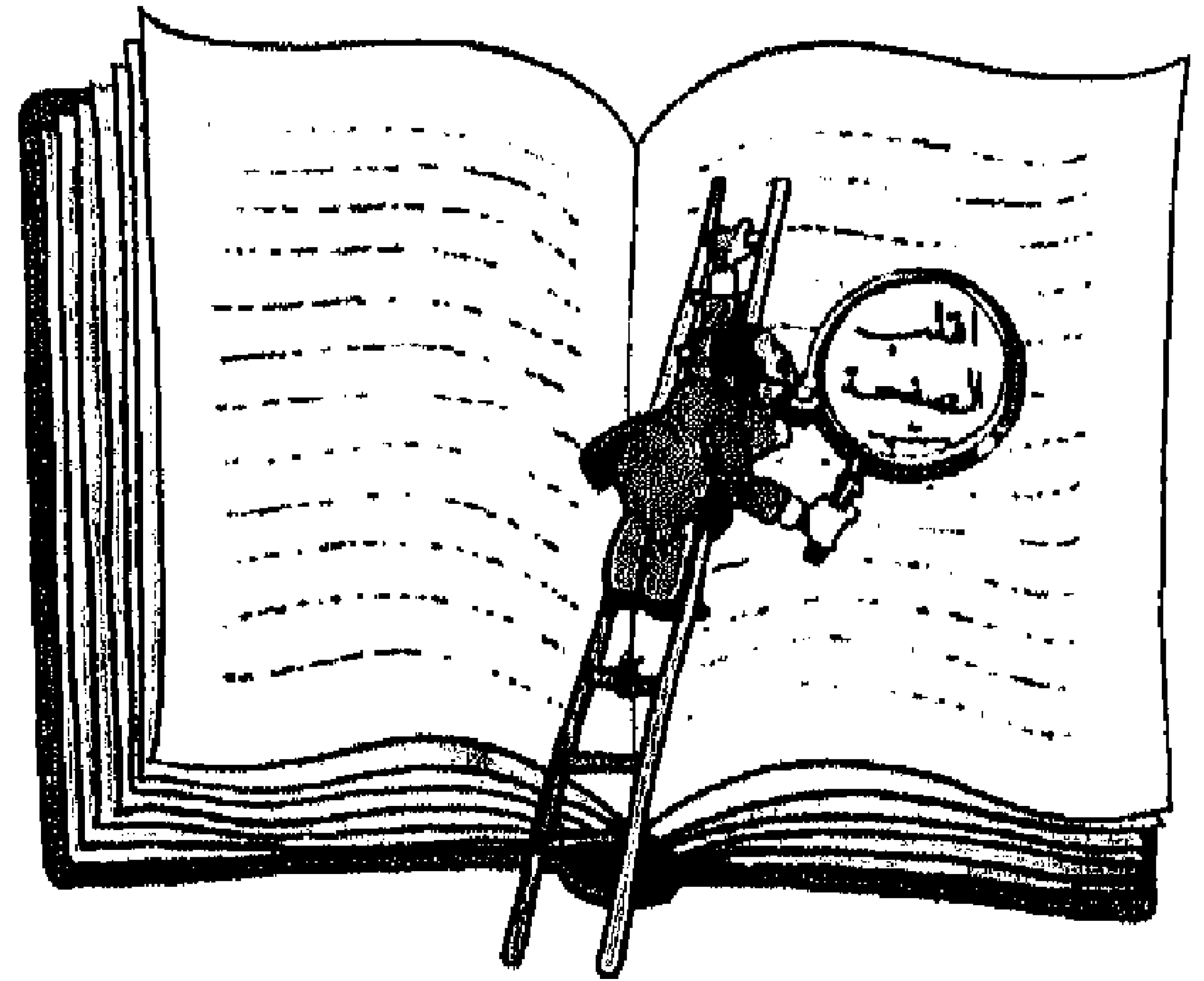
س·ر·

من اهل الكهف!

في اثناء محاضرة طويلة ومملة عن تاريخ الهندسة الانشائية، لاحظ استاذنا ان احد الطلبة نائم· وثار الاستاذ، فخطا الى مقعد الطالب وهزه حتى ايقظه، وزأر في وجهه يسأله: "منذ متى وانت نائم؟"·

وبينما كان الطالب المسكين ينفض عنه النعاس ويحاول ان يستجمع حواسه، ارتفع صوت من مؤخر قاعة المحاضرات يقول: "منذ القرن السابع عشر يا استاذ"·

م·ك·



دائرة المعارف

هذا الباب يفتحه "المختار" بهدف زيادة معارف قرائه من جهة، ومساعدتهم على فهم بعض المواضيع المتخصصة، ولا سيما العلمية منها ·

ومن اجل الوصول الى هذا الهدف اخذ "المختار" بفكرة الرياضة الذهنية فاسحا امام قرائه مجال الاختبار والامتحان وحتى تسجيل العلامات والدرجات·

كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من مقالاته، وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان واحد منها فقط صحيح· والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا ثم يقارن بينه وبين المعنى المدرج في صفحة الاجوبة· وبعد ذلك يجري حسابا للعلامات التي نالها بمعدل واحدة لكل كلمة·

٠١ **الوابل:** المطر الشديد - الكلام القاسي - المرض - الموت·

٠٢ **أَثْنى:** وافق - مدح - رَدَعَ - طوى·

٠٣ **دَمِثٌ:** لطيف - دميم الوجه - مذموم - أبله·

٠٤ **أَمَدَّ:** طال - أطال - أقام مدّةً - أعان·

٠٥ **تَصَدّى:** قام - اقتحم - تعرّض - عطش شديداً·

٠٦ **زُهاء:** مسافة - مقدار - اضمحلال - مَدَرٌ·

٠٧ **براثن:** قوائم - أنياب - ريش حاد - أظفار·

٠٨ **الرَّقيم:** المرسوم الملكي - الختم - القلم - الكتاب·

٠٩ **المَحّ:** اللون الأبيض - صفرة البيض - الصدَفَة - الثوب البالي·

١٠· **يُشاكس:** يخالف - ينافس - يشكو - يبخل·

١١· **يَستَأهِل:** يتزوّج - يستعدّ - يألَف - يستحقّ·

١٢· **مِنْضَدَة:** وعاء يرمى فيه رماد التبغ - سرير - طاولة - مركبة هوائية بلا جناحين·

١٣· **حَوْلية:** سياج - استحالة - قدرة - سنويّة·

١٤· **مُتَوَفِّرٌ:** جاهز - كثير - منكبّ - مُدّخَر·

١٥· **النَّوْرَس:** الحمام الزاجل - طائر مائي - الصقر - الحصان·

١٦· **يُحَمْلِق:** ينظر بحدّة - يفتش - يغضب - يطير مرتفعاً·

١٧· **الحاضِرَة:** سور المدينة - حرّاس المدينة - السجلّ - المدينة الكبيرة·

١٨· **ذَلِقٌ:** متهوّر - بليغ - ماجن - قبيح·

١٩· **طارىءٌ:** مفاجىء - خَطِر - طريء - إثر·

٢٠· **الطَّوِيَّة:** الناحية - الضعف - النية - الهيئة·

٢١· **قُنوطٌ:** يأس - ملل - حزن - ألم·

٢٢· **بَزَّ:** فاخَرَ - أسْرَعَ - لبس - غَلَبَ·

٢٣· **تَمَلَّقَ:** رَشا - كذبَ - افْتَقَرَ - تودّدَ·

٢٤· **الأَرَق:** السَّهَر - النهوض من النوم - ذهاب النوم في الليل - الاضطراب·

٢٥· **تَضَوَّرَ:** جاع او تألم كثيراً - أصابه ضَرَر - ذَهَبَ بصره - احتاج·

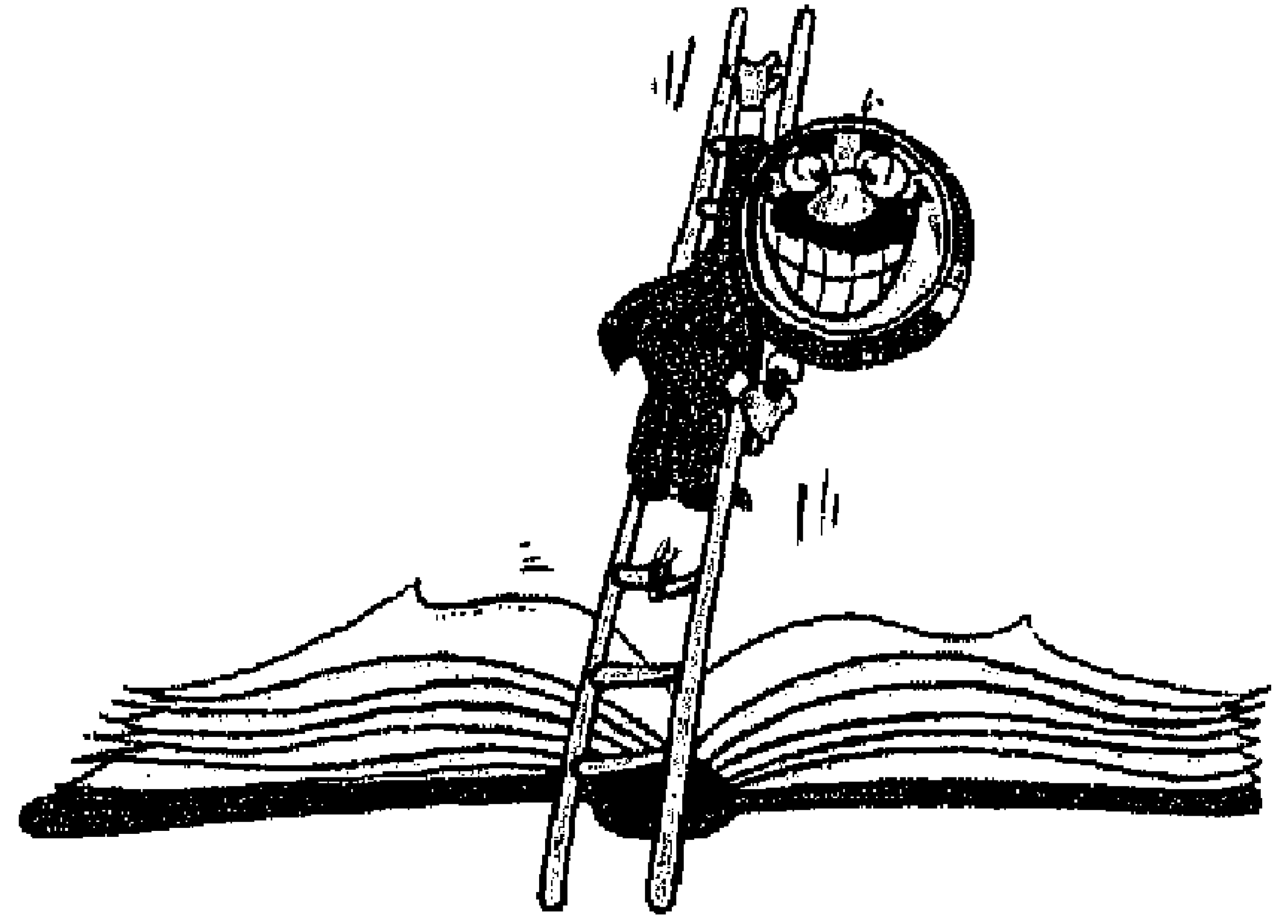
٢٦· **أَذْعَنَ:** أقَرَّ (بالحقّ) - انكسر - أمَرَ - نَصَحَ·

٢٧· **نَهَم:** شَرَه - جوع - كثرة الأكل - همّ·

٢٨· **الكَهْل:** من كانت سنه أقرب الى: ٣٠ - ٤٥ - ٦٥ - ٨٠·

٢٩· **الزُمْرَة:** الغناء - المزمار - الجماعة - صوت النعام·

٣٠· **صَحائف:** كتب منسوبة إلى غير مؤلفيها - صُحُف - صحون - رفوف كتب·



الأجوبة الصحيحة

١٠ **الوابل:** المطر الشديد. ويقال أيضاً: الوَبْل (أمطرَت الوَبْل).

٢٠ **أثنى على الشخص:** مدحه. تثانوا عليه: أظهروا ألطافه. الثناء: المدح، وجمعها أثنية.

٣٠ **دَمِث:** سهل الأخلاق، لطيف، طيب المعشر.

٤٠ **أمدّ:** أعانَ، أغاث، زوّدَ.

٥٠ **تَصدّى:** تعرّض (لشخص)، رفع رأسه (لأمر).

٦٠ **زُهاء:** مقدار. ويقال أيضاً: زُهاق وزهاق.

٧٠ **براثن:** أظفار السباع والطيور.

٨٠ **الرّقيم:** الكتاب. من فعل رَقَمَ ورقّمَ: كتَبَ.

٩٠ **المحّ:** صفرة البيض، خالص كلّ شيء.

١٠٠ **يشاكس:** يخالف، يعاسر.

١١٠ **يَستأهل:** يستحقّ، يستوجب، يراه أهلاً.

١٢٠ **منضدة:** طاولة، شيء ذو أربع قوائم توضَع عليه أغراض.

١٣٠ **حولية:** صفة مؤنّثة منسوبة إلى "حَوْل" (سنة)، كصفة، تطلَق على الشيء الذي يظهر مرّة واحدة في السنة. وكاسم، تطلَق على المجلة او النشرة التي تصدر مرّة في السنة.

١٤٠ **متوفّز:** منكبّ، صارف الهمة إلى عمل ما. والكلمة تستعمل خطأً بمعنى "متوافر". والأخيرة معناها موجود بكثرة أو مؤمّن. توافرَ الشيءَ واتّفَرَ: كثر واتّسَعَ.

١٥٠ **النورس:** طائر بحري، زمّج الماء.

١٦٠ **يحملق:** ينظر نظرة حادّة بعينين مفتوحتين.

١٧٠ **الحاضرة:** المدينة الكبيرة. من معاني الحاضرة أيضاً: أذُن الفيل.

١٨٠ **ذَلِق:** بليغ، فصيح، الحادّ من الألسنة والأسنّة.

١٩٠ **طارىء:** مفاجىء، غريب، خلاف الأصلي.

٢٠٠ **الطوّية:** النيّة، الضمير.

٢١٠ **قنوط:** يأس. قَنَطَ، قَنِطَ، قَنُطَ: يئِسَ. قَنَطَهُ: مَنَعَهُ.

٢٢٠ **بزّ:** غلَبَ، فاق.

٢٣٠ **تملّق:** تودّد بكلام لا يعكس ما في القلب، استرخى، تذلّل.

٢٤٠ **الأرَق:** ذهاب النوم في الليل.

٢٥٠ **تضوّر:** تلوّى صائحاً من جوع أو ألم.

٢٦٠ **أذْعَنَ:** أقرّ (بالحقّ)، انقاد، خضع.

٢٧٠ **نَهِمَ:** شَرِهَ، وَلَعَ. النَّهْمَة: الحاجة أو الشهوة. يقال: "له في هذا الأمر نَهْمَة"، أي شهوة.

٢٨٠ **الكهل:** من كانت سنه اقرب الى ٤٥. (من كانت سنه بين الثلاثين والخمسين تقريباً).

٢٩٠ **الزّمرة:** الجماعة، الفوج.

٣٠٠ **صَحائف:** صُحُف، أوراق مكتوبة. مفردها صحيفة، وهي تعني أيضاً بَشَرَة الجلْد: "صُن صحيفة وجهك".

المستوى

٢٥ – ٣٠ : ممتاز

١٩ – ٢٤ : جيد

١٣ – ١٨ : مقبول.

البيضة الرائعة اللذيذة



ليس هناك غذاء اخر يماثل، هذا الغذاء العجيب، البسيط، الرخيص، اللذيذ، الدسم... هذه البيضة المتواضعة التي نتناولها كل يوم.

ليس بيننا من يفي البيضة، في الواقع، ما تستحقه من تقدير. فلئن كان الامريكيون، على ما يبدو، يحبون البيض، وينتجون منه ما يزيد على ٥٩٧٠٠ مليون بيضة سنويا، ويستهلك كل منهم قرابة ٢٧٧ بيضة في العام، الا انهم يعتبرون وجوده امرا مفروغا منه لا يستأهل الاهتمام.

ومما لا شك فيه ان هذه البيضة البسيطة هي من اعظم الانجازات التي حققتها الطبيعة، فهي تأتينا نقية، صافية، متقنة التغليف، لم

تمس محتوياتها يد بشر، ولم تختلط بها اي مواد كيميائية او واقية. وتتميز نوعية البروتيين الذي تحتويه بدرجة مدهشة من الكمال، اذ يضم جميع الاحماض الامينية الاساسية التي هي بمثابة لبنات البناء الضرورية لنمو الجسم وحفظ العافية. واذا استثنينا فيتامين "ج"، فان البيضة تشتمل على جميع الفيتامينات الاخرى، فضلا عن ١٣ نوعا من الاملاح، من بينها املاح الحديد والفوسفور والمغنيسيوم.

وليس ثمة طاه ماهر لا يعرف ان البيضة هي من اكثر الاغذية تعددا للاستعمال.

ويقول الطاهي الشهير جو فامولارو والطاهية لويز امبريال في كتابهما "مطبخ فامولارو البهيج": ان البيض المخفوق يدخل في عدد لا يحصى من اشهى الاطباق الايطالية والفرنسية والامريكية. ولا غنى عنه لتلطيف العجائن احيانا، وتكثيفها احيانا اخرى، والتحامها، واثرائها باضافة الفيتامينات اليها. وهو ضروري لشوي شرائح اللحم (الكستلاتة) واعداد المقليات والحلويات، واساسي في المشهيات وزخرفة الاطباق وانواع السلطة والصلصة والحساء. وهو يستخدم ايضا لترويق (تصفية) السوائل، كما يمكن استعماله اطباقا رئيسية، فيؤكل مسلوقا ومقليا ومغليا ومخبوزا".

ويضيف احد الطهاة الفرنسيين المعروفين: "ان البيضة هي الملاط الذي تتماسك بفضله كل اجواء قصر الطهي".

وقد ظهر البيض على مدى قرون موضوعا للحكايات والاساطير. فكان يحظى بتقدير كبير كتعويذة لحسن الطالع، كما كان موضعا للتقديس والاستخدام في التنجيم وطقوس الخصوبة وتقديم الاضحيات والقرابين، بل انه كان مثارا للخشية في بعض الاحيان. وكان قدماء الصينيين يعتقدون ان بيضة قد سقطت من السماء ثم أفرخت الانسان بعد حين. اما هنود امريكا فكانوا واثقين من ان العالم ذاته قد بدأ في شكل بيضة ذهبية.

أما الانسان الحديث فهو مخلوق واقعي، يحترم البيضة كوسيلة ملائمة سهلة في عالمه المزدحم بالعمل. فهي تكفل له عشاء من البيض المسلوق لا يستغرق اعداده اكثر من خمس دقائق، او من البيض النيمرشت (نصف المسلوق) الذي لا يتطلب تحضيره اكثر من ثلاث دقائق، او من البيض المقلي في نحو دقيقتين. مع العلم بما في ذلك من الاقتصاد ايضا. فاي طعام يكفل عشاء مغذيا بقروش زهيدة لا تتجاوز ثمن بيضتين كبيرتين؟

القيمة الغذائية — ومع ان ثمن البيض يختلف باختلاف الشكل والحجم، الا ان القيمة الغذائية للبيض المتماثل من هاتين الناحيتين متساوية اما الشكل فيتعلق بنظافة البيضة وسلامة قشرتها وسمك الزلال فيها وحجم خلايا الهواء فيها.

واذا كان البيض من شكل واحد، فان الحجم هو الذي يملي السعر على اساس حد ادنى من الوزن لكل اثنتي عشرة بيضة. واغلى البيض هو أكبره حجما. ومن ناحية اخرى، فان الحجم واللون لا يؤثران على الجودة، فهما

امران مقتصران على نتاج الدجاجة البائضة.

وتتميز اجود انواع البيض بان خلايا الهواء فيها صغيرة جدا، وبانها تحتوي على كمية كبيرة من الزلال الكثيف، وبارتفاع المح وتماسكه فيها. واذا افرغت مثل هذه البيضة فان محتوياتها تقع على مساحة صغيرة. وتقل جودة البيضة كلما زادت هذه المساحة، بسبب نقص كثافة الزلال وقلة تماسك المح. ولكي تختبر البيضة، اذا كانت طازجة ام لا، فما عليك الا ان تضعها في وعاء فيه ماء، فاذا غرقت فيه كانت طازجة.

ومن المهم الا تشتري البيض المشروخ ابدا، لانه قد يحتوي على جراثيم (بكتيريا) يتسمم بها الغذاء.

ولكن ما خطب ذلك الشيء الشبيه بالخيط الذي يبدو في زلال البيض احيانا؟ هل هو دليل على خصوبة فائضة؟ ام دليل على ان البيضة غير طازجة؟ والواقع، ان ذلك "الخيط" الغليظ المجدول في زلال البيضة يثبت المح من كلا جانبيه في اثناء نمو البيضة. ويدلل وجوده على جودة البيضة. وان هذا "الخيط" ينزع الى الاختفاء كلما عتقت البيضة.

ولا ينصح الخبراء بتخزين البيض على الرف المخصص لذلك في كثير من ابواب الثلاجات المنزلية، لان كثرة فتح الثلاجات واغلاقها تعرض البيض للهواء، مما يؤدي الى استسراع فقد ثاني اوكسيد الكربون وبالتالي الى تكاثر خلايا الهواء التي تضعف تماسك المح وكثافة الزلال، فترتخي بذلك محتويات البيضة وتتضاءل نكهتها. اما الطريقة الصحيحة لتخزين البيض فهي ان تبقيه في العلبة التي اشتريته فيها، وتضعه بحيث تكون اطرافه العريضة متجهة الى اعلى، فوق الرف السفلي "الاكثر برودة" من الثلاجة. اما البيض الذي يخزن في درجة الحرارة العادية فانه يفقد من جودته في يوم واحد مقدارا يعادل ما يفقده من هذه الجودة طوال اسبوع كامل من تخزينه في الثلاجة.

البيض والكوليستيرول - وفضلا عما يتميز به البيض من لذة الطعم ورخص الثمن، يمكن كل انسان تقريبا ان يدخله في عناصر اغذيته. فسهولة هضمه تجعل منه واحدا من اول الاغذية الصلبة التي تعطى للرضع والمرضى والناقهين، وهو يساعد على سرعة نمو الاطفال والمراهقين، ويزود البالغين وكبار السن بوجبات الطعام السريعة والسهلة الاعداد. والمنحمين عن بعض الاغذية يقدرون ما للبيض من اهمية خاصة، فهو يكفل لهم كمية من البروتيين لكل سعر حراري تفوق ما تكفله معظم الاغذية الاخرى الغنية بالبروتيين. ونذكر على سبيل المثال، ان ١٠٠ غرام من البيض لا تحتوي على اكثر من ١٦٠ سعرا حراريا، في مقابل ٢٠٣ سعرات لسمك السلمون و٣٩٨ لجبن الشدر القاسي، و٣٧٧ للحم المفروم (همبورغر). ولكن ماذا عن ذلك البعبع القديم المخيف الذي يسمى الكوليستيرول؟

يقول جراح القلب الشهير (اللبناني الاصل) الدكتور مايكل دبغي: "اذا كان الافراط في استهلاك البيض امرا يحسن تجنبه لمن يعانون وجود الكوليستيرول في الدم، فان الفرد العادي لا يتعرض لاي خطر اذا شاء ان يمتع نفسه بكميات معقولة من هذا الغذاء المدهش".

وقد رأيت ان القي نظرة على ما

يحدث الآن لهذه البيضة العجيبة، فزرت مزرعة تعاونية لانتاج الدجاج، تضم مركزا علميا كبيرا للتربية، ومركزا للانتاج والتوزيع. وكان اول ما تعلمته هو ان الدجاجة لم يعد اسمها دجاجة، بل "آلة لانتاج البيض". ولدى الولايات المتحدة الآن عدد من هذه الآلات يفوق عدد سكانها، ويبلغ ٢٧٥ مليونا تقريبا.

ولعل من الاسباب التي جعلت مثل هذه العمليات الضخمة ممكنة، وجود مؤسسات للتربية، مثل مزرعة "آربور ايكرز" في غلاستونبيري في ولاية كونكتيكت، حيث ٤٥ من العلماء والتقنيين يركزون جهودهم في ميدان علم الوراثة والبحوث وعمليات التطوير لانتاج سلالات ارقى من الدجاج. وفي عام ١٩٣٠، كان انتاج الدجاجة الخصبة في الولايات المتحدة يبلغ متوسطه ١٢١ بيضة في العام. وقد كان للجهود التي تبذلها مزرعة "آربور ايكرز" وغيرها من مزارع التربية فضلها في ارتفاع هذا المتوسط الآن الى ٢٣٥ بيضة للدجاجة الواحدة سنويا. ومنذ اقل من ثلاثين عاما، كانت الدجاجة المنتجة تزن ٢،٦ كيلو غرام وتستهلك ٤ كيلوغرامات من الغذاء تقريبا كي تنتج ١٢ بيضة. اما دجاجات اليوم المخصصة للبيض فان وزنها يقل عن ذلك بمقدار الثلث، كما انها تأكل نصف الكمية السابقة من الطعام كي تنتج العدد نفسه من البيض.

وتستخدم مزرعة جوزف رافيتش في نورث وستشستر في ولاية كونكتيكت النموذجية التي تضم ٧٠٠٠٠ طائر، بعض الدجاج الذي انتجته مزرعة "آربور ايكرز"، وتوضع هذه الدجاجات في اقفاص من السلك لا تتسع الا لوقوفها فقط، حتى لا ترقد على انتاجها ويقدم الماء والعلف المغذي المخلوط بعناية دقيقة الى هذه الدجاجات ست مرات في اليوم؛ بينما يجمع البيض على حزام ناقل متحرك. وتحفز "آلات انتاج البيض" الدجاجة على زيادة انتاجها الى الحد الاقصى باستخدام الضوء الاصطناعي الذي يزاد تدريجا حتى يصل عدد ساعات الاضاءة "الربيعية" الى ١٦ ساعة كل ٢٤ ساعة. وتبدأ الدجاجات في وضع البيض حين يبلغ عمرها ٢٢ اسبوعا، وتستمر في الانتاج عاما واحدا.

وتجرى كل العمليات بطريقة آلية بما في ذلك الكشف الضوئي والتنظيف والتزييت والتصنيف والفرز والتعبئة. والغرض من كل هذه السرعة هو ايصال البيض الى سيارات النقل ذات الثلاجات ثم الى المستهلكين باقل ما يمكن من الوقت.

وقد نتساءل: هل يحمل الينا المستقبل القريب دجاجة فائقة متفوقة؟ وهل يعنى العلماء الآن بتطوير آلة جديدة يزداد معها انتاج البيض، فيصبح صفقة رابحة اكثر مما هي الآن، وبأثمان ارخص؟ فالاستاذ هارولد بيلير - من جامعة ميسوري - هو احد العلماء الكثيرين الذين يحاولون ايجاد سلالة من الدجاج تتفوق على مستويات الانتاج الحالية، عن طريق المزاوجة واستخدام ضوء النهار الاصطناعي ٢٣ ساعة في اليوم، وانتخاب دجاجات التربية من بين تلك التي تبيض مرة كل ٢٣ ساعة فقط، فيحقق بذلك املا يحلم به جميع منتجي البيض: وهو دجاجة تضع في كل يوم بيضة على مدار العام.

■ **جاك دنتون سكوت**

الانفعالات

هل تقتل صاحبها؟

الانفعال الذي يتسبب فيه الغضب او الخوف او الكراهية او الفرح او حتى الانتصار قد يؤدي الى وفاة مفاجئة ·

اضطر احد ملوك المال البريطانيين البارزين الى التقاعد في سن مبكرة، على اثر نزاع حاد مع شركته، فتوفي في المطار وهو يغادر بلاده للاستمتاع براحة استحقها تماما ·

توفي فجأة الرئيس الجديد لشبكة اذاعة كولومبيا وهو في الواحد والخمسين من العمر، في الليلة التالية لوفاة والده ·

في حفلة موسيقية اقيمت تكريما لذكرى الراحل لويس ساتشمو ارمسترونغ، اصيبت زوجته الثانية بنوبة قلبية قاتلة بينما كانت تعزف اللحن الزنجي "سانت لويس بلوز" ·

مصادفات؟ ربما · وانما لا يسع المرء الا ان يتساءل عما اذا كانت تلك الوفيات نتيجة للانفعال العاطفي ·

ولفكرة نسبة الموت المفاجىء الى مثل هذه الصدمات تاريخ طويل ومستمر · فمنذ وجدت سجلات مكتوبة، يقال عن الناس أنهم يموتون فجأة بينما تعتريهم نوبات من الخوف او الغضب او الحزن او الفرح · ويروى ان الامبراطور الروماني نيرفا قد توفي في القرن الاول الميلادي على اثر نوبة غضب عنيفة عارمة على احد اعضاء مجلس الشيوخ الذي اهانه ·

ويقال ان البابا انوسنت الرابع توفي فجأة بسبب "تأثره الشديد" بالهزيمة الكارثة التي انزلها بجيشه العاهل الصقلي مانفريد ·

وبعد ظهور النظرية الجرثومية تعليلا للمرض في اواخر القرن التاسع عشر، قل الاعتقاد بأن الصدمة العاطفية قد تتسبب في الوفاة الفجائية · ومع ذلك، فلم يتوقف الاهتمام العلمي بهذا الامر · ففي عام ١٩٤٢ كتب ولتر كانون، استاذ هارفارد البارز لعلم وظائف الاعضاء، بحثا عن الآليات الفيزيولوجية الممكنة "للموت بالسحر" · وفي اواخر الستينات بدأ الاكلينيكيون يتحدثون عن مصابين بأمراض قلبية ماتوا فجأة بعد ان وصلوا الى اقصى حدود التوتر ·

ولقد اشتد اهتمامي الشخصي بالاعراض الملازمة للموت الفجائي

Condensed from Psychology Today (November '77) Copyright 1977 by Ziff-Davis Publishing Co. One Park Avenue New York, N.Y. 10016

على اثر وفاة شقيقي التوأم التام الشبه بي ضحية نوبة قلبية غير متوقعة في عام ١٩٦٣. فبعد انقضاء احد عشرا شهرا بالضبط الا يوما واحدا على وفاته اصبت انا الآخر بنوبة قلبية. وقد حدث ذلك، في اثناء التوتر العاطفي الذي اصابني بينما كنت استعد للذكرى الاولى لوفاة اخي التوأم.

وبعدها مباشرة، بدأت اجمع قصاصات الصحف عن حالات الموت الفجائي. وتمكنت بفضل الزملاء والفاحصين الطبيين في انحاء العالم، من الاطلاع على ٢٧٥ حالة، وقع الموت الفجائي فيها عموما بعد دقائق او ساعات قليلة من حدث كبير في حياة الشخص المتوفى. وفي معظم هذه الحالات لم يكن الضحايا يشكون من مرض ما في ذلك الوقت، او اذا كانوا مرضى، فلم يكونوا في خطر داهم من الموت.

١٣٥ حالة — وعندما حللنا الظروف المحيطة بتلك الوفيات، برزت من خلالها اربع فئات وكانت اكثرها شيوعا ١٣٥ وفاة تتصل بانقطاع مؤلم طارىء لعلاقة قربى وثيقة او بذكرى فقد شخص عزيز. وقد حدثت سبع وخمسون من تلك الوفيات مباشرة على اثر انهيار صحي او وفاة، غالبا فجائية اصابت شخصا عزيزا. يقال ان بعض الذين افلتوا من براثن الموت، كانوا يصرخون ويرددون انهم لا يستطيعون البقاء في الحياة من دون الراحل. وكان البعض منهم في معمعة هائجة، يحاولون اعادة الحياة الى عزيزهم الراحل ويطلبون النجدة والاسعاف، عندما فاجأتهم المنية فسقطوا هم ايضا ضحيتها.

واسوق هنا مثلين: والد في الثامنة والثلاثين من العمر سقط ميتا عندما فشل في محاولاته لاعادة الحياة الى ابنته الصغيرة التي عمرها عامان والتي سقطت في بركة ماء. وتوفي رجل في التاسعة والاربعين بعد ساعتين من تلقيه نبأ موت ابنته في الاثنين والعشرين من العمر، واصابة حفيدته في حادث مرور.

وحدثت الوفاة في خمسين حالة من ١٣٥ خلال الاسبوعين الاولين من فقد عزيز، عادة زوج.

وسجل احد التقارير ثلاث وفيات متتابعة خلال اربعة ايام: نقل رجل في الثالثة والثمانين الى المستشفى لاصابته بنوبة قلبية، وفي اثنا مرضه توفيت زوجته فجأة، وجاء ابنه (وهو ابن زوج المرأة) البالغ ٦١ عاما من خارج المدينة ليرى اباه ويشترك في جنازة زوج والده، فأصيب بانهيار وتوفي في بيت والده، وفي اليوم التالي مات الوالد من شدة حزنه لفقده كلا من الزوج والابن.

وفي المرتبة الثانية من شيوع الظروف التي تسبق الوفاة - كما جرت في ١٠٣ حالات - يأتي التعرض لخطر شخصي مع التهديد بالاصابة او فقد الحياة، بما في ذلك الاقتتال والصراع والنوبات. ونذكر على سبيل المثال ان رجلا مسنا حبس خطأ في دورة مياه عامة توفي وهو يحاول جاهدا الخروج من مأزقه. وفي حالة اخرى، ثار نقاش عنيف بين صديقين حميمين سبب انهيار احدهما ووفاته من دون ان يكون تلقى اية ضربة او صدمة قاتلة، واما الصديق الثاني فكانت لقلبه سيرة مرضية طويلة، وقد اصيب بضيق التنفس وتوفي في الحال.

ومات خمسة وعشرون شخصا بعد انقضاء الخطر بفترة قصيرة، وذلك على اثر حادث سيارة لم تلحقهم منه اي اصابة. وفي حالة اخرى، نجا رجل في الخمسين من عمره من زلزال كبير ثم توفي وهو جالس الى مكتبه بعد اشهر قليلة في اثناء هزة بسيطة.

واما الفئة الثالثة - الموت الفجائي في اعقاب خيبة امل، او فشل، او هزيمة، او فقد مركز، او تقدير الذات - فقد اشتملت على ٢١ حالة، ومنها: ان رئيس كلية في التاسعة والخمسين من عمره اضطر الى التخلي عن منصبه تحت ضغط مجلس الامناء فقضى حسرة في حفلة تنصيب خلفه.

وتوفي ستة مواطنين بارزين بينما كانوا متورطين في اجراءات جنائية او في اثناء اتهامات موجهة اليهم او لاصقة بهم.

الظروف الخاصة - وقد لا يكون من المستغرب ان تحدث الوفاة في ظروف خاصة من الحزن او الخوف او الاخفاق. فقد توفي ١٦ شخصا في الفئة الرابعة والاخيرة، في لحظات الانتصار، او بعدما بلغوا هدفا طالما سعوا اليه، او على اثر التقاءات مرحة بعد غيبة طويلة او نهايات سعيدة. فقد توفي رجل في الخامسة والخمسين على اثر مقابلته لوالده البالغ من العمر ٨٨ عاما بعد فراق دام عشرين سنة. وعندها سقط الاب ميتا.

وتوفيت امرأة فجأة في الخامسة والسبعين من عمرها بعد انقضاء اسبوع من السعادة جددت فيه صلاتها باسرتها التي كانت قد افترقت عنها منذ ٦٠ عاما.

وكسب رجل في الخامسة والسبعين رهانا مضاعفا بمبلغ ١٦٨٣ دولارا في مقابل دولارين اثنين، فتوفي وهو على وشك تسلم قيمة تذكرته الرابحة.

وتتميز التقارير عن الموت المفاجىء بالقاسم المشترك الذي يجمع في ما بينها، وهو انه في معظم الحالات يواجه الضحايا احداثا لا يسعهم تجاهلها، اما لانها غير متوقعة او مؤثرة، واما بسبب شدة وطأتها او استحالة تغييرها. ويعني هذا ضمنا ان الشخص المعني لم يعد له، او لم يعد يعتقد أنه يملك زمام الموقف او ان في مقدوره ان يسيطر عليه، او ان يمتلك نفسه، او انه يخشى فقد ما بقي له من انضباط الاعصاب. ويبدو ان التفكير يذهب ببعض الناس الى الاعتقاد ان الامر لم يعد يستحق القيام بمحاولة تغيير الموقف. بل انه يبدو لهم، على العكس، وكأنهم يتوقعون الموت وينتظرونه في هدوء تام.

ويبرز مثل هذا الشلل في مواجهة الطريق المسدود، بروزا مثيرا، في حالة ذلك الرجل ذي الخمسة والاربعين عاما الذي وجد نفسه في موقف لا يطاق في البلدة التي يسكنها، فقرر ان يهجرها. وعندما كان على وشك الاستقرار في بلدة اخرى، نشأت المشاكل في وجهه هناك ايضا. ومع ذلك، وعلى الرغم من تحسسه الاليم بالازمة، فقد ركب القطار مع صديق له الى مستقره الجديد ولكنه ترك القطار عندما توقف في احدى المحطات في منتصف الطريق. وروى صديقه انه توفي في الحال من انسداد تاجي نتج من شعوره بانه لا يستطيع المضي في طريقه ذهابا ولا العودة ايابا.

... **والحيوانات كذلك** - ولا تقتصر حوادث الوفاة الفجائية، الناجمة عن التوتر النفسي، على البشر. فناصبو الشراك وحراس حدائق الحيوان يعرفون ان الحيوانات قد تموت على اثر اقتتال او عندما يصبح الهرب مستحيلا او عندما تنقل الى مكان غير مألوف او تتعرض للاثارة المفاجئة. ويحدث في المختبرات ان تظهر الاضطرابات القلبية القاتلة عندما تزج الحيوانات في مواقف لا تستطيع التصرف حيالها.

وقد تتصل تلك التغييرات النفسية بجهازي طوارئ أساسيين يستخدمهما كل من الحيوان والبشر لمواجهة الخطر. فالاول يطلق عليه اسم جهاز الهرب والقتال، يتولى تعبئة مواد الجسم للقيام بعمل محرك سريع وشامل. والثاني، جهاز المحافظة والانسحاب، يعد الجسم للتخلص والسكون محافظة على الحياة عندما لا يستطيع الحيوان شيئا في مواجهة بيئة تتهدده.

ويتوازن الاثنان عادة توازنا تاما في علاقة متبادلة، ولكن علاقة الاخذ والعطاء بين الجهازين تنهار احيانا تحت ضغط الاثارة الشديدة او المتعارضة، في مثل حالة وجود اضطراب نفسي طاغ. وقد يؤثر التحول السريع من استجابة الى اخرى تأثيرا خطيرا في عمل القلب والدورة الدموية.

وتموت حيوانات المختبرات فجأة تحت وطأة ظروف مماثلة لتلك التي غالبا ما تصحب مثل هذه الوفيات البشرية. ثم ان السبب المباشر للوفاة كثيرا ما يكون اضطرابا في نبض القلب، وهذا السبب الاعم بين البشر، حسبما تشير اليه الادلة المتعددة.

والمعروف ان بعض المواد الهرمونية التي يزداد افرازها في اثناء التوتر، تهيء القلب لمثل تلك الاضطرابات القاتلة في النبض. وفي المختبرات يمكن انقاذ الحيوانات من النوبات القلبية بواسطة ادوية تسد منافذ الاعصاب الى القلب وتبعث على استقرار نبضه.

وربما اوضحت التجارب المستقبلية على الحيوان في احد الايام سلسلة الاحداث التي تربط التوتر بالوفاة، وربما اوحت بطرق جديدة لنقيض العملية. اما في الوقت الراهن، فيحسن بالاطباء الذين يتعاملون مع مرضى مصابين بامراض قلبية او امراض مزمنة، ان يتحسبوا للاحداث التي قد تثير ردود فعل عاطفية مفاجئة لدى هؤلاء المرضى. ولعلهم يفكرون في استعمال دواء مضاد لاضطرابات ضربات القلب، قبل وقوع مثل ذلك الحدث الضار المتوقع، ويتنبهون في حالة حدوث وفاة في العائلة، الى ان بعض المهدئات تزيد من اضطرابات نبضات القلب لدى بعض الناس. وربما كان من الافضل اجراء الفحص العام الروتيني قبل، لا بعد، احداث مهمة مثل التقاعد او ذكرى وفاة شخص عزيز. وفي الوقت نفسه فان المزيد من البحث المستفيض لحالات الوفاة الفجائية من شأنه ان يفضي الى معلومات مفيدة للاطباء ولاولئك المعرضين للخطر.

■ **الدكتور جورج انجل**

الدكتور جورج انجل استاذ الطب النفساني والطب العام في معهد الطب وطب الاسنان في جامعة روتشستر، الاميركية وهو سلخ ٣٥ عاماً من حياته عاملا في مضمار الامراض الجسدية - النفسية.

أنا الملك



قصة حياة محمد علي



يبدو محمد علي وكأن كل ما يحيط به ويمت اليه يتسم بصيغة التفضيل العليا. رجل ينادي بنفسه انه "اجمل واعظم" بطل للملاكمة من الوزن الثقيل في العصور قاطبة. هذا هو محمد علي، الذي ولد باسم كاسيوس كلاي واصبح اشهر الملاكمين في تاريخ الرياضة، واقربهم الى القلوب، واكثرهم عرضة للكراهية، واكثرهم اثارة للجدل، وافذهم في جميع الفئات. واما روبرت ليبسايت، فهو المحرر السابق لباب الرياضة في صحيفة "النيويورك تايمس"، وقد تابع خطوات محمد علي منذ انطلاق شهرته. وهو يعرض هنا السيرة الاسطورية بكل ما فيها من سعود الطالع ونحوسه، وما تحفل به من جد وهزل، ويصف لنا التناقضات المتعددة التي تتميز بها شخصيته المحببة والمثيرة في آن.

انا الملك

في ساعة السكون التي تسبق الفجر، تحت قمر افريقي متخافت غارب، وقف رجلان من الامريكيين السود وجها لوجه في بداية الفصل الختامي من مسرحية قاسية يراقبها الملايين في انحاء العالم. كان الرجل الاصغر سنا، وهو بطل العالم في الملاكمة من الوزن الثقيل، يحدق في خصمه بنظرة ثابتة من عينين تنضحان بالشر وتحملان نذر الالم والهلاك. غير ان الرجل الآخر الاكبر سنا والذي كان بطلا

بدوره، لم يظهر اي خوف، وقال بصوت هادىء خافت: "لقد كنت تسمع عني منذ حداثتك، وتتابعني منذ كنت صبيا صغيرا، وها أنتذا الان امامي، في حضرة مولاك!"

كان الهواء مثقلا بما يحمل من رموز واساطير، والبلد كان اسمه الكونغو البلجيكي، يوم كان مسرحا للاستغلال الاستعماري، فأصبح اسمه الان زائير، بعد ان افتدى استقلاله بفترة دامية من الصراع الداخلي العنيف،

وفي ذاك الصباح من يوم ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ الذي اشرق على العاصمة كينشاسا، كانت حكومة زائير هي اول حكومة في التاريخ تنظم مباراة في بطولة الوزن الثقيل بالملاكمة، وقد ضمنت لكل من الملاكمين مبلغا لا يصدق مقدارهخمسة ملايين دولار،

كان البطل جورج فورمان في الخامسة والعشرين من عمره، تكسو جسده عضلات بالغة القوة، وتبدو كتفاه كأنهما قذيفتا مدفع، وكان المفضل فينظر الجمهور، والتنبؤات تميل الى جانبه، لأنه منذ حصوله على الميداليةالذهبية الاولمبية في ١٩٦٨، فاز في ٤٠ مباراة للملاكمين المحترفين، منها ٣٧ بالضربة القاضية، ولم يحدث ابدا ان استطاع ملاكم طرحه ارضا،

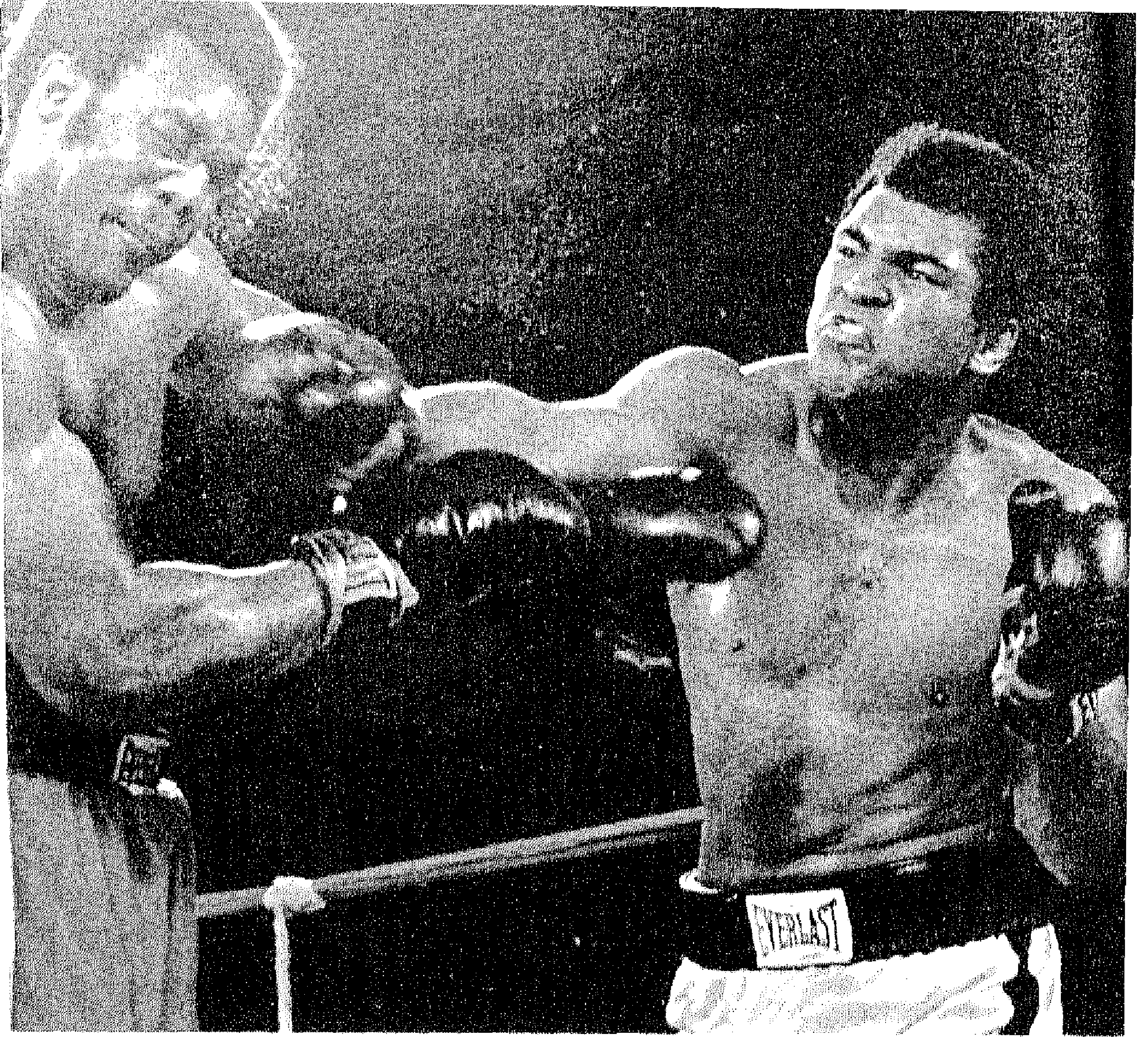
غير ان المتحدي كان محمد علي، ذاك الذي يعود اليه الفضل في اخراج هذا المهرجان الذي وصفه هو نفسه بأنه "زئير في زائير"، وهو كان له من العمر ٣٣ عاما تقريبا، وقد جاوز عنفوانه وبدأ يذبل على مشارف الرحلة الى منتصف الحياة، ولم يكن قد اشتهر بعد بلكماته الساحقة المهلكة. والان وهو يواجه منافسا تقوم شهرته على مثل تلك اللكمات، فكيف لمحمد علي - بحكم السن - ان يعتمد على موهبته الكبرى، اي سرعته التي تخطف الابصار،

كان بين المشاهدين اولئك الذين يحبون محمد علي واولئك الذين يكرهونه، لكن الجميع كانوا متفقين في تنبؤهم بالنهاية نفسها لهذه المباراة، فالذين احبوه لقوة ايمانه الاسلامي ومؤاخاته لغير البيض في العالم اجمع كانوا يخشون ان ينكل به خصمه ويسحقه، وكان الذين يكرهونه لخروجه على المسيحية وعلى روح الوطنية الامريكية التقليدية، يأملون في ان يجيء انتصار فورمان عليه حاسما، ساحقا، كفيلا باسكاته الى الابد،

وقبل ذلك بعشر سنين، كان الذين احبوه والذين كرهوه - لمجرد نزعته الى التفاخر الصاخب - قد اجمعوا ايضا على توقع نهايته، وكان ذلك في ليلة انتصاره على سوني ليستون وانتزاع البطولة منه، ولكنه لم يكن يومئذ سوى كاسيوس كلاي فحسب، وها هو قد اصبح منذ ذلك الحين اكثر الرياضيين اثارة للجدل وفتنة للجماهير في تاريخ الرياضة على اطلاقها وصاحب وجه من اوسع الوجوه شهرة في انحاء المعمورة، فهل حانت نهايته الآن؟ ام ان التنبوؤات قد اخطأت الحساب؟

التكتيك الخطر

وما ان قرع الجرس حتى تقدم العملاقان الى وسط الحلبة، ومضت



خلال مباراة البطولة في كينشاسا، زائير، محمد علي يقذف فك جورج فورمان بيمنى صاعقة.

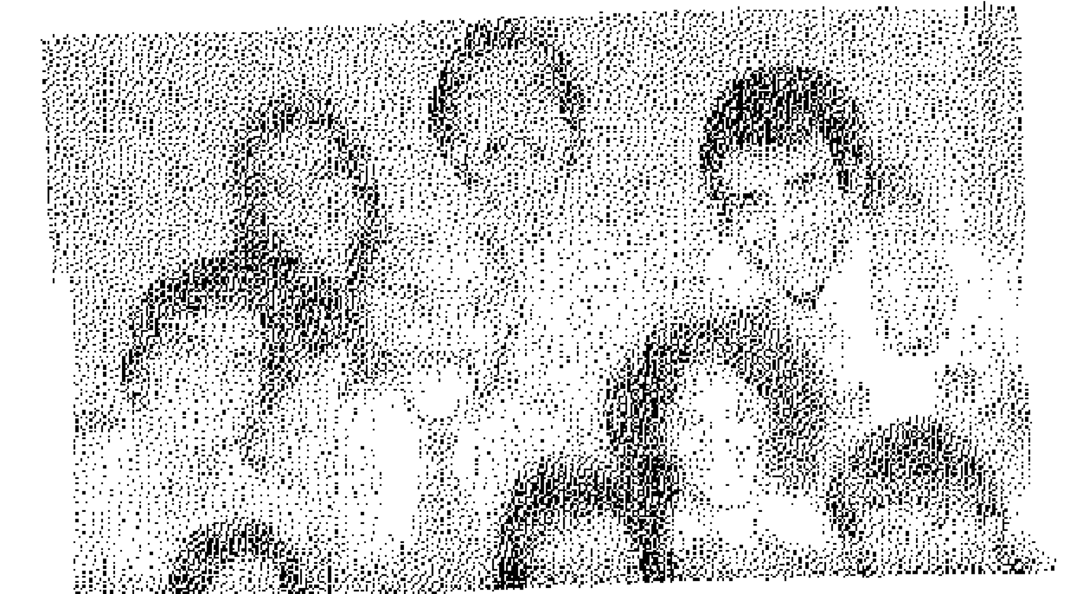
هنيهة وهما يدوران حول بعضهما بحذر، ثم لم يلبث محمد علي ان اطلق هجومه الاول: مجموعة من ضربات يسرى خطافية قوية ويمنى لاحقة صوبهما الى رأس فورمان فأصابه. واندفع فورمان الى الامام هائجا، فالتحم به محمد علي وطوق رقبته ودفع رأسه الى اسفل. ولم يسبق لاحد ابدا ان ضرب فورمان بهذه الشدة او في مثل هذه اللحظة المبكرة من المباراة، ولم يحدث ابدا ان تجاسر احد على اختبار قوته بالتلاحم معه.

وفي هذه الجولة الاولى تمكن فورمان بعد قليل من دفع محمد علي الى الحبال بجانب الحلبة، وراح يدقه بقبضتيه. لكن محمد علي تمكن بسهولة من اخماد حدة الهجوم، بأن جعل اقوى ضربات فورمان تنزلق على ذراعيه وكتفيه. بينما راح خبراء الرياضة القابعون الى جانب الحلبة



ما عليك إلاّ أن توجّه الكاميرا وتضغط الزرّ. أما الباقي فتقوم به بولارويد ١٠٠٠ الجديدة.







كاميرا بولارويد ١٠٠٠ الجديدة للصور الفورية تضع في يدك حالاً صورة ملوّنة من نوع إس إكس ـ ٧٠. شاهدها وهي تتبلوّر أمام عينيك.

لا داعي لضبط فتحات العدسة أو سرعة الحجاب لا داعي للتركيز. لا داعي لضبط المسافة. لا داعي لضبط أي شيء أو العبث بأي شيء قبل أو بعد أن تلتقط الصورة. ما عليك إلاّ أن توجّه بولارويد ١٠٠٠ نحو الهدف وتضغط الزر. العين الكهربائية تتحكّم أوتوماتيكياً في مدّة التعرّض بالفلاش أو في ضوء النهار، فتخرج صورة زاهية الألوان من نوع إس. إكس ـ ٧٠ ثوانٍ، بفعل موتور يعمل ببطّارية تر[...] داخل كل علبة فيلم.

وهناك مفاجأة سارة أخر[...] الثمن متهاود جداً بحيث [...] يبدو مستحيلاً. وهذه المنفعة التي تجنيها أنت خبرة بولارويد الواس[...] تفضل بزيارة أقرب محل اللوازم الفوتوغرافية اليوم.

بولارويد

٣٠ عاماً في طليعة التصوير الفوري

بولارويد و إس إكس ـ ٧٠ علامتان تجاريتان لمؤسسة بولارويد، كامبردج، ماساشوستس، بالولايات المتحدة الامريكية. الحقوق محفوظة لبولارويد

يغمغمون مذعورين: ان محمد علي لا يرقص بل يتمايل من جانب الى آخر فحسب، ويصوب ضربات يمينية، وهذا تكتيك خطر ازاء ملاكم ضرّاب مثل فورمان، لأنه يعرضه للهجمات المضادة، ويسمح محمد علي لفورمان بأن يدفعه الى الحبال، ويثخنه ضربا لعله بذلك يستنفد قوة الضرب لدى فورمان. ولكن محمد علي اكبر من فورمان بسبع سنوات، وبالتالي كان من غير المحتمل ان ينجح مثل هذا التكتيك.

ولكن طرقات قبضتي فورمان كانت تنزل على ذراعي محمد علي وكتفيه من دون ان تنال الاجزاء الحيوية من جسمه، كما انه اتخذ من حبال الحلبة التي كان يستند اليها وسادة تمتص الصدمات وتلطف وقعها. وكان فورمان ملاكما آليا مهيأ لتسديد ضربات متواصلة الى خصم راقص، فاذا به في حضرة خصم يتلقى الضربات ولا يبدو اطلاقا انه ينوي التهرب منها. ولم يعتم الامر حتى انبرى محمد علي للرد على الضربات بمثلها، وبسرعة تفوق سرعة فورمان، ويوسعه تأنيبا مهينا ساخرا، بقوله: "انك لست سوى هاو يا جورج. هيا، ارني شيئا منك له قيمته".

وعندما حلت الجولة الخامسة، كان وجه فورمان مليئا بالاورام وكانت ساقاه مثقلتين بطيئتين، ونال منه الجهد حدا اصبح لا بد معه من بذل كل ما في وسعه: راح يقذف وجه محمد علي وبطنه بضربات يمينه الطارقة وشماله الخطافية، حتى أوشك بدنه الهائل على الانفجار من فرط الجهد. مئة ضربة تقريبا، وكان ذلك اقصى ما يقوى عليه.

ولكن محمد علي ظل صامدا، ثابتا على قدميه كالطود.

وهبت جماهير المتفرجين وقوفا وهي تهدر: "علي، بومايي!" ("اجهز عليه يا علي!"). وسرعان ما تحركت يدا محمد علي وانطلقتا بضربات تخطف البصر، فأصاب خصمه بأثنتي عشرة لكمة صاعقة، انهاها بيمين عرضية كادت ان تطوح رأس فورمان هنا وهناك.

وجاءت النهاية فجأة في الجولة الثامنة. ويقدر البعض ان تلك الضربة الختامية الحاسمة كانت اروع لكمة واقوى ما وجهه محمد علي في حياته كلها، فقد كانت يمينا ساحقة كأنها مطرقة هائلة انحطت بثماني لكمات عنيفة على فورمان، فانحنى من شدة وقعها الى الامام، وانطرح متكوما على حلبة الملاكمة. فاستعاد محمد علي عرشه، وهو ما لم يفلح به قبله سوى رجل واحد.

ومشى محمد علي الى حافة الحلبة ونظر الى اسفل حيث يجلس الصحافيون ورجال التلفزيون والمعلقون الاذاعيون. وكان هؤلاء من المخضرمين الذين عرفوه جيدا ولم يعودوا يتوقعون منه ذلك التواضع التقليدي الذي يتحلى به الرياضي الظافر.

وصاح فيهم محمد علي: "ألم اقل لكم؟ ها انذا قد قرنت القول بالفعل. لقد قلت اني اعظم ملاكمي الوزن الثقيل في التاريخ كله، فهل سمعتم؟"

شيء جدير بالاهتمام

صبي ناحل في الثانية عشرة من

عمره، يقف تحت المطر عند ناصية شارع في مدينة لويزفيل في ولاية كنتكي، وهو يصرخ باكيا، وقد ضم بعنف قبضتيه الملوثتين بالدهن من اثر الفشار (حب الذرة المشوي) الذي كان يوزع مجانا في معرض صناعي محلي. وقد اغراه المعرض- والفشار- واجتذباه الى وسط المدينة. مغفل! فبينما هو مستغرق في اشباع شراهته الى الفشار، اختفت دراجته الحمراء التي يبلغ ثمنها ٦٠ دولارا. وها هو يركض هنا وهناك في جميع الاتجاهات ويحدق في غبش الغروب باحثا عنها، ولكنها تبخرت... فراح يتساءل مستغربا: كيف يبلغ بك الاهمال هذه الدرجة، يا كاسيوس كلاي؟

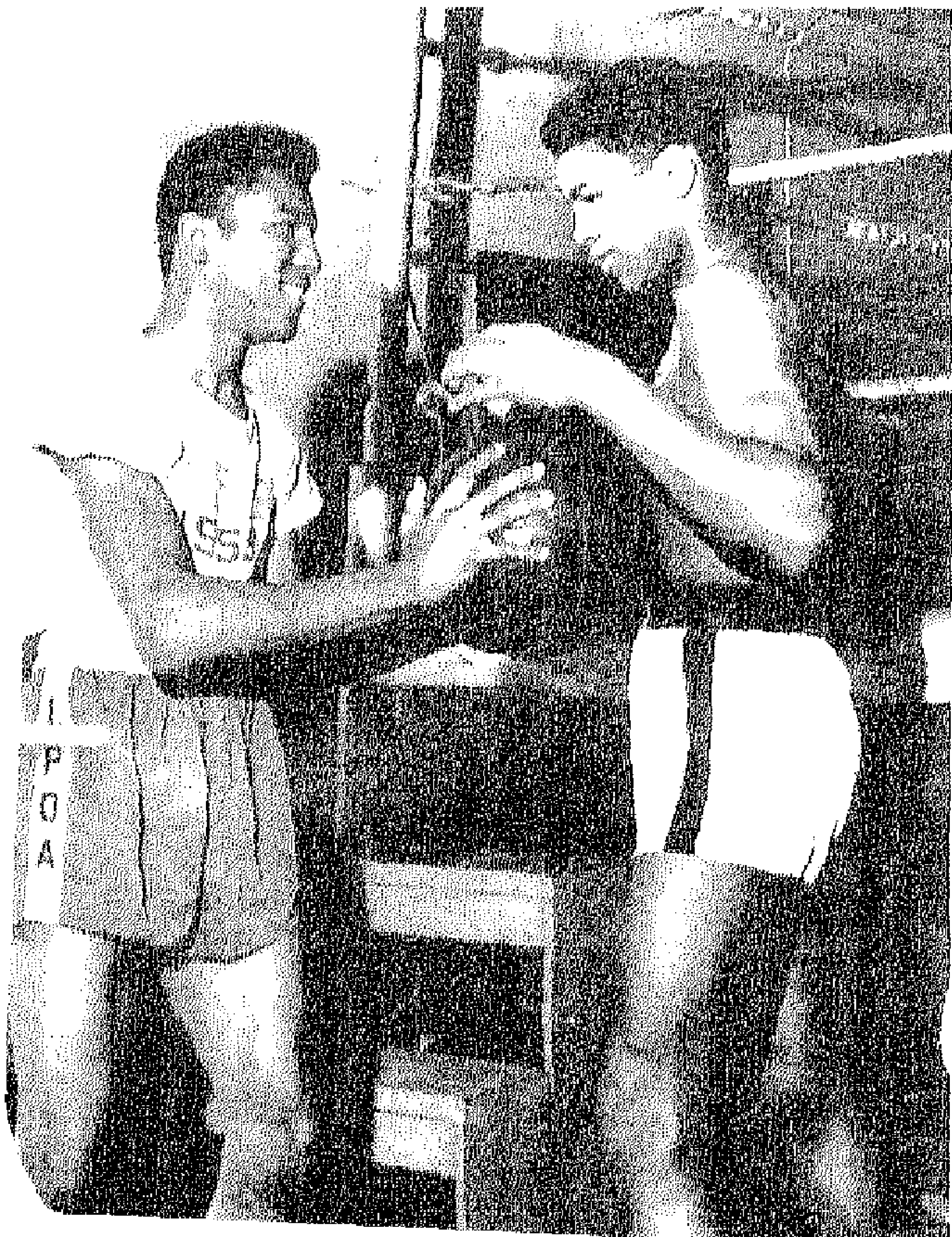
ويوقف الصبي احد المارة: "هل رأيت دراجة حمراء؟" فيهز الرجل رأسه نفيا، ويقترح عليه ان يتجه الى الدور التحتي من مبنى قريب: "هناك ستجد شرطيا اسمه جو مارتن، قد يمكنه ان يساعدك"

ويسرع الصبي الى هبوط الدرج، ويندفع من باب امامه ليجد نفسه وسط نادي كولومبيا الرياضي، فتنحبس انفاسه دهشة لما فاجأه من الانفجارات الحركية والصوتية: فهناك في احد الجوانب، زمرة تضم عشرة فتيان، من السود والبيض، يثبون ويتلولبون، والاجراس تدق، والحبال تطقطق في التطامها بعضها ببعض وتختلط بصرير اخشاب الارض، والقبضات ذات القفازات ترتطم بكيس جلدي ثقيل محدثة صوتا مكتوما. وكان في الحلبة شخص يلاكم ملاكمة وهمية ويرسل الضربات بسرعة يعجز كاسيوس عن ملاحقتها بعينيه، وتعلو الاصوات، يتخللها ايقاع على كرة اللكم السريع شبيه بايقاع طلقات المدفع الرشاش "توك توك تاك، توك توك تاك".

ويجمد كاسيوس وكأنه مسحور، فتنقضي دقائق قبل ان يبحث عن جو مارتن ويعثر عليه، ويقول له: "لقد سرق احدهم دراجتي، وعندما اجده سأضربه ضربا مبرحا".

ويهز مارتن رأسه بصبر. وعلى الرغم من انه ليس في نوبة عمله، الا انه يكتب تقريرا عن الحادث، ثم يفحص الصبي بعينيه، ويسأله: "هل

في الثامنة عشرة، كاسيوس كلاي (الى اليمين) يتدرب في نادي كولومبيا مع شقيقه رحمن (١٦ سنة) قبل دورة ١٩٦٠ الاولمبية.



تعرف كيف تلاكم؟"
ـ كلا، ولكني سأقاتله وأضربه ضربا شديدا و٠٠٠
ـ ولماذا لا تأتي هنا وتبدأ التدرب؟ فنحن ندرب على الملاكمة كل مساء من السادسة حتى الثامنة٠

ثم يعطي مارتن كاسيوس طلب التحاق، يدسه الصبي في جيب خلفي٠

ولم يوفق كاسيوس الى استعادة الدراجة الضائعة٠ ولم تكن الستون دولارا بالامر الهيّن لدى عائلة كلاي، فأبوه كاسيوس مارسيلوس كلاي كان يعول زوجته وابنيه من عمله كدهان للافتات٠ وهو وان كان قد تمكن من شراء بيته الخاص، الا انه لم يكن لديه ما يكفيمن المال٠ كان رجلا ذلق اللسان، وسيم الصورة، وله مطامح فنية تفوق حدود عمله. وكان يحس بالهوان لاضطرار زوجته الى العمل في تنظيف البيوت في مقابل اربعة دولارات في اليوم تساعدها على سداد تكاليف الاسرة٠

واحس كاسيوس الصغير بفداحة غفلته، فظل حبيس منزله وهو منكس الرأس خلال الايام التالية٠ وفي يوم السبت جلس يشاهد برنامجا تلفزيونيا محليا عن هواة الملاكمين، فلاحظ وجود ذلك الشرطي، جو مارتن، في ركن الحلبة وهو يعاون احد الملاكمين٠ عندئذ وثب كاسيوس الصغير من مقعده وصاح يخاطب امه: "هل رأيت قصاصة من الورق في جيب بنطلوني؟"

كانت اوديسا غرادي كلاي امرأة جميلة، تفيض حبا لبكرها٠ فهزت رأسها ايجابا عن سؤاله اذ انها كانت قد انتزعت الورقة من جيبه وحرصت على وضعها جانبا قبل ان تغسل بنطلونه٠ وفي مساء الاثنين، عاد كاسيوس الصغير الى نادي كولومبيا الرياضي٠

كان جو مارتن، شرطي المرور الابيض، رجلا تنازل عن كل الترقيات في سلك شرطة المرور، ليتفرغ بكليته لحبه الاول والاخير: الملاكمة، منصرفا بحماسة في نادي كولومبيا الرياضي الى الاهتمام بالفتيان المتدربين، وباخراج البرنامج التلفزيوني عن الملاكمين الهواة بعنوان "بطل الغد"، الذي شاهد كاسيوس عرضه على الشاشة في منزله والذي كان يتيح لمارتن ان يقدم الى كل من الفتيان الفقراء اربعة دولارات عن كل مباراة يقوم بها وتذاع في البرنامج، فضلا عن الشهرة الفورية التي ينالها الملاكم الفتى نتيجة لذلك٠

وكان كاسيوس في الثانية عشرة من عمره، فتدرب طيلة ثلاثة اشهر تأهبا لاول مباراة تذاع له بالتلفزيون٠ وكان استعداده لها تمهيدا لذلك النوع من "الترويج الذاتي" الذي تميزت به في ما بعد مبارياته الاسطورية ذات الملايين من الدولارات لنيل البطولة٠ فهو استمر على مدى اسبوع قبل المباراة التلفزيونية يطوف بأنحاء مدينة لويزفيل ويطرق الابواب، ويستوقف الغرباء معلنا بقوة: "انا كاسيوس كلاي، وسيذيع التلفزيون مباراتي في الملاكمة، فآمل ان

فافرلوبا

ساعة فافرلوبا قلب سويسرا النابض.



FAVRE-LEUBA
Genève
"FLATLINE QUARTZ"

تشاهدوني". فاذا لم يغلق الباب في وجهه، واصل كاسيوس حديثه ليحدد تاريخ المباراة وموعدها والقناة التي ستذيعها، مضيفا تنبؤه لنفسه بالفوز.

وبعد ذلك بسنوات، عندما فاز كلاي ببطولة الوزن الثقيل، اعترف جو مارتن بان كاسيوس الصغير كان المؤمن الوحيد، منذ البداية، بتمكنه من ان يصير يوما ملاكما عظيما. ويقول مارتن: "كان كاسيوس مجرد ولد عادي، طلق اللسان، ولكنه كان يجهد اكثر من اي واحد من مئات الفتيان الاخرين الذين دربتهم، وكان يأبى الاستسلام لليأس او ضعف الامل، وكان يبدو بوضوح انه مستعد للقيام بأي شيء يرفعه الى القمة".

صيف في روما

كانت لكاسيوس موهبة ارضاء الجماهير، على الرغم من فجاجة اسلوبه، وسرعان ما اصبح يظهر بانتظام في برنامج التلفزيون، وذاعت شهرته في حيه، فهابه افراد العصابات وتغافل المدرسون عن ضعف جهده المدرسي، بل- وهو الاهم- بدأ يكتسب تقدير افراد عائلة ابيه الكبيرة البارعة، والمليئة بالمدرسين والموسيقيين والحرفيين واصحاب الاعمال. وقد نفى محمد علي بغضب في ما بعد، ما قيل عن نشأته بأنه ينتمي الى "الطبقة المتوسطة" وحكى قصصا عن الملابس المستعملة وقلة الوجبات بسبب نقص النقود في البيت، ومما لا نزاع فيه

كلاي في لقاء مع تسعة من اصحاب الملايين العشرة في لويزفيل الذين تولوا رعايته في سنواته الأولى في عالم الملاكمة.



انه كان يتمتع في حضن اسرته بالدعم المعنوي والامان الذي يوفره تماسك الاسرة، وبذلك التوجيه نحو الهدف المنشود الذي تميزت به عائلة كلاي والذي تفتقر اليه الاسر التي يرهقها العوز.

وفي عامه الاول في ساحة الملاكمة، مني كاسيوس بهزيمة قوية في دورة محلية للفوز "بالقفاز الذهبي" انزلها به ملاكم يدربه رجل اسود يدعى فريد ستونر، يدير حلبة رياضية صغيرة في مركز اجتماعي في سموك تاون، افقر الاحياء الثلاثة التي يسكنها السود في لويزفيل. وفي اليوم التالي جاء كاسيوس الى حلبة ستونر وسأله: "هل شاهدتني في التلفزيون؟" فقال ستونر: "انت تملك الشجاعة والارادة، وانما تنقصك المهارة. ونحن ندرب هنا من الثامنة مساء حتى منتصف الليل. واذا تمكنت من الحضور فسأعلمك كيف تلاكم". وبذلك تقرر نمط حياة المراهق كاسيوس، فراح يستيقظ في الخامسة صباحا ليمارس العدو في منتزه المدينة، ثم يسابق الاوتوبيس ركضا حتى يصل الى المدرسة على بعد كيلومترين تقريبا، ثم يجلس في المدرسة يغالب النعاس حتى موعد الغداء فيعود الى العدو مرة اخرى. وكان يقضي اوقات ما بعد الظهر وعطلات نهاية الاسبوع في السعي الى كسب مصروفه الشخصي بالعمل في تشذيب الحدائق الخاصة وتنظيف الارض في مدرسة كاثوليكية. وما زالت الراهبات يتذكرن تدريباته على الملاكمة امام زجاج دواليب الكتب في المكتبة. وفي العشية كان يتدرب مع جو مارتن، وكثيرا ما كان يذهب في الليل بعد ذلك، ليواصل التدرب مع ستونر.

وامتلأ جسده الناحل وكسته العضلات، وانصبت حيويته وسرعته الطبيعيتان في لكماته السريعة كالبرق وحركات قدميه التي تخطف البصر، يساعده عقل رشيق لم ينهكه التعليم التقليدي، فراح يتغذى على دراسة الملاكمة. وكان يرتاد حلبات الرياضة ليراقب الملاكمين الآخرين، ويحملق في صور الابطال السابقين، ويستثير المدربين والمديرين والملاكمين السابقين ويستدرجهم الى ابداء النصح ويبادلهم الهذر.

وقد حفظته الملاكمة قويا صحيح البنية، وابعدته عن التسكع في الشوارع واسبغت عليه احتراما اجتماعيا وأكسبته ميزات وفرضت عليه انضباطا خلقيا وبدنيا وعقليا تسنى له معه ان يتجنب المتاعب والاغراءات. كما تجنب المخدرات والخمور والنساء ومشاجرات العصابات وبقية المزالق في الاحياء الفقيرة، بمجرد ان يقول لنفسه ببساطة: "انني اتدرب كي اصبح البطل".

ولا نزاع في انه كان ذاك البطل. فمنذ الثانية عشرة من عمره حتى الثامنة عشرة، وضع كاسيوس نصب عينيه هدفا: ان يصبح ابرع الملاكمين الهواة في العالم. فلاكم طيلة ست سنوات في أكثر من مئة مباراة للهواة ولم يخسر منها سوى النزر القليل الذي يعد على الاصابع.

وفي صيف عام ١٩٦٠، في دورة الالعاب الاولمبية في روما، برز

كاسيوس كلاي الى العالم. كانت امريكا تترنح على حافة عقد تملأه الاضطرابات. فهناك نذر القلاقل العنصرية وارتفاع ميزان الحرب الباردة وتتأجج المشاعر المضادة لامريكا في البلاد النامية، في آسيا وافريقيا. وها هوذا، فجأة، زنجي ضخم وشاب وسيم، مليء بالحيوية والحماسة، لا يكاد يفوز بسهولة تثير العجب، بالميدالية الذهبية للملاكمة في وزن الخفيف الثقيل، حتى يتخلص من اسئلة صحافي سوفييتي عن التفرقة العنصرية في امريكا بقوله: "ابلغ قراءك ان لدينا رجالا اكفياء يعالجون هذه المسألة وانني لست قلقا على النتيجة. وان الولايات المتحدة، في نظري، لا تزال افضل بلاد العالم، بما في ذلك بلادك انت".

وعاد كاسيوس الى بلدته لويزفيل حيث لقي استقبال الابطال... بما في ذلك من مواكب وولائم ومصافحات من رئيس الشرطة ومفتاح من عمدة المدينة وخبطة ودودة على ظهره من حاكم ولاية كنتكي الذي قال له: "يا غلام، اعرف انك فخور بأسم "كاسيوس كلاي"، واعرف انك فخور بأن تحمله". وتدفقت عروض التعاقد من كل صوب. ووقع آل كلاي اخيرا على عقد مع مجموعة من اعيان لويزفيل، عشرة من اصحاب الملايين قدم كل منهم الف دولار، وضمنوا تكاليف التدريب كاملة لمدة ست سنوات، نظير حصولهم على النصف من كل دولار يكسبه كاسيوس. وكانت تلك صفقة جيدة لكاسيوس في ذلك الحين، حيث سادت اريستوقراطية المشروبات والتبغ في كنتكي، وها هي تدعمه بما يبعث على الاطمئنان. الا انه كان يدرك على الرغم من ذلك، ان اصحاب الملايين هؤلاء يعتبرونه وكأنه من "الممتلكات الرياضية"، مثل جيادهم الاصيلة وسياراتهم الاجنبية. وقد ازعجه بعض الشيء ما قالته الصحف عن اصحاب الملايين هؤلاء بأنهم الملائكة الحارسة لفتى اسود فقير بلا حيلة، وما سمعه عن ردة فعل الجمهور، من فم قسيس اسود قال في عظته يوم احد: "لكم يجدر بكاسيوس ان يشعر بالامتنان الابدي لما يفعله اولئك المسيحيون الطيبون اصحاب الملايين من اجل روحه السوداء".

"غلباوي" لويزفيل

في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٠، فاز كاسيوس كلاي بأولى مبارياته كمحترف، وكانت الحصيلة ٢٠٠٠ دولار، اي ما يكاد يعادل كل ما كسبه بعدئذ في مبارياته الاربع التالية جميعها.

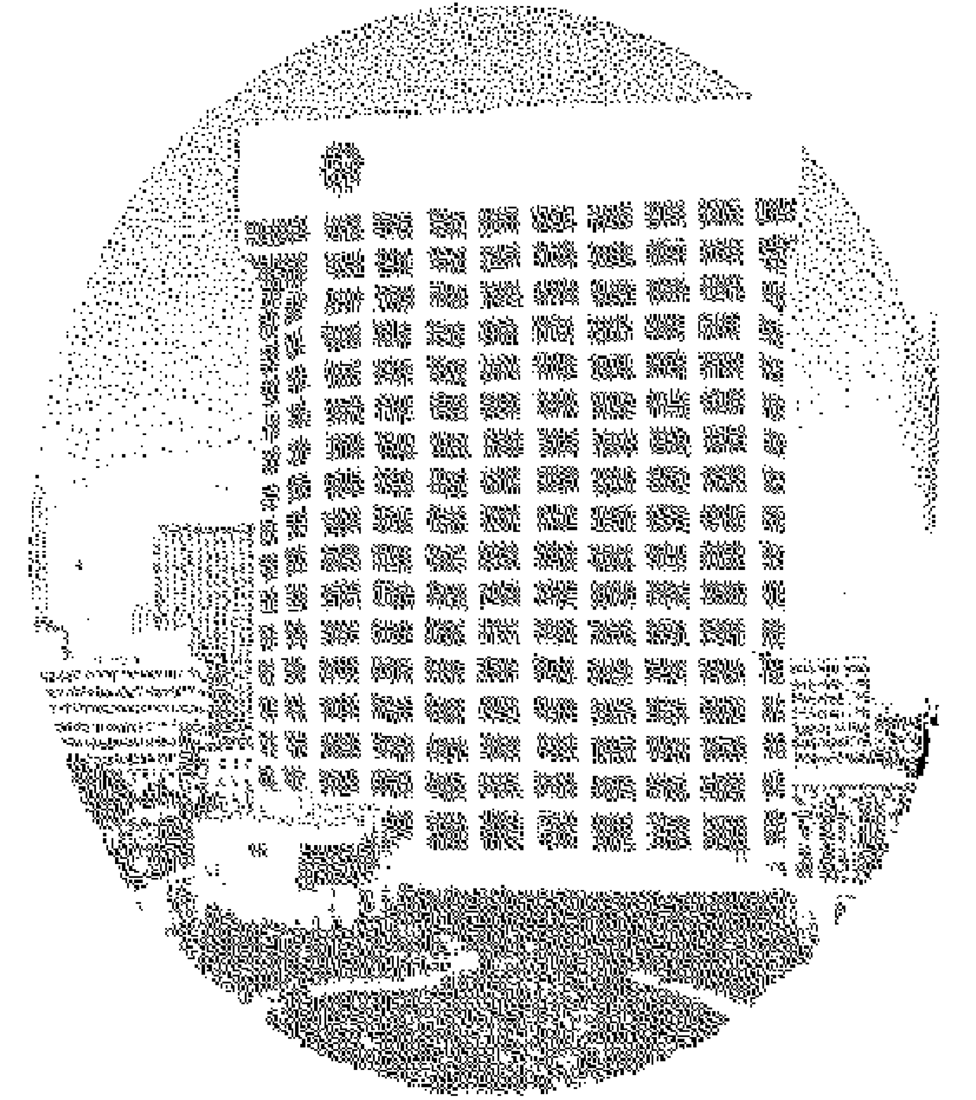
وانتقل كاسيوس الى ميامي بيتش لاتقان حرفته. وكان في وسع جماعة لويزفيل ان تنفق على افضل المعلمين، فأختارت انجيلو داندي. وكان ذلك اختيارا حكيما. وقد غير كلاي في السنوات التالية اسمه، وديانته ومدير اعماله ومتعهديه وزوجاته. لكن ذلك الايطالي-الامريكي القصير القامة من فيلادلفيا، ذا العينين الكئيبتين واللسان اللاذع، كان دائما ظلا الى جانبه، يعرف كيف يوجهه. ويقول انجيلو: "هذا نوع جديد من البشر، بل انه حالة خاصة لا تتقبل الاوامر، كما

حديقة اوتيل نيو اوتاني – طوكيو ٠

اوتاني الجديد انيق وفسيح

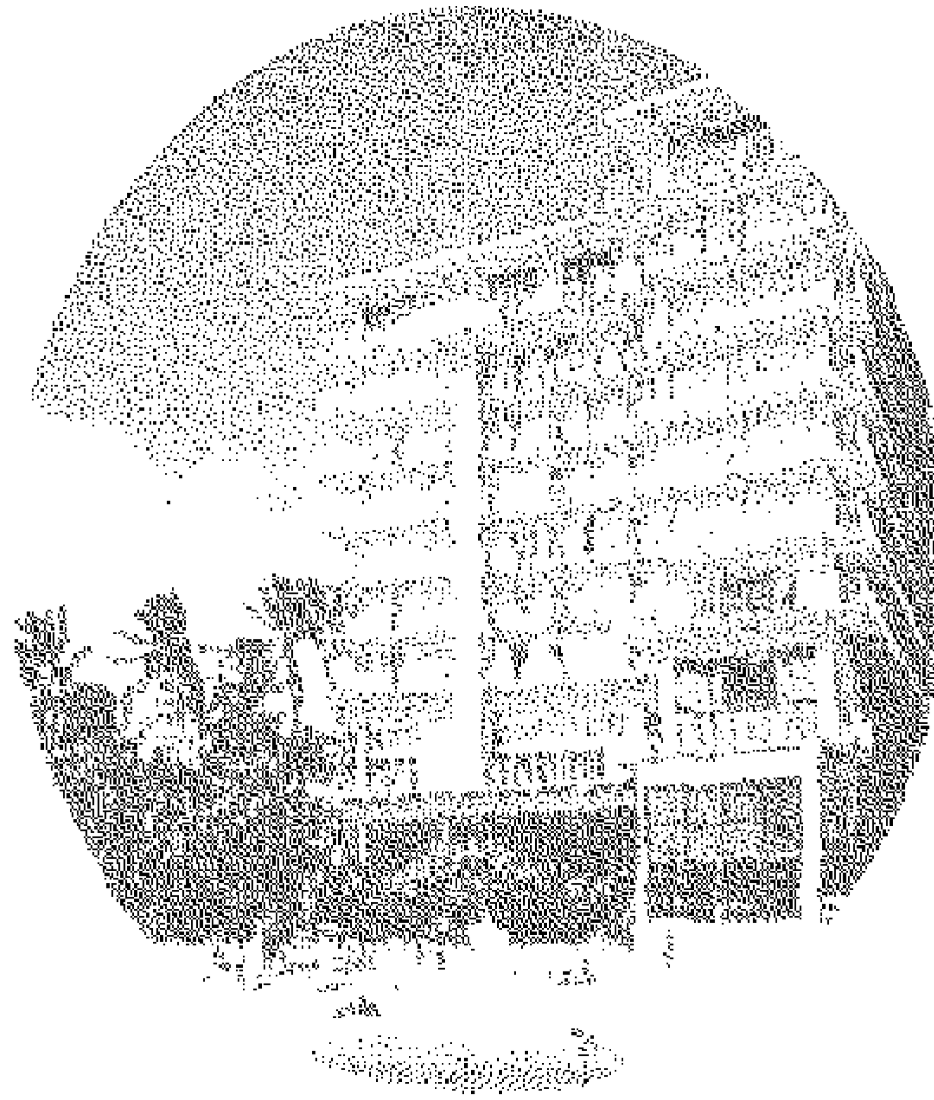
عندما تقوم برحلتك المقبلة الى منطقة المحيط الهادىء – طوكيو، هاواي او لوس انجلس، جرّب الاوتاني الجديد ٠ انه عالم انيق رحيب ٠

لوس انجلس



نيو اوتاني اوتيل
هاتف (٢١٣) ١٢٠٠ - ٦٢٩

هاواي



نيو اوتاني كيمانابيتش اوتيل
هاتف (٨٠٨) ١٥٥٥ - ٩٢٣

أوتاني الجديد

موضع اختيارك الطبيعي

للحجز والمعلومات:
لندن : ٤٩ ٤٦ ٣٧٤ - ٠١ ■ طوكيو: ٢٦٥ ١٢ ١١١ - ٠٣ ■ هونغ كونغ: ٠٢ ٧٨ ٦٨٧٨ - ٣ ■ سنغافورة: ٢٢ ٧٢ ٢٣٥

انه لا يحب الصراخ في وجهه وهو يتدرب، فعليك ان تستعين بقوة الايحاء. فأنا اقول له مثلا: "ما كان ابدع ضربات يسراك القاطعة اليوم، بينما هو لم يوجه ضربة واحدة من هذا النوع في يومه، ولكنه كان يفعل ذلك في اليوم التالي".

وقد كان التوافق متبادلا بينهما، فيقول كلاي عن داندي: "ليست بيني وبين انجيلو قضية سيطرة ورئاسة، فنحن نناقش الامور بالعقل والمنطق، ونستمتع بصحبة احدنا الاخر، بالاضافة الى ان هناك طائفة من الاماكن يستطيع انجيلو ان يصحبني اليها". ثم يغمز بعينه ويدق بأصبعه على جسم انجيلو الاسمر، ويقول: "لانه نصف ملون".

وقد حرص انجيلو على ان يتجنب اي تدخل في حياة كلاي الخاصة. ولعله كان من البيض الاوائل الذين علموا بأن الملاكم الشاب يحضر اجتماعات طائفة السود الانفصاليين المدعوة "امة الاسلام المفتقدة المستعادة"، لكنه تجنب الاسئلة في هذا الصدد، ولم يفاتح كلاي في الامر بكلمة واحدة.

وكانت مهمته تنحصر خصوصا في تكييف جسم كلاي، وصقل اسلوبه في الملاكمة، والمحافظة عليه في احسن حالة معنوية.

وكان العمل ممتعا في السنوات الاولى. فكثيرا ما كان يشكو المدربون من ان اصعب الامور في مهمتهم هو ايقاظ ملاكميهم في الصباح الباكر واخراجهم للعدو قبل الفجر، واغراؤهم بالتدرب حتى النهك ثم اعادتهم الى النوم مبكرا وفي وحدة تامة. لكن كاسيوس كان يحب العدو والتدرب وتكييف جسده على خير وجه. وكان اعتزازه بجسده يكاد يبلغ حد الافتتان النرجسي وكان لا يكاد يرى عضلة قد لانت قليلا في جسمه حتى يندفع مسعورا الى التمارين الجمبازية كي يتدارك الامر.

وخارج حلبة الرياضة، وعلى كثرة احاديثه عن "الثعيلبات" - وهو الاسم الذي يطلقه على الفتيات الجميلات - لم يكن كلاي من المسرفين في السهر واللهو. ويقول احد اصدقائه القريبين: "كان كلاي خجولا دائما مع الفتيات، وسواء صدقت او لم تصدق، فان لسانه ينعقد ارتباكا عندما يحاول طلب موعد من فتاة".

ولكن كلاي كان دائما، ولا يزال، مرتاحا، رخي البال مع الاطفال، وهو يقول: "ان الفرق الوحيد بيني وبين زمّار الاطفال هو انه ليس للزمار سيارة كاديلاك".

هذا الرجل الودود الرقيق الحاشية الذي يحترم كبار السن، يبدو في الحياة الخاصة نقيضا صارخا لكاسيوس المولول المتفاخر كما يبدو للجماهير. كاسيوس عفريت الدعاية، الذي كتب ذات مرة: "انا؟ ما اروعني" ثم اضاف: "وانني لشديد التواضع".

وكانت هناك تناقضات اخرى برزت في اوائل الستينات، ولا تزال عالقة بشخصيته. فعلى الرغم من الوحشية البربرية التي تسود حلبة ملاكمة المحترفين، كان كلاي شديد الحساسية ازاء العنف، قلما يسحق خصما مصابا بجروح (والنقاد يسمون ذلك افتقارا الى "غريزة الفتك")،



طريقة فيليبس الفريدة للحلاقة - لا يوجد لها مثيل

ماكينة حلاقة فيليبس: خطوة أخرى نحو حلاقة مثلى



فيليبس الأفضل لكم دوماً

وقلما يسعى الى الضربات القاضية التي تؤذي المخ بتركيز الضربات الثقيلة على رأس الخصم. ولا ينحصر سبب هذا السلوك في العاطفة الانسانية الخالصة اذ ان كلاي لا يحب ان يتلقى بدوره ضربات مؤذية. وعندما اخبره احد الصحافيين ان من الامور العاديةان يفقد لاعبو الهوكي بعض اسنانهم في المباريات، ارتعد اشمئزازا وقال: "لماذا يفعلون ذلك؟ ان الالعاب لا تستمر الا فترة محدودة، اما وجهك واسنانك فتلازمك طوال العمر".

وفي خلال عامين، بعد اول مباراة احترافية له، سجل كلاي ١٦ انتصارا متواليا من دون انقطاع. ولئن كان المشككون لا يزالون يرتابون في موهبته بالملاكمة فلم يكن هناك ادنى شك في موهبته بالدعاية لنفسه، فقد جعل كاسيوس من نفسه احدى معجزات شبابيك التذاكر واجتذاب المتفرجين بما كان ينظمه من مقطوعات لا نهاية لهامن الشعر الهزلي:

"احكي لكم عن رجل بلا بديل
قبضته خارقة ولون بشرته جميل
وهو كثير اللغو في فخاره الطويل
لكن بطش يده ليس له مثيل".

وكان كاسيوس ايضا يفتقر على نحو لا يصدق الى التواضع الرياضي التقليدي: "انا جميل. جميـ يـ يـ يل. انا نظيف متألق، وسأكون بطلا نظيفا متألقا".

اضف الى ذلك تنبوءاته الغريبة الخارقة للطبيعة:

"لقد عاش آرشي طويلا طويلا
على خير هذا البلد
وها قد اتيت لاعطيه
امر اعتزال من الآن حتى الأبد.
فان جئتم للمباراة
لا تغلقوا الباب قبل الاوان
فمن بعد رابع جولاتنا
لن تكون له قدمان".

وبالفعل، فقد اجهز كلاي، بالضربة القاضية، وفي الجولة الرابعة نفسها كما تنبأ في شعره الهزلي، على البطل السابق آرشي مور عندما نازله في مباراته الاحترافية السادسة عشرة، في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢، ومنذ تلك اللحظة اصبح كلاي اعز الرياضيين في عالم الملاكمة. وكان ذلك انسب الاوقات لبروز "غلباوي" لويزفيل، كما كان يسميه كتاب الرياضة بعد ان وصلت الملاكمة الى وضع يرثى له اكثر من أي وقت مضى.

البطل

تختلف الملاكمة عن بقية الرياضات الكبرى في امريكا، في انها لم تكن لها ابدا سلطة مركزية قوية. فليس هناك ترتيب منطقي لتتابع المباريات، او نظام يضمن للملاكم نجاحا يتناسب مع قدراته، بل ليس هناك اي مجموعة موحدة لقواعد الملاكمة.

وكثيرا ما كانت الرياضة تتطلع الى جماعات عالم الرذيلة والاجرام لضمان حمايتها وتمويلها، فقد تأبّى رجال الاعمال المشروعة ان يجازفوا باموالهم وسمعتهم في حلبات الملاكمة، فانفسح المجال بذلك لاهل الابتزاز المتمولين والقادرين على فرض الانضباط على الملاكمين الخشنين الذين نشأوا في احياء الفقر والعنف، وعلى سماسرة المراهنات

والمزورين، وأي شخص آخر يخرج عن "السبيل"٠

ولكن امور الملاكمة تغيرت تغيرا جذريا في عام ١٩٥٧، حين صدر قرار اتحادي مناهض للاحتكارات ادى الى حل اتحاد مشبوه لمنظمي المباريات كان يعمل تحت اسم "نادي الملاكمة الدولي"، كما ادى الى تجريد حلبة "ماديسون سكوير غاردن" - التي كانت عاصمة الملاكمة - من احتكارها الفعلي لمباريات بطولة الوزن الثقيل٠ وفي الوقت نفسه تقريبا انجزت طريقة الكترونية تتيح الاذاعة التلفزيونية في دوائر مغلقة تكفل الارسال الى كل القاعات والمسارح التي ترغب في عرض المباريات في أي مكان من العالم٠

وكان اول المستفيدين من هذه التطورات فلويد باترسون، البطل المنطوي على نفسه والمتقلب المزاج الذي ظل بعيدا عن نظام العصابات في هذه الرياضة٠ وكان باترسون حرا من جميع الارتباطات التعاقدية ، فتمكن من تأسيس شركة خاصة به يتحكم عن طريقها بالترويج لمبارياته٠ وكان مديره الماكر كاس داماتو يختار له خصومه بعناية وحرص، بحيث انه قلما كان يخسر مباراة٠ ولكن فلويد كان يتوق الى انتزاع الاعتراف العالمي به كبطل عظيم، وابت عليه كبرياؤه ان يتقاعس عن قبول التحدي الذي وجهه اليه سوني ليستون، الملاكم الوحشي ذو الهيئة المرعبة، الذي كان في ما سبق مجرما من نزلاء السجون والذي كان يبدو وكأنه لا يقهر٠ ولم يرد داماتو ان ينازل فلويد باترسون سوني ليستون لكن باترسون اصر وخسر٠

وتردد النداء بحثا عن منقذ شاب وسيم يهب لنجدة بطولة الوزن الثقيل ويرد اليها الكرامة والاعتزاز٠ فمن يا ترى يقبل تلك المهمة الخطرة؟

وسمع كاسيوس كلاي النداء، واسرع الخطى الى مباراة البطولة٠

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣، في اثناء الوزن الذي سبق مباراته مع ملاكم يدعى تشارلي باول، خرج كلاي عن طوره وتحدى باول وطالب بان يلاكمه عند الميزان وراح يصرخ: "انتظر وسترى، سأهزمك في الجولة الثالثة!" واستدعى الامر تدخل مساعد كلاي "لمنعه"٠ واطلق عليه الكتاب الرياضيون لقب "كاسيوس الغازي"، ولكنه لم يلبث ان هزم باول بالضربة القاضية في الجولة الثالثة، تماما كما تنبأ٠

وفي يونيو (حزيران) من ذلك العام، نازل كلاي البطل البريطاني هنري كوبر، وقد اثار كلاي في ذلك الحين زوبعة في لندن، حيث راح يخطر مرتديا قبعة بريطانية وسترة صباح تقليدية، ويوقف المرور في ميدان "بيكاديلي سيركس" وهو يدعو الجمهور الى حضور مباراته صائحا منشدا:

"تقول لكم حاستي السادسة
سيذهب كوبر في الخامسة"٠

وفي الجولة الخامسة بالضبط ذهب كوبر٠

وفي شهر يوليو (تموز) من العام

نفسه، قضى ليستون على باترسون مرة ثانية كي يحتفظ باللقب. ولم يعد في الافق متحد آخر يجتذب الجمهور الى شباك التذاكر، الى ان اعد المسرح لمباراة بين ليستون وكلاي في ميامي بيتش خلال شهر فبراير (شباط). وصرخ كلاي: "اريد فروة ذلك الدب الضخم القبيح". واجاب ليستون: "اذا لاكمت هذا الصبي سيقبض علي بتهمة القتل".

وكان الكثيرون يشاطرون ليستون ذلك الشعور. وحدد سماسرة المراهنة في لاس فيغاس معدلات الرهان بـ ٧ - ١ لمصلحة ليستون. واوفدت صحيفة "النيويورك تايمس" احد رجالها لتغطية المباراة، مع تعليمات بأن يتأكد من مكان اقرب مستشفى حتى لا يضيع وقتا بعد ذلك في اللحاق بكلاي الى غرفة العناية الفائقة.

"انا الاعظم"

وتصاعدت الدعاية للمباراة الى حد الغرابة، واجتذبت المباراة نفسها الى ميامي بيتش فيلقا دوليا من الصحافيين يزيد على ٥٠٠، ومن بينهم كتاب كانوا ملاكمين سابقين من الوزن الثقيل، مثل نورمان مايلر، وباد شولبيرغ. وتطوع مساعد مدرب كلاي، درو (بانديني) براون، لاطلاق شعار المعركة: "اطفو كفراشة بديعة والدغ كنحلة فظيعة". ولم يلبث الشعار ان طاف حول المعمورة بعشرات اللغات.

احتفظ كلاي بهدوء تام يلفت النظر في الايام السابقة للمباراة. وفي عصر احد الايام، بعد ان انتهى من تدريبه العلني، استلقى على طاولة في غرفة ملابسه ليتلقى تدليكه اليومي. وكانت اوراق مفكرات الصحافيين تتقوس من جراء البخار المتصاعد من حجيرات "الدوش" ووجه صحافي من لوس انجلس السؤال الآتي الى كلاي: "ولكن ماذا ستفعل اذا خسرت المباراة يا كاسيوس؟" فهمس كاسيوس يخاطب نفسه وهو ينظر الى صورته الغائمة في مرآة غشاها البخار المتكاثف: "ما اجملك! لقد حجبت ضوضاء الدعاية مواهبك! انك الاعظم مرتين".

فتدخل صحافي آخر قائلا: "لنلتزم الجد دقيقة واحدة. ماذا ستفعل اذا هزمك البطل"؟

ورد كلاي: "اذا هزمني ليستون، فستجدني منذ صباح اليوم التالي على الارصفة اصيح باعلى صوتي: "لا يهزمني رجل مرتين ابدا". ثم استرخى جسده الاسمر الضخم وبدا وكأنه يذوب في طاولة التدليك، وانخفض صوته حتى اصبح همسا فقال: "او لعلني عندئذ اهجر الحلبة الى الابد، وقد بلغت الثانية والعشرين". ثم اغمض عينيه واضاف: "اعتقد اني قد بدأت اسأم الملاكمة".

وحتى اللحظة التي خطا كاسيوس الى داخل الحلبة، كانت الاشاعات تتطاير بأنه غادرالبلاد. وفي اثناء عملية الوزن في ذلك الصباح، تفوق كلاي على تمثيليته الماضية مع تشارلي باول، بمشهد اكثر جنونا انتهى منه وهو يرغي ويزبد بالفعل،

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقـدّرون الوقت

Ω
OMEGA



Omega Seamaster, ST 396.0835, quartz movement, stainless steel with bezel and guarantee seal in 14 ct. gold, sapphire crystal.

[illegible] quartz movement, stainless steel, sapphire crystal.

وقد تحدى فيه ليستون ان يلاكمه في التو، واحتاج الامر مرة اخرى الى "منعه" عن ذلك. واما ليستون فقد اقتنع بان كلاي مخبّل، مجنون، وسجل احد اطباء لجنة الملاكمة ان نبض كلاي مرتفع في شكل غير عادي لانه "يكاد يموت رعبا". والذي يحدث عادة هو ان الصحافة تسلم برأي الاطباء من دون مناقشة.

الا ان كلاي كان مسيطرا على نفسه وعلى المباراة منذ ان دق جرس بداية الملاكمة، وهو يرقص رائغا من يسرى ليستون الخطافية التي يفخر بها، كي يعود واثبا فيهاجمه ويمطره بضربات سريعة متتابعة في رأسه. وفي الجولة الثالثة، فتح كلاي بضرباته جرحا بالغا تحت عين ليستون اليسرى، احتاج اقفاله بعد ذلك الى ست غرز.

وكان النظارة لا يصدقون اعينهم، وهم لم يفيقوا بعد من صدمتهم الاولى حين اكتشفوا ان كلاي اطول من ليستون بثلاث بوصات (البوصة سنتيمتران ونصف سنتيمتر) تقريبا، فضلا عن انه يفوقه في شكل ملحوظ في عرض الكتفين. وها هم الآن يتلقون صدمتهم الثانية اذ يدركون ان "الغلباوي" المتفاخر كان يقول الحقيقة طوال الوقت وانه لا يخاف فعلا من ليستون، وانه ابرع منه بكثير في الملاكمة.

واما ليستون فقد بلغ به الامر انه لم يخرج من ركنه حين دق جرس بداية الجولة السابعة، وظل متكوما على مقعده، بينما الحكم يرفع يد كلاي معلنا انتصاره. وكانت ذراع ليستون اليسرى تتدلى الى جانبه كالخرقة البالية، بسبب انفصام عضلات كتفه اليسرى، من جراء الضربات العنيفة التي سددها الى خصمه المراوغ. فضاعت سدى في الهواء. وكان مخبرو الصحف لا يزالون جالسين في مقاعدهم يحاولون استيعاب هذه النهاية غير المتوقعة، حين اطل عليهم البطل الجديد من علياء حلبته وهو يصيح: "هيا امضغوا ما كتبتموه من هذر. فانني انا الاعظم. انني انا.. الا..اعـ..ظم!"

الفتى الطيب ضد الشرير

قبل ان يفوز كلاي ببطولة الوزن الثقيل، كان يعاوده في لحظات الصفاء حلم شبيه باوهام الخرافة العذبة، فيقول في نفسه: "عندما افوز بالبطولة، سألبس بنطلونا قديما (جينز) وارتدي قبعة قديمة واطيل لحيتي، واسير في طريق ريفي قديم حيث لا احد يعرفني، حتى اجد "ثعيلبة" جميلة تجهل اسمي وتحبني لذاتي كما انا فحسب، عندئذ ساعود بها الى منزلي الذي يساوي ٢٥٠٠٠٠ دولار، واريها مجموعة سياراتي الكاديلاك وحوض السباحة الداخلي الذي انشأته احتياطا من المطر وسأقول لها: "كل هذا لك، يا حبيبتي، لانك احببتني لذاتي!"

وجاء الواقع خلافا لما كان حلم اليقظة. فلم تكد تمضي بضعة اشهر على فوز كاسيوس بالبطولة، حتى ارتد عن المسيحية، مما ادى الى توتر موقت في علاقته بوالديه وتزوج امرأة تكبره سنا ولها طفل من زواج سابق، واعلن ان اسمه الجديد هو "محمد علي"، الذي سماه به الشريف اليجا

زعيم الجماعة التي تطلق عليها الصحف اسم "المسلمين السود".

وصدم اولئك الذين كانوا يشعرون بالاعزاز بكاسيوس كلاي الذي عرفوه من الالعاب الاولمبية في روما، فقد بدا لهم هذا الـ"محمد علي" الجديد لغزا من الالغاز، وضالا، وجحودا مجسما لطريقة الحياة التي اوصلته الى النجاح. لكن رجل الدين المسلم الذي انتشل في الاصل كاسيوس كلاي يوم كان غلاما في السابعة عشرة من العمر من ناصية الشارع بحديثه عن "الشيطان الازرق العينين"، كان لوقع كلامه سحر عميق المغزى في عقل الملاكم الشاب وقلبه. فقد ابهج كلاي ما رآه في الجامع من نظافة المسلمين وبراءة نسائهم ذوات الاردية الطويلة وذلك الشعور بالانتماء الذي تلمسه في الاخوة المطمئنة بين ارباب الاسر المسؤولين.

وكان من السهل على الملاكم المتدرب ان يلتزم بقواعد الاسلام، ولم يكن كلاي بطبيعته من هواة الشراب او التدخين او العربدة باي شكل. وفضلا عن ذلك، فقد كانت فكرة تفوق السود بلسما لقلقه.

وبحماسة المؤمن الجديد، اصبح محمد علي مسلما ممتازا. وكانت تعاليم الشريف اليجا كما يقول، هي التي مكنته من ان يفوز ببطولة الوزن الثقيل. وقال ان عليه كبطل ان يكون نموذجا يحتذيه الشباب السود. وراح - على غير المألوف من نجوم الرياضة - ينفق جانبا كبيرا من الوقت في الاحياء الفقيرة، ماشيا في الشوارع الصغيرة المليئة ببسطاء الناس، حاملا معه رسالة الاسلام التي تطالب الانسان بان "يرفع رأسه ويفرد جناحيه ويطير معتدلا".

غير ان محمد علي لم تفارقه المتناقضات. فقال لاحد القريبين منه ذات مرة: "متى اقدمت على الزواج سأتخذ زوجة لي فتاة مسلمة صغيرة السن، في نحو السابعة عشرة، لكي اعودها على طباعي. عذراء لم يمسسها احد قبلي". وما هي الا اشهر قليلة حتى تزوج محمد علي سونجي روا التي تعمل في عرض الازياء في شيكاغو، وكانت قبل ذلك عاملة في احد البارات وتكبره بعدة اعوام، وكانت دنيوية، خبيرة في الحياة والناس، ومستقلة السلوك، وتحب التدخين والشراب وتستخدم مساحيق التجميل ويستهويها الرقص وحفلات السمر وترتدي الملابس القصيرة والقمصان الشفافة.

وقد دامت علاقتهما متقلبة اقل من عام. والواقع ان زواجهما لم يستمر طوال تلك الفترة، الا لان محمد علي لم يشأ ان يواجه الم الانفصال الا بعد لقائه الثاني مع ليستون.

وكان حضور المسلمين هائلا في هذه المباراة الثانية التي جرت في مدينة لويستون في ولاية ماين في شهر مايو (ايار) من عام ١٩٦٥. وكان البطل محاطا على الدوام بفيلق من "خيرة المسلمين" ذوي النظرات الصارمة، وهم جماعة تجيد مصارعة الكاراتيه وتضطلع بمهمة المحافظة على "الامن". وقد صادف وجودهم انتشار اشاعة مؤداها ان جماعة من السود المسلحين مقبلون بالسيارات من نيويورك كي يفتكوا بمحمد علي انتقاما لمقتل مالكولم اكس الذي كان استاذ محمد علي في الاسلام الى ان حدث الانشقاق المرير بين مالكولم

اكس واليجا محمد. وقد تبين بعد ذلك ان تلك كانت مجرد اشاعة. لكن الامتعاض الذي اثاره تحول محمد علي الى دينه الجديد كان له اثره في توكيد هذا الواقع. وبعد المباراة التي خسرها ليستون بالضربة القاضية في الجولة الاولى انطلقت النداءات مرة اخرى بحثا عن ملاكم منقذ، وبدا فلويد باترسون سعيدا مغتبطا باحتمال بعثه من جديد. بل راح يتمادى الى حد التصريح علنا بان "وجود احد المسلمين السود كبطل للوزن الثقيل عار على الرياضة وعلى الامة باسرها. فلا بد من هزيمة كاسيوس كلاي واقصاء المسلمين السود عن اجواء الملاكمة".

وكانت المباراة التالية ضد باترسون في نوفمبر (تشرين الثاني) نقطة حاسمة في تدهور علاقات محمد علي مع الجمهور. فقد خلعت الدعاية على كل من الملاكمين الخصمين ثوب المصارع العقائدي، واصبح الامر وكأنه امر المسيحي ضد المسلم، والوطني الوحدوي ضد الانفصالي الاسود، والملاكم الطيب ضد الملاكم الشرير. واصر فلويد على مناداة خصمه باسم كاسيوس كلاي، وراح يصلي لكي يتمكن من "اعادة البطولة الى امريكا".

واما علي فكان رزين التصرف يقول دائما: "انني لا ولن اتهجم على ديانته ابدا. وكيف لي ان اهاجم اولئك الكاثوليكيين الطيبين: البابا وهؤلاء القوم الرائعين الذين يديرون المستشفيات ويغيثون الاطفال؟ فلماذا اهاجمهم بجريرة احمق واحد؟".

لكن هجوم محمد علي في الحلبة لم يكن فيه اي رزانة او تعقل. فهو استمر يذل باترسون ويقسو عليه طوال ١٢ جولة، حتى ارتمى الحكم بجسده امام باترسون ليحميه بعد ان اصبح عاجزا تماما عن الدفاع عن نفسه. وحقق محمد علي نبوءته بانه "سيؤدب" فلويد على ما قاله، وقد كان التأديب فظيعا!

وبعد المباراة، اخذ محمد علي يظاهر فلويد بالعطف عليه، وراح يدسه في حلق امريكا كي تغص به. فكان يقول له: "من حقك يا فلويد ان تنال الوان الشرف ومختلف الاوسمة مكافأة على ما عانيته، شابا امريكيا نظيفا طيبا يكافح في سبيل امريكا. من واجبهم ان يضمنوا لك الا تحتاج الى العمل يوما واحدا بعد الان طوال حياتك. وانه ليكون عارا على الحكومة لو تركتك تضطر الى كسب رزقك في النهاية من مباريات الملاكمة التافهة في الحانات الحقيرة".

وقد اقتصر فلويد على القول: "لقد هزمني ملاكم عظيم، هو محمد علي"، مستخدما الاسم المكروه للمرة الاولى.

ولكن الصحافة كانت لا تزال تغص بالاسم، وكان اقصى تنازل من معظم الصحف هو ان تشير الى البطل بقولها: "كاسيوس كلاي، الذي يفضل ان يدعى محمد علي"، ثم تواصل تسميته "كلاي" في بقية المقال. وفي المقابلات الشخصية، كان اكثر كتاب الرياضة يلجأون الى حل وسط فيخاطبونه باسم "البطل"، ريثما يتسنى لهم ان يسموه "البطل السابق". وبعد مباراة باترسون دعت صحيفة "النيويورك تايمس" في مقال افتتاحي، الى اصدار قانون بمنع

ملاكمة المحترفين.

وعاد النداء يتردد داعيا الى انقاذ تاج بطولة الوزن الثقيل. لكن قائمة الابطال كانت خاوية على عروشها!

قرار حاسم

في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٦٦، كانت نسمات العشية ناعمة مثقلة بالعبير في ميامي. وجلس محمد علي في كرسيه الاخضر تحت النخلة المنتصبة امام داره المستأجرة، وهو يشعر بالراحة والغبطة. فهو ركض كثيرا في ذلك الصباح، وكاد ان يستكمل تدريبه استعدادا لمباراته في شيكاغو خلال شهر مارس (آذار). واذ بصوت يناديه من داخل البيت ويدعوه الى الرد على مكالمة تلفونية مع مدينة اخرى.

كان التلفزيون قد اذاع في صباح ذلك اليوم عن جلسة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي حول الحرب في فيتنام، حدثت فيها مساجلة حادة بين السناتور وين مورس والجنرال ماكسويل تايلور. فقد قال مورس ان تايلور والرئيس جونسون قد ضللا الرأي العام في ما يتعلق بالحرب، بينما لمّح تايلور الى ان ناقدي الحرب يساعدون الاعداء. وكان رأي تايلور هو السائد في ذلك الوقت، وكانت المشاعر تزداد تأججا ضد مناهضي الحرب من "المطالبين بالسلام الذي يخدم اهداف الشيوعية".

وفي فترة سابقة، كان الجيش الامريكي يطبق معايير عالية على المجندين. وكان محمد علي قد ادرج، بعد اختباره، في فئة من لا تنطبق عليهم معايير التجنيد. ثم اعيد اختباره بعد ذلك وتكرر ادراجه في الفئة نفسها، وهو امر تعذر تصديقه على كثير من الناس: الا يستطيع الرجل الذي ينظم كل هذا الشعر الهزلي ان يتذكر الاوامر العسكرية العامة؟

وفي تلك العشية في ميامي، أكتشف محمد علي من تلك المكالمة التلفونية ان الجيش قد اعاد تصنيفه في الفئة الاولى الصالحة للتجنيد. وفي غمار غضبه وحيرته هتف: "لماذا انا؟ لست افهم كيف يتصرفون معي على هذا النحو، وانا بطل العالم في الوزن الثقيل؟"

وسرعان ما تقاطرت سيارات التلفزيون امام المنزل، وراحت المقابلات تتوالى. وصاح محمد علي في الميكروفونات المتراكمة امامه: "عندي سؤال: لقد استمرت الحكومة طوال عامين تسبب لي حرجا دوليا، وتحمل الناس على الاعتقاد بأنني مجنون، وقد اثار لي ذلك كثيرا من المتاعب بلا شك، كما عانى منه ابواي كثيرا من الالم. وهم الان يصنفونني في الفئة الاولى من دون ان يبالوا بمجرد انذاري او اختباري! فلماذا استمروا عامين طويلين قبل ذلك يلصقون بي تهمة الامية؟"

وبين مقابلة وأخرى، كان محمد علي يجلس على كرسيه الاخضر في الحديقة وحوله حرسه الخاص من المسلمين السود، واصدقاؤه يلهبون شعوره المتزايد بالاضطهاد ويقولون له: "هذا مثال آخر لمحاولات الشياطين البيض أن يقضوا عليك!" وتطوعوا بأن يرووا له قصصا من تجاربهم الخاصة عن التمييز العنصري

في اثناء الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا. وتنبأ احد المسلمين بأن محمد علي لن يخرج من التدريب الاساسي حيا: "لن يلبث جاويش متبجح سمين ان ينسفك نسفا في ساحة التدريب على القنابل اليدوية".

وظل الصحافيون يسألون محمد علي مرارا وتكرارا عن رأيه في حرب فيتنام، وهو يكتفي بهز كتفيه. وسألوه عما اذا كان يعرف اين فيتنام، فهز كتفيه ايضا. واخيرا سأله احدهم: "حسنا، ما هو رأيك في الفيتكونغ؟"

وهنا قالها، وكان قد نال منه التعب والحنق والغضب والاحساس بالغدر: "ليس لدي شيء ضد هؤلاء الفيتكونغ".

وتلقفت تلك الجملة حكومات الولايات ولجان الملاكمة وجماعات المحاربين القدماء ومحررو افتتاحيات الصحف، وراحوا جميعا يلوحون بها وكأنها علم احمر. والغيت مباراة شيكاغو، ولم تعد اي مدينة في الولايات المتحدة تقبل ان تقام فيها مباراة لمحمد علي. بينما قامت الرابطة العالمية للملاكمة، وهي نوع من الاتحاد الطليق من النظام يضم لجان الملاكمة في مختلف الولايات والمدن، بمضاعفة جهودها كي تفرض ملاكما آخر زاعمة انه البطل الحقيقي.

واصبح محمد علي الملاكم المنبوذ شبه منفي من الولايات المتحدة. فتوجه الى كندا لينازل جورج شوفالو، البطل الكندي الذي يمتاز بصلابة العود وضعف الموهبة. وكان هناك كثير من الصحافيين الاجانب الذين وقفوا من محمد علي موقف التكريم والاجلال. واذا كان بعض ذلك يرجع الى سحر شخصيته، فأن الجانب الاكبر منه يعود الى الشعور المعادي لامريكا في ذلك الحين بسبب حرب فيتنام. وقال له احد الهولنديين: "ان الامريكيين تنهشهم الغيرة لانك تقول الحقيقة".

وأنتصر محمد علي في مباراته هذه على شوفالو، وانتصر بعد ذلك على هنري كوبر وبريان لندن في لندن، وعلى كارل ميلدنبرغر في فرنكفورت.

واتسع نطاق الاسفار. وبدا محمد علي في اعين كثير من الاجانب رمزا للامريكيين المعارضين، فاستمال المثقفين والطلبة والزعماء السياسيين. وقد غبطه هذا الاهتمام به وأنبرى الى استخدام لغة تشف عن منظور عالمي اشمل. واوضح للطلبة الافريقيين والهنود الذين سعوا اليه ان اولئك الذين ينصبون له العداء "لا يحبونني لانني رجل حر. لقد كان الزنجي يبيع نفسه دائما رغبة في المال او في النساء، ولكنني اتنازل عن كل شيء في سبيل ايماني. فأنا رجل حر، ولست ملكا لأحد".

وفي اواخر عام ١٩٦٦، عادت القوى التي كانت قد اقصت محمد علي عن الملاكمة في الولايات المتحدة، وفتحت الباب امامه مرة أخرى، فلعب وكسب ثلاث مباريات جديدة قبل ان يغلق الباب ثانية في وجهه. وكانت احدى هذه المباريات ضد ايرني تيريل الذي القمه محمد علي ضربات "تأديبية" على طراز "تأديبه" لباترسون. وكان تيريل قد اصر على مناداته بأسم "كلاي"، فظل محمد علي طوال المباراة يصيح به

وهو يضربه: "ما هو اسمي ايها العم توم؟ اعطني كلاي آخر يا عبد البيض..."

ومع حلول ربيع عام ١٩٦٧، كان محمد علي قد صرح بوضوح تام انه يأبى التجنيد. وكان محاموه يسعون الى اعفائه من الخدمة العسكرية بأعتباره من اتباع الدين الاسلامي فالمسلمون لا يدخلون الجيش، واليجا محمد نفسه سجن في اثناء الحرب العالمية الثانية لرفضه التجنيد. وجرت آخر مباريات محمد علي في عهد بطولته الاولى كملك للوزن الثقيل في الحلبة القديمة في ماديسون سكوير غاردن ، بين الشارعين التاسع والاربعين والخمسين في مدينة نيويورك. وكانت المباراة ضد ملاكم يخطو الى القمة يدعى زورا فولي، واخذ منظموها يروجون لها بقولهم: "انها آخر فرصة لمشاهدة محمد علي قبل ان يحصل على واحد الى ثلاثة"، مشيرين بذلك الى عقوبة السجن من عام الى ثلاثة اعوام التي يحكم بها على كل من يرفض التجنيد. ولم يكن في المباراة شيء يميزها غير ذلك. وقد انهاها محمد علي بأن هزم فولي بالضربة القاضية في الجولة السابعة.

وقال محمد علي متنبئا: "عندما ازول انا، ستتدهور الملاكمة الى لا شيء مرة اخرى. سيكون هناك الهواة بسيجارهم وقبعاتهم، ولكن لن تتابعها الزوجات وبسطاء الناس ورؤساء الدول الاجانب، وسيقتصر امر الملاكم الذي يأتي الى المدينة على شم زهرة، وزيارة مستشفى، والتزمير بسيارته، والتبجح بأنه رجل لائق. حكاية قديمة مهلهلة. انا الملاكم الوحيد في التاريخ الذي يسأله الناس رأيه اسوة بأعضاء مجلس الشيوخ".

وقبل موعد مثوله بيومين امام لجنة التجنيد، جلس محمد علي في مقهى احد فنادق شيكاغو، متأملا بكآبة الامواج المتلاطمة في بحيرة ميشيغان التي عصفت بها رياح شهر ابريل (نيسان). وقال: "انا لا ابتغي دخول السجن، وانما لا بد لي ان اعيش الحياة التي يلهمني اياها ضميري وربي. فماذا ينفعني ان احب الناس في امريكا هذه التي تنبذ الصالحين؟"

وسأله صحافي: "ولماذا لا تلعب اللعبة كسائر كبار الرياضيين؟ فعندئذ لن يرسلوك الى خط النار. فيمكنك مثلا، ان تقدم وانت في الجيش مباريات استعراضية وان تعلم اصول اللياقة البدنية".

فاتكأ محمد علي الى المائدة وقد برقت عيناه، وقال مؤمنا: "ماذا عساك تقدمين الي يا امريكا في مقابل تنكري لعقيدتي؟ فأنت تريدينني ان امتثل لاوامر الرجل الابيض، فاذهب لاحارب اناسا لا اعرف عنهم شيئا، حصولا على الحرية لاناس آخرين، بينما يتعذر حصول الحرية على ابناء قومي".

ويتضح من هذا ان محمد علي كان مستعدا لدخول السجن. وبالفعل، لم يمض يومان على هذا الحديث - وكان ذلك في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ في مدينة هيوستون - حتى ابى محمد علي ان يخطو تلك الخطوة من اجراءات التجنيد التي كانت ستجعل منه الجندي كاسيوس كلاي.

فأصبحت قضيته بذلك تقتضي محاكمته مدنيا امام القاضي الاتحادي.

العودة

لعل فترة" المنفى كما يسمي محمد علي فترة انقطاعه الاجباري عن الملاكمة لمدة ثلاث سنوات ونصف سنة، كانت اخصب فترات حياته، بما حفلت به من تعليم مركز وتثقيف. فعلى الرغم من ان الحكومة لم ترخص له بمغادرة البلاد، الا انه قام باسفار كثيرة على نطاق واسع لكي يحضر جلسات المحاكمة واجتماعات المسلمين ويلقي الخطب والاحاديث، حيث اصبح محمد علي من اشهر المحاضرين في مختلف الكليات. وقد كان من هذه اللقاءات ان صقلت اسلوبه ووسعت نطاق وعيه بالاحاديث الجارية وكثيرا ما عارض الطلبة حملاته العنيفة على الماريغوانا (نوع من القنب المماثل للحشيش)، وعلى اللقاءات المنفردة بين الفتيان والفتيات، وكثيرا ما ارغموه على ان يشرح مواقفه الدينية من منطلق فكري بحت. وكان محمد علي يستعد لهذه اللقاءات ويمارسها بالتركيز نفسه الذي عالج به الملاكمة. فكان يكتب احاديثه ويعيد كتابتها مرات ومرات على بطاقات كبيرة، ويسجلها بصوته على الاشرطة ثم يعيد سماعها ويعنى بتحليلها. ومع تزايد ثقته بنفسه، اصبح يطعم احاديثه بنكات صغيرة، فلم يعد يقول: "انا الاعظم"، لانه يعرف الان ان "العظمة لله وحده"، ولكنه ظل يسلم بانه "الاجمل".

بل انه تنازل عن تلك الصفة في ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٦٨، بعد ان وضعت زوجته الجديدة المسلمة بليندا، طفلتهما مريم، باكورة ابنائهما الاربعة. فاصبحت مريم الان هي "الاجمل"، وقد تجسد فيها حبه الشديد للطفولة.

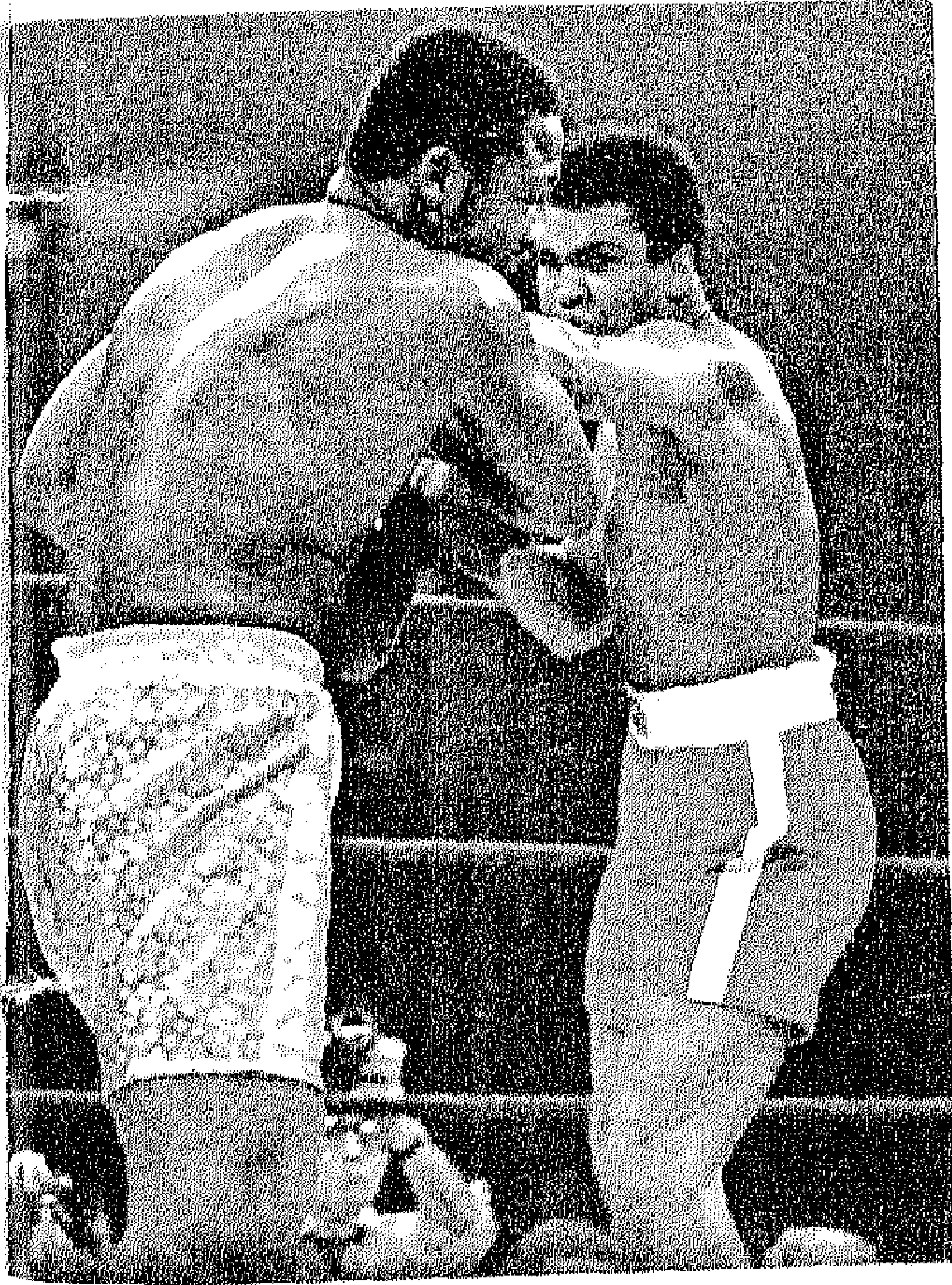
وكانت تلك الفترة كذلك فترة امتحان معنوي عسير بالنسبة الى محمد علي. فكان المال ينقصه حينا، والاصدقاء يتخلون عنه احيانا اخرى. وقد اقامت الملاكمة على عرشها بطلا سواه هو جو فريزير. وكان محمد علي يدرك يوما بعد يوم ضعف حظه في استعادة اللقب المنتزع منه خصوصا ان تقدمه في السن كان يحول دون احتفاظه بلياقته البدنية ومهاراته الرياضية. وفي النهاية، صدر عليه الحكم بالسجن لامتناعه عن الالتحاق بالجندية، لكن هذا الحكم لم ينفذ بعد استئنافه امام القضاء.

وعلى الرغم من تضاؤل معنوياته احيانا، فقد احتفظ محمد علي بشجاعته وصموده، ولو انه كان يخرج في بعض الاوقات، هائما على وجهه، وراء مقود سيارته، في انحاء شيكاغو حيث يقيم، فيعرج على دكاكين الحلاقين في الاحياء الفقيرة ليتبادل معهم اطراف الحديث، ويمر على مطاعم المسلمين، ويتوقف هنيهة في مكاتب صحيفة المسلمين السود "محمد يتكلم" ويبحث عن بعض الاعمال والمهمات الصغيرة التي تبعده عن البيت. واصبح وزنه على ازدياد.

غير ان الامة التي ادارت له ظهرها اخذت تتراجع عن موقفها. فقال محمد علي في هذا الصدد: "من الامور

الطيبة في هذا البلد انك اذا صممت على الدفاع عن حقك، فان الناس تتقبل ذلك وتتكيف معه بعد حين". فكانت تلك هي ادق نبوءاته وابلغها اهمية. وبالفعل، فقد اخذت المحكمة العليا تعيد النظر في حالته، في ضوء قرار حديث اصدرته واعتبرت فيه ان الاعتراض المعنوي والاخلاقي على الحرب يتساوى في شرعيته مع الاعتراض الديني. وكان هذا الموقف بمثابة الاعلان عن رغبة المحكمة العليا في الغاء الحكم الصادر عليه. وفي الوقت نفسه، اعد المحامون المهتمون بالدفاع عن الحريات المدنية في نيويورك قائمة بالمجرمين الذين ثبتت ادانتهم بتهمة القتل والسرقة المسلحة، ومع ذلك فقد حصلوا من لجنة الرياضة في ولاية نيويورك على الترخيص لهم بممارسة الملاكمة. ويتضح من ذلك ان قرار اللجنة الذي اصدرته بحرمان محمد علي ممارسة الملاكمة اصبح واهيا لا يصمد لاي اعتراض جاد، علما بان اللجنة قد استندت فيه الى اعتبارها ان سلوك محمد علي في رفضه الالتحاق بالجندية مهين للرياضة. فماذا عساها تقول في الترخيص الممنوح للمجرمين السابقين؟

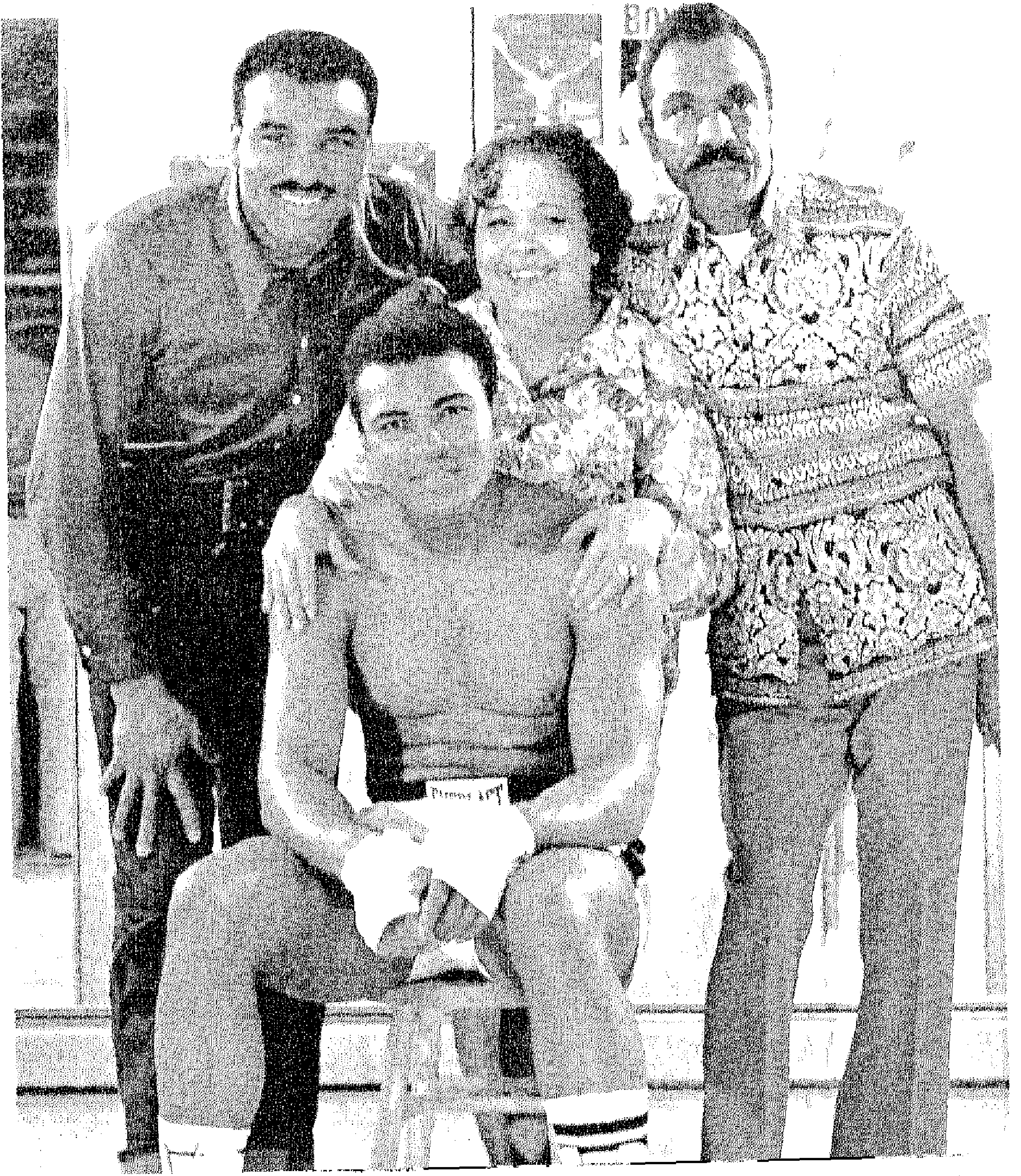
وفي النهاية، دخل الحلبة عضو اسود في مجلس الشيوخ في ولاية جورجيا يدعى ليروي جونسون، ولوح بكتلة الاصوات التي تؤيده وكأنها هراوة قتال تتهدد من يجرؤ على معارضته. فوفق الى تنظيم مباراة في مدينة اتلانتا بين محمد علي وجيري كواري، وهو ملاكم ابيض من المرشحين للتنافس على بطولة الوزن الثقيل. وكان حاكم ولاية جورجيا ليستر مادوكس من المتعصبين العنيفين لسيادة البيض، ولكنه لم يقم باي محاولة جادة لايقاف المباراة، بينما راح عمدة اتلانتا الابيض يصف المباراة بانها دليل على



"جو المدخن" فريزير ومحمد علي يتبادلان الضربات خلال مباراتهما على اللقب في ماديسون سكوير غاردن في مارس (آذار) ١٩٧١.

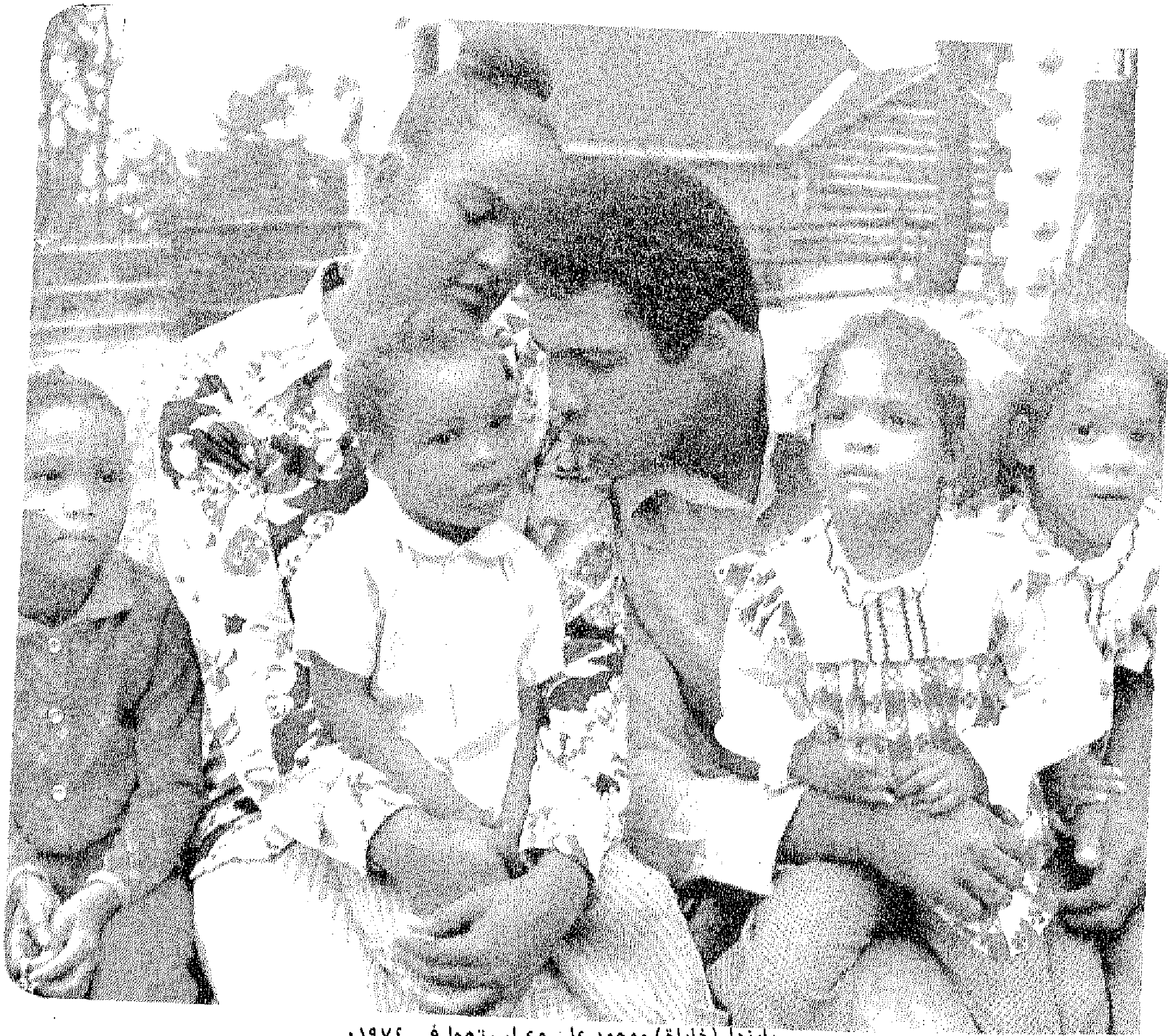
"الديموقراطية". وفي ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠، لاكم محمد علي بسرعة ناعمة كالحرير وضربات كالمطارق، فلم يلبث ان هزم جيري كواري بالضربة القاضية في الجولة الثالثة.

لقد عاد محمد علي. ولكن هل هو لا



صورة عائلية في ١٩٧٤: محمد علي (جالسا) يحيط به، من اليسار، شقيقه رحمن، ووالدته اوديسا غرادي كلاي، ووالده كاسيوس مارسيلوس كلاي.

يزال ملك الحلقة؟ فقد تصدى له جو فريزير، وهو شاب في السابعة والعشرين من العمر، وابن مزارع من بوفورت في ولاية ساوث كارولينا، وقال: "لا"، غير انه كان على "جو المدخن" ان يجيب عن هذا السؤال في حلبة الملاكمة. وفي السنوات الاربع التي انقضت منذ تجريد محمد علي من لقبه، كان فريزير قد انتصر في ١١ مباراة على كل ملاكم له اهميته من الوزن الثقيل تقريبا، متغلبا على تسعة منهم بالضربة القاضية. ولكن كل هذا اصبحت قيمته مرهونة الآن بنتيجة منازلته لمحمد علي.



بليندا (خليلة) ومحمد علي مع اسرتهما في ١٩٧٤.
من اليسار: مريم، ومحمد الابن، والتوأمتان رحيمة وجميلة.

وقد اطلقت الاعلانات على مباراتهما - بكل بساطة - اسم "الملاكمة" علما بأن كليهما كانا افضل اثنين من ملاكمي الوزن الثقيل في عصره، وكلاهما يحمل الميدالية الاولمبية الذهبية، وكلاهما لم يهزم من قبل في مبارياته الاحترافية. وها هما يتجابهان الان في حلبة الصراع، وكل منهما يريد ان يثبت رجولته. وعين تاريخ المباراة في ٨ مارس (آذار) عام ١٩٧١، ومكانها في المبنى الجديد لـ"ماديسون سكوير غاردن"، وكان المبلغ المرصود ضخما لم يسبق له نظير ومقداره ٢،٥ مليون لمكافأة كل منهما، غير ان المباراة كانت في نظر الكثيرين اكثر من مجرد ملاكمة، انها كانت بمثابة مسرحية اخلاقية!

وقد استغرقت المباراة ١٥ جولة من اقسى واعنف الجولات التي شهدها ذاك الجمهور الحافل بمشاهير الشخصيات. فقد جاء محمد علي

ليعرض رائعة لا نظير لها ولم يكن قصده الفوز فحسب، وانما كان يريد ان يثبت ايضا صموده في تحمل اقسى ضربات فريزير، وتفوقه على "الضراب" في الضرب. ولكن محمد علي قدر قوة فريزير باقل من حقيقتها كما بالغ في تقدير قوته هو في الوقت نفسه. وفي الجولة الاخيرة، نجح فريزير في طرحه ارضا (★).

وكانت الليلة ليلة فريزير، اذ ربح المباراة باجماع آراء الحكام.

الا ان كلا الرجلين خرجا من تلك الليلة رابحين: فلم يعد فريزير تحت ظل محمد علي، وانما اصبح بطل العالم من دون منازع، ينال الاحترام اللائق بالملاكم العظيم. واما محمد علي فقد دلل بدوره على شيء: لم يكن احد يشك ابدا من قبل في سرعته او موهبته. لكن شجاعته في الحلبة، او بالاحرى "قلبه" كما يقول هواة الملاكمة، كان موضع ارتياب، اما الان، فلم يعد ثمة شك في شجاعة محمد علي او "قلبه"، او في بطولته الاصيلة، سواء أحمل اللقب ام لا.

وفي اليوم التالي للمباراة بقي محمد علي رابط الجأش، متمالك النفس في الهزيمة كشأنه دائما عند الفوز. وقال: "لقد خسرت المباراة، وليس هذا كل شيء. فهناك اشياء اهم في الحياة. ولعلني خرجت من هذه الهزيمة رجلا افضل. لقد كان لي يومي. وعلى الخاسر ان يتقبل الخسارة لا ان يطلق الرصاص على نفسه.

(★) الوقوع في اثناء المباراة مسألة خطيرة بالنسبة الى اي ملاكم، لان نتيجتها المباشرة هي ان يفقد الملاكم نصف النقاط التي حصل عليها حتى لحظة وقوعه..

جمهور المعجبين يحيط بالبطل الذي استرد عرشه في شوارع كينشاسا، زائير، بعد ان هزم البطل جورج فورمان بالضربة القاضية.



"من واجبي ان تغبطني الخسارة كما يغبطني النصر، لكي يتمكن انصاري من الانتصار على هزائمهم، وعلى مآسي الحياة اليومية. كأن تفتقد الاسرة عزيزا من افرادها او يخسر الانسان ممتلكاته".

وقاطعه احدهم مخاطبا اياه: "ايها البطل..."

فرد محمد علي برقة: "لا تخاطبني بهذا اللقب. فالبطل الان هو جو". فقال آخر: "هل تتذكر، يا محمد علي، تلك الكلمات التي تفوهت بها قبل مباراتك الاولى ضد ليستون، حين قلت انك اذا خسرت فستخرج الى الشارع في اليوم التالي صائحا: "لا يهزمني رجل ابدا مرتين؟"".

وهنا ارتسمت ببطء ابتسامة عريضة على ملامح محمد علي، وقال: "بلى، اذكر ذلك. وهل تعرف ما الذي اقوله الآن؟ هاتوا لي جو فريزير... فلا يهزمني رجل ابدا مرتين..."

ثم ارتفع صوته ورعدت كلماته بالوعيد: "سأنال من جو هذه المرة. انني حاضر هذه المرة... هل تسمعني يا جو؟ اما اذا هزمتني هذه المرة، يا جو، فستكون انت الاعظم حقا!".

"لا يزال هو البطل"

في الساعة التاسعة والربع من صباح يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧١، كان محمد علي يتجول في الجزء الجنوبي من مدينة شيكاغو بسيارته اللنكولن ذات اللونين الابيض والأخضر، حين قرر فجأة ان يتوقف ليروي ظمأه في محل يبيع عصير البرتقال. وبينما هو يخرج من سيارته، اقبل عليه رجل وهو يصيح: "لقد سمعت الخبر لتوي في الراديو. فقد برأت ساحتك المحكمة العليا وانك حر".

فشهق محمد علي شهقة طويلة وقال منفرجا: "الحمدلله"، واندفع الى داخل السيارة يدير جهاز الراديو، ليسمع بنفسه الخبر. لقد ابدت المحكمة العليا رأيا قانونيا من دون توقيع، تعلن فيه ان وزارة العدل قد ضللت ادارة التجنيد حين افتتها خطأ بان دعوى محمد علي بصفته مستنكفا ضميريا (يرفض الخدمة في القوات المسلحة لاعتبارات تتعلق بالمبادىء الخلقية او الدينية) عارية عن الصحة وانها لا تستند الى الاساس الديني، وقررت المحكمة العليا باغلبية ثمانية اصوات ضد لا شيء ان تجنيد محمد علي كان تصرفا خاطئا من اساسه.

اما جو فريزير فقد احتفظ بلقب البطولة لفترة تقل عن عامين، ثم انتزعه منه جورج فورمان، وهو رجل مفرط القوة، يستهويه توجيه الضربات ولا يكف عن اللكم. وكان الرأي السائد انه اذا التقى محمد علي وفورمان فان البطل الجديد سيكون اول رجل يهزم محمد علي بالضربة القاضية.

ولم يكن فورمان بطلا نشطا، ولم تكن له الشخصية ولا الرغبة في ان يستثمر لقبه، فراح ينفق معظم وقته في التفكير المتجهم. ربما في ذلك

الشبح المديد الذي يسد له محمد علي على الحلبة وعلى العالم، وينذر باقتراب عودته، حسب ما قاله الكاتب الروائي باد شولبرج: "مهزوم ولكنه لا يزال هو البطل".

وكانت المعركة بينه وبين جو فريزير قد اثبتت اياته القتالية، كما ان قرار المحكمة العليا قد فسح له طريق العودة الى مجرى الحياة الامريكية الرئيسي، بل والى اكثر من ذلك: فهو يظهر باستمرار في الاعلانات التجارية والمقابلات التلفزيونية، ويتلقى عروضا تعاقدية لا آخر لها.

وفي فترة الثلاث سنوات والنصف التي انقضت منذ الهزيمة التي انزلها به فريزير حتى منازلته فورمان، خاض محمد علي ١٤ مباراة كانت بمثابة مهرجان حقيقي للاسفار. فلم يعد محمد علي ولا شك سيد الانقضاض الراقص الذي يتنبأ بالجولة الختامية ويوجه المباراة على هواه، وقد بدأ التعب ينال منه في الجولات الاخيرة واضطره الى الملاكمة على قدمين منبسطتين، كما خانته القدرة على تفجير مجموعاته الفورية من اللكمات الصاعقة التي كانت تنهال طرا في خمس او ست او سبع ضربات ساحقة متتابعة فتقلب مسار المباراة وتربك الخصم وتزعزع كيانه. بل ان محمد علي قد اصبح ايضا اكثر تعرضا للضربات.

لكن ذلك لم يحل دون انتصاره الحاسم على جو فريزير في مباراته الثأرية من ١٢ جولة في "ماديسون سكوير غاردن"، وكان ذلك في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤، بعد عيد ميلاده الثاني والثلاثين باحد عشر يوما. وبدا محمد علي مرتاحا الى هذه الملاكمة، وراح بعد المباراة يأكل البوظة (جيلاتي) ويقول في صوت ناشز التنغيم: "هل يبدو علي ان عمري ٣٢ سنة؟"

وتزايد الضغط على فورمان كي يثبت انه يستطيع هزيمة محمد علي. واستغرق الامر اشهرا من المكالمات الهاتفية الليلية والمفاوضات اللبقة الدقيقة التي اجراها فريق من جماعة محمد علي، وانتهى الامر الى تنظيم اغنى ليلة وابهاها مشهدا في تاريخ الحفلات والمشاهد على الاطلاق. والواقع ان الكلفة كانت باهظة الى حد يتعذر على اي بلد تحملها ما لم تحدُه الرغبة في بذل المال لكسب الشهرة العالمية والنفوذ. وكان المكان المختار هو كينشاسا، عاصمة دولة زائير الناشئة في افريقيا السوداء.

وتفيد التقديرات اليوم ان مباراة "زئير في الزائير" قد شاهدها ربع مجموع سكان الكرة الارضية، سواء عن طريق التلفزيون المباشر، او عروض التلفزيون المتأخرة او الافلام السينمائية. وكان الممثل السينمائي انتوني كوين، في اثناء هذه المباراة، يعمل في فيلم في طرابلس، ليبيا، وهو يذكر كيف راح المشاهدون المسلمون يضرعون الى

الله العلي القدير قبل المباراة، وكيف اندفعوا الى شاشة التلفزيون يقبلونها عندما اتاح محمد علي لفورمان ان يستنفد قواه في الضرب، قبل ان يشن عليه هجومه المضاد الساحق. وحين هزممحمد علي فورمان في الجولة الثامنة، تصاعدت انفجارات الغبطة في انحاء العالم الثالث، وراحت الجماهير ترقص في شوارع افريقيا وآسيا، بل واعلن سائقو سيارات التاكسي في ايران ابتهاجهم فراحوا ينقلون الركاب مجانا.

... وماذا بعد؟

بدأ محمد علي فترته الثانية كبطل للوزن الثقيل، بالاسلوب البطولي الطنان الذي حرمه في المرة الاولى. فبعد انتصاره بيومين، توجه محمد علي الى شيكاغو، المدينة التي رفضت ان تقام فيها مباراته بعد الملاحظة التي اباها عن الفيتكونغ. وفي هذه المرة، كان عمدة المدينة في انتظاره ليقدم اليه آيات التكريم. وبعد ذلك باسبوع قصد الى مسقط رأسه لويزفيل، فنادى بها "اعظم مدينة. ولا بد ان تكون كذلك، لسبب رئيسي هو: انني منها".

وبعد لويزفيل بشهر، ذهب محمد علي الى نيويوركليحضر الاحتفال "بيوم محمد علي". وفي ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٤. استقبل الرئيس فورد محمد علي في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض. وقال محمد علي: "البطولة هي قمة العالم".

كان محمد علي يحب تقبيل الاطفال، ويحك انفه بانوفهم، ويحضنهم ويقول لهم: "ستتذكر هذا طوال حياتك. واذا نسيت فسيذكرك به امك وابوك، وهم يعرضون عليك الصورة. فقد حظيت بقبلة من فم البطل".

وكان يتأنى في شرح ذلك فيقول: "ذات مرة جاء جو لويس الى لويزفيل واستند الى احد اعمدة التلفون في الشارع الي اسكنه. ولم يكن ذلك يعني شيئا بالنسبة اليه، اذ طالما استند الى اعمدة تلفون اخرى. لكن امي لم تنس ذلك ابدا. وهي حتى الآن لا تستطيع ان تمر بجانب عمود التلفون هذا من دون ان تذكر لنا ان لويس استند اليه. مسألة لا تعني شيئا لجو لويس، ولكنها بالغة الاهمية في نظر امي".

ومحمد علي رجل كريم، يوجه في طبيعة الحال مقدارا كبيرا من احسانه الى المسلمين. وقد تبرع بمبالغ ضخمة لبناء مدارسهم ومساجدهم وتغطية التكاليف الاساسية لبدء المشروعات التجارية او الصناعية الصغيرة التي يتولاها مسلمون. وهو قدم مساهمات كبيرة ايضا الى صندوق كليات الزنوج المتحدة، وتبرعات ضخمة الى ضحايا الجفاف في افريقيا.

وقد دافع محمد علي عن لقبه الجديد ثماني مرات، في عامي ١٩٧٥ و١٩٧٦ اضافة الى عدد من المباريات الاستعراضية. وخاض اهم مبارياته -

من الناحيتين الرياضية والشخصية - في اواخر عام ١٩٧٥ في الفيليبين. وكانت تلك المباراة، التي سماها هو "اعجوبة مانيلا"، عنيفة قاسية حافلة بالضربات المتبادلة من دون هوادة، وانتهت بانتصاره مرة اخرى على منافسه القديم جو فريزير، كما انتهت ايضا بطلاقه من زوجته الثانية خليلة، وهو الاسم الذي اصبحت تدعى به زوجته بليندا، وزواجه من عارضة ازياء هيفاء تدعى فيرونيكا بورش، كانت تصاحب البطل في رحلاته من وقت الى اخر منذ عام تقريبا، بعد ان كان التقاها في مسابقة للجمال عقدت قبل ان يلاكم جورج فورمان ببضعة اشهر، وكان اصطحبها الى زائير ومانيلا حيث قدمها الى الرئيس فرديناند ماركوس كزوجة له. وفي ٦ اغسطس (آب) ١٩٧٦ وضعت فيرونيكا بنتا سميت "هناء ياسمين علي"، هي اول مولود لفيرونيكا وخامسة اطفال محمد علي.

مع حلول عام ١٩٧٧، بدأت بنية محمد علي تميل الى الافول، ولم تعد ساقاه القويتان كسابق العهد بهما. وقد اعترف محمد علي بذلك قائلا: "الامر ببساطة هو انني لم اعد استطيع الرقص طوال الليل. ولكن من ذا الذي يظل صامدا على حاله؟" وكثيرا ما اصبح البطء ينتابه في الحلبة. وقد اعلن مرارا رغبته في اعتزال الملاكمة بعد مباريات لم يرتح لادائه فيها، ثم يتراجع عن هذه الرغبة امام صفقة دسمة. فنازل كين نورثون للمرة الثالثة. وتبارى مع الفريد ايفانجليستا الاسباني، ومع ايرني شيفرز، وكلهم ملاكمون كانوا يعتبرون مجرد لعبة في يديه وهو في اوجه، ولكنه اصبح الان يجد صعوبة في التغلب عليهم.

وقال الدكتور فيردي باتشيكو من ميامي، الكاتب والطبيب الذي اشرف طوال خمسة عشر عاما على تدريب محمد علي ومبارياته: "ان قلب محمد علي وعقله لم يعودا يربطانه بالملاكمة".

وقد ثبتت صحة هذا التشخيص الخطير في ليلة ١٥ فبراير (شباط) ١٩٧٨، بعد عيد ميلاد محمد علي بأسابيع قليلة. ففي تلك الليلة، تمكن ليون سبينكس، الاقصر قامة والاخف وزنا، ولكنه افتى من محمد علي باثني عشر عاما، من الفوز في لاس فيغاس بقرار انقسم فيه الحكام وانتزع من محمد علي لقبه ليصبح بطل العالم الجديد في الملاكمة في الوزن الثقيل.

وكان الخبراء قد استهانوا بأمر سبينكس. فهو لم يلاكم كمحترف قبل ذلك الا في سبع مباريات، كما ان سبب شهرته الحقيقي (مثله مثل كاسيوس كلاي الشاب قبله) هو فوزه بالميدالية الذهبية في الالعاب الاولمبية في وزن الخفيف- الثقيل.

وقد استهان محمد علي نفسه بغريمه سبينكس، فلم يلزم نفسه بالقدر المناسب من التدريب الشاق قبل المباراة، وظهر فيها وقد احاطت بخصره غلالة سميكة من شحم السمنة. وكان آخر ما توقعه ان يجد سبينكس الشاب يصمد له ويبادله اللكمات طوال خمس عشرة جولة قاسية، تزيد كثيرا

على ما سبق لسبينكس ان تحمله في ليلة واحدة ٠

أيامه صارت معدودة

وفي ختام المباراة، بدا محمد علي مرتبكا تكاد الدموع تطفر من عينيه، وقال انه لن يعتزل بل سيحاول ان يصبح اول ملاكم من الوزن الثقيل في التاريخ يحصل على البطولة للمرة الثالثة٠

ولقد كان هذا الهدف الجديد حافزا له على شحذ عزيمته والزام نفسه بالتدريب الشاق٠ فكان له ان وجده هواة الملاكمة، في ليلة ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨ في نيو اورلينز، ذاك المنافس الخاطف اللكمات والعازم على الظفر غير الذي عرفوه منذ سنوات٠ واجمع الحكام على انتصاره وهزيمة سبينكس في الخمس عشرة جولة٠ وفي حين ان محمد علي لم يعد ذلك المعلّم الراقص السابق، الاّ انه قد سيطر على منافسه الاصغر منه سنا ولقّنه امثولة في الملاكمة٠

لكن هذا النصر لا يعني ان ايامه كملاكم ممارس تعتبر معدودة٠ فليس من المعقول أنه يفكر يوما في توقفه عن بريق الشهرة٠ فهناك أشياء أخرى في مقدوره ان يقوم بها حتى من دون ملاكمة٠ وهناك ايضا مجموعة من المشروعات التجارية الجديدة يمكن تكنيتها باسم محمد علي، كالمشروعات العقارية وصناعة الدمى وملاءات الاسرّة وادوات زينة الرجال والساعات٠ وقد صور فيلم من الرسوم المتحركة للاطفال عن محمد علي بعنوان "انا الاعظم"، قال هو انه اعده: "كي يبقى ماثلا في عيون الجماهير٠ فان الاطفال الذين سيصبحون في الغد حكام الولايات وعمد المدن في بلادنا، وسوف يتذكرونني جميعا، لانني سأظل حيا في أذهانهم، وسيظلون متأثرين بي"٠

وهناك النشاط السياسي ايضا٠ فقد اصبح المسلمون يطلقون على انفسهم اسم "امة الاسلام العالمية في الغرب"، وتزعمهم والاس د٠ محمد ابن المرحوم اليجا، فوجههم الى الانشطة السائدة في حركة المجتمع، وراحوا يعملون بهمة على ضم السود من الطبقة المتوسطة الى صفوفهم، كما بدأوا يسبرون غور النشاط السياسي في عالم البيض٠ وليس مستبعدا ان يرشح محمد علي نفسه ذات يوم لاحد المناصب العامة٠

وفي ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٨، اصبح محمد علي اول رياضي اجنبي مشهور يحظى بمقابلة الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف٠ وبعد المقابلة التاريخية التي استمرت ٣٥ دقيقة، عقد مؤتمر صحافي تبادل فيه الرئيس والملاكم العناق، وكشفت تعليقات محمد علي عن تمتعه بالموهبة الديبلوماسية٠ قال: "لقد وجدت الشعب الروسي يفيض بمشاعر الانسانية والحب مثل جميع الشعوب الاخرى على ظهر هذه الارض٠ واسعدني ان ارى الكثير من الامم والشعوب هنا تعيش في سلام٠ ولم اشاهد شخصا واحدا يتطفل للانتقال في سيارة او يستعطي او يعاني الفقر المدقع٠ ولم اشعر في حياتي بمثل هذا المأمن من السرقة"٠

غير ان مغامرة محمد علي الروسية قد اثبتت شيئا لا ريب فيه، وهو ان محمد علي سواء أكان بطلا حاليا ام بطلا سابقا، فانه لن يعتزل المسرح

العالمي بسهولة. ومن بين الادوار الجديدة التي يمكنه ان يلعبها دور نجم السينما.

أدوار المستوى

ومع ان فيلم "الاعظم" الذي يروي قصة حياته، والذي كلف انتاجه خمسة ملايين من الدولارات، لم يحقق النجاح الساحق المأمول، الا ان محمد علي اثبت ايضا ان في مكنته ان يلمع على الستار الفضي، وقد بدأ لفوره- في طبيعة الحال- يفكر ويتحدث بطريقته المسرفة عن تحقيق افلام اخرى.

وقال: "بعد هذا الفيلم سأمثل دور هانيبعل مستعينا بمئات الافيال، ثم دور محارب مصري اسمر مستعينا بعشرة آلاف حصان. انها افلام نظيفة، افلام لها رسالة تنفع البشرية...

ولا بد لي ان امثل ادوارا في مستوى حياتي. وهذا وحده يساوي آلاف الملايين.

ولا مكان في افلامي لمسائل الجنس والتدنيس، بل يجب ان تكون كلها افلاما تتاح مشاهدتها للنساء والاطفال. ولا محل عندي لابطال الجنس ولا لاساطير الحشرات الضخمة المرعبة. وانا رجل متدين، والتقي رؤساء الدول، فكيف يمكنني ان اظهر في فيلم وانا عار امارس الجنس.

ان كيسينجر يأبى ذلك لنفسه، فكيف بي وانا اهم من كيسينجر؟".

كان هناك صحافي يجلس بجانب محمد علي في ذلك اليوم، فأضحكه هذا الكلام. "اهم من كيسينجر؟ ولم لا؟"

فأن وجه محمد علي، من حيث الشهرة لدى الجمهور، معروف ولا شك اكثر من وجه وزير الخارجية السابق بل ربما كان اشهر شخص معروف في العالم باسره. فهو وحده- من بين جميع المشاهير- الذي تتعطل بسببه حركة المرور في كل مدينة يزورها في العالم اجمع.

واما من حيث التأثير الدولي، فربما جاء يوم يتفوق محمد علي على هذا المتجول هنري كيسينجر. ويكون لوقع وداده نحو الاخرين صدى ايجابيا بعيد المدى، خصوصا في بلاد العالم الثالث. ولقد لمّح هو الى انه على استعداد للقيام بمثل هذه المهمة. وقد قال في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٨ انه يعتزم تنظيم جماعة تدعى "العالم- المنظمة العالمية للحقوق والحرية والكرامة"، وصفها بانها منظمة خيرية تستهدف الى الدفاع عن حقوق الانسان.

وبعد ذلك بأسابيع كان محمد علي واقفا امام تمثال الحرية في نيويورك حيث تعهد بمساعدة الهنود الامريكيين في احتجاجاتهم على مقترحات استخدام الاراضي التي تحرمهم الحقوق التي كفلتها لهم المعاهدات. وقال:

"لقد فات الوقت لانقاذ نيويورك او كليفلاند واعادتها الى الهنود، لكن الوقت لم يفت لانقاذ الصحاري القليلة التي خصصت لهم. واذا لم اساعدهم وانا رجل غني، لتملكني الشعور العميق بالاثم".

وماذا بعد؟

لقد قال محمد علي: "كل شيء ممكن لمن يجرؤ على السعي اليه". ولمحمد علي جرأة تفوق جرأة معظم الناس، وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين بعد.

■ روبرت ليبسايت

صُورة تلفزيونية ملتقطة

سوني
SONY

سُوني بيتاماكس
أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد

KV-2010ME



سُوني بيتاماكس يحول غرفة الجلوس في منزلك الى قاعة مسرح
سجل برامجك التلفزيونية المفضلة وشاهدها في أي وقت تشاء،
أو شاهد البرامج العديدة المسجلة مسبقاً التي قد لا تشاهدها عادة
على شاشة التلفزيون أو السينما وتمتع بالنشاطات الرياضية والبرامج
التثقيفية والوثائقية وللهو العائلي والبرامج
أيضاً حتى بتصوير أسرتك في البيت بكاميرا على جميع أنواعه. وبإمكانك
التي توصل مباشرة بجهاز بيتاماكس الذي يسجل الصورة والصوت
معاً لتبثهما أمامك فوراً على شاشة جهازك التلفزيوني.
جهاز بيتاماكس يحمل كل هذا … وهو سهل الاستعمال
مزود بكاسيت … يكون على أتم الاستعداد لتسجيل
برامجك المفضلة أو لبثها وبإمكانك أيضاً أن تعد جهاز
بيتاماكس ليسجل بنفسه أثناء غيابك.
سوني بيتاماكس. انه يطل بك الى المسرح في عقر دارك.



SL-8000E

سُوني بيتا ماكس Sony Betamax

شاهد ما فاتك مشاهدته

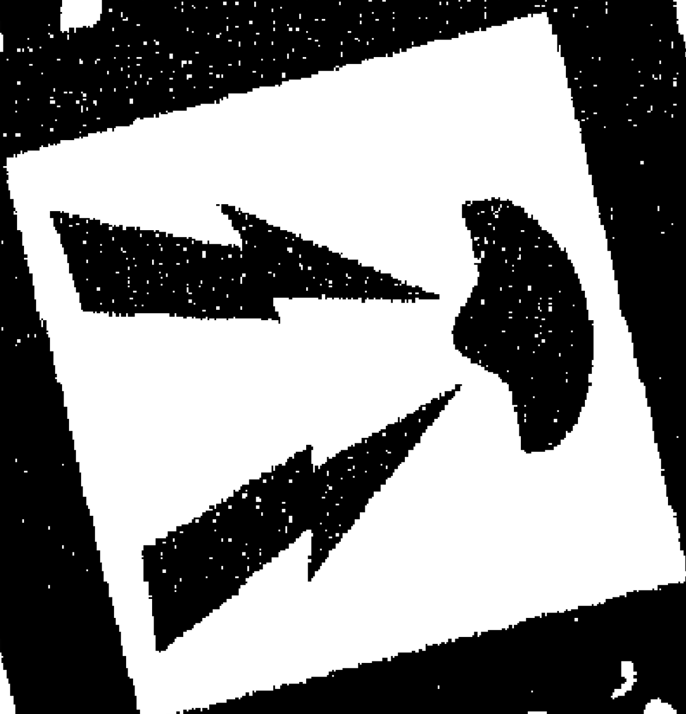
CITIZEN QUARTZ

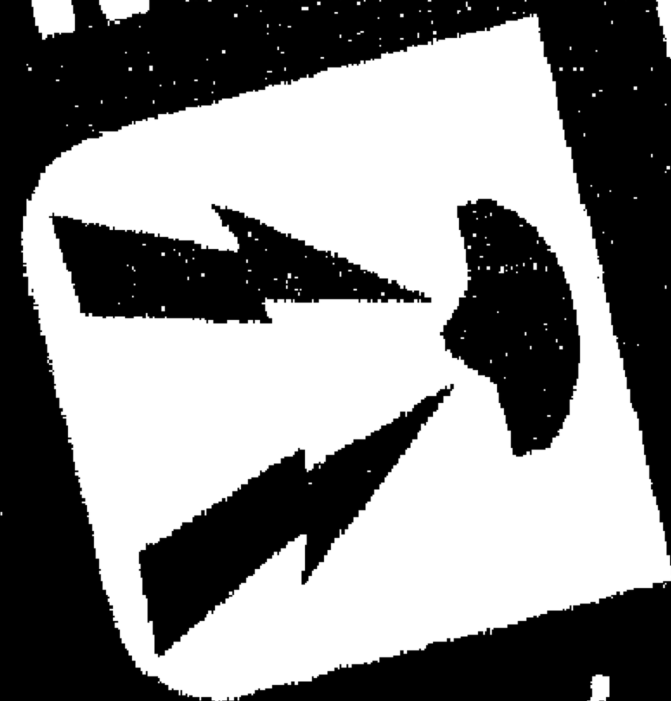
MULTI ALARM


جهاز حفظ الوقت والتوقيت


مُوقِت


جَرَسْ


مُنبّه ٢


مُنبّه ١

عندما تنسى
سيتيزن تذكرك



عندَ تشغيلكَ لأيٍ من هذهِ الصفات يُضيء المؤشر تلقائياً ويَصْدرمن الساعَةِ صَوت (بيبْ) ينبهك إلى إبتداء العمل وانتهائه إنهـا ابتكار مجرّب وساعَة لا تقدّر بثمن للرجل الذي يعتبر أن وقته من ذهب

سيتيزن كوارتز ملتي الارم

سيتيزن

CITIZEN



العالم العربي:

الرمال الساخنة تتحرّك (ص ٢٩)

أسرار السعادة الزوجية (ص ٥٣)

مصر موطن الحضارة الأول (ص ٤٦)

المغربُ الساحر (ص ٦٨)

الكوليسترول والنوبات القلبية (ص ٩٥)

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
ابو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest January 1979

يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ ـ صفر ١٣٩٩

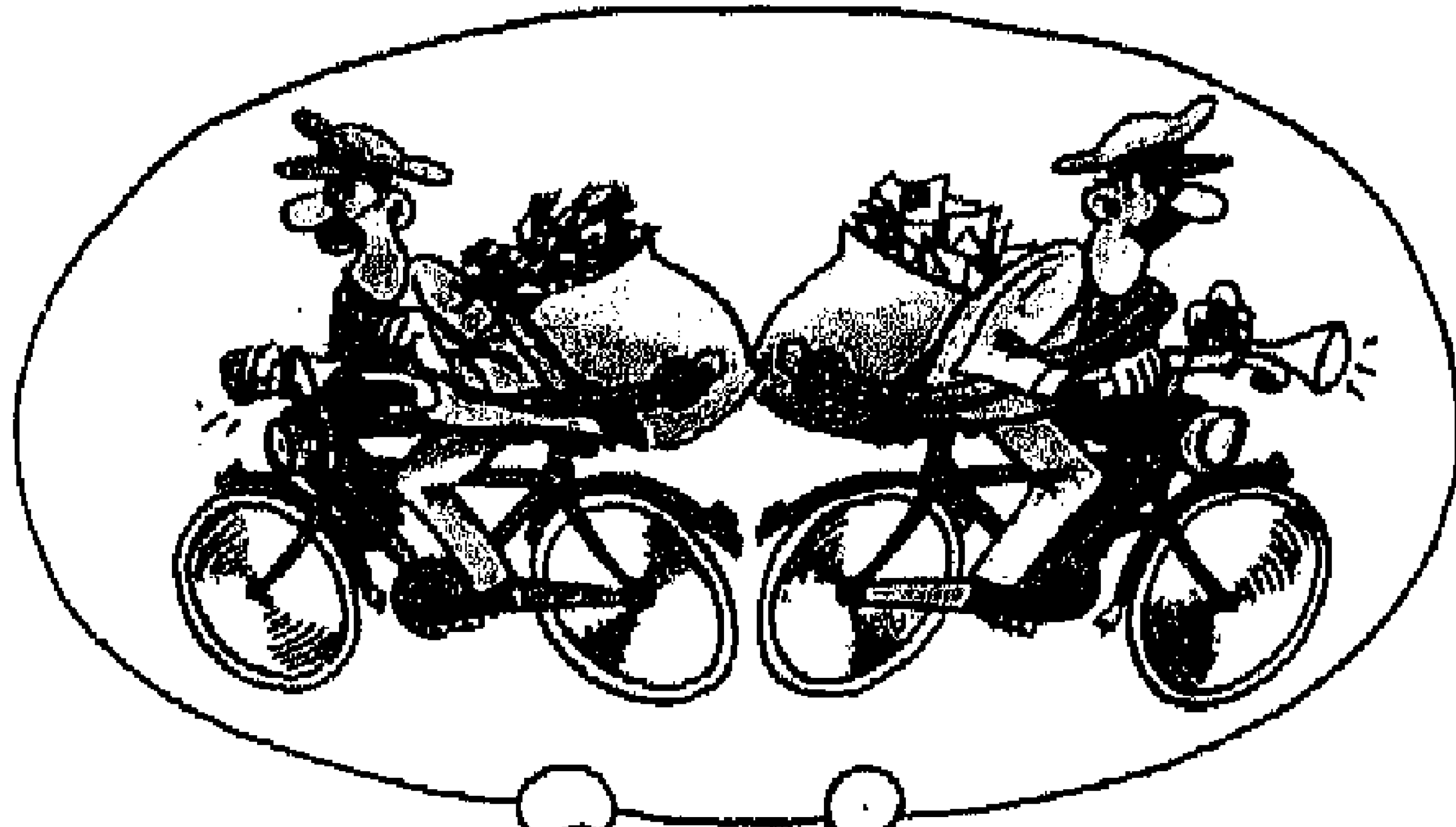
المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - دبي ٦ د -
أبو ظبي ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -



اكتب  واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟

خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفا وجذابا ومثيرا للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٣٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولارا عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.
- يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



جهاز سوني القوي

إنه جهاز ستيريو منغم ودك للكاسيت ومضخم متكامل للصوت في قطعة واحدة

مع جهاز سوني الجديد لن تزاحمك القطع الكثيرة لتحقيق أداء الستيريو الرائع. قطعة واحدة فقط تكفي. إنه جهاز سوني HST-49 القوي – ففيه مضخم متكامل للصوت بقوة ١٠٠ واط، مع أربع منغمات ستيريو ومزود بجهاز انتقاء المحطات فائق الحساسية ودك للكاسيت مزود بنظام دولبي* وذلك في قطعة واحدة فاخرة، فتنساب أنغامه الحالمة كأنغام الطبيعة.
ن جهاز انتقاء المحطات الفائق الحساسية يصمت كافة الاذاعات الاخرى عدا الاذاعة التي ترغب في الاستماع اليهـا.
جهاز دولبي مزود بوسائل من شأنها تخفيف الضجيج الى أدنى حد ممكن للابقاء على النقاء الصوتي للكاسيت كما وانه مزود بزر احد فقط للتسجيل بالاضافة الى مكبرين الصوت باتجاهين SS-37 من صنع سوني. انه اقوى الاجهزة على الاطلاق بمزاياه البراقة الجديدة وادائه الرائع مما يجعل منه نظاما لا يضاهى، وهذه المزايا المجتمعة هي التي جعلته يحمل اسم سوني بحق. قم بزيارة لوكيل سوني وشاهد تلك الاعجوبة بنفسك.

ع بالوسيقى بواسطة سماعة سوني للستيريو DR-S5 . * دولبي هي العلامة التجارية لمختبرات دولبي

سوني
SONY

بين السطور

سنة آسيا

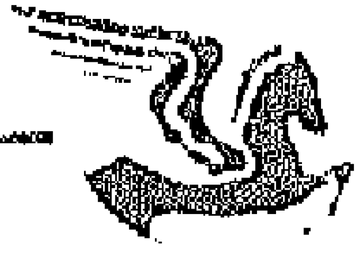
١٩٧٩ هي سنة آسيا بالنسبة الى "ريدرز دايجست". فقد انضم الى اسرتها بين شهري نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الاول) عضوان آسيويان جديدان هما الكوري والعربي. وبالطبعتين الكورية والعربية ارتفع عدد افراد اسرة الدايجست الى ٣٩ (طبعة) واللغات التي تصدر بها الى ١٥ . كما تجاوز عدد النسخ التي تصدر بها الـ ٣٠ مليونا والبلدان الـ ١٨٠.

ولئن بدت الطبعتان الكورية والعربية جديدتين الا انهما فعلا مجددتان. فقد صدر العدد الاول من الطبعة الكورية في العام ١٩٥٠، الا ان رياح الحرب التي عصفت بهذا البلد بعد ثلاث سنوات تسببت في توقف المجلة من الصدور. اما الطبعة العربية فقد صدر العدد الاول منها في القاهرة في العام ١٩٤٣، غير ان حرب فلسطين التي اندلعت شرارتها في العام ١٩٤٧ وصل لهبها الى "المختار" فتوقف عن الصدور حتى العام ١٩٥٦ حين استأنف الصدور بعد حرب السويس غير ان الحرب ما لبثت ان اندلعت في العام ١٩٦٧ فتوقف ثانية ليعود الى قرائه الان بعد ١١ سنة.

والملفت في "المختار" انه كان منذ صدور العدد الاول منه في العام ١٩٤٣ ظاهرة، اذ وصل توزيعه الى ١١٦،٠٠٠ نسخة شهريا، وهو رقم لم تبلغه اي مطبوعة آنذاك. وحتى بعد توقفه استمرت دار "اخبار اليوم" المصرية التي تولت بعثه في العام ١٩٥٦، تتسلم رسائل من القراء يسألون عن موعد عودة "المختار" ... وها هو عاد.

والاهتمام غير العادي بـ"المختار" من "ريدرز دايجست" في آسيا يتجلى في وجود طبعات عدة في هذه القارة بخمس لغات هي اليابانية والصينية والانكليزية والكورية والعربية. وقد اصبح تقليدا ان دخول طبعة الدايجست بلدا او منطقة في العالم هو نوع من الانتماء الحضاري الى عالم من القيم والمثل التي تجسدها هذه المجلة والتي تختصر في التعلق بالحرية والايمان بكرامة الانسان وبقدرته على التقدم وتحقيق مستقبل افضل له ولعائلته وللبيئة التي يعيش فيها. وهذا عهد يقطعه "المختار" على نفسه.

التحرير



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير: ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب ·
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير: رينا نداف ·
الاخراج: اروى سيف الدين ·

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية- باريس ·

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ·

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204642 7237422 Telex 612687 F

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتركيب:
شركة المطبوعات العربية- باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"

المدير العام: جون أ. اوهارا ·

مدير التحرير: آلان دوليرو ·

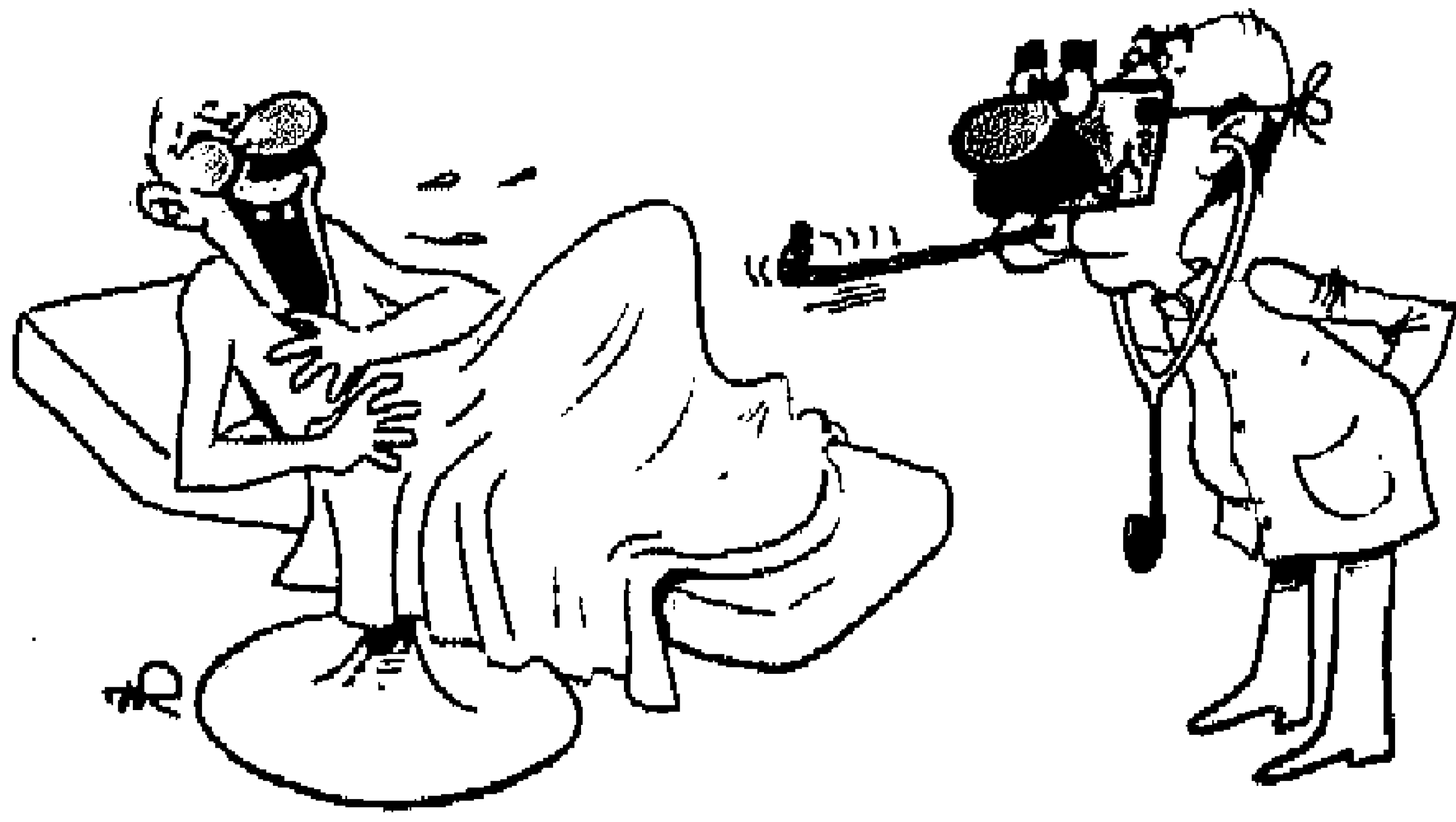
تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

الغلاف: حمام أبيض في حديقة

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
January 1979 N°2 *(New Series)*. Vol.1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

الضحك خير دواء



العربة قبل الحصان

بعد اربعين امتحانا في قيادة السيارات وتسع سنوات من الاحباط، نجحت السيدة ميريام هارغريف في اختبار القيادة في لندن.

وقد اصبحت تلك الجدة التي تبلغ من العمر ٦٢ عاما اشهر طالبات رخصة القيادة في بريطانيا لكثرة الامتحانات التي فشلت فيها، لكنها صممت على اجتياز الامتحان لتتمكن من اصطحاب زوجها الذي يبلغ عمره ٧٩ عاما في جولات ريفية بالسيارة. والمشكلة الوحيدة الباقية امامها الآن، بعد ان انفقت ٣٠٠ جنيه استرليني على دروس القيادة، هي انها لم تعد تملك المال الكافي لشراء سيارة.

رويتر

الضحكة الاخيرة

كنا نستعد للانتقال الى مسكن جديد، فاتصلت زوجتي بشركة التلفون من اجل نقل الخط الى هذا المسكن، وعلى الرغم من عزوف زوجتي التام عن التوسع في التركيبات التلفونية فقد ظلت مندوبة مبيعات الشركة طيلة ١٥ دقيقة تعدد انواع الاجهزة والوانها، ثم ختمت كلامها بالتأكيد على ضرورة تركيب جهاز بتوصيلة خاصة في كل ناحية مسكونة من المنزل، لكن زوجتي صمدت للاغراءات كلها ورفضتها جميعا.

وشعرت زوجتي بانها قد انتصرت حين بدأت المندوبة تحرر الطلب الاساسي لجهاز تلفون وحيد. لكن المندوبة على الرغم من ذلك، احتفظت لنفسها بالضحكة الاخيرة فانهت الامر بالسؤال في لهجة جافة: "والان، يا سيدتي، الى اي غرفة تريدين ان تركضي كلما دق جرس التلفون؟

و.ك.

الضرائب المخللة

ظل احد عملاء مكتب المحاسبة الذي اعمل فيه منذ سنوات يحضر الينا ايصالاته وفواتيره والاوراق الخاصة بالضرائب ملفوفة باحكام وموضوعة في اناء كبير من آنية المخلل. وفي كل سنة كان رب العمل ينصحه بحفظ الاوراق في ملفات يتيسر له معها فرز الوثائق المتعددة لكل من يعنيه الامر.

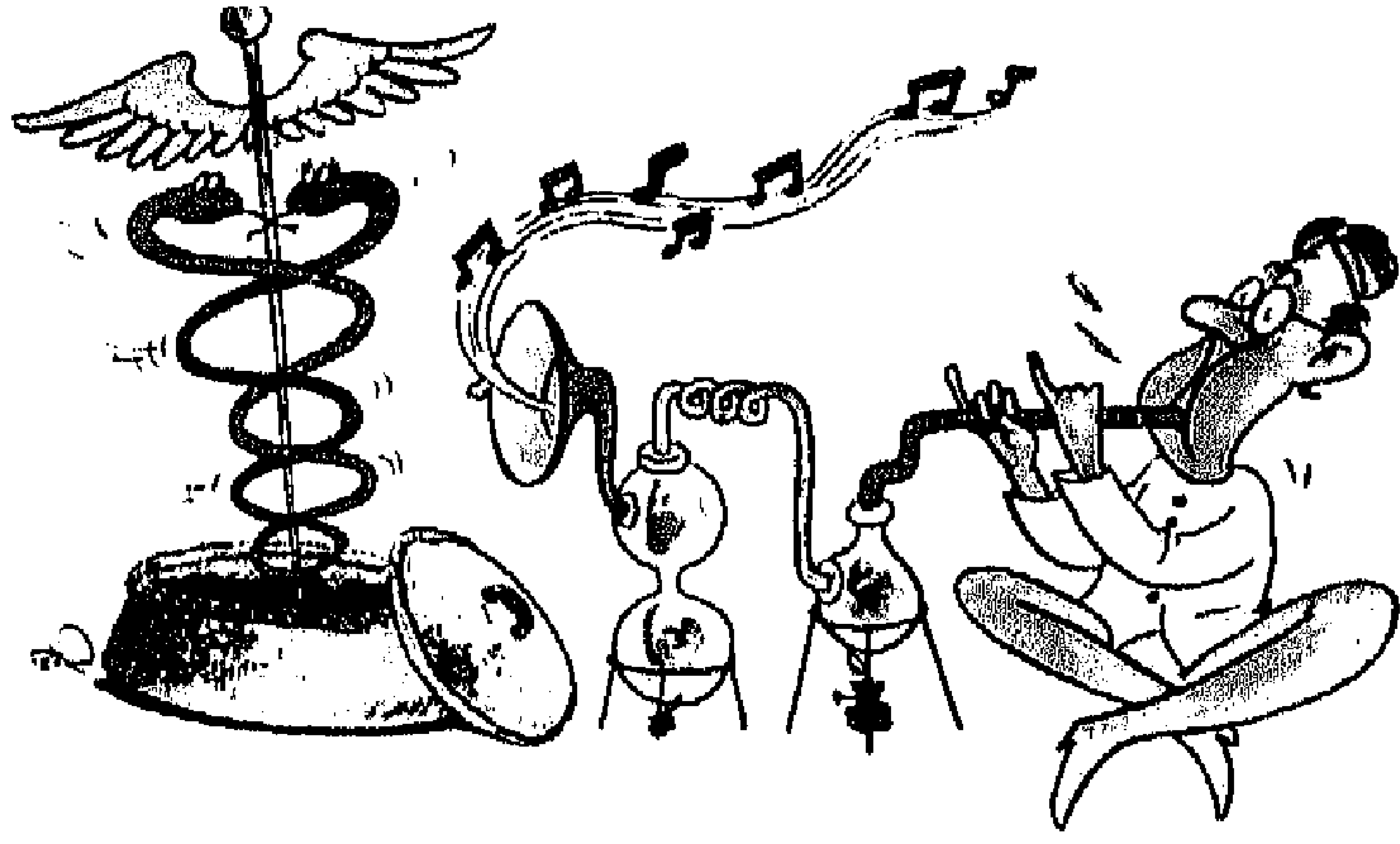
وهذا العام جاء صاحبنا كالعادة يحمل صندوقا معدنيا جديدا لحفظ الملفات. ولم يطل ابتهاجنا اكثر من لحظات قصيرة، اذ انه عندما فتح الصندوق كان في داخله اناء المخلل المعهود محشوا حتى حافته بالاوراق.

هـ.د.

لئلا يهرب الظلام

لافتة معلقة على باب غرفة التحميض المظلمة لاحد المصورين الطبيين: "نرجو ابقاء باب الغرفة المظلمة مغلقا، لان تركه مفتوحا يؤدي الى تسرب الظلام كله الى الخارج!"

ن.م.



اصداء من عالم الطب

عون على التهاب المفاصل

كيف تساعد التمارين الرياضية اليدوية في معالجة الاصابع المصابة بالتهاب المفاصل؟ عندما تصاب اليد بالتهاب المفاصل ينجم عن ذلك اختلال التوازن في تحرك عضلاتها فتتلاشى اربطتها واوتارها مما قد ينتج عنه خلع معصم اليد واعوجاج الاصابع واليد وبالتالي تشويه اليد وصعوبة قيامها بوظيفتها الطبيعية. وقد اصبح من الممكن الآن الاعتماد على جهاز عملي يتيح التمارين الرياضية اليدوية ويساعد في معالجة الايدي المصابة بهذا الداء.

وقد ابتكر هذا الجهاز وطوره الفيزيائي سيمون كروير الذي اصيب بالتهاب المفاصل اليدوية واوشك ان يفقد استعمال يديه. وقد عرض هذا الجهاز الصغير في احد المؤتمرات التي عقدها الخبراء بالروماتيزم، (ويمكن استعماله في الالتهاب العظمي المفصلي كما في التهاب المفاصل نظير الرثوي) وهو مؤلف من خمسة مثلثات جمعت في شكل علبة تحتوي على اربع فتحات للاصابع وممسكين لليد واعمدة للتمارين، تضاف اليها اشرطة من المطاط في بعض التمارين التي تستلزم تباعد الاصابع او ثنيها او مدها، او مد الابهام وتدويرها في جميع الجهات.

وقد اتضح ان استعمال هذا الجهاز الرياضي لليد، خمس دقائق يوميا، يؤدي لدى معظم المرضى الى تحسن في قوة العضلات ومجال تحرك اليد ويعيد اليها وظيفتها المفيدة. وانما ينبغي للمصابين بالتهاب المفاصل، ان يستشيروا طبيبهم قبل البدء باستعمال هذا الجهاز. ويمكن الحصول على هذا الجهاز من مستودعات الادوات الجراحية، وهو مرفق بكتيب ينطوي على التعليمات اللازمة لاستعماله، بعشر لغات مختلفة.

(مقتبس من زاوية الطبيب في "لوس انجلس تايمس سنديكايت")

علاج اللوكيميا بالاشعة الغامرة

يقول الدكتور رالف ا. جونسون، رئيس فرع علاج الاورام بالاشعة في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، ان تغييرا جذريا قد طرأ على المستقبل الذي ينتظر المرضى بلوكيميا كرات الدم البيضاء المزمنة (نوع من سرطان الدم يصيب عادة الراشدين في قرابة الستين من العمر).

فقد اجرى الدكتور جونسون طوال عشر سنين دراسة تناولت ٤٢ مريضا باللوكيميا المتزايدة التي لم يسبق علاجها. وقد عولج هؤلاء المرضى بتعريض اجسامهم بكاملها للاشعة لمدة بلغت ستة اشهر في المتوسط، فاختفت كل اعراض المرض الاكلينيكية من ١٤ مريضا منهم، وعاد عدد كريات الدم الى مستواه الطبيعي، وبدا نخاع العظام خاليا تماما من كل ما يشير الى وجود اللوكيميا. ولا يزال عشرة من هؤلاء الاربعة عشر احياء وقد اصبح مرضهم خاضعا

للسيطرة التامة ومنهم اثنان يعيشان منذ اكثر من عشر سنين على بداية معالجتهم .
ومع ان الدكتور جونسون لا يدعي التوصل الى علاج حاسم للمرض عن طريق تعريض الجسم كله للاشعة، الا انه قلما تتحقق هذه النتائج الممتازة باي وسيلة علاجية اخرى .
وتبعا لتقدير قسم النتائج النهائية في المعهد الوطني للسرطان، فان متوسط فترة الحياة بالنسبة الى المريض بلوكيميا كرات الدم البيضاء المزمنة، وهو مرض يشخص في ٥٥٠٠ مريض جديد كل عام، يقل عن اربع سنوات منذ تاريخ تشخيص المرض .
واكثر اسباب الوفاة شيوعا بين هؤلاء المرضى، كما يوضح الدكتور جونسون، هو العدوى البكتيرية التي تؤدي الى الموت لان الجسم يفقد قدرته على انتاج كريات المناعة. وقد لوحظ ان المرضى الذين يستجيبون للعلاج بالاشعة الغامرة للجسد كله يستعيدون عادة قدرة اجسامهم على انتاج كريات المناعة .

(مجلة الجمعية الطبية الامريكية)

الانتفاع بالاسرة الفارغة

مع تزايد استعمال موانع الحمل التي تؤخذ عن طريق الفم في الولايات المتحدة، اخذت معدلات الولادة تنخفض باستمرار، فتكاثرت الاسرة الفارغة في مستشفيات الامومة ومرافق رعاية الاطفال وغرف الولادة. ومن المحظور في معظم الولايات أن تستخدم اسرة الامومة الفارغة لفائدة المرضى الآخرين، تجنبا لانتشار العدوى الى الامهات والمواليد الجدد .
ومن بين الحلول المتوافرة لهذه المشكلة، السهر على تنسيق الخدمات بين مستشفيات عدة، كما حدث في مدينة بيتسبرغ في ولاية بنسلفانيا ومدينة بروفيدانس في رود ايلاند . ففي كل من هاتين المدينتين، تولى مستشفى متخصص في التوليد استيعاب كل خدمات الولادة والطب النسائي التي يقدمها مستشفى عام قريب لكي يتفرغ هذا المستشفى العام بدوره للخدمات اللازمة لحالات المرض والجراحة الاخرى .

احزمة مقاعد في السيارات للاطفال المتدرجين في المشي

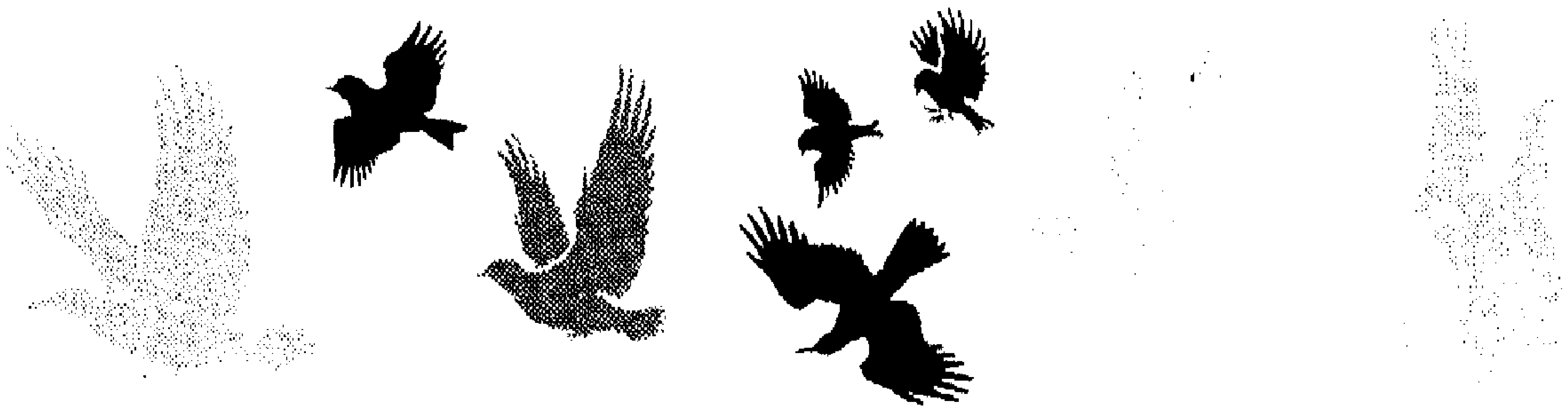
اصبحت تنسي الولاية الامريكية الاولى التي تقضي بتزويد السيارات باحزمة مقاعد للاطفال المتدرجين في المشي . فقد الزم القانون آباء الاطفال الذين تقل اعمارهم عن اربع سنوات، بان يوفروا لاطفالهم اجهزة التثبيت المعتمدة على المستوى الاتحادي على اعتبار حوادث السيارات تأتي في طليعة اسباب وفيات الاطفال .
وان الدكتور روبرت ساندرز مدير الادارة الصحية لمقاطعة روزرفورد، وكبير انصار هذا القانون، قد شبه هذا الوضع بحالة مرض معد سهل الانتشار، مع الفارق بان الاطباء والجمهور يستطيعون طلب الحماية على الفور في حالة المرض . ولا شك في ان القانون الجديد لا يعد كاملا، ولكنه بداية حسنة فالسيارات المستخدمة لاغراض الترويح عن النفس، لا تزال معفاة من التزود بالاحزمة للاطفال، على ان يعهد الى شخص من الكبار في امساك الطفل لئلا يصيبه ضرر . ويأمل المؤيدون ان تلغى في المستقبل الاعفاءات التي اقتضاها الامر لتأمين اعتماد القانون . ("نيويورك تايمس")

من السرة الى الساق

ان الحبل السري يحمل الى الجنين قبل ولادته ما يحتاج اليه من الدم والغذاء، نقلا من امه عن طريق المشيمة . وبعد الولادة، يقطع الحبل السري قرب بطن الطفل ويعقد ليؤلف السرة . وقد وجد اثنان من الجراحين أخيرا ان لبقية الحبل السري فوائد اخرى .
فالطبيبان هربرت وايرفنغ داردیك، وهما شقيقان متخصصان في جراحة القلب والشرايين في مستشفى مونتيفيوري في نيويورك، يأخذان احد العروق من الحبل السري الذي استغني عنه ويشكلان منه بديلا من الشريان الرئيسي للساق لدى احد الراشدين .
وقد استخدم هذا العرق الجديد محل شرايين الساق المسدودة لدى خمسة من المرضى، فأنقذ سيقانهم من البتر .

الطائرة المثالية

ان اكثر الطائرات روعة واناقة تبدو مجرد تقليد ساذج لدى مقارنتها بتلك الرائعة التي اسمها: الطير ·



هل يمكنك ان تتصور مثالا على القدرة الالهية المبدعة افضل من تلك الطائرة المثالية الاتقان التي نسميها الطير؟

ان للطير هيكلا عظميا يتميز بمرونته الفائقة وقوته الخارقة، ويتسم ايضا بانه هوائي الى حد بعيد تكثر فيه التجاويف الملأى بالهواء، ولاسيما في الطيور الكبيرة الحجم· ففي طائر البجع الضخم الذي يزن سبعة كيلوغرامات لا يزيد وزن المنقار والجمجمة والقدمين وبقية الاعضاء العظمية كلها مجتمعة على ٦٥٠ غراما، بينما تنتشر الجيوب الهوائية في بقية الجسم، وهي جميعا متصلة بالرئتين وتعمل معهما· وتقوم دورة الهواء داخل جسم الطائر بمهمة المشعاع الهوائي او جهاز التبريد، فتطرد الكمية الفائضة من الحرارة والرطوبة وتتولى عملية ابدال الاوكسيجين بثاني اكسيد الكربون بسرعة محمومة·

وليس جهاز التبريد هذا مجرد نوع من الترف، وانما هو ضرورة لا غنى عنها لتسارع العمليات الحيوية في جسم الطائر· فالطيران يستلزم مقدارا من الجهد يفوق ما تتطلبه اي وسيلة اخرى للانتقال العضوي، ولذا فان الطائر يدق قلبه دقات عدة في الثانية الواحدة، وبالتالي فانه يتنفس بسرعة تتناسب مع ذلك· وينتج من هذه السرعة، ما يحدث في اي آلة عالية السرعة، ان درجة الحرارة ترتفع لدى الطائر وتبلغ ٤١ درجة مئوية في البجع و ٤٢،٨ في البط و٤٤ في الطائر السريع·

ونظرا الى سرعة استهلاك الوقود في جسم الطائر، فان لدى كثير من

الطيور حويصلة احتياطية - وهي شبه كيس اضافي الى جانب الحويصلة الاصلية - لتخزين الطعام وتزويد المعدة والامعاء به عند الحاجة. وتبلغ سرعة الحركة التمعجية في القناة الهضمية حدا مذهلا. ولعلنا قد سمعنا جميعا عن ابو الحن الصغير الذي لم يكد يغادر العش حتى التهم في يومه اول ما يبلغ طول اربعة امتار من الديدان. وقد لوحظ ان صغار الغربان

وزن الحمامة يتمثل في عضلاتها الصدرية القوية).

ولكي ترى نموذجا يكاد يبلغ الكمال التام في المرونة بين الفقاريات، فعليك ان تلاحظ كيف تتحرك رقبة الطائر. انها تتيح للمنقار ان يبلغ بسهولة اي مكان من الجسم، كما انها تتيح توازن الطائر باكمله في اثناء طيرانه. بل ان للعصفور الدوري المدملج الصغير عددا



تلتهم كل يوم مقدارا من الطعام يفوق وزنها.

والعضلات الصدرية هي اهم الاجهزة المحركة التي تتغذى بهذا الوقود الذي يحصل عليه الطائر بتلك الكميات الملفتة للنظر. فالعضلات الكبرى منها تجذب الجناح الى اسفل ضد الهواء كي تتيح للطائر ان يندفع الى اعلى والى الامام، اما اصغرها فتعود وتدفع الجناح الى اعلى بحركة جذب من اسفل بفضل شبكة بارعة التركيب من البكارات (البكرات والخيوط الرافعة). ومن شأن عملية الكر الرائعة هذه ابقاء العضلات الكبرى في اسفل جسم الطائر لكي لا يطير وجسمه رازح تحت ثقلها، ولو كان موضعها في اعلى الجسم (وكما ان نصف وزن الطائرة الصغيرة قد يتمثل في محركها، كذلك فان نصف

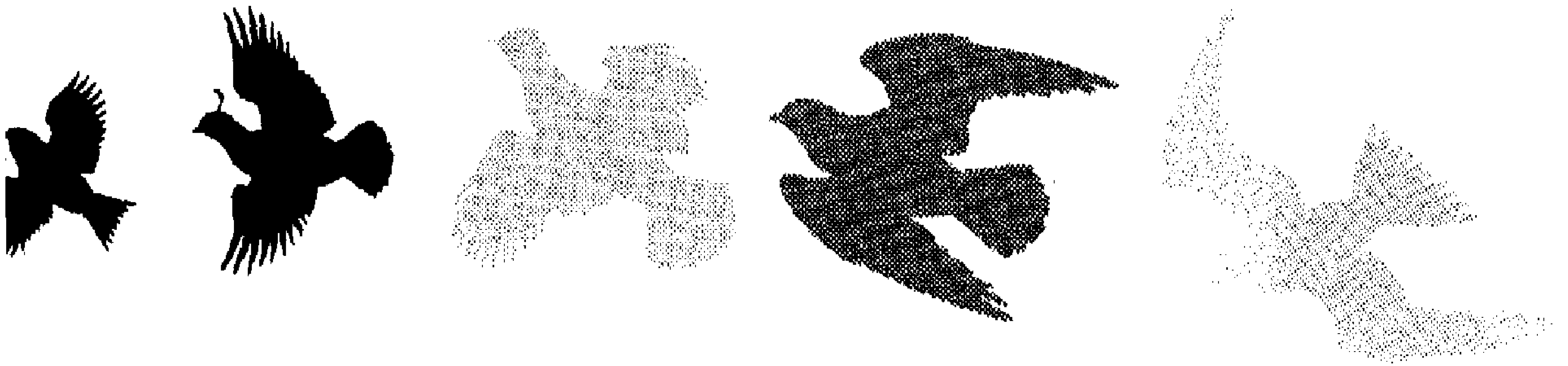
من الفقرات (١٤) في رقبته يبلغ ضعف عدد فقرات رقبة الزرافة (٧).

دور الريش - لكن ابرز الخصائص على الاطلاق في جسم الطائر هي ريشه الذي يجمع بين خفة الوزن الفائقة والقوة الخارقة. فكل عراق رئيسي - من الريش - تتفرع منه على الجانبين شعرات في شكل المروحة المألوف في الريشة، ومن كل واحدة من هذه الشعرات تتفرع فروع اصغر تسمى الشعيرات، تنبت منها خطاطيف ميكروسكوبية تسمى شعيرات التماسك. وهذه التفريعات كلها تتقاطع مع بعضها لتؤلف شبكة اشبه بالنسيج المتداخل.

واذا حاولت ان تفصل شعرات الريشة عن بعضها بين اصابعك فستجدها تقاوم ذلك بقوة لا تتناسب مع ما يبدو من رقتها، لان شعيرات

التماسك الدقيقة عندئذ تقاوم كي تظل مترابطة. وحتى بعد ان تنفصل الشعرات الكبيرة عن بعضها، عندما تتمزق شعيرات التماسك، فان الريشة تتميز بقدرة مدهشة على استعادة تشابكها، لان مجرد اعادة الشعرات الى جوار بعضها وتمسيدها طوليا بضع مرات كفيل باعادة التشابك الى شعيرات التماسك فتتمكن الريشة معه من استعادة كفايتها العملية، وكأن

الدقة يحول دون مرور الهواء باستثناء عدد قليل من جزيئياته. ثم تأتي حركة الجناحين الى اعلى فيدور الريش على محوره وينجم عن ذلك فرجات ينساب منها الهواء على نحو يقدم الينا نموذجا من البق واعقد نماذج العمل الصمامي التي توفرها لنا الطبيعة. ويلاحظ ان مختلف هذه الحركات تتداخل وتتوالف بحيث تبدأ جذور الجناحين حركة الصعود قبل ان



هناك عاملا طبيعيا يصلح ما فسد.

وفي اثناء الطيران، لا تقتصر جناحا الطائر على مجرد رفرفة من اعلى الى اسفل وبالعكس، ولا على مجرد حركة تجذيفية تدفع به الى الامام. وانما الحركة الفعلية للجناحين، كما كشفت اجهزة التصوير العالية السرعة، هي اشبه بالرقم العربي للثمانية (8)، في اتجاه عمودي على خط الطيران، اسوة بما يحدثه المجذاف او المروحة في توجيه القارب الى الامام بواسطة حركة عمودية في اتجاه تحرك القارب نفسه.

وتجيء حركة الجناحين القوية الى اسفل في شكل حركة الى الامام في الوقت نفسه. فكثيرا ما يحدث ان يتلامس الجناحان امام الصدر. كما ان تشابك الشعيرات يبلغ حدا من

تتوقف طرفاهما عن الهبوط، ويبدأ مقدما الجناحين حركة الضغط الى اسفل بينما يستمر الطرفان في حركة الصعود.

متفوقة على الطائرات - ومن الواضح ان الطيور متقدمة على الطائرات تقدما كبيرا في ما يتعلق بالتحكم بالمناورة والتوازن. فبعض الطيور، كالغربان السوداء والطيور الصغرى من الحمام، تضم اجنحتها وتطبقها فتتقلب حول نفسها في اثناء طيرانها الى الامام لمجرد التسلية. وفي ما يتعلق بعملية فرملة الهواء لتقليل السرعة لدى الهبوط على الارض، فان الطيور عندئذ تنشر ذيولها على شكل مروحة وتسبل اجنحتها اتقانا لتأدية العملية، كما ان الطيور المكففة ذات الاصابع المتشابكة - مثل الاوز - توجه

طيرانها وتتحكم بسرعتها وفرملتها باستخدام ارجلها ايضا، فضلا عن انها تستعمل حركة رقابها الطويلة كذلك في عملية التوجيه والتوازن. والهدف الرئيسي من الذيل هو تحديد الاتجاه وتغييره - الى اعلى واسفل، يمينا ويسارا ايضا - غير ان بعض الطيور التي لها ذيول عالية الكفاية يمكنها القيام بحركات معرجة وملتوية، والطيران على ظهرها او

احد قدميها على الارض كالولد الذي يركب مزلجة.

ولا شك في ان الطائر الثقيل الوزن يحتاج الى طاقة كبيرة جدا تمكنه من الاقلاع، بل ان بعض هذه الطيور - مثل البجعة - يحتاج الى مدرج يجري عليه اضافة على تحريك اجنحته بعنف وسرعة شديدين كي يستجمع السرعة الكافية للارتفاع عن الارض. وهناك طيور اخرى - كالغراء - اخف وزنا



التقلب رأسا على عقب او التشقلب الى الوراء. وسواء جمع الذيل في حزمة تشبه العصا او نشر بزاوية ١٨٠ درجة او انحرف بمقدار اي زاوية اخرى، فان له وظائف لا تحصى، من القيام بدور الزعنفة التي تساعد الطائر على حفظ توازنه الى اداء دور مظلة الهبوط او الراية التي تشير الى هوية الطائر.

الاخطاء كثيرة - ولا يعني ذلك ان الطائر يعتبر طيارا مثاليا لا عيب فيه. فالطيور ترتكب كثيرا من الاخطاء، وهناك طيور عدة تتضرر، بل وتتحطم لدى الهبوط من جراء ارتطامها العنيف باليابسة. واذا ما شاهدت فيلما يعرض ببطء لمجموعة من الطيور في اثناء هبوطها على الارض، فستراها تصحح اخطاءها في آخر لحظة بحركة من ذيلها او بجر

واقل قوة من البجعة، تقلع عن الارض مثل الطائرة القديمة ذات المحرك الواحد من طراز عام ١٩١٥.

ومن الطبيعي ان جميع الطيور الكبيرة ترتفع عن الارض في اتجاه مضاد لاتجاه الريح، اكتسابا لسرعة الهواء، وشأنها في ذلك شأن بقية الطائرات.

وقد سمعت بطائر من آكلي السمك ارتكب خطأ جسيما، فهبط على سطح بركة صغيرة وسط غابة من اشجار الصنوبر العالية. وحين هم بالاقلاع وجد انه عاجز عن الارتفاع بالسرعة الكافية للتحليق فوق رؤوس الاشجار وعن الدوران الرشيق الذي يتيح له ان يرتفع حلزونيا. وراح الطائر يشق سطح الماء ويضرب الامواج بجناحيه، ويحرك قدميه المكففتين مستميتا يائسا قبل ان يحلق في الهواء،

واوشك ان يبلغ غايته مرتين، لكنه كاد ان يموت ايضا بسبب ارتطامه بالاشجار. واخيرا، بعد انقضاء اربعة ايام كاملة من المحاولات الفاشلة، هبت ريح قوية فتمكن الطائر من التحليق السريع ضد اتجاه الريح، واستطاع بالكاد ان يمر بين قمم الاشجار منطلقا الى الحرية!

ولا ريب في ان شكل الجناح عامل اساسي من عوامل فعالية الطيران. وقد زودت الطيور بمجموعة كبيرة التنوع من الاجنحة الخاصة، كمثل ما فعل مصممو الطائرات. فهناك الاجنحة الضيقة المستدقة الاطراف التي تميز الطيور القوية السريعة الطيران كالباز والصقر والخطاف والسنونو والطائر الطنان. وهناك الاجنحة المثنية المحاور التي تتسم بها الطيور المنزلقة مثل صقر الليل. وهناك الاجنحة العريضة المصبعة التي تتميز بها طيور التحليق العالي البطيء، والاجنحة القصيرة المستديرة لدى طيور المناطق المشجرة كالطيهوج والسلوى والدوري الصغير والحسون.

وتتميز طيور النورس والقطرس وبقية الطيور البحرية باجنحة ضيقة ومستدقة الاطراف تمكنها من الانزلاق البعيد المدى والتحليق فوق المحيط الواسع.

في الواقع، ان طائر القطرس مهيأ للبقاء محلقا في الهواء الى حد يكاد يبلغ الكمال. وهذا الطائر لا يستطيع ان يضم جناحيه الطويلين في شكل مريح الى ريش جانبيه عندما يهبط فوق سطح الارض او البحر. وثمة من يعتقد ان القطرس يبسط جناحيه الى اقصاهما ويبقى طائرا عندما ينام.

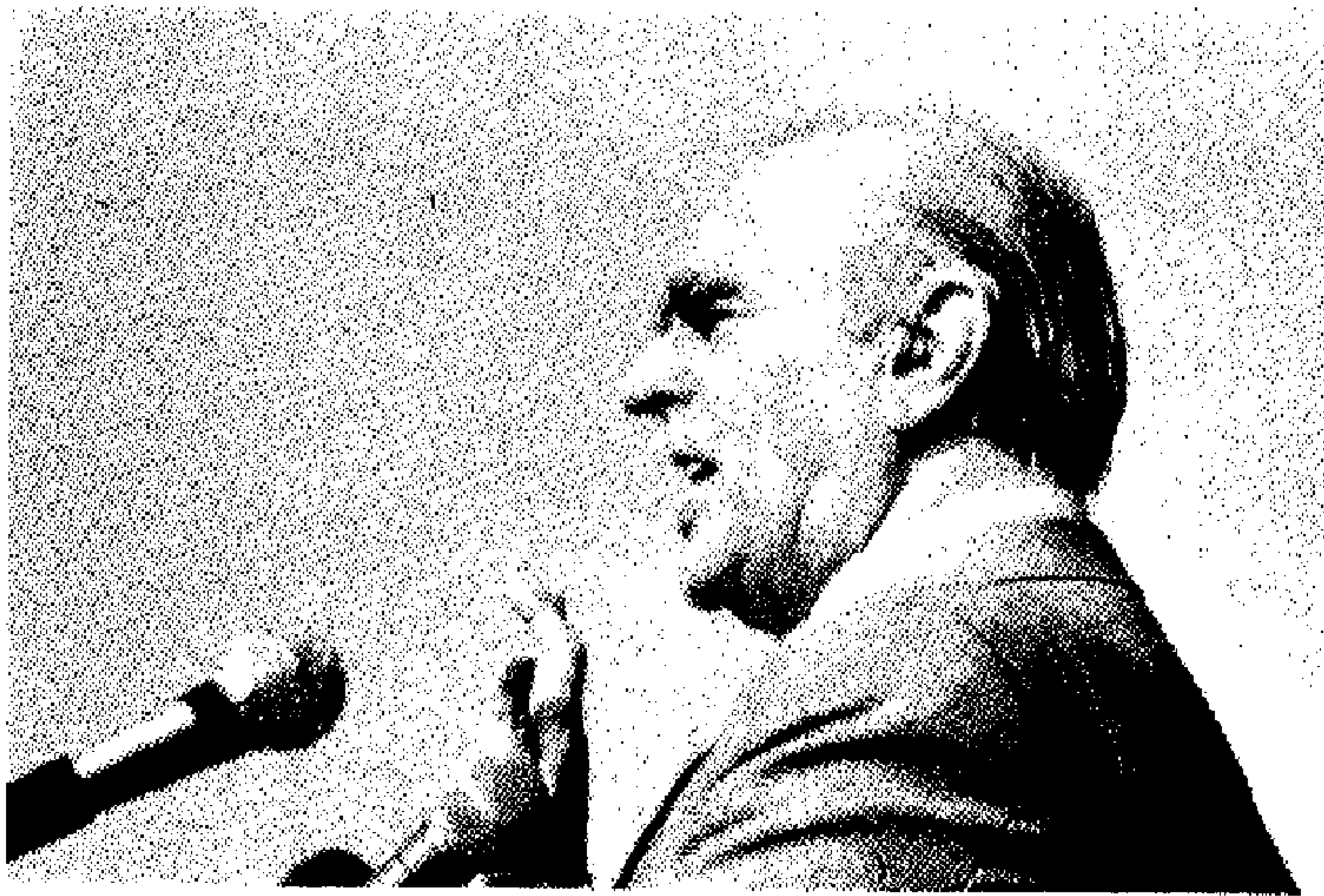
وتنتظم الطيور المهاجرة في اسراب على شكل الرقم "٧". ويعزى ذلك الى المبدأ نفسه الذي تتبعه طائرات السلاح الجوي، وهو ان الطيران على هذا الشكل يعد ابسط طريقة لمتابعة القائد في السماء مع البقاء في الوقت نفسه خارج نطاق دوامة الهواء المضطرب التي تخلفها وراءها الطائرة المتحركة مع المحافظة على الرؤية الجيدة. لكن الامر يتطلب قدرات مختلفة تماما في مناورات الاسراب الكثيفة التي تضم آلاف الطيور الصغيرة. وهنا نجد السرب يتحرك احيانا في شكل عجلة (دولاب) ضخمة، تنخفض الطيور المفردة فيها وترتفع باطراد وكأنها اجزاء مرتبطة بايقاع اطار العجلة التي نراها احيانا تدور كعجلة المركبة على الطريق العام واحيانا اخرى تتحرك في شكل غير منتظم كلسان من ضباب البحر تتراكب طياته بعضها فوق بعض، ويفقد فيها كل طائر فرديته اذ يصبح جزءا لصيقا بالجماعة الكبيرة المتحركة.

وليس في استطاعة احد حتى الآن ان يدرك معنى الوحدة المدهشة في هذا التصرف. ولربما كان الامر هنا متوقفا على ما هو اكثر كثيرا من مجرد الاتصال البصري، ولعله ان يكون جزءا من خيوط التلاحم التي تربط بين الحيوات الفردية وتزود المرء بقابلية الانصهار في كتلة كبرى من الوعي الشامل الذي يتجاوز وعيه المنفرد ويتسامى فوق حدود وجوده.

لكن الشيء الذي لا يرقى اليه الشك هو ان الطيور هي اقرب الآلات الطائرة الى الكمال.

■ جاي مورتشي

قسطنطين كرمنليس وصفة طبيب للديموقراطية اليونانية



يعود الفضل الى قسطنطين كرمنليس، رئيس وزراء اليونان الشديد البأس، في ابقاء نظام الحكم النيابي حيا ومعافى في بلاده.

عندما تولى قسطنطين كرمنليس رئاسة الوزارة في اليونان سنة ١٩٧٤، كانت سلطته تقوم على اساس فريد: شخصيته القوية، بينما كانت المهمة الموكلة اليه شاقة تكاد تناهز المستحيل. ذلك ان اثينا كانت مطوقة بوحدات مصفحة تخضع لامرة ضباط متطرفين في مقاومتهم اي تغيير في النظام السياسي، وهم من مؤيدي الديكتاتورية العسكرية اليمينية التي كانت تحكم اليونان منذ سبع سنوات. كما ان البلد كان يضج بالصيحات الداعية الى الحرب ضد تركيا. وكان الاقتصاد ينوء بمعدل ٣٠٪ من التضخم.

ومع ذلك، فقد تمكن كرمنليس من اجتراح العجائب السياسية في اليونان بفضل ذلك المزيج اللبق الذي ينطبع عليه من ثبات العزم والدهاء السياسي، فاعاد الى بلاده صفاءها،

كما اعاد شارل ديغول روح النظام الى وطنه فرنسا قبل عقدين تقريبا، وها هي مؤسسات اليونان الديموقراطية مزدهرة اليوم، وقواتها المسلحة تحت سيطرة مدنية راسخة، وحكومتها من أكثر الحكومات استقرارا في اوروبا.

وفي المدينة المشبعة بالشمس، اثينا، ذات الثلاثة ملايين نسمة، تزدحم المحلات بآخر الازياء والمجوهرات والادوات المنزلية. وتتميز اليونان بأحد ادنى معدلات البطالة في اوروبا الغربية، وهو لا يتجاوز ٣٪، وبارتفاع المداخيل بنسبة ٥٪ سنويا، بفضل التشجيع الحكومي للمبادرة الفردية. ويقول احد الاثينيين: "عندما كنت يافعا، كان الناس يقلقون على تحصيل حاجتهم من القوت، اما الآن فهم يحسبون عدد الوحدات الحرارية في الطعام".

لقد مرت اليونان في توعك سياسي عميق الى ان جاء كرمنليس. واليونانيون الاقدمون هم الذين اعطوا العالم مفهوم الديموقراطية، لكن اليونان الحديثة لم تتمتع الا بومضات عابرة منه. والمواطنون اليونانيون يهتمون اهتماما حماسيا بالشؤون السياسية، وذلك من اجل مصلحتهم الخاصة. وقد كان من شرور الغوغائية والنزاع الفئوي وعنف الشوارع انها اضعفت المؤسسات الديموقراطية ومهدت الطريق لثمانية انقلابات عسكرية منذ الحرب العالمية الأولى. ولئن كانت الديموقراطية كلمة يونانية، فالتشويش والفوضى والطغيان والاستبداد كلمات يونانية ايضا.

"**وصفة الطبيب**" ـ طويل القامة، مفعم بالحياة والاناقة حتى مع تقدم السن، فضي الشعر. هذا هو كرمنليس الذي جاء "وصفة طبيب" لشعبه: قائدا قويا وحاسما. وهو، مثل ديغول، يمتاز بشخصية بارزة. فهو، وان استقطب احترام الناخبين واصواتهم، ونالها بالفعل، تصعب عليه استمالة قلوب الناس. ذلك ان كرمنليس يعاني صمما جزئيا منذ الصغر، اضطره الى تزويد اذنه بآلة تساعدها على السمع. ويقول بعضهم ان هذه البلوى جعلته متحفظا وفظا في علاقاته مع الآخرين. وهو، على الطراز الديغولي، قصير الصبر مع اولئك الذين لا يوافقونه الرأي. وحين يقاطعه ضجيج النظارة خلال انعقاد مجلس النواب، يضرب الطاولة بيده ويصرخ: "اذا لم تكموا افواهكم فلن اتابع". وكرمنليس ـ مطلقا وبلا اولاد ـ يعيش وحده وليس له اصدقاء قريبون.

وفي حين ان معظم السياسيين اليونانيين ينتمون الى مجموعة اثينية صرف من العائلات النبيلة الغنية التي تلقت علومها في الخارج، يتحدر كرمنليس من اصول ريفية. فهو ولد سنة ١٩٠٧ ونشأ في قرية بروتي المكدونية في الشمال. واوصل نفسه الى كلية الحقوق في اثينا عن طريق بيع صكوك التأمين. وهو لا يزال محافظا على لهجة فلاح مكدوني مما جعل متنفذي اثينا ينظرون اليه كانسان ريفي شديد الارتباك.

لقد شهر كرمنليس اسمه خلال فاصل من الحكم النيابي في مطلع الخمسينات، كوزير للاشغال العامة بعيد عن التوافه، في حكومة الكسندر باباغوس. وشق طرقا عامة في كل

مكان من اليونان بفضل مساعدة امريكية ضخمة مسجلا بذلك خطوته الاولى في فتح ابواب التقدم الاقتصادي في وجه المناطق الريفية المتخلفة.

ثم بعد وفاة باباغوس عام ١٩٥٥، اصبح كرمنليس رئيسا للوزراء في السن الثامنة والاربعين. وبقي في منصبه ثماني سنوات، وهي اطول فترة من الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي شهدتها البلاد منذ الحرب. لكن حزب كرمنليس هزم في انتخابات ١٩٦٣، وابت عليه كبرياؤه ان يسلم بهذا الضيم، فاتخذ، حانقا، من باريس منفى اختياريا له. وقال ساخطا لدى مغادرته اليونان: "القائد السياسي الحق لا يحتاج الى الشعب، بل الشعب يحتاج الى هذا القائد".

وعلى اثر رحيل كرمنليس، انزلقت اليونان في الفوضى، واخذت الاضرابات السياسية والتظاهرات الصاخبة تنطلق كل يوم تقريبا... الى ان افاقت اثينا صباح احد ايام ابريل (نيسان) ١٩٦٧ على ارتجاج المصفحات. فقد اعلن زعيم عسكري (كولونيل) قصير وعابس، اسمه جورج بابادوبولس، نفسه حاكما مطلقا وحل المجلس النيابي وعطل الحريات المدنية وملأ السجون اسرى سياسيين. وبقي في الحكم ست سنوات ونصف سنة الى ان خلعه ضابط عسكري آخر.

وكان خليفة بابادوبولس العميد (البريغادير جنرال) ديمتريوس يوانيدس، وهو رجل احمق كان يرئس الشرطة العسكرية. فجاءت اعماله اسوأ من اعمال سلفه، وسخر رجال الشرطة العسكرية، البالغ عددهم عشرين الفا، لاقامة حكم ارهابي. وتفشى في عهده تعذيب السجناء السياسيين الذي بدأ ايام بابادوبولس.

وربما كان في مقدور الطاغية يوانيدس ان يستمر في السلطة حتى اليوم، لو لم يرتكب خطأ فادحا عندما بادر في يوليو (تموز) ١٩٧٤ الى تنظيم انقلاب ضد رئيس أساقفة قبرص ورئيس جمهوريتها الراحل مكاريوس، آملا في ان تؤدي تنحية مكاريوس الى الوحدة بين اليونان وقبرص، آخذا في الاعتبار ان قرابة ٨٠٪ من القبارصة هميونانيو الاصل. لكن تركيا، القلقة على سلامة الاقلية التركية المحاصرة في قبرص، غزت الجزيرة والتهمت ٤٠٪ من اراضيها.

ونتيجة للاذلال الذي لحق به من جراء مغامرته الخائبة، دعا يوانيدس الى الحرب ضد الاتراك. لكن الوية الجيش (الجنرالات الآخرين)، بعدما تحققوا من ان عدد القوات التركية المسلحة يفوق عدد القوات اليونانية بنسبة ٣ الى ١، رفضوا الاذعان مما ادى الى انهيار حكم يوانيدس.

"... الديموقراطية معكم" — ووجه الجنرالات نداء تلفونيا يستغيثون فيه بالرجل الوحيد القادر، في نظرهم، على لم شعث الامة... وفي الثانية من فجر ٢٤ يوليو (تموز)، هبطت طائرة كرمنليس في اثينا. وعلى الرغم من تلك الساعة المتأخرة، اصطف آلاف الاشخاص في الشوارع يحيونه ويرشقون سيارته بالزهر. وفي الرابعة فجر ذلك اليوم اقسم اليمين رئيسا للوزراء واطل على الحشد الهادر في ساحة الدستور وطمأنه: "انا معكم، الديموقراطية معكم".

وما ان تسلم زمام الامور حتى بادر في يومه الأول الى اطلاق جميع السجناء السياسيين، وقد قضى بعضهم سنوات في السجن. واعاد الى الصحافة حريتها كما اعاد حرية القول وبقية الحريات جميعا.

الا ان رئيس الوزراء الجديد وجد نفسه مجبرا على لعبة "الهر والفأر" الخطرة، بما ان اثينا كانت لا تزال مطوقة بوحدات مصفحة في قيادة ضباط يدينون بالولاء الاعمى ليوانيدس. فباشر كرمنليس تركيز الجيش في امرته بهدوء ورباطة جأش. وكان، كل يوم تقريبا، يعفي الواحد تلو الآخر من اتباع يوانيدس من المناصب الحساسة ويرسله الى المناطق الحدودية النائية او الى الجزر الايجية، "لكي يحمي الوطن من اعتداءات الاتراك".

وعندما حان الوقت لاجراء المكاشفة الاخيرة مع الجيش، عقد كرمنليس اجتماعا مع الجنرالات، اعلن فيه ما يأتي: "لا يمكنني الحكم تحت خطر الانقلاب الدائم. اريد ان تغادر جميع الوحدات المرابطة في منطقة اثينا مراكزها خلال ٢٤ ساعة". فعارضه الجنرالات بحجة ان الجند لا تمكن ازاحته بهذه السرعة. فأجابهم كرمنليس متوعدا: "اسحبوهم والا دعوت الشعب الى الوقوف ضدكم"... وكان ان سحب الجند قبل الموعد المضروب.

ثم كان في اعقاب ذلك ان طالب رئيس الوزراء الحازم بتفويض شرعي من الشعب، فاستجاب الشعب لذلك، ونال حزب كرمنليس "الحزب الديموقراطي الجديد" - ٥٤٪ من اصوات الناخبين، وهي أكثرية ملحوظة في بلد كانت تؤثر عنه التجزيئية السياسية حتى ذلك الحين.

وفي خطوة رئيسية ثانية لارساء اسس الديموقراطية، دعا كرمنليس الى استفتاء وطني حول اعادة الملك المنفي قسطنطين الى العرش او تحويل اليونان الى جمهورية. وكثيرا ما كانت العائلة المالكة، منذ قيام الملكية قبل ١٤٢ سنة، تعجل في حدوث الازمات الوطنية من جراء تدخلها في السياسة. وكان يؤثر عن كرمنليس معارضته الشخصية للملكية بسبب ذلك. لكنه لم يتخذ موقفا عاما في هذا الصدد، تاركا للشعب ان يبت الامر. فجاء قرار الشعب لمصلحة الجمهورية بنسبة لا لبس فيها، تتجاوز ٢ الى ١.

النزاع مع تركيا - وفيما كان اليساريون يعارضون كرمنليس بسبب مناهجه السياسية المحافظة عموما، حنق عليه كثير من اليمينيين لاعترافه رسميا بالحزب الشيوعي اليوناني. ولئن كان كرمنليس لا يكن في قرارة نفسه سوى الازدراء حيال الشيوعيين، فقد كانت حجته في الترخيص لحزبهم كما يأتي: "ان ابقيناهم خارج الشرعية اتحنا لهم ان يكتسبوا غموضا وسحرا يساعدانهم على اجتذاب اعضاء جدد، ولا سيما من صفوف الاحداث". وكان كرمنليس على حق. فقد تحول الاعتراف بالحزب الشيوعي الى كارثة على اتباعه. وسرعان ما انشق الحزب الى فئات متناحرة ليس في مقدور اي منها الحصول على تأييد انتخابي ملحوظ.

اما كرمنليس - وقد تمت له السيطرة الشاملة - فراح يصفي الحسابات مع شخصيات العهد

الديكتاتوري الرئيسية. فقبض على يوانيدس و٤١ ضابطا آخر وهم يخططون لانقلاب جديد، وحكم على يوانيدس بالسجن مدى الحياة. وفي سلسلة لاحقة من المحاكمات، حكم على اكثر من ١٥٠ عسكريا وشرطيا بتهمة التعذيب وسواها.

والمهمة الكبرى الملقاة على عاتق كرمنليس اليوم هي السعي الى تسوية سلمية مع تركيا. فقضية قبرص لا تزال قضية متفجرة. ولم يتسن بعد للقبارصة اليونانيين الذين شردهم الغزو التركي، وعددهم ٢٠٠٠٠٠، ان يستعيدوا بيوتهم.

ويعتبر كرمنليس ان مستقبل الديموقراطية اليونانية متوقف، الى حد كبير، على استطاعته التوصل الى تسوية مع تركيا حول هذا وسواه من الامور، مع تجنب المزيد من الاضطراب السياسي.

يبقى ان الديموقراطية لا تزال حية ومعافاة في ارض مولدها. فعلى الرغم من جميع المصاعب التي واجهها قسطنطين كرمنليس، هذا الرجل السبعيني الشديد البأس، فقد قدم البرهان على ان الديموقراطية هي، على حد قول تشرشل، اسوأ نظام ممكن اذا استثنيت جميع الانظمة الاخرى.

■ دايفيد ريد



أكثر الناس خيبة في الحياة هم الذين لا يحصلون الا على ما يستحقونه.

ساشا غيتري

"هذه اغنيتنا..."

كان الجنرال شارل ديغول يشاهد في بيته عرضا تلفزيونيا لحدث تاريخي. وترددت في الغرفة انغام النشيد الوطني الفرنسي (المارسيلييز)، فانصت اليها الجنرال وقد تحركت مشاعره، ثم التفت الى زوجته الجالسة الى جانبه وقد غامت عيناه، وقال: "انصتي يا عزيزتي... هذه اغنيتنا".

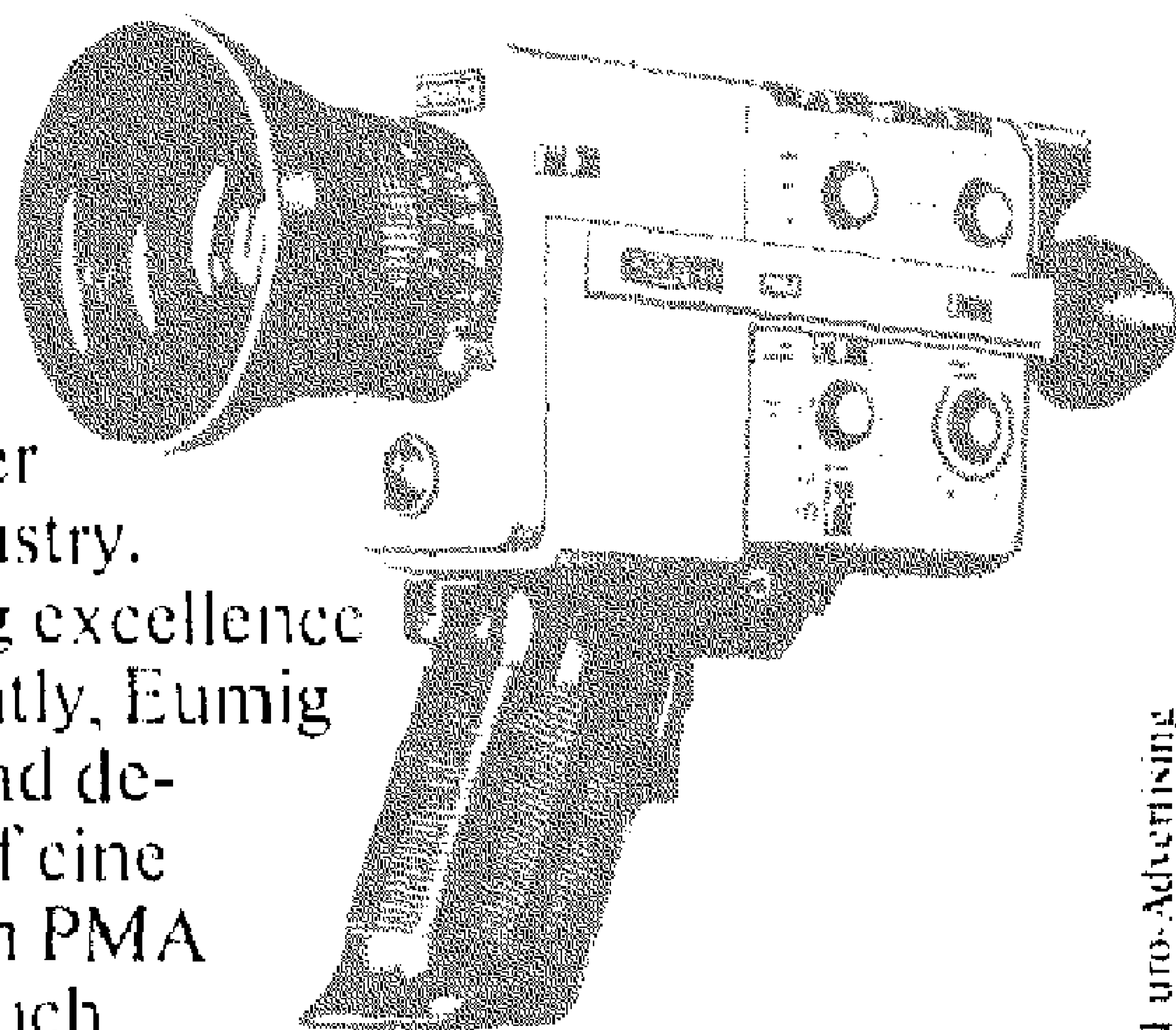
السياسة كما هي

منذ بضع سنوات، كان رجل انكليزي واقفا على ظهر باخرة تدخل ميناء مونتفيديو في الاوروغواي، فالتفت وسأل رفيقه المسافر من أهل البلاد: "اي نظام سياسي لديكم هنا؟"

فقال الرفيق: "في بلادنا حزبان سياسيان، احدهما يضم جميع الوطنيين المجدين الصادقين، والآخر يضم جميع الكسالى والمتطفلين والمحتالين. لكن المشكلة هي اننا لا نستطيع التمييز بين هذا وذاك".

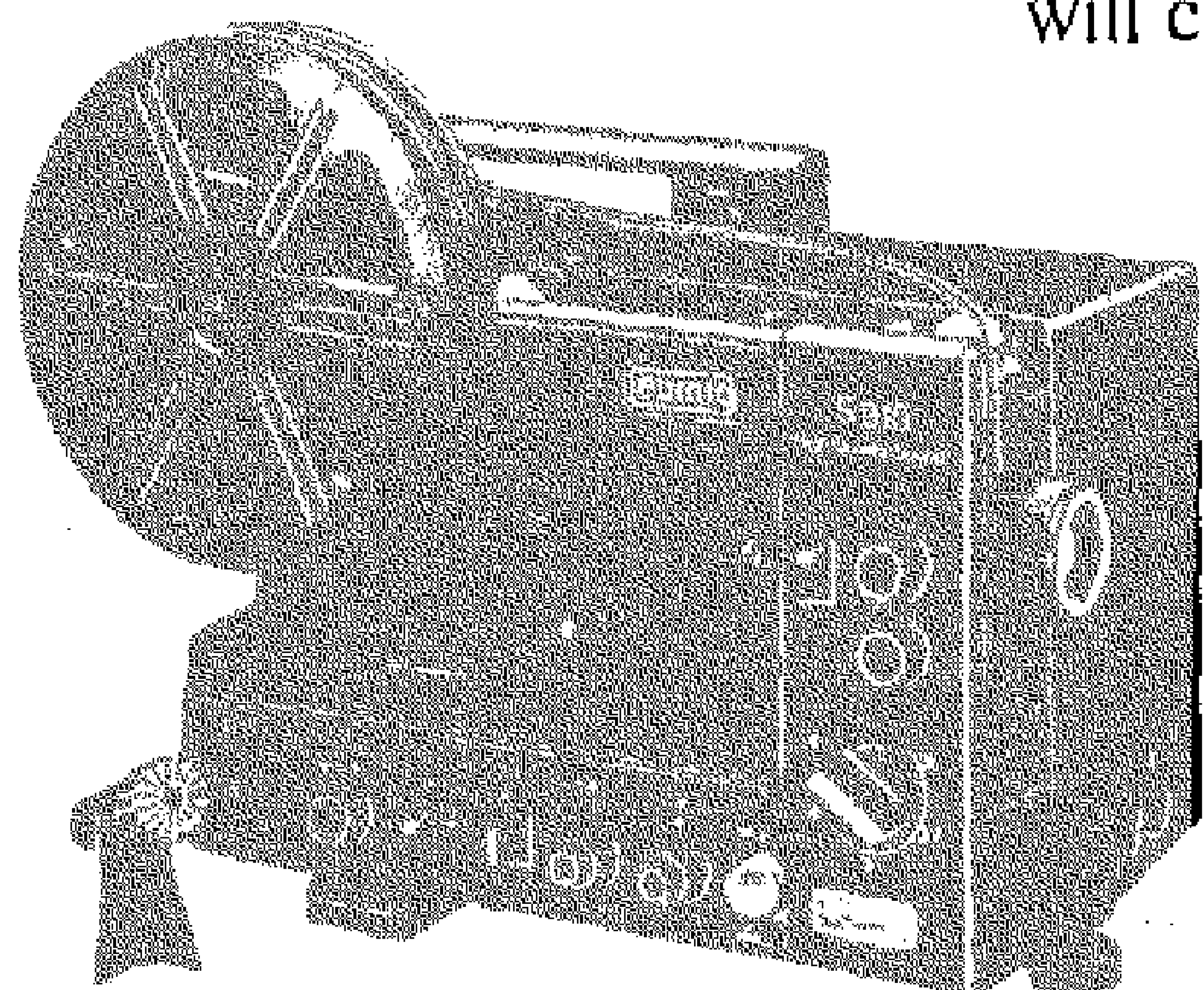
سالفادور دي ماداريانجا

Success breeds success.



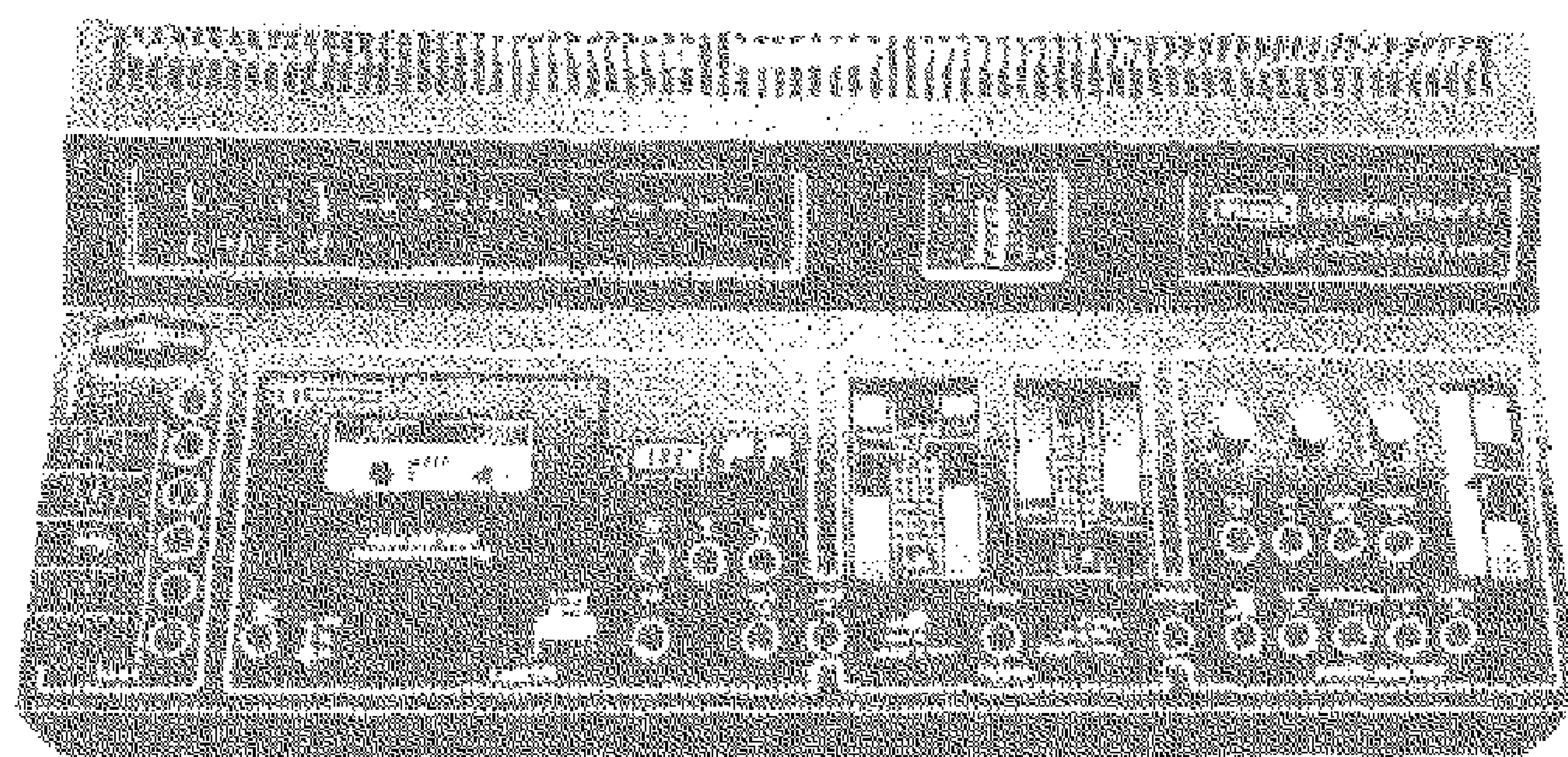
Technical expertise and high standard quality controls have made Eumig the world's leading brand in sound cine projectors.

Eumig projectors have been successful all over the world and been examples for the whole industry. We confidently anticipate this policy of pursuing excellence continuing in the future. Consequently, Eumig will continue to lead development of cine cameras with PMA lenses for much wider pictures both in sound and silent equipment. Eumig cine products give family fun to millions of people all over the world.



However, besides being the leading manufacturer of cine cameras and projectors Eumig is in the unique position of also being a leading product manufacturer in the hi-fi market. Eumig concert centres and concert cassette decks are top quality. They represent the highest development of cassette techniques and have perfect synchromesh. This means top quality sound equal to that of the best tape recorders and phono equipment.

This is a unique position for Eumig to hold. It follows, therefore, that Eumig is determined to also achieve a leading brand position in the growing field of video equipment with the background of Eumig's experience, technical achievement and emphasis on quality, it is natural therefore for Eumig to anticipate producing in this field excellent products of the highest quality.



Success breeds success—and the secret of success is producing consistently products of top quality.

Euro-Advertising

eumig®

وساوس مصاب بالأرق

تشهد مرآتي على ان في استطاعتك ان تميز المصاب بالارق بلمحة بصر. فتلك الهالات السوداء حول عينيه تجعله يبدو مثل الراكون المعوق النمو، وتدلّي شفته السفلى يعيد الى الذاكرة صورة الحصان الهرم الذي يجر العربة وهو في طريقه الى مصنع الغراء. انظر الى سحنته فتجدها اشبه بكدسة ثلج عفنة في مهب الريح. واذا ما نفذت الى داخل رأسه بدت كل أفكاره وكأنها اصيبت بالرذاذ.

ما أضر الارق وما اغدره! انظر كيف تهيؤ السرير يدعوك اليه ويغريك بوعود الراحة والسكينة، ولا تلبث ان تستجيب له وتنزج في طياته الناعمة وتستلقي على وسادتك تغمرك السعادة والطمأنينة. وفجأة ينطلق صوت خفي من اعماقك يلح عليك بأن الوسادة الاخرى هي التي تريح رأسك. وما ان تبدل الوسادة باختها حتى تتبين ان الثانية ليست احن على رأسك من الأولى. ويبدأ الهلع والذعر، يستحوذان على عقلك ومشاعرك في مطاردة لا تعرف هوادة.

في البداية، تقبل عليك الوساوس، فتسأل نفسك: سحبت مأخذ التوصيل الكهربائي من مغلاة القهوة؟ هل اشتم رائحة دخان؟ هل اكتب وصيتي؟

وفي محاولة لالهاء دماغي وتهدئة ارتياعه، امضي في طرح سلسلة من الاسئلة الغريبة الاستدراجية التي لا رابط بينها ولا وازع ولا اول لها ولا آخر: هل اتذكر الخطايا المميتة السبع؟ اجل، انني اذكرها جميعا باستثناء واحدة منها... من هو اول شخص شاهد نعجة وفطن الى حياكة الملابس الصوفية؟ هل يفيدني ان آكل شيئا؟ ثم انتقل الى المطبخ واحضر بعض الطعام البسيط... ولا ألبث ان احمل نفسي مسؤولية هذا الفعل الاثيم: النهم.

اعود ثانية الى السرير، وسرعان ما يتملكني وسواس المرض: ما العمل لو كانت تلك القعقعة البطنية نذيرا بالتهاب الزائدة الدودية او غيرها من

الأوعية الداخلية؟ ... الساعة الآن الأولى بعد منتصف الليل. هل ينبغي ان اتناول حبة دواء؟ لا ....

وأخذت اردد مقطعا من رواية "عطيل" (الفصل الثالث، المشهد الثالث): "لا الخشخاش المخدر (الافيون) ولا البيروح ولا اي عصير منعِّس في العالم يساوي لعنة واحدة"... الساعة الآن الاولى والنصف صباحا. يا الهي! هل انقضى نصف ساعة بكامله وانا اتفرس في ساعتي؟ وهل اقتصر ذلك على نصف ساعة فقط؟

دقت الساعة الثانية. ليس في البيت كتاب ارى فيه فائدة. ومع هذا، فقد اخذت اتصفح ما تيسر لي وكأنني اتناول وجبة لا تنتهي من الطعام التافه المذاق. الساعة الثالثة. لا يزال الليل حالك السواد، ولكني ارى عبارة منقوشة على لوح دماغي واضحة وضوح النهار: "يمر الوقت، وانت تشيخ"... الساعة الرابعة. يغلبني النعاس وانام نوما خفيفا متقطعا ثم افيق مرة ثانية واتساءل ان كان هناك مخزن ادوية يفتح طوال الليل: اظن ان لا ضرر من ان اتناول منوما كاليبروح، تلك العشبة التي تنتمي الى الفصيلة الباذنجانية. اليبروح: على اي مقطع تقع النبرة في هذه اللفظة؟

وما لبثت الاعجوبة ان تحققت. ولكن قبل ان ادري بها كان النعاس غلبني مرة اخرى، وقد اخذت هذه المرة احلم بالمراعي الخضر وسحب الصوف الناعم. وفي تلك اللحظة بالذات دقت الساعة المنبهة.

■ ارنست بقلر

تأملات معاصرة



الفنان:

الفنان العادي ينظر الى الفتاة الجميلة ويرى فيها المرأة العجوز التي ستغدوها في المستقبل. والفنان الافضل منه ينظر الى المرأة العجوز ويرى فيها الفتاة الجميلة التي كانت في ريعان الصبا. والفنان العظيم ينظر الى المرأة العجوز فيرسمها تماما كما هي ويحمل المشاهد على ان يرى فيها الفتاة الجميلة التي كانت في ريعان صباها، بل اكثر من ذلك، فانه يجعل اي مشاهد يرهف الاحساس بحيث يتلمس في هذه الفتاة الجميلة نبضات الحياة والشباب وهي سجينة جسمها المتهدم. بل انه ايضا يجعلك تتحسس تلك المأساة الهادئة المتصلة الحلقات التي تستنتج منها انه لم تولد فتاة في العالم تعيش ملء قلبها اكثر من ثمانية عشر ربيعا مهما رحمتها الساعات القاسية.

ر.ا.هـ.

العبارة الزائفة:

في احدى المقابلات الاخيرة التي اجريت مع كارل ساندبورغ قبل وفاته سئل عما اذا كانت هنالك عبارات زائفة، فأجاب انه على علم بواحدة منها على الاقل، وهي: "على وجه الحصر" او "مقصور على"، مثل: الانتماء الى النادي مقصور على... يعيش في بيئة محصورة على... فان هذا "الحصر" او "القصر" في تقديره، معناه الشعور بالتفوق على الغير في المقام، اي انك تعتبر الاخرين غير جديرين بالانضمام الى النادي المقصور على البعض ولا يستحقون الارتباط بعلاقات المودة والصداقة مع اعضاء البيئة "المحصورة".

ك.ل.ت.

المبالغة الواقعية:

ذات يوم القى هوارس مان - وهو من مشاهير المربين الامريكيين في القرن التاسع عشر - خطابا في افتتاح اصلاحية للاولاد، وصرح في كلمته انه لو انقذ ولد واحد فقط من الدمار لعوض ذلك كل تكاليف البناء والرعاية والعمل التي استلزمها تأسيس هذا المعهد. ثم التقى هوارس مان احد الحضور في جلسة خاصة فداعبه سائلا اياه: "الم تبالغ قليلا حينما قلت ان كل التكاليف ستعوض اذا هي ساعدت في انقاذ ولد واحد؟" فأجاب مان: "لم ابالغ اذا كان ذلك الولد ابني".

ب.ب.

الصمت والاصغاء:

يتميز الهنود الحمر بالصمت والعزلة والكتمان. فالسكون الداخلي ليس شيئا مروعا يوقع الرهبة في النفس وانما هو ادعى لاعتباره مستودعا للقوة الروحية. وقد تعلم الاطفال الهنود كيف يجلسون هادئين الى جانب ام او اخت لهم تجلس هي الاخرى بهدوء مطمئن. يقول لوثر ستاندينغ بير زعيم هنود السيو في داكوتا "تعلم الاطفال كيف يجلسون بصمت وسكون ويستمتعون بذلك. لقد تعلموا كيف يستخدمون اعضاء الشم وكيف ينظرون من دون ان يكون هناك شيء يرى، وكيف يركنون على الاصغاء حينما يخيل للجميع ان كل شيء صامت".

ف.م.

النمو:

يبدو لي الاطفال اشبه بطيارات الورق، انك تنفق ردحا من الزمن محاولا رفعهم عن الارض، تركض معهم الى ان تصبحا كلاكما مرهقين الى حد اللهاث ثم يتعثرون في الهبوط، يرتطمون بأعلى السطوح، وانت تداري وتصلح وتواسي وتكيّف وتعلّم وتراقب كيف يرتقي بهم الريح وتطمئنهم الى انهم سيتقنون الطيران يوما ما، واخيرا يحلقون في الجو، فيحتاجون الى المزيد من الخيوط وعليك الاستمرار في الارسال، وانما في كل واحدة من كرات خيط القنب تتحسس بشيء من الحزن الممزوج بالبهجة، وتتعالى الطيارة ابعد فأبعد، وانت تدرك انه لن يمضي وقت طويل قبل ان يقطع ذلك المخلوق الجميل خط الحياة الذي يجمعكما معا لكي يحلق كما اريد له ان يحلق حرا وحيدا، عند ذاك فقط تعلم انك قد اتممت عملك واديت رسالتك، ا٠ ب٠

الحكمة:

ان ما يعلمه الانسان وهو في الخمسين مما لم يعلمه وهو في العشرين شيء يتعذر نقله او تلقينه للآخرين في اغلب الاحيان، فالمعرفة التي يحصلها المرء مع العمر لا تكتسب بالكلمات بل باللمس والبصيرة والسمع والظفر والفشل والارق والتفاني والمحبة، اي خبرات الانسان وانفعالات هذه الارض وانفعالات المرء نفسه والآخرين، وبعض الولاء والاخلاص وقليل من الاحترام للاشياء التي لا تستطيع رؤيتها، ادلاي ستيفنسون

روعة الطبيعة:

تأتي السماء في أشكال عدة واحجام كثيرة، فسماء الاسكيمو كما يقولون حارة، وسماء العرب باردة تعج بالحوريات، ولكن اعطني بحيرة جبلية زرقاء بعد انتهائي من رحلة تسلق طويلة، وطوقها بالاشجار التي لم تلامسها الفأس واملأها بأسماك الغدران الهائمة في الاعماق والمتحضرة للوثوب والطيران، ودع السمنة تعلن الفجر بتغريدها المستطيل، واعطني دفء الشمس بعد السباحة وبرودة الليل تحت النجوم، ودع الصباح يبذر باكورة اشعاعه في حقول الثلج على القمم الغريبة، ب٠ ب٠

السلطة والحرية:

لا يسعك ان تصون حرياتك في هذا العالم ما لم تصن حرية الآخرين، فأنت لن تكون حرا الا اذا كنت انا حرا، وان الملمة التي تنزل بي ربما اصبحت اداة للايقاع بك، وان الحكومة التي لا تملك القوة الكافية لتحمي جميع مواطنيها احرى بها الا تعيش على وجه هذه الارض، ك٠ د٠

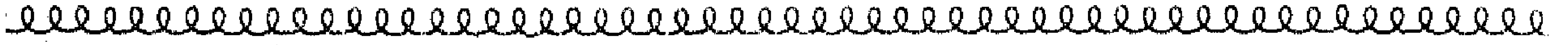
الزواج:

الزواج اشبه بصندوق تروس السيارة الثلاثي السرعة: العاطفة والصداقة والحب، ليس من الحكمة ان تتحطم علبة تروسك بسبب عدم تدرجك في تغيير نمط السرعة، اي ان تقفز فورا الى درجة الحب، فلا بدّ لك ان تأخذ الامور بتؤدة ورفق من الاول الى الآخر، فأساس الحب هو التقدير والاحترام وذلك ما يتعلمه المرء من خلال العاطفة والصداقة، بيتر اوستينوف

الايمان:

في عام ١٩٧٧، مرّ ٤٤ مليونا من الناس خلال مطار اوهير في شيكاغو متجاوبين مع اصوات غير بشرية مكبرة آليا بالكهرباء تدعوهم الى التوجه نحو اغشية اسطوانية من الالومينيوم لكي تنطلق بهم محركات غريبة نحو الفضاء الاعلى، ولم يبال الركاب بمعرفة شيء عن هذه المحركات واعتلائها الفضاء، مستسلمين الى ايمانهم بها، ومع هذا، فاننا لا نزال ننعت القرن الثاني عشر بانه هو عصر الايمان،

ج٠ و٠



الرمال الساخنة تتحرك

السحر الذي يوحيه منظر الصحارى، خصوصاً الصحراء الكبرى، يخفي رعباً يتمثل في زحف بطيء للرمال نحو الأرض الخصبة. وهذا الخطر من شأنه تهديد عشرات الألوف، بل مئاتها، بالعطش والجوع.

الخطر

يواجه العالم ظاهرة تنذر بالخطر الاكيد من جراء زحف الصحارى واتساع مساحاتها باستمرار. فالصحراء الكبرى في افريقيا تزحف جنوباً مسافة ٥٠ كيلومترا كل عام في بعض البقاع، حتى انها ابتلعت خلال نصف القرن الماضي ما يقرب من ٦٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع من الاراضي الصالحة للزراعة. كذلك اتت الصحراء الهندية على خمس مساحة الهند، وابتلعت صحراء الاتاكاما مئات الكيلومترات المربعة في شمال شيلي. والامر نفسه تقريبا حاصل في الشرق الاوسط وايران والارجنتين وافريقيا الجنوبية وفي بعض انحاء سيبيريا والصين والولايات المتحدة.

وفي مقابل ذلك، ليس هناك مكان واحد في العالم تنحسر فيه الصحارى وتتراجع، مما يشكل واقعا مشؤوما بالنسبة الى مستقبل البشرية. فالصحارى والمناطق القاحلة وشبه القاحلة التي لا تتجاوز أمطارها السنوية ٣٥٠ ملليمترا، اصبحت مساحتها تعادل ٤٣ في المئة من مساحة اليابسة قاطبة. مع ان غالبية هذه المناطق كانت في الماضي ارضا زراعية خصبة. فالشمال الافريقي ظل احدى المناطق الرئيسية لزراعة الغلال

طوال ستة قرون في عهد الامبراطورية الرومانية. وهناك تحت رمال الصحراء الكبرى تكمن اطلال عدد من المدن الكبيرة والحواضر الضخمة. وقد ازدهرت ايضا امبراطوريات رحبة في بلاد ما بين النهرين استمرت زهاء اربعين قرنا قبل استحالة ربوعها بيدا مقفرة.

ظاهرة التصحر - ولا بد من ان نتساءل كيف تحولت هذه الاراضي، التي كانت خصبة مزدهرة في يوم من الايام، الى صحارى جرداء. ترى هل تكون التغيرات المناخية هي السبب؟

ان خبراء الارصاد الجوية لهم تحفظاتهم في هذا الصدد. فالتغيرات التي طرأت على درجات الحرارة ومعدلات تساقط الامطار في المناطق القاحلة كانت، في معظم الاحيان، طفيفة منذ بزوغ شمس الحضارة. ويرى خبراء الارصاد ان أكثر من تسعة ملايين من الكيلومترات المربعة من الصحارى التي انتشرت منذ ذلك الحين (تمثل ٦،٧ في المئة من مساحة اليابسة) هي كلها تقريبا من صنع الانسان.

ونستطيع ان نتخيل شريط الاحداث التي افضت الى هذه النتيجة كما يأتي:

عندما اتجه الانسان، في بادىء الامر، الى الزراعة قلع الاشجار والنباتات واحرقها. ثم اخذت مزروعاته تمتص كل ما في التربة من عناصر غذائية، فأضطر، بعد انقضاء بضعة مواسم، الى مغادرة حقوله والانتقال الى اقرب منطقة لم يسبق استغلالها، مكررا العملية نفسها هناك. ولا يزال الانسان يتبع هذا الاسلوب في الزراعة باجتثاث الاشجار وحرقها، في بقاع واسعة من افريقيا وامريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا.

وهكذا، تحولت الحقول المهجورة الى مراع للماشية والاغنام المتزايدة الاعداد، فأخذت تلتهم كل ما في الارض من حشائش واعشاب.

في الوقت نفسه عمد الانسان الى قطع اشجار الغابات لاستخدامها في البناء والحصول على الحطب. وهذا لا يزال اهم مصادر الوقود المستخدمة للطهي في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. ثم تأتي السيول المتساقطة على المرتفعات فتجرف تربتها وصخورها وتجتاح الاراضي الجرداء وتحدث فيها حفرا عميقة. وعندما يحل القحط، الذي يجتاح هذه المناطق كل جيل تقريبا، كانت الرياح تنقل معها طبقة التربة السطحية غير الثابتة التي تكونت على مر آلاف السنين. وأخيرا تعرت التلال حتى تحولت الى كتل من الصخور والحجار المتراكمة وكأنها "رصيف صحراوي" لا يصلح لأي نوع من الحياة النباتية.

الري والتملح - بيد ان هناك اسبابا وظروفا اخرى يعود اليها التصحر في منطقة ما بين النهرين، حيث كانت الزراعة تمارس منذ قرابة ستة آلاف عام. فبالنظر الى قلة الامطار لجأ الانسان الى عملية الري، ولكنه غفل عن أهمية التصريف السليم للمياه ولم يكتشفها الا بعد آلاف السنين. فالري، من دون تصريف مناسب، يؤدي الى تملح التربة، اذ ان مياه الري المتجمعة في الحقول تتبخر في موسم الربيع، تاركة في التراب ما تحمله من املاح وقلويات وغير ذلك من المواد المعدنية، ومتسببة في

ضعف المحاصيل.
واذا اتجهنا شمالا، رأينا ان مشكلات المزارع كانت تتفاقم بسبب قطع اشجار الغابات الجبلية، لان الامطار المتساقطة على السفوح العارية من غطائها النباتي تجرف كميات من الطمي تترسب في قاع الانهار وتسد الترع والقنوات مؤدية الى فيضانها. وتوالت الفيضانات عاما بعد عام، وارتفع مستوى المياه الجوفية، وازدادت ملوحة التربة السطحية المثقلة بالمياه المتسربة الحائلة دون نمو النبات.

ومع تعاقب الرطوبة والجفاف، على مدى الفي سنة، تكونت قشرة من الاملاح على سطح التربة، بلغت كثافتها حدا وصفه العالم الايكولوجي اريك اكهولم بقوله: "هناك مساحات كبيرة من جنوب العراق اصبحت تتألق اليوم تحت اشعة الشمس كأنها حقول مغطاة بالجليد".

ويقول عالم التربة السوفييتي فكتور كوفدا ان ما بين ٢٠ و٢٥ مليون هكتار من اراضي العالم الزراعية تحولت الى صحارى بسبب التملح والتشبع بالمياه منذ ان عرف الانسان الري. والغريب ان هذا الخطأ الجسيم ما زال يتكرر حتى الآن. وهناك بين ٥٠ و٧٠ في المئة من الاراضي التي بدأ ريها حديثا في مصر وسوريا وايران وباكستان معرضة للتملح. وقد تكونت مساحات واسعة متملحة في افريقيا الشمالية والوسطى وفي امريكا الجنوبية ومناطق زراعة الرز في الشرق الاقصى. بل ان بعض اراضي زراعة قصب السكر التي لم يمض على ريها اكثر من عشر سنين في السنغال قد اصبحت مواتا. ومن الامور الباعثة على القلق توقف الزراعة كل عام في نحو عشر مساحة الاراضي المروية في العالم، ومجموعها ٢٠٠ مليون هكتار. ووجه الخطر في الامر هو ان الاراضي المروية تنتج ما بين ٣٠ و٤٠ في المئة من غذاء الانسان، على الرغم من انها لا تمثل سوى ١٥ في المئة تقريبا من مجموع الاراضي المزروعة في العالم.

وقد زاد من حدة هذه المشكلة بناء السدود الضخمة. فقد ظل نهر النيل طوال ٥٠ قرنا يفيض على ارض مصر كل صيف فيغسلها من الاملاح ويرسب عليها طبقة رقيقة من الطمي المخصب. ولكن بعد بناء السد العالي في اسوان، صار من الضروري سحب المياه الى الحقول بواسطة المضخات. وليست هناك وسيلة للتخلص من الاملاح المترسبة. كما ان تجمع الطمي وراء السد اضطر مصر للمرة الاولى في تاريخها، الى استخدام المخصبات الصناعية.

دور المناخ – ومن الغريب في ما يتعلق بالصحارى التي نشأت بفعل الانسان انها كثيرا ما تنمو من تلقائها نتيجة لتغير المناخ. ومن ذلك ايضا ان نسبة الماء في الغلاف الجوي فوق صحراء ثار الهندية الكبيرة تصل الى ٨٠ في المئة مما هي فوق الغابات الاستوائية المطيرة. لكن الامطار التي تتلقاها الصحراء المذكورة قليلة جدا. ويرى العلماء ان رمال الصحراء تعكس جزءا كبيرا من طاقة الشمس بدلا من ان تمتصها. كما ان كميات كبيرة من الغبار العالق في الجو تحجب جزءا آخر من اشعة الشمس عن الارض، فلا تسخن الى الحد اللازم لسقوط الامطار. فكأن الصحراء

تتغذى من نفسها، وهكذا يغدو كل حيز من الارض المتصحرة سببا لتصحر حيز متاخم مساو له في المساحة.

ولا يقل شؤما أثر التصحّر على الحياة نفسها. ففي السنوات العشرين التي أعقبت قطع الغابات في الولاية البرازيلية اسبيريتو سانتو التي كانت في ما مضى وافرة الخضرة، اختفت ٢٠٤ أصناف من الطيور، مخلّفة وراءها الحشرات تلتهم المحاصيل. ويقول طبيب مختص في الأمراض الجلدية من جامعة الولاية انه، في غياب الأشجار التي تقي المستوطنين الالمان ذوي الجلود الرقيقة حر الشمس، وجد ٩٠ في المئة من الناس الذين فحصهم مصابين بسرطان الجلد أو ببوادر هذا المرض.

ويجدر التساؤل عما اذا كانت هناك وسيلة لوقف امتداد الصحراء. والجواب هو انه لا سبيل الى هذا اذا زالت التربة الفوقية في المنطقة المعنية بفعل الرياح، فأصبحت المنطقة صخرية أو "رصيفا صحراويا"، او اذا تراكمت الاملاح فيها فأضحت طبقة كثيفة بينما لا مياه كافية لغسلها. اما اذا بقيت المنطقة مغطاة بتربة كافية لترسخ جذور النبات، فيصبح من الممكن وقف التصحر، بل تحويل الصحارى الى اراض قابلة للزراعة. ووصايا علماء الايكولوجيا في هذا الصدد بسيطة واضحة تلخص بالآتي:

○ مسح الاراضي القاحلة لتحديد ما يصلح منها للرعي، وما يصلح للزراعة، وما لا يمكن اصلاحه.

○ حصر عدد المواشي بما يتناسب مع استيعاب المراعي، والامتناع عن تربية الماعز الا في المناطق غير المعرضة للاتلاف.

○ تطبيق نظام الزراعة المتناوبة او تحديد عدد المواسم التي يتعين فيها اراحة الارض المنزرعة، والسهر على ثبات غلة الارض حتى في السنوات المطيرة، لكي تحتفظ التربة برصيد من الرطوبة لمواجهة فترات القحط.

○ اعادة تشجير التلال، وغرس الاشجار والجنبات في الكثبان الرملية دعما لكيانها، كذلك تشجير السهول لتثبيت تربتها السطحية.

○ تعزيز استخدام آلات الطهي العاملة على الطاقة الشمسية والغاز وغيرهما من مصادر الوقود بدلا من الحطب.

○ شحل المراعي وتنقيتها من الشجيرات والنباتات غير الصالحة للغذاء كيما يتاح نمو الحشائش والعلف.

○ تعديل تصاميم مشروعات الري بحيث لا تزود المزروعات الا بالمقدار اللازم لها، وايجاد القنوات لتسرب المياه، واقامة المصارف المائية الملائمة، والتريث في بناء السدود او شبكات الري حتى القيام بدراسات مستفيضة حول احتمال الاضرار التي تنجم عنها.

نتائج باهرة ـ وقد اسفر تطبيق هذه التوصيات عن نتائج باهرة. ففي مناطق الهند القاحلة، مثلا، تضاعفت المحاصيل وبلغت احيانا ثلاثة اضعاف ما كانت في ٢٤ مزرعة تجريبية. واقيمت ٢٠٠ بحيرة جديدة في منطقة صحراء تين شان الصينية التي استصلحت اراضيها. وقد ادى الحد من عدد المواشي وتنظيم الرعي في النيجر، التي اتلفت مراعيها بسبب الرعي المفرط، الى ايجاد واحة

خضراء وسط الصحراء تبلغ مساحتها ٤٠ الف هكتار. ويعتقد الخبراء انه يمكن استصلاح حوالي خمسة ملايين من الكيلومترات المربعة من اراضي الصحراء اذا ما توافرت الادارة الحكيمة لذلك.

وعلى الرغم من سهولة تطبيق هذه التوصيات، فأن كثيرا من حكومات العالم الثالث لا تملك الموارد المالية ولا الوسائل التكنولوجية اللازمة لتطبيقها. وهذه الحكومات تنفق عادة مواردها المالية على خطوط الطيران الوطنية والطرق العامة وما شابهها من المشاريع بدلا من تعمير الاراضي والتصدي لمشكلات الجهل والتخلف والفقر.

ويقول احد الرعاة في منطقة الساحل الافريقي: "لقد كان لدي ١٠٠ رأس ماشية، نفق منها ٥٠ بسبب الجفاف، ولكن في المرة المقبلة سيكون لدي ٢٠٠ رأس".

ويتساءل احد السنغاليين: "كيف نطالب شخصا بالتخلي عما لديه من ماعز، وهي كل ما يملكه؟"

وفي مثل هذين القولين دليل على ان وقف التصحر في مثل هذه البلاد يقتضي كثيرا من حملات التوعية المكثفة ومن المساعدات الاقتصادية الضخمة.

وربما تلقت هذه الدول قريبا بعض ما تحتاج اليه من اسعاف. فقد نظمت الامم المتحدة مؤتمرا عن التصحر في نيروبي، عاصمة كينيا، خلال شهري اغسطس (آب) وسبتمبر (ايلول) ١٩٧٧، ضم ١٥٠٠ مندوب عن ٩٥ دولة، ركزوا اهتمامهم على وضع خطة لوقف التصحر في عام ٢٠٠٠، فأيدوا ٢٨ توصية يتسنى تنفيذ معظمها لكل دولة بمفردها بالاعتماد على مواردها الخاصة ومعونات المنظمات الدولية.

وقد اعطيت الاولوية لستة مشروعات دولية، يتناول اثنان منها ربط اربع من دول جنوب غرب آسيا، واربع من دول امريكا الجنوبية، بشبكتين لمراقبة عملية التصحر عن طريق الاقمار الصناعية. وثمة مشروع آخر تشترك فيه ١٢ دولة عربية يتناول التدابير الكفيلة بالمحافظة على المياه الجوفية. ومن بين هذه المشروعات واحد تشترك فيه ١٢ من الدول المتاخمة للصحراء الكبرى لانشاء مجموعة من "الاحزمة الخضراء" على طول حدودها الشمالية والجنوبية. اما المشروع الاخير فيستهدف تحسين اساليب تربية الماشية في سبع من دول الساحل.

وقد ابدى الدكتور مصطفى طلبة، الامين العام للمؤتمر، ارتياحه الى النتائج التي توصل اليها المؤتمرون. وقال: "لعل المؤتمر كان يفتقر الى جو الاثارة والتشويق الذي يحيط بعمليات نقل المواد الغذائية بالطائرات لاغاثة المناطق المنكوبة، ولكنه، في الامد البعيد، سيكون اهم منها كثيرا بالنسبة الى خير البشر".

الا ان الالتزام الدولي بمكافحة التصحر جاء متأخرا. وقد حذر، في هذا الصدد، الدكتور اديك بورما، المدير العام السابق لمنظمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة من "ان يواجه العالم في المستقبل مشكلات غذائية تهون امامها المشكلات التي يواجهها في هذا القرن ما لم تقو الجهود على وقف زحف الصحراء على الاراضي المنتجة".

■ رونالد شيلر



أشعة الشمس الغاربة فوق
صحراء الجزائر
تضفي على كثبان
الرمال أشكالا هندسية رائعة.

إنها بعيدة وصامتة ومرعبة..
هذه هي الصحراء الكبرى ذات الجمال الأخاذ، ولو كان أحياناً نذير سوء.

الرمال الساخنة تتحرك / ٢

السحر

"الصحراء الكبرى" او "الصحارى"... يكفي ان يصل المرء الى اولها حتى تغمره - كما حصل للقدماء - عزلتها الموحشة الفسيحة. اسمها وحده يجفل: فهو مشتق من الكلمة العربية "صحراء" التي تعني البرية السمراء الباهتة او القفر. والصحارى أكبر صحراء في العالم. فهي تمتد على طول افريقيا الشمالية حتى تبلغ مساحتها تسعة ملايين كيلومتر مربع.

والصحراء الكبرى هذه، التي تكاد تخلو من نفس او حياة، استعصت على المستكشفين ألوفاً مؤلفة من الأعوام. وهي، نقيضا لتصورات معظم الناس، ارض حجرية بور تذرو رمالها الريح وتتخللها مساحات شاسعة من الصخور الجرداء المرئية.

وتراوح حرارة هذه الصحراء في فصل الصيف بين ٢٠ درجة مئوية ليلا و٥٨ نهاراً. وبما أن هناك حواجز تفصلها عن البحار، مثل جبال الأطلس التي ترتفع بينها وبين البحر الأبيض المتوسط، فنادراً ما تصل اليها الرياح الرطبة. ونتيجة لهذا، يشح المطر حتى لا يتجاوز معدل هطوله السنوي

PHOTOGRAPHS BY KAZUYOSHI NOMACHI

ليس كل ما في الصحراء الكبرى رمالا . فالاعمدة المتحجرة في اهقار الجزائرية كونتها الحمم البركانية منذ مليوني سنة .

بيوت من طين في واحة تيميمون في الجزائر .

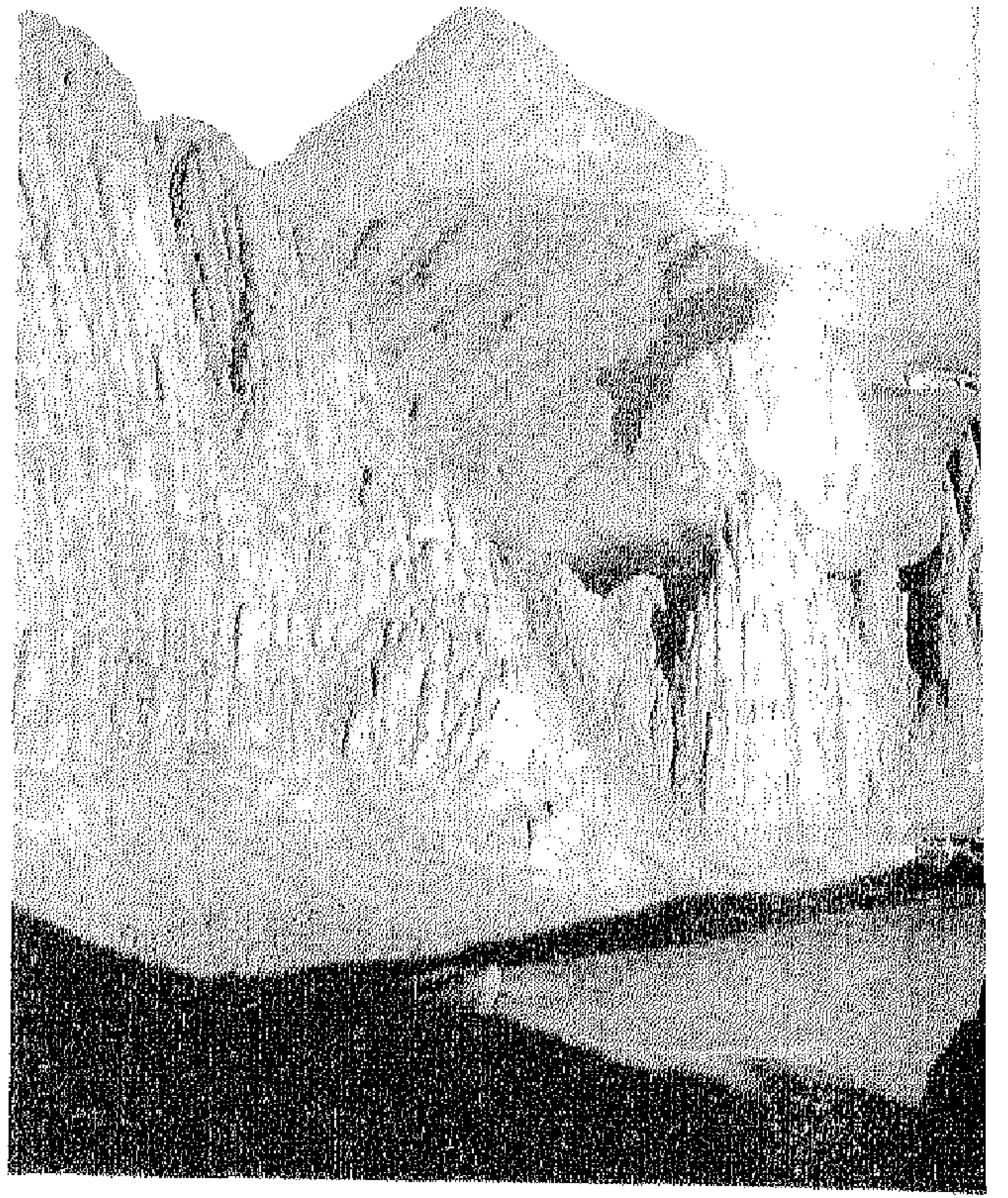
١٣٠ الى ٢٥٠ مليمترا. وفي بعض المناطق تمطر مرة واحدة كل عشر سنين.

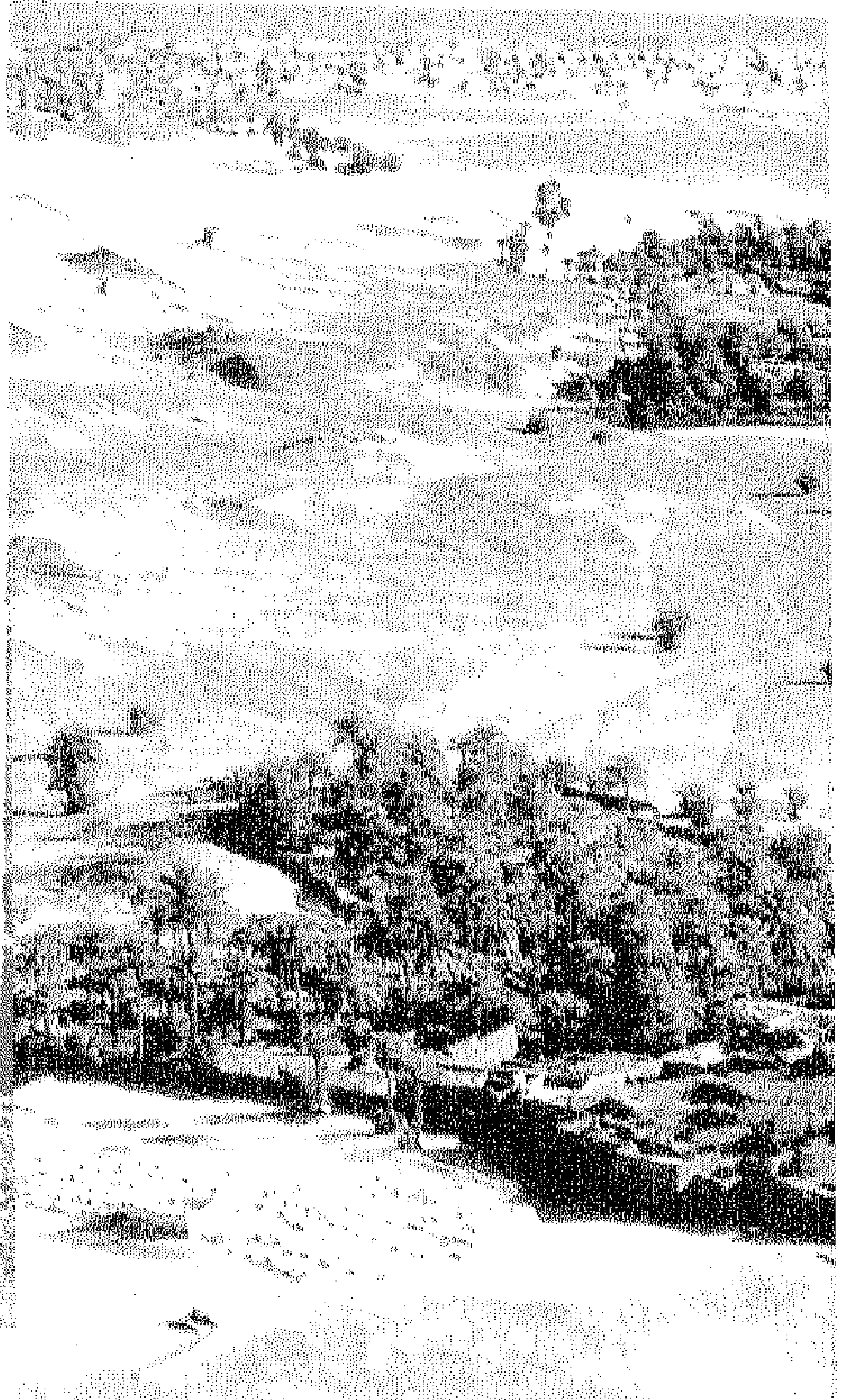
ويقول علماء الآثار إن عملية الجفاف بدأت منذ آلاف السنين. وكانت الصحراء الكبرى قبل ذلك الوقت موطنا اخضر يرعى عليه الفيل والبرنيق. ولا تزال طريقة الحياة النشطة التي درج عليها سكانها الآدميون آنذاك ظاهرة في الرسوم الحجرية. وفي وقت ميلاد المسيح كانت تلك الصحراء قد اتخذت الشكل الذي هي عليه الآن.

وهناك قرابة مليونين من الناس، يسمون عموما "البربر"، يحتالون على العيش في الصحراء الكبرى. ويعيش معظمهم حياة غير مستقرة في قرى مكتظة ببيوت الطين، بين اشجار النخيل المثمرة في الواحات. غير ان النبات في تلك الواحات لا يعدو كثيرا كونه شجيرات شائكة مغبرة الخضرة. والينابيع هناك - وهي غالبا ما تنضب - تعطي في العادة ماء موحلا ومشبعا بالرمل.

اما قوافل الجمال الاسطورية فقد اعطت دورها، على نطاق واسع، لعربات الشحن ذات العجلات المخفوضة. والسبب بسيط، وهو اقتصادي: فطاقة الجمل على المشي تبلغ ٥٠ كيلومترا في اليوم، وتبلغ حمولته ٩٠ كيلوغراما. في حين تعادل قوة الشاحنة التي تسع ثمانية اطنان قوة عشرات الجمال، وهي تقطع مسافة ٥٠٠ كيلومتر في اليوم.

وعلى رغم هذه المبتكرات الحديثة، تبقى الصحراء الكبرى مثيرة للرعب كما كانت في القِدَم. فهي - بجبالها الحجرية وكثبانها الرملية وواحاتها التي يطول انتظارها - حقاً عالم قائم في ذاته.





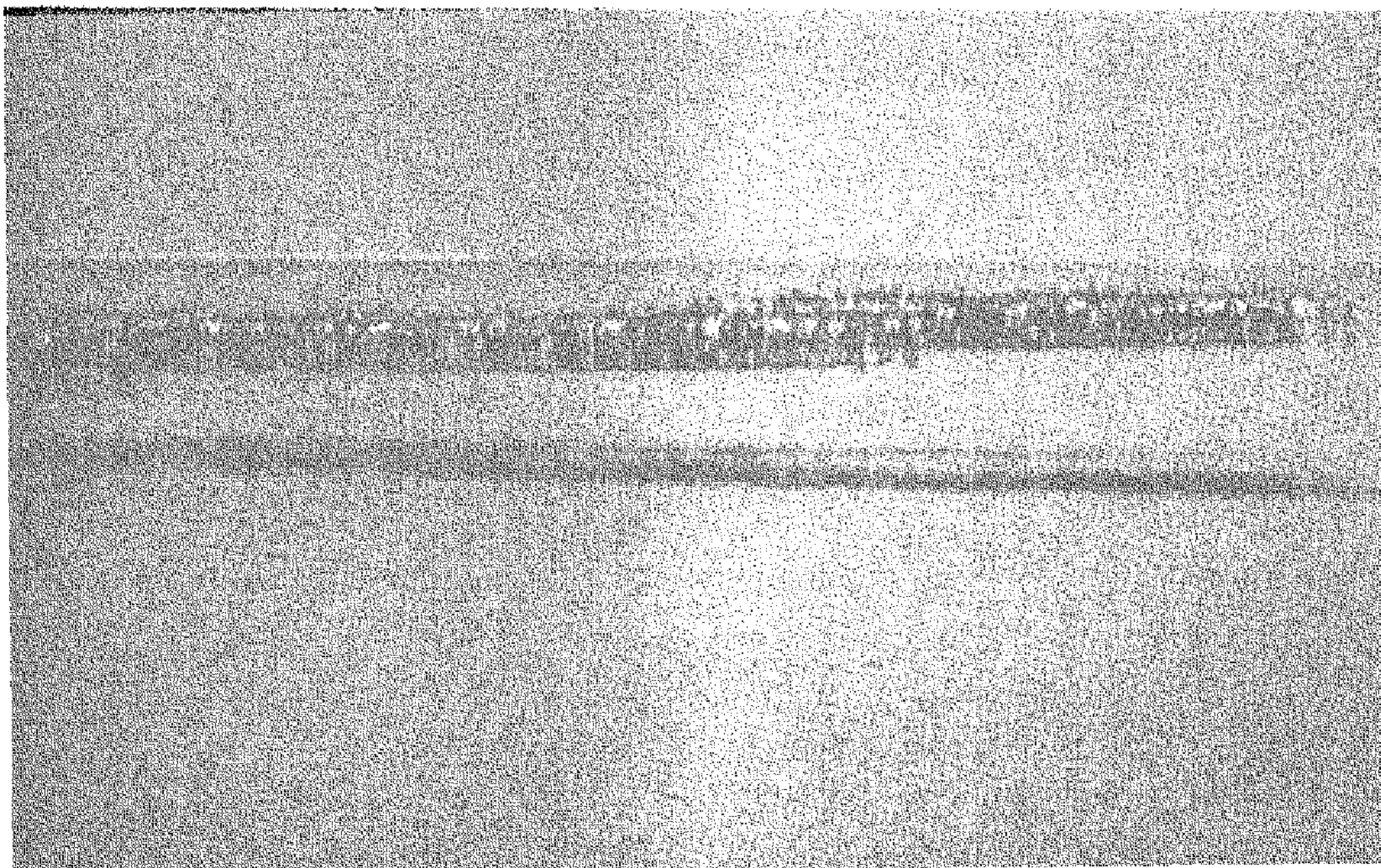


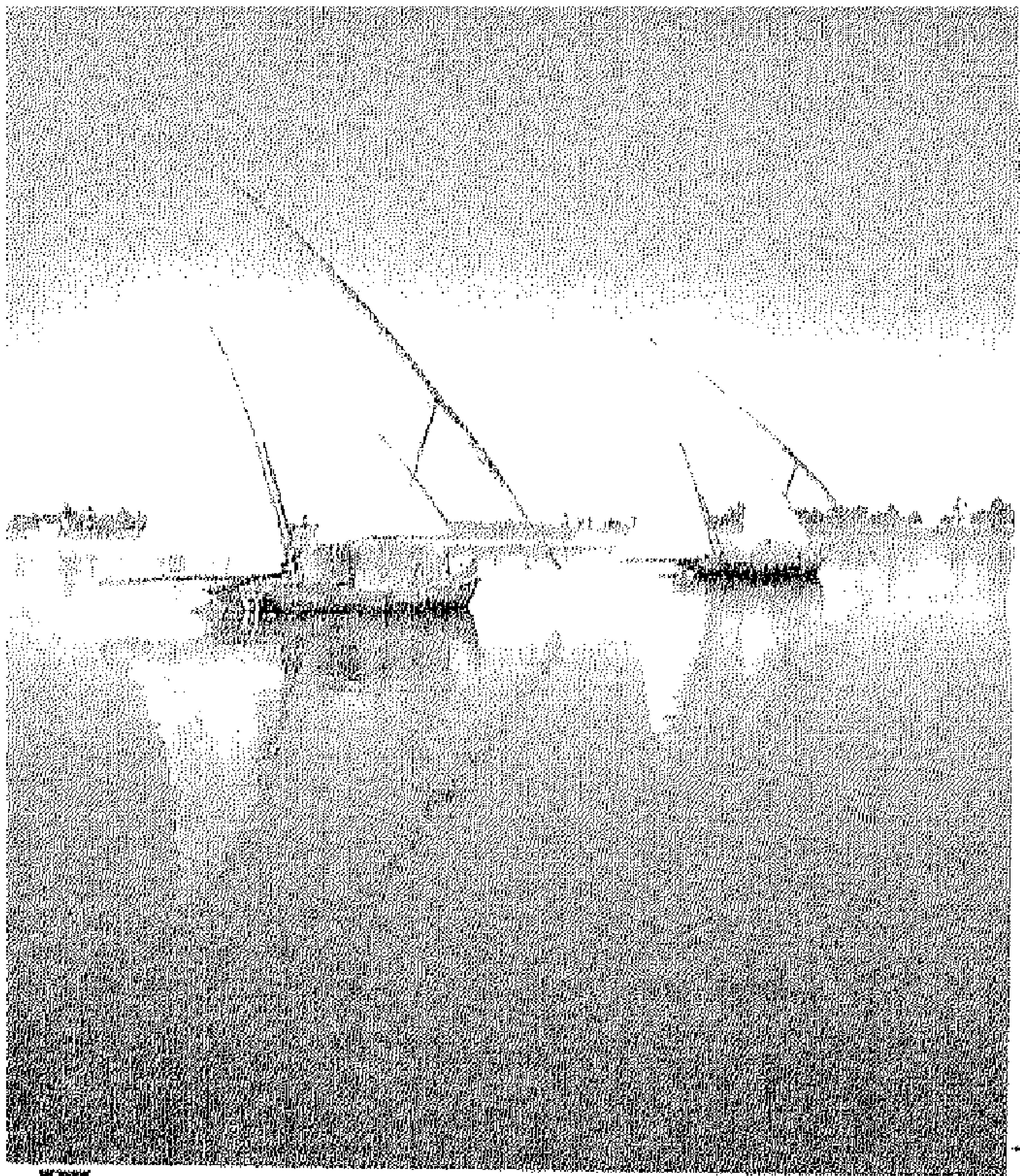


ضباب رملي رقيق
يلف هذه الواحة المستلقية
في كورار في الجزائر ؛
الى اليسار : رسم حجري قديم
في تاسيلي ازجر (الجزائر) .

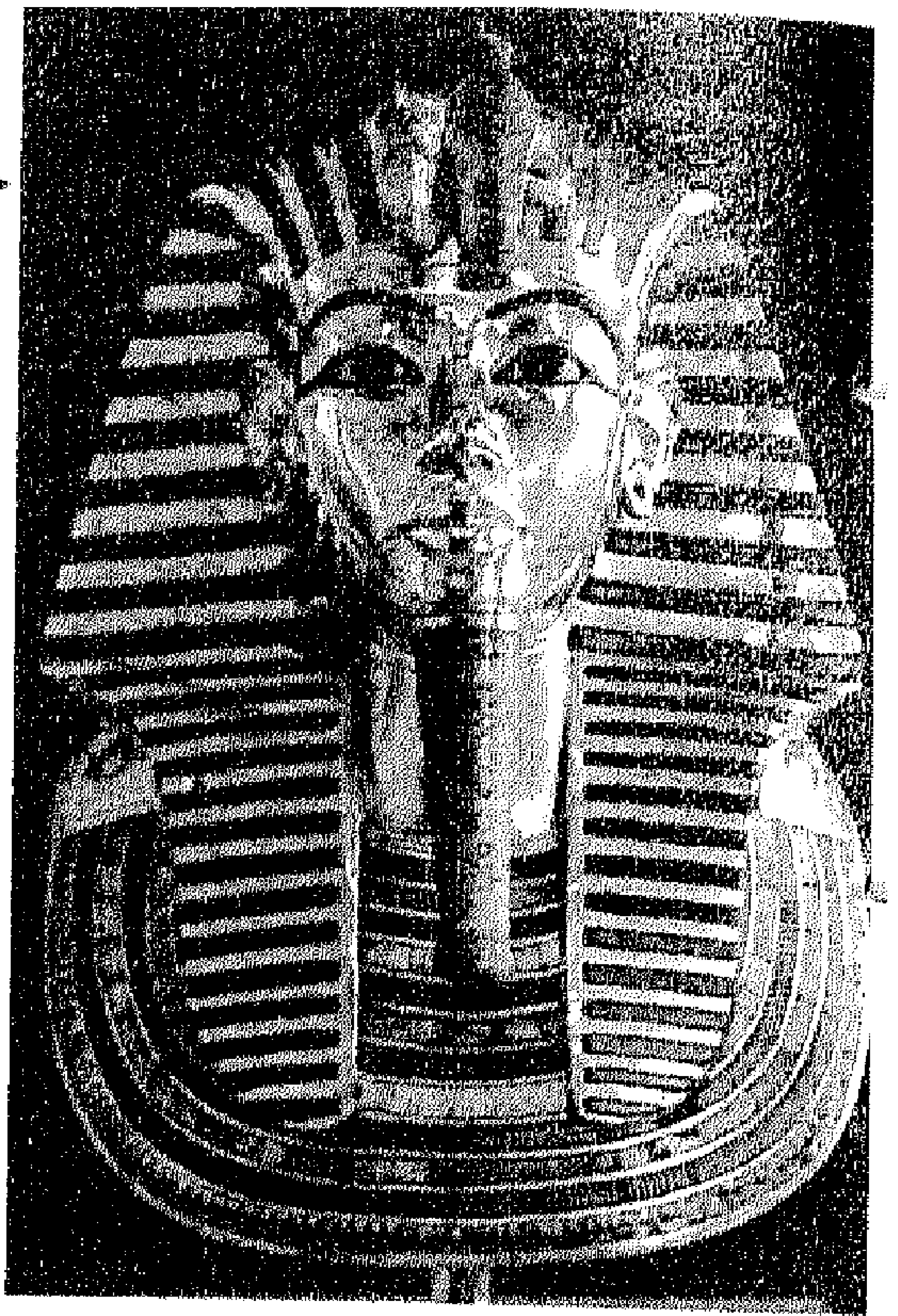
▲ واحدة من قوافل الجمال القليلة الباقية تحث الخطى عبر صحراء الفزان الليبية .

▼ قافلة جمال تسير عبر الصحراء . ويبدو لآلة التصوير سراب ساقية صغيرة .





١



٢

٣

من فوقه (كانوا يقولون ان الشمس تموت ليلا، وان الانسان عندما يموت يذهب غربا)٠ وبالتالي، فقد كان له الفضل في جعل الحياة تعتمد على عوامل يمكن التنبوء بوقوعها وتحديدها هندسيا٠ وبمقدار ما تتمثل الحضارة في انتصار النظام على الفوضى وفي الايمان بالتجديد يمثل النيل الاطار المثالي لمولد الحضارة ونشأتها٠

كان قدماء المصريين شعبا يعتمد اعتمادا عميقا على الصور الذهنية، حتى ان كتابتهم تمثلت في مجموعة من الخبرات البصرية - الهيروغليفية المركزة على الرموز فجعلت منها حروفا (ساكنة فقط اذ لم تكن لديهم حروف لين)٠ ولأن كتابتهم كانت مقولبة في صور مكررة لا يتغير شكلها فقد تعذر عليهم التجريد اللفظي وبناء فلسفة في المعنى اليوناني للكلمة٠ ولم يستطيعوا المجازفة في معاني الكلمات٠

الاهتمام بالانسان – لكن قدماء المصريين، كما يتضح من فنهم، كانوا يهتمون اهتماما صادقا بالناحية الانسانية٠ فهم راحوا، منذ مستهل عهدهم تقريبا، يصنعون التماثيل الصغيرة التي تمثل اناسا عاديين في اثناء قيامهم باعمالهم، مما يدلل على ما لديهم من حساسية مرهفة لشخصية العمال٠ ولا ينتظر للمرء ان يتوقع مثل ذلك في الفن البابلي او الاشوري٠ كما ان لا اثر له ايضا في فن الاغريق حيث العمال كانوا عبيدا مسترقين لا يستحقون تدوين انشطتهم، اللهم الا كشخصيات هزلية في الفن المسرحي٠ كذلك يكشف الفن المصري عن حب للحيوانات وللطبيعة عموما٠ وقد اذهل المؤلف اليوناني هيرودوت حين زار مصر قرابة عام ٤٥٠ قبل الميلاد، بعد فترة طويلة من ايام عظمتها الرائعة، اذ وجد ان المصريين لا يفكرون في انفسهم كجنس مستقل عن الحيوانات٠ وروى ان اول ما كان يفعله المصريون حين يشب الحريق في احد المنازل، هو انقاذ القطط فتتناقلها الايدي من شخص الى آخر بينما تستعر النار وتندلع٠

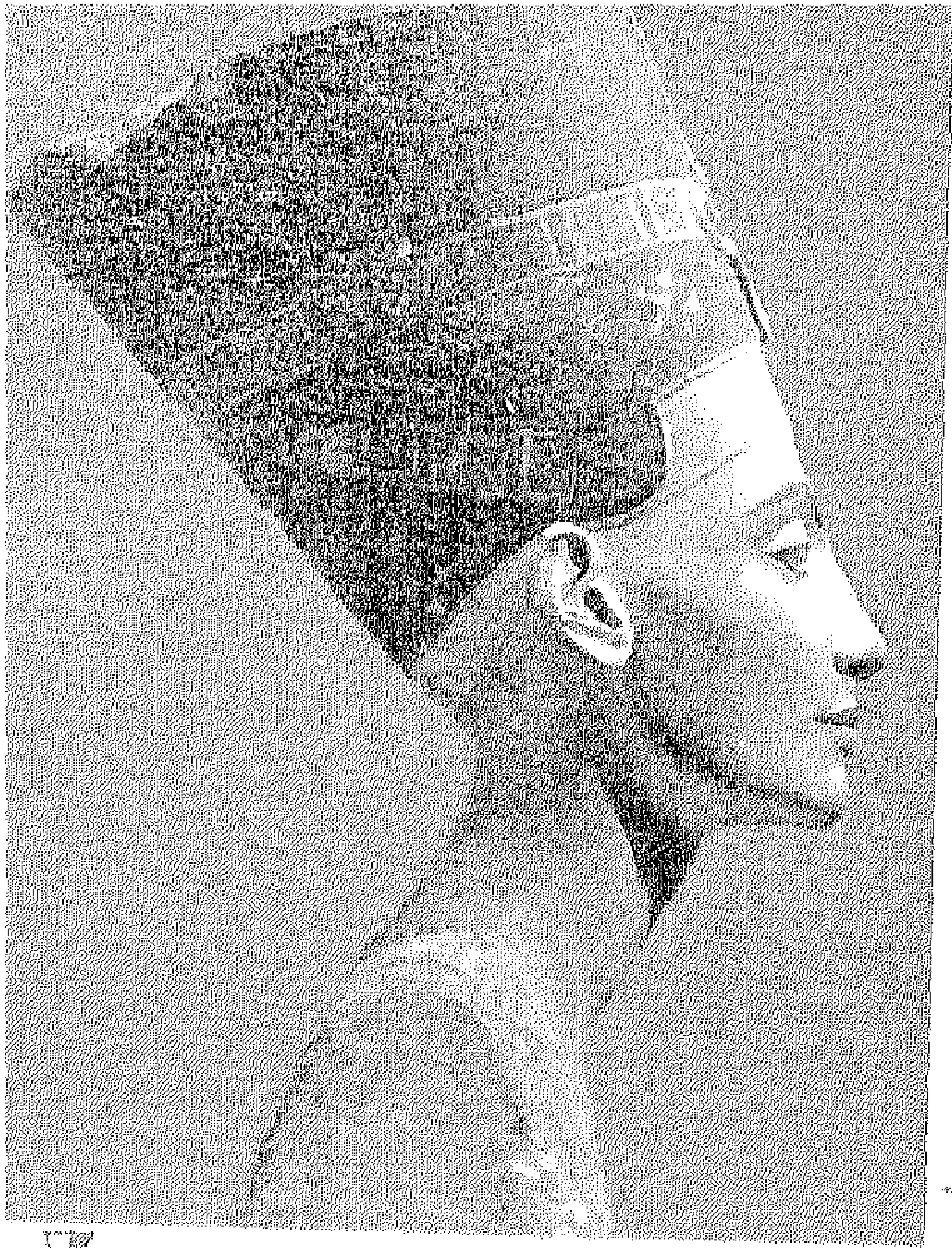
وقد شيد الملك زوسر، على مسافة بضعة كيلومترات من ممفيس التي اصبحت عاصمة مصر فترة من الزمن بعد عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، قصرا اقام في وسطه مقبرة له٠ وكان ذلك هو الهرم الاول، المعروف باسم سقارة٠ وفي رأيي ان هذا المبنى هو واحد من الاماكن المقدسة في العالم، بل مهد الحضارة بالذات٠ ولا عجب، فان اهرامات مصر ومقابرها هي بطريقة بنائها، مبان دينية٠ ويتبين من الرسوم المنقوشة في المقابر ان المصريين كانوا يعتقدون في الخلود، وخصوصا في بعث الجسد٠ لكنهم رمزوا الى ذلك بطريقة مادية هي تحنيط الجسد وملء المقبرة بالاشياء التي تدعو اليها الحاجة في ما بعد الحياة الدنيا او بصور لهذه الاشياء٠

فجميع النقوش والرسوم المأتمية البارزة مليئة بمثل هذه المؤن لان المصريين كانوا يعتقدون ان الانسان

٤ – هذا النقش يظهر اخناتون وزوجته نفرتيتي واحدى ابنتيهما وهم يقدمون العبادة الى اله الشمس آمون٠

٥ – جمال نفرتيتي الخالد مجسدا في تمثال نصفي شهير في القرن الرابع عشر قبل الميلاد٠

٦ – اهرام الجيزة بنيت بين عامي ٣٠٠٠ و٢١٨٠ قبل الميلاد٠





حين يموت شخص ينقله شخص في قارب ذي مجاذيف عبر الماء الى الغرب حيث يستقبله اله يدعى اوزيريس· وهذه صورة نموذجية بدئية تقبلها الاغريق ولاحقت خيال البشرية على مدى التاريخ· وهناك نصوص كثيرة تدل على الاعتقاد بان الاعمال الطيبة يثاب عليها في الحياة الآخرة·

وهذه الحضارة المصرية الأولى التي سميت المملكة القديمة، دامت اكثر من ٧٠٠ سنة· وليس هنالك بلد آخر عرف الاستقرار مثل هذه المدة الطويلة· بما فيه الامبراطورية الرومانية·

العصر الذهبي - والتماثيل التي ترجع الى ذلك العهد تصور رجالا ونساء يعتقدون اعتقادا رائعا في قدرهم· ثم بدأ الانحلال قرابة عام ٢٣٠٠ق·م· وسادت قوى الدمار زهاء ثلاثة ارباع قرن· وبعدها عاد النور في الفترة المعروفة بالمملكة الوسطى، وهي الفترة الثانية من عظمة مصر في التنمية الانتاجية· وقرابة ١٦٨٠ق·م· غزا الهكسوس مصر انطلاقا من سوريا، وكانوا مزودين بعربات تجرها الخيول، كانت هي دبابات العالم القديم، ولم تكن مصر كذلك· وبعد نحو ١٠٠ عام نجحت محاولات الفراعنة الذين تمرسوا في فنون الحرب لطردهم·

ومرة اخرى جمع شتات الثقافة المصرية وبدأ ما يعتبر عموما العهد الذهبي لمصر، المملكة الجديدة· ووليت مقاليد الملك امرأة تسمى حتشبسوت وتشير كل الدلائل الى انها كانت حاكمة قديرة· فهي حافظت على السلام واصلحت المدن والمعابد وكتبت اشعارا مشبوبة لمحبوبها العظيم - الآله آمون - واقامت في التلال القاحلة على مقربة من طيبة معبد دير الباري الذي يعد اعظم تراث خلفته هذه الملكة للبشرية من بعدها·

لكن اغرب حدث في تاريخ مصر وقع في عهد امنحتب الرابع عام ١٣٧٨ق·م· كان امنحتب مصمما على توجيه مصر الى عبادة اله واحد· فشيد عاصمة جديدة سماها اخناتون وغير اسمه ليصبح اخناتون· وكرس حياته وحياة ملكته الحسناء الذكية نفرتيتي لعبادة الهه، الشمس· وكان اخناتون شاعرا ايضا، فقد جاءتنا اناشيده للشمس في احد النقوش المدونة، وهي تشبه بصورة تثير الدهشة نشيد الشمس لاحد اقطاب المسيحية في القرون الوسطى: القديس فرنسيس الاسيزي:

"تتألق الارض
عندما تشرقين في الأفق
وتزدهر الاشجار جميعا والزروع
وترفرف الطير فوق الغدران
وترفع اجنحتها
ابتهالا واجلالا لك"·

كما ان بعض السطور في نشيد اخناتون هي نفس ما جاء في المزمور ١٠٤ من الكتاب المقدس بالحرف تقريبا:

"ما اعظم اعمالك يا رب"
كلها بحكمة صنعت
ملآنة الارض من خليقتك"·

لقد كان عماد سيادة مصر الطويلة في احترامها للنظام الطبيعي للامور: العودة السنوية لمياه النيل واهبة الحياة· وكانت حضارة المملكة القديمة قائمة على تجديد الطبيعة والمحافظة عليها وليس على تضخم

أسرار السعادة الزوجيّة

ان البيت الذي يسوده الحب
والتضامن هو اثمن الثروات في عصرنا هذا
الذي يسوده القلق وعدم الاستقرار ٠

لا تزال عالقة في ذهني ذكرى ذلك الشاب الذي زارني ليكلفني الاشراف على زوجته حين تلد طفلهما الاول٠ وكان مضطربا وهو يفتح محفظته في عيادتي، فتساقطت منها عرضا تذكرتان كرتونيتان ووقعتا فوق مكتبي، فرأيت لفوري انهما تذكرتا ارتهان٠ وغرق الشاب في الارتباك واوضح انه لم يكن يعمل الا نصف الوقت وقد رهن ساعته كي يدفع لي مقدم اتعابي، فقلت له لتوي ان يؤجل دفع اتعابي جميعها، مقدمها ومؤخرها، ريثما تتحسن ظروفه المالية٠ ثم تملكني حب الاستطلاع، فسألته: "وماذا عن تذكرة الارتهان الاخرى هذه؟"٠

وتضاعف حرج الشاب، ثم قال متلعثما ان اليوم التالي هو عيد ميلاد زوجته وقد رهن اوسمته التي استحقها في الحرب كي يشتري لها هدية – مجرد بروش (دبوس زيني) صغير من الفضة٠

ان هذا الاهتمام الرقيق بمراعاة مشاعر الاخرين، وهذا النكران للذات هما العماد الذي يقوم عليه بيت الاسرة٠ فليس مكان في الاسرة لامرأة او رجل اناني لا يهتم الا براحته الشخصية، واطلاق العنان لاهوائه وشهواته٠ وليس الزواج رحلة مفعمة بالمتعة الخالصة واللامبالاة٠ لكن الازواج والزوجات الذين لا يتنصلون من مسؤولياتهم والذين يجبهون ما في الواقع من صلابة ومرارة وعناء ويتغلبون عليها، فانهم يحصدون من اخلاصهم وتفانيهم ثمارا غنية رائعة من دفء الحياة العائلية الحميمة ومن بهجة البيت المتضامن الذي يتشارك افراده في اهتماماتهم ومصالحهم وتعاطفهم وميولهم ومسراتهم٠ واذا كان حديثي عن هذا الموضوع يكشف

كان ا ٠ ج ٠ كرونين يعمل طبيبا في جنوب ويلز في الجزر البريطانية ثم في حي بيسووتر في مدينة لندن نفسها قبل ان يتحول الى احتراف الكتابة في السن الثالثة والثلاثين٠ وقد الف الكثير من الكتب التي احتلت صدر قائمة الرواج، ومن بينها: "القلعة"، و"مفاتيح المملكة"، و"وراء عالمنا هذا"٠

عن مشاعري العميقة ازاءه، فان سبب ذلك هو ما تمتعت به من سعادة غمرني بها زواجي على مدى فترة تزيد على الخمسين عاما.

فضيلة الولاء – وقد سئلت مرارا عدة ان اذكر الزم الفضائل الضرورية لتحقيق هذه الوحدة التامة. والرد على هذا السؤال هو، بلا ادنى شك: الولاء. فالخيانة الزوجية هي اسوأ جريمة في حق الزواج، وهي الصخرة التي تتحطم عليها سعادة الاسرة في اغلب الاحيان. غير ان هناك مظاهر اخرى لعدم الولاء قد تكون من الناحية المادية اقل بروزا للعيان، لكنها لا تقل في خطورتها عن الخيانة الصريحة.

وقد حدث في اثناء ممارستي لمهنتي كطبيب ان عرفت اسرة تتمتع بالرخاء المادي، ولكن يسود حياتها تيار خفي من عدم الانسجام. وكانت الزوجة امرأة لا يرقى الى فضيلتها الشك. واذا حدث ان تعرضت لاتفه اشارة توحي بانحرافها قيد انملة عن الولاء لزوجها لما قابلت ذلك الا بأعمق الازدراء. ولكنها على رغم هذا كانت تقضي ساعات ايامها جميعا وهي فريسة رغبة لا شعورية تدفعها الى الحط من قدر زوجها في عيون اطفالهما، ترفع حاجبيها في دهشة ساخرة، او تتبادل نظرة مستخفة مع ابنها او ابنتها كلما ابدى زوجها ملاحظة مهما كانت بسيطة، ولا تعدم وسيلة تظهر بها انها تنتقد افكاره وملابسه، بل وحتى مظهره.

وان هذا النوع من انعدام الولاء التام يتجلى في المثل لدى الزوجات اللائي يتناقشن في امر ازواجهن وراء ظهورهم، كذلك لدى الازواج الذين يشكون الى نساء اخريات سوء الفهم الفادح الذين يعانونه مع زوجاتهم، ولدى الزوجات والازواج الذين يهرولون بحثا عن التعاطف لدى صديق او قريب، حاملين اليه او اليها حكايات مؤسفة عما يعانونه من هذا المظهر او ذاك من مظاهر التهور والقسوة... وكل ما تحويه قائمة النقائص البشرية التي يراها كل منهم في الآخر، ولكنه لا يرى منها شيئا على الاطلاق في نفسه هو.

ومن المستحيل لأي مشاركة ان تبقى في مثل هذه الظروف. فعلى امثال هؤلاء الناس ان يدفنوا اسباب تشاحنهم وشجارهم في فناء بيتهم الخلفي، وان يجتهد كل منهم قدر استطاعته في مقابلة هفوات شريكه بالابتسام، وان يهزأ بتلك الضغائن الصغيرة التافهة، ويغسل منها نفسه لئلا تتضخم وتشوه نظرته الى الامور.

البيضة الفاسدة – ولعل الفهم العملي السليم اجدى السبل وخير الوسائل في المحافظة على توازن العلاقات في حضن الاسرة.

وانني اذكر في هذا الصدد احدى الامسيات خلال الاشهر الاولى من زواجنا، حين عدت الى بيتي في ذلك المسكن الرث الذي كنا نقطنه في قرية تريجيني، تلك القرية الخشنة في ويلز حيث كنت احاول ارساء مستقبلي كطبيب. كنت كئيبا، ينتابني القلق على مريض ساءت حاله، ويثقلني التعب بعد يوم كامل قضيته متجولا تحت المطر لزيارة المرضى، وينهش الجوع احشائي.

كنت استطيع ان التهم ثورا كاملا، لكن زوجتي الشابة جاءت تخطر برشاقة لتضع امامي بدلا من ذلك بيضة واحدة صغيرة مسلوقة. وتمالكت اعصابي بجهد جهيد وكسرت قشرة

البيضة، فاذا بها فاسدة. وانهار عندئذ كل شيء، فرحت اوجه اليها كل ما اعرفه من النعوت واسرفت في سوء التصرف. وكانت هي بدورها قد قضت يومها تكافح متاعبها، فالقمتني من الالفاظ القاسية النابية مقدار ما اخذت. وتطور الامر بيننا من سيء الى اسوأ، حتى توقفنا فجأة ورحنا ننظر احدنا الى الآخر بعيون محتقنة وفجأة تجلت لنا سخافة الموقف بأكمله، وانفجرنا في نوبة من الضحك الشديد وقد احتضن كل منا الآخر.

واذ عاودنا الانسجام، ركبنا القطار مسافة ١٥ كيلومترا عبر الوادي الى اقرب مدينة، حيث تناولنا عشاء مشبعا من اللحم المفروم المتبل.

وبذلك "سوّي" نزاع كان ينذر بمأساة انفصال، وانتهى الى صلح بهيج، وكل ذلك لان زوجين شابين قد استطاعا رؤية الجانب المضحك في بيضة فاسدة. ولا شك في ان التسامح النابع من الخلق السليم له شأنه الكبير في دفع عجلة الحياة كي تمضي بالاسرة هنيئة ناعمة. وكلما تقدم الزوجان في السن استطاعا تحقيق العجائب بممارسة ذلك النوع من الديبلوماسية اللبقة الذي يسمى "فن المجاملة". فاذا بدأ زوجك يفقد شعره ويلهث قليلا عند صعود الدرج، فتحاشي ان تعلقي على هذه الاعراض الناجمة عن تقدم العمر. واذا ظهرت على زوجتك اعراض ذلك الترهل الذي يخيف المرأة ويؤذنها بانتصاف العمر، فأكد لها ان امتلاء جسمها يجعلها اكثر جاذبية مما كانت حين وقعت في غرامها للمرة الاولى.

ولا ريب في ان الحنان والوداد عاملان لهما ابعد الاثر في تعزيز وحدة الاسرة واستقرارها. غير ان الابعد اثرا من هذا كله هي الحاجة الى وجود مظهر من مظاهر التدين والورع.

وما زال الانسان، منذ بداية الزمن، تتملكه رغبة اساسية في اتخاذ رفيق (او رفيقة) له في حياته، وانجاب اطفال يمدهم بالغذاء والمأوى ويحميهم مما يتهددهم به العالم الخارجي من اخطار. وقد جاء الدين فبارك هذا الحافز البدائي واسبغ عليه الكرامة.

ومنذ ذلك الحين وعلى مدى قرون، احتلت الاسرة مكان الصدارة، لا باعتبارها مؤسسة تكفل حماية الاخلاق فحسب وانما ايضا بصفتها عاملا حاسما في تطور الحضارة الانسانية. فحيثما تزدهر الاسرة قوية متحدة، يقوم المجتمع القوي السليم. وفي عصرنا هذا الذي يسوده الخوف والقلق وعدم الاستقرار، يجد الناس انفسهم فيه وقد اطاحتهم القوى العدائية وتملكهم الشعور بالعزلة السجينة في وحدة قاتمة.

لقد اضحت الاسرة هي الملاذ والامل الاكبر في حفظ الذات وفي صيانة ما يعتز به الناس من كرامة انسانية وحشمة الحياة.

■ ا. ج. كرونين

كان اليوم عيد ميلاد زوجتي، وكنت اعتزم الخروج لاشتري هدية لها. وادركت هي مقصدي، فقالت لي حين تأهبت للخروج: "ارجوك الا تشتري لي اي شيء من تلك الاشياء العملية، فالذي احتاج اليه فعلا هو الاشياء غير العملية".

الأسد الطائر
آكل البشر

كانت الصدمة عنيفة صرعت الصياد
وطرحته أرضاً فتدحرجت بندقيته بعيداً، وتصلب
جسده في انتظار الدفعة القاضية من أنياب الأسد.



CONDENSED FROM «DEATH IN THE LONG GRASS»

كان القمر هلالي الشكل ينسل الى الافق في غمرة الظلام الدامس عندما شارف الاسد حافة القرية الافريقية النائمة، حيث بلغت انفه رائحة البشر ممتزجة بشميم الدخان المتصاعد من نار المخيم الخامدة والجعة البدائية المنزلية الصنع.

انبطح الاسد على الارض قابعا وقد جمع كتفيه، وراح يزحف عبر الممر المكشوف بين سقيفتين، ثم جمد كالحجر الصلب عندما رأى ثلاثة اجساد مكومة قرب احد الجدران الجانبية. وبعد لحظات عاد ينساب عبر الظلال.

ومر الاسد باول رجلين نائمين بعد ان تشمم رأسيهما في سكون، ثم وقف فوق رأس الثالث وانفتح فكاه، ثم انغرست انيابه الطويلة البيضاء في صدغي ضحيته، واخترقت العظام الرقيقة عبر محجري العينين، وغرزت في المخ كالحراب. واجتاحت جسد الرجل رعشة واحدة ثم همد.

وسحب الاسد الجثة بهدوء بعيدا عن النائمين الآخرين، ثم قبض عليها من الكتف المرتخية، وراح يجرها بعيدا بين الاشجار.

وحمل القط الضخم فريسته بسهولة مسافة خمسة كيلومترات، وغاب بها في اعماق احد الممرات التي تحوكها الاغصان المتشابكة، حيث بدأ ينهشها وهو يمضغ بجانب فكه حتى اصبح فمه وصدره وقد غطتهما الدماء الداكنة. وحين بزغ الفجر ينير صفحة السماء، لم يبق من جسد الضحية الا اشلاء قليلة. وكان الاسد، آكل رجال تشابونكوا، قد احس بالعطش بعد التهام ضحيته التاسعة، فانطلق من الدغل ليروي ظمأه من النهر القريب.

مطاردة الاسد – كنت استعد – بعد انتهاء موسم الصيد – كي انطلق في اجازة، عندما اتصل بي باللاسلكي مفوض المقاطعة الشرقية في زامبيا، وقال "يؤسفني ان افسد عليك اجازتك، لكن اسد تشابونكوا اللعين قد افترس رجلا آخر من قبيلة "سينجا" في الليلة الماضية، فاهتاج مجلس القبيلة مطالبا باجراء حاسم. ولعلك تستطيع ان تستغني عن يوم او نحو ذلك لتذهب الى هناك وتتولى هذا الامر".

وكان المفوض يعرف ان الاسود آكلة البشر لا تصاد عادة في يوم او نحو ذلك. وكان قد سبق لي صيد السنانير آكلة البشر مرتين، واوشكت في كلا المرتين ان اصبح مجرد رقم في احصاءات الضحايا. لكنك كيف تستطيع ان ترفض طلبا لمفوض المنطقة اذا ما شئت ان تحتفظ بالتصريح الذي تحمله كصياد محترف.

وعلى ذلك لم تكد تمضي ساعة واحدة حتى كان حامل بندقيتي، ويدعى سايلانت (الصامت) يجلس الى جواري في السيارة اللاندروفر، ونحن نخترق الغبار نحو قرية كامبيسي حيث تقيم قبيلة "سينجا".

رحب بنا رئيس القبيلة، وبسط امامنا البطانية الملوثة بالدماء التي كان الرجل الضحية ينام ملتفا بها. وتعقب سايلانت آثار الاسد، وحدد المكان الذي قبع فيه يراقب القرية، وكيف تسلل نحو النائمين، واين بدأ يجر الجثة. وعمرت بندقيتي ذات العيار ٤٧٠ والماسورتين بالخراطيش الطويلة ذات الرؤوس اللينة، وبدأت مسيرتي في اثر الاسد، يصحبني سايلانت حاملا حربته الطويلة.

وقرب العصر وجدنا البقعة التي توقف عندها الاسد ليتناول وجبته البشرية، وكان احد الضباع قد زارها ايضا، فلم نسترد من بقايا الرجل المسكين سوى قطعة من عظمة الفك فيها آثار الانياب وبعض شظايا العظام التي لا يمكن تمييزها. فتولى سايلانت جمع البقايا الحقيرة في لفافة من لحاء الشجر، وبدأنا مسيرة العودة، اذ لم يبق سوى ساعة واحدة قبل هبوط الظلام، علما بان امهر صيادي الارض وامضاهم سلاحا لا يجدي فتيلا امام هجمة اسد في حلكة الليل.

ولم يخطر في بالي ان آكل الرجال سيكرر فعلته في تلك الليلة بعد ان امتلأ بوجبة دسمة، وانما قررت على رغم ذلك، ان انام خلف حاجز من فروع الاشجار الشائكة محتفظا ببندقيتي الى جانبي على اهبة الاستعداد. ولم يكن من عادتي ان ابالغ في الاحتياط، ولكنك بعد ان تكون فرغت لتوك من وضع كل ما تبقى من جثة رجل في علبة قهوة صغيرة لتدفنه، فان هذا لا بد وان يدفعك الى التفكير. كما ان الاسود آكلة البشر تتميز باسلوبها الرهيب في الظهور حيث لا يتوقعها احد.

ولست ادري ما الذي ايقظني لعله كان صوتا او لعلها الحاسة السادسة التي تنمو لدى اولئك الذين يتجولون في الادغال الافريقية. وبعد ان استيقظت ظللت دقائق طويلة ارهف السمع، ثم نسبت ذلك في النهاية الى مجرد توتر في اعصابي. ولم يلبث سكون الليل ان مزقته سلسلة من الصرخات الرهيبة، فامسكت ببندقيتي ومصباحي الكهربائي، وازحت سياج الاشواك، واندفعت حافيا في اتجاه الصوت. ومضيت اطرق ابواب الاكواخ في القرية حتى بلغت كوخا وجدت داخله رجلا يهذي في عصبية شديدة وقد اتسعت حدقتاه ذعرا ورعبا.

اخذها من ساقها ـ كان الرجل قد صحا من نومه حين تحركت زوجته كي تقضي حاجة، فحذرها من الخروج، ولكنها اصرت. وما كادت تخطو خارج الكوخ حتى امسك بها الاسد من ساقها. واستطعت ان اتبين من الاخاديد التي حفرتها مخالبه في الارض ان الامر لم يمر من دون مقاومة شديدة من المرأة، وان الاسد تمكن منها وجرها بعد ذلك بعيدا.

كان ذلك قبل شروق الشمس بساعتين، ومن ثم كان هناك احتمال ان نتمكن من اقتفاء اثر الاسد لنفاجئه وهو يلتهم ضحيته، او نقطع عليه طريقه الى النهر ليشرب قبل ان ينسحب الى حيث يقضي ساعات الحر راقدا.

وانطلقنا - سايلانت وانا - في اثر الاسد في الساعة ٥،٣٠ بينما كان الفجر الكاذب يحيل اشكال الاشجار الى امساخ وحشية مرعبة. وقادنا الاثر خلال دغل متناقض الكثافة مسافة بضعة كيلومترات، ثم انعطف وسط النباتات الكثيفة التي تنمو على حافة نهر مونيا مادزي الضحل.

وكانت حشائش الكومبريتوم الخضراء الشمعية اللون تعلو الى ارتفاع بيت، مما جعل الظروف كلها في مصلحة الاسد.

وكان سايلانت يتحرك امامي

تخلى بيتر كابستيك عن عمله في وول ستريت في نيويورك في عام ١٩٦٤ كي يشتغل صيادا ودليلا محترفا في الادغال وقد عمل كصياد محترف مرخص من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٥ في زامبيا وبوتسوانا وروديسيا.

مباشرة، وقد احنى قامته وركز عينيه على الاثر الذي نقتفيه، ومد حربته امام جسمه كالرمح. وقد جرت العادة بين الصياد ومساعده قصاص الاثر - حامل البندقية ان يتولى احدهما متابعة الاثر بينما يتولى الثاني عملية التغطية لمواجهة احتمال الوقوع في مكمن. ففتحت قفل الامان في بندقيتي، واتخذت اهبتي للتصويب السريع في الظلال الداكنة بان رفعت اداة التصويب الليلي، وهي خرزة كبيرة من عاج الخنزير البري. ومضينا نتقدم ببطء خلال النباتات المتكاثفة، ونحن نرهف السمع لنتبين صوت تكسر العظام او الزمجرة الخافتة التي تصدر عن الاسد وهو يأكل. وكتمت الارض الطرية الرطبة اصوات اقدامنا ونحن نتقدم متسللين، ولكنها لم تستطع ان تكتم دقات قلبي العنيفة المتسارعة.

واخذت استعيد في ذهني هجمات الاسود التيواجهتها منقبل: الزئير الذي يبعث الشلل، والانتفاضة السريعة لذؤابة الذيل، ثم الاندفاع المنخفض بسرعة لا تصدق. فالمشهور عن الاسد المهاجم انه يقطع مئة متر في ما لا يزيد كثيرا على ثلاث ثوان. واذا انقض علينا في هذا المكان فسيكون ذلك من مسافة قريبة لا تتيح الفرصة الا لطلقة واحدة، اذا تيسر اطلاقها.

وفجأة، جمد سايلانت امامي كتمثال من الابنوس، وهو باق على انحنائه وقد رفع رأسه يراقب شيئا على يساره، ثم بدأ يتراجع نحوي ببطء شديد وهو يتقهقر سنتيمترين اثنين في كل حركة. وافهمني بالاشارات ان هناك يدا بشرية ملقاة الى جانب الطريق، وانه يشتم رائحة الاسد. وحمل الي النسيم الخفيف الرائحة نفسها التي لا يمكن ان يخطئها احد، تلك التي يخلفها القط المنزلي في يوم رطب.

الاسد الطائر - وبدأت اسير الى الامام بخطى بطيئة وقدمين منفرجتين وقد غلبني التوتر وانا احمل بندقيتي مخفوضة عند اسفل خصري مباشرة. وفي تلك اللحظة عينها سمعت ضوضاء قريبة جدا من جانبي الايمن، فدرتلفوري على عقبي واذا بماسورتي بندقيتي تصطدمان بالاسد الذي كان طائرا في الهواء، وقد تجاوز رأسه الذي يبدو كهالة من الاسنان الحادة، فوهة البندقية، وقرب الى درجة تجعل اصابته امرا مستحيلا. وبدا جسم الوحش الذي يزن ٢٠٠ كيلوغرام وكأنه معلق في الهواء، ولم يلبث ان صدمني، فأنطلقت الرصاصة اليمنى من بندقيتي بطريقة ما فاصابته تحت الضلوع واخترقت بطنة بزاوية ضحلة.

ووجدتني منطرحا ارضا اتقلب في التراب، بينما بندقيتي تتدحرج بعيدا فتصلب جسمي وانا اتوقع طعنة الانياب الطويلة. لكن صيحة عالية اخترقت ضباب ذهولي. لقد كانت صيحة سايلانت، سايلانت الطيب المخلص يحاول بها اجتذاب الاسد بعيدا عني، ووجدت القط الضخم يقف فوق رأسي وقد بدت عليه الحيرة، ثم وثب بعيدا ليهاجم حامل البندقية الذي جرى نحوه مصوبا حربته.

وفي وثبة واحدة، ازاح القط الهائل حربة سايلانت جانبا وطرحه ارضا، حيث سمره بثقل جسده وقوته الخرافية فسارعت انفض عني خدر الصدمة وقفزت واقفا ازيح الاغصان كالمجنون بحثا عن البندقية، فرأيت

شيئا يلمع فوق الارض الداكنة - كانت حربة سايلانت - وقد انكسر قائمها عند منتصفه فخطفتها لفوري٠

وامسكت الحربة بيدي الاثنتين وقد خفضت نصلها قليلا، ثم دفعتها بكل ما في جسدي من قوة وبكل ما انتابني من استماتة في عنق الاسد حيث شعرت بالنصل الحاد يقطع طريقه في مضاء مخترقا اللحم والاعصاب، حتى احسست به وسمعته يصطدم بالعظم٠ هناك زأر القط الهائل زئيرا عاليا وافلت سايلانت، ولكني انتزعت الحربة الدامية وطعنته بها مرة اخرى، فبلغ نصلها الحبل الشوكي ومزقه، فانهار الاسد لتوه مرة واحدة، ولم تصدر منه بعد ذلك ايما حركة، في ما عدا التقلصات العضلية التي راحت تتماوج في فخذيه٠ الى ان صرع الموت آكل رجال تشابونكوا٠

انتزعت حزامي وسارعت اربطه حول ذراع سايلانت الممزقة لاوقف النزف٠ وبدا ان سايلانت لم يصب الا في ذراعه، اضافة الى بعض الجروح التي احدثتها مخالب الاسد في صدره، فاخرجت من جيبي زجاجة صغيرة مليئة بالمطهر، ودهنت جروحه، ثم سقيت الصياد الشجاع جرعة كبيرة من الماء ورفعته على كتفي وانطلقت عائدا الى القرية٠

ولم تحل اصابات سايلانت دون الابتهاج الذي عم قبيلة "سينجا" وذهبت جماعة منها لمشاهدة الاسد والعودة بجثة آخر ضحاياه التي كان قد التهم نصفها٠ اما انا فقد وضعت سايلانت في السيارة اللاندروفر وانطلقت به الى المستشفى الذي يبعد ١٢٠ كيلومترا، حيث تولى الطبيب امر العناية بجروحه٠

وحين عدت الى مخيمي في تلك الليلة، كان اول ما فعلته هو انني اخذت حماما طويلا٠ وكان جنبي قد بدأ يتلون بالاسود والازرق حيث صدمني الاسد٠ وادركت في تلك اللحظة فقط الى اي مدى كنت قريبا من ان اصبح الضحية الحادية عشرة، على انني في المرة المقبلة، عندما يطلب مفوض المنطقة خدمة مني، سيجدني وقد اعترت متاعب شديدة جهازي اللاسلكي٠

■ **بيتر هانا واي كابستيك**



لا تساعدنا خبرتنا في تجنب ارتكاب الحماقات، لكنها تمنعنا فقط من الاستمتاع بها٠

صلاة المائدة

كان احد المبشرين يجتاز منطقة بيداء فصادف اسداً هائجاً وجهاً لوجه٠ فزأره الأسد وقال له ان يستعد للموت فركع المبشر بحرارة لم يسبق لها نظير٠ ثم نظر خلسة من خلال أصابعه فرأى الأسد راكعا ورأسه منحن بين كفيه٠

فالتفت المبشر نحو السماء شاكرا واعرب عن دهشته وحمده "ان تلين كلماتي قلب وحش ضار"٠ واذ ذاك ارخى الأسد مقدميه وزأره قائلا: "اخرس يا احمق! انني اتلو صلاة المائدة"٠

صور من الحياة



اول نزهة مجانية

خلال الاسبوع الاول من عمله كسائق اوتوبيس، اخطأ شقيق زوجتي اتجاهه وهو في الطريق السريع من الضاحية الى محطة الاوتوبيس المركزية وسط المدينة. وارتاع اذ لاحظ انه يجتاز المنتزه العمومي باشجاره المتبرعمة واحواضه المفروشة بنباتات الربيع المزهرة، فقرر ان يتصرف وكأنه لم يضل الطريق. وحين وصل اخيرا الى محطة الاوتوبيس تنفس الصعداء اذ وجد انه لم يتأخر سوى بضع دقائق عن موعده.

وكان اول راكب خرج من الاوتوبيس سيدة عجوز توقفت لتقول: "اود ان اشكرك ايها الفتى لهذه الجولة المجانية في المنتزه خلال الربيع. فانني اركب هذا الاوتوبيس منذ سنين ولم انعم يوما بمثل هذه الرحلة!".

ك.ج.

"الى سندريلا لندن"

كنت متأخرة عن موعد عملي ذات صباح، واستطعت بالكاد ان اقفز الى القطار وهو يتحرك خارجا من المحطة، لكن قفزتي انتهت - لسوء الحظ - بان انخلعت من قدمي فردة حذاء وتدحرجت على خط القطار.

وحين وصلت الى لندن ودخلت مكتب ناظر المحطة وانا احجل على قدم واحدة، وجدت لديه رسالة تقول ان فردة حذائي الضائعة ستصل بالقطار التالي. وهي وصلت بالفعل معنونة الى "سندريلا، لندن".

ب.هـ.

المزيد من "السرعة"

في حديث الى مجموعة من الطلبة، سئل اليكس هالي الذي قضى ١٢ عاما يبحث ويكتب "الجذور"، ماذا كان يفعل لو علم ان كتابه سيحظى بمثل هذا النجاح الهائل، فرد: "لكنت طبعته على الآلة الكاتبة بمزيد من السرعة".

خواتم ما قبل الخطوبة

كان زوجي يعمل مدرسا فراح يتناقش مرة مع زملائه حول ولع المراهقين بلبس الخواتم في فترة ما قبل الخطوبة. وسئل احد المدرسين ما اذا كان يسمح لابنته بان تقبل مثل هذا الخاتم من رفيقها، فصاح قائلا: "ابدا على الاطلاق! فبعض الفتيان يسيئون فهم الخاتم ويحسبون انه اجازة للتعلم..."

ج.ف.

هنا الشرطة...

حدث ذات يوم في النادي البحري الذي ننتمي اليه ان تولى مدربنا اختبار مكبر الصوت الجديد، فاداره في اتجاه بيت النادي صارخا: "هنا الشرطة! اننا نعلم انك هناك فاخرج رافعا يديك فوق رأسك. ولدهشتنا خرج رجلان مسنان من رجال تنظيف البناية رافعين مكانسهما فوق رأسيهما.

س.ر.

صفعة من بسكويت

كنت اتوقع وصول الضيوف في اي لحظة، عندما رأيت ابني الذي يبلغ ثلاثة اعوام والذي كان تام النظافة منذ دقائق، وهو يلعب في اوحال الحديقة، فسحبته مسرعة الى داخل البيت كي اغير ملابسه مرة اخرى. ولا بد انه كان يتوقع صفعة تأديب لانه رفع رأسه وسألني باستسلام فلسفي: "هل يمكنني ان آخذ قطعة من البسكويت بعد ان اتوقف عن البكاء؟"

ن.ج.

كلية "العجائب"

ان ابني وهو طالب جامعي، من غلاة المتحمسين لموسيقى الروك، لذلك دهشت حينما وجدته، وانا عائد من عملي في اول يوم من اجازته الجامعية، يستمع الى سيمفونية لبيتهوفن. فقلت لنفسي انها لجامعة ممتازة راقية اذ هي استطاعت ان تحدث هذا التغيير لدى ابني في بضعة اسابيع. وفي اليوم التالي، استقبلت ايضا بتحية من بيتهوفن، كانت هذه المرة "كونشرتو" على الكمان، فلم استطع ان امسك عن التعليق، فقلت: "الله، يا ابني، لا بد ان الكلية قد فعلت العجب في تذوقك للموسيقى".

فرد في كآبة: "كلا يا ابي، لم يكن لدى مجال للاختيار، فقد اخذت كل التسجيلات التي تروقني الى الكلية".

ر.ا.ج.

لعبة علم النفس

ذهبت مع ثلاثة من زملائي في قسم الفلسفة لنلعب الغولف، فوجدنا عند الكومة الاولى اربعة من اختصاصي علم النفس وهم على وشك ان يبدأوا اللعب.

فقال احد زملائي مازحا: "ايها الرفاق، لا بد انكم في وقت عصيب حقا، تحاولون لعب الغولف بينما انتم تحطمون نفسية بعضكم البعض".

فرد واحد منهم: "نحن على الاقل لا نجادل في ما اذا كانت الكرة موجودة حقا او غير موجودة".

"لا...لا... عسكري"

قسم الشرطة في الضاحية الصغيرة التي اعمل فيها قبض على لص وهو يقتحم مستودعا ذات ليلة. واقر اللص بان هناك شريكا له ينتظره في سيارة، وراح رجال الشرطة يبحثون عن هذه السيارة الى ان وجدوها لكنهم لم يجدوا الشريك. وعاد الشرطيون الى القسم تاركين ضابطا يقود السيارة من اجل حجزها.

وبعد ربع ساعة حضر الضابط مبتسما ومعه شريك اللص مكبلا بالحديد، وروى القصة: "عندما اوقفت السيارة عند نقطة تقاطع قفز المتهم من الشجرة التي اختبأ فيها وفتح بقوة باب السيارة ووثب الى جواري من دون ان يلاحظ من انا، وصاح قائلا: "هيا بنا نبتعد من هنا". الا انه لم يلبث ان استدرك ونظر الي قائلا في انين: "لا، لا، عسكري"، وحاول القفز خارج السيارة فامسكت به ووضعت الحديد في يديه".

ف.ت.

الفطر "المعتق"

يتلقى المتجر الكبير الذي اشترى منه حاجياتي كمية من الفطر الطازج كل اسبوع. وهذا الفطر سرعان ما يفقد لونه الابيض ويسود عند حوافه، حتى وان بقي محفوظا داخل غلافه في رطوبة باردة. ثم يضطر البائع في طبيعة الحال الى تخفيض ثمنه الى النصف.

وذات صباح لاحظت ان السعر الاصلي للفطر ظل دون تغيير، على الرغم من انه كان في بداية يومه الرابع في المتجر. فقد كتب البائع الماكر على بطاقة الثمن، تحت كلمة فطر "معتق" ووضع خطا تحتها. وعندما عدت الى المحل آخر النهار وجدت ان كمية الفطر قد نفذت بكاملها.

ا.م.هـ.



أجرأ إمرأة في العالم

كيتي اونيل بهلوانية
هوليوود الجسورة الاولى
تتدفق كالموج
الهائج وتلتطم
بالتحديات وتتجاوزها
تحديا تلو الآخر ،
على رغم العائق
الذي ينتابها
منذ نعومة اظافرها
والذي لو وجد لدى
كثيرين من الناس
لابقاهم على هامش الحياة .

هناك على سطح بناية من ستة طوابق اشتبكت امرأة في صراع ضار مع رجل كان يبدو مصمما على قتلها. اخذ يدفعها بعنف شديد وهي تتراجع القهقرى من شدة الضغط الى ان باتت قاب قوسين او ادنى من الحافة الخطرة، وما لبثت ان فقدت موطىء قدميها فطرحت نفسها جانبا، وفي اوج يأسها استدارت بحركة لولبية ووقعت. وراحت تنشب اظافرها بالنتوءات. ثم امسكت بافريز السطح بكلتا يديها في تشبث مستميت لتفادي الهبوط القاتل.

كانت كيتي أونيل تؤدي دورا تمثيليا روتينيا مثيرا ضمن المسلسل التلفزيوني "باريتا". وكثيرا ما كانت تقوم بدور البديل لممثلات اخريات فاتاح لها ذلك ان تمثل مشاهد تثير الهلع في القلوب في كثير من الافلام التلفزيونية والسينمائية. وخلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ لعبت كيتي دورا مثيرا في احد برامج مؤسسة الاذاعة القومية (ان.بي.سي.) الذي يتميز بالاثارة الخارقة وقد سجلت رقمين قياسيين للنساء: الاول في تمثيل اطول سقطة من شاهق ومقدارها اربعة وثلاثون مترا، والثاني في تمثيل اعلى سقطة من نوعها على الاطلاق فوق النار.

كما ان كيتي هي المرأة الوحيدة التي تؤدي دور "عربة المدفع المتدحرجة"، وهو دور بالغ الاثارة والخطورة تستخدم فيه اداة تفجير تسبب انقلاب عربة في اثناء تحركها. وتعتبر كيتي ايضا واحدة من النساء القليلات اللواتي يتمكن من الانغماس في النار المستعرة. وللقيام بهذا الدور المثير تلبس كيتي بدلة واقية مكسوة بالغراء وتضرم فيها النار وتصل درجة الحرارة داخل البدلة الى اكثر من تسعين درجة مئوية قبل ان يتم اخماد اللهب.

ولدت كيتي اونيل في الرابع والعشرين من مارس (آذار) عام ١٩٤٦، ولا يبدو لك انها تلك المرأة المثيرة التي تتزاحم عليها هوليوود للقيام بادوار المخاطرة والاثارة. وهي قصيرة القوام لا يزيد طولها على ١٥٧ سنتيمترا ولا يتجاوز وزنها ٤٤ كيلوغراما. وتنم عيناها الزرقاوان الخضراوان عن ملامح خاطفة من النزوع الى الاثارة والاذى كما يوحي تركيبها العام بمقدار من الرشاقة وسرعة الخاطر، خصوصا طريقتها الخاصة الخاطفة التي ترد بها الى الوراء شعرها الكستناوي الغامق.

وبما ان كيتي تتكلم بصوت عال متداخل النبرات والحروف فان معظم الناس الذين يقابلونها يظنون ان لديها عطلا جزئيا في النطق. واما الحقيقة، فهي انها أصيبت بالصمم الكامل منذ الطفولة الأولى.

سقطت عليها المصائب ـ كان عمرها اربعة اشهر حين اطبقت عليها في آن هجمات الحصبة والنكاف (ابو كعب) وجدري الماء فافقدتها السمع. لكن والدتها، وهي هندية اصيلة من قبائل الشيروكي، عقدت عزمها على تمكين ابنتها من التمتع بحياة طبيعية فذهبت الى جامعة تكساس لتتعلم كيف تتكلم مع طفلتها وكيف تعلمها. وهكذا بدأت الوالدة عملية شاقة في ترويض حواس اربع لكي تملأ الفراغ الذي خلفته الحاسة الخامسة المعطلة.

تقول كيتي: "علمتني كيف اسبح وكيف استجيب للاتجاهات حينما كنت طفلة. ثم علمتني كيف اقرأ الشفاه واتكلم". وقد راق الأم بعد ذلك،

انطلاقا من تجربتها مع طفلتها، ان تعلم اطفالا آخرين من ذوي العاهات السمعية، وآل الحال معها الى تأسيس مدرسة الاصغاء البصري في ويشيتا فولز في تكساس.

دخلت كيتي الصف الثالث من المدرسة الابتدائية وحصلت في الحال على درجات جيدة وبناء على تشجيع واستحثاث والدتها لها، اخذت دروسا في العزف على البيانو. وتعلمت كيف تلعب على الشيلو مستمتعة بذبذباتها الرنانة ومحافظة على سلامة نغماتها "بالاحساس".

وحينما بلغت الثانية عشرة اشتركت في منافسات السباحة وتعزز اهتمامها بالغوص. ولكن بما ان السمع والتوازن متصلان احدهما بالآخر الى حد كبير، فقد راود الشك مدربيها في ان تتمكن كيتي من اداء الحركات البهلوانية الدقيقة التي يستلزمها التنافس في مجال الغوص.

وتقول كيتي ان الدهشة التي استولت عليها وعلى مدربيها حينما تبين لهم ان واحدا من غواصي الفريق الذي تنتمي اليه لم يحضر اجتماع السباحة في اوكلاهوما. فلم يكن منها الا ان سألت المدرب السماح لها بالقيام بهذه التجربة. وكان ان احرزت المكان الأول.

ومضت قدما في هذا المضمار ففازت بلقب غوص الالعاب الاولمبية الصغيرة للمنطقة الجنوبية الغربية، ولفتت الدكتور الطبيب سامي لي الذي حاز بطولة الغوص الاولمبي مرتين ودرب عددا من الغواصين الموهوبين الاحداث في اناهيم - كاليفورنيا.

وحينما بلغت كيتي السادسة عشرة انتقلت الى اناهيم لتدرس على يد الدكتور لي. وداومت على المدرسة الثانوية في الصباح وكرست بعد ظهر كل يوم للتدرب اربع ساعات متوالية على الغوص، وكانت تحتفظ بالعشيات للدروس النظرية. وقد اعجب لي بقوتها وعزمها العنيد لكنه كان يمتعض كل مرة يراها تقذف بنفسها الى الماء خطأ وترتطم بها بسرعة ٥٥ كيلومترا في الساعة بعد قفزة من منصة العشرة امتار. وظلت اشهراً عدة تحمل في جسمها رضوضا بشعة من حجم الفطيرة، لكنها كانت تستهين بهذا القصاص.

الواثقة من نفسها ـ قالت كيتي مرة لمخبر صحافي ببعض التحدي: "في مقدوري ان أعمل كل شيء. وانني احب كل الاشياء التي يقول الناس انها تتجاوزني بسبب صممي. ربما كان علي ان اشتغل بصعوبة اكثر من البعض ولكن ما قولك في مشاعر الهزل والمرح التي تستولي علي حينما ابرهن على انهم مخطئون".

وفي عام ١٩٦٤ جاء ترتيبها الثاني عشر في المحاولات التجريبية لفريق الولايات المتحدة في العاب طوكيو الاولمبية. وبعد ان ربحت خلال حياتها الغوصية ثمانية وثلاثين وشاحا ازرق وسبع عشرة ميدالية تذكارية من الطراز الأول واحدى وثلاثين ميدالية ذهبية، راحت ترتاد عالم الالعاب الرياضية كلها، وكانت نفسها تتوق الى هذه الالعاب كلما اشتدت خطورتها. وهي قالت لي: "اظن انني احب الخطر ومشاعر الاثارة، وانما اود في اغلب الاحيان ان يكون لي هدف، شيء من الحلم الذي ابتغي تحقيقه".

فقد اشتركت كيتي في سباق القوارب وسباق السيارات واستخدمت

في مبارياتها ايضا سيارة من طراز خاص مجردة عادة من المعدات غير الضرورية ولكن يمكن تعديل محركها لكي يحقق سرعة خاطفة.

وتبارت كيتي كذلك في سيارات معدة خصيصا للسباق. ومارست التزلج على الماء باقصى سرعة. وفي عام ١٩٧٠ سجلت رقما قياسيا عالميا باعتبارها اسرع امرأة متزلجة على الماء بلغ رقمها ١٦٨،٧٤ كيلومترا في الساعة.

ودخلت كيتي مضمار القيادة السريعة الخطرة للسيارات خارج الطرق والمسالك المألوفة وشاركت في سباق السيارات على كثبان الرمل وهي سيارات صغيرة خفيفة الوزن معدلة خصيصا لتساق على تلال الرمل والشواطىء. ثم بدا لها سباق الدراجات النارية عبر الحقول وداخل مناطق الريف امرا فيه تحد واغراء وهكذا لم تلبث ان حصلت على اعتراف بمهارتها وتصنيف لقدرتها وانجازها في مستوى الخبراء، واصبحت المرأة الوحيدة في العالم المؤهلة لدخول حلبة التنافس لتسجيل رقم قياسي في السرعة العالمية.

الطريق الوردي — وفي اجتماع خاص بالدراجات النارية في كاليفورنيا عام ١٩٧١ التقت كيتي منافسا يدعى دوفي هامبلتون. وهو قال عنها: "كانت خارقة لا تصدق. لم اكن اتصور انني استطيع قيادة دراجة نارية بالطريقة التي تستطيعها هي من دون ان اسمع صوت التروس في ناقل الحركة لدى تغيير السرعة ومن دون ان اعلم هل هي في الدرجة الأولى ام الثانية ام الثالثة، كذلك من دون ادراك ما اذا كان المتنافس اللاحق بها قد اصبح قاب قوسين او ادنى منها".

وكان الاعجاب متبادلا. فلم ينقض العام حتى تزوج الاثنان.

استقرت كيتي خلال السنوات القليلة الأولى من الزواج وخلدت الى السكينة، غير ان الحياة الروتينية ما لبثت في النهاية ان اصبحت مزعجة وباعثة على الضجر. كان دوفي عضوا في "جمعية الاثارات المتناهية الحدود" وهي منظمة اخوية في هوليوود تضم افذاذ رجال الانجازات الجريئة، وكان يعرض نفسه للخطر بانتظام في السينما وفي مشاهد تلفزيون مثيرة.

يقول دوفي: "كانت كيتي قد اعياها الملل والقلق، فسألتها ماذا تود ان تعمل؟ فاجابت: "ولماذا لا اعمل تماما العمل نفسه الذي تقوم به انت؟ علمني كيف اؤدي ادوار الاثارة". وهكذا بدأت اعلمها كيف تقع ارضا، وتصطنع قتالا وتدحرج سيارة. وحينما بدأت فعلا القيام بكل هذه الحركات الايهامية اثارت المرح الصاخب والدهشة لدى الجميع. وبعد فترة قصيرة اخذت كيتي تقدم المشاهد المثيرة الرائعة في برامج التلفزيون. فتهافتت عليها عروض العمل واضطرت الى رفض الكثير منها.

وبعد ان اضطلعت بهذه المجموعة من المشاهد المثيرة والالعاب الرياضية الجريئة التي كانت مقصورة على الرجل تقليديا، قررت كيتي ان تمضي الى بلوغ الرقم القياسي النسائي للسرعة العالمية الارضية والذي كان آنذاك ٤٩٦،٥٨ كيلومترا في الساعة. وفي شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٦ اجرت اختبار سرعة على بحيرة جافة في كاليفورنيا فقادت قذيفة ارضية طولها ١١،٥ مترا ذات عجلات ثلاث مزودة بقوة

صاروخية، بسرعة قدرت بنحو ٥٧٦ كيلومترا في الساعة. وكانت على اتم استعداد لاثبات ذلك رسميا في مساق اطول. وهي اختارت لهذا الغرض بحيرة "داري ليك الفورد" في صحراء جنوب شرقي اوريغون المقفرة، خلال الاسبوع الاول من ديسمبر (كانون الاول) وكان الشتاء قد اخذ يتقاصر لكن البحيرة هيأت لها مجالا املس نسبيا يبلغ طوله ثمانية عشر كيلومترا.

وفي الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ارتدت كيتي بذة القيادة ووضعت خوذتها على رأسها وانثنت داخل ركن القيادة واطلقت العنان لمحرك سيارتها ذي الـ٤٨ الف حصان واندفعت الى الامام كالسهم في اتجاه اولى الخلايا الكهربائية الضوئية التي توقفت مرورها عبر المسلك. وخلال ثوان اصبحت السيارة وكأنها بقعة ضئيلة في الافق.

وكان المطلوب القيام بجولتين في اتجاهين متعاكسين خلال ساعتين وذلك تلافيا لاي افضلية من جراء الريح او الانحدار. والسرعة الرسمية هي متوسط الجولتين حسبما تشير الى ذلك اجهزة التوقيت. وفي ختام الجولة الأولى دار المهندسون حول السيارة وملأوها وقودا وضبطوا كل اجهزتها. وانطلقت كيتي من جديد في زئير صاخب وشدها ضغط السرعة الى ظهر مقعدها المعد لشخص واحد. وبعد دقائق مرت امام احدى نقاط الايقاف واعلن الحكم ان متوسط السرعة بلغ ٥١٨ كيلومترا في الساعة.

لكن كيتي كانت ترغب في تحقيق سرعة اكبر لتسجل رقما قياسيا يظل قائما بعض الوقت. وفي السادس من ديسمبر (كانون الاول) حققت معدلا جديدا صاعقا في السرعة يبلغ ٨٢٥ كيلومترا و١٢٠ مترا في الساعة، ولم تتمكن من التوقف النهائي الا بعد ثمانية كيلومترات. وبذلك اصبحت كيتي اسرع امرأة على وجه البسيطة.

والواقع ان كيتي كانت تود ان تسجل رقما قياسيا اعلى من كل ما سلف، ولو تيسرت لها الطريق الملائمة لمضت نحو حاجز الصوت نفسه الذي يقارب الـ١١٩٠ كيلومترا في الساعة. واذا ما تم لها ذلك فسيكون للمرة الثانية اذ انها قد تغلبت من قبل على حاجز صوتي آخر في حياتها الخاصة بفقدها حاسة السمع.

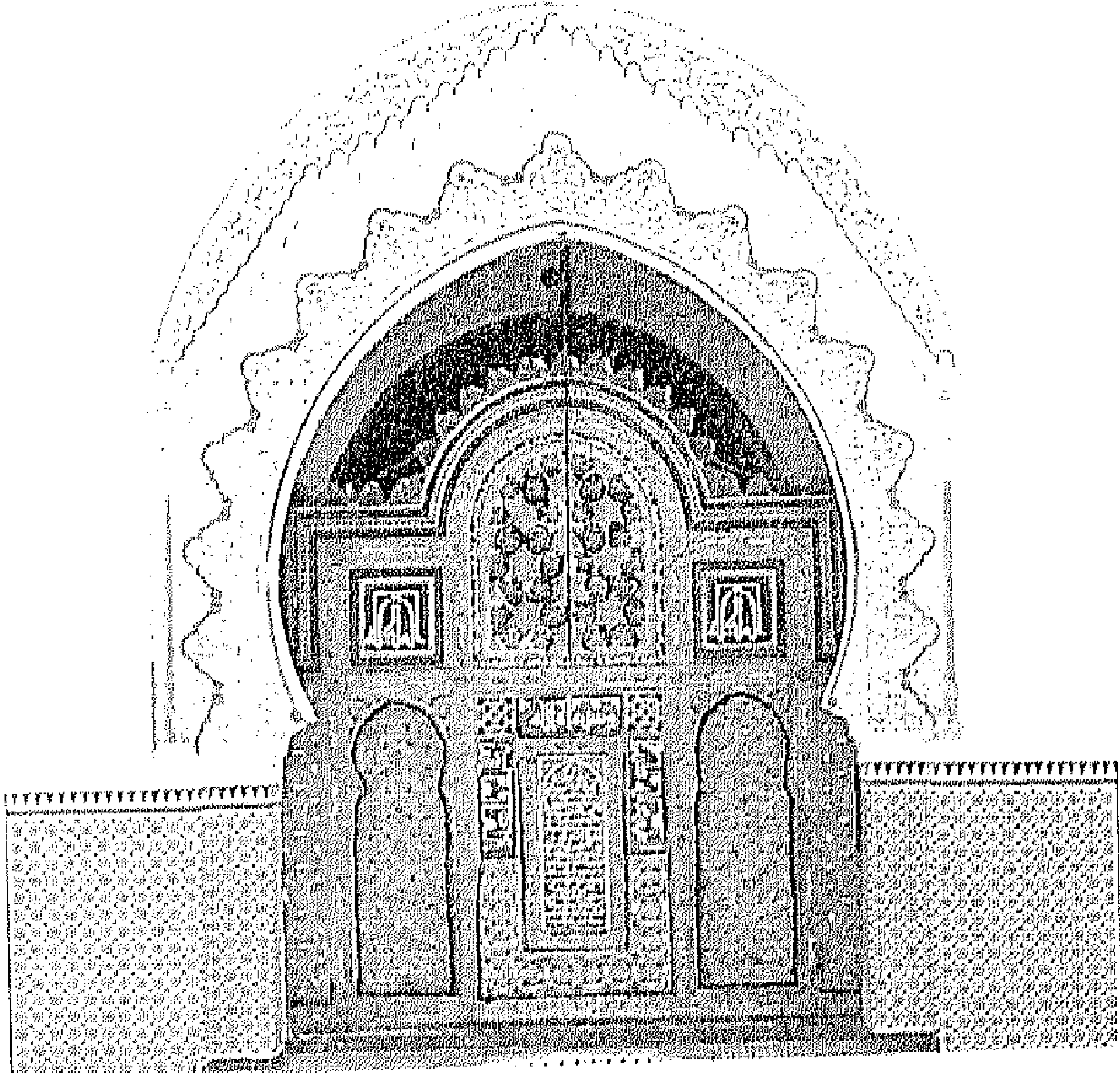
■ **فيل بووي**



قال الكاتب الفرنسي مرسيل آشار، بحزن: "ان شيخوختك تبدأ عندما ترتاد المطاعم حيث يخدمك مضيفون لائقون بدلا من المطاعم التي تخدمك فيها فتيات لطيفات".

مجلة "الضحك الحر" - فرنسا

قال صديق لصديقه: "لقد علمت بأنك تجادلت مع زوجتك. فكيف انتهى الأمر؟
- لقد جاءتني دبيبا على يديها وركبتيها
- الى هذا الحد؟ وماذا قالت؟
- قالت: كن رجلا واخرج من تحت السرير.



المغرب الساحر

بلاد مليئة بالمفاجآت الشائقة ومزيج مدهش يجمع بين الماضي والحاضر ٠

لم يكن الامر حلما، لكن اسطورة، بل قل احتفالا عربيا اصيلا: مهرجان الفروسية، وقفنا عند طرف الحقل حيث يعترض جوانبه نبات البوغنفيلية، واخذنا نشاهد الفرسان تلفهم العباءات البيضاء وهم ينحدرون نحونا ملوحين ببنادقهم الطويلة، ثم يكبحون خيولهم بغتة عند اللحظة الاخيرة ويطلقون العيارات النارية في الفضاء، لم نر في حياتنا مشهدا من هذا الطراز الرائع الا في السينما ٠

ما ان يصل المسافر الى المغرب حتى يجد نفسه مغمورا بسحر هذا العالم الغريب، خصوصا لدى رؤيته ذلك المثلثالناقص المنفرج الذي ينتصب وسط مدينة مراكش القديمة ويعلو ابنيتها المصنوعة من الطوب، ويسمى هذا البناء الفريد "جامع الفناء"، نسبة الى الحكام

بوابة جامع في فاس، (شوستال)

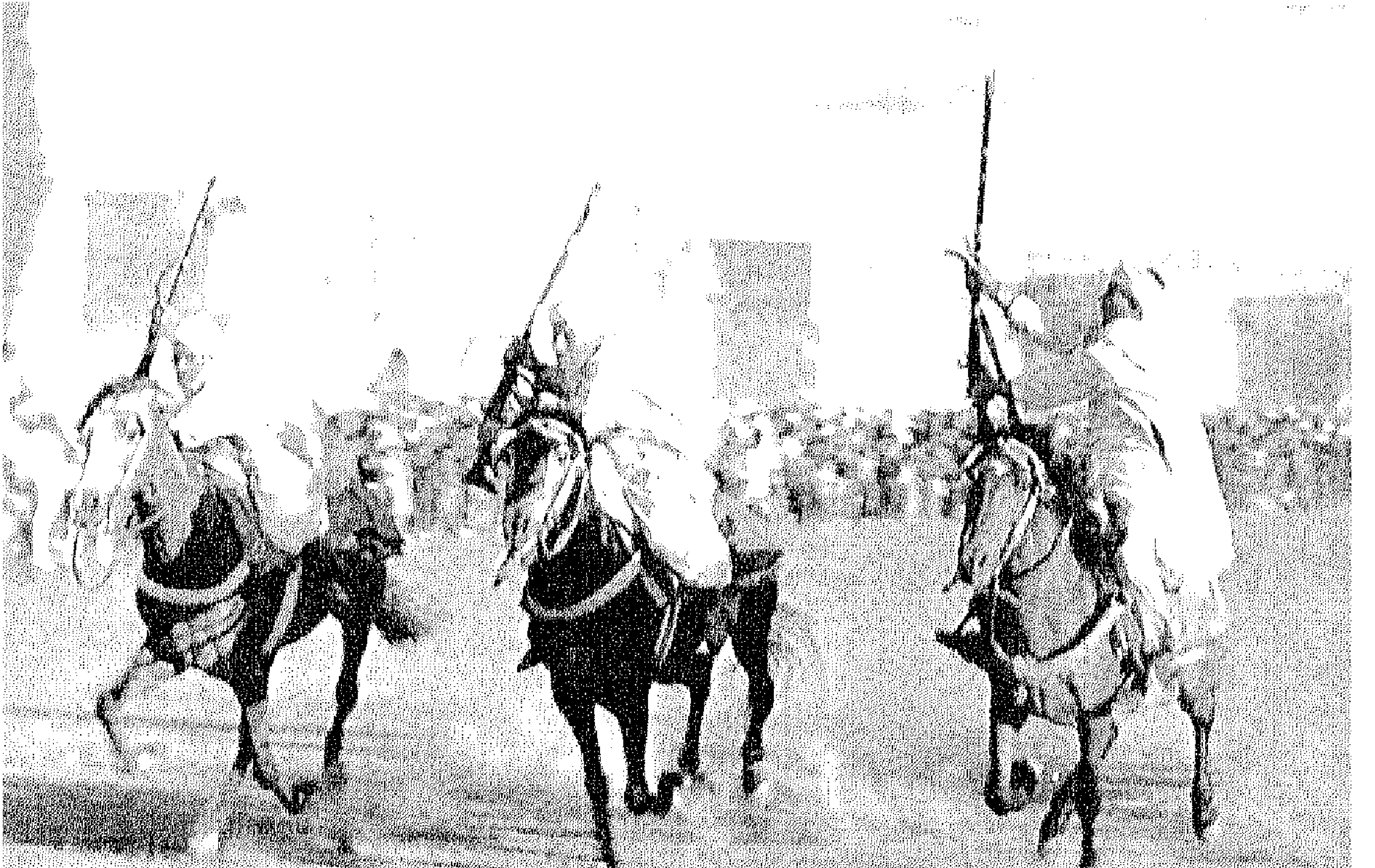
المحليين الذين درجوا فيه طوال قرون على عرض حصادهم الاسبوعي من رؤوس المنشقين المناوئين او اللصوص وقطاع الطرق.

اما اليوم فالامر يختلف تماما، اذ انك ترى باحة هذا المثلث تعج وتتضوع بفيض من الحياة. ويتجمع فيها المغاربة ببرانسهم القديمة، حلقات حلقات كأنها كوكبة من فصول الاستعراض الجانبي. فهنا تتشقلب القرود في حركات بهلوانية وتلتهم البرتقال تحت انظار ثعلب صغير اهيف حذر. وهناك افعى من نوع الصل تتقلب مبهورة بانغام الناي ونقرات الدف. وثمة شلة من الراقصين السمر يتمايلون في حركة لولبية على نغمات الطاسات النحاسية، بينما يطوف السقاؤون بقربهم المنتفخة بالشراب وتتعالى جلجلة الاجراس الصغيرة والطاسات المعلقة في صدراتهم الجلدية.

اما المجموعة الكبرى فهي تلك التي تتحلق حول رواة الحكايات. وكثيرا ما يبلغ عدد هذا الجمهور ٣٠٠ شخص حابسا الانفاس حول رجل قبلي ابيض الشعر نابض بالحياة، يتحدث ويومىء بثقة واعتداد ويروي على غرار اقرانه في العهد القديم، قصص الابطال الذين برزوا في الماضي وجاهدوا في سبيل الدين، بينما جمهور المتحلقين الاميين يستمعون الى هذه القصص في اصغاء تام. ثم ينتهي، بعد قرابة نصف ساعة، من رواية حكايته التي خلبت لب المستمعين، فيبدأ هؤلاء نقر النقود النحاسية مطيّرين اياها في الهواء لتستقر امامه على طبق من الصفيح.

والى "جامع الفناء" هناك مغريات اخرى يعرضها المغرب على المتجولين والمسافرين، منها: شواطئه الرملية التي تضاهي بروعتها شواطىء ماليبو او وايكيكي، وقمم جبال سلسلة

عيد الفروسية في مراكش. (انغلبرت)



الاطلس المغطاة بالثلوج التي تفوق بمعدل ارتفاعها جبال الالب، وقراه المبنية من الطوب وكأنها اطار لاخراج فيلم في هوليوود عن مآتي بطل اسطوري من العهد القديم ومآذنه الشامخة ومدنه الحديثة التي تجمع نواديها الليلية بين الرقص الشرقي والحان الموسيقى الغربية.

الماضي حي - يقع المغرب على الساحل الشمالي الغربي من القارة الافريقية، ويتساوى في مساحته مع اسوج او كاليفورنيا، ويبلغ عدد سكانه قرابة ١٧،٥ مليونا، تتجاذبهم ازمنة مختلفة من اعماق الماضي السحيق الى مشارف المستقبل. ففي روما، ليس "الفوروم" و"الكوليزيه" سوى اثر متخشب جامد لحضارة غابرة. اما في المغرب، فالماضي لا يزال حيا تهتز نبضاته مع الحاضر.

المغرب الساحر يتيح لك ان ترى في جلبة الاسواق القديمة في مدينة فاس رجلا اسمر البشرة ينقش اشكالا هندسية بالغة التشابك والتعقيد على طبق نحاسي، يرفع مطرقة في يده اليمنى ويعتصم ساعة في

رقصة في جنوب المغرب. (سابين فيس)



اليسرى، كما يتيح لك ان تشهد في الاعياد الوطنية في العاصمة الرباط عرض رجال الحرس الملكي وهم يتقلدون السيوف ويمتطون الجياد المطهمة، بينما تشق فوق رؤوسهم عباب الفضاء اسراب منسقة من الطائرات المقاتلة النفاثة. وقد ترى عند منتصف الطريق بين شاطىء المتوسط والصحراء الكبرى رتلا من الشاحنات المسطحة تنقل دبابات امريكية الصنع، بينما تمر جماعات الفلاحين المنصرفين الى حرث الارض وهم يسيرون وراء جمل مشدود الى حمار في شكل تخطاه الزمن.

المغرب الساحر لا يزخر بالتناقضات فحسب، بل يخبىء ايضا لزائره مقدارا لا يحصى من المفاجآت. فانك ترى في فناء الجامع الكبير في مكناس، الذي كان قد تقادم عليه الزمن حين كتب شكسبير مسرحية "هاملت"، حلقات من التجار بجلابياتهم الثقيلة يبيعون ويشترون اصواف الجمال التي جزت لتوها، فيما تترصدهم نظرات نسائهم المنطلقة فوق الخمار من عيونهن الثاقبة. اما الموازين التي يستعملونها فهي اطباق نحاسية معلقة بسلاسل الى اطراف قضبان عارضة. ففي الطبق الايسر يضعون اكوام الصوف، وفي الايمن ثمانية معايير متساوية الاحجام. ثم يباشرون نقل المعايير واحدا تلو الآخر الى طبق الصوف، حتى يتوازن الثقلان فيتكافأ الصوف وثلاثة معايير من جهة مع المعايير الخمسة الباقية في الجهة الاخرى. لكنك فيما انت ترى عملية البيع والشراء هذه، يمكنك ان ترى ايضا سيارة مرسيدس وهي تحاول شق

طريقها بين الجموع المحتشدة.

وداخل متحف الآثار القديمة في الرباط، على مقربة من الجامع الكبير، ينتصب تمثال نصفي من البرونز لجوبا الثاني، ابن اول ملك من ملوك البربر وزوج سيلين ابنة انطونيو وكليوباترا. وقد ملك جوبا طوال ٤٩ سنة عم فيها الازدهار مقاطعة "افريقيا نوفا" (افريقيا الحديثة)، حينما كان المغرب جزءا من الامبراطورية الرومانية. ثم افل نجم روما، وفي القرن السابع الميلادي دخل الاسلام. وعلى رغم ان المغرب انفصل في مرحلة مبكرة عن مركز الخلافة، الا انه ظل متمسكا بالدين الاسلامي، فقاتل الصليبيين وغزا اسبانيا وكدس المغانم والممتلكات. وفي عام ١٦٧٢، تبوأ مولاي اسماعيل العرش وارسى اسس الدولة العلوية الشريفة التي لا تزال تحكم المغرب حتى هذا اليوم. وقد بدأت فترة الاحتلال الفرنسي عام ١٩٠٧، وانتهت بسلام عام ١٩٥٦، قبل خمس سنوات من وفاة محمد الخامس، والد الملك الحالي مولاي الحسن الثاني.

اصل القيراط ـ ونظرا الى البون الشاسع بين شمال البلاد وجنوبها، يستحيل حصر المغرب بوصف جغرافي مجمل. فالساحل الاطلسي يتميز على امتداده بمسحة اوروبية، والدار البيضاء، التي كانت في مطلع القرن العشرين قرية تعيش على صيد السمك، شهدت نموا سريعا عقب الحرب العالمية الثانية واضحت اليوم حاضرة حديثة يصل عدد سكانها الى المليونين. اما العاصمة الرباط فهي مدينة شاملة تضم جنسيات مختلفة وتقوم فيها مباني السفارات وتخيم عليها هيبة السلطة. واما طنجة (وحتى فاس نفسها) فلا تخلو من الطابع الاوروبي، تصطف فيها المقاهي طوال ارصفة الشوارع ويجلس فيها الباعة المتجولون بجانب عرباتهم يرتشفون الشاي الاخضر وهم يتصفحون باهتمام جريدة "فرانس سوار" كما لو انهم في جادة الشانزيليزيه الباريسية.

غير ان الاشياء تتبدل كليا عند اجتيازك جبال الاطلس واقترابك من الصحراء. فالى جنوب البلاد، تمتد المناطق الصخرية الجرداء الى عتبة الصحراء الكبرى المترامية الاطراف. وتقع عينك على لوحة تشير الى ان تمبكتو تبعد مسيرة ٥٢ يوما. وفي هذه المناطق يعيش "الرجال الزرق"، نسبة الى نسيج لباسهم المصبوغ بالازرق النيلي، وهو صباغ باعهم اياه الانكليز في القرن الثامن عشر، فاصبح هذا اللباس الزي الاصيل. وكثيرا ما يترك هذا الصباغ اثرا على ايديهم ووجوههم. وقد يسعدك الحظ فتصادف وانت تعبر مناطقهم شجرة نادرة هي نوع من الخروب الذي ينتج قرونا قاسية. ويروى ان هذه القرون كانت تستخدم معيارا للذهب في اقدم العصور، ومنها اشتقت كلمة "قيراط" الحالية.

وايا تكن الاحوال الجغرافية والمناخية، فثمة شيئان تلقاهما اينما طفت في انحاء المغرب، هما جموع البشر المتدافعة في الاسواق القديمة والصناعة الفنية الرائعة التي تتسم بها الجوامع. وباستثناء بعض المصانع المجهزة لتجميع قطع السيارات في ضواحي الدار البيضاء



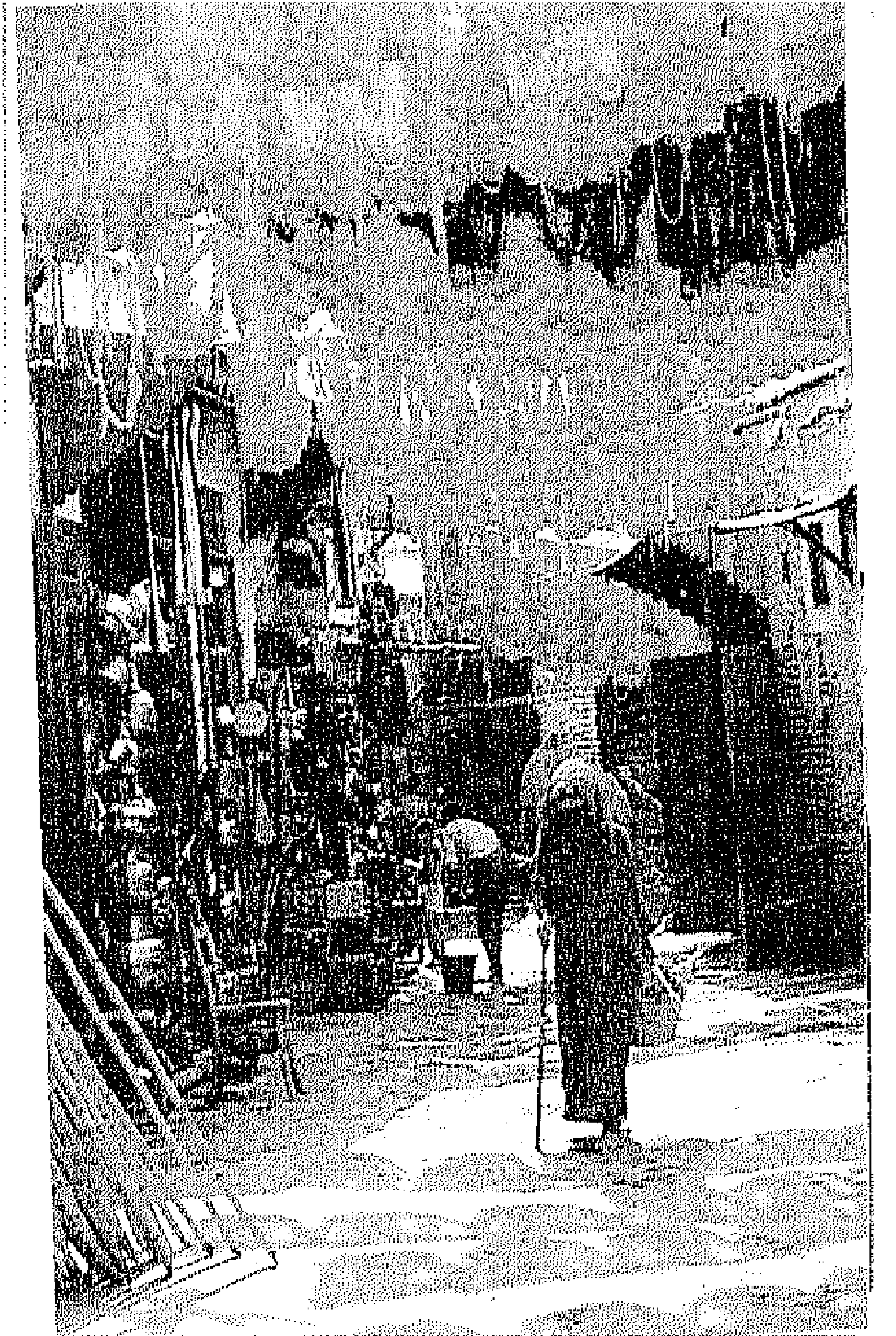
وصادرات السردين والفوسفات، فان اقتصاد المغرب لا يزال قائما على نحو رئيسي على الزراعة والصناعات الحرفية واليدوية من النحاس والجلود والنسيج والفخار وهناك صناعة اخرى نامية هي السياحة التي زودت بفنادق فخمة على امتداد البلاد، من الشاطىء الى الصحراء الكبرى.

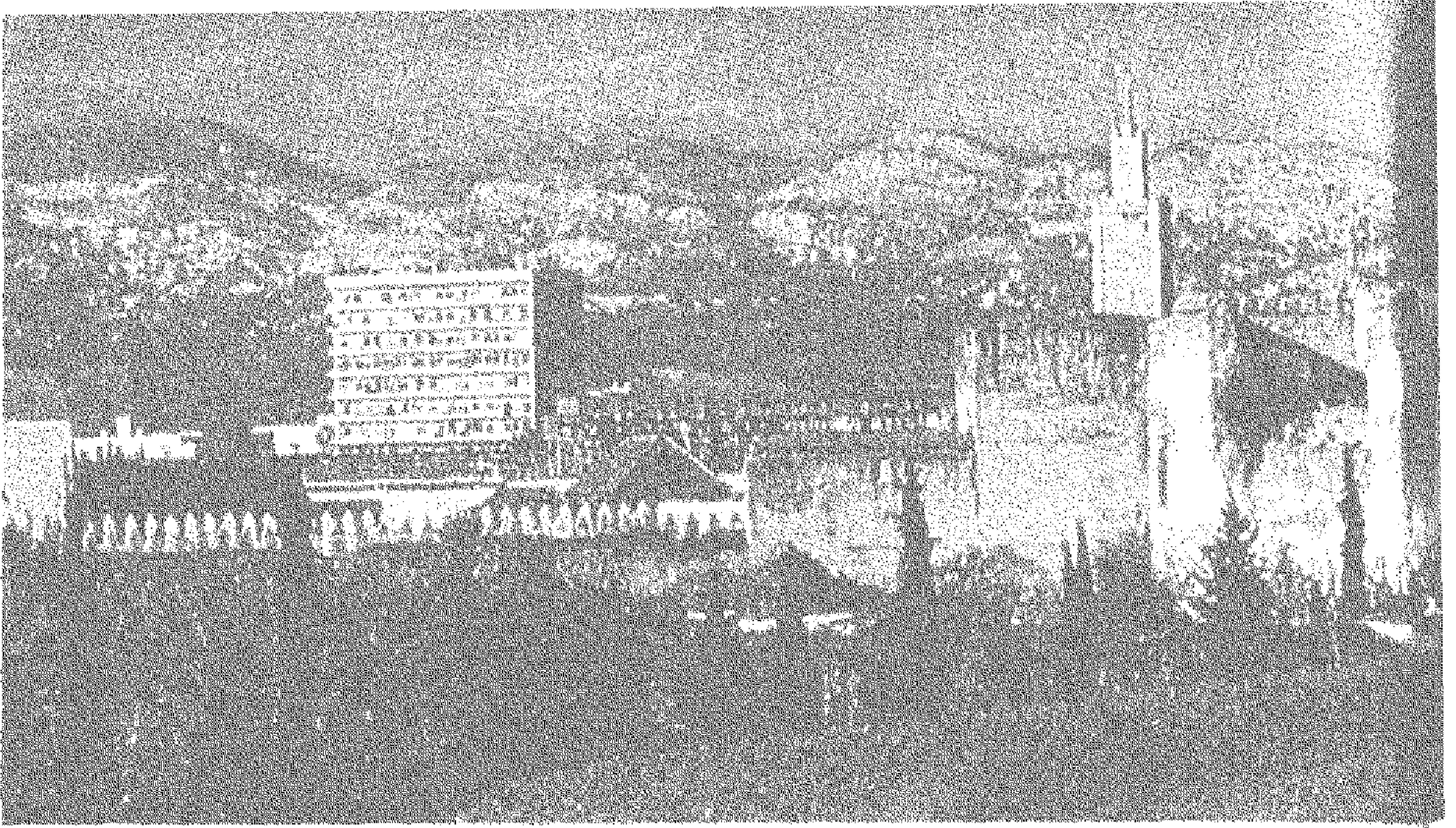
ولا بد للزائر لدى دخوله اسواق فاس او مراكش القديمة بلا دليل، من ان يضيع في متاهة زنقاتها وازقتها المتعرجة المكتظة بالعربات والمواشي والدواب، حيث يكثر الناس من ترداد عبارة "بالك، بالك" قاصدين بها: افسح الطريق. ويطغى على حواس السالك في تلك الاسواق خليط عارم من الاصوات والالوان والروائح الطيبة والعفنة في آن.

فهذا بائع في زي ساحر، ينادي الناس لابتياع حيوان مجفف: ثعلب او ذئب، او سحلية، والى جانبه باعة آخرون يعرضون على المارة انواعا من "كريم البشرة نيفيا" واجهزة التلفزيون.

انتعاش حرفي ـ والصناعات اليدوية في المغرب لا تزال تتبع الاساليب القديمة التي يرجع عهدها الى قرون خلت. فانت ترى فتيات لا يتجاوزن العاشرة يعقدن الخيوط بخفة مذهلة ويحكن السجاد المغربي الذائع الصيت. وترى صبية شبه عراة يغطسون الجلود في اجران كبيرة حمراء او زرقاء او خضراء، يوازي حجم الواحد منها ستة اجران حمام. كما ترى ارجلا منتعلة تشد على دواسة آلة خياطة لتوثيق الزخارف المذهبة على القفطان.

صوف مصبوغ منشور ليجف في سوق مراكش.
(جورج هولتون)





القديم والحديث يتعايشان في مكناس. (شوستال)

لقد اصبحت المدينة القديمة عنصرا طبيعيا متداخلا في صميم حياة المغاربة، حتى ان السلطات الرسمية قررت انشاء مثيل مصغر لها في الدار البيضاء الحديثة: مدينة قديمة كاملة بزنقاتها الضيقة الملتوية وحجيراتها الصغيرة. فهل تنجح الفكرة؟ ذلك ان سكان الدار البيضاء العصريين ينظرون الى المدينة القديمة نظرة اسلافهم الى المدن الجديدة.

وعندما يغادر المرء الاسواق القديمة يتنفس الصعداء لخلاصه من الجلبة، ولكن لا يسعه ابدا ان ينسى سعيرها الذي ينقله الى القرون الوسطى. وعلى نقيض ذلك الجوامع الكبيرة، حيث الجو المنعش يضفو بالزرقة والسكون، وحيث يقصر الدخول على المؤمنين، وحيث يتعالى تجويد آيات القرآن الكريم، كما تعلو دعوة المؤذن للمؤمنين خمس مرات في النهار لكي يتوجهوا بابصارهم قبلة مكة المكرمة ويسجدوا للصلاة.

واما المرأة فقد بدأت بالظهور بعد طول احتجاب، واخذت الصبايا في المدن يركبن الدراجات الى الجامعة، ويخلعن الحجاب بعد الزواج، ويجالسن الزوار في الدار. لكنهن يقتصرن في بعض الاوساط على سكب الماء الساخن لغسل ايدي المدعوبين قبل تناول الطعام، كما يتولين تأمين خدمة المائدة وفقا لسياق مرسوم. اما في الريف فالزوجة اكثر تحفظا، وانما تسعها المشاركة الرزينة في الحديث اذا لاقت تشجيعا من زوجها، والا فهي تجلس ساكنة وعلى وجهها ابتسامة الرقة والرضا. وعندما طرحت السؤال على زوجة احد اصدقائي البربري الاصل: "هل ترغبين في مزيد من الحرية والمناسبات؟" ابتسمت وهي تهز كتفيها استهجانا واجابتني بالفرنسية: "ولماذا؟ فالمرأة هنا لا يعوزها شيء مما يستلزمه نمط الحياة في المغرب".

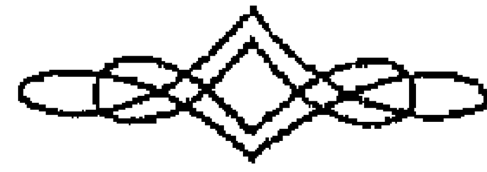
وقد مني المغرب بهزة عنيفة

وصدمة رهيبة في ٢٩ فبراير (شباط) عام ١٩٦٠، وجاءت دلائل الانذار بالخطر الداهم وتحسس وقوعه في نباح الكلاب وهياج القطط ونهيق الحمير بصوتها المنكر على ساحل اغادير الصيفي. وما هي الا ١٥ دقيقة حتى انقض الزلزال على الريفييرا ودمرها بفنادقها الفخمة الخمسة وحصد ارواح سكانها البالغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة.

وفي غضون ساعات معدودة حضر الملك محمد الخامس الى مكان الكارثة يصحبه ولي عهده الحسن الذي تولى على الفور قيادة عمليات الاسعاف. وكان اول تصريح له: "سنعيد البناء فورا".

ووفى الامير بوعده وفاء تاما، ولم يبق اثر لتلك الفاجعة سوى النصب الذي اقيم لتخليد ذكرى الضحايا. واستعادت اغادير اليوم رونقها السابق واصبحت قبلة زوار المغرب، يشدهم اليها جاذبها الافريقي الدافىء الساحر الخفي.

■ وليم ا.هـ. بيرني



رسام الزمن

سئل الرسام اوسكار كوكوشكا عن الاشخاص الذين رسمهم والذين يراوحون بين الرئيس التشيكوسلوفاكي المعروف ت.ج. مازاريك (ولد عام ١٨٥٠) وكارلو بونتي الصغير (ابن صوفيا لورين المولود عام ١٩٦٨): "لماذا يبدو جميع الاشخاص في رسومك كبارا في السن؟" فأجاب: "ان رسام الصور الزيتية الذي يلاحظ ملامح الوجه بكافتها ويشدد على خطوطها انما يخرج منها ما سوف يخرجه الزمن في ما بعد. ولكم قيل لي: "ان الصورة التي رسمتها لي تتطور معي لتصبح مثلي تماما مع كل عام يمر".

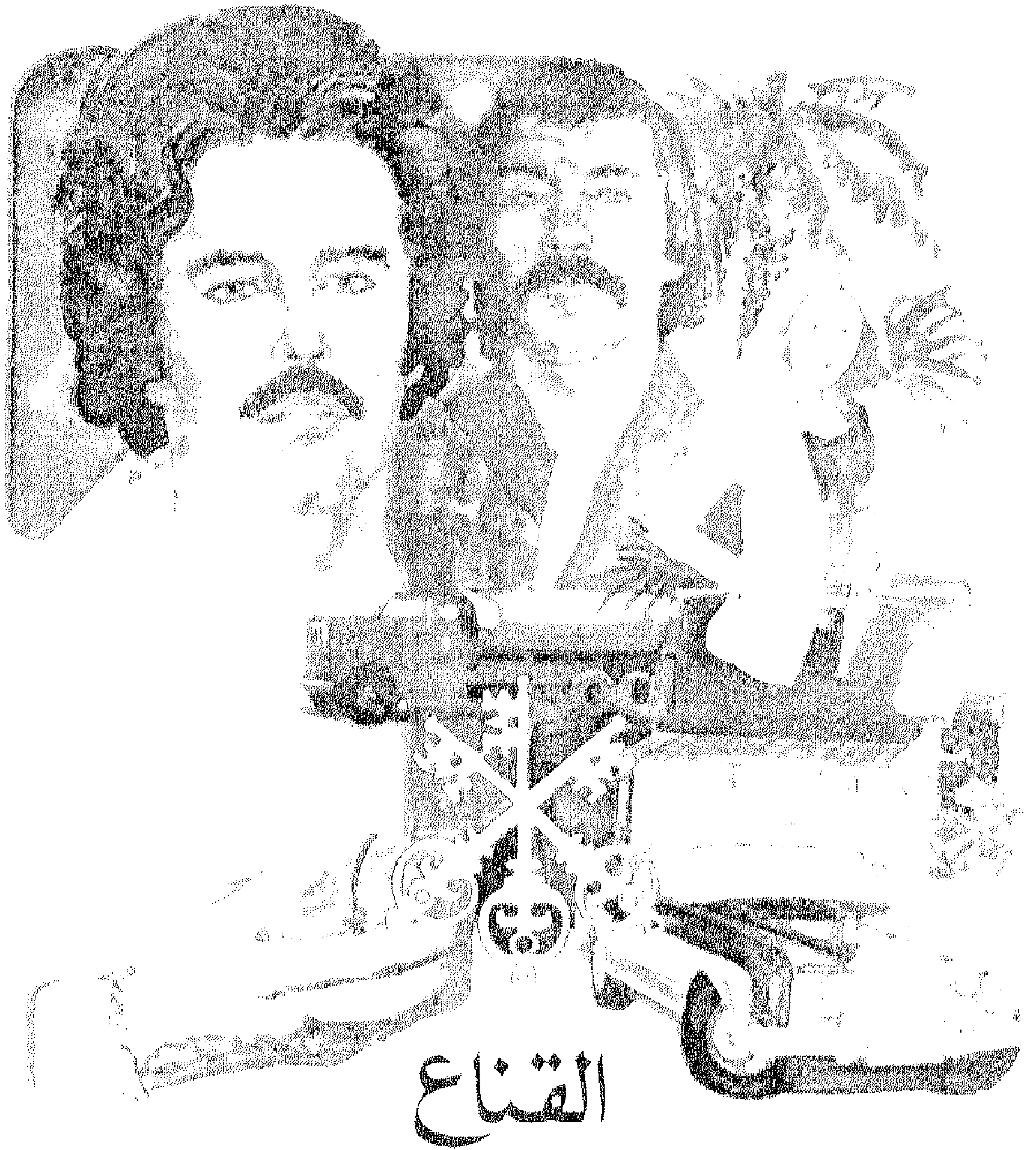
وداع قاض

اجاب القاضي وليم و. دوغلاس العضو السابق في محكمة العدل العليا في الولايات المتحدة على رسالة من زملائه القضاة المعبرين عن اسفهم لتقاعده، فقال: "انني اتذكر تلك الرحلات بزوارق "الكانو" الطويلة الخفيفة التي قمت بها طوال حياتي. فالذين يبدأون الرحلة على مزالق الأنهر قد يكونون غرباء بعضهم عن بعض في البداية، ولكنهم على وجه التقريب يصبحون اصدقاء حميمين في النهاية، بعد تغلبهم على الرياح العاتية وصمودهم للايام الماطرة وتحملهم للاعباء الثقيلة المنهكة. وانما كان هناك على الدوام مخيم مريح بين شجر القضبان وكانت هناك اناشيد المياه في الليل، وموسيقى الطيور.

واخيرا، كان لا بد من موعد مع النار نضرمها في المخيم الاخير، ومن طهي الافطار الاخر على مجمرة الليلة الاخيرة. وكان لا بد من ان تدق ساعة الفراق... وكانت دائما ساعة حزينة. وفي الحقيقة لم يكن هناك فراق لان الذكريات العالقة في الاذهان هي حصيلة الجهد المتناسق الموحد وضمير الساعات الجميلة اضافة الى الساعات القاتمة والخاوية.

واعظم رحلة كانت هي التي قمت بها معكم ايها الاخوة الذين كنتم غرباء عني في بدايتها وها انتم الآن اصدقاء يفيضون بدفء المودة في نهايتها.

(نيويورك تايمس)



القناع السويسري للإجرام المنظم

هذه قصة لم ترو من قبل: كيف استطاع
كوبي - امريكي من كبار المجرمين ان يخفي معالم
امواله في حسابات سرية في المصارف الاجنبية.

يحصد الاجرام المنظم في الولايات المتحدة الامريكية ارباحا طائلة غير مشروعة من تجارة المخدرات، والقمار والربا الفاحش والاحتيال・

وقد تبلغ قيمة هذه الارباح ما يقرب من ٦٠ الف مليون دولار سنويا، يهرَّب جانب كبير منها الى خارج البلاد ويُخفى في متاهة من الحسابات السرية في المصارف الاجنبية ومن الاستثمارات في ما وراء البحار، حيث كانت تلك الاموال ـ الى عهد قريب ـ في مأمن تام من اكتشافها او مصادرتها او فرض الضرائب عليها・

واذا تيسر تقفي آثار هذه الاموال وتدفقها الى مخابئها النهائية، اصبح من الممكن عندئذ اقامة صمامات احتجاز لقطع مسار هذه الشبكة التي تكفل الحياة للاجرام المنظم・ وعلى ذلك فقد تولت وكالات عدة ـ مثل مكتب التحقيقات الفديرالي ومصلحة الايرادات الداخلية وادارة مكافحة المخدرات - تشكيل فرق عمل متخصصة تضم شرطيين ومحاسبين ومحللي معلومات، فقضت هذه الفرق اشهرا حافلة بالمصاعب والعقبات وهي تحاول جمع الوثائق التي تتيح تعقب بعض هذه العمليات غير المشروعة・

وهنا نروي بالتسلسل قصة واحد من هذه التحقيقات المهمة・

كان اسمه البرتو سيسيليا ـ فالكون، لكن عمال الحدائق الذين يتولون تقليم الحشائش في تشابولتابيككانوا يدعونهمن- باب الاحترام ـ "دون البرتو"・ وقد اشاد قصره في الواجهة الصخرية من تل عال، يطل على بقية البيوت الفخمة في ذلك الحي الانيق الناضح بالثراء والمرتفع سامقا عن بقية الاحياء المرصوصة بالحصى الصلب والذي انشئت فوقه مدينة تيجوانا المكسيكية الواقعة على الحدود・ وكانت سيارة رائعة من طراز رولزرويس الفاخر تقف بارزة في الممر المؤدي الى المنزل・ وكانت هناك عربات المخيمات والبيوت المتنقلة على عجلات ـ وكلها تحمل لوحات ترخيص من ولاية كاليفورنيا الامريكية ـ في حركة مستديمة ذهابا وايابا طوال ساعات الليل・

وفي الساعة السادسة من مساء يوم ١٨ مايو (ايار) عام ١٩٧٣، كان البرتو سيسيليا فالكون قد انتهى لتوه من اجتماع طويل مع المسؤول عن حساباته (الذي يعيش في فيلا من طابق واحد داخل العزبة) وعدد من الامريكيين الذين تربطه بهم صلات العمل・ وبعد ان انصرف الجميع، اجتاز حجرة الجلوس الفاخرة، ووقف امام النوافذ الطويلة المزودة بالزجاج الواقي من الشمس، وهو يحدق في اتجاه الولايات المتحدة التي تقع على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال・ وكان رجلا نحيل القوام في الثامنة والعشرين من عمره يرتدي ملابس على احدث طراز ويخاله الناظر وكأنه فنان ناجح من فناني موسيقى الروك・ وقد قدم في عام ١٩٦١ الى مدينة ميامي لاجئا من كوبا، لا يملك شروى نقير، فعمل هناك مديرا لمحل زهور ثم كاتبا في مخزن للملابس ثم بدأ يدرس من الخارج للحصول على شهادة جامعية ويشتغل بعمل اضافي آخر، هو ايصال شحنات المخدرات لحساب منظمة اجرامية تتجر بالكوكايين والماريجوانا・ ولم يلبث ان تعلم هذه "المهنة" بسرعة・

وعندما وقع افراد المنظمة التي يعمل لحسابها في قبضة العدالة، سارع الى الحلول محلهم في التعامل مع مصادر توريد المخدرات وانتقل الى مدينة تيجوانا، واصبح بين ليلة وضحاها واحدا من أكبر تجار المخدرات في المكسيك.

وكان سيسيليا ومعاونوه قد انتهوا، في الاجتماع الذي انفض منذ حين في ذلك اليوم، من عرض نشاطهم خلال الشهر، فوجدوا انهم قد اتموا حتى نهاية مايو (ايار)، تصريف ٥٧ طنا من الماريجوانا في انحاء الولايات المتحدة سواء بالتوزيع على تجار الجملة او بالتخزين في كاليفورنيا تمهيدا للتسليم. وكان ذلك يعني جني ارباح تبلغ ٧ ملايين دولار تقريبا، تضاف اليها حصيلة أخرى من ارباح الاتجار بالكوكايين والهيرويين.

كان سيسيليا في الماضي يستثمر امواله في العقارات، حيث اشترى فيلات في اكابولكو ووادي الحجار، ومدينة مكسيكو وفي مدينة لاجولا في ولاية كاليفورنيا. اما القبو الحصين في قصره في مدينة تيجوانا فيندر ان يحتوي على اقل من ٥٠٠ ٠٠٠ دولار نقدا. وكانت له حسابات (معظمها بأسماء مستعارة) في سبعة مصارف مكسيكية على الاقل، فضلا عن حساب آخر في بنك باركليز في مدينة ناسو، عاصمة جزر البهاما، لكن براعة التحايل لا تكمن في مجرد اخفاء النقود، بل في استثمارها ايضا كي يتحقق منها اكبر عائد مستطاع.

ورأى سيسيليا ان يتخذ له قدوة من كبار زعماء الاجرام المنظم في الولايات المتحدة، فقرر ان يفتح سلسلة من الحسابات في مصارف سويسرا، حيث يصون القانون سرية الودائع، فضلا عن ان هذه المصارف تقدم خدمات استثمارية من افضل ما يمكن الحصول عليه في سائر العالم.

اكداس من المال – ومع حلول نهاية شهر مايو (ايار)، كانت ١٩ سيارة نقل من ذوات الخزانات الضخمة التي تظاهرت بأنها تعود الى الولايات المتحدة فارغة لتعاود شحن الاسفلت منها، قد سلمت ٥٧ طنا من الماريجوانا في كاليفورنيا. وكانت آخر سيارة منها تحمل ثلاثة اطنان من الماريجوانا، مضغوطة في قوالب رُصَّت داخل فراغات معزولة وراء عدد من الحواجز في مقدم خزان السيارة ومؤخره. وفي الساعة الثالثة من مساء يوم ٣١ مايو (ايار)، اجتازت السيارة الحدود عند سان ايزيدرو، ثم توقفت في المساء في مزرعة صغيرة على مشارف بلدة كورونا. ومع بزوغ الفجر، كانت قوالب الماريجوانا قد رُصَّت في مخزن مسقوف بالصفيح في المزرعة، وقد وقف ثلاثة من العملاء يريدون شراءها، بسعر ١٢٠ ٠٠٠ دولار للطن الواحد، تدفع نقدا ومقدما.

وفي مساء يوم ١٠ يونيو (حزيران)، سلمت النقود التي تجمعت على شكل اوراق مالية من فئات ٢٠ و٥٠ دولارا و١٠٠ دولار داخل عدد من حقائب السفر الى شقة صغيرة في مدينة سان دييغو في كاليفورنيا. وقضت امرأتان الليل تعملان بعناية لفرز الاوراق المالية في اكداس حسب فئاتها، ثم وضع مبلغ الثلاثمئة وستين الف دولار داخل صندوقين صغيرين اغلقا ووضعت عليهما الاختام.

وفي باكورة الصباح التالي، تسلم

رسول هذين الصندوقين ووضعهما في مؤخر سيارته· ونظرا الى ان جمارك الولايات المتحدة لا تتمتع الا بسلطة تفتيش محدودة في ما يتعلق بالمسافرين الخارجين من البلاد، فقلما تتعرض السيارات للتفتيش عندما تعبر الحدود لتدخل المكسيك· ولم يأزف عصر يوم ١١ يونيو (حزيران) حتى تم تهريب المال بأمان عبر الحدود وتسجيله بواسطة المسؤول عن حسابات سيسيليا·

وكانت هناك في طبيعة الحال بعض المصاريف التي يجب دفعها، منها ١٠٠٠ دولار لسائق سيارة الخزان و٣٠٠٠ دولار لصاحب المزرعة التي خزنت فيها المخدرات، اضافة الى عمولات مستحقة لشريك سيسيليا الرئيسي، وهو امريكي يدعى روجر فراي· وفي النهاية، بلغ نصيب سيسيليا من شحنة هذه السيارة الواحدة ٢٣٠٠٠٠ دولار·

النقود تتحرك ـ ظلت النقود في القبو المحصن اياما عدة، انضمت اليها خلال تلك الفترة مئات اخرى من آلاف الدولارات، فتأهب سيسيليا بعد ذلك لبدء الخطوة الاولى في عملية "اخفاء معالم" هذه الارباح· وكان عليه قبل كل شيء ان يبدل بهذه الاوراق المالية اوراقا مالية اخرى، لاحتمال ان تكون من بينها اوراق مميزة قد دسها موظفو مكافحة المخدرات الامريكيون لاقتفاء اثر الصفقات· ولم تكن هناك اي صعوبة في اجراء هذا التغيير، نظرا الى الرشاوى التي يدفعها سيسيليا لموظفي المصارف المحليين·

فحال ايداع النقود حساب سيسيليا في مصرف لونغوريا في مدينة تيجوانا تختلط هذه بودائع مئات العملاء الاخرين، ويغدو اقتفاء مسارها امرا مستحيلا·

وكانت الخطوة التالية اعتزام سيسيليا السفر جوا الى سويسرا في نهاية شهر يونيو (حزيران)، تصحبه اخته مرسيديس، وشريكه روجر فراي، وبوليت زوجة فراي، كي يفتح الاربعة حسابات في المصارف السويسرية·

وفي يوم ١٩ يونيو (حزيران) حضرت سيارة مصفحة الى مصرف لونغوريا في دورتها المنتظمة لجمع النقود السائلة والشيكات التي تنقل الى المؤسسات المالية في الولايات المتحدة، وحملت السيارة معها ـ ضمن ما حملت ـ الـ ٢٣٠٠٠٠ دولار التي سبق ان اودعها سيسيليا· وفي ساعة لاحقة من ذلك اليوم، اودعت هذه النقود الولايات المتحدة في مصرف تربطه بمصرف لونغوريا علاقة المراسلة· ولم يلبث المبلغ ان نقل من المصرف الامريكي فورا ـ بمجرد لمسة على مفاتيح الآلة المبرقة الكاتبة ـ الى بنك باركليز في ناسو في جزر البهاما·

وهناك قانون في الولايات المتحدة يُلزم جميع المصارف بتسجيل التحركات الدولية للاموال· ويسمى هذا القانون "قانون سرية المصارف للعام ١٩٧٠"، وهو يستهدف اعضاء المنظمات والهيئات الذين يحاولون اخفاء ارباحهم في حسابات سرية في المصارف الاجنبية· ويلزم هذا القانون كذلك كل مسافر او رسول ينقل اكثر من ٥٠٠٠ دولار من النقود السائلة عبر حدود الولايات المتحدة بأن يودع تقريرا بذلك لدى سلطات الجمارك· غير ان عمليات تحويل الاموال دوليا من خلال القنوات المصرفية العادية لا

تخضع لهذا الالتزام. ولذا فان عملية تحويل اموال سيسيليا لم تسجل في اي تقرير لدى الجمارك الامريكية. وبعد اتمام العملية، اصبح رصيد سيسيليا في حسابه في ناسو يزيد على مليون دولار، كلها سليمة، لم تقدم عنها اي تقارير ولم يكتشفها احد.

سحرة زوريخ – وفي يوم ٢٨ يونيو (حزيران)، سافر سيسيليا جوا الى زوريخ، حيث اختار التعامل مع المؤسسة المصرفية السويسرية الشهيرة، وهي واحد من ثلاثة مصارف سويسرية كبرى وتتمتع بسمعة محترمة كبيرة في انحاء العالم منذ اكثر من مئة سنة. وقد درجت جميع المؤسسات المالية السويسرية، ومنها هذه المؤسسة، على حصر معرفة شخصية العميل في عدد محدود من كبار موظفيها فقط الى جانب موظف المصرف الذي يتعامل معه مباشرة.

وعرف سيسيليا عن نفسه بانه "رجل اعمال" له مصالح عقارية واسعة النطاق ويعيش في ميامي في ولاية فلوريدا، وقدم جواز سفر كوبيا صادرا ظاهريا في هافانا في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢. ولم تكن لدى موظف المصرف اي وسيلة يعرف منها ان هذا الجواز مزور، اذ هو في الحقيقة واحد من جوازات عدة يحملها سيسيليا بأسماء مختلفة ليستخدمها في اغراض متنوعة كلها غير مشروعة.

واعرب سيسيليا عن رغبته في اخفاء اسمه وفي ان يتمتع حسابه بالسيولة الكاملة تمكينا له من الحصول على المال فورا لدى طلبه. واقترح عليه موظف المصرف ان يشتري "شهادات ايداع" تضمن لحاملها فوائد مقدارها تسعة في المئة، و"سندات اوروبية" لشركات مختلفة، تشرى من الاسواق المالية في زوريخ او فرنكفورت او امستردام ويمكن بيعها في اي وقت، وكلا الشهادات والسندات لا تحمل غير اسم المؤسسة السويسرية، فتتيح للعميل اجراء الاستثمار من دون الاضطرار الى ذكر اسمه.

واشرق وجه سيسيليا وقال: "يمكنك ان تتوقع اول دفعة ايداع يوم ٣ يوليو (تموز)، وستتلقى حينئذ ثمانمئة الف دولار من بنك باركليز في ناسو، وبعد عشرة ايام تقريبا ستصلك اوامر صرف بمبلغ ١،٥ مليون دولار من مصرفي في المكسيك".

وفي ٣٠ يونيو (حزيران)، ركب سيسيليا الطائرة عائدا الى المكسيك، وظل بعدئذ على اتصال دائم بموظف المصرف السويسري. وعلى مدى عامين، نقل سيسيليا ٦٠ مليون دولار بين الولايات المتحدة والمكسيك وسويسرا، وفتح في الوقت نفسه حسابات اخرى، من بينها حسابات تهرّب في اسبانيا وفرنسا وبناما، ليستطيع ان ينقل اليها امواله كلها في يوم واحد اذا احس بالخطر.

صدع في الدرع – وبلغت عمليات منظمة سيسيليا داخل الولايات المتحدة حدا من الضخامة جعل الاشعار بحسابات التهرب امرا لا يلفت. وكانت هناك في الواقع مجموعة تسمى "جماعة الاثني عشر المركزية التكتيكية" تقيم في سان دييغو، وهي فريق عمل فريد في نوعه من موظفي ادارة مكافحة المخدرات منهمك منذ حين في تجميع الادلة والقرائن في صبر ودأب، حتى توافر له من المؤشرات ما يكفي لان

يربط بين سيسيليا ومعاونيه وشحنات سيارات الخزانات الناقلة للماريجوانا، اضافة الى كثير من صفقات الكوكايين الكبيرة ايضا · وفي يوليو (تموز) ١٩٧٥، اصدرت هيئة من كبار المحلفين الفيدراليين قرارات سرية بادانة سيسيليا وروجر فراي و٤٢ من شركائهما الاخرين في المكسيك والولايات المتحدة على السواء·

لكن ادانة سيسيليا شيء واختراق الحماية التي يتمتع بها في المكسيك للقبض عليه شيء آخر· وقد ظل اعضاء "جماعة الاثني عشر" اسابيع عدة يبحثون عن وسيلة لذلك حتى وجدوها في اتفاق حديث العهد مع المكسيك، ينص على الاشتراك في اعتقال تجار المخدرات الدوليين وفي مقاضاتهم·

وطلب موظفو مكافحة المخدرات من السلطات المكسيكية ان تقبض على سيسيليا · وسنحت الفرصة لذلك عندما كان سيسيليا في الفيلا التي يملكها في مدينة مكسيكو، بعيدا عن الحماية التي يسبغها عليه موظفو مدينة تيجوانا· وفي الساعة العاشرة من مساء يوم ٢ يوليو (تموز) ١٩٧٥، اقتحم رجال الشرطة المدججون بالسلاح الثقيل الفيلا وقبضوا على سيسيليا حيث وجدوه يحتفظ بمسدس اوتوماتيكي من عيار ٤٥، مخبأ في سريره، ولكنه استسلم من دون مقاومة·

وصادر رجال الشرطة من الفيلا كدسة ضخمة من الوثائق المصرفية والشيكات وارصدة الحسابات واجهوا بها سيسيليا واستمروا يستجوبونه بتركيز شديد طوال اربعة ايام، فاضطر في النهاية الى الاعتراف (★)·

وكانت المبالغ المدرجة في كشوف حسابات المصارف بالغة الضخامة، فقد ثبت منها ان سيسيليا وكبار معاونيه الاربعة يربحون من بيع المخدرات في الولايات المتحدة ٣،٥ ملايين دولار كل اسبوع· وبلغت الرشاوى التي يدفعها ما لا يقل عن ١٦ مليون دولار في العام الواحد، ووصل عدد حساباته المفتوحة في المصارف الاجنبية الى ٢٠ حسابا·

وبعد فحص الوثائق، تمكن موظفو التحليل والاختصاصيون في ادارة مكافحة المخدرات ـ للمرة الاولى ـ من تكوين صورة واضحة للطريقة التي تتبعها الشبكات الكبيرة لترويج المخدرات والتصرف بارباحها وتمويل عملياتها· وكانت تلك خطوة تقدم كبرى·

الضربة القاضية ـ وعلى رغم الوثائق المكسيكية، فقد بقيت هناك ثغرات واسعة ابرزها التحقيق· ذلك ان "تعقب الاوراق" الذي قام به محللو "جماعة الاثني عشر" قد اوصلهم الى "الباب الامامي" للعمليات، فبقي عليهم اكتشاف "الباب الخلفي" الذي لم يره احد· وهناك اسئلة كثيرة تتعذر الاجابات عنها الا في سويسرا· ولكن هل يقبل الموظفون السويسريون ان يتعاونوا؟

في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٦، وجه محامو وزارة العدل الامريكية طلبا رسميا الى السلطات السويسرية يطلبون معونتها، وارفقوا بالطلب مقتطفات من القوانين الامريكية الخاصة بالمخدرات وصورا من عرائض

(★) قضى سيسيليا حتى الآن ثلاث سنوات في احد السجون الفدرالية في مدينة مكسيكو، لكنه لا يزال يقدم تظلمات قضائية ضد اعتقاله·

الاتهام ضد سيسيليا وفراي واثباتات لاستمداد ارباحهما من المخدرات. وسرعان ما قرر المسؤولون في برن ان الرجلين قد خرقا المادة ١٩ من القانون السويسري، التي تنص على ان المتجرين بالمخدرات، حتى خارج سويسرا، يرتكبون جناية في عرف القانون السويسري، ومن ثم يفقدون حق الحماية التي تكفلها القوانين الصارمة الخاصة بسرية المعاملات المصرفية. وفي شهر يوليو (تموز) ارسلت الشرطة السويسرية الجداول المتعلقة بثلاثة عشر حسابا سويسريا مختلفا لسيسيليا واعوانه.

ومن سوء الحظ انه عندما صدر الامر القضائي بمصادرة الاموال المودعة مختلف الحسابات لم تجد السلطات الا ٢٠٥ ٠٠٠ دولار باقية فيها، لأن بقية الاموال كانت قد حولت الى بلاد اخرى. فقد استخدمت بوليت فراي واقارب سيسيليا التفويضات الرسمية التي لديهم كي يقفلوا الحسابات او يسحبوا منها مبالغ ضخمة.

وعلى رغم هذا، فقد تلقت منظمة سيسيليا ضربة قاضية. ومثال ذلك ان روجر فراي الذي كان يدعي انه بريء من جميع التهم المنسوبة اليه، قد شحب وجهه واوشك ان ينهار حين علم ان النيابة الفديرالية قد حصلت على جداول الحسابات السويسرية. ولما كانت ادانته في حال ادعائه البراءة تعني الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، فقد عدل على الفور عن هذا الادعاء وحكم عليه بالسجن عشر سنين في اصلاحية فديرالية.

وفي الوقت نفسه، اصبحت في حوزة رجال القانون - بفضل وثائق سيسيليا - المعلومات اللازمة التي يمكنهم الاستناد اليها في توجيه تحقيقاتهم في الحاضر والمستقبل لكشف الاساليب التي يلجأ اليها تجار المخدرات لاخفاء ارباحهم، فاتجهوا الآن الى اقامة حواجز او صمامات تعترض تسرب هذه المبالغ الطائلة الى الخارج، فزال بذلك اطمئنان المجرمين الى ان مكاسبهم غير المشروعة تصبح في مأمن من الاكتشاف لمجرد انها تودع حسابا مرقوما غفلا من الاسم في احد المصارف السويسرية.

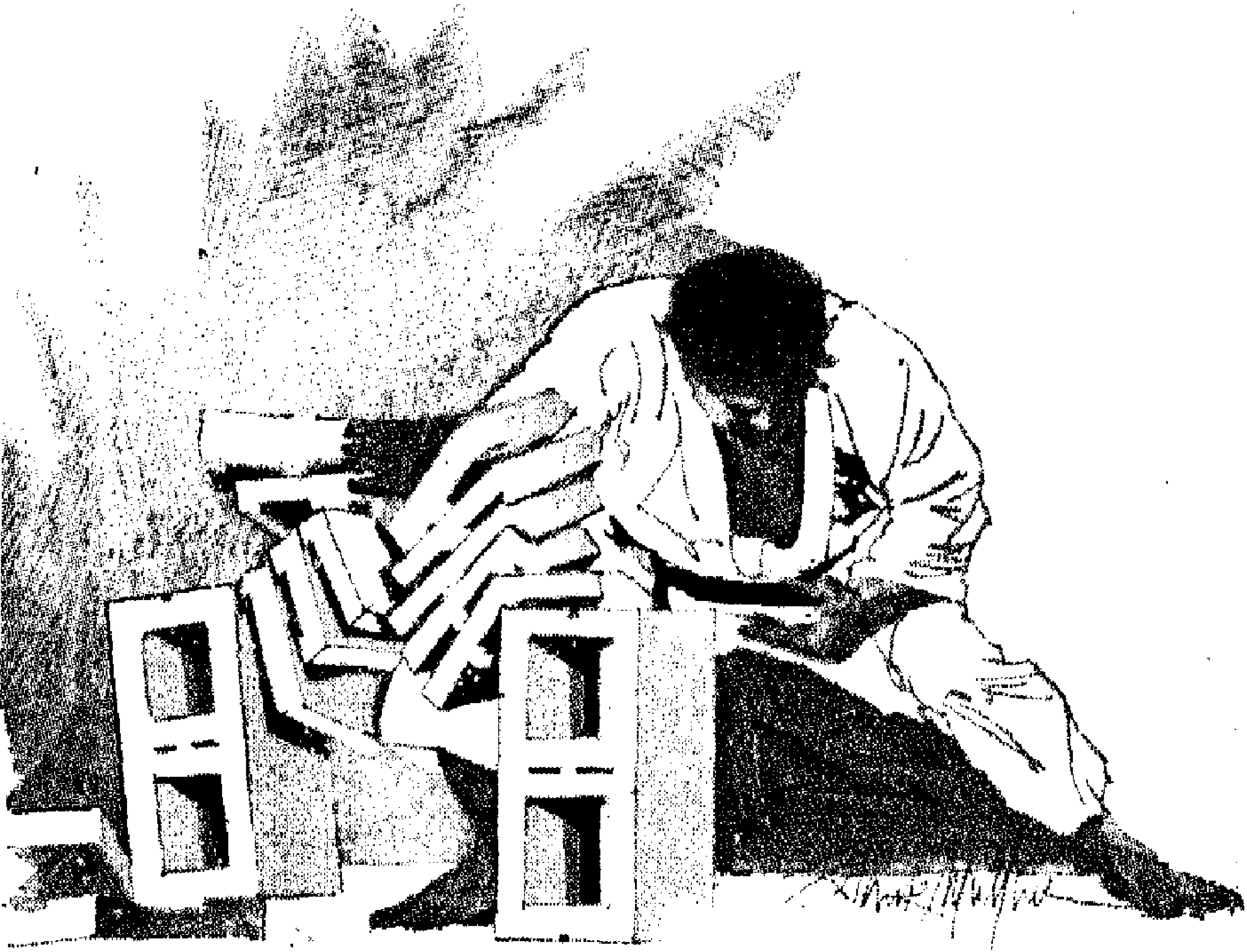
■ ناتان ادامز

درس في البخل

كان اللورد تومسون ملك الصحافة وصاحب جريدة "التايمس" اللندنية كنديا بخيلا منقبض الكف. وذات يوم كان ذاهبا في سيارته الى مكتبه بصحبة ابنه كن الرئيس المشارك لمجموعة عالمية تقدر بستمئة مليون دولار، وحينما فتح كن جريدته الصباحية، سأله تومسون: "ما هذا؟".

- هذه التايمس
- ومن اين اخذتها؟
- من الدكان عند زاوية الشارع.

فقال اللورد: "حسنا يا كن، خذ الجريدة حالا واعدها الى البائع ودع غيرك يشتريها. ففي استطاعتك ان تأخذ جريدتي بعد ان انتهي من قراءتها".



الكاراتيه
سلاح اليـد المجـرّدة

الكاراتيه فن قديم يستعين به الناس في ارجاء العالم صونا لسلامتهم الجسدية وتلطيفا لمتاعبهم الفكرية وتوافرا لصد اي اعتداء حتى من اشد المهاجمين شراسة ·

خرجت امرأة شابة من حجرة ادراج الملابس وكانت ترتدي ثوبا قطنيا ابيض فضفاضا من قطعتين ينسدل حتى يكاد يلامس قدميها الحافيتين· وما ان انضمت الى مجموعة من الذكور والاناث حتى انحنت باجلال امام "السيد المعلم" الشاب المتجهم الوجه واخذت تصغي الى تعاليمه الفنية المتدفقة كالسيل بنبراته المقتضبة من دون اي انقطاع طوال بضع ساعات·

لكنها ، على رغم عزمها الاكيد على الاستفادة والممارسة، فانها قلما تحظى من معلمها باكثر من تقطيب الجبين· اما الاخرون في صفها ممن يظنون انهم احرزوا تحسنا ملحوظا في تدربهم، فلا يفوزون من المعلم الا بشيء من عدم الاكتراث· ومع ذلك فالامر الوحيد الذي كانوا يشكون منه هو التوقف عن مواصلة تمارين الكاراتيه في مثل هذه السرعة· وتعتبر هذه التمارين فنا رائعا في

CONDENSED FROM THE AMERICAN LEGION MAGAZINE

الدفاع عن النفس يمكن صاحبه، وان يكن فتاة لا يزيد وزنها على اربعين كيلوغراما، من مواجهة الخصم المهاجم واخضاعه مهما اشتدت قوته.

ظلت الكاراتيه (ولفظها السليم هو كاه - راه - تي) طوال ١٥ قرنا سرا دفينا حرص الشرق على كتمانه. لكنها اصبحت الآن في متناول الانسان العادي، وراج الاقبال عليها في شتى الاقطار باعتبارها مزيجا من الاستجمام والتمرين والدفاع عن النفس.

والحق ان لقطة الكاراتيه تفوق الى حد كبير مجرد الضربة القوية الخاطفة باليد المنبسطة كما تبدو للعين العادية غير المدربة، وان لها قوة تضاهي حصيلة اكثر من ٥٠ اسلوبا تقنيا اساسيا من اساليب احباط الحيل المعروفة التي يستخدمها الخصم المهاجم، كما انها تيسر القيام بهجوم معاكس مذهل. وليس في الكاراتيه مجال لاي حركة تذهب سدى، بل هي خطة محكمة بداية من اول صيحة تضطرب لها اعصاب المهاجم، الى التلويح بالاكف المشدودة وقد انفجرت اصابعها لتحجب رؤية المعتدي.

المرأة المدوخة - و"الكاراتيكا" - كما يسمى المتمرس الحاذق في فن الكاراتيه- لا يحاول مطلقا ان يتفوق على خصمه بقوة العضلات، بل يعتمد في دفاعه الحركات السريعة والمتسقة التي تجعل المعتدي عرضة للسقوط. ومثال ذلك ان يسدد المهاجم لكماته الى رأس امرأة فتعمد هذه مع انحناء طفيف في الركبتين، الى دفع رأسها الى الوراء بما يكفي لاندفاع قبضة الرجل بضعة سنتيمترات عن الهدف الذي سددت اللكمة اليه، فتغدو قرابة ٨٠ في المئة من وزن الرجل ماثلة الى الامام. وعندئذ تصوب المرأة ضربة خفيفة من قدمها الى عضلة معينة في كاحله تفقده توازنه فيهوي ارضا بفعل الجاذبية التي تنخع رجليه من تحته. ولابقائه منطرحا تستطيع المرأة ان تضرب بحد يدها كالسكين موضعا من عنقه، فيتوقف تسرب الدم الى رأسه موقتا مما يدوخه الى حين.

وفي جسم الانسان اكثر من ٤٠ مركزا حساسا من هذه "المراكز الحيوية". وفي امكان المرأة ان توجه، مثلا، ضربة الى عضلة معينة تفقد الرجل سيطرته على اي من اطرافه لبضع ثوان. اما اذا وجهت الضربة الى بعض الاعصاب فيصاب الرجل بشلل موقت. وكل من خبر ذلك الاحساس بالخدر في مرفقه من جراء ارتطام عصب الزند او ما يعرف بـ"العظمة الغريبة"، يدرك مدى ما تحدثه مثل هذه الاصابات. حتى ان واحدا من لصوص الشوارع الذين يحاولون خنق ضحيتهم بغية سلبها قد صاح شاكيا، بعد تحوله الى ضحية مترنحة من جراء الكاراتيه، ان "ليس هذا دفاعا عن النفس، بل انه مكمن!"

ان فن الكاراتيه يقتضي اعدادا طويلا وتدريبا منتظما يشمل الجسم كله. ويقوم س. هنري تشو من حملة "الحزام الاسود"، وهو رئيس اتحاد الكاراتيه، باعطاء دورات يومية في مدرسته في نيويورك حيث يقضي المبتدئون اوقاتا مجهدة خلال الاشهر الثلاثة الاولى في مط اجسامهم

والقرفصةو الجلوس باستقامةوالدوران حول انفهسم والقفز في الهواء وتعلم بعض قواعد الكاراتيه الاساسية. ويتمكن بعض التلاميذ، بشق النفس، من ان يرفسوا المهاجم بارجلهم حتى مستوى الخصر. لكن عليهم عاجلا ام آجلا ان يرفسوه الى علو يوازي ذقن من امامهم والى علو مماثل من الخلف.

الرجال اللائقون - اما التدريب الذهني الذي يرافق تعلم الكاراتيه في المدارس المحافظة على فلسفة الفنون الشرقية فلا يقل قوة عن التدريب الجسدي. وتشدد هذه الفلسفة على عدم استخدام اساليب الكاراتيه الا في حال الدفاع عن النفس.ولهذا نرى التلميذ المبتدىء يجثو على ركبته في مستهل درسه ويسترسل في التأمل مدة عشر دقائق من كل ساعة تطهيرا للذهن وتصفية للنفس. اما الطالب المتقدم فيسترسل فترة اطول بحيث تبلغ نسبة الوقت الذي يقضيه في سكون التأمل ٣٠ في المئة من مجمل اوقاته. وقد يستغرق تعلم قواعد الكاراتيه الاساسية فترة تصل الى ثمانية اشهر بينما يستغرق التفوق فيها مدة ثلاث سنوات. ولا يستبعد ان ينضم الى الصفوف احيانا طالب مستأسد في تصرفاته الا انه لا يلبث ان ينقطع عن الحضور لتعذر تقيده عادة بالانظمة الدقيقة. اما اذا تابع دروسه واتقنها فسيفقد حتما الروح العدوانية كما يؤكد الخبراء. ويقول س. هنري تشو في هذا الصدد: "ان المستأسدين يتحولون، بفضل الكاراتيه، الى رجال لائقي التصرف".

لاحزمة الكاراتيه الوان ترمز الى درجة كفاية الممارس. وللكفاية ثماني درجات تبدأ باللون الابيض وتنتهي بالاسود الذي يمنح للفائز في امتحان خاص امام لجنة من ذوي الاحزمة السود. وللفائز الشرعي عبرة في قول اللجنة له: "لقد بلغت الآن سن الرشد في الكاراتيه، ففي تقاليد الكاراتيه عشر درجات لبلوغ مرتبة الحزام الاسود، على ان قلة من الابطال المتفوقين تتجاوز الدرجة الثامنة.

ان يدي صاحب الحزام الاسود تبلغان حدا من القوة تستطيعان معه كسر الواح الخشب والاجر وحتى قوالب الجليد. لكن صاحب الحزام الاسود الذي يحترم مسؤولياته ويراعي انظمة الكاراتيه لا يصارع احدا ما لم يضمد يديه وقدميه بلبدات من الاسفنج المطاط. وتتضح اهمية هذه المراعاة بملاحظة ما جرى في اليابان حين نزل الى حلبة المصارعة "كاراتيكا" اعزل فصارع ٥٢ ثورا واحدا بعد الآخر مستخدما يديه بدلا من حد السيف، فقتل ثلاثة ثيران وكسر قرون ٤٩ ثورا آخر.

منذ القرن السادس - بدأت اساليب الكاراتيه التي تنطوي على امكان الاهلاك كتمارين سلمية في حدود عام ٥٢٠ للميلاد حين ارتحل ناسك هندي يدعى بوديدارما الى الصين حيث اسس طائفة "زن" للبوذيين. وراح يعلم الرهبان هناك كيف يهذبون العقل ويدربون الجسم بتمارين شاقة جمعت بين التنفس والتأمل واستخدام قبضة اليد كأداة قاطعة على غرار ما يفعل المقاتلون الهنود. وعلمهم ايضا ملاكمة الظل الصينية. واطلق على هذه

التمارين في ما بعد اسم "كونغ فو"، وقد تضمنت ايضا وسائل للدفاع عن النفس ضد هجمات العصابات. وبانتشار "زن" في ارجاء الصين علمت مبادىء الـ"كونغ فو" لاتباع موثوق بهم اقسموا اليمين على كتم اسرارها. وقد انكشف مدى نموها السري ابان التمرد على الاجانب في الصين عام ١٩٠٠ حين احاطت بالقنصليات المزودة بالحراس، اعداد كبيرة من الرجال غير المسلحين وقد شهروا اكفهم في اوضاع الـ"كونغ فو" حتى اطلق الغربيون على ذلك التمرد اسم "ثورة الملاكمين".

ان اسلوب الكاراتيه المتبع حاليا ظهر عام ١٦٠٩ حين غزت اليابان جزيرة اوكيناوا في المحيط الهادىء فاستولت على كل انواع السلاح الموجودة هناك. وفي مقابل ذلك كشف المتمرسون من اهالي الجزيرة كيف يقوى سلاح اليد (تي) المجردة (كارا) على صد الرماح وشل المحاربين. وما الدروع المنبعجة والسيوف الملتوية في متاحف اوكيناوا الا شواهد على مدى فعالية الكاراتيه.

لقد توارث الناس في ما مضى مبادىء الكاراتيه، اذ كان الآباء وحدهم يتولون تعليمها للبنين. وكان المتمرسون فيها ينكرون اي معرفة بها حتى امام جيرانهم. الى ان كان العام ١٩١٥ حين عرض احد "الكاراتيكا" من ابناء اوكيناوا، واسمه غيشين فوناكوشي، بعض اساليب الكاراتيه على البر الياباني. واستمر الحرص على تأمين السرية التقليدية لهذه الرياضة في كل مكان بحيث تعذر العثور على اي تفاصيل عن الكاراتيه حتى في اعظم المراجع شمولا.

لكن بعض الافراد في الجيش الامريكي استطاعوا تعلم بعض اساليب الكاراتيه بفضل صداقاتهم مع "الكاراتيكا" في اليابان واوكيناوا وكوريا والهند الصينية. ولما شاهد عدد من الخبراء في الستينات العروض البارعة في الكاراتيه التي قدمها الجنود الامريكيون السابقون، بدأوا يخففون من حدة صرامتهم التقليدية وراحوا يعلمون الكاراتيه "الخالصة" لكل راغب فيها. وسرعان ما انتشر هذا الفن عبر القارات مما حمل عددا من المهتمين بهذا الفن على التفكير في ادراجه ضمن الالعاب الاولمبية. وسبق لاحدى واربعين دولة ان اشتركت بابطال من ذوي الاحزمة السود في مهرجان عالمي للكاراتيه.

الجدية ضرورية - ومع ذلك، فلا تزال الطريق المؤدية الى البطولات العالمية في الكاراتيه طويلة، خصوصا لان المبتدئين يعرضون انفسهم للمجازفة، مما حدا البلدان العريقة في تقاليد الكاراتيه على قصر مهمة التعليم على حملة الاحزمة السود المتقدمين. لكن الدول الاخرى تسمح لاي شخص بان يفتح مدرسة لتعليم الـ"كونغ فو" او الكاراتيه. اما اذا كنت تفكر في الانضمام الى صف من صفوف الكاراتيه، فاحذر المدارس التي تبالغ في اعلاناتها وتغالي في وعودها بكسر الواح الخشب او تلك التي تصر على ابرام عقود طويلة الامد تضمن في الظاهر حصولك على حزام اسود. ويوصي المعلمون

المعروفون ببراعتهم وحسن تصرفهم الراغب في تعليم هذا الفن بان يختار الراغب مدرسة تتقاضى اقساطا عن بعض حصص، في البداية، او يعلق هـذا الاختـيـار علـى حضـور درس والاطلاع على طريقة التعليم· وتجنبا لاحتمالات التأذي، اختر مدرسة يتبع مدرسوها تقاليد اللاعنف الشرقية· فهؤلاء لا يسمحون لاي طالب بان يوجه ضربات الى اي شخص قبل ان يكتمل اعداده، بينما تسمح المدارس التي تفتقر الى الرقابة اللائقة بان يكيل الطلاب ما يحلو لهم من ضربات تسفر عن اذى لانفسهم وللآخرين·

اما اذا تعلم المرء هـذا الـفـن واحترم انظمته، فان الكاراتيه تصبح عندئـذ بمثابـة تماريـن للاسترخـاء تخفف من توتر الاعصاب ومن الوزن معا· ومعظـم الذيـن يتعلمونـهـا لا يجـدون انفسهـم مـرغمـيـن علـى استخدامها للدفاع عن النفس، بل يشعرون بثقة مستديمة تخفف عنهـم كثيرا من مخاوف الوقوع في شرك المعتدين عليهم·

ونذكر، على سبيل المثال، ان هناك تاجرا قصير القامة، ضامر الجسم، يرتدي حزامه الاسود كلما تنقل بحكم اعماله في انحاء معروفة بعنفها وجرائمها· وقد خطرت له فكرة ارتداء الحزام للمرة الاولى عندما هدده لص ضخم البنية من لصوص الشوارع· وما كان من هذا التاجر الا ان فك ازرار سترته حتى بان من تحتها حزامه الاسود، فلاذ اللص بالفرار على رغم جبروته· لكن التاجر صادف في مرة ثانية مجرما لم يأبه لرؤية الحزام الاسود بل ظل يدفع بالتاجر صوب سيارة للشحن واقفة هناك· ومع ان التاجر كان واثقا من قدرته على دحر المجرم، الا انه تصرف على غرار عدد كبير من الـ"كاراتيكـا" فخـادع المجـرم فـي حركاته وفر من وجهه··· وصرح التاجر في وقت لاحق: "لقد هربت بشرف"، واضـاف وهـو يرفـع يـده: "كيف يجـوز لـي ان استـخـدم هـذا السلاح الماضي في وجه رجل اعزل؟"

■ بل سيرفاس



وافقت شركة لويدز للتأمين في لندن على التأمين على حياة رجل ضد خطر الموت بالطريقة التي مات بها الشاعر اليوناني القديم "اسخيلوس"، وهي واثقة من انها لن تضطر ابدا الى دفع قيمة التأمين· ونحن نذكر ان اسخيلوس قد مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة افلتت من منقار نسر كان طائرا بها·

رويتر

حل هندي

اصطفت في الهند جماعتان متنازعتان من السيخ تجاه بعضهما البعض، وقد جرد افرادهما سيوفهم كي ينهوا النزاع بالقتال· غير ان اختصاصيا اجتماعيا تدخل ونجح في اقناعهم بتسوية الخلاف سلميا· لكن شرف السيخ كان يقتضي ان يراق على جوانبه الدم، فاتصل الاختصاصي الاجتماعي ببنك الدم الذي تبرع له كل فرد من الحاضرين بنصف ليتر من دمه

هيندوستان - تايمس" - دلهي

أفضّل أن اكون أبـاً

ربما ضاقت النساء بنظرة المجتمع اليهن باعتبارهن ربات بيوت وغاسلات لاقمطة الاطفال. والحق انني ضقت بنظرة المجتمع الي باعتباري رب عائلة يتكسب رزق اسرته.

ان وظيفتي بعيدة كل البعد عن الملل وانا مولع بها حقا. كما انني اكسب منها ما يزيد على حاجتي. ولكني مهتم بتنشئة اطفالي اكثر من اهتمامي برواج اعمالي.

انني، في اختصار، افضل ان اكون أباً.

ولست اعتقد ان هذه الرغبة تضعني في مصاف الرواد الاوائل لجيل جديد من الرجال. غير انها، في الوقت نفسه، لا تعني انني اعاني اي نوع من الشذوذ.

وقد تحدثت كثيرا مع اصدقائي في هذا الموضوع. فبعضهم يبدي رأيه بصراحة، في حين يكتفي البعض الآخر بالتلميح. لكن المضمون واحد، وهو ان العمل ليس مهما في ذاته. فنحن نعمل لكي نحصل على رواتبنا وهذا هو المهم. ولو كانت لدينا وسيلة اخرى لتحقيق هذا الغرض من دون الاهتمام الى هذا الحد بعملنا للجأنا اليه.

بيد ان ثمة اتجاها متزايدا بين الرجال - هو اشبه بالمقاومة السرية - الى الاعتراف بانهم يتمنون تكريس انفسهم للابوة، بالتفاني نفسه الذي يعد طبيعيا في حال الامومة. فهم يريدون ان يكونوا طبيعيين، لا عاديين.

وقد افهمني عدّاء للمسافات الطويلة الفرق بين الاثنين، اذ قال لي ان من الطبيعي ان يتحمل الجسم البشري العدو لمسافة تراوح بين ١٥ و٢٥ كيلومترا. اما كون معظم الرجال لا يستطيعون العدو اكثر من بضع مئات من الامتار من دون ان تتقطع انفاسهم فذلك امر عادي. فالمعتاد ليس مقياسا.

واعتقد انني قد بدأت احس بما هو طبيعي بالنسبة الي. ومن المؤكد ان ما ابتغيه ليس ان اشارك اطفالي الى حد اكبر في حياتهم ومسراتهم، بل ان تصبح حياتي مكرسة تكريسا اكبر لهم. فهذا يتيح لهم ان يعرفوا كل ما يريدون معرفته عني وعن عملي وعن معاملتي للآخرين وعن طريقة قيامي بتخطيط المشروعات وتنفيذها ومقاومتي الازمات والتغلب عليها.

واني اريد ان تتاح لهم المشاركة في اتخاذ القرارات التي تتناولهم، وحتى في بعض القرارات التي لا تعنيهم هم انفسهم، لانني اقدر آراءهم. اريد مثلا ان احدثهم بصراحة عن اسباب التوترات العائلية، واتبادل واياهم الرأي في اسلوب حياتنا معا.

ومن الطبيعي ايضا بالنسبة الي ان اتمنى مشاهدة اولادي وهم يؤدون مسرحياتهم، سواء المسرحيات المدرسية او الحفلات الموسيقية، او اذا كانوا يتفرجون على حيل الساحر او يستمعون الى عزف على البيانو. وانني على استعداد تام لتغيير مواعيد اسفاري ومقابلاتي واجتماعاتي من اجل ذلك. وهذا قد لا يكون معتادا بالنسبة الى الآخرين لكنه طبيعي تماما بالنسبة الي.

انني لا استطيع تجاوز كل الحدود المعتادة. لكني احاول الاسترشاد بما هو معتاد لكي احقق ما انشده، على امل ان يحذو حذوي اقراني الرجال الذين يعتبرون عاديين لا طبيعيين. ولكن انى لي ان اتخلص من كل تلك الرواسب العادية لكي تتكشف ميولي الطبيعية؟

انني اتساءل: ما هو الانجاز الذي حققته في حياتي والذي يعتبر اهم من ابوتي لثلاثة كائنات من البشر؟ ثلاثة لم يكن لهم وجود من قبلي ثم خرجوا الى الحياة في كنفي واخذوا يكسرون ويجبرون ويحبون ويضحكون ويرتكبون الحماقات ويحوكون انسجة من السحر. وسينجبون بدورهم اطفالا لهم ويتهللون ويحزنون.

هذا هو المهم. وانا اعرف ذلك، وقد عقدت العزم على ان افي هذه الابوة حقها. ولكم اتمنى ان اجد بعض العون، وان نعاون نحن الرجال بعضنا بعضا في بقائنا طبيعيين.

اما آن الاوان لكي يقوم احدنا ويعلن انه لا يكفي ان نظل ارباب اسر يكدون لكسب رزق عيالهم؟ ولماذا لا ندعم والدا يطالب باجازة من عمله لكي يرافق ابنه في رحلة مدرسية، او في زيارة متحف او مصنع او مزرعة؟ وما بالنا لا نهنىء الأب الذي يضحي بفرصة في الترقي، فيأبى العودة الى منزله كل مساء وفي يديه حقيبة ملأى بالاوراق، ويمتنع عن ارهاق نفسه بكثرة العمل لكي يكرس بعض الوقت لابنائه.

■ **اليوت أ. دالي**

كان الابن يلوم آباه على مآخذ جيل الاب، ويقول ان شباب اليوم لديهم: "مثل عليا افضل، وكل شيء افضل مما كان لدى الجيل السابق".

فهز الاب رأسه بحكمة واثنى على كلامه قائلا: "ولديهم ايضا ـ خصوصا ـ آباء افضل".

كان روبير شومان، احد بناة الوحدة الاوروبية، رجلا اعزب باختياره ومصمما على ذلك. وقال في هذا الصدد: "بعد ان وزنت جميع الاعتبارات، وجدتني لا ازال افضل السياسة على الزواج. فالسياسة متقلبة مثل المرأة، لكنها اقل غيرة".

م. وا. ج.



الى حماتي الروسيّة مع... محبّتي

كانت حياة سيرافيما غفريلوفنا تظللها سحب الكآبة والأسى. اما الآن وهي تعيش في كنف اسرتها الفتية، فقد اخذت تتكشف لها اخيرا معاني السعادة والهناء.

لم اكن احفل بالدعابات عن الحموات، الى ان جاءت حماتي لتعيش مع افراد اسرتي في شقتنا الضيقة في لندن. فالكثيرون يرون في مثل هذا الترتيب خاتمة الانسجام الزوجي، على ان تلك المرأة الروسية الفارعة ذات الشعر الرمادي الابيض التي انضمت الى اسرتنا الصغيرة عام ١٩٧٣، لم تلبث ان بددت جميع الظنون من هذا القبيل.

بلغت سيرافيما غفريلوفنا السادسة والستين من عمرها من دون ان تطأ

قدمها ارضا خارج الاتحاد السوفييتي. وقد كيفتها ظروف حياتها الحافلة بالخيبة والجور فجعلتها تخشى المجهول أيّما خشية. وقد لمحتها ومعالم القلق مرتسمة على وجهها الوسيم وهي تسير في محاذاة جدار الممر الذي يصل بين قسم الجمارك وصالة القادمين في مطار هيثرو. ولعل حناني لها - وهو السرور المستمر الذي منحتني اياه - قد تولد فيّ في تلك اللحظة عندما ادركت السبب الذي حدا بها الى المجازفة بتغيير نمط حياتها واحسست بمدى معزتها لنا.

وناديتها انا وزوجتي تانيا، الا ان ضباب الذهول حال دون اهتدائها الى موضعنا. وفجأة ضاق ذرع ابننا الذي كان في الثانية من عمره، فصاح بالروسية: "يا جدتي! اني هنا". وكادت صيحة غريغوري تضيع في ضجيج المطار، الا ان اذني سيرافيما تلقفتا الصوت على التو، فانطلقت تتسارع في خطواتها تجاه مصدره من دون ان يعتريها ادنى شك في انها هي الجدة المعنية.

ربما كانت سيرافيما في مظهرها انسانة منطوية على ذاتها وتخونها الشجاعة والاقدام، الا انها ساعة الامتحان تقاوم الخوف كالجندي في ساحة القتال. وقد تحدت الخطر في اول لقاء تم بيني وبينها عام ١٩٥٩، في عهد خروتشوف، حين كان الزائر الغربي لا يزال يوصم في روسيا باعتباره جاسوسا محتملا في اقل تقدير. ولم يكن ثمة روسي واحد بين مئة الف روسي يسمح لاجنبي - ناهيك بشخص امريكي - بان يدوس عتبة داره. وقد التقيت تانيا وهي في السادسة عشرة من عمرها في معرض امريكي كنت اعمل دليلا فيه. وبعد اسابيع من النزهات معا مشيا على الاقدام او وقوفا في طوابير المصطفين امام المطاعم الموحشة، شاءت تانيا ان تكرمني بأكلة روسية بيتية. وكانت تعيش مع امها في غرفة واحدة ضمن شقة سكن جماعية. واتفقت معها على ان الزم الصمت في اثناء اجتيازنا السرداب القاتم المؤدي الى الغرفة مخافة ان تفضحني لكنتي الغريبة لدى الجيران.

ولم اتبين الا في وقت لاحق ان الآذان كانت مشدودة الى الجدارين الجانبيين في الغرفة طوال العشاء. وفي صباح اليوم التالي، بينما كانت سيرافيما تنتظر دورها في الحمام الجماعي، انذرها المخبر المقيم في الشقة أنه سيبلغ السلطة بـ"عملياتها الماكرة مع ضيوف مشبوهين". فارتعدت فرائصها لكنها على رغم ذلك تحدته ودعتني الى تناول الطعام مرة اخرى في غرفتها وكانت نِعم المضيفة.

قالب الحلوى - لقد انقضى خمسة عشر عاما تقريبا على ذلك الوقت قبل ان تجيء سيرافيما الى انكلترا. وكنت خلال هذه الفترة اجد ان جميع الزائرين الروس الذين اجتمعت بهم في الغرب يعانون من اثر الصدمة الثقافية. وقد قالت لي احدى راقصات الباليه السوفييتية ذات مرة: "اننا جميعا جياع الى كل شيء - من جرابات النايلون (الكلسات) الى مظلات المصابيح، ومن ولاعات السجائر الى الغسالات الاوتوماتيكية".

واضافت: "ان وجود متجر تلو الآخر

حافل بكل ما تحلم به، اضافة الى الف سلعة اخرى لا تدري بوجودها اصلا حتى تحلم بها، ظاهرة تفرض عليك ان توصد الباب في وجه هذه الوفرة وما تستتبعه من نمط حياتي غريب كل الغرابة عما درجت عليه، والا جازفت بفقدان السيطرة على نفسك".

لم تكن المحاولات الاولية التي ابدتها سيرافيما في تفهم المحيط الجديد مختلفة عن ذلك الموقف. وقد تضمنت اولى جولاتها السياحية زيارة لاحد المحلات التجارية، لكن هذا كان حافلا بأكثر مما استطاعت استيعابه دفعة واحدة، فبدا كأنه قالب حلوى كبير الحجم سرعان ما يصاب آكله بالتخمة. ولهذا ارادت هي الخروج من المحل حتى قبل ان تضع قدميها على الدرج المتحرك الى الطوابق العليا من المتجر. غير انني لاحظت في اثناء جولتنا القصيرة انها كانت ترقب في بعض الاماكن اشياء كنت لا ابالي انا بها، كأنما عيناها تحدقان في بعض السلع المعروضة التي تيسر لها اجراء مقارنات دقيقة في مخيلتها. كانت تحدق في المصابيح الكهربائية الموضوعة داخل اغلفة وقائية، وفي احذية تقل تكاليفها عن اجر اسبوعي ولا تستوجب الانتظار في طوابير المصطفين للحصول عليها. ولكم طال تحديقها في العشرات من لحوم السلامي المختلفة الانواع والمعلقة في قسم الاغذية من المتجر. وفي ما بعد علمنا انها اتخذت من تلك الظاهرة دليلا على عدم توافر اللحوم الطازجة في لندن، "والا فكيف يستعيضون عن الطازج بكل تلك الانواع من السلامي؟"

واستغرق اقناعها بان السيدة فوغارتي التي تعنى بالواجبات الصحية في مبنى الشقق السكنية ليست عدوة وانما صديقة لنا، عناء كثيرا والحاحا مستمرا. فهي، بما استطاعت التقاطه من الكلمات الانكليزية، فهمت ان السيدة فوغارتي تريد فتح الحديث معها بالاستفسار عما اذا كانت تحب الاقامة في انكلترا. واذا كان ثمة شيء تعرفه سيرافيما حق المعرفة، فهو ان البوابين في مباني الشقق السكنية هم اكثر الناس احتمالا لأن يكونوا مخبري الشرطة الذين ينقلون اليها الاخبار عن نشاطات الناس ومواقفهم تجاه البلد الام. وعليه، فما ان انتهت سيرافيما الى قبول السيدة فوغارتي على ظواهرها حتى اصبح من المتعذر عليها مجرد النظر في عينيها. ذلك لأن الاشتباه الخاطىء في احد الناس بانه مخبر لا يقل في عرفها عارا عن فعل الاخبار ذاته. ولهذا كانت الهدية الاولى التي اشترتها بالعملة الغربية عدا هديتها لغريغوري، هي هدية الى السيدة فوغارتي، وكانت اكبر علبة شوكولاته استطاعت العثور عليها.

السنوات المنغّصة — صعب على الجدة ان تنفض عنها غبار الماضي وتنسى الذكريات: لقد اصبحت طبيبة عام ١٩٣٠ وتخصصت في معالجة الامراض الدرنية. وكرست حياتها، الى جانب مهنتها، للاعتناء بزوجها المهندس الشاب اللامع وبابنتها ناتاشا. لكن ناتاشا اصيبت في الرابعة من عمرها بمرض التهاب السحايا (المنانجيت) وتوفيت في غضون اسابيع من اصابتها. وعلمت

سيرافيما انها هي التي نقلت الى ابنتها جرثومة الداء المميت من احد المصابين في الجناح الذي تشرف عليه في المستشفى، فكاد هذا الواقع ان يؤدي بها الى الانهيار العصبي.

ولم تنقطع كوابيس احلامها الا عندما ايقنت انها تحمل جنينا آخر في احشائها. وفي تلك الاثناء بلغت حملات ستالين التطهيرية عام ١٩٣٧ ذروتها. وفي منتصف احدى الليالي سمع الزوجان طرقا على باب دارهما، واعتقل الزوج واتهم بانه عميل للشرطة السرية النازية مع ان اسلافه قد استوطنوا روسيا قبل قرنين. وقد كفاه ان يحمل اسما الماني الأصل كي يقضي بقية حياته في معسكر للسجناء. اما الزوجة فقد اسقطت الصدمة جنينها الذي طالما تاقت اليه.

ومرت الايام ببطء واملال. وجاء الغزو الالماني عام ١٩٤١ فالتحقت سيرافيما بالجيش برتبة نقيب (كابتن) بموجب قانون التعبئة العامة، وامرت بالتوجه الى احد المستشفيات في سيبيريا، وتزوجت هناك من طبيب جراح في الجيش وانجبت منه طفلتها تانيا عام ١٩٤٣. وبعد اثني عشر عاما توفي زوجها الثاني بالسرطان، فأصبحت للمرة الثانية وحيدة في حياتها تواجه صروف الدهر وتعول ابنتها التي من اجلها ضحت بكل ما لديها. ومع ذلك ألحّت سيرافيما على ابنتها تانيا، عندما تزوجنا في موسكو عام ١٩٦٩، بمغادرة الوطن والاقبال على حياة جديدة في لندن.

ومرت عليها بعد ذلك اربع سنوات من العذاب، رفضت خلالها السلطات السوفييتية - على رغم صفاء سجل سيرافيما الحافل بالتضحيات والخدمات الوطنية - ان تستجيب لأي من طلباتها في الحصول على تأشيرة السفر لزيارتنا حتى بعد مولد غريغوري. ولم تكن تلتمس من الحياة شيئا اعز من ان تحضن حفيدها الوحيد وتطوقه بذراعيها. ولم تنل، في نهاية الأمر، تأشيرة الخروج إلاّ على اثر حملة شنتها احدى الصحف الغربية في هذا الصدد.

حب التوابل - ما ان استقرت سيرافيما في الغرفة الصغيرة التي اعددناها لها في شقتنا حتى اصبحت لها صداقات عدة، غالبيتها من الأمهات الروسيات من مجايلتها. وكنت، كلما اقامت حفلات الشاي الروسية العامرة بأنواع الجبن والفواكه والحلويات، اجد الاعذار لمغادرة الشقة. فهي، بحكم عملها كطبيبة في روسيا، تعودت الاستقلال في حياتها، وكان لا بدّ بالتالي من مراعاة كرامتها الشخصية وتزويدها وان بقسط من الاستقلال في حياتها معنا.

ولكنها كانت تلح عليّ في العودة الى البيت قبيل انتهاء حفلاتها. ولم اكن في حاجة الى بصيرة خارقة لمعرفة السبب. فانها كانت تريد التباهي بي امام الاخريات. وانا احس بان الروسيات يقمن في بيوتهن وزنا كبيرا للرجل، على الطريقة القديمة التي لم اكن اتوقع مصادفتها قط في حياتي.

بل كانت سيرافيما تؤنب تانيا احيانا بصوت خفيض قبل جلوسي الى مائدة الفطور لأن حصتي من الخبز المحمص لم تكن مغطاة بطبقة كافية

من الزبدة. فكيف يجوز لرجل (وهي انما تعني رب اسرة نتكل عليه جميعا) يعمل بجهد جهيد لكسب الرزق ألاّ يفوز إلا بقطعة صغيرة من اللحم في "البرش"، وهو حساء الخضر الروسي؟ وعلما مني بتفاخرها بالرجل الذي تتزوجه ابنتها ثانيا، فلم اقو على مقاومة شعوري بالاعتزاز.

وعلى رغم قلقها المستمر ازاء ما نتكبده من مصاريف عليها، فقد كانت سيرافيما تشعر بابتهاج عظيم كلما خرجنا سوية الى مطعم صيني او هندي او سوى ذلك من المطاعم الاجنبية. وكانت السهرة في المطعم ممتعة من جميع الوجوه، ابتداء بزخرفة المكان واريج البهارات وانتهاء بالاقداح الملأى على طريقة "غير الملتزمين" بالمشروبات المساعدة على الهضم. اضف الى ذلك انها قرأت في الروايات عن عصير البلوط والارضي شوكي والهليون ولكنها لم تر من قبل مثل هذا البذخ في المأكولات، ولهذا تراها، حين يتذوق فمها هذه الاشياء وكأن جزءا من حياتها قد تكامل الآن.

وهناك مغامرة ايضا قد ابدتها سيرافيما، في مجال آخر، وهي اننا في الاشهر القليلة الاولى من قدومها قد حاولنا جهد المستطاع تجنيبها مشاهدة اي سهرة تلفزيونية تشتم فيها "نكهة البالغين"، حرصا على تمسكها العظيم بالاحتشام. ولكننا عدنا الى البيت ذات مساء فوجدناها مستغرقة لا في مطالعة كتاب وانما في مشاهدة برنامج خاص بالرقص الايحائي الامريكي على نمط "السوينغ" الذي يبعد سنوات ضوئية عن الرقص الشعبي المعتاد في تلفزيون موسكو. ومع ذلك كانت ابتسامة سيرافيما اشبه بابتسامة امرأة تشهد احفادها يأتون اعمالا يأباها الذوق السليم ولكنها اعمال مبتكرة تثير الاعجاب. ومنذ ذلك الوقت كانت تهرع الى التلفزيون كلما اعلمناها بعرض برنامج "نابض بالحياة".

ولكن ما من شيء كان يحجب اهتمامها طويلا عن غريغوري، فهو المحور الثابت في دوامة افكارها ومشاعرها. ولم يكن هو الوحيد الذي يدعوها "يا جدتي"، بل كنا جميعا نناديها بهذا الاسم. وربما كان هذا التعلق منبثقا جزئيا من طبيعة المجتمع السوفييتي حيث تصبح الجدات في صورة اساسية عماد الاسرة في رعاية شؤون البيت وتربية الاطفال في غياب الوالدين في اعمالهما. ولعلّ ذلك التعلق ينبع ايضا من المآسي التي ألمّت بجدتنا.

ولئن كانت سيرافيما غفريلوفنا لا تتحدث الآن عن ماضيها، الا انني ادرك حين اراها وهي تحضن غريغوري بين ذراعيها معنى المقام الذي يحتله هذا الصبي في حياتها، بل استطيع القول انني شهدت بعيني كوابيس الاحلام وهي تنأى شيئا فشيئا عن ناظريها خلال الاشهر الاولى من اقامتها معنا. وما هذه العلاقة القائمة بين الجدة وحفيدها الا ينبوعا زاد حياتي ثراء، حيث علمتني الجدة بتفانيها نحو غريغوري شيئا جديدا عن العطاء والنواحي المهمة في الحياة، واظهرت لي مدى ما كنت اسلّم بوجوده تسليما اعمى.

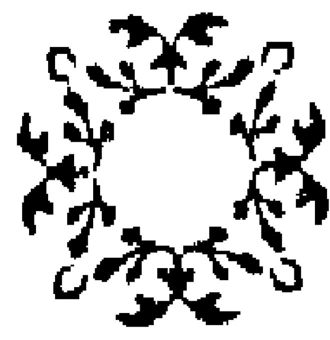
قبلة الحياة — يروقني الاعتقاد ان

الجدة سعيدة في كنفنا، وان تكن لها بعض الشكاوى. الا انني اعلم انها سعيدة بحياتها في الغرب، خصوصا لأنها اصبحت الآن جدة لحفيدة جديدة تتطلب رعايتها ومحبتها، لا سيما وانها تبدو نسخة طبق الاصل عن تانيا في طفولتها. وتجد الجدة الناس في الغرب اسعد كثيرا من السوفييت. وعلى مر الايام يتزايد تقديرها لما تسميه "اخلاقكم الرائعة". وهي لا تزال تعتبر قول الغرباء لها "من فضلك" و"شكراً لك" هبات عظيمة بالقياس الى ما خبرته في الاسواق الروسية حيث يجاهد الفرد من اجل الحصول على ضرورات الحياة، وبالتالي يعتبر الآخرين بالفطرة اعداء له.

وتجدني، اذ يمتدح الناس من خصالي لانني قبلت بان تعيش سيرافيما معنا تحت سقف واحد، احس بانني رجل مخادع في كسب المديح. واذا كانت بعض الحموات قد تسببن في فساد الانسجام العائلي، فان جدتنا جاءتنا بقبلة الحياة. فأنا - اذ ابصرها احيانا خارجة الى الحديقة العامة في نزهتها اليومية وقد اخذت تدفع امامها عربة الطفلة بينما استقل غريغوري دراجته الى جانب منها، او حين ارقبها ايام الصيف تتهادى بتؤدة في مشيتها كأنما تدوس طبقات من الثلج في طريقها - احس بأمواج من الحب تغمر كياني.

انها حقا نسيج وحدها. فهي، على قسوة اختباراتها في الدنيا وبساطة مطالبها من الحياة، تجد في كل يوم يسوده الوئام العائلي عيدا مجيدا. ولكن اليس تسعون في المئة من ابناء جيلي افضل حالا الآن مما كان الجيل السابق؟ انني مقتنع بان الحموات قادرات على جعلنا اكثر سعادة بوجودهن لا بمقدار ما يفعلنه من اجلنا وانما بمقدار ما يذكرننا بالنعم التي بين ايدينا وباننا قوم محظوظون.

■ جورج فايفر



سبب مقنع!

كان من المنتظر ان يعود احد الباعة المتجولين الى منزله نهار الجمعة. فارسل برقية الى زوجته يعلمها بقدومه يوم الخميس.

وعندما وصل نهار الخميس اوقف سيارته وهم بدخول المنزل، فرأى زوجته من النافذة وهي بين ذراعي رجل آخر. فأبى الزوج الغاضب ان يدخل المنزل وآثر ان يذهب الى بيت والدها ويطلعه على الأمر. ولدى وصوله انفجر غضباً وقال: "لست مستعدا لتحمل ذلك! سأرفع غداً دعوى بالطلاق".

فأجابه الحمو ببرودة: "لا تكن متهوراً. فأنا متأكد من ان هناك سبباً وجيها فدعني اتحرى عنه".

فذهب الوالد الى منزل ابنته وعاد ليقول لصهره الغاضب: "هناك، في الحقيقة، سبب مقنع: فهي لم تتسلم برقيتك".

ل.أ.ف.

عيوب التلقائية – ان عددا كبيرا من انصار الترقية التلقائية او الترقية الاجتماعية يسلمون باخفاق التربية الحديثة ويرون ان الترقية التلقائية قد تخلق في الطالب نوعاً من الاتكالية واللامبالاة وتحول دون تنمية احساسه بالتحصيل والتقدم. لكن هؤلاء يصرون، من الناحية الاخرى، على أن اختبارات الحد الادنى من الكفاية والترقيات المكتسبة ليست هي الجواب الصحيح ولا الدواء الناجع، ويعتبرون ان هذه السياسة تجنح الى نوع من التمييز المجحف للاقلية وللطلبة الآخرين من ابناء الطبقات المحرومة. ويضيف الى ذلك برنارد ماك كينا، من اعضاء الرابطة التربوية القومية، ان الطلاب يختلفون جميعا بعضهم عن البعض الآخر وان ليس هناك طريقة دقيقة موثوقة تمكن من التعبير الكمي عن التحصيل الاكاديمي من خلال الاختبار المعياري. ويعتقد ماك كينا ان تطبيق مثل هذه الاختبارات "لا يليق بالطالب ويبعث على ضياع الوقت ويحول دون الانتاج".

اما س. اوين، المدير العام لمدارس كرينسفيل، فيناقش الأمر من زاوية أخرى. ان مدرسة مقاطعته تعطي البرهان على ان الاصرار على الحد الادنى من الكفاية يفضي الى نتائج مجدية وله آثاره البعيدة المدى. وقد بدأ كثير من المربين يشاطرون في الرأي هذا الرائد الثوري الذي يبلغ الخامسة والخمسين من العمر.

تعتبر كرينسفيل، الواقعة على ارض صنوبرية متموجة على مسافة ستين ميلا (٩٦ كيلومتراً) جنوب ريتشموند، ولا يزيد متوسط دخل الفرد على ٣٢٧٧ دولارا. وتخصص موازنة المقاطعة في اعتماداتها التربوية مبلغ ٩٠١ دولار لكل طالب، وهو الحد الادنى المطلق الذي ينص عليه قانون الولاية (تنفق المقاطعات الشمالية معدلا متوسطا يساوي ضعف هذا المبلغ). ويمكن القول على وجه التقريب ان س. اوين قد ساءه منذ اصبح مديرا عاما سنة ١٩٦٨ ان يكون "اطفالنا في الواقع لا يتعلمون ما ينبغي ان يتعلموه او ما يتناسب مع مؤهلاتهم. وقد تسرب اليّ الشك في ان ذلك يعود الى سياسة الترقية التلقائية التي اتبعناها على غرار الآخرين. لقد قال اصحاب النظريات التربوية ان ذلك السبيل هو الذي ينبغي اتباعه ومعالجة الامور بموجبه، ولم يفكر احد منا نحن المشرفين الفعليين على المدارس في ان يتحدى هذا القول".

ثم نشرت احدى الصحف في عام ١٩٧٣ مقالا حول اختبار التحصيل في انحاء ولاية فرجينيا، جاء فيه ان كرينسفيل هي المقاطعة الوحيدة التي تتخلف عن اهداف الولاية، على كل مستويات الصفوف التي اختبرت. ولدى مقارنة هذه النتائج بالنتائج العامة لكل الولايات المتحدة، جاء ترتيب طلبة كرينسفيل الثالث من اسفل. ويقول اوين: "كان ذلك حينما قررت ان اوقف اعطاء شهاداتنا ذات الاختام المطاطة".

وما لبث اوين ان ابدل الترقية الاجتماعية بسلسلة من الاختبارات المعيارية مرتين سنويا على مستوى كل صف (الفصول). وبالنظر الى تطرف الفكرة، وعدم توافر الدليل

على صحتها، فقد تسببت فورا في اثارة هجوم ناري من جانب قادة الحقوق المدنية المحليين الذين رأوا في العملية تجاوزا على حق المواطنين في التعلم والتخرج.

وفي سبيل الحصول على تأييد، اتصل اوين بالعضو الاسود الوحيد في المجلس المدرسي وهو غارلاند ستيث، صاحب مطعم ناجح وتاجر اخشاب. يقول ستيث: "بقيت لسنوات طويلة اشغّل خريجي المدارس الثانوية، وقد عرفت يقينا ان كثيرين منهم لا يستطيعون القراءة والكتابة ولا حتى التهجئة السليمة. وازعجني كثيرا نوع التعليم المدرسي الذي يتلقاه اطفالي بالذات. وبموجب خطة س. اوين ربما رسب مزيد من الطلاب السود. لكني شعرت بأن رسوبهم قد يكون النهج الامثل للحاق بأقرانهم - وذلك افضل من السماح لهم بالخروج غير متعلمين الى الحياة حيث لن تتيسر لهم فرصة اللحاق والتعلم".

الضوء الاخضر - واخيرا اعطى المجلس المدرسي اشارة الضوء الاخضر لاوين لكي يمضي قدما في خطته. ويقول اوين وهو يعرض ما حدث: "اعلنا السياسة في خريف عام ١٩٧٣، ولكن لم يصدق احد اننا كنا جادين الى ان حل شهر يونيو (حزيران) من العام التالي حينما رفضنا اجازة ١٣٠٠ تلميذ، اي ما يقارب ثلث الطلاب في مدارسنا". وكان من بين اولئك ما يقرب من ١٠٠٠ تلميذ اعطيت لهم تقارير مدرسية تبين درجات نجاحهم خلال العام استنادا الى تقويم ذاتي من جانب معلميهم".

ويضيف: "وسرعان ما استرعى ذلك العمل انتباه الجميع واهتمامهم. وما لبث اكثر من ١٠٠ غاضب من الآباء ان طالبوا بعقد اجتماع لهم مع مدير المدارس العام. وحصلت المواجهة في ليلة قائظة من شهر يوليو (تموز) في كافيتيريا مدرسةبلفيلد الابتدائية في امبوريا. وكانت الحرارة في حدود ٥٢ درجة مئوية في الداخل. وكان هناك مجموعة من الناس لم ار في حياتي اكثر جنونا من افرادها".

ويقول جوزف هـ. رسل، المنسق الاسود للنظام التعليمي، في موضوع التعليم التعويضي: "كان البيض يسموننا كذابين وشيوعيين، وكان السود يسموننا متعصبين".

عرض اوين بأناة ووضوح الاسباب التي دعته الى تطبيق برنامجه وادلى بملاحظاته وتعليقاته وسط زوبعة من الصراخ والاحتجاجات. وكان الى جانبه غارلاند ستيث الذي استبقى ابنه الراسب في مادة اللغة الانكليزية للصف العاشر. وقد حث اوين الآباء على قبول القرار من اجل مصلحة ابنائهم، غير انه وافق على طرح حل وسط سبق له ان تدارسه مع آخرين: اذا اصر الآباء فانه لا يجد مندوحة من وضع هؤلاء الطلاب في الصف الذي يلي صفهم الحالي لمرة واحدة فقط، ثم كرر موضحا: "قلنا ان هذا سيكون الحل الوسط الوحيد الذي يمكننا تقديمه. وهكذا كان".

وقد استطاع اوين، خلال استفحال مشكلات الدمج المدرسي واستخدام سيارات الاوتوبيس الخاصة بنقل الطلاب قبل خمس سنوات، ان يوحي الثقة باعتباره رجلا له اسلوبه الشعبي الدمث في انجاز الامور ومتابعتها. وقد تجاوب معه اكثر من نصف الآباء

المعنيين ووافقوا على فكرة تأخير ابنائهم والتخلي عن الترقية التلقائية.

اما سلسلة الاختبارات المطبقة في كرينسفيل فيعنى بتصميمها "زملاء البحث العلمي" في قسم شركة "آي. بي. أم." ويجريها لفيف من المراقبين المستقلين من ذوي الدربة، وهي تتناول ثلاثة او ستة مواضيع، وذلك حسب مستوى الصف. وتعطى هذه الاختبارات اولا في الفترة الصباحية خلال ثلاثة ايام متلاحقة في الاسبوع خلال فصل الخريف. وبعد سبعة اشهر يلي ذلك نمط معدل من الاختبارات الآنفة الذكر للتمكن من تحديد ارتفاع مستوى التحصيل بالنسبة الى كل طالب.

ان طلاب كرينسفيل لا "يخفقون في الامتحان" فيطردون بل يبقون في الصف للتزود "بمتسع من الوقت" في الصف او في الدرس الذي احرزوا فيه علامات اختبار متدنية، واما الذين ينالون علامات ما بين مستويات الصفوف فلهم الحق في نصف خطوة من الترقية الى صف اعلى بحيث يقتسمون الصفوف مثل ٤ - ٥ او ٧ - ٨ وحالما يتحسن مستوى تحصيلهم تحسنا كافيا يرقون ترقية كاملة الى الصف التالي.

وحينما يتخلف الطالب ابن الرابعة عشرة من عمره او ما فوق اكثر من عامين عن المستوى الطبيعي فله الخيار (اذا وافق الآباء) بأخذ تدريب المهارة الحرفية في مهن البناء او الزراعة، او اصلاح السيارات او الخدمات الانسانية مثل الاعمال الكتابية او رعاية الطفل. ويقول اوين: "اذا كنا غير مجيدين في ناحية فليس من العيب ان نحول طاقاتنا نحو اخرى حيث يكون في وسعنا ان نعمل احسن".

ولدى اكمال برنامج السنوات الاربع يتسلم طلاب التدريب على المهارة الحرفية شهادة الكفاية، فاما ان يتركوا المدرسة واما ان يستمروا بغية العمل على نيل شهادة اكاديمية كاملة.

النجاح بالعمل - ان الذين تحدثت اليهم من طلبة كرينسفيل يؤيدون النظام الجديد. وقد لخص احدهم الموقف بقوله: "حينما تعلم ان نجاحك يتوقف على عملك فانك لا تتردد في اتمامه". كذلك الآباء فانهم في غالبيتهم متحمسون لهذا الاسلوب. اما النتائج الاخرى فاليكم بعضها:

- قفز معدل ما سجلته المقاطعة من درجات في اختبارات التحصيل على مستوى الولاية اكثر من ٢٠ في المئة. وقد ارتفع المستوى الاكاديمي للصفوف الابتدائية في كرينسفيل بناء على الاختبارات المعيارية من الثالث في اسفل على مستوى الامة، الى النصف الاعلى.
- انخفض عدد الطلبة الذين وضعتهم الاختبارات منذ عام او اكثر دون مستوى الصفوف من ١٣٠٠ في العام الاول الى ٢٧٦ في العام المنصرم.
- هبط معدل التسرب المدرسي من ١٢ في المئة الى ٧،٥ في المئة. كما ارتفعت النسبة المئوية لمتخرجي الصفوف النهائية الذاهبين الى الكليات من ٤٥ الى ٨٩ في المئة.

تدعي السلطات المدرسية ان كل ذلك قد تم انجازه من دون اضافة كلفة كبيرة الى النظام المدرسي.

تقول ديبوراه رانك مديرة التدريب في المقاطعة: "انها مسألة تتعلق بطريقة جمع الطلبة في الفئات الخاصة بهم، وبمعرفة مستوى التعليم الملائم لكل فئة. فالمعلم صاحب التأهيل المتعلق بالصفوف من الرابع حتى السابع يمكن ان يدرس الصف الرابع مدة عام ثم ما بين الرابع والخامس في العام التالي، وفقا للحاجة. وقد باتت المدارس العامة تركز على استخدام نخبة المعلمين الاكفياء حرصا منها على تحسين نوعية ما يعلم فيها، اذ من دون هذه النوعية الجيدة لن تكون هناك قيمة تذكر لاختبارات الحد الادنى من الكفاية.

وحينما ذاع امر برنامج اوين في طول البلاد وعرضها عبر كثير من المربين والآباء والمشترعين والصحافيين داخل الولايات المتحدة وخارجها، حتى في بلاد نائية تايلاند، عن اهتمام نشط بتجربة كرينسفيل الرائدة. لكن الحد الادنى من الكفاية لم يصل الى درجة الشيوع بعد ولا ينتظر له ان يعم المدارس كلها بين عشية وضحاها. فهناك ولايتان اثنتان فقط هما اريزونا واوريغون، قد اخذتا به حتى الآن، وتشترطانه للتخرج في مدارسهما العامة. ومن المحتمل ان تقره ولاية نيويورك – وربما ولاية فلوريدا – وتشترطانه للصفوف المتوقع تخرجها عام ١٩٧٩. وفي الوقت ذاته اقر ٢١ مجلس ولاية تربويا و١٢ هيئة تشريعية محلية نوعا من اختبارات الحد الادنى من الكفاية، وقررت ان تضعها موضع التنفيذ خلال السنوات الخمس المقبلة. كما ان هناك برامج مماثلة تجرى دراستها وتطويرها في اغلب الولايات الاخرى. ويقول جورج ويبر عضو مجلس التربية الاساسية: "ان الحد الادنى من الكفاية لتخريج طلبة المدارس الثانوية يعتبر اشد المواضيع الفردية الحاحا في التعليم الثانوي المعاصر".

ويرى س. اوين انه ما ان تبدأ المدارس تطالب بالتحصيل الفعلي للتخرج فلن يطول الامر بها – والمسألة لا تعدو كونها رهينة الوقت – حتى تبادر الى تطبيق القاعدة ذاتها في الترقية من صف الى آخر.

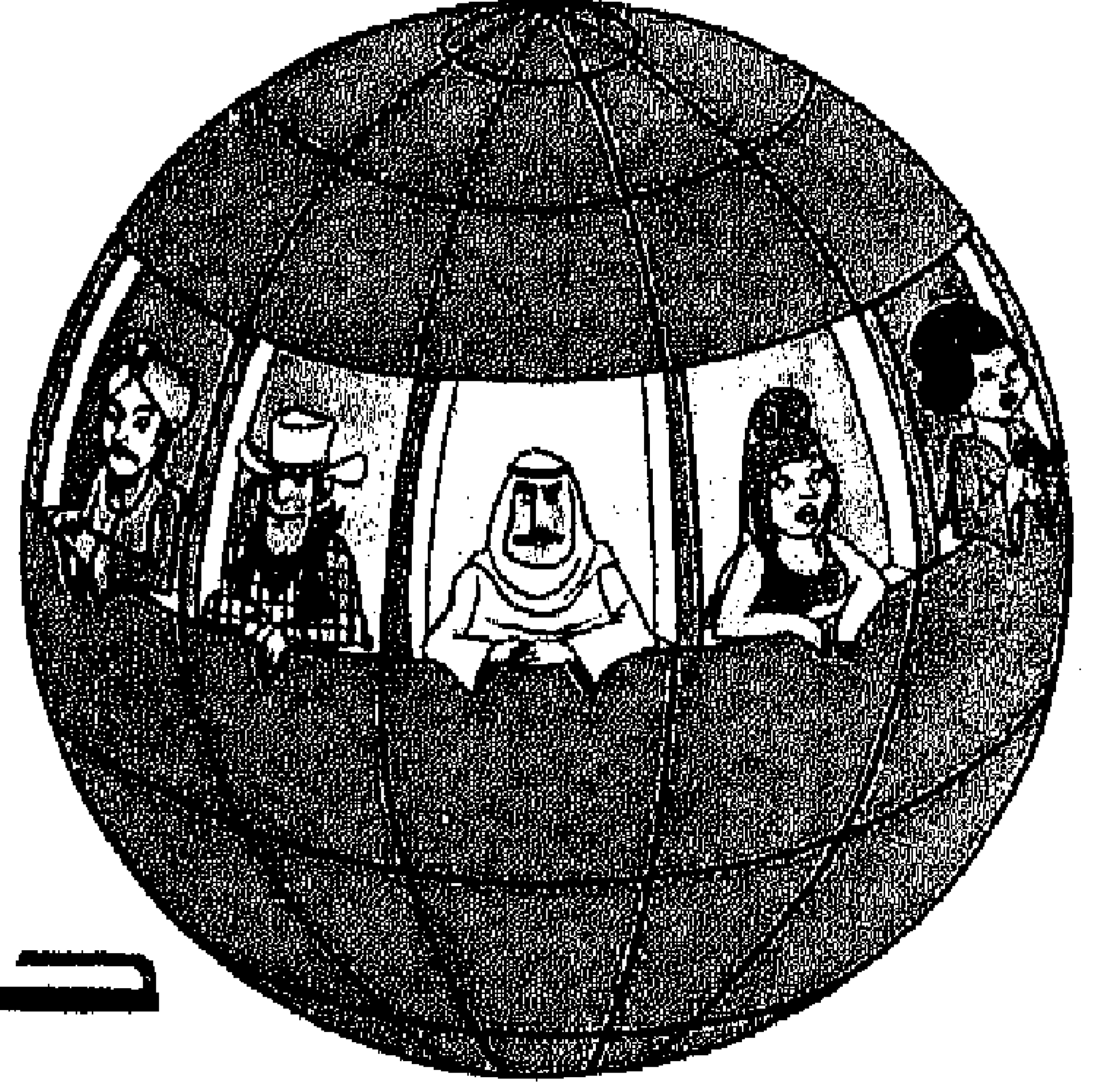
ويضيف اوين: "ليس من الخطأ ان يكرر الطالب درسا او يعيد صفا لم يتقن مواده ومتطلباته. اذكر انني حينما كنت في المدرسة رسبت في مادة الرياضيات للصف الثامن وكان عليّ ان آخذ هذه المادة مرة اخرى. وبما انني اجدت تعلم المادة في المرة الثانية فقد اصبحت مولعا بالرياضيات منذ ذلك الحين".

ويأمل اوين في ان يتمكن المزيد من الطلاب من جناء متعة التعلم وثماره بفضل الترقيات المبنية على الجهد الحقيقي من جانب الطالب وجدارته باكتسابها.

■ سيدني هـ. ستيبلتون



انني افضل الغزل على الزواج، لأن الغزل مثل بطاقة الاستعارة من المكتبة.. فأنت لا تستعير الكتاب نفسه مرتين ابدا.



حكايات صغيرة من العالم

هاو محظوظ

سمع احد هواة صيد السمك المتحمسين عن الفرص الرائعة لممارسة هذه الهواية في ايرلندا، فعزم على قضاء اجازته هناك، واستقل الطائرة ونزل في فندق فخم واهتدى الى دليل يصحبه الى البحيرة كل يوم طوال اسابيع اقامته الثلاثة.
الا ان الاسماك لم تقبل عليه، وظل يعود كل يوم بيدين خاويتين. وفي اليوم الاخير من اجازته، وفّق في النهاية الى صيد سمكة واحدة فالتفت الى الدليل وقال له: "هل تدرك ان هذه السمكة قد كلفتني ثلاثمائة جنيه (يقصد نفقات الاجازة)؟".
فرد الدليل: "من حسن حظك اذا انك لم تصطد اثنتين".

ا.ا.

انتقام المترفين؟

نشب خلاف بين ناد برازيلي واحد اعضائه المترفين، فطرده من عضويته. وقد اراد المترف الانتقام فاستأجر حوامة (هليكوبتر) والقى نحو ٩٠ كيلوغراما من حبوب الدواء الفوارة في حوض السباحة التابع للنادي.

ج.ك.

رياضة اكل الخاصرة

في العام ٤٥٠ قبل الميلاد، درجت موضة غذائية في اليونان حول بعض المنتجات، فاستحوذت وصفة "اويل جيبو نزس" بصورة خاصة على اختصاصيي الطعام. وفي ذلك العهد كان المحاربون يأكلون عادة قلب الاسد لكي تشتد فيهم قوة الشجاعة والاقدام. وكان العداؤن يأكلون كبد الايل لكي تزداد سرعتهم. فاشار اختصاصيو التغذية على الرياضيين ولا سيما المصارعين، الذين تلزمهم العضلات القوية ان يأكلوا لحوم الحيوانات العضلية، كالثور، لكي تتضاعف قوتهم. وهكذا بدأت هواية رياضية تمارس منذ اكثر من ٢٠٠٠ سنة، وتقوم على التمتع بخاصرة البقرة.

ج.د.

منافسة صينية!

اجرت احدى المؤسسات التجارية في ملبورن (اوستراليا) محاولة ترويجية لبيع حاسبات جيب الكترونية فنظمت مباراة بين الحاسبة الحديثة والمعداد الصيني القديم الذي يرجع عهده الى القرن الخامس عشر. ففاز المتباري في المعداد تسع مرات من اصل عشرة.

بعض الأطباء!

حدث رجل صديقا له عن مهارة طبيبه فقال: "انصحك بهذا الطبيب. فاذا كنت لا تتحمل العملية الجراحية، تكفل هو بتصحيح الصورة الشعاعية".

التنجيم، كشف البخت، الصحون الطائرة وغيرها من الظواهر غير الطبيعية لا تزال تحيط الانسان بمجموعة من المعتقدات التي يختلط فيها الواقع بالوهم. هنا ضوء على بعض هذه الظواهر.

ماذا يقول العلم في الخرافات والخوارق والظواهر غير الطبيعية؟

لعل اقصى درجة بلغها وثوق الجماهير بالاطباق او الصحون الطائرة هي تلك التي حققها فيلم "اللقاءات حميمة من النوع الثالث"، الذي شاهده ١٦٥ مليون شخص منهم ١٢٠ مليونا في الولايات المتحدة و٤٥ مليونا خارجها، حتى آخر يونيو (حزيران) ١٩٧٨. غير ان الاطباق الطائرة ليست الظاهرة الغريبة الوحيدة من "اللقاءات الحميمة" التي حفلت بها حياتنا في الآونة الأخيرة.

فهناك روايات متعددة تثير استغرابنا وفضولنا عن "مثلث برمودا"، وحكايات تذهلنا عن رواد الفضاء في الزمن القديم واقاصيص تسلينا عن مآثر اولئك الاشخاص الذين يلوون المفاتيح عن بعد بقوة تأثيرهم النفسي وسواها.

وقد تناول المؤلفون هذه الامور وغيرها من الموضوعات الغريبة المتعلقة بالتكهن وكشف البخت ووضعوا في شأنها كتبا تباع منها ملايين النسخ (على حين تظل المؤلفات العلمية التي تنقضها لا تجد من يشتريها ويعلوها الغبار على رفوف المكتبات)، كما اصبح التنجيم

يلاقي رواجا واسع النطاق لدى الجماهير، واخذت البدع الدينية الدخيلة الشاذة تجتذب اعدادا متزايدة من الناس.

فما هو وراء انفجار الاهتمام بهذه الامور حتى بين الكثيرين الذين يعدون من اهل الحساسية والذكاء في النواحي الاخرى؟ هل نحن نرتد الآن الى الوراء ونتخلى عن الاصول العلمية للتفكير المنطقي، وتقصي الادلة والقرائن، والاختبار المتزن الرصين وما الى ذلك من المبادىء التي بلغت من خلالها الحضارة الانسانية مستواها الحالي؟ ام هل فقد العالم ذلك الحافز الفريد الذي يحرك مساعيه لتناول الحقيقة الموضوعية وتلمسها عن كثب قدر المستطاع؟

مكافحة الخرافات – لقد اقتصرت اثارة مثل هذه الاسئلة والاجابة عنها في الماضي على المعلقين والصحافيين. اما العلماء، الذين اشتهروا بالتفكير الهادىء، فكانوا يحصرون اهتمامهم في انابيب اختباراتهم ويتجاهلون مثل هذه الترهات باعتبار انها لا تليق بهم. ويبدو ان الموقف قد تغير هذه المرة، اذ ان بعض العلماء، ومعهم طائفة من المربين والكتاب والحواة والسحرة (فضحا للحيل والتضليل)، يتكاتفون الآن لمكافحة هذه الخرافات. وقد انشأ هؤلاء منظمة لهذا الغرض في الولايات المتحدة، هي "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية"، تعمل لاستقصاء الروايات عن هذه الظواهر بروح التدقيق الحر، ولمعاونة الجمهور على التمييز بين الحقيقة والخيار في هذا الصدد. وتضم اللجنة العالم الحجة في شؤون الاطباق الطائرة فيليب ج. كلاس، والساحر جيمس راندي والعالم الفلكي كارل ساجان وعالم الكيمياء الحيوية اسحق اسيموف والخبير في علم النفس السلوكي ب.ف. سكينر. ولا يقل هؤلاء العلماء والخبراء اهتماما بالروايات المسلية عن اي شخص آخر.

وقد اظهرت اللجنة، خلال عمرها القصير، مقدارا كبيرا من الدهاء التكتيكي، فتقدمت الى لجنة المواصلات والاعلام الاتحادية بشكوى تتهم عرضا تلفزيونيا بالتحيز في تقديم موضوع عن الظواهر الخارقة، واصدرت صحيفة بعنوان "المحقق المدقق" (★) وعقدت مؤتمرات صحافية تحدت فيها عددا من اسخف المزاعم الرائجة، فضلا عن رعايتها حاليا لمجموعة من التحقيقات والاستقصاءات التي تسعى الى ابراز التمييز بين الحقيقة والدجل.

ويرى بول كورتز، مؤسس "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية "ورئيس مجلس ادارتها، واستاذ الفلسفة في جامعة ولاية نيويورك في مدينة بفالو، ان الفيض الحالي من السفسطة اللامنطقية المتسترة بقناع العلم الزائف قد اصبحت تهدد باغراق الناس في طوفان من الهراء التام.

ويقول: "لقد تفشت المزاعم الخرافية كالوبأ الجارف خلال السنوات الاخيرة، لان الكثير من الديانات التقليدية قد فقدت دلالتها ومغزاها لدى الناس، فلجأوا الى وهم الخوارق يبحثون فيه عن مغزى جديد".

(★) يتولى رئاسة تحريرها كاتب هذا المقال.

الباحثون والمذهبيون – ويلاحظ كورتز، في ما يختص بالتنجيم، مثلا، ان "العالم الغربي كان ينظر نظرة واسعة الى التنجيم عام ١٩٠٠ كمجرد ظاهرة تاريخية غربية عفا عليها الزمن واثبتت زيفها مجموعة كاملة من الاكتشافات العلمية، وقلما كان شخص مثقف او متعلم ينسب اي مقدار من الحقيقة الى التنجيم. اما الآن فقد انعكست الآية، وغدونا نجد حتى بين الذين يدعونهم من اهل الخبرة والدراية، افراداً ينادون بايمانهم به، كما اصبح آلاف البشر يراجعون طالعهم اليومي محاولين الاهتداء من خلاله الى تحليل شخصياتهم وسبر تجاربهم. وهذا كله هراء وتبديد للجهد والوقت والموارد".

ويقول عضو اللجنة، الفلكي (وفاضح زيف التنجيم) دنيس رولينز: "بعد انقضاء قرون عدة على ظهور التنجيم، يستحيل حتى الآن حصر تجربة واحدة يمكن تكرارها علميا لاثبات مجرد تأثير النجوم على البشر الذي يزعمه المنجمون".

غير ان هناك علماء لا يرفضون كل الظواهر غير العادية على اطلاقها، خصوصا في مجال الادراك خارج نطاق الحواس، (مثل التخاطر، وحدة البصيرة وبعد النظر). فقد خلص بعض الباحثين، ممن اعتمدوا اساليب الاستقصاء التجريبي التقليدية، الى القول بان بعض مزاعم الادراك خارج نطاق الحواس قد يسلم بها العقل ظاهرا. ويحذر مارسيلو تروزي، عالم الاجتماع والعضو السابق في اللجنة، من عدم التمييز بين الباحثين في الظواهر "شبه العلمية" – كالذين يعنون مثلا بمجال الادراك خارج نطاق الحواس – المذهبيين "الصوفيين" المؤمنين بالقوى الخفية وبامكان اخضاعها للسيطرة البشرية والذين يتعذر ايضاح مزاعمهم في شكل تجريبي.

وترى "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم المتعلقة بالظواهر غير الطبيعية" ان الانصاف يقتضي الاستماع الى الافكار وتمحيطها مهما بدا من سخفها وغرابتها. ويقول اسيموف، ان مثار الجدل ليس هو موضوع الافكار – لان الكثير منها يبعث على الاثارة ومنها ما يقبل التجربة – وانما موضع المناظرة ينحصر في التفريق بين المواقف التي لا تقبل المناقشة او التمحيص، والجدية الصارمة التي تلتزم بمناهج التدليل ونوعية الاحكام المستندة الى البحث والتحليل السليم.

ومن الحالات التي انتقدتها اللجنة بلا هوادة، حالة الاسرائيلي "صاحب القوة النفسية" اوري جيلر، الذي ثار حوله كثير من الجدل. فهو زعم انه يستطيع ان يحرك الاشياء المادية او يشكلها – كأنه يثني المفاتيح مثلا – بمجرد قوته العقلية.

وكان اعند المتحدين لمزاعم جيلر، عضو اللجنة والمحرر في مجلتها جيمس راندي الذي يقول ان في مقدوره ان يقلد تماما، بوسائل السحرة والحواة المعروفة، كل ما قام به جيلر من مدهشات. ومن مزاعم جيلر انه يستطيع ان يعيد تسيير الساعات المعطلة بمجرد القوة الروحية. وهو يطلب من الحاضرين ان يمسكوا الساعات المعطلة في ايديهم، ثم يعمد الى "التركيز"

فيجعلها تدق من جديد. وعندما اجرى اعضاء اللجنة استقصاء شمل سبعة من تجار الساعات والمجوهرات، تبينوا ان خمسين في المئة في المتوسط من الساعات التي يأتي بها اصحابها لاصلاحها هي ساعات سليمة ميكانيكيا لكنها قد تأثرت بما دخلها من غبار او قذارة او بتصمغ زيت التشحيم فيها. وعندما يسخن الزيت بفعل حرارة اليد فانه يفقد لزوجته التي تعطل حركة الاجزاء التي يشملها فتعود هذه الى الحركة. وقد اختبرت اللجنة بالفعل ١٠٦ ساعات اتى بها اصحابها لاصلاحها، فوجدوا ان ٦٠ منها عادت تتحرك بعد امساكها في باطن اليدين لبضع دقائق.

الصحون الطائرة — وليس ثمة شيء يستدعي التمحيص اكثر من الاطباق والاجسام الطائرة المجهولة. فقد تكاثرت التقارير عن رؤية هذه الاطباق الى حد يتعذر معه اهمال هذا الامر، لا سيما ان كثيرين ممن يعتقدون بوجودها يعترفون في الوقت نفسه بان الكثير من هذه المشاهدات قد تعزى الى عدد من المصادفات الطبيعية او الى اشياء من صنع الانسان. وعلى رغم ذلك فان بعض هذه المشاهدات العرضية تبدو من وقت الى آخر "متعذرة التعليل والتفسير"، ومن ثم تصبح احداثا مشهورة.

واذا اريد البحث في هذه الظاهرة بحثاً جديا منفتحا للافكار الجديدة، فلا بد من التركيز على هذه المشاهدات المتعذرة التفسير. وهذا ما حققه فيليب كلاس، اذ اجرى دراسات ميدانية شاملة في هذا الصدد، تستند الى درايته الوثيقة بالطيران وبهندسة الالكترونيات، فازاح الغموض عن عدد من التقارير التي يصعب نقضها عن مشاهدات الاجسام الطائرة الغريبة. وقد سبق ان نشر مقال عن نتائج بعض هذه الدراسات في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ من مجلة "ريدرز دايجست" بعنوان "ثلاثة اطباق طائرة - ما هو نصيبها من الحقيقة؟". ويقول فيليب كلاس بثقة وتأكيد: "على مدى اثني عشر عاما قضيتها في استقصاء عدد من اشهر التقارير عن مشاهدات الاطباق الطائرة واكثرها نصيبا من التأييد لم اجد حتى الآن تقريرا واحدا لا يمكن تفسيره باحداث عادية بعيدة الصلة بالخوارق".

ومن بين المجالات الاخرى التي اجتذبت جمهورا كبيرا من الناس موضوع الايقاعات الحيوية التي تحددها تواريخ الولادة. فليس هناك من شك في ان النباتات والحيوانات، والبشر ايضا، يتميزون بعدد من الانماط الدورية التي يتأثر كثير منها او يتزامن مع بعض العوامل الخارجية المعينة، مثل دورة النور والظلام، او اوقات الوجبات او جداول الواجبات الاجتماعية، الخ. غير ان مروجي حكاية الايقاعات الحيوية قد ساروا خطوة ابعد من ذلك، اذ انهم يزعمون ان معظم الناس يخضعون لدورات من الايقاع الحيوي تختلف مدتها - باختلاف الشخص - من ٢٣ الى ٢٨ او ٣٣ يوما، وتؤثر على ادائه البدني والعاطفي والفكري.

وقد اجرى احد مساندي اللجنة، وهو عالم الاجتماع ويليم سيمز بينبردج، تسعة اختبارات احصائية

على نظرية الايقاع الحيوي الذي يحدده تاريخ الميلاد، وشملت هذه الاختبارات تقييما لاداء لاعب الغولف الشهير ارنولد بالمر و١٧٤ من اقرانه، اضافة الى ٩٥ هجمة فاشلة في دوري لعبة البيسبول قام بها ٧٥ لاعبا مختلفين. وكانت النتائج التي اسفرت عنها تلك الاختبارات لا تختلف في كثير او قليل عما يمكن توقعه في حدود نظرية الاحتمالات والمصادفات العادية.

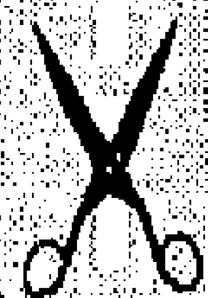
ومن ادعاءات انصار الخوارق ان العلماء غالبا ما يتجاهلون التقارير التي تخرج عن نطاق المجالات المألوفة للبحث العلمي، وهذا ادعاء لا شك في صحته. غير ان سلوك العلماء على هذا النحو لا يرجع الى اي اقتناع من جانبهم بانهم يملكون احتكارا من اي نوع للحقيقة المطلقة، وانما مرده الى طبيعة العلم نفسه. ففي معظم الاحوال يكون سبب اعتبار مجال معين من مجالات الاستقصاء "خارجا عن النطاق الطبيعي" او في "نطاق الخوارق" هو ان هذا المجال يصعب فيه تطبيق منهجيات البحث العلمي، او ان الادلة المقدمة غير مقنعة او واضحة السخف والهراء.

وعندما يحاول عالم جاد بالفعل البحث في فكرة خارجة عن المألوف فانه كثيرا ما يجد ان ذلك يستغرق منه وقتا طويلا ثمينا بلا طائل، كما يحدث لدى محاولة استقصاء مزاعم اريك فون دينيكين، الكاتب السويسري، الذي يدعي ان الاحداث المهمة في تاريخ البشرية يمكن تفسيرها بانها نتيجة زيارات قام بها الى الارض رواد جاؤوا من الفضاء الخارجي في الزمن القديم. وقد الف فون دينيكين في هذا الصدد كتبا طويلة، منها "مركبات الآلهة"، من الفضاء الخارجي" و"ذهب الآلهة". واذا حاول عالم ان يستقصي هذا الركام من الادعاءات والتخمينات، فان زملاءه قد يلومونه على اهماله كثيرا من فرص البحث الثمينة التي يمكن ان ينصرف اليها وقته وجهده بدلا من استقصاء هذا الهذر الذي لن يمنع السذج من مواصلة الاعتقاد بان حضارة البشر كلها قد تصدقت عليهم بها مخلوقات من الفضاء الخارجي، على رغم مما يقوله النقاد الخبراء، مثل الفلكي كارل ساغان، الذي كتب: "لم اصادف على الاطلاق اي كتابات مشحونة بالخلط المنطقي والتصوير الخاطىء للحقائق مثل كتابات فون دينيكين".

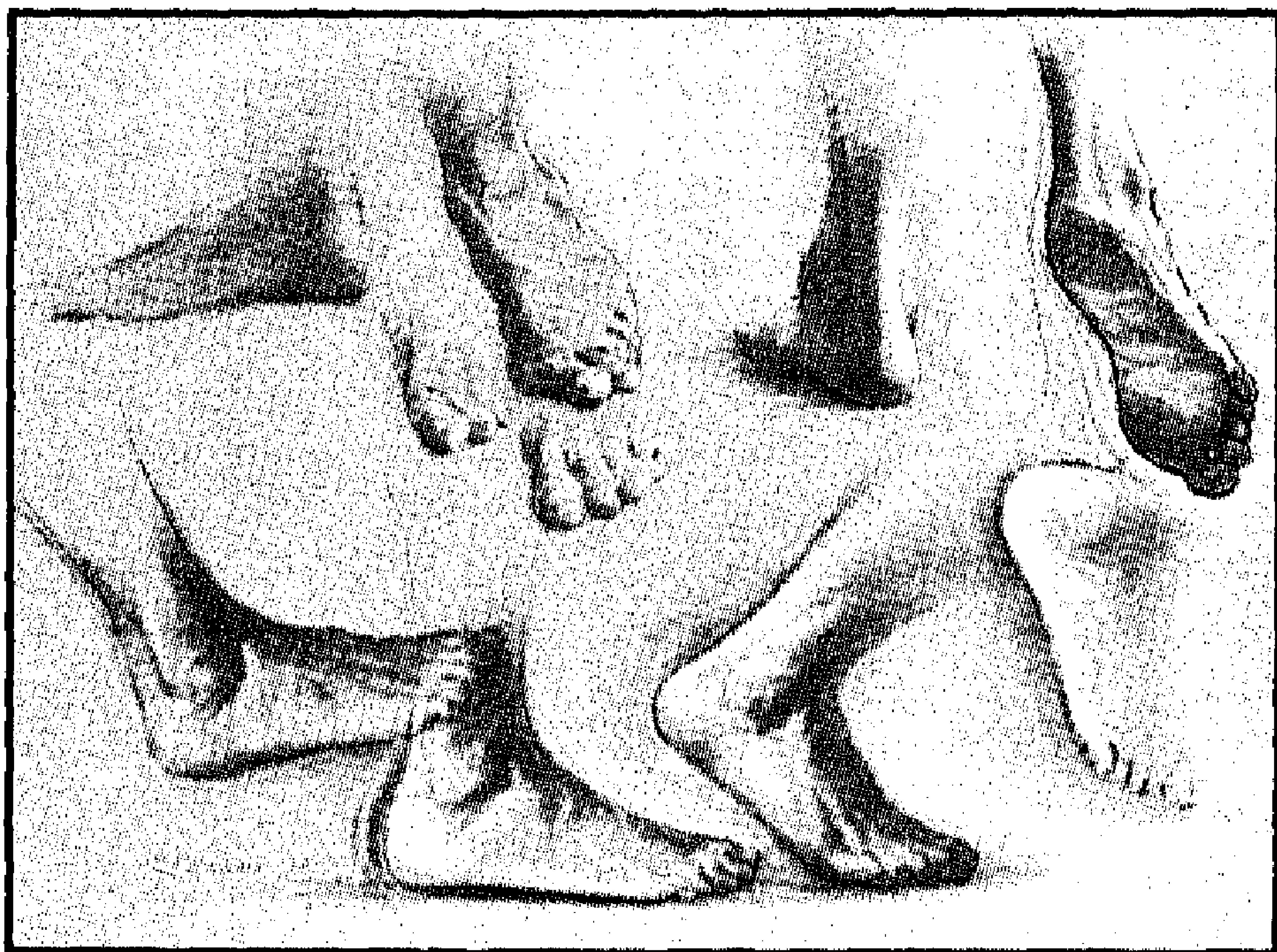
ولا تدعي "لجنة التحقيق العلمي في المزاعم عن الظواهر غير الطبيعية" انها تملك اجابات نهائية حاسمة تفسر جميع الظواهر التي يدور حولها الجدل. فالكون شيء هائل مليء بالاسرار، وجهلنا به شاسع عريض لا يزال يحتاج الى اضواء كثيرة تستمد من التجربة والفكر العلمي المنطقي. غير ان هدف العلم هو معالجة المشكلات بطريقة تجعل الوصول الى اجابات شافية امرا ممكنا، حتى وان اسفرت تلك الاجابات عن ابراز مجهولات جديدة وراءها.

وقد كتب اينشتاين مرة: "ان الخيال امر طيب، ولكنه يجب ان يخضع دائما لعين النقد التي تحكمه وتختبره على اساس الحقائق الثابتة".

■ كندريك فرازير



العناية بالقدَم توفر ٥٠ عِلّة



ان قدم الانسان مركب رائع يؤدي وظائف تعجز عنها اي آلة على الارض، لذلك هي تتطلب ـ وتستحق ـ كل عناية واهتمام·

تتعرض القدم البشرية لكثير من الامراض يقارب عددها الخمسين، ومنها مسمار القدم والجسأة (وهي جزء من الجلد متصلب او غليظ) والبثرة والظفر النامي في داخل اللحم والورم الملتهب في مفصل ابهام القدم والثؤلول (اي النتوء الصلبة المستديرة) والوثء (التواء المفصل) او العدوى الفطرية والزوائد العظمية التي تنمو عادة في عقب القدم وتسبب الالم في اثناء السير· لكن المتخصصين في عناية القدم او اطباء القدم كما يسمونهم يجمعون على القول بتمكن الانسان من تجنب تلك الامراض كلها باعتبار انها تكاد تكون دائما نتيجة الاهمال او سوء الاستخدام·

والواقع ان العناية الصحية التي

تتطلبها القدم بسيطة نسبيا، لا تتجاوز امرين: الوقاية الحسنة، كالنظافة والعادات المفضية الى الصحة واستخدام الاحذية المناسبة.

والعبء الذي تتحمله القدم ثقيل، فلو ان هذا العبء قد وقع على احدى اليدين، لما انقضى وقت طويل قبل ان تتورم وتعجز عن العمل. وانه لمن حسن الحظ ان يكون باطن القدم مغلفا بداية من الكعب حتى الاصابع بطبقة سميكة من الغشاء الليفي تحيط بالعظام وتمتد تحت الجلد وتسمى الشقة الاخمصية (الباطنية). فاذا اضفنا الى هذا الغلاف الواقي ما تتميز به القدم من بنية عظمية بديعة التكوين فهمنا كيف انها تتحمل عبء الصدمات المتراكمة التي يصل ثقلها الى مئات الاطنان كل يوم، وهي على رغم ذلك تستمر في اداء عملها لسبعين عاما او تزيد من دون ان تنهار.

ويجدر هنا ان نشير الى رأي طبيب القدم الدكتور رينشارد.و.شوستر من كلية نيويورك لطب القدم في مانهاتن، فهو يرى ان القدم كانت يدا في يوم من الايام. اذ انها تحتوي على ٢٦ عظمة، وهو ما يوازي عدد عظام اليد تقريبا ويخضع للترتيب نفسه اساسا.

ويعتقد الدكتور شوستر ان معظم مشكلات القدم ترجع الى عاملين، اولهما تخلف القدم في تطور نموها: فهي لم تتواءم تماما بعد مع وظيفتها كرافعة دافعة للجسم. ويتفاقم هذا الامر من جراء هوس الانسان برصف كل مكان ممكن بمواد لا تناسب الاقدام الطرية التي ارادت لها الطبيعة ان تنثني على ارض المروج اللينة.

اما العامل الثاني فهو بطء نمو ميزات الجنين (الخصائص الجنينية). وهو يقول في هذا الشأن: "يكون الطفل قبل ولادته ملتفا على نفسه في ما يشبه الكرة، وتكون قدماه متقاطعتين او انهما لم تستقيما بعد بحيث تصبحان على زاوية قائمة بالنسبة الى الساقين كما هو المعتاد. فالعظام تحتفظ بليونتها ولدونتها حتى بعد الولادة، ولا تعتدل الا بحلول السن الخامسة او السادسة. اما القدمان والساقان فلا يكتمل نموها الا في السن العشرين تقريبا".

وتتضمن كل قدم، اضافة الى العظام، ١٩ عضلة والاوتار الخاصة باثنتي عشرة عضلة اخرى من عضلات الساق وما يزيد على مئة رابطة، فضلا عن تلك الطبقات المتينة من الشقة الاخمصية التي تقوم بمهمتي الوصل والوقاية كذلك الاظافر التي تقي اصابع القدم من الاذى اذا قلمت على نحو مستقيم من جانب الى آخر.

وتحتوي القدم على امتار عدة من الاوعية الدموية وشبكات معقدة من الاعصاب. من هنا كان فحص القدم يساعد الطبيب الاختصاصي بها على تشخيص بعض الامراض الاخرى مثل البول السكري ومرض القلب واضطرابات الكلي، فيحيلها على زميله الاختصاصي بهذه الامراض.

وظيفة القدم ـ وعندما تؤدي القدم وظيفتها فهي تمر بثلاث حركات الى الامام:

١ - اصطدام الكعب بالارض.

٢ - حركة افقية انتقالية هي من قبيل مرحلة التوازن.

٣ - حركة الاصابع الاندفاعية، وبذلك

٥ نصائح للاعبي كرة القدم

لقد ادى ازدهار رياضة العدو والهرولة اخيرا الى زيادة ضخمة في اصابات القدم وآلامها. واليك هنا بعض النصائح التي يقدمها الدكتور ريتشارد س. جيلبرت رئيس الاكاديمية الامريكية لطب رياضة القدم:

☐ اشتر حذاء العدو الذي يناسب قدمك. فليس هنالك حذاء واحد يناسب الجميع. ولكي تتوافر لديك القدرة على استيعاب الصدمات ابحث عن الحذاء الذي يتميز بنعل سميك وان لم يكن صلبا وبكعب مرتفع.

☐ مارس من التمرينات ما يشد عضلات بطن الساق واوتار بطن الركبة ويقوي العضلات الامامية قبل العدو وبعده. وتذكر ان شد الطرفين على نحو ثابت تدرجي (كما هي الحال في اليوغا) اكثر فعالية من الاسلوب القذائفي (عن طريق مد الطرفين بعنف).

☐ بعد فترات المرض او التوقف عن التمرين لا تحاول ان تستعيد مستوى اللياقة السابق الا على مراحل متدرجة. لا تتعجل.

☐ لعلاج كثير من الحالات مثل تشظي القصبة (وهو الالم الذي يصيب اسفل الساق نتيجة للعدو على السطوح الصلبة) والتهاب الوتر، قد يكون من المستحسن انقاص مسافة العدو بدلا من الراحة التامة.

☐ تجنب مقدار الامكان العدو لمسافات طويلة على الاسفلت او الخرسانة او حتى على الدروب المخصصة للعدو. وحاول ان تجد بدلا من ذلك ارضا مستوية.

تنتهي القدم بسهولة الى وضع يسمح للقدم الاخرى بتكرار هذا الايقاع الانتعاشي الذي يتيح السير في اصح صورة.

(والواقع ان اطباء القدم يعتقدون ان المشي المنتظم السريع افضل من العدو او الهرولة للاحتفاظ بلياقة القدمين).

والعدو بطبيعة الحال يزيد من الضغوط التي تقع على القدمين. فلاعبو كرة القدم الذين يخطون في المباراة الواحدة ما يقرب من ١٠٠٠٠ خطوة قوية يعرضون اقدامهم لتراكم الصدمات بما يتجاوز ١٠٠٠ طن للقدم الواحدة.

وعلى رغم ما تتعرض له الاقدام من اذى، فانها تستطيع ان تحملنا الى مسافة تبلغ في المتوسط ١٠٥٠٠٠ كيلومتر او ما يعادل السير حول الكرة الارضية مرتين ونصف مرة في غضون عمر الشخص الواحد. ويرى اطباء القدم ان من بين طرق المحافظة على صحة القدمين رفعهما كلما امكن ذلك على اي سطح قريب. كما يوصي الاطباء بالحفاء، خصوصا على الابسطة والحشيش والرمل - وليس على السطوح الصلبة - حتى يتاح لعضلات القدم ان تنثني وتقوى على نحو ما ارادت لها الطبيعة. ومن المستحب في نظرهم لوي القدم وتدويرها في اثناء الجلوس، فمن شأن ذلك ان يحافظ على حيوية العضلات ونشاط الدورة الدموية.

لكن القدم طرف قوي شديد المتانة حتى وان لم تلق العناية اللازمة. وهي تبدأ من الكاحل الذي يتكون من سبع عظام، اولاها عظمة الكاحل التي ترتبط بعظمتين من عظام الساق فتكون رسغ القدم. ويلي عظمة الكاحل من اسفل العقب او عظمة

الكعب وخمس عظام اخرى اصغر حجما تبرز الى الامام على زاوية قائمة بالنسبة الى الساق.

والعقب هو اضخم عظام القدم. وهو يحول خمسة وعشرين في المئة من وزن الجسم الى الارض، ويستوعب الصدمة الاولى في كل خطوة. ولقد تطورت الكلاب على نحو ادى الى وجود العقب في اول مفصل رئيسي، وهو بذلك لم يعد يمس الارض، بينما يقع عقب الحصان اكثر من ذلك ارتفاعا، فهو يقع في العرقوب. ومعنى ذلك في الواقع ان الحصان يمشي على آخر اصبع تبقى له. اما النساء اللائي يرتدين احذية عالية الكعب في صورة مستمرة فقد لا ينتهي بهن التطور الى ارتفاع العقب الى الساق، بل ان ارتداء هذه الاحذية يؤدي الى تقصير عضلات بطن الساق وان يكن يزيد من حسنها. ومن شأن الكعب الشديد الارتفاع انه يصبح مصدرا للالم والضيق بسبب تقصير العضلات المذكورة.

وتندرج عظام الكاحل السبع على نحو محكم في مشط القدم. ويتكون مشط القدم من خمس عظام مشطية داخل حزمة متينة ملفوفة بالنسيج، فهي بمثابة بناء مستطيل متواز يتصل بالرسغ فتنتج عن ذلك القناطر المرنة الثلاث في القدم: قنطرتان طويلتان وثالثة مستعرضة.

وهناك اصابع القدم، وهي تساعد على التوازن وتتكون من عظام تسمى السلاميات. ويوجد منها سلاميتان في الابهام وثلاث فيكل من الاصابع الاخرى. وتتحرك الاصابع بفضل عضلات القدم ذاتها كذلك العضلات النابعة في الساق. اما الاربطة التي تصل الرسغ بالعظام الطويلة من الساق، والوتر الذي يمتد بطول مؤخر الساق ويربط عضلات بطن الساق بعظمة الكعب، فهي التي تضم اجزاء هذا البناء الطليق الحركة والمتعدد الاستعمالات بعضها الى بعض وتساعده على اداء عمله.

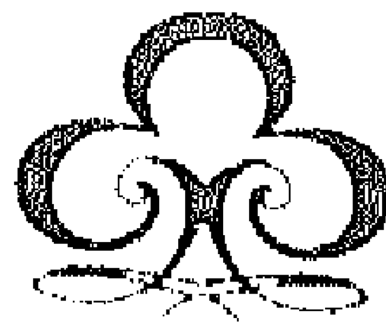
وتقتضي المحافظة على صحة القدمين اختيار الحذاء المناسب للقدم بداية من ساعة شرائه. ويوصي بعض اطباء القدم بان تقاس القدمان كل على حدة وان يتم ذلك في اثناء الوقوف لا في اثناء الجلوس. وعلى الشاري ان يختار الحذاء الذي يتناسب مع القدم الاطول. وينبغي ان يبقى بين الابهام وطرف الحذاء فراغ يراوح بين ١٥ و ٢٥ ميلليمترا، بل وينبغي ان يتجاوز الفراغ هذا المقدار اذا كان الحذاء مدببا او منفخضا في منطقة الاصابع مما يحول دون الحركة الرأسية السهلة للاصابع. وينبغي الا ينزلق الكعب عند تجربة الحذاء. فاذا اريد للحذاء ان يكون مريحا على المدى الطويل فينبغي ان تندرج ضرة القدم بسهولة في الحذاء عند التقاء القنطرة المتوسطة (من المؤخر الى المقدم) بباطن القدم، وليس الى الامام من تلك المنطقة كما يحدث في معظم الاحوال.

وعلى رغم ان القدم تتميز بمرونة العضلات ومتانتها، فيجب ان يتضمن الحذاء بطانات من الصلب او دعامات للقنطرة لا تنثني. فاذا لم يتوافر هذا اصبح الامر شبيها بوضع جسم ثقيل على لوح من الخشب عبر قناة، عندئذ قد يهبط اللوح في منتصفه. وهذا ما يحدث اذا كانت قنطرة القدم بلا تدعيم.

الحذاء الصحي ـ والحذاء الصحي هو الحذاء الذي يصنع بأكمله من الجلد الحقيقي اللين المتين. فالجلد مسامي في طبيعته، وهو بذلك يتيح للقدم ان "تتنفس" وان تتخلص من الرطوبة المتراكمة . فاذا كانت الصنادل حسنة الصنع اصبحت تعادل الحفاء او تكاد في ملاءمتها لصحة القدم.

واذا كنت قد تجاوزت الخمسين من عمرك فيحسن ان تشتري حذاءك في وقت مبكر بعد الظهيرة. فقد يترتب على الشراء في وقت متأخر ان تجد الحذاء واسعا بحيث لا يريح القدم عندما تحتذيه في الصباح التالي. وايا تكن سنك فاختر لك من الاحذية ما يجمع بين المطابقة المريحة والمظهر الحسن الذي يزيد من ثقتك بنفسك. ذلك ان الاقدام مثال عريق للعضو الذي يجمع بين قوة الاحتمال والرشاقة. فلماذا لا تضف الى مزاياها جمال المنظر؟

■ جايمس س.ج. كونيف



لندن ليست يتيمة

ارسلخطاب الى صديق لي يقيم في لندن لكن الخطاب وجه خطأ الى مدينة اخرى في كندا تسمى "لندن" ايضا. وعندما تلقى صديقي الخطاب في نهاية الامر، لاحظ ان موظف البريد الكندي قد اشر عليه بهذه العبارة: "يوجه الى انكلترا، لان فيها مدينة تسمى لندن ايضا".

بحكم العادة

بينما كنت افحص جهاز التلفزيون في بيت طبيب ناحيتنا، وجدت ان الجهاز الذي انقضت على شرائه عشر سنين، في حالة سيئة جدا. ولم أكد أنتهي من الاطلاع على عيوبه الكثيرة، حتى سألني الطبيب بأسلوبه المهني: "وبعد هذا التشخيص، فأي علاج تصف؟".

فنظرت الى الجهاز برهة وانا افكر، ثم اجبت: "المشرحة، لفحص الجثة بعد الوفاة".

ب.ك.

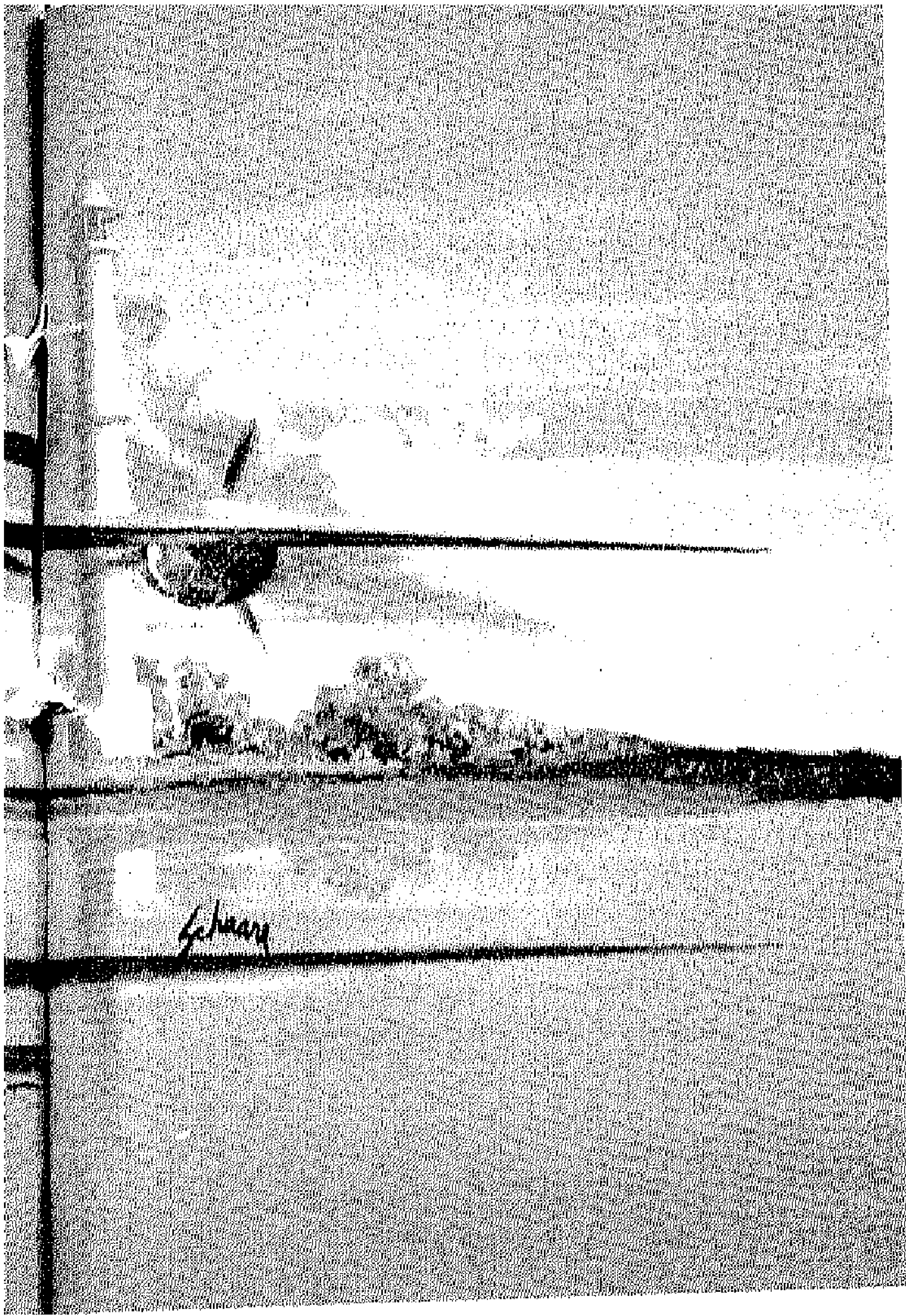
مستجد في العمل؟

حدث أخيرا أن دخلنا محطة بنزين مزدحمة بالزبائن لنبتاع وقودا وزيتا لسيارتنا الصغيرة. وادهشنا ان العامل المكلف هذه المهمة فتح غطاء المحرك ونزع غطاء الزيت وأوشك ان يضع الوقود في صندوق الزيت لولا ان رآه عامل آخر فجاء مسرعا وادى المهمة المطلوبة على وجهها الصحيح.

فقال زوجي معلقا على ما حدث: "لا بد ان زميلك هذا مستجد في العمل".

وكان الرد: "لا، أبدا. بل انه ميكانيكي وغير معتاد على ملء السيارات بالوقود".

ن.ك.



تاج محل تحت رحمة "قلعة العفاريت"

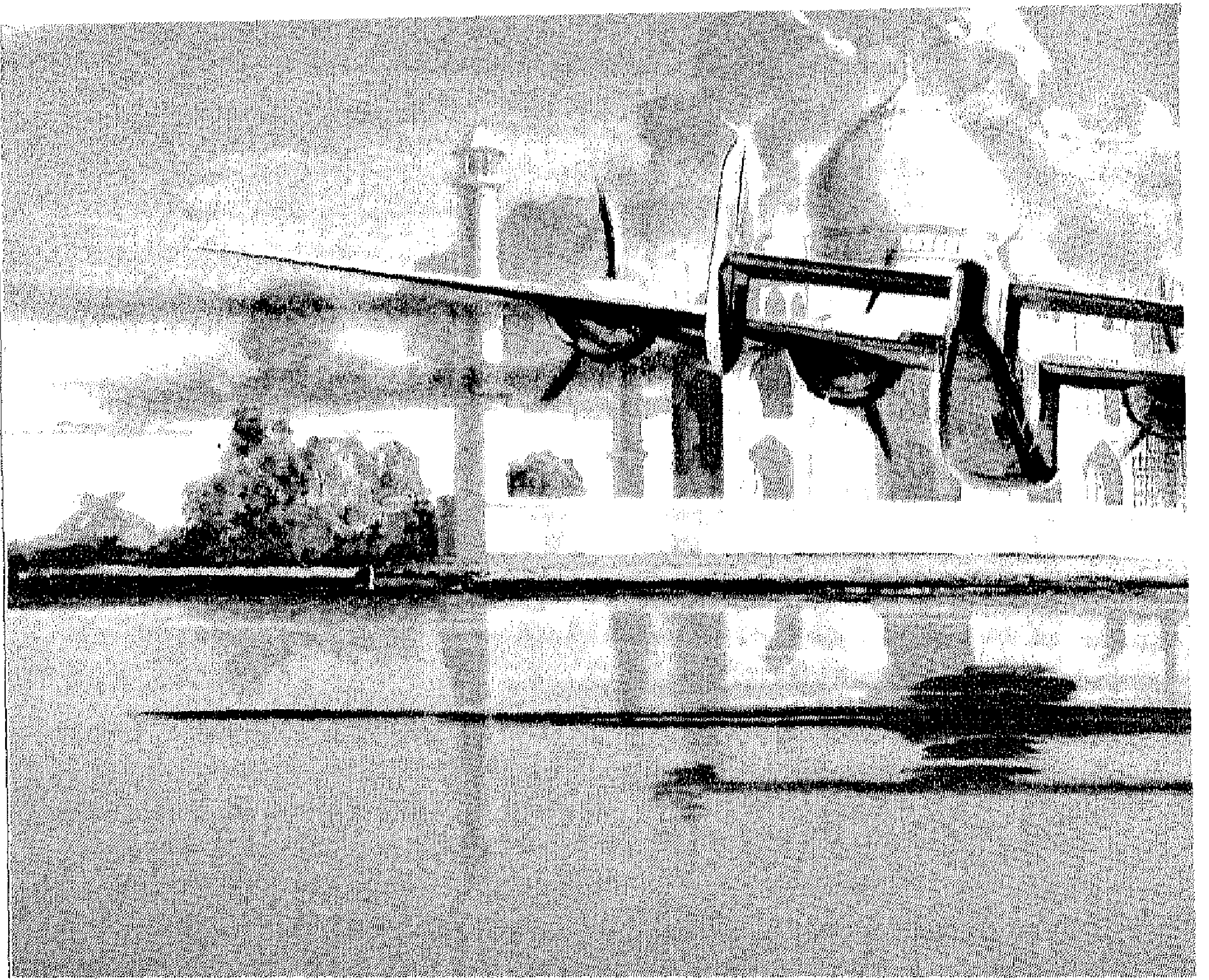
كانت القبة المتألقة تعترض مسيرة الطائرة في خط مستقيم، فأصبح لا مفر من الاصطدام بها وتدميرها٠

اوشكت، في اثناء الحرب العالمية الثانية، ان اكون مسؤولا عن تدمير تحفة من اروع التحف الفنية في العالم، وهي تاج محل٠ وقد قضيت فترة طويلة بعد ذلك والذعر يتملكني كلما تذكرت ان مصير ذلك الجمال الساحر كان في قبضة يدي العاريتين المبللتين بارق٠

كنت في ذلك الحين طيارا في سلاح النقل الجوي، اقود طائرة تحمل الامدادات من الهند الى الصين عبر الجبال٠ وكانت الخدمة شاقة تستلزم هبوط الطائرة في محطات عدة في امريكا الجنوبية وافريقيا والجزيرة العربية والهند، ولم يكن هذا العمل يتفق على الاطلاق مع فكرتي عن الحرب٠ فأين هي الالوية والاعلام والبزات العسكرية المتلألئة بالنياشين، واين هو العدو الاثيم؟

لقد كانت حربي الصغيرة هذه بعيدة عن المواجهة المباشرة للاعداء الرسميين ومحصورة في الصراع مع طائرة شحن لعينة من طراز "س - ٨٧" تحمل اسم "قلعة العفاريت"٠

وفي تلك الرحلة نحو الشرق، ظهرت على "قلعة العفاريت" اعراض ارتجاجات شاذة في اثناء الطيران عبر جنوب المحيط الاطلسي، ثم اختفت الاعراض في اثناء الطيران عبر افريقيا، لتعود فتظهر في وقت



آخر، كي تذكرنا بان العفاريت لا تزال تقبع في الطائرة.

وفي طريقنا الى سلالة في شبه الجزيرة العربية، زادت الارتجاجات زيادة كبيرة. وبعد ان غادرنا سلالة بعشر دقائق، اخذت المروحةالرقم ٢ تصدر صراخا رهيبا مبحوحا، فاضطررنا الى وقف محركها.

لم يكن وقف هذا المحرك بالامر الخطير، لان وقودنا اصبح قليلا وكنا قد بدأنا الهبوط بالفعل، الا ان "قلعة العفاريت" بدت وكأن العلل قد تكاثرت عليها، واوشكت ثقتي بها ان تنعدم.

وبينما نحن نقوم بآخر دورة في الفضاء قبل الهبوط على مدرج المطار، اخذ مهندس الطائرة يتحسر ويتنهد. فبعد الضوضاء المألوفة التي تصدر عند انزال اجهزة الهبوط والعجلات، صاح هوغارتي: "لقد عادت العجلة الامامية اللعينة الى الالتصاق. وكان معنى ذلك انه يضطر مرة اخرى الى الزحف داخل الفراغ الضيق في مقدم الطائرة ويواجه جانبا على الاقل من الرياح العاتية التي تهب تحت الطائرة، ويرفس العجلة الامامية بقدمه رفسا عنيفا حتى تهبط وتثبت في موضعها.

وعند ذاك خامرني شعور قوي بالمسؤولية. فعلى رغم ان مكاني

كقائد للطائرة هو مقعدي امام اجهزة القيادة، الا انني كنت آبى تماما ان يتعرض اي فرد من طاقم الطائرة للخطر من دون ان اشاركه فيه. ورحت ادور بالطائرة في الجو بينما هوغارتي يؤدي مهمته الشاقة، الى ان سمعت هدة سقوط اجهزة الهبوط الامامية، فعقدت العزم على ان ادعو هوغارتي الى تناول بعض الشراب في اول مشرب نمر به.

الى كراتشي - وانقضى الصباح باكمله في اصلاح عمود المروحة الرقم ٤، ثم اتجهنا بالطائرة نحو الشرق الى كراتشي.

وفي اليوم التالي طرنا الى تشابوا في اسام، حيث بذل طاقم الاصلاح كل ما في وسعه لتمكين "قلعة العفاريت" من الطيران. وبعد حين، جاءتنا الاوامر بالعودة الى البرازيل عن طريق اكرا، في الهند، وهي واحدة من اشد المناطق حرارة في العالم كله.

وبينما نحن ندور في الجو فوق اكرا استعدادا للهبوط، نظرنا الى اسفل الى التاج محل، وتعالت منا جميعا صيحات الاعجاب بتصميمه كما يبدو من الجو. ولاحظت بحكم العادة - ولكن من دون اي مبالاة خاصة - اتجاه مدرج الطائرات الذي يمتد في خط مباشر تقريبا كالسهم المصوب الى التاج محل. وحين هبطنا في الحرارة اللافحة، وبرزت في ذهني آثار مثل هذه الحرارة على كفاية الطاقة الهوائية لاي طائرة، وادركت لفوري اننا عندما سنغادر المدرج سوف نضطر الى الجري به على مسافة طويلة قبل الاقلاع.

وبما ان رحلة ايابنا الى كراتشي لن تستغرق اكثر من اربع ساعات، فقد امرت طاقم التموين بان يقتصر على وضع المقدار الكافي من الوقود لهذه الرحلة فحسب، اضافة الى كمية احتياطية صغيرة، بحيث لا يزيد مجموع الوقود على الف غالون. ورغبة مني في اتقاء سفع الشمس تركتهم الى عملهم ولجأت الى مبنى المطار.

وحين عدنا كان طاقم التموين قد انهى مهمته وذهب. وكنا مستعجلين نبتغي الهرب باسرع ما يمكن الى المرتفعات حيث الحرارة اكثر رحمة واحتمالا. (غير ان الاسراع في شؤون الطيران عمل احمق طائش في جميع الظروف). وكانت الطائرة محملة هذه المرة بالقطع المستردة من بقايا الطائرات المحطمة على الجبال، حيث كانت الخسائر فادحة في العتاد. وكان بعض القطع بالغ الثقل، لا يعرف احد وزنه بالضبط، وقد جرت العادة تحميل اي طائرة الى امتلائها بالتمام.

وانتظرت ان تدور المحركات الاربع بكامل قوتها قبل ان اطلق الفرامل، لكن الطائرة انطلقت على المدرج في بطء يثير القلق، فقطعت ثلث مسافة المدرج من دون ان تتجاوز سرعتنا ٨٠ كيلومترا في الساعة، ومن غير ان تبدو نية الاقلاع على "قلعة العفاريت". وكانت الحكمة تقتضي آنئذ بان اطفي المحركات واوقف الطائرة واعيد النظر في كل شيء لان المسافة الباقية من المدرج كانت تتيح لي ذلك.

وعندما بلغت نصف المدرج كان الوقت لا يزال يتسع للتفكير. ولكنني تركته يفلت مني. وتأرجح مؤشر السرعة عند ١٦٠ كيلومترا في

الساعة، فلم تعد المسافة الباقية من المدرج تكفي للتوقف من دون ان نصطدم بدغل الاشجار القائم عند نهايته.

وعلى بعد ٣٠٠ متر تقريبا من الاشجار، ترنحت الطائرة صاعدة فوق ارض المطار المكسوة بالاسفلت.

ولم اجرؤ على الانحراف درجة واحدة يمينا او يسارا حتى لا نفقد ذرة واحدة من سرعتنا فتقع المصيبة. وبدت لناظرينا كل ورقة من اعالي الاشجار المنبسطة والمتسارعة نحونا، فوجدتني انتظر من دون حيلة ان يصك اذني اول اصوات الاصطدام.

لا مفر من الصدام — واستغرق الامر دهرا لا نهاية له حتى ارتفعت اجهزة الهبوط واستقرت في اماكنها من الاجنحة. ثم خفت رعشة الطائرة حين انطوت العجلة اليسرى، فعاودني بعض الامل لدى شعوري بان مسيرة الطائرة اخذت تتقارب من نمط الطيران الحقيقي، ثم حبسنا انفاسنا جميعا، وانحنينا الى الامام نجذب احزمة المقاعد، وكأننا نريد دفع الطائرة الى الصعود بجهدنا البدني.

ولم ينبس احدنا بكلمة، فلم نعد نسمع سوى زمجرة المحركات الاربعة الصاخبة.

وتوالت الثواني ثم ارتسمت امام ناظري تلك الرؤيا التي ستظل محفورة في ذاكرتي الى الابد، فقد بدا التاج محل منتصبا امامي تماما. وكان مستوى قمته المتألقة يتجاوز ارتفاعنا بكثير. وساورتني رغبة جامحة في فقدان بصري كي لا اشاهد اقترابه السريع، اذ لم يعد هناك مفر من ان نصطدم به وندمره.

وتركنا الاشجار خلفنا، وغارت الطائرة في الهواء المتحدر الذي يساور نهر جومنا. ولم استطع ان افهم لماذا احجمت "قلعة العفاريت" عن التحليق بهذا الشكل.

وعبرنا النهر ونحن لا نزال نسير في اتجاه التاج محل وعلى خط يقل عن ارتفاع قبته. وبدا الان ان جناح الطائرة سيتفادى المبنى الرئيسي، ولكنه لا محالة سيصيب المأذنتين ويبترهما. واذا حاولت القيام باي درجة من الانحراف المفاجيء فسيؤدي ذلك حتما الى سقوط الطائرة وتحطمها.

وفي غمرة اليأس الذي تملكني خلال الثواني الباقية، اتخذت قرارا عنيفا لا اعتقد ان حاول طيار آخر مجرد تجربته في طائرة من طراز "س – ٨٧"، خصوصا على هذه المسافة القريبة من الارض. فالسرعة كانت سبيلنا الوحيد الى النجاة، واذا فقدناها فسوف نسقط. ولكننا لم نكن نستطيع الانخفاض ابتغاء لمزيد من السرعة، كما ان المحركات كانت قد بلغت اقصى حدود طاقتها. ومع ذلك فقد بدا لي ان ما اعتزمته سيؤدي بلا ريب الى خفض سرعتنا.

فناديت هوغارتي، قائلا: "اعطني حركة كاملة للمصاريع". فانصاع لفوره، وكانت النتيجة انها تعادل في رهبتها هول الرؤيا التي تهددنا بالدمار في مواجهتنا. فقد بدت الطائرة وكأنها قد اصطدمت بجدار اوقفها لدى هبوط المصاريع. ولم يكن لدي وقت لعمل اي شيء حين مال انف الطائرة السمين الى اعلى في حركة مفاجئة، ورحنا نرتفع في اتجاه عمودي تقريبا وكأننا في مصعد سريع.

وشاهدت اعمال الترميم الجارية في مبنى التاج محل، ورأيت سقالات الخيزران بين المأذنتين وطالعتني عيـون العمـال المفعمـة بالدهشـة، واسنانهم التي بدت حين انفتحت افواههـم مـن الـذهـول، ولفـائـف عماماتهم وايديهم التي توقفت في منتصف حركتها حين دهمهم هذا الوحش المخيف الصارخ منطلقا على بعد امتار قليلة فوق رؤوسهم.

افظع جريمة - وحدث ما يحدث عندما يسرع الانسان بقلب صفحة في كتاب. فقد تجاوزنا مبنى التاج محل ثم اخذنا نهبط وراءه وقد اصاب المحركات عياء تام. ودفعت مقدم الطائرة الى اسفل، لان الارض خلف التاج محل مباشرة كانت منبسطة وجرداء يعلوها ولا شك تيار هوائي صاعد من جراء الحرارة. وطلبت من هوغارتي ان يعيد اغلاق المصاريع قليلا قليلا. ومضيت بالتدريج ادغدغ "قلعـة العفاريـت" لاحـثـهـا علـى التحليق. حتى اقنعتها بالصعود الى ارتفاع يناسب الطيران الحقيقي. وكنت كمن يحاول اغراء عجوز ثملة بان تحاول صعود سلم تدحرجت من فورها ساقطة عليه.

وعندما تسلقنا في النهاية الى ارتفاع ثلاثمئة متر، حولت اتجاه "قلعة العفاريت" الى كراتشي.

وقد اكتشفنا هناك سبب السلوك الغريب الذي تملك هذه الطائرة. فمن مميزات هذا النوع من الطائرات فساد مقاييس الوقود فيها. فهي لم تكن ابدا موضع ثقتنا. وقد اساء طاقم التموين في اكرا فهم طلبي، فزاد على الوقود الذي كان موجودا بالفعل فـي خزانـات الطائـرة الـف غالـون اخرى، مما ادى الى حمولة اضافية مقدارها ثلاثة اطنان، علاوة على الاثقال غير المحسوبة لما يرقد في بطن الطائرة من قطع وآلات. وكان اجتماع كل هذه الغباءات معا، في موكب اقوده انا شخصيا، هو الذي اوشك ان يسفر عن افظع جريمة فنية في الحرب العالمية الثانية.

واما "قلعة العفاريت" فقد تمكنت بطريقة ما من مواصلة رحلتها الى البرازيل، حيث ادخلت على الفور مستشفى ناتال لاعالج من نوبة ملاريا عنيفة. وفي غمرة كوابيس الحمى التي كانت تنتابني، تضاعف هذياني من جراء تلك الرؤيا المخيفة التي كادت ان تتحقق في اكرا فتجعل مني الهمجي والمخرب الرقم ١ في العالم باسره. وقد ظل شبح تلك الرؤيا المرعبة يطاردني على مدى سنوات طويلة بعد ذلك.

ملخص من "رهين المصادفات" لارنست ك. جان
صاحب "أهل السمو والسطوة والقدر الصبار"



هل تفهم ما اعنيه؟

قال عميل لآخر في احد المحلات الكبيرة: "ان للاسعار المرتفعة فضيلة لا بد من الاعتراف بها. فانت عندما لا تشتري شيئا تكون قد وفرت بلا شك مبلغا كبيرا".

وكانت "نون الجماعة" عند امي، اذ تقول "من الخير لنا"، من قبيل التفخيم لا اكثر. فقد كان محظراً علي ان اضع ولو اصبعا على جلدة الكتاب المشققة. ولذا تملكني فضول جنوني لمعرفة محتوياته. وكنت اسأل امي منتحبة: "لم لا تسمحين لي بأن القي نظرة على الكتاب؟" فيجيبني صوتها المهيب: "انه للكبار".

اما الكبار، في هذه الأيام، فلم يعد بالطبع يحسب لهم حساب كبير، واصبحت قلة الحديث عنهم او اليهم خير من كثرته. لكن الكبار في زماني كانوا محاطين بهالة من الاجلال وكانوا يتميزون بذلك عن الطبقة العامة العادية من معشرنا نحن الاحداث. فكانت هيئاتهم تختلف اختلافا جذريا عن هيئاتنا. وكم كنا نستغرب مشاهدة الاعمام والاخوال بملابس السباحة. فقد اعتدنا ان نرى صدورهم مكسوة بالقمصان المكوية والمنشاة بدقة واتقان فكنا نصدم بان نرى هذه الصدور مطلية بالشعر وان تبدو سيقانهم احيانا وكأنها هر" مبلل بالماء. في حين ان العمات والخالات اللائي انكمشت صدورهن بمشاد من الحرير او الكريب الصيني حسب الزي الشائع، فبدت مستوية كاللوح الخشبي، كن في لحظات الاسترخاء يفككن شيئا في ظهورهن، واذا بصدورهن تنفرج فجأة مع تنفس الصعداء.

وكنت اتوجه ببراءة الى ابن عمي فريزر المثقف المحنك، عندما كنا نستضيفه احيانا في منزلنا، واسأله مستغربة: "كيف يفعلن ذلك؟"

وكان يجيبني: "ستكلفك معرفة ذلك اربعة بنسات". وكانت عيناه الزرقاوان تلمعان ذكاء كنجمين متألقين، ولو انه ولد، كما يقال، كهلا وشيطانا.

وهكذا مضت ايام طويلة قبل ان ادرك الحقيقة. وقد قررنا نحن معشر الصغار جميعا ـ باستثناء فريزر الذي كان واثقا من قدرته على معالجة الامور - ان نستمر في حداثة سننا ونأبى اطلاقا الالتحاق بسن الكبار.

مفتاح لكل لغز ـ ومع ذلك، لا يسعنا الا الاقرار باننا سعينا سعيا حثيثاً الى تقصي المعلومات عن ذاك القطاع البشري الذي استعصى علينا فهمه او تفسيره. وبدا لي ان في كتاب الطبيب مفتاحا لكل ذلك اللغز.

اعتقد ان والدتي ورثت الكتاب عن صديقة قديمة لها، كانت امرأة رائدة بين نساء جيلها، وعاشت على بعد يزيد على مئة كيلومتر من اقرب طبيب في المنطقة. لكن الصور الايضاحية التي كان يحتويها الكتاب تدلل على توغله في القدم. فقد بدا فيه الرجال في قبات عالية كأنما هي مجبولة بالاسمنت الابيض، وسوالف متكاثفة وكأنها قطع من صدوغهم. اما النساء فكن يرتدين طرحات واوشحة رقيقة متهيئات للصلاة وقد تعالت صدورهن كالشرفات فوق خصورهن الدقيقة الجاسئة. وشككت في صحة ذاكرتي وسألت اختي في حديثنا الاخير عن سير الماضي، "اذا كانت تلك الاجسام مكسوة حقيقة بكامل ملابسها؟"

فأجابتني: "بلى. كانت كذلك بالتأكيد. الا تذكرين الاجرة التي اقتضاها فريزر منا؟ ستة بنسات وثلاث سمكات من الشوكولاته ثمنا لرؤية النوافذ!"

وفجأة تذكرت تلك الوهلة الاولى من الرؤيا المروعة الغامضة التي لمستها ساعة القيت اول نظرة على "كتاب الطبيب".

كان لفريزر كلب صغير كثيف الشعر الى حد غريب، وكان عزيزا عليه كالكنز الذي لا يقدر بثمن. وكان يختفي احيانا لبعض الوقت فلا تلبث ان تثور ضجة كبرى بين معشر الكبار، وذلك ان فريزر كان يحبك مسرحيته التي تقضي بان تختفي اختي الصغيرة مع الكلب في غابة مجاورة فيما يتولى هو امر الصراخ المخيف لهرب كلبه من البيت، فيبادر الكبار الى البحث عن الكلب ونتسلق انا وفريزر خزانة البياضات حيث كان يكشف لي خفايا "كتاب الطبيب".

واظهرت اختي بادىء الامر بعض التمرد. الا انني وعدتها باطلاعها على كل ما يكشفه لي الكتاب. فانسلت مع الكلب حسب الاتفاق، واطلق فريزر صرخة الحرمان لفقد كلبه العزيز. فاندفعت العمات والخالات يفتشن عنه في كل صوب، وعهدن الي في ان ابقى في الدار لاهدىء من روع ابن عمي المسكين. فخلا المنزل من كل مخلوق سوانا.

وللتو تسلقنا الخزانة. وفي حين كان فريزر بارد الاعصاب لا يبالي، كانت فرائصي انا ترتعد خوفا، وكنت استرق النظرات من وراء كتفي وقد انتابني شعور بفداحة الذنب.

وقلب فريزر صفحات الكتاب حتى اهتدى الى قسم الصور الايضاحية، فاذا بنا نرى صور النساء والرجال يلعبون كرة المضرب او يتفحصون "البوم" العائلة من الصور او يلتقطون باقات الزهر مبتهجين، غافلين تماما عن الحقيقة الفاضحة، وهي ان مربعات صغيرة قد قدت من ملابسهم الرائعة لكي تظهر تحتها الاكباد والرئات المفزعة العارية.

يا لهول الصدمة بالنسبة الى طفلة مرهفة الشعور تدلت احدى قدميها عند حافة لوح رقيق من الخشب على ارتفاع شاهق فوق ارض الغرفة، وهي تكتشف ان للكبار نوافذ زجاجية في أجسامهم، وان في استطاعة الناظر اليها ان يشهد من خلالها دواخلهم المترهلة الكريهة. وسألت بصوت مرتجف:

- "م... ما ذاك؟"

فامعن فريزر النظر في صورة رجل واقف في احد ملاعب الكرة، غير عابىء بالنافذة التي توسطت جسمه، فظهرت منها كتلة بشعة من الامعاء.

واستغرق فريزر في التفكير، ثم قال:

- اظن انها ديدان ضخمة.

سمكة الشوكولاته – وعندها انزلقت قدمي، فوقعت كسابق عادتي منكفئة على وجهي، وارتطم انفي بالارض. اما فريزر فقد اعاد "كتاب الطبيب" الى مكانه بالضبط واغلق الخزانة، ثم جرني الى خارج الغرفة وانا ملطخة بالدم. ولم اكد اعود الى صوابي حتى طالبني باجرته: ستة بنسات وسمكة من الشوكولاته.

وحين تمالكت نفسي بمقدار كاف لاطلع شقيقتي على ما رأيت، لم تصدقني. وغضبت كثيرا ثم انحازت الى جانب فريزر قائلة:

- فريزر يعلم من اين يأتي الاطفال.

□ من اين؟

- فريزر يطلب شلنا وكتاب النوادر المضحكة ثمنا لجوابه. وعندما

يطلعني على السر فلن ابلغك اياه مطلقا.

ومن الواضح اننا نحن اللتين كنا نعد حصيلتنا من المال بنسا بنسا، لن نقوى على دفع تلك الاجور المرتفعة، وبالتالي سنبقى في جهل ابدي لا ندري من اين يأتي الاطفال. ومهما يكن الامر فقد كانت هناك اسئلة كثيرة اخرى تستحوذ على افكارنا. وقد مكثت اشهرا طويلة في عهد الطفولة الساذجة اخذ الامور بحرفياتها قبل ان ادرك ان تلك الصور المرعبة في "كتاب الطبيب" لم تكن سوى طريقة الكبار الغريبة البشعة في اظهار اعضاء الجسم من دون الكشف عن عريها، حيث كان العري الصريح امرا يستحيل مجرد التفكير فيه.

وسألت شقيقتي قبل ايام: "هل تعتقدين ان لدى كل اسرة نسخة من "كتاب الطبيب"، وان لكل اسرة ولدا ماكرا ينتهي به المطاف الى كشف اسراره فيفقد صوابه من مجرد رؤية صوره؟"

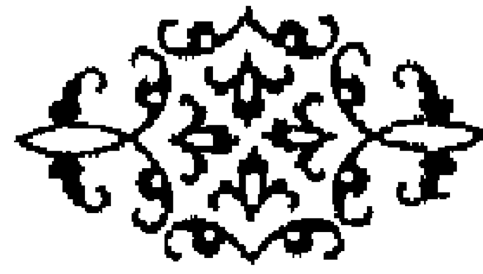
فقالت: "لا ينطبق هذا الوضع على فريزر. فما ان شب حتى راح يتملق والدتنا ويستجديها الكتاب بشتى الوسائل حتى حصل عليه. وفي حيازته الآن رسالة تقدير لطيفة من مكتبة الجامعة الطبية".

- "انت لا تقصدين انه باع الكتاب".

فردت علي: "او لا تعرفين فريزر؟"

■ روث بارك

(صحافي وكاتب وروائي اوسترالي).



أغاثا كريستي تنقذ طفلة عربية

كانت رواية أغاثا كريستي "الحصان الشاحب"، عاملا حاسماً في انقاذ حياة فتاة عربية عمرها تسعة عشر شهراً، نقلت إلى أحد مستشفيات لندن وهي تحتضر من مرض حار الأطباء في أمره. وتقول "المجلة البريطانية لطب المستشفيات" إن الطفلة العربية التي نقلت بالطائرة من إحدى امارات الخليج، كانت فاقدة الوعي تقريباً لدى دخولها مستشفى هامر سميث في لندن. وعلى رغم العناية المكثفة فأن تنفسها أخذ يزداد صعوبة وبدا أنها على حافة الموت، من دون أن يتمكن الأطباء من تشخيص مرضها.

ثم حدث في أثناء دورة التفتيش الصباحية أنه أقترحت الممرضة مارشا ميتلاند ان الطفلة قد تكون مصابة بالتسمم بالثاليوم (وهو معدن أبيض ضارب الى الزرقة له أملاح سامة). وقالت الممرضة التي كانت تقرأ رواية "الحصان الشاحب"، ان اعراض الطفلة مماثلة جدا لاعراض حال التسمم بالثاليوم التي وردت في الرواية. ولما كان بيع الثاليوم خاضعا لقيود شديدة في بريطانيا، فان المستشفى كان يفتقر الى المعدات اللازمة لأجراء التحاليل التي تساعد في التحقق من حال الطفلة. ولكن اسكوتلانديارد عثرت على معمل يمكنه إجراء هذه التحاليل التي أثبتت صحة ظن الممرضة، وعلى الفور بدأ علاج الطفلة على النحو الملائم، فتماثلت للشفاء بعد وقت قليل.

أ. ب.

فوق كتفَيْ عملاق



قصة طفل أعجوبَة
وُلِدَ بلا ذراعين وبلا سَاقين

فوق كتفَيْ عملاق

قال لها وهي تنقله الى فراشه: "عمتي، لماذا يمسك الأطباء بالأطفال الجدد ويرفعونهم ويصفعونهم فور ولادتهم؟"

وتساءلت هيزل بينها وبين نفسها في عجب عما عسى ان يؤدي اليه هذا الحديث، ولكنها أجابت وأوضحت الأمر.

غير ان الصوت الصغير عاد يسأل في إصرار: "حسنا، فكيف صفعوني اذا؟ ومن أين أمسكوا بي ليعلقوني مقلوبا؟"

فقالت هيزل في عجلة: "عندما خرجت الى الوجود، أظن أنهم أمسكوا بك من أذنك وصفعوك، وكانت تلك هي طريقة مجيئك الى الحياة".

كان الصبي كتلة بشرية صغيرة، فقد ولد بلا ذراعين ولا ساقين، وانما كانت له ارادة لا تقهر للتغلب على عجزه. وكان الاندماج بين حياة هذا الطفل الذي جاء ضحية عقار "الثاليدوميد" وحياة كل من أبويه بالتبني أمرا بعيد الاحتمال ولكن كان له فعل السحر على الثلاثة جميعا. لقد كان هؤلاء كلهم ضحايا هزمتهم الحياة فانصهروا معا في وحدة متراصة سداها الحب ولحمتها التماسك وهي اكسبتهم في النهاية نصرا لم يكن في الحسبان".

كان الزوجان العجوزان الواقفان على عتبة الباب في حاجة الى المعونة، فقبل خمس سنوات ولدت ابنتهما طفلا بلا أطراف، ومن دون احدى العينين بينما تعاني العين الباقية ضعفا في البصر، وقد جاءا الآن يلتمسان العون من ليونارد وهيزل وايلز.

كانت الصدمة التي مُنيت بها ابنتهما من ولادة هذا الطفل بالغة العنف فنصحها الأطباء بأن تمتنع عن رؤيته، وعاش الطفل منذ ولادته في مستشفى، لكنه أصبح يحتاج الى ولي" قانوني... شخص يوقع على الأوراق ويتولى الأمور الرسمية، وقام العجوزان بتلك المهمة بضع سنوات ولكنهما أصبحا عاجزين عن تحمل هذا العبء، ولم يستطيعا الاهتداء الى شخص آخر يرضى بتحمل تلك المسؤولية.

وقالا وهما يخاطبان الزوجة: "لقد كنت أعز صديقات ابنتنا يا هيزل، فهل تتكرمي أنت وزوجك لين بمعاونتنا وتقبلان مهمة الوصاية على الطفل آندي؟"

وحين جلس الزوجان للعشاء بعد حين، أخذ الزوج ليونارد وايلز يقلب الأمر على وجوهه، وقال لزوجته: "اسمعي يا هيزل، ان هذين العجوزين لا يطالباننا بشيء مرهق، أليس كذلك؟ المسألة ببساطة هي أنه اذا احتاجت حالة طفل صديقتك الى اجراء اي عمليات جراحية أخرى له فسيطلب منا أن نوقع على تصريح بذلك، فأين هي الصعوبة؟"

فقالت الزوجة: "لست أريد أن أراه يا لين، لا أريد ان أراه أبدا".

فقال هو: "ولا أنا، ولا حاجة بنا الى رؤيته، كل ما علينا أن نفعله هو أن نكون هنا اذا حدث طارىء عاجل كي يجد الأطباء من يخاطبونه".

وأضافت هيزل: "حسنا، اذا كان هذا كل ما في الأمر فلا مانع سنفكر في الأمر، ولكننا لن نتخذ اي قرارات متعجلة".

غير أن ليونارد قرر بينه وبين نفسه أن يتحين الفرصة متى لاحت له كي يذهب ليرى الطفل ويتحدث الى المسؤولين في المستشفى، وراوده أمل في أنه قد ينجح في اقناع هيزل بمصاحبته، ربما اعانهما ذلك على بت الأمر.

النظرات الاولى

أخذ ضباب البكور يتزايل مخليا السبيل لشمس الشتاء بينما كانت سيارة النقل التي يقودها ليونارد وايلز تتخذ طريقها نحو غابات ساسيكس وبراريها الوادعة، كانت السيارة تحمل شجيرات ونباتات مغروسة في أوعية، وكلها آتية من مشتل قائم في براميتون في مقاطعة هانتينغدو نشاير، على بعد ١٥٠ كيلومترا قطعتها السيارة منذ الفجر.

كان وايلز رجلا عريض المنكبين، في منتصف العقد الخامس من عمره، له يدان خشنتان يتخلل نسيجهما خليط من الزيت والطين، وكانت عيناه العسليتان الحادتان تتحركان باستمرار وهو يقود السيارة عبر مجموعة من المباني المنخفضة، حتى أوقفها في ساحة تحيط بها الأشجار، فنظرت اليه كلبته "شيبا" الألزاسية القابعة على المقعد المجاور له، وقد بدا في تطلعها الأمل.

فقال لها لين: "الأفضل ان تنتظري هنا".

وقطع الساحة على قدميه الى أقرب مبنى،ثم نظر حولهفلم تقع عينه على أحد. ففتح الباب وخطا داخلا الى ممر يتردد فيه صوت آلة كاتبة تطقطق من بعيد. ثم تدانت على الأرض الخشبية خطوات نسائية سريعة، فتوقف ليونارد مترددا، حتى ظهرت سيدة تحمل ملفا مليئا بالأوراق فسألته: "ما الخبر؟ ماذا تريد؟"

فأجاب: "لديكم هنا طفل يدعى آندي أود أن أراه".

فنظرت اليه في ريبة وقالت: "آندي. لا اعلم اذا كان من المناسب أن تراه".

"ولكن اليوم هو السبت، أليس كذلك؟ – سأل ليونارد – وقد قطعت مسافة طويلة".

فراحت عيناها تنتقلان عبر ملابس ليونارد القديمة، وتتوقفان عند أظافره المتشققة وسراويله المكرمشة ذات اللون الحائل. وهو أحس بما يخالجها من شك لكن صوته كان هادئا ومهذبا وجدّي اللهجة، على نحو بدا متناقضا مع مظهره.

وأخيرا قالت: "سأرى اذا كان ذلك ممكنا. ويحسن بك ان تأتي معي".

فسار ليونارد خلفها ثقيل الخطو، وأحس بالعرق يبلل راحتيه، فمسحهما بسرواله.

واقتربا من مبنى آخر، فسألته السيدة: "أظنك جئت قبل الآن، أليس كذلك؟"

فأجاب: "كلا".

فقالت: "هل تعني أنك لم تر الصبي أبدا من قبل؟ عفوا اذاً، ولكن لماذا جئت الآن؟ لقد أوشك على أن يتم عامه السادس، ولا يبدو أنك أظهرت أي اهتمام به حتى اليوم!"

كان الأمر يتطور الى أسوأ مما هجست به مخاوف ليونارد وقال: "لقد كنت مارا بهذه المنطقة كما ترين، وخطر لي... انني أعرف الأسرة، وأعلم بأمر آندي منذ... ولادته".

وبدا على السيدة مزيج من نفاد الصبر والتعاطف، فنظرت فوق كتفها، ثم تطلعت الى ليونارد وقالت: "أظنك تدرك ما أنت مقبل على زج نفسك فيه؟"

فهز ليونارد رأسه ايجابا.

واضافت: "أرجو ذلك. ان لديهم من المتاعب ما يفوق كفايتهم، ولست أريدك أن تدخل عليهم وأنت غير مستعد لذلك". وكان ذلك بمثابة فتح باب في وجه ليونارد يمكنه أن ينسحب منه ولكنه قال: "انني أود ان أراه، من فضلك".

فهزت السيدة رأسها، وانحرفت في طريقها حتى بلغت بابا يدور على مفصلة ينفتح ويرتد تلقائيا، وتبعها ليونارد الى الداخل في شيء من التردد.

كان ضوء الشمس ينير الغرفة، فرأى الوجوه الصغيرة ترتفع متطلعة اليه.

لقد شاهد ليونارد في أثناء الحرب العالمية الثانية الآثار التي يلحقها التشويه بالمحاربين: جنود فقدوا أطرافهم كلها، وآخرون فقدوا عيونهم، وغيرهم اصابتهم حروق شنيعة.. وعلى رغم ذلك فانه لم يتحسس من قبل أبدا بما يشبه من قريب أو بعيد تلك الصدمة التي انزلتها به رؤية تلك الوجوه الصغيرة، فسار خلف السيدة ببطء وهو يحاول

ألا يتطلّع حواليه، حتى رآها تلتقط من الأرض جسما ضئيلا أسود الشعر مشوه التكوين، بدا أنه جسم طفل.

وقالت متسائلة: "السيد...؟"

ـ ليونارد وايلز.

"آندي! ها هنا زائر يريد أن يقابلك... سيد اسمه وايلز".

كان رأس ليونارد يدور من هول المفاجأة، ولكنه حاول أن يغتصب ابتسامة، وقال: "أهلا بك أيها الصغير! ما رأيك في أن ترتدي ملابسك وتصحبني في نزهة في سيارة النقل التي أقودها؟"

وحمل ليونارد الصبي الذي يبلغ الخامسة من العمر وسار به نحو سيارة النقل، حيث كانت الكلبة "شيبا" جالسة وقد مدت رأسها خارج النافذة ترقب اقترابهما.

وصاح الصبي: "أوه... ذلك كلب ألزاسي، أليس كذلك؟ أراهن على أنه شرس... أهو كلب حراسة؟"

"انها كلبة أنثى ـ قال ليونارد ـ واسمها شيبا. والمفروض انها تحرس سيارة النقل، ولكنها لا تؤذي ذبابة. هيا يا فتاة هذا هو آندي".

فبدأت "شيبا" تلعق قدمي الصبي وتتشممهما، فقال: "انها لا تكاد تداعبني. ولكنها لا تعض، أليس كذلك؟"

ولم تكد تمضي دقائق حتى تلاشى من نفس ليونارد كل ما كان أحس به في البداية من اشمئزاز واشفاق، اذ تبين انه أمام صبي صغير يتميز باليقظة والانتباه واستقلال الشخصية وقوة الارادة. ومضى الصبي يسأله بلا انقطاع وبذكاء عن عمله، وبيته وزوجته، ويتسوّل منه الحلوى ويستمتع بها مثل أي ولد صغير عادي. وعندما أعاده ليونارد في النهاية الى المستشفى، صاح الطفل مفتخرا فقال لرفاقه: "لقد اصطحبني عمي في نزهة. ولديه سيارة النقل الضخمة تلك وهذه الكلبة الألزاسية التي تدعى شيبا. ولن يلبث أن يعود مرة أخرى ليصطحبني في نزهة بالسيارة... أليس كذلك يا عماه؟"

فأجاب ليونارد: "انني سأعود يا آندي. والآن الى اللقاء".

فرد آندي: "الى اللقاء. وشكرا".

وحين بلغ ليونارد الباب عاد الصوت الصغير يلاحقه مصرصعا في اصرار: "عدني! عدني بأن تعود!"

فنان الفرار الكبير

كان مستقبل آندي متجهماً قاتم الأفق منذ ولادته. وحين خرج الى الدنيا في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ لم يعتقد الأطباء أنه سيعيش. فهو ولد بلا ذراعين، وكانت كتفاه ملساوتين تماما بحيث انزلق جذعه الصغير بين ايدي الممرضات في نعومة وكأنه جسم فقمة (عجل بحر) حديثة الولادة. وكانت له بدلا من الساقين زعنفتان تبرزان على الجانبين في أسفل جذعه، وهما أشبه بشيء وسط بين اصابع القدمين وقوائم الطيور التي تمتد بين أصابعها أغشية جلدية. وكان محجر عينه اليسرى ممتلئا بكيس لحمي كبير بدلا من العين ذاتها، أما أنفه فكان أفطس عريضا.

كان آندي المشوّه الى أقصى الدرجات ضحية صارخة من ضحايا الأخطاء الفادحة المرتكبة في صناعة الأدوية، وواحدا من ذلك الرعيل

البائس المسكين من الأطفال العديمي الأطراف الذين أخذوا يدخلون المستشفيات في انحاء العالم بعدما نزل الى السوق عقار "الثاليدوميد" الالماني ثم أصبح يباع بترخيص في انكلترا حيث غدا في متناول الجمهور في شهر أبريل (نيسان) ١٩٥٨ بمقتضى وصفة طبية.

وقيل في مزايا "الثاليدوميد" انه يعالج القلق والأرق وهبوط المعنويات وغثيان الصباح، كما ساد الاعتقاد بسلامة تعاطيه التامة خلال فترة الحمل. وبعد ثلاث سنوات ونصف سنة (عام ١٩٦١) نسبت رسميا الى العقار مسؤولية تفشي ظاهرة شبه وبأية من المواليد المشوهين تشويها بالغا، وسحب من السوق في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من العام نفسه، بعد أن بلغ عدد ضحاياه في بريطانيا أكثر من ٤٠٠ طفل تراوح تشوهاتهم بين نقص مفصل من احد اصابعهم والافتقار التام الى الأطراف الأربعة، اضافة الى ما صاحب الكثير من هذه التشوهات البدنية من اصابات الصمم او التأخر العقلي أو غير ذلك من أنواع العجز.

وكان بيت آندي هو جناح المستشفى المشمس المدهون بالألوان الزاهية، غير أنه كان بلا شك مؤسسة يعيش فيها معا عدد كبير من الأطفال وينقصها الجو العائلي وحرارة الأسرة واتاحة المجال الكافي للذوق الفردي والميول الفردية كذلك. ومع مرور السنين، نما آندي وذكاؤه النيّر وعزيمته المفعمة بالتصميم على ما يتجاوز حدود أطرافه الضائعة وبداياته التعسة، فبدت له جدران المستشفى ذات الألوان الزاهية قضبانا يقيم وراءها سجن كابح. وكان يدرك أن في هذه الدنيا أنواعا من الحياة خيرا من هذه، وكان مصمما على الاهتداء اليها.

وكان، وهو في فراشه في موعد النوم، يقضي ساعات المساء وهو يدبر الخطط الخيالية للهرب، فيتصور نفسه مرة في دور الهارب الكبير، ومرة اخرى في دور الساحر الشهير هوديني وهو يخرج طليقا من تابوت محكم، ومرة ثالثة فيدور أسير حرب يتفادى الرصاص الذي ينهال عليه وهو يدلي الحبل الذي حاكه من ملاءات الفراش المعقودة والمشدود الى نافذة زنزانته في القلعة المنيعة التي سجنه فيها الأعداء، ومرة رابعة في دور "آندي الذي لا يقهر"، قائد المقاومة السرية الذي يضع مكامن من المفرقعات في أحذية الألمان الطويلة بينما رجاله يفلتون خلال القضبان المحترقة من غرفة التعذيب التي عانوا فيها الأمرين.

وكان يتحسس ملاءات الفراش بقدميه الدقيقتين الشبيهتين بالزعنفتين، ويسائل نفسه عما اذا كانت ستتوافر له القدرة ذات يوم كي يمزقها ويربطها عقدا الى بعضها.. عندئذ سيتدلّى بها هبوطاً محاذياً الجدار.. وقد قضى ساعات طويلة يستظهر في عقله مواضع الشقوق فيه ثم ينفلت الى الأرض بهدوء تام على الحشيش ويتدحرج عبر الطريق بعيدا عن الغرفة البيضاء حيث تغرز فيه الأبر، بعيدا عن غرفة الدراسة حيث يأسرونه ساعات طويلة وهو حبيس ساقيه الصناعيتين الثقيلتين البطيئتين.

غير أن العزاء الذي كان يستمده

من خيالاته وأوهامه تلك، لم يلبث ان راح يتناقص مع اطراد نموه أو تقدمه في العمر على الأصح نظرا الى قلة نموه البدني، وبدأ هاجس آندي يقنعه بأن حاله هذه ليست سوى عقاب نزل به من اجل ذنب ارتكبه من دون علم منه، فجازاه الله بحرمانه ساقيه وذراعيه. أما المستشفى فأصبح في نظره مكانا للأطفال المذنبين عندما تمتنع أمهاتهم عن ابقائهم في احضانهن.

وظل آندي ينتظر على هذه الحال المضطربة وهو يعتزم شدّ جسده الضئيل وزعنفتيه الى أي شخص يرضى دخول حياته والبقاء فيها فترة تكفي لدعم آندي وتمكينه من الصمود... فلقد كان يشتهي لنفسه أسرة يعيش في كنفها وبيتا يطمئن اليه، تدفعه الى ذلك غرائزه مثل حيوان يسعى الى ما يسد رمقه.

ليونارد وهيزل

لم تبرح من خاطر ليونارد تلك الأحاسيس المرعبة وذلك العجز الذي تلمسه في نفسه حين رأى عنبر الأطفال للمرة الاولى، فراح يقود سيارة النقل على مهل في اتجاه بيته، وهو يدير في رأسه أفضل ما يمكنه ان يقوله لزوجته هيزل التي كانت تنتظره عند عتبة البيت، فبادرته سائلة: "كيف سارت الامور؟ وما شكل هذا الطفل؟"

فقال: "هيا بنا ندخل أولا ونتناول قدحا من الشاي".

كان بيتهما صغيرا لا يتجاوز الغرفتين، كما كانت مواردهما ضئيلة. وكان مدخل المطبخ من باب يقع في حجرة الجلوس.

وعادت تسأل: "حسنا يا لين، ما هو رأيك؟"

كانت هيزل في الثلاثينات، ممتلئة البنية، سوداء الشعر، تضع نظارتين وتتملكها البشاشة والرغبة في الحديث حين يعود اليها ليونارد من عمله. لكنها أحست هذه المرة بما ينتابه من قلق وارتباك، فاستولى عليها الصمت والقلق ولم تجد شيئا يبعث على الراحة او الاطمئنان في ما رواه لها عن زيارته.

ولم تكن الحياة رفيقة بأي من الزوجين. فقد ولد ليونارد عام ١٩١٢، وكان ترتيبه الخامس بين ستة أطفال. وهو يكبر زوجته هيزل بثمانية عشر عاما. وكان منذ صباه الباكر شديد الميل الى الوحدة عنيد التمسك بها، فراح ينتقل من عمل الى آخر من دون أن يجد نجاحا مستمرا في أي منها. وكان برهن في سنيّه المدرسيّة عن عقل فطن سريع الفهم لكنه سريع الملل، فجاءت تقاريره الدراسية سجلا طويلا حافلا بالذنوب. ومات أبوه وهو في التاسعة، وحين قارب الرابعة عشرة ترك المدرسة نهائيا كي يعمل في حانوتين للحلويات تملكهما أمه.

وجرب ليونارد حظه خلال السنوات التالية في البستنة التجارية، ثم التحق بالجيش وقضى خدمته العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية عامل رادار في المدفعية الملكية البريطانية في العراق ومصر وصقلية، حتى سرّح من الجيش لاصابته الجسيمة في حادث تصادم بين سيارتي نقل أدى الى تهشم وجهه تهشيما خطيرا مما استلزم اجراء عدد

من جراحات التجميل الكبيرة. وبعد الحرب تزوج ليونارد واشتغل بالاصلاحات الكهربائية، ثم عمل حينا في وظيفة مراقب لمصايد الأسماك في المجلس المحلي لأحدى المقاطعات، وانتهى أخيرا الى العمل سائقا لسيارة نقل في أحد مشاتل هانتنغدون. وحين التقى هيزل كانت حياته الزوجية تتدهور بسرعة، وكان يعاني مصاعب مالية، كما هي حاله على الدوام.

أما هيزل فقد ولدت في ضوء مصباح زيتي داخل بيت متنقل (كارافان) في حقل قريب من بلدة بيتر بورو، وقضت سني مراهقتها في أكواخ خالية من التدفئة وفي الملاجىء المحلية حيث يعمل النزلاء نظير ايوائهم واطعامهم، وحين غادرت المدرسة في السن الرابعة عشرة كانت عاجزة عن القراءة والكتابة، وان تكن تمكنت في النهاية من تعليم نفسها بنفسها حين قاربت العشرين.

كانت - ككل مراهقة- تبحث عن مثل أعلى. عن رجل يحررها من أسر حياتها البائسة المرتبكة ويمنحها الأمان والحب الدائم.

وتزوجت للمرة الاولى قبل أن تبلغ السابعة عشرة وانجبت بنتا بعد ذلك بثمانية عشر شهرا، ولم يلبث زوجها الاول أن غادرها واختفى في صحبة مهرجان متنقل. واصاب هيزل مرض خطير، وتملكها الانقباض النفسي فزاد حالها ضغثا على إبالة، فأخذت السلطات منها الطفلة ولم ترها امها أبدا بعد ذلك.

ثم أنجبت هيزل طفلا آخر كان ثمرة علاقة تالية، فأخذته السلطات منها أيضا (★). وغدت هيزل حطاما، واقتنعت بأن القدر يتحامل عليها فعاشت على حافة الانهيار العصبي وغرقت في بحر من القلق وعدم الاستقرار واليأس القاحل المجدب، واتاحت لوصمات طفولتها البائسة ان تنشر ألوانها القاتمة فيصطبغ بها شبابها، وقضت عشرينات عمرها في سلسلة من العلاقات العابرة المتتابعة مع الرجال والأعمال المخفضة الأجر والاغراق في الشراب.

وحين التقت ليونارد كانت في السابعة والعشرين بعدما طلقت مرة وترمّلت مرة أخرى. وبعد حين، كشف كل منهما لصاحبه عن نواحي القصور في حياته، كوارث هيزل العاطفية القاسية والجدب الاجتماعي الذي يعيش فيه ليونارد، وسرعان ما ربط الحب بينهما فتزوجا. ولم تكن حياتهما معا سهلة على الدوام، لكنها كانت أفضل منها بكثير قبل الزواج. كانت هيزل لا تزال عصبية المزاج ومتطرفة في انفعالاتها تفاجئه بين حين وآخر بانفجارات الغضب والاحباط، وذات مرة نشبت بينهما مشاجرة طويلة انتهت بأن أمسكت هيزل بطقم الشاي والقته أرضا. وراقبها ليونارد وهي تفعل ذلك من دون أن يهتز له جفن أو تتغير ملامحه، ثم انحنى والتقط القدح الوحيد الذي بقي سليما وسار عبر الغرفة نحو هيزل الباكية، وقدمه اليها رسميا: "اليك يا سيدتي. هذا هو القدح الوحيد الذي نملكه، ولكنه سليم معافى".

(★) يعطي التشريع البريطاني السلطات الاجتماعية حق سحب الطفل من أحد الأبويين او منهما معا اذا تبين من دراسة الحال ان مصلحة الطفل تقتضي ذلك.

فحملقت هيزل في وجهه لحظة وقد أعمتها الدهشة، ثم انهار غضبها في ضحك طويل متصل.

واخذا يتحدثان بلا نهاية عن المستقبل: هل يحسن بهما أن ينجبا أطفالا؟ لا سيما ان ليونارد لم يرزق اطفالا من زواجه الاول، وهو كان يتمنى من كل قلبه أن تنجب له هيزل ابنا أو ابنة، لكن زيارتها لأحد الأطباء أكدت لها ما كانت تهجس به مخاوفهما الخفية: ذلك ان جراحة قد اجريت لها بعد وقت قصير من ولادة طفلها الثاني ادت الى تضاءل فرصة هيزل في انجاب أطفال آخرين، وكان لا بدّ لها من أن تتقبل هذه الحقيقة.

لكن الحياة مع ليونارد قد أسبغت على هيزل مقدارا من الثقة والاستمتاع بالحياة. فقد كان ليونارد يمثل كل ما افتقرت اليه حياتها: اللباقة والأدب وحسن التصرف والعطف والرقة.. وقد جعلها ذلك حريصة على هذا التوازن الجديد الدقيق الرقيق في حياتها وتتحاشى الاضطراب الذي ربما الحقه بها طفل عاجز لم تسبق لها رؤيته.

وخلال الاسابيع التي أعقبت زيارة ليونارد لآندي، أوضحت هيزل لزوجها موقفها تجاه هذا الأمر، فقابل ترددها بالتقدير والاحترام، ولكنه حثها على أن تحاول على الأقل مرافقته في زيارته التالية للصبي.

"الوقت كفيل بالامر"

لقد استلزم الامر من هيزل خمسة اشهر كاملة لكي تقرر مرافقة ليونارد في زيارته للصبي. غير انها اخذتها الدهشة حين رأت امامها في المستشفى صبيا عادي القامة في السن السادسة يرتدي سترة وسروالا طويلين.

وغمغمت: "ولكن يالين..."

فسارع هو يقول لها: "لا بأس. انه يرتدي أطرافه الصناعية".

وهنا صاح آندي: "أهلا بعمي!" وحاول ان يسير نحوهما. واحتاج الى دقائق عدة كي يقطع بضعة أمتار فوق قضبان الالومنيوم التي تقوم مقام ساقيه الاصطناعيين، اذ راح يدور الى الامام نصف دورة كي يتقدم في كل "خطوة" خمسة سنتيمترات، مؤرجحا جذعه الى احد الجانبين مرة ثم الى الجانب الآخر مرة اخرى، الى ان انتصب امامهما يترنح قليلا وهو يتطلع نحوهما الى اعلى في تساؤل حذر يطل من عينه العسلية المنفردة خلف نظارته.

وسأل: هل هذه هي عمتي؟"

فرد ليونارد: "نعم يا آندي. وقد جئنا نصطحبك اليوم في نزهة".

فأشرقت اسارير الطفل بالبهجة على الفور، وعاد يسأل: "تقصد خارج منطقة المستشفى؟ بعيدا عن هنا؟"

فسأله ليونارد بدوره: "هل يسرك ذلك؟"

فصاح آندي: "رائع!"

وبحث ليونارد الامر مع الممرضة فسلمت ان خروج الطفل لبضع ساعات فكرةممتازة، غير انها قالت: "ولكن لنخلع عنه ملابسه ونغيرها اولا، فهو لن يحتاج الى ذراعيه وساقيه بصحبتكما في السيارة".

ولم تلبث الممرضة ان خلعت الذراعين والعدة والمقعد المجوف والساقين جميعا، فاستطاعت هيزل ان ترى ـ للمرة الاولى ـ مدى عجز

وضآلة حجمه، فاصطرع في نفسها الاشفاق والهلع.

وقالت: "هيا يا حبيبي". والتقطت الصبي ابن السنوات الست وكأنه رضيع واحتضنته بذراعيها. وانطلقت بهم السيارة على الطريق الرئيسي الى المدينة. ولم تلبث هيزل ان سألت آندي عما يشاء.

فقال: "هل يمكننا ان نذهب الى مقهى؟ اقصد داخل مقهى، من فضلكم، فانا احب ارتياد المقاهي".

وسرعان ما عثروا على مقهى كبير فأوقفوا السيارة بالقرب منه، واقاموا الكلبة "شيبا" حارسا عليها ومشت هيزل وهي تحمل آندي نحو المقهى، يتبعها ليونارد. وكانت هناك شلة من الناس في جوار المدخل متحلقة حول قائمة الاطعمة والمشروبات ومهتمة بتبادل التعليقات. وسرعان ما توقف الحديث بين افراد المجموعة عندما اقتربت هيزل وآندي، وراحوا يحدقون ويتبادلون الهمسات، فتوقفت هيزل متهيبة وقد عراها الارتباك والحرج. وانضم اليها ليونارد، ووقفا مترددين في الدخول. لكن آندي صاح معترضا: "كنت اظن اننا سندخل المقهى!" فرد هيزل وليونارد على حملقة الفضوليين بحملقة مماثلة، وقالتهيزل: "هيا بنا ندخل اذا!"

وما ان دخلوا المقهى حتى بدأ آندي على الفور يثرثر بحماسة عن المكان وما يحتويه من اطايب الطعام والشراب غير ان ليونارد وهيزل توقفا امام خوان المعروضات مرة أخرى. فكيف يأكل الطفل بلا ذراعين؟

وسأل آندي: "ماذا في الامر؟"

فتوسلا اليه ان يقول لهما: "ماذا يريدهما ان يفعلاه؟"

فقال: "سأريكما". واسر الى هيزل بما يشتهيه: "ساندويشا من سمك السلمون، وفطيرة بالمربى، وكوبا من عصير البرتقال". فحملته هيزل الى احدى الموائد، وتبعهما ليونارد وهو يحمل طلبات آندي وطلباتهما معا.

وقال آندي: "ضعيني في كرسي من فضلك، وحدي" فاستجابا الى طلبه. و"الآن تابع آندي، ارجوكما ان تضعا طعامي وشرابي امامي على حافة المائدة".

ونظر الزوجان الى الصبي، مأخوذين فوجداه قد تزحزح الى الامام من مقعده واخذ حافة الكوب بين اسنانه، وأماله وبدأ يشرب من دون ان يريق قطرة واحدة. ثم اعاد الكوب الى المائدة وتأهب ليأكل الساندويش. فجذبه بذقنه الى حافة الطبق، ثم امسك به بين اسنانه وقضم منه قضمة نظيفة، واعاد ما تبقى منه الى الطبق ومضى يأكل باستمتاع ظاهر. وبعد بضع دقائق تبين لجميع الناظرين ان آندي قادر على الاكل من دون مساعدة، ومن غير ان يريق نقطة واحدة او يلوث شيئا، فتلاشى فضولهم، واستطاع الرفاق الثلاثة عندئذ ان يستمتعوا بوجبتهم الخفيفة بعيدا عن حملقات الرواد المرهقة.

وحين عادوا الى المستشفى تذاكر ليونارد وهيزل في امكان اصطحاب آندي الى بيتهما طوال عطلة العيد، في أوائل شهر يونيو (حزيران)... وقالا: "اننا نود ان نراه ثانية في طبيعة الحال، ولكن لخمسة ايام كاملة".

ومن بعيد، كان آندي يجأر بهما ويجهش بصوت عال عميق، وبينما

كان ليونارد وهيزل يجتازان الجناح، كانت عين آندي العسلية عالقة بهما ترمقهما بلهفة.

وصاح آندي: "سوف تصحباني الى البيت، اليس كذلك - في عطلة العيد؟ وسأرى جميع الاماكن التي حدثتماني عنها!"

واذا كانا يعبران الفناء نحو السيارة قالت هيزل: "لا أستطيع يا لين. لا أستطيع. هذا مستحيل. ما فائدة الانزلاق الى موقف لن نستطيع حياله شيئا؟"

فقال هو يحثها: "لا تتعجلي فالوقت كفيل بالامر".

"أحبك يا أماه"

واخيرا قر رأي ليونارد وهيزل في كثير من التخوف والظنون، على اصطحاب آندي الى بيتهما لمدة خمسة ايام في عطلة العيد.

قال ليونارد يشجعها: "ليست المسألة في انه متخلف عقليا او اي شيء من هذا القبيل، فهو صبي صغير ذكي يحسن التفكير والكلام والتصرف أيضا. وقد رأيت انت كيف تناول وجبته وحده. ولن يكون الامر سيئا في الحقيقة، والفترة كلها لا تعدو اياما خمسة".

ووافقت هيزل، ولكنها قالت: "لست أريده أن يتعلق بنا عاطفياً يا لين، والا انتهى بنا الامر الى كثير من المتاعب والحسرة. وليس في نيتي ان ارتبط به عاطفيا، فلدينا من مشاكلنا الخاصة فوق الكفاية، اليس كذلك؟"

وكانت زيارة آندي للبيت في عطلة العيد بمثابة كارثة من جميع النواحي. فعلى رغم ما في طبيعة هيزل وليونارد من عطف وسخاء طبيعيين، الا انهما عجزا في ما يبدو عن اختراق حاجز التحفظ الذي كان يحتمي به آندي كالدرع، فهو لا يستجيب لمحاولات هيزل ان تداعبه وتقبله، ويجفل من الاعزاز العاطفي الصريح، وكثيرا ما يبقى واقفا في جمود التمثال على ساقيه الاصطناعيتين في حجرة الجلوس.

وافرط الزوجان في جهودهما التي بذلاها كي يجعلاه يشعر بانه شخص عزيز فلم يلبثا ان وجدا نفسيهما رهن اشارته طوال الوقت من الصباح الى المساء. فهو يريد ان يشرب ويحتاج الى ان يذهب الى دورة المياه، ويشاء ان يخرج الى الحقول ويريد ان يعود الى المنزل ويود تركيب اطرافه الاصطناعية، ثم يرتعد منها؛ ويريد ان يشاهد التلفزيون - اين التلفزيون؟ هل يمكنه ان يحصل على بعض الحلوى لا، ليس من هذا النوع؛ وانما من النوع الآخر.

وبعد ثلاثة ايام استبد العياء بليونارد وهيزل وساء مزاجهما فوجد ليونارد عذرا للابتعاد عن البيت حين عرض عليه العمل صباحا لمدة نصف يوم، فالزوجان كانا يحتاجان الى ما سيحصل عليه ليونارد من اجر اضافي. ووجدت هيزل نفسها وحيدة مع هذا الطاغية الضئيل الذي لا يتجاوز طوله نصف المتر، وساورتها الشكوك في ان تتمكن من الصمود حتى نهاية الصباح.

ولم يكد ليونارد يغادر البيت حتى بدأ آندي هجومه بطلبات لا تقع تحت حصر. فهو يريد ان يلعب مع الكلبة "شيبا"، مع انه يخاف منها، هل

يمكن ان يجلس في كرسي؟ انه يريد ان يتدحرج على الارض. هل يمكن ان يحصل على بعض الاقلام الملونة؟ اين القلم الاحمر؟ ان هذا الورق لا يصلح. وكانت هيزل طوال هذا الوقت تهرول في كل مرة الى حجرة الجلوس ركضا


آندي مع هيزل.

من المطبخ حيث تعنى بتحضير طعام الغداء. وعند الطلب العشرين نفذ صبرها وصاحت به: "انت ولد أناني فظيع!" فقاوم ليجلس معتدلا، وعدل نظارته على أنفه بكتفه، وقال: "ماذا حدث؟".

فتقدمت منه هيزل عابسة وقالت: "انني اهتم بتحضير الطعام وسأقضي الساعة التالية بكاملها في المطبخ من دون مقاطعة واذا سمعت منك صيحة أخرى فلن ينتهي الامر على خير".

فهز آندي رأسه موافقا وقال: "هل تسمحين باجلاسي ارضا من فضلك؟"

فردت: "سأفعل ذلك. وهذا آخر شيء اقوم به من اجلك حتى انتهي مما في يدي!"

ووضعته هيزل على الارض مستندا الى كرسي وتركته لشأنه ودخلت المطبخ تزبد غيظا فأفرطت في تمليح البطاطا (البطاطس) ثم خرجت الى الهواء الطلق كي تهدأ اعصابها قليلا وكانت يداها ترتجفان غضباً. وقالت لنفسها: "فور عودة لين الى البيت سنحمل هذا الطفل الى المستشفى من دون ابطاء والا فأني اترك البيت". ثم عادت الى المطبخ وما تطهو من طعام . ولم تلبث ان لاحظت ان آندي قد زحف على ردفيه من وسط حجرة الجلوس حتى بلغ باب المطبخ.

وقال بهدوء:

"ماما".

فردت: "اسكت يا آندي. أنا لست امك".

فقال: "آسف"

وبقي آندي مستندا الى عارضة الباب بينما هيزل تنتقل من غرفة الى اخرى، ترتب المنزل وتخط رسالة، ثم

تهرع عائدة الى المطبخ لترقب نضج الطعام.

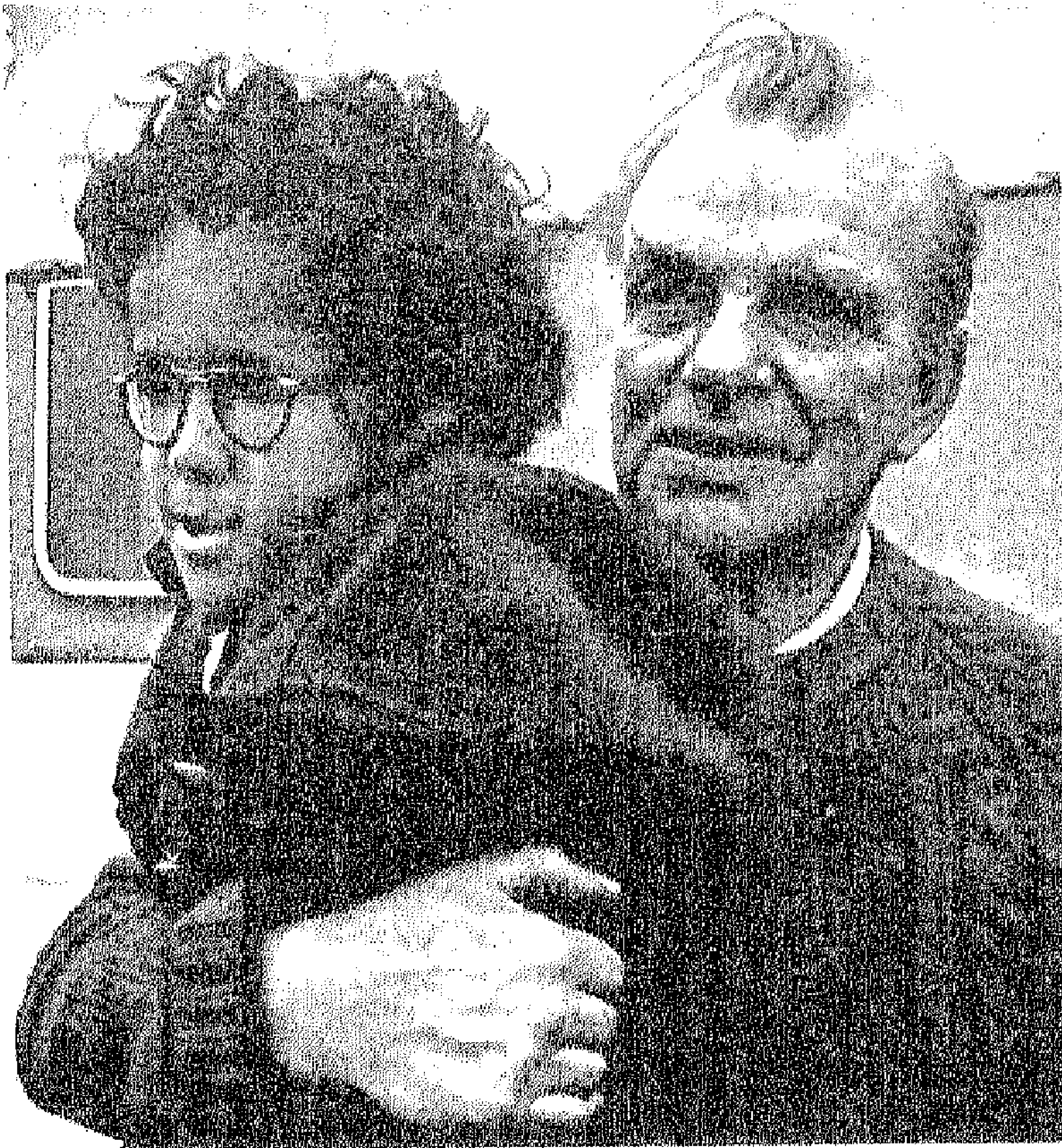
وقال آندي متهيبا: "معي شيء لك".

فنظرت الى اسفل، فوجدت قطعة ورق مطوية تطل من زعنفته اليسرى. وقالت: "حسناً. على هذا الشيء ان ينتظر. اليس كذلك؟" فلم ينبس آندي ببنت شفة، وتعمدت هي ان تجعله ينتظر. فلا بد له ان يدرك من هو صاحب الامر في البيت والا ضاعت مكانتها. واخيرا مسحت يديها بمنشفة وقالت: "حسناً، لدي الآن قليل من الوقت. ما هو هذا الشيء؟" قال: "انها رسالة صغيرة". فانحنت واخذت منه الورقة، وفتحتها، فقرأت فيها جملة واحدة كتبت بحروف كبيرة متناسقة. جملة لا شك انها استغرقت من آندي ٢٠ دقيقة كاملة كي يكتبها بزعنفته: "احبك يا أماه".

خرجت هيزل من البيت، وعبرت الطريق حتى بلغت خلاء الحقول، وبكت...

لين.. المخترع

حين عاد آندي بعد الاجازة الى المستشفى توقع هيزل وليونارد ان تستعيد حياتهما وتيرتها الهادئة المألوفة، وعاشا بضعة ايام يهنئان انفسهما على عدم تورطهما مع الطفل ولكن لم يكد يمضي اسبوع واحد حتى بدآ يتطلعان الى الروزنامة ويضعان علامات بارزة على الايام التي سيتمكنان فيها من مصاحبة آندي.



آندي مع ليونارد.

وكان المستشفى قد استفسر عما اذا كانا يقبلان ان يستضيفا آندي مدة اسبوعين كاملين، فرأيا ان هذا سيثير لهما عددا من المصاعب، اذ ستضطر هيزل الى الحصول على اجازة من عملها، على حين ان ضياع اجر هذين الاسبوعين من دخلهما يلحق ضررا كبيرا بمواردهما المحدودة على الدوام. الا ان كل اسباب القلق هذه تضاءلت امام الحماسة التي بعثتها

فيهما فكرة مجيء آندي الى بيتهما مرة اخرى.

وكانا وعدا المستشفى بان يستخدم آندي ذراعيه وساقيه الاصطناعية في اثناء اقامته لديهما، وكانت رعاية ضحايا "الثاليدوميد" لاتزال في مستهل عهدها وتعتمد الى حد كبير على الاطراف الاصطناعية التي تزيل اشمئزاز الجمهور الذى لم يألف بعد رؤية آثار العقار الفادحة. لكن جدوى هذه الاطراف أصبح امرا مشكوكا فيه بعد بضع سنوات.

ولم يلبث ليونارد ان ادرك مدى العجز الذي يفرضه على الطفل هذا الجهاز المعقد الرهيب. فقد كان يتحتم على آندي في المستشفى ان يربط في كلصباح بسرج مجوف يتصل بـ"دعامتين" صلبتين. وكان يحتاج الى عشر دقائق كاملة كي يخطو متأرجحا من احد طرفي العنبر الطويل الى طرفه الآخر (وكان آنذاك يبتسم قائلا: "انني ابدو مثل غول فرنكشتاين").

وكان يتلقى دروسه ويتناول غداءه واقفا في ذاك الجهاز، ويظل طوال اليوم يحلم باللحظة التي يفك فيها اساره من الآلة الجهنمية حتى يتمكن من التدحرج بحرية على الارض مرة اخرى. بل انه كان يتطلع بلهفة الى موعد قضاء حاجته لان ذلك كان يمنحه استراحة قصيرة من الساقين الاصطناعيتين والمقعد المجوف. لكن الاسوأ من هذا كله (كما بدا لليونارد) هو ن زعنفتيه اللتين تساعدانه في اداء اشياء كثيرة كانتا تحتجزانه بلا فائدة بين "الدعامتين" وتظلان مختفيتين في ثنايا السروال الطويل.

وللمرة الاولى قرر ليونارد وهيزل ان يراقباه باستمرار لعلهما يدركان ما ينبغي ان يعملاه لكي يصبح اقل اعتمادا على اطرافه الاصطناعية وكانت الكلبة "شيبا" هي التي جعلتهما يصممان على التخلي عن اطراف آندي الاصطناعية (التي تصعب الحياة معها وتغدو عذابا مستمرا، بتلك الروافع الهوائية الكأداء المتخذة شكل الاذرع والاصابع).

فقد كانت "شيبا" الهادئة الامينة ممدة ساكنة في ركن الغرفة، فتدحرج آندي نحوها حتى التصق بها، واسند رأسه على جسدها.

فقالت له هيزل: "حاول ان تلاطفها وتمسدها".

فراح آندي يتلوى حتى دار حول نفسه، وتلمس الكلبة بزعنفتيه الخلفية، على نحو تعوزه الرقة فرفعت "شيبا" رأسها، وتثاءبت، وعادت الى الاسترخاء.

وقال ليونارد: "الا ترين انه ما دام حبيس هاتين الذراعين الاصطناعيتين فانه لن يعرف ملمس حيوان ابدا؟"

وعلقت هيزل قائلة: "تماما كما لو اضطررنا الى رفع كل شيء بملقط".

وخلال ايام قليلة كان العياء قد استولى على هيزل مرة اخرى. فقد كانت تشعر هي وليونارد بان آندي لا يترك وحده لحظة - سواء اكان مرتديا اطرافه الاصطناعية ام لا، حتى انه اذا ما اسندته هيزل الى الحائط او الى السرير، استولى عليه الخوف من ان يقع متدحرجا. وكلما دخلت الكلبة "شيبا" الحجرة واخذت تتشمم في ما حوله، صاح مستغيثا بهيزل، خشية ان توقعه الكلبة فيصاب رأسه بأذى. وازاء ذلك كله، تفرغت هيزل طوال مساء بأكمله وبمنتهى العناية والدقة

كي تنتزع منه تخوفه من الوقوع.

وكان آندي خائفا متهيبا في البداية، ولكن سرعان ما تزايدت مهارته، فتعلم كيف يتدحرج لكي يخفف حدة السقطة ويتجنب اصطدام رأسه او وجهه، ولم يلبث ان غدا قادرا على الدوران والتدحرج بحيث يستقر على كتفه، فصار يتأرجح ويقع باختياره في رشاقة يحسده عليها غصن البان. وخرج الاثنان من هذه الدورة التدريبية منهكين، فاحتضنت هيزل آندي وهيأت له شرابا من عصير البرتقال.

وقالت لدمن دون تفكير: "سيكون لدينا خبر يسر له ابوك لدى عودته". ثم ادركت لفورها مغزى ما قالته، ونظرت الى آندي، فاذا به جالس على الارض وقد امسك كوب عصير البرتقال بين اسنانه وهو يبتسم لها في غبطة تامة، فاسرعت تلجأ الى المطبخ.

وأعرب ليونارد عن اغتباطه بما حققه آندي من تقدم، الا أنه بعد أن وضع الصبي في فراشه، أسر بمخاوفه لهيزل. وقال: "ما دام الصبي هنا معنا فانه يستطيع أن يحقق تقدما كبيرا من دون ذلك الجهاز البشع. ولكنه لن يكاد يعود الى المستشفى حتى يضطر الى ارتدائه ثانية، وهو يقضي في المستشفى مقدارا من الوقت يزيد كثيرا عما يقضيه معنا هنا". وأشعل سيجارة ثم اختفى في المطبخ.

وانقضت ثلاث ساعات وهو لا يزال في المطبخ، بينما كان النوم قد استولى على هيزل، ثم استيقظت وهي تتساءل عما يفعله زوجها، فخطت الى المطبخ لتجده قد بسط أمامه الساقين الاصطناعيتين بعد أن فككهما تماما.

وصاحت به: "ما هذا الذي تفعله يا لين؟ إن هذه الأشياء غالية الثمن!" ولكنه لم يأبه لما قالته، واستغرق في عمل رسم تخطيطي سريع على ظهر علبة سجائر ممزقة وهو يقول: "لا بد أن هناك وسيلة ما لتسهيل سيره على هذه الأشياء. اذهبي أنت ونامي. فسوف يستغرق الأمر بعض الوقت". ومضت هيزل لتنام.

العربة الرقم ١

ورث ليونارد عن أبيه موهبة الاشغال الميكانيكية أيا يكن نوعها. وقد نجح وهو لما يكد يبلغ التاسعة من عمره، في اصلاح سيارة أمه من طراز "موريس" التي كانت تثير متاعب لا حصر لها، ففكك محركها على نحو منظم ثم أعاد تجميعه.

وفي عهد طفولة الراديو، في اوائل العشرينات، كان ليونارد يصنع لنفسه أجهزة الراديو الخاصة به. بل وصنع جهازا لعرض الافلام الناطقة من دون ان يتلقى اي تعليم او ارشاد من هذا القبيل، معتمدا على الملاحظة الشخصية والاستنتاج الذاتي. وقد اصبح خلال الحرب العالمية الثانية عامل رادار ماهرا غير انه طوال السنوات التي قضاها بلا هدف لم يمارس اي نشاط ابداعي في مجال الميكانيك والكهرباء. فلم تكن لديه حاجة لذلك أما الآن فالأمر يختلف.

وفي تلك الليلة، بينما كان آندي مستغرقا في النوم، أخذ ليونارد الساقين الاصطناعيتين والكرسي المجوف، والسرج والذراعين، وجاء بها الى ورشته الصغيرة وبدأ يدخل

عليها ما ارتآه من تعديلات٠٠ كان الجهاز الموجود يتيح لآندي أن يحرك ساقيه الاصطناعيتين مسافة خمسة سنتيمترات تقريبا في كل مرة، بينما قدّر ليونارد أن الجهاز يمكن أن يتيح له الحركة مسافة عشرة سنتيمترات كاملة، وربما خمسة عشر٠ واستخدم ليونارد حشوات "وردات" من المطاط لتحريك مفصلي القدمين وأدخل قصبة ربط بين الساقين تأمينا لانتظام حركة القدمين جنبا الى جنب، فعندما يشد السرج على جذع آندي، تؤثر حركته المتأرجحة تأثيرا يؤدي الى تشغيل حدَبة قائمة على محور، فيؤدي ذلك بدوره الى دفع الساقين نحو الأمام ويتيح له أيضا أن يدور حول نفسه٠

وكان اول عمل قام به ليونارد في الصباح هو اختبار "لعبة آندي"، التي بدا الصبي يقفز بها عبر الغرفة قفزا٠ واندهش ليونارد، نفسه، لسرعة الحركة واضطرت هيزل الى أن تهرع الى الأمام كي تحول دون اندفاع آندي واصطدامه بالجدار٠ وبدا آندي متحمسا ومتهيبا بعض الشيء، أما ليونارد فقد استولى عليه الخوف وحده، لأن سقوط آندي وهو يتحرك بسرعة قد يؤدي الى موته٠ لذلك خلع ليونارد الجهاز الذي ركبه، وأخذه الى الخارج وهشمه بالمطرقة٠ فلا بد من الاهتداء الى حل آخر٠

وعندما ذهب ليونارد وهيزل الى المستشفى بصحبة آندي بعد انتهاء العطلة المدرسية، طلب ليونارد رؤية المعدات التي تتيح الحركة للأطفال المعوقين٠ وفي طريق العودة الى البيت اوضح لهيزل عيوب تلك الآلة التي أطلعوه عليها وتسمى "إيمّا"٠ وكانت هذه قادرة على حمل طفل مشدود اليها بساقيه الاصطناعيتين في وضع رأسي وجعله يتجول في المستشفى بسرعة أكبر وبأكبر مقدار من الأمان من تلك التي يستطيعها وهو يتعرّج على ساقيه الاصطناعيتين٠

وقال ليونارد لهيزل: "ولكن ما أبتغيه هو أن أصمم آلة يتنقل بها آندي من دون حاجة الى هاتين الساقين العينتين، كي يتمكن في الوقت نفسه من القيام بشيء آخر، مستخدما قدراته البدنية الخاصة ومن غير حاجة الى مغادرة الآلة"٠

فقالت هيزل وهي تلفت نظره: "ولكنك حتى اذا نجحت في تصميم شيء من هذا القبيل، فانه يتطلب تكاليف لا قدرة لك عليها"٠ ذلك أن أجر ليونارد لم يكن يتجاوز الحد الأدنى الذي يبلغ قرابة ١٤٥ جنيها استرلينيا في الأسبوع والذي لا يتيح لهما أي فائض ينفق على تجارب هندسية باهظة التكاليف٠ وقال ليونارد: "سأضطر في طبيعة الحال الى الاعتماد على ما أستطيع تدبيره"٠ وعاد في تلك الليلة الى ورشته القائمة في الجرن الملحق بالبيت، وبدأ يفكر على الورق٠

وبعد سبع ساعات كان أمامه رسم تخطيطي لعربة يفترض انها صغيرة وذات ثلاث عجلات يجلس فيها آندي على كرسي بين العجلتين الأماميتين٠ وكان تخطيط تلك العربة هو البداية٠ ثم راح ليونارد يبحث في محلات الخردة ولدى تجار المهملات المعدنية٠ وكان معظم هؤلاء حين

يعرفون الغرض من سعي ليونارد يبادرون عن رضا الى اعطائه ما يتيسر لديهم من خامات من دون مقابل. وعرض أحد جيرانه، ويدعى لين كاري، أن يتولى هو متطوعا اجراء اللحامات اللازمة في العربة، فكان ذلك مصدر عون كبير لليونارد، فلم يعد باقيا أمامه سوى التفكير في وسيلة تزويد العربة بالقوة المحركة.

لا شك في أن صبيا بلا ذراعين لا يمكنه استخدام وسيلة يدوية للتوجيه، ولذا فلا بد من الاستفاضة في شأن الحركة والقوة المحركة. ولا مفر لآندي من أن يستخدم كتفيه في توجيه حركة الآلة، بحيث يصبح هذا التوجيه محكوما بوسادتين للكتفين على كل جانب من المقعد. لكن آندي له زعنفتان، في اليسرى منهما مقدار من المرونة يكفي السائق الصغير، وعلى ذلك تستطيع كتفاه التحكم بالحركة يمينا ويسارا بينما تستطيع زعنفته التحكم بالحركة الى الأمام والى الخلف.

واستمر ليونارد يرجو، ويقنع، ويدبر، حتى توافرت لديه في النهاية كل الأجزاء اللازمة لصنع العربة.

وحين جاء آندي لزيارتهما مرة أخرى في شهر مايو (أيار)، كان يهذي من فرط الابتهاج. فها هي أمامه: عربته الخاصة، يضمها جسم خارجي من الألياف الزجاجية، وفيها مكان صغير للقيادة يحتوي على كل الأجهزة مرتبة حول جانبه. وأوضح له ليونارد ـ ببطء وحرص كما يفعل دائما ـ طريقة تشغيل العربة. وكان آندي يركز انتباهه مسحورا، فلم تفته كلمة واحدة. كان محرك الدفع عبارة عن مولد كهربائي (دينامو) ذي قدرة ١٢ فولتا شبيه بالذي يستخدم في السيارات، يتولى دفع مفرقية (ديفرنسيال) منه خلال ترس لولبي. أما التوجيه فيجري من خلال الفرملة. فعندما يضغط آندي وسادة الكتف اليسرى، تبدأ العجلة اليسرى التوقف، بينما تستمر العجلة اليمنى في الحركة فترسم قوسا حول العجلة اليسرى. ويحدث عكس ذلك تماما عند ضغط وسادة الكتف اليمنى. أما الحركة الى الأمام والى الخلف، فهي تقتضي من آندي أن يستخدم زعنفته لدفع قصبة صغيرة.

وكان الصبي يقول: "نعم، نعم. هل أستطيع أن أنطلق بها الآن يا أبي؟"

وانطلق الصبي بالعربة حتى نهاية الشارع الصغير ثم عاد وهو يسير بها الى الأمام والى الخلف، ويلف ويدور، ويسرع ويبطىء. وخلال عشر دقائق أصبح آندي يقود عربته بمهارة الخبير. وعبّرت هيزل عن غبطتها ببضع دموع سكبتها في سكون، بينما راح ليونارد يدخن من دون انقطاع ويدوّن ما تستلزمه العربة من تعديلات. وكاد الصبي أن يطير من الفرح، ولا يريد أن يغادر العربة على الاطلاق حتى بعد اغرائه باللحم المشوي والفطائر المحشوة بالزبيب. وبينما كانت هيزل ترفع آندي من العربة طقطق ليونارد أصابعه وصاح: "لقد وجدتها!"، وأسرع الخطى نحو ورشته.

وذهب ليونارد الى الورشةوبدأ يضع رسما تخطيطيا بدائيا، ويقدر التكاليف والجوانب العملية لتنفيذه.

وعلى رغم أنه لم ير أمامه وسيلة لأنجاز الأمر، إلا أنه كان يعلم أنه لا بد أن ينجزه وأن عليه زيادة قدرته التقنية والابتكارية الى مدى لم يكن يتصور امكانه من قبل.

واصطحب الاثنان آندي في السيارة لاعادته الى المستشفى. وخلال العودة، أجرى ليونارد وهيزل بعض الحسابات المالية مرة أخرى، فهما كانا مدينين للمصرف بمبلغ كبير، لأن تكاليف عربة آندي تجاوزت تقديرات ليونارد بكثير، فأصبح اعتمادهما على اجره الاسبوعي الضئيل لا يترك لهما أي أمل في جمع المبلغ اللازم لمواصلة تحسين العربة.

وقال ليونارد: "ان صيفا طويلا شاقا ينتظرنا".

فردت هيزل: "أو ليست كل الفصول كذلك؟"

غير انهما كانا تغلبا - ربما على نحو لا شعوري - على أصعب العوائق جميعا، إذ أصبح مجرد التفكير في الحياة بغير آندي أمرا بعيدا عن التصور.

وصارح ليونارد هيزل وهو يتنهد: "اصبحت المسألة أننا بدأنا نحتاج اليه بمقدار ما يحتاج هو الينا".

مولد "تيري وايلز"

خلال الفترة التي بدأت في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ دخل فيها ليونارد أخصب مراحل الاختراع والابتكار في حياته كلها، قرر هو وهيزل أن يتبنيا آندي.

وتولى محامي ليونارد الأستاذ روبين بويز من هانتنغدون، اجراءات تقديم الطلب بدقة وكفاية. وسارع ليونارد الى اثارة اهتمام الصحف المحلية والوطنية بآماله، فنشرت مقالات عن الموضوع، كما اشير اليه في التلفزيون. غير أن المستشفى اعلن معارضته التامة لخروج آندي منه بصفة دائمة.

وتباطأ المستشفى في اصدار تقرير طبي عن الصبي وفي الوقت نفسه اجرت الاختصاصية الاجتماعية المحلية زيارات لليونارد وهيزل، وقررت في النهاية - على رغم مما في ماضي كل منهما من متاعب - أنها لن تعارض طلب التبني.

وكان آندي في طبيعة الحال يتلقى تباعا أنباء تقدمهما البطيء كما كان مطلوبا منه أن يحضر الى المحكمة مع ليونارد وهيزل عند الحكم في القضية.

ووصل الثلاثة الى مجلس المدينة - حيث تعقد الجلسة - في هانتنغدون قبل الموعد المحدد بوقت طويل. وكان المحامي بويز موجودا هناك ليزوّدهم بالنصح والمشورة في شأن الأجراءات القانونية، ونصحهم بلباقة ان ينضبطوا ويحتفظوا بهدوء أعصابهم ايا تكن الضغوط أو الاستفزازات التي يتعرضون لها، وكانت قضيتهم هي الثانية في الجدول. وكان آندي يجلس على حجر هيزل التي ضغطت يد ليونارد بقوة عندما سمعت النداء بأسمائهم، ورأت القاضي ينحني ليفحص الأوراق التي أمامه.

وبعد برهة رفع القاضي رأسه بتؤدة ووقار وقال: "لقد درست كل الوثائق والمستندات في هذه القضية. ويبدو

لي أن السيد والسيدة ليونارد وايلز هما أصلح الناس لحضانة الطفل، ولذا فانني أوقع على أمر التبني بلا تردد".

وكان ذلك هو كل ما في الأمر، اذ تقرر في أقل من ٩٠ ثانية مصير مسألة استغرقت عامين تقريبا قبل ان تبلغ المحكمة.

ووقع حادث طريف أخير قبل أن تعود الأسرة الجديدة الى بيتها. فبينما كانت هيزل تسير في الشارع الرئيسي حاملة آندي في ذراعيها، كان الصبي يصيح: "أصبحت ابنا! أصبحت ابنا!". فكان المارة يتوقفون في سيرهم ويحملقون في عجب. فها هي سيدة تحمل ما يبدو أنه رضيع في ذراعيها، إلا أن هذا الرضيع يزعق - بصوت يبدو، لأرتفاعه، مستحيل الصدور عن مخلوق دقيق الحجم على هذا النحو - ويعلن للعالم اغتباطه بأنه قد "أصبح ابنا!"

وكانت هيزل وليونارد قد أعلماه بأنه يستطيع أن يحمل اسما جديدا مثلما أصبح يحمل لقبا جديدا، فتشبث بهذه الفرصة للتخلص الكامل من ماض أصبح يكرهه بمرارة. وعندما حمله ليونارد الى مكتب المحكمة المحلية ليطلب اصدار شهادة ميلاده الجديدة، سارع آندي بنفسه الى اعلام كاتب المحكمة بأنه لا يريد ان يحمل اسم آندرو وايلز.

فقال الكاتب: "حسنا يا بني، وأي اسم تريد أن تحمل؟"

قال: "تيرينس، بتشديد الراء. هل تتفضل بكتابتها؟"

فوافق الكاتب، واصبح اسم آندي تيرينس وايلز. وصار منذ تلك اللحظة يرفض الاستجابة لأي نداء باسم غير اسمه الجديد: تيرينس أو "تيري".

شبل الكشافة

غير أن الأيام لم تكن رفيقة بالأسرة الجديدة. فقد ظلت الضغوط المالية شديدة وتعثرت الآمال في إلحاق تيري بمدرسة برامبتون حين اصطدمت بطبقات متتالية من البيروقراطية. لكن الأسوأ من ذلك كان نارا شبت فجأة واجتاحت ورشة ليونارد في منتصف عام ١٩٧١.

واحترقت في النار عربة تيري الثانية المسماة "القنبلة"، كما احترق النموذج الأولي لعربة "سوبر كار" جديدة كان ليونارد يعمل في تطويرها. وتجاوزت قيمة الخسائر الـ٢٠٠٠ جنيه استرليني، اضافة الى ثلاث سنوات من العمل الليلي حتى ساعة متقدمة... كل هذا تلاشى في لحظة، فانهار ليونارد وبكى.

وبعد ثلاثة أيام، نشرت الصحيفة المحلية خبر الكارثة بالتفصيل في مقال طويل، وحمل البريد التالي هبة مالية مقدارها ٢٠ جنيها استرلينيا تبرع بها العاملون في الصحيفة. وأعقبت ذلك مساهمات كريمة أخرى وردت على مدى الأيام العشرة التالية، وسرعان ما استعد ليونارد لاستئناف العمل مرة أخرى. وكان الحريق قد شحذ تصميمه على النجاح، واصبحت لديه بصيرة نافذة بما اشتملت عليه جهوده السابقة من نواحي القوة والضعف.

ورأى أن أكثر ما يحتاج اليه تيري هو ان يتمكن من رفع نفسه لا لبضعة

سنتيمترات من الأرض فحسب بل الى ارتفاع يكفيه لمواجهة الناس على مستوى ارتفاعهم، وللنظر في عيونهم، وللعمل على منضدة عادية، ولاختيار الكتب من على رفوف المكتبة. ذلك أن أكبر عيوب القامة التي لا تزيد على ٥٣ سنتيمترا هي ـ بصفة رئيسية ـ ذلك الحاجز الذي تفرضه الحياة في عالم تسوده الأقدام والسيقان. عالم تفرض فيه الضرورة أن تكون رؤية كل شيء وكل شخص رهنا بالنظر الى أعلى. ولم يكن تيري يحتاج الى أن تكون عيناه في المستوى الصحيح فحسب بل كان يحتاج أيضا الى أن يكون قادرا على "الانحناء": أي أن يخفض نفسه الى الأرض كي يلتقط سكينا وقعت، ثم يرفع نفسه على الفور كي يضعها على المائدة، أو حتى الى مستوى أعلى من ذلك كي يبلغ أحد الرفوف أو يدهن اطار الباب بالطلاء. وهو يحتاج الى تأدية ذلك بالسرعة واليسر نفسهما اللذين يؤديه بهما شخص عادي. كان حلم ليونارد أن يبتدع امتدادا ميكانيكيا لجسم تيري الضئيل، امتدادا يرفعه ـ ببساطة ـ الى حيث يريد بأسرع وأسهل ما يمكن.

كان تيري حتى ذلك الحين يتلقى دروسا خصوصية مرتين أو ثلاثا كل أسبوع على يد معلم يأتيه في البيت. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام ورد خطاب من مجلس مقاطعة هانتنغدون يقول انه قد وافق على قبول تيري في مدرسة برامبتون الابتدائية لمدة ستة أشهر على سبيل التجربة. وقد دهش التلاميذ في البداية حين وجدوا تيري بينهم، ولكنهم لم يلبثوا أن تقبلوه كواحد منهم.

بيد أن ذلك الخريف من عام ١٩٧١ كان أصعب الأوقات التي مرت بأسرة وايلز. فقد واصل ليونارد كفاحه كي يحيي العربة (سوبر كار)، وكان في معظم الأيام يزحف الى فراشه في الساعة الثانية صباحا وقد استبد به البرد والتعب بعد ساعات طويلة من العمل المرهق في ورشته، ولا يلبث أن يستيقظ مترنحا في الساعة الرابعة والنصف صباحا بوجه مربد رمادي اللون كي يستأنف عمله في مفاتيح العربة ودوائرها الكهربائية الدقيقة.

وكانت هيزل تواجه في عياء متاعب الحرج اليومي الناتج من الفواتير التي تأخر سدادها والكفاح المرهق من أجل اطعام الأسرة وتدفئة البيت. لكنها واصلت جهودها مع تيري، مصممة على تحسين مرونة زعنفته اليسرى ومهارتها، وقدرته على استعمال أصابعها القابضة. وراحت تشجعه على قضاء أطول وقت ممكن في تدريب أصابعه واستخدامها لكتابة حروف أصغر وأكثر انتظاما، وللرسم بالاقلام والألوان. وكلما كانت اختراعات ليونارد تتقدم، كان تيري يقضي المزيد من الوقت جالسا على مقعدته يتدرب. وكانت هيزل تحرص على أن يحظى تيري أكثر ما يمكن من النزهة والرياضة حين يكون غير مشدود الى آلته أو غير مقيد في كرسي المستشفى ذي العجلات، فشجعته على تقوية عضلات بطنه بابتكار أساليب جديدة يتبعها للانتقال من وضع الاستلقاء على ظهره الى وضع الجلوس. وحين ثبّت ليونارد لوحا صغيرا منحدرا من الخشب في أرضية الغرفة، تمكن تيري من الزحف فوقه ورأسه أسفل

المنحدر، ثم استطاع مستعيننا بعضلات بطنه ـ الانتصاب فوقه جالسا في وضع قائم. بل انه نجح في تسلق سلالم البيت باتباع هذه الطريقة.

وأدت جهود هيزل مع تيري الى زيادة اهتمامها بمساعدة الأطفال الآخرين، فأشتغلت معاونة لأحد قادة أشبال الكشافة في قرية مجاورة. وبعد بضعة أسابيع، استفسرت عما اذا كان يتاح لتيري أن يصحبها كي يتفرج، فوافق قائد الأشبال على الفور. وذهب تيري ليتفرج. ولم تكد تمضي دقائق قليلة حتى كان اشتبك على أرض اللعب مع الصبية الآخرين في لعبة عنيفة من ألعابهم تسمى "البولدوغ البريطاني".

وقال قائد الأشبال: "أرى يا هيزل أنه يجدر به الانضمام الى الفريق. أليس كذلك؟"

وبعد فترة قصيرة، أثلج صدر هيزل برؤية تيري وقد أصبح عضوا كاملا في فريق أشبال الكشافة.

لا سيقان بعد اليوم

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢، جاءت ثمرة نكران الذات طوال أشهر الشتاء الأربعة القاسية: فقد تمكن ليونارد من احضار العربة (سوبر كار) الى البيت لاجراء أول اختبار كبير عليها في حجرة الجلوس. وبدت العربة كاملة جاهزة، لا ينقصها الا طبقة أخيرة من الدهان. وكانت ثقة هيزل وتيري في مهارة ليونارد بلا حدود، دائما كانت هناك تلك اللحظات الأولى من التوقع المتهيب. وبدت أمامهم الآلة في حجرة الجلوس، مرتفعة غريبة الشكل.

وتعاون ليونارد وهيزل على دفع الأريكة (الصوفا) والمقاعد لصق الجدران لفسح فراغ كبير وسط الغرفة يتيح لتيري اجراء مناوراته.

وقال ليونارد لهيزل: "علينا الآن أن نجلس ونترك تيري يتولى العمل".

وسأل تيري: "هل يمكنني أن أبدأ الآن يا أبي؟"

فهز ليونارد رأسه ايجابا. فأنزلق تيري فوق الكرسي الذي كان في مستوى الأرض.

وقال ليونارد: "عليك الآن بحزام الامان. وانت تعرف ما يجب ان تعمله". فاستخدم تيري اسنانه وكتفه ليضع حزام الامان حول جسمه. وكان لا يزال رافعا رأسه ينظر اليهما.

قال ليونارد: "انطلق الآن".

فابتسم تيري في شيء من القلق، واستند الى قصبة الضبط الرأسية بكتفه، فأخذ الكرسي يرتفع بنعومة ارتفاعا متصلا. ورأى تيري الارض تتدنى عنه، فانتابه الخوف فجأة.

وقال ليونارد يشجعه: "استمر. انك لن تسقط".

فواصل تيري ضغط القصبة وقلبه يدق بعنف، واستمر الكرسي في الارتفاع حتى اصبح في مستوى عيون والديه. ثم مضى يرتفع اكثر واكثر. وتجاوز ارتفاعه رأس هيزل! ثم استقر الكرسي. وسادت لحظة صمت، ورفعت هيزل وليونارد رأسيهما ينظران اليه، وقد استبد العجب بهيزل، وتملك الفخر ليونارد.

وقال ليونارد: "اذهب الى المائدة".

فتقبضت الاصابع المرنة الماهرة

على قصبة الضبط الصغيرة، ودارت العربة حول نفسها، ثم تحركت بنعومة الى الامام نحو المائدة. وكانت قدما تيري في مستوى المائدة، فالتفت ينظر اليهماوقد اشرق وجهه. وقال: "لم اعد احتاج الى المعونة. فانا استطيع ان آتي الى هنا بنفسي كما استطيع ان اتناول طعامي بنفسي".

وادار العربة فجأة وتحرك نحو ليونارد وهو يخفض من مستوى المقعد، حتى بلغ ليونارد وقد اصبح المقعد في مستوى ركبتيه. وحل الصبي حزام الامان، وتحرك نحو أبيه، فحمله ليونارد الى حجره واحتضنه بقوة كي لا يرى الصبي دموعه.

وكان تيري يصيح: "لا سيقان بعد اليوم.. لم اعد تائها بين سيقان الكراسي وسيقان الموائد وسيقان الناس! انني استطيع ان ابدأ الحياة مثل اي صبي آخر تماما".

وراح الزوجان يكتشفان، ذلك المساء، مجموعة الانشطة التي اصبحت في متناول تيري. فهو يستطيع معاونة امه في اعداد المائدة ورفعها، ويستطيع ان يلعب الورق في المستوى العادي، وان يذهب الى جهاز التلفزيون ليختار القناة التي يريدها ويدير الجهاز عليها، وان ينتقل الى الحمام ويغسل وجهه وان يقود عربته الى غرفة النوم حيث يخفض مقعده قليلا ثم يتدحرج الى فراشه. ولم يعد يحتاج في الصباح الى انتظار ليونارد او هيزل ليرفعاه من فراشه. وهو يستطيع فتح الادراج. واختيار الكتب من على الرفوف.

وفي شهر يونيو (حزيران) حمل ليونارد وهيزل العربة (سوبركار) الى المدرسةليستكشفا مدى ما يمكنها ان تقدمه من عون هناك. وقد تمكن تيري من استخدامها طوال ساعات الدراسة وفي حجرة الدراسة ايضا. وحين كان يريد الخروج، كان يقود عربته الى كرسيهالمتحرك الذي يعمل بالكهرباء، ويخفض مقعد العربة الى مستوى مقعد الكرسي المتحرك، ثم ينتقل اليه ويقوده خارجا الى ساحة اللعب كي ينضم الى الاطفال الآخرين.

الا ان ليونارد كان بدأ يعيد التفكير في تصميماته، وسرعان ما اخذ يعد رسوما لعربة تصلح للداخل والخارج معا وتتيح لتيري كل الحرية التي يحتاج اليها بالفعل.

يوم في الحقول

كان لين وهيزل يعيشان خلال الجانب الاكبر من تلك الفترة في ريبة من تمكن لين من الاحتفاظ بعمله او الالتحاق بعمل آخر لفترة طويلة. فقد انتقلت ملكية المؤسسة التي يعمل فيها الى ملاكين جدد، وأصبحت وظيفته في خطر. والأسوأ من ذلك أن استمرار اقامة الثلاثة في البيت الذي يسكنونه كان مرتبطا باستمرار لين في عمله فأصبحوا مهددين بضياع مسكنهم أيضاً. الا ان أصحاب المؤسسة الجدد كانوا من اهل المروءة فسمحوا لأسرة وايلز بالاستمرار في سكن البيت، وراحوا من آن الى آخر يسندون الى لين بعض العمل الموقت كسائق سيارة. لكن الوضع كان موقتا.

ثم جاءتهما مكالمة تلفونية من صحيفة "الصنداي تايمس" تعرب عن اهتمامها بقصة تيري. وكانا خبرا من قبل كثيرا من عروض المعونة، وعرفا كيف تتضاءل الحماسة والاهتمام حتى يتلاشيا. كما سبق لهما ان قرآ من قبل، بخليط من المشاعر المضطربة، مقالات اخرى عن الاطفال من ضحايا "الثاليدوميد". ولم تكن لديهما أدنى فكرة عما يحتمل ان يتوقعاه هذه المرة.

واعتقد ليونارد ان قصتهم قد تحظى بنصف عمود في الصحيفة على أكثر تقدير، وذهب الى القرية صباح يوم الاحد كي يشتريها. وقال بعد ذلك: "لم اكن انتظر ان اجد حكايتنا على صفحة كاملة، جميلة التصميم، توضح ما انجزناه وتفصح عن آمالنا المستقبلة". وحين امكنه بعد حين ان يتلمس تأثير تلك المقالة على حياتهم، كتب: "لقد غلبني التأثر لما بدا من كرم الناس العاديين. وكنت اعرف ان ما انجزته وما انا في سبيل أنجازه يساعد الكثيرين في الحصول على الحرية التي حظي بها تيري، لكن الامر كان يتجاوز قدرتي على النهوض به وحدي".

ومع حلول العام الجديد، كانت الهبات والتبرعات التي تلقوها قد بلغت خمسة آلاف دولار. وبعد أن رد ليونارد وهيزل على كل خطاب موقع وصلهما وعلى كل هبة تلقوها، أزف الوقت كي يستأنف ليونارد تفكيره في عربة الاحلام لتيري، بعد ان غدا في وضع يسمح له باعداد التجهيزات اللازمة للتحسينات الدقيقة الاخيرة.

وبعد انقضاء عام على نشر مقالة "الصنداي تايمس"، تم اعداد "سوبركار ٢". وهي كانت تشتمل على كل مزايا العربات السابقة وعلى اكثر منها بكثير. فالكرسي لا يزال قادرا على رفع تيري اكثر من متر وربع متر في الهواء، لكن العربة قد اصبحت قادرة على اجتياز الارض غير المستوية في الحقول وعلى صعود الحواجز الحجرية عند حافة الطريق.

وذات صباح في شهر اكتوبر (تشرين الأول) كان النسيم عليلا والغيوم المخفوضة تتلاشى تدريجا تحت اشعة الشمس، والعصافير تثرثر في الجو وقد "وشق" الهواء هزيم طائرة نفاثة لم تلبث ان اختفت. وكانت "سوبركار ٢" واقفة خارج البيت وكأنها عرش عال، وقد رفع الصبي الضئيل الحجم رأسه يتأملها.

وقال تيري: "هل استطيع الانطلاق الآن؟"

فرد ليونارد: "هيا اركب".

فحمل تيري نفسه الى الكرسي الرافع، وثبت حزام الأمان، ثم رفع نفسه مترا فوق سطح الارض. ووضعت هيزل الى جانبه سلة صغيرة وقالت: "حسنا، اذهب واقطف لي بعض ثمار العليق (الفراولة البرية)". فتحركت اصابع قدم تيري اماما نحو قصبة التحكم ودارت "سوبركار ٢" من دون صوت بزاوية مقدارها ٩٠ درجة، حتى اختفى الصبي وراء قائم العربة المرتفع.

وصاح: "الى اللقاء!" ثم تحركت العربة الى الأمام. واحس ليونارد ببعض التوتر وهو يرقب العربة تمضي مسرعة لتتسلق منحدرا وعرا وكأنها دبابة مدربة، ثم تجري فوق

الحشائش التي ارتفع منها صرير الاحتكاك، وتمضي لتخترق المرج مخلفة وراءها خطوطا سوداء عند موطىء عجلاتها.

كان تيري وحيدا يعبر ارضا مكشوفة وكأنه عريف (أومباشي) يقود سيارة جيب حربية، او فارس من فرسان القرون الوسطى على صهوة جواد كريم، او قائد دبابة في الصحراء، مع انه لم يكن الا صبيا صغيرا يتواثب ويتأرجح فوق مروج غير مستوية متجها نحو سور من النباتات يستدعيه في اغراء بما يحمل من ثمار العليق (الفراولة البرية) المكتنزة. وبدأ تيري يغني بصوت حاد صاف مرتفع كأي صبي يبحث عن ثمار العليق واي صاحب من اصحابه في المدرسة. بل ان وضعه هو أفضل!... فقد لمس المقابض واذا به يرتفع مقدار نصف متر ثم متر ثم اكثر فوق مستوى السور ليرى المرج الذي وراءه حيث وقفت فرس تحرك ذيلها الكثيف وتحلم في شمس الصباح الباكر. وادار تيري عربته بحذاء السور واختار عنقود العليق الذي اعجبه، ثم مد اصابع قدمه السمراء يمسك به. وكان ليونارد وهيزل يقفان متشابكي الذراعين الى جانب عتبة البيت، وهما يسمعان غناءه يأتيهما من بعد نصف كيلومتر.

ولم يعد تيري الى الظهور الا بعد ساعة كاملة، صبيا صغيرا ضاحك السن يناديهما زاعقا عبر المرج. وجاء يتأرجح ويتواثب فوق الارض غير المستوية بعربته العجيبة حتى قطع بها آخر مساحة معشبة وعبر الى الطريق المجاور للبيت. وبدت عينه العسلية البراقة مليئة بالمرح، وفمه محاطا ببقع قرمزية واضحة.

وقالت هيزل تخاطبه: "تيري، اين ثمار العليق (الفراولة البرية) التي كان المفروض ان تقطفها لي؟"

فكسا تيري ملامحه بمظهر الجد، ثم انفجر مقهقها.

وقال بلهجة خطابية وهو يصطنع لكنة امريكية فظيعة: "تاروماتارا! ان الشرطة تبحث اليوم عن تيرينس وايلز بتهمة سرقة حدثت اخيرا. ويبلغ وايلز من العمر ١١ سنة، وطوله حوالى ٦٠ سنتيمترا، وهو بلا ذراعين ولا ساقين، وقد شوهد اخر مرة وهو يقود عربة سوبركار خضراء فيممر برامبتون. وهو معروف بخطورته، وقد التهم منذ عهد قريب كيلوغراما كاملا من ثمار العليق".

الطريق الى الحرية

في السن الثانية عشرة، اصبح تيري فتى ثريا. فبعد ١١ عاما من النزاع القضائي والجدل المرير، توجتها حملة مكثفة في الصحافة وبين الجماهير وفي البرلمان، تقدمت الشركة البريطانية المنتجة لمستحضرات "الثاليدوميد" بعرض تعويض سخي لضحايا العقار.

وقسمت النقود بين الـ٤٠٠ طفل تبعا لمدى العجز الذي اصاب كلا منهم، ودفع جزء منها في حساب امانة او وديعة باسم كل طفل، وذهب الجزء الآخر الى صندوق وديعة مشتركة لاطفال "الثاليدوميد"، يستطيع كل منهم ان يطلب العون منه. وفحصت

لجنة من الاطباء حال تيري وقررت انه يستحق تعويضا عالياً.

وبعد عام، في صيف ١٩٧٤، وصلت اول دفعة من المال. ولما كان ليونارد وهيزل هما الأبوان بالتبني والوصيان على تيري، فقد منحا شخصيا مبلغ ٧٥٠٠ دولار. ولم يلبث هذا المبلغ ان تلاشى اذ انفق جزء منه لسداد دين للمصرف وذهب الجزء الآخر ثمنا للمواد والأدوات. لكن الزوجين وايلز وجدا نفسهما للمرة الأولى منذ زواجهما غير مضطرين الى التوسل لمأموري الحجز او الى الصراع مع الديون. واستطاعت هيزل ان تستمتع بحياة هادئة ناعمة لم تكن تتخيلها في طفولتها التي انقضت في عربة متنقلة او في مراهقتها الحافلة بالعذاب.

ولم توضع نقود تيري في يديه مباشرة في طبيعة الحال، وانما اصبح نصيبه يدار بواسطة مجلس اوصياء يضم والديه وتصرف منه المبالغ اللازمة لحاجات تيري الشخصية المحددة. وكان من بين هذه الحاجات شراء بيت ريفي صغير باسمه، يمكن تعديله بما يناسب حاجاته كي يتمكن - اذا شاء - من قضاء بقية حياته فيه.

وكان تيري هو الذي اختار البيت. فقد التحق منذ الخريف بمدرسة أرنولف في بلدة سانت نيوتس على مسافة ١١ كيلومترا من برامبتون، وادى ذلك الى ارهاق ليونارد وهيزل لاضطرارهما الى القيادة الطويلة كل يوم لايصاله الى المدرسة ثم العودة به منها، حتى عثروا ذات يوم مصادفة على اعلان عن بيع بيت يقع على مسافة قريبة من المدرسة. والقى تيري نظرة واحدة على الحديقة الواقعة خلف البيت، وعلى حجرة الجلوس الفسيحة والاماكن التي تتسع لوضع كرسيه من دون ان تزدحم الطريق، ثم اطلق صيحة ابتهاج طويلة.

وهمس في أذن هيزل: "هذا هو ما يصلح لنا يا أماه، بل إن فيه مدفأة مفتوحة أيضاً".

وبمجرد انتقالهم الى البيت الجديد، بدأ ليونارد يعمل في تهيئته فوضع روافع خاصة على مقدم حوض المطبخ بحيث يتمكن تيري - باستخدام زعنفيته وامساك الكوب بين اسنانه - من ان يملأ لنفسه قدحا من الماء، كما ادخل تعديلات على تصميم الأبواب واقام منحدرات على الدرجات الخارجية وركب دورة مياه اسوجية فيها نافورات للمياه والهواء الساخن، فأصبح تيري بذلك قادرا على الوفاء بحاجاته من دون معونة من احد. وغدا في امكانه ان يضبط ارتفاع مقعد كرسيه في مستوى الفراش وينزلق الى سريره الصغير وحده، وان يستخدم كتفه او زعنفته لاضاءة النور الخاص به او ادارة جهاز الراديو او التلفزيون. واضاف ليونارد توصيلة لبقة الى جهاز التلفون تتيح لتيري ان يتصل بأصدقائه.

واشتملت الحديقة على كوخ خشبي صغير يحمل في بابه مقبضا مخفوضا. واصبح ذلك هو عرين تيري الذي لا يسمح لأحد من الكبار بدخوله من دون تصريح. وغدا تيري يستقبل اصدقاءه في ذلك العرين وينجز فيه واجباته المدرسية في احيان كثيرة. لكنه

حافظ على كرامته ومكانته. فهو يركب عربته الى المدرسة او يشدها الى مؤخر سيارة أبيه، وما ان يبلغ المدرسة حتى يصبح مكتفيا بذاته تقريبا.

ويقول ليونارد وهو يبتسم: "ان الاشياء التي يتعذر عملها على تيري قليلة بالفعل. ونحن نريد له ان يجرب كل ما هو ممكن قبل ان يبلغ العشرين، فيعرف انه قادر على رشق السهام وقذائف اللعب وعلى ركوب الخيل والحياكة والطبخ، وزراعة الخضر او العزف على الارغن. وهو لا يحتاج الى عمل كل ذلك الآن، ولكنه يستطيع أختيار اي منها حين يصبح أكبر سنا. والأمر المهم هو ان يكون قد جربها وهو صغير".

غير ان مجموعة الاجهزة التي تيسر هذه الانشطة كانت ستغدو مجرد اشياء للزينة من دون عربة تيري الحديثة، المسماة "الشبح الفضي". فهذه "المعجزة" ذات اللون الرمادي - الفضي باتت محور حياة العائلة ومن دونها يصبح تيري - الامير الطويل القامة - مجرد ضفدع ضئيل يحتاج الى العون في كل حركة... فالبيت والحديقة والسيارة كلها مهيأة بما يتناسب مع العربة، التي تبدو كبقعة من الضوء الوهاج وسط لوحة مزدحمة بالألوان والاشكال، تنير الجدار وتضفي المعنى على كل ما حولها.

لقد انقضت اكثر من عشرة اعوام منذ رأى ليونارد للمرة الأولى تلك الكتلة البشرية الصغيرة التي اصبحت تدعى تيري. وهو يقول: "ان مجرد النظر الى طفل مثل تيري يجعلك تتحول الى حالم يمتلىء رأسه بالرؤى". ولكن ليونارد رجل لا يقتنع بالرؤى، كما ان طموحه لا يقف عند تيري. وهو يرى في عرباته امكانا لتحرير الآلاف من ضحايا الشلل ومن كبار السن الذين يعيشون منفردين، او الاطفال المعاقين الذين يعوزهم التحرر من حياة الأسر وسط الكبار.

وقد نما تيري خلال هذه السنين العشر فأصبح شابا متحمسا فصيح اللسان. حقيقة ان جسمه لم يكبر، فطوله لا يزال اكثر قليلا من نصف متر ووزنه لا يزال اقل من وزن طفل ابن عامين، لكن قصوره الجسدي لا يضايقه، كما انه لا يهاب شيئا، وهو مفعم بالآمال في مستقبله، ويريد ان يصبح كاتبا او موسيقيا.

وتعلم تيري من ليونارد وهيزل ان يكون على ثقة متنامية بالحياة. وهو مقتنع مثلهما بأن ارتباط حيواتهم الثلاث معا لم يحدث مصادفة. وهو يؤمن ايمانا عميقا بأن الاقدار قد عوضته افتقاره الى ذراعين وساقين باهتدائه الى هذين الأبوين الممتازين وبما حظي به من الهبات المتعددة الأخرى.

وقد كتب تيري: "اود ان اصف حياتي بأنها طريق لا نهائي تتخلله العقبات والمسيرات السهلة الناعمة، وقد اعترضتني ذات مرة عقبة دفعتني الى الاعتقاد بأن الحياة لا تستحق من المرء ان يعيشها، ثم التقيت فجأة ابوين مفعمين بالحب أسبغا علي الحماية من مصاعب الحياة، وهأنذا الآن قد قطعت شوطا طويلا طويلا على طريق الحرية".

■ مارجوري والاس
■ ومايكل روبسون

CITIZEN QUARTZ

Special Citizens
for special citizens





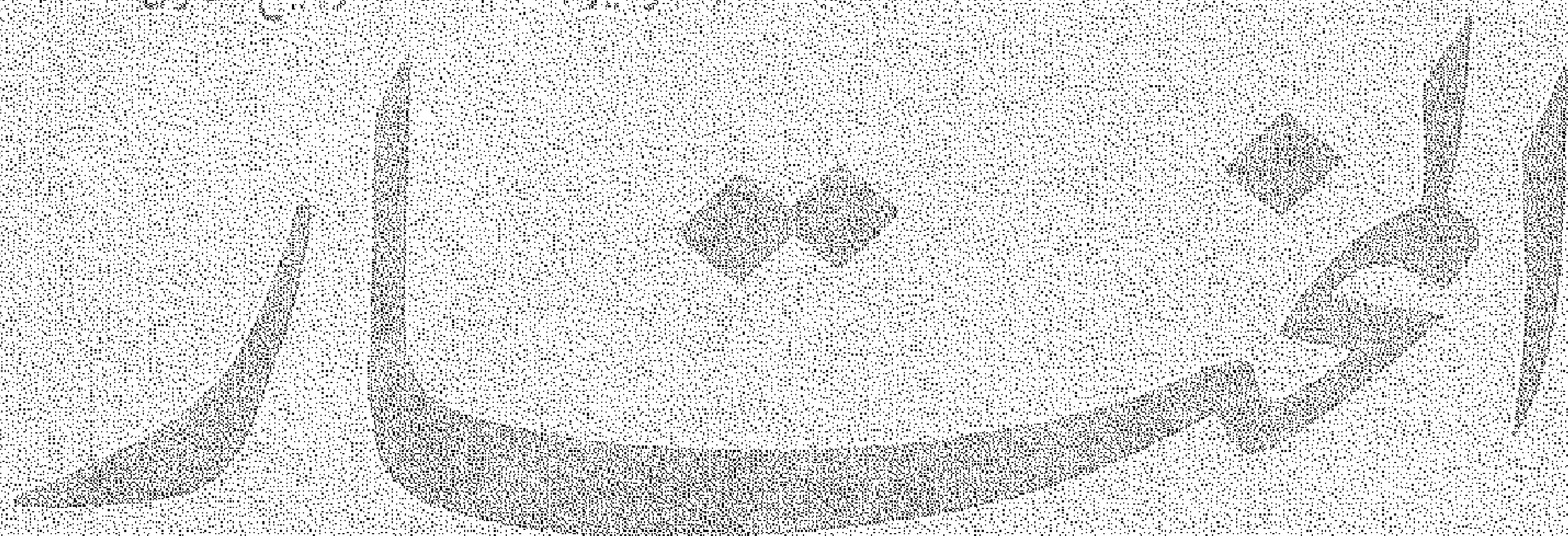
لأناقة فائقة

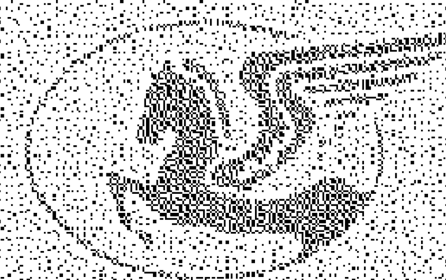
سيتيزن كوارتز الزاهية الرقمية الترسيم
مصممة لتعطيك الوقت بدقة، لا تزيد ولا تنقص
عن ثواني في الشهر وتتيح لك معرفة اليوم، التاريخ والشهر

سيتيزن
CITIZEN



شباط (فبراير) ١٩٧٩ ــ ربيع الاول ١٣٩٩





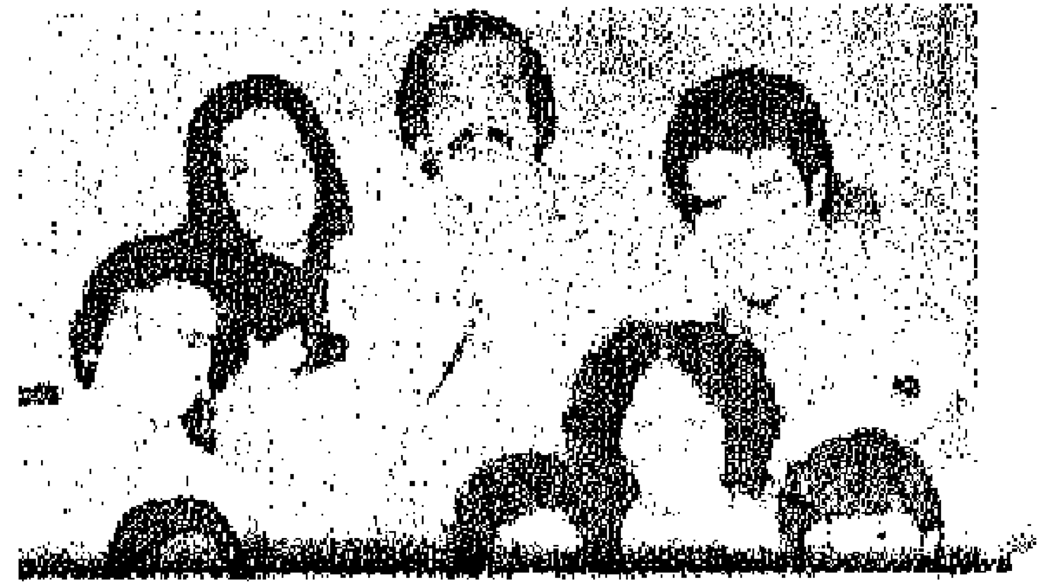
من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق ــ سورية ٣٠٠ق ــ الاردن ٥٠٠ ف ــ الكويت ٥٠٠ ف ــ الامارات العربية المتحدة ٦ د. ــ قطر ٦ ر ــ البحرين ٦٠٠ ف ــ السعودية ٦ ر ــ مصر ٥٠٠ م ــ السودان ٥٠٠ م ــ ليبيا ٢٥٠ د ــ اليمن الجنوبية ٦ ر ــ مسقط ٦ ر ــ العراق ٦٠٠ ف ــ تونس ١ د ــ المغرب ٣ د ــ الجزائر ٧ د ــ فرنسا ٧ ف ــ انكلترا ٧٥ ... ــ أستوديو ١٠٠ د ــ

ماعليك إلاّ أن توجّه الكاميرا وتضغط الزرّ. أما الباقي فتقوم به بولارويد ١٠٠٠ الجديدة.

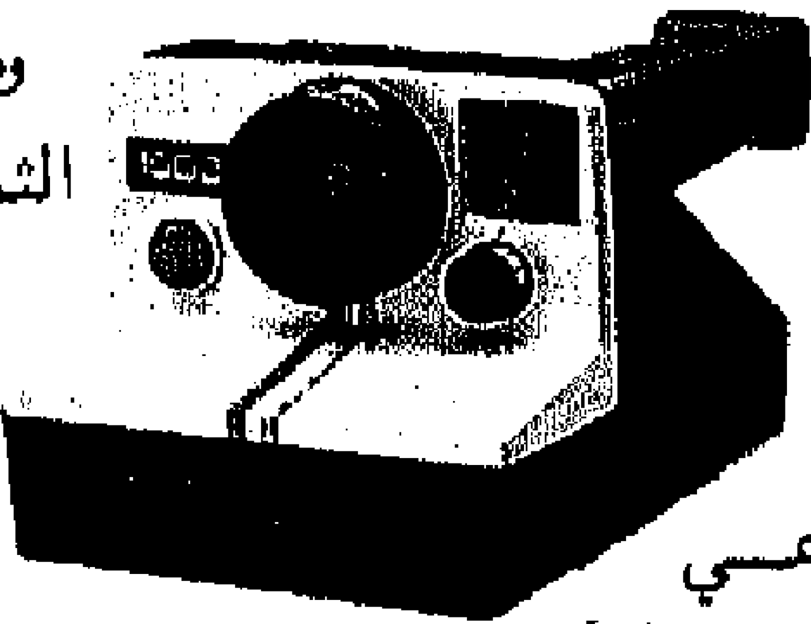








كاميرا بولارويد ١٠٠٠ الجديدة للصور الفورية تضع في يدك حالاً صورة ملوّنة من نوع إس إكس ـ ٧٠. شاهدها وهي تتبلوّر أمام عينيك.



لا داعي لضبط فتحات العدسة أو سرعة الحجاب لا داعي للتركيز. لا داعي لضبط المسافة. لا داعي لضبط أي شيء أو العبث بأي شيء قبل أو بعد أن تلتقط الصورة. ما عليك إلاّ أن توجّه بولارويد ١٠٠٠ نحو الهدف وتضغط الزر. العين الكهربائية تتحكّم أوتوماتيكياً في مدّة التعرّض بالفلاش أو في ضوء النهار، فتخرج صورة زاهية الألوان من نوع إس. إكس ـ ٧٠ [...] ثوانٍ، بفعل موتور يعمل ببطّارية تو[...] داخل كل علبة فيلم.

وهناك مفاجأة سارة أخ[...] الثمن متهاود جداً بحيث يبدو مستحيلاً. وهذه المنفعة التي تجنيها أنت[...] خبرة بولارويد الواس[...]

تفضل بزيارة أقرب محل اللوازم الفوتوغرافية اليوم.

بولارويد
٣٠ عاماً في طليعة التصوير الفور[ي]

بولارويد و إس إكس ـ ٧٠ علامتان تجاريتان لمؤسسة بولارويد كامبردج، ماساتشوستس، بالولايات المتحدة الأمريكية، الحقوق محفوظة لها



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفا وجذابا ومثيرا للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

أقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولارا عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

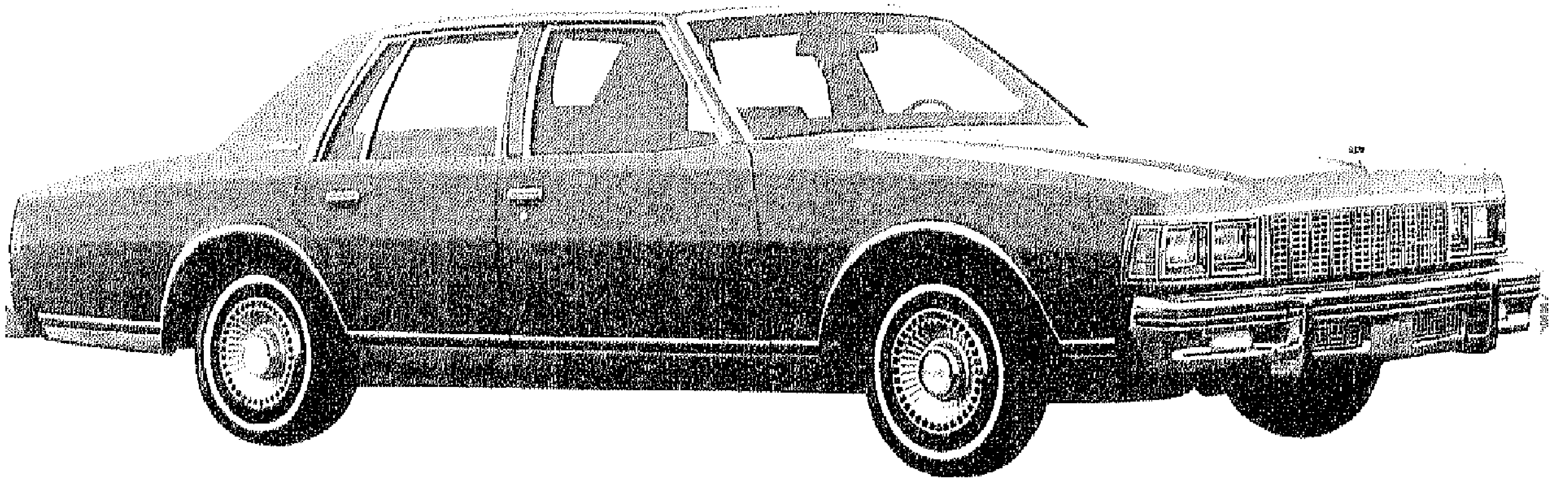
- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.
- يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

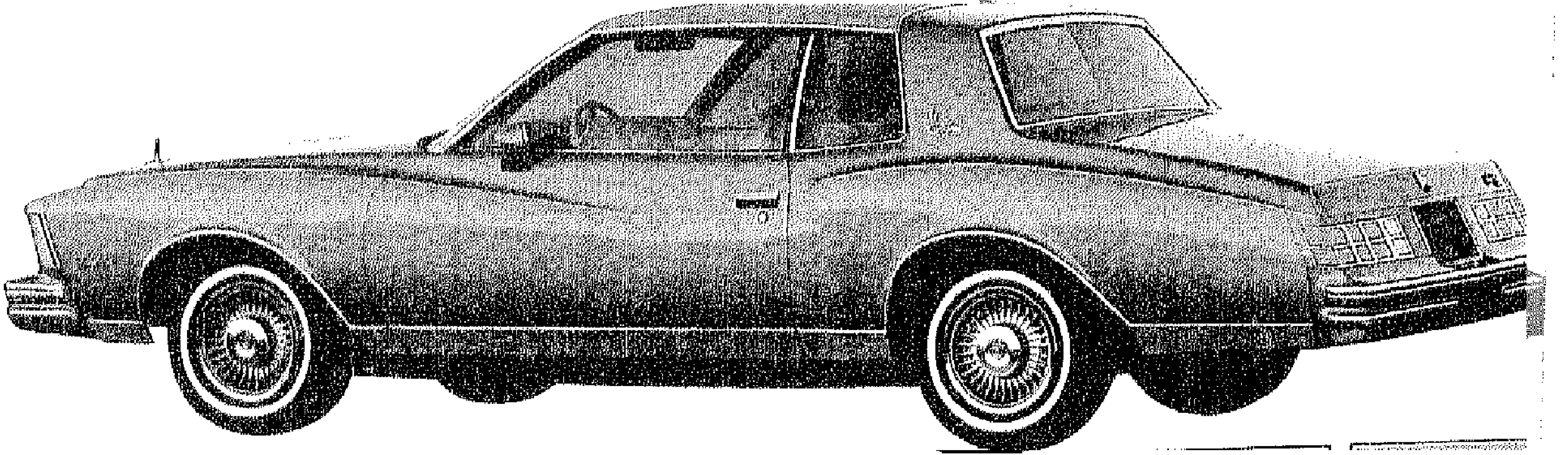
AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

شاهد نفسك في
احدى سيارات شفروليه ١٩٧٩

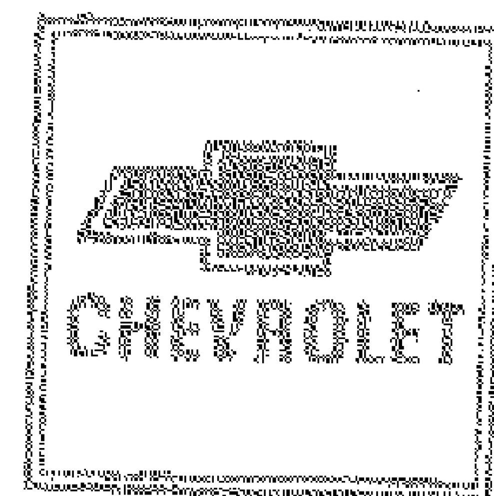
شفروليه ... انه اسم فخم يعرض عليك كل ما تتوق إليه ... فخامة. ورحابة. وأداء وكفاءة. فضلاً عن مجموعة كاملة من المعدات المتوفرة. بما فيها جهاز التحويل الاوتوماتيكي ومكيف الهواء الفاخر اللذين اشتهرت بهما جنرال موتورز. يمكن اختيار سقف جذاب ينفتح. في أغلب الموديلات. اطلب تجربة احدى سيارات شفروليه من أقرب وكيل معتمد لجنرال موتورز. وستدرك المزايا الرائعة التي توفرها لك مقابل ما تدفع عنها من نقود.

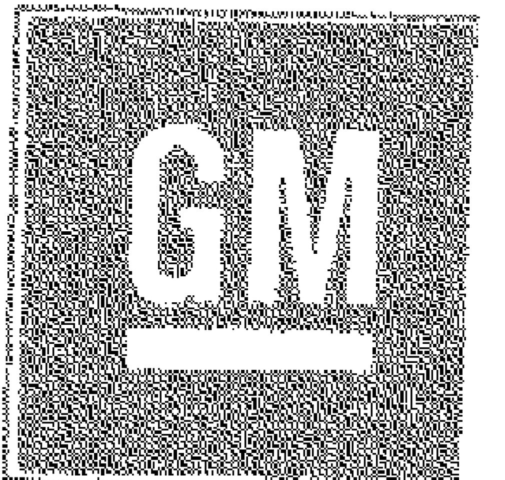


كابريس كلاسيك وامبالا أحدث وأفخر الكماليات في سيارتين رائعتين. مشبك أمامي جديد جميل المظهر. وأضواء أنيقة في المؤخرة. طراز كابريس سيلفر كلاسيك يعرض أسلوبا فريدا في استعمال الطلاء. بحيث أنه يظهر وكأنه أربعة ألوان رائعة. المحرك العادي هو إل ٦ سعة ٤ر١ لتر. ويمكن اختيار محرك من فئة V8



مونتي كارلو جيل جديد يحمل اسماً عريقاً. موديلات ١٩٧٩ هي الآن حتى أكثر جمالاً من موديلات العام الماضي. وتعرض عدداً أكبر من الزوائد الاختيارية. المحرك العادي هو V6 سعة ٨ر٣ لتر. ويمكن اختيار محرك V8 سعة ٤ر٤ لتر أو ٠ر٥ لتر.





تصنع سيارات شفروليه من قبل قسم شفروليه للسيارات بمؤسسة جنرال موتورز

سيارات الغد بين يديك اليوم

مؤسسة جنرال موتورز للتوزيع عبر البحار

جنرال موتورز

لا يجوز إلا للوكلاء المعتمدين من المصنع استعمال علاماتنا التجارية المسجلة.



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير: ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب ·
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير: رينا نداف ·
الاخراج: اروى سيف الدين ·

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس ·

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ·

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:
TAMAM شركة تمام
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي ـ بولونيا ـ ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"

المدير العام: جون أ · اوهارا ·

مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

الغلاف: مشهد من احتفال ديني هندي في مقاطعة ديوالي ·

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
February 1979 N°3 *(New Series)*. Vol.1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

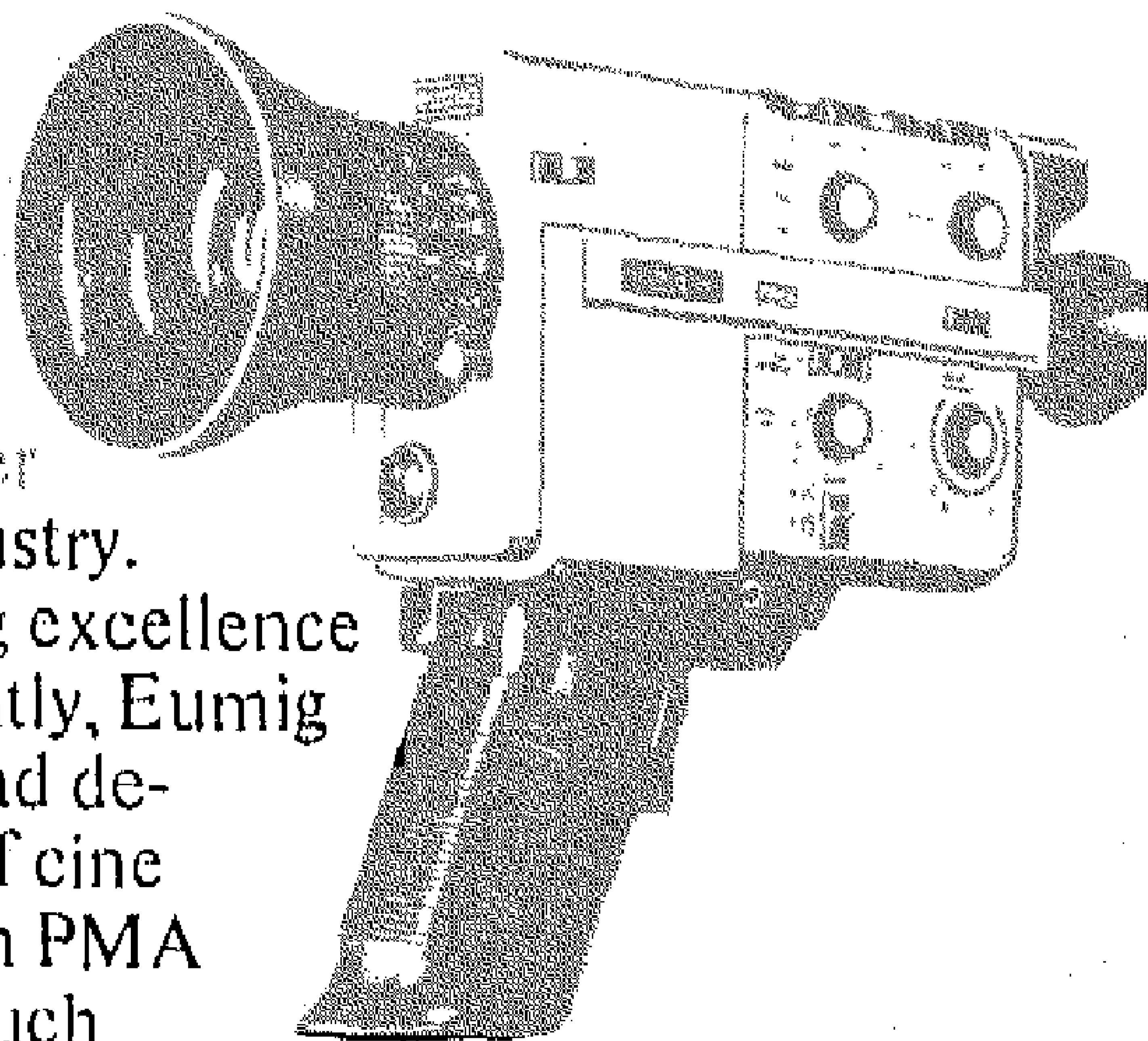
فافرلوبا

ساعة قافر لوبا قلب سويسرا النابض.



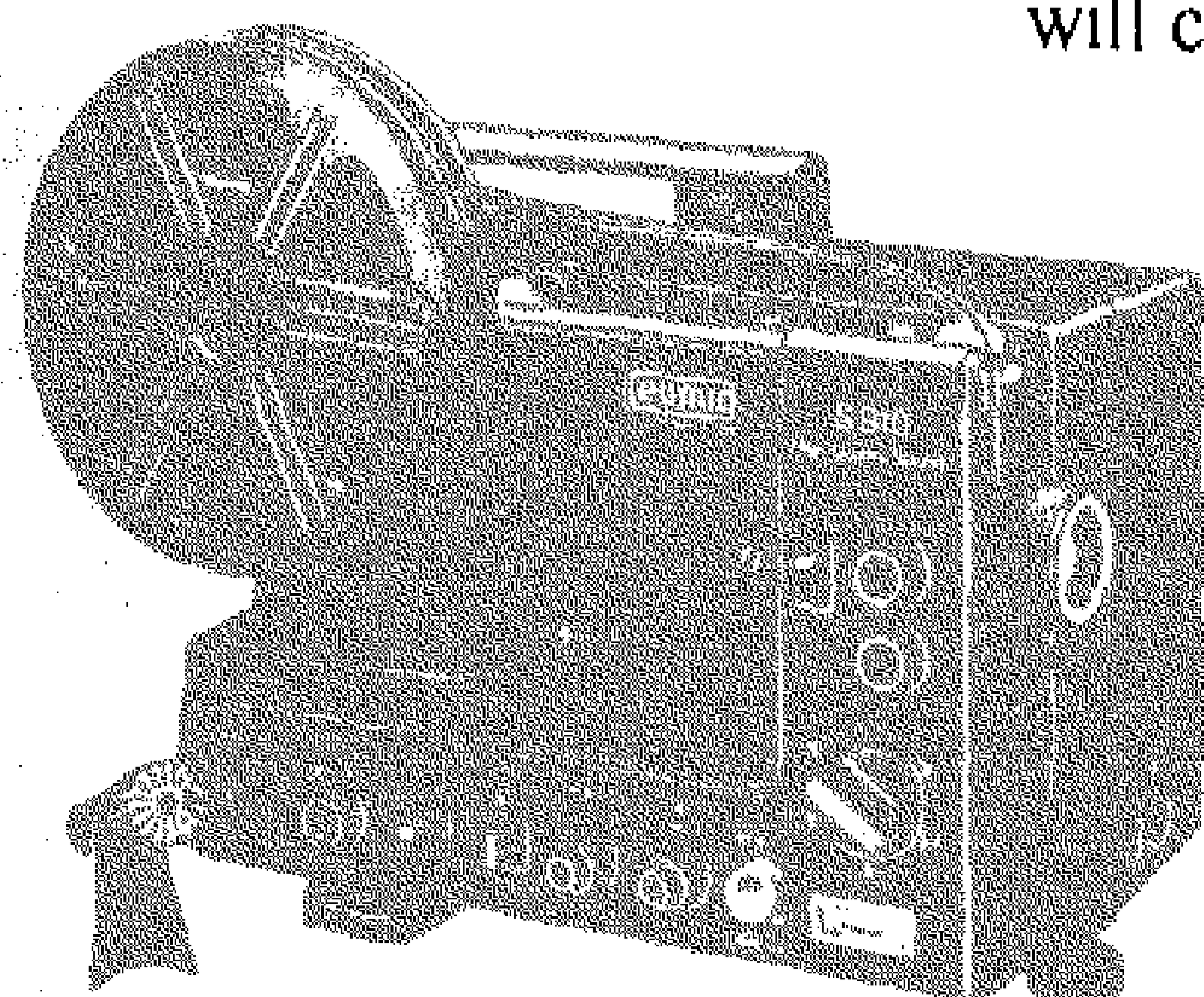
FAVRE-LEUBA
Genève
"FLATLINE QUARTZ"

Success breeds success.



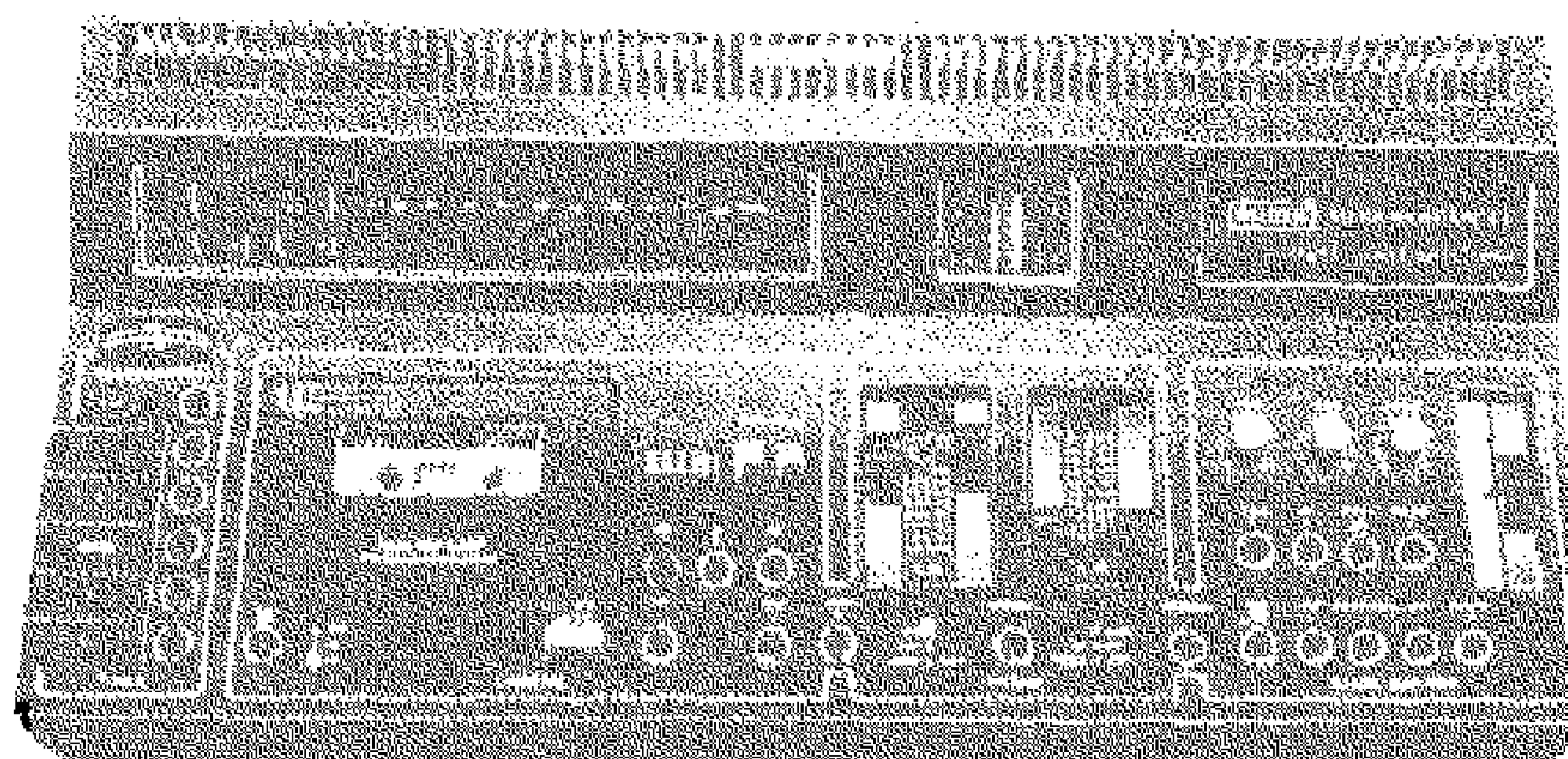
Technical expertise and high standard quality controls have made Eumig the world's leading brand in sound cine projectors.

Eumig projectors have been successful all over the world and been examples for the whole industry. We confidently anticipate this policy of pursuing excellence continuing in the future. Consequently, Eumig will continue to lead development of cine cameras with PMA lenses for much wider pictures both in sound and silent equipment. Eumig cine products give family fun to millions of people all over the world.



However, besides being the leading manufacturer of cine cameras and projectors Eumig is in the unique position of also being a leading product manufacturer in the hi-fi market. Eumig concert centres and concert cassette decks are top quality. They represent the highest development of cassette techniques and have perfect synchromesh. This means top quality sound equal to that of the best tape recorders and phono equipment.

This is a unique position for Eumig to hold. It follows, therefore, that Eumig is determined to also achieve a leading brand position in the growing field of video equipment with the background of Eumig's experience, technical achievement and emphasis on quality, it is natural therefore for Eumig to anticipate producing in this field excellent products of the highest quality.

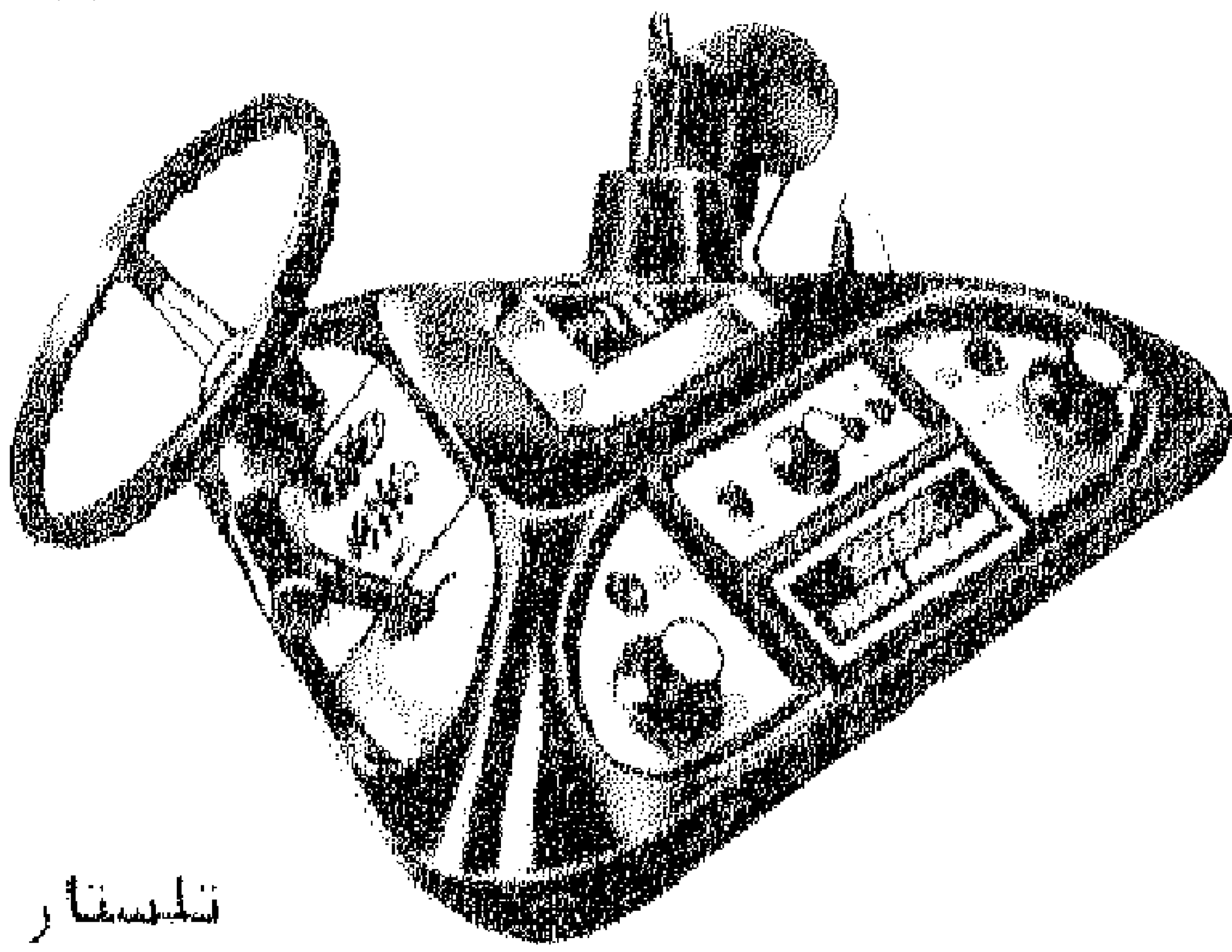


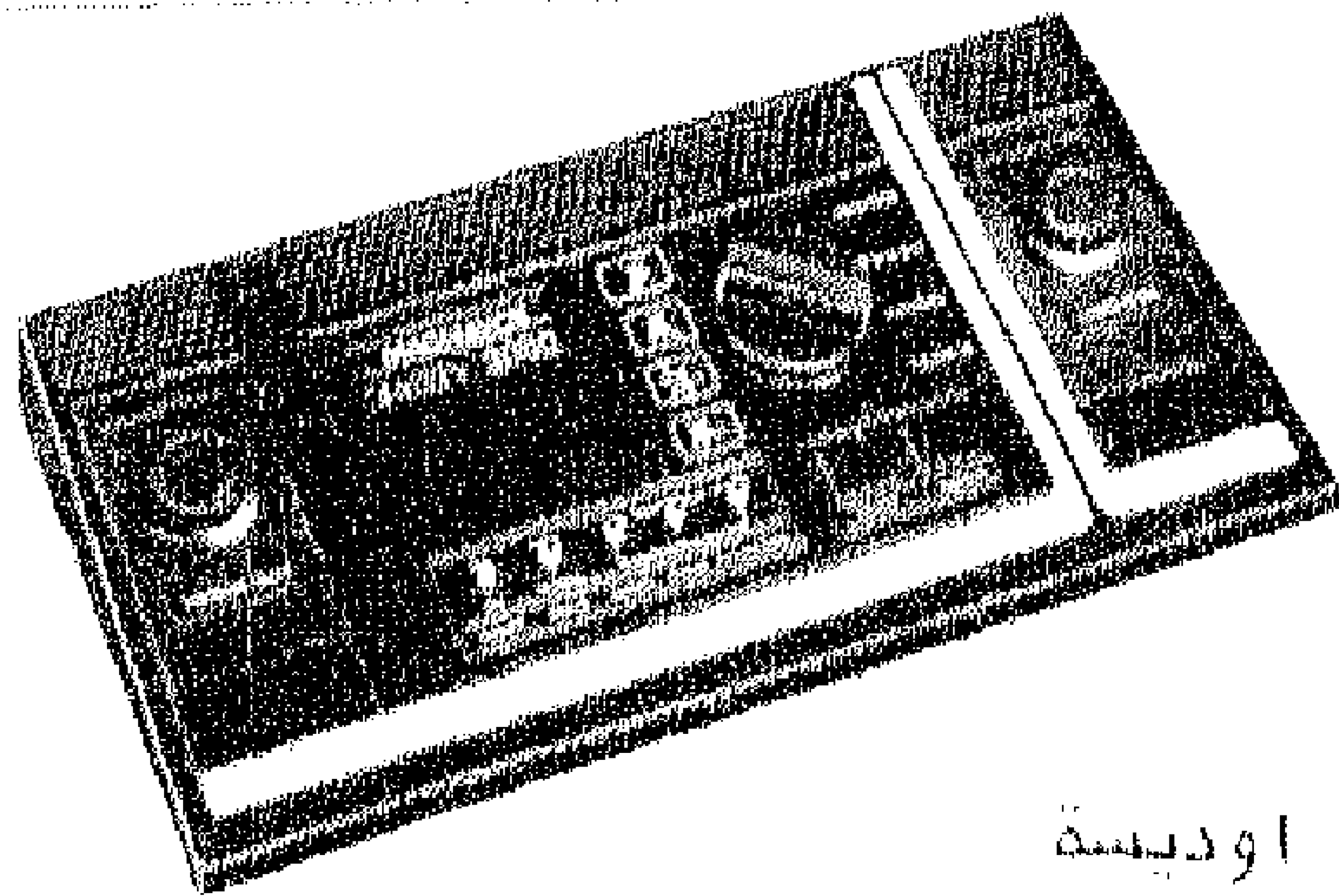
Success breeds success—and the secret of success is producing consistently products of top quality.

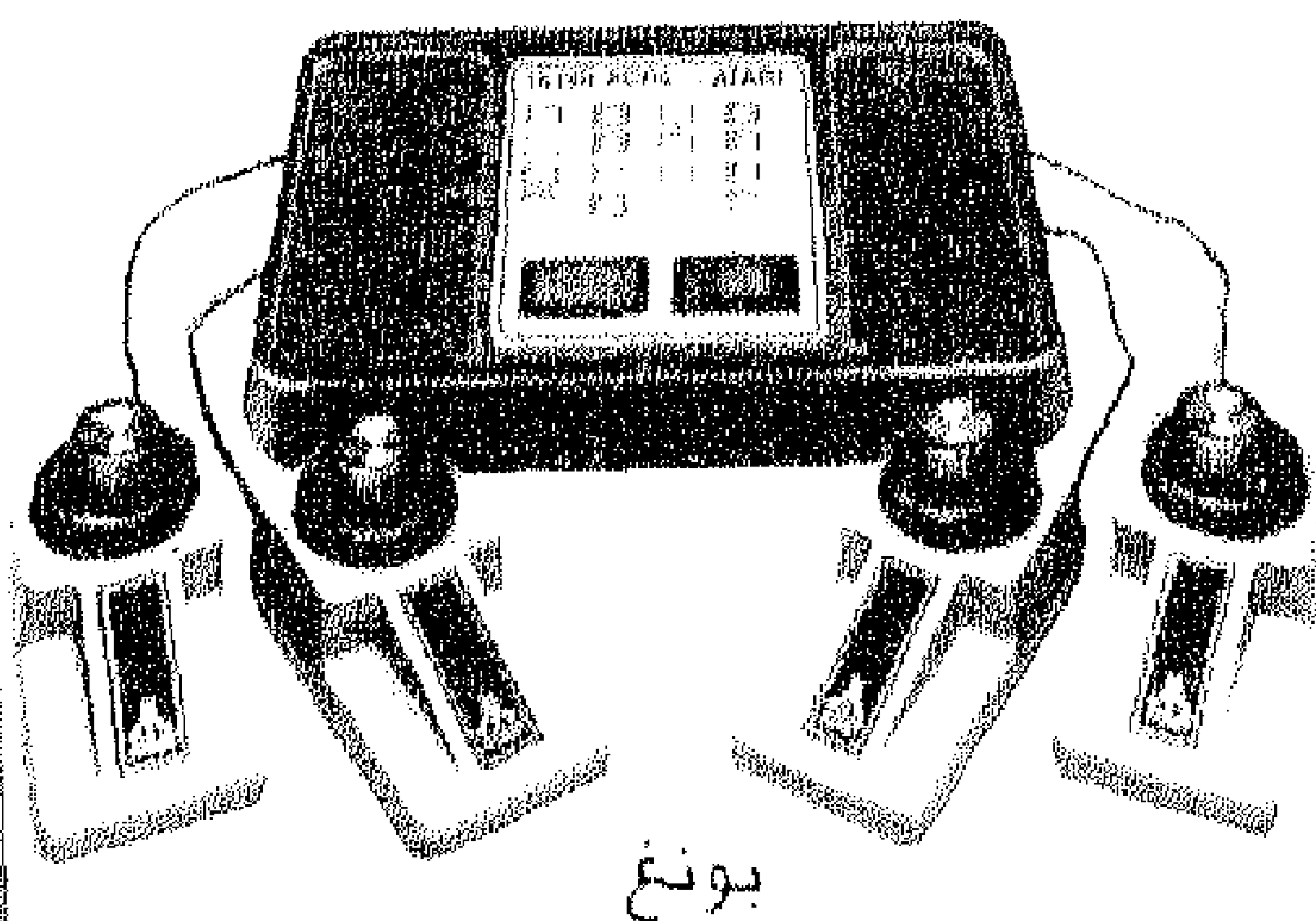
eumig®

الالعابُ التلفزيونية المنزليّة

ان كنت من هواة لعبة الكرة او خوض المعارك او سباق السيارات، فقد اصبح في الامكان ان يتوافر لك هذا كله، بل وأكثر منه، على جهازك التلفزيوني المنزلي.


تلستار


اوديسة



بونغ

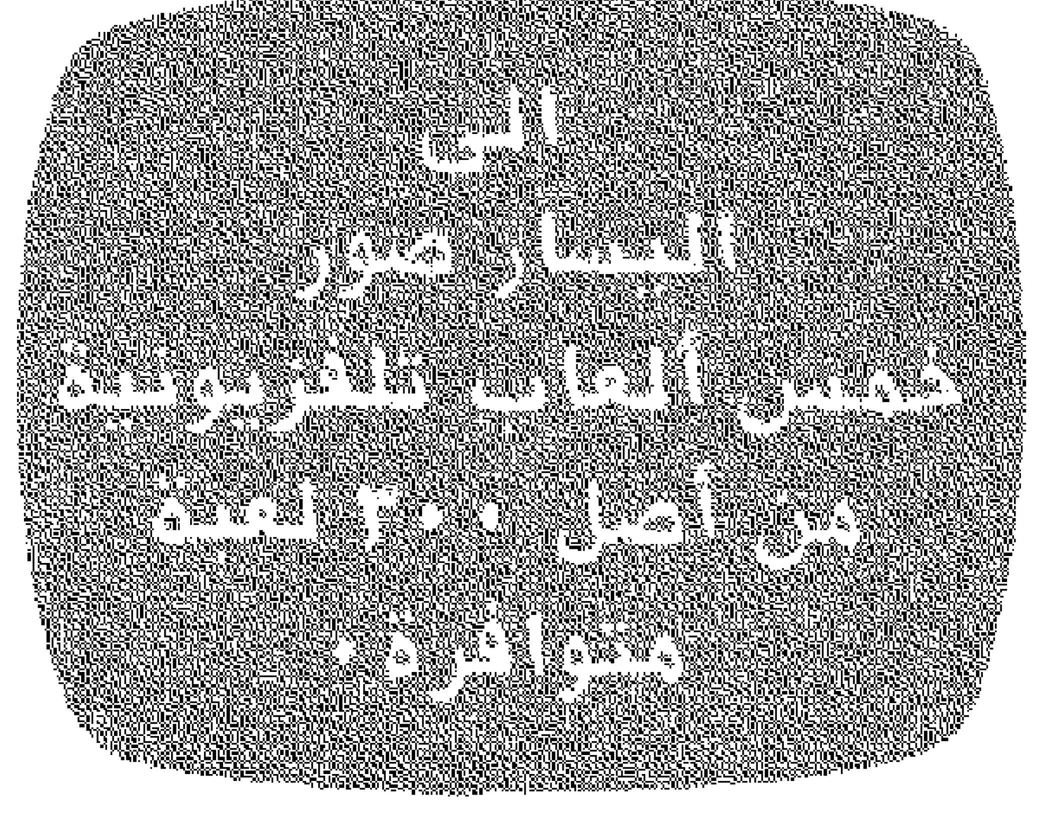
تواجه الآن شبكات التلفزيون الامريكية، في صراعها المستديم لاستمالة الجمهور، منافسا جديدا لا يلين، وهو العاب الفيديو التي تحمل اسماء مثل: "بونغ" و"اوديسة" و"تلستار"، والتي تلاقي على الشاشة الصغيرة رواجا يتزايد اتساعه بكل ما أوتي به انبوب الصور المكبرة من قوة.

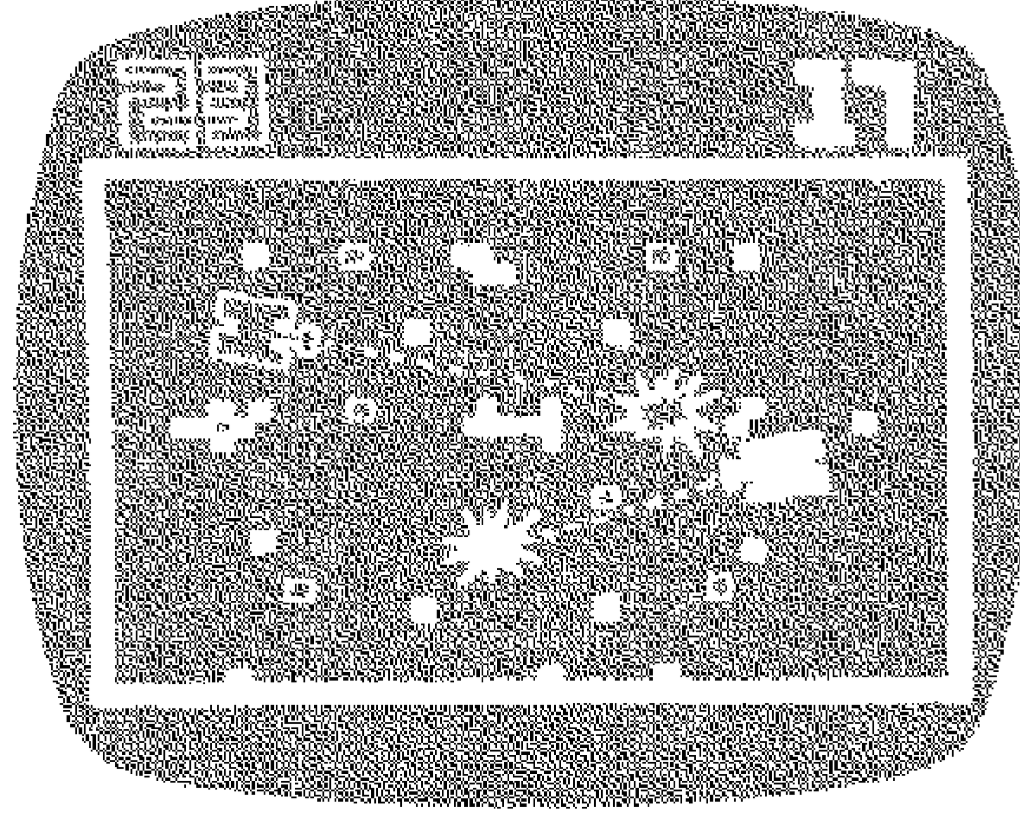
وقد كانت هذه الالعاب قبل سنتين فقط مجرد امور تبعث على الفضول. ولم يكن هناك سوى حفنة من الناس مستعدة لدفع ١٠٠ دولار او اكثر ثمنا لاشارة ضوئية توجه جيئة وذهابا عبر شاشة التلفزيون البيضاء. ولكن قبيل موسم الاعياد في نهاية عام ١٩٧٦، تمكن صانعو هذه الالعاب، بفضل التقدم التقني الكبير آنذاك، من خفض اسعارهم بمقدار النصف. فاستجاب لهذا التنزيل اكثر من ثلاثة ملايين مستهلك، ولو أن معظم تلك الالعاب لم يأت الا بتغييرات طفيفة على النهج القديم.

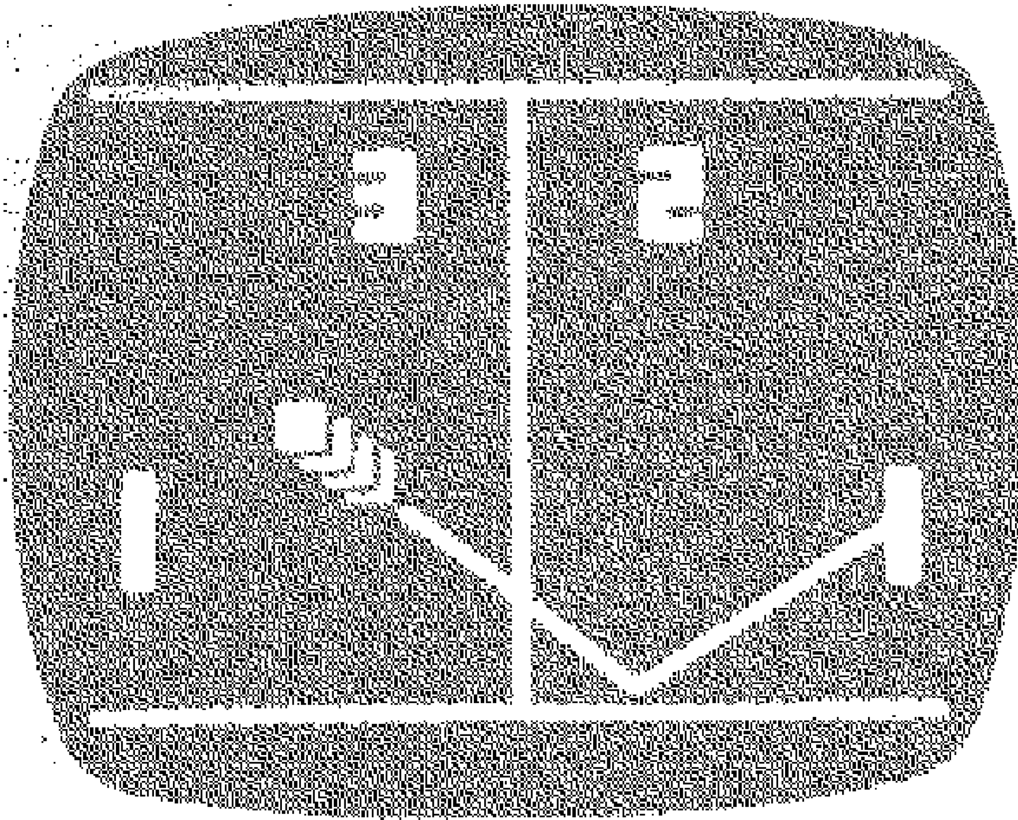
اما الآن، وقد افضت هذه الصناعة الناشئة الى خفض سعر الاجهزة

القديمة الطراز مقدار النصف بينما تضاعفت في الوقت نفسه اهمية الالعاب وطرافتها في الاجهزة الجديدة، فقد هرع قرابة سبعة ملايين زبون الى الاسواق في موسم الاعياد في نهاية ١٩٧٧ لابتياع شتى اجهزة الالعاب التلفزيونية المنزلية، بما فيها قرابة مليون لعبة جديدة تستحق وصفها بانها العاب مثيرة ونابضة بالحياة ومتعددة الاستعمالات.

ولا شك في ان العاب الكرة والمضرب التقليدية لا تزال متوافرة والغواصات وسفن الفضاء القذائف وقنابل الطوربيد واشعة ليزر على اهداف تتحرك في مناورات عسكرية على الشاشة المنزلية بواسطة دماغ الكتروني صغير مركب داخل خزانة مفاتيح التحكم باللعبة. وفي احدى اللعب النموذجية، مثلا، تدور رحى القتال بين "دبابتين" صغيرتين رمزيتين تظهران في الرسم البياني كأنما التقطت صورتهما من بعد جوي. فتطارد كل واحدة منهما الاخرى خلسة عبر ميدان متلفز تتخلله


الى اليسار صور خمس العاب تلفزيونية من أصل ٣٠٠ لعبة متوافرة.





في الاسواق كبديل للالعاب الجديدة. وقد ظهرت ايضا انماط منها مجددة، فاصبح في الامكان، مثلا، التحكم بالمضرب في بعض الاجهزة لتحقيق سرعات مختلفة في دوران الكرة على نفسها وتحريكها من جهة الى اخرى. ولكن لا تجوز المقارنة بين نماذج الالعاب التلفزيونية المنزلية الجديدة - بما فيها من خزانة متطورة لمفاتيح التحكم ومن رسوم بيانية وهاجة - والنماذج الاولى من نوع الكرة والمضرب، الا اذا جاز تشبيه الصواريخ القمرية بالشموع الرومانية. وفي ما يأتي وصف لانواع الالعاب الرئيسية:

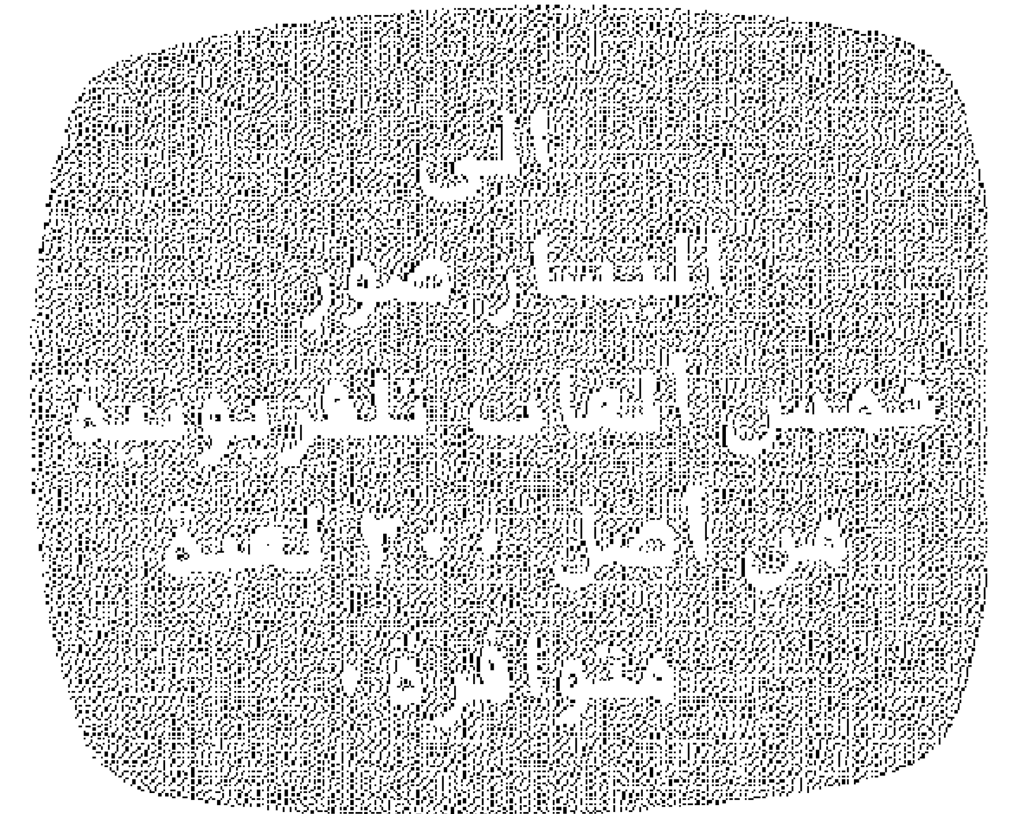
ألعاب القتال ـ تطلق الدبابات الجدران الوقائية وقد زرعت ارضه بالالغام. ويستطيع اللاعب، باستخدامه عصا القيادة في جهاز التحكم (الملحق بهوائي التلفزيون)، ان يدير دبابته المقعقعة في اي اتجاه تسمح الجدران باجتيازه. لا بل يستطيع ايضا، ان هو ضغط بابهامه زراً في قمة عصا القيادة، ان يطلق من مدفع دبابته قذيفة تندفع بسرعة البرق في فضاء الشاشة في اتجاه دبابة العدو. واذا لم يتمكن اللاعب الآخر من المراوغة بدبابته لتفادي الضربة في الوقت المناسب، وقع انفجار مدو وسجلت اصابة على لوحة تسجيل الاصابات.

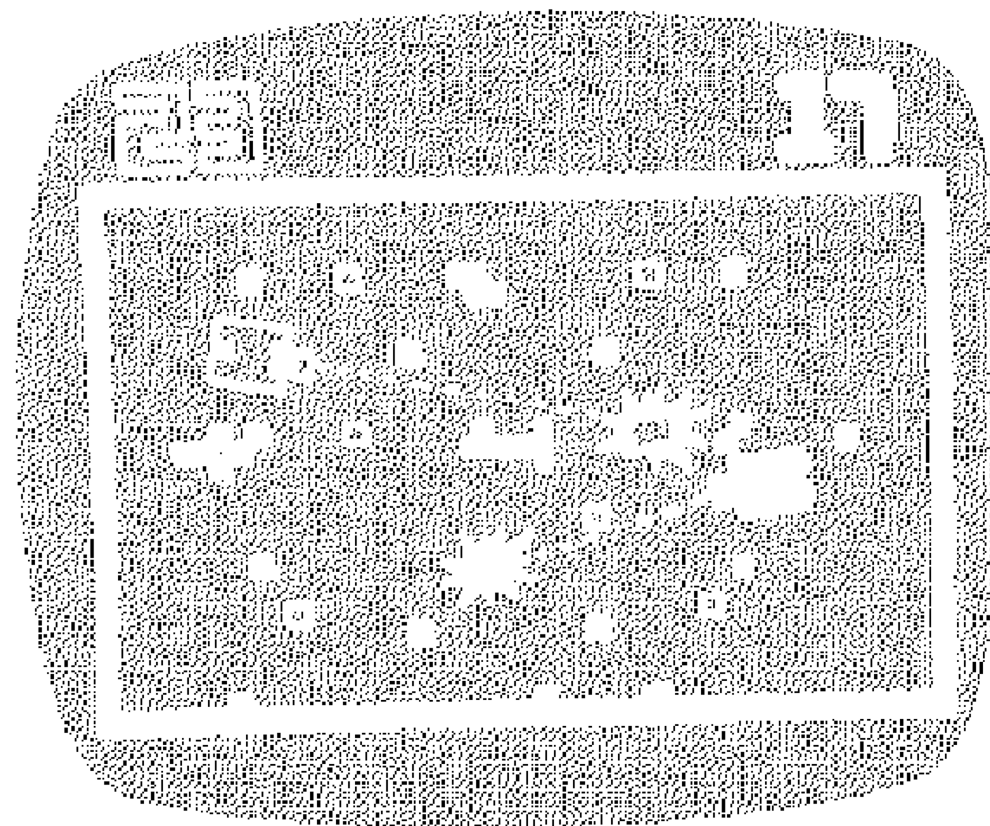
النار الاهداف ـ يكبس اللاعبون

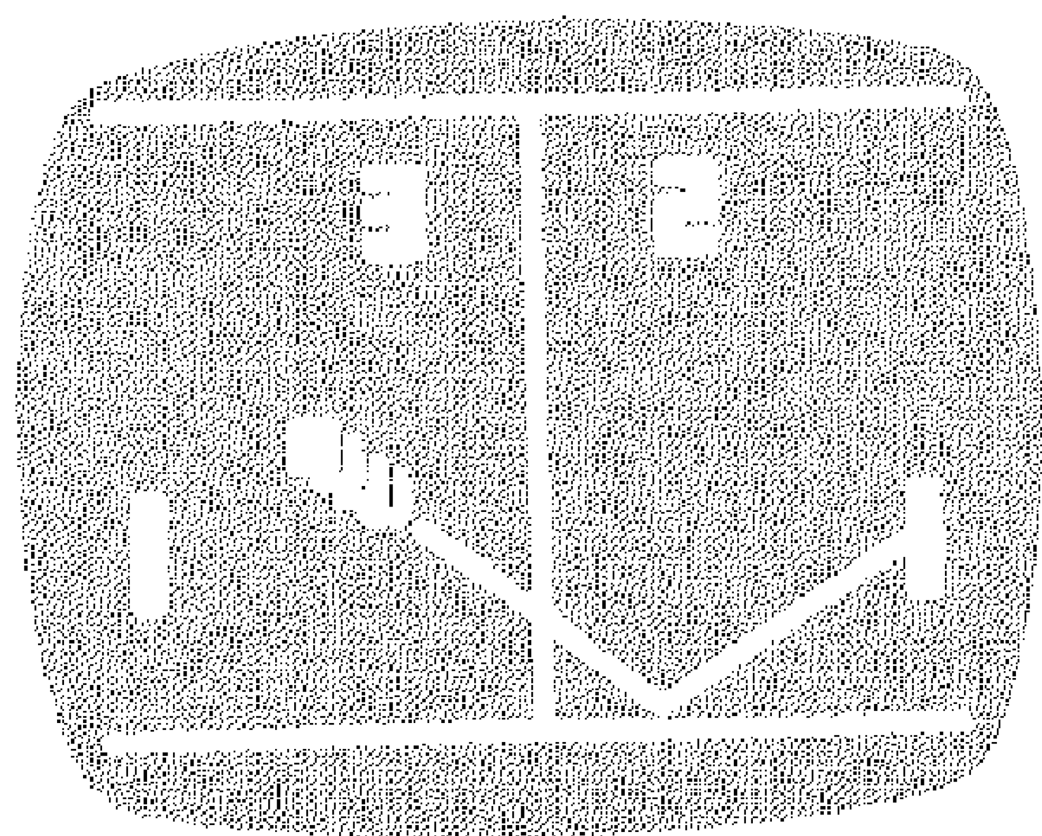
زناداً في خزانة اجهزة التحكم، فينطلق رعاة البقر (الكاوبوي) على الشاشة يتسارعون احتماء وراء الصخور والصبار ويشهرون المسدسات بسرعة خاطفة ويشرعون في اطلاق النار من خلال عربات تجر الواحدة منها ستة جياد. ويستطيع اللاعبون ايضا ان يحولوا الجهاز التلفزيوني الى رواق للرماية، فيطلقون العيارات من مسدس كهرضوئي منفصل في حجم المسدس العاد
فيضيء العيار الناري نقطة حساسة

ان يتحكموا بنقاط ذات الوان مميزة لمطاردة بعضهم بعضا حول الشاشة، او لتلمس الطريق عبر شبكات من الممرات المعقدة، او للتباري في لعبة الكبرى والدبابيس، او للتنافس استراتيجيا للاستيلاء على المناطق. بل يستطيع اللاعب، اذا كان ذا نزعة فنية، ان ينكب على رسم صور ملونة او وضع تصاميم مختلفة.

الألعاب الرياضية — هذه العاب لا حصر لتنويعها، بما فيها شتى انماط "البايسبول" (كرة القاعدة) وكرة


الى اليسار صور خمس ألعاب تلفزيونية من أصل ٣٠٠ لعبة متوافرة.





في اهداف الكترونية خلال طيرانها عبر الشاشة على غرار ما يحدث في رواق الرماية عندما تقذف الاقراص الفخارية في الهواء كأهداف للرماة.

قيادة السيارات — تشبه هذه السيارات في خصائصها سيارات السباق وتقلدها في كل شيء، بما في ذلك ذراع تغيير التروس (الفيتاس) وزعيق العجلات وانّاتها وهدير المحرك وزمجرته وقعقعة الاصطدامات ودويها. فيخيل الى اللاعب الذي يتولى القيادة عن بعد انه هو الذي يندفع بعنف فوق الطريق ومنعطفاتها بسرعات متباينة.

المطاردة والمتاهة والفن — يستطيع اللاعبون، باستخدامهم اجهزة يدوية،

القدم وكرة المضرب و"الهوكي" (لعبة الكرة الخشبية والصولجان) وكرة اليد و"جاي الاي"، الخ. وفي احدى لعب البايسبول التلفزيونية ينزل المولد الالكتروني الى الميدان مجموعة اللاعبين بهيئات بشرية فيتجاوبون تجاوبا تاما في مهاراتهم الدفاعية حين يتولى احد اللاعبين، عبر ذراع التحكم الشبيه بذراع قيادة الطائرات، قذف الكرة في اتجاه هدفها، فتتحرك الكرة حسبما يشاء - بسرعة او ببطء، وباستقامة او انحناء دائري، او على اي نحو يجمع بين هذه المميزات - بينما يتولى لاعب آخر، بواسطة جهاز التحكم، تحريك مضرب "البايسبول" ليرد الكرة عن هدفها.

والحق ان هذه الالعاب الالكترونية، على رغم اقتحامها غمار العصر الفضائي وضوضائه، ليست حديثة العهد. ففي اوائل الستينات عكف الطلاب المتخرجون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا على وضع تخطيط لحرب فضائية واسعة النطاق القمت تفاصيلها الدقيقة الى ادمغة الكترونية باهظة التكاليف. غير ان المستهلك العادي الذي يحسب للاسعار حسابا اضطر الى التريث في انتظار المزيد من تطوير انظمة التكنولوجيا الكيميائية - الكهربائية التي مضت تصغر من حجم الادمغة الالكترونية حتى غدت ذات احجام عملية تتسع لها الاجهزة المنزلية وذات اثمان تقوى الجيوب على تحملها.

والواقع ان تكنولوجيا التصغير الكيميائية الكهربائية التي تفرعت عن الصناعات الجو - فضائية، تنطوي على عمليات كيميائية - كهربائية دقيقة في ما يختص بالدمغ والدمك او تطابق الدارات الكهربائية المتكاملة ولصقها على اقراص من السليكون يقل حجمها عن نصف سنتيمتر. ومن العجب العجاب انها، على صغرها، تزخر بقوة تفوق طاقتها طاقة "الادمغة" الالكترونية الاولية التي كانت بحجم الشاحنة الصندوقية.

كيف يتم تشغيل هذه الالعاب بالضبط؟

حين نشاهد على شاشة التلفزيون المنزلي معركة دبابات طاحنة او مساجلة بين لاعبي "البايسبول"، تبدو لانظارنا في الوهلة الاولى كأنها لوحة من الاعلانات الكهربائية في برودواي، تتكون صورها وكلماتها المتحركة بواسطة اضواء سريعة الومض. وهذا ما يحدث بالفعل تقريبا من الناحية الالكترونية. فشأن الجهاز التلفزيوني، من هذا القبيل، كشأن لوحة الاعلانات الكهربائية، تتكون صوره الدائمة التبدل بواسطة بطارية تشتمل على نقاط مرصوفة في ترتيب افقي وتجري اضاءتها بحيث تومض او تعتم كل واحدة منها وفقا للخطة المعينة.

على ان ثمة فرقا حاسما بين الاثنين. فالصورة التلفزيونية - على خلاف التسلسل الومضي والآني لكتل مصابيح لوحة الاعلانات - تتكون خطا بعد اخر بواسطة حزمة الاشعة المتحركة عبر السطح الخلفي للانبوب التلفزيوني بسرعة خاطفة لا تحصرها العين المجردة، فلا ترى منها سوى تلك الفسيفساء الضوئية المركزة على الشاشة والتي هي الصورة النهائية. لكن تحقيق هذه النتيجة الاخيرة لا يتأتى الا بعدما "ترسم" حزمة الاشعة ٦٠ صورة كاملة على وجه الشاشة، وتقوم في كل ثانية باسقاط ثلاثة ملايين ونصف مليون نقطة، بعضها مضيء والآخر معتم. فلا عجب ان استلزمت لعبة التلفزيون المنزلية، على بساطتها الظاهرة، حاسبة الكترونية مصغرة تستوعب تفاصيل كل شاردة وواردة، كما تحتاج الى شبكات معقدة ومذهلة من الدارات الكهربائية المصغرة لترشد الجهاز الى ما يجب فعله من لحظة الى اخرى.

متاعب المهنة - لقد احرزت الآن صناعة الالعاب التلفزيونية المنزلية

نجاحا باهرا، ولكنها تواجه معضلات معقدة قد تفسد عليها ازدهارها. فهي، من ناحية، تجازف بما يراوح بين ١٠ ملايين و٢٠ مليون دولار في مجالات تطوير الالعاب التلفزيونية وتسويقها، علما بان الميدان عرضة للتقلبات التكنولوجية التي تتمخض احيانا عن انجازات علمية متقدمة تجعل الانتاج الحالي بين عشية وضحاها عتيقا وكاسدا. وهذا عين ما حدث في العام الماضي لاحدى شركات انتاج الالعاب التلفزيونية التي اعتمدت نظام الاقراص المتعددة للدارة الكهربائية. فقد فوجئت يوما بالاعلان عن اكتشاف نظام القرص الواحد للدارات الكهربائية المندمجة، ففاصت الشركة للتوها تحت خسارة قدرت بملايين الدولارات.

ومن ناحية اخرى، فان التكنولوجيا التلفزيونية يتحتم عليها ايضا ان تجد الاجابة عن ذلك السؤال الحرج الذي يكتنف كل عمل تجاري، وهو: ما الذي يريده الجمهور بالفعل؟ ويقول آلان الكورن، نائب رئيس البحوث والتنمية في شركة اتاري في كاليفورنيا التي تنتج لعبة البونغ: "انها شبيهة بصناعة الاسطوانات. فليس في وسعك ان تجمع اثنين مع اثنين ثم تخلص بنتيجة مفادها انك ستبيع كذا عددا. فهذا هو ميدان التسلية والترفيه، حيث يتحتم عليك ان تتحرك بسرعة وان تشتم من اين ستهب الريح قبل ان تضرب ضربتك الغانمة".

ولا تنتهي المشكلات عند هذا الحد. فما ان تلتزم احدى الشركات بتنفيذ فكرة معينة حتى يتحتم عليها ان تحرص على عدم تسربها وانتحالها من قبل المقلدين. وهذا يحمل تلك الشركات على ايجاد مختبرات سرية ومنشآت بلا نوافذ وادوات لاتلاف المهمل من الاوراق، واسماء مكتومة وشارات تعريف وحراس ببزة مميزة ومهندسين يعملون خلف ابواب موصدة ذات اقفال توافقية لا سبيل الى فتحها الا بتوافق حروفها او ارقامها... اي ان جميع اجراءات الامن الصناعية العصرية التي تعم الانتاج العسكري في المجال الالكتروني المماثل انتشرت ايضا في مجال بحوث الالعاب الالكترونية وتطويرها. ويقول احد المطلعين على الامر عن كثب: "لقد نشأت صناعة ثانوية بكامل عدتها لمجرد تقليد اقراص الدارات الكهربائية وانتاجها على نطاق كبير".

ترى ما الذي يخبئه المستقبل لهذه الصناعة السريعة التطور، خصوصا بعدما نزلت الى الاسواق اخيرا مجموعات جديدة من الالعاب التلفزيونية ابعد ثورية من سابقاتها، بما في ذلك تزايد مثير في "المبرمجات"، وهي وحدات مبرمجة بالادمغة الالكترونية تؤدي مسلسلات بأكملها من الالعاب المختلفة التي لا تحصى؟ ولئن كان سعر الواحدة منها يتجاوز ١٥٠ دولارا، الا ان شراء هذه "المبرمجات" سيفسح مجالا غير محدود لشتى الالعاب.

نتيجة لهذا، توقع المراقبون حدوث طفرة جديدة في مبيعات عام ١٩٧٨ بما يعادل ١٢ مليون دولار.

■ جاك فينشر

وُرُودٌ مِنْ أجْلِ ذِكْرَاهَا

جميعهن كن يردن قطف اجمل الورود
تلك التي تزهو في لونها الاحمر القاني٠

ها انذا الان قد وصلت الى القرية الصغيرة في مقاطعة مانيتوبا (كندا) حيث جئت اتولى انهاء العام الدراسي بدلا من مدرسة اقعدها المرض او اخرى هد عزيمتها الوهن٠

وقالت لي مديرة دار المعلمات في ختام حديثنا الاول: "عندما يحين الوقت كي تتقدمي بطلبك لشغل وظيفة دائمة، يمكنك ان تقولي انك قد اكتسبت مقدارا من الخبرة"٠

وهكذا وجدت نفسي في مستهل شهر يونيو (حزيران) في تلك القرية التي تنوء بالفقر المدقع، ولا تزيد على بضعة اكواخ مبنية على الرمال، يحيط بها عدد من اشجار الشربين الهزيلة٠وساءلت نفسي: "شهر واحد! هل يكفي ذلك لكي اتعلق بالطالبات او لكي يتعلقن هن بي؟ وهل يستحق هذا الشهر الواحد ما سأبذله من جهد؟"

ولعل هذه الخواطر نفسها كانت تدور هي ايضا في رؤوس الطالبات، ما دمت لم اشاهد ابدا وجوها يرتسم عليها كل هذا الانقباض والفتور بل والحزن ايضا٠ وكانت خبرتي قليلة ضئيلة، اذ لم اكن انا نفسي اكثر كثيرا من طفلة٠

وجاءت الساعة التاسعة واذا بغرفة الدراسة حارة كالفرن٠

ووجدتني حائرة لا اكاد اعرف كيف ابدأ ولا من اين ابدأ، ففتحت دفتر الحضور وبدأت انادي على الاسماء٠ وكانت الاسماء في معظمها ذات طابع فرنسي واضح، وما زالت حتى الان تخطر في ذاكرتي بلا سبب ظاهر، ومنها: مادلين بيروبيه، جوزيفا بريسيه، اميليان ديمون، سيسيل ليبين٠٠

الا ان معظم الطالبات اللواتي وقفن عندما ناديتهن باسمائهن وأجبن: "حاضرة يا آنسة"، كن يتميزن بعيونهن الضيقة قليلا ولون بشرتهن الدافيء، وشعرهن الحالك السواد، وهي جميعا خصائص تشهد على الدم الهجين الجاري في عروقهن٠

كانت الطالبات على مقدار ملحوظ من الجمال والتهذيب العالي، وانما

كانت الرابطة بينهن وبيني معدومة الى حد احسست معه بان انقطاع الصلة بيننا على هذا النحو يثقل كاهلي ويكاد يسحقني. وساءلت نفسي بقلق اليم: "هل هذا اذا هو شأن الشباب الان: مخلوقات محظر مسها ولا يمكن الوصول اليها، تتحصن في قلعة نفسية لا يمكن بلوغها؟"

وحدها يولاندا غائبة – ووصلت في تلاوة الاسماء الى: "يولاندا شارتران".

ولم يرد احد. وكانت الحرارة تتزايد من دقيقة الى اخرى، فمسحت بعض العرق عن جبيني وكررت نداء الاسم. وعندما لم اجد ردا، رفعت رأسي ونظرت الى وجوه بدت لي كأنها صفحات بيضاء خلت تماما من كل تعبير.

ثم ارتفع من آخر حجرة الدراسة صوت لم استطع في البداية تحديد مصدره، وقال: "لقد ماتت يا آنسة.. توفيت الليلة الماضية".

وكانت نغمة الفتاة الرتيبة الهادئة وهي تنهي الي النبأ باعثا على الاسى اكثر من النبأ نفسه.

قلت وقد خانتني الكلمات: آه...!

ورحنا ننظر بعضنا الى بعض في صمت طال امده، انا في جانب والفتيات في جانب آخر، وقد فهمت من التعبير الذي امتلأت به عيونهن انه حزن عميق.

وقلت في كلمات متعثرة: "لقد كانت يولاندا، زميلتكن في الفصل وكانت ستصبح تلميذتي. فهل تحببن بعد انتهاء الدراسة في الرابعة بعد الظهر ان نذهب معا لنزورها؟"

وبدا على الوجوه الفتية التي تكسو ملامحها الجدية المفرطة ظل ابتسامة يشوبها الاحتراس، ولكنها لا تزال بالغة الحزن.

وفي الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة وجدت معظم الفتيات ينتظرنني عند باب المدرسة. كان عددهن يربو على العشرين، ولكن لم يصدر عنهن اي ضوضاء تزيد على ما يحتمل حدوثه لو انهن كن محتجزات بعد الدراسة لذنب اتينه.

وسار بعضهن في المقدم كي يرشدنني الى الطريق، بينما تزاحمت الباقيات حولي بصورة كادت تعوقني عن الحركة، وامسكت خمس او ست من اصغرهن بيدي او ذراعي وجذبنني الى الامام برفق كأنهن يقدن شخصا عزيزا. ولم تتكلم واحدة من الفتيات وانما اكتفين بالتحلق حولي، وانا داخل دائرتهن.

وسرنا معا على هذا النحو حتى بلغنا كوخا خشبيا منعزلا وسط مجموعة من اشجار الشربين الهزيلة. وكان بابه مفتوحا على سعته، فاستطعنا ان نرى جثمان الطفلة المتوفاة من مسافة بعيدة، وهي مسجاة وحيدة في الغرفة فوق الواح خشنة معلقة بين مقعدين.

وبدا ان الوالدين فعلا كل ما يستطيعانه لابنتهما، وغطياها بملاءة نظيفة. ولعل امها هي التي تولت تنسيق شعرها في ضفيرتين متماسكتين تحيطان بوجهها النحيل. ويبدو ان الوالدين قد اضطرا الى التغيب لقضاء امر، وربما كان ذلك شراء نعش لها من المدينة او الحصول على عدد آخر من الواح الخشب لصنع النعش لها بايديهما.

كان للفتاة وجه صغير رقيق، بالغ

النحول، يحمل التعبير الحاد نفسه الذي رأيته على وجوه معظم الفتيات هنا، وكأن هموم الكبار قد اثقلت كواهلهن الركيكة قبل الاوان. وكانت يولاندا تبدو في العاشرة او الحادية عشرة من عمرها.

كانت الفتيات يراقبنني. وادركت أنهن يتوقعن مني الآن كل شيء على رغم اني لم اكن اعرف اكثر مما يعرفن، وكان ارتباكي لا يقل عن ارتباكهن.

الا ان ومضة من الالهام لمعت في ذهني، فقلت لهن: "الا ترون ان يولاندا يسرها ان يلازمها احد منا حتى يحين وقت رقادها في الارض؟"

وانبأتني وجوههن باني قد طرقت الصواب، فاستطردت: "لنتناوب صحبتها اذا، وليبق بجانبها أربع او خمس منا كل ساعتين حتى يحين موعد الدفن".

ووافقت الفتيات وقد التمعت عيونهن السود، ووقفن حولي وهن يشعرن بثقة تامة في شخصي الى درجة ارهبتني.

وسألت: "اي نوع من البنات كانت يولاندا؟"

ولم تفهم الفتيات سؤالي بادىء الامر، ثم قالت احداهن وهي في مثل عمر يولاندا بلهجة تجمع بين الجد والرقة: "كانت يولاندا ذكية".

وبدا على الفتيات الاخريات انهن يوافقن على هذا القول، فعدت اسأل "وهل كانت مجتهدة في دراستها؟"

فردت احداهن: "انها لم تحضر الى المدرسة كثيرا هذا العام، بل كانت تتغيب معظم الوقت".

وقالت اخرى: "قالت معلمتنا قبل السابقة في هذا العام ان يولاندا كان يمكنها ان تتفوق".

وسألت: "ما سبب موت يولاندا؟"

فأجبن: "مرض السل يا آنسة"، وكان جوابهن صوتا واحدا كما لو كان ذلك المرض هو السبب المألوف لوفيات الصغار في تلك الناحية.

رداؤها كان ستارة – وانتابتهن الحماسة للحديث عن يولاندا، فقد نجحت، وهي جثة هامدة، في فتح الابواب الصغيرة البائسة الكامنة في اعماقهن، والتي ربما لم يرد اي منهن انفتاحها من قبل. واخذن يروين لي حقائق مؤثرة عن حياة يولاندا القصيرة. فذات يوم كانت عائدة الى بيتها من المدرسة، وكان ذلك في شهر فبراير (شباط) – وهنا اعترضت احداهن مصححة وقالت: "ان الشهر كان مارس (آذار)" – فضاع منها كتاب مطالعتها. وقد احزنها ذلك جدا فظلت تبكي لضياع الكتاب اسابيع طويلة من دون ان يعزيها عن فقده شيء. واضطرت بعد ذلك، لكي تستذكر دروسها، الى اقتراض كتب زميلاتها. ورأيت على وجوه بعض الفتيات انهن لم يعرن يولاندا كتبهن بسماحة نفس، وان ذلك سيكون مصدر ندم دائم لهن. ومن القصص الاخرى عنها ان يولاندا لم يكن لديها ثوب ملائم ترتديه في مناسبة تناولها القربان، فظلت تلح حتى صنعت لها امها في النهاية ثوبا من الستارة الوحيدة الموجودة في المنزل: "الستارة التي اخذت من هذه الغرفة. وهي ستارة جميلة من الدانتيل يا آنسة".

وسألت: "وهل بدت يولاندا جميلة في ثوبها المصنوع من ستارة الدانتيل؟" فهززن رؤوسهن جميعا

هزة عميقة، وتراءت في عيونهن ذكرى صورة سارة.

ورحت ادرس الوجه الساكن الصغير، فتاة كانت تحب الكتب والجد والملابس اللائقة؛ ثم وجدتني انظر الى رشاش وردي مدهش يتناثر في ارجاء المنظر الطبيعي في الخارج، لم البث ان تبينت انه كتلة من الورود البرية التي تتفتح في شهر يونيو (حزيران) منتشرة فوق مساحات شاسعة في مانيتوبا حيث تنمو في افقر انواع التربة.

وتملك مشاعري شيء من الخفة، فقلت: "هيا بنا نقطف بعض الورود من اجل يولاندا".

فارتسمت على وجوه الفتيات الابتسامة البطيئة نفسها التي يشوبها الحزن الرقيق، والتي رأيتها حين اقترحت زيارة الجثمان.

وسرعان ما كنا نجمع الورود. ولم تكن البهجة قد تسللت بعد الى نفوس الفتيات، فقد كان ذلك امرا بعيدا؛ غير انني كنت اسمعهن يتحدثن بعضهم الى بعض وقد تملكهن نوع من التنافس، فرحن يتسابقن كي يرين من منهن تستطيع ان تقطف اكبر عدد من الورود واكثرها بهاء - تلك الوردة التي تزهو بلونها القاني البديع.

ومن وقت الى آخر، كنت اجد فتاة تجذبني من كمي وتقول: "انظري يا آنسة الى هذه الورود الجميلة التي وجدتها".

الورد يحمل ذكراها — وحين عدنا الى الجثمان، رحنا ننتزع اوراق الورود بحرص ورقة وننثرها فوق الفتاة الميتة، ولم يبق ظاهرا سوى وجهها من تحت الغطاء الوردي السابغ. وهنا حدث شيء كالمعجزة — فقد بدت الفتاة المسجاة اقل وحدة وشقاء.

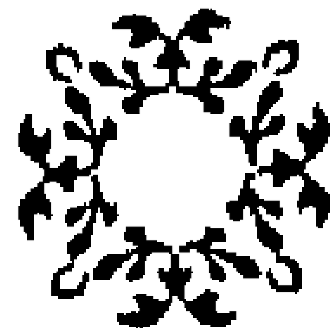
والتفت الفتيات في حلقة حول زميلتهن وهن يعزين انفسهن على خير ما استطعن، ويقلن عنها في لهجة خلت من الحزن المرير الذي كان يتملكهن في الصباح: "لا بد من انها قد وصلت الى السماء الآن"، او: "لابد من ان تكون سعيدة الآن".

ولكن ما الذيجعل ذكرى هذه الفتاة المتوفاة تتملكني اليوم، في قلب هذا الصيف الصادح بالبهجة؟

هل حملتها الي الان هذه الريح المعطرة بعبير الورود؟

عبير تضاءل حبي له منذ ذلك اليوم البعيد من شهر يونيو (حزيران)، عندما ذهبت الى تلك القرية الفقيرة لكي اكتسب - كما يقولون - الخبرة.

■ غابرييل روا



كان البخيل يحتضر وقد وقف الكاهن الى جانبه.
وقال المحتضر بصوت ضعيف: "آه... لكم اود ان آخذ معي ذهبي". فقال الكاهن وهو يهز رأسه اسفا: "ولكنه لن يجديك فتيلا، لانه سينصهر!". (في جهنم).
مجلة "الضحك الحر" - فرنسا

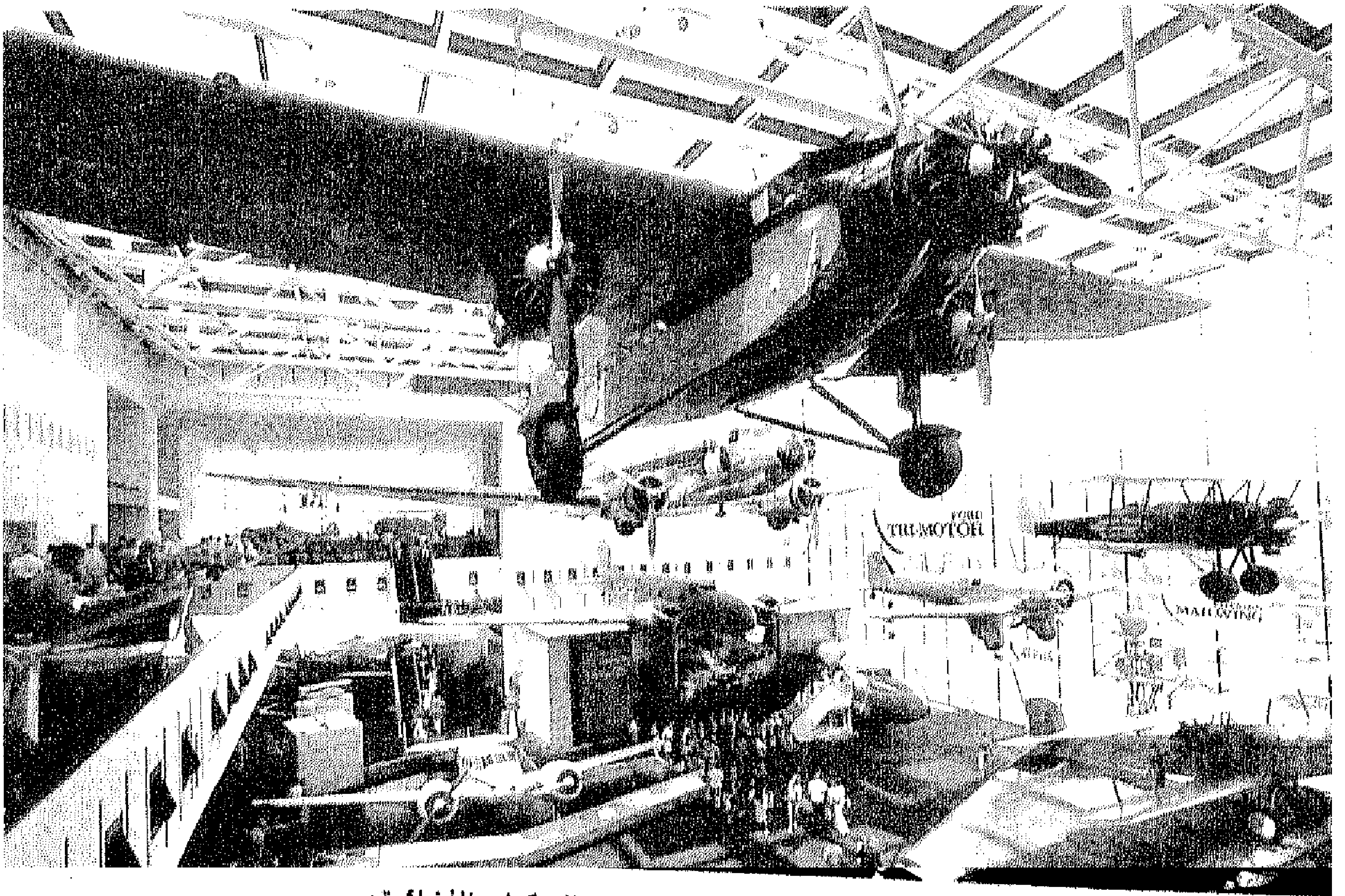
المتحف الفضائي العجيب

متحف الطيران والفضاء الوطني
التابع للمعهد السميثوني لا يزال مهرجان المحلقين
وقبلة الزوار في العاصمة الامريكية.

تذكر المرأة الشائبة انها ذات يوم من أيام صباها كانت في قبو منزلها منهمكة في جلب بعض المعلبات، وفجأة سمعت ضوضاء ارتجاج المحرك في الفضاء فتلمست العتمة واسرعت الى الحديقة واذ بها امام طائرة من

صنع فورد ثلاثية المحركات تمخر السماء فوق شجيرات الجميز العالية.

ويتذكر البائع وهو في منتصف العمر وزن حزام الذخيرة عيار ٥٠ يثقل كتفيه يوم كان يقوم بخدمة المدافع الأوتوماتيكية على متن طائرة



محرك فورد الثلاثي يتصدر جناح المركبات الفضائية.

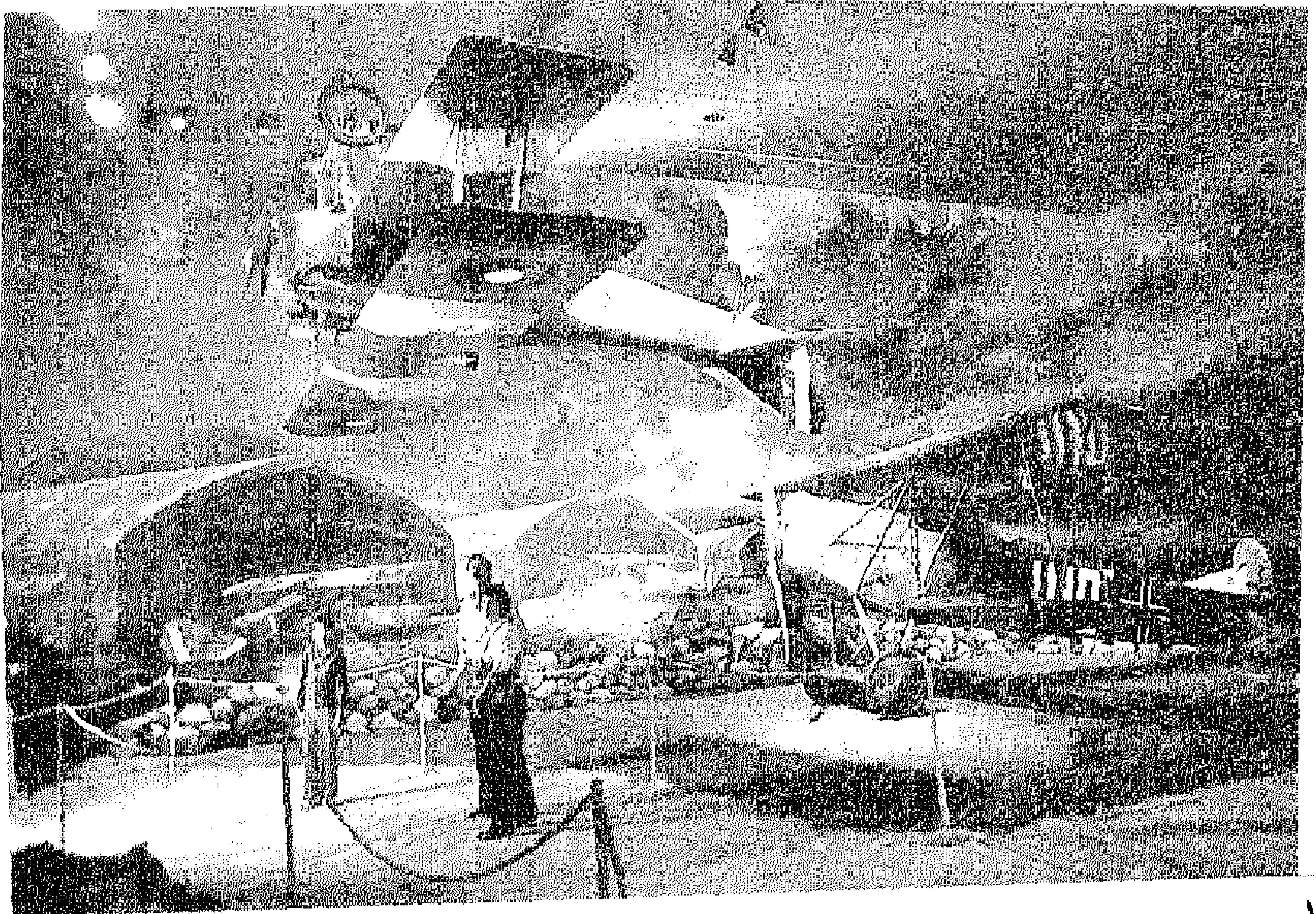
مقاتلة نفاثة من طراز ف - ٨٦ في احد مهابط الطائرات في كوريا٠

والولد الصغير الذي لا يبالي بالضوضاء المجاورة، يتحسس بأنامله الناعمة بذلة الضغط المحكمة التفصيل وهو يمسك بمقبض طيارته اللامعة٠

والافتتان بالطيران - بماضيه وحاضره ومستقبله - هو سر الاقبال الشديد على متحف الطيران والفضاء الوطني التابع للمعهد السميثوني في مدينة واشنطن٠ ان منظره المذهل، لكثرة ما فيه من مركبات فضائية وطائرات مزدوجة الاجنحة ومناطيد هواء ساخن وطائرات عمودية وطائرات مقاتلة نفاثة وطائرات شراعية وصواريخ، يعتبر بمثابة اجلال تكنولوجي لتاريخ الطيران٠

وهذا المتحف، الذي يجتذب ٨٠٠،٠٠٠ زائر شهريا منذ افتتاحه في يوليو (تموز) ١٩٧٦، يعج باصوات الابتهاج المتعالية من جماهير الزائرين، بينما تتوالى في مبناه الزجاجي الرخامي والفولاذي اللامع مسرحيات الدمى المتحركة وعروض الادوات الالكترونية وفيلم مدهش عن الطيران (يعرض على شاشة بطول خمس طبقات)، بالاضافة الى آلات الطيران نفسها٠ وليس ثمة في العالم اي مكان آخر يحتوي على مثل هذا العدد الكبير من الطائرات ومركبات الفضاء الشهيرة٠ ففي غضون ساعات قليلة يمكنك اجتياز قرنين من تاريخ الطيران، بداية من نسخة لمنطاد الاخوين مونتغولفييه الذي حلق فوق باريس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٨٣ الى صور فوتوغرافية مقربة

في جناح الحرب العالمية الاولى، الطائرة الامريكية "سباد - ٨" تلتف التفاف النصر حول الطائرة الالمانية "فوكر د - ٨"٠

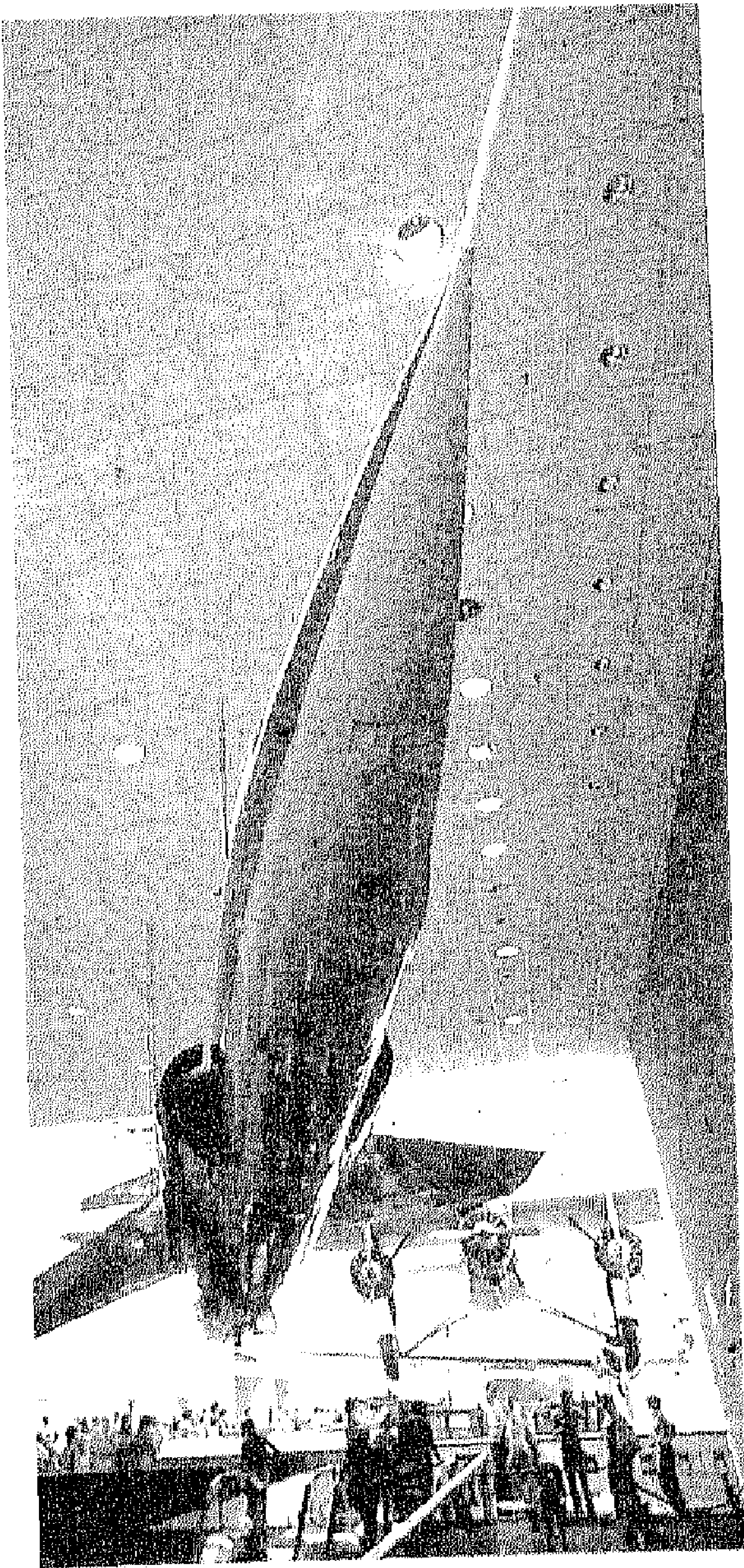


لكوكب المريخ التقطتها المركبة الفضائية فايكنغ - ١ - خلال عام ١٩٧٦.

الطائرة الاولى ـ واذا ما دخلت المبنى الرئيسي المكون من جناحين، رأيت طائرة معلقة مدلاة من السقف، هي الطائرة الاصلية اليدوية الدقيقة الصنع من الاسلاك والخشب التي طار بها الاخوان "رايت" للمرة الأولى. وتعلو فوقها طائرة تشارلز لندبيرغ المسماة "روح القديس لويس"، وعليها ملامح غريبة من معدن البيوتر القديم (القصدير). وعلى مسافة غير بعيدة تحت ذلك ترى مركبة الفضاء الصغيرة "ميركوري" التي حلق بها جون غلين، وهي بحجم سيارة "فولكسفاغن" ولا تزال تحمل آثار الوهج الحارق نتيجة عودتها الى الغلاف الجوي للارض. وتلوح فوقها الطائرة الصاروخية "اكس-١٥" التي طارت بسرعة فاقت سرعة الصوت ست مرات.

وعلى مقربة من ذلك تجد مركبة القيادة "ابوللو-٢" التي حلق بها مايكل كولينز (مدير المتحف منذ تأسيسه الى حين تعيينه امينا مساعدا للمعهد السميثوني في ابريل/ نيسان ١٩٧٨) حول القمر بينما قفز نيل آرمسترونغ تلك "القفزة الجبارة من اجل البشرية" في عام ١٩٦٩.

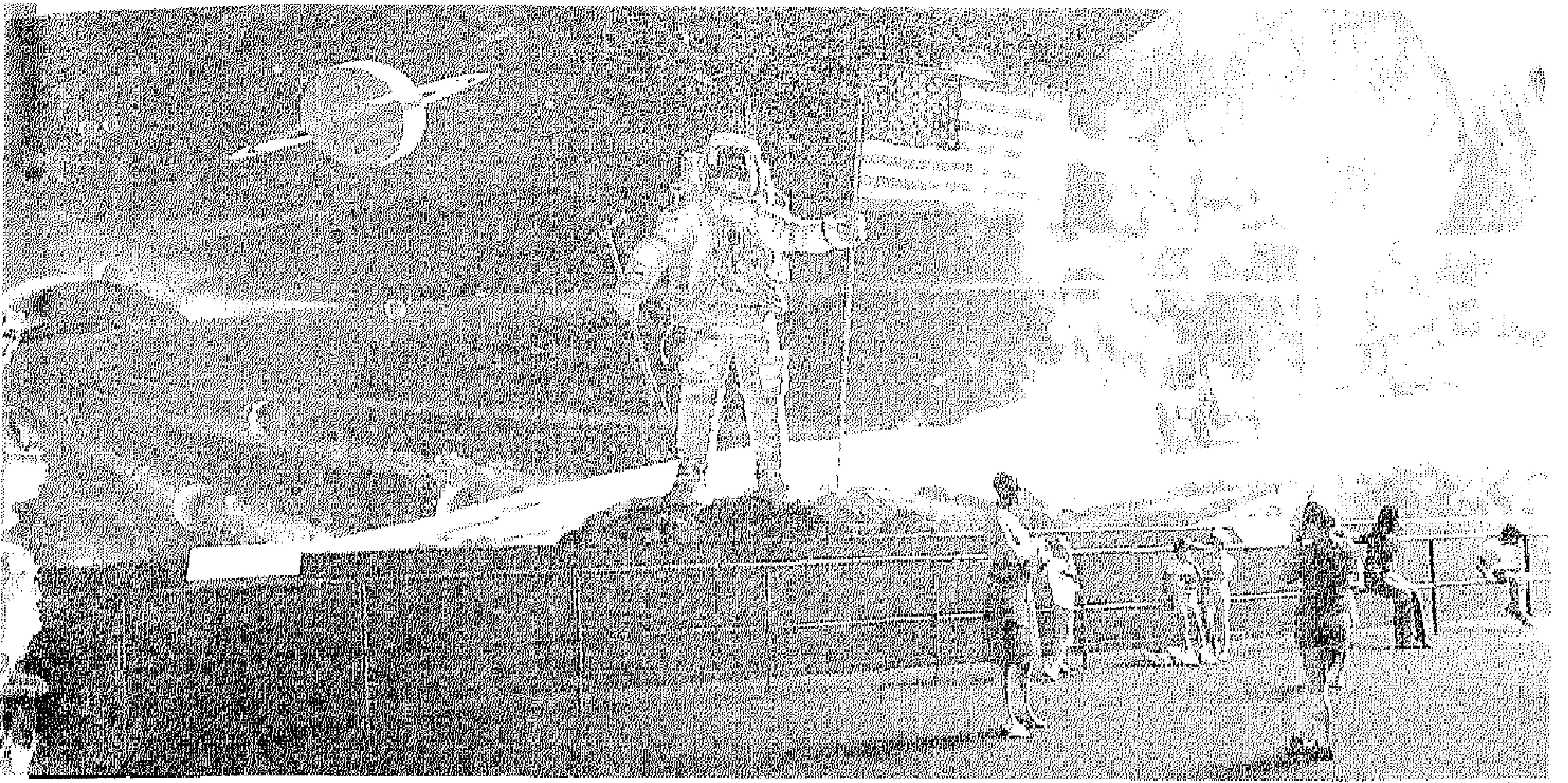
وفي صالة النقل الجوي ترى طائرة من طراز "دوغلاس - دي سي - ٣" مصقولة، لامعة، براقة، في وضع الطيران الوثيق مع طائرة "بوينغ ٢٤٧" (سلف طائرة الركاب العصرية)، كما ترى طائرة "نورثروب الفا" النحيفة الانيقة، وطائرة "فورد" المتينة والثلاثية المحركات، وطائرة



طائرة لوكهيد "ستار فايتر ١٠٤ - ١" مرفوع منقارها على مدخل المبنى الفضائي.

"تين غوز" المحبوبة في فترة العشرينات. ثم تنتقل على سلم متحرك الى الطبقة الثانية حيث تشاهد عن كثب هذه الطائرات الرائدة المعلقة من السقف بحبال فولاذية.

... **والامرأة الاولى** ـ وعلى مسافة من هناك تقوم صالة المعروضات الخاصة حيث ترى طائرة "لوك هيد فيغا" القرمزية اللون التي قادتها اميليا ايرهارت عام ١٩٣٢ لتصبح



الانسان والقمر والكواكب كما تبدو في لوحة روبرت ماكول الجدارية الزيتية الشاملة في ردهة المتحف الجنوبية.

اول امرأة تجتاز المحيط الاطلسي بمفردها. وفي منطقة عرض اخرى تجد طائرة هوارد هيوز الرائعة "هـ-١" التي تعد من اجمل الطائرات تصميما على الاطلاق. وقد قادها هيوز عام ١٩٣٥ ليسجل رقما قياسيا عالميا في سرعة الطيران فوق الارض بلغ ٥٦٦ كيلومترا في الساعة.

ومن اكثر معروضات المتحف متعة من الناحية الفنية اقتباس لعنبر طائرات ومسطحات لمراقبة حاملات الطائرات. هذا ويمكنك، من خلال فيلم محاكاة، ان ترى سفنا من القوة البحرية المرافقة وهي تمر قرب حاملة الطائرات وان تشاهد قاذفات القنابل المقاتلة وهي تنطلق من ظهر السفينة. وفي صالة عرض اخرى، يمكنك زيارة مطار متقدم في جوار فيردون يعود عهده الى الحرب العالمية الاولى وقد اعيد بناؤه مصغرا بكل تفاصيله الدقيقة.

اما معروضات الحرب العالمية الثانية فتطغى عليها صورة جدارية مثيرة تمثل بالحجم الطبيعي قاذفة قنابل "ب - ١٧" وهي متعرضة لهجوم المقاتلات الالمانية. وتضم معروضات الحرب العالمية الثانية ايضا طائرة "زيرو" يابانية و"سبتفاير" بريطانية و"ميسر شميت ب ف - ١٠٩". وقد حدق احد الزائرين نظره الى طائرة الـ"ميسر شميت" فقال: "كنت مدفعيا في قاذفات القنابل "ب-١٧"، ولكنني لم أرَ اي طائرة كهذه الا كنقطة صغيرة عن بعد او كوهج ينقض مارا بنا".

يبلغ مجموع الطائرات التي يضمها المتحف السميثوني ٢٦٥ طائرة تعرض ٦٨ منها في المتحف الوطني للطيران والفضاء. وتعرض ٥٧ طائرة اخرى على بعد ١٣ كيلومترا في ملحق للمتحف في سوتلاند بولاية ماريلاند حيث تُجدَّد السفن التاريخية ويعاد تجهيزها. ويأمل المعهد السميثوني ان يعرض في نهاية الامر كل الطائرات بحيث ينقل بعضها الى معارض موقتة في المبنى الرئيسي ويعير البعض الآخر الى المتاحف في انحاء البلاد.

الغابة الفضائية - واذا ما دخلت قاعة الفضاء، وهي احدى قاعات العرض الرئيسية في المتحف، وجدت نفسك وكأنك في غابة تكنولوجية يمتد ارتفاعها الى النجوم. فهنا يمكنك ان تمشي داخل مشغل ورشة الفضاء (عربة المساندة الحقيقية)، وهو في شكل اسطوانة بحجم المنزل، لترى كيف يعيش الرواد في الفضاء. ويمكنك ان ترى ايضا عربتي "جوبيتر -سي" و"فانغارد" وان تشاهد تشغيل نظام الارشاد الجيروسكوبي لصاروخ منطلق من غواصة من طراز "بوسيدون".

وفي مناطق اخرى من المتحف يمكنك ان تزور معرض مراقبة الكواكب السيارة الرائع (وهو هدية من جمهورية المانيا الاتحادية بمناسبة مرور مئتي سنة على تأسيس المعهد) حيث تعرض المجرات والمركبات الفضائية والاجرام السماوية المتفجرة على سقف مقبب. وفي صالة اخرى يمكنك ان تشغل اداة تعمل بواسطة الدماغ الالكتروني وتشرح اصول تصميم الطائرات.

لقد اعربت جهات كثيرة عن ثنائها على هذا المتحف الوطني للطيران والفضاء، وانما يصعب حصر قيمته الحقيقية. ولعلها ترتبط نوعا بما يحمله منه الزائر من ذكريات لمقاعد الطائرات المبكرة، وتنافر اصوات الجهاز اللاسلكي في حجرة القيادة، او الحنان الذي يدب في المرء لدى مشاهدته لبلدته او مدينته من نافذة طائرة "بايبركب".

ومن ذا الذي يستطيع ان يقدر قيمة لحظة يمر خلالها فتى او فتاة بين المعروضات، فتكون تلك اول خطوة له او لها من رحلة قد تؤدي الى قيادة سفينة فضائية او تصميم مركبة فضائية، وارتداء الملابس الوهاجة للانسياب في حلك الفضاء، وتركيب وصلة اللحام الاخيرة التي تكتمل بها مدينة مدارية تحوم فوق جو الارض؟

■ **رالف كيني بينيت**

"ان ما يهمنا في لحظات اليأس ليس التمييز بين ما هو حقيقي وما هو باطل، بل التعلق بما يعيننا على الحياة".

رومان غاري دار "بيتنام" للنشر.

الاستاذة الناجحة

درجت العادة ان يجيء خريجو الجامعة الى كليتنا ليعملوا فيها كمحاضرين متدربين، ثم يلقي كل منهم في ختام برنامجه الدراسي محاضرة عن موضوع معين. وكان يطلب منا نحن الطلبة ان نضع تقييما لادائهم. وجاء دور احدى المتدربات كي تلقي محاضرة عن الميزات الخاصة بتكرار المنحنيات، فرسمت على السبورة (اللوح) عددا من المنحنيات في شكل هندسي متقن، واستعانت بها في محاضرتها.

وكتب احد الطلبة في تقييمه لادائها ما يأتي: "ان منحنياتها الرائعة قد احدثت الاثر البصري اللازم لفهم الموضوع بوضوح".

ب.ف.م.

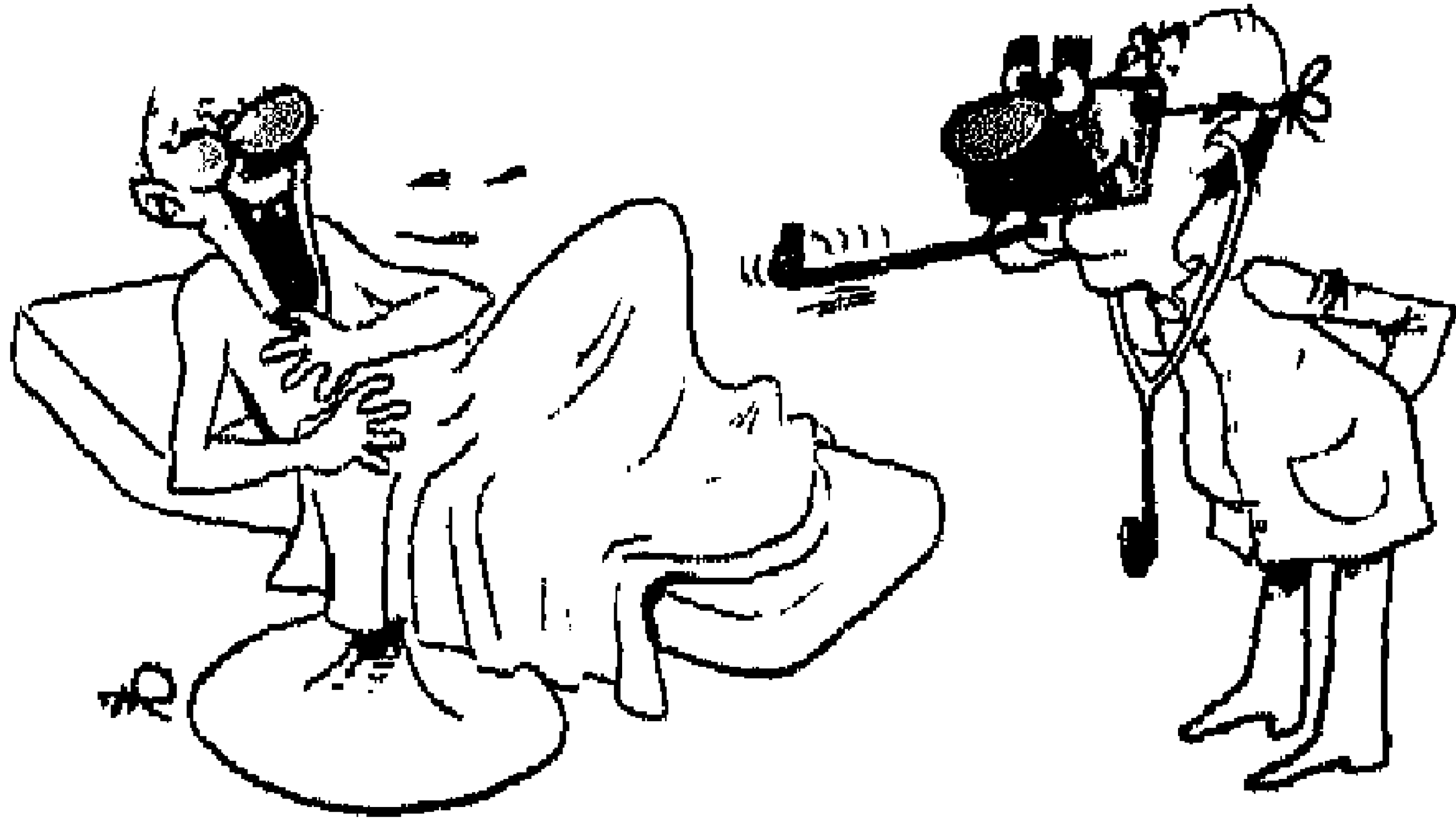
ثلاجة فيليبس وفريزر فيليبس تجمعان الأناقة والجودة

إن مدى الأبحاث والتجارب الباهظة التكاليف التي تقوم بها شركة فيليبس لا يخفى على أحد. وكل هذه الأبحاث والتجارب إنما هي لتؤمن لك أفضل الأجهزة التي يمكن للتكنولوجيا الحديثة أن تبدعها. مقرونة بذلك المستوى الرفيع من المتانة والجودة الذي أصبح العالم يتوقعه في منتجات فيليبس. ولنأخذ مثلاً المجموعة الجديدة من ثلاجات فيليبس. فنجد أمامنا خيارا واسعا. فالمجموعة تضم كل الأنواع والأحجام ابتداء من الثلاجة الصغيرة ذات الباب المفرد الى الطراز ذي البابين الذي لا يشغل مساحة كبيرة. والمجهز برفوف مثبتة من جانب واحد. كما نجد ثلاجات صممت خصيصا بحيث تتخذ مكانها بأناقة في المطابخ الحديثة. وماذا عن الفريزر؟ فيليبس تقدم لك مجموعة كبيرة أيضا تتخير منها ما يعجبك. فهنالك الطراز القائم. والطراز الشبيه بالصندوق. وهنالك ثلاجات كبيرة وصغيرة من كلا النوعين وكلاهما يتميز بكثير من المزايا الطيبة. وقد أدخلت عليها جميعا التعديلات التي تناسب البلاد الحارة. وسيطلعك وكيل فيليبس على مختلف التفصيلات وعلى خدمات الصيانة الممتازة التي توفرها لك فيليبس حيثما كنت.



فيليبس الأفضل لكم دوماً

الضحك خير دواء



الاحتشام الفرنسي

في أيام الرقابة الصارمة على السينما في فرنسا، أوقف ممثل لجنة الرقابة عرض احد الافلام صائحا: "في هذا السياق ايها السادة، يبدو لي ان فستان البطلة مقور الصدر والظهر والكتفين بطريقة فاضحة، فهذا الرداء لا بأس به اذا كان فستان سهرة، اما اذا كان قميص نوم فانه يكون عندئذ مفتقرا الى الاحتشام تماما!"

(مجلة "لو هيريسون" - فرنسا)

معصرة وكافيار!

أنهت احدى صديقات الشاعرة لويز دي فالموران مشترياتها لعيد الميلاد من محل للاغذية الفاخرة في ساحة المادلين في باريس، ولكنها لم تجد تاكسي لتوصلها الى المنزل، وبعد أن يئست، قررت ان تركب المترو للمرة الاولى في حياتها، وقد قالت لصديقتها الشاعرة بعد ذلك تصف تجربتها: "لقد كان الازدحام فظيعا في تلك العربة وكأنها معصرة وكأننا كافيار".

المورد العذب

قابل كورسيكي صديقا قديما له فدار بينهما الحديث الآتي:

- هل بلغتك الاخبار؟

□ لا.

- يبدو انهم في فرنسا يجمعون النقود بالجاروف!

□ أحقا تقول؟

- صدقني، تلك هي الحال هناك!

ولم ينتظر الصديق تكرار القول، بل ركب السفينة في اليوم التالي الى مرسيليا، ولم يكد يغادر السفينة حتى رأى على الارض ورقة نقد قيمتها مئة فرنك، ولكنه تذكر ما أخبره به صديقه، فلم يكترث بالتقاطها، وهمهم يقول لنفسه: "لن أبدأ العمل هنا منذ أول يوم!"

(مجلة "لوي" - فرنسا)

طالب الملذات

كان اثنان من الدراويش الفقراء (كلوشار) متمددين جنبا الى جنب على فراش مسماري، وقال احدهما: "يجب ان اذهب غدا الى طبيب الاسنان"، فصاح به الآخر مستنكرا: "أعوذ بالله! انت لا تفكر ابدا الا في الملذات!"

(مجلة "لوهيريسون" - فرنسا)

العريس الدائم الشباب

كان رجل مسن يعتزم الزواج بفتاة شابة، فقال له صديقه: "يبدو أنك قد فقدت صوابك! انت الآن في الستين وهي في العشرين، وبعد ٢٠ عاما ستكون انت في الثمانين وهي في الاربعين!"

فرد العريس الكهل: "لقد فكرت في ذلك مليا، ولكني عندما يحين ذلك الوقت استطيع ان احصل على الطلاق وأتزوج فتاة اخرى في العشرين".

(مجلة شتيرن - المانيا)

دعها تطير غدا...

جاء رجل بحمامة زاجلة تعاني مرضا في عينها الى صديق لي يعمل طبيبا بيطريا في مستشفى الحيوانات. ففحص صديقي الحمامة وطمأن الرجل الى ان العلاج سيتم في اليوم التالي، فيستطيع عندئذ ان يأخذها الى البيت.
فرد صاحب الحمامة: "اخشى ان اكون خارج المدينة غدا. فدعني اسدد قيمة الفاتورة الآن، ويمكنك ان تدع الحمامة تطير غدا عندما تصبح على ما يرام". ر.ل.

"الاخ" الاحمر اللطيف

كنت مع ابني الذي يبلغ من العمر ثلاثة اعوام اناقش امر الطفل الذي اتوقع ولادته، فسألته: "هل تحب ان يكون لك اخ صغير ام اخت صغيرة؟" فأجاب: "اريد اخا لانني اريد ان اشتري له جرارا احمر لطيفا".
وشعرت بالفخر لما بدا لي من صفاء تفكير ابني، وقلت: "رائع ان يكون لك اخ تلعب معه، اليس كذلك؟"
فأجاب ابني في اختصار: "رائع ان يكون لي جرار احمر لطيف". ا.و.ل.

حرارة الثمانين

كنت اعمل مشرفة في دار للنقاهة، واحاول اشراك النزلاء في انشطة الهواء الطلق، وفي يوم دافىء من ايام الربيع، بينما كان النزلاء يستعدون للخروج، لاحظت ان رجلا مسنا من بينهم قد ارتدى ملابسه الصوفية بما فيها قبعته ولفاعه، وسترته. فنبهته الى ان هذه الملابس غير ضرورية لان درجة الحرارة تتجاوز السبعين درجة (فهرنهيت)، فابتسم ابتسامة ماكرة وقال: "نعم يا عزيزتي، ولكنني تجاوزت الثمانين" ل.ف.

الاسم الهندي

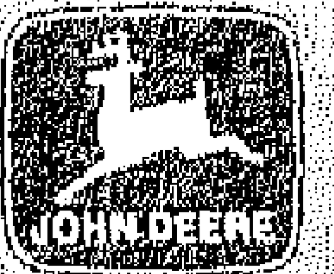
التحق صبي هندي صغير باحدى المدارس في حي لامبث في لندن، فسألته المعلمة عن اسمه، فقال: "فانكاتاراتام ناراسيمها راتاياه". وحين سألته عن طريقة تهجئة هذا الاسم، أجاب: "لا أعرف. امي تساعدني في تهجئته".

اللغة العالمية

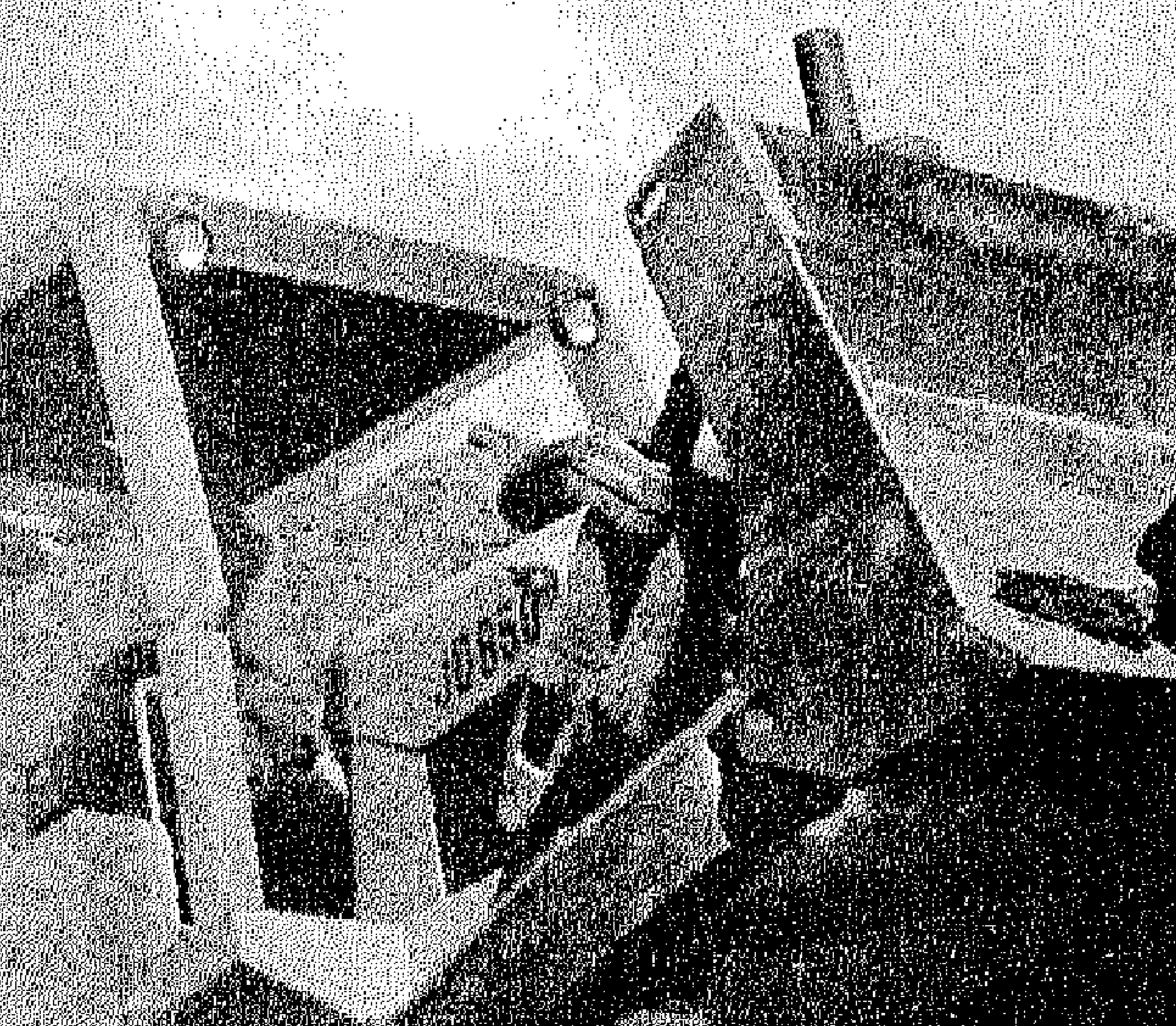
ذهب صناعي لا يتكلم الفرنسية الى باريس فالتقى حسناء لا تتكلم لغته ايضا. مع ذلك، فقد تدبرا الامر لقضاء سهرة ممتعة: تعشيا، ورقصا، وشهدا استعراضا موسيقيا في احد الاندية الليلية.
ولما اوشكت السهرة على الانتهاء، غمزت الفتاة الشقراء مضيفها ثم همست في اذنه كلاما بالفرنسية لم يستطع فهمه ابدا، عندها اخذت الفتاة منديلا من الورق ورسمت عليه صورة سرير. ولما رأى الرجل الصورة، استولت عليه الدهشة فقال لها مستوضحا: "وكيف عرفت انني اعمل في حقل الموبيليا؟"

ابتسم ١٢ ساعة!

قضت مضيفتا احدى الطائرات اربعة ايام كاملة في خدمة المسافرين في اثناء عطلاتهم من نيويورك الى فلوريدا، فبدت عليهما مظاهر التعب الشديد، فنظر اليهما مسافر متحمس وقال:
"ابتسما!"
فقالت له احداهما بعياء، ولكن ببشاشة: "ابتسم انت!". فابتسم المسافر من فوره ولكن ملامحه لم تلبث ان تغيرت حين استطردت المضيفة تقول له: "والان، احتفظ بهذه الابتسامة ١٢ ساعة!"
هـ.ا.بس.



JOHN DEERE



JD 850



سر فلك نوح

هل هو هناك في مكان ما،
على منحدرات جبل ارارات الذي يرتفع
مهيباً فوق سهول تركيا الشرقية؟

هل يعقل ان يبقى فلك نوح، او جزء منه، حتى اليوم في مكان ما في العالم؟

لقد راودني هذا السؤال طوال حياتي، كما كانت تساورني الرغبة في زيارة جبل ارارات. وكانت لدي حقيبة ملأى بكتب ومقالات وقصاصات صحف عن افراد ظنوا انهم وجدوا الفلك على منحدرات جبل ارارات - هذا الاسم السحري المرتبط بواحدة من اقدم قصص العالم ومآسيه. وقصة الفلك قصة قديمة يعرفها مليار ونصف مليار على الاقل من مسلمين ونصارى ويهود فيالعالم. وهي تروي كيف قرر الله ان يفرقالناس بعدما تفاقم الفساد، في ما عدا ثمانية اشخاص صالحين هم نوح واولاده الثلاثة وزوجاتهم. فبنوا فلكا خشبيا عظيما ووضعوا فيه ذكرا وانثى من كل صنف من اصناف الحيوان، وابحروا فيما الطوفان يبتلع الارض ويقضي على كل اثر للحياة. وتروي القصة كيف رسا الفلك اخيرا على جبل ارارات وانبعثت الحياة من جديد.

لم تحسم مسألة زيارتي لجبل ارارات الا عندما اعلن السناتور الامريكي فرانك موس من لجنة الفضاء التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي عام ١٩٧٤ ان قمرا اصطناعياامريكيا قد التقط صورا فوتوغرافية لـ"شيء غير عادي"، وان البعض ظن انه الفلك.

وهكذا كان علي وعلى زوجتي ان نتوجه الى جبل ارارات. الا ان قرارنا هذا قادنا الى مشكلة اساسية: اين سنبحث عن الفلك؟

لم تذكر التوراة (سفر التكوين، ٨ : ٤) قمة معينة، بل اكتفت بالاشارة الى "جبال" ارارات. ويسلم الجميع بان ارارات لم تكن تعني في ذلك الحين جبلا محددا، بل منطقة واسعة جدا سميت في ما بعد ارمينيا. وهي تشمل على اجزاء من تركيا الحديثة وايران والعراق والاتحاد السوفييتي ومئات من القمم.

وفي الحقيقة فان معظم المسلمين مع عدد كبير من النصارى واليهود الشرقيين لا يعتقدون ان الفلك رسا على ما يسمى اليوم جبل ارارات. لكن الارمن، الذين عاشوا حول جبل ارارات منذ فجر التاريخ، كانوا دائما متأكدين تماما من ان الفلك استقر هناك.

وبما ان ارارات اكثر الجبال ارتفاعا في تلك المنطقة كلها، فلا بد من ان تكون قمته هي الاولى التي برزت فوق الماء، وبالتالي المكان الذي رست فيه السفينة.

ان جبل ارارات، او "اغري داغ" كما يسميه الاتراك، يستثير الوقار، لا شك في ان هناك جبالا كثيرة تفوق علوه البالغ ٥١٦٥ مترا، لكنها محاطة عادة بجبال مخفوضة تحد من جلالها.

اما ارارات، فينتصب منعزلا متشامخا الى ارتفاع ٤٢٦٧ مترا فوق السهول في اطول منحدر متناسق في العالم، ويبلغ قمة تكتسي بالجليد الابدي والثلوج والسحر.

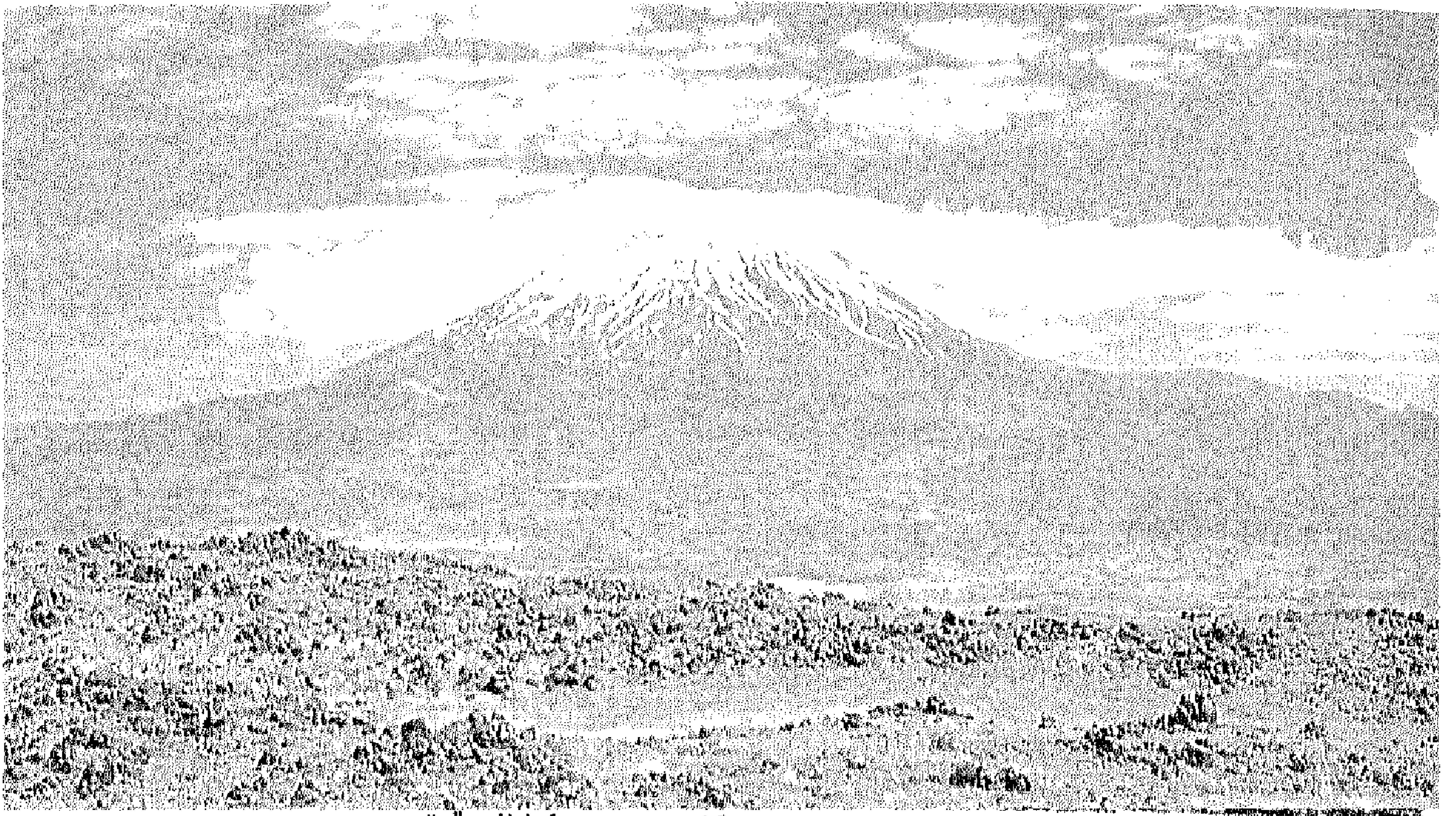
اما وقد القينا نظرة على ارارات، فلنتحول بعقولنا الى الوراء، عبر آلاف السنين، لنحاول تصوير عالم مغمور بالمياه، في ما عدا تلك القمة في ارارات.

ان الاساطير عن مثل هذا الطوفان قديمة ومستمرة كالزمن. فمنذ ٦٠٠٠ سنة على الاقل، اي قبل كتابة التوراة بوقت طويل، كان الشرق الاوسط مسرحا لقصة مثيلة لسفر التكوين تطلق فيها على نوح اسماء مثل "ايناباشتيم" أو "كسيسوثروس"، ودامت فيها السيول الجارفة ستة او سبعة ايام بدلا من ٤٠ يوما. وتقول الرواية البابلية ان الالهة اغرقت الجنس البشري لسبب بسيط، هو ان الانسان قام بضوضاء صاخبة حرمت الالهة النوم.

اما الارمن فكانوا واثقين من ان السفينة رست فوق قمة جبلهم المقدس، وكانوا مقتنعين كذلك بان احدا لم يتسلق القمة على الاطلاق او يستطيع ان يصل اليها، بالنظر الى ما هي عليه من الارتفاع والرهبة، وقد ذهلوا عندما قام الاستاذ الالماني - الروسي ج. ج. فريدريك باروت، متجاهلا محرماتهم بتسلقها سنة ١٨٢٩.

وبعد انتهاك حرمة جبلهم، اخذ الارمن يتمشون على تقليد جديد طريف، يقول بان الذي يصل الى قمة ارارات لن يموت قبل السن المئة. وهناك عشرات المتسلقين بلغوا القمة بعد باروت.

مواجهة فوق المرتفعات - تفحصت الجبل بدقة وتمهل عبر منظار قوي. ففي الخريف غالبا ما يكون الجبل متواريا وراء الغيوم. اما اليوم فكانت الغيمة الوحيدة سحابة باهتة تذريها الريح في اعالي القمة كريشة


جبل ارارات يرتفع مهيباً فوق سهول تركيا الشرقية

في قبعة الجبل، ولكم كانت جميلة تلك القبعة الجليدية المتألقة، لكنني ركـزت نظـري علـى امكنـة دونهـا بحوالى ثلث علو الجبل، حيث جرت معظم البحوث عن السفينة، ووجدت غالبية الاجزاء من اخشابها المزعومة وكلما استطلعت شكلا ادكن او شيئا غير مألوف، كنت اتساءل اذا كانت ستتحقـق المعجـزة وتكـون بقـايـا السفينة هناك،

ما هو شكل الفلك؟ ـ لا يصف سفـر التكويـن (٦ : ١٥) شيـئـا يشبـه السفينة، بل كل ما يذكره هو صندوق خشبي مستطيل وضخم قادر على العوم تحت وطأة الريح والموج، ولكن اي صندوق هو؟ ان طوله ٢٧٤ مترا وعرضه ٤٦مترا وارتفاعه ٢٧ مترا، ولو اخذنا اقصر ذراع عند القدماء، لظهر الفلك لنا بطول ١٣٧ مترا، وبعرض ٢٣ مترا، وبارتفاع ١٤مترا، اي نصف قياس سفينة "كوين ماري"،

ويؤسفني القول اننا لم نجد شيئا من ذلك، فرجعنا خائبين الى قرية دوغـو بايزيـد البدائيـة عنـد سفـح ارارات، سالكين طريقا كثيرة الحفر وغير ممهدة، والجدير بالذكر ان جماعة بعدد اصابع اليد من الاكراد ذوي العيون الشبيهة بعيون الصقور، والذين يقطنون دوغوبايزيد تحرروا من فزعهم من المرتفعات - هذا المرض الذي فسر مرة بانه تحذير الهي ضد التسلق - واخذوا يعملون كأدلاء مأجوريـن، وقـد بحثنـا عـن اشهرهم، ويدعي فرح الدين كولان، وهو ايضا يدير فندق القرية الذي يمتلىء في الصيف بمتسلقي ارارات والمزمعين على التسلق،

كـان الثلـج يتراكـم عاليـا علـى ارارات، والغطـاء الابيـض يـزحـف نزولا، بينما الدببة والذئاب والافاعي تسرح وتمرح، الا ان كولان لا يبالي بكل ذلك ما دام الفرد يتمتع بفطرة وآلات جيدة،ويقول كـولان: "الخطـر الحقيقي في الشتاء هو عندما تسير فوق طبقة رقيقة من الثلج تغطي صدعـا عميقـا"، وقـد لاقـى ثلاثـة

متسلقين حتفهم على جبل ارارات في السنوات القليلة الماضية٠

علماء الاثار والملحدون – اخبرنا كولان كيف ضج فندقه لسنوات بجدل عال عما اذا كان الفلك موجودا ام غير موجود هناك٠ فقد فتحت كتب وبسطت خرائط هنا على الطاولات نفسها حيث قدم الينا كولان الشاي المغلي٠

ان كل بعثات البحث عن الفلك تقريبا منذ الحرب العالمية الثانية، نظمها ومولها امريكيون يعتنقون عقائد الكتاب المقدس حرفيا٠ ويأملون، من وراء عثورهم على الفلك، في اعطاء البرهان على صحة افكارهم٠ كما يتقبلون، بروح النكتة، اللقب المضحك: "الاثريون" الذي اطلقه عليهم المشككون٠

ويقول جون ليبي، احد هؤلاء "الاثريين" المرموقين، انه رأى في الحلم المكان الدقيق الذي استقر فيه الفلك، وانه طاف ارارات للعثور عليه فطاردته الدببة، ومرض بذات الرئة، واوشك على ان يموت بسقطة سيئة٠ ولم يرهبه شيء سوى التقدم في السن٠

ففي سنة ١٩٦٩، وبعد سابع تسلق قام به لجبل ارارات٠ قرر جون ليبي حزينا ان يتوقف عن تسلق الجبل لان سنيه الثلاث والسبعين لم تعد تسمح له بالتسلق مرة اخرى٠ ومع انه لم يجد اي اثر للفلك، فهو واثق بكل صفاء من ان الفلك موجود هناك٠

اما الزعيم بين "الاثريين" فهو ايريل كامينغز من مدينة فارمنغتون في ولاية نيومكسيكو الامريكية، الذي تسلق ارارات خمس مرات٠ وان ملفاته الواسعة عن الغاز الفلك موجودة ومتوافرةلاي باحث محتمل٠ وهي تنطوي على كل شيء ابتداء بالترجمات لقصص الطوفان السومري المحفورة في لوحات صلصالية منذ آلاف السنين وانتهاء بقصاصات من جرائد الامس٠ وان بعض مواده هي

مخطوطات علمية، اما اغلبيتها فهي غامضة ومشوبة بافكار التمنيات الذاتية.

الى ذلك، فان هناك قصة اخاذة حدثت مع امريكي ولد في ارمينيا وتوفي عام ١٩٢٠ عن ٨٢ سنة، ومفادها انه قرابة عام ١٩٥٦ حين كان يعيش قريبا من جبل ارارات، استأجره ثلاثة ملحدين اجانب هو وابوه ليعملا دليلين لهم في صعودهم الى قمة الجبل. فقد اراد الثلاثة تثبيت عدم وجود الفلك. ولكن، لخيبة ظنهم وجدوه، وحاولوا عبثا تحطيمه. وبعد قسم اليمين في ما بينهم على عدم افشاء السر، هددوا الدليلين بقتلهما ان هما تكلما.

وثمة قصة اخرى مرتبطة بهذه الرواية جاءت في مقالة صحافية بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة. وقد ادعى كثيرون رؤية المقالة ولكن لم يتمكن احد من ايجادها، وهي تدور حول عالم بريطاني اعترف، وهو على فراش الموت، بالشيء نفسه الذي قاله الارمني.

وجاءت الحرب العالمية الثانية بطوفان آخر من القصص، معظمها عن طيارين حلفاء قالوا انهم شاهدوا الفلك، بل التقطوا صورا له.

ويحيط الان غموض حقيقي بمجموعة مؤلفة من ست صور واضحة وكبيرة كان قد عرضها عام ١٩٥٤ عامل في شركة لانابيب النفط، اسمه جورج جفرسون غرين، حول الجنوب الغربي للولايات المتحدة الامريكية، ويقول غرين انه، بينما كان في طائرة عمودية فوق ارارات في احد أيام صيف ١٩٥٣، اكتشف جسما غريبا على الجبل. فحام حوله على علو يقل عن ٣٠ مترا والتقط مجموعة من الصور الفوتوغرافية. ولم يستطع غرين تنظيم بعثة للعودة والتحري عن اكتشافه. اذ توفي سنة ١٩٦٢.

وحتى الآن ليس هناك اثر لصور غرين الثمينة، مع انها وجدت فعلا، كما اكد ذلك ٣٠ شاهدا على الاقل سئلوا على انفراد فقالوا انهم رأوا الصور بينما رسم احدهم مسودة لاهمها.

وقد اظهر الرسم جسما مربعا ضخما على حافة منحدر صخري شاهق، مغمورا كليا بالجليد والانقاض، مع خطوط متوازية في الالواح الخشبية الملتصقة بهيكل السفينة. فهل كانت هي نفسها السفينة؟ ام كان ذاك مجرد تكون صخري؟

ان الشاهد الحسي الوحيد على وجود الفلك هو قطع خشبية وجدها المتسلقون على الجبل. واكثر هذه القطع اثارة للجدل قطعة دكناء صنعت باليد وغدت متحجرة جزئيا. وجدها فرنسي يدعى فرنان نافارا عام ١٩٥٥. وقد تولى مختبر اسباني فحص خلاياها فحدد عمرها بنحو ٥٠٠٠ سنة، وهو الزمن التقريبي لصنع الفلك. الا ان اختبارين اجريا في مكانين مختلفين بالاشعة الايزوتوبية لعنصر الكربون ١٤ ـ وأحدهما في جامعة امريكية والاخر في جامعة بريطانية - حددا تاريخ خشبة نافارا بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ سنة فقط.

الفلك لا يزال موجودا ـ لقد كانت جميع خيبات الامل هذه ابعد من ان تثبط عزم الباحثين عن الفلك، لا بل زادت في حرارة حماستهم اذ لم يسبق ان وجد مثل هذا العدد المتشوق لصرف الملايين على آلات حديثة

معقدة للبحث عن الفلك. ففي اضخم عملية بحث عن السفينة، جرى شحن ما زنته ١٥٠ طنا من الاجهزة القيمة الى تركيا عن طريق الجو.

ولكن لم يلبث هذا المجهود ان توقف ويا للأسف، عندما سحبت الحكومة التركية موافقتها فجأة، وقالت "لا" لجميع البعثات الاستكشافية الاخرى. اما السبب الرئيسي المحتمل فهو ان الاتراك حذرون من الاجانب الذين ينحرفون عن طرق السياح المألوفة ويتوغلون في المنطقة العسكرية الحساسة للاشعة ما فوق البنفسجية على الحدود مع الاتحاد السوفييتي وايران، اي في البقعة التي يقع فيها جبل ارارات.

ترى هل يحتمل ايجاد السفينة؟ بغض النظر عن التساؤل عما اذا كانت السفينة موجودة فعلا ام لا، فليس هناك اي عالم تقليدي له امل في الاهتداء اليها. فعندما سئل فروبليخ ريني، مدير متحف جامعة بنسلفانيا المشهور بحفرياته الاثرية الخيالية عن امكان العثور على الفلك، هز رأسه وابتسم قائلا: "ان كل شيء ممكن تقريبا في هذا العالم. ولكن اذا كان هناك شيء غير ممكن في علم الاثار، فهو هذا الشيء بالذات".

اما الآن، فهل يعتبر عدم العثور على الفلك امرا مهما، قد اصبح هذا الامر اليوم ممعنا في القدم، بحيث ان الفلك، اذا لم يجد له ملجأ في قلب الجبل، فقد وجد الملجأ الآمن له في قلب البشر. فهناك قد عاش آلاف السنين وهنا سيعيش الى الابد.

■ **مقتبس من مقال لكريستيان هيرالد وغوردون غاسكيل**



فن السياسة

يروي رئيس وزراء كندا الاسبق جون ديفنبكير ان ونستون تشرشل كان جالسا ذات يوم في مجلس العموم عندما بلغه نبأ وفاة عدوه اللدود اونورين بيفان. فاحنى تشرشل رأسه متأثراً وقال: "رجل عظيم، رجل المعي، انها لخسارة فادحة".

وبعد دقائق جاء عضو آخر في البرلمان واعلم تشرشل بان رجال الصحافة ينتظرونه في الخارج لتسجيل انفعاله العاطفي على أثر وفاة بيفان. ففكر تشرشل قليلا ثم نظر باحتراس وقال: "هل تأكدتم من موته؟".

الله وحده!

في صباح يوم احد، دق جرس التلفون في حجرة الاجتماعات التابعة لاحدى الكنائس في اوتاوا (كندا)، فرد عليه القس الدكتور دوغلاس ستيوارت، واذا بسيدة تسأل: "هل سيحضر الحاكم العام صلاة الاحد هذا الصباح؟"

فقال القس: لا، يا سيدتي. فقد حضر للصلاة في كنيستنا يوم الاحد الماضي".

فصاحت السيدة: "آوه، ان هذا امر فظيع. لقد كنت اعتزم المجيء اذا حضر هو".

فرد القس بأدب: "يؤسفني ان اخيب املك. فلا امل لنا اليوم الا في حضور الله عز وجل".

غ.س.ن.

كيف تضيف سنوات إلى عمرك

ربما كانت طريقة معيشتك سببا
لتقصير حياتك. أما الآن، فهناك اسلوب
يمكنك من استعادة كل ما اضعته اهدارا من سنين

تذهب لاجراء فحص طبي شامل، ويقول لك الطبيب في نهايته: "ان حالك الصحية جيدة جدا، ومع هذا فيلزمك المزيد من العناية بنفسك. كف عن التدخين، خفف وزنك بضعة كيلوغرامات، تمرن وقلل من تعاطي الكحول".

وتجيب انت: "نعم بالتأكيد". ولكنك تعلم في قرارة نفسك انك لن تمتثل لكل هذه الوصايا.

وهكذا، اصبح هذا التصرف أمراً مألوفاً، بل ولسوء الحظ، شائعا جدا، مما حمل الاطباء في الولايات المتحدة على اتباع اسلوب له تأثيره على المرضى لكي يقرنوا الاقوال بالافعال في ما يختص بالمحافظة على صحتهم. ويسمى هذا الاسلوب "تقويم الاخطار الصحية". وقد اتبعه اكثر من ٢٠٠،٠٠٠ مريض عام ١٩٧٧.

اما طريقة تقويم الاخطار الصحية فتبدأ بزيارتك للطبيب حيث تملأ نموذجا طبياً تفصيليا يتناول السن والوزن وتاريخ الامراض الشخصية والعائلية الخ.

ويشتمل النموذج ايضا على اسئلة عن عاداتك في التدخين والشراب والتمرين، وحتى على اسئلة عن عدد الكيلومترات التي تقطعها بسيارتك سنوياً وانتظامك في استعمال حزام السلامة.

ويتضمن النموذج اسئلة للنساء تساعد في كشف تعرضهن لسرطان الثدي والسرطان العنقي. وأخيرا، هناك خانات خاصة لتسجيل مستوى

الكولستيرول بالنسبة الى مصل الدم ومستوى ضغط الدم.

بعدئذ يتم تحليل اجوبتك، ويتولى ذلك الطبيب نفسه او فريق من الفنيين المزودين بدماغ الكتروني.

وعلى هذا الاساس، يستطيع الطبيب اعطاءك معلومات معينة، قد تكون مذهلة احيانا. يبدأ الطبيب حديثه بتحليل أجوبتك، قائلا: "ان سنك الزمنية هي ٤٩ سنة. لكن اسلوب حياتك - لسوء الحظ - يجعل احتمالات وفاتك خلال السنين العشر المقبلة مساوية لاحتمالات وفاة شخص عمره ٥٧ سنة. وهكذا فان "سن الخطر"، كما نسميها، هي في الواقع ٥٧ سنة.

أخبار سارّة — ويمضي الطبيب: "اما الآن، فالى الأخبار السارة: في وسعك ان تستعيد سنوات ربما فقدتها الآن، بل يمكنك ايضا ان تطيل عمرك بضع سنوات. واذا قمت بسلسلة من الخطوات التي ساحدثك عنها، فيمكنك في واقع الأمر ان تعكس عملية الشيخوخة وان تجعل نفسك اصغر من سنك الزمنية في ما يتعلق بالخطر. وتشير الحسابات المبينة هنا الى ان السن المحتملة لحدوث الخطر الفعلي لديك هي السن الرابعة والأربعون. فيمكنك، اذا في صورة معقولة ان تأمل في بلوغها".

ثم يسحب الطبيب ورقة اخرى ويقول: "هذا الكشف المطبوع يبين الاسباب التي تعرض صحتك للمزيد من الخطر. واليك الآن الطريقة التي تستطيع بها تقليل ذلك الخطر: كف عن التدخين وستستعيد سنتين من عمرك. وان خفض الكولستيرول في دمك من ٢٨٠ الى ٢١٠ يعطيك سنتين اخريين. وخفض ضغط دمك سيضيف، الى عمرك ثلاث سنوات اخرى". وهكذا...

لا شك في ان الاساس الذي ترتكز عليه الجداول الاحصائية لتمكن الطبيب او الدماغ الالكتروني من تعيين "سن الخطر" بالنسبة الى المريض هو اساس معقد (انظر الاطار المنشور مع المقال). لكن تطبيق هذه الجداول مسألة سهلة، كما يظهر من المثال الآتي:

في عام ١٩٧٦ ادخلت بيانات تتعلق بسيدة عمرها ٣٧ سنة في دماغ الكتروني خاص بتحليل الاخطار الصحية في مستشفى الطائفة الميثودية (المنهجية) في انديانابوليس (ولاية انديانا) حيث تم ابتكار اسلوب التقويم، وبينما اظهر التقرير ان سن الخطر تبلغ مستوى الانذار في الخمسين سنة واربعة اشهر، فقد كشف التحليل ان في استطاعة المريضة ان تخفضه الى ٣٣ سنة وستة اشهر. فاذا كفت عن شرب الكحول بكثرة فانها ستخفض احتمالات الموت بحوادث السيارات او تلف الكبد او ذات الرئة، بما يعادل خفض مستوى الانذار بمقدار ١١ سنة وثمانية اشهر. واذا كفت عن التدخين فسيتدنى بذلك خطر مرض القلب وسرطان الرئة وانتفاخ الرئة وذات الرئة والسكتة الدماغية، فيتدنى مستوى الانذار الفعلي بمدة سنتين. وثمة خطوات اخرى متنوعة - مثل "اختبار بابانيكولو" لاحتمال وجود السرطان العنقي وفحص الثدي — من شأنها خفض مستوى الانذار بمدة ١،٧ سنة.

وقد اصبحت مثل هذه الامور رائجة

كيف تحسب "سن الخطر"؟

تقوم عملية تقويم الاخطار الصحية على جداول احصائية عني بجمعها وتطويرها خلال السنوات العشرين الماضية كل من الدكتور لويس س. روبنز من شركة تقويم الاخطار الصحية في انديانابوليس (ولاية انديانا الاميركية) والدكتور جاك هـ. هول من مستشفى الطائفة الميثودية (المنهجية) في انديانابوليس.

وقد عمل الطبيبان من خلال دراسة فرامنغهام التي اصبحت الآن ذائعة الصيت، والتي شملت مراقبة الحال الصحية واسلوب الحياة لـ٥٤٠٠ شخص من سكان ضاحية فرامنغهام في بوسطن (في ولاية ماساتشوستس)، كذلك من خلال دراسات اخرى طويلة الامد، على تصنيف اهمية كل خطر من الاخطار الصحية الرئيسية. وقد اظهر تحليل النتائج - على سبيل المثال - ان رجلا يبلغ مستوى الكولستيرول في دمه ٢٤٠ معرض للاصابة بنوبة قلبية بمقدار ثلاثة امثال احتمال اصابة رجل تكون النسبة في دمه دون الـ٢٠٠، وان شخصا مصابا بضغط دم انقباضي مقداره ١٦٠ معرض لخطر يزيد اربع مرات عن شخص يقل ضغطه عن ١٢٠.

ثم تمكن الطبيبان عن طريق احصاءات الوفيات الوطنية من تحديد احتمال الوفاة في كل عمر. فمن بين كل ١٠٠٠٠٠ رجل في السن الاربعين، مثلا، يموت ٥٥٦٠ لاسباب شتى خلال السنين العشر المقبلة. وبعبارة اخرى، فان خطر الموت في السنين العشر اللاحقة، بالنسبة الى رجل اميركي عادي يبلغ ٥٫٥٦ في المئة. واخيرا جمع الطبيبان، من دراسات اخرى، حقائق عن متوسط وزن الرجل وضغط دمه وعادة التدخين لديه، وهكذا.

وباستخدام المعلومات الناتجة من هذه المصادر كلها، يستطيع الاطباء اليوم ان يحسبوا العمر المتوقع لشخص ما، لا على اساس سنه فقط ولكن على اساس الاخطار الصحية القائمة في حياته. انظر الى رجل في الاربعين لديه نسبة كولستيرول مرتفعة ووزنه زائد واحد ابويه توفي بمرض القلب، ويبدي عوامل اخرى عدة معروفة بانها تزيد خطر الوفاة. يحسب الاطباء اولا مدى الخطورة على صحته ثم يقارنون ذلك بمتوسط الخطر لتلك السن. افترض ان تلك الحسابات تظهر امكان وفاة نسبته ١٤٫٣ في المئة خلال السنين العشر المقبلة. الجداول تبين ان هذا الخطر خاص برجل متوسط عمره ٥٠ سنة. وهكذا، فان الرجل البالغ ٤٠ سنة اصبح، بسبب مجموعة من العوامل، كأنه في الخمسين من حيث الاخطار الصحية. ويبين التحليل ايضا كيف يمكن لذلك الشخص ان يحسن فرص البقاء على قيد الحياة وان يضيف بالتالي بضع سنوات الى عمره.

في المستشفيات والعيادات ومكاتب الاطباء في ارجاء الولايات المتحدة. ويشير الاطباء الى ان ذلك يعود، في غاية البساطة، الى ان "التقويم هو افضل اداة من اجل لفت اهتمام الفرد". وهذا ما يؤكده الدكتور تشارلز روس الذي يعمل في شركة "انتر هلث" في سان دييغو (ولاية كاليفورنيا) المختصة بحساب تحليل الاخطار لعدد كبير من المؤسسات الصحية. وهو يقول: "الجميع يعلم، مثلا، ان التدخين ضار. لكن الاسلوب الحالي يزودك بالارقام، فلا تستطيع التستر بعد ذلك".

ان التحليل لا يتكشف دوما بالطبع عن نتائج سيئة. ومثال هذا ان الاطباء في مركز بحوث "ايميس" في كاليفورنيا، عندما طبقوا اسلوب

التقويم على رجل في الاربعين من عمره، وجدوا ان سن الخطر لديه هي ٣٦. والأكثر من ذلك انه لو استعمل حزام النجاة ومارس المزيد من التمرين لخفض سن الخطر الى ٣٣.

اضف سنوات – ان اسلوب التقويم هذا لا يزال حديث العهد، وبالتالي يتعذر معه الآن على الاطباء تقدير مدى فعاليته بالضبط في حمل المرضى على العناية بصحتهم. ومع ذلك، فان الادلة المتوافرة تشهد على ايجابيته. فقد استخدم الاطباء في مركز "ايميس"، مثلا، اسلوب التقويم على ٤٨٨ مريضا ثم اختاروا منهم ١٠٧ بطريقة عشوائية بعد سنة، وذلك لاجراء فحوص متابعة. ووجد الباحثون ان سن الخطر قد انخفضت بما معدله ١،٤ سنة. يضاف الى ذلك ان ٣٠ في المئة من المرضى قد اجروا تغييرات مهمة في اسلوب حياتهم، من قبيل خفض الوزن او الاقلاع عن التدخين.

ويقول طبيب المركز الدكتور جون شيروود: "انني اتذكر رجلا واحدا بالذات، كان زائد الوزن ومصابا بالسكر وضغط الدم الشديد، لكنه ينزع الى القبول بحاله ذاك. كان عمره الحقيقي ٥١ سنة. لكن سن الخطر بالنسبة اليه ٦٦. وعندما اطلعناه على التقويم اخذ المسألة على محمل الجد، فخفض وزنه بمقدار ١٦ كيلوغراما، وبدأ يتعاطى دواء ضد ضغط الدم المفرط ويحتمي من اسباب مرض السكر. ولا تزال سن الخطر لديه اعلى بسنوات قليلة من عمره الحقيقي بسبب مرض السكر. لكنه يبدو افضل حالا ويشعر انه تحسن وحقق شيئا كان طبيب العائلة يحاول اقناعه بعمله لسنوات عدة. لقد زودته بالارقام فما كان منه الا ان استجاب".

ويقول الدكتور كورنيليوس ك. بليسيوس، اختصاصي الامراض الداخلية في الباسو (ولاية تكساس)، ان عدد المصابين بنوبات قلبية من مرضاه اخذ يتدنى على نحو مطرد مذ بدأ استخدام اسلوب التقويم. ويضيف: "لم يعد الامر الآن مقتصرا على مجرد طبيب يتحدث، بل ان المريض بدأ يدرك مدى الخطورة، وبالتالي فقد اصبح هناك شخصان – المريض والطبيب – يعملان معا من اجل بلوغ هدف واحد".

ان تطبيق اسلوب التقويم يتيح للطبيب ان يزود مرضاه ببيانات محددة واضحة، فيدرك المريض بالضبط ما يجب عمله لتقليل نسبة الخطر ولاطالة حياته. والارجح انه سيدرك ايضا نقطة اخرى اكثر عمقا، وهي: ان الطب الوقائي مسألة ملقاة على عاتقه.

■ س. ب. غيلمور



يقول سلفادور دالي: "الفن الحديث هو ان تقرر شراء لوحة تخفي بها جزءا من الحائط حيث بدأ الدهان يتساقط وبعد ان تفحص ٥٠ لوحة، تقول لنفسك: "لكم كان من الافضل في الحقيقة ان اترك الحائط على حاله".

صحيفة "لوهيريسون" – فرنسا



حديقة افكار

- افضل كاتب لدي هو ذلك الذي يكتب ما احب ان اقرأه.

اوغستو غيريرو - ايطالي

- المتعاظم مقلّد يظن انه اصيل.

ف.د.ك.

- هناك فرق بين عدم التفكير في شخص و... نسيانه.

ف.ك.

- طبقا لقانون الجاذبية، فان فتح الفم اسهل من اغلاقه.

س.ش.

- الاخطاء بالنسبة الى الحياة مثل الظلال بالنسبة الى الضوء.

ا.ي.

- الحقيقة التي تقال بنية سيئة تتغلب على جميع الاكاذيب التي يمكنك اختراعها.

ويليام بلاك

- كثيرون هم الذين ليس لديهم ما يقال، وافضلهم هم الذين يفعلون ذلك في صمت.

ب.د.د.ف.فرنكفورت

- الآباء والامهات هم مغامرو العصر الحديث.

شارل بيغي

- الشاعر امرؤ يدهشه كل شيء.

ستيفان مالارميه

- التاريخ يعيد نفسه في كل مرة، لكن سعره يتضاعف مع كل مرة.

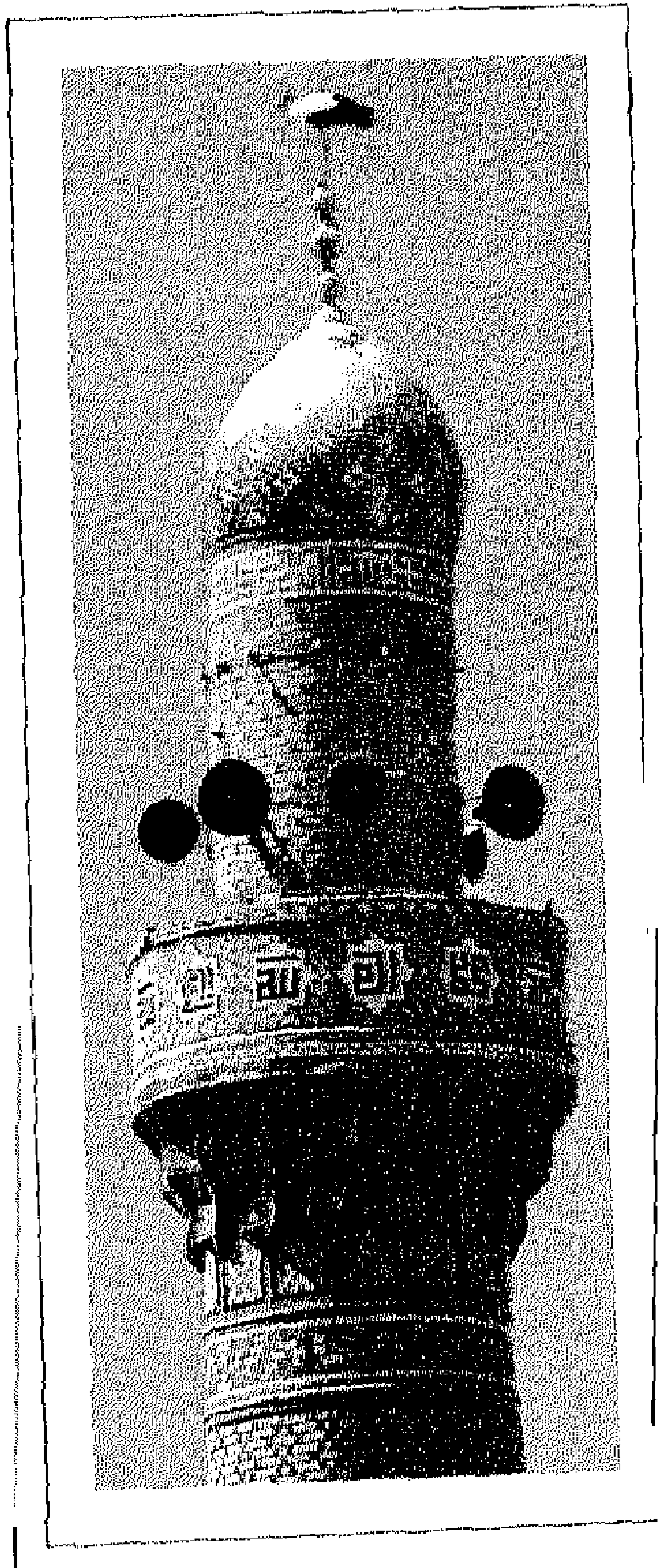
- لا يمكنك ان تخفف من وزنك ما دمت تتحدث عنه، فأحتفظ اذا بفمك مطبقا.

العراق:
النهر الثالث
يغير معالم الحياة

موئل الحكايات القديمة
ينسج الآن فصول قصة عصرية جديدة.

العراق - عراق ما بين النهرين دجلة والفرات - شطر الحياة العصرية مذ برز نهر ثالث هو نهر النفط واخذ يزود البلاد بنتاجه الباعث على الازدهار وينأى بها من دروب الخيول والدواب الى طرق السيارات الرحيبة.

على ان ملامح القديم لا تزال ماثلة للعيان. فما فتىء الفلاحون في جنوب العراق ينتشلون الماء من الآبار في دلاء من الاماليد القصبية المجدولة ويفرغونه في قنوات للري كما فعل اسلافهم قبل ٣٧٠٠ سنة. ولو بعث الرحالة ماركوبولو لشاهد اليوم



في سوق الحرير في بغداد منظرا كان يألفه في حياته. ولو قام السندباد البحري وتجول في سوق السجاجيد والبسط لارتاحت نفسه وثلج صدره. لكنه لو دلف الى شارع الرشيد في محاذاته لفوجىء بالفنادق الحديثة والمصارف تحف بجنباته، وانبهر باسطول الحافلات الحمراء البراقة ذات الطابقين المستوردة من لندن، يخترق وسطه. واما الرحالة العصري فانه يجد في السفر في ارجاء العراق متعة لا تقل اثارة عن "الف ليلة وليلة". واينما تلفت

واجهته الف مفارقة ومفارقة كأنها غزلان جافلة.

وذات يوم استأجرت انا وزوجتي قاربا ابحر بنا في مياه دجلة حتى بلغنا جزيرة صغيرة وسط النهر، فتوقفنا على شاطئها. وبينما اخذ قبطان القارب يشوي لنا سمك الشبوط الطازج المحشو بانواع البهارات، وهي الأكلة العراقية التقليدية المعروفة بـ"المسقوف"، رحنا نرقص على انغام مجموعة من اسطوانات قديمة. ولم اكن في وقت من الاوقات احلم بأن تفضي بي الايام الى ان ارقص "التانغو" حافي القدمين فوق رمال طينية باردة على شاطىء جزيرة تتوسط نهر دجلة. ولكن هذه هي "القسمة" كما يقال، والقسمة كلمة سحرية تنطوي على معاني القضاء والقدر.

عروق عريقة - ان العراق، الذي سمي قديما "بلاد ما بين النهرين"، هو موطن حضارة من اقدم الحضارات التي عرفها الانسان. واذا ما اتجهت بك السيارة صوب الجنوب من بغداد، بلغت بعد ساعة ونصف ساعة مكانا يعود بك في عمق الزمن قرابة ٤٠٠٠ سنة، ذاك هو موقع بابل القديمة. واذا كانت جنائن نبوخذ نصَّر قد ذوت واندثرت، فان بوابة عشتار المزدانة بالنقوش لا تزال قائمة، كذلك برج الاله ايتيمينانكي، ولعله برج بابل نفسه الذي روى العهد القديم حكايته. واذا ما سرت بين هذه الاطلال فانت انما تقفو اثر حمورابي صاحب مجموعة الشرائع الاولى التي بلغتنا عن الاقدمين.

وابصرنا، ونحن نجتاز السهول المستوية ما بين النهرين التي حرقتها الشمس، نساء يذرين الحبوب "كالعصافة التي تذريها الريح" على حد تعبير المزامير. واذا ذرت الريح العصافة تساقطت الحبوب في اكياسهن على الارض. ولعل في مشاهدتهن تذكيرا بان ارتفاع نسبة المياه في نهري دجلة والفرات جعل من بقاع ما بين النهرين اول مستقر مارس فيه البشر شؤون الزراعة.

واصبحت البلاد تعرف في القرن السابع عشر باسم "العراق"، ومن معاني الكلمة التأصل وامتداد العروق والجذور. وربما كان في ذلك تنبيه الى قدم المنشأ واصالته. وقد بوشر العمران في بغداد، عاصمة البلاد وكبرى مدنها، عام ٧٦٢ للميلاد، وهو عهد حديث بالقياس الى قدم التاريخ العراقي. واصبحت بغداد الآن مدينة عصرية تقطنها ثلاثة ملايين نسمة، اي ربع سكان العراق. وقد ترى في زحمة السير كيف ينصت السائقون الى الاغاني الشعبية التي تنقلها اجهزة الراديو في سياراتهم، بينما يتسارع المارة في الشوارع الى اعمالهم وقد ارتدوا الازياء الغربية، وبينهم النساء سافرات (كما هي الحال في اي مدينة عصرية). اما التمر الطازج الذي قدم الينا في المطعم فكان ثمرة نخيل سقته المياه من قناة شقت في عهد بابل قبل ٣٧٠٠ سنة. ومن القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر، تولت مقاليد الحكم في العراق سلالة الخلفاء العباسيين محاطة بكل مظاهر الابهة والمجد، وقد تربع ٣٧ خليفة منهم على سدة الخلافة، وبلغت البلاد في عهدهم عصرها الذهبي الذي

خلدته قصص "الف ليلة وليلة".
وكانت المدينة العظيمة على ضفاف دجلة تحيطها الجنائن وبساتين البرتقال وحدائق الطرفاء والآس العطري، وترطبها الجداول والقنوات، ويحل فيها المع الجغرافيين والفلكيين والمنجمين والكيميائيين والفيزيائيين والاطباء وعلماء الطبيعة والرياضيات في العالم. واثريت المعاجم العلمية الغربية بمصطلحات احتفظت بجذورها العربية، دلالة على المساهمة العلمية العربية، نذكر منها، على سبيل المثال، كلمات: القلوي، الجبر، الملغم او المزيج، السّمت، النظير، الشيفرة.

القديم والجديد ـ ثم حلت الكارثة الكبرى التي اودت بهذه الحضارة عام ١٢٥٨ للميلاد حين غزا هولاكو المغولي، خلف جنكيزخان، بجحافل فرسانه مدينة بغداد، فاحرقها وفتك بسكانها وذبح قرابة ٨٠٠،٠٠٠ رجل وامرأة وطفل، وعاث بالمكتبات الثمينة فاتلفها، وبالآثار الفنية فدمّرها، وبشبكات قنوات الري فخرّبها. ولم تعمّر الاجيال اللاحقة الا القليل مما افسده هولاكو في نظام الري، فزحفت الصحراء وامتدت واتسعت رقاعها في البلاد.

وسقطت بغداد في يد السلطان التركي سليمان القانوني عام ١٥٣٤، وظلت خاضعة للحكم العثماني ٣٨٤ سنة الى ان هزمت تركيا في الحرب العالمية الاولى. واتسم هذا العهد الطويل بعدم الاكتراث بشبكات الري والاهمال السافر في مضمار الزراعة، فاستمر التدهور الزراعي في البلاد وافضى الى انكماش النشاط التجاري.

وفي عام ١٩٢٠ اصبح العراق تحت اشراف الانتداب البريطاني، ولم ينل استقلاله الا في ١٩٣٢. بيد ان السلطة الفعلية ظلت آنذاك كامنة وراء جدران السفارة البريطانية في بغداد. وفي عام ١٩٥٨ ثارت الجماهير التي اعياها الفقر، فاطاحت النظام الملكي بمساعدة الجيش واجهزت على النفوذ البريطاني.

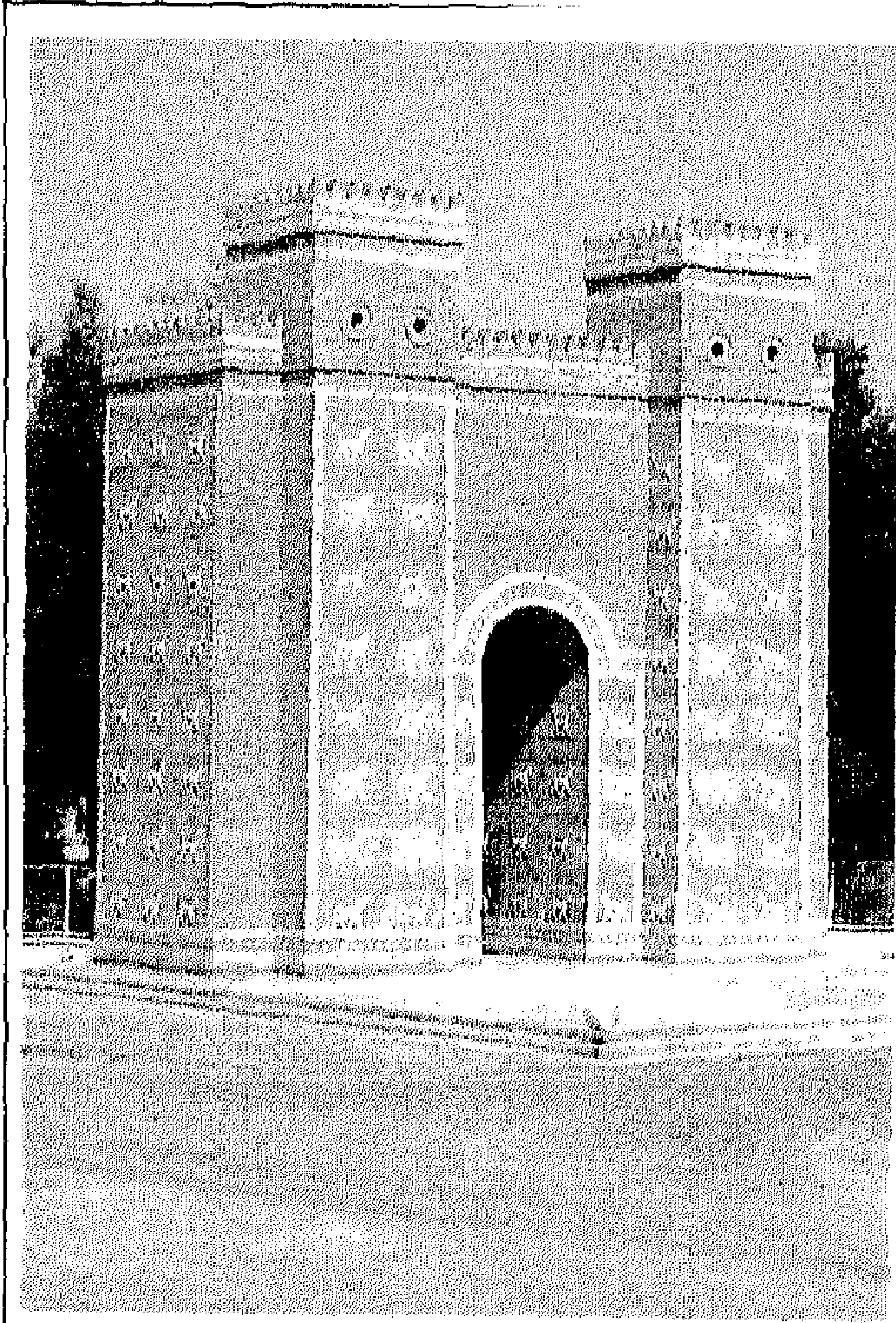
وفي عام ١٩٦٨ جاءت حكومة حزب البعث العربي الاشتراكي واعلنت للتو اهدافها في التنمية والتحديث. وقد مكنتنا رحلتنا الى اقصى الجنوب من مشاهدة المفارقات بين القديم والحديث في تشابك ملتحم كأنه ثمرات تتدلى من عنقود واحد.

فالطريق العام مثلا الذي يتسع لممرين في اتجاه واحد، كان يجمع بين المشاة الذين يحملون السلال على رؤوسهم والدواب التي يسوقها الصبيان من ناحية، والشاحنات البرية الحديثة من طراز مرسيدس بنز من ناحية اخرى. ويقرن في الوقت نفسه بين سيارات البونتياك القديمة وسيارات التاكسي التي عفّى عليها الدهر والعربات التي تجرها الخيول والتراكتورات الامريكية الجديدة.

وقد بدأت صاريات هوائي التلفزيون تعلو سطوح منازل الفلاحين المبنية من طبقة واحدة بالطين والحجارة والقش. لكن الفلاحين الذين يسكنونها يشاهدون على شاشة التلفزيون برامج فازت بجوائز فنية مثل مسلسل "ملح الارض" الذي يعرض احدث المبتكرات الزراعية. وقد قال مسؤول في التلفزيون: "ان

الفلاحين، اذ يرون على الشاشة اولا نتائج التبديل في اساليب الزراعة، لا يلبثون ان ينتهجوا تلك الاساليب في حياتهم العملية".

بلاد الاهوار — وهناك مناطق في العراق لا تزال بعيدة المنال، ومنها الاهوار حيث يعيش المعدانيون او عرب الاهوار كما يسمونهم. والمنطقة اشبه ما تكون ببحيرة يتكاثف فيها القصب الذي يكاد يصل الى علو ثمانية امتار. ويعيش عرب الاهوار على تربية البقر وجاموس الماء وزراعة الارز وصيد الاسماك، ويخرجون في قوارب من القصب لقنص الطيور ورمي الخنازير البرية. ويبنون بيوتا من القصب فريدة في نوعها، وهي مقوسة السطح بحيث تبدو من الجو اشبه بقطيع من البرانيق (جواميس النهر) التي لا رؤوس لها. اما سبل حياتهم فلم يتبدل فيها شيء كثير منذ ٥٠٠٠ سنة على الاقل. سوى ان اطفال هذا الجيل من المعدان هم اول رعيل يدخل المدرسة.



بوابة عشتار.

وتطل المفارقات من كل جانب، فيسمون مدينة البصرة على الخليج "بندقية الشرق" نظرا لتعدد القنوات فيها. وهي المدينة التي بدأ منها السندباد كلا من رحلاته السبع. ويقع الميناء على جانب من المدينة بينما تمتد اطراف الصحراء على الجانب الآخر، فيسوق الهواء اليك رنين الاجراس المعلقة في اعناق الغنم تارة ونفير ناقلات النفط البحرية تارة اخرى.

وفي عمق العراق يشاهد الزائر "اور الكلدانيين"، مركز الحضارة السومرية، وفيها المقبرة الملكية التي هزت العالم انباؤها حين نقب السير تشارلز ليونارد وولي، عالم الآثار الراحل، ٧٤ هيكلا عظميا مجللا بابهى الزينات. وقدر انها بقايا رجال البلاط الملكي، وانهم هلكوا جميعا فيما راح العازفون يطبّلون ويزمّرون لمقتلهم. واقتضت الشعائر الدينية ايفادهم الى

"العالم السفلي" ليواصلوا هناك مهماتهم في خدمة الملك الراحل. والواقع انه في امكانك ان تقضي سحابة النهار في اكتشاف اطلال هذا الحلم المروّع، وان تعود بعد ذلك الى البصرة في وقت يتيح لك مشاهدة الرياضة الملكية التي تؤديها فحول من الخيول العربية الشهيرة في حلبة السباق المحلية.

والى الشمال من بغداد يقع حقل نفط كركوك الكبير. ويتوهج ليلا بألسنة عملاقة من لهب الغاز الطبيعي الذي يتسرب الى سطح الارض، وهو حصيلة ثانية للترسبات النفطية السريعة الاشتعال الى حد انها تحترق بمجرد ملامسة الهواء.

جمال الطبيعة والفن - وتمتد الى الشمال من كركوك سلسلة جبال كردستان العراقية حيث شهدنا بداية تعمير فندق وكازينو في هذا الجزء من العالم الذي لا يزال على صفاء طبيعته. وفي بلدة كالي علي بك (وكلمة كالي الكردية تعني المضيق) شهدنا كازينو يطل على شلالات رائعة الجمال. ويتفرع من هذا المصيف طريق وعر الى شانيدار حيث الكهف المشهور الذي خلف فيه انسان العصر الحجري معالم كثيرة لحياته بما في ذلك هيكل عظمي للانسان القديم الذي يعرف بانسان النياندرثال.

وفي اقصى الشمال الشرقي من العراق تقع منطقة حاج عمران التي يؤهلها موقعها لأن تصبح فردوسا لهواة التزلج على الثلج. والمفارقة بين برودة جبال العراق وحرارة الشمس اللاهبة في صحاريها الاكثر شهرة من جبالها، هي مفارقة واضحة كالمفارقة بين اكراد الجبال بعماماتهم وسراويلهم الفضفاضة وعرب الصحراء بكوفياتهم واثوابهم المنسدلة.

وكلما هبت رياح التغيير على العراق، ازداد بعض العراقيين اصرارا على التمسك بافضل ما جاد به الماضي. ولنا مثل على ذلك في شخص محمد القيسي الذي عمل في ما مضى محاسبا في مصرف وممثلا في التلفزيون، وهو يخطط الآن لفتح مقهى في بغداد. ولعل في ذلك تساوقا جميلا مع التاريخ، حيث ان ذكر شرب القهوة ورد في القصة العاشرة بعد المئة من "الف ليلة وليلة" في حكاية "البيت المسكون في بغداد".

وعندما ينقطع الجمهور بزيه الغربي عن الكلام كما انقطع الاسلاف باثوابهم المنسدلة عن الحديث من قبل، يتعالى صوت الراوي ليلة بعد ليلة في تلاوة فصول "علي بابا والاربعين لصا"، وهي قصة لها من الرواج ما حدا المسؤولين الى نصب تمثال في دوار للسيارات يعرف الآن باسم "دوار كهرمانة"، وهو يمثل الجارية كهرمانة وهي تصب الزيت المغلي في القوارير التي اختبأ في جوفها الاربعون لصا. ولعل في مرأى الماء وهو يطفح من دلو الجارية ما يبرد عيون سائقي السيارات في وطأة صيف بغداد.

■ **جون كلهين**



لقد كنت طوال حياتي متفائلا، أثق بالعقل، وبفطنة الانسان وضميره.
جوليان هكسلي



نجاة من الظلمة

"أنا لا أصنع المعجزات" هذا ما قاله الجراح للمؤلفة الشابة التي كانت محصورة في هوة مظلمة من العمى لكن العملية التي اجراها فتحت أمامها آفاقا خيالية.

في احد الايام من شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٥، رفعتُ سماعة الهاتف استجابة لرأي شقيقي غراهام، وطلبتُ الى اختصاصي العين تحديد موعد لزيارته. ولكن ما ان وضعت السماعة في مكانها حتى بدأتُ ارتجف.

لقد اصبت بالعمى منذ سنوات عدة، وقضيت طفولتي بين خيالات مبهمة والوان ضبابية. وازداد نظري سوءا على مر الايام حتى كدت في اواخر سنيّ مراهقتي الا افرق بين الضوء والظلمة. اما بقية المرئيات فقد غابت برمتها عن ناظري.

وكانت علة عيني وراثية، اذ اصبت باعتام فيهما منذ ولادتي، أسدل

غشاوة على عدستها تعيق تسرب الضوء فيها. ولكني، على رغم هذا العجز، عشت حياتي مستقلة. واستطعت بمساعدة كلبتي المرشدة "ايما"، وهي من فصيلة اللابرادور، ان اقوم بواجبات بيتي وان انتقل يوميا الى مكان عملي حيث كنت اشتغل على المحوّل الهاتفي. والاهم من كل شيء هو انني كنت سعيدة بزواجي من دون الذي وفر لي حبه اكبر التشجيع في حياتي.

ومع ذلك، لم اكن في سري قد قبلت حقا بالعمى. ولهذا ما ان تحدث غراهام عن سبل جراحية جديدة، حتى انتعشت من جديد تلك الآمال التي كبتّها لسنوات طويلة.

وفي اليوم المحدد اوصلنا غراهام - اي كلبتي "ايما" وانا - الى مكتب الدكتور شيرنغ، اذ لم يكن في امكان دون ان يأخذ اجازة من عمله كطبيب مختص في العلل التي تصيب القدمين. وارشدتني "ايما" عبر القاعة الى داخل احدى الغرف. وللتو احسست بوجود مدفأة امامي وشممت رائحة السيجار. واذا بصوت يسألني: "ماذا تريدين مني يا فتاتي؟"

وصعب عليّ ان اصوغ آمالي في قوالب الكلمة، فقلت: "اريد ان اعرف ما اذا كان في امكانك ان تساعدني".

وبعد الاصغاء الى قصة مرضي، تولى الدكتور شيرنغ فحص عينيّ. واخيرا قال: "انت تعلمين بوجود سدّ غليظ حجب النور عن شبكية العينين منذ الولادة فحال دون نموها". فأجبت بقلب خائر: "اني ادرك ذلك. لكن اما من شيء يمكن ان تفعله؟"

وبعد صمت بدا كأنه دهور، قال: "بلى. اعتقد ان هناك شيئا يمكن فعله، وهو انتزاع جزء من العدسة، مما يسمح بتسرب مزيد من النور".

تحت مبضع الجراح - انتظرت دوري لدخول المستشفى طوال تسعة اشهر، الى ان جاء اليوم الموعود اخيرا. وراح الدكتور شيرنغ بشرح لي تفاصيل العملية قائلا انه في حين يصبح السد الذي يغشي عدسة العين صلبا على العموم لدى الكبار في السن، الا انه لدى شابة في مثل عمري ربما يكون لينا ولزجا نسبيا. وان محاولات ازالة السد في هذه الحال الاخيرة اسفرت في الماضي عن انفصام الشبكية او تسببت احيانا في احداث ندوبتركت بعض المرضى اسوأ حالا مما كانوا عليه. وقال الدكتور شيرنغ انه ينوي استخدام طريقة مختلفة معي بحيث يقشر الطبقة الوسطى من العدسة لتتيح مرور الضوء، على انه سيحافظ على الطبقة العليا كي تقي شبكية العين.

وبقدرة قادر نمتُ عشية العملية قريرة العين، وأفقْتُ في صباح اليوم التالي - يوم الجمعة - بشعور من الاطمئنان غير عادي. وفي حدود الساعة التاسعة غرز المشرف على التخدير ابرته في جلدي فغرقْتُ في غيبوبة اللاوعي.

كانت الضمادات تعصب عينيّ عندما افقت من غيبوبتي، وعلمت انها لن تنزع الا يوم الاثنين الآتي وانني لن اتبين النتيجة قبل ذلك الوقت. غير ان الانتظار حتى ذلك الحين بدا بلا نهاية. وفي المساء جاء دون ليطمئنني بقوله: "اذا لم تنجح

العملية فلا ضير في ذلك لأنه لن يؤثر على علاقتنا نحن. وانت تعلمين ذلك، فالمسألة في الماضي لم تكن مصدر اختلاف بيننا".

خارج الهوة – واخيرا اطل صباح يوم الاثنين. وبقلب اشتد خفقانه احسست بالعصابة تنفك دورة بعد دورة حول رأسي... وفجأة لم ارد ان يفكوها، بل اردت ان اصيح بهم بأعلى صوتي: "لا. ارجوكم. لا تفكوها!" ثم سمعت كبيرة الممرضات تقول: "شيلا! افتحي عينيك".

فكنت كمن يتلقى لكمة في وجهه: انها ضربة حسية من اللمعان، مثل صدمة كهربائية جبارة تخترق دماغي وتمتد في جسمي من الرأس حتى اخمص القدمين. وابصرت بياضا امامي، بياضا مؤتلقا كدت لا اقوى على احتمال لمعانه، وزرقة براقة لم اتصور امكان وجودها قط. لقد كانت لحظة كبداية العالم.

وفي الوقت نفسه احسست بفيضان من الاصوات حولي: "هل ترين؟ هل ترين؟" غير انني كنت في ذهول عن امري بحيث استغرق جوابي بعض الوقت. واخيرا قلت وانا اتبحر في الزرقة: "يا لها من زرقة! ما اجملها!" وقالت احدى الممرضات وهي تخطو في اتجاهي: "انها انا... انها زرقة ثوبي". كل هذا لم يستغرق سوى بضع ثوان. وبالسرعة نفسها بدا كل شيء من حولي ضبابيا، فقلت في نفسي: "واحسرتاه، لقد بدأ النور ينحسر عني". وبحركة تلقائية رفعت يدي الى عيني فوجدت الدموع تنهمر على وجهي. كلا. لم ينحسر الضوء. وانما الدموع هي التي تحول دون الرؤية. وعندها اجهشت باكية بلا ادنى سيطرة على نفسي، وادركت من خلال ما تمكنت من رؤيته ان الممرضات من حولي اخذن هن الاخريات يبكين مثلي.

وللحال ابدلت العصابة القديمة فوق عيني بعصابة اخرى. غير اني لم اكترث لذلك. فالالوان الجديدة ظلت تتراقص في مخيلتي، عاكسة كمشكال الاطفال مجموعة لا نهاية لها من الاشكال الهندسية الملونة. حقا لقد نجوت من الهوة السوداء الابدية.

يمكنني ان ارى – حالما عدت الى سريري في جناح المستشفى اتصلت هاتفيا بمكتب دون ولكنني لم احصل على جواب. ولهذا اتصلت بمصلحة الهاتف الاذاعي في المستشفى الذي يعمل فيه دون، فطلب الي احد العاملين هناك ان اترك رسالة له. فقلت: "اخبره ان في امكاني ان ارى". ومرت لحظات من الصمت قبل ان يأتيني صوت العامل مستفسرا: "اقول له ان في استطاعتك ان تري؟" فاجبت: "نعم. يكفي ان تقول له ذلك".

وحتى نهاية مكوثي في المستشفى، كانت العصابة تفك لمدة دقيقتين كل صباح، ثم يقطر محلول في عيني، وبعد ذلك توضع عصابة جديدة. وباستثناء هاتين الدقيقتين من الاشعاع المشرق، كنت اقضي سحابة اليوم في عالمي القديم حتى في اثناء زيارات دون الذي احس منذ الزيارة الاولى بالفرص التي سيتيحها امامنا عالمنا الموسع. وكان يستهل جميع عباراته بكلمتي: "عندما تعودين". وراح يخبرني ان اوراق

الشجر بدأت تحمر بعد اخضرارها. فشعرت للمرة الاولى بالمعاني التي تنطوي عليها هذه الظاهرة.

كنت استعيد في ذاكرتي كلمات الدكتور شيرنغ: "انني لا اصنع المعجزات يا فتاتي". لكنه صنع! واحببت ان يقاسمني مشاعر الفرحة، الا انه كان يقضي اغلب النهار في عيادته. واخيرا سمعت وقع خطواته المألوفة، وسمعت عن بعد صوته: "سلاما يا فتاتي. كيف حالك؟" فتدفقت كلماتي في فيض من جيشان العواطف: "آه. حالي رائعة الى حد لا يمكنني معه قول شيء. انها رائعة". وكان تعليقه الوحيد: "نعم. اليس ذلك رائعا؟" ثم ربت على كتفي بارتباك وتركني.

ولم اعلم الا في ما بعد ان مشاعره خنقت كلماته. وقالت لي رفيقة في الجناح نفسه "ليتك رأيته في تلك الساعة. لقد اشرق وجهه نورا وتسمر في مكانه، ينظر اليك ويبتسم".

محبة الغرباء ـ كان مقررا ان يحضر دون لمرافقتي في يوم انعتاقي من المستشفى. وكان دون قبل ذلك الوقت يمازحني بقوله انه صبغ شعره الاشيب: "ماذا يضيرك انت؟ انا رأيتك من البداية، اما انت فستصدمين بي". فقلت له: "كيفما يكن شكلك، فان ذلك لن يبدد شيئا بيننا".

ولم يخطر لي ان افكر في مظاهر الناس. اما الآن وقد ازيلت العصابة نهائيا عن عيني، فقد جلست على حافة السرير محاولة ان اتصور وجه دون. لكني لم افلح. وعلى حين غرة سمعت وقع خطوات مألوفة قادمة عبر الممر الذي يفصل بين الاسرّة، وقلت في نفسي: "عونك يا رب، فهذه هي اللحظة الموعودة". وابصرت رجلا غريبا يتقدم نحوي وقد اسمرّت بشرته بفعل الشمس وكان على جانب عظيم من الوسامة التي ما كنت اتصورها. وابتسم الرجل الغريب ابتسامة عريضة كادت ان تصل ما بين اذنيه وقال: "هيا يا وردتي".

وخرجنا وقد اشتبكت ذراعانا بقوة. وكانت لحظة اخرى من الصدمة الضوئية. ووراء الضياء المشع حولي ابصرتُ امتدادا اخضر عظيما فسألت:

ـ ما هذا؟

ـ ولَوا انه العشب طبعا.

طبعا. غير اني ركعت على الارض لاتأكد باللمس. عندئذ اطلق دون سراح كلبتي "ايما" من السيارة، فراحت تنهب الارض امامي. ورأيت الشمس تشع في وبر جلدتها بينما تراقص ذيلها تراقصا اهتزت له بقية اعضائها. فصحت: "آه يا دون ما اجملها". وكان الجميع يقولون لي انها بنية اللون، لكن احدا من الناس لم يبلغني ان في لونها البني ظلالا متباينة تربو على المئة عددا.

وانطلقنا بالسيارة الى البيت. ودخلتُ غرفة الجلوس ـ غرفة جلوسي انا ـ فوجدتها ابدع مما تخيلت. واول ما استرعى نظري حمرة البساط الارضي ولمعان الآنية النحاسية التي كنت ادأب على تلميعها اسبوعيا حتى في ظلمتي.

وبعدما رجع دون الى مقر عمله قمت بالعمل الوحيد الذي اردت ارجاءه حتى اخلو بنفسي. فما ان استجمعت كل ما أوتيت من رباطة

الجأش حتى جابهتْ نفسي امام المرآة في الحمام. فرأيت شخصا غريبا عني كل الغرابة: الشعر ليس رديئا، ولونه مقبول. لكن الانف يصدمني. فقد بدا كالقباب الذي يعلو وجه المهرج، وكان يهيمن على جميع قسمات وجهي. لِمَ لم يخبرني احد عن انفي؟ وشعرت بالتعاسة فترة طويلة قبل ان اقتنع بأن انفي ليس بالغرابة التي تصورتها.

اما النزهات خارج البيت فكانت صدمة اخرى. ورأيت في اول خروج لي من البيت ان اشدّ الوثاق الى عنق ايما لتقودني هي على سابق عادتنا.

لكن ما ان سرنا خارج البيت حتى ابصرت الرصيف ينزلق بسرعة تحت قدمي. ورأيت سياجا امامي ينقض علينا انقضاضا خاطفا. واذا بالاشجار تبدو كأنها تطير صوبنا لتضربنا ارضا. وكنت اعلم ان هذه الظواهر غير منطقية: كنت اعلم انني انا التي اتحرك، لا الارصفة او الاشجار. لكن اختباري هذا لم يكن متوقعا، بل كان مخيفا الى حد انني امرت "ايما" بالوقوف. وبعد محاولات عدة اغلقت عيني وتركت الامر لـ"ايما" وحدها. ولا ادري كيف رجعنا الى البيت، لكن ايقنت انه لا بد لي من ان اتعلم التصرف بنفسي. واستوجبت هذه الرؤى تركيزا فكريا هائلا، كأنما الحياة منحتني عضوا اضافيا يقتضي تعلم استخدامه جهدا جهيدا.

الهبة العظمى - اكتشفت في الاسابيع التالية رؤى كثيرة اخرى، ومنها خروجي الى حديقة منزلنا لاستمتع بمنظر ثلاث شجرات من اشجار التفاح التي كنت اعتبرها في السابق عراقيل تعترض سبيلي. ثم ابصرت للمرة الاولى البحر. يا له من حركة مستديمة ويا للوميض! كما ابصرت اول غروب للشمس في حياتي.

على ان الامر لم يخل من خيبات الامل ايضا. فقد بدا افراد اسرتي اكبر سنا مما تصورت. ولم يكن الناس عموما بالوسامة الموحدة التي فرضَتْها عليهم افكاري العمياء. ولم اكن قد سمحت في مخيلتي بوجود انسان غير جذاب. كما اخذ مني التعود على تعابير الوجه المختلفة وقتا طويلا. وكنت امعن النظر في وجه دون من حين الى حين، فبدا لي انه ليس للناس وجه واحد بل مئات الوجوه.

وعلمت نفسي في عقر داري القراءة والكتابة. واخيرا عدت الى مكان عملي... ما اغرب هذه البدّالة الهاتفية التي انفقْت في تشغيلها سنوات من حياتي. ولم استطع بادىء الامر تشغيلها بصريا، فعدت الى طريقة اللمس. ولكنني مع الايام تعلمت استخدام بصري.

وتراني الآن، بعد أربعة اعوام من اجراء العملية، لم أفقد العجب بما اراه والشعور بالامتنان والحمد. وحين اسمع الناس في الشوارع يشكون من ارتفاع اسعار البطاطا او الوقود، احس بدافع في نفسي يحفزني على التوجه اليهم ومخاطبتهم قائلة:

"انّ ما تتفوهون به حقّ. لكن لكم نعمة البصر... الا تبصرون السماء؟ الا ترون الغيوم؟ تأملوا الى اي حد انتم محظوظون حقا".

■ شيلا هوكن

الصدأ عدو السيارات

بعدما كانت السيارات تدوم ثلاثة عشر عاما
ونصف عام على وجه العموم
اصبحت اعمارها لا تتجاوز الخمس سنوات
ومع ذلك، فهناك طرق
تمكّن المستهلك الفطن من تفادي هذا التلف٠

خرجت ربة منزل كندية للتسوق في سيارة فيات ٨٥٠ قديمة عمرها اربع سنوات، وفجأة انهار المقعد وقاع السيارة وسط شارع مزدحم من جراء الصدأ الذي اتى على مفاصل النوابض التي تحمل الجزء الاعلى من السيارة على محاور العجلات٠ فلم تكن السيارة في الحقيقة سوى قطعة حديد لا تستحق الثمن الذي دفعته ربة المنزل لشرائها، وبالتالي اقامت هذه دعوى على البائع واستعادت ثمنها منه٠

لاحظ سائق، بعد مرور ثلاثة أشهر على تسلمه سيارة شفروليه طراز "نوفا" ١٩٧٦ خللا في الدهان٠ وبعد خمسة اشهر بدأت السيارة تصدأ حول اطار النافذة واطار الصندوق، والرفرف الامامي٠

لاحظ طبيب بيطري بقعا من الصدأ على سيارته "جي٠ ام٠ سي"٠ طراز جيمي ١٩٧٥ بعد انقضاء عام واحد على شرائها٠ وفي العام التالي كان الجانب الاسفل من باب الركاب متآكلا من الصدأ الذي أخذ يظهر ايضا على الصفيحة الخارجية من الباب الخلفي، واعقب ذلك ثقبان واسعان في قاع السيارة٠ فعرضت عليه شركة جنرال موتورز التي انتجت السيارة تعويضا بقيمة ٣٠٠ دولار، اي سدس تكاليف التصليح، لكنه رفض هذه التسوية٠

الكلمة الرهيبة — واصبح الصدأ لفظة توقع الرهبة في نفوس كثير من السائقين في انحاء متعددة من العالم، حيث يمكن ان يصيب سيارة جديدة حتى قبل الفراغ من تسديد اقساطها، بل قبل خروجها من

مخازن البائع في بعض الاحيان.

ان التآكل بالصدأ امر لا مناص منه في اي سيارة. فعندما يلامس الفولاذ الاوكسيجين والرطوبة يصبح المعدن مشحونا بالكهرباء فتسري الالكترونات بين القطع المعدنية المتجاورة ويتآكل المعدن ذو الشحنة الايجابية بينما يبقى المعدن السلبي سليما. وتبدأ بقع الصدأ القرميدي بالظهور موزعة بانتظام، ولا تلبث ان تزول. الا انها تعود الى الظهور ثانية على الاغلب ويزداد حجمها كلما عتقت السيارة. وعلى اي حال، فان هذه البقع تتحول الى ثقوب ولا تتطلب اصلاحات باهظة الكلفة، قبل مضي خمس سنوات على صنع السيارة.

وغالبا ما يظهر الصدأ الموضعي ايضا بلون قرميدي على شكل بثور او كبقعة برتقالية لا تلبث ان تزول ثم تعود الى الظهور. وعلى نقيض الصدأ الشامل، فان الصدأ الموضعي ينتشر بسرعة، وحتى ان تم استئصال القطعة الصغيرة المتأثرة بالصدأ فان المعدن الذي يوضع مكانها لا يلبث ان يصدأ في كثير من الاحيان خلال عام واحد.

ويرجع الصدأ الموضعي الى اسباب مختلفة. فالصدأ الغلفاني (الخاص بالتيار الكهربائي)، مثلا يحدث عندما يتلامس معدنان مختلفان (على غرار المزيج الفولاذي لهيكل السيارة والقالب التزييني المصنوع من معدن الكروم). وغالبا ما يحدث ذلك على مقربة من رفرف خزان الوقود او على امتداد الجوانب او حيث تثبت المرايا وقبضات الابواب.

ويعود ظهور الصدأ في الطرف السفلي الى سوء تصريف الماء حيث يتسرب المطر والثلج الذائب وماء غسل السيارة الى الداخل وينحصر بجانب الزجاج في هيكل السيارة او داخل الباب الخلفي في السيارة العائلية. ويمكن في بعض الاحيان سماع صوت الماء المتدفق ولكن كثيرا ما يصيب الصدأ الجانب الاسفل للباب او قاع السيارة من جراء الرطوبة لان هذا المعدن سريع العطب ولا يتاح له ان يجف.

ويلاحظ روجر هـ. بواتراس، في التقرير الذي وضعه عن الصدأ تلبية لطلب ادارة النقل في كندا، ان السيارات ينخرها الصدأ. ويقول: "ان تصميم هياكل السيارات العصرية ادى الى شقوق ومقاطع فارغة ومناطق مفرغة يتغلغل فيها الصدأ على حين غرة". ويضيف: "ومن شأن موطن هذا الضعف الخفي ان يتسبب في انهيار السيارة بكاملها".

لا شك في ان الطلاء يقي السيارة اثر العوامل المناخية. ولكن اذا لم يكن المعدن ممعجنا كما يجب قبل استخدام الطلاء، او اذا استخدم طلاء رديء الصنف، فمن المحتمل ان يتقشر ويترك بقعا عارية معرضة مباشرة لتأثير الاوكسيجين على المعدن. كما ان الشقوق في الطلاء بسبب الحصى او اي جسم مدبب، تعرض ايضا هيكل السيارة للصدأ. ويصدف في بعض الاحيان ان تكون الصحيفة المعدنية رديئة في ذاتها، فعندئذ يتسارع الصدأ الشامل.

وتتفاقم هذه الحال، ايا تكن الظروف المذكورة، تفاقما بالغا بوجود الملح الذي يزيد من ناقلية الرطوبة. ومن الملحوظ ان نسبة الصدأ ترتفع ارتفاعا كبيرا في المناطق

القريبة من البحر او التي يفرش فيها الملح على الطرق المغطاة بالثلوج. فيبدو والحال هذه، امرا لا مهرب منه اسوة بالموت والضرائب.

ارشادات نافعة ـ ومع ذلك، فهناك طرق للوقاية منه لدى الاقدام على شراء سيارة جديدة. فينبغي قبل كل شيء البحث عن سيارة لها عجلات عميقة الاخاديد. ثم يجب رش الرذاذ العازل على العجلات وعلى محوري التوجيه الاماميين تحت المصدم الامامي، وبالتدريج مرات عدة. فان واقي المعدن او العنصر العازل من شأنه ان يؤمن حماية هذه المنطقة بشكل فعال. ويجب ان تحوي كل الابواب ثقوبا في اسفلها لتصريف الماء بسهولة. كما يجب تزويد السيارة المجهزة بعجلات شعاعية برفرف فوق العجلتين الاماميتين لوقاية السيارة من تناثر الماء المالح والوحول. ويوصى بان تكون كمية معدن الكروم على اقل ما يمكن، وبان يقع الاختيار على سيارة زودت بكابح صاد في اثناء عملية صنعها من اجل حمايتها من الصدأ. وينبغي فحص الصفيحة المعدنية الموجودة على اطار باب السائق لمعرفة تاريخ خروج السيارة من المصنع لكي يقع الاختيار على احدث سيارة من بين المجموع. ويجب عدم قبول اي سيارة امضت شتاء كاملا في العراء، كما يحسن البحث عن سيارة تحمل كفالة ضد الصدأ لثلاثة اعوام.

وينبغي اجراء فحص هيكل السيارة مرتين في العام للتحري عن مواطن الصدأ الخطرة. لانه اذا اصيب، مثلا، المحور الامامي لنوابض التعليق بالصدأ والاهتراء فقد يتعرض السائق من جراء ذلك للخطر اذ يجد نفسه على حين غرة غير قادر على توجيه السيارة. ومن الممكن ايضا الحصول على مساعدة احد الاختصاصيين في مقاومة الصدأ، فهو يقوم برش المواطن المعرضة لذلك بزيت او رذاذ يدخل في تركيبه شمع البارافين، وذلك بالاعتماد على معدات الهواء المضغوط الشبيهة بالمسابر الدقيقة. كما يمكن حفر الثقوب او استئصالها من المعدن بغية الوصول الى المقاطع الجوفاء.

غير ان مسألة الحؤول دون ظهور الصدأ، على الوجه المبين سابقا، لا تزال مثارا للجدل. فبعض الخبراء يرى ان هذه العملية لا تستحق التكاليف التي تنفق عليها، علاوة على ان بعض المركبات المستعملة تعطي رائحة كريهة طويلة الاثر. وهناك مركبات اخرى تلطخ اثاث السيارة او تبقى عالقة بضعة اعوام. اضف انه، اذا لم تكن هذه العملية متقنة او تامة، فانها لن تؤدي الغرض المنشود.

ومع ذلك فيتضح من تقرير بواتراس ان عملية مقاومة الصدأ تساعد في اطالة عمر السيارة. وترى الجمعية الكندية لحماية السيارات ان عملية مقاومة الصدأ تستحق الاهتمام بالنظر الى التحسين الذي تدخله على السيارة وصونها بما يسبب رفع ثمنها لدى بيعها مرة ثانية. واذا طرأ حادث مزعج فان مالك السيارة المصانة من الصدأ تتوافر له الفرصة للحصول على تعويض اوفى.

وثمة عدد كبير من باعة السيارات الامريكيين والاوروبيين يعرضون الآن اجراء عملية مقاومة الصدأ بكلفة تقل عما يتقاضاه العامل الاختصاصي

المستقل. الا ان عددا كبيرا ايضا من الاختصاصيين الفنيين في مقاومة الصدأ الذين يعملون على حسابهم الخاص، يقدمون كفالة لمدة خمسة اعوام،ويبدو انهم يفون بتعهدهم في هذا الصدد. وايا تكن الطريقة التي يقع عليها اختيارك، فيحسن بك ان تتذكر جيدا النقاط الآتية:

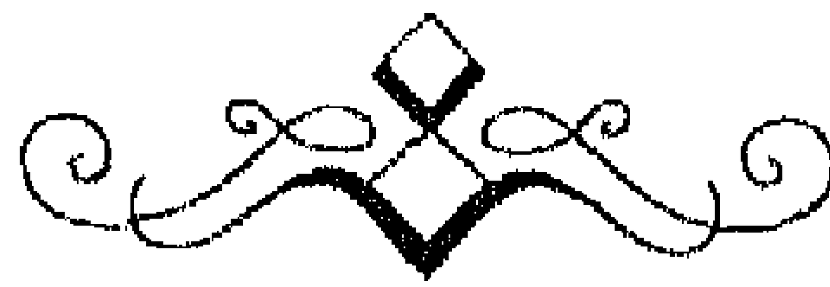
– هناك عدد من نماذج السيارات لا يمكن ضمانها ضد الصدأ نظرا الى سوء تصميمها، والى امتناع الشركات المحترمة عن تقديم مثل هذه الضمانات.

– ان الكفالة المالية هي التي تعيد الى الزبون كامل ما دفعه اذا نال الصدأ من السيارة في غضون خمسة اعوام، وتتحمل كذلك اعباء اصلاحات ناجمة عن الصدأ. اما الكفالة التي تستثني من ذلك شظايا الحجارة او اساءة الاستعمال من قبل المالك فانها غير مقبولة.

– تحقق مما اذا كانت الكفالة تنص على زيارات كشف منتظمة وعلى احتمال استخدام مركبات اضافية اذا استدعى الامر. واحرص على ان يكون ذلك مدونا في العقد، اضافة الى تحديد عدد هذه الزيارات وكلفتها.

ومما لا شك فيه ان في امكان التكنولوجيا ان تطيل دوام السيارة على مدى ثلاث سنوات من دون ان ينال الصدأ منها على نحو خطر. بل ان في استطاعتها ان تضيف كابحا لمقاومة الصدأ من دون ان تنتج من ذلك زيادة في الكلفة على المستهلك. وتجدر الاشارة الى ان السيارة تصنع عادة لتدوم عشرة اعوام، وان مثل هذا الهدف هو، بكل تأكيد، معقول.

■ فيل ادمونستون



هناك دائما ... الافضل

كنت في السوق ذات يوم، فقصدت الى احد الباعة لاشتري تفاحا. وبعد محاولات الانتقاء، اخترت احدى السلال المعروضة ودفعت ثمنها، واوشكت ان انصرف حين رأيت سلة اخرى بدا لي انها افضل، فسألت البائع اي السلتين يظنها تضم احسن التفاحات، فقال بلهجة ودية وهو يتشدق في الكلام: "لقد بعت لك، يا سيدتي، افضل سلة من التفاح لدي، وبعد ذلك، فقد ظل عندي، كما ترين، افضل سلة باقية كي ابيعها للعميل التالي".

ه.ر.

حديث النعمة

ورث احد اصدقاء اخي مبلغا كبيرا من المال، فقرر ان يشتري سيارة. ونصحه اخي بشراء سيارة من طراز حديث، ثم ساءه ان يرى صديقه بعد ذلك بايام وهو يقود سيارة جاغوار قديمة. فسأله: "ولكن لماذا لم تشتر سيارة جديدة ليرى الجميع انك قد اصبحت غنيا؟". فأجاب الصديق: "لقد اشتريت سيارة قديمة كي يظن الجميع اني كنت دائما غنيا".

ج.ر.

صور من الحياة

سؤال في محله

خرجنا في نزهة عائلية واجتزنا في سيارتنا قرية قديمة، ولاحظ اطفالنا عشا لطائر اللقلاق فوق سقف احد المنازل، فخرجنا من السيارة وانضممنا الى عائلة اخرى معها عدد من الاطفال الذين كانوا يرقبون باهتمام طير اللقلاق يحوم جيئة وذهابا، وفجأة سمعت الأب يقول لزوجته الشابة: "هل انت متأكدة من انك اخذت الحبة المانعة للحمل هذا الصباح؟"

ل. ش.

الحل المناسب

ظل جاري الجديد في المهجر يتمرن على كمانه ساعتين كل يوم بعد الظهر، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الطلاب الآخرون في طابقنا يخبطون على الجدران بمجرد سماعهم العزف، وذات يوم وجدنا على الطاولة عند مدخل المهجع طاسة تحوي سماعات اذن وملاحظة تقول: "تفضلوا باستعمال هذه... انني اتمرن يوميا من الساعة الثالثة حتى الخامسة مساء".

أ. م.

اين الطفل؟

بينما كانت حفيدتنا البالغة من العمر ثلاث سنوات مقيمة معنا اخذناها الى حفلة عمادة فراقتها كثيرا، ثم دعينا الى حفلة قران فاجلسناها في نهاية المقعد كي تتمكن من مشاهدة كل شيء، ولدى وصول العروس الى الممشى بين كراسي الكنيسة علا صوت صغير جلي مطالبا بسخط: "اين الطفل؟"

ك. ك.

افضل جرس

قرر زوجي اصلاح جرس الباب، ثم ذهب الى عمله وهو يصفر طربا، وبعد ثلاث ساعات تلاشى مرحه وتوقف الصفير وكل ما استطعت سماعه كان تنهدا عميقا من وقت الى اخر، واخيرا دخل غرفتي واعلن، "لقد اصلحته"، وذهبت الى الباب الامامي لتجربة الجرس ولدهشتي رأيت هناك مطرقة صغيرة معلقة وفي اسفلها اشعار يقول: "تفضل دق الباب".

ب. و.

الكعكة المبردة

ذات يوم خبزت كعكة لذيذة ولم اكد اخرجها من الفرن حتى جاء زوجي والاطفال واحتشدوا من حولي وسألوني ان اقتطع لهم قطعة منها، فقلت لهم انه ينبغي ان تبرد الكعكة حتى اربعين درجة مئوية على الاقل، وتركت المطبخ، ولما عدت رأيت افراد اسرتي جالسين حول المائدة وهم يرتقبون قدومي، وكانت الكعكة ماثلة للعيان مع ميزان الحرارة مغروسا فيها ومروحة كهربائية تنفخ عليها.

أ. د.

حقنة ضد الجليد

كثيرا ما تتعرض منطقة مونتريال (كندا) في فصل الشتاء لظاهرة خطرة تسمى "المطر المتجمد"، الذي يغطي كل شيء بطبقة صلبة من الجليد. وخلال عاصفة من هذا النوع، رأيت احدى ممرضات الصحة العامة خارجة من زيارتها لاحد البيوت فوجدت سيارتها الصغيرة مكسوة بالجليد، فحاولت عبثا ان تفتح بابها، لان ثقب المفتاح كان متجمدا تماما. غير ان ذلك لم يفت في عزمها، فسارعت الى اخراج محقنة تحت الجلد وقنينة كحول من حقيبتها الطبية، وخلال ثوان معدودة ادخلت الابرة في قفل الباب المتجمد وافرغت فيه الكحول، ولم تلبث ان تمكنت من فتح الباب، وقفزت الى سيارتها وانطلقت في سبيلها.
اولئك فتيات يعرفن، ولا شك، كيف يواجهن الطوارىء.

ب.س.

الزوجة الحزينة!

منذ مدة غير بعيدة التزمت زوجتي نظاما غذائيا معينا. وحينما عدت الى المنزل في احدى الامسيات متأخرا قليلا عن المألوف كانت زوجتي جالسة الى المائدة تحدق في جدول وحداتها الحرارية فسألتها: "هل اكلت يا ترى؟" فاجابت بحزن: "نعم اكلت. وانما انا الآن اضيف بعض الشيء لارى ان كنت قد امتلأت".

و.ا.ا.

أين النساء؟

في بلدي ماليزيا لا يتعاون الشباب من الذكور عادة في اداء الاعمال المنزلية. الا اني بعدما قضيت عاما في نيوزيلندا، تعلمت ان اقدم معونتي حين اجد ان هناك اعمالا منزلية يجب اداؤها. وفي زيارة لماليزيا في اثناء الاجازة، ذهلت شقيقاتي حين سمعنني اعلن انني سأعاون في غسل الاطباق، وسألتني احداهن: "ما الذي اصابك؟ اليس في نيوزيلندا نساء؟"

ك.ك.

منتهى الحرص

اهديت الى جدي حاسبة جيب في عيد ميلاده. وبعد ان شرحت له طريقة استعمالها نظر اليها مليا وسأل: "حينما تخف البطارية الكهربائية هل تحتاج الحاسبة الى مزيد من الوقت للتفكير؟"

ج.ن.

برقية النجاح

بعد ان قابل مدير المبيعات في شركتنا عددا من المتقدمين لوظيفة مندوب مبيعات، قرر في النهاية اسناد الوظيفة الى المرشح الذي ارسل الينا البرقية الآتية: "لدي الاتصالات. قف. لدي الرغبة. قف. انا جائع. قف. انا رجلكم. قف. اذا كنتم لا تزالون تبحثون. قف."

ك.ل.

الاسلوب الناجح

كنت اعمل منذ يومين في سوق موسمية محلية، فقابلت سيدة يصحبها ثمانية اطفال. وسألتها عما اذا كانت لا تخشى ان يتوه منها الاطفال في الزحام، فأدهشتني بقولها ان الامر سهل للغاية، واوضحت لي طريقتها في الاحتفاظ بهم قريبا منها: فهي لا تزود الطفل منهم بأي مبلغ من النقود يتجاوز حاجته العاجلة المباشرة، حتى انه اذا رغب في شيء جديد، فلا بد له من ان يطلب منها ما يحتاج اليه من نقود لذلك الغرض. وهكذا، فعوضا عن ان تراقب هي الاطفال، يتولى الاطفال انفسهم مراقبتها، ولا يتركونها، في الواقع، تغيب عن انظارهم ابدا.

ج.ا.ب.



الشيخ زايد: رجل ورسالة

يتزعم الشيخ زايد قطرا من الاقطار الكبرى المصدرة للنفط في العالم ويستخدم الثروة النفطية للنهوض ببلاده من مدارك العصور الوسطى الى معارج الحياة العصرية.

كان الليل الصحراوى مشبعاً بالدفء في "العين"، وسط واحة البريمى في ابو ظبي، المشيخة الصغيرة الواقعة على الساحل المتصالح من الخليج العربي.

وكنت انتظر على شرفة الطابق الثاني من القصر الصيفي الذي يقيم فيه حاكمها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، علّني احظى بمقابلته لدى انعقاد مجلس المقابلات في المساء. وكان معنا اربعة من حراس البدو باثوابهم الطويلة البيضاء وقد اسندوا بنادقهم منحنية الى الجدار، وجثم على معصم كل واحد منهم صقر مغمّى الرأس، لا يفارقه صاحبه اطلاقا في موسم الصيد، بل يحتفظ به الى جانبه كل دقيقة من اليوم والليل. وما ان سمعنا وقع الاقدام من الخارج حتى وقفنا احتراما لصاحب السمو. ثم توقفت الخطوات وبرز رأس عنزة سوداء ملتحية من وراء الزاوية وحدقت بنا، فضحكنا للمفاجأة، وتراجعت العنزة الى حيث اتت.

ان تلك المقدمة غير الرسمية كانت على نمط البساطة التي ينتهجها الشيخ زايد الذي وصل اخيرا وهو يرتدي ثوبه الفضفاض الابيض وعباءته السوداء. حاكم حصيف يكرس دخل ابو ظبي البالغ ١٢ مليون دولار يوميا من عائدات النفط للتحول المفاجيء العجيب الذي سينتقل بالبلاد من حالها البدائية الى الوضع العالمي العصري، والذي جعل من ابو ظبي، بفضل الشيخ زايد، قوة لها شأنها في مضمار الشؤون الدولية النفطية والعربية. فالشيخ زايد، بصفته حاكما لابو ظبي، يشرف على عاشر اكبر بلد مصدر للنفط في العالم وخامس اكبر بلد منتج للنفط في

الشرق الأوسط الثري. كما انه اول رئيس لدولة الامارات العربية المتحدة التي انضمت عام ١٩٧٢ الى منظمة الامم المتحدة والتي تشتمل على سبع مشيخات على الساحل المتصالح وهي: ابو ظبي ودبي والشارقة وعجمان والفجيرة وام القيوين ورأس الخيمة، والتي انشئت في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧١ بعد انسحاب القوات البريطانية من الخليج منهية بذلك نظام الحماية التي استمرت ١٥٠ سنة تحت العلم البريطاني.

البدوي الوسيم – لقد سمعت الشيء الكثير عن هذا الرجل الفذ في الخامسة والستين من عمره. فقد تناهت الي اخباره قبل ان يصبح حاكما بوقت طويل، عندما ذاع صيته في انحاء الجزيرة العربية ودانت له القبائل البدوية المغوارة الشديدة البأس بانه الزعيم المحترم وموضع الثقة الذي يعتمد عليه. وقد قال البدو فيه: "ان زايدا بدوي يلم بكل شيء عن الابل بل يمتطيها كواحد منا، وهو قناص ماهر ومقاتل صنديد". والواقع ان مظهر الشيخ زايد مطابق لهذا الوصف، فهو وسيم بعينين سوداوين واسعتين براقتين ولحية سوداء انيقة وشاربين، وعليه سيماء القوة الهادئة المتحفظة. وما ان قابلته حتى ادركت الاسباب الاخرى الكامنة وراء الاحترام الذي يكنه له البدو. فهو الرجل الرقيق الشعور، الكريم المحتد، الشديد التمسك بالقيم الروحية، الذي تؤهله حكمته البدهية وخبراته الصحراوية لاقامة الروابط بين المجتمع القبلي العريق والعالم المعاصر.

جئت الى العين قادما من مدينة ابو ظبي الساحلية، وهي مدينة عصرية جميلة مزدهرة، تسكنها قرابة ١٥٠،٠٠٠ نسمة وتعمل فيها ورش البناء ليلا ونهارا في المساكن والطرق الحديثة.

عندما تسلم الشيخ زايد زمام الحكم في البلاد في اغسطس (آب) عام ١٩٦٦، لم تكن مدينة ابو ظبي سوى مجموعة من الاكواخ المسقوفة باغصان النخيل مع دارات مبنية من الطين وعدد من المساكن الجديدة، يطل عليها حصن مهيب فاتن طليت جدرانه الخارجية بماء الكلس، وهو القصر الذي كان يقيم فيه الحاكم. وكانت ابو ظبي، التي تبلغ مساحتها ٦٥،٠٠٠ كيلومتر مربع، تضيق في ذلك الحين باعالة سكانها، وعددهم ٢٥،٠٠٠ نسمة ومعظمهم من قبائل البدو الرحل الذين يقطنون الخيام.

ولم يطرأ تحسن كبير على حال اولئك السكان بعد اكتشاف النفط هناك في عام ١٩٥٨، على رغم ان الحاكم السابق الشيخ شخبوط، شقيق الشيخ زايد، تلقى ما يربو على ٢٥٠ مليون دولار من عائدات النفط. الا انه كان يختزن الثروة فحال دون تقدم البلاد، اعتقادا منه بان شعب بلاده لم يتهيأ بعد لتقبل العادات العصرية التي لا تنطوي، في نظره، على فضائل كافية. فعندما شاء البريطانيون مثلا ان ينشئوا مكتبا للبريد يضطلعون بمسؤولية ادارته ويقدمون الارباح الى الشيخ، رفض ذلك رفضا باتا بقوله ان شعب بلاده، الذي لم يكن لديه مكتب بريد طوال ٢٠٠ عام، ليس في حاجة الى مثل هذا المكتب الآن.

وقد تأزم الوضع في عام ١٩٦٥ عندما حاولت شركة نفط ابو ظبي، التي تضم ستا من كبرى شركات

النفط في العالم، ان تفتح من جديد باب التفاوض على العقد المبرم معها منذ عام ١٩٣٩، وذلك سعيا الى زيادة عائدات ابو ظبي من النفط بمقدار عشرة اضعاف. وقد امتنع الشيخ شخبوط اول الامر عن التفاوض، لان الدخل الاضافي سيقحم البلاد في تطوير لا يرغب فيه. لكنه ما ان وقع على العقد الجديد في شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ حتى أفلت من يده زمام الامور بعدما بلغ السيل الزبى وعيل صبر عائلته وشعبه التواقين الى التقدم.

وقد تسبب هذا الوضع في اثارة مشكلة شائكة للعائلة الحاكمة. فبعدما حكم الشيخ شخبوط بلاده لمدة ٣٨ عاما في حال من الهدوء النسبي، أصبح الشعب يطالب بالتقدم والتحسين. وهكذا اجتمع مجلس العائلة الحاكمة، باستثناء الشيخ زايد الذي كان في مهمة في لندن، للنظر في المشكلة، وتم الاتفاق على ان ينقل الشيخ شخبوط مسؤوليات الحكم الى زايد. وانصاع الشيخ شخبوط لقرار العائلة.

على دروب التقدم — اما الشيخ زايد فقد واجه مهمة كبيرة شاقة بالطبع نظرا الى سعة نطاق العمل الذي ينبغي انجازه والى ان الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي معالجة الامور جميعا في آن فبادر الحاكم الجديد الى انشاء دوائر حكومية حديثة لكل مجال من الادارة. وربما كان الأهم من ذلك تصميم الخطة الخمسية للتنمية بالاعتماد على مشورة الخبراء العالميين. ولم يسبق ان تعاقد بلد، كما فعلت ابو ظبي، على ذلك العدد الكبير من المشاريع المختلفة في وقت واحد لانشاء المدارس ومكاتب البريد ومحطات توليد الكهرباء والمستشفيات والمباني الحكومية والمساكن القليلة الكلفة، ومد شبكات الانابيب المائية وقنوات الري وبناء معامل تحلية مياه البحر، وتشييد المساجد والمضامير الرياضية والطرق المرصوفة والمطار الدولي، وتعميق الميناء، واقامة الفنادق ومحطتي الاذاعة والتلفزيون.

وعلى اي حال، فقد صمم الحاكم الجديد على تزويد شعبه المترحل باسباب الحضارة الحديثة، وانما في اسلوب بدوي. وكان الشيخ زايد مهيأ من اجل هذه الغاية. فقد كان لمدة عشرين عاما حاكما للمقاطعة الشرقية في مدينة العين في واحة البريمي. وقلّما كانت تلك المقاطعة جديرة بهذا الاسم عندما تولاها الشيخ زايد، لان الافلاج التي كانت تجر المياه من الجبال كانت مسدودة بعد سنوات من الاهمال وبسبب الحروب والغزوات القبلية. فامر الشيخ زايد بتنظيف الافلاج وانشاء شبكة مائية جديدة وزود بالمضخات والآلات كل مزارع يرغب في تحسين الاراضي البور.

لكنه، في محاولته توسيع نطاق شبكة الري لتشمل جميع الفلاحين، واجه معارضة من المزارعين الاثرياء في الواحة. لان ري المزارع والبساتين كان يخضع لحقوق امتلاك المياه. وبما ان المزارعين الاثرياء كانوا يمتلكون معظم تلك الحقوق، فقد استطاعوا ري بساتينهم خمس مرات في الشهر، بينما لم يحصل الفلاحون الفقراء على المياه الا مرة

واحدة كل بضعة اشهر، مما اضطر الفلاحين الفقراء المحرومين من المياه الكافية الى بيع اراضيهم للاغنياء في مقابل جزء يسير من ثمنها الحقيقي. وقد عقد الشيخ زايد عزمه على ازالة هذا الحيف، فاستدعى المزارعين الاثرياء وطالبهم بان يوفروا الري المجاني للجميع مستشهدا بقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "ولا تحرمن من الماء احدا لئلا ييبس الكلأ".

ولما رفض المزارعون الاثرياء طلبه، شاطر بكل بساطة الفلاحين الفقراء ما كانت تتمتع به عائلته من حقوق واسعة في المياه. واصبحت المياه للمرة الاولى مؤمنة مجانا للجميع، ولم يعد الاثرياء قادرين على ارغام الفقراء على النزوح من اراضيهم.

وعندما اصبح الشيخ زايد حاكما لمشيخة ابو ظبي تولى توزيع مضخات المياه على البدو في انحاء البلاد مع امكانات الوقود والصيانة بالمجان لكي يستطيعوا استخراج المزيد من الماء لمواشيهم من الآبار الصحراوية المبعثرة. فهو امر بان يوزع في البريمي ما يزيد على ٦٠٠ مضخة ماء وتشق قناة جديدة وتحفر اكثر من ٢٠٠ بئر ارتوازية للري"، كما امر باجراء مسح للمياه الجوفية وتحليل التربة، وانشأ مزرعة تجريبية على مساحة ١٤٠ هكتارا للتحقق من الطاقات الزراعية في المنطقة.

اطلبوا العلم — ومع ان الشيخ زايد نفسه لم يتلق تعليما رسميا، الا انه يؤمن بان الدراسة ضرورة كبرى كالماء بالنسبة الى البدوي. وقد انشأ وهو حاكم المقاطعة الشرقية اول مدرسة ابتدائية للذكور في ابو ظبي في مدينة العين. وبعدما اصبح حاكما للمشيخة، أقرّ (في العام ١٩٧١) قانون يجعل التعليم في ابو ظبي الزاميا. ولان الشيخ زايد يعرف شعبه تماما ويدرك المصاعب التي يحدثها مثل هذا الوضع فهو رأى: "ان الطريقة الوحيدة لجعل البدو يأتون بابنائهم من الصحراء الى المدارس هي اغراؤهم بالمال". وقد منح الأب ما يعادل ٦،٥ دولارات شهريا في مقابل كل طفل عمره اربع سنوات ينضم الى المدرسة. وكان الطفل يحصل في المدرسة على وجبة الغداء مع تكاليف النقل وملابس جديدة مجانية ايضا مرتين في العام، بما في ذلك الملابس المدرسية وملابس الرياضة وبذلات الكشافة. وعندما تسلم الشيخ زايد زمام السلطة لم يكن في البلاد سوى ثلاث مدارس ابتدائية تضم ٥٢٨ تلميذا اما الآن فقد ارتفع عدد المدارس الى ٧٧ للذكور والاناث بداية من مرحلة الحضانة حتى المرحلة الثانوية العالية، تضم قرابة ٢٨،٠٠٠ تلميذ. وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٧ افتتحت في العين اول جامعة في ابو ظبي انتسب اليها في العام الاول ٤٠٠ طالب. اما في خصوص تعليم الكبار فهناك دورات تعليمية في العربية.

وبالاضافة الى المال الذي دفع للاطفال في مقابل ذهابهم الى المدرسة، تدفع الحكومة الى المحتاجين من ابناء ابو ظبي الذكور مساعدات شهرية من اموال الشيخ زايد الشخصية، وهي قد تصل الى

بضع مئات من الدولارات للفرد الواحد. كذلك، فقد انشيء ما يزيد على ١٥٠٠٠ وحدة سكنية مخفوضة الكلفة من اجل توفير منزل لكل محروم. وقد زودت تلك المنازل المؤلفة من طبقة واحدة والمبنية بالخرسانة المسلحة، بساحات مكشوفة واسعة لاعطاء البدوي احساسا بالحرية ومساعدته على التكيف مع الحياة الحضرية. وعندما سألت الشيخ زايد عن رأيه في مدى ما يمكن ان يقدمه الى ابناء وطنه من دون تجريدهم من البواعث والحوافز التي تميزهم، قال: "يتعذر على الانسان ان يقوم باي عمل اذا كان جائعا او بائسا. وهكذا، فاننا نتأكد اولا من حصوله على ما يحتاج اليه، وبعدئذ يستطيع ان يعمل ليكون خلاقا".

اما المرافق والتسهيلات الصحية فلم تقل شأنا في تغييراتها المهمة الملحوظة عما حدث في مجالي التعليم والاسكان. وعلى سبيل المثال، نذكر ان الشيخ زايد عندما تسلم سلطة الحكم، لم يكن في مشيخة ابو ظبي سوى عيادة طبية واحدة وطبيب واحد. اما اليوم فتضم مدينة ابو ظبي ثلاثة مستشفيات عصرية اضافة الى مستشفى مماثل في العين. وتشمل خدمات العناية الطبية الآن كل البلاد، ومن بينها عدد من المستوصفات والعيادات القروية والوحدات الصحية المتنقلة. وقد تم تطعيم معظم السكان ضد الكوليرا والجدري كما تم تطعيم جميع الاطفال ضد الشلل، وتتوافر المساعدات الطبية والعقاقير اللازمة كلها مجانا للمواطنين والمقيمين على حد سواء. واذا اقتضت حال المريض معالجة خاصة، فان الحكومة ترسل المريض الى الخارج لتلقي العلاج اللازم.

وليس من عادة الشيخ زايد ان يرد التماسا شخصيا لحاجة حقيقية تتصل بآبار الماء او المضخات او بذور الزراعة او الزواج. ومع انه يتلقى ٢٥ في المئة من عائدات البلاد بصفته حاكمها، فانه ينفق كل ذلك تقريبا على حاجات ابناء شعبه. ويقول: "انني اشعر كما لو كنت والدا لهذا الشعب. فكلهم ابنائي. ولا اكون سعيدا الا اذا رأيت وجوها سعيدة امامي وورائي وفي كل اتجاه من حولي".

وفضلا عن ذلك، فانه يبقى على اتصال مستديم بالشعب، تماما كما كان يفعل وهو في منصب حاكم المقاطعة الشرقية. فهو الآن يستقبل البدو الذين يقطعون مئات الكيلومترات عبر الصحراء على ظهور الجمال ليطلبوا من جوده هبة او لفض نزاع. وهو يتنقل ايضا في انحاء الواحة لزيارة البدو في مضارب خيامهم. ولا شيء يبعث على السرور في نفسه ونفوسهم اكثر من ممارسة هواية صيد الطيور بواسطة تلك الصقور الجارحة والاقامة في الصحراء او المشاركة في سباق الأبل.

ويقول الشيخ زايد: "ان بلادنا تشبه سفينة اثرية حاولت الابحار في عكس اتجاه تيار التاريخ. وقد عقدنا العزم الآن على تجديد هذه السفينة وتجهيزها بلوازم الحياة العصرية لكي يتسنى لها ان تقودنا باطمئنان واتزان في رحلتنا الى الملاذ الامين المستقر. ونطلب التوفيق والارشاد من الله عزّ وجلّ لكي نبلغ هذا الهدف".

■ روث شلدون نولز

قل لي كيف تنام أقل لك من أنت

يتبين من البحوث الطبية ان الاوضاع التي نفضلها في طريقة نومنا تكشف الكثير عن تصرفاتنا في اليقظة.

عندما ننتقل من عالم اليقظة الى عالم النوم، فاننا نتخلى ولا شك عن نوع من الحياة وندخل في وضع مختلف تماما من الوجود. غير ان ذلك الجسم النابض في الظلام ليس مجرد جسم فحسب، وانما هو جسمنا بالذات. وهو في كل الظروف جزء لا يتجزأ من طريقة انتمائنا الخاصة الى العالم.

وفي الواقع، فان طريقة نومنا هي نفسها طريقة عيشنا. فقد ننام متمددين على معدتنا او الى جانبنا او على ظهرنا. وقد تكون ساقانا منفرجتين كثيرا او مضمومتين متلاصقتين، وذراعانا ممتدتين بعيدا او مقتربتين جدا من جسمنا. فكل هذه الاوضاع التي نتخذها في الظلام تروي لنا قصة حياتنا الواقعية المتغيرة، وتكشف عن طريقة شعورنا بأنفسنا. وعن عالم يقظتنا.

كيف يحدد المرء وضع نومه؟

من الامور السهلة ملاحظة الوضع الذي يتخذه لحظة استلقائه في الفراش. واذا ما استيقظ بعد ذلك في الليل فعليه ان يلاحظ طريقة تمدده في الفراش، واخيرا، عليه ان يتذكر الوضع الذي يجد نفسه فيه عندما يستيقظ في الصباح.

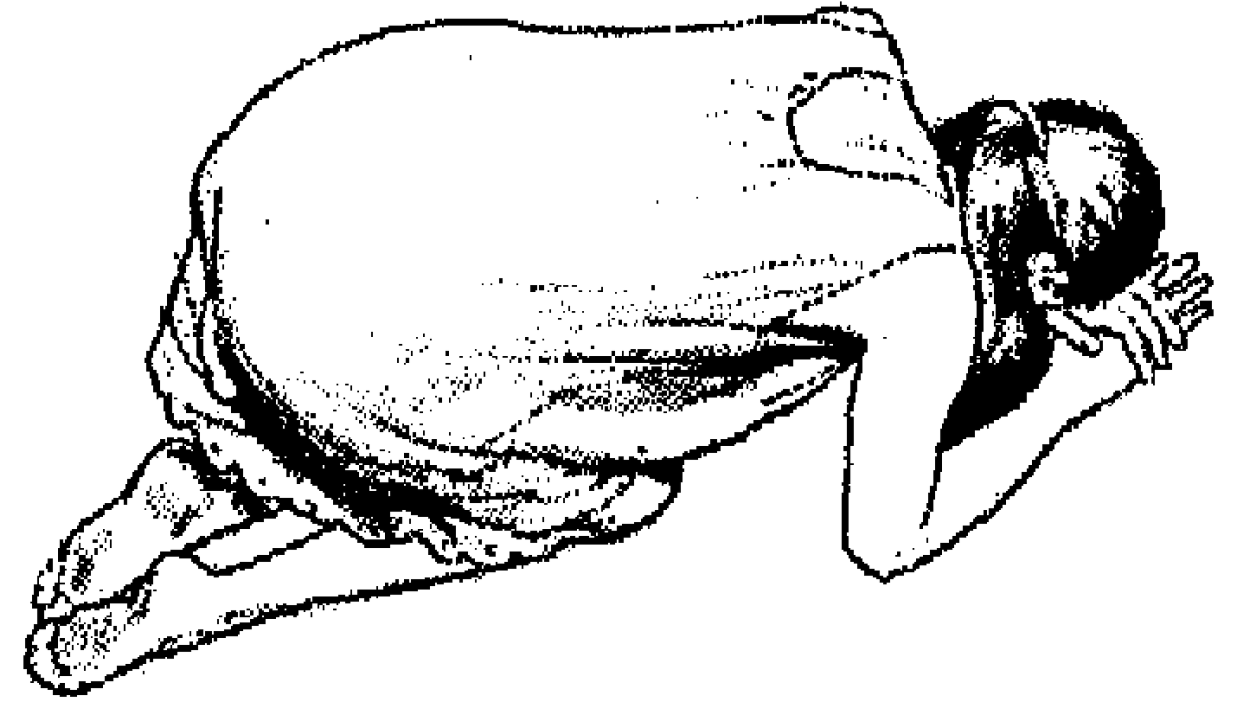
ولئن كان النائم يتقلب في عشرة اوضاع مختلفة او اكثر على مدى ليلة واحدة، فانه لا يستمر في معظم تلك الاوضاع الا فترة قصيرة كمجرد اوضاع انتقالية. ومثال ذلك ان المرء عندما يتعذر عليه ان يغفو في وضع نومه الاعتيادي – ولنفترض انه وضع شبيه بوضع الجنين في الرحم – (كما يبدو في الرسم الايضاحي) فانه – ذكرا كان ام انثى – يتحول الى وضع يعطيه مقدارا اكبر من الاحساس بالامان (جنيني تام) او يتيح له سيطرة على مساحة اكبر من السرير (منبطح)، او انه يتخذ "الوضع الملكي" لدى بداية استقراره.

وفي محاولة ادراكك لطريقة حياتك الاساسية من بين اوضاع النوم الثمانية الموضحة في ما يأتي، ينبغي لك الا تفترض ان وضعا ما هو بالضرورة "افضل" من وضع آخر. وتذكر ان طريقة نومنا هي مجرد انعكاس عام لحالنا في الحياة: افراحنا واحزاننا، حبنا ومخاوفنا. لذلك، لا تتردد في معرفة وضع نومك المفضل وما يدل عليه بالنسبة اليك. لكن لا تدع هذا الأمر يقض مضجعك.

■ الدكتور س. دانكل

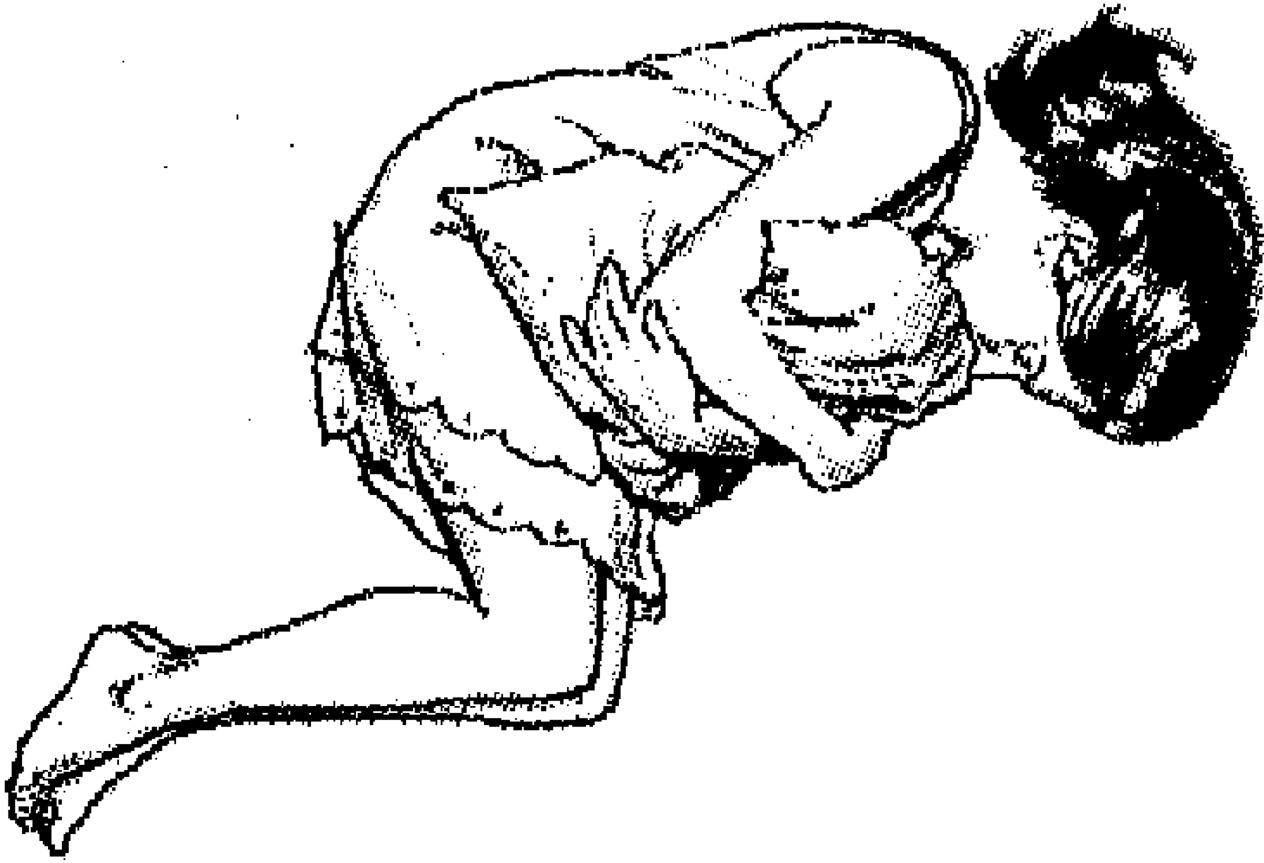
وضع "ابو الهول"

هذا الوضع يتخذه الاطفال عامة والكبار احيانا. والنائمون في وضع "ابو الهول" يرفعون ظهورهم وهم جاثون على ركبتيهم، مقاومين عالم النوم. وعند الكبار كثيرا ما يرتبط وضع "ابو الهول" بمن لا يستطيعون الاستغراق في النوم ويريدون العودة الى عالم اليقظة باسرع ما يمكن ليستمروا في صراعهم مع الحياة اليومية.



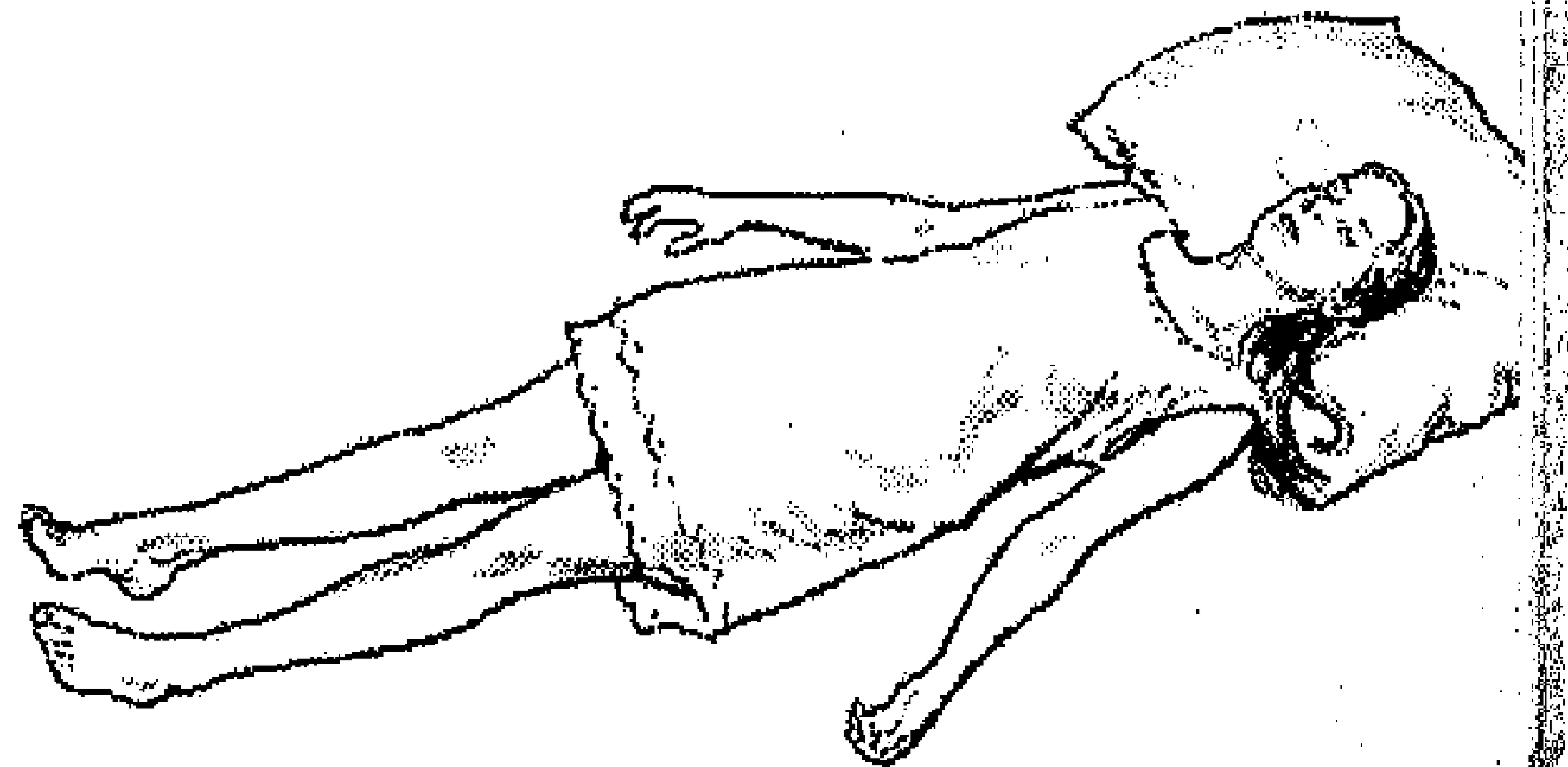
الوضع الجنيني التام

يضطجع النائم على احد جانبيه في وضع انثناء قد يضم فيه اليه شيئا ما كوسادة وتكون الركبتان مسحوبتين في اتجاه البطن والساقان متلاصقتين والذراعان مثنيتين حول الوسادة او حول البطن. في عالم اليقظة، يظهر الاشخاص الذين ينامون على هذا النحو رغبة قوية في الحماية. ويتمسكون بنمط من العلاقات يوفر لهم الأمان، ويقاومون التعرض لكل ما في الحياة من مسرات ومصاعب.



الوضع الملكي

يقول احد الامثلة القديمة: "ينام الملك على ظهره والحكيم على جانبه والغني على معدته". والذي ينام في الوضع الملكي، اي على ظهره، يشعر عامة بانه ملك نومه وملك يقظته على السواء. وهؤلاء الاشخاص كانوا محط العناية والانتباه في طفولتهم والذين ينامون في الوضع الملكي يتمتعون عادة بالطمأنينة والثقة بالنفس وقوة الشخصية. وسواء أكانوا نائمين ام يقظين، فانهم يتقبلون امور الحياة بصدر رحب وييسرون بالعطاء والأخذ.



السندويش

في هذا الوضع المنحرف للوضع شبه الجنيني، توضع احدى الساقين فوق الاخرى بحيث يكون الفخذ والركبة والكاحل في احداهما ملامسة للاجزاء نفسها من الساق الاخرى. ويدل هذا الوضع على مقدار كبير من الامتثال والطاعة في حياة الشخص. وفي عالم اليقظة كما في عالم النوم، نجد ان الذين ينامون في وضع السندويش يسعون الى اقامة علاقة متجانسة مع العالم.



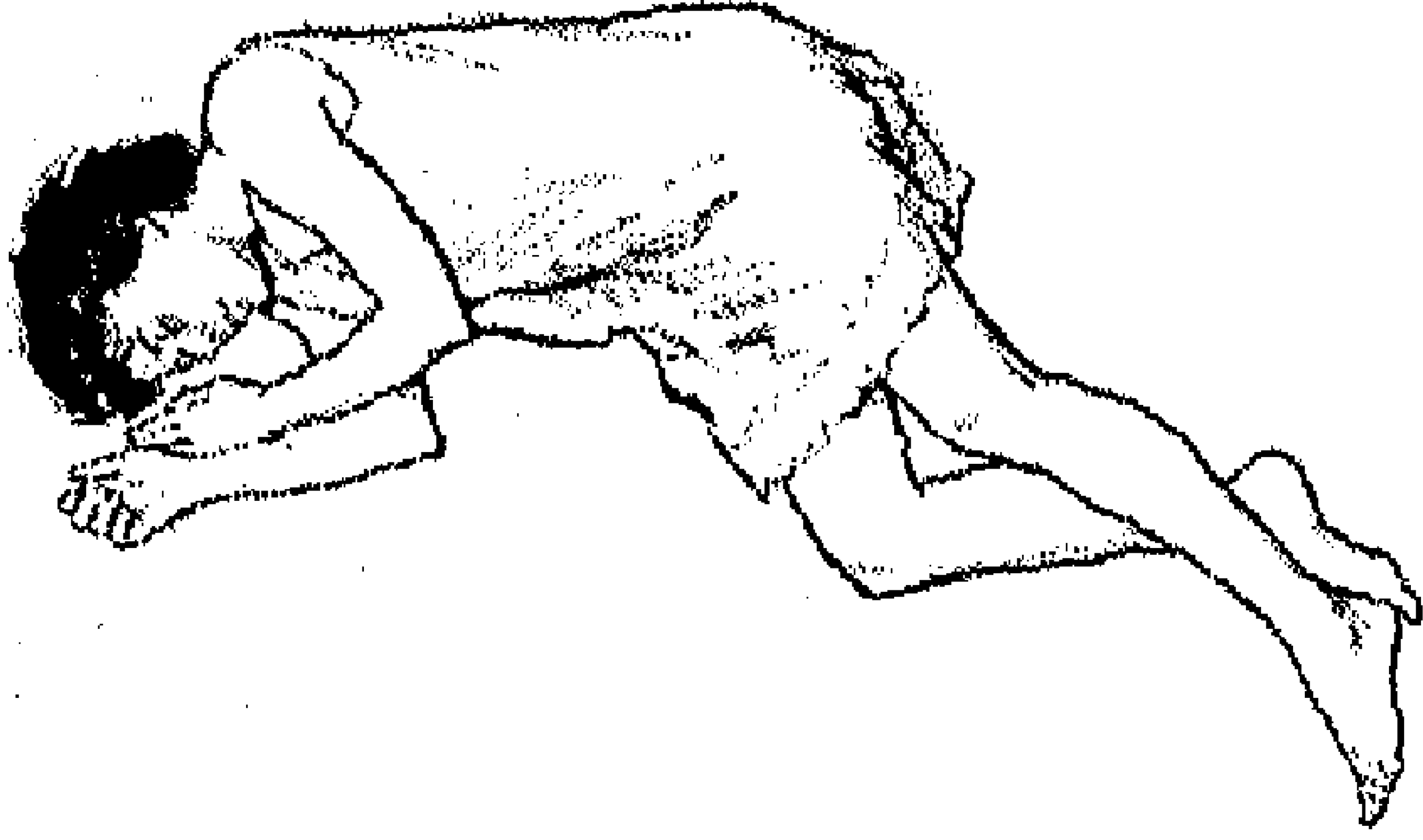
المومياء

ان الاشخاص الذين يقمطون انفسهم تماما بالاغطية بحيث يكونون مقيدين تقريبا طوال الليل يختبئون عن العالم معطين برهانا سافرا على جبنهم. وهم يخشون المواجهة مع الحياة، فتراهم، مثلا، ينزعون الى الانزواء في احدى زوايا الغرفة في اثناء حفلة ما.



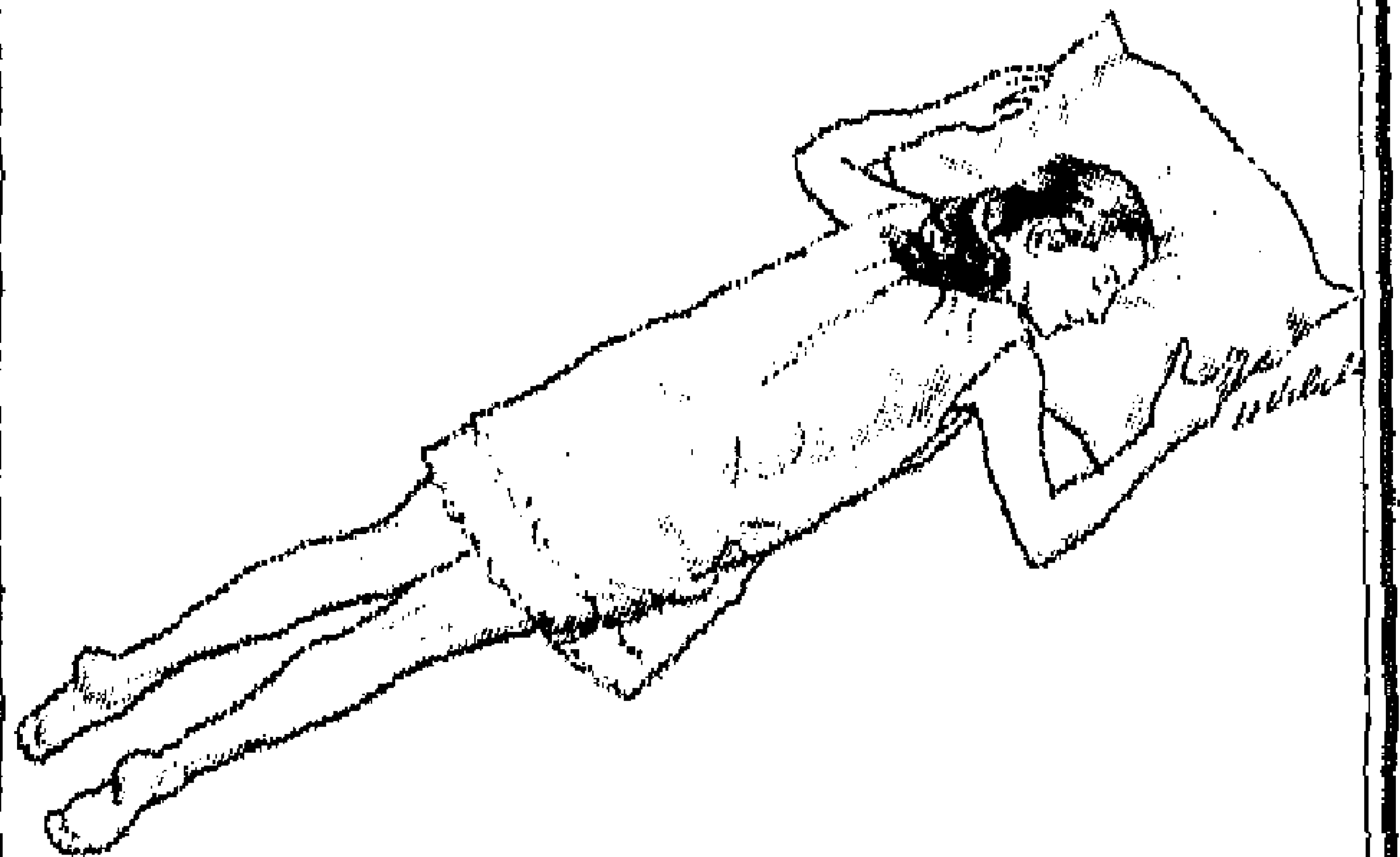
السلسلة المركبة

ان وضع قدمينا في النوم يكشف الشيء الكثير عن مواقفنا في الحياة، فمثلا، الاشخاص الذين يخشون المجهول غالبا ما يضعون احدى القدمين او كلتيهما تحت الفراش وثمة آخرون ممن يشعرون بحاجة مستمرة الى طريق هرب مفتوح، قد يتركون قدميهم مدلاتين بمرونة على جانب السرير والكاحلين متقاطعين، كما هي الحال في السلسلة المركبة. وهذا الوضع يكشف عن شخص قلق وعاجز عن تحقيق تقدم.



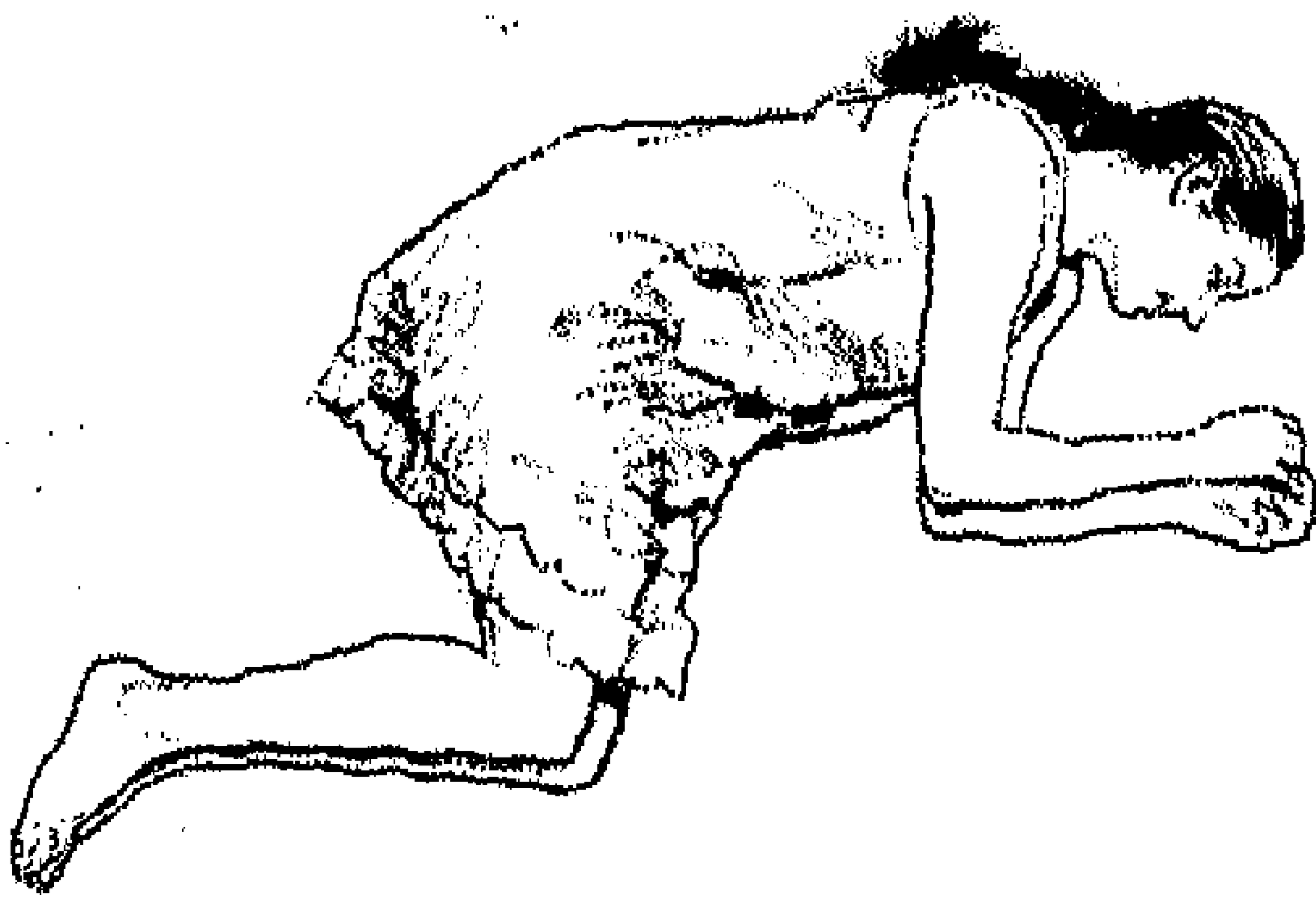
الانكفاء

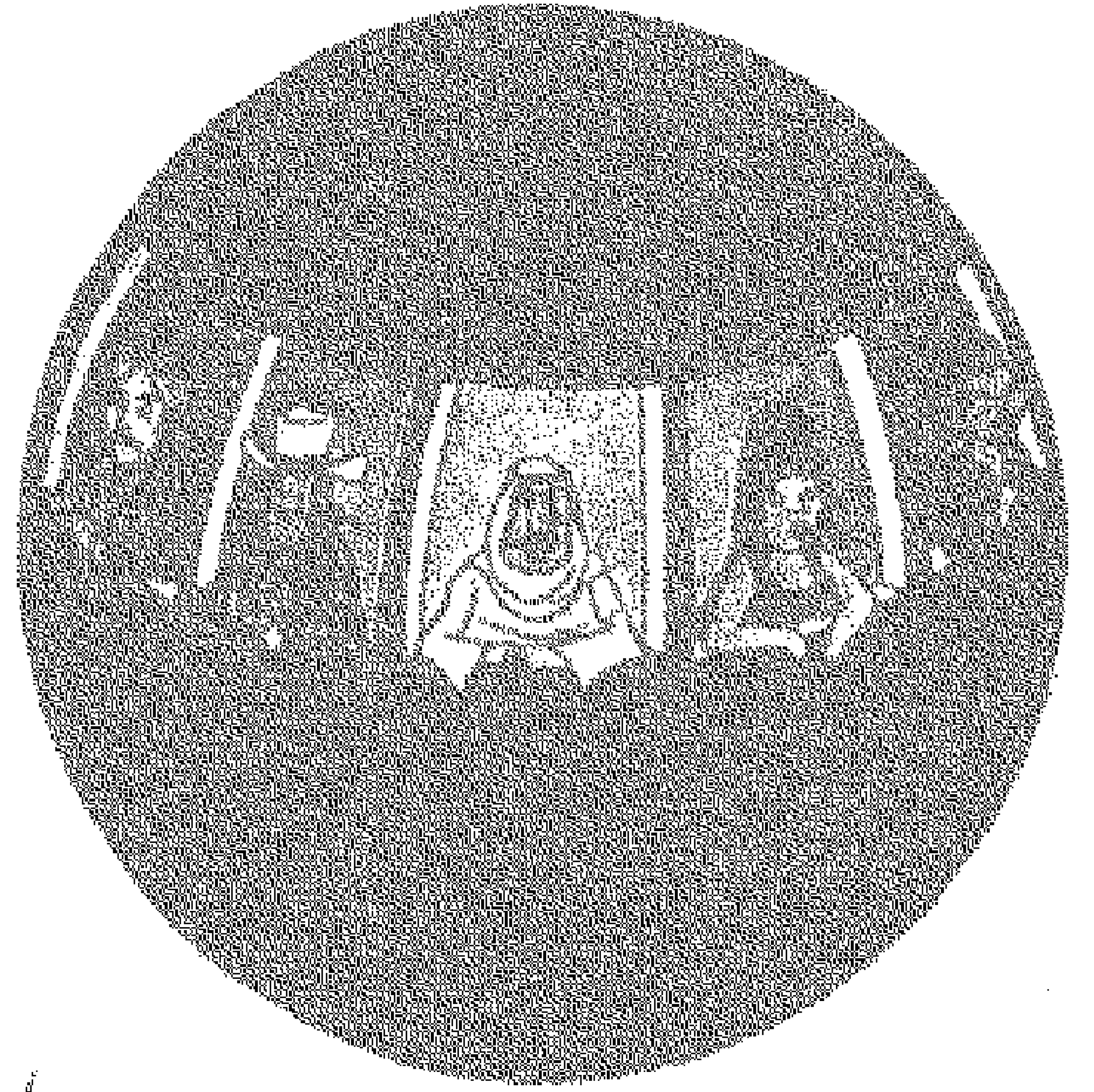
الذي ينام في هذا الوضع يحاول السيطرة على مساحة السرير وتملكها وحماية نفسه من المفاجآت. والذين ينامون منكفئين على وجوههم يظهرون اندفاعا مشابها لتنظيم احداث حياتهم اليقظة. وهم لا يحبون الامور المفاجئة، بل ينظمون حياتهم على نحو يجنبهم المفاجآت. وهم محافظون على مواعيدهم ومرتبون وديقون.



الوضع شبه الجنيني

هو اكثر اوضاع النوم شيوعا، والذين يختارونه يظهرون تكيفا معقولا مع العالم. وهم عادة متزنون ويشعرون بالطمأنينة، ولا يلتوون حول انفسهم سعيا الى الحماية من مستقبل غير واضح. وفي هذا الوضع يمكن التقلب من جانب الى جانب من دون الاخلال بالوضع الذي استقر عليه الجسم في النوم. وهذا امر معقول من ناحية الراحة الجسمانية.





حكايات صغيرة من العالم

ماذا نفعل بالصغار؟

الاقتصادي جون غالبريت رجل طويل القامة جدا وقد كتب في نظريته ان طوال الرجال هم بالفطرة فضلاء اكثر من القصار بالنظر الى ما يزودهم به الطول من وجاهة فهم واضحون للعيان ويستطيعون الحصول على ما يشاؤون.
ويروي غالبريت انه ذكر هذه النظرية امام الرئيس الفرنسي شارل ديغول – وهو نفسه عملاق – ويقول: "احنى ديغول رأسه بوقار بموافقة تامة لي، وما لبث أن اضاف واقسم من دون ان تختلج له عضلة: "ولكن ماذا عسانا ان نعمل بصغار الرجال؟"

ج.ب.

الكمان المسافر!

كان السفر يتسبب دائما في مشكلة كبرى لفريق جويليارد الرباعي للموسيقى الوترية، لان صناديق الكمان يصعب حشرها تحت مقاعد الطائرات. وحدث ان ارغمت شركة للطيران احد اعضاء الفريق على ان يشتري تذكرة سفر لكمانه، فما كان منه الا ان اجلس الكمان على مقعد، وربط حول عنقه منديلا وارغم المضيفة على تقديم وجبة طعام الى هذا الكمان مثل اي مسافر آخر.

د.ه.

اسئلة صعبة صعبة

كانت جون مونديل زوجة نائب الرئيس الامريكي والتر مونديل قلقة بعد انتخابه مباشرة خشية ان تنفذ عين الجمهور المسقطة على زوجها الى رأسها. تقول انها كلما فكرت باهمية دورها الجديد سرعان ما تذكر نفسها بسؤال عسير جدا تصعب الاجابة عنه حتى في برامج اختبارات التلفزيون: "ما هي اسماء ثلاث زوجات لنواب رؤساء الولايات المتحدة؟"

نجم امريكي ومرح!

قالت انيتا لوس كاتبة العديد من مخطوطات الافلام انها قلما كان يستهويها الرجل الوسيم، اذ كان اهتمامها الاول في الرجل ان يكون قادرا على اضحاكها، واردفت: "واما كلارك غايبل فلم يستطع اضحاك احد على الاطلاق. كان بسيطا للغاية ومستقيما. لكن شيئا ما حدث في الستوديو ذات يوم جعلني اقع اسيرته. كنت سائرة في آخر ممشى الحديقة وكان كلارك واقفا الى جانب حنفية يغسل طقم اسنانه فناداني قائلا: "يا انيتا هيا انظري نجم امريكا المحبوب" وعرفت لاول مرة ان عنده ملكة الفكاهة والنكتة.

جيم سبادا

الهيمنة السوفييتية على الشحن البحري

يشن الاسطول التجاري السوفييتي حربا لكسر الاسعار في المجاري المائية، مما يهدد الحركة في المسالك التجارية الرئيسية في العالم غير الشيوعي.

على رصيف ميناء كايزر فلهلم في مدينة هامبورغ الالمانية الممتد في غير نظام، كانت السفينة السوداء المصقولة "الكسي تولستوي" تفرغ حمولتها من خشب الفيليبين ومطاط بانكوك، فيما راح علمها الاحمر يخفق في الهواء. وكانت سفينة اخرى راسية هناك في انتظار ان يتم تحميلها في وقت قصير.

وعلى طول الشاطىء في مدينة روتردام الهولندية كانت مجموعة من سفن الشحن السوفييتية ترسو متلاصقة بعضها ببعض، وهي تشكل اسطولا يعرف باسم "العمود الاحمر" لشهرته بين خطوط المعسكر الشرقي البحرية.

وكانت السفينة البخارية السوفييتية الضخمة "بالتيسك" تتسلم حمولة من المواد الكيميائية فيما كانت الرافعات تحمل سيارات مستعملة لشحنها الى سورية على ظهر السفينة البخارية الالمانية الشرقية "فيتينبورغ".

وفي العام ١٩٧٢، بعد صفقة التي ابرمها الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون مع الاتحاد السوفييتي، فتح ٤٠ مرفأ امريكيا ابوابه للسفن التجارية الروسية، وذلك للمرة الاولى منذ اكثر من ٢٠ عاما. وسرعان ما بادر السوفييت الى استغلال هذا الموقف لا لنقل الحبوب المخصصة لروسيا فحسب بل كل انواع الشحن المرسلة الى مختلف الموانىء في ارجاء العالم. وفي غضون اربع سنوات اصبح الاسطول التجاري السوفييتي ينقل ١٣ في المئة من مجمل الشحنات بين الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية، ونسبة

ضخمة تبلغ ٤٣ في المئة من بقية الشحنات التي تخرج من البحيرات الكبرى الى البحر الابيض المتوسط والبرتغال واسبانيا والمغرب والبحر الاسود، باستثناء مرافىء الاتحاد السوفييتي.

واصبحت الاساطيل التجارية الروسية تعمل من سنغافورة الى سياتل ومن بانكوك الى بريمن لانتزاع اكبر حصة من عقود الشحن المجزية، ضمن اطار حملة واسعة النطاق تستهدف السيطرة على المسالك التجارية البحرية العالمية.

ومنذ عام (١٩٧١، تضاعفت طاقة حمولة السفن السوفييتية على المسالك التجارية الاوروبية الغربية الى ستة امثال ما كانت. وتتولى السفن الروسية حاليا نقل ما يقدر بـ٢٥ في المئة من بقية الشحنات عبر المحيط الاطلسي، وبنسبة مماثلة من الشحنات بين شمال اوروبا والبحر الابيض المتوسط. وقد اصبح هذا الغزو الروسي بمثابة شاغل خطر للامم الغربية التي تعاني البطالة والركود التجاري، كما تحذر من ذلك احدى لجان السوق الاوروبية المشتركة التي جاء في تقريرها ان بقاء الاساطيل التجارية الاوروبية الغربية مرهون بهذا الامر.

وهناك عملاقان من عمالقة الملاحة العالمية، وهما شركة هاباغ ـ لويد الالمانية الغربية وندلويد الهولندية، يشاطران اللجنة هذا الرأي بالتأكيد. وقد صرح احد مديري ندلويد في هذا الصدد: "اننا نناضل الان من اجل بقائنا".

خفوض في الاسعار ـ تدعي السلطات السوفييتية انها تسعر نار الاسعار لجني الارباح الوفيرة وذلك بقصد الحاق الهزيمة بالرأسماليين عن طريق الدخول في لعبتهم. وانما يصعب على السلطات السوفييتية ان تقر بان هذه العملية التي تتلقى معونة عالية النسبة من الدولة وتدار من قبلها لا تعتبر منافسة تجارية عادية.

ان السلاح الذي يستخدمه الشيوعيون هو خفض هائل للاسعار لا يستطيعه احد سوى المؤسسات التي تملكها الدولة. فالسفن السوفييتية تدفع للبحار الواحد ١٤٠ دولارا في الشهر كما تحصل على وقودها المسعر رسميا بنحو ٢٥٪ من السعر العالمي، ولا ترزح تحت اعباء التأمين او الاعباء المصرفية. ولا غرابة عندئذ ان يتمكن السوفييت من خفض اسعارهم بنسبة تصل الى اقل من ٧٠ في المئة من الاسعار التي يمارسها عملاء الشحن غير الشيوعيين. فهم يأملون في ان استخدامسلاح خفضالاسعار سيوفر لهم النجاح في احتكار مسالك الشحن الغربي الرئيسية فتتهدد، بالتالي، المسالك التجارية البحرية للعالم الحر تهديدا خطيرا.

وقد احرزت هذه الحملة حتى الان تقدما بالغا بفضل الجهد الجبار الذي يبذله السوفييت في بناء السفن. فقد بلغ محمول الاسطول التجاري السوفييتي ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٧ اربعة امثالما كان، اذ ارتفع عدد قطعاته الى٢٤٢٩ باخرة شحن وركاب، واصبح السوفييتيحتلون المرتبة السادسة بين الدول البحرية في ما يخص بطاقة الحمولة الطنية. واهم من ذلك انهم يحتلون حاليا المرتبة الاولى بين سفن الشحن والركاب الصالحةللقيام بعمليات محددة المواعيد، تلك الفئة الحاسمة التي تؤثر منافستها على اهم خطوط

الشحن البحري للعالم غير الشيوعي.
ففي اي يوم على مدار السنة تمخر البحر ٣٠٠ من هذه السفن الشاحنة على ٥٧ خطا عبر العالم يقدم فيها السوفييت خدمات محددة المواعيد. وتخضع هذه السفن كلها لرقابة المورفلوت المركزية في وزارة البحرية التجارية في موسكو التي تشرف على الـ١٦ خطاً للشحن في الاتحاد السوفييتي والوكالات التجارية المتفرعة منها في الخارج. وتتعاون المورفلوت على نحو وثيق مع المؤسسات التجارية السوفييتية الكبرى. وعندما تعقد هذه المؤسسات صفقة شراء او بيع في الخارج، فان شروط العقد تنص دائما تقريبا على ان يكون التسليم على متن سفينة سوفييتية. وهكذا فان السفن السوفييتية تنقل ٧٥ في المئة من السلع التجارية بين المانيا الغربية والاتحاد السوفييتي و٨٠ في المئة من تجارة الاتحاد السوفييتي مع بريطانيا و٩٧ في المئة من حجم التجارة بين اليابان والاتحاد السوفييتي.

النحل والعسل وثمة نقطة حاسمة لدى الروس تكمن في "المثلث الذهبي" للمرافىء التي تعتبر بوابة المراكز الصناعية الداخلية المتصلة الحركة في اوروبا الغربية. فمنذ عقد مضى، كانت السفن السوفييتية شيئا نادراً هناك، اما الآن فهنالك اكثر من ١٠٠٠ سفينة سوفييتية سنويا تبحر ذهابا وايابا من هامبورغ، و١٢٠٠ سفينة تصل الى مرفأ روتردام و١٥٠٠ – بمعدل اربع سفن يوميا – تصل الى انتويرب. ففي هذه المرافىء الكبرى حيث تكتظ العنابر بجبال من السلع المرسلة الى مئات الزبائن الاوروبيين، يركز العملاء انظارهم بحثاً عن ادنى اسعار الشحن الى المرافىء المعنية في بقية ارجاء العالم. فاندفع اليها الروس باعداد كبيرة اندفاع النحل نحو العسل.

ومن المخططات التي تنتهجها روسيا للسيطرة على قطاع الاعمال محاولتها في العام الماضي احتكار الشحنات التي تحملها السفن الغربية من اسيد الهيدروكلوريك، وهي حمولة خطرة تقتضي منتهى الدقة. وكانت الشركة الهولندية "نيدلويد" تنقل شحنات الاسيد هذه من اوروبا الغربية الى افريقيا الشرقية في مقابل ٢٥٧ دولارا لكل طن، وهو سعر متعارف عليه. وما كان من الروس الا ان اجروا اتصالات مع المصدرين الاوروبيين، عارضين عليهم شحن زجاجات الاسيد المعلبة في مقابل ٨٠ دولارا لكل طن، فوجدت "نيدلويد" نفسها مجبرة على الانسحاب.

وانه ليؤلم خطوط الشحن الغربية التي نزلت بها مثل هذه الضربة القوية ان ترى كبار الصناعيين في العالم الحر يحولون شحناتهم الى عملاء الشحن السوفييتي. واما عندما تقوم الحكومات بذلك فيطفح الكيل. ولذا، فقد ارتفع ضجيج الاحتجاج على اثر النبأ الخاص بقيام كل من مصلحتي بريد هولندا وبريطانيا باستخدام السفن السوفييتية لارسال بعض طرودهما الدولية البحرية. وقد كان سخط خطوط الشحن الهولندية والالمانية الغربية اشد من ذلك عندما بلغها ان الروس قد تمكنوا من التطفل على برنامج السوق الاوروبية المشتركة الخاص بمساعدة البلدان النامية.

بل ان الروس يتطاولون على عقود

تخص حكومة الولايات المتحدة الامريكية نفسها. فقد تولت اخيرا وزارة النقل الامريكية شراء ٤٠٠ سيارة كبيرة المانية الصنع لنقل الركاب بطول ٣٥ قدما (قرابة ١١،٥ مترا) من اجل برنامج نقل جماعي. وعندما وصلت ٥٠ سيارة منها الى هوستون على متن باخرتين سوفييتيتين علا ضجيج صاخب بين عملاء الشحن الامريكيين. فاحتج مدير احدى شركات الملاحة التي طرحت سعرا في مناقصة هذه العملية وقال شاكيا: "نحن لم يكن في وسعنا ان ندفع قيمة الوقود عبر الاطلسي حسب التسعيرة الروسية". وقد ندد النائب الجمهوري جون م. مورفي رئيس اللجنة النيابية للملاحة التجارية وصيد الاسماك، باستخدام السفن السوفييتية وطلب ان يتم نقل نصف الشحنات على الاقل على متن السفن الامريكية. واضاف: "ان هذا الامر سيحول دون عجز مليون دولار على الاقل في ميزان المدفوعات الامريكي، والا فانها اموال امريكية ستؤول الى الحكومة السوفييتية".

لعبة الاطفال - تستطيع روسيا ان تبرر المعونات الضخمة التي تقدمها الى اساطيلها التجارية، نظرا الى الفوائد الجانبية المتعددة الناتجة من ذلك، وفي مقدمها الفائدة السياسية. فالشيوعيون يدركون تماما ان ظهور المنجل والمطرقة في مئات من المرافىء عبر العالم، خصوصا في موانىء العالم الثالث السريع التأثر بالمظاهر، من شأنه ان يعزز النفوذ السوفييتي واغراضه السياسية. وفي المرتبة الثانية تأتي الفائدة الاستراتيجية، باعتبار الاسطول التجاري سلاحا للقيام بالعمليات العسكرية اذ ان مستخدمي سلاح البحرية يعملون عادة في الاسطول التجاري كما تستخدم ايضا ناقلات النفط التجارية في تزويد المدمرات والطرادات بالوقود. وعلاوة على ذلك فان كثرة من احدث السفن التجارية السوفييتية التي يسمونها "سفن الخفض والرفع" تعتبر مثالية لانزال الدبابات على الشواطىء او في المرافىء الضعيفة التجهيز. يضاف الى هذا ان كثرة ايضا من سفن الشحن الروسية العادية هي من الطراز المزود "بالمسطحات الطويلة" التي تتيح سعة خزن الشحنات المفرطة في الطول او نقل الصواريخ كما حصل ابان الازمة الكوبية عام ١٩٦٢.

وثمة مثال آخر عن التحالف العسكري التجاري: هناك على المسالك البحرية الافريقية تدفق منتظم من السفن الروسية التي تحمل شحنات عسكرية عبر البحر الاحمر لليمن الجنوبية الشيوعية واثيوبيا ومرافىء المحيط الهندي. ففي رحلة العودة تحمل هذه السفن الشحنات بابخس الاثمان - بمقدار ثلث ما تطالب به السفن التجارية.

وقد صرح احد القباطنة السوفييت: "اننا نشحن اي شيء باي سعر عوضا عن الرجوع بثقل الموازنة". ويكمن كسب السوفييت في امتصاص ارباح الشحن من اساطيل العالم الحر تقويضا للاقتصادات غير الشيوعية.

وثمة فائدة ثالثة كبرى يقدمها الاسطول التجاري وتتمثل في اتساع رقعة التجسس. فقد تولت السلطات السوفييتية، تحت شعار البحث عن الزبائن، فتح وكالات شحن في كل مرفأ عالمي مهم، وزودت كثيرا من هذه الوكالات بموظفين روس. وقال

احد كبار المسؤولين الاوروبيين الغربيين عن مقاومة التجسس: "لا تغلطوا، فهناك من بين مجموع الموظفين السوفييت في هذه الوكالات نسبة تبلغ ٢٠ في المئة على الاقل وترتفع في بعض الحالات الى ٥٠ في المئة، من العملاء المدربين الذين أُرسلوا الى هناك خصيصا للتجسس". ففي ميناء هامبورغ (المانيا الغربية) وحده ست وكالات شحن سوفييتية تستخدم قرابة خمسين مواطنا روسيا ومن ضمنهم ضابط عالي المرتبة من المخابرات العسكرية السوفييتية. ويجري الروس في المكاتب الفرعية الموزعة عبر المانيا الغربية فحصا دقيقا لعملية الشحن لدى كبار الصناعيين في المنطقة ويجمعون المعلومات المفصلة عن النماذج الصناعية والتجارية لاعظم دول اوروبا الغربية. ولهذه المعلومات قيمة بالغة لدى الاتحاد السوفييتي في السلم والحرب. ويعمل العملاء لجمعها ايضا في الاربعة عشر بلدا الاخرى التي تقوم فيها وكالات شحن سوفييتية.

ولا يحتاج الامر الى اجهزة ارسال سرية او الى رسائل بالحبر السري لنقل هذه الكتلة من المعلومات الى موسكو. فهناك عدد قليل من موانىء اوروبا الغربية تخضع فيها حركة التجارة السوفييتية لرقابة دقيقة من سلطات الامن المحلية او موظفي الهجرة. وهكذا فمن السهولة بمكان ان ينزل عميل الى اليابسة ويختفي وسط الزحام كما يسعه ايضا ان يصعد الى سفينة سوفييتية ويغادر البلاد بمثل هذه السهولة. واذا كان في مقدور الجواسيس ان يصعدوا الى السفن السوفييتية وينزلوا منها، فذلك سهل ايضا في ما يختص بصناديق الوثائق المحظورة او المعدات الالكترونية او الاسلحة او الذخيرة.

الحاجة الى عمل حاسم — اثبتت الجهود المشتتة التي بذلتها شركات الشحن الغربية للتصدي للتهديد السوفييتي عن طريق المفاوضات، عدم جدواها حتى الوقت الحاضر. وتعاقبت الوفود على زيارة الاتحاد السوفييتي لكنها لم تحظ الا بالوعود الطائلة والاعذار الواهية.

وتناقش السوق الاوروبية المشتركة مسألة القيام بنشاط مشترك من قبل دولها الاعضاء لمواجهة هذا الوضع الا ان التقدم الذي احرز حتى الان ما زال بطيئا. كما ان لجان الكونغرس الامريكي تناقش بدورها موضوع تشريع الرقابة، ولكن في شكل عرضي.

واما اذا ما شئنا التصدي للتهديد السوفييتي فلا بد لنا من القيام بعمل حاسم وسريع. وكخطوة اولى، يتعين على دول العالم الحر ان تضع اتفاقات الشحن التي ما تزال غير سارية المفعول حاليا مع موسكو، موضع التنفيذ. والمفروض بهذه الاتفاقات ان تؤمن المساواة للخطوط البحرية الغربية، الا ان موسكو قد منحت حصة الاسد لسفنها.

ثانيا، في وسع اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية واليابان ودول اخرى لها صلة بهذا الموضوع المطالبة بالترخيص الرسمي لوكالات الشحن الشيوعية التي تعمل على اراضيها وفرض رقابة صارمة على طرق ممارستها لنشاطاتها.

وعلاوة على ذلك، في وسع الدول غير الشيوعية فرض غرامات على

الشحنات التي تصل الى شواطئها على متن السفن السوفييتية .
واخيرا اذا لم تفض هذه التدابير الى نتيجة فقد تستدعي الضرورة القيام عنوة بتنظيم اسعار لشحن بقية البضائع المحمولة على متن السفن السوفييتية المتجهة من المرافىء الغربية واليها .
لقد دلت التجربة على ان الاتحاد السوفييتي يحاول تحت الضغط التوصل الى تسوية سلمية، وذلك قبل التصدي لتطبيق العقوبات الصارمة . الا ان الجهد الدؤوب الموحد هو الكفيل الوحيد بتحقيق ذلك . وكلما جاء هذا الجهد مبكرا، كلما كان ذلك افضل . فالمبادرة الفورية فقط هي التي ستمكننا من حماية التجارة المسالمة التي توارثها العالم الحر جيلا عن جيل .

■ **ادوارد هيوز**



هناك اشياء كثيرة اهم من النقود، غير ان هذه الاشياء ايضا تكلف نقودا .
ب . د . د . ف . فرنكفورت

تجارب الحياة هي التي تحدد عمر الشخص، مثل الحلقات السنوية التي تحدد عمر الشجرة .
بول هوربيغر

اعتمدت عيادة للتجميل العبارة الآتية للدعاية: "لا تغازل السيدة الجميلة التي تراها خارجة من هذا المكان، فقد تكون حماتك !"
(مجلة شتيرن - ألمانيا)

"نحن نقدر الصراحة من أولئك الذين يحبوننا؛ أما صراحة الآخرين معنا فنحن نسميها وقاحة" .
أندريه موروا

الزمن والأبدية

سأل أحدهم عالم الطبيعيات الشهير جورج كريستوف ليختنبرغ، الأستاذ في جامعة "جوتنغن"، عن الفرق بين الزمن والأبدية، فأجابه ليختنبرغ: "هذه مسألة صعبة، فلو أني ضحيت بالزمن اللازم لأشرح لك ذلك، لاضطرك الأمر الى انقضاء الأبدية كلها كي تفهمه" .

تمثال للجدات

وافقت السلطات اليوغوسلافية على اقتراح قدمه ممثلو احد الأحياء السكنية في العاصمة بلغراد لأقامة نصب تذكاري للجدات . يحمل العبارة الآتية: "للجدارة الفائقة في تربية الأحفاد ورعايتهم" . وسيقام هذا النصب في أحد متنزهات بلغراد، حيث تنشغل الجدات برعاية الصغار .
("وكالة الصحافة الألمانية")



اصداء من عالم الطب

التدخين يستعجل سن اليأس

النساء المدخنات يتعرضن لانقطاع الحيض في سن مبكرة اكثر من النساء غير المدخنات، هذا ما كشفته دراستان شملتا اكثر من ٣٥٠٠ امرأة في منتصف العمر، ونشرتهما مجلة "لانسيت" الطبية البريطانية. وتفيد احدى الدراستين ان النساء في سن ٤٨ - ٤٩ سنة اللائي تدخن كل منهن علبة سجائر كاملة او اكثر في اليوم (مفرطات في التدخين) يكون احتمال بلوغهن سن اليأس ضعف نظيره بالنسبة الى النساء اللائي لم يدخن ابدا. وكلما افرطت المرأة في التدخين كلما تدنّت السن التي تتعرض فيها لانقطاع الحيض.

والمصادفة وحدها هي التي ادت الى اكتشاف هذا "الارتباط المثير" بين التدخين وبلوغ سن اليأس، ذلك ان الاطباء هيرثيل جيك وجين بورتر والان س. موريسون العاملين في برنامج بوسطن التعاوني لمراقبة العقاقير، وهو مشروع دولي مستمر للبحوث، كانوا يستكشفون العلاقة بين التدخين وامراض القلب وكانوا يعلمون، من ناحية اخرى، من دراسة خاصة ان النساء اللواتي انقطع لديهن الحيض يرتفع بينهن معدل الاصابة بامراض الشرايين التاجية عنه بين النساء اللائي لم ينقطع لديهن الحيض بعد، على رغم انهن في العمر نفسه. وقد ادى تمحيص البيانات التي جمعت الى استخلاص دلائل تشير الى ان التدخين قد يكون بالفعل عاملا من عوامل التعجيل في بلوغ سن اليأس مبكرا، والى ان التدخين - وليس انقطاع الحيض في ذاته - قد يكون هو التفسير الحقيقي للارتباط الظاهري الذي سبق اكتشافه بين انقطاع الحيض ومرض القلب.

(جين ا. برودي، في النيويورك تايمس)

وداعاً للقروح الباردة؟

ان ملايين الناس - وربما واحدا من كل عشرة - يعانون في اوقات مختلفة القروح الباردة التي يتسبب فيها فيروس "هيربس سمبلكس". وتظهر هذه القروح القبيحة على الشفتين او حول العينين بل واحيانا على الاعضاء الجنسية وقد تؤدي الى اورام واوجاع اليمة قبل ان تختفي في نهاية الاسبوعين اللذين تستغرقهما. وعلى رغم تعدد الطرق التي جربت لمعالجة هذه القروح، فانها جميعا قد فشلت في تحقيق اي نتيجة مرضية. لكن اختصاصيي الامراض الجلدية في كلية الطب في جامعة بايلور، في هوستون في ولاية تكساس، قد تمكنوا بقيادة الدكتور تروي فيلبر، من تطوير علاج يبشر بشفاء عدوى هذا الفيروس وبتقليل تواترها.

وهذا العلاج الجديد لم يتم تعميمه بعد، ولكنه يتلخص في استخدام صبغة حساسة للضوء تقترن بمادة الفيروس الوراثية. وبهذه المادة الوراثية تزداد حساسية الصبغة الضوئية، وعندما يتم ذلك تمتص

اشعة الضوء الصادر من انبوبة فلورسانت عادية قوتها ١٥ واط فتتفتت وحدات المادة الوراثية للفيروس ويفنى الفيروس.
وقد طبقت هذه الطريقة الجديدة في معالجة اكثر من ١٠٠ مريض حتى الآن، فقال معظمهم انهم حصلوا على راحة سريعة من آلام القروح الباردة خلال فترة لا تزيد غالبا على ساعة واحدة من بدء تعرضهم للضوء. ولاحظ ٩٠ في المئة منهم ان قروحهم قد تكونت عليها قشرة لا تحدث اي الم خلال ٢٤ ساعة، ثم اختفت القروح نفسها تماما خلال فترة تراوح بين ٣ و٥ ايام. وكان هناك ٣٣ مريضاً يتعرض كل منهم للاصابة بهذه القروح اربع مرات على الاقل في العام الواحد، فقرروا جميعا ان تكرار اصابتهم قد انخفض الى النصف بعد العلاج، بل ان بعضهم قضى فترة تراوح بين ٨ اشهر و١٦ شهرا من دون ان يعاوده الفيروس!

اقراص منع الحمل للحيوانات الآليفة

يجد كثير من أصحاب الكلاب صعوبة في منع الكلبات في موسم التوالد من الاختفاء ثم العودة لتهدي اليهم بعد حين عددا من الجراء الصغيرة. ولكن هذه المشكلة قد أصبحت الآن قابلة للحل، اذ ابتكر دواء مانع للحمل لدى الكلاب يسمى "أوفابان" يمكن الحصول عليه بموجب وصفة طبية.
ويعطى الدواء للكلبة مع الطعام مرة في اليوم لمدة ثمانية أيام متتابعة في بدء دورتها الجنسية، فيزيل مرحلة النشاط الجنسي التي تسعى الأنثى خلالها الى ذكور الكلاب.
ويقول الدكتور هارلان ج. بيجبي، ممثل الشركة التي تنتج هذه الحبوب: "انها تعفي صاحب الكلبة من مضايقات بقع الأبسطة والسجاجيد، ومن التغيرات المزعجة في مزاج الحيوان خلال فترة النشاط الجنسي. كما ان التحكم في تكاثر الحيوانات الأليفة يتيح لأصحابها المساهمة في خفض عدد الحيوانات الضالة وما تتسبب فيه من ازعاج.

الناقل الذاتي للدم

توصل احد اطباء السلاح الجوي الامريكي الى طريقة بارعة لنقل الدم في اثناء الجراحة يمكنها ان تخفف الى حد بعيد من متاعب الافتقار الى هذا السائل الحيوي. فقد تمكن الدكتور جيرالد كليبانوف، رئيس بحوث الجراحة في مركز ويلفورد هول الطبي التابع لسلاح الجو الامريكي في سان انطونيو، من تصميم جهاز يسمى "ناقل الدم الذاتي" يتلقى الدم الذي يفقده المريض في اثناء الجراحة، فينقيه ويختزنه ثم يدفعه مرة اخرى في عروق المريض. وقد استخدم الناقل الذاتي في ٣٠ حالة مرضية في ويلفورد هول وهو لا يكلف اكثر من ١٥ دولارا، اي اقل بكثير من ثمن نصف ليتر من الدم. وفضلا عن ذلك فان نقل الدم ذاتيا على هذا النحو يلغي المشاكل المترتبة على فصائل الدم النادرة او على الخطأ في اختيار الفصيلة المناظرة.

(وليام هاينز - اذاعة "وستنغهاوس")

انفجار زجاجات الشراب الغازي

في صحيفة "الرابطة الطبية الامريكية"، يصف الدكتور بول بيرجسون وزملاؤه ثلاث حالات اصيب فيها بعض الافراد بجروح ثخينة من جراء انفجار زجاجات الشراب الغازي.
في عام ١٩٧٤ وحده عولج ٣٢٠٠٠ شخص بسبب اصابات ناجمة عن انفجار زجاجات المياه الغازية تلقائيا او عن اندفاع غطاءات الزجاجات او تناثر الزجاج. ومع ان الاسباب الدقيقة للانفجارات لا تزال غير واضحة (قد يكون تكرار استخدام الزجاجات التي تعاد فارغة لاعادة استعمالها سببا في حدوث عيوب بنيوية) فقد اقترحت تدابير وقائية متعددة: حفظ الزجاجات في مكان بارد ولكن لا يصل الى درجة التجمد، وتجنب رج الزجاجة، وتوجيهها بعيدا عن الجسم عند نزع الغطاء.

("طبيب الاسرة الامريكية")



حرّاسُ السّلام الأزرق

منذ اكثر من ٣٠ عاما ورجال الامم المتحدة ذوو القلنسوات الزرق يساعدون على اخماد نار الحرب حول العالم.

خرج جنديان كنديان في دورية كشفية ليلية في احد الازقة القبرصية الرهيبة التي يخيم عليها ظل الموت وسط استحكامات المدافع الرشاشة التي اقامها القبارصة اليونانيون والاتراك خلف اكياس الرمل. وفجأة تيقظ سمعهما لصدى طرقة حديدية جمدتهما في مكانهما، وكان ذلك صوت صمام امان البندقية وقد رفع استعدادا لاطلاق النار. فصاح احدهما: "الامم المتحدة - كندا"، بينما سلط ضوء مشعله الكهربائي على قلنسوته الزرقاء الخاصة بقوات الامم المتحدة. وما لبثا ان سمعا طرقة اخرى حين اعيد صمام البندقية الى وضع الامان. وتابع الجنديان طريقهما باعصاب متوترة.

تحركت سيارة استكشاف تنقل خمسة جنود نمسويين من قوات الامم المتحدة واندفعت بعسر في طريق من الحصباء على مرتفعات الجولان. ولم يعتم الامر حتى انبرت العجلات تدور في مكانها وكأنها تجرش الارض، فتفجر لغم من تحتها وأدى الى مقتل اربعة نمسويين.

ذات ليلة ضجت اجهزة الرصد بصفير الانذار في مركز المراقبة المشرف على ممر ميتلا في صحراء سيناء وبدا ان شيئا يعبر الممر، "ربما كان سربا من الدبابات الخفيفة"، كما ظنه المراقبون الامريكيون المدنيون في تقريرهم عن الحادث خلال نوبة الحراسة الليلية. وما ان بزغ صباح اليوم التالي حتى اكتشف المحققون ان الامر لم يكن سوى قطيع من الجمال الهائمة على وجوهها.

حاول نفر من الاسوجيين والايرانيين المسلحين بالبنادق وقف القتال الضاري على نهر الليطاني في لبنان. فقال احد المسؤولين من ممثلي الامم المتحدة هناك وقد تملكه القلق: "ارجو الا نرى جثثهم عائمة فوق الماء". ولم يكذب حدس المسؤول، ففي اليوم التالي لقي جندي اسوجي حتفه واصيب آخر بجروح خلال عملية

نزع الغام من احد الجسور.

هذه امثلة من المضحكات والمفزعات والمبكيات المحيقة بالجنود والمدنيين الذين يحافظون على السلام المتزعزع. وتتألف هذه القوات من العناصر التي توفدها مجموعة من الدول في تشكيلات متبدلة تظهر على مسرح الاحداث كلما دعت الحاجة. وهي قوات اشتركت في عمليات حفظ السلام في انحاء كثيرة من العالم بما فيها البلقان بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ ولبنان عام ١٩٥٨، والكونغو من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ وغينيا الجديدة الغربية عام ١٩٦٢، واليمن عام ١٩٦٣.

حراسة السلام ـ لقد قام جنود الامم المتحدة باعمال الحراسة في الشرق الاوسط بصورة شبه مستديمة منذ عام ١٩٤٨، واشرفوا على الهدنة في كشمير منذ ١٩٤٩، وكافحوا لكي يحولوا دون المذابح في قبرص منذ ١٩٦٤. وفي شهر مارس (آذار) ١٩٧٨، استدعي هؤلاء الرجال ذوو القلنسوات الزرق مرة اخرى لانهاء الاعمال العدائية فيجنوب لبنان. واقتضت مهمتهم ان يزجوا بانفسهم ما بين المتحاربين لاعطاء المتفاوضين مهلة للتوصل الى حل شامل. كثيرا ما كان هؤلاء الجنود عرضة للعيارات النارية، وكثيرا ما نزفت دماؤهم ومات بعضهم فبلغ عدد قتلاهم ٥٠٠ تقريبا. ومع ذلك فانه لا يسمح لهم باستعمال اسلحتهم ـ وهي قليلة ـ ما لم يتلقوا تعليمات مغايرة من الامين العام للامم المتحدة وذلك في "حال واحدة فقط، كوسيلة قصوى للدفاع عن النفس". اما ان تكون هذه القوات شبه العزلاء نجحت مرارا في صون السلام، فذلك يرجع الى ثقتها بالحياد من جهة واستعداد المقاتلين من جهة اخرى لقبول الحلول الوسطى التي تتوصل اليها الامم المتحدة. وحيث لم يتوافر مثل هذا التعاون كما هي الحال في الشرق الاوسط، فقد اختلف الوضع: اشتباكات لا تحصى واربع حروب كبرى في فترة ٣٠ عاما.

وبناء على نصوص معاهدة الهدنة في اعقاب حرب اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٣، وضعت الترتيبات لانشاء منطقتين عازلتين: واحدة في سيناء تفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية والثانية في مرتفعات الجولان تفصل بين القوات السورية والاسرائيلية. وتتولى الاشراف على هاتين المنطقتين قوات دولية تتألف من خليط معقد من القوميات والاسماء فالقوات التي تحرس المنطقة العازلة في سيناء، وقوامها ٤٢٠٠ رجل، تتكون من فئات اسوجية وغانية واندونيسية وفنلندية، وتعرف باسم قوة الطوارىء الدولية. بينما تتولى حماية الجولان قوة فك الارتباط الدولية، وتتألف من ١٢٥٠ جنديا من النمسا وايران. وفي الوقت نفسه تضطلع قوات كندية وبولونية باعباء المساندة الادارية في كلا المنطقتين، اضافة الى مفرزة اوسترالية للطائرات العمودية في سيناء.

وهناك ايضا قوة المراقبين العسكريين الدولية التي ما برحت تراقب الحدود الاسرائيلية ـ العربية منذ عام ١٩٤٨ وهي تضم قرابة ٣٠٠ ضابط يتم اختيارهم بموجب نظام الحصة النسبية من ١٧ دولة بما فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، ويتولى الاشراف عليها

قائد غاني من منظمة مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة، وتشرف على اعمال هذه القوة منظمة مراقبةالهدنة التابعة للامم المتحدة بقيادة الجنرال المحنك انزو سيلاسفيو الذي تتضمن مهماته ايضا تنسيق العمليات على كل الجبهات.

لكن الامور لا تنتهي عند هذا الحد. فهناك ايضا بعثة ميدانية في سيناء، يقرب عدد افرادها من ١٧٠ مدنيا امريكيا طلبتهم كل من مصر واسرائيل لادارة نظام الانذار المبكر في ممري ميتلا والجدي. ومع ان هذه البعثة ليست جزءا من كيان الامم المتحدة،اذ هي تتلقى اوامرها من وزارة الخارجية الامريكية مباشرة، الا انها تزود جميع الاطراف في اسرائيل ومصر والامم المتحدةوواشنطن على حد سواء بالتقارير الخاصة بانتهاكات الهدنة. ويدير كل من الاسرائيليين والمصريين محطات الرصد الالكتروني المستقلة في منطقة الانذار المبكر مما يجعل مراقبة هذه المنطقة من ادق المراقبات في العالم.

اكبر المآثر – ومن اكبر المآثر التي يتباهى بها حراس السلام في قوات الامم المتحدةفي المنطقة المعزولة من سيناء ان هذه القوات لم ترد ابدا على اطلاق النار عليها. والا فكيف يتسنى لرجال عزل ان يقنعوا المحاربين المسلحين بالانصياع لاوامرهم؟ فقد قال الرقيب كريستيان فنت الاسوجي: "المهم ان تحافظ على رباطة جأشك، وان تتحرك بصورة مستديمة كي لا يتحققوا من ارتجاف ركبتيك". اما الكولونيل الفنلندي تاونو كوسا، الحاد الطبع، فقد اعتمد اسلوبا آخر عندما اخفق في اقناع احدى الوحدات السورية بالتوقف عن قصف الاسرائيليين الذين كانوايحاولون استرداد جثة طيار اسقطت طائرته فوق الجولان. فقد اطلق الكولونيل العنان لحنجرته وامطرهم بوابل من الشتائم باللغة الفنلندية، انقطع على اثرها اطلاق النار. وفي اليوم التالي تسلم الكولونيل مذكرة من السوريين باللغة العربية، فهم من ترجمتها التقريبية الى لغته ما يأتي: "اننا نعتبرك استاذا لنا ومربيا، ونكن لك فائق الاحترام . وعليه، فنرجو الا يتكرر منك مطلقا مثل هذا الكلام الفاحش الذي تفوهت به يوم امس".

يضطلع افراد القوة الدولية في المنطقة العازلة في سيناء بمسؤوليات جمة، وتقع على عاتقهم حراسة منطقة تربو مساحتها على ١٤،٥٨٠ كيلومترا مربعا، مع العلم ان عددهم لا يزيد على ٤٢٠٠ رجل يتولون تأمين نقاط التفتيش ليلا ونهارا وانتقال الدوريات على طول خطوط الهدنة ومراقبة الانتهاكات الجوية ونقل المؤن وازالة الالغام ومكافحة انكثاب الرمال فوق الطرق ومنع البدو الرحل من تخريب انابيب الماء الثمين. اضف الى هذا ان الظروف التي يعيشون فيها هي من اسوأ ما يقاسيه الانسان على وجه الارض: قفر من الصخور والكثبان لا ماء فيه، وحشود من الذباب اللاذع والعقارب، ومناخ ترتفع معه الحرارة وسط النهار الى ٥٠ درجة مئوية ويتدنى البرد القارس ليلا الى تحت درجة التجمد.

وحدة في التعدد – ويعيش جنود الامم المتحدة، على رغم الاختلافات الحضارية والثقافية القائمة بينهم، في وئام وانسجام، ويتمتعون

بمعنويات مرتفعة جدا. وما يلطف من الضجر والرتابة في حياتهم نزعتهم الى الدعابة والمزاح. فانت تجد احيانا منبسطات في الصحراء مرصعة بلافتات تقول: "الدوس على العشب ممنوع". كما يتبادل الجنود شاراتهم العسكرية ويتبارون في العاب كرة القدم والكرة الطائرة والرماية بالمسدسات. وتتولى الفرقة الموسيقية الغانية بعزف النشيد الوطني البولوني في العروض العسكرية، ويدعو الفنلنديون زملاءهم الاندونيسيين الى حمام السونا البخاري، ويرد الاندونيسيون على تلك الدعوة بوليمة من اطباق "الكاري" الكثيرة التوابل.

اما القوات الجبلية الالبية النمسوية في مرتفعات الجولان فاشد ما تشكو منه في المنطقة العازلة هو جبل الشيخ الذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر وتعصف فيه رياح تناهز سرعتها ١٨٥ كيلومترا في الساعة، حتى ان الجنود يقومون بنوبات الدورية شتاء على الزلاجات وسط عواصف ثلجية كثيفة تتعذر فيها الرؤية الى حد يضل معه الرجال وسائقو العربات طريقهم. وقد اخبرني الملازم ج. شتاينز ان المنطقة هنا "اسوأ كثيرا من اي موضع في جبال الالب".

غير ان هذه القوات لقيت، على الاقل، ترحيبا من الاهالي في المنطقة لم تصادفه قوة الامم المتحدة التي جمعت على عجل من فرق فرنسية وايرانية واسوجية سعيا الى انهاء الاعمال العدائية في جنوب لبنان. وكان الاسرائيليون والفلسطينيون ينكئون بالقرب من دباباتهم ومدافعهم الامريكية والروسية الجبارة ويبتسمون ازدراء بالبنادق والمدافع الرشاشة التي يحملها جنود الامم المتحدة ذوو القلنسوات الزرق. وقد اقتعد الاطفال اللبنانيون الارض ليسدوا الطريق في وجوههم. كما اطلق عليهم النار رجال المليشيات اليمينية. وعلى رغم ان منظمة التحرير الفلسطينية وافقت بمضض على وقف اطلاق النار، فقد راح اليساريون المنشقون يطلقون صواريخ الكاتيوشا السوفييتية الصنع من فوق رؤوس جنود السلام صوب اسرائيل ومواقع المليشيات اليمينية ويصعب التكهن بما اذا كانت قوات الامم المتحدة، التي عززت بقوات اضافية من النرويج ونيبال والسنغال ستستطيع منع المسلحين هناك من التسلل عبر خطوطها.

اما الحال في قبرص فهي على خلاف الوضع في الشرق الاوسط، حيث تفصل القوات المتعادية مناطق عازلة واسعة. فليس في قبرص الا قاب قوسين بين القوات المتواجهة حيث ترابط قوات الحرس الوطني للقبارصة الاتراك وقوات الجيش التركي على مرمى بندقية. وقد ارسلت قوات الامم المتحدة الى قبرص عام ١٩٦٤ حين تناهشت الجزيرة آلام الحرب الاهلية، وبقيت هناك منذ ذلك الوقت. وسادت البلاد هدنة متقلقة حتى عام ١٩٧٤ حين دبر المهيجون من مثيري الفتن القبارصة اليونانيين، بمساندة الديكتاتورية العسكرية في اليونان، انقلابا تسبب في دخول جيش من الاتراك الى قبرص كان يرابط في قواعد تركية لا تبعد اكثر من ٦٥ كيلومترا عبر البحر الابيض المتوسط. وما ان تم الترتيب

لفرض هدنة جديدة حتى كان الاتراك قد استولوا على الجزء الشمالي من الجزيرة الذي لا يزالون يحتلونه حتى الان.

وتغشى وجه قبرص الان ندوب تتمثل في صفين من الاسلاك الشائكة والاستحكامات يخترقان المزارع والقرى على امتداد الجزيرة. ويتوسط الصفين خط رقيق من ذوي القبعات الزرق للحفاظ على السلام، قوامه ٢٨٠٠ رجل جاؤوا من الدانمارك وبريطانيا وكندا واسوج وفنلندا والنمسا وايرلندا بقيادة قائد ايرلندي.

وتقع الحوادث بين الحين والاخر باطلاق النار، ولكن لحسن الحظ يندر ان تسفر عن اصابات. قد شرح لي الكابتن الكندي تشاك مكابي، ونحن نجتاز في السيارة منطقة مجردة من السلاح في العاصمة نيقوسيا، اسباب تلك الحوادث: "انها تبدأ عادة بالشتائم والاهانات او بكتابة البذاءات على الجدران، وسرعان ما يتلوها التراشق بالحجار. وتتلخص مهمتنا بعدئذ في الاسراع الى المكان قبل ان تنطلق المدافع الى الميدان".

ومن المهمات الاخرى الشاقة التي يتولاها جنود الامم المتحدة السهر على استمرار قابلية الحياة في الجزيرة. فهم يرافقون الاطفال الى مدارسهم في مناطق الحدود، ويذودون عن المزارعين والرعاة في الحقول، ويحرسون انابيب الماء وخطوط النقل الكهربائي التي تتقاطع وتتشعب عبر الحدود الفاصلة ويلبون حاجات اللاجئين الذين يعيشون في الخيام والاكواخ.

ان ثلث الشعب القبرصي اجتثت جذوره، فقد نزح معظم السكان القبارصة الاتراك، وعددهم ٤٤،٠٠٠ نسمة، من المنطقة القبرصية اليونانية، بينما فر او ارغم على الهجرة من الجانب التركي قرابة ٢٠٠،٠٠٠ قبرصي يوناني. ولعل اكثر المشاهد هولا في قبرص مشهد المطار الحديث المهجور في نيقوسيا وسط الحدود بين اليونانيين والاتراك، فكأنه طيف حضارة خمد مشعلها واندثرت بغتة. وما زالت عقارب ساعة المطار متوقفة عند الثامنة والدقيقة الثانية والخمسين، بينما هجعت على مجاثمه ثلاث طائرات للركاب وقرابة ٢٠ طائرة خاصة يتأكلها الصدأ، وهي الطائرات التي وقعت في شرك الاحداث قبل ان تتمكن من الاقلاع صيف ١٩٧٤.

لا غنى عنهم — ترى كم يطول بقاء القوات الدولية في الشرق الاوسط وقبرص؟ يجيب الجنرال سيلاسفيو عن ذلك: "حتى تعود الاطراف المتنازعة الى رشدها وتهتدي الى التسوية السلمية". فلو سحبت قوات حفظ السلام قبل هذه التسوية لعادت المدافع الى الدوي عند الحدود الاسرائيلية والتهمت النار قبرص التهاما.

ومع ذلك، فهناك عدد من النقاد، وبينهم ضباط في القوات الدولية، ينادون بوقف التدخل العسكري ويزعمون ان الدول، لو اتيح لها ان تتقاتل في حروبها حتى النهاية فسيرغم المنتصرون والمهزومون جميعا على التوصل الى تسوية نتيجة الانهاك والافلاس. ويضيف هؤلاء النقاد ان القوات الدولية، بزج نفسها في الوسط، انما تزود المتحاربين

بدرع واقية تيسر لهم مداراة آلامهم وجروحهم وتعزيز قواتهم تأهبا لخوض جولة اخرى من القتال·

والخطأ في هذه الحجة طبعا هو ان الدول الصغيرة يتعذر عليها شن الحروب من دون عون خارجي· ففي الشرق الاوسط مثلا، اندفع الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في اثناء النزاعات الاسرائيلية العربية كل الى حليفه مزودا اياه بالذخيرة والعتاد· وربما ارسلت الدولتان الكبيرتان قواتهما ايضا في المرة المقبلة، مما يصعد سعير النار الاقليمية الى نار عالمية · ويحتمل ان يؤدي استئناف القتال في قبرص الى نتائج مماثلة·

وهكذا، فلا بد من الاعتماد على رجال القلنسوات الزرق ولو انهم لا يستطيعون القيام بدور حاسم في تحقيق السلام الدائم، بل انهم يقصرون حتى عن انقاذ انفسهم اذا هوجموا· غير ان الجهود التي يبذلونها في وقف اطلاق النار، وان موقتا، واعطاء الحكومات بعض الوقت الذي يستلزمه صنع السلام، هي في الواقع عماد حماية لنا اجمعين·

■ **دونالد شيللر**



منذ سنوات كانت وجوه الشابات تحمر خجلا اذا شعرن بالحرج، اما الآن فأن الشابات يشعرن بالحرج اذا احمرت وجوههن خجلا ·

على الانسان ان يذهب الى طبيب الاسنان ليحافظ على اسنانه في حال جيدة حتى لا يضطر الى مراجعة طبيب الاسنان عندما تسوء حالها !

وضع احد اصحاب المطاعم الفرنسية في نافذة مطعمه لافتة صغيرة جذابة تقول: "تفضلوا، ادخلوا، واستريحوا، وتناولوا غذاءكم في سلام، فجهازنا التلفزيوني وصندوق الاغاني في التصليح"·

وقد ادى ذلك الى تضاعف عدد الزبائن خلال اسبوع واحد ·

في اليوم الذي تلا وفاة جاك بني في ديسمبر (كانون الاول) من عام ١٩٧٤ تلقت ماري ليفينغستون بني زوجته وردة حمراء طويلة العنق ثم استمر وصول مثل هذه الوردة يوميا فيوم لثمانية وأربعين عاما مما اضطر ماري الى الاستعلام عن هوية المرسل من بائع الزهر، فأجابها: "قبل وفاة السيد جاك بمدة توقف عندي لارسال باقة لك· وقبل مغادرته محلي التفت الي وقال لي: "اذا ألم بي مكروه ما فأريدك ان ترسل الى ماري وردة واحدة كل يوم"· فصمتت ماري على الطرف الآخر من التلفون، ثم سمع بكاؤها وبعد قليل قالت وداعا لبائع الزهر·

وقد تبين لماري في ما بعد ان جاك وضع نصا في وصيته بأن ترسل كل يوم وردة حمراء الى زوجته حتى آخر نسمة في حياتها·

القرص السّحري



دخل الدماغ الالكتروني حياة الناس في انحاء العالم، بما فيها العالم العربي. وهذه الاداة العجيبة التي اصبحت تستخدم في المنازل والمكاتب والسيارات تعد حدثا خارقا سيكون له آثاره البعيدة في رخاء العيش.

قاربت الساعة السابعة والنصف صباحا، فراح المنبه يدمدم بينما اخذت ستائر النوافذ تتدلى وتتأرجح ويرفع الترموستات (جهاز تنظيم الحرارة) حرارة البيت الى نعيم ۲۱ درجة مئوية. ويبقبق وعاء غلي القهوة في المطبخ، وينشق الباب الخلفي لكي يتمكن الكلب من الخروج الى الحديقة، وتومض شاشة التلفزيون بآخر النشرات الاخبارية، وهي خلاصة منتخبة للانباء طبقا للارشادات المعطاة الليلة السابقة، يليها عرض لاقوال المراسلين الصحافيين الذين املوا تقاريرهم على شبكة الادمغة الالكترونية. ولا يلبث علاء الدين القرن العشرين ان يضغط زر قمقم الجني في محاذاة فراشه ويملي عليه سلسلة من المذكرات الشخصية والتجارية. وبعد ان يستحم بواسطة الدوش الذي تكيف تلقائيا ليعطي حرارة الماء المطلوبة، يرتدي السيد "ع" ملابسه ويتوجه مختالا الى سيارته التي بدأ محركها في الدوران استعدادا لقدومه.

في هذه الاثناء تركز السيدة "ع" اهتمامها على الشاشة لتطالع احدث

المقارنات في أسعار السوق. ثم تجري استشارات عينية على الشاشة نفسها مع الخباز والبقال، وتكبس زراً في الجهاز لتطلب ما تحتاج اليه في حفلة العشاء. وفي طرف المطبخ لوحة مفاتيح، تضغط السيدة "ع" بعضها طالبة الى "بنك الذاكرة" تذكيرها باشهى المأكولات. ثم تبلغ الجهاز ان يحصي مقادير ستة أطباق وتوجه الافران الى تسخين كل طبق على أنفراد ابتداء من السابعة والربع مساء.

أخيال هذا واضغاث احلام؟ ربما. ولكن اذا كانت هذه المشاهد لا تزال كامنة في طيات المستقبل القريب، الا ان التكنولوجيا الاساسية لتحقيقها متوافرة الآن بفضل الدماغ الالكتروني العجيب الدقيق الحجم. وما هذا الدماغ سوى قرص من السليكون غير باهظ التكاليف، يعد قفزة جبارة في المضمار التقني تماثل ابتكار الادوات اليدوية او اختراع المحرك البخاري. كما انه يعتبر باكورة ثورة مليئة بالوعود لتعزيز رخاء العيش وتسهيل سبل الحياة على نحو لم يخطر في بال.

لقد افضى انتاج هذا القرص العجيب في ولاية ماساتشوستس الامريكية الى صنع الادمغة الالكترونية المنزلية بكلفة تقل عن ٨٠٠ دولار. ومن المنتظر ان تتدنى كثيرا في المستقبل بحيث يغدو الدماغ الالكتروني جزءاً لا يتجزأ من اثاث المنزل كحوض الغسيل في المطبخ وسوف تعهد اليه برمجة وظائف الغسالات الكهربائية التلقائية وجهاز غسل الأواني وصفها على الرفوف. واذا حدث خلل في احدى هذه الادوات، فما عليك الا ان تلقم الدماغ الالكتروني سؤالا عن نوع العطب فيأتيك الجواب مصحوبا بارشادات التصليح. وسيساهم الدماغ الالكتروني ايضا في خفض تكاليف التدفئة المنزلية، وذلك بفضل توجيهه للحرارة في المنزل حسب اقتضاء الحاجة مع خفض درجتها في الاماكن العازلة.

فتح مبين — وقلما كانت هذه الامكانات معروفة قبل عام ١٩٦٩، عندما عهد الى تيدهوف المهندس الالكتروني في شركة "انتل كوربوريشن" الناشئة في سانتا كلارا في ولاية كاليفورنيا الامريكية، ان يتولى مهمة مفعمة بالتحدي، وهي انتاج مجموعة من المركبات الدقيقة الحجم لاجهزة الادمغة الالكترونية المكتبية المبرمجة. وخطرت في ذهن هوف فكرة مبتكرة: "لم لا اضع معظم الدارات الحسابية والمنطقية على قرص واحد من السليكون واترك بقية وحدات البرمجة والتلقيم وما تصدره من اجابات على اقراص منفصلة؟" وكانت الخطوة الجريئة فتحا مبينا في مجرى التفكير.

وعندما كشف النقاب عام ١٩٧١ عن القرص المركزي المفرد لوحدة الحسابات تبين انه يحتوي على ٢٢٥٠ من اجهزة الترانزيستور في حيز لا تزيد مساحته على اربعة مليمترات طولا وثلاثة مليمترات عرضا. وبدت الوحدة تحت عدسة المجهر وكأنها صورة التقطت من الجو لساحة تحويل شبكات خطوط السكك الحديد المتقاطعة. وكان لهذا الدماغ الصغير الصامت طاقة حسابية تعادل تقريبا طاقة "اينياك"، اول دماغ الكتروني مكتمل صنع عام ١٩٤٦ وكان بحجم

الفن الدقيق في صناعة القرص الالكتروني

لم تسجل الصناعة في مجالاتها المختلفة عملية تضاهي بدقتها عملية صنع القرص الالكتروني. فذرة غبار واحدة كافية لافساد القرص باكمله. ولهذا، فقد اقتضى الامر ان تتم العملية داخل "حجرات نظيفة" حيث تجري تصفية الهواء باستمرار.

ويمكن صنع ٢٥٠ قرصا من رقاقة مستديرة واحدة من السليكون المصقول بدقة لا يزيد قطرها على ٧٥ مليمترا. ولكن لماذا يستخدم السليكون بالذات؟ لان في امكانه ان يكون اصلا للدورة الكهربائية او عازلا لها تبعا لنسبة الشوائب التي يحتوي عليها. وهكذا يمكن، مثلا، "تخدير" مساحة صغيرة من القرص بالشوائب التي تولد فيها فقرا الى الالكترونات فتتحول الى منطقة تسمى "م" (او كهربائية موجبة) بينما تتلقى مساحة مجاورة من القرص فائضا من الالكترونات، فتصبح منطقة "س" (او كهربائية سالبة). فاذا توسطت منطقة "م" ففصلت ما بين منطقتي "س"، اصبح لدينا ترانزيستور، وهو مفتاح تحكم الكتروني. ذلك ان جهد الطاقة او "الفلطية" الخفيفة في منطقة "م" تتحكم في ذبذبات تيار يمر بين منطقتي "س". وبهذه الطريقة يمكن صنع آلاف الترانزيستورات في قرص واحد.

تركب مجموعة الدارات الكهربائية المعقدة في القرص الواحد طبقة فوق طبقة. تتطلب العملية اولا وضع رفوف من رقاقات السليكون المستديرة داخل افران شديدة الحرارة مملؤة بالغاز الذي يحتوي على الاوكسيجين او البخار. وفي الافران تجري عملية "التصدي" - اي تغطية الرقاقات بثاني اوكسيد السليكون الذي يحول دون قصر الدارة. ثم تطلى الرقاقة بـ"مقاوم" هو طبقة حساسة كالتي تستعمل في التصوير، الا انها حساسة فقط للاشعاع فوق البنفسجي. ثم يأتي دور القناع "الصغير"، ويتم تصغيره فوتوغرافيا نقلا عن رسم كبير ويدمغ بمئات القوالب المتماثلة لطبقة واحدة من دارات القرص، فيوضع هذا القناع فوق رقاقة السليكون. وتعرض الرقاقة بعد ذلك للاشعة فوق البنفجسية فتظل الرقع المحمية بالمقاوم لينة ويمكن التخلص منها في حمام من الحامض. اما الرقع غير المحمية فانها تتصلب وتحدد معالم الدارة.

وتعاد الرقاقات الى الافران لتخبز مرة اخرى في جو من الغازات المشبعة بالشوائب. وتنتقع هذه الشوائب في الطبقة السفلى من السليكون وتبدو مثل بقع الزيت التي تخلفها السيارات بعد مرورها في الشوارع. وبما ان الأقراص تحتوي على عشر طبقات، فيجب تكرار جميع هذه الخطوات: الصدأ، القناع الفوتوغرافي، الحفر، الخبز، الخ. ثم تطلى الرقاقة كلها بموصل من الالومينيوم، يعالج هو الاخر بالتقنيع والحفر وحمام الحامض. واخيرا يستخدم سابر الكتروني لمسح الرقاقة وفصل الاقراص غير المتقنة واهمالها. ثم تقطع الرقاقة بمقطعة من الماس، فتوصل الاقراص الصالحة بالاسلاك من الخارج وتختم داخل علب من البلاستيك او المعدن وتشحن.

غرفة منزل. اما من حيث منجزاته، فقد ادى القرص الجديد مهمات لا تقل في دقتها عن منجزات الآلة التي انتجتها شركة "انترناشونال بزنس ماشينز" (أن. سي. آر) في اوائل الستينات وبلغ ثمنها، بجميع اجزائها، ٣٠،٠٠٠ دولار. وقد امكن دمج القرص الجديد، بالنظر الى رخص ثمنه وضآلة حجمه وتعدد وظائفه، في آلات التصوير واجهزة البيع والآلات الكاتبة والادوات المنزلية وفي كل جهاز آخر يحتاج الى قدرة "التفكير".

وحقق القرص الجديد فتحا مبينا

آخر، اذ امكن بفضله استخدام الدماغ الالكتروني الدقيق الحجم في اداء عدد من الوظائف بمجرد ابدال القرص بقرص آخر ملقوم ببرنامج مختلف وعلى سبيل المثال، نذكر أن شركة "برو - لوغ كوربوريشن" في مونتيري (ولاية كاليفورنيا) انتجت جهازا كان في اساسه ساعة رقمية، فاصبح بعد تبديل قرص الذاكرة ووصله بمكبر للصوت، حاكياً (فونوغرافا) يعزف اللحن المميز لفيلم "اللسعة"، ثم تحول الى بيانو كهربائي٠

والواقع ان قرص "انتل" والآخر الذي صنعته شركة "تكساس انسترومنتس" في الوقت نفسه تقريبا يعتبران ذروة حصيلة الثورة الالكترونية التي بدأت عام ١٩٤٧ باختراع الترانزيستور في مختبرات "بل تلفون"٠ ولم يلبث هذا التحول في المجال الالكتروني، بالنظر الى صغر حجم الصمام المفرغ ودقة عمله المتناهية وضآلة استهلاكه للكهرباء، ان خطا خطوة مثالية في صنع الأدمغة الالكترونية، اذ تمكن المهندسون عام ١٩٦٠ من حشد عدد كبير من الترانزيستورات والعناصر الالكترونية الاخرى في حيز مربع صغير من السليكون٠ وقد كان من شأن هذه الدراسات المصغرة المندمجة انها ادت حتما الى تصغير احجام الاجهزة وتدني تكاليفها وقلة استهلاكها للطاقة، وادت بالتالي الى احداث نمط جديد من الادمغة الالكترونية بحجم الطاولة المكتبية٠

قوة تفوق التصور - وفي اواخر الستينات، انجزت تقنية تصغير الاحجام قفزتها الكمية، فتطورت صناعة الدمج على النطاق الواسع، وذلك بجمع عدد من الدارات المنفردة بخصائصها ووظائفها المتباينة ودمجها في قرص واحد٠ وتوصل الخبراء بعد ذلك الى حل بارع في مجالات البرمجة المصغرة، فاصبح في استطاعة القرص الواحد، من الناحية النظرية، ان يتولى شتى الوظائف المراوحة بين توجيه القذائف والصواريخ وشوي شرائح اللحم٠

يبدو للمرء ان هذه القوة خارقة، باهرة، تفوق التصور، وبالتالي فانها تعزز مكانة الادمغة الالكترونية لدى عامة الناس واعتقادهم انها ادمغة فعلية تنطوي على مقدار لا يحد من الذكاء٠ ومع ذلك فأن غالبية العلماء يعتبرونها، بما فيها الآلات ذات الاقراص الالكترونية، مجرد عجماوات "لا تتصرف الا حسب ما تؤمر به، لا أكثر"، كما يقول لويس روبنسون رئيس قسم تصنيع المعلومات واعدادها في شركة "انترناشونال بزنس ماشينز"٠

اما ما تتقنه الادمغة الالكترونية فهو اداؤها مآثر حسابية خارقة، اذ انها تحصي ملايين الارقام في ثانية٠ الى ذلك، فانها تؤدي عملا آخر لا يقل اهمية عن الاحصاء، وهو خزن المعلومات ومقارنتها وتنسيقها في مثل لمع البرق مما يمكنها من تولي عدد كبير من المسائل بداية من تصميم عدسة معقدة للتلسكوب، مثلا، الى بث الصور التلفزيونية عبر النظام الشمسي٠

لقد تركز الاهتمام بالادمغة الالكترونية في بداية الامر على رجال الاعمال اكثر من سواهم٠ اما الآن، وقد مضى ربع قرن على استخدامها في شركة "جنرال الكتريك" (وهي

الشركة العالمية الاولى التي تستخدم هذه الآلة في اعمالها منذ عام ١٩٥٤)، فقد باتت هذه الاجهزة المتعددة الوظائف بمثابة الرق بالنسبة الى الرأسمالية والقوة العضلية التي تحرك مجاذيف سفينتها.

ويتوقع عدد كبير من الخبراء ان تنشأ صناعة كاملة جديدة لانتاج "المرافق اللينة" التي تعنى بوضع التصاميم وكتابة الارشادات وتحديد برامج الآلات الصغيرة وما شابه ذلك من العمليات الروتينية، الى جانب صناعات القطع "الصلبة" الاساسية في الدماغ الالكتروني. ويقول ريتشارد ملمون، رئيس شؤون التسويق في شركة "اومتيك انكوربوريتد" لصناعة الادمغة الالكترونية المنزلية في ولاية كاليفورنيا: "لن يقدم احد على شراء جهاز ستيريو للاستماع ما لم يكن في امكانه ايضا ان يشتري الاسطوانات والاشرطة المسجلة المتممة للجهاز. وهذه هي الحال ايضا في صناعة الادمغة الالكترونية. ومن المنتظر ان نشهد عما قريب فجر صناعة جديدة في ميدان النشر".

ثلاثة مرافق رئيسية — ولئن كان القرص العجيب لا يزال في طور النشوء حتى الآن، الا انه تسبب في احداث سباق مدهش في انماء صناعته. فالى الخمسين شركة تقريبا التي تنتج هذه الاقراص الصغيرة المتعددة الوظائف، هناك شركات عملاقة في هذا المضمار مثل "انترناشونال بزنس ماشينز" و"تكساس انسترومنتس آند موتورولا". وقد بلغت مبيعات اقراص الحاسبات الصغيرة الحجم عام ١٩٧٧ داخل الولايات المتحدة قرابة ٢٠٠ مليون دولار. وهذا مبلغ طفيف نسبيا بالمقارنة مع عائدات صناعات الحاسبات، ولكنه من المتوقع ان يتزايد سنويا بمعدل ٥٠ في المئة. وبما ان انخفاض الاسعار يشجع على زيادة المبيعات، فان زيادة المبيعات ستؤدي بدورها الى المزيد من خفض الاسعار.

وقد نزلت نسبة ٨٥ في المئة من الاقراص الى المحلات التجارية حيث استخدمت في الالعاب التلفزيونية المنزلية وساعات اليد الرقمية والحاسبات. لكن صانعي الاقراص يتطلعون على المدى الطويل الى ثلاثة مرافق رئيسية هي:

السيارات — في العام ١٩٧٧، اشترت شركة ديترويت لصناعة السيارات في الولايات المتحدة كمية من الاقراص الالكترونية بقيمة مليوني دولار. ومن المتوقع ان تنفق صناعة السيارات الامريكية في مستهل الثمانينات اكثر من مليار دولار لشراء الاقراص الالكترونية. وقد ادخلت شركة "جنرال موتورز" الاقراص في شبكات تشغيل محركات سيارات "اولدزموبيل تورونادو"، بل اصبح من المنتظر ان يتم ادخال دماغ الكتروني في محرك كل سيارة في غضون السنوات القليلة المقبلة.

الاتصالات — تدرس شركة مختبرات "بل تلفون" امكانات استخدام القرص العجيب في جهاز التلفون بحيث يصبح في الوقت نفسه ناقوسا للانذار من سطو اللصوص او نشوب الحرائق، واستخدامه كذلك في شبكات الاتصال الداخلي في المنازل

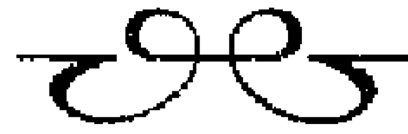
والمكاتب. وقد انتجت شركة "تكساس انسترومنتس اند موتورولا" جهازا للاتصال الشخصي هو تلفون صغير ذو ممسك يدوي يسهل نقله من مكان الى آخر ويعمل بواسطة قرص الكتروني ويزن اقل من كيلوغرام واحد وليس له اسلاك. وفي بداية الثمانينات سيتمكن سكان واشنطن العاصمة وبلتيمور من استخدام اجهزة هذا التلفون كجزء من اختبار تشترك في تحقيقه كل من هيئة خدمات التلفون بالراديو ولجنة الاتصالات. وسيصبح في استطاعة المساهمين، في مقابل ١٠٠ دولار شهريا، ان ينقلوا الاجهزة معهم حيثما ذهبوا في ارجاء المدينة لالتقاط المكالمات الهاتفية او بثها، حتى خلال سيرهم في الشوارع.

الاجهزة المكتبية - كان من شأن الاقراص انها وسعت نطاق اسواق الادمغة الالكترونية الصغيرة التقليدية نتيجة ما ساهمت فيه من خفض كبير في التكاليف. وفي الوقت نفسه اصبحت الحاسبات الصغيرة التي تستخدم فيها الاقراص ملحقات قيمة للادمغة الالكترونية الكبيرة وتيسر تطويرها وزيادة وظائفها بكلفة قليلة.

ويخشى بعض النقاد الاجتماعيين ان يؤدي رواج الادمغة الالكترونية الى شيوعها بمثابة اجهزة التلفزيون. وهذا القلق يعود الى تخوفهم من ان تفضي هذه الادمغة في النهاية الى ضمور قدرات البشر الذهنية وخمولها. على ان عددا من علماء الاجتماع، من أمثال سيمور مارتن‌ليبست، يعتقدون ان تخفيف الاعباء عن كاهل العقل البشري عن طريق احالتها على الآلات قد يسفر في النهاية عن نوع من الديموقراطية شبيه بديموقراطية اثينا القديمة التي تساوى فيها الاثينيون في مجتمعهم بعدما القوا أعباء اعمالهم على اكتاف الرق.

وتفيد التقديرات ان هناك ٢٥،٠٠٠ مجال لاستخدام الادمغة الالكترونية. على ان مجلة "ايكونوميست" البريطانية تقول: "ان السؤال عن مجالات التطبيق هو كالسؤال عن مجالات استخدام الكهرباء". وان ثورة الادمغة الالكترونية، على خلاف ما تصوره جورج اورويل بتشاؤم في كتابه "الف وتسعمئة واربعة وثمانون"، تشجع على استخدام العقل وتحرر الأيدي العاملة وتدفع زخم عجلة التقدم البشري الى صعيد وجود اسمى.

■ **ملخّص عن مجلة "تايم"**



سألت احدى السيدات الرسام سلفادور دالي: "هل الرسم أمر صعب؟" فاجاب: ". بل أنه سهل او مستحيل".

جريدة "التامبو" الايطالية

يحكى عن نجمة الباليه نورا كاي انها تشتهر بقوتها العضلية الى جانب براعتها المسرحية حتى ان عدداً من زملائها الذين كانوا يراقصونها قد اصيبوا بلكمات يرثى لها من كسر اضلاع او فقد اسنان...

وفي احدى الليالي، خلال تمثيلها الباليه "هذا القطار المسمى شهوة" القمت ايغور يوسكيفتش ضربة القته ارضاً مما اوقعها في وضع حرج الزمها بانهاء مشهد الاغتصاب وحدها.



تأملات معاصرة

الثرثرة:

كان الرئيس الامريكي السابق جيرالد فورد خطيب حفلة تخرج ابنته من مدرسة هولتون آرمز في بيتسدا (ماريلاند)، فقال في مقدمة كلمته: "ربما كان يهمكم ان تعلموا ان ابنتي سوزان قد اعطتني بعض نصح في اعداد هذا الخطاب. قالت لي الا اطيل في الكلام ولا اقول نكتا ولا اتكلم عنها ولا اتكلم عن الطريقة التي كانت عليها الامور حينما كنت بمثل عمركم... وهكذا في الختام..."

الندامة:

الندامة المزمنة هي عاطفة غير مرغوبة الى حد كبير. واذا ما تدرجت الى سلوك سيء فاندم وحاول اصلاح الخطأ ما امكنك وواجه التالية. لا تكتئب طويلا على اقترافك الخطأ. ان الانزلاق في الوحل ليس انجع الاساليب لتصبح نظيفا.

الدوس هكسلي.

الحرية:

لم يهتد العالم قط الى تعريف صالح لكلمة "الحرية". فقد تعني "الحرية" عند البعض ان يتصرف الانسان بنفسه وبنتاج عمله حسبما يحلو له. وقد تعني هذه الكلمة نفسها عند الآخرين ان يتصرفوا هم بغيرهم من الناس وبنتاج اعمال هؤلاء كما يشاؤون. وهكذا فاننا نجد انفسنا ازاء وضعين مختلفين ومتناقضين وكلاهما يحمل الاسم نفسه: "الحرية"، مع ان الامر يدعو من كلا الفئتين الى استعمال اسمين مختلفين ومتناقضين هما: "الحرية" و"الاستعباد".

ابرهام لنكولن

الواجب:

أتوق الى تحقيق واجب عظيم ونبيل لكن واجبي الرئيسي هو ان اقوم بواجبات صغيرة كما لو كانت نبيلة وكبيرة. فقد قال المؤرخ غرين ان العالم يتقدم سراعا ليس بدفعات وانطلاقات ابطاله القوية فحسب بل ايضا باجمالي الدفعات الصغيرة من جانب كل عامل شريف.

هيلين كيلر

التفاؤل:

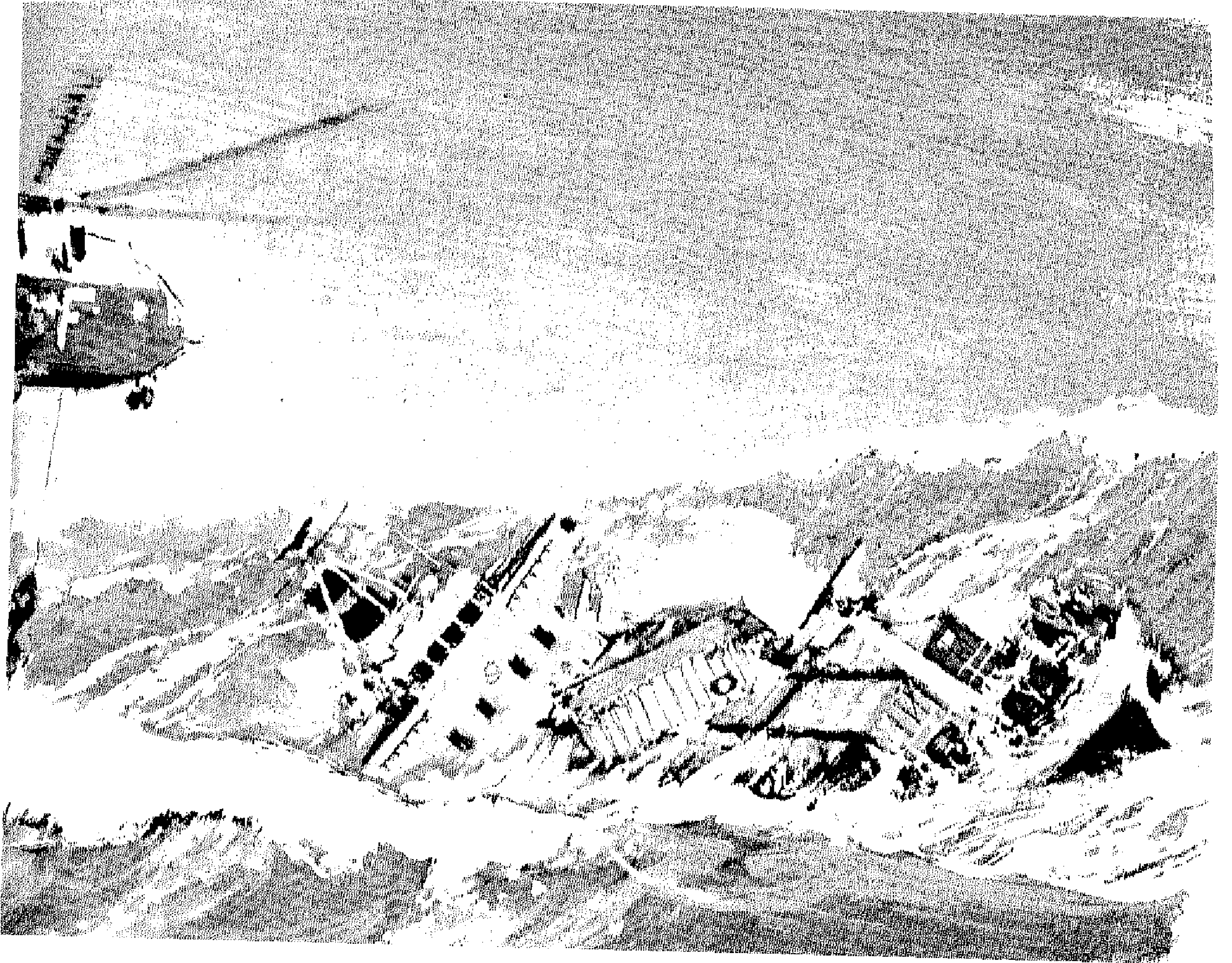
ان ابعد شيء يمكن المرء ان يراه في وضح النهار هو الشمس. اما في حلكة الليل فيمكن المرء ان يرى نجوما ابعد ملايين المرات. تذكر ذلك اذا ما تحول يوما عالمك الخاص الى سواد.

مجلة "القراءة الجيدة"

مأساة واقعية

ارتطمت سفينة الشحن
في عرض البحر،
وعلى متنها عشرة بحارة، بالامواج العاصفة التي
بلغت من العنف مبلغاً بدا معه الانقاذ مستحيلا.

وسام الشجاعة



هذا اليوم الذي قضاه الربان قابعا في منصة القيادة نهكه واستنزف قواه. فقد اخذت السفينة "فرندو ستار" تصارع الرياح الهوجاء في خليج بسكاي منذ الصباح، ولم تتح للقبطان دانيال هيسلوب، البالغ من العمر ٣٧ عاما، ان يذوق طعم الرقاد الا بعد ان هبط الظلام بوقت طويل، فاستسلم للنعاس في حجرة مدير الدفة. وكان ذلك يوم الجمعة ١٢ مارس (آذار) ١٩٧٦، وكانت سفينة الشحن البريطانية الجنسية تتجه بحمولتها البالغة ١٥٩٩ طنا قبالة الساحل الجنوبي الغربي لفرنسا، في طريقها من روتردام الى البرتغال.



وبعد التاسعة مساء بقليل استيقظ هيسلوب فجأة وقد اعتراه الاحساس باختلال توازن السفينة، بينما علا صوت غراهام دوغلاس مساعد الربان يناديه مذعورا ومستنجدا:

- السفينة تجنح بنا يا قبطان!

وادرك هيسلوب، وكان ملاحا محنكا كرس ١٧ عاما من حياته للبحر، ان قسما من البضائع في عنبر السفينة قد تحول من موضعه الى الميمنة، مما ادى الى اختلال توازن السفينة التي يبلغ طولها ٦٤ مترا وجنوحها عند مؤخرها على نحو ينذر بالخطر. وكانت الامواج هائلة ومتزايدة الارتفاع، فأخذت تتلاعب بالسفينة وتغوص بسافلتها في الغور وتشرئب صاخبة في مؤخرها الى مستوى يعلو على مستوى الصاري.

وتوقع هيسلوب ان تكون هذه الليلة طويلة وشاقة، فاستدعى بحارته التسعة الى المنصة وعرض عليهم الاخطار المحدقة بالسفينة وقال:

- ارتدوا صدارات النجاة واستعدوا لترك السفينة. غير اننا سنحاول الان ابقاء مقدم السفينة في اتجاه الريح، مع تشغيل المحركات ببطء. وها انا ذاهب الى حجرة الابراق اللاسلكي للاستغاثة وطلب العون.

ووجهت السفينة "فرندو ستار نداءها الى قاعدة لانفيوك الجوية البحرية الفرنسية في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة بعد منتصف الليل، فسارع خمسة رجال من طاقم الطائرة العمودية الى الاجتماع معا في محطة الارصاد الجوية التابعة

للقاعدة، وهم: ربان الطائرة جيرار جامان (٣٣ سنة) ومساعده فرنسوا شوتز (٤٥ سنة) وجان كلود مانشون (٣٠ سنة) وهو الغواص الذي يتدلى بسلك من الفولاذ لانتشال ضحايا السفن المحطمة، واندريه كولان (٣٢ سنة) المكلف تشغيل الرافعة، وكلود لوجيه (٢٣ سنة) ميكانيكي الطائرة.

واطلع جامان رجاله على الوضع مستعينا بالخريطة البحرية المعلقة على الحائط وقال:

– ان سفينة الشحن تبعد مسافة ٢٤٠ كيلومترا عن لانفيوك، والاحوال الجوية سيئة، فالامطار تتدفق والريح تعصف شديدة بسرعة ١٣٥ كيلومترا في الساعة. وصحيح ان السفينة "بوانكاريه" موجودة في المنطقة، وانما يتعذر عليها القيام باي شيء في هذه العاصفة. فما من سبيل اذا لانقاذ هؤلاء الرجال الا بانتشالهم الى الطائرة العمودية.

وقرر فريق الانقاذ ان يستخدم طائرة عمودية فرنسية الصنع من نوع "سوبر – فريلون ١٤٧" حمولتها ١٢ طنا وتتسع لوقود يكفيها للطيران اربع ساعات.

وفي الساعة السادسة من صباح السبت اقلعت الطائرة العمودية، وراحت تتأرجح في العاصفة التي لم يشهد الطاقم مثل عنفها من قبل وتتقدم في اتجاه الريح، مما ادى الى خفض سرعتها على نحو خطر. وقال لوجيه:

– سوف نحتاج، بسبب هذه الريح، الى ساعة ونصف ساعة لبلوغ منطقة الانقاذ، لا ساعة واحدة كما كنا نظن.

ورد الربان جامان بقوله:

– لم يعد امامنا الا ان نعمل بسرعة عندما نصل الى هناك.

معاً على سطح الماء – وكان ربان السفينة الكابتن هيسلوب قد تلقى اشعارا لاسلكيا في الساعة الثانية صباحا باجراء محاولة عند الفجر لانتشال رجاله بواسطة طائرة عمودية، فأطلع بحارته على هذا النبأ وقال:

– علينا ان نصمد حتى الصباح ايها الرجال.

ثم ادار زجاجة من الويسكي على افراد طاقم السفينة المرهقين المتجمدين بردا.

واخذ جنوح السفينة يزداد سوءا تحت وطأة الامواج العالية كالجبال، بعد ان ساد الذعر قبل ذلك بثلاث ساعات حين ادى عطل فني الى وقف المحركات واطفاء الانوار وقطع التيار الكهربائي الموصل الى الدفة. وامر هيسلوب رجاله بالحضور الى المنصة حيث سلم كلا منهم اوراقه توقعا لسوء المصير واحتياطا لتحديد هوية جثث الغرقى. وبعد ذلك اخذ المهندس توم بيرتش مشعلا كهربائيا ونزل الى حجرة الآلات وتمكن من اعادة تشغيل المحركات.

وحاول هيسلوب ومساعده دوغلاس توجيه السفينة في صورة ثابتة في ظروف قارب فيها معدل الرؤية درجة الصفر. وما ان حلت الساعة الخامسة صباحا حتى تزايدت شدة الريح، وبدت "فرندو ستار" كأنها طوافة قصب تتقاذفها الامواج الهائجة. وكان هيسلوب قد ارهقه الرذاذ وتمكن الالم من اصابعه المتشبثة بجانب المنصة لساعات طوال. غير انه توسل الى السماء وطالب سفينته بان تصمد، وخاطبها قائلا:

– عليك بالصمود يا "فرندو ستار"، فانت وانا واحد، ولسوف نبقى معا على سطح الماء لا تحته!

وفي الساعة السابعة والدقيقة العشرين صاح دوغلاس:

– يا الهي لقد نجحت الطائرة العمودية في الوصول!

وكانت الطائرة "سوبر فريلون" قد هبطت خلال السحاب المخيم على السفينة المشلولة. وحدق البحارة العشرة المرتجفون بردا وفرحا في الطائرة الضخمة وهي تتوقف على مسافة ٣٠ مترا منهم. وفي بابها المفتوح ظهر مانشون في رداء الغطس وكأنه طائر اسود ضخم.

قفزة الى المحيط – وكان مشهد جنوح السفينة من الجو مخيفا يجمد له الدم في العروق وصرخ اندريه كولان وهو يقف الى جانب مانشون:

– لا بد انها تجنح عند مؤخرها بما يزيد على ٦٠ درجة، ولن يكون النزول على السفينة سهلا في أي حال.

اما مانشون فكان اقصى ما اقلقه ميلان السفينة فجأة الى جانب واحد مما جعلها تندفع الى اعلى بارتفاع يزيد على ١٢ مترا.

وفجأة صاح كولان في وجه جامان:

– ارفع الطائرة!

واذا بموجة مجنونة تدفع صاري السفينة الى مسافة لا تتجاوز عرض الكف من جسم الطائرة. ولو تردد جامان ثانية واحدة في الاقلاع لعلق الصاري في عجلات الطائرة الخلفية. لقد كانت الظروف اسوأ مما تصوره فريق الانقاذ في لانفيوك.

وصاح جامان بصوت يعلو على ضجيج المحركات:

– ما رأيك يا مانشون؟

ورد الغواص:

– لا يمكنني ان اهبط على سطح السفينة، ولا بد للبحارة من النزول الى الماء.

وابلغ شوتز هذا الكلام الى هيسلوب عن طريق السفينة "بوانكاريه" التي كانت تتولى ارسال الاشعارات اللاسلكية. وما هي الا لحظات حتى نقلت السفينة "بوانكاريه" موافقة هيسلوب الى فريق الانقاذ. واخذ كولان ومانشون يراقبان بحارة "فرندو ستار" وهم يجهزون زورق النجاة المطاطي. ولكن ما ان انتهى البحارة من نفخ الزورق حتى هبت ريح هوجاء فلطمته بعنف، واعقبتها هبة ثانية فقطعت حباله وجرفته بعيدا، واصبح الزورق يدور حول نفسه على سطح الماء وكأنه عجلة دراجة هوائية، قبل ان يتوارى عن الانظار.

وزفر مانشون وقال:

– لا بد من ان يقفزوا الى الماء!

وبينما كان شوتز ينقل هذه الرسالة اخذ الميكانيكي لوجيه يراقب عداد الوقود في الطائرة وقد تملكه القلق. فقد قضت الطائرة العمودية في الموقع فترة تزيد على ٤٠ دقيقة حتى الآن، وستضطر الى ان تعود ادراجها في اقل من ساعة.

واستحال الامل في نفوس بحارة "فرندو ستار" المرهقين الى شعور الرضوخ والاستلام للامر الواقع حين ابلغهم هيسلوب الرسالة التي تلقاها من السفينة "بوانكاريه"، وعلموا منها ان لا بد لهم من الاختيار بين القفز الى الخضم المخيف والمجازفة بالبقاء على سطح السفينة المثخنة بالجراح.

وقال ربان السفينة:

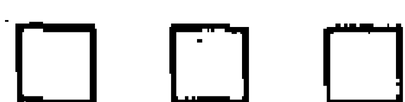
- فلنلق اولا العوامات وتقفزوا انتم بعد ذلك ثلاثة تلو ثلاثة.

وكان اول القافزين فيليب هيبوورث الذي يناهز الثامنة عشرة من العمر، وهو اصغر الملاحين سنا. وقد تمكن من الوثب الى مكان بعيد عن السفينة، لكنه ما لبث ان اقترب منها بعد ان جرفته نحوها موجة هائلة، فبدا له شبح الموت المحتوم في لحظات اذا ما اصطدم بجسم السفينة المندفع صوبه بسرعة جنونية.

وصرخ هيسلوب باعلى صوته:

- اسبح بعيدا!

لكن الفتى كان أعجز من ذلك. وهنا القى هيسلوب ومهندس السفينة الثاني مالكوم جونستون بنفسهما معا في البحر لمساعدته استجابة لدافع خفي مشترك.



مصارعة الامواج — وحلقت الطائرة العمودية فوق مؤخر السفينة. وكانت هذه اشق المهمات التي واجهها جامان في مجال الطيران، وهو يحاول تثبيت الطائرة في مكان تعصف به الرياح العاتية، وتضطر جامان الى القيام بتصحيحات سريعة ومستمرة، في حين ان افراد الطاقم جميعا كانوا يدركون ان اي اندفاعة اخرى لصاري السفينة معناها كارثة محققة.

وعند الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين بادر مانشون الى الغوص للمرة الاولى. ومع ان كولان حرص على ارخاء الحبل الفولاذي بمنتهى الرقة، الا ان الريح القوية جعلت الغوص الرأسي ضربا من

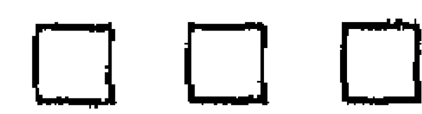
المستحيل، فاخذت الريح تدفع بالحبل تجاه ذيل الطائرة، حتى انه كاد يشتبك مرتين بعجلاتها . وما ان لامس مانشون سطح الماء حتى تلقى لطمة وحشية انزلتها به موجة هائلة .

وسبح مانشون، وهو يشهق ويزفر كالفقمة، في اتجاه الرجال الثلاثة الذين كانوا يحركون اقدامهم تفاديا للغرق . وتمكن في اقل من دقيقتين من ان يشد وثاق هيبوورث الى حزامه، وراح كولان يجذب الحبل بالرجلين معا . على رغم البرد القارس كان كولان يتصبب عرقا من فرط الخوف . كان الحبل يرتفع ببطء شديد . وعندما اصبح الرجلان يتأرجحان على مسافة عشرة أمتار من سطح الماء لطمتهما موجة عاتية اخرى . وكانا شبه فاقدي الوعي عندما اجتذبهما كولان اخيرا الى داخل الطائرة .

وقال مانشون وهو يلهث:

- اشعر كما لو انني كنت في عصارة .

ثم رفع ابهاميه اشارة الى انه مستعد للغوص ثانية .



غير ان الذعر كان قد استولى على كولان لمشاهدة زميله في هذه الحال بعد عملية الغوص الاولى، فسارع الى البحث عن طريقة لحماية مانشون من الامواج الهائلة التي كادت ان تغرقه .

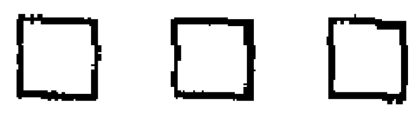
وصاح كولان في الميكروفون:

- جامان . هل تستطيع اذا ارشدتك بصوتي، ان تقترب من سطح الماء عندما ارخي الحبل بمانشون، على ان ترتفع به ثانية وانا اجتذبه؟

ورد ربان الطائرة:

- موافق . هيا أرشدني .

ووضع جامان قدميه على رتاج الدفة لكي تبقى الطائرة في اتجاه الريح، واخذ يدير جميع الضوابط والازرار في وقت واحد كأنه عازف ارغن مجنون . وجذب كولان الحبل للمرة الثانية . وفي هذه المرة تضاعفت سرعة انتشال الرجال نظرا الى ارتفاع الطائرة العمودية بهم . وما ان حلت الساعة الثامنة والربع حتى كان ثلاثة من افراد طاقم "فرندو ستار" قد بلغوا الامان .



واتضح من حساب سريع انه يتعين على الطائرة ان تعود ادراجها في غضون ٢٠ دقيقة . لكن مانشون اخذ يحقق تقدما سريعا بعد ان نال قسطا من الراحة . ولم تمض عشر دقائق حتى كان قدانتشل اربعة رجال آخرين . وكانت اجسامهم ترتجف واسنانهم تصطك، وندت عنهم غمغمة شكر خافتة قبل ان ينبطحوا على ارضية الطائرة .

وفي اثناء ذلك تمكن بحارة السفينة الثلاثة الباقون من النزول الى الماء في قارب نجاة وكانت الساعة الثامنة والنصف . وحسم لوجيه من حسابه كمية الوقود اللازمة للعودة وابلغ جامان النتيجة قائلا:

- لم يبق لنا من الوقود الا ما يكفي لخمس دقائق .

ووجه جامان سؤالا الى كولان:

- هل يود مانشون ان يقوم برفعة واحدة اخرى؟ في رأيي ان الملاحين الباقيين يستطيعان الصمود في القارب الى ان تأتي اليهما طائرة عمودية اخرى .

واجاب مانشون على رغم شعوره بالارهاق:

- انا مستعد.

ولكن ما ان بدت من كولان اشارة تدل على بدء هبوط آخر حتى قفز الرجال الثلاثة جميعا الى الماء.

ووجد جامان نفسه مسؤولا عن حياة الرجال على متن طائرته من ناحية وعن ضرورة انقاذ الاخرين الذين كانوا يصارعون الموج من ناحية ثانية. وتملكهذا الاحساس بالواجب كلا من مانشون وكولان. واستغرق انقاذ الرجال الثلاثة الباقين اقل من خمس دقائق. وما ان وجد مانشون نفسه داخل الطائرة بعد الرفعة العاشرة حتى خر منهارا.

"أرى أرضا!" — وكان جامان قد بدأ بالفعل طريق العودة، وساد السكوت باستثناء ضجيج المحركات ولهاث مانشون، واخذ لوجيه يمسح بعينيه عدادات الوقود، بينما أخذ كولان يدرس خرائطه الملاحية وانصب كل من جامان وشوتز على متابعة الضوابط والازرار. على ان الجميع كانوا يركزون اهتمامهم اليائس على هدف وحيد: بلوغ اليابسة. ولم يبق بينهم وبين السلامة والامان سوى ساعة طيران.

وعند الساعة التاسعة والنصف هتف جامان:

- ارى ارضا!

واستضاءت الوجوه ببسمة الارتياح. وما هي الا بضع دقائق حتى اصبحت الطائرة فوق قاعدة لانفيوك. وعندها انتهك جامان لاول مرة في حياته المهنية قاعدة من اهم قواعد الامان، فحين لامست عجلات الطائرة العمودية الارض لم يكن في خزان الوقود ما يكفي الا للطيران خمس دقائق فقط.

وفي ٢١ مارس (آذار) ١٩٧٦ منح الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان كلا من الرائد البحري جيرار جامان وضابط الصف جان كلود مانشون وسام الاستحقاق من رتبة فارس.

لكن الرجلين لم يكونا يفكران ذلك الصباح في ما انعم به عليهما من تكريم، لانه في ذلك اليوم نفسه كانت تقام الصلاة ترحما على اربعة من زملائهما ينتمون الى فريق انقاذ آخر ماتوا في اثناء قيامهم بمهمة في البحر على متن الطائرة العمودية نفسها التي قام جامان ومانشون باداء واجبهما عليها.

■ **فرجيني هنري**

إذا أصدرت قانوناً وتقاعست عن تنفيذه فكأنك تحرص على ما ترغب في منعه.

الكردينال ريشيليو

لحظات معدودة؟

كان ساشا غيتري في آخر ايام مرضه الذي ادى الى وفاته، وعلى رغم ذلك فأنه وافق على استقبال صحافي شاب. فبادر الصحافي الى الاعتذار عما يسببه من ازعاج وقال بصوت خافت: "اعرف يا سيدي ان لحظاتك ثمينة".

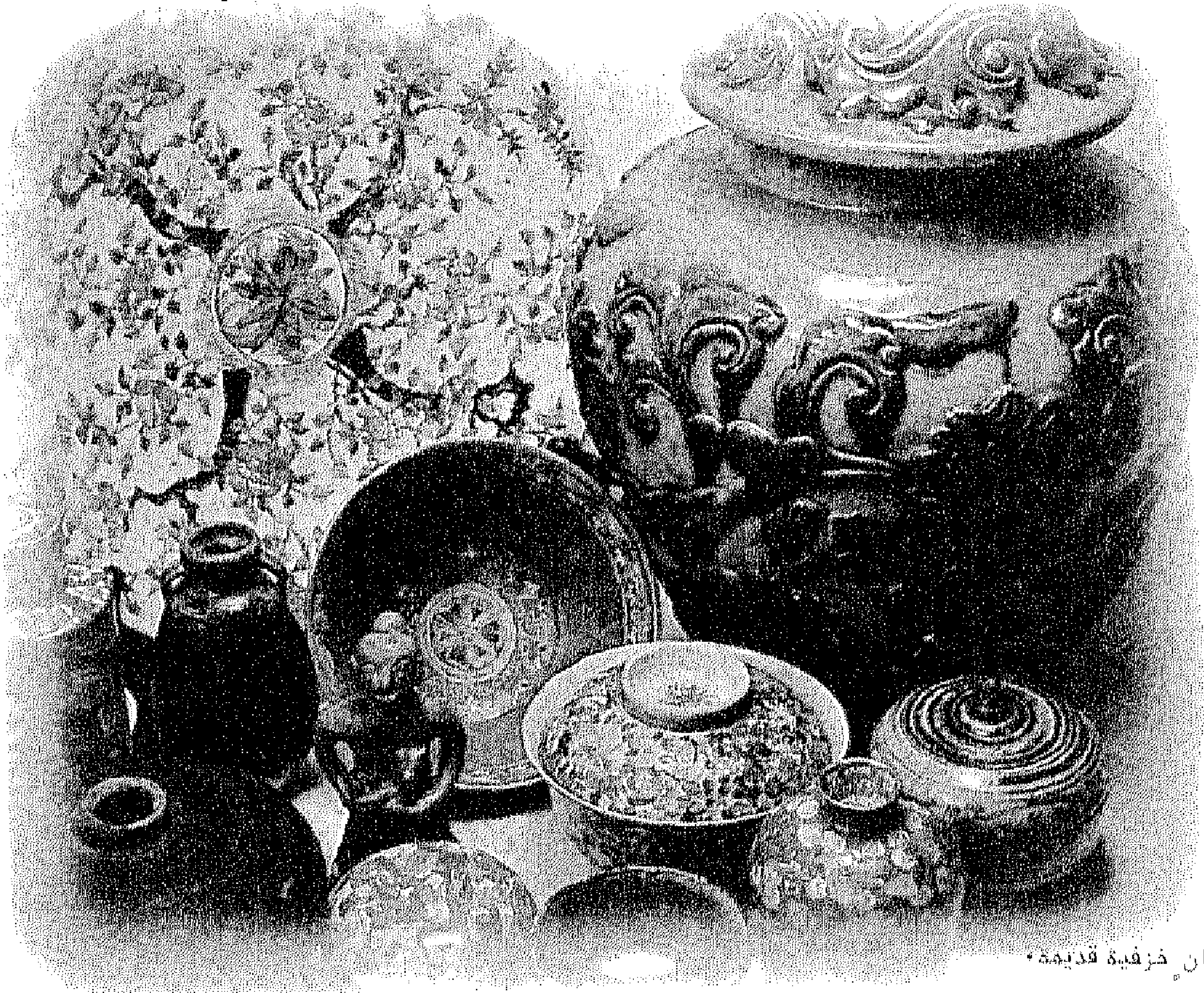
فقاطعه غيتري قائلا وهو يهز رأسه نفيا: "كلا يا صديقي. ليست المشكلة في ان لحظاتي ثمينة... وانما المشكلة في انها معدودة".

اعــلان

الكل يجد في تايلاند ما يطيب له

التبضّع

اسواق وبازارات مكشوفة، باعة متجولون ودكاكين واكشاك، مخازن كبرى واسواق مقنطرة. انها تايلاند جنة المتبضعين. تتنافس المدن والقرى على عرض ما لديها من اشغال يدوية ومصنوعات ريفية ومهارات ترقى الى قرون مضت. تعال مع التايلانديين الى بلدة تشيانغ ماي، اذا اردت التبضع بأثمان زهيدة من سلعها القيّمة كالمصنوعات الفضية والخزفية والانسجة الحريرية ومظلات الورق والادوات المطلية باللّك والمزخرفات الخشبية. ما اكثر التحف القديمة! مكاييل مصنوعة على اشكال افيال. صناديق مطلية باللّك. مزخرفات خشبية. اوان ٍ خزفية. كل من هذه التحف لها رواية تحكيها. تعال الى بلدة سان كانفاينغ المجاورة وشاهد حياكة الحرير بالطريقة المتبعة منذ اقدم العصور. ان في استطاعة الكثير من متاجر بانكوك ان يحوّل قطعة من الحرير التايلاندي الفاخر الى ثوب فاتن للسهرات في غضون اربع وعشرين ساعة. وهناك بلدة شانيتبوري على الساحل الشرقي حيث تنتظرك المجوهرات الثمينة بأسعار زهيدة. شاهد الياقوتة الزرقاء الخام التي اشتريتها تصقل امامك. ومن الصناعات الريفية الاخرى صناعة القصب. هيا الى التبضع هذا العام في تايلاند، حيث لا تجد اثرا للتضخم النقدي.



اوانٍ خزفية قديمة.

الكل يحبر في

أشهى الطعام

الطعام التايلاندي مركّب جامع لأطعمة آسيا بأسرها ، فالحلاوة والحموضة تمتزجان في طعم متوازن ، والوان الكاري لذيذة النكهة وخفيفة الوطأة ، والمعجنات تطهى بألف طريقة وطريقة بحيث انك تحتاج الى اسابيع عدة ان انت اردت تذوق كل اشكالها ، فهناك "خاو_ سوي " ، احد اطايب "تشيانغ ماي" ،وهو من المعجنات المصنوعة بالبيض والممزوجة بحساء يحوي قليلا من الكاري ، وتايلاند مشهورة بأسماكها ، كالسرطان البحري السمين والمحار التي يسيل لها اللعاب والسمك الاحمر الشهي ، وتايلاند اهراء الرز في آسيا ، ولذا فمن الطبيعي ان تتنوع اطباق الرز لدينا ، مثل الرز المطبوخ والرز المقلي والرز اللزج وحساء الرز ، ولتكن خاتمة طعامك تشكيلة من فاكهة البلاد الحارة ، كالمانغا والبابايا وجوز الجندم ، او فلتكن شيئا من الحلوى المجلدة المصنوعة من جوز الهند ان شئت ذلك ، كذلك ألمطاعم في تايلاند متعددة الاشكال والانواع بحيث تناسب جميع الميول والجيوب ، وهناك ايضا المطاعم الفرنسية والحانات الانكليزية ومشارب الجعة الالمانية ، وحتى المطاعم المختصة بصنع الرقائق ، ان تايلاند حقا مركز ارضاء البطون في آسيا ،



سرطان بحري سمين .

الادغال

ان تايلاند في طور التحوّل السريع الى مركز لتنظيم الرحلات في آسيا، لما تتمتع به من مواقع مختارة يرتاح اليها الرحالة وهواة السير على القدمين وعشاق الطبيعة. فعلى مرمى حجر من بانكوك، يمكن الولوج في ادغال كانشانابوري والسير في الدروب الضيقة حول نهر كواي. بت ليلتك على طوافة مصنوعة من قصب الغاب واستكشف الخط الحديد المهمل المعروف باسم "سكة الموت" والمؤدي الى الجسر الشهير فوق نهر كواي الذي ما زال قائما الى اليوم. امض سيرا في مقاطعة تشيانغ ماي لتبلغ عالما آخر، وانزل ضيفا على القبائل المقيمة في قرى الجبال واسلك طريق القوافل التجارية القديمة التي كانت تعبرها البغال منذ العصور السحيقة. اسبح في جداول الجبل المنعشة. وهذه حديقة خاو - ياي العامة لعشاق الطبيعة. شاهد الحيوانات البرية في مآويها الطبيعية حيث تنمو النباتات الاستوائية والزهور بالوانها الزاهية. وتمتد حديقة خاو - ياي على مساحة ٢٠٠٠ كيلومتر مربع وتشمل اربع ولايات. وتتوافر رحلات الى الادغال في تايلاند طوال ايام السنة.



الكل يجد في تايلاند ما يطيب له

المهرجانات

مراسم وطقوس جميلة، ومعارض مثيرة للمرح، واحتفالات ملكية باهرة. يسود تايلاند جو من البهجة طوال العام، ابتداء من عيد رأس السنة التايلاندية في شهر ابريل (نيسان) حيث يقام مهرجان الماء، وهو احتفال رائع يرش فيه الماء المعطر على صور بوذا لاستمطار البركات، وتجري خلاله معركة مائية يشترك فيها الجميع، في المدن والقرى. وفي ليلة اكتمال البدر في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) تعال معنا الى مهرجان "لوي كراتونغ" ودع زورقك المصنوع على شاكلة ورق اللوتس ينساب فوق سطوح الانهر والقنوات تكريما لارواح الماء وتطهيرا لنفسك من الخطايا وتأمينا للعيش بسلام في هذا العالم. كل قناة ونهر ومجرى ماء في طول المملكة وعرضها يصبح كتلة مائية ساحرة متألقة الانوار، وليلة "لوي كراتونغ" هي أحب ليالي السنة. ومهرجان الافيال الشهير في سورين يقام ايضا في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) حيث تجمع مئات الفيلة للسباق ومباراة شد الحبال ومباراة كرة القدم والقيام بتشكيلات حربية استعراضية. وهذا المهرجان الحافل بالاثارة، الذي تنظمه هيئة السياحة في تايلاند، هو اكثر مشاهد السنة اثارة للعجب. ليكن حدثك الاعظم هذه السنة اشتراكك في مهرجاناتنا، حيثما شئت في تايلاند.



أطلب نشرتنا المجانية بواسطة البريد،
لتعرف حقيقة رحلات تاي السياحية
وتجعل هذه السنة من حياتك سنة تايلاند.

TOURIST ORGANIZATION OF THAILAND



HEAD OFFICE:

Ratchadamnoen Nok Avenue,
Bangkok 1, Thailand.
Telephone 2821143-7 Cable: TOT Bangkok

OVERSEAS OFFICES:

FRANKFURT
4th Floor, Bethmann Strasse 58,
D 6000, Frankfurt/M, West Germany
Telephone: (0611) 29 5704, 29 5804
Cable: THAITOUR Frankfurt/M.

PARIS
c/o Royal Thai Embassy
8 Rue Greuze, 75116 Paris, France.
Telephone 7043221

Please send me a free THAILAND folder.
To: Tourist Organisation of Thailand
9 Stafford Street Cnr. Albemarle Street,
London WIX 3 FE, England. Telephone : 4997670 4997679
Cable : THAITOUR, London WIX 3 FE.

Name ____________________

Address ____________________

____

City ____________ Zip ____________

My travel agent is ____________

BANGKOK - BAHRAI
TWIC

BAHRAIN

Thai's ever expanding network now includes a new destination in The Middle East, Bahrain.

We have a direct flight from Bangkok every Wednesday and Sunday leaving at 6.30pm arriving in Bahrain at 10.00pm.

A service which takes off again for Bangkok at 11.00pm on the same day, arriving at 9.30am on the Friday or Monday morning respectively.

But that's only half the good news. The other half is the way we look after you en route.

Beautiful food, charming cabin crews, specially selected music and a fresh orchid for the ladies.

Fly to Bahrain on Thai.
The flying oasis in a desert sky.

Thai
Smooth as Silk

G / P381

ANGKOK NONSTOP
WEEKLY

BANGKOK

أملٌ جديد لمرضى القلب

التقدم الذي احرز أخيراً
في مجال العقاقير واساليب المعالجة
يزيد من فرص بقاء آلاف المرضى
كل عام على قيد الحياة٠

كان ذلك المزارع البالغ من العمر ٦٧ عاما في وحدة "العناية الفائقة" في مستشفى جامعةولاية اوهايو حيث ادخل على اثر نوبة قلبية احتقانية في مرحلة متقدمة٠ وقد بدا جذعه متضخما تحت اغطية السرير، من جراء عجز القلب عن ضخ كمية كافية من الدم فتسبب ذلك في تجمع كميات من السوائل والاملاح، انتفخ بها الجسم وانسدت الرئتان٠ ومن اجل تنشيط القلب على العمل في هذه الحال، تتولى الغدد الكظرية المجاورة للكلية افراز مجموعة من الهورمونات المنشطة للاعصاب تسمى الكاتيكولامينات - وأكثر ما نعرفه منها هو الادرينالين٠ ومن شأن هذه العوامل انها، وهي تزيد قوة الضخ، تسبب تقلص الاوعية الدموية واستسراع خفقان القلب ورفع ضغط الدم، فتضيف بذلك عبئاً آخر الى القلب العليل٠ وينزع القلب الى التضخم لان الدم يدخل اليه بكميات اكبر من الكميات الخارجة منه٠

ولو وقع هذا الرجل منذ بضع سنوات في حال مماثلة من التدهور اللولبي، لكان مرشحا لعملية زرع القلب، بشرط ان يتمكن من البقاء على قيد الحياة حتى يتم العثور على متبرع بقلب، والا لاصبحت وفاته امرا محتما٠

أكثر من علاج ـ لكن هذا الوضع لم يعد بالضرورة هو واقع الحال٠ فقد تولى الطبيب تشارلز أ٠ بوش، من قسم بحوث القلب في ولاية اوهايو، حقن الشريان بمنشط جديد للقلب يسمى دوبيوتامين٠ ولم يلبث المنشط ان انتقل الى قلب المريض في ثوان معدودات، وتبين من مخطط القلب

بالموجات الصوتية فوق السمعية المستخدمة في قياس حجم القلب ووظيفته ان تقلصا قد حصل في حجم قلب المزارع في غضون ساعة من الزمن كما تبين ازدياد كمية الدم التي يضخها القلب، بينما وضع على عنقه جهاز يشبه الميكروفون لقياس النبض المتزايد من خلال شريان رئيسي موصول بالدماغ.

وفي غضون ١٢ ساعة، سجل قسطر مغروس في الرئة انخفاضا في الضغط داخل البطين الايسر من القلب الذي يعد حجيرة الضخ الرئيسية،وانخفض معدل نبض القلب من ١٢٠ نبضة في الدقيقة الى اقل من ١٠٠، وبدأت كليتا المزارع بانتزاع السوائل من الجسم، فتخلص خلال يومين من مقدار تسعة كيلوغرامات، وتضاءل حجم تلك الكومة تحت الاغطية. وبعد عشرة ايام من دخوله المستشفى على حمالة، غادره وهو يحمل حقيبة ملابسه في يده.

ويهتم المتخصصون في بحوث القلب بفتح باب جديد في مجال معالجة امراض القلب باستعمال الدوبيوتامين وبضعة عقاقير جديدة اخرى، مع استعمالات جديدة لبعض العقاقير القديمة ومجموعة من الاجهزة المعقدة لرصد تأثير العقاقير، واحراز تقدم في معرفة طريقة قيام القلب بوظائفه. وقد ادى ذلك الى انقاذ آلاف الارواح كل عام.

وهناك عقار جديد آخر مثير للاهتمام يسمى دوبامين، وهو واحد من كاتيكولامينات الجسم المركبة من افرازات الغدة الكظرية، وبالتالي فهو العقار الوحيد المعروف بانه ينشط القلب ويزيد تدفق الدم الى الكليتين. ويعتبر تقدما مهما في معالجة الصدمات الناتجة من العمليات الجراحية القلبية وفي معالجة بعض ضحايا الانسداد التاجي.

وبعد حدوث نوبة قلبية او اجراء عملية جراحية للقلب، قد يتراجع الدم عائدا في الشرايين المؤدية الى القلب فيزيد في اغلب الاحيان من كمية السائل المتجمع في الرئتين. لكن دوبامين من شأنه تنشيط القلب المضطرب من دون رفع الضغط المعاكس لعمله، وهو بارساله المزيد من الدم الى الكليتين، يعمل كباعث طبيعي على در البول ويزيد بالتالي من تصريف السوائل والاملاح. ويجري عدد من الباحثين الاوروبيين تجارب على مجموعة جديدة من العقاقير تسمى "سدات بيتا"، ومن شأن هذه السدات محو آثار كاتيكولامينات الجسم في ضحايا النوبات القلبية. وقد وجد الاطباء في اسوج، على اثر تجربتين اجروهما خلال عامين في عيادة محلية على ٤٠٠ مريض، ان احدى السدات المذكورة،وتسمى "البرينولول"، تستطيع منع حدوث وفيات مفاجئة وتقلل عدد الوفيات الاجمالي وتحد من وقوع نوبات قلبية اضافية وذبحات صدرية واختلال نبض القلب، من دون ان تترك آثارا جانبية سامة.

الا ان عقاقير امراض القلب ليست كلها جديدة. فعقار ليدوكين يستعمل منذ زمن طويل كمخدر موضعي سليم لمئات آلاف المرضى، سواء على الجلد او في العيون او بالحقن. وقد تبين من الدراسات التي اجريت في شأن

تأثيره داخل الجسم انه ينطوي ايضا على قدرة ملحوظة لوقف اختلال نبض القلب في الحالات التي تصاحب غالبا النوبات القلبية والتي يمكن ان تتطور الى حالة الانقباض العضلي القاتل في القلب. ويعتبره الطبيب بيتر فرومر من المعهد القومي الامريكي لبحوث القلب والرئتين، عنصرا من اهم عناصر التقدم في مجال علاج النوبات القلبية. فمنذ عشرة اعوام او ١٥ عاما، كان معدل الوفيات بين مرضى القلب في مستشفيات الولايات المتحدة قرابة ٣٠ في المئة. اما اليوم، بالنظر الى تحسين العناية اجمالا داخل المستشفيات والى الاستعمال الروتيني لعقار ليدوكين في حالات اختلال النبض بعد نوبة قلبية، فقد هبطت تلك النسبة الى اقل من ٢٠ في المئة.

الانسداد اكبر مشكلة - ولعل اعقد مشكلات امراض القلب واكبرها اطلاقا والتي لا تزال بلا حل حتى الآن هي حالة انسداد العضلات. وقد اشتق اسمها من كلمة "مايوكارديوم" اللاتينية، ومعناها عضلة القلب. اما الانسداد او التجلط فهو عملية موت انسجة القلب نتيجة حرمانها كميات كافية من الدم. وهذا يحدث عند انسداد شريان او اكثر من شرايين القلب جزئيا او كليا.

وحتى الآونة الاخيرة لم يتوافر علاج ايجابي لانسداد عضلات القلب، بل كان العلاج يقتصر على الراحة في الفراش واستنشاق الاوكسيجين وتناول المسكنات وغير ذلك من العلاجات المساندة للحياة، ريثما تتاح الفرصة للقلب لشفاء نفسه بنفسه.

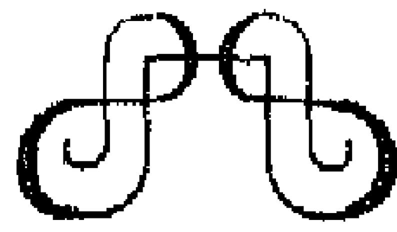
وقد اصبح اليوم لدى العلماء والاطباء اجهزة جديدة واساليب عصرية لدراسة ما يجري داخل القلوب العليلة. وهم ينظرون الى النوبة القلبية لا كحادث منفرد، بل كهجوم متدرج قد يدوم ما بين ٤٨ و٧٢ ساعة حتى بعد ادخال المصاب المستشفى. ففي بادىء الامر يقتصر فقد الدم على قسم صغير من عضل القلب فيتسبب ذلك في موت خلايا القلب، حتى اذا مات عدد كاف منها تكونت منطقة مسدودة او متجلطة. وحول هذه المنطقة يفتقر مزيد من الخلايا الى الاوكسيجين. واذا لم تتجدد دورة الدم فان هذه الخلايا ستموت هي ايضا، مما يوسع رقعة المنطقة المسدودة. وكلما اتسعت هذه الرقعة ازداد الخطر الذي يهدد حياة المريض. ويصبح الموت امرا مرجحا في حالة انسداد ٤٠ في المئة من البطين الايسر. ومع توافر الادلة الكافية على ان ذلك الوصف ينطبق على النوبة القلبية فقد استطاع المتخصصون في بحوث القلب تغيير مواجهتهم للمشكلة من موقف "الاستمرار في الخطة المتبعة" الى موقف "شن الهجوم". فكان المصاب مثلا بنوبة قلبية حتى الآونة الاخيرة، يعطى عقاقير منشطة للقلب لكي يضخ مزيدا من الدم. وهذه عملية ابقت المصاب على قيد الحياة باجهاد حركة قلبه، وربما زادت ايضا من حجم الانسداد. وفي مقابل ذلك، فان احدى طرق العلاج الجديدة التي هي قيد الدراسة والبحث تتخذ اتجاها معاكسا، وذلك بحقن الشريان بعقار نيتروبروسايد او نيتروغليسيرين. وبدلا من حفز القلب على الضخ بصورة

انشط، فان هذين العقارين يوسعان الاوعية الدموية فيخف الضغط الذي يتعرض له عمل القلب. وبهذا يستطيع القلب الضعيف ضخ المزيد من الدم من دون ان تزداد اعباؤه، مما قد يحد من حجم المنطقة المسدودة.

ونذكر من بين مشاريع البحوث الجارية مراقبة التأثير الذي تحدثه تركيبة مركزة من الغلوكوز والانسولين والبوتاسيوم لدعم القلب من الناحية الايضية (اي مجموع العمليات الفيزيو - كيميائية المستمرة داخل الجسم والمنطوية على تمثل الطعام وانحلاله)، ومراقبة الستيرويدات (وهي مواد مركبة من الاستيرول المشابه للكوليستيرول وحوامض الصفراء وهورمونات الجنس وسواها). فان هذه المواد، بمكافحتها الالتهابات وتخفيف التورم، قد تحد من تزايد انسداد عضلات القلب واستعمال الوسائل الآلية كادخال بالون في الشريان الاورطي يتم نفخه وتنفيسه بالتناوب للمساعدة في عملية الضخ.

ويقول الدكتور فرومر: "ان الامر المثير الناتج من هذه الدراسات والبحوث ليس مجرد التمكن من انقاذ الحياة، بل كون هذه الدراسات والبحوث تستهدف تحسين نوعية البقاء على قيد الحياة بالحد من الاضرار التي تصيب القلب. ولا بد من الانتظار عامين او ثلاثة اعوام لمعرفة اكثر الاساليب فعالية بين تلك المجموعة".

■ وولتر س. روس



مجرد تساؤل

اسكن في مدينة تضم كلية يتولى كثير من طلبتها طهو طعامهم للمرة الاولى. وفي مساء ذات يوم، كنت في السوق الكبير، وانحنيت لاختار صندوقا من البيض من رف مخفوض، وفتحت الصندوق لأتأكد من عدم وجود بيض مكسور، فانحنى شاب ملتح الى جواري واخذ صندوقا يحوي درينة من البيض وفتحه. ثم التفت الى ناحيتي وسألني في همس: "ما الذي نبحث عنه؟" ب.س.

كلب كذاب

عرض رجل ان يبيع كلبه بخمسة دولارات وادعى بانه يتكلم. فقال الكلب متوسلا الشاري: "ارجوك ان تشتريني لان صاحبي لا يطعمني، حسدا مني لانني نلت مرة وسام النجم الفضي ووسام جرحى الحرب".

فاذهل الشاري وقال للبائع: "لا ريب في ان كلبك يتكلم. انه يساوي ثروة. لماذا تريد ان تبيعه بخمسة دولارات فقط؟".

فاجاب البائع: "لأنني لا اتحمل الكذابين".

الجمال الفريد

كما فعل سلفه جون جيمس اوديبون في القرن السابق، صرف رسام الطيور الامريكي لويس أغاسيز فويرتيس حياته معبرا عن تقديره لجمال الطيور المفرد.

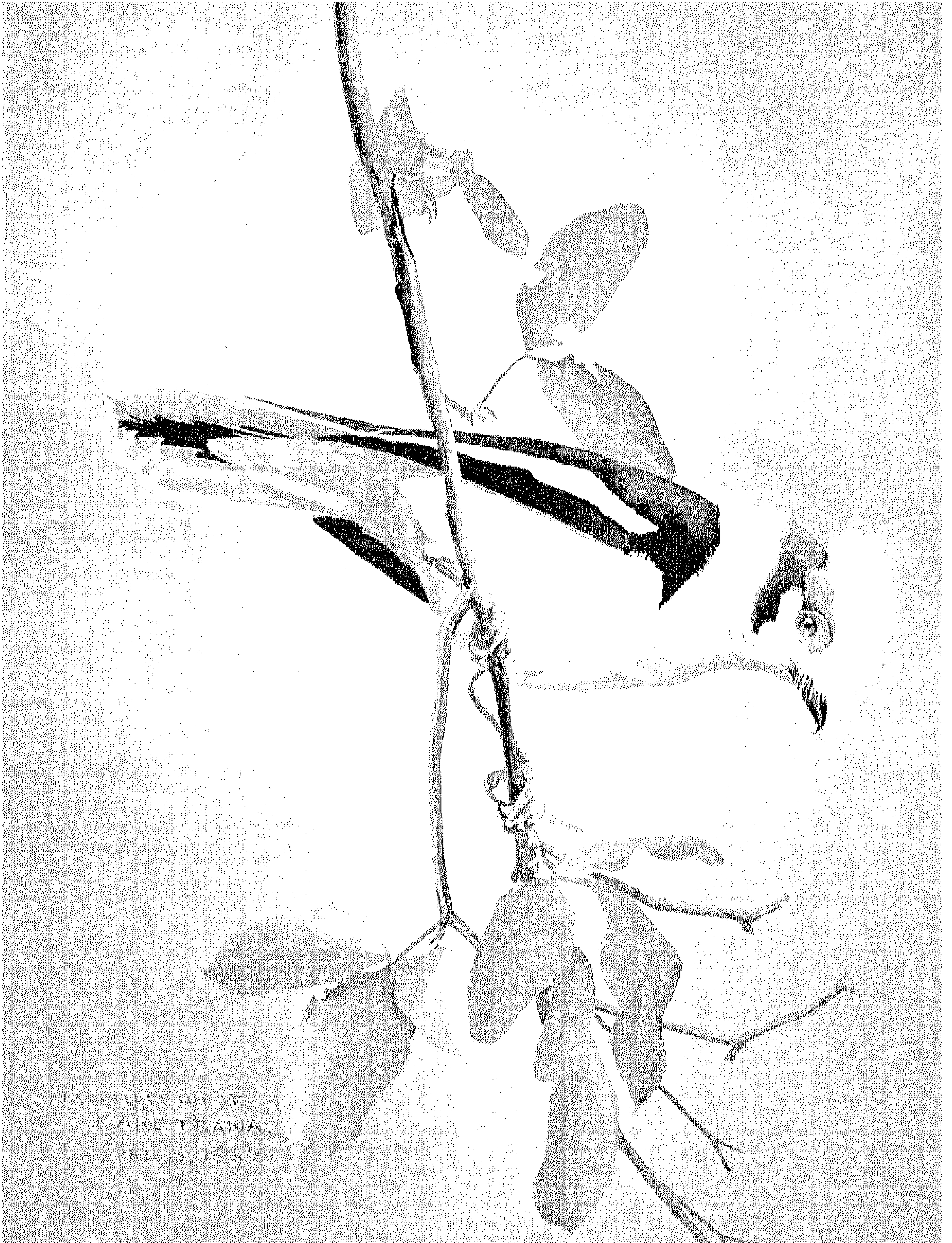
اي سر يحمله الأسم؟

منذ ١٠٠ عام ونيف، قرر استيفان انطونيو فويرتيس، استاذ الهندسة المدنية في جامعة كورنيل الامريكية في ايثاكا (ولاية نيويورك)، ان يعطي ولده السادس اسم لويس اغاسيز، تيمنا بعالم التاريخ الطبيعي السويسري المولد الذي كان قبيل ذلك الحين يلقي محاضرات في موضوعه في الجامعة نفسها. ومنذ طراوة عوده اظهر لويس اهتماما عارما بالطبيعة، حتى اذا شب لم يكفه ان يصبح عالما في التاريخ الطبيعي من الطراز الأول، بل اصبح ايضا اعظم رسام امريكي للطيور بعد جون جيمس اوديبون.

وقبل تخرجه في جامعة كورنيل، كان فويرتيس قد زين ثلاثة كتب عن الطيور بالرسوم. واستمر يثقف نفسه في حقله حتى وضع رسوما لمطبوعات لا تحصى ولما يزيد على ٦٠ كتابا.

ولا شك في ان اللوحات التي وضعها اوديبون في القرن التاسع عشر تركت اثرا عميقا في فويرتيس الذي يقول: "لقد اعطتني لوحات اوديبون اكبر متعة كولد. وطوال سنوات كانت هذه اللوحات الاعمال الوحيدة عن الطيور الامريكية التي تسنى لي الاطلاع عليها. وكانت اقوى جواب على تشوقي ايام الصبا لارى روعة الطيور الفريدة معبرا عنها بالريشة واللون".

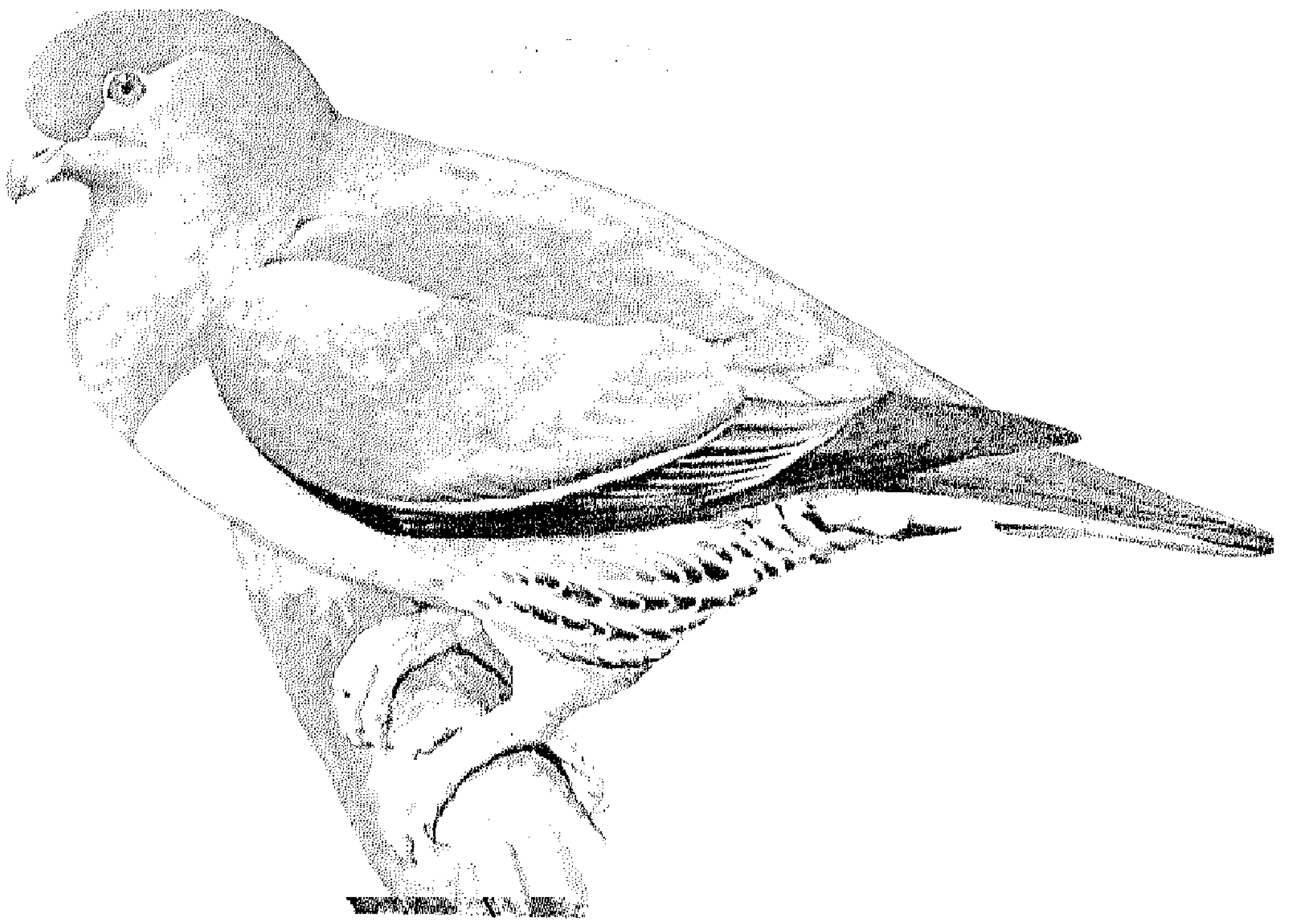
ان العنصر الذي يميز فويرتيس عن اوديبون، في نظر كثيرين من ذواقي الفن المحترفين، هو نجاح فويرتيس في تصوير الطيور كمخلوقات تعيش حياتها بملء، مؤكدا الحيوية والحركة وليس الشكل وحده. لكنه، في الوقت



دغناش ذو خوذة وعرف ملتف،
سحر هذا الطائر الصغير اسر فويرتيس لدى زيارته اثيوبيا عام ١٩٢٧.



صقر أحمر الذيل.
امريكا الشمالية : النسور والصقور كانت طيور فويرتيس المفضلة، لجرأتها وسرعتها.

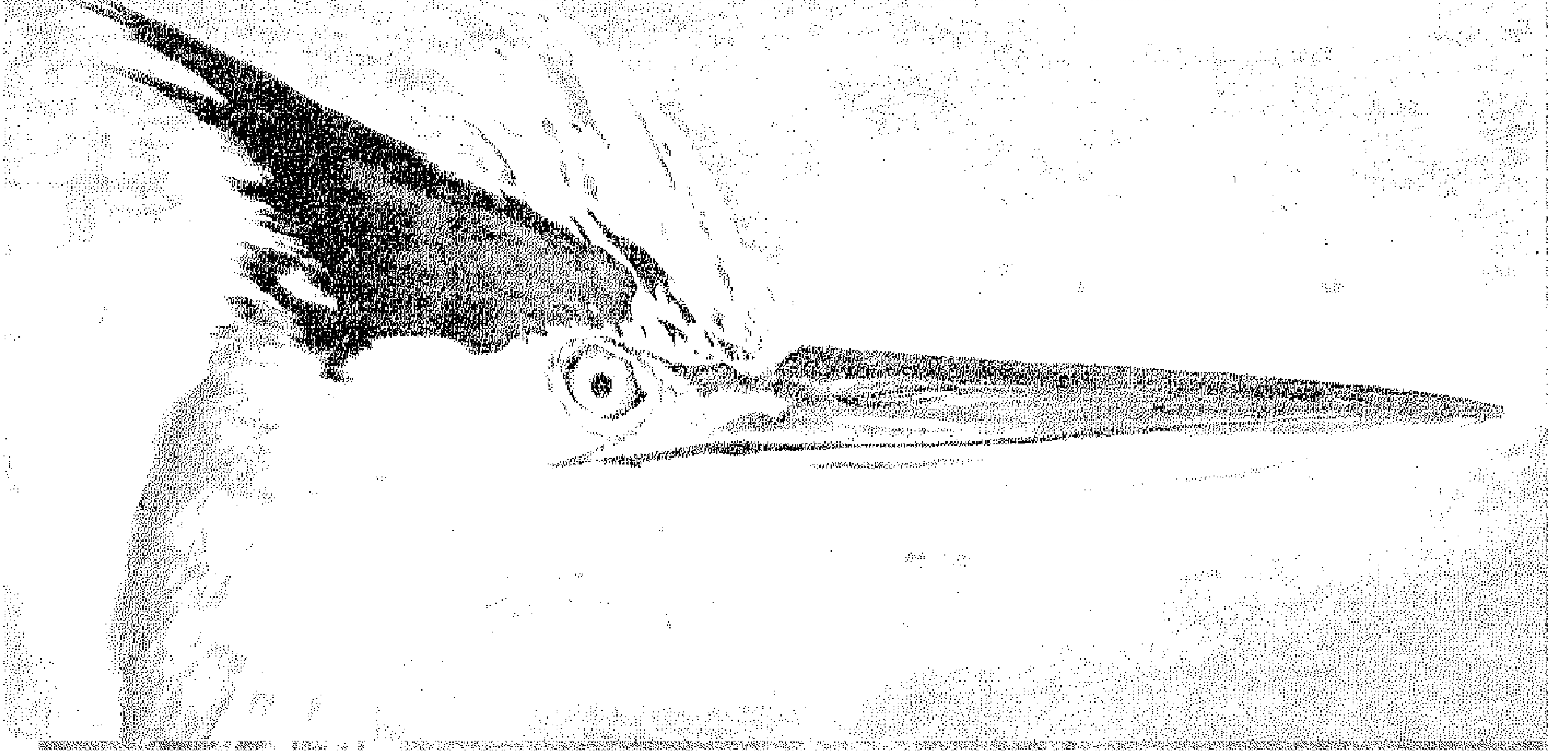


حمامة بروس خضراء .

افريقيا : تنويعات دقيقة ورائعة في اللون، من الزهري حتى الأخضر السماوي.

طوقان زمر"دي صغير .

امريكا الجنوبية : استعمل الرسام الاوراق المسطحة توكيدا لاستدارة جسم الطوقان الصغير.

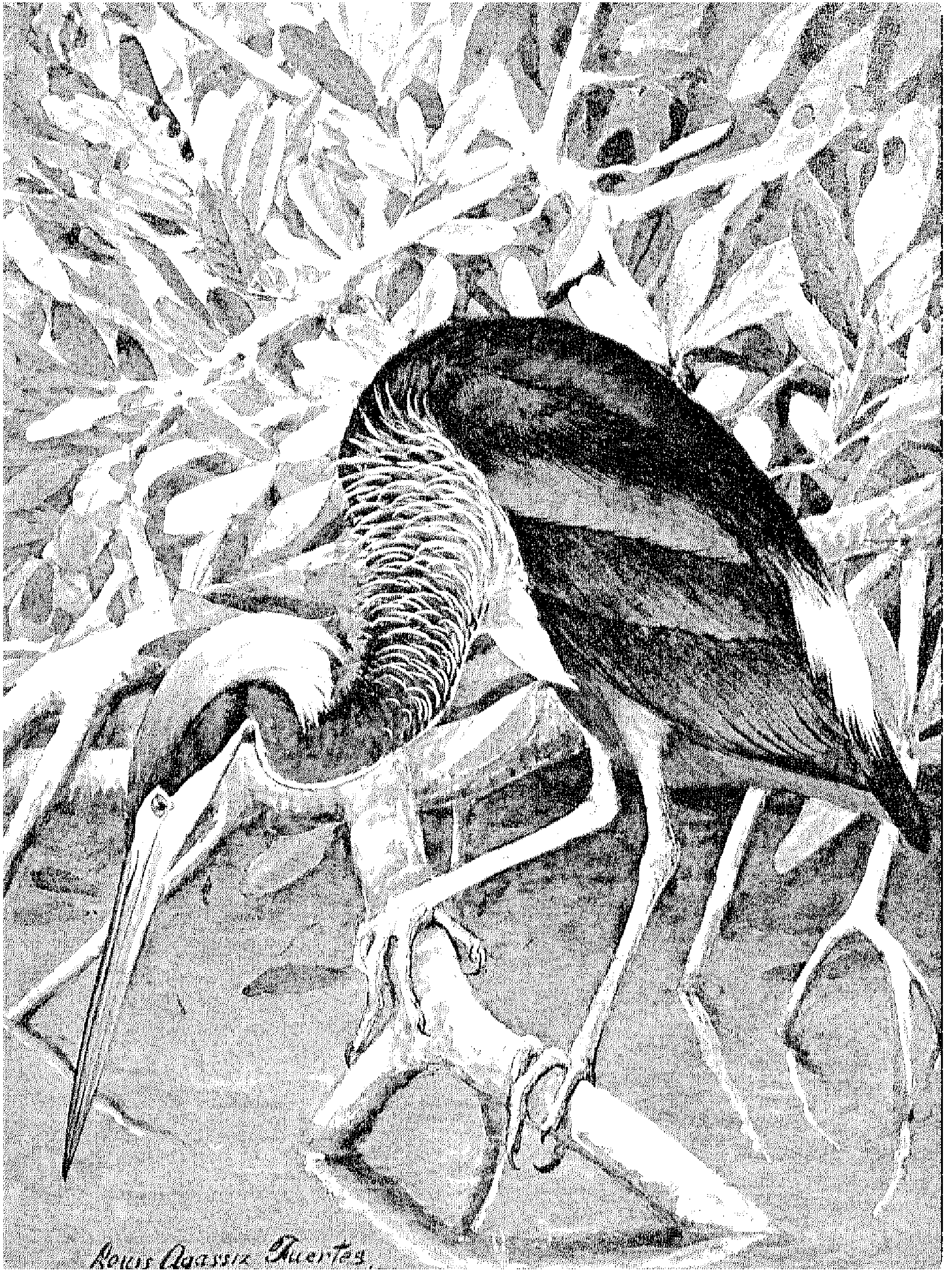


مالك الحزين (أزرق ضخم)

احيانا كثيرة صادف فويرتيس هذا الطائر قرب بحيرة كايوغا في نيويورك، وهو اكبر مالك حزين امريكي.

زرياب (أبو زريق) طويل الذيل

امريكا الوسطى : مثل على الروعة التي رسم بها الفنان قمة رأس الزرياب واطراف جانحيه.



مالك الحزين (لا تزاوجي)

رسم لطائر مكسيكي وضعه فويرتيس من الذاكرة عام ١٩٠٣، فيه انسجام بين القوائم والجذور.

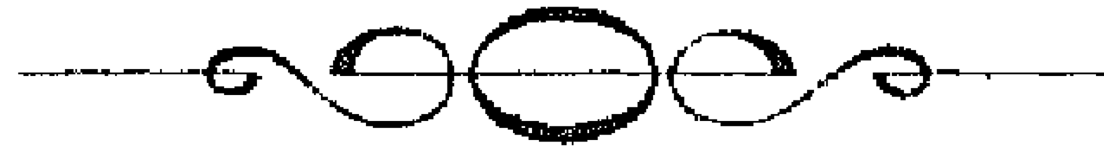
نفسه، كان يسعى جاهدا الى الدقة المتناهية. ويكتب في مذكراته انه رسم مرة نسرا يحمل فأرا ميتا في منقاره، لكنه اعاد رسم الفأر لكي يبدو ميتا بوضوح تام.

بالاضافة الى هذا، كان فويرتيس يملك مقدرة فذة على تقليد اصوات الطيور تقليدا كاملا. وغالبا ما عمد الى هذه الاصوات ليدعو الطيور اليه. وفي اثناء مرافقته بعثة علمية الى كولومبيا البريطانية، كتب الآتي: "كان هناك صوت طائر حيرنا جميعا، ينبعث من قلب الغابة عالي النغمة وصافيا وجميلا، وصداحا كما القيثارة. وبدا كأنه طائر من نسج الخيال. فهو يسمع ولا يرى، ويغوي الولد الصغير دونما انقطاع. وراودني ان احاول تقليد صوته. ولم اكد افعل ذلك حتى سقط جواب ناعم فوق رأسي. واذا بالطائر ذكر بهي متعدد الألوان من فصيلة السمانى".

وفي عام ١٩٢٧، بينما كان فويرتيس يتجاوز بسيارته قاطرة تبن بالقرب من بنغمتون في ولاية نيويورك، وصل الى نقطة تتقاطع فيها الطريق مع السكة الحديد، فقتله قطار عابر في تلك اللحظة. وكان عمره ٥٣ سنة.

وطوال حياته القصيرة نسبيا، برهن لويس اغاسيز فويرتيس عن امانة فائقة للاسم الذي استلهمه له والده وخلف ميراثا من اجمل رسوم الطيور التي عرفها العالم.

■ وليم أ. هـ. بيرني.



أصغر كتاب في العالم

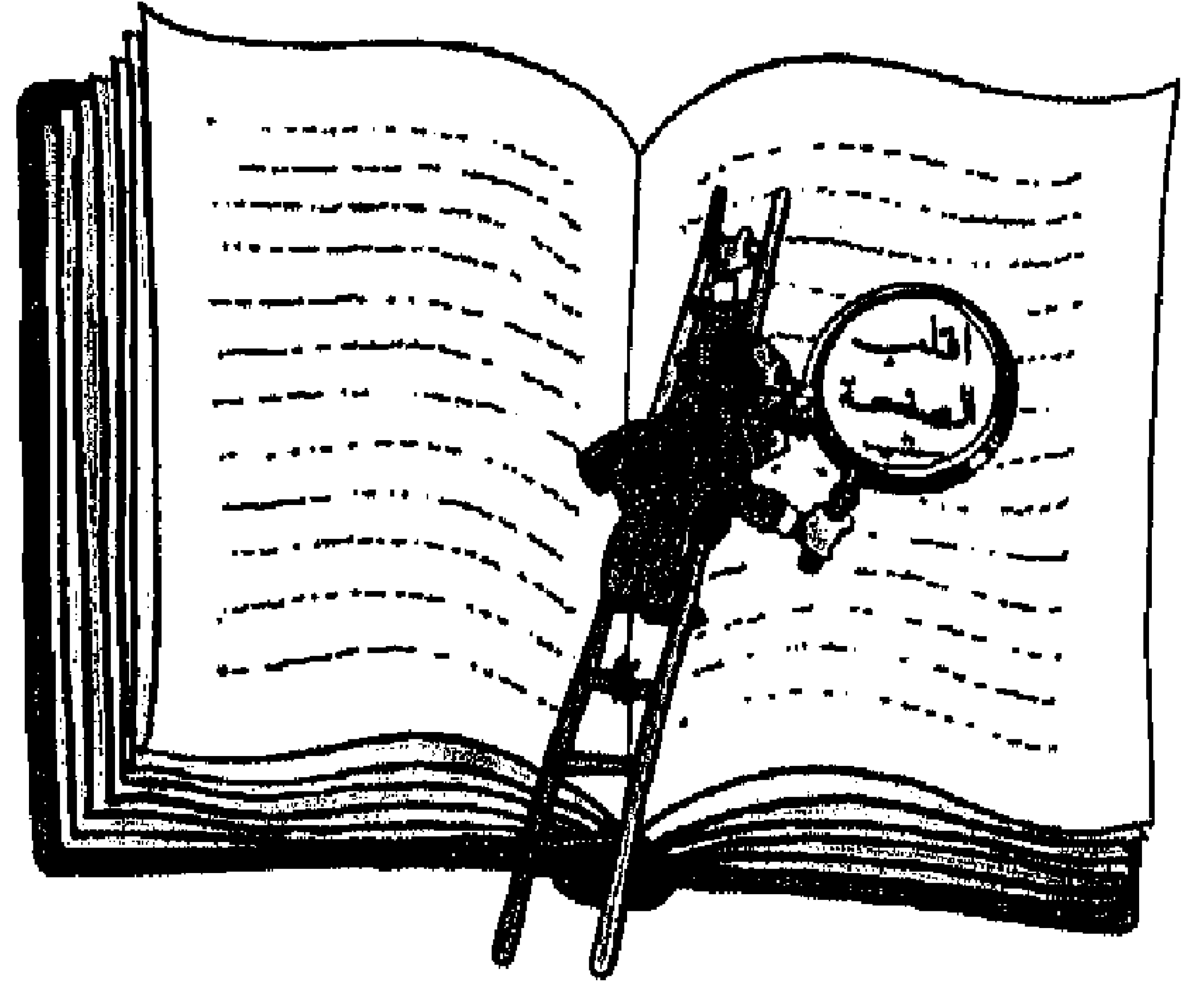
يملك متحف موسكو للفنون التطبيقية أصغر كتاب في العالم، عنوانه "القرصان". وهو يضم مختارات من قصائد الشاعر الأوكراني تاراس شيفتشنكو، ويبلغ حجمه المتناهي الصغر ستة أعشار المليمتر المربع، وينطوي على ١٢ صفحة فيها أربع قصائد لا يمكن قراءتها الا من خلال المجهر (ميكروسكوب)، اذ يبلغ قياس كل حرف ٠،٠٠٣٥ من المليمتر. وغلاف الكتاب ورقة وردة، وهو مربوط بخيط في سمك خيوط العنكبوت. ويعود صنع هذه النسخة الى مهندس سوفييتي من مدينة كييف يدعى نيكوى سيرجيفتش زياردريستي، الذي أعد بنفسه كل الأدوات التي استلزمها هذا العمل.

صحيفة "سودويتشه تسايتوغ" - ميونيخ)

تحسين الحليب

بعد ان اصدرت حكومة جنوب افريقيا لائحة تحدد المستوى الادنى من الجودة الذي يجب توافره في الحليب المعروض لاستهلاك الجمهور، استمر بعض المزارعين في توريد كميات من الحليب تقل جودتها عن المستوى القانوني الى احدى تعاونيات صناعة الالبان، فاضطرت التعاونية الى رفض تسلمه. وحين اجتمع مجلس ادارة التعاونية لمناقشة المشكلة، ضرب احد الاعضاء بقبضته طاولة الاجتماع وصاح بلهجة حاسمة: "سيدي الرئيس، آن لنا ان نمسك بالثور من قرنيه ونطالب بنوع اجود من الحليب!"

د. ف.



دائرة المعارف

هذا الباب فتحه "المختار" بهدف زيادة معارف قرائه من جهة، ومساعدتهم على فهم بعض المواضيع المتخصصة.

ومن اجل الوصول الى هذا الهدف اخذ "المختار" بفكرة الرياضة الذهنية فاسحا امام قرائه مجال الاختبار.

كلمات الدائرة في هذا العدد متعلقة بالأخطاء اللغوية الشائعة. وقد وضعت أمام كلّ كلمة أربعة معانٍ، واحد منها فقط صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثمّ يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة الصحيحة.

١ . **الحجّة**: المناقشة - البرهان - شهر قمري - السنة.

٢ . **فَشِلَ**: ضعفَ - دُهش - أخفق - هرب.

٣ . **يَضْمُرُ**: ينوي - يخفي - يهزل - يلفّ خصره.

٤ . **أدْكَن**: صفة تُستعمل خطأ، وصوابها داكن - لونه مائل الى السواد - أحمر - أصفر.

٥ . **النّدوة**: المطر - موضع شرب الأبل - النداء - المجلس.

٦ . **الحَماس**: العصبية - الشدّة والشجاعة - نوع من الشجر - القتال.

٧ . **مُطَّرِد**: كلمة خطأ صوابها مضطرد - متتابع - متقطع - شاذّ.

٨ . **أذِنَ**: أصاب الأُذُن - اقترب - صلى - أباح.

٩ . **الخِطْبة**: المصيبة - الصداقة - طلب المرأة للزواج - الخطاب او الخطابة.

١٠ . **نَفَذَ**: انحرف - انقطع وزال - أطاع - اخترق.

١١ . **يَخْلُقُ**: يوجد (الله) - يبدع (الفنّان) - يصلح - يبلى.

١٢ . **خَطير**: مهدّد للسلامة - فتّاك - رفيع المقام - متكبّر.

١٣ . **وَصَلَهُ**: أحبّه - جمعه - بلغ إليه - تسلمه.

١٤ . **الحِشْمة**: الغضب - القرابة - الحياء - الخادمة.

١٥ . **اعتقد**: صدّق واعتنق - صدّق - رجّح مع احتمال النقيض - تعاقد.

١٦ - **الصِّراط**: السيف الطويل القطاع - صفة لكلّ شيء طويل - الطريق - الصّواب.

١٧ . **اسْتَحَلَّ**: أقام - استولى - فكّ - اتّخذ الشيء حلالا.

١٨ . **طَوايا**: فضائل - ثنايا - أوقات - نيات أو ضمائر.

١٩ . **الزَلّة**: الحجارة المُلْس - السقوط أرضاً - الخطيئة - الصنيعة.

٢٠ . **الخِطّة**: الطريقة - الخطأ - الكتابة - الأرض الخاصة.

٢١ . **الرِّفاق**: الحبْل ترفق به الناقة - العطف والشفقة - الناحية - جمع رفيق.

٢٢ . **بَطَلَ**: كذبَ - هزلَ - صار شجاعاً - تعطّل.

٢٣ . **الكُلْفة**: لونٌ أحمر كَدِر - العاشقة - المشقّة - التصنّع.

٢٤ . **حَضِرَ**: أعدّ - امتثل - أتى - أقام في الحَضَر.

٢٥ . **صالِح**: صاحٍ - مسالم - ملائم - خَيْر أو نفع (هذا لصالح فلان).

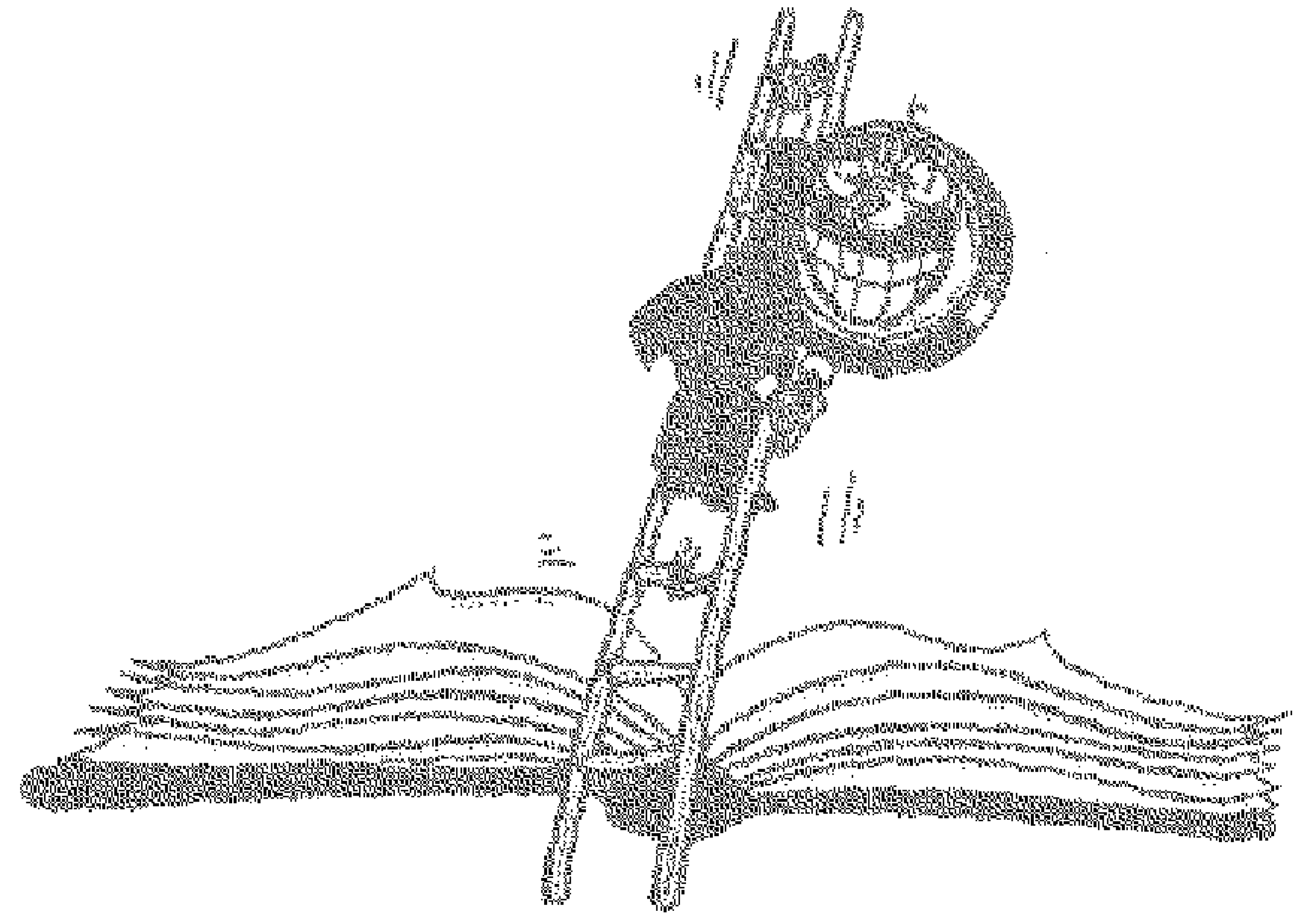
٢٦ . **الكَمين**: القوم يختبئون على العدوّ - التخفي - الموضع الذي يَكْمَن فيه - ظلمة العَيْن.

٢٧ . **أهداه**: أرشده - علمه - فرّقه - أتحفه إكراماً.

٢٨ . **ظَفَرَ**: قَهَرَ - غرز ظفْره - فتل - (الحبل أو نحوه) - نال.

٢٩ . **اضْطَلَعَ**: نَهَضَ بالشيء - عَلِمَ - استَعْلَم - ظَهَرَ.

٣٠ . **القِمّة**: القَوْم - الخصْب - الذروة - المزبلة.



الأجوبة الصحيحة

١ . الحِجَّة: السنة، لأنّ الحجّ يقضى سنوياً. الحُجَّة: البرهان.
٢ . فَشِلَ: ضعف وتراخى وجبن.
أخفق: طلب حاجة فلم يدركها خاب.
٣ . يَضْمُر: يهزل ويدق ويقل لحمه.
يُضْمِر: يخفي امراً، يعزم على شيء.
٤ . أدْكَن: لونه مائل إلى السواد.
داكن: تستعمل خطأ بمعنى "أدْكَن".
٥ . النَّدْوَة: موضع شرب الابل.
النَّدْوَة: النادي، المجلس.
٦ . الحَمَاس: شَجَر.
الحَماسة: الشدّة والشجاعة.
٧ . مُطَّرِد: متتابع. اطَّردت الأنهار: جرت. حكم مطرد: عام لا شذوذ فيه.
مُضْطَرِد: تستعمل خطأ بمعنى مطرد.
٨ . أَذِنَ: أصاب الأذُن.
أَذِنَ: أباح، أجاز، أعطى إذْناً.
٩ . الخُطْبَة: الخطاب أو الخطابة.
الخِطْبة: طلَبُ المرأة للزواج.
١٠ . نَفَذَ: اخترق. بلَغَ.
نَفِدَ: فرغ، انقطع، فني.
١١ . يَخْلَق: يَبْلى (الثوب). يولي (الشباب).
يَخْلُق: يوجد. يبدع من العدم.
١٢ . خَطير: رفيع المقام والقدر. ليس له خطير: أي عديل.
خَطِر: مهدِّد للسلامة. متبختر.
١٣ . وَصَلَه: جمعه، لأَمَه. أحسن إليه. وصل إليه: بلَغَ إليه.
١٤ . الحَشْمَة: القرابة. الذمام.
المرأة. الحِشْمَة: الحياء. الغضب.
١٥ . اعتَقَد: صدّق واعتنق. تديّن. أحياناً تستعمل خطأً بمعنى ظَنّ.
ظَنّ: رَجَّحَ مع احتمال النقيض.
١٦ . الصِّراط: السيف الطويل القطاع.
الصِّراط: الطريق.
١٧ . استَحَلَّ: اتخذ الشيء حلالاً.
احتلّ: نزل بالمكان. أقام. استولى.
١٨ . طَوايا: نيّات، ضمائر. آبار مطويّة. طَيَّات: جمع طيّة: ثَنايا.
١٩ . الزَلّة: الصنيعة. ضيق النَّفَس.
الزّلّة: الخطيئة. السقطة.
٢٠ . الخِطَّة: الأرض ينزلها المرء قبل سواه. ما يختطه الانسان لنفسه من أرض. الخُطَّة: الطريقة. الأمر.
٢١ . الرِّفاق: الحبْل ترفق به الناقة.
الرُّفَقاء: جَمْع رفيق.
٢٢ . بَطَلَ: صار شجاعاً فهو بَطَلٌ.
بَطَلَ: ذهب ضياعا فهو باطلٌ.
٢٣ . الكَلْفَة: المرأة العاشقة (مؤنث الكلف)
الكُلْفَة: المشقة أو ما تكلفْتَهُ عليها.
٢٤ . حَضَرَ: أقام في الحَضَر.
شَهِد. حَضَرَ: أتى. حان.
٢٥ . صالِح: ملائم، أهل، ضدّ فاسد. والكلمة أحياناً تستعمل خطأً بمعنى مصلحة: "فَعَلَ هذا لصالح فلان".
مَصْلَحَة: نَفْع، خَيْر.
٢٦ . الكَمين: القَوْم يختبئون على العدوّ في مكْمَن.
المَكْمَن: الموضع الذي يكمَن فيه.
٢٧ . أهْداه: فَرّقَه. وهي تستعمل خطأً بمعنى أهدى اليه. أهْدى إليه: قدّم إليه هدية. أتحفه إكراماً.
٢٨ . ظَفَرَ: غرَزَ ظفْرَه.
ظَفِرَ: نال. فاز. غلب.
٢٩ . اضْطَلَعَ: نهض بالأمر واحتمله وقوي عليه. أطَّلَعَ: عَلِمَ بالأمر.
٣٠ . القَمَّة: المزْبلة.
القِمَّة: الذرْوَة: أعْلى كلّ شيء.

المستوى

٢٥ – ٣٠: ممتاز / ١٩ – ٢٤: جيد
١٣ – ١٨: مقبول

مع تشرشل قبل الحلاقة الأولى

اقتضت الحاجة بطلا من عظماء العالم لاكتشاف الرجل الكامن في الصبي.

كم يتحسر المراهق اذا بلغ السادسة عشرة ولم تمس موسى الحلاقة بشرته.

في عيد الميلاد اهدى اليّ والدي طاسة وصابونة معطرة وفرشاة ذات ممسك عظمي وموسى من احدث ما نزل الى السوق، وقال لي وهو يغمزني بطرفة عين تنم عن حسن ظنه بي: "هذه لك، فانك ستحتاج اليها قريبا". وبدأت احدق في المرآة كل صباح بلا جدوى، الى ان اطل عام ١٩٤٩ من دون ان تطل في وجهي اي ظلال للزغب.

وفي شهر فبراير (شباط) اقترفت الزلة الرهيبة وحملت معي الطاسة والفرشاة وموسى الحلاقة الى مدرستي الداخلية، واخفيتها في خزانتي احتياطا لبروز رجولتي على حين غرة فيما انا اتابع درس علم الاجتماع او اللغة اللاتينية. ولم يعتم الامر حتى اهتدى طالبان اشعران من طلاب السنة الثانية الى مكمن ادوات الحلاقة وافتضحا سرها في غمرة من التعليقات الساخرة.

وبعد ذلك تملكني شيطان الحلْقة الاولى المراوغ واستحوذ على كل افكاري.

وذات يوم قبيل عيد الفصح اخبرني والدي انه ينوي التوجه مع والدتي الى انكلترا في زيارة قصيرة، وقال عرضا ان في امكاني مرافقتهما ان شئت.

وفي الثاني من ابريل (نيسان)، وطئت قدماي ممرا خشبيا، واذ بي داخل باخرة "كوين ماري" الفخمة المترفة. ولم انس ان احمل بين امتعتي ادوات الحلاقة البكر.

وقبل موعد الاقلاع بساعة، احتشد جمهور المودعين في قمرة والدي القائمة على الجناح "أ" من الباخرة واشتد فيها الصخب. (وقد صادف ذلك الاسبوع ان كتاب "اعظم قصة تروى"، وهو من تأليف والدي، كان على رأس قائمة مبيعات الكتب

الرائجة في الولايات المتحدة)٠ وكانت قمرتي في الجناح العلوي فوق قمرة والدي مباشرة٠ وما كدت اصل اليها مع رهط من رفقاء المدرسة حتى دوت صافرة السفينة انذارا للضيوف بمغادرة "كوين ماري"٠ وكان احد اصدقائي يقرأ سجلا باسماء الركاب، فصاح بي بغتة: "انظر"، مشيرا باصبعه الى اسم بين الاسماء، فقرأته بصوت عال ولكن لم أصدق عيني: "ونستون تشرشل"٠ نعم، تشرشل! وكنت في السادسة عشرة من عمري اخال تشرشل في مصاف الآلهة٠

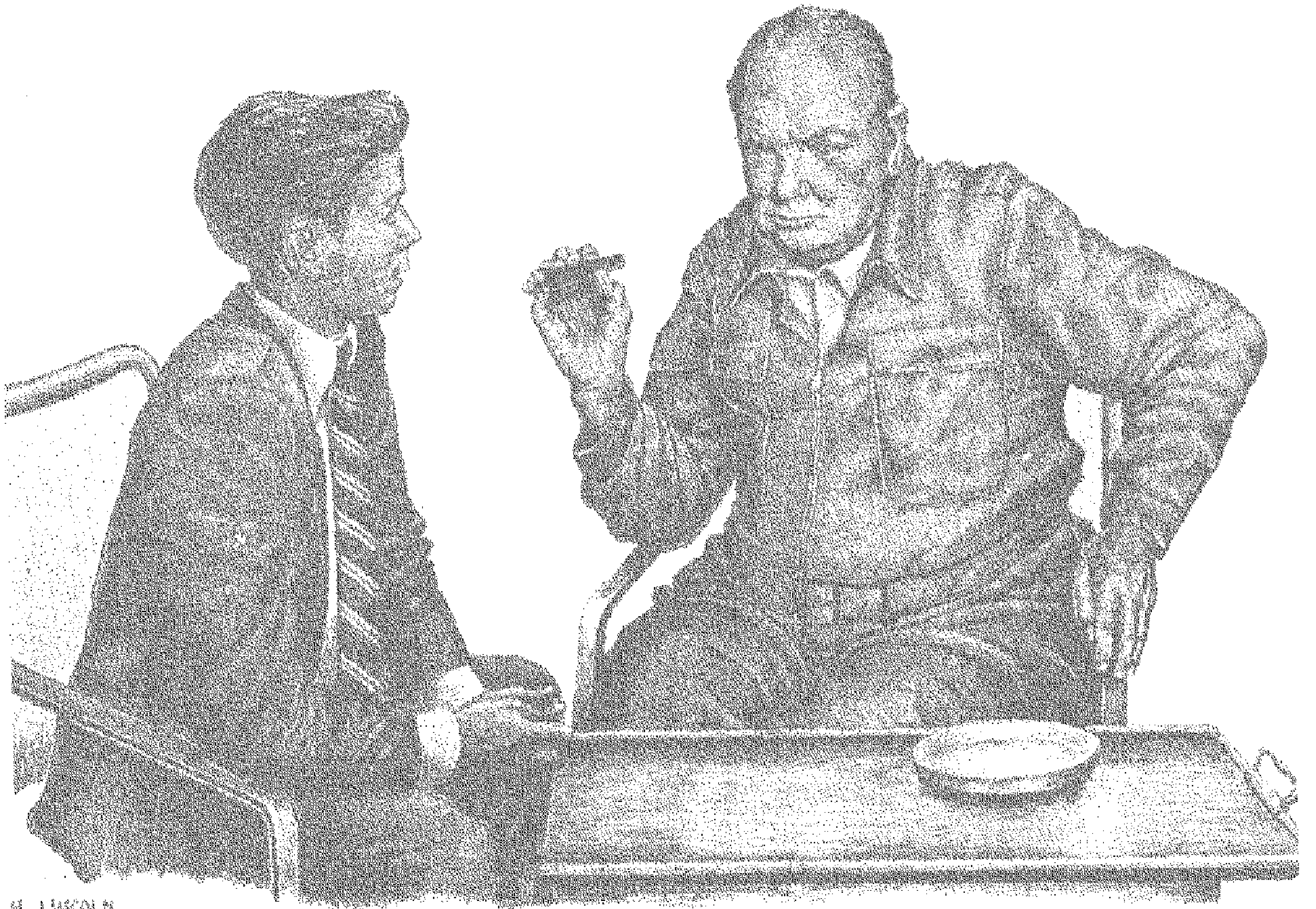
وانطلقت صافرة السفينة مرة ثانية٠ وبعد الوداع هرعت الى قمرة والدي معلنا: "اتدريان من على ظهر السفينة؟" فاجابني والدي: "نعم" ومد الي برسالة تقول: "عزيزي السيد اورسلر، ما اجمل المناسبة التي جمعتنا في رحلة واحدة! يسرنا لو انكم والسيدة اورسلر ونجلكم تناولتم الشاي معنا يوم الثلاثاء"٠ وحمل التوقيع اسم تشرشل٠

ما هكذا تتصرف الآلهة ـ وفي الايام التالية لمحت الرجل العظيم مرتين، كانت اولاهما وقت تناول الغداء حين جلس تشرشل على بعد طاولتين منا٠ كان وجهه القرنفلي يشع من فوق سترته الدكناء المقلمة بخطوط دقيقة٠ وكان يبتسم في وجوه الناس حتى جاء موعد الطبق الرئيسي، فعبس فيه وتحولت قرنفلية وجهه الى احمرار ادكن٠ فاستدعي للتو كبير الطباخين، وراح تشرشل يشير بعصبية الى الطبق ويلوح يديه في الهواء، فاتضح لي انه كان يعلم الطاهي كيف يكون اعداد الطعام٠ وبعدما غاب الطباخ المسكين شعرت بحرجه في نفسي٠

ورأيته مرة اخرى في وقت متقدم من الليل، وكان يعينه على المشي رجلان امسك كل منهما باحدى ذراعيه بينما ترنحت خطاه٠ وبدا لي ان تشرشل كان يود السير في اتجاه معاكس، الا ان الرجلين قاداه برفق، ولكن بحزم واصرار، الى باب قمرته٠

كان قلقي كبيرا لهذين المشهدين٠ فما هكذا تتصرف الآلهة في تخميني٠ وفي صباح اليوم المقرر للزيارة اعلمت والدي بمشاعري ونحن نتناول وجبة الفطور٠ لقد كان تشرشل فظ الطباع ومفرطا في الشراب٠ وقال لي والدي بعدما تنفس ملء رئتيه:

"اتحكم عليه يا هذا؟ ان ذاك الرجل خاض على صهوة حصانه غمار آخر هجوم شنه الفرسان في تاريخ الامم قبل ٥٠ عاما٠ وقد فرّ من معتقله في حرب البوير على رغم انهم رصدوا جائزة مالية مغرية لمن يأتي اليهم برأسه٠ وتمكن من العودة سالما الى انكلترا، حيث وضع ابان الحرب العالمية الاولى خطة استهدفت انهاء الحرب بسرعة٠ لكن خطته اخفقت، وفقد الرجل نفوذه السياسي لسنوات طويلة٠ ثم جاء هتلر، فحذر تشرشل العالم مما سيحدث٠ غير ان احدا لم يكترث لكلامه٠ واخيرا عندما صحت كل نبؤاته وكاد يفوت الآوان وكانت امريكا لا تزال على الحياد، الهم هذا الرجل امته والهب حماستها لقتال النازيين بمفردها٠ وهو، الى ذلك، خطيب مفوه لم يضاهه بلاغة عبر التاريخ سوى اثنين او ثلاثة٠ وقد وضع في اللغة الانكليزية اعظم المؤلفات منذ شكسبير٠ وانت! انت مهموم لان الرجل يتنوق في مأكله



ولانك تحسبه مفرطا في الشراب؟ اتدري ما قاله لينكولن عندما اشتكى الناس من ان غرانت (★) كان مخمورا؟

– كلا .

– لقد قال لينكولن: "سأرسل صندوقا من الويسكي اليه اذا كان ذلك يساعده على كسب الحرب". اتعرف ما قاله اوليفر كروموبل عندما جلس امام الرسام؟

– كلا .

– لقد اراد الرسام ان يتملق كروموبل بريشته، غير ان كروموبل قال له: "ارسمني كما انا، بالثآليل وبكل ما تراه".

(★) كان يولسيس س. غرانت قائد قوات الاتحاد ايام الحرب الاهلية الامريكية واصبح في اواخر القرن الثامن عشر رئيسا للولايات المتحدة.

وصمت والدي هنيهة ثم اردف قائلا بصوت هادىء: "انك الآن على عتبة الرجولة، وعليك ان تدرك ان ليس هناك رجل واحد كامل. حتى الابطال ليسوا كاملين. يجب ان تربي في نفسك احساسا بـ... بالتناسب في الامور".

لم اشعر، وانا ارتدي ملابسي عصر ذلك اليوم استعدادا لوقت الشاي، بأني نلت قسطا وافيا من التأديب فحسب، بل شعرت ايضا بالخوف من رهبة الموقف. فلقد نلت بمقياس الاحمق من قدر رجل عظيم جدا، ولا اقول من قدر اله. اما الآن، إذ استعد لمقابلته، فما ترى يكون قدري لو قاسني هو بمقياسه، قائلا لي على سبيل المثال: "اخبرني، ايها الشاب، ما رأيك في حرب البوير؟"

واحسست ببرودة في يدي وانا اسير مع والدي الى جناح تشرشل.

وسألت ابي فجأة: "من هم البوير؟"

فالتفت اليّ وقال: "ساخبرك في ما بعد. اما الآن فيكفيك ان تتذكر انه ما من رجل كامل الصفات. انت، مثلا، لديك نزعة الى الثرثرة. لكنني اتوقع منك بعد ظهر اليوم ان تصغي!" ثم طرق باب قمرة الاستقبال.

تشرشل وجهاً لوجه - وبعد دوار اصابني في اللحظات الاولى، تنفست الصعداء لأن تشرشل لم يكن في الحجرةالتي عجت بالضيوف. وكانت السيدة تشرشل تتولى تعريف الناس بعضهم على بعض. وفجأة ران صمت على المكان. فالتفت واذا به واقف مثل مفيستوفيليس، الشيطان الاسطوري، وسط سحب الدخان المتصاعد من سيجاره المشهور.

وكان يرتدي اغرب زي رأيته في حياتي، وهو بزة رمادية بدا لي ان جزءا منها صنع من قماش كالخيش وقد توسطه سحّاب حديديأمتد من العنق حتى الوسط. وعلمت في ما بعد أن تلك السترة كانت زي الميدان في الحرب العالمية الثانية.

ومشى بين الجميع يسلم عليهم فرداً فرداً حتى وصل الى والدي، فاقتاده من ذراعه وانفرد به في الجانب الآخر من الغرفة. وما ان جلسا حتى جلس بقية الناس على اقرب الكراسي اليهم مما تركني على بعد ستة امتار عنهما، فجلست ارقبهما بحسرة بينما طغت الاصوات من حولي على حديثهما. وتفوه والدي بكلام ضحك له تشرشل، فحاولت يائسا ان اميل بكاهلي صوبهما. وفي تلك اللحظة نظر تشرشل نحوي، واظن اني بدوت كمن سيقع من فوق كرسيه.

فابتسم تشرشل واومأ اليّ بيده كي أتقدم وسط الغرفة نحوه.

وما ان وصلت الى مكانهما من الحجرة حتى رمقني والدي بنظرة خاطفة لا يمكن اساءة فهمها. الصمت المطبق!

كان تشرشل يتحدث عن خطبته التي استخدمفيها عبارة "الستار الحديدي". فقال له والدي: "ان توقعاتك كلها تحققت، وهناك الآن انقسام مخيف بين روسيا والغرب. لكن بعد نظرك لا يمكن ان يجعلك انسانا مطمئنا". فاجابه تشرشل: "على العكس. فانا راض تماما. وارى اننا في حاجة الى ستالين والازمة التي اوجدها، ذلك لان نياته العدوانية وحدت الغرب اكثر من اي شيء آخر في الماضي. ويتوجب علينا ان نحمل روسيا معا على التخلي عن دول اوروبا الشرقية عن طريق اجراء انتخابات حرة".

- ولكن ما الذي تقترحه؟

ولم يجب تشرشل عن سؤال والدي فورا، بل تفرس في وجهي ليتبين ما اذا كنت اتابع مجرى الحديث. ثم تفرس في وجه بقية الضيوف في الحجرة، وقال وصوته يتعالى كلمة بعد كلمة وهو يتعمد الوضوح في نطقه والتريث بين العبارة والاخرى كما لو كان يلقي خطابا في قاعة المجلس النيابي: "الآن... انت تسألني ان اسلك عبر الجسر الضيق فوق الهوة السحيقة التي تفصل بين الابتذال والحماقة!"

فانفجر الضحك في ارجاء الغرفة،

وشعرت للمرة الأولى منذ قدومي بالارتياح والاطمئنان، والواقع اني شعرت بشيء من الانفراج سمعت فيه صوتي يقول فجأة: "سيدي تشرشل - اذا تمكن الروس من صنع القنبلة الذرية، فهل تراهم يتورعون عن استخدامها؟"

مسألة تناسُب — وعلى الاثر اطرق والدي، وفي مثل لمح البصر التفت الي محملقا. فندمت للتو على ما بدر مني. غير ان تشرشل بدا فرحا بسؤالي، وقال: "ان ذلك يتوقف طبعا على الظروف. الا ترى ذلك؟ قد يملك الشرق ثلاث قنابل، بينما يكون لدى الغرب ١٠٠ قنبلة. ولكن ما هو المآل لو افترضنا النقيض؟"

وهمّ والدي بالكلام، لكن تشرشل استمر متمتما باللهجة نفسها التي تعمدها في حديثه، وراح يرفع صوته بعد كل كلمة ويردد عباراته قائلا: "الا ترى... الا ترى ان المسألة غدت، بوجود القنبلة الذرية..." وبدأت الاصوات تنخفض في ارجاء الغرفة من جديد، فردد تشرشل قوله: "ان المسألة هي...." لكن بعض الاشخاص في ركن قصي من الغرفة لم يتنبهوا الى صوته، واستمروا في حديثهم. فكرر تشرشل قوله: "ان المسألة برمتها هي مسألة... مسألة..."

وبدا لي كأن الكلمة خانته فلم يقو على اتمام فكره. وفاتني انه كان يريد الاستحواذ على انتباه جميع الحاضرين بلا استثناء. وظننت ان والدي، لسبب او آخر، لم يشأ انقاذ تشرشل بكلمة تنتشله من عجزه المؤلم المباغت عن التعبير.

فقلت وصوتي كاد ان يجش فجأة في تلك اللحظة بالذات: "اتعني يا سيدي ان المسألة برمتها هي مسألة تناسب؟"

واتسعت عينا والدي وانحنى صوبي بغيظ. لكن تشرشل رفع يدا مهيبة ومد بالثانية سيجاره الشامخ نحو وجهي قائلا:

"نعم، بالضبط. التناسب كلمة ممتازة جدا، كثيرا ما نغفلها في الحرب والسلم على حد سواء. وعليك ايها الشاب ان ترددها كل صباح حالما تستيقظ من نومك. عليك ان تقولها لنفسك كلما وقفت امام المرآة... لتحلق لحيتك".

وبدأ رأسي يدور زهوا، وشعرت بانفراج عظيم لان والدي لم يعد غاضبا علي.

وكنت اسير جذلا مع ابي وامي خارج جناح تشرشل بعد انتهاء حفلة الشاي، وصحت بهما: "اتصدقان؟ انه يظن فعلا انني احلق لحيتي".

وتوقف والدي عن المشي، ونظر في وجهي مدققا وقال: "لو كنت مكانك لنظرت مليا في المرآة".

وفي غرفة الحمام الملحقة بقمرتي، تحققت بعد التمعن في المرآة من حقيقة الامر. ان على شفتي العليا تباشير نمو الزغب.

وللتو اخرجت طاستي والفرشاة والموسى، وجعلت للصابون رغوة تكفي لحلاقة ذقن كل رجل على ظهر الباخرة. ورفعت الموسى الى وجهي وامعنت مليا في المرآة، ونطقت بأولى كلمات رجولتي في اجش صوت امكنني اخراجه:

"اتدري ان المسألة - المسألة برمتها - هي مسألة تناسب؟"

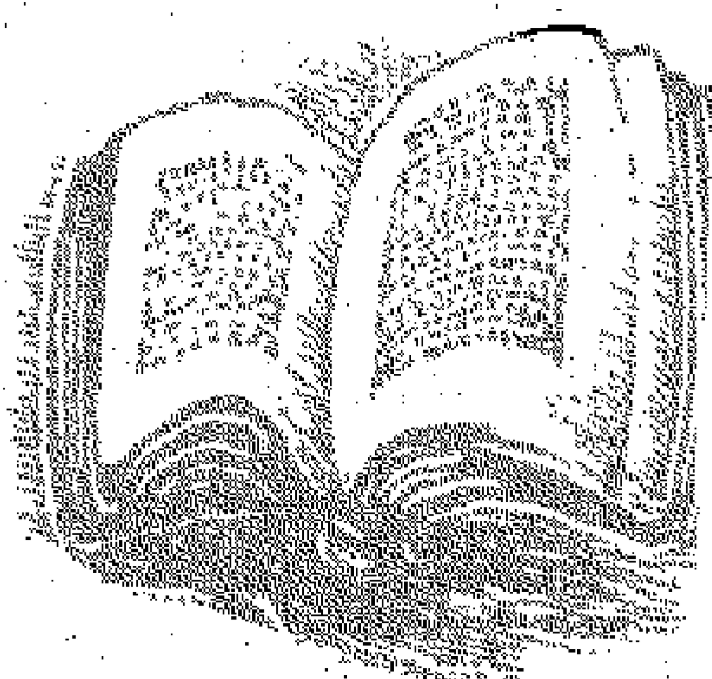
■ فلتون اورسلر (الابن)

أيها الـزوج
ماذا تعرف عن زوجتك؟
أيتها الزوجة
ماذا تعرفين عن زوجكِ؟

بغض النظر عن المدة التي قضاها المرء متزوجا او مقدار السعادة الملازم لحياته الزوجية، هناك اشياء كثيرة لا يعرفها عن شريك حياته. غير ان معرفة خلفية الشخص الاخر في حياتك وعاداته والاشياء المفضلة لديه مسألة مهمة.

نقدم هنا اختبارا الى الزوجين لقياس معرفة أحدهما بالاخر. ليأخذ كل منكما دوره في الاجابة عن هذه الاسئلة، وبعد ذلك ليصحح الواحد اجوبة الاخر، واضعا نقطة واحدة امام كل اجابة صحيحة.

١ - ما اسم عائلة حماتك؟

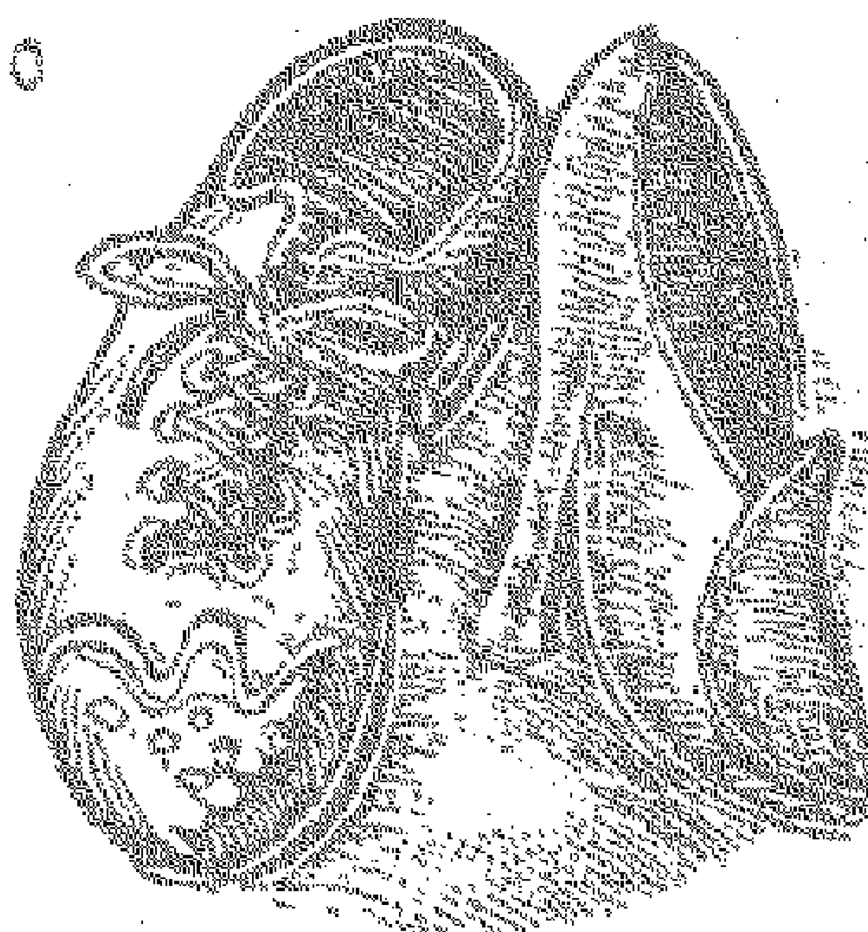


٢ - ما اسم آخر كتاب قرأه / قرأته زوجك؟



٣ - ما هي الحيوانات الاليفة التي رباها / ربتها زوجك، بما في ذلك الحيوانات التي اقتنتها العائلة في طفولة اولادها؟

٤ - اي اجزاء من الصحيفة يقرأها / تقرأها زوجك اولا؟



٥ - لمن صوت / صوتت زوجك في الانتخابات الاخيرة؟

٦ - ما هو قياس حذاء زوجك؟

٧ - هل جمع / جمعت زوجك اي شيء في طفولته / طفولتها؟ وما هو؟

٨ - سم المدرسة الابتدائية التي درس / درست فيها زوجك؟

٩ - هل سبق لزوجك ان اشترى / اشترت ورقة يانصيب؟

١٠ - ما اسم افضل صديق / صديقة لزوجك؟

١١ - ما هي فاكهة زوجك المفضلة؟

١٢ - هل يتذكر / تتذكر زوجك المكان الاول الذي ذهبتما اليه معا؟

١٣ - اي عمل منزلي يومي يكرهه / تكرهه زوجك اكثر من سواه؟

١٤ - هل يزن / تزن زوجك نفسه / نفسها مرة على الاقل في الاسبوع؟

١٥ - سم واحدا من معلمي زوجك السابقين.

١٦ - ما هو جزء الدجاجة المفضل لدى زوجك؟

١٧ - ما هو قياس لباس زوجك؟

١٨ - سم قريب / قريبة زوجك المفضل / المفضلة من غير الابوين والاخوة.

١٩ - سم القريب الاقل حظوة في عيني زوجك؟

٢٠ - ما هي آخر قطعة لباس اشتراها / اشترتها زوجك له / لها؟

٢١ - اذا كان في امكان زوجك ان يشتري / تشتري اي سيارة موجودة في العالم، فماذا يختار / تختار؟

٢٢ - كم مرة في الاسبوع (او الشهر) يغسل / تغسل زوجك شعره / شعرها؟

٢٣ - ما هو مطعم زوجك المفضل؟

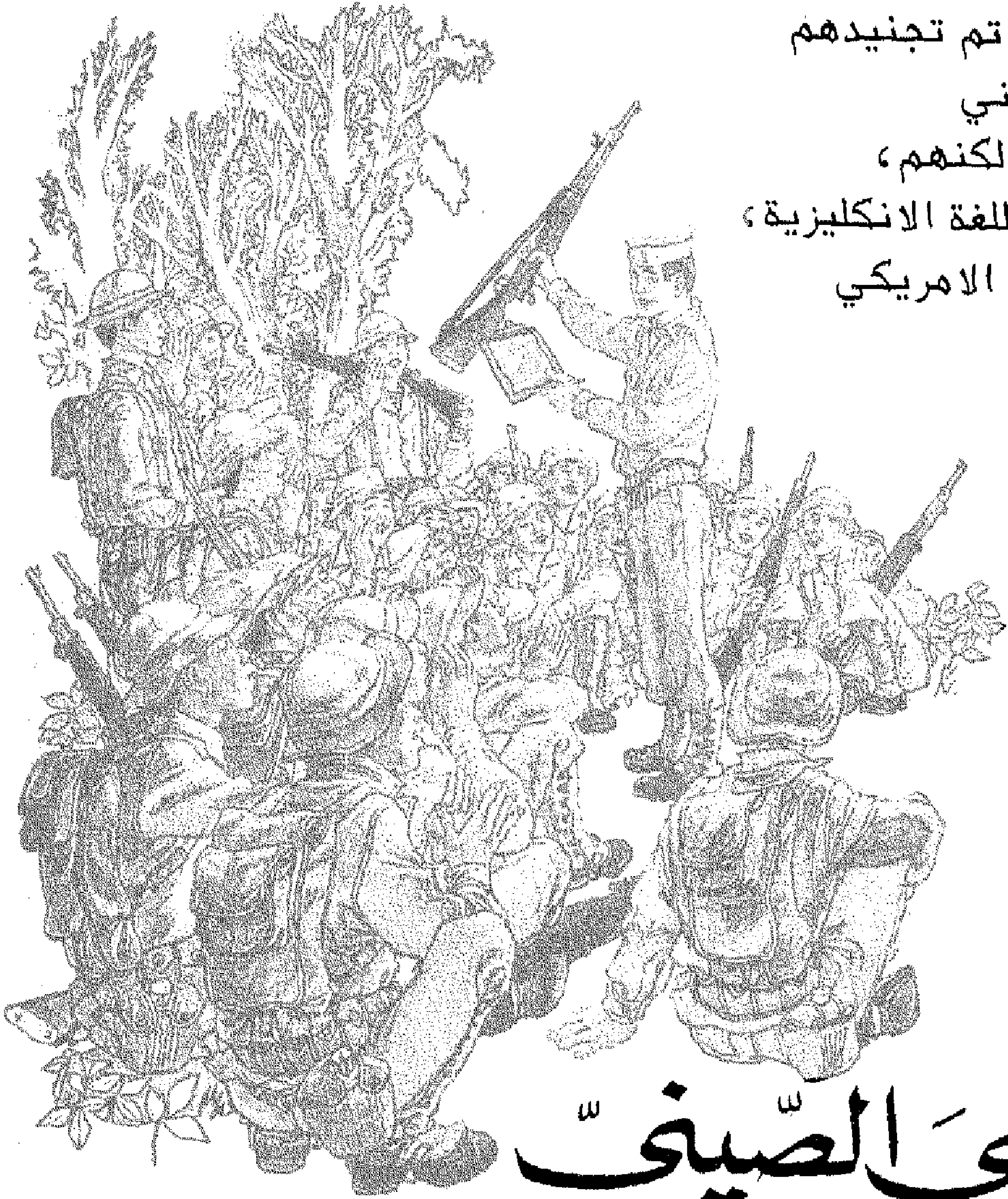
٢٤ - ما هو، في نظر زوجك، اقوى سبب للنزاعات البيتية؟

■ **اعداد دان كارلينسكي**

نتيجة الاختبار

- ☐ فوق الـ٢٠ نقطة: جيد جدا.
- ☐ ١٥ - ٢٠ نقطة: مستوى مقبول، لكن يتوجب عليك رفعه.
- ☐ دون الـ ١٥ نقطة: الافضل ان تعتني بنفسك عناية فائقة وتتعرف / تتعرفي على اهتمامات زوجك عن كثب.

كانوا ٢٧ رجلا تم تجنيدهم
من الحي الصيني
في نيويورك، لكنهم،
بدلا من تعلم اللغة الانكليزية،
علموا ضابطهم الامريكي
اللغة الصينية.



جَيشيَ الصّينيّ

اني مندهش لعدم استدعاء وزارة الخارجية الامريكية لي كلما واجهت مشكلة في العلاقات الصينية - الامريكية، وذلك بسبب ما حققته من نجاح مع تيين هنغ وتوم تشن وسائر افراد جيشي الصيني.

في ربيع ١٩٤١، عندما كانت حرب هتلر تقترب من الشواطىء الامريكية الآمنة، كنت في الحادية والعشرين من عمري جنديا متمركزا في فورت يوستيس في ولاية فرجينيا. وكان الهواء رطبا والعيش سهلا، ولم تكن علي واجبات فيما كنت انتظر الحاقي بكتيبة المخابرات المضادة. وفجأة انقلب العالم الذي كنت اعيش فيه رأسا على عقب. فبعدما كنت اتخيل نفسي وانا احصل على الاسرار خفية من سيدات مغريات جاسوسات لدى

احتساء اقداح الشامبانيا واقبض على المخربين النازيين متلبسين بالجريمة، وجدت نفسي بدلا من ذلك مسؤولا عن مدرسة للغة انشئت بسرعة لكي تعالج حشدا من المجندين الذين لا يتكلمون الانكليزية.

وقد وقف امامي في ساحة العرض ٣٦١ رجلا تجمعوا كأغنام ملبين نداء عرفائهم، واحتشدوا في الساحة الترابية المطروقة. وبدأ المدربون يتقدمون واحدا واحدا ونادوا على كل من يتكلمون اللغة التي يخاطبون بها ان يتقدموا. ولدى سماعهم لغتهم شكل المجندون بسرعة تسع مجموعات منتظمة وساروا لبدء تعليمهم العالي.

والتفت جانبا نحو ما كنت اتوقع ان يكون ميدانا خاليا لارى حشدا من الصينيين جالسين هناك ومرتدين بذلات الجيش الامريكي وهم ينظرون بعيون ملؤها الاستغراب والدهشة. وحدث صمت له مغزى. ثم أنفجر احدهم ضاحكا، ومن ثم انحلت تلك الجماعة فيحال من المرح الشرقي.

كان عددهم ٢٧ رجلا تم تجنيدهم جملة من الحي الصيني (تشايناتاون) في نيويورك بواسطة هيئة التجنيد المدنية المحلية المسؤولة عن اختيار الرجال للخدمة العسكرية الالزامية. وكانوا من الصينيين الامريكيين الوطنيين الشديدي الحماسة والغيرة الذين لم يأخذوا في الحسبان انه بينما تكون الانكليزية في الحي الصيني لغة ثانية فانها اللغة الاولى في الجيش الامريكي.

"الآن .. تهيأ" ــ لقد غادر المدربون الاخرون، وكان علي ان اتصرف بهدوء ينم عن ثقة. فصحت فيهم: "انا معلمكم"، تمشيا مع النظرية التي اختبرها الزمن والقائلة بان أي انسان يستطيع فهم الانكليزية اذا تم نطقها بصوت عال الى حد كاف. واومأ الرجال برؤوسهم تجاوبا معي: "علينا ان نتعلم الاوامر اولا". وقد سر واحد او اثنان منهم لادائي وصفقا لي، بينما لوح الباقون بايديهم اعرابا عن الود والتقدير.

وقلت لهم: "عندما اقول "انتبه" او "تهيأ"، عليكم ان تقفوا بقامة منتصبة واذرعكم على الجانبين، وان تلامس رؤوس اصابعكم خط السروال الجانبي بينما يلتصق كعبا الحذائين". وفعلت ذلك امامهم كي يروا كيف تتم العملية. "الآن.. تهيأ". لكن احدا منهم لم يتحرك امتثالا للامر. فتوجهت صوبهم وامسكت رجلا طويل القامة والوجه ومسبول الشعر بيده ورفعته، فوقف على قدميه. ثم صرخت في وجهه: "تهيأ". غير انه انحنى في وقفته. وكررنا محاولة القيام بالحركات بضع مرات الى ان تمكن اخيرا من الوقوف في حال ارتخاء، ولم اصرف الصف الا بعدما شعرت بارهاق شديد.

وبعد مرور اسبوع كامل من دون ان يظهر اي تحسن في حال تلامذتي، بدأت اشعر بقلق من انه ربما اعيد النظر في التحاقي بالمخابرات المضادة. فكررت مضاعفة جهودي. وحاول معظم افراد الصف التجاوب معي. غير ان اثنين منهم، هما تيين هنغ وتوم تشن، بقيا على حالهما. وكان تيين هنغ سمينا مرحا، بينما كان توم تشن فارع الطول وشاحب اللون. وكان جواب تيين هنغ الذي لا مفر منه لكل امر، هو ان توقف ووضع

اصابعه على وجهه وتكلم بخجل من وراء ذلك القناع، قائلا بلغة مكسرة: "تيين هنغ، اطبخ انا". وكان جوابي: "تيين هنغ، انت لست بطباخ، وانما انت جندي". لكن تيين هنغ كان ينفجر ضاحكا كلما سمع ذلك. اما توم تشن فكان لدى سماعه امرا يكرره بصوت عال ويفعل نقيضه. وبينما انا اكافح على هذا المنوال، كان الالمان يستعدون لاحتلال جزيرة كريت وقوات رومل تدحر البريطانيين الى قناة السويس.

وبسبب شعوري بالاحراج من تدريب جماعتي في ساحة العرض، سارعت بهم الى الغابة حيث استطعنا العمل بعيدين عن مراقبة احد. وذات يوم حضر مراسل صحيفة محلية الى المكان. فقد وصلت اليه اخبار ان جيشا صينيا سريا بقيادة زعيم غريب يتدرب عند فورت يوستيس.

لكنني اخبرته بالحقيقة وشرحت له ان علاقتي الوحيدة بالصين هي ان عما لي كان يعيش في تينتسين. وبعد مزيد من الاسئلة اعترفت بمعرفتي بضع كلمات من اللهجة البيكينية تعلمتها من خادمة ابن عمي خلال زيارتي له. وعندما ظهرت الرواية في الصحيفة، وصفت باني خبير في الشؤون الصينية وان نشاط جنودي "كان سريا الى حد ان الاشارة اليه تعتبر خرقا للامن".

واستدعاني الضابط (الكولونيل) المسؤول وسألني:

- هل لك اقارب في الصين؟
- نعم سيدي. ولكني لم ارهم منذ سنوات.
- يقولون هنا انك تتحدث الصينية.
- ليس حقا يا سيدي.
- من المقرر ان تلتحق بالمخابرات؟
- نعم سيدي.

ونظر الضابط مسددا عينه على وجهي، ثم غمز باحداهما. وتفحص خريطة على مكتبه، ثم قال: "دعنا نعرض الحال في غضون ثلاثة اسابيع، وينبغي ان يكون رجالك جاهزين عندئذ". وقضيت كثيرا من الليالي المؤرقة وانا افكر كيف اجعل رجالي في حال جاهزة.

"لو كوان" – وفي الصباح الباكر من احد الايام، وقبل نوبة الفجر، خطر في بالي حل كان قائما على اساس من اليأس. وكالعادة، خرجت بمجموعتي الى الاحراج. وبدلا من اجراء محاولة تدريب عقيمة، اجلست الرجال في نصف دائرة وقلت لهم: "انا لا اريد ان اعلمكم الانكليزية، بل علموني انتم الصينية". ولم ينبس احد منهم ببنت شفة. وسألت: "كيف تقولون" ما هذا؟" فاجاب توم تشن، مبتسما للمرة الاولى: "هوي مود بيه". وجعلته يكرر الجواب وكتبته سماعيا. ثم امسكت ببندقية وسألت: "هوي مود بيه؟" وجاء الجواب في ٤٧ صوتا معا: "تشونغ". وبينما كنت اذكر الكلمات، اخذوا يجاوبون وانا اكتبها. وتجمع لدي في وقت قصير من مفردات لهجة كانتون ما يكفي لاجعل كلا منهم يصطف ويسير في خط مستقيم. ولم يكن لفظي للكلمات جيدا جدا، لكن جيشي الصيني غفر لاجنبي جهوده للتمكن من لغة هذا الجيش. وتعلمت انني كنت "لوكوان"، اي القائد. وعندما اخبرت تيين هنغ بانه كان "سي بنغ"، اي

جنديا، وليس "تشوسي"، اي طباخا، ابتسم بسعادة.لكن اعظم مقدار من التغيير كان ما حدث لتوم تشن. فبدلا من القيام بنقيض ما يقتضيه كل امر من الاوامر، اخذ يسير وكأنه ضابط قائد فئة من متخرجي الاكاديمية العسكرية الامريكية "وست بوينت" في عرض عسكري. وقد رفعته ليكون مساعدا لي.

وفي صبيحة يوم العرض وقف الرجال في حال التهيؤ في تشكيلة صحيحة مضبوطة. ولدى وصول الكولونيل في الساعة التاسعة كانت الحرارة عالية، لكن احدا منهم لم يحرك عضلة. وامرني الكولوني بعرض جنودي.

واصدرت الامر: "كاي بو تشاو". فتحركت ٤٧ بندقية الى اكتاف الجنود. ومع اعطائهم امر الحركة بدأت القول: "يت، يات، سن، سي، يوت يات ين سي". فرد الرجال وهم ينظرون الى الامام باستقامة: "يت، يات، سن، سي"، متحركين في خطوات دقيقة منتظمة. وكان المنظر مثيرا للاعجاب. وكان الخطأ الوحيد في ادائي انني، بسبب تأثري بالمنظر، اخطأت المشي المنتظم.

وانتهى العرض. وتوجهت نحو الكولونيل واديت التحية. فقال: "ممتاز. اهنئك. لقد كنت ماهرا في استخدام ذلك النوع من السير المتمايل". غير اني لم اكن لبرهة متأكدا مما كان يقصده بذلك. وبعدئذ ادركت انه كان يعلق على خطأي في المشي. فقد ظن انه كان تمرينا خاصا بالجيش الصيني.

وانتهت فترة التدريب الاساسي وارسلت اوامر نقل المتدربين. وكنت اجلس بالقرب من ساحة العرض عندما احاط بي جنودي الصينيون لتوديعي، وكان آخرهم توم تشن.

"والان ايها الملازم، مع السلامة". قال ذلك بلغة انكليزية سليمة.

فذهلت وقلت له: "توم تشن، انت تتكلم الانكليزية!"

فأجاب: "اوه! بكل تأكيد اتكلمها".

فبادرت الى القول: "ولكن لماذا...". غير ان توم تشن والآخرين كانوا قد مضوا في الطريق.

وفجأة شعرت بانه من المهم ان اعرف الى اين سيتوجهون. فصحت مناديا: "يا توم تشن، الى اين انتم ذاهبون؟"

فاستدار ووضع يديه حول فمه وصاح: "الى جزر هاواي - بيرل هاربور".

"تشاومين بالدجاج" - وانتهت الحرب. وخرجت من الجيش من دون ان احصل على وظيفة. وكان الوقت من السنة اواخر الخريف. وكنت جائعا واشعر ببرد، وليس في جيبي سوى دولارين تقريبا. ومررت بمطعم صيني في الشارع ٣٤ في مدينة نيويورك، وجلست الى احدى الموائد حيث جاءني خادم فاشرت الى صحن "تشاو مين بالدجاج"، وهو طعام ثمنه ثلاثة ارباع الدولار. فاختفى الخادم. وبعد برهة بدأ يأتي بطبق من الطعام بعد آخر: "وورشو" بالبط، ارز محمر، حساء سمك القرش.

وقلت: "ان كل ما طلبته هو غداء بقيمة ٧٥ سنتا، لانني لا استطيع ان ادفع ثمن هذا كله". وكان الجواب: "لا عليك، كل من دون مقابل". وكنت شديد الجوع بحيث لم اقو على

الرفض. فأكلت كل شيء ونهضت. وسمعت ورائي قهقهة.وكان يقف في باب المطبخ تيين هنغ بوجه عريض متألق، يحيط به طفلان متألقان وزوجة متألقة كذلك. فقلت: "تيين هنغ، ما الذي تفعله هنا؟ "فقال: "هذا محلي. طباخ انا!" ثم جاء الي وادى تحية صحيحة، ورددت التحية وانا في ذهول. وركض احد الطفلين الي وقال: "هيه، والدي يقول انك كنت ضابطه في الحرب".

وكنت على وشك تصحيح معلوماته عندما لاحظت ان تيين هنغ ينظر الي نظرة فيها قلق. فقلت: "اصبت، فقد كنت له لوكوان". ثم وقفت باستقامة مقدار الامكان بعد غداء تكون من ١٥ صحنا، وأديت التحية وخرجت. واردت ان استفسر عن بيرل هاربور وعن توم تشن والآخرين، لكني لم افعل لسبب لا اعلمه.

اما في الخارج فقد بدأ الثلج يتساقط. وبدا لي كأني اشاهد وجوه افراد جيشي الصيني تنعكس على زجاج نوافذ المتاجر وجوها كلها ابتسام. فابتسمت لها.

■ **جيمس ستيوارت غوردون**



فضل الابناء على الآباء

في أحد الايام استضاف المؤلف الموسيقي النمسوي ارنولد شونبيرغ، الذي كان يعيش في احدى ضواحي فيينا، صديقا له من خارج البلدة. وفيما هما يعبران الشوارع، لاحظ الزائر ان كثيرا من الشبان المحليين كانوا يحيون صديقه الموسيقي. فقال له:

– انك حقا ذو شهرة واسعة، فالاطفال ايضا يعرفونك.

فأجاب شونبيرغ:

– هذا صحيح. والسبب في ذلك ان ابني يشغل دور الظهير المساعد في فريق كرة القدم المدرسي.

"كتاب النوادر الكبير" – دار بكتل فيرلاغ، ميونيخ.

فلاح برلماني

حدث منذ سنوات في بريطانيا ان وزيرا مرموقا اصطحب مسؤولا حكوميا كبيرا في سيارته ليخطب الاثنان في احتفال في مكان لا يبعد كثيرا عن لندن. غير ان الوزير ضل الطريق بسبب الضباب، ووجد نفسه في قرية لا يعرفها. فنادى فلاحا رآه واقفا في ساحة القرية وسأله:

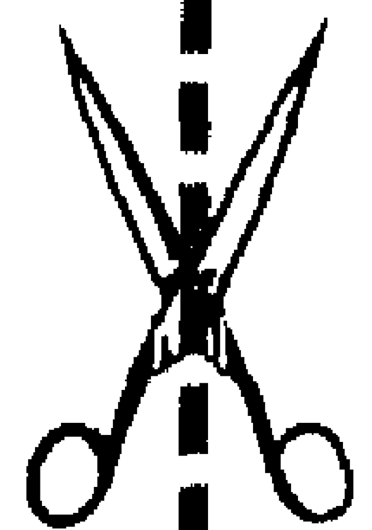
– اين انا؟

فأجاب الفلاح:

– أنت في سيارتك.

عندئذ استدار الوزير نحو المسؤول المرافق وقال: "حقا ان جواب الفلاح كان برلمانيا خالصا، فهو قصير وصحيح، فضلا عن انه لم يضف شيئا الى ما كنا نعرفه".

ل. ب.



أرضنا صلبة
أرضنا طيّبة
إنها أرض:

شركة الترابة الحديثة ش.م.ل.

السجل التجاري: ٣٨٦٩٠ بيروت ٦/٦/١٩٧٨
رسم المالية إيصال رقم: ١٥١٢٩١ تاريخ ١٩/٩/١٩٧٨

قاعدتها:
رأسمال قدره ٨٢,٥٠٠,٠٠٠ ليرة لبنانيّة
(اثنان وثمانون مليون وخمسماية ألف ليرة لبنانية) مدفوع بكامله

مقسّم إلى:
٥٥٠,٠٠٠ سهم إسميّة
١,١٠٠,٠٠٠ سهم لحاملها
قيمة السهم خمسون ليرة لبنانيّة

مساحتها: ٢٥٤,٠٠٠ م٢ (مائتان وأربعة وخمسون ألف متر مربع).
تربتها: نخبة بالمواد الخام الصالحة لتصنيع وإنتاج أجود نوع من الترابة البورتلاند ب.س.س. ١٢/٥٨ حسب المواصفات الإنكليزيّة.
مركزها: على رابيّة مشرفة في منطقة برجا العقاريّة مقابل معمل كهرباء الجيّة.
أبنيتها: وضع تصاميمها نخبة من المهندسين الألمان والعرب.
معدّاتها: أحدث ماتوصّلت إليه الصّناعة الألمانيّة في هذا المجال.
أهدافها: المثابرة والعمل حتى يبقى لبنان منارة الشرق والغرب.

للمراجعة:
شركة الترابة الحديثة ش.م.ل.

بيروت - كورنيش المزرعة - وطى المصيطبة - قرب صيدليّة مازن
هاتف: ٣٠٢٠٧١ - ٣٠٨٤٧٤ - ٣٠٦٧٠٠ تلكس ZCO-20324LE صندوق بريد: ١١٧٧١٣



بعض الناس يحب القطط بالفطرة، وآخرون يكرهون على قبولها.

القطّة اللعينة

لاسباب لا اعرفها ولا اعتزم محاولة اكتشافها "ابتلي" العالم (ليس هناك كلمة اخرى يمكن استخدامها) بـ"طغيان" القطط (ليس هناك ايضا كلمة اخرى يمكن استخدامها): القطط نفسها، قصص واشعار عن القطط، بل - نعم - وبفلمها، اغذية لتأكلها القطط ولوازم لتلبسها وتجلس فوقها وتنام عليها وتتأملها وتنشب فيها مخالبها. رسوم زيتية للقطط ورسوم عادية وكاريكاتيرية بكثرة مروعة وموقعة في النفس.

انني اعرف اختصاصيا لعلاج القطط يرسل فواتيره الى القطة نفسها على عنوان صاحبها ويوهم المرء بان الفواتير آتية من احدى قططه.

واعرف ايضا اختصاصية نفسية تحب القطط حبا مفرطا، فهي تملك مئات منها ولا تستسيغ التفريط بواحدة منها، وهي عندما تموت قطة منها تلفها في غلاف من البلاستيك وتثبت عليه بطاقة باسمها وتضعها في ثلاجة شديدة البرودة، واني اعتزم الا اذهب اليها للعلاج.

ومنذ بضعة ايام وقعت في حديث عن القطط مع سيدة تملك ستا منها، اقول "وقعت" لانها اعطتني شرابا وتعثرت قدمي في شيء يسمونه مهرش القطط وجلفت قصبة رجلي اليمنى، وعلاوة على ذلك كانت قططها الست تقبع في اوضاع مزعجة حول حجرة الجلوس تحدق بي في شذر، فكل القطط تنظر شذرا ولكني لم استطع ابدا اعتياد ذلك.

وتعمدت وقد اثارني الشراب واوجعني الالم في ساقي، ان اوجه اليها سؤالا استفزازيا، قلت: "لماذا تحبين القطط؟" فردت: "لانني قطة". اغتظت لذلك وانصرفت. ان لجميعنا اسرارنا التافهة. كان ذلك سرها، وانا ايضا لي سري.

وسري هو انني انا ايضا عندي قطة.

بعض الناس يولدون للقطط ويحبونها بالفطرة وآخرون يكرهون على قبولها.

اما قطتي، فهي هجين، انثى، مشاكسة. لقد اكرهت على قبولها منذ ٩ سنوات بالحاح زوجتي وابنتي على زعم لا يصدقه العقل بانها ستكون بعيدة دائما عن طريقي. قالتا انهما حصلتا عليها مجانا. وقطة بالمجان شيء لا وجود له، ويكفي اتعاب الاطباء البيطريين وجرعات الدواء والغذاء والصندوق اللازم لحملها. قائمة لا تنتهي...

هذه القطة تنشب اظافرها في شكل جنوني في باب غرفة النوم كل صباح، في السادسة الا ربعا وتموء بصوت عال طالبة وجبة الطعام وهو ما افعله انا طبعا. وهي ترقد فوق بطني بينما احاول القراءة واذا ضايقتها عن غير قصد بمداعبتي، فانها تزمجر احيانا وتخربش احيانا وتفعل هذا وذاك احيانا اخرى ثم تبتعد لتلتهم مزيدا من الطعام وتقبع مبرمة الوجه.

ومع ذلك فانها، لسبب ما، تركز معظم اهتمامها المريب على شخصي. وهي قطة فظة تكره ابني وتطيق بالكاد زوجتي وبنتي، وتنفر من القريب والغريب..

كذلك انني اظن شيئا آخر غير ذلك: هو انني احب هذه القطة اللعينة. لسبب اول هو انها تكاد تشاركني كل اهوائي وانحيازاتي ولسبب آخر هو انها ترضيني. ولسبب ثالث هو انني احتفظ لنفسي مثلها بالحق في ان اكون مجافيا للمنطق تماما.

■ غلبرت ميلستين



علق محل زهر يقع عبر الطريق قبالة موقف للسيارات، لافتة تحمل العبارة الآتية: "نعم، لدينا فكة لعدادات الموقف، ولكننا نبيع الزهر أيضاً".

هل يمكن تحرير العمال من الدوام وجعلهم يشتغلون في الاوقات التي تناسبهم؟ الشركات التي اجرت تجارب في هذا المجال تعد بالالوف، وقد افضى هذا التدبير الى رفع معنويات الموظفين وجناء الارباح وتقاسمها معهم.



الدوام المرن يستهوي العُمّال وأربابَ العمل

منذ قرابة عشر سنين ابتكر الالمان الغربيون نظاما مرنا للعمل يقضي باتاحة الفرصة امام المستخدم لاختيار اوقات العمل التي تلائمه. وادت هذه الفكرة، التي استهدفت في البداية التخفيف من ازدحام السير، الى نتائج مدهشة للمستخدمين وارباب العمل على السواء.

وفي الولايات المتحدة اطلق احد مصانع الاقلام في ولاية كونتيكت الحرية لموظفيه، بداية من الرئيس حتى مصمم الموديلات، في اختيار اوقات الدوام التي تناسبهم، فكانت النتيجة ان انخفضت نسبة التغيب عن العمل بمقدار ٥٠ في المئة، مما حمل الشركة على تطبيق هذا الاجراء ايضا في معاملها الموجودة في كندا والمكسيك وبريطانيا.

وبعدما ترك مختبر تصوير صغير في تورنتو الكندية لموظفيه حرية تغيير مواعيد اعمالهم حسب رغبتهم، باستثناء فترتين اساسيتين محددتين، زالت مشكلة التباطؤ التي كان المختبر يعانيها منذ زمن طويل، كما تدنت نسبة ابدال العمال التي كانت تقارب الـ٧٥ في المئة بينما ارتفعت القدرة الانتاجية ارتفاعا ملحوظا.

وعندما تخلت بلدية ضاحية انغلوود في كاليفورنيا عن مواعيد العمل الصارمة بالنسبة الى عمالها الثلاثمئة، حققت في غضون سبعة أشهر توفيرا مقداره ٤٠٠٠٠ دولار في اجور الساعات الاضافية.

وقد دلت دراسة استقصائية أجرتها رابطات الادارة الامريكية على ان مبدأ اوقات الدوام المرنة اصبح شائعا في الولايات المتحدة الى حد يقدّر معه الذين يستخدمون هذا النظام بقرابة ١٣ في المئة من المصالح التجارية و٦ في المئة من العمال، اي ما يراوح بين ٢،٥ و٣،٥ ملايين عامل، كما يتبعه قرابة ٢٠٠٠٠٠ موظف فديرالي في صيغة معتدلة.

اما الصيغة الاصلية لاوقات الدوام المرنة فتقسم اليوم قسمين: ساعات العمل الالزامية او الاساسية، وهي التي يفرض الحضور خلالها على جميع المستخدمين، ثم ساعات العمل الاختيارية، وهي التي تقع على طرفي الساعات الاساسية، اي قبلها وبعدها.

تحديد عدد الساعات التي يشتغلها العمال في الفترة الاختيارية ترك امره للعمال انفسهم وهم الذين يوافقون على تجميع عدد معين من الساعات خلال اليوم او في فترة محددة من تلك التي يتقاضون فيها الاجور.

وقد راوحت اوقات الدوام الالزامية في الولايات المتحدة من التاسعة والنصف صباحا حتى الظهر ومن الاولى والنصف بعد الظهر حتى الرابعة. ويجوز للمستخدمين الوصول الى مراكز عملهم في وقت مبكر، كالساعة السابعة صباحا والبقاء حتى السادسة والنصف مساء اذا شاؤوا. والشرط الوحيد، الى جانب الحضور في اوقات الدوام الالزامي، هو ان يتعادل مجموع عدد الساعات التي اشتغلها العامل خلال اسبوع العمل مع المجموع الذي تتطلبه الشركة، اي ٤٠ ساعة.

وهناك اقطار اخرى درجت على توزيع ساعات العمل المطلوبة على مدة اطول. فالموظفون في مختبر التصوير في تورنتو (كندا) يحسبون مجموع الساعات التي اشتغلوها مرة كل اربعة اسابيع، اذ عليهم ان يداوموا خلالها بين ١٤٢ و١٦٢ ساعة، متصرفين بعشر ساعات تحت المعدّل أو فوقه لكي يمثل المجموع فترة عمل كاملة خلال اربعة اسابيع. ومن الممكن نقل اي زيادة او نقصان في عدد الساعات الى فترة الحساب التالية.

مرونة مقيّدة - وثمة آلاف من الشركات الامريكية تعتمد حالياً صيغاً من النظام المرن لاوقات الدوام. ومن المنتظر ان يتسع نطاق هذا النظام في حال تعديل القيود الفديرالية

المفروضة على العمال. فالقوانين المرعية التي تنظم اعمال المقاولين الفدراليين والتجارة بين الولايات تفرض على ارباب عمل كثيرين رفع الاجور الاضافية لمستخدميهم في مقابل ساعات العمل، سواء كانت طوعية او الزامية، في ايام العمل التي تزيد على ثماني ساعات او الاسابيع التي تزيد ساعات العمل فيها على ٤٠. وهكذا، فان ارباب العمل هؤلاء، كذلك الذين ليسوا مستعدين حتى الان للاختيارات الواسعة من ساعات الدوام المرنة، يتبعون دواما تقتصر المرونة فيه على وقت وصول المستخدم الى عمله.

وعلى سبيل المثال حاولت الشركة التعاونية للتأمين على الحياة في نيويورك في شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ تعويض الوقت الضائع بسبب تباطؤ الموظفين، فاعطت ٢٢ من كتبة الفواتير فرصة لبدء دوامهم البالغ سبع ساعات وربع ساعة خلال فترة ما بين الثامنة والربع والتاسعة والربع صباحا على ان ينتهي الدوام بين الرابعة والخامسة مساء. ونتيجة لذلك، فقد زال التأخير في العمل وارتفع عدد الفواتير التي يصدرها كل كاتب من ٥٥ الى ٦٦ في اليوم، كما تضاءلت الشكاوى المتعلقة بالاخطاء، وذلك بعد مرور ستة أشهر على بداية تلك المحاولة. وبحلول عام ١٩٧٤، تبنى قرابة ٤٠ في المئة من الموظفين في مقر رئاسة الشركة هذا البرنامج المرن للدوام.

ولا شك في ان اي خطة تنطوي على مرونة حقيقية تسفر عن فوائد نفسانية مهمة. وفي هذا الصدد يقول آلان كوين، الذي يعدّ مرجعا في نظام الدوام المرن في معهد ويتيمور للاعمال والاقتصاد في جامعة نيوهامشير، ان كثيرا من المستخدمين يصرحون ان افضل ما يتسم به نظام الدوام المرن هو عدم الزامهم بالعمل بسبب التباطؤ وعدم اضطرارهم الى طلب الترخيص لهم بمغادرة العمل في وقت مبكر. وقد علق فلويد ماكراي من مختبر التصوير في تورنتو على ذلك: "ان المستخدمين يبقون في المختبر لاكمال العمل الذي يؤدونه، وفي مقابل ذلك يأتون متأخرين قليلا في الصباح التالي".

فوائد اخرى — وفضلا عن ذلك، هناك فوائد انسانية اخرى لهذا النظام. ففي عام ١٩٧٥ اجرت دائرة المسح الجيولوجي الامريكية في منطقة واشنطن العاصمة تجربة تبين منها ان ٦٨ في المئة من العمال قضوا مزيدا من الوقت مع عائلاتهم بفضل نظام الدوام المرن، فكانت النتيجة ان تمّ توسيع نطاق الخطة ليشمل جميع موظفي الدائرة في انحاء البلاد.

وعندما اتفقت اكثر من ١٠٠ شركة في مانهاتن السفلى على تأخير مواعيد الدوام تجنبا لازدحام حركة المرور، صرّح ٧٩ في المئة من المستخدمين ان متاعبهم خفت بالنسبة الى حركة النقل، وقال ٧٧ في المئة ان معنوياتهم تحسنت.

الى ذلك، فان الدوام المرن من شأنه ان يأتي بتغييرات ايجابية لمصلحة ارباب العمل: فالتباطؤ يزول عندما تتحدد بداية يوم العمل بساعة الوصول الى المقر، وتتضاءل عوامل

التهامل كالتأخير في البدء بالعمل وفتور الهمة في اواخر فترة العشية. ويفيد احد الباحثين في هذا المجال ان ارباب العمل يقولون ان مستخدميهم اصبحوا اكثر فاعلية او انهم يشتغلون على نحو اسرع. كما ان تدني نسبة التغيب ظاهرة عامة شاملة تقريبا. وقد بلغت نسبة هبوط التغيب بين ٧٥ من المستخدمين لدى رابطة اجهزة القياس البصرية الامريكية في مكتبها في سانت لويس ٨٠ في المئة تقريبا.

ويلاحظ بعض ارباب العمل ان النظام المرن يؤدي الى زيادة بعض التكاليف مثل استهلاك الطاقة، وربما الى زيادة نوبات العمل في المطاعم او زيادة وقت تغطية مقسم الهاتف. ولكن يجب الاقرار بان النفقات الرئيسية تكمن في الوقت الذي يصرفه الموظفون الاداريون من اجل التخطيط لهذا النظام بالشكل الملائم ومراقبة تجاوب المستخدمين.

وللتدليل على التجاوب الايجابي من جانب معظم المستخدمين نورد التصريح الذي ادلت به تيريزا مورين، احدى عاملات تجميع القطع في شركة للاجهزة الدقيقة في ولاية رود آيلند، اذ قالت: "اقوم باكرا في الصباح ثم ابدأ عملي، واترك فترة بعد الظهر للتسوق وتحضير العشاء. ولكن ينبغي عليّ احيانا ان اوصل زوجي الى مكان عمله، وفي هذا الظرف اتوجه الى عملي متأخرة. ان اصدقائي يحسدونني على ذلك".

ترى هل يسيء البعض استعمال هذا النظام؟ ان معظم الذين يتبعونه يجيبون بالآتي: قلما يحدث ذلك، بفضل المراقبة الذاتية التي يمارسها المستخدمون انفسهم والذين لا يريدون ان يفقدوا الفوائد الناتجة عنه.

وتتفاوت برامج المواعيد الذاتية باختلاف حاجات المؤسسات، فتراوح بين الساعات الثابتة التي يختارها عمال التجميع في كولورادو وبرنامج كامل الاستقلال تقريبا يتبعه موظفو احد مصارف بوسطن حيث حددت فترة الدوام الاساسية الالزامية بين العاشرة والحادية عشرة صباحا. لكن ساعات العمل المرنة، بعد تطبيقها، لها معدل ملحوظ من النجاح، اذ لم يتخل عن نظام الدوام المرن سوى ثماني في المئة من بين ١٩٦ شركة تم استفتاؤها في الدراسة التي اجرتها الرابطات الادارية الامريكية.

وقد اصبح نظام الدوام المرن بديلا شرعيا في عملية السعي من اجل تحسين بيئة العمل. وهذا النظام الذي بدأ كمجرد تجربة لم يعد يبدو كأنه امر مستهجن. كما ان معظم الذين يطبقونه باتوا مقتنعين بان الفوائد التي يأتي بها تفوق كثيرا ما قد يشوبه من نقص.

■ جوردان هوستون



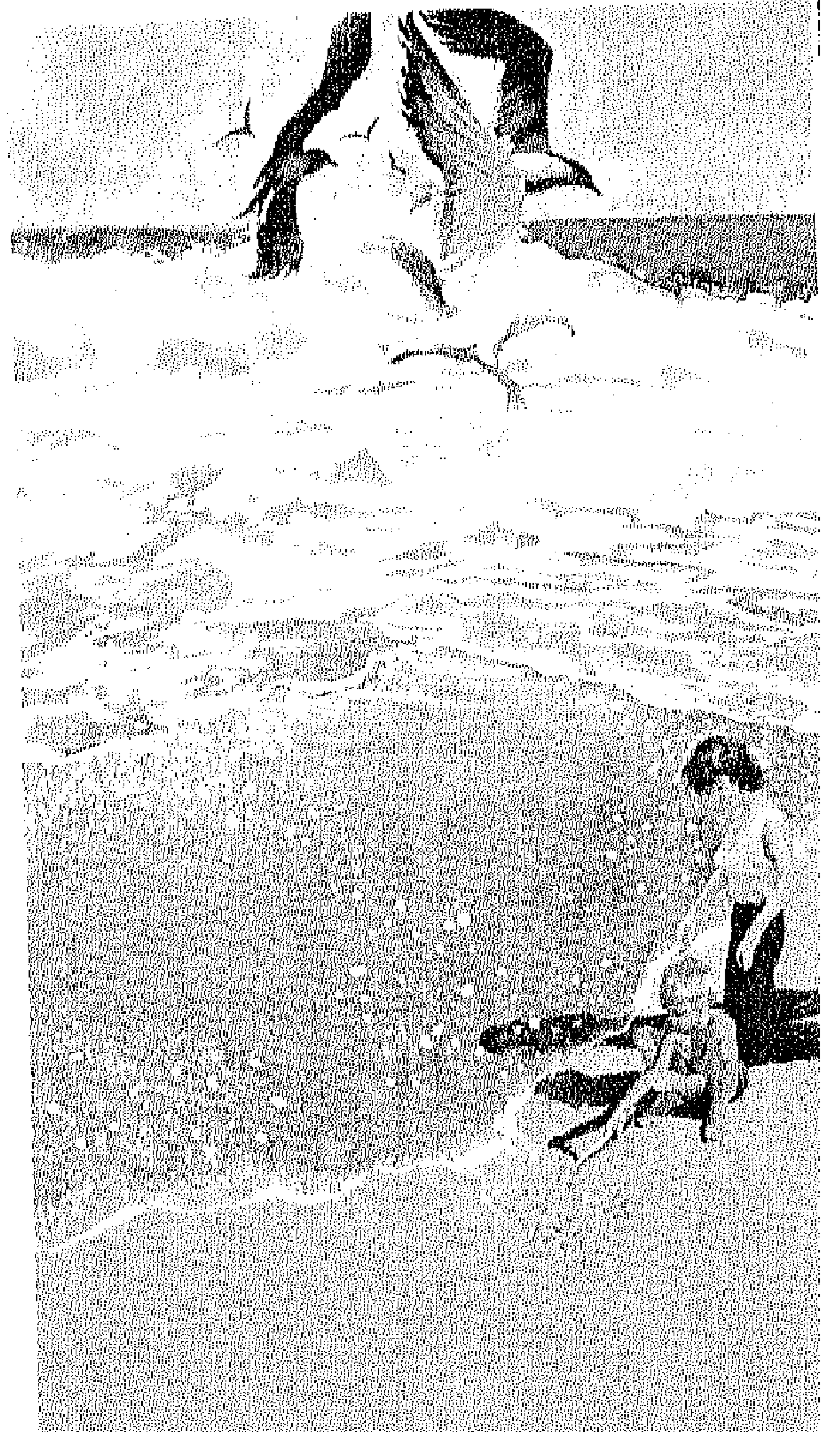
من يعرف اذا؟

قال موظف حكومي لزميله: "اني ممتعض حتى الموت من كوني موظفا في مكتب. واني لا اتأخر لحظة عن تقديم استقالتي لو كنت أعرف الطريقة المتبعة".

زاوية "هكتور بريز"، مجلة "بنش" - انكلترا.

أمّ وابنها الصغير
يكتشفان بهجة الغد من خلال
ادراكهما جمال البرهة الحاضرة ·

أجمل يوم في حياتنا



أني حديثة العهد بالطلاق، ولي ابن في السابعة من عمره ترتبت علي مسؤولية اعالته· فحاولت الرجوع الى مهنة التعليم التي انقطعت عنها منذ ولادته، وطفقت ابحث عن مركز خال· واستمرت مساعي بضعة اسابيع من دون طائل، فانتابني شعور متفاقم بالقلق والذعر· غير انني، مذ غدوت فجأة امرأة وحيدة عزباء، تعلمت اللجوء الى الاصدقاء الطيبين اللطفاء والاستنارة بنصائحهم· ولكم فوجئت يوم قال لي احدهم ان قلقي على المستقبل لا يترك لي متسعا لهناء العيش في الحاضر· واردف: "لك ان تبحثي ما شئت عن العمل، ولكن لا تغفلي ان تعيشي حاضرك لعله يأتيك بالنعمة التي تنشدين والتي ربما لن تتكرر مرة اخرى· فانتهزي الفرصة لتكتشفي من انت وما هو الغرض المهم حقيقة في نظرك"·

وبدأت اعي قليلا كيف كنت اتصرف بنفسي وما بقيت افعله طوال سني حياتي· لقد كنت اعيش في المستقبل وله، ولم اكن اعي مطلقا وجودي في المكان الذي اشغله الآن ولا الزمن الراهن الذي يكتنفني· يا للسارق الذي يسلب نفسه! لكني لم ادر كيف ابدل مسلك حياتي·

وبحثت في قرارة قلبي وطيات ذاكرتي عن مصدر المبدأ القائل: "اعمل اليوم وعش غدا"· وتقصيت جذور الاعتقاد الذي آمنت به في اعماقي، ذلك الاعتقاد بضرورة السعي والكدح للخروج بنتيجة ملموسة اتحقق فيها من وجود صك في جيبي او بلاط براق في منزلي او عقار املكه، والا لما كنت امرأة جديرة بالحياة· وربما توصلت آخر الامر الى الاقرار بان

المهم هو التيقظ والوعي لان فيهما فرصة الانعتاق ولو قليلا من ربقة المستقبل.

فكرت عصر ذلك اليوم في ولدي ستيفن. ولكم طال الوقت منذ ما كرست له فترة من وقتي اكون فيها قريبة منه قربا حقيقيا خالصا.

وعندما عاد ستيفن من المدرسة عرضت عليه ان اشاركه في بعض العابه. وطالما حاول في الماضي ان يشركني في العابه، لكنني كنت اجد على الدوام اعذارا لي في مشاغل "اكثر الحاحا". وما ان اخرج ستيفن لعبه حتى لحظت انها جميعا تتعلق بالانجاز والانتاج، كمعرفة عدد النقاط التي كسبها وتجميع الكلمات في اقصر وقت ممكن، من دون اغفال الاحتفاظ بسجل لتدوين النتائج! وتراءى لي اننا هكذا نتعهد اولادنا ونورثهم معتقداتنا.

وحين اقترحت على ستيفن ان نلعب معا من دون ان نسجل النقاط، فوجئ بادئ الامر بالفكرة، وان كان وافق في النهاية على مضض. ورحنا نجمع حروف الكلمات، وتطور بنا اللعب الى حد اننا بدأنا نستنبط كلمات ومصطلحات غير قاموسية ونضحك على قدرتنا في ابتداع التعابير. وتركتني هذه الخبرة عطشى الى الاستزادة منها.

ولما حان وقت نوم ستيفن، قلت له: "ايها الحبيب، اننا لم نقض معا وقتا كافيا في الآونة الاخيرة، واری ان نقوم معا بمغامرة في يوم ما. فلربما جئتك الى المدرسة صبيحة أحد الايام وحملتك بعيدا عن جدرانها".

صباح يوم خميس - وارتسمت علامات الدهشة على وجه ستيفن، ثم انقلبت الى ملامح "الشيطنة" حين قال: "ليكن ذلك صباح يوم خميس. فنحن في ايام الخميس نقدم تقارير عن الكتب التي قرأناها. ولكم امقت هذه التقارير". فاجبته: "لكن المعلمين يعشقون تقارير الكتب يا ستيفن لانها الفرصة الوحيدة التي تتيح لهم الجلوس. وعلى كل حال، سآتيك يوم خميس".

وبعد اسبوعين قدمت الى المدرسة في ساعة كانت برودة الصباح تتشبع فيها بدفء النهار. ودخلت الصف، فنظر الي ستيفن بهدوء الواثق من انعتاقه. لكن معلمه كاد لا يصدق كلامي حين ابلغته ان ستيفن سيتغيب عن دروسه طوال النهار. وابتسمت في وجهه، آملة الا تفضح عيناي ذلك الشعور الرقيق الخفي الذي تحسسته بالعبث بالنظام.

وسرت مع ستيفن بهدوء ووقار وانضباط نفس الى ان بلغنا موقف السيارات، فانفجرنا بالضحك حتى سرحت دموعنا. وسرعان ما ركبنا السيارة وانطلقنا وكنت قد اعددت كل ما قدرت اننا نحتاج اليه من مأكل ومشرب وكتب للمطالعة وملابس للسباحة وكرة للبحر وسترتينا الدافئتين.

وانحرفنا عن الطريق الساحلي وتوقفنا عند شاطئ تتكسر الامواج برفق على رمله الوضاء فتكسوه بالزبد. وخلا لنا الشاطئ الا من ٥٠ نورسا كبيرا ورجلين وامرأة وبنت صغيرة. ولم اكد افرغ من بسط المنشفة على الارض لاتمدد عليها وابدأ قراءة الكتاب الذي حملته معي حتى كان ستيفن قد خلع ملابسه وارتدى ثوب السباحة واندفع الى

الموج، وتسمرت فيه انظاري وعواطفي وهو يركض لملاقاة الموج الراغي، وسمعت نغمات ضحكه فاستأنست بها وغمرتني نشوة الغبطة، ولئن كنت ندمت على شيء في تلك البرهة فهو انني غفلت عن احضار آلة التصوير السينمائية معي، ولم اكن ادري ان ذاك المشهد سيظل عالقا في ذاكرتي، تتردد فيها اصداؤه مرة تلو مرة ما دمت بقيت على قيد الحياة.

ثم رحنا نسير على الرمال ونطبع آثار اقدامنا او نكتب اسماءنا على صفحاتها، وكنا نضحك كلما زحف الموج اليها وامحت اثارها.

وتسلقنا الصخور القريبة من الشاطىء، ووجدنا كلبا انيسا، وعثرنا على بعض المتحجرات، والتقينا شابا وفتاة يتناولان في عزلة طعام النزهة، فسألناهما اذا كانا مثلنا فارين من المدرسة او العمل، فضحكا وضحكنا جميعا.

أشياء لا ندري بها - وتتابعت احداث ذلك اليوم في انسجام لطيف، وعندما هب النسيم البليل وراحت الشمس تتوارى عند الافق وانذرنا الجوع بمجيء وقت العشاء، هرع الي ستيفن حاملا كنزه الجديد بين يديه من اعشاب البحر والمحار والحصى، وقال: "هل لا بد لنا من العودة يا أماه؟" وبدا لي ان وراء السؤال سؤالا اخر لا تفصح عنه الكلمات، فاجبته: "كلا يا ستيفن، لنركب السيارة وننطلق الى ذلك المطعم القائم فوق البحر وننفرد في احدى حجراته".

جلسنا في المطعم والامواج تتلاطم من تحتنا، وابصرنا رجلا فوق الصخور المرتفعة يقفز مسرعا من صخرة الى صخرة، وكانت الصخور مكسوة بالطحلب وناعمة الملمس وزلقة، فكأنما كان الرجل يرقص لعزف النسيم واشعة الغروب، وسمعنا رجلا في الحجرة المحاذية يقول: "انظروا الى ذلك المجنون يقفز فوق الصخور والظلام يكاد ان يطبق على المكان".

فنظر ستيفن الي وابتسم، ثم قال: "اراهنك يا اماه على ان هناك اشياء لا يدري البعض حتى بوجودها"...

وفي طريق عودتنا الى البيت، غفا ستيفن فوق المقعد الخلفي، كنت انصت الى انفاسه الخفيفة، وعندما حملته الى فراشه افاق من غطيطه وقال لي: "اماه! لقد كان هذا اليوم احلى الايام في حياتي".

واضفت:

- وفي حياتي انا يا ستيفن الحبيب... في حياتي أيضا.

■ كولين هارتري



المدرب الرياضي رجل يكسب عيشه بعرق جبين شخص آخر.

م. ل.

سئل مدير الاعمال المسرحية الايطالي ريميجيو باوني عما اذا كان يعتبر المسرح فنا ام صناعة، فأجاب: "اذا نجح فهو صناعة، واذا لم ينجح فهو فن!".

"ايبوكا" - ايطاليا


كتاب الشهر
رحلات فضاء

حامل النار



ملخص كتاب رائد الفضاء الأمريكي مايكل كولينز

"هذا الكتاب النير الشامل، الحافل بالملاحظات الحسية ونفاذ البصيرة كما تلمسها رائد الفضاء مايكل كولينز في الرحلة البشرية الاولى الى سطح القمر، يجمع ثمرات الفكر التأملي والنظرة الشعرية علاوة على النظرة العلمية. وهو ينطوي على السيرة العالمية الآسرة التي كتبها كولينز وتناول فيها انجازاً من أعظم منجزات الحضارة ومغامرة من ادهش مغامرات الانسان. وسيظل هذا الكتاب قبلة انظار القراء واهتمامهم في الحاضر والمستقبل ما دامت هناك في العالم سجلات مكتوبة".

من مقدمة للكتاب
بقلم تشارلز ا. لندبيرغ

حمل النار هو، ببساطة، التشبيه الانسب في رأيي لوصف الطيران في الفضاء اذا ما اقتصر التشبيه على كلمتين. فقد جاء في الاساطير اليونانية القديمة ان احد الالهة - ويقول بعضهم انه ابولو - حمل الشمس المتقدة في مركبته عبر السماء. هذا ما اوردته الاساطير. واما نحن فكيف لنا ان نحمل النار وننتقل بها عبر الفضاء؟ بحرص شديد، طبعا، وبمقدار كبير من عناية التخطيط ومواجهة كثير من الاهوال الخطرة والمجازفات، نظرا الى دقة الحمولة وحساسيتها واضطرار حاملها الى التيقظ المستديم خشية سقوطها. وانا الذي حملت النار على مدى ست سنوات، اود الان ان احدثكم عن ذلك ببساطة مباشرة، كما ينبغي على طيار رائد مثلي، خصوصا لان الرحلة جديرة بان تروى.

انطلقت الاشاعة بان الادارة القومية الامريكية لبحوث الطيران والفضاء (ناسا) استأنفت عملية اختيار رواد الفضاء. وكان المسؤولون في ناسا قد بدأوا عام ١٩٥٩ اختيار سبعة رواد - وهم السبعة الاصليون الذين كانوا جميعا طياري اختبار عسكريين - على اثر فحص عام مدقق اكثر من فحص اي مجموعة من الطيارين او المهندسين او العلماء او غيرهم عبر التاريخ المدون. وكان رد الفعل طيبا عموما، اذ ظهروا جميعا فولاذيي العزيمة، متفائلين بثقة، مستعدين لمواجهة اي اخطار يمكن ان تكون كامنة في انتظارهم "هناك"، اي في الفضاء. وقد غمرتهم الولايات المتحدة الامريكية كلها بمحبتها.

كل الامة احبتهم ما عدا "الرؤوس القديمة" في قاعدة ادواردز الجوية العسكرية في كاليفورنيا حيث كنت انا طيار اختبار. فبعض هؤلاء الطيارين المتمرسين كانوا ساخطين بسبب عدم اختيارهم، لكن آخرين منهم تجنبوا البرنامج وكأنه داء الطاعون. انهم هنا كي يطيروا، لا كي يحشروا في علبة ويطلقوا حول العالم كما تطلق الذخيرة.

اما المستجدون مثلي، ممن لم يحصلوا على مزايا ومؤهلات تمكنهم من الاستعلاء، فكانوا يراقبون ويبدون اعجابهم. وبالنسبة الي، جاء العامل الحاسم في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٦٢ مع رحلة جون غلين الرائعة الثلاثية الدورات على متن المركبة "فريندشيب ٧". تخيل انك تستطيع الدوران حول الكرة الارضية مرة كل ٩٠ دقيقة وانت على ارتفاع شاهق فوق كل الغيوم والانواء الجوية!

كان اعلان ناسا، عندما صدر في ابريل (نيسان) ١٩٦٢، مشجعا للغاية، اذ اعلنت الوكالة انها ستقصر الاختيار على طياري الاختبار. وهذا ضيق المجال الى حد كبير. وطلبت ناسا كذلك درجة جامعية في احد علوم الاحياء او الهندسة، واشترطت الا يزيد طول المرشح على ١٨٣ سنتيمترا وسنه على ٣٥ سنة. وتقدمت بطلبي قبل جفاف حبر الاعلان.

كان الحاجز الاول صعبا للغاية: فحص طبي عام لمدة خمسة ايام في قاعدة بروك الجوية العسكرية في تكساس. تصل يوم الاثنين صائماً، فيستقبلك احد فنيي المختبر ويأخذ من دمك ما يعادل ملء كوب قهوة. ثم تفطر على كمية كبيرة من الغلوكوز الحلو الى درجة تجلب الغثيان. ويتبع ذلك وخزك بالابر على فترات منتظمة. يصب ماء بارد في احدى اذنيك، تلصق على جسمك مجسات لتخطيط نبضات قلبك، تنفخ في كيس... الخ.

ثم يتولى امرك الاطباء النفسانيون والاختصاصيون الاجتماعيون، وتدور المبارزة بينك وبينهم. ولكن ما الذي يمكن ان تعنيه بقع الحبر التي يطلبون منك تفسيرها؟ اني اريد متلهفا الطيران الى القمر، وسأصف البطاقة التي يعطونها لي بأي شكل يسرهم. ربما ارى على البطاقة قمرا عظيما ابيض او صورة لامي وابي يظهر فيها ابي اكبر حجما من امي الى حد ما.

وتلا ذلك مزيد من المقابلات والفحوص في هيوستون. وبحلول ذلك كانت مجموعتنا قد غربلت ونخلت

وقلمت الى حد لم يبق معه من مجموع ٣٠٠ مرشح تقريبا سوى ٣٢ فقط. وهكذا، دخلت المقابلات مرحلة جديدة من دون ان اكون واثقا بنفسي كل الثقة، خصوصا لعلمي بان خبرتي التي تكاد لا تبلغ السنة في الطيران الاختباري تضع مؤهلاتي على هامش الاهمية.

في هيوستون عرض علينا شريطان سينمائيان، احدهما يصور جولة واسعة في ارجاء نظامنا الشمسي، والثاني مجموعة لقطات تحت مياه البحر تصور حياة الكائنات البحرية عند سلاسل الصخور القريبة من سطح الماء. ثم اخذ كل منا ورقة وقلما ووصف، على ادق نحو ممكن، كل كوكب جرت زيارته وكل سمكة لمحها.

بعد ذلك بلغنا ميدان السباق الرئيسي: المقابلة الفنية. واستدعت الاسئلة اجوبة دقيقة واضحة. في بعض الحالات شعرت بان اجاباتي كانت مرضية، وفي حالات اخرى كان واضحا انني لم اجب كما ينبغي.

ولما عدنا الى قاعدة ادواردز بدأت المرحلة الصعبة حقا، الا وهي مرحلة الانتظار. كان ستة من مرشحي السلاح الجوي التسعة النهائيين موجودين في قاعدة ادواردز. وكان بعضنا يترصد بحذر اخبار البعض الآخر ويحرص على التنبه لاي سلوك قد يشتم منه ان مرشحا ما سمع نبأ سارا من ناسا.

وفي منتصف سبتمبر (ايلول) وصل الي النبأ اليقين ضمن رسالة من بوب غيلروث، مدير مركز هيوستون لمركبات الفضاء المأهولة، تقول:

"كان الانطباع الذي تركته لدى اعضاء لجنة الاختبار ايجابيا. لكننا، عموما، لم نشعر بأن مؤهلاتك تلبي المتطلبات الخاصة لبرنامج رواد الفضاء بالدرجة التي بلغتها مؤهلات بعض المرشحين الآخرين المتفوقين".

نحو الخارج والى اعلى

كان اخفاقي طبعا صفعة قاسية، على رغم اني لم آمل في الفوز ابدا. ومن المؤكد اني لم اداعب في طفولتي حلما بالطيران الى القمر، او اي مكان آخر.

المرة الاولى التي ركبت طائرة في صباي كانت في بورتوريكو حيث كان والدي الضابط في الجيش مرابطا تلك الايام. وسمح لي الطيار بان امسك مقود الطائرة برهة قصيرة. وكانت تلك اهانة تحملتها طائرة "غريمان ويدجون" القديمة ذات المحركين برشاقة وكياسة بينما كنت اخفض مقدمها واعليها من دون موازنة او اناة. لكن ولعي بالطائرات - على نقيض كثيرين من الشباب الامريكيين - لم يكن ولها تاما او مستمرا. وفي السنوات التي تلت طائرة "ويدجون" كانت مكانة الطائرات في حياتي اقل شأنا من الشطرنج او الكرة او الفتيات. وعلى اي حال، فقد التحقت باكاديمية ويست بوينت العسكرية الامريكية. وعندما اقترب موعد التخرج كان علي ان اقرر ما اذا كنت سأظل في الجيش أو اتخذ اتجاها جديدا فالتحق بسلاح الجو الذي اصبح مستقلا قبل ذلك بوقت قصير.

العمل في الطيران له مشكلاته، اذ يمكن ان يفصل المرء عن التدريب كطيار، وهذا ما يحدث لـ٢٥ في المئة من المتقدمين. ويمكن ان يقتل ايام

السلم بسهولة تعادل عمليا سهولة قتله في الحرب. اضف الى هذا انه كانت لدي مشكلة شخصية: فقد كان الاخ الاصغر لوالدي رئيسا لاركان الجيش آنذاك، وتقاعد والدي برتبة فريق، وكان عم آخر لي برتبة قائد لواء، وابن عمي برتبة رائد - كلهم في الجيش. وشعرت بان لدي فرصة افضل لاشق طريقي وحدي في سلاح الجو. فالتحقت فعلا بهذا السلاح.

بعدما قضيت ستة اشهر في ميسيسيبي اتعلم الامور الاساسية، نقلت الى تكساس للتدرب على الاجهزة والطيران ضمن تشكيلات اضافة الى تلقي دورة اولية في الطيران النفاث. وفي حفل التخرج كنت بين عدد قليل ممن وقع عليهم الاختيار للذهاب الى قاعدة نيليس الجوية التي كانت آنذاك المنفذ الوحيد الى كوريا حيث كانت طائرات "سابر جيت ف٨٦" الامريكية تحارب طائرات "ميغ" بنجاح كبير.

في قاعدة نيليس تلقينا دورة طيران مركزة وهجومية ومصممة لعزل اي طيار يمكن ان يكون ضعيف الاداء. وكانت الدورة قاسية جدا. فخلال الاحد عشر اسبوعا التي قضيتها هناك لاقى ١١ شخصا حتفهم.

وبعد انتهاء الحرب الكورية عينت في كاليفورنيا، ثم في فرنسا. وبدأت افكر في طريقة تقدمي على مركزي الحالي. كان زوج اختي، وهو طيار في البحرية، قد اكمل اخيرا دورة في مدرسة طياري الاختبار التابعة للبحرية في ماريلاند. وكانت تعجبني اللمحات السريعة الواردة في رسائله حول طيرانه. وهكذا، بعدما عدت الى الولايات المتحدة عام ١٩٥٧، لم اضيع اي فرصة لقيادة الطائرات مهما اختلفت انواعها، عن طريق توددي بالكلام المعسول الى ضباط عمليات غرباء عني، وبوضع نفسي في تصرفهم نهارا وليلا، وقبولي القيام برحلات لم يكترث لها اي شخص آخر. وبهذه الطريقة تمكنت من تنمية مدة طيراني الى ما يزيد على علامة ١٥٠٠ ساعة السحرية اللازمة عند تقديم طلب الى مدرسة طياري الاختبار في قاعدة ادواردز. وارسلت طلبي فورا.

لا بد من ان يكون آلاف مثلي تقدموا بطلبات. لذلك كنت في غاية السرور عندما عينت في "الصف ٦٠ سي" ابتداء من ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٦٠ - مدة الدورة ٣٢ اسبوعا. كان ذاك المكان مرموقا. فهناك تم اختبار اول طائرة نفاثة امريكية. وهناك اخترق الكابتن تشاك ييغر الحاجز الصوتي في ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٧. وهناك كان الكابتن مايكل كولينز يحلق الى الامام والى اعلى.

وكان المكان ايضا جافا وحارا، وكان شديد الرياح ومعزولا، ولا يشبه في شيء المكان الذي تصورته زوجتي بات لميلاد طفلنا الاول. ولكن كنا نعلم على الاقل اننا في فترة تعيين طويلة ومستقرة. ويعلم الله ان بات تستحق ذلك: ففي اقل من اربع سنوات منذ تزوجنا، عشنا في اربعة منازل واربع شقق وقرابة ٤٤ نزلا.

وسرعان ما انغمست في تعقيدات اختبار الطائرات الجديدة: تعلمنا التحكم بالسرعة الى اقرب عقدة جوية. تعلمنا أن نلاحظ ونتذكر

ونسجل كل شاردة وواردة في حركة طائرة رجراجة جياشة لولبية. تعلمنا تنظيم واجباتنا بحيث لا تضيع سدى اي دقيقة من وقت التدرب على الاختبار... لقد كنا في غاية الدقة.

اشد ما نخشاه كان الا نتمكن من استخدام هذه الدقة، اي ان نعين في مهمات اختبار من الدرجة الثانية، او نعين لنحلق في السماء وندور في حلقات تكاد لا تنتهي بينما يعبث احد المهندسين، وهو في مؤخر الطائرة، بازرار صندوق الكتروني جديد. ومعظم الذين في صفنا سيملأون وظائف طياري الاختبار من الدرجة الثانية، بينما سيعين طيارو الاختبار الحقيقيون فيدائرة عمليات الاختبار (فرع المقاتلات طبعا). واخذنا ننتظر بقلق متزايد.

وأخيرا وصل النبأ: المكان الوحيد الخالي في عمليات المقاتلات اعطي - ولا ادري وفقا لاي معادلة سحرية - الى مايك كولينز. ولمدة سنة تقريبا بدا لي أن وظيفتي احسن وظيفة في العالم. ثم اخذت تفقد رونقها وعظمتها تدريجا بعدما تعرفت الى اشخاص في هيوستون وحسدتهم.

لحظة الحقيقة

يريدون مؤهلات خاصة؟ لنفترض اني لا املك هذه المؤهلات افلا استطيع الحصول عليها؟

مع نمو ناسا السريع، زاد شعور سلاح الطيران بالقلق في شأن الدور الذي قد يوكل اليها في استكشاف هذا المجال الجديد الذي يسمى "الفضاء" تعظيما. ونتيجة لذلك، اطلق على المدرسة التجريبية لطياري الاختبار اسم جديد هو "مدرسة طياري البحوث الفضائية"، واحدث صفان للدراسات العليا. وقد اعيد اليهما خريجون منتخبون من دورة طياري الاختبار لتلقي تدريب اضافي لستة اشهر. وكان اي شيء يمكن ان يؤهلني للاشتراك في مسابقة ناسا المقبلة يستحق التجربة. وهكذا، اخذت اجازة لستة اشهر من عمليات المقاتلات والتحقت في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ بمدرسة طياري البحوث الفضائية.

وكان امامنا نحن الطلبة رحلات طيران شائقة تتركز على طائرات "ف١٠٤". وكانت طائرة "ستار فايتر" التي بنتها شركة لوكهيد في أواسط الخمسينات، اول طائرة على قائمتنا تبلغ سرعتها ضعفي سرعة الصوت. كان هيكلها طويلا، لكن طول كل من جناحيها لا يزيد على ٢،٣ متر من الهيكل حتى النهاية. وهما حادان في الطرف الامامي الى درجة ان واقيات للسلامة كانت تركب عليها لدى وجودها على الارض. والطائرة صممت للسرعة القصوى، وكانت تنطلق انطلاق الشياطين. اما اذا انطفأ المحرك فكانت تسقط كحجر.

كانت الطائرة "ف ١٠٤" لعبتنا في مدرسة طياري البحوث الفضائية. وكنا نتظاهر بانها مركبة فضاء ونحاول ان نعاملها احيانا على هذا الاساس. كما كنا نرتدي ملابس الضغط ونتسلق الى علو ١٠،٦٦٨ مترا، ثم نسرع بها الى الحد الاقصى القانوني. ومن ثم نشد العصا الى الوراء ونصعد الى اقصى ارتفاع يمكننا بلوغه، الى ان نطفو فوق قوس هوائي متراخ يشهد على صحة انعدام الوزن في الفضاء. وعلى ارتفاع ٢٧،٤٣٢ مترا ترى السماء

فوقك دكناء الزرقة الى حد انها تكاد تبلغ اللون الاسود الخالص للفضاء. اما الطقس، بل جميع الاحوال الجوية، فانها تبدو تحتك على مسافة قريبة، ومع ذلك على بعد سحيق!

وقضينا وقتا داخل المدرسة، كان بعضه مملا جدا وبعضه مثيرا. تأمل مسألة ضرب المواعيد في الفضاء، حيث تكون مركبة وراء الاخرى، تحاول اللحاق بها. الحل سهل في الطائرة: زد السرعة وتقدم من الوراء. لكن هذا لن يؤدي النتيجة المطلوبة في مركبة فضائية: فزيادة السرعة نحو الهدف تضعك في فلك اعلى، وفي الافلاك الاعلى تقل السرعة. وعليه، ينبغي للمرء ان يتأخر بدلا من ان يحاول التقدم. عليه ان يستخدم السرعة - نقيض ما تمليه كل احاسيسه - للاتجاه بعيدا عن هدفه. انزل الى فلك ادنى واكثر سرعة، ثم عد الى الفلك الاصلي في النقطة الصحيحة بالضبط.

بلغ صفنا نهاية الشوط وسط اشاعات ملحة عن دورة اختبار اخرى ستجريها ناسا. وثبت نبأ ذلك في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٣. ولحسن الحظ، كنت لا ازال دون الحد الاقصى للعمر بـ١٦ شهرا. ولبيت جميع المتطلبات الاخرى. من جهة اخرى، ونظرا الى ان ناسا وسعت ميدان الاختيار، لم يعد في وسعي تقدير امكان اختياري.

سارت عملية الاختيار على النمط الذي حدد في السنة الماضية. فبحلول منتصف يوليو (تموز) كانت ناسا غربلت ٢٧١ مرشحا وابقت منهم ٣٤. وبعد جولة فحوص طبية اخرى، عدت الى هيوستون في سبتمبر (ايلول) لحضور مقابلات. وكنت احمل بين جوانحي هذه المرة احساسا بالنهائية، اذ ان لحظة الحقيقة كانت تقترب من جهودي لاقناع المسؤولين في ناسا بانه لا يمكنهم ان يحلقوا الى القمر بدوني.

ولعدم اقتناعي شخصيا، فقد استأنفت بهدوء حياتي في قسم عمليات المقاتلات في قاعدة ادواردز، متظاهرا بان كل شيء على ما يرام. وبدا كل اسبوع شهرا او اكثر. واخيرا، في ١٤ اكتوبر (تشرين الأول) استدعيت الى الهاتف، فسمعت صوتا اجش عرفت انه صوت ديك سلايتون، وهو من السبعة الاصليين. وذكر لي ديك الذي يستغني عن فقرة طويلة اذا كانت عبارة قصيرة تغني عنها، كيف سيوظفني اذا كنت لا ازال مهتما بالعمل في ناسا. ولست اذكر شيئا البتة مما قلته ردا عليه، وان كنت اذكر انه كان مبهما، اذ غمغم سلايتون ثم امرني بالذهاب الى هيوستون في ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) واقفل الخط.

"ما الذي يحدث اذا...؟"

في هذا الوقت في هيوستون، كان لا يزال من الضروري الاجابة عن كثير من الاسئلة قبل ان يتمكن اي شخص متعقل من تقدير امكان الوصول الى القمر. ما هي البداية، وما الواجب دراسته، واين تبدأ الخطوة الاولى في رحلة الالف ميل الشهيرة؟ وكانت ناسا قد اعدت بعناية دورة مرتبة صغيرة تنتظم في صفوف لتدريس مواد يمكن الى حد كبير التنبؤ بأقسامها: فلك، دفع صاروخي، ملاحة جوية، آلات حاسبة رقمية، وهكذا. وبدا كل شيء

في القائمة متوازنا، ولكن الى حين وصول المادة الاخيرة: "جيولوجيا - ٥٨ ساعة"· جيولوجيا؟

واتضح اننا لن نطير الى القمر فحسب، بل ينتظر منا، عندما نصل الى هناك، ان نعمل كمنقبين· (ومن اين لي ان اعرف وقتها ان معدنا مكونا من الحديد والمغنيزيوم سيكتشف في قاعدة "بحر السكون" عام ١٩٦٩، وان هذا المعدن الجديد سيسمى "آرمالكولايت" تبعا لاسماء آرمسترونغ وآلدرين وكولينز؟)·كان علينا ان نتعلم طريقة جديدة تماما للتعرف على الصخور: "رمادية ومكتلة" ليس وصفا كافيا، بل علينا الآن ان نقول: "حبيبية، سماقية، هايبيديومورفية، فينوكريستية، رمادية، متوسطة الحبيبات"·

بعد ذلك تلقينا دورة في المحافظة على البقاء، هدفها تعليمنا ما يجب عمله اذا هبطت المركبة الفضائية على نحو غير متوقع في منطقة نائية من العالم· وهكذا سافرنا الى باناما قاصدين مدرسة سلاح الجو الخاصة بالمحافظة على البقاء في المناطق المدارية، حيث قضينا يومين في صف الدراسة ثم يومين في العيش على ما تعطيه الارض من غذاء·

كان واجبنا الاول ان نقطع بضعة اميال عبر الادغال نحو منطقة مخيمنا المعينة· وحاولنا هناك، عبثا ومن دون نجاح، ان نصطاد اسماكا من جدول صغير، وبحثنا بلا جدوى عن نباتات صالحة للاكل· واخيرا جاء بعض العاملين في المدرسة لانقاذنا· وكانوا قد وجدوا عظاية امريكية استوائية (وهي سحلية ضخمة تعيش على الاعشاب)· وبما يقل كثيرا عن الحماسة، توليت انا وزميلي بل آندرز اشعال نار غلينا عليها ماء في علبة صفيح (تنك) والقينا فيه نصيبنا من العظاية· واذكر ان آخر قطعة وضعناها في الماء، كانت ساقا امامية، ظلت طافية على السطح وقدمها الصغيرة ممتدة ضارعة، على رغم كل الجهود التي بذلتها لادفع بها الى اسفل· وشاهد بل هذا كله بصمت غير مريح، واخيرا تمتم عبارات مؤداها ان نصيبي من العظاية في متناولي اذا اردته· يا له من صديق شهم!

لحسن الحظ، لم تنزل اي مركبة فضاء حتى الآن في منطقة يحتاج المرء فيها الى تطبيق ما تلقاه من تدريب للمحافظة على البقاء· وهكذا، كما يحصل في حالات كثيرة من تدريب رواد الفضاء، فان المعلومات لم تستخدم ابدا· لكن مثل هذا الاعداد، القائم على التساؤل المستمر من مجموعات كبيرة من الرجال الاكفياء: "ما الذي يحدث اذا···؟"، هو من أكثر تقاليد ناسا حكمة·

ورويدا رويدا، اتجهت مجموعتنا - الاربعة عشر - نحو اعتماد هؤلاء الرجال رواد فضاء "حقيقيين"· وكانت رحلتا "جيميني" (الجوزاء) و"ابولو" في المراحل التشكيلية، لكن الوقت كان لا يزال مبكرا لاحداث تغييرات في التصاميم على اساس اقتراحات الملاحين المرشحين· وتم توزيع المهمات على الرواد، ومنها تخطيط الرحلة والمواصلات والارشاد والملاحة· وكان نصيبي بذلت الضغط والنشاط خارج العربة·

ثمة علاقة بين رائد الفضاء وبذلته المضغوطة، هي مزيج من المحبة

والكراهية. فهو يحبها لانها لباس وثيق يحميه ٢٤ ساعة في اليوم، ويكرهها لانها يمكن ان تكون متعبة للغاية. وتفصل لكل عضو في طاقم الملاحين ثلاث بذلات وفقا لمقاساته الفردية. الاولى، وتسمى بذلة التدريب، كانت تلبس في آلات التدريب واسطوانات الطرد المركزي وطائرات انعدام الجاذبية كلما كانت هناك حاجة الى إلباس الملاحين بذلات خاصة. وقد عطبت هذه البذلة نتيجة قسوة استعمالها لمئات الساعات. والبذلة الثانية هي بذلة الطيران، اما الثالثة فاحتياطية. وكانت كل منها تلبس قرابة ٢٠ ساعة عموما، اي ما يكفي لترويضها.

قبل اي شيء، يجب ان تكون بذلة الضغط مانعة لخروج الهواء، بحيث يمكن نفخها لحماية رائد الفضاء من الفراغ الفضائي. فمن دون ضغط غاز حول الرائد، تتبخر السوائل الموجودة داخل جسمه ويتحول دمه فعلا الى فقاقيع. لذا، فان علينا ان نبدأ بقربة غاز يمكن ضغطها بمقدار ٢٦٠ غراما لكل سنتيمتر مربع. ولمنع التوتر البالوني، لا بد من وجود طبقة كابحة تسمح للبذلة بالانثناء عندما ينحني رائد الفضاء وبالالتواء اذا ما التوى، بحيث تكون عموما بمثابة طبقة جلدية اضافية قوية.

لكن رائد الفضاء، اذا وضع داخل قربة مانعة للهواء، يغرق في بركة من العرق. لذا كان لا بد من اضافة شبكة انابيب تهيئة معقدة الى جسم البذلة والخوذة واليدين والرجلين. الى ذلك، كان هناك نظام كهربائي يزود ممرا يضمن وصول الاشارات اللاسلكية الى سماعتي الاذنين. وجُعل مرور المعلومات البيولوجية الطبية من اربعة مجسات (ملصقة على الصدر) عن طريق الموصل الكهربائي ذاته.

واضاف القفازان والخوذة سلسلة اخرى من مشكلات التصميم. فالقفازان يجب ان يكونا رقيقين ومرنين للسماح بتشغيل مفاتيح التحكم الحساسة وضبطها، حتى عندما يكونان مضغوطين. وكان لا بد من ان تكون الخوذة قوية، خفيفة، مريحة، مشتملة على سماعتي الاذنين ومكبرات الصوت، وان تؤمن رؤية ممتازة.

اذا اخذت الاشياء تبدو معقدة، فتذكر ان كل ما فعلناه حتى الآن هو السماح لرجل بان يعمل في فراغ. ويجب الآن ان نضيف الاخطار الاخرى الى ذلك الفراغ: طاقة الشمس المعمية، درجة الحرارة التي هي دون درجة التجمد بالنسبة الى اي شيء محجوب عن الشمس، امكان اختراق البذلة بقذائف تسمى الشهيبات. ومن حسن الحظ ان مشكلات الحرارة والبرد والشهيبات لها حل مشترك: طبقة تغطية كثيفة من مادة شبيهة باللباد تشكل عازلا حراريا ممتازا، وغطاء نايلون خارجي متين يضمن الحماية ضد الصدمات الشديدة السرعة.

ولكي نجرب البذلات، ركبنا طائرة منعدمة الجاذبية من طراز "كي. سي ١٣٥" (وهي في الاصل بوينغ ٧٠٧)، ازيحت جميع مقاعدها وغطي داخلها باللباد. وكان الطيارون يغوصون بانحدار شديد ثم يرتفعون على نحو حاد، ومن ثم يوازنون اندفاع الطائرة الى الامام بالسرعة الصحيحة لابقائنا معلقين ما بين السقف والارضية في الحجرة الخلفية.

الرحلة الاولى من هذا النوع، التي قمت بها في قاعدة ادواردز الجوية عام ١٩٦٣، كانت رحلة تعريف بسيطة. وصعد اعضاء صفنا في مدرسة طياري البحوث الفضائية بحماسة كبرى الى الطائرة، مرتدين بذلات طيران قطنية خفيفة. وقد ضحكنا ملء افواهنا محاولين شرب الماء من أكواب ورق (في حال انعدام الجاذبية لا يمكنك حقا عمل ذلك، اذ يطفو الماء خارجا من الكوب على شكل كتل اسطوانية كبيرة قبل تمكنك من ايصاله الى فمك)، وقمنا بمئة حركة أخرى سخيفة لا يمكن اداؤها هنا على الارض.

الطائرة العديمة الجاذبية التي تعلمت ان اكرهها في ما بعد كانت شيئا مختلفا تماما. فمن ناحية اولى، كنا على متنها لنعمل، لا لنلعب. وثانيا، كنا في كل المرات تقريبا نرتدي بذلات الضغط، بمعنى اننا كنا نشعر بالحرارة اصلا ثم تزداد حرارتنا عما كانت في البداية. وثالثا، كان علينا ان نكتشف اشياء كثيرة تزيد على ما يسمح به الوقت. وهكذا كنا نشتغل باهتياج شديد خلال كل قطع مكافىء، وقد اجرينا رحلات قطع مكافىء كثيرة!

الى ذلك، تم تعريفي مرة اخرى على تلك الاداة الشيطانية المعروفة باسم اسطوانة الطرد المركزي، ومهمتها تقليد التسارع الذي يشعر به المرء خلال ركوبه صاروخا في الفضاء، او تناقص السرعة الناتج من العودة الى الغلاف الجوي للارض. وهي تفعل ذلك بتدوير جندول صغير او حجرة قيادة مقلدة على نهاية ذراع طوله ١٥ مترا. وبينما يلف الذراع اسرع فاسرع، تدفع قوة الطرد المركزي الشخص الجالس في الحجرة بضغط متزايد نحو مقعده. وكان يتم الوصول عادة الى سبع جاذبيات خلال عودة "ابولو" من الرحلة الى القمر. واذا كانت زاويتك اكثر حدة بقليل من المعتاد، فان قوة الجاذبية يمكن ان ترتفع بسهولة الى عشر مرات او ١٥ مرة. من هنا كان الحد الاقصى لنا هو ١٥ قوة جاذبية على العجل، ولم يكن ذلك هزلا بالمرة.

بعد اي مقدار يزيد على ثماني قوى جاذبية، ينتابني الشعور بألم تحت عظام صدري. وعند بلوغ عشر قوى جاذبية يشتد الالم ويصبح التنفس مستحيلا تقريبا. والواقع ان المرء يحتاج الى طريقة تنفس مختلفة تماما في قوى الجاذبية العالية. فاذا تنفست عاديا، وجدت انك تزفر على ما يرام، ولكن عندما تحاول اعادة نفخ رئتيك تشعر كأن احزمة فولاذية شدت بقوة حول صدرك. لذا، فان عليك ان تبقي رئتيك مليئتين بالهواء في جميع الاوقات تقريبا، وان تعطي نفثات سريعة قصيرة "من فوق".

كل هذا ينطوي على سحر شرير في المرة الاولى. غير ان المرة الاولى كافية، اذ يصبح الامر بعد ذلك عملا بغيضا يخلف اثرا نفسيا متعبا يستمر يوماً او يومين، تصاحبه دوخة احيانا عندما يدير المرء رأسه فجأة. لذا فاني لم اكن سعيدا جدا بالعودة الى اسطوانة الطرد المركزي، خصوصا لانه كان علي ان امر عبر التجارب كلها، بالبذلات الثلاث، ثلاث مرات.

الآلة الجهنمية

كانت ١٩٦٥ سنة رحلات "جيميني" الفضائية. وبعد اطلاق مركبتين غير

مأهولتين بنجاح، كانت "جيميني ٣" جاهزة بحلول ٢٣ مارس (آذار)٠ ثم تلتها "جيميني ٤" و٥ و٦ و٧٠ وكان الغرض من رحلات "جيميني" تجربة النشاط خارج العربة واساليب اللقاء في الفضاء، وخصوصا معرفة ما اذا كان في وسع طاقم الملاحين ان يصمد ثمانية ايام في حال انعدام الوزن، وهي المدة اللازمة للوصول الى القمر والعودة الى الارض٠ عموما، سار كل شيء على ما يرام٠

وفي اواخر يونيو (حزيران) علمت باني سأكون من الملاحين الاحتياطيين لمركبة "جيميني ٧" وعضوا رئيسياً في فريق ملاحي "جيميني ١٠"٠ واختير جون يونغ، الذي اشترك في رحلة "جيميني ٣"، لرحلة "جيميني ١٠" ايضا٠ وما ان عادت المركبتان ٦ و٧ الى الارض حتى كنا قد بدأنا تدريباتنا بجد وعزم٠ وادركنا جسامة العمل المطلوب منا: كان علينا، خلال ثلاثة ايام، ان ننجز لقائين مع عربتي هدف مختلفتين في فلكين مختلفين، وان نقوم بمهمتين خارج العربة، كل منهما مختلفة تماما عن الاخرى، فضلا عن ١٥ تجربة علمية وفنية٠

مع بداية عام ١٩٦٦ طرأ على حياتي شعور بالاستعجال الشخصي لم اشعر به من قبل ابدا٠ احتفظت بدفتر ملاحظات قياسه ١٨ × ٢٥ سنتيمترا، مقسم ستة اجزاء: (١) الجدول، (٢) معلومات الانظمة (٣) التجارب، (٤) خطة الرحلة، (٥) مسائل متنوعة، و(٦) بنود مفتوحة٠ الجزء السادس كان معناه المشكلات التي اصبحت احس بها خلال تدريبنا والتي سجلتها بارقامها٠ وكنت اراجعها من وقت الى آخر وازعج المعنيين بها بحثا عن حلول واجوبة٠ وكنت، كلما تم حل مشكلة، اسطر خطا على رقمها٠ وبحلول صباح الاطلاق كنت قد دونت ١٣٨ مشكلة، لكني شطبتها جميعا٠

كانت المركبة الفضائية معظم الوقت في سان لويس داخل غرفة خاصة٠ وهي غرفة مدهونة باللون الابيض تحفظ في غاية النظافة ويدخلها هواء مصفى٠ وكان الجميع يلبسون بذلاتوقبعات واحذية بيضاء كلها٠ ونظم برنامج الغرفة البيضاء على اساس ٢٤ ساعة عملا، وكان فيها عادة ثلاث مركبات فضائية او اربع، مركَّبة عمودياً كما لو كانت على منصة الاطلاق٠ وساعة تلو ساعة، كنت انا وجون نستلقي على ظهرنا وارجلنا فوقنا، ونديز بكسل مفاتيح مركبة "جيميني ١٠" خلال اجراء طائفة تجارب متنوعة٠ وكان لكل تجربة نصها، وهو مجلد ضخم يبين دور كل واحد من الفنيين المساندين في عملية تقليد الرحلة الحقيقية٠ وكان بعض الفصول سهلا واضحا، بينما استدعت نقاط اخرى تنسيقا معقدا بين المشرف على التجربة وطاقم مشغلي المعدات المساند له والملاحين الموجودين فى حجرة القيادة٠ وقد تصفحنا المجلد سلفا ووضعنا خطوطاً حمراء تحت كل اشارة تتعلق بمشاركتنا٠ ثم كنا، في اللحظة الصحيحة من تتابع التجربة، نشغل المفتاح المناسب لاداء ما هو مطلوب بالضبط٠ واذا اخطأنا نحن او اي شخص آخر في الفريق، كانت التجربة تعاد وتكرر احيانا ثلاث مرات او أربع مرات٠

ان من لم ير ابدا مركبة "جيميني" لا يمكنه ان يقدر حال من يحصر داخلها. فهي صغيرة جدا (اصغر من المقعد الامامي لسيارة فولكسفاكن) مع منضدة كبيرة بين الطيارين، كما لو كان ثمة جهاز تلفزيون ملون موضوع بين شخصين في سيارة فولكسفاكن. ولا يمكنك ان تنهض من مقعدك لان لا مكان هناك يسعك الذهاب اليه. ولم استطع الجلوس في "جيميني" وهي على الارض اكثر من ثلاث ساعات متواصلة. اما الشيء الذي جعل الرحلات الطويلة امرا ممكنا فهو انعدام الوزن، مما يسمح لرواد الفضاء بحرية الجري بعيدا عن المقعد، فتعود دورتهم الدموية الى النشاط ولا تحدث لهم قروح من جراء ملازمة الفراش.

وحين لم نكن في المركبة الفضائية، فقد كنا نعمل داخل المركبة التجريبية، وهي قلب ناسا وروحها. وكشفت لنا التجربة ان تعلم الجيولوجيا يستحق الثناء، والعيش في الادغال مسل، واسطوانة الطرد المركزي مؤلمة، والتجارب الارضية على مركبة الفضاء مفيدة. غير ان المرء لا يطير الا اذا حكمت المركبة التجريبية بانه استكمل الشروط.

المركبة التجريبية "سان لويس" كانت مختصة باللقاءات الفضائية. وكنا، يوما بعد يوم، نجلس في تلك الآلة الشيطانية ونراقب ضوءا على شاشة معتمة يمثل المركبة الهدف محاطة بأضواء اخرى تمثل النجوم. وكنا احيانا نقبض على هذه المركبة بسهولة، بينما كنا احيانا اخرى نتيه في السماء بعيدا جدا عنها، او نلحق بها بعدما تكون خزانات وقودنا نضبت (نظريا).

مع اقتراب موعد الرحلة، يقيس فريق الملاحين الوقت المتبقي لانجاز اهداف التدريب. ومهما يكن المرء مجتهدا، فانه يصل الى نقطة يضطر معها الى الاقرار بانه لا يستطيع انجاز كل اهداف التدريب. هذه كانت الحال، على الاقل، في رحلة "جيميني ١٠". لكننا كنا قد رتبنا اولوياتنا بحيث ادرجنا المواد غير المدروسة تحت عنوان: "من المفيد ان تعلم"، بعدما كان عنوانها: "من الضروري ان تعلم". وبالنسبة الي، كانت خطوات التدريب آخذة في التسارع منذ اشهر، وبلغت ذروتها قبل الرحلة بثلاثة ايام. وفي تلك اللحظة قلت ببساطة: "الى الجحيم بتلك الخطوات! ان لم اعرفها الآن، فلن اعرفها ابدا".

تجوال في الفضاء

كانت بذلة الضغط المعهودة هناك في انتظاري داخل بناية مقطورة تم تعديلها لنرتدي فيها الملابس. والبناية ليست بعيدة عن المنصة ١٩ حيث يجثم صاروخنا. وتقدم احد الفنيين الطبيين وحلق فسحة في شعر صدري ولصق عليها مجساته التي تشبه الاقراص.

بعدئذ ارتديت لباسا قطنيا داخليا ذا حزام مخاط حوله من شأنه جلاء صوت ضربات قلبي لاعادة بثها الى مقر التحكم بالرحلة. ثم لبست البذلة الرئيسية. واخيرا وضعت الخوذة على رأسي باناة تشبه الوقار، وتم انزالها ببطء الى عنقي كي تتوازن قبل ان تضغط بقوة الى اسفل وتثبت في مكانها. ولم يكن ينقصنا لبدء الصعود الى الفضاء سوى انزال نافذة الرؤية واقفالها. ومن هناك فصاعدا لا يعود المرء يتنفس الهواء، بل

الاوكسيجين النقي، كما لا يسمع صوتا انسانيا البتة ما لم يصل اليه عبر الاجهزة الالكترونية.

ثم خرجنا نحو منصة الاطلاق، فالى حجرة القيادة، تساعدنا ايد مستعدة تدفعنا قليلا، وتوصل خراطيم الاوكسيجين ثم تقفل الفتحات علينا بلطف في نهاية الامر. واخيرا وجدنا انفسنا منعزلين في عالمنا الصغير، لا نسمع الا قرقعة اجهزة التخاطب الداخلي وهسهسة الاوكسيجين.

الايام تحولت الى ساعات، والساعات الى دقائق. لقد انتهت المرحلة التجريبية، ولم يعد في امكاننا النزول في المصعد كي نعود ادراجنا ولا الاستماع الى التقارير خلال احتساء القهوة. الصوت المتحمس عبر اللاسلكي يبلغ نهاية رسالته: "١٠ ـ ٩ ـ ٨٠٠٠" امسك حلقة القذف التي على شكل D بكلتا يديك واضعا اياها بين رجليك. هزة واحدة وتنطلق مقاعدنا بعيدا عن هذا الوحش. "٧ ـ ٦ ـ ٥٠٠٠" ها نحن سننطلق حقا. "٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ١٠٠٠" لا بد من ان تشتغل المحركات الآن. اشعال. انتبه لهذه العدادات. انطلاق!

رجة طفيفة نكاد لا نحس بها، وننطلق في الهواء. مستوى الضوضاء مرتفع، لكننا نحس بوجود المركبة بدلا من سماعها، من دون ان يكون هناك اي احساس بالسرعة. زيادة معتدلة على قوة الجاذبية تعطينا شعورا باننا نُدفَع برفق في مقاعدنا المتعرجة السطح. وفي ٥٠ ثانية نتجاوز الحد الذي يسمح بعده بفك الحزام الذي على شكل D .

ومع وصولنا الى الفك، المس المظاهر الاولى لانعدام الوزن: قطع صغيرة متناثرة، حلقات لاحكام الوصل، براغ، جزيئات غبار تسبح بلا هدف في ارجاء حجرة القيادة. وخلال ساعة تقريبا تكون كلها قد ذهبت وشفطت داخل الستار المثقب لمدخل جهاز التهوئة. لكنها في الوقت الحاضر منظر مسل، وهو يذكرك ايضا بان هذه الالة جمعتها ايد غير معصومة عن الخطأ.

بعد ساعتين وعشر دقائق نشغل اجهزة دفعنا لفترة وجيزة لندخل في اتجاه ملائم مع اول مركبة هدف لنا. في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٨ نهبط الى مسار يقع على مسافة ٢٤ كيلومترا تحتها. المدربون الارضيون علمونا كل هذه المناورات. في الرابعة والدقيقة ٣٤ نقوم وحدنا بحركة نستخدم فيها الرادار والدماغ الالكتروني لنحسب مسافة مسار معترض. كل شيء يبدو حسنا بينما تنمو مركبة الهدف من ضوء لامع الى اسطوانة مميزة. وفجأة يطرأ خلل: لقد ملنا الى جنب واخذنا ندور، ولكن من دون ان نقترب. انه خطأ ارتكبناه في المركبة التجريبية، وهو خطأ لا يمكن تصحيحه الا باستخدام وقود اضافي.

اخيرا، وجدنا انفسنا واقفين الى جانب المركبة الهدف في الوقت المحدد بالضبط، من دون ان يبقى لدينا سوى ٣٦ في المئة من وقودنا بدلا من الـ٦٠ في المئة التي يجب ان تكون لدينا في هذه المرحلة. وللمرة الثانية في التاريخ (بعد "جيميني٨") تلتحم مركبة فضائية بمركبة اخرى. ويتولى جون ارشاد مقدم مركبتنا الدقيقة بيسر وخبرة الى داخل قبة الالتحام على مقدم

المركبة الهدف. مركبة الهدف لها محركها الخاص بها، وسنستخدمه الان ليزيد سرعتنا نحو المركبة الهدف الثانية: "جيميني ٨" الموجودة في مكان ما فوقنا.

الخطوة الاولى في عمليات اللحاق هذه سترفعنا، جون وانا، الى علو يفوق ما جرؤ عليه انسان حتى الان: ٧٦٥ كيلومترا. لكن الغرض من المناورة ليس الوصول الى رقم قياسي للارتفاع بل الى التوقيت الصحيح لفلكنا بالنسبة الى فلك المركبة الهدف الرقم ٨. علينا خفض سرعتنا قليلا، وهذا يعني زيادة الارتفاع. وبعد ذلك تتم العملية بسهولة.

النشاط الاول الىخارج المركبة كان في اليوم الثاني، وهو مصمم لالتقاط توقيعات الاشعة فوق البنفسجية لنجوم فتية حارة ومختارة. ونظرا الى ان نوافذ المركبة الفضائية لا تبث الضوء فوق البنفسجي، فان علي ان اشغل آلة التصوير خلال وقوفي في الكوة المفتوحة ثم نخفض ضغط المركبة بفتح صمام صغير. وتستغرق هذه العملية - كما هي الحال عندما يخرج الماء من حوض الاستحمام - فترة قصيرة. ولا نجرؤ على فتح الكوة الا بعد وصول مؤشر الضغط الى علامة الصفر.

واخرج بحذر، مغمورا حتى مستوى الخصر، وأجد نفسي في ظلام دامس. النجوم في كل مكان وفي كل جانب. والى اسفل تكاد الارض لا ترى. فالقمر غير ظاهر، والضوء الوحيد يأتي من لمعة برق بين حين وآخر على طول صف من السحب القزعية التي تسبق عواصف الرعد. ونطير عبر العالم في صمت مطبق ويسر مطلق. وتجعلني حركتنا التي تتسم بأناقة المراسم، اشعر بالعظمة وانا اقف ممدود القامة في عربتي ذارعا بها السماء المعتمة.

المهمة الرقم ٢ خارج المركبة في اليوم الثالث اكثر صعوبة. جون يطير في تشكيل مع مركبة الهدف الرقم ٨، وعلي" ان اذهب اليها وازيل رزمة تقيس اثر الشهيبات منذ ثلاثة اشهر. وكان يربطني بمركبة "جيميني" حبل يبلغ طوله ١٥ مترا، يحمل الاوكسيجين ويؤمن المواصلات. واحمل "مسدس" نيتروجين يصدر طلقات الغاز للتحكم بحركاتي.

ورويدا رويدا، ادفع نفسي بعيدا عن "جيميني". ولا تكاد تمضي ثلاث ثوان او اربع حتى ارتطم بهدفي، الا وهو مكيف الالتحام في مؤخر المركبة الهدف. وامسك شفة كوز الالتحام الزلقة بكلتا يدي وابدأ العمل حولها بعكس اتجاه عقربي الساعة. وامشي على يدي بزاوية تقرب من ٩٠ درجة مع القفازين اليابسين المضغوطين كي اصل الى الرزمة. والان يجب ان اتوقف. انني اسقط! لقد تجاوزت حركتي الحد المعقول. وقوة الاندفاع الذاتي في جذعي وساقي ترغمني على التحرك باستمرار. في اول الامر تشعر يدي اليمنى بابتعاد المركبة الهدف، ثم ينتقل هذا الشعور الى اليد اليسرى. ولا ارى أي شيء مطلقا سوى سماء مظلمة. ويدوم هذا بضع ثوان قبل ان تلوح "جيميني" امام ناظري. واجد نفسي فوقها، ناظرا من اعلى نحو نافذة جون.

وبمساعدة مسدسي، اطير الى ما وراء "جيميني"، وهو موقع لم اكن انوي استكشافه البتة. وانادي جون

قائلا: "انني في المؤخر يا جون، وراء حجرة القيادة، فلا تشعل اي محرك من محركات الدفع".

اقترابي من الكوة المفتوحة ليس رشيقا كفاية. لكني امسك بها بيد واحدة فيخفف ذلك من سرعتي الى درجة التوقف تقريبا. ويحين الوقت لاجرب مرة اخرى. فأسبح الى اعلى والقي يدي اليمنى داخل الفجوة الموجودة بين مكيف الالتحام والجسم الرئيسي للمركبة الهدف. واجد اسلاكا امسك بها. هذه المرة لا اريد الافلات! واخيرا افلح في الدوران الى ان ابلغ حزمة الشعيبات والتقطها. واعود ادراجي بالطريقة السهلة، واضعا يدا فوق اخرى على الحبل الذي يشدني الى المركبة. غير اني اتحرك ببطء لتجنب الاسراع وبالتالي الارتطام بمركبة "جيميني".

خبر فاجعة عبر الهاتف

ان كوني الامريكي السابع عشر الذي طار في الفضاء لهو امتياز صغير، وقد غير حياتي بمقدار ضئيل. لم يصبح اسمي كلمة شائعة في بيوت الناس، لكني اصبحت رائد فضاء مجربا وحقيقيا الآن. وكان ذاك المؤتمر الصحافي الذي عرضنا فيه تقاريرنا الفنية بداية مرحلة جديدة من حياتي بت فيها اجيب عن السؤال الآتي: "كيف كانت الحال هناك في الفضاء؟" ووضعت في جيبي قسيمة راتبي للاشتراك في رحلة "جيميني": ثمانية دولارات علاوة يومية على ثلاثة ايام، فيكون المجموع ٢٤ دولارا. واخذت اجازة لمدة اسبوعين لأتعرف من جديد على زوجتي بات واطفالنا الثلاثة. ثم عدت الى مكتبي، مكرسا نفسي لبرنامج "ابولو".

وبدا التوقيت مناسبا تماما، اذ كان غاس غريسوم يتحدث عن اطلاق "ابولو ١" (وكانت تسمى آنذاك "٠١٢") قبل نهاية السنة. وكان يؤمل ان يكون الهبوط على القمر ممكنا في موعد مبكر من عام ١٩٦٨. لذلك، غمرتني البهجة عندما ابلغني فرانك بورمان اني عينت في طاقم ملاحي "ابولو".

وكان يوم الجمعة ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧، الذي بدأناه باجتماع رسمي في مكتب ديك سلايتون الذي كان غائبا آنذاك، عندما رن جرس تلفون الكوارث الاحمر على مكتب ديك. ورفع دون غريغوري، مساعد ديك، السماعة بسرعة واصغى بصبر نافذ. ثم اعاد السماعة الى مكانها وقال بهدوء: "حريق في المركبة الفضائية". هذا كل ما قاله. ولم يكن ثمة شك حول المركبة الفضائية المقصودة ("ابولو ٠١٢") او من كان داخلها (غاس غريسوم، روجر تشافي، اد وايت) او اين (المنصة ٣٤ في كيب كينيدي) او لماذا (تجربة نهائية للاجهزة) او ماذا (موت، كلما كان اسرع كان افضل).

يا الهي! شيء واضح كهذا، لكننا حتى الان لم نفكر فيه. اهتممنا بالمحركات التي يمكن الا تشتغل، اهتممنا بالسيلان، واهتممنا حتى بطريقة خفض ضغط المقصورة لمنع حدوث حريق في الفضاء. اما هنا على الارض، فقد وضعنا ثلاثة اشخاص داخل مركبة فضاء غير مجربة، وشددنا احزمة مقاعدهم حولهم ولم نترك لهم منفذا سريعا للهرب.

وفيما جلسنا ذاهلين، بدأنا نفكر في عائلات الملاحين. واتصلت هاتفيا

بمكتب رواد الفضاء ورد" علي" آل بين الذي قال انه سينظم امر ابلاغ الزوجات بينما اظل انا قرب الهاتف الاحمر٠ وخلال بضع دقائق، كان آل قد وجد زوجات ورواد فضاء ليذهبوا الى منزلي غريسوم ووايت، لكنه لم يجد شخصا مناسبا لابلاغ مارتا تشافي٠ ومع شعور بضغط قوي في احشائي، قلت لآل اني سابلغها٠ وقدت السيارة ببطء مسافة كيلومترين ونصف كيلومتر الى بيتها الذي يبعد ثلاثة ابواب عن منزلنا٠

وبقيت مارتا مع علَم مطوي وطفلين تربيهما، كما بقيت جميع الزوجات الاخريات وهن يعلمن ان الطيران الفضائي ـ شأنه شأن الطائرات ـ يقتل فعلا٠ حتى ذلك الحين كان ذاك احتمالا واردا، لكنه لم يحدث ابدا٠ كم من رائد فضاء يمكنه الان ان يقرر انه لم يلتحق بالمهنة كي يموت حرقا، وبالتالي يستقيل؟ كم من زوجات الملاحين سيتركن ازواجهن ما لم يبادروا الى ترك المهنة؟ لكن الحقيقة ان احدا لم يقدم على الاستقالة، ولو لم يكن احد يعلم ما هو عدد المكالمات الحميمة التي جرت حول هذا الموضوع٠ الامر الوحيد الذي اعلمه هو اني لم اناقش زوجتي بات في المسألة الا سطحياً، اذ لعلي كنت خائفا من معرفة مدى عداوتها لبرنامج "ابولو" الذي اوقعنا نحن الاثنين اسرى لديه٠

نصر حلو مرير

في الاشهر المبكرة الموحشة من عام ١٩٦٧، ازداد وضوحا ان الحريق الذي حدث في "ابولو ٠١٢" لم يكن مجرد حدث فردي عابر، بل علامة من علامات ضعف شامل٠ وكان معنى ذلك البحث عن مواد وادوات جديدة، وهذه كلها اشياء تستغرق وقتا٠ وفي اعقاب الحريق، تبخرت بسرعة آمالنا في ارسال ثلاث مركبات مأهولة خلال ١٩٦٧٠ فالمدة التي قدر العارفون انها ضرورية لجعل داخل المركبة مانعا للحريق، وهي سنة، استحالت سنتين تقريبا٠

في تلك الاثناء استمر العمل في شتى وجوه برنامج "ابولو" دونما توقف٠ وكان نصيبي الشخصي ادارة جهاز ارشاد "ابولو" وجهاز التحكم بها، فضلا عن ادارة اشياء اخرى فيها، مثل دماغ الكتروني وتلسكوب وآلة سدس (لقياس ارتفاع الاجرام السماوية) ومنضدة ثابتة ثلاثية الارجل٠ وكانت الفكرة الاساسية في غاية البساطة، وقد بدأت كلها بالنجوم التي كانت مواقعها في الفضاء معروفة جيدا ولا تتغير٠ وامر اساطين الارشاد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ان يلقم الدماغ الالكتروني الخاص برواد الفضاء معلومات حول ٣٧ نجما مختارا٠ واذا شاهد الرائد احد هذه النجوم عبر التلسكوب او آلة السدس، عين مكانه عن طريق وضع شعرة تعامد في بؤرة الاداة التي ينظر منها وضغط زرا في لحظة الظهور المثالي المستقيم للنجم من اجل الاحتفاظ بالعلامة٠ ثم يلقم الدماغ الالكتروني اسم النجم مستخدما رقمه٠ وتكرار هذه العملية على نجم ثان يتيح للدماغ الالكتروني معرفة الوجهة التي تتخذها المركبة٠

عانيت اياما طويلة من التفسيرات "المبسطة" لهذا النظام من خبراء معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا٠

ولكن بحلول ١٩٦٨ وجدت نفسي اكتب بلغة خبراء المعهد: "م٠س٠ف٠ن٠ برقم مناورة ١٠ف٠ الخارجية٠ م٠س٠ف٠ن٠ يسجل احدث حال للاتجاه، مستخدما حالات اتجاه ل٠م٠ الملاحون ينقلون اتجاه م٠س٠ف٠ن٠ من مواقع ل٠م٠ الى س٠س٠م٠ في الدماغ الالكتروني٠٠٠"

غير ان قلقا آخر كان قرابة ذلك الوقت آخذا في التسلل بقوة متزايدة الى وجداني٠ وكانت بداية ذلك القلق احساسا راودني خلال ممارستي لعبة البيسبول بان ساقي" لا تعملان عادياً٠ وبين حين وآخر، في اثناء نزولي على السلم، كانت ركبتي اليسرى تلتوي فأكاد اسقط٠ وشعرت باحساس غريب في ساقي اليسرى كان آتيا من خدر في بعض الاماكن٠ والاسوأ من ذلك ان منطقة الخدر بدأت تتسع٠

وبعد تعب شديد زرت الطبيب المسؤول عن رحلات ناسا، فأحالني على جراح مختص في الاعصاب٠ واظهرت صور الاشعة السينية ان نموا غضروفيا بين الفقرتين الخامسة والسادسة في رقبتي كان يضغط على حبلي الشوكي٠ وكان لا بد من ازالة الضغط بازالة النمو الغضروفي جراحيا، مع وصل الفقرتين بوتد عظمي صغير يؤخذ من مفصل وركي٠ ودخلت المستشفى في ٢٢ يوليو (تموز) ١٩٦٨٠

تمت العملية على ما يرام٠ وبعد اسبوع من التمارين البدنية والتدليك عدت الى منزلي لقضاء شهر نقاهة٠ وخلال هذه الفترة تلقيت مفاجأة سارة مفادها ان مركبة "ابولو ٨" – وهو الاسم الذي صبح يطلق الان على رحلتي – يحتمل ان تطير حول القمر٠

وكنت قد استبعدت، طبعا، من طاقم الرحلة٠ غير اني، قبيل موعد الاطلاق في ديسمبر (كانون الاول)، اصبحت احد المخاطبين الثلاثة للكبسولة خلال الرحلة، اي ناطقا باسم طاقم الملاحين ضمن محطة توجيه الرحلة وناطقا باسم محطة توجيه الرحلة حين مخاطبة طاقم الملاحين٠ والله اعلم اننا كنا سنتحدث في امور كثيرة٠

وكان جيري ليديرر، المسؤول عن السلامة في ناسا، اشار الى ان "هناك ٥،٦ ملايين قطعة في مركبة "ابولو"، واذا بلغت نسبة صحة عملها ٩٩،٩ في المئة، لانتهينا الى امكان وقوع ٥٦٠٠ خلل"٠

عندما ارتطمت مركبة الفضاء "ابولو ٨" في نهاية الامر برفق بمياه المحيط الهادىء على بعد ثلاثة اميال بحرية من سفينة يوركتاون التابعة للبحرية الامريكية قبيل فجر اليوم السابع، عم الهرج والسرور قاعة توجيه الرحلة التي تسودها الرزانة عادة٠ ولوح الناس باعلام امريكية مصغرة وربتوا بعضهم على اكتاف بعض واشعلت لفائف السيجار حسب التقاليد٠ ولم يقع شيء مما كنا قلقين منه، بل كان تخطيطنا سليما واعمالنا التجريبية دقيقة٠ وكان في وسعنا ان ندمر مركبة "ابولو ٨" بألف طريقة مختلفة، لكننا رعيناها بدلا من ذلك وارشدناها خلال اكثر الاسابيع اثارة واثرا في تاريخ البشرية٠

بالنسبة الي شخصيا، كانت تلك اللحظة مزيجا من العواطف والذكريات٠ فقد ساهمت في جعل هذه المهمة رحلة ملحمية٠ وانا اعدها رحلتي الشخصية اذ اني وظفت من اجلها سنتين من حياتي٠ لكنها، مع

ذلك، لم تكن رحلتي. فقد كنت واحدا من بين ١٠٠ شخص مرصوصين في غرفة مليئة بالضوضاء. وكان في وسعي ان الوح بعلمي وادخن سيجاري واعبث بندبة عمليتي الجراحية. لكن هذا كان كل شيء. ولسبب ما شعرت بدافع الى البكاء، ولكن لم يسعني ان افعل ذلك في محطة توجيه الرحلة. لذا اكتفيت بالتربيت على اكتاف عدد كبير من الجنود المجهولين العاملين، وغادرت المكان.

ونزلت "ابولو ٨" في مياه المحيط في ٢٧ ديسمبر (كانون الاول). وفي ٩ يناير (كانون الثاني) اللاحق اعلنت اسماء ملاحي "ابولو ١١". واذا سار كل شيء حسب الخطة، فان "ابولو ١١" ستنزل رجلين على سطح القمر. وقد كان طاقمها مؤلفا من نيل آرمسترونغ وباز آلدرين ومايك كولينز.

اوامر الزحف

آرمسترونغ وآلدرين لم يكونا فقط قرب قمة الهرم. بل كانا يتمتعان باحترام كبير ضمن مجموعة رواد الفضاء الصغيرة التي كنت فيها. وكان نيل اكثر طياري الاختبار خبرة، وبيز اكثرهم علما باشواط بعيدة خصوصا في ما يتعلق باللقاءات الفضائية. واعتبرت نفسي سعيد الحظ بالانضمام اليهما.

في الاشهر الستة قبل موعد اطلاقنا في ١٦ يوليو (تموز)، كنت اكثر انشغالا من اي وقت مضى في حياتي. كان مركز ناسا في لانغلي (ولاية فرجينيا) اجرى دراسة واسعة على مشكلات التحام المركبة القمرية مع مركبة القيادة. وكان في المركز نموذجان كاملا الحجم مماثلان للعربتين، معلقان بأسلاك في المخزن الكبير. وكان علي ان اتفقدهما و"اطير" بهما. ثم توصلت الى استنتاجاتي في شأن مشكلات الالتحام الممكن حدوثها عندما يتلاقى الجسمان الحقيقيان للمرة الاولى (★)

ويمكن تصنيف مشكلات تدريبي كطيار لمركبة القيادة في قسمين: تلك التي ستواجهها المركبة "ابولو ١١" للمرة الاولى والتي لا جواب عن الاسئلة المتعلقة بها من الخبرات السابقة، وتلك التي ووجهت في الماضي. لكني - لعدم اكتراثي او قلة انتباهي او عجزي - لم افهمها على نحو كاف. ومن مشكلات النوع الاخير الاداة التي تصل مركبة القيادة بالمركبة القمرية، الا وهي المرساة والمجس.

عندما التحمت مركبة القيادة (التي سميت بعد ذلك "كولومبيا") بالمركبة القمرية ("ايغل"، اي النسر)، وضعت مجسها داخل مرساة المركبة القمرية فانفتحت ثلاث شعب صغيرة واستقرت في مواضعها. ثم استعيد المجس عبر النفق، فانطلق ١٢ مزلاجا ميكانيكيا. وفي تلك اللحظة ايضا غادر الطيار (انا) مقعده، وتسلم دور رئيس الميكانيكيين. وكان المجس يسد الطريق عبر النفق، فكان لا بد من ازالته كما ازيلت المرساة، كي يستطيع الاشخاص المرور ذهابا وايابا بين المركبتين.

ولكن قبل اتمام ذلك، كان لا بد من

(★) المركبة القمرية لم تحلق ابدا بوجود ملاحين على متنها، وكنا نأمل في ان تزودنا المركبتان "ابولو ٩" و١٠ بكل الحقائق الثابتة التي نحتاج اليها، باستثناء تلك المتعلقة بانجاز عملية الهبوط على القمر.

التدقيق في جدول طويل مفصل يتناول اشياء عدة. واذا لم يتجاوب الجهاز او سواه كان علي أن اخرج حقيبة العدة لافكه، انا الذي لا استطيع اصلاح مزلاق باب منزلي!

وكانت قدرتي على التركيز والاستيعاب تزداد مع اقتراب موعد الانطلاق. ذلك ان تجربتي لكثير من هذه الاشياء من قبل، خلال ايام "جيميني"، ساعدتني الى حد كبير. ولكن كانت هناك فوارق مهمة. فعلى متن المركبة "ابولو ١١"، كنا نحن الثلاثة سفراء لامتنا سيشاهدنا العالم اجمع، بما فيه من مناطق غير مصادقة لنا، ويجب الا نخفق، وكان ثمة ضغط من اجل التخطيط والدرس والتركيز والبحث في كل زاوية من دماغي عن غلطة مميتة: امر سهونا عنه، جهاز لم يصمم كما يجب، فعل يفترض ان اكون قمت به ولكن لم اقم به في الواقع.

والاسوأ من ذلك ان الذين منا داخل البرنامج كانوا وحدهم يعلمون بالاسباب الكافية لاخفاقنا: مجس مكسور، فوهة محرك مكسورة، عطل كهربائي، غفلة الملاحين عن انتباههم، وامور اخرى كثيرة. ولم اكن اعلم شيئا عن شعور نيل وباز، لاننا لم نتحدث في هذه الامور ابدا. ولكن اعلم اني شعرت بوطأة هذه المسؤولية الثقيلة على كاهلي. وعندما حان موعد الرحلة كنت ارمش بعيني الاثنتين على نحو لا ارادي. ولم يتوقف ذلك الا بعد انطلاقنا في الفضاء.

وكنا قد انجزنا كل انواع التكيف: الجسماني والفيزيولوجي والعقلي، حتى لم يبق امر لم نفعله. واخذت يوم الثلثاء ١٥ يوليو (تموز) اجازة وتمشيت في ارجاء مقر اعضاء الطاقم. وتحدثت الى زوجتي بات في هيوستون، وقرأت ثم اعدت قراءة الرسالة القصيرة التي كتبتها الي، وضمنها القصيدة الآتية التي يتضح انها لم تخطر على بالها في الدقيقة الاخيرة:

"كان يمكنني ان اسعى بالمكر والخديعة
الى تعتيم حلمي الساطع.
لكني لو ثنيتك عن عزمك بابتسامة
لما جنيت سوى الندم.
لذا فانك لن تسمع هذه المرة
صوت بكائي، ولن تحس برعشات خوفي
في عتمة الليل.
تلك اشياء لا اريدها لك هذه المرة.
خذ صمتي، مع انه متعمد،
واملأه بالفرحة التي تشعر بها.
خذ شجاعتي التي اتظاهر الان بها
فانت، يا حبيبي، ستجعلها حقيقية".

وكان املي ان استطيع ذلك.

وفي صباح اليوم التالي ارتدينا بذلاتنا واخذونا الى مصعد برج الاطلاق. وكان هذا صعودنا العمودي الاول، وهو البداية الفعلية لرحلة "ابولو ١١"، اذ لم تلامس ارجلنا الارض الا بعد نهاية الرحلة - الملحمة. وكان المنظر الاخير الذي رأيته على الارض - وانا اقف على ممر ضيق بارتفاع ١٠٠ متر تقريبا - شاطئا مترامي الاطراف خاليا من الناس عن يساري، فيما رأيت عن يميني كومة من المعدات ربما كانت اضخم شيء من نوعه عبر التاريخ. واذا بي - انا الانسان الاول - اغمض عيني اليمنى فارى فلوريدا ووراءها البحر الذي هو امنا جميعا، واغمض عيني اليسرى فارى اكواما مخيفة من

الاسلاك والمعدن. واعطتني تلك التجربة شعورا باني لست اكثر من يافع تكنولوجي في جيش تلقى اوامر زحفه.

وخطا نيل داخل المركبة الفضائية، ثم خطوت في اثره.

لحظات على طريق نيوتن

ان اشارة اقتراب موعد الاطلاق هي العد العكسي التقليدي نحو الصفر. والمعروف عن مديري الاطلاق ان لديهم هذه النزعة، وغايتها زيادة الاثارة المحيطة بالحدث. ترى لماذا لا يستخدمون فتاة عذبة الصوت لتهمس: "هيا بنا يا حبيبي" لقد حان وقت الذهاب"؟ ومهما يكن من امر ذلك، فاني اجد مضخة الادرينالين لدي تعمل جيدا حينما يهب هذا الوحش من غفوته: اهتزاز، خشيش، دحرجة، ضوضاء! نعم، ضوضاء مرتفعة. لكن الحركة هي الغالبة، بينما نحن نقذف يمنة ويسرة قبالة احزمتنا بهزات صغيرة متقطعة. الصاروخ يتجه كسيدة منفعلة تسوق سيارتها في زقاق ضيق، وأملي ان يعرف الى اين يجب ان يتوجه...

نرتفع بسرعة جنونية: ١٠،٨٤٤ مترا في الثانية. وفي تسع ساعات، وهو الموعد المقرر لانجاز اول تصحيح في مسارنا. نكون قد ابتعدنا عن الارض مسافة ٩١،٧١٣ كيلومترا. من الصعب ان نصدق اننا في طريقنا الى القمر بعد اقل من ثلاث ساعات اثر الاطلاق. وانا اراهن على ان الجموع التي احتشدت لمشاهدة الاطلاق تحتنا في كيب كينيدي ما زالت محصورة في ازدحام السير، متجهة ببطء نحو الحانات والفنادق الصغيرة على جوانب الطريق.

لدى خروجنا من ظل الارض، اصبحنا ضمن ضوء الشمس المستمر. لكن ثمة ظلاما مستمرا كذلك من ناحية اخرى. فالامر يعتمد على الجهة التي تنظر اليها. ففي اتجاه الشمس لا تمكن رؤية اي شيء سوى قرصها المعمي، وفي اتجاه ما تحت الشمس ليس من شيء سوى فراغ اسود. بل، النجوم الموجودة، ولكن تستحيل رؤيتها.

واذا احتفظنا باي وضع ثابت، فان جانب مركبة القيادة المواجه للشمس سيصبح حارا جدا والجانب الموجود في الظل سيصبح باردا جدا. ولكي نحول دون اي الحالين، علينا ان ندور ببطء كما تدور الدجاجة على قضيب المشواة.

القمر لا يبدو اكبر حجما، لكن الارض تتقلص على نحو ملحوظ. ومع اقتراب موعد النوم نرى ان ارضنا تكاد لا تحجب نافذة صغيرة. ولكن ما تفتقر اليه من حيث الحجم، تعوضه باللمعان. نحن البشر معتادون على مراقبة القمر والتفكير في انه ساطع الضياء (عندما يكون بدرا على الاقل)، لكن الارض ألمع منه اربع مرات.

اذكر في ديسمبر (كانون الاول) الماضي، خلال رحلة "ابولو ٨"، ان ابني الذي يبلغ الخامسة من عمره ظل يسألني سؤالا واحدا محددا: من الذي سيقود المركبة؟ وفي احدى الليالي، عندما كان الجو هادئا في مقر توجيه الرحلة، وجهت هذا السؤال الى مركبة الفضاء، فاجاب بل اندرز مسرعا بان الذي يسوق ليس بورمان وانما اسحق نيوتن. وليس في الامكان اعطاء وصف اصح او ادق من هذا للطيران

بين الارض والقمر. فالشمس تشدنا، والارض تشدنا، والقمر يشدنا، بالضبط كما علم نيوتن انها تفعل ذلك. وان كان اثر الارض هو الاقوى حتى الآن، فمع حلول اليوم الثالث - اواخر يوم غد - سيصبح القمر هو المسيطر. وفي هذه الاثناء علينا ان نصحح اتجاه سيرنا قليلا. وخلال الثواني الثلاث التي يشتغل فيها المحرك، يتولى مايك كولينز قيادة العربة بدلا من السير اسحق نيوتن.. ثلاث ثوان بأكملها!

وأعجب من قلة التخاطب، او على الاقل شكل التخاطب الغريب، بيننا نحن الثلاثة: نيل وباز لا يثقان بي، وانا لا اثق بهما. ولدينا من التوافه الفنية ما يكفي لتبادل الحديث مع مرور الأيام، من دون ان يطمح اي منا الى اضافة اي شيء آخر. تلك كانت الحال طوال فترة تدريبنا التي سبقت الرحلة. واظن ان النمط نفسه سيستمر بعد الرحلة.

اليوم الرابع يسوده شعور مختلف تماما. الصدمة الأولى تأتينا خلال دوراننا حول انفسنا لنرى القمر. انه ضخم، يملأ نافذتنا. وينتأ سطحه المنتفخ على نحو أكاد اشعرمعه باني استطيع ان امد يدي والمسه. انه مستكين، رائع، معلق في مكانه بجلال، يبدو لك منيعا بلا صوت او حراك، ولا يغريك بان تغزوه.

وبينما نتحرك بيسر حول الجانب الايسر للقمر، اعرب عن ارتياحي لدقة مسارنا. فقد تجنبنا الارتطام بالقمر بمسافة لا تتجاوز ٥٥٥ كيلومترا على بعد مسافة تقارب ٤٦٣،٠٠٠ كيلومتر من الأرض، مع العلم بان القمر هدف متحرك. وعندما أنطلقنا قبل ايام، كان القمر وراء موقعه الحالي على بعد قرابة ٣٧٠،٤٠٠ كيلومتر. ومع ذلك، فان اجهزة الكومبيوتر الضخمة في هيوستون لم تتذمر - او على الاقل ارجو الا تكون تذمرت - وهي تصدر تنبؤاتها الدقيقة.

حقا ان للنسر جناحين! نيل وباز، في المركبة القمرية، يبتعدان عني اكثر فأكثر ويتجهان بسرعة الى اسفل. محادثتهما الموجزة الدقيقة تسمع وكأنها اختراق للضباب بمساعدة تحكم ارضي، فيما يعلن باز درجات الارتفاع والسرعة الى نيل الذي ثبت عينيه على المشهد عبر النافذة. "١٨٣ مترا. سرعة النزول ٥،٨ امتار في الثانية". "٣٠ مترا. سرعة النزول متر في الثانية". "١٢ مترا. سرعة النزول اقل من متر. وهذا يثير بعض الغبار". وتقول هيوستون: "٣٠ ثانية". الوقود الباقي يكفيهما لهذه المدة فقط. الافضل ان تهبط بالمركبة على السطح يا نيل. ويقول باز مغنيا: "ملامسة لطيفة". ها قد وصلا! ويقول الصوت من هيوستون بلهجة نصفها سؤال ونصفها جواب: "نسمعك جيدا يا ايغل". ويعلنها نيل رسميا: "هيوستون، هنا قاعدة بحر السكون، لقد هبط النسر". يا للفرحة!

اعلم من اسئلة الصحافيين السابقة للرحلة اني سأوصف كرجل وحيد. لكني، بدلا من ان اشعر باني وحيد او مهجور، احس، الى حد كبير، بأني جزء مما يحدث على سطح القمر. اعلم اني سأكون كاذبا او احمق اذا قلت ان مقعدي هو افضل مقاعد "أبولو" الاحد عشر. ولكن في وسعي ان اقول، بصدق ورجاحة، اني قانع تماما بمقعدي. لقد وضعت هذه

المهمة لاشخاص ثلاثة. وانا اعتبر شخصي الثالث ضروريا فيها ضرورة اي من الاثنين الآخرين.

بيد اني لا أقصد طمس شعوري بالعزلة. فهو واقع ناجز يزيده قوة ان الاتصال اللاسلكي بالارض ينقطع فجأة بمجرد اختفائي وراء القمر. انا الآن وحيد، وحيد حقا، ومعزول تماما عن اي حياة معروفة. اني تجسيد للعزلة. وذاك شيء أحس به احساساً قويا، لا في شكل خوف او وحدة ولكن في شكل ادراك وترقب ورضا وثقة، وحتى في شكل يكاد يكون ترفعا. واني احب هذا الشعور.

اليوم هو يوم اللقاء، وهذا يعني الانهماك في امور كثيرة. وعلي ان اضرب قرابة ٨٥٠ ضربة مختلفة على مفاتيح الكومبيوتر، وهي ٨٥٠ فرصة لارتكاب خطأ ما. واذا سار كل شيء على ما يرام بالنسبة الى "ايغل"، فأن خطأي لن يكون بالغ الاهمية، لاني، ببساطة، احتفظ بدوري كمجرد مشغل لقاعدة العودة واترك لغيري مهمة العثور علي. اما اذا... اذا... اذا حدث اي من الف خلل ممكن بالنسبة الى "ايغل"، فعندئذ اصبح انا الصياد بدلا من الفريسة.

وعندما تحين لحظة الانطلاق عن سطح القمر، اجدني كعروس منفعلة، اني اطير منذ ١٧ سنة، ولكن لم يسبق ان قلقت خلال أي رحلة كقلقي على المركبة القمرية الآن. لقد كان مصدر رعبي السري خلال الاشهر الستة الماضية فكرة ترك نيل وباز على سطح القمر والعودة الى الارض بمفردي. وها انا الآن على بعد دقائق من معرفة الحقيقة: اذا اخفقا في الارتفاع عن السطح او تحطما عليه، فلن اقدم على الانتحار، بل سأعود فورا لكني سأغدو رجلا مشبوها طوال حياتي.

انصت! هذا باز يعد عدا تنازليا ينطلق الاثنان بعده. ويبدو محركهما الوحيد منفذا عمله، غير ان الامر يبقى مخيفا على رغم ذلك، اذ يكفي خلل واحد بسيط ليصبحا في عداد الاموات. ويخيل الي اني احبس انفاسي خلال الدقائق السبع كلها التي يستغرقها الوصول الى فلكهما.

الامور تبدو جيدة! يمكنني ان انظر عبر نافذة الالتحام بمركبتي فاري. المركبة القمرية تكبر حجما شيئا فشيئا وهما يتجهان عبر مسار الاقتراب النهائي. وللمرة الاولى منذ تعييني لهذه الرحلة العجيبة قبل ستة اشهر، احس باننا سنفلح حقا في انجازها.

وبمجرد ارتباطنا بمزاليق القبض الثلاثة الصغيرة، اضغط زرا لاشد المركبتين احداهما نحو الاخرى. ثم ادخل مسرعا في النفق وازيل الغطاء والمجس والمرساة كي يستطيع باز ونيل المرور فيها. شكرا لله: كل شيء يعمل على خير ما يرام. واطل باز اولا وعلى وجهه ابتسامة عريضة. ورفع يديه الى رأسه، واضعا يدا على كل من صدغيه. وكدت اقبل جبهته، لكني احجمت عن ذلك حرجا، مكتفيا بالشد على يده ثم على يد نيل.

هذا الشيء الثمين

بعد خمس سنوات ونصف سنة من هبوط نيل وباز على سطح جرم سماوي آخر، يعود بي التفكير الى الحدث بمزيج من الفخر وعدم التصديق والغرور. انه متفائل في شأن حال العالم وحال مايكل كوينز في

الحاضر والمستقبل. فقد تأمنت لي وظيفة لاحقة لريادة الفضاء، وانا احبها. وتلك هي الحال بالنسبة الى نيل. انا الآن مدير المتحف القومي للطيران والفضاء التابع للمعهد السميثوني في واشنطن، ونيل استاذ الهندسة في جامعة سنسيناتي. لكن باز، من جهة اخرى، لم يحالفه الحظ. فهو عانى نوبات هبوط عصبي شديدة الى حد اقتضى العلاج في المستشفى. والجدير بالذكر ان دور رائد الفضاء يصعب اتباعه، كما تبين لنا نحن الثلاثة جميعا.

ان رحلتي الفضائيتين غيرتا فهمي للارض. ولا شك في ان رحلة "ابولو ١١" غيرت فهمي للقمر ايضا. لكن القمر مليء بالندوب ومقفر ورتيب جدا الى حد لا استطيع معه تذكر سطحه المعذب من دون ان افكر في التنوع اللامتناهي الذي يوفره كوكب الارض المبهج: شلالات ضبابية، غابات صنوبر، جنائن ورد، الوان زرقاء وحمراء وخضراء وبيضاء.

ومع ذلك، فاني لو استخدمت كلمة واحدة فقط لاصف فيها الارض كما تبدو من القمر، لتجاهلت كلا من حجمها ولونها وبحثت عن صفة اساسية اكثر أهمية،الا وهي الرقة. فمن الفضاء لا تلمح للارض وعورة، بل تجدها ناعمة مثل كرة البليارد ومتوازية بدقة في رحلتها الدائرية حول الشمس. وهي تبدو، قبل اي شيء، رقيقة.

الطيران في الفضاء غيّر ايضا ادراكي لنفسي. فقد نمت قدرتي على قياس ما هو مهم. ويعود جزء من هذا الى الاكرام الذي لقيته في عدد من المناسبات التي اقيمت خصيصا لذلك، بينما يعود الجزء الاخر الى الحظ الذي أتاح لي مشاهدة الارض من بعيد.

ان اسلوب حياتي لم يتغير في الظاهر بالمقدار الذي كنت اتصور. عموما يعود المرء من القمر بالامور المحدودة عينها التي حملها معه في الرحلة - من خيال وذوق وكتاب جيب لا غنى له عنها.

غير اني، على رغم شعوري باني لا ازال اساسا ذلك الانسان نفسه، فانا مختلف ايضا. ذلك اني تدليت من حبل وانا على ارتفاع ١٦٠ كيلومترا، ورأيت الارض محجوبة بالقمر، ونظرت الى ضوء الشمس الحقيقي غير مصفى عبر جو اي كوكب. وشاهدت سواد اللانهاية الخالص في سكون لا يزعجه اي كائن حي. ولم تكن قدرتي على عمل هذه الاشياء نتيجة اي موهبة عظيمة املكها، بل كانت مسألة اقرب الى مصادفة الزهر في لعبة النرد او ما شابهها. فمن جانب الجيش ومن آخر الطيران، من جانب ضابط ارضي ومن آخر طيار اختبار، من جانب قاعدة ادواردز ومن آخر هيوستون... حقا اني كنت في حياتي، حتى الآن، محظوظا جدا.

ربما كان من المؤسف ان عيني رأتا اكثر مما استطاع دماغي استيعابه او تقويمه. غير اني حاولت، كما حاول الدروديون في ستون هنج، ان استنبط نظاما مما لاحظته وراقبته، حتى وان لم افهمه تمام الفهم.

ليس في نيتي ان اقضي بقية حياتي متطلعا الى الوراء. فعندي كثير من السحر هنا على هذه الارض، ولكن لدي هذا السر، هذا الشيء الثمين، وسأحمله معي دائما.

■ مايكل كولينز



قصة من الحياة

سعودية أنقذت طفلي من الجوع – ص ٢١

الطريق الى السعادة – ص ٢٧

تونس: زهرة التاريخ – ص ٣٨

حبوب منع الحمل

متى تشكل خطرًا على حياة المرأة – ص ٤٨

البحث عن جذور الجنس البشري بين افريقيا وفلسطين – ص ٣٢

لبنان ٤٥٠ ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ ف – الكويت ٥٠٠ ف – الامارات العربية المتحدة ٦ د – قطر ٦ ر – البحرين ٦٠٠ ف – السعودية ٦ ر – مصر ٥٠٠ م – السودان ٥٠٠ م – ليبيا ٦٥٠ د – اليمن الجنوبية ٦ ر – مسقط ٦ ر – العراق ٦٠٠ ف – تونس ١ د – المغرب ٣ د – الجزائر ٧ د – فرنسا ٧ ف – انكلترا ٧٥ ب – اليونان ١٠٠ د –

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest March 1979

مارس (آذار) ١٩٧٩ - ربيع الثاني ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية
المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م -
السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف -
تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

CITIZEN QUARTZ

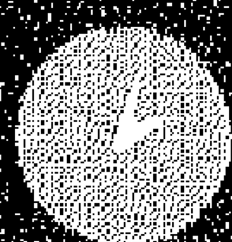
Special Citizens
for special citizens

CITIZEN
QUARTZ
CRYSTRON LC

لأناقة فائقة

سيتيزن كوارتز المتناهية الرقة التر سليم
مصممة لتعطيك الوقت بدقة، لا تزيد ولا تنقص
عن ثوان في الشهر وتتيح لك معرفة اليوم، التاريخ والشهر

سيتيزن



CITIZEN



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين .**

رئيس التحرير: **ادمون صعب .**

رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب .**

مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم .**

امانة التحرير: **رينا نداف .**

الاخراج: **اروى سيف الدين .**

الامتياز:

شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس .

الناشر:

شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية .

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح .**

الخدمات الصحافية:

شركة الدراسات والمنشورات الدولية S E P I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:

الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

الصف والتنفيذ:

شركة المطبوعات العربية - باريس .

الطباعة:

بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا .

الخط: **محمد ماجد .**

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"

المدير العام: **جون أ. اوهارا .**

مدير التحرير: **آلان دوليرو .**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

الغلاف: رقصة فوق الماء.

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest

March 1979 N°4 *(New Series)*. Vol.1



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولاراً**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للأهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الأصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة أخرى).

☐ **حديقة أفكار**

أقوال مأثورة للأعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل قول من سطر واحد، و١٥ دولاراً عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

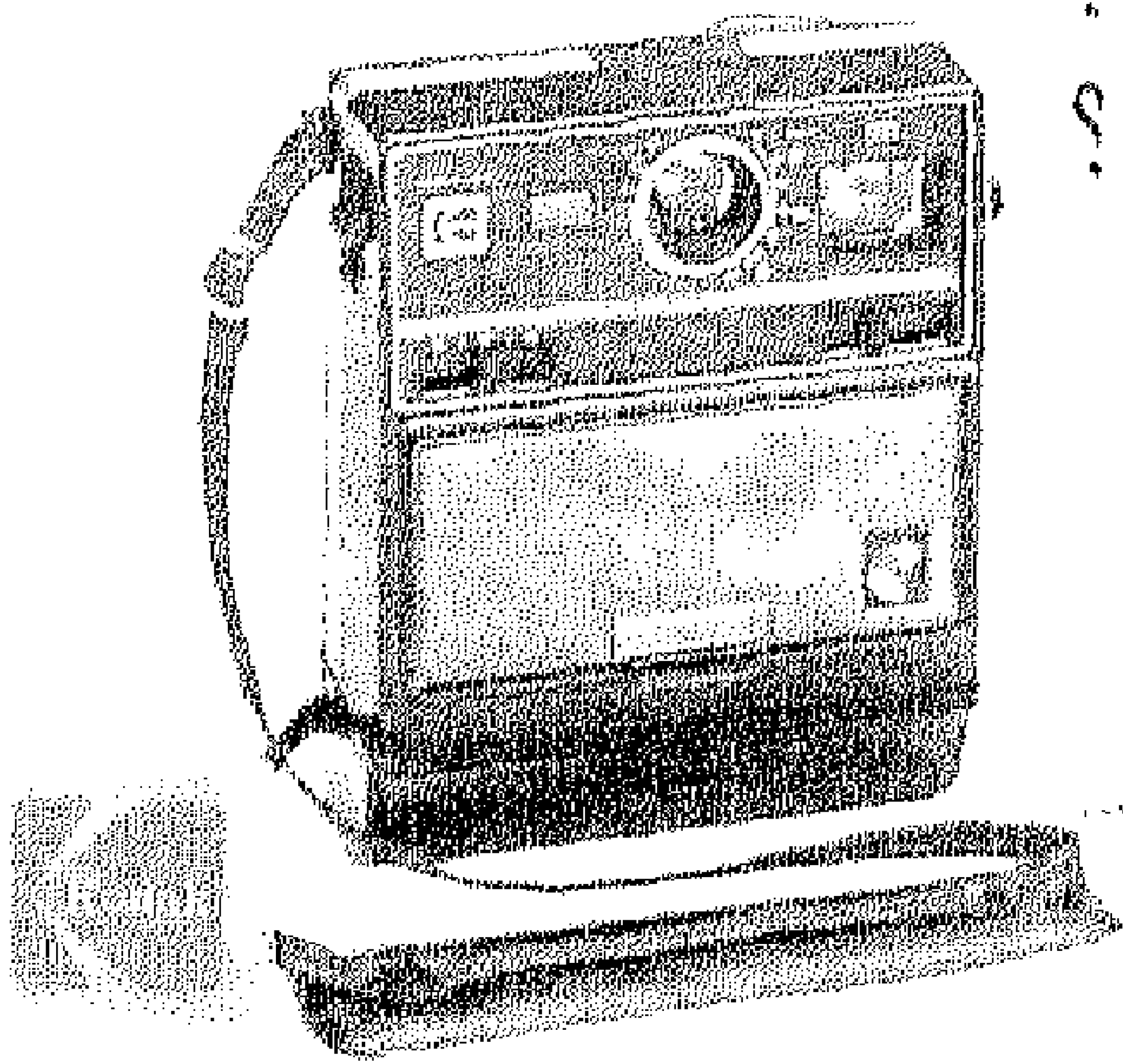
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

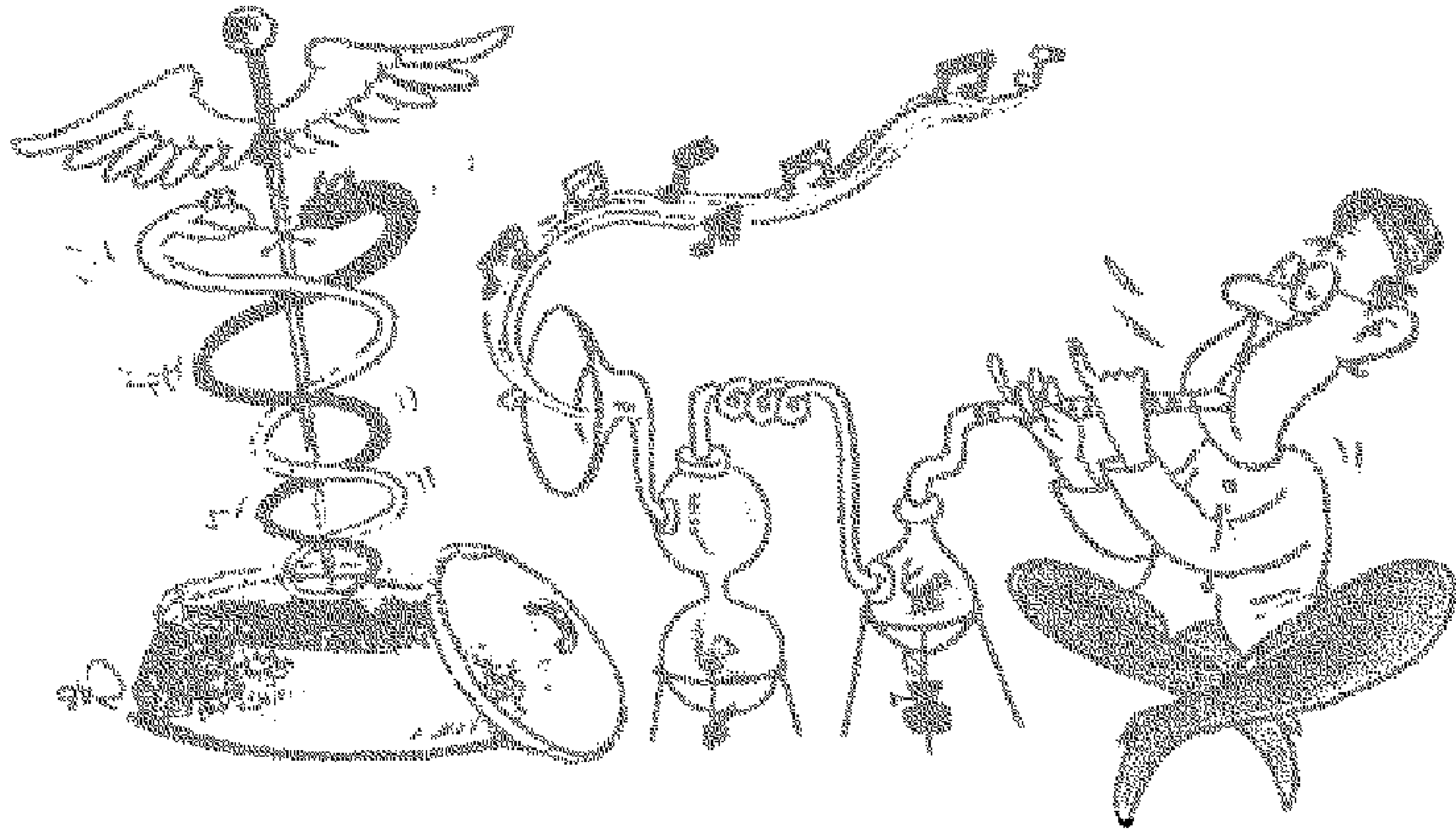
● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- يجب ان يكون بخط واضح ومتباعد الاسطر او مطبوعا على الآلة الكاتبة.
- يجب ان يذكر مع النص المنقول المرجع الكامل الذي اخذ منه: الصحيفة، المجلة، الكتاب، المؤلف، الصفحة، تاريخ النشر، الناشر وعنوانه الكامل.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France





اصداء من عالم الطب

بشرى لضحايا الربو

قضى الباحثون سنوات عدة وهم يسعون الى التفريج عن المرضى المصابين بنوبات الربو، فاهتدوا الى مركبات من "الكورتيكوستيرويدات" وهي عقاقير يدخل في تركيبها هرمون الكورتيزون يمكن تعاطيها برشاشات الرذاذ الهوائي. فـ"الكورتيكوستيرويدات" تخفف من احتقان الشعب الهوائية وممرات التنفس، لكن تعاطيها عن طريق الفم بكميات كافية قد يؤدي الى آثار جانبية خطيرة. وقد امكن الآن التوصل الى وسيط جديد يسمى "بيكلوميثازون"، تم استخدامه بنجاح في اوروبا وغيرها قبل التصريح باستعماله في الولايات المتحدة، وثبت انه يحدث اثرا موضعيا بالغ الفعالية بجرعات بالغة الضآلة عموما لا تؤثر على اي من وظائف الجسم الطبيعية الاخرى.

وتبين من الدراسات التي اجريت في انكلترا وكندا ان الرذاذ الهوائي الجديد عظيم الاثر في غالبية حالات حمى الخريف والتهاب اغشية الانف المخاطية الذي يحدث اعراضا مشابهة لاعراض حمى الخريف. والاهم من ذلك ان هذا الرذاذ الهوائي الجديد يبشر بالتخفيف الى حد كبير من عذاب الملايين من مرضى الربو، الذين لا يجدي معهم العلاج بغير مركبات "الكورتيكوستيرويدات". فقد ثبت من اختبار اولي اجرته الجمعية البريطانية لامراض القصبة الهوائية والدرن الرئوي، ان جرعة يومية لا تزيد على ٤٠٠ ميكروغرام من عقار "بيكلوميتازون" تعادل في تأثيرها جرعة تماثلها ١٩ مرة تقريبا من "الكورتيكوستيرويدات" تؤخذ عن طريق الفم، من دون أن تؤدي إلى أي اعراض غير مرغوبة. وهناك دراسات اخرى اجريت في كندا والولايات المتحدة وغيرهما تؤيد هذه النتائج. وبات في مقدور مستشفى "ماسون كلينيك" في سياتل مثلا ان يحول ٧٥ في المئة من مرضى الربو تحويلا تاما من العلاج بـ"الكورتيكوستيرويدات" عن طريق الفم الى العلاج بالرذاذ، للسيطرة على حالاتهم المرضية.

("لورنس غالتون في مجلة "باراد")

اختبار كاشف

كيف يمكنك ان تعرف ان رضيعاً عمره ستة اشهر يعاني ضعفا في السمع؟ او ان شخصا مصاباً باضطراب عقلي يعاني الصمم وان ليس ذلك لمجرد الامتناع عن التعاون معك حين تختبره؟

ان اختبارات السمع التقليدية تستلزم استجابات تتعذر على الاطفال الرضع ويأبى مرضى العقول، غالبا، ابداءها.

اما الآن، فقد تمكن علماء المركز الطبي في جامعة كولورادو، في مدينة دنفر، بفضل منحة مالية من ادارة الصحة العامة، من الحصول على الاجابات المطلوبة، وذلك عن طريق الجمع بين آلتين: احداهما دماغ الكتروني والثانية رسام كهربائي للمخ. وتتلخص الطريقة في وضع اقطاب كهربائية لا تتسبب في اي الم على جلدة رأس الشخص المراد اختباره، فتنقل جميع مظاهر النشاط الكهربائي التي تحدث في المخ الى الدماغ الالكتروني الذي ينتقي من بينها تلك التي تحدثها الاصوات، مهملا كل ما عداها، فيشير بصورة واضحة الى ما اذا كان الشخص المعني يسمع اولا، والى اي حد يسمع. ويعنى الآن الدكتور جيري ماكاندليس في جامعة كولورادو بتطوير هذه الطريقة واختبار مدى فعاليتها، بالمقارنة مع الطرق التقليدية.

(مجلة "العالم")

التوفير في الجراحات

في العام ١٩٧٦، خلصت احدى لجان الكونغرس الفرعية في الولايات المتحدة الى ان عمليات الجراحة غير الضرورية تكلف الدولة ٤ مليارات دولار سنويا. وقد ثار بعض الشك حول صحة هذا الرقم، ولكن يبدو الآن من دراسة جدية لحالة ١٥٠٠ شخص اجرتها هيئة التأمين الصحي لـ"نيويورك الكبرى"، ان هذه المخاوف ليست مجرد وهم. ففي ربع عدد الحالات التي استحسن فيها اجراء عملية جراحية اختيارية (غير اضطرارية) واتخاذ رأي طبيب آخر، لم يكن هذا الرأي مؤيداً لتوصية الطبيب الاول. وقد نبه الدكتور يوجين سلبيري نائب الرئيس التنفيذي لمشروع "نيويورك الكبرى"، الى ان النتائج التي اسفرت عنها الدراسة، ليست قاطعة بالضرورة. ثم قال: "اننا نواصل دراسة حالة المرضى لنرى، مثلا، ماذا يحدث في النهاية لاولئك الذين صمموا على عدم اجراء العملية الجراحية. ولكننا نعتقد ان للبرنامج فائدته المباشرة للمشتركين اذ يكفون عناء الجراحة". ويضيف: "ونحن نتوقع ايضا وفورات مهمة". فالاستغناء عن كل عملية جراحية يوفر على مشروع التأمين الصحي نحو ١٥٠٠ دولار من مصروفات المستشفيات. ويقدر ما تم توفيره بالفعل منذ ان بدأ تنفيذ البرنامج عام ١٩٧٦، بمبلغ ٧٠٠٠٠٠ دولار.

("واشنطن بوست")

هدوءا ... من فضلكم!

يتضح من تقرير لادارة الصحة العامة في الولايات المتحدة ان المريض الذي يحاول النوم في غرفة مستشفى يتعرض لانواع مزعجة من الضوضاء.

وقد اجرت السلطات الاتحادية دراسة في ثمانية مستشفيات، تبين منها ان المرضى يستيقظون في الليل بسبب ٤٩ صوتا مختلفا، يصدر ٨٤ في المئة منها من داخل المستشفى نفسه.

وقد تألفت "لجنة الصمت والهدوء" في مستشفى بروكديل، في بروكلين، وأنفقت ١٠٦٠٠٠ دولار للسيطرة على الضوضاء. فخفض المستشفى اجراس التلفونات، وبادر الى تشحيم جميع الاجزاء المتحركة في معداته وانقص عدد الزوار وابدل نظام النداء على الاطباء والممرضات بأجهزة استقبال ذات موجات مخفضة التردد ينقلونها معهم.

ومن الحلول التي تم التوصل اليها، جهاز يصدر صوتا لا يكاد يسمع، ينتج الكترونيا ويستخدم في احيان كثيرة من ضمن انظمة تكييف الهواء. ويسمى ذلك الصوت "الصوت الابيض"، او "الضجيج الابيض"، ويمكنه كتم اصوات المحادثات، بل والضجيج الحاد كالذي يصدر مثلا عن طقطقة الآلة الكاتبة.

وقد ادرجت معدات "الصوت الأبيض" في تصميم مركز مهني ينشأ في مدينة تسمى روما في ولاية نيويورك. ويقول مهندس المركز ان الاجهزة المطلوبة اقل تعقيدا من كثير من اجهزة الاستماع التي يركبها هواة الموسيقى في بيوتهم، فضلا عن قلة عدد اجزائها.

(ميديكال وورلد نيوز)

AN NAHAR ARABE ET INTERNATIONAL

النهار
العربي والدولي

- ○ مصدر الاخبار الاسبوعي العربي الأوثق لوكالات الانباء والصحف والاذاعات العالمية.
- ○ شبكة مراسلين دائمين ومتجولين في كل مناطق الاحداث.
- ○ نخبة الكتاب لنخبة القراء.
- ○ يكتب فيها صانعو القرارات من حكام ومعارضين في العالم العربي.
- ○ كبار الصحافيين والكتاب والمفكرين والفنانيين الاوروبيين اختاروها ليطلوا على القارىء العربي.
- ○ اسبوعية لبنان ايمانا برسالته.
- ○ عمرها سنتان في باريس و٤٦ سنة من تراث "النهار".





كان الفول السوداني في ما مضى علفا للماشية، ثم اصبح الآن واحدا من أكبر المحاصيل الزراعية.

سَطوة الفـول السُّوداني

في اغسطس (آب) ١٩٧٦، رفع تـوم ميلـر، الطالـب فـي جامـعـة كولورادو، حبة من الفول السوداني بانفه الى قمة بايكس بيك (٤٣٠٠ متر). وقد استغرق منه هذا العمل ٤ أيام و ٢٣ ساعة و ٤٧ دقيقة و ٣ ثوان.

واضرب اخيرا نزلاء احد سجون كاليفورنيا مطالبين بزيادة نصيبهم من سـنـدويـشـات قشـدة الـفـول السوداني وهلامه، فاجيبوا الى مطلبهم.

وحـدث لعضـو مجلـس الشـيـوخ الامريكي، باري غولدووتر ان نفذ منه معجون الحلاقة في احدى الرحلات فاستخـدم قشـدة الفـول السودانـي كبديل، وقال: "انها معجون حلاقة رفيع الجودة، اذا لم يسؤك ان تفوح منك رائحة الفول السوداني".

وفي هـذا الوقـت بالـذات، حيث يشغل البيت الابيض مزارع سابق من منتجي الفول السوداني، اوشك هذا المحصول ان يغدو هاجسا وطنيا في الولايات المتحدة الامريكية، بعد ان بلغ متـوسط استهـلاك الامريكيين السنوي منه ٢١/٤ كيلوغرام للفرد الواحد اي ضعف ما كان منذ خمسة عشر عـامـا. ويستهلـك نصـف هـذه الكمية في شكل قشدة مستخرجة من الفـول. ويتـذوق عامـة الامريكييـن "قشدة الشعب" هذه على سندويشات سمك الطون او سجق الكبد، وعلى



CONDENSED FROM SHREVEPORT MAGAZINE

الفاصوليا والكفتة والمقانق والذرة المشوية الساخنة والتفاح والموز والكرفس والجزر والمخللات والفطائر المحلاة.

وقد طار الفول السوداني - في شكل قشدة - الى القمر في رحلات الفضاء. وهو يقدم في الحساء في ارقى الفنادق. ويستخدم زيته مادة قاعدية في امور لا حصر لها من البنسلين الى شحم المحاور في المحركات، الى مواد تلميع المعادن ومئات المنتجات الاخرى بما في ذلك الديناميت. بل ان العلماء توصلوا الى طريقة يستخدم فيها الضغط العالي ودرجة الحرارة المرتفعة لتحويل الفحم (الكربون) الموجود في الفول السوداني الى ماس صناعي.

وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧، اقيم المهرجان الوطني للفول السوداني في مدينة دوثان في ولاية الاباما فضم ما لا يقل عن ٣٠٠ ٠٠٠ من المتحمسين لهذه المادة الغذائية. وخلال مسيرة موكب المهرجان في الشارع الرئيسي في المدينة، كان خالط ضخم من آلات مزج الخرسانة يقذف هذا الحشد الجزل من الناس بآلاف الحبات من الفول السوداني. لكن اروع ما استرعى الانتباه في المهرجان كان سيارة فاخرة من طراز بليموث ذات محرك يسير بزيت الفول السوداني.

لم ينضم سكان امريكا الشمالية الى صفوف المولعين بالفول السوداني الا اخيرا. وقد اكتشفت اوعية مزخرفة بالفول السوداني في قبور بيرو الاثرية القديمة. كما ان المستكشفين الاسبان والبرتغاليين قد حملوا الى بلادهم بين الغنائم التي رجعوا بها من امريكا الجنوبية حبوب الفول السوداني. وكان هنود القارة يستخدمونها كنقود وطعام ودواء ورموز تدل على مركزهم الاجتماعي. ونقل التجار الفول السوداني من اوروبا الى افريقيا، حيث انتشرت زراعته انتشارا سريعا.

من ايام الاستعمار - وقد وصل الفول السوداني الى امريكا في فترة المستعمرات مشحونا على السفن التي حملت اليها العبيد باعتباره غذاء رخيص الثمن، ثم اصبح علفا للماشية بصفة رئيسية. وبعد ان ساعد الفول السوداني على تغذية جيش الولايات الجنوبية المنشقة في الظروف العصيبة التي تعرض لها خلال الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) قيل ان جنود الولايات الشمالية حملوه معهم كي يزرعوه في حدائقهم ويضعوه في جوارب عيد الميلاد مع هدايا الاطفال.

غير ان الفول السوداني ظل حتى بداية القرن العشرين غير معروف على نطاق واسع في الولايات المتحدة، الى ان جاء جورج واشنطن كارفر - الذي ولد عبدا رقيقا ثم اصبح استاذا جامعيا في معهد تاسكجي في ولاية الاباما - فاقنع المزارعين مع حلول عام ١٩١٥، اذ كانت دودة لوزة القطن، تعيث خرابا في محصول القطن في الولايات الجنوبية، بان يحرقوا حقول القطن التي دمرت ويخصصوا مساحات اكبر بكثير من ذي قبل لزراعة الفول السوداني الصغير المدهش. وقد وفق كارفر قبل وفاته في عام ١٩٤٣، الى ابتكار اكثر من ٣٠٠ استعمال نافع للفول السوداني - في الزراعة والصناعة والطب - من بينها سائل

السوداني •••

على رغم كون السودان البلد الثاني المصدّر للفول السوداني (الفستق) في العالم، فقد حلّ في المرتبة الخامسة من حيث الانتاج عام ١٩٧٥ (١،١٠ مليون طن)، إذ جاء بعد الهند (٦،٦ ملايين طن) والصين (٢،٧٩ مليون طن) والولايات المتحدة (١،٧٥ مليون طن) والسنغال (١،١٣ مليون طن).

ويفسّر إنتاج السودان المتواضع قياساً إلى إمكاناته الهائلة بصغر مساحة الأرض المزروعة نسبياً، ففي العام ١٩٧٥ بلغ معدّل محصول الفول السوداني في العالم ٩٨٦ كيلوغراماً في الهكتار، كانت حصة السودان منه ١٢٩٤ كيلوغراماً في الهكتار، وهذا يقلّ ٤٥ في المئة عن المحصول الاميركي في العام نفسه، الذي بلغ ٢٨٧٥ كيلوغراماً في الهكتار، في حين يفوق محصول افريقيا كلها والهند والسنغال والصين. وكانت المساحة المزروعة في السودان تفوق المساحة المزروعة في امريكا بنسبة ٣٩،٥ في المئة.

وفي تقدير المنظمة العربية للتثمير والتنمية الزراعيتَيْن أنّ إنتاج السودان من الفول السوداني سيرتفع بنسبة ٢٥٠ في المئة بين ١٩٧٣ و١٩٨٥، وبنسبة تزيد على ٨٠٠ في المئة من ١٩٧٣ حتى نهاية القرن. وهذا يقتضي توسيع مساحة الارض المزروعة قبل العام ٢٠٠٠ ستة أضعاف ما كانت عام ١٩٧٣، وتطوير الوسائل والطرق الزراعية على نحو ملحوظ.

لكن هذا التقدم لن يؤول الى زيادة التصدير بالنسبة عينها. ذلك أنّ السودان سيحاول تحقيق الاكتفاء الذاتي من الفول السوداني ويسد بعض حاجات العالم العربي، فضلا عن استخدام هذا الفول لصنع موادّ أكثر.

••• والعربي الآخر

اما البلدان العربية الرئيسية المنتجة للفول السوداني، باستثناء السودان، فهي مصر وليبيا والعراق وسورية ولبنان والمغرب والصومال وموريتانيا. وقد ارتفع مجمل إنتاجها السنوي من ٧٠،٠٠٠ طن عام ١٩٦٥ إلى ٩٧،٠٠٠ طن عام ١٩٧٧، مسجلا زيادة ٤٢،٨ في المئة. وتعزى هذه الزيادة الى توسيع مساحة الارض المزروعة تبعاً لتقدّم المعرفة حول منافع الفول السوداني التجارية. وقد زادت مساحة الأرض المزروعة فولا سودانياً من ٣٩،٠٠٠ هكتار عام ١٩٦٥ إلى ٧٢،٠٠٠ هكتار عام ١٩٧٧، اي بنسبة ٨٤،٦ في المئة.

وفي العام ١٩٧٧، بلغ إنتاج البلدان المذكورة من الفول السوداني الأرقام الآتية (بآلاف الأطنان): مصر: ٣٥، ليبيا: ١٥، سورية: ٢٤، لبنان: ٤، المغرب: ٨، الصومال: ١٠، موريتانيا: ١.

وبلغت مساحة الأرض المزروعة، في العام نفسه، ما يأتي (بآلاف الهكتارات): مصر: ١٦، ليبيا: ٧، سورية: ١٤، لبنان: ٤، المغرب: ١٩، الصومال: ١٠، موريتانيا: ٢.

واستعمالات الفول السوداني في هذه البلدان متعددة. فهو يؤكل محمصاً او غير محمّص، ويُستَخْدَم في بعض الحلويات، وتستخرج منه الزبدة والزيت ليتحول ما يبقى بعد عصره طعاماً للماشية.

يحتوي على نسبة عالية من البروتيين، انقذ حياة ملايين الاطفال من ضحايا سوء التغذية في افريقيا وآسيا.

والفول السوداني فصيلة من الخضر البقليةواسمه العلمي "اراشيس هيبوجايا"، وهو ابن عم الفاصوليا ذات العين السوداء "فينيا سينانسيس". غير ان الفول السوداني، يثمر تحت التربة على عكس الاصناف الاخرى من الفاصوليا والفول. وهو يزرع عادة في شهر ابريل (نيسان) او مايو (آيار)، وينمو في صفوف طويلة زاهية الخضر على شجيرات يبلغ ارتفاعها حوالي نصف متر، وتجري تحتها حركة من اكبر الحركات التي يعرفها عالم الزراعة كله في باطن الارض. فبعد ان تتلقح الزهرات الصغيرة الصفراء، ترسل الرؤوس الملقحة ساقا او

"خيطا" رفيعا كالشعرة الى باطن الارض ويغوص فيها الى عمق ثمانية سنتيمترات تقريبا في موضع منفصل تماما عن شبكة الجذور. وهنا تنضج مبايض النبات حتى يثمر في قرابة اربعة اشهر. ويستطيع نبات الفول السوداني تحمل نوبة جفاف تمتد اشهرا الى ان يسقط المطر فينضج الى غايته وينتج ما بين حبة واحدة واربع حبات داخل القشرة الورقية لكل ثمرة.

مادة مغذية - ويوفر محصول الفول السوداني طعاما له قيمة غذائية بالغة الارتفاع. فمحتواه من البروتيين يبلغ ٢٦٪ من وزنه، وهي نسبة اعلى من نظيرتها في معظم انواع اللحوم او في الحليب الكامل الدسم او الجبن. وهو يحتوي كذلك على النياسين والتيامين وغيرهما من عناصر فيتامين - ب المركب، اضافة الى ١١ من الاملاح المعدنية الـ ١٣ الاساسية التي يحتاج اليها جسم الانسان.

وينطوي الغرام الواحد من الفول السوداني على ٥،٤ وحدات حرارية، مما يجعل كل حبة مخزنا صغيرا للنشاط. والواقع ان الطاقة التي يحتوي عليها نصف كيلوغرام من الفول السوداني تعادل ما يوفره كيلوغرام كامل من لحم البقر المطهي، او اربعة ليترات من الحليب الكامل الدسم، او ٣٦ بيضة متوسطة الحجم. ويكفي ثلاثون غراما من زبدة الفول السوداني لتوفير الطاقة اللازمة للسباحة مدة ٢٠ دقيقة او للمشي مدة ٤٥ دقيقة. وعلى رغم ارتفاع محتوى الفول السوداني من الوحدات الحرارية، فانه خال من الكوليسترول. ويعتبر زيته - الذي تبلغ نسبة الدهون غير المشبعة فيه ٨٠٪ - نموذجيا لاستخدامه في اعداد الاطعمة القليلة الكوليسترول.

ويعد الفول السوداني الان من اكبر المحاصيل الزراعية الامريكية، وقد بلغت قيمته ٧٧٠ مليون دولار تسليم المزرعة عام ١٩٧٧. وقد تفوق محصول الفول السوداني في ١٦ ولاية (٤٢٪ منه في ولاية جورجيا) على الانتاج الوطني من الطماطم (البندورة) او التفاح والبرتقال. وتحتل الولايات المتحدة المركز الثالث بعد الهند والصين بين منتجي الفول السوداني في العالم، اذ يبلغ انتاجها منه ١،٨ مليون طن سنويا.

غير ان الفول السوداني اصبح بمثابة شيء له حسناته الكبرى - وان من احدى النواحي على الاقل - مما ادى الى ارتفاع انتاجه بسرعة فاقت سرعة نمو استهلاكه فاضطرت حكومة الولايات المتحدة الى التدخل في الامر واخذت تقدم الدعم لاسعاره، فضلا عن استيعابها لما يساوي مليار دولار تقريبا من فائض محصول الفول السوداني على مدى الاربعين عاما الماضية.

وللمساعدة في تخفيف الضغط الناجم عن هذه الفوائض، حرصت الحكومة الامريكية على توسيع سوق الفول السوداني داخل البلاد وخارجها. وهي تقدم جزءا من فائضه مجانا عن طريق البرنامج الوطني لتغذية تلاميذ المدارس الذين يحصلون عليه في صورة سندويشات من زبدة ومربى الفول السوداني كجزء من وجبات الطعام التي تقدم اليهم.

ومع توسع السوق في وجبات الطعام المدرسية، توصلت احدى

الشركات الطموحة الى صنع آلة تنتج ٥٠٠٠ سندويش من زبدة الفول السوداني في الساعة الواحدة. ولم تلبث شركات اخرى ان حذت مثل هذا الحذو فراحت تبيع بدورها انواعا لا تحصى من الاجهزة المستخدمة في تحضير زبدة الفول السوداني وصنعها منزليا. كما ان هذه الزبدة اصبحت تعبأ في شتى انواع العبوات من الوعاء الصغير زنة ١/٤ كيلوغرام الى براميل البلاستيك الضخمة. وقد فاقت مبيعاتها مجموع ما بلغته مبيعات بقية انواع المربى والهلام والاطعمة المحفوظة. فغدت تحتل المركز الرابع عشر بين اكثر الاصناف رواجا في اسواق الاغذية في الولايات المتحدة الامريكية.

وسواء اكان المرء رئيس دولة او رجل اعمال او عالما او مجرد مولع بالسندويش فانه يجد طرقا لا حصر لها في استعمال الفول السوداني بما يتناسب مع رغباته واهوائه، ولا شيء يحول دون تكاثر هذه الطرق الا حدود القدرة على الابتكار، وفي العشرينات، حين التقى المؤلف المسرحي تشارلز مكارثر للمرة الاولى هيلين هايز، كانت هديته لزوجته المقبلة هذه بعض حبات الفول السوداني في كوب صغير من الورق وهو يقول: "وددت لو كانت هذه حبات من الزمرد". وبعد عشرين عاما، حين عاد اليها من ميدان القتال في الحرب العالمية الثانية، قدم اليها عقدا من حبات الزمرد ملفوفا في كوب من الورق وهو يقول: "وددت لو كانت تلك حبات من الفول السوداني". ولعل هذه الكلمات تصلح شعارا لعشاق الفول السوداني في الحاضر والمستقبل.

■ آن تيرنر برونو



سأل رجل خياطا: "لماذا تتخذ التفاحة شعارا تجاريا لك؟"
فأجاب ببساطة: "لانه لو لم يقضمها آدم لما كان هناك خياطون!"

(صحيفة "كراون" - تايوان)

الجراحة بالتصويت

في اثناء جولة تعليمية في المستشفى في سنتنا النهائية كطلبة للطب، دعانا الجراح الى الكشف على شاب دخل المستشفى حديثا وهو يشكو من آلام في معدته ففحصه الجراح اولا ثم طلب منا ان نتحسس بطنه برفق وان نبدي رأينا.

وقد جاء تشخيصنا للمرض اجماعيا وهو ان حال المريض في تحسن ظاهر، مما يدعو الى تأجيل الجراحة.

فرد الجراح: "كلكم مخطئون! سوف اجري العملية والارجح ان اجد من الضروري استئصال الزائدة الدودية".

وما ان سمع الشاب قول الجراح حتى هب من سريره مقاطعا: "كلا، لن تفعل ذلك. ان ستة اصوات ضد صوت واحد تكفيني!"

الدكتور ا.ج.

٤ هدايا ثمينة إلى من تحب

سئل عدد من الاطفال في دراسة سيكولوجية عما يحبونه في أجدادهم، فقال بعضهم انهم يحبون الاجداد الذين يمنحونهم العطايا المادية. اما الاطفال الذين يبلغون الثامنة او التاسعة فقد فضلوا الاجداد الذين يشاركونهم في اوجه نشاطهم، فيهبونهم بذلك هدية التسلية والمرح.

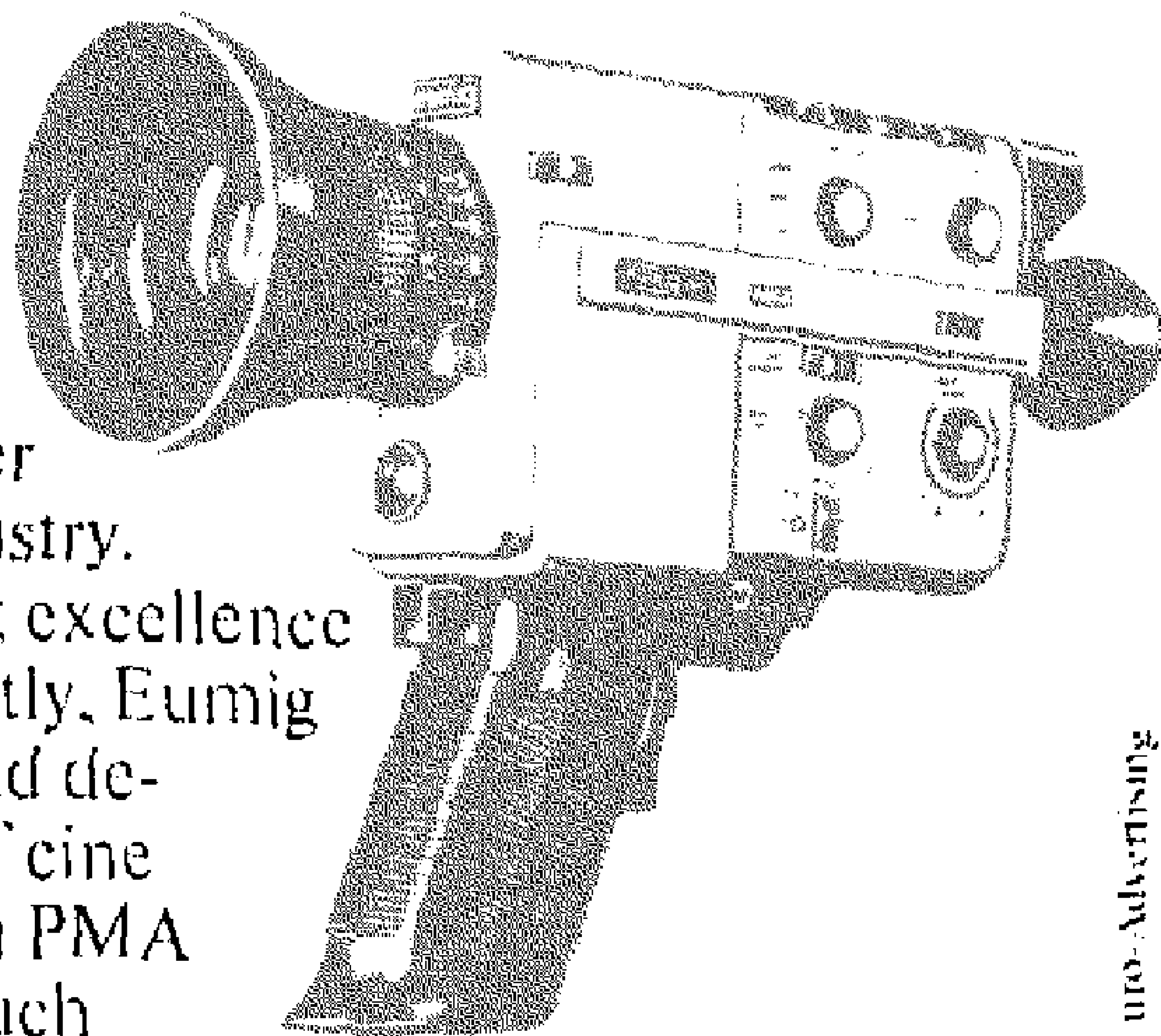
ولقد كشف اولئك الاطفال عن الاحساس بشيء يفوتنا ان نتلمسه نحن الراشدين في اكثر الاحيان في غمرة حضارة الاشياء التي نعيشها. ربما كانت الدمى مصدر بهجة رائعة، وربما بقيت فصوص الحجار الكريمة لامعة طيلة سنوات. لكن المتعة الناجمة عن الهدية المادية كثيرا ما هي قصيرة الامد، بالنسبة الى الهبة النفسية التي تعد مصدر البهجة المستمرة ومنبع الصحة العاطفية. وفي ما يأتي اربع هدايا عاطفية مهمة نقدمها الى قرائنا الاحباء:

تقوية الاعتزاز بالذات - كأختصاصي في علم النفس، اعرف ان من اهم حاجات الانسان الاساسية ان يتحسس بشعور طيب نحو نفسه. فالناس الذين يعتزون بانفسهم اعتزازا سليما يهون عليهم تخطي المتاعب والعقبات. وهم يستطيعون مواجهة الآخرين من دون حذر او حياء، ويتصرفون على سجيتهم في اي وضع اجتماعي تقريبا ويتمتعون بنظرة منفتحة على التغير ويعالجون معظم المواقف التي تعترضهم معالجة مرنة وسليمة. وهم يستمعون صاغين الى آراء الآخرين لكنهم حين يتخذون القرارات يعتمدون في ذلك على رأيهم الخاص النابع من اعماقهم.

ومن افضل سبل اكتساب الاعتزاز بالنفس ان يأتي ذلك اقرارا من الآخرين. ولكن نستطيع ان نفيد الآخرين مثلا عندما نعترف لهم بنجاحهم في عمل ادوه ونقدره، علما بان جميع الناس، حتى الاطفال، يحبون ان يتلقوا المدح والاطراء على عمل اجادوه.

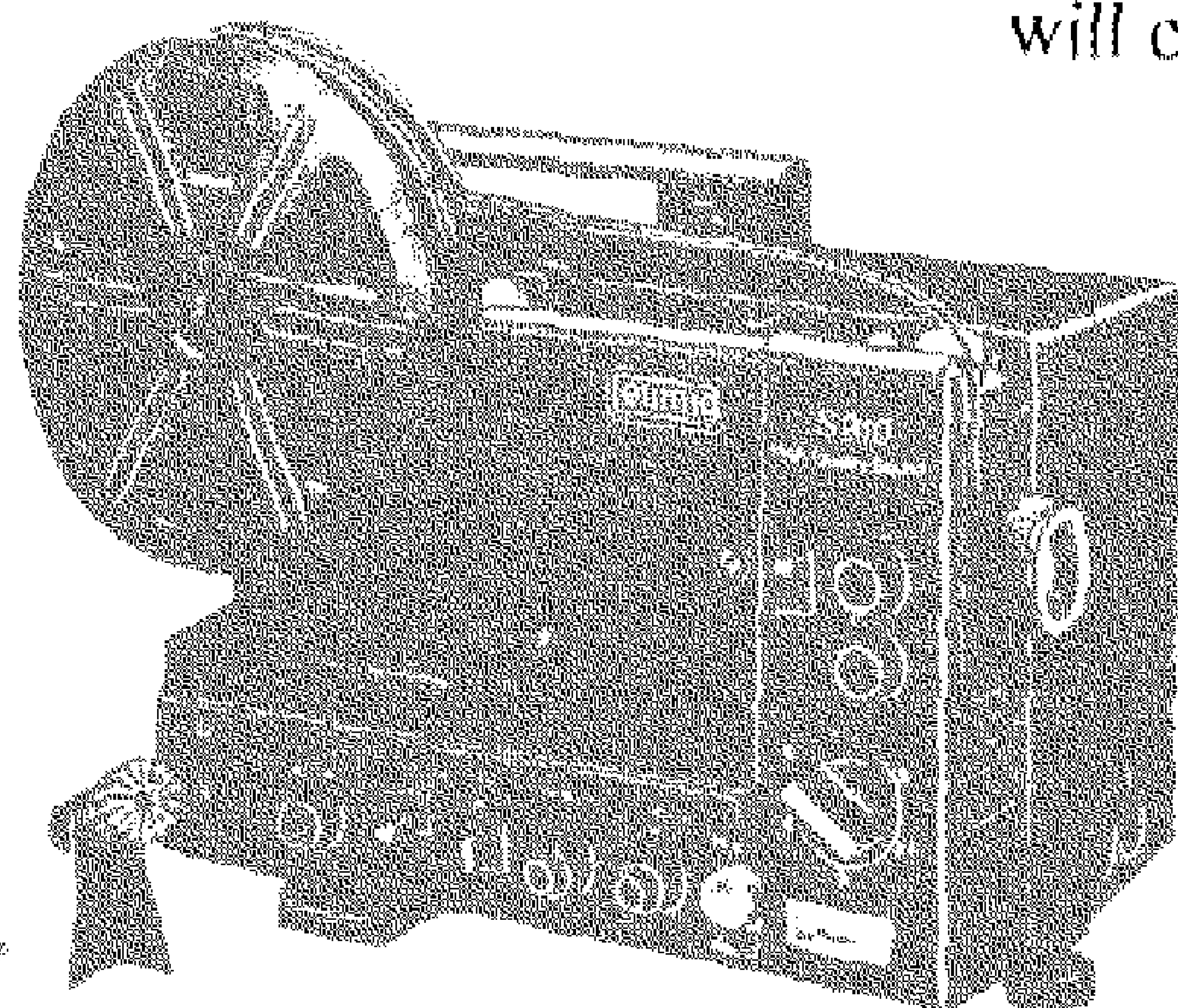
مَن مِن الناس لا يتعرض للمشاكل في وقت من الاوقات. ومن اعظم الهبات التي يمكن ان نقدمها الى الآخرين هي ان نعاونهم على

Success breeds success.

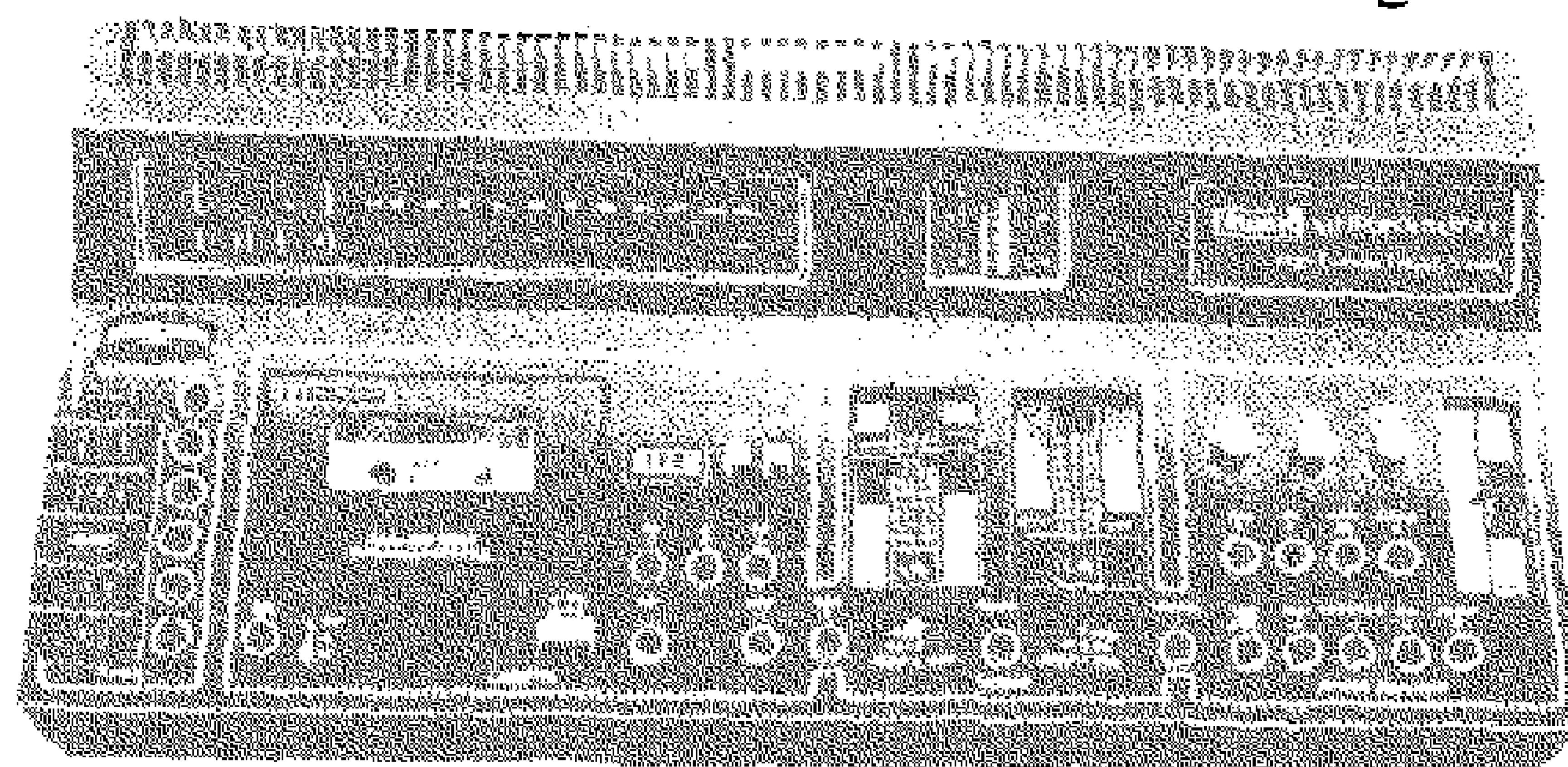


Technical expertise and high standard quality controls have made Eumig the world's leading brand in sound cine projectors.

Eumig projectors have been successful all over the world and been examples for the whole industry. We confidently anticipate this policy of pursuing excellence continuing in the future. Consequently, Eumig will continue to lead development of cine cameras with PMA lenses for much wider pictures both in sound and silent equipment. Eumig cine products give family fun to millions of people all over the world. However, besides being the leading manufacturer of cine cameras and projectors Eumig is in the unique position of also being a leading product manufacturer in the hi-fi market. Eumig concert centres and concert cassette decks are top quality. They represent the highest development of cassette techniques and have perfect synchromesh. This means top quality sound equal to that of the best tape recorders and phono equipment.



This is a unique position for Eumig to hold. It follows, therefore, that Eumig is determined to also achieve a leading brand *position in the growing field* of video equipment with the background of Eumig's experience, technical achievement and emphasis on quality, it is natural therefore for Eumig to anticipate producing in this field excellent products of the highest quality.



Success breeds success—and the secret of success is producing consistently products of top quality.

eumig®

Euro-Advertising

النهوض بعد الهزيمة والخيبة. ولنا من حالة بروس مثال نموذجي لذلك: فقد كان عارفو بروس ينظرون اليه كفتى عبقري في الشؤون المالية. ولم يلبث ان ارتقى بسرعة واثرى، فاصبح صاحب ملايين ونائبا لرئيس شركة صغيرة من شركات الاستثمار. ثم تدهورت السوق المالية وتأذت بذلك شركة بروس حتى الافلاس.

وبعد فترة قصيرة من هذه الصدمة العاطفية، تمكن بروس من تسوية اموره فباع بيته وسياراته واستحصل على قرض من المصرف اتاح له فتح محل صغير للتوريدات العمومية، وانتهى به الى استعادة الاعتزاز بنفسه، لكن لقصته جانبا آخر.

فكل مرة كانت تساوره الشكوك، بعد عودته الى الكفاح، كانت زوجته تقف الى جانبه وتذكره بنجاحه السابق وتعبر له عن ترحيبها بالعودة الى العمل اذا دعا الامر، وتظهر له مدى حبها له. وكان من المحتمل ان ينهار بروس مرة اخرى لو لم تقف زوجته الى جانبه. لكنها صمدت، ومهدت له بذلك سبل النجاح، فنجح... لا شك في ان الاعتزاز بالنفس هدية من اروع الهدايا!

فسح المجال لصفاء المزاج ـ كلنا يعلم، ويا للاسف، ان هناك فئة من الناس لا تبالي الا بتدمير اعتزاز الآخرين بانفسهم. وكثيرا ما تتوافر لهم المآخذ لهذا الغرض حتى في احسن الحالات واقربها الى الكمال. ومثال ذلك ان احدى الشابات اللاتي اعالجهن تعاني شعورا مزمنا بقصورها عن القيام باي عمل مهم، وقد غذت امها هذا الشعور حين كانت تخمد حرارة الحماسة لدى ابنتها في عهد طفولتها. ومنذ قليل، اقامت مريضتي مأدبة عشاء تكريما لوالديها قضت أياماً طويلةفي أعدادها وأحرزت نجاحا يدعو الى الاعجاب. وما كان من والدها الا ان اعرب لها عن امتنانه الحار وقد برقت عيناه اغتباطا، اما والدتها فلم ينعم الله عليها بأكثر من ان تقول: "كان حسنا منك يا عزيزتي ان تبذلي كل هذا الجهد غير ان اللحم كان مشويا اكثر من اللازم بقليل".

أليس من الافضل، يا ترى، ان نعمل لشد عزائمنا وعزائم احبائنا عن طريق الدعابة والتهوين على النفس؟ فالذي يستطيع ان يسخر من نفسه ويهزأ بسخف المواقف الشاذة، يضمن حماية نفسه كما تحميه الدروع السابغة.

اذكر انني شاهدت فيلما سينمائيا أليما عن استيلاء الشيوعيين على السلطة في تشيكوسلوفاكيا. فكان الناس يساقون الى سيارات النقل لتحملهم الى معسكرات الاعتقال. ورأى رجل عجوز ان زوجته اوشكت على الانهيار عندما وجدت نفسها مكرهة على الانفصال عن بيتها وممتلكاتها التي تعتز بها، فتولى تخفيف الامر عليها بطريقة فذة اذ ناداها قائلا: "اسرعي يا عزيزتي حتى لا تفوتنا سيارة الاعتقال. لقد سبقنا خيرة الناس فعلاً الى السجن، ولكم يحسن بنا ان نلحق بهم قبل ان تبدأ السلطات اعتقال من هب ودب ممن لا اهمية لهم".

ولا شك في ان اهل الحكمة والشجاعة يعرفون كيف يقدمون الى احبائهم هدية الفكاهة وصفاء المزاج.

الاقلاع عن عادة سيئة ـ هل حاولت

التفكير في روعة الهدية التي تقدمها لا الى نفسك فحسب، بل الى احبائك ايضا، اذا تمكنت من التغلب على عادة سيئة أو غير سليمة؟

ويمكن تلخيص معظم الخطط الناجحة في تغيير العادات بعدد من الاساليب المساعدة. واهم ما في الامر هو ان تتذكر ان العادة شيء، نتعلمه. وان كل شيء نتعلمه نستطيع ايضا ان نتعلم التخلص منه، لكن الامر يقتضي قوة دافعة الى ذلك. وقد تبين لي أن كثيرا من الناس لا يرغبون رغبة حقيقية في مواجهة ما يتطلبه الامر من وقت وعناية وانزعاج.

قال لي رجل اخيرا انه يحتاج الى بعض المعونة لكي يتمكن من الاقلاع عن التدخين. فقد حاول ذلك من قبل واستخلص، ببساطة، انه لا يستطيع التخلي عن السجائر. وسألته: "افترض انني قلت لك ان زوجتك واطفالك سيقتلون رميا بالرصاص اذا لم تتوقف عن تدخين السجائر فهل تستطيع الاقلاع عن التدخين عندئذ؟ فاجاب بلا تردد: "طبعا استطيع". فالخطوة الاولى، اذا، التي يقتضيها التخلص من احدى العادات المنبوذة هي تقوية الحافز الذي يدفعك الى ذلك.

وهناك عدد من الوسائل تتيح لك التخلص من امر تعودت عليه. على سبيل المثال، ضع قائمة بالاسباب التي تدعوك الى تغيير العادة. وضع قائمة اخرى بـ"المكاسب" التي قد تبتغي، من دون وعي منك، الحصول عليها عن طريق ممارسة العادة التي تشاء التخلص منها. لقد ارادت احدى النساء ان تتخلص من عادتها في الانفاق المسرف، لكنها لم تنجح في ذلك الا عندما ادركت ان اسرافها هو، في الواقع، عقاب توقعه على زوجها. وكان ذلك بمثابة تعويض لها، لانها كانت مغتاظة منه. وحين تعلمت ان تعالج غضبها هذا على نحو اكثر مباشرة، استطاعت ان تغير عادتها في الانفاق المسرف.

اما الخطوة الثانية لتغيير العادة فهي ان تحتفظ بسجل يومي دقيق تدون فيه كل صورة من صور السلوك الذي تريد تغييره، ثم تنظر نظرة طويلة فاحصة الى البواعث التي تحملك على ذلك السلوك. بعد ذلك تعلم الابدال: لقد تبين لي ان في استطاعة اصحاب الدوافع الفائقة القوة وحدهم "التخلي عن شيء" بنجاح لفترة طويلة. ولذا فانا احاول معاونة الناس على التفكير في عادة يكتسبونها بدلا من عادة يتخلون عنها.

مثال ذلك ان رجلا اعتاد ان يرجع الى بيته مرهق الاعصاب فيحتسي مقدارا معينا من الويسكي لكنه قرر ان يحاول الجري بعض الوقت بدلا من شرب الويسكي وادهشه ان يجد نفسه، بعد نصف ساعة من الجري، اقل ارهاقا. وقد ادت العادة الجديدة الى انخفاض استهلاكه من الخمر.

الكشف عن انفسنا ـ ان "مداراة النفس"، اي السيطرة على الذات والاحتفاظ بطبع هادىء، لعبة شائعة، اساسها الفكرة القائلة بانه اذا عرف الآخرون شيئا عنك فانهم سيستخدمون هذه المعرفة لايقاع الاذى بك. هذا كلام مقبول عندما تلعب الورق، اما في لعبة العلاقات الانسانية، فان اصحاب الوجوه الجامدة التي لا تنم عن شيء هم اكبر الخاسرين.

ان اولئك الذين يبدون عادة استعدادهم للدخول في علاقات صريحة مع الآخرين، يكسبون اصدقاءأكثر من سواهم. واذا لم تفصح انت عن نفسك فان احدا لن يتوصل الى معرفتك. فلماذا لا تجازف بفترة تتيح فيها للآخرين ان يعرفوك؟

ومن المهم ايضا ان نجعل احباءنا يعرفون ما اذا كانت معنوياتنا عالية او منخفضة. وقد اوضحت لي احدى الزوجات كم يجدي ذلك في علاقتها مع زوجها، فقالت: "كنا نتشاجر كثيرا وبلا سبب في الغالب، فقد كان ذلك مسألة انحراف مزاج. وذات يوم تبينت في حديقة الحيوان انه حتى الحيّات ذات الاجراس تعطي عادة نوعا من الانذار قبل ان تضرب. واذا كانت تلك الحيّات تفعل ذلك فلماذا لا يفعله الناس؟ والآن، عندما يجد احدنا ان مزاجه منحرف، يطلع الآخر على ذلك. وقد ادت تلك الطريقة الى تحسن كبير في علاقاتنا".

ومن الملحوظ اننا في كل مرة نكتم شيئا عن شخص قريب الى قلوبنا، تتضاءل علاقتنا به وتفتر.

ومن جهة اخرى ليس الكشف عن النفس شيئا يسهل امره دائما ولكن اذا عجزنا عن ان نكون صادقين مع الآخرين فاننا نعجز عن الاخلاص لانفسنا. واما اذا ظللنا جديرين بالتصديق، فقد يتيح ذلك لنا ان نتحف الذين حولنا ببعض الهدايا الرائعة، وان نردد على مسامعهم مع الشاعر والت ويتمان:

"انظر، انني لا اعطيك موعظة ولا احسانا
انا حين اعطي، انما اعطي نفسي".

■ دانيال شوغرمان



.. ولكن السيارة صغيرة

قالت الابنة تعاتب اباها: "لماذا لا تسمح لي بدخول امتحان قيادة السيارة؟ لقد كبرت ولاشك بما يسمح لي بان احصل على رخصة القيادة".

فرد الأب: "نعم انت كبرت، ولكن السيارة لا تزال صغيرة السن!"

(صحيفة "ميكور" - سويسرا)

مثل سائر الناس

عندما انهت والدتي زيارتها لنا وشاءت ان تعود الى كندا، اصطحبنا الى المطار ابنتنا جين البالغة خمس سنوات من العمر. فأخذت جين ترقب طائرة جدتها وهي تختفي في السحاب، ثم سألتني باكية: "لماذا لا تستطيع جدتي ان تعيش على الارض مثل سائر الناس؟"

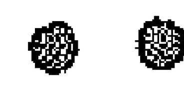
ا.م.س.

غرائب واقعيّة

كان جون ترين، وهو مستشار استثمار يعمل في نيويورك يطالع صحيفة فرنسية عام ١٩٥٢، فوقع نظره على حكاية صغيرة طريفة فقرأها وقصها وابقاها في حافظة اوراقه. وكانت تلك بداية لمجموعة نشر منها اخيرا افضل ما احتوته في كتاب صغير نقتطف منه العينات الآتية:

حب خانه التوفيق

- كتب شاب من تايوان الى صديقته ٧٠٠ رسالة غرامية في غضون عامين، محاولا اقناعها بالزواج منه. وفي النهاية اثمرت مثابرته، اذ افادت وكالة "يونايتدبرس" للانباء ان خطبة الفتاة قد تمت اخيرا الى ساعي البريد الذي سلمها جميع الرسائل بمنتهى الامانة.



كلمات أخيرة مشهورة

- اصبح الكاتب المسرحي النروجي العظيم هنريك ابسن عنيدا شاذ الاطوار في سنواته الاخيرة. وذات صباح قالت له ممرضته ان صحته تبدو وقد تحسنت. فرد ابسن: "على العكس تماما!" ولم يلبث ان مات.



- خلال الحرب الاهلية الامريكية، تفوه الجنرال جون سيد جويك بأول مقطع من آخر كلماته في معركة سبوتسيلفانيا التي وقعت في ولاية فريجينيا يوم ٩ مايو (ايار) ١٨٦٤. رأى الجنرال رجاله يختبئون من نار العدو وقد بدا عليهم الجزع، فقال لهم بحزم وشجاعة: "هيا... هيا... انهم لا يستطيعون ان يصيبوا فيلا من هذه المسا..." ولم يمهله الموت ليتم كلمة: "المسافة"



- ذات يوم دعا اللورد ساليزبوري المعلق الامريكي ستيوارت السوب الى قصره الريفي القديم العهد "هاتفيلد هاوس" لقضاء عطلةنهاية الاسبوع. وعند الباب، وجد الكاتب في استقباله الليدي ساليزبوري التي وصفها بانها سيدة ذات شعر خطه الشيب "ووجه مشرق بملامح الاجداد".

ويستأنف السوب الحكاية في كتابه "وقف التنفيذ"، فيروي ان السيدة كان الى جانبها كلب حراسة هائل، راح يزمجر بعدم استلطاف ملحوظ، فقالت الليدي ساليزبوري: "لا تنزعج. ان بوبو (اسم الكلب) لا يعض ابدا اصحاب الشهامة والمروؤة والمحتد

الكريم"٠ وفي هذه اللحظة بالذات انقض بوبو على الكاتب وغرس اسنانه في ساقه٠

● ●

الاكل المنافي للذوق السليم

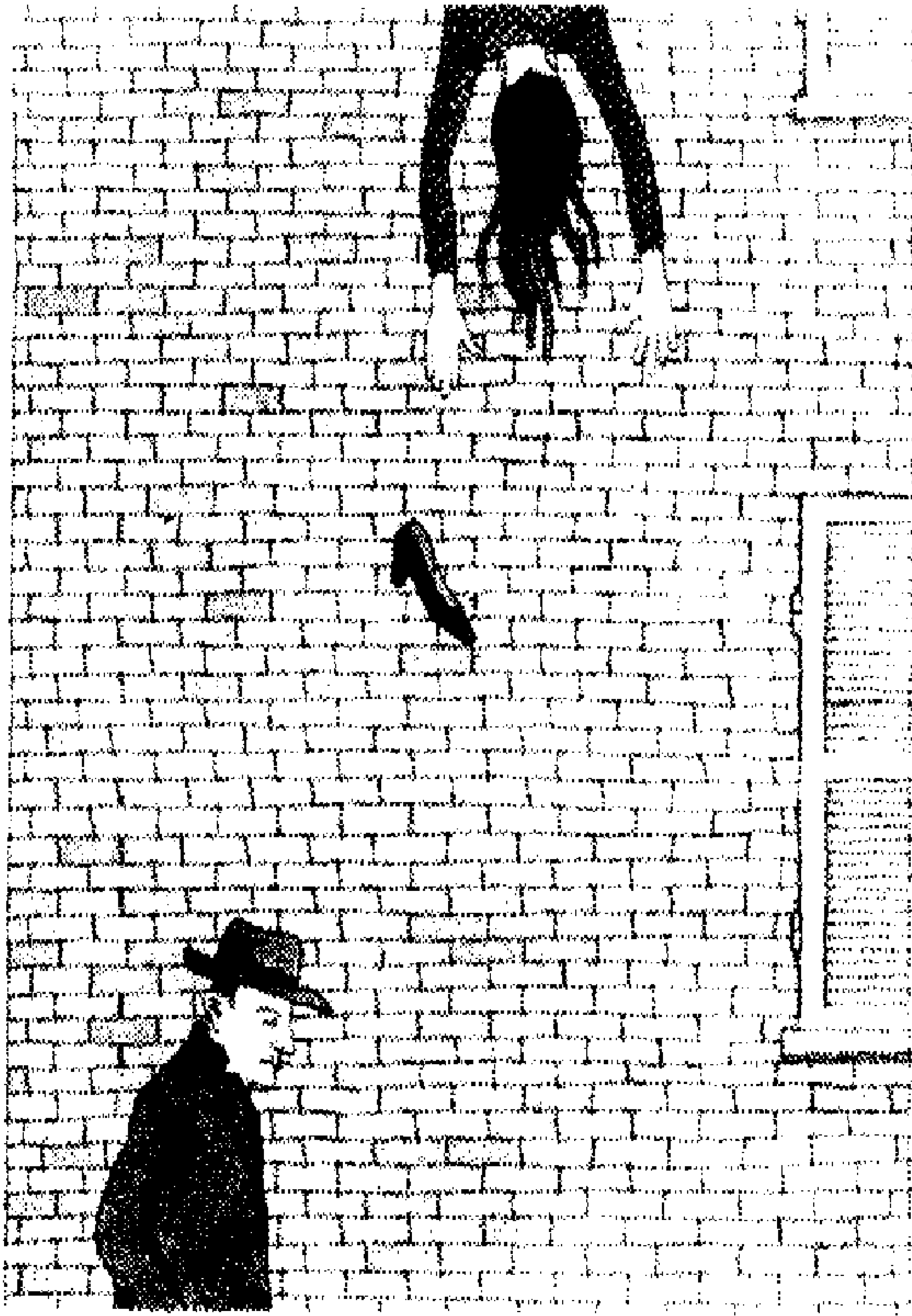
- دعي المؤلف المسرحي الفرنسي فيكتوريان ساردو الى وليمة رسمية، فانسكب النبيذ بغتة من قدحه على ملابسه٠ واسرعت ربة الدار ترش البقعة بقليل من الملح٠ وحاول ساردو ان يطرد الفأل السيء، فاخذ قليلا من الملح بين اصبعيه والقاه من فوق كتفه، فاصاب الملح مباشرة عيني الخادم الذي كان على وشك ان يسكب الدجاج في صحن الكاتب٠

ورفع الخادم يديه في الحال الى عينيه واهمل صفيحة الطعام فسقطت ارضا بما فيها من قطع الدجاج، واذا بكلب الاسرة يهاجمها ليتلهمها بشراهة فعلقت احدى عظامها في حلقه، وكاد ان يختنق٠ وهنا سارع ابن الاسرة الى انقاذ كلبه وانتزاع العظمة من حلقه٠ واذا بالكلب يعض اصبعه بشراسة وانتهى الامر الى ضرورة بتر الاصبع٠

● ●

- كان فيكتور بياكا - بودا قد قضى ١٤ شهرا يمثل ساحل العاج في مجلس الشيوخ الفرنسي - ايام ان كانت ساحل العاج مستعمرة فرنسية - ثم رأى ان يقوم بجولة داخل بلاده في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٠ ليبحث مع ناخبيه في الامور التي تهمهم، ومنها مشكلة الامدادات الغذائية٠

وقد افادت التقارير ان السكان التهموا الشيخ المحترم٠



- علمت السيدة فيرا تشيرماك في مدينة براغ في تشيكوسلوفاكيا، ان زوجها قد خانها، فالقت بنفسها من نافذة منزلها في الطابق الثالث٠ وذكرت صحيفة "فيشرني براغ" ان السيدة تشيرماك تستعيد عافيتها في المستشفى، بعد ان سقطت من النافذة فوق زوجها الذي قتلته الصدمة٠

● ●

بروتوكول

- كان توماس جيفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة الامريكية، يتحدث عن الوزير الامريكي المفوض في اسبانيا، فقال: "انني لم اتلق اي نبأ منه منذ عامين٠ واما اذا التزم الصمت في العام المقبل، فسأكتب اليه خطابا !"

■ جون تريني

أرضنا صلبة
أرضنا طيبة
إنها أرض :

شركة الترابة الحديثة ش.م.ل.

السجل التجاري : ٣٨٦٩٠ بيروت ١٩٧٨/٦/٦
رسم المالية ايصال رقم: ١٥١٢٩١ تاريخ ١٩٧٨/٩/١٩

قاعدتها :
رأسمال قدره ٨٢،٥٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية
(اثنان وثمانون مليون وخمسماية ألف ليرة لبنانية) مدفوع بكامله

مقسم إلى :
٥٥٠،٠٠٠ سهم إسمية
١،١٠٠،٠٠٠ سهم لحاملها
قيمة السهم خمسون ليرة لبنانية

مساحتها : ٢٥٤،٠٠٠م٢ (مائتان وأربعة وخمسون ألف متر مربع).
تربتها : غنية بالمواد الخام الصالحة لتصنيع وإنتاج أجود نوع من الترابة البورتلاند ب.س.س. ٥٨/١٢/٠ حسب المواصفات الإنكليزية.
مركزها : على رابية مشرفة في منطقة برجا العقارية مقابل معمل كهرباء الجية.
أبنيتها : وضع تصاميمها نخبة من المهندسين الألمان والعرب.
معداتها : أحدث ماتوصلت إليه الصناعة الألمانية في هذا المجال.
أهدافها : المثابرة والعمل حتى يبقى لبنان منارة الشرق والغرب.

للمراجعة :
شركة الترابة الحديثة ش.م.ل.
بيروت - كورنيش المزرعة - وطى المصيطبة - قرب صيدلية مازن
هاتف : ٣٠٢٠٧١ - ٣٠٨٤٧٤ - ٣٠٦٧٠٠ تلكس ZCO-20324 LE صندوق بريد : ١١٧٧١٣٠



سعودية في الصحراء انقذت طفلتي من الجوع

لقد خالف الوصية الاولى من وصايا الصحراء، فاصبحت حياة شخصين مهددة بالموت.

انطلقت سيارتي مرتجة فوق الرمال السعودية، وما وعيت ان للصحراء سلطانا في التنويم. لقد انذرني الاصحاب والناصحون من مغبة ركوب السيارة في الصحراء، وكنت ادري ان هذه المفازة هي كالوحش الرابض بالمرصاد، ينقض على كل من ينتهك حرمة دياره سهوا. لكني، في غمرة سعادتي بذلك اليوم الذي بلغت فيه ليزا ابنتنا البكر الاشهر الستة، لم اذكر النصائح والارشادات، بل طفقت افكر في الاحتفال بتلك المناسبة.

وبغتة احسست كما لو كانت ايد عملاقة قبضت على عجلات السيارة، فتباطأت ثم توقفت عن الدوران وانغرزت العجلات في الرمال. وتلاشت للتو جميع الاصوات وانقطعت كل حركة، ولم يبق شيء ينم عن الحياة سوى لوحة اجهزة القياس في السيارة التي توهجت باللون الاحمر، وليزا طفلتي النائمة فوق المقعد الخلفي. واشعلت المحرك ثانية، غير ان السيارة لم تتزحزح قيد انملة.

وخرجت من السيارة، فغاصت قدماي حتى الكاحلين في الرمال. واجلت النظر في الطريق التي سلكناها في محاذاة خط انابيب النفط، وهي الطريق التي شقت لمعاينة الانابيب، فاحتجبت معالم الطريق خلف ظلال كثبان الصحراء التي سطع جانب منها بتباشير شمس الشروق. واكتسى هيكل السيارة الممتد بين العجلات لونا ابيض بعدما رصصت العجلات الطبقة العليا الصدئة اللون من الرمال. وكانت تفصلنا عن البيت، حيث تركت زوجتي نائمة، مسافة ٣٠ كيلومترا من القيظ والجفاف. فقد اصطحبت ابنتنا في

هذه الرحلة عند الفجر وتركت زوجتي كاري لتنعم بقسط اوفر من النوم والراحة.

احسست بالهلع يستبد باحشائي باحثا عن منطلق له. فانا في مكان لا هاتف فيه ولا سيارة على مرمى البصر، وما من حيّ يعين في دفع سيارتي او في حفر الرمال حولها. لكني حمدت الله على كل حال لان الطفلة كانت قد رضعت ملء زجاجة من الحليب. وركعت على الرمل وبدأت ازيح بيدي طبقة الرمل الرخو التي تكتنف العجلتين الخلفيتين. وتبينت ان الصفيحة السفلى من سيارة الفولكسفاغن كانت منغرزة في ارض الصحراء.

وخطرت لي فكرة الرجوع الى المنزل على القدمين، اذ سبق ان مشيت مسافة ٣٠ كيلومترا. لكن المسافة قد تكون اطول، فضلا عن اني لا اجهل الوصية الاولى في حال الانغراز في ارض الصحراء، وهي: "لا تترك سيارتك". بيد اني كنت على استعداد للتسليم بهذه الوصية لو كان هناك من يعلم بمكان وجودنا.

وتذكرت ما حدث قبل ايام معدودة عندما غادر احد الرجال سيارة الشحن وسار في اتجاه شعلة من الغاز على مرأى من شاحنته: لقد عثر عليه ميتا مزرقّ الشفتين ومتورم اللسان. وتخيلت طفلتي ليزا في مكانه، فكدت اتقيأ.

وادرت مفتاح الاشعال لتشغيل المحرك مرة اخرى، فبدا لي هدير المحرك المطمئن المألوف مشوبا بشيء من الوهن. عندئذ حفرت الرمل وراء السيارة حتى كشفت عن انبوبي العادم ثم ارخيت ذراع القابض، لكن السيارة لم تتحرك من مكانها قيد انملة. وبدأت ازيل مزيدا من الرمال عن عمود المحرك. وعندها بكت ليزا قليلا فاخرجتها وفرشت لها بطانية في ظل السيارة بقربي. ولم يكن الخوف قد مسّ صفاء وجهها الجميل.

واستلقيت على ظهري لاكشح الرمل عن اسفل السيارة، فتساقط نثاره في عيني. وكانت ليزا طوال هذا الوقت هادئة على غير عادتها. فنظرت اليها لابصر ذبابا اسود يزحف على ثغرها وأنفها. وقبل ان ادركها صرخت ليزا وبدأت تفرك وجهها بقبضتيها الصغيرتين. غير ان الذباب بقي عالقا في وجهها ولم يتحرك الا قليلا، فاعتراني خوف حقيقي.

رمال لا تنتهي – حملت ليزا حاجبا عنها الشمس بجسمي، وبدأت ازرع الارض ذهابا وجيئة كعادتي عندما كانت الطفلة تستيقظ في الليل اثر حلم مزعج. لقد مضت ساعتان على انغراز السيارة في الرمل، ولن يأتي انسان لنجدتنا قبل مضي وقت طويل، كما لن اتمكن من اخراج السيارة بمفردي. وكان لدينا ماء كثير، لكنه كان موضوعا في صفيحة ثقيلة تسع ٢٠ ليترا. فكيف استطيع صب الماء في فم طفلة في الشهر السادس؟

تسلقت، وليزا بين ذراعي، قمة اقرب كثيب الينا، فلم ار غير امتداد رمال تومض من شدة الحر تحت شمس صامدة في قبة السماء. لا خيام هنا ولا حيوانات ولا اشجار، وحتى لا اعشاب صحراوية. ثم لمحت عن بعد شيئا ضئيل الحجم ومستقيما عند الافق الجنوبي. ولما كانت الطبيعة لا تأتي بشيء مستقيم تماما، ادركت ان ما اراه لا بد ان يكون جهاز الحفر



الذي زرته الاسبوع الماضي. وحيث يكون جهاز الحفر، لا بد ان يكون رجال - رجال مجهزون بالسيارات وآلات الهاتف.

وفكرت في ترك الطفلة في السيارة اتقاء للشمس والمشي وحدي حتى ابلغ مكان جهاز الحفر، فلن تطول غيبتي. لكن المسافات في الصحراء تبدو اقرب واقصر مما هي في الواقع، والمشي فوق الرمال مجهد وبطيء للغاية. كما ان الحرارة داخل السيارة لا تطاق، وليس في وسعي ترك الابواب مفتوحة خوفا على الطفلة من الذباب. لذلك رأيت من الخير ان تبقى معي.

واخرجت الماء من السيارة، ولكن ايقنت انه يستحيل علي حمل الطفلة وصفيحة الماء الثقيلة معا. فحاولت ان اسقيها قليلا بالكوب، الا انها ظنت اني اداعبها، فكركرت ونفخت انفاسها في الماء لتطفو عليه فقاعات. عندئذ فتحت فمها باصابعي وسكبت في حلقومها مقدار ٥٠ او ٦٠ سنتيمترا مكعبا، ولكن سرعان ما غصت بالماء وسعلت ودلعت الماء فبللت كيس نومها الازرق بطوله من الامام. ولم احاول تجفيف لباس نومها المصنوع من الفانيلا، اذ ان البلل الذي اصابه سيخفف قليلا من سرعة تبخر رطوبة جسمها في اثناء السير. ثم سكبت في جوفي كوبا بعد آخر من الماء حتى لم اعد اتحمل المزيد.

وكتبت بقلم احمر على كوب ممزق من الورق الملاحظة الآتية: "الساعة ١١ والدقيقة ٥٠. سأسير نحو جهاز الحفر

بين هذا المكان ورأس تنورة· ويبدو لي ان المكان الذي اقصده هو الى الجنوب الغربي من هنا· الطفلة معي ونحن في خير"· ووقعت اسمي وكتبت رقم هويتي في الشركة ولصقت الملاحظة على عجلة القيادة·

بكت ليزا قليلا عندما اخذت رأسها الاشقر الصغير وادخلته في جانب من قميصي بينما ضممت قدميها وادخلتهما في الجانب الآخر· اما باقي جسمها فكان مستورا بكيس النوم· وللتو غطت ليزا في النوم، فكدت لا اصدق حسن حظي·

وبدأت السير بخطى حثيثة· لقد مضى على غيابنا ست ساعات، ولا بد ان تكون زوجتي كاري الان ملتصقة بالهاتف ومتأكدة من ان شرا ما قد لحق بنا· اما الاصدقاء في هذا الوقت فلا بد انهم اشعلوا محركات سياراتهم ونشروا الخرائط على سقوف اللاندروفر وراحوا يشيرون الى المواقع والاتجاهات·

وهبت الريح فوق تموجات الرمال على صفحة الصحراء القاسية، محدثة صوتا حادا وجافا· وارتقت الشمس مكانا ارفع من السماء، وسطعت باشعتها غير عابئة ان هي وهبت الحياة او سلبتها· واحسست بخفقات قلب ليزا على صدري بطيئة وآمنة، فقلت بصوت مرتفع: "سأخرجك من هذا المكان يا ليزا"· وادهشني سماع صوتي·

ونامت ليزا فيما تابعت سيري تحت وطأة ٤٠ درجة حرارة مئوية· وكان لقطرات العرق المتصبب مني فعل المحافظة على برودة جسمي لانها كانت تجف بسرعة· اما ليزا فتصببت عرقا بين ذراعي، الا ان قميصي وكيس نومها حافظا على منع تسرب مقدار كبير من رطوبة جسمها، ولذا فان العطش لن ينالها بايسر مما سينالني·

وعندما اجتزت تلة مرتفعة ابصرت جهاز الحفر مرة اخرى· انه ما زال يبدو صغيرا وقصيا، لكنه اقرب مما بدا في السابق· ووقعت احدى قدمي على طبقة ملحية من الصحراء كانت في ما مضى بحيرة ضحلة، وغاصت في موقعها حتى الساق، الا انها خرجت سليمة وان كانت بلون الحليب· وجفّ اللون الابيض على الفور لكنه بقي عالقا بجلدي·

واجتزت في سيري شجيرات صحراوية وابصرت اثر خفّ احد الجمال، وهو اثر بيضاوي الشكل· وفجأة فزعت سحلية عند قدمي وهرولت مسرعة حتى اختفت· وبرزت في طريقي خنفساء سوداء كبيرة ذات براثن كالسرطان تجر كتلة من روث الجمال تفوق حجمها ثلاث مرات·

الصوت والصدى – في هذه الاثناء كانت ليزا داخل قميصي تزفر احيانا زفرات عميقة وتتأرجح بين الصحو والنوم· وعرفت انه عليّ ان استغل فترة نومها الى اقصى حد ممكن· وحثني هاتف في نفسي ان "اسرع، اسرع"، ولم يكن في ذاك المكان ظل اتفيأ فيه·

لقد تجاوزنا الساعتين سيرا وليزا لم تزل غافية· وكنت اتفقدها بين الحين والآخر للتأكد من انها ما زالت على قيد الحياة· ففي الكابوس الذي كنا تحت وطأته كان صراخ الطفل اقرب الى المألوف من الهدوء والسكينة·

وكان لوقع قدمي ما يشبه صوت الخبط. وكنت انتعل خفين تردد صوت خبطهما عبر الارض الجيرية المالحة وخلف الجبال المطلة في الافق وبين الكثبان الناعمة المتموجة الجنبات والشديدة الانحدار. وبلغ الصوت اودية تتوهج من الحر، وكاد اتساع الوادي ان يبلغ احيانا كيلومترا ونصف كيلومتر. وكانت قدماي تخبطان وتخبطان وتخبطان، ويتردد صدى خبطهما. وشرد نظري في السراب المترامي، وكأن احواضا من المراكم الحرارية تتموج عن بعد بسحر مغنطيسي يخطف العقل. فادركت كيف يتعثر صوبها من افقده الظمأ صوابه فظن اوشحتها الفضية امواجا من الماء.

اني لم اكن على حافة الجنون، لكن شفتي كانتا تتيبسان بازدياد ونظرت حولي فلم ابصر حيوانا، ولم ار حتى طيرا. واخيرا ابصرت الواحة حيث يقوم جهاز الحفر الذي تعالى برجه فوق رؤوس اشجار النخيل. لقد اصبحت على بعد دقائق معدودة بالسيارة، فما لي ازحف زحف السلحفاة. واحترق عنقي من فرط السخونة، واشتد الالم في ذراعي اللتين ما زالتا تحتضنان الطفلة، وشعرت بتضخم في اصابع قدمي التي ادميت فعلا بالقروح.

وانهال الذباب على وجهي كأنما يحدوه الامل في ان افتح له فمي. وكلما ذبيته بطرف يدي عاد الى مكانه بالحاح. كذلك غطى الذباب كيس نوم الطفلة الازرق. الا انه مهما حشد حشوده، فهو لن يستطيع الوصول الى ليزا. ويخيل الي الان اني كدت احتفي بالذباب لكونه من الكائنات الحية.

خبط وخبط وخبط... وكم ركزت ذهني على رفع قدمي ووضعهما بتؤدة فوق الارض.

وبغتة تكهربت اوصالي. لقد سمعت تدفق الماء وخريره ورشاشه المفعم بالبرودة والنعمة. ولكن لا ماء من حولي، بل رمال لا تنتهي. والحقيقة ان نخلة كان جزء منها مدفونا في الرمال واوراقها تصطفق بعضا ببعض تحت ريح الصحراء هي التي احدثت صوتا بدا عن بعد كصوت الماء تماما.

على اني لمحت الماء في موقع غير بعيد، ماء ري آسن، ملوث، اخضر اللون، يعلوه الطحلب. وهو ماء لو شربناه لعاجلتنا الندامة. وتحاشيا للخندق المائي، مشيت مسافة ٧٥٠ مترا اضافيا محاولا شق طريقي بين سعف النخيل المسننة كطرف السيف.

وعلى حين غرة استيقظت ليزا، وتوقعت منها الصراخ والتلوي. لكنها لم تأت الا بحركات واهنة وبقيت محافظة على السكوت.

واختفى برج الحفر عن ناظري فيما كنت بين الاشجار. واذا لم اتحقق من مكانه فورا، فقد نتيه ساعات طويلة من غير اهتداء اليه. اذ ذاك تسلقت تلالا رملية ورفعت عنقي في الهواء بحثا عنه، ولكن لم ار شيئا.

وفجأة خرجت من طوق الواحة وابصرت على مدى ٢٠٠ متر فقط برج جهاز الحفر. وانتصب على مقربة مني كوخان من اكواخ البدو، فمشيت مثقل الخطى نحوهما. وبدأت ساقاي ترتجفان، فحثثت نفسي على العزم والشدة كيما اتمكن من التغلب على انحراف الفكر في تلك اللحظة.

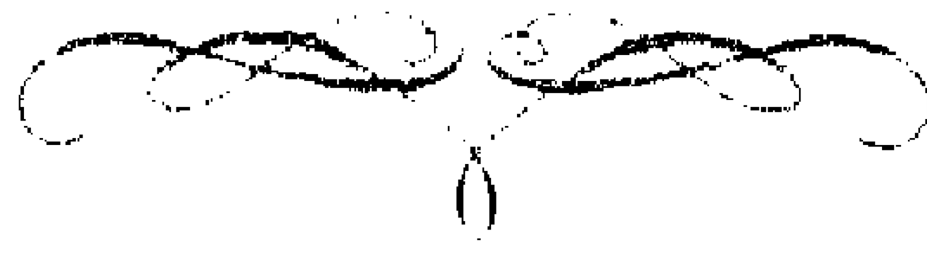
وخرجت امرأة محجبة من الكوخ

الاقرب وامعنت النظر فيّ عن كثب، ثم نطقت بالعربية مشيرة الى الحزمة التي بين ذراعي. فأريتها الطفلة. واشارت المرأة بيدها الى مكان فمها خلف الحجاب، ثم اشارت الى صدرها بينما مدت يديها الى ليزا مطالبة بان يسمح لها الرجل الابله قبالتها بان ترضع طفلته.

ولم ادر ما حدث بعد ذلك. غير اني اذكر اضواء فوق منصة البرج، ثم الجلوس في سيارة بينما كان شخص آخر يحمل ليزا. وقدم اليّ الماء فلم استطع تناوله الا بيدي الاثنتين. واخيراً وصلنا الى البيت فاخذت كاري تجهش بالبكاء وتقول المرة تلو المرة: "الحمد لله على السلامة. انتما في خير".

■ فرانك ت. بويلان (الابن)

(حائز جائزة ريدرز دايجست للقصة الذاتية).



حين يتقشر جلد الليل الداكن يكشف وراءه طلعة نهار جديد ومشرق.

ج.د.

النسر والطائرة

فيما كان نسران جاثمين على قمة صخرية، مرت طائرة نفاثة فوقهما. فقال أحد النسرين:

- هذا الزميل يبدو مسرعا جدا.

فأجابه رفيقه:

- الا تفعل انت ايضا مثله اذا اضطرمت النار في ذيلك؟

مجلة "جور دو فرانس" - فرنسا.

عبقرية الجنس الآخر

انا رجل اعمال متقاعد، واشتغل حاليا في اعداد بيانات ضريبة الدخل لشركة كبيرة. وذات مرة اعترضتني مشكلة معقدة الى درجة تستدعي الاتصال بمكتب الضرائب للاستشارة. فقال لي اول شخص رد على مكالمتي التلفونية انني قد اتصلت خطأ بغير جهة الاختصاص، واعطاني رقما آخر لاتصل به. فأجابني الشخص الثاني الجواب نفسه واحالني على رقم ثالث اتصلت به فاحالني على رقم رابع ووجدتني اكاد انفجر من الغيظ، ولكني اتصلت بهذا الرقم الرابع على امل ضئيل.

وقد ردت علي هذه المرة سيدة في غاية الادب واللياقة، واستمعت الي باهتمام واعطتني ردا يشف عن دراية حقيقية عميقة بالموضوع وكان الحديث معها متعة رائعة. وبعد ان حلت لي مشكلتي قالت: "غير انه كان يجدر بك ان تتصل بمكتب الضرائب." فقلت في دهشة بالغة: "الا تعملين انت في مكتب الضرائب؟" فقلت: "لا، ابدا، انا املك محلا للوازم السيدات في وسط المدينة!".

ا. ايروين

الطريق الى السعادة

ان عددا كبيرا من الخرافات الرائجة حاليا عن سلوك الانسان لا يعدو نطاق ال"خرافات"· ولقد ساعد اطباء النفس والعاملون في مجال الخدمات الاجتماعية، وحتى رجال الدين والتربية والتعليم، في التأثير على ترسيخ مفاهيم ينبغي تحديها· فالحقيقة هي، ببساطة: للمرء الحرية في ان يفكر ويشعر كما يشاء·

وفي ما يأتي خمس خرافات شائعة، بل من أكثر الخرافات شيوعا التي يتقدم بها "خبراء" السلوك الانساني بانتظام، اضافة الى عدد من التدابير الآيلة الى التغلب على هذه الخرافات التي تعترض سبيلك الى اسلوب حياة جديد واكثر مجلبة للسعادة·

من الطبيعي ان تكون مكتئبا او غاضبا او مثقلا بمشاعر الذنب: الم يحن الوقت لان يقوم احد الناس صارخا: "من ذا الذي يقول بوجوب تعاسة البالغين؟" ذلك انه ليس "طبيعيا" ان يشعر المرء بالاكتئاب والتعاسة· بل هذا الشعور هو، في حقيقة الامر، "اضطراب عصبي"· ان حالة الانسان الطبيعي هي العافية والسعادة· وعندما كنا اطفالا كان معظمنا مرحا وعفوي الطباع، ثم تعلمنا واكتسبنا انماط السلوك الانهزامي·

ان تغيير العادات يستغرق وقتا طويلا: اذا كنت تتوقع ان تستغرق عملية التغيير وقتا طويلا، فانها ستفعل· اما اذا تدبرت حياتك وعشتها لحظة بلحظة بدلا من تدبيرها لسنوات عدة مرة واحدة، فأنك ستتمكن من التغلب على مشكلاتك·

لقد كنت كالمسعور وسط ازدحام حركة السير، اصرخ واصيح كلما توقفت السيارات او تحركت الى الوراء· وقررت على الفور في احدى اللحظات ان ابدل من سلوكي، فما كان مني الا ان نفذت القرار بيسر وبساطة· وانا لا اقصد بهذا ان التغيير كله ينجز في طرفة عين· غير اني ارجو القارىء ان يسقط الآن من فكره ذلك الاعتقاد القائل بان عليه الانتظار طويلا قبل ان يتمكن من تبديل طباعه· والخطوة الاولى على طريق الحل هي ان يقنع المرء نفسه بان المسألة تسير كما يرام وفي استطاعته تحقيقها·

يجب ان تكد مع نفسك وفي نطاق علاقاتك مع الاخرين لكي تكون سعيدا: الواقع انك ربما تكد في

الكاتب مستشار اجتماعي واختصاصي في المعالجة من دون عقاقير، واستاذ مشارك في كلية الدراسات العليا في جامعة سان جون في نيويورك· ومن مؤلفاته كتاب رائج بعنوان "مواطن الزلل"·

هذه المجالات اكثر مما ينبغي. ان السعادة تتأتى عن طريق العمل لا عن طريق التفكير والتساؤل عما اذا كنت تفعل الصواب. فأنت حين تعقد الحياة بالبحث الدائب عن السعادة، ستجد انها تمتنع عليك وتفوتك. ومن الحكم القديمة مثل جامع يقول: "السعادة رحلة لا طيّة"، اي انها ليست المكان الذي تنتهي اليه الرحلة.

وبالمثل، اذا انت دأبت باستمرار محاولا فهم الشخص الآخر ومحللا كل حركة تصدر عنه، فقد يفوتك حقا ما تطلبه. ذلك ان السعادة الخالصة تنساب من كل نشاط، مهما كان عاديا، اذا اتحت لها ذلك.

حلول مشكلاتك كامنة في ماضيك : ان اقصى ما تفوز به من الشرود الطويل الى ماضيك هو خيبة الامل. لانه اذا كان والداك قاسيين او اعوزهما الفهم والادراك، فلقد كانا هكذا وانت لا تستطيع تبديل ما حدث. لكن مفتاح حل مشكلاتك الحالية هو الان في يدك. فابدأ بمحو آثار المسكنة والشفقة عن نفسك التي تجعلك تلوم الماضي على آفات الحاضر. فمهما يكن ماضيك، عليك ان تتخذ القرارات الان اذا كنت ترغب في ان تصبح اسعد حالا.

العوامل الخارجية هي التي تجعلك كما انت اليوم : غالبا ما يعلل الناس سبب شقائهم الحالي بكونهم الطفل الاوسط من افراد الاسرة، او انهم عاشوا في احياء فقيرة، او انهم ولدوا في فترة قلقلة اقتصادية. فالناس يفتشون عن اعذار لتفسير سلوكهم الانهزامي. وجميع "العوامل الخارجية" هي بالطبع من هذا القبيل: مجرد اعذار.

ومتى نظرت الى هذه العوامل باعتبارها حقائق لا تقبل التغيير من حياتك الماضية بدلا من اعتبارها مشكلات، فسيصبح في امكانك القاء مسؤولية التغيير على عاتق صاحبها، اي على عاتقك انت، لا على الماضي.

كيف تتدبر الامر اذا؟ هنا سبعة اقتراحات لا بد من ان تعينك:

١. انزع عنك جميع الادوار التي تبنيتها في حياتك، وتصرف كما تريد بدلا من التقيد بما تظنه متوقعا منك. لانه اذا قيدت تصرفك باحد الادوار، فان ذلك يعني ابطال مفعولك كشخص وانكار ذاتك، اذ ان الدور يكون قد لبسك واستولى على زمامك. وتجدر الاشارة الى انه ليست هناك طريق واحدة في سلوك الناس هي طريق الصواب. المطلوب ان تكون نفسك في كل لحظة وتتحرر من الادوار.

٢. اقدم على مجازفات بناءة. فاذا كنت خجولا ومنطويا، تقدم من شخص غريب بغية التعرف عليه. واذا كنت تود ان تخبر والدتك بما تشعر به ازاء تصرفها، فافعل ذلك. ان معظم المجازفات لا تنطوي على اخطار شخصية، وانما على قلق عظيم فقط. وستجد انه، كلما اشتدت شجاعتك لتفعل ما تشاء من أجل نفسك بغض النظر عن الاخطار، زاد حظك في العيش السعيد.

٣. اسقط من قاموسك تعابير اللوم، ولا تقل: "هم سبب شقائي". واسقط تلك الجمل التي تنحو باللائمة على الاخرين، كقولك: "لقد جعلتني تلك المرأة اشعر بعدم ارتياح". وقل بدلا من ذلك: "لقد جعلت نفسي احس بعدم الارتياح عندما اصغيت الى ما

قالته تلك المرأة".

٤٠ كن جازما. لقد بلغت سن الرشد واصبحت مسؤولا عن حياتك. ولا حاجة بك الى ان تسأل الاخرين عن الطريقة التي ينبغي ان تحرك بها دفة حياتك. فاذا كنت تريد ان تعرف اثر سلوكك في الناس، فان هذا لا يعني ان تلتمس اذنهم في ما تود فعله.

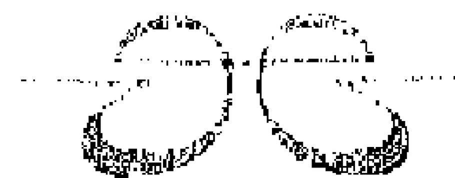
٥٠ توقف اكثر من مرة يوميا عن التفكير والتحليل، تاركا لدماغك ان يستريح. ركز ذهنك لحظة في لون من الالوان، طاردا من رأسك جميع الافكار الاخرى، او اخرج في نزهة قصيرة سيرا على القدمين وفكرك خلو من الهم. فكما يحتاج البدن الى فترات من الراحة والتمارين، هكذا يحتاج العقل ايضا.

٦٠ لا تبحث خارج نفسك عمن يثبت لك قيمتك او جمالك او قوة شخصيتك. واذا عمدت الى تصيد الاطراء فاسأل نفسك اذا كنت انت راضيا عن ادائك او مظهرك. واذا كنت فعلا راضيا، فاسأل نفسك عن سبب حاجتك الى اطراء الآخرين وسرعان ما سيتبين لك انه كلما قللت من طلب الاستحسان اصبحت اهلا له وجاءك المزيد منه.

٧٠ قرر ان تقدّر الحياة حق قدرها حتى وان عقد النساهون والمناكيد العزم على جرك الى الشقاء. واحط نفسك بوجوه مرحة وسعيدة، طاردا عنك الشعور بان المسؤولية تقع عليك انت لتبديل اولئك الذين يصرون على البقاء اشقياء.

ان توقعاتك انت هي المفتاح الى عملية العافية العقلية باكملها. فاذا توقعت ان تكون سعيدا ومعافى ومحققا ذاتك، فمن المرجح ان تتحقق لك هذه التوقعات.

■ واين و. داير



حين نتقدم في السن نفقد كثيرا من مثالبنا، لاننا لا نعود في حاجة اليها.

بول كلوديل

عالمان في بيت واحد

كان الدكتور وايلدر بنفيلد - الاختصاصي في الاعصاب الشهير الذي اجرى دراسات مهمة عن عملية تعلم اللغة، يتناقش يوما مع الكاتب كيزي بالدوين حول قلق الكنديين من سياسة ازدواجية اللغة في بلادهم، فقال الدكتور: "كتبت الي ام كندية من اصل فرنسي تبدي قلقها على لغة اطفالها. فزوجها انكليزي، والانكليزية هي لغة الحديث في البيت. فقلت لها: "حسنا، لماذا لا تسمون الدور العلوي من البيت فرنسا والدور الارضي انكليزيا، وتشتركون جميعا في هذه اللعبة، حتى انت، فتتحدثون الفرنسية في الدور العلوي والانكليزية في الدور الارضي؟" وبعد عام، كتبت الي السيدة تقول ان الفكرة نجحت نجاحا رائعا، وانها تجد متعة رائعة وهي تراقب الاطفال "يتغيرون" في اثناء هبوطهم السلم.

(مجلة "ماكلينز" - كندا)

في مستهل عام ١٩٧٧، بدأت مجلة "الأدب" (ليتيراتورنايا غازيتا) الاسبوعية التي تصدر في موسكو سلسلة مقالات بعنوان: "المراهقون: دروس السن الخطرة"، تولى فيها كتاب وخبراء قانونيون ومربون وآباء وامهات تحليل اسباب السلوك المناهض للمجتمع - والخارج على القانون احيانا - من جانب فئة من المراهقين. وبعد صدور مقال غاضب يقترح كاتبه: "تنظيف الساحات من جماعات الشباب". رد عليه مئات من المراهقين، فاحتفظت ن. لوغينوفا، المحررة في المجلة، بمجموعة عينات من هذه الردود، منها ما يأتي:

مراهقون من الشرق

□ **ساشا ف. (لينينغراد)**: "قد ترونني، وانا لست في وعيي التام، في مدخل احد المباني مع فتاة تناهز العشرين فتقررون فورا، يا حضرة الكبار، انني شخص لا اساوي شيئا. ولكن، حين كنتم في الخامسة عشرة، هل كان احد منكم قرأ كل ما كتبه تولستوي وتشيخوف ودوستويفسكي وبلزاك كما فعلت انا؟ هل يستطيع احد منكم ان يضع على فمه زجاجة مليئة فلا ينزلها الا فارغة؟ انا استطيع ذلك. هل سبق لاحد منكم ان حصل على شهادات ابتكار او نشر مقالات عن نظرية الادب؟ انا فعلت ذلك. فالمسألة هي ان يعرف الانسان كيف يجمع بين كل شيء".

□ **من فتاة لم تذكر اسمها (سفاستوبول)**: "انني انتمي الى جماعة يخشاها كل الناس. فنحن نحطم الملاعب ونتلف احواض الزهور ونثير الضجيج والصخب كل ليلة. ونحن جميعا لدينا نقود، فلسنا نواجه اي مشكلة للحصول على الفودكا. وجميع اسمائنا تقريبا مدرجة في سجل المشاغبين لدى الحرس الوطني. غير انني بدأت اتساءل منذ حين: ما الذي يدفعني الى عمل هذا كله؟ لا يمكن هذا النوع من الحياة ان يؤدي الى خير".

□ **بوريس ر. (سليدوفو)**: "لقد تركت المدرسة بعد الصف الابتدائي السابع بحثا عن "الحياة الحرة"،

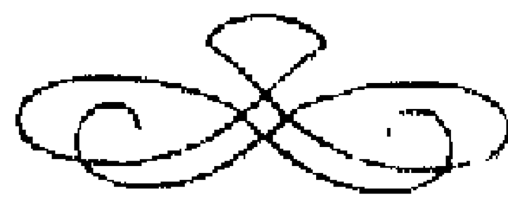
فرحت اشرب واسرق الدراجات الهوائية والنارية. وظلت الميليشيا (الحرس الوطني) توقع على امي الغرامات. وها انني اصبحت لا املك الآن سوى العار والخوف على حياتي، فلا مهنة لي ولا تربية".

☐ **نينا ت. (اورد جو نيكيدزي)**: "اخشى ان اقضي العمر كله على هامش الحياة. ولكم اشتهي ان البس مثل سائر الناس وافكر مثل سائر الناس واحصل على عمل قريب من بيتي واتزوج وارعى الاطفال واشيخ بجانب الموقد، ثم اجلس على كرسي في الفناء. فلمن استطيع ان ابوح بهذه المخاوف؟ ان والدي لن يفهما ذلك ابدا".

☐ **أنيا (موسكو)**: "ينحصر تفكير الكبار بنا في قوالب بسيطة وساذجة: فان دخنت الفتاة فهي لا اخلاق لها. وان اطال الشاب شعره وارتدى سراويل قديمة فلا بد انه منحرف. بل ان المدرسين انفسهم يصنفوننا "صالحين" و"سيئين" على اساس المظهر فحسب".

☐ **ايغور ف. (لينينغراد)**: "يجب الا تحمل اعترافاتنا الصريحة على محمل التحدي او الرضا عن النفس. وما هي الا توسل واستعطاف لكي: "تساعدونا!". ولا تقسمونا "عاملين" و"خاملين"، فانتم تغفرون لافراد الفئة الاولى كل شيء، حتى التأنق في تصفيف الشعر، لانهم يتشبهون بالكبار الى اقصى درجة ومنذ ان يبلغوا الصف الابتدائي الخامس تستهويهم الازياء الرائجة والاهتداء الى امكانات المستقبل من دون انشغال بال الآباء على مستقبل هؤلاء.

لكن ما هو الحل اذا لم اهتد الى نفسي بعد؟ وما الحل اذا كنت لا ادري حتى الان ما هي دعوتي. واي مهنة اختار؟ وهناك كثيرون من امثالي. ونحن نجتمع في حلقات في المساء ونتناقش... وانتم ايضا، ايها الكبار، تجتمعون في حلقات، ولكنكم تتحدثون عن معنى النقود، بينما نحن نتحدث عن معنى الحياة".



بعيدا عن الضجيج

يؤثر عن كونراد اديناور، مستشار المانيا الغربية السابق، تفرده في اتخاذ القرارات. وهو قال مرة: "السر في كون الوصايا العشر واضحة وخالية من الغموض انها لم تكن نتيجة مؤتمر او اجتماع عام؟"

وولتر هنكاز

عقد من الطقس الرديء

عندما عاتبت امرأة انكليزية صديقة لها على انقطاعها عن زيارتها مدة عشر سنين، قالت الصديقة:

- الم تري، يا عزيزتي، ذلك الطقس الرديء الذي عانيناه؟

"هـ.هـ. لامب في كتاب "المناخ الانكليزي".

جذور الجنس البشري بين أفريقيا وفلسطين

ثمة شواهد تعود بنا قرابة اربعة ملايين سنة، هي بمثابة بينات جديدة مثيرة في قصة الأسرة الانسانية.

لا يعرف بالضبط كيف حدثت تلك الوفيات الكثيرة في افريقيا. وربما كانت الانثى التي توفيت في سني مراهقتها وعثر على بقاياها في اخدود في منطقة عفار الصحراوية الاثيوبية، قد ماتت من جراء مرض خبيث. اما الفتى الراشد الذي مات بالقرب من بحيرة توركانا في كينيا فمن المحتمل انه لاقى حتفه في حادث ما. وكانت عظام الراشد الآخر والطفل التي نقبت في ليتوليل في تانزانيا راقدة تحت طبقة كثيفة من الرماد البركاني. غير انه لا يمكن الجزم اذا كانا لقيا حتفهما نتيجة لانهمار النار البركانية، ام ان دور الرماد البركاني اقتصر على طمر جثتيهما في ما بعد.

والسبب في ضآلة المعرفة عن هذه الوفيات هو انها حصلت قبل مليونين الى ثلاثة ملايين و٨٠٠،٠٠٠ سنة. على ان اكتشاف ما تبقى من هياكل عظمية بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٥ استحوذ على عناوين الاخبار حول العالم. ومع ان هذه الهياكل العظمية هي اقدم ما عثر عليه لكائنات شبيهة بالانسان (هومينيد)، الا ان تلك المخلوقات الموغلة في القدم تعتبر بلا شك اسلافا لنا نحن.

وهذه الاكتشافات البارزة - مضافة الى ما تم اكتشافه في السنوات القليلة السابقة - كادت ان تقضي قضاء مبرما على النظرية التي كانت، قبل جيل واحد فقط، تعد حقيقة علمية حول اصل الجنس البشري. ومما يثير الدهشة ان عددا كبيرا من هذه المكتشفات نقبه افراد اسرة واحدة تعرف في الاوساط العلمية بـ"اسرة ليكي المحظوظة".

المستقيم والعاقل – اعتقد العلماء المختصون في علم الانسان، استنادا

الى الجماجم التي عثر عليها في جزيرة جاوا وبالقرب من بكين عاصمة الصين في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، ان اقدم سلف مباشر للانسان مشى على الارض بقدميه في شرق آسيا قبل مليون سنة، وانه كان على هيئة "الانسان المنتصب القامة" (هومو ايريكتس)، وانه انتقل في ما بعد غربا الى اوروبا وساحل افريقيا الشمالي حيث تطور الى هيئة الانسان النياندرتالي ذي المظهر الوحشي. وفي وقت لاحق ظهر الى حيز الوجود على نحو غامض ومبهم جنسنا نحن، اي الانسان الحديث او العاقل، وكان ذلك قبل ٤٠،٠٠٠ سنة، واخذ يتكاثر وينتشر في اوروبا وبقية انحاء العالم. وقال العلماء ان مناطق افريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لم تلعب دورا في قصة النشوء والارتقاء هذه، اذ كانت تعتبر منطقة جغرافية مسدودة دلف اليها الانسان في وقت حديث نسبيا من عصر ما قبل التاريخ.

وظهرت نغمة النشاز الاولى في ذلك الحوار العلمي المتسق عام ١٩٢٤ حين عرف احد اساتذة التشريح في جنوب افريقيا، وهو رايموند دارت، جمجمة عثر عليها في منطقة تونغ من ولاية كيب بانها جمجمة كائن شبيه بالانسان، اطلق عليه دارت اسم "اوسترالو بيثيكوس افريقانوس"، اي قرد افريقيا الجنوبية. وفسر المختصون في علم الانسان في وقت لاحق تلك البقايا المتحجرة (المستحاثات) التي اكتشفت في مناطق اخرى على انها تشير الى وجود نوعين من قرد افريقيا الجنوبية، واحد نحيل العظام كالذي



ريتشارد ليكي يفحص بقايا جمجمة كائن شبيه بالانسان.

اكتشفه دارت وآخر سميك العظام اطلقوا عليه صفة "روباستس" وقدروا زمنه بنحو مليوني سنة. لكن العلماء رفضوا، لأكثر من عقد، اصرار دارت على ان قرد افريقيا الجنوبية هو من فصيلة سابقة للانسان وانها تمثل مرحلة انتقالية للقردة. ونبذ العلماء نظريته لاعتبارهم تلك القردة من الثدييات المنقرضة التي عاشت في زمن حديث نسبيا ولم تكن لها علاقة بالجنس البشري اطلاقاً.

غير ان العالمة ماري ليكي، زوجة الخبير في علم الانسان لويس ليكي، عثرت عام ١٩٥٩ على جمجمة اخرى لقرد افريقيا الجنوبية في طبقة جيولوجية تكونت فوق طبقة من الرماد البركاني على ممر اولدوفاي الضيق في وادي ريفت في تانزانيا. وكانت الجمجمة اثقل وزنا واكبر حجما من التي عثر عليها دارت. لكن

التقديرات الزمنية لتلك الطبقة الجيولوجية الآنفة الذكر اثبتت، حسب قياسات عنصري الارغون والبوتاسيوم، ان تاريخها يعود الى مليون و٨٠٠،٠٠٠ سنة، وهي الحقبة نفسها التي قدرت لقرد دارت في افريقيا الجنوبية.

أنسان يستخدم يديه – وفي غضون عامين استخرج جوناثان ليكي، وهو اكبر أبناء عائلته، المجموعة الاولى من سلسلة من الجماجم وعظام الاطراف لكائنات شبيهة بالانسان، الا انها اكثر تطورا مما عثر عليه سابقا. فقد بلغ معدل حجم ادمغتها ٦٥٠ سنتيمترا مكعبا (بينما يبلغ حجم جمجمة الانسان المعاصر ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب). كما عثر في الطبقة الجيولوجية نفسها على ادوات حجرية غير متقنة الصنع كانت تستخدم لاغراض القطع او الفرم وعلى مسكن بدائي، مما جعل اسرة ليكي تطلق على هذه الفصيلة كنية "هومو هابيليس"، اي الانسان الذي يستخدم يديه في ضروب الاعمال. لكن بعض الخبراء في يومنا يصنفون هذه الفصيلة باعتبارها فصيلة متطورة لقرد افريقيا الجنوبية.

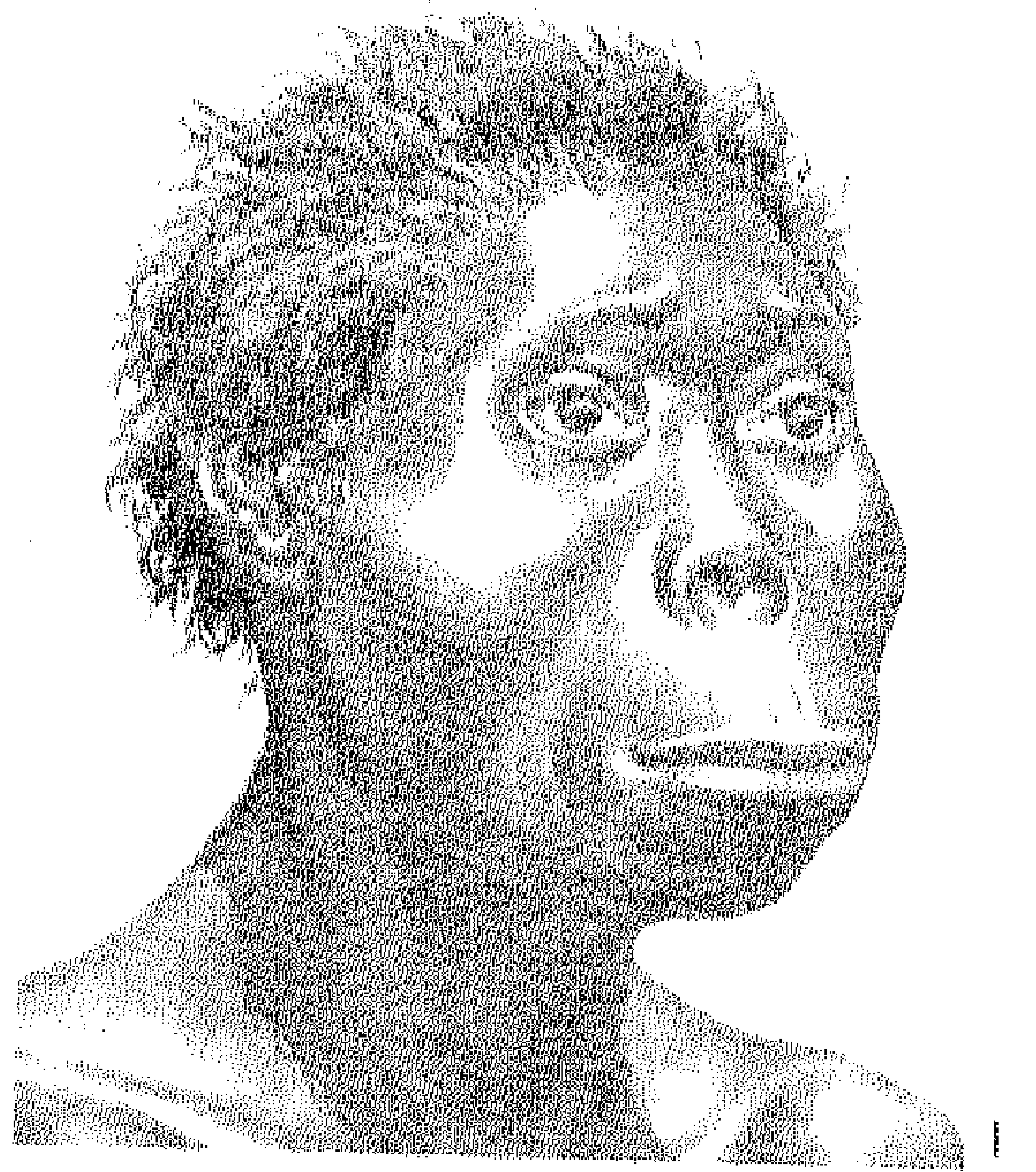
وفي عام ١٩٧٢ عثر احد افراد فرقة التنقيب عن المتحجرات بقيادة ريتشارد ليكي، الابن الثاني لاسرة ليكي، عند بحيرة توركانا في كينيا، على شظايا جمجمة مهشمة في طبقة ارضية يعود تاريخها الى أكثر من مليوني سنة. وادرجت الشظايا في فهرس المتاحف الوطنية في كينيا تحت رقمها المتسلسل، وهو "١٤٧٠"، وباتت تعرف بهذا الرقم منذ ذلك الوقت.

وما ان اعيد تركيب "١٤٧٠"، حتى برز للعيان رأس يشبه رأس الانسان العصري الى حد مروع. وكان يبدو انه رأس حفيد متأخر من سلالة الانسان الذي يستخدم يديه (الهابيليس). الا انه كان اقدم عهدا واكبر حجما من حيث الدماغ، ولم تكن له حافة بارزة عند الحاجبين. وقد توسعت في جمجمته تلك المنطقة من الدماغ التي تحتوي على المراكز الخاصة بالقدرة على النطق بحيث يحتمل ان تكون احدى اللغات البدائية اخذت تتكون لدى فصيلته في ذلك الزمن.

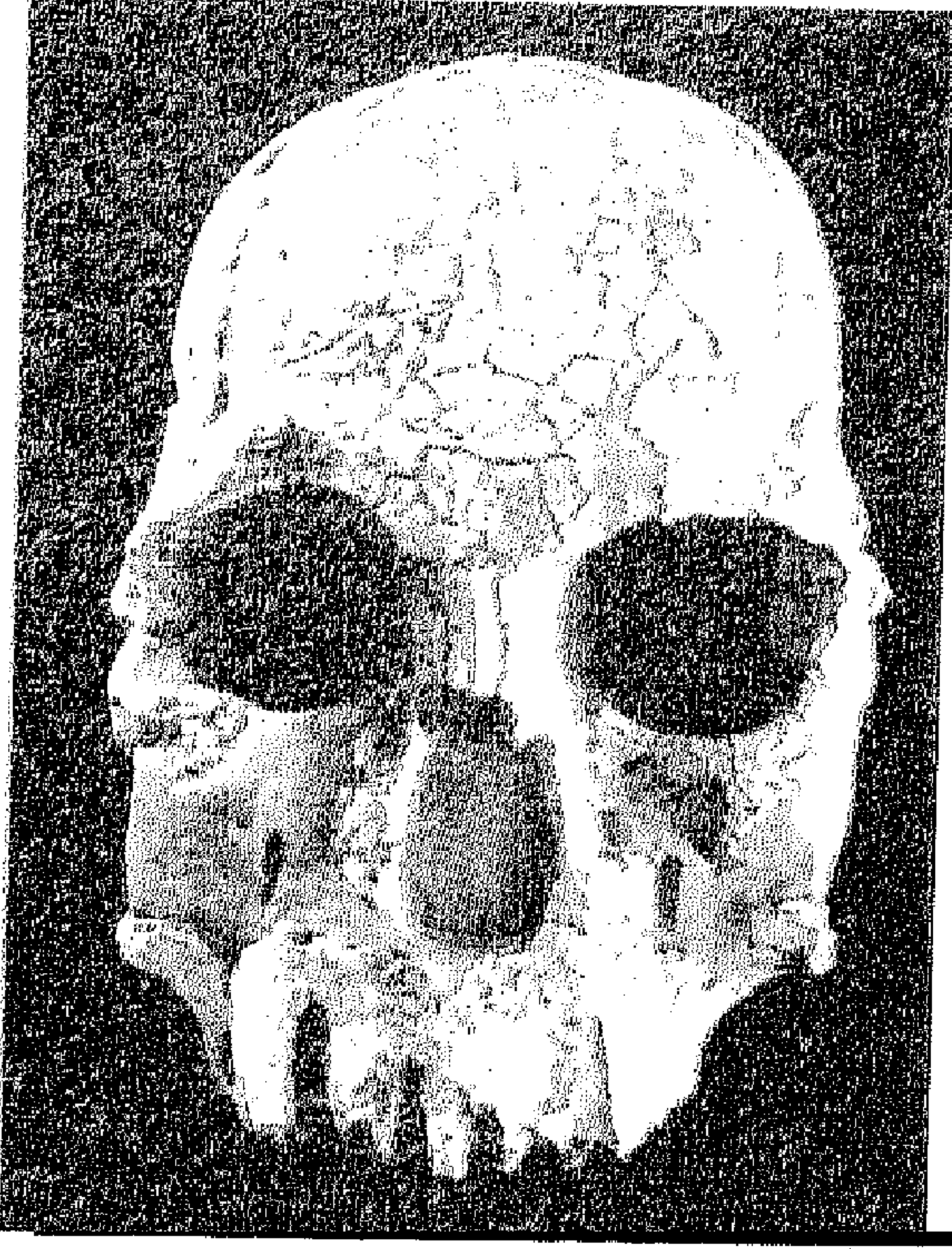
وفي وقت لاحق عثر فريق ليكي على جمجمة اخرى يرجع تاريخها الى مليون ونصف مليون سنة، وهي جمجمة انسان منتصب القامة قد يكون احد احفاد "١٤٧٠". وهو شبيه بانسان بكين الى حد بعيد، لكنه اقدم منه عهدا وحجم دماغه اصغر قليلا، وهو عاش في افريقيا بدلا من الصين، معاصرا قرد افريقيا الجنوبية.

لوسي الصغيرة – في ١٩٧٤ دخل العالم الجيولوجي الفرنسي موريس تايب والعالم الامريكي المختص في علم الانسان دون جوهانسون مضمار الاكتشافات الكاسحة في علم النشوء والارتقاء، حين وجد جوهانسون هيكلا عظميا في صحراء عفار لانثى شبيهة بالانسان، بلغ طولها متراً واحداً وكانت في التاسعة عشرة من عمرها وقت موتها. وسميت "لوسي"، بيد انها لم تكن بشراً ولا قردة من فصيلة افريقيا الجنوبية، بل ربما كانت تمثل سبطا اضافيا آخر من اسباط الانحدار من القردة.

ثم نقبت ماري ليكي عام ١٩٧٥



تصوّر الرسام لمظهر "١٤٧٠" بناء على افكار ريتشارد ليكي.



جمجمة "١٤٧٠" التي يرجع تاريخها الى قرابة مليوني سنة تظهر سعة كبيرة في حجم الدماغ.

بين انقاض الرماد البركاني في ليتوليل في تانزانيا، فعثرت على اسنان وعظام فكوك لاقدم مخلوقات شبيهة بالانسان تم اكتشافها حتى الآن، ويقدر عمرها بنحو ثلاثة ملايين و٧٥٠،٠٠٠ سنة. وهي بقايا كائنين، احدهما في سن الرشد والآخر طفل في نحو الخامسة من العمر. وبدا من هيئتيهما انهما من اجداد لوسي التي اكتشفها جوهانسون و"١٤٧٠" الذي اكتشفه ريتشارد ليكي، وبذلك رجع تاريخ الانسان ما يقارب ثلاثة ملايين سنة الى الوراء، في حين قفز علم الحفريات البشري قفزة كمية الى الامام.

ان البحث عن الكائنات الشبيهة بالانسان هو عمل لا يحسنه من كان ضعيف القلب او واهن العضلات. ذلك ان العظام، متى تم تحديد مكانها في اديم الارض، تتطلب عناء طويلا ومضنيا في التنقيب عنها وكشح المترسبات فوقها بواسطة ادوات كالمسواك وفرشاة الاسنان، مما يقصم الظهر ويستغرق ساعات او اياما من الانحناء المستمر تحت اشعة شمس افريقيا. (وعلى سبيل المثال، استغرق التنقيب عن لوسي ١٠٠٠ ساعة عملا بالتمام). وبعد اخراج العظام يتولى الخبراء حفر الارض المحيطة بالموقع وغربلتها بالشبك السلكي بحثا عن شظايا العظام. واخيرا يشرعون في عملية جمع الشظايا المتفرقة وتركيبها على هيئة سليمة. وهذه مشقة اشبه ما تكون بمشقة جمع احجية صور مقطوعة من ثلاثة ابعاد، في حين تكون اكثر القطع مفقودة وما من رسم يهدي الى هيئة تركيبها.

اذا، ما الذي يحدو بعض الناس على تقحم مشاق من هذا القبيل لجمع بضع قطع من العظام؟ "انه الالحاح نفسه الذي حدا اليكس هيلي (الزنجي الامريكي) على ان يمضي اكثر من عشر سنين في تقصي شجرة انسابه واجداده". بهذه الكلمات اجاب دون جوهانسون، الذي اضاف: "والفرق الوحيد هو ان هيلي كان يبحث عن جذور اسرته هو، بينما نتقصى نحن جذور الاسرة البشرية بكاملها".

مسرحية النشوء والارتقاء ــ تقول المراجع العلمية ان ثمة مقداراً كبيراً من الفجوات في سجل المتحجرات لا يسمح بوجود تسلسل منطقي متماسك في نظرية النشوء والارتقاء. على ان عدداً من العلماء الذين يستشهدون بالبقايا المتحجرة المتفرقة على نطاق واسع في أماكن مثل افريقيا وباكستان اخذوا بنظرية مفادها ان الجد الاعظم للمخلوقات الشبيهة بالانسان كان من الثدييات الرئيسية التي كانت تقطن الاشجار، واسمها "رامابيثيكوس" (نسبة الى الآله راما عند الهندوس)، قبل فترة من الزمن تراوح بين ١٤ مليونا وتسعة ملايين من السنين. اما الخمسة ملايين سنة التالية فهي بمثابة صفحة بيضاء. لكن الغابات الافريقية خلال هذه الفترة "البيضاء" اخذت تنحسر وتنكمش بحيث تخلى بعض المتحدرين من "رامابيثيكوس" عن اشجارهم ليعيشوا في سهول معشبة وفسحات خالية من الشجر.

وبما انهم كانوا في حاجة الى الرؤية لمسافة ابعد وهم على سطح الارض، فمن المرجح انهم وقفوا على الارجل الخلفية فقط بدلا من القوائم الاربع، تاركين بذلك ايديهم طليقة لاستخدامها في نواح اخرى. ولما كانت اجسامهم ضئيلة ومفتقرة الى المخالب او الانياب فلم يعد في امكانهم اللجوء الى الاشجار حين تهاجمهم الوحوش المفترسة، لذلك تعلموا استخدام العصي والحجار للدفاع عن النفس وصيد طعامهم من الحيوانات الصغيرة، وبذلك نمت ادمغتهم وازداد ذكاؤهم.

وتمضي نظرية هؤلاء العلماء الى القول بان المخلوقات الشبيهة بالانسان انقسمت وتفرعت قبل ستة ملايين او خمسة ملايين سنة وان واحدا من تلك الفروع المتعددة تطور الى "هومو"، او الانسان الحقيقي، بينما تطورت الفروع الباقية الى ال"اوسترالوبيثيكوس" القريب من الانسان. ولاسباب ما زالت مجهولة، اخفقت بقية الفروع في صراعها من اجل البقاء وانقرضت قبل مليون سنة.

في هذه الاثناء تطور فرع "هومو" على نحو اسرع كثيرا. وكان رأس "١٤٧٠" بدائيا في هيئته، الا ان حجم دماغه لا يستهان به، اذ بلغ ٨٠٠ سنتيمتر مكعب. وكانت الكائنات من فصيلته ذات اجسام شبيهة حقا باجسامنا نحن.

وفي وقت لاحق ظهر احفادهم ذوو القامة المنتصبة، وكانت لهم حواجب كبيرة وادمغة اكبر (بحجم ١٠٠٠ سنتيمتر مكعب تقريبا) وقامات اطول من اسلافهم بمقدار ١٥ سنتيمترا. وكان ذلك قبل مليون ونصف مليون سنة. وقد وصلوا الى جزيرة جاوا قبل مليون سنة في اقل تقدير، ثم عبروا الحدود الى بكين بعد ذلك التاريخ بين ٤٠٠،٠٠٠ و ٣٠٠،٠٠٠ سنة،

في معظم عقاقير منع الحمل التى تؤخذ من الفم يكفي لوقف افراز البويضات لدى المرأة، كما ان كمية ضئيلة من البروجستين تؤدي الى حدوث نزف شهري. وهذه آثار بيولوجية شديدة الوقع، ولذلك فما لم يكن هناك سبب طبي اضافي، يستحسن استخدام وسيلة بديلة من الاستروجين لمنع الحمل. ومع ذلك فاننا نصف اقراص منع الحمل - وهي بلا جدل اكثر الوسائل المتوافرة من حيث الفعالية - عندما تكون المرأة التي تطلبها شابة،جيدة الصحة وتصر على طلب الاقراص على رغم معرفتها باخطارها.

س: وما هي هذه الاخطار؟

ج: الاخطار الرئيسية هي الجلطات الدموية في السيقان، والسكتات الدماغية، وربما النوبات القلبية ايضا. ولكن قلما تحدث هذه الاخطار فهي لا تحصل في اغلب الاحيان الا للنساء اللواتي لا يجوز لهن في المقام الاول ان يتناولن موانع الحمل عن طريق الفم، كالنساء المعرضات لارتفاع ضغط الدم واللائي تجاوزن سن الخامسة والثلاثين، ولاسيما النساء اللائي يدخن. اما الاخريات، فان نسبة تعرضهن للخطر تكون مخفوضة اذا كانت صحتهن جيدة. ويجب ان نتذكر ان الحمل والولادة ينطويان على اخطار تفوق كثيرا اخطار اقراص منع الحمل بالنسبة الى الحياة والصحة. واذا قارنا اقراص منع الحمل بالحمل غير المرغوب فيه، نجد ان الاقراص تعتبر مأمونة. اما اذا قارناها بوسائل منع الحمل الاخرى، فانها اقل امانا.

س: ما هي العلاقة بين مركبات الاستروجين وانقطاع الطمث؟

ج: خلال فترة انقطاع الطمث يتضاءل باطراد افراز الاستروجين من جسم المرأة، وهذه عملية طبيعية لا تحتاج بالضرورة الى علاج، ولكنها تؤدي لدى ما يراوح بين ٣٠ و٤٠ في المئة من النساء الى اعراض شديدة يصعب لهن احتمالها.

س: وما هي هذه الاعراض؟

ج: هناك اعراض حادة مبرحة واخرى لاحقة. واسوأ الاعراض الحادة هي التدفق المفاجىء للحرارة او العرق، واضطراب سياق حياة المرأة فتضطر مثلا الى ان تستيقظ ثلاث او اربع مرات في الليلة الواحدة وهي تنتقع في عرقها كما تضطر الى تغيير ملاءات الفراش وملابسها الليلية. ومن الاعراض الاخرى المصاحبة لذلك هبوط المعنويات وتوتر الاعصاب وسرعة الانفعال والشعور بتنمل في الجلد.

س: وما هو مفعول مركبات الاستروجين؟

ج : الحقيقة الوحيدة الثابتة علميا عن العلاج بالاستروجين، خلال فترة انقطاع الطمث، هي انه يوقف التدفق المفاجىء للحرارة والعرق، ولكن لا دليل هناك على انه يؤثر على الاعراض المصاحبة. وفي الواقع فاننا نعتقد ان معظم الاعراض الاخرى تظهر نتيجة "لتسلسل التأثيرات". فالتدفق الحراري يبعث على الارق، وهذا بدوره يؤدي الى الارهاق الذي يسبب توتر الاعصاب. اما هبوط المعنويات فهو في رأينا غير مرتبط بالهرمونات وانما هو يحدث لان انقطاع الطمث يواجه المرأة بحقيقة تقدمها في السن.

س: وما هي اذاء كمية الاستروجين التي تعطينها لمثل تلك المرأة؟

ج: نحن نبدأ باعطائها قرصا يحتوي على ١،٢٥ ملليغرام يوميا طوال الخمسة والعشرين يوما الاولى من كل شهر. وبمجرد ان تتوقف اصابتها بنوبات الحرارة لمدة اسبوعين، نخفض الجرعة عادة الى ٠،٦٢٥ - ملليغرام. ومن الضروري ان يضاف الى هذه الجرعات عامل مبيضي سابق للحمل خلال الاسبوع الاخير او الايام العشرة الاخيرة من العلاج. وبعد شهر او اثنين من هذا العلاج، نخفض سرعة الاستروجين الى ٠،٣ - ملليغرام، ونستغني عن البروجستين او العامل المبيضي السابق للحمل في معظم الاحوال. ونحن نواصل هذا العلاج خلال فترة التكيف فقط وهي تراوح بين ستة اشهر وسنة. وهناك بعض المريضات ممن يحتجن الى علاج طويل الامد، فاننا نعالجهن في هذه الحال بادهنة الحلمات وفحص عينات الافرازات من بطانة الرحم.

س: وما هي الاعراض اللاحقة لانقطاع الطمث التي اشرت اليها من قبل؟

ج: كثيرا ما يحدث عقب انقطاع الطمث ان يصبح الغشاء الداخلي للمهبل جافا وسهل العطب، مما يؤدي الى احساس مؤلم بالالتهاب في اثناء ممارسة الجنس. ومن شأن الاستروجين ان يعالج هذه الحال وغيرها من متاعب الجهاز البولي المقترنة بها.

س: وهل يفيد الاستروجين في معالجة حالات غير هذه؟

ج: ان معظم المرضى بمسامية العظام نتيجة فقد الكالسيوم منها هم من النساء اللائي انقطع لديهن الطمث. واكثر الاخطار التي يتعرضن لها هي كسر مفصل الورك. وفي امكان الاستروجينات ان توقف فقد الكالسيوم - وان موقتا على الاقل - ولكنها لا تزيل المرض اساسا.

وعندما نصف الاستروجين لعلاج هذه الحال، فاننا نصر على ان تتوقف المريضة عن التدخين، لان التدخين يحدث تغييرات في الرئتين تؤثر على تمثيل الكالسيوم في الجسم، كما نصر ايضا على ان تشرب المريضة ثلاثة اكواب كبيرة من الحليب يوميا - سواء كان كامل الدسم او مجردا منه - او ان تتعاطى اقراص غلوكونات الكالسيوم - ونقترح عليها ايضا ان تلتحق بدرس لممارسة الرياضة البدنية. وتعطى الاستروجينات عادة بصفة موقتة فقط، اما الحليب او اقراص الكالسيون والتمارين الرياضية والاقلاع عن التدخين فانها تبقى ضرورية طوال الحياة.

س: هل هناك نساء يطلبن اعطاءهن مركبات الاستروجين "للاحتفاظ بالانوثة المستديمة"؟

ج: ان بعض النساء يقدمن على ذلك انصياعا لفكرة خاطئة روجها عدد من الاطباء منذ سنوات. غير ان مركبات الاستروجين ليست ينابيع للشباب، فهي لا تقوى على شد البشرة او الجلد ولا على اكتناز الجسم. وفضلا عن ذلك فان المرأة التي انقطع عنها الطمث لا تعاني بالضرورة نقصا في الاستروجين، وانما الذي يحدث هو ان جسمها ينتج من هذا الهرمون مقدارا اقل مما كان ينتجه في سني خصوبتها. وعندما يتوقف المبيضان عن انتاج

البويضات، يبدآن في افراز هرمون "اندروستينيديون" الذي يتحول الى استروجين. واذا استؤصل المبيضان فان الغدتين الكظريتين (فوق الكليتين) تنتجان هذا الهرمون. فالمرأة لا تحتاج الى مقدار اضافي من الاستروجين الا اذا انتابتها اعراض شديدة او علامات بدنية تبرر ذلك.

س: الم تشر الدراسات الجارية الى زيادة خطر الاصابة بالسرطان في بطانة الرحم لدى النساء اللائي يستعملن مركبات الاستروجين؟

ج: نعم. هناك دلائل على ان تعاطي جرعات كبيرة من الاستروجين لفترات طويلة قد يكون مقترنا بالاصابة بهذا النوع من السرطان. لكن الثابت من خبرتنا ان هذا السرطان لا يحدث عندما تعطى اصغر جرعة ممكنة من الاستروجين لاقصر فترة ممكنة. وان تناول جرعة يومية من الاستروجين مقدارها ٠،٣ ملليغرام - وان استخدمت لفترة طويلة - هو امر لم يظهر ادنى دليل حتى الان على انه يؤدي الى حدوث اي اورام قد تكون نذيرا بالسرطان. ونحن نلتزم بهذا الجدول العلاجي ونحتفظ بسجلات دقيقة عن تلك المريضات منذ ٤٠ عاما تقريبا.

س: وماذا عن التقارير التي تفيد عن الاصابة بالسرطان بين بنات النساء اللاتي تعاطين ثاني - ايثل - ستيلبيسترول (داياثيلستيلبيسترول D.E.S.) في اثناء فترة الحمل؟

ج: منذ سنوات عدة، اعطيت كثير من النساء الحوامل عقار الـ D.E.S لان الاعتقاد كان منتشرا آنذاك بانه يحول دون الاجهاض.

وهناك مكتب تسجيل طبي في جامعة شيكاغو لديه ملفات عن ٣٥٠ مريضة من انحاء العالم شخصت امراضهن في اعمار تراوح بين ٧ سنوات و٢٩ سنة، وتبين انهن مصابات بنوع نادر من سرطان المهبل او عنق الرحم الذي يسمى ادينوكارسينوما الخلايا الصافية. وقد تبين ان امهات ثلثي هؤلاء المريضات تقريبا قد تعاطين عقار الـ D.E.S. في اثناء الحمل. وقد تبين كذلك ان عددا اكبر كثيرا من حالات السرطان هذه بين بنات النساء اللاتي تعاطين D.E.S. في اثناء الحمل قد ظهرت لديهن حال تضخم مهبلي، وهو زيادة غير سرطانية في سمك جدار المهبل. وعلى رغم وجود اثباتات وثائقية منتظمة تشير تدريجا وفي وضوح الى تحول تضخم جدار المهبل الى سرطان، فان هناك احتمالا لوجود علاقة بين الاثنين. وانما يبدو ان هناك احتمالا ضئيلا للاصابة بالسرطان نتيجة التعرض لعقار الـ D.E.S. قبل الولادة، ومع ذلك فلا بد من متابعة حالات هؤلاء البنات جميعا متابعة دقيقة.

س: الم يثبت ايضا وجود ارتباط بين عقار الـ D.E.S. وسرطان الثدي؟

ج: اجريت دراسة مقارنة لمتابعة حالات ٧٠٠ امرأة تقريبا ممن تعاطين عقار الـ D.E.S. منذ اكثر من ٢٥ سنة، وتبين منها ان نسبة الاصابة بسرطان الثدي بينهن (٤،٦ في المئة) اعلى قليلا من النسبة المماثلة (٣،١ في المئة) بين النساء اللاتي لم يتعاطين الـ D.E.S. . وقد انتهى الباحثون الى ان هذا الفرق لا يمكن اعتباره ذا دلالة احصائية، ولكنهم اوصوا باستمرار المتابعة.

س: هل كان عقار الـ D.E.S. هو سبب هذه الحالات ؟

ج : على رغم انه لم يثبت وجود علاقة سببية بين الامرين، الا ان اختصاصيي السرطان يتحدثون عن وجود "صلة او اقتران" بين استخدام عقار الـ D.E.S وحالات سرطان المهبل وعنق الرحم لدى بعض بنات النساء اللائي تعاطين الـ D.E.S · اما قضية الاصابة بسرطان الثدي لدى النساء اللائي تعاطين عقار الـ D.E.S. فانها لا تزال معلقة·

س: هل يحملك القلق السائد حول مركبات الاستروجين على اعادة النظر في وصفها لمريضاتك، او على وقف بعض مريضاتك عن الاستمرار في تناولها ؟

ج: كلا ، لاننا نحرص دائما على ايضاح الغرض من وصفنا للاستروجين، كما اننا نبين الاحتياطات التي ينبغي اتخاذها والاخطار المحتملة· غير اننا نلاحظ مع ذلك تناقصا ربما بنسبة ٢٥ في المئة في عدد الشابات اللائي يطلبن ان نصف لهن اقراص منع الحمل·

س: هل يمكنك الاقدام على وصف مركبات الاستروجين لنفسك او لاسرتك او اصدقائك ؟

ج: طبعا ، وقد فعلت ذلك عندما دعت الحال· ولكني لا اصف هذه المركبات الا في ظروف الاحتياط الدقيق التي ذكرتها من قبل، اي اقل جرعة فعالة لاقصر فترة ممكنة·

■ **اجرى المقابلة**
وولتر س· روس

العطلة الاسبوعية

حين عادت ابنة اختي من مستشفى التوليد بعد ان وضعت توأمين، ملأت البهجة نفس ابنتها التي كانت معلمتها قد منحتها اجازة نصف يوم لتحتفل بالمناسبة· وسألتها امها : "وماذا قالت المعلمة عن التوأمين؟" فأجابت الطفلة: "انني لم اعلمها بولادة اخوين توأمين، لانني احتفظ بالاخ الثاني للاسبوع المقبل"· م·م·

سن التوفير

طلب ابني لمناسبة عيد ميلاده الثالث عشر ان يزور المعرض الوطني الكندي قائلا : "لقد منحني ابي خمسة جنيهات، ولذا سأدفع بنفسي رسم دخولي"·

وبينما نحن نقترب من بوابة الدخول، لاحظت ان وجهه قد كسته علامات الارتباك، ثم سألني: "متى ولدت يا امي؟"

فقلت في دهشة: "ديفيد! انت تعلم جيدا انك ولدتيوم ١٥ اغسطس (آب)، وهو تاريخ اليوم! "

فعاد يسأل: "ولكن في اي ساعة؟"

فأجبت: "في الساعة العاشرة والنصف ليلا "·

فتنهد ديفيد بارتياح كبير، ورأيته يتجه الى البوابة التي تعلوها لافتة تقول: "الاطفال سن ١٢ سنة فأقل ١/٤ جنيه، والبالغون ٣/٤ جنيه"، ويمد يده الى شباك التذاكر بربع جنيه· ج·ب·

اصبح حراس الامن الخصوصيون يستخدمون معدات معقدة تذكرنا بما نراه في افلام جيمس بوند، وهم الآن موضع طلب متزايد، خصوصا في اوروبا لحماية الارواح والممتلكات.

الأمْنُ الخاص

كان الوقت عصر يوم بارد في شهر فبراير (شباط)، حين وقف ايلاريو مارزيانو الذي يبلغ الثانية والخمسين من العمر في نوبة حراسته امام المصرف الوحيد في بلدة فولفيرا في ايطاليا، ويده على مسدسه الخاص عيار ٣٨ ملم المعلق بجانبه في قرابه الجلدي.

وعلى رغم ان ايلاريو كان يقضي ثماني ساعات وقوفا كل يوم في مكانه، الا ان الرتابة لم تنل من قدرته الفذة على سرعة رد الفعل. ولم يلبث ان دعته الحاجة الى ابراز ذلك.

هم رجل بدخول المصرف، لكنه مال فجأة نحو مارزيانو بينما امتدت يده داخل سترته. فسارع الحارس الى امتشاق مسدسه ودهم المعتدي بطلقة غريزية وأسرع من البرق. في اللحظة التي صفرت رصاصة مرت بجوار اذنه، ثم القى بنفسه يحتمي بين سيارتين واقفتين الى جوار الرصيف. وكان هناك آنئذ ثلاثة رجال يطلقون عليه الرصاص باستمرار، فاخذ ايلاريو يرد على نارهم ردا منظما. ثم توقفت المعركة على النحو الذي بدأ به اطلاق الرصاص، وهرب مطلقو الرصاص الثلاثة. وقد وجد رجال الشرطة بعد ذلك عشرين ثقبا في السيارة التي احتمى بها ايلاريو فضلا عن الثقوب التي احدثتها اخرى في واجهة مبنى المصرف. لكن الناس الذين كانوا داخل المصرف - والمال الذي يحويه - ظلوا جميعا سالمين.

وقد تسبب تزايد الحاجة الى هذا النوع من الحماية، في رواج لا مثيل له في مهنة الامن الخاص في اوروبا حيث يعمل الآن قرابة نصف مليون في هذه المهنة التي تزيد القيمة الاجمالية لعملياتها على مليارين ونصف مليار من الدولارات سنويا والتي تضم في بعض البلاد عددا من الحراس بالبذلات النظامية يفوق عدد رجال الشرطة المحليين. وقد تشعبت المهمات المنوطة بحراس الامن الخصوصيين فاصبحوا يتولون الآن تفتيش الركاب والامتعة في

المطارات ويراقبون كل شيء، تقريبا، من مشروعات الاسكان ومباني المصانع الضخمة الى المنشآت النووية والاجهزة النفطية، بل ان الحكومات تستخدمهم لحراسة بعض المباني الرسمية والمنشآت العسكرية. فهناك، مثلا، عدد من رجال الامن الخاص يتولون الحراسة خارج بعض مباني الشرطة في مدينة لندن.

المهنة الأكثر رواجاً - وقد أبدى أحد مديري الامن الخاص ملاحظة ظريفة في شكل نكتة فقال: "ان المهنة الوحيدة التي تلقى رواجا اكثر من مهنتنا هي مهنة الاجرام". ففي العام ١٩٦٨، لم يتجاوز عدد حوادث السطو على المصارف في فرنسا الـ٩٢ حادثا طوال السنة، اما الآن فقد اصبح معدل السطو حادثين يوميا، وقد ازداد معدل جرائم السرقة في ايطاليا بنسبة ٦٠ في المئة تقريبا خلال اربع سنوات، بينما اوشكت جرائم الخطف ان تصبح امرا عاديا. وفي انكلترا تبلغ قيمة الخسائر اليومية بسبب سرقة البضائع من المحلات التجارية مليونين ونصف مليون من الجنيهات تقريبا يضاف الى ذلك كله ان حوادث الارهاب السياسية تزداد انتشارا في انحاء القارة.

والنتيجة هي ان الشرطة اصبحت غارقة في طوفان الجريمة الذي تجاوز قدرتها وان ثمة بضع مئات من مؤسسات الحماية الخاصة تعرض خدماتها لتوفير الحماية الاضافية اللازمة. وقد اثبتت افضل هذه المؤسسات كفاءاتها في مناسبات متكررة، فالمتاجر الكبيرة التي تستعين بها قد نجحت في التقليل، الى حد بعيد، من خسائرها، الناجمة عن السرقات في زحام الزبائن. كما ان الوفر الذي حققته الصناعة من جراء اتقاء الحرائق وحده يفوق كل حساب. بل ان بعض شركات التأمين يأبى اصدار بوالص التأمين ما لم يكن العميل متمتعا بحماية احدى مؤسسات الامن الخاص الموثوق بها.

خدمات النقل - ومن اهم انشطة هذه المؤسسات واكثرها رواجا نشاط لا يتصل بمراقبة المنشآت ولا بحراسة الاشخاص، وانما بخدمات النقل: نقل الاموال السائلة والسبائك وغيرها من الاشياء الثمينة. وعلى سبيل المثال، فان مؤسسة "سيكوريكور" في لندن - وهي من كبرى مؤسسات الحماية في اوروبا - تولت عام ١٩٧٧ نقل ما قيمته ٧٢ مليارا من الدولارات. وهي تجد نفسها - شأن زميلاتها - مشتبكة في نوع من التسابق التكنولوجي مع المجرمين. وتملك المؤسسة سيارة مصفحة ثمنها ٥٧ الف دولار تشتمل على نوافذ مزودة بزجاج مقاوم للرصاص سماكته ٢٩ ميلليمترا، وعلى زر للطوارئ يؤدي كهربائيا الى اغلاق جميع الابواب ووقف المحرك وادارة مراوح خاصة لمقاومة اي هجوم بالغازات. وهناك ثلاثة من الحراس يظلون محجوزين داخل مخزن النقود في السيارة، حتى اذا ما نجح اللصوص في الاستيلاء على السيارة بقي عليهم ان يواجهوا هؤلاء الحراس قبل استيلائهم على النقود. وداخل هذا الحصن المتحرك يظل رجالها الخمسة (اثنان منهم في قمرة القيادة، اضافة الى الحراس الثلاثة في مخزن الوقود) على اتصال لاسلكي دائم باحدى القواعد الـ ٢٧٠ التي

اقامتها مؤسسة "سيكوريكور" في انحاء البلاد.

وعلى رغم ذلك، فلم تتوقف الهجمات على السيارات المصفحة. فقد حدث، مثلا، على مشارف مدينة مرسيليا في فرنسا ان كانت احدى سيارات "الامان الاقصى" المصفحة تنقل ٧،١ مليون من الفرنكات (اربعمئة الف دولار او مئتين وخمسين الف جنيه مصري) من احد المحلات التجارية الكبرى الى مصرف في المدينة، فاصطدمت بها سيارة ضخمة اوقفتها ثم هاجمتها عصابة من المسلحين. وتحت وابل الرصاص تناثرت في زجاج السيارة الامامي نجوم بيضاء، حيث سقط الرصاص، لكن الزجاج ظل متماسكا فتقدم عندئذ احد اللصوص وهو يطوح مطرقة ضخمة محاولا تحطيمه. وهنا اسرع السائق ومعاونه ففتحا حاجزا من الصلب خلفهما وانسحبا الى مؤخر السيارة حيث انضما الى حارس ثالث كان يفرغ مسدسه في اتجاه اللصوص من خلال فتحات اطلاق الرصاص. الا ان هؤلاء فجروا شحنة ناسفة تحت الباب الصلب في مؤخر السيارة فاحدثوا ثقبا في الدروع، من دون ان يتأذى لحسن الحظ، احد من المدافعين الذين التصقوا بجدران حصنهم واستمروا يردون بالرصاص على نار العصابة المهاجمة حتى وصل رجال الشرطة.

مهمة خطرة – وبدهي ان هذا النوع من العمل بالغ الخطورة. فقد قتل مثلا ما يقرب من اثني عشر من حراس الامن في فرنسا في اثناء ادائهم عملهم خلال السنوات الاربع الاخيرة.

الا ان الكثير من عمليات المراقبة الامنية، كالاشراف الروتيني على سلامة المنازل والمحلات التجارية والمكاتب والمصانع يجري من دون ان يلفت النظر على الاطلاق. ولكي اعاين الامر على الطبيعة، توجهت الى مؤسسة "بيفا كننجز آب سيكوريتاس" الاسوجية وهي من ابرز المؤسسات المتعددة الجنسيات في مجال الخدمات الامنية، ولها فروع في ١٤ دولة.

والذي يزور غرفة العمليات الواقعة تحت الارض في مبنى مؤسسة "سيكوريتاس" في استوكهولم يرى مشهدا يذكره بمراكز مراقبة بعثات الفضاء. فهناك رجال بملابس بنية يجلسون امام منصة تربط بين المركز و ٤٠٠٠ نقطة انذار ضد الحريق والسطو في منطقة استوكهولم، وهناك آلات تدون سجلا مطبوعا لكل انذار. ويتلقى المركز ١٠٠ من هذه الانذارات في المتوسط كل ٢٤ ساعة. والى ذلك هناك اجهزة تسجيل على اشرطة تتحرك بموجات الصوت البشري وتسجل التقارير اللاسلكية التي ترد من رجال دوريات المؤسسة كل ساعة.

ومن وقت الى آخر تبرق اضواء ويصدر ازيز خافت ينذر بحدوث امر ما، فيتحرك على الفور احد رجال دوريات مواجهة المتاعب في المؤسسة، مثل هانز كلينجستروم، الذي يبلغ ٣٧ عاما، ويتناول مفاتيح المكان الذي انطلق منه الانذار وخريطته ثم يقفز الى سيارة لاسلكي، يصاحبه زميل او كلب مدرب، ويندفع بالسيارة الصاخبة الى الشارع. وحين يبلغ هانز موقع الانذار، قد يجد ان الانذار كان وهميا (كما هي الحال في

تسعة انذارات من كل عشرة)، لكنه قد يجد ايضا انبوبة منفجرة او نارا توشك على الانتشار او رجلا في يده سلاح!

وهذا ما حدث أخيرا بالفعل، عندما خرج هانز ومعه ويلي ثورسيل ليتحققا من انذار صادر عن مصرف يقع في الحي القديم في مدينة استوكهولم. فقد تبين هانز وجود خدوش حديثة على قاعدة نافذة في مستوى الشارع، ادرك منها ان احدا اقتحم النافذة منذ برهة. عندئذ تسلل الاثنان الى داخل المصرف، وسارا متحاشيين احداث اي صوت عبر ممر مظلم نحو ضوء ينبعث من باب نصف مفتوح. واخذ هانز نفسا عميقا ثم دفع الباب ففتحه.

كان هناك شابان منحنيان فوق احد ادراج الملفات، دارا على عقبيهما بعنف حين فتح الباب. وكان اطولهما يحمل في يده مفكا طويلا حادا، فقال هانز لزميله ويلي: "الافضل ان تتلفن للشرطة".

واذ كان ويلي يتراجع ليفعل ذلك، هجم الشاب حامل المفك في عنف قاتل فامسك هانز معصمه وتشبث به مستميتا. وعندما ظن انه لن يستطيع الاستمرار في المقاومة اكثر من ذلك، امتلأ الهواء امامه بأبخرة لاذعة وتراجع الشاب وهو يسعل مختنقا فقد عاد ويلي، واطلق في وجهه مسدس الغاز الذي يحمله. وفي لحظة وجيزة كان الشابان مقيدين بالاصفاد، وبعد دقائق وصل رجال الشرطة.

نظام مذهل — ومرة كل ١٤ ثانية، ينطلق الى العمل في مكان ما في اسوج واحد من الحراس الستة آلاف العاملين في مؤسسة "سيكوريتاس".

وهم تمكنوا خلال عام ١٩٧٧، من وقف ٤١٤٢١ محركا تركها اصحابها دائرة، واغلقوا ٧٠٩٦٤ نافذة واوصدوا ٢٦٦٤٦٨ بابا وبوابة واقفلوا ١٠٤٣٢ صنبورا للغاز وقبضوا على ٥٨٩ لصا وكل ذلك بفضل نظام فريد من شبكات الانذار يفوق التخيل.

وشأن اللص الذي يحاول ان يتخير مواقع خطواته وسط اجهزة انذار "سيكوريتاس" كشأن الذي يحاول عبور حقل الغام. فاذا افترضنا انه استطاع الافلات من شراك الرادار المعقدة، ولم تكتشفه احدى كاميرات التحكم البعيد التلفزيونية التي تبلغ من الحساسية درجة تتيح لها الرؤية في ضوء النجوم وحدها فلا مناص له من انطلاق الانذار بمجرد المرور عبر حجرة مليئة بموجات الراديو الدقيقة. واذا هو اشعل عود ثقاب كي يضيء مصباح الاقتحام الذي يحمله ينطلق انذار بمجرد استشعار الضوء. واذا استعرت نار مصباحه لقطع المعدن والاسمنت فقد يصطاده جهاز آخر حساس للذبذبات التي يولدها نار المصباح. واذا كان هذا لصا ذكيا ماهرا وخبيرا في تعطيل اجهزة الانذار، فان هناك بعد ذلك كله اجهزة اخرى تتحرك بمجرد مس اجهزة الانذار. وهي شبكات تصدر اشاراتها لدى توقف احد اجهزة الانذار في غير الوقت الملائم او في حال انعدام تحريك الجهاز أصلا.

وقد توسع نشاط مؤسسات الامن الخاص حتى امتد الى المجال العام. فقد شاهدت مدينة ميونيخ في المانيا الغربية مثلا، على اثر احداث شبكة المترو، تفاقما في الجرائم المرتكبة في انفاق المترو يبعث على القلق

الشديد، فلجأت السلطات هناك عام ١٩٧٥ الى خدمات مؤسسة خاصة، هي مؤسسة "تسيفيلر زيخرها يتسدينست"، للمحافظة على الامن في خطوط المترو. ويوضح بيتر انجلبريخت، مدير خطوط مواصلات ميونيخ، ذلك بقوله: "ليس لدى الشرطة عدد كاف من الرجال لتولي هذه المهمة الجديدة. وبدلا من ان ندرب من جانبنا رجالا يتخصصون في دوريات حفظ الامن في المترو، فقد رأينا ان هذا الحل ارخص بكثير".

ويرتدي حراس المترو هؤلاء بزات نظامية سوداء، ويحملون في الليل مسدسات خاصة من عيار ٣٨ ميلليمترا، تدربوا على اخراجها باسرع من لمح البصر، حتى اصبح يطلق على الواحد منهم اسم "الشريف الاسود". وقد اثارت اساليبهم الخشنة موجة من النقد خفف من حدتها التقدير الذي نشره النجاح الاكيد الذي احرزوه في مهمتهم. ويتساءل انجلبريخت: "هل لك ان تدلني على مكان آخر في العالم ترى فيه النساء اللائي يرتدين ملابس السهرة ويتحلين بالمجوهرات يركبن المترو ليلا عائدات الى بيوتهن من المسارح؟"

الحماية الفردية ــ ولعل ادق عمليات الامن كلها هي حماية الفرد. ومن انجح المعنيين بهذا العمل ضابط بريطاني سابق من ضباط المستعمرات يدعى جون فيرر سميث، يدير "مؤسسة امن استشارية" من مكاتب في لندن وكولونيا. وفي مقابل اجر كثيرا ما يتجاوز مئة الف دولار، وتتولى مؤسسة "آرجن لخدمات المعلومات" التابعة للسيد فيرر سميث تزويد الشركات المتعددة الجنسيات بمعلومات عن البلاد التي تحددها، تشمل تحليلا لاوضاعها السياسية والاقتصادية والامنية وخطة طوارىء للوقاية من الخطف وعمليات الارهاب، وتدابير طوارىء لترحيل العاملين بالطائرات خارج المنطقة في حال وقوع حرب او اندلاع ثورة.

وفي مقابل رسم اضافي مقداره ٥٠٠ دولار في اليوم، تقدم مؤسسة آرجن حارسا شخصيا، هو ضابط سابق في الجيش او الشرطة يتمتع بمهارة عالية في القتال الشخصي من دون سلاح وفي اصابة الهدف بالرصاص على السواء. ويقول فيرر سميث: "ان الصورة الشائعة عن الحارس الشخصي بتسميته "غوريلا" (قرد ضخم) هي صورة خاطئة تماما، فالعملاء الذين يرغبون في الحصول على هذه الخدمة هم اهل ذوق مرهف ومتطلبون".

وفي ايطاليا، تحتل مشكلة خطف الافراد مكانا بارزا من اهتمام كل مؤسسات الامن الرئيسية، مثل مؤسسة "مونديالبول" في مدينة تورينو. وقد كان احد الصناعيين الشبان، منذ عهد قريب، عائدا من عمله الى بيته في احدى ضواحي تورينو. وحين اصبح على بعد ١٠٠ متر فقط من مدخل بيته، شعر الدو، حارسه الشخصي الموفد من مؤسسة "مونديالبول" والذي يتبعه في سيارة لاسلكي، بان ثمة شيئا ينذر بالخطر. وكانت هناك سيارة ذات محرك قوي مقبلة بسرعة من الخلف، فادار الدو سيارته على الفور كي يقطع عليها الطريق، الا ان سيارة اخرى خرجت من شارع جانبي لتقطع الطريق على سيارة الصناعي.

وارتفع صراخ الفرامل بينما انزلقت السيارة المقتفية حتى توقفت بجانب نافذة القيادة لسيارة الدو تماما. ونظر الدو فرأى داخلها اربعة وجوه مقنعة، وكان الدو من جنود مظلات الهجوم، فالقى بنفسه للتو على بطنه فوق الكراسي الامامية لسيارته، واندفع زاحفاً فخرج من الباب البعيد عن مكان السائق، وانبطح على الرصيف، ورأى امامه سيارة العميل تنحرف فتقفز فوق الرصيف وتندفع دائرة حول السيارة التي تسد الطريق ثم تنطلق بعيدا. وفتح الدو النار لكن المجرمين ادركوا ان فريستهم قد افلتت فاداروا سيارتيهم واندفعوا هاربين وسط دوي احتكاك الاطارات الشقية. ولدى انطلاقهم، لم ينس المجرمون في سيارة الاقتفاء ان يودعوا الدو باطلاق وابل من الرصاص عليه وهم يبتعدون.

وانقضت ٢٤ ساعة قبل ان يستطيع الصناعي الشاب تهدئة اعصابه ومغادرة الفندق الذي اختبأ فيه. اما رجل "مونديالبول"، فلم يكن الامر كله بالنسبة اليه سوى قسط من عمله الذي يتقاضى اجره ليؤديه.

والسؤال الآن هو: كم سيطول ازدهار مهنة الامن الخاص؟

مدير احدى مؤسسات الامن الفرنسية هز كتفيه، واشار الى مكتبه: "كم سأظل محتاجا الى قفل لهذا الدرج؟"

وان الرد على ذلك، في هذا المجتمع المضطرب المتزايد التعقيد، هو: "لفترة طويلة حقا!".

■ كريستوفر ماتيوز



سرقة... منع السرقة!

أعاد المصرف الى صديق لي يملك متجرا للادوات الكهربائية، شيكا نقده اياه احد العملاء، باعتبار ان هذا الشيك كان مأخوذا من دفتر شيكات مسروق. وكان العميل اللص قد اعطى الشيك لصديقي ثمنا لجهازين لمنع السرقة.

ا.هـ.

فرنسا في منظار بريطاني

الفرنسيون، في نظر رئيس الوزراء البريطاني الاسبق هارولد ويلسون، غير منضبطين. ومن أقواله فيهم: "يبدو ان الفرنسيين عاجزون عن الاختيار بين النظام والحرية. فهم يحبون ان يتلقوا الاوامر، ولكن من اجل الا يطيعوها".

مجلة "هيريسون" - فرنسا

جمهور التلفون

يزعم دايفيد كارغو، حاكم ولاية نيومكسيكو السابق، ان تلفون مكتبه القانوني في البوكيركي كان يتعرض للتنصت بأجهزة الكترونية في الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٦. واضاف: "غير اني لم ابال بذلك. فقد واجهت في تلك الايام متاعب على اي حال في الحصول على جمهور يستمع الى خطاباتي".

الزائر الكريم فكرة خاطئة عني، فقد تحايلت بكل ما املك من حذق كي ارفس خلسة تحت الاريكة منفضة سجائر ممتلئة الى حافتها بالاعقاب التي خلفها اصدقائي من المسرفين في التدخين، وتمتمت بصوت عال اعرب عن دهشتي لوجود علبة ثقاب فوق الاريكة ثم فتحت النافذة ليتمكن ضيفي من التنفس بحرية.

الا انه بدلا من ان يتنفس راح يشهق، بينما عيناه تتواثبان يمينا ويسارا من زجاجة الصودا الفارغة الى صورة النساء شبه العاريات على روزنامة كان يوزعها احد مصانع البيرة ثم استوى في جلسة بمثل هيئة شرلوك هولمز، فجمع اطراف اصابع يديه بعضها الى البعض، واومأ برأسه مرات عدة، وجذب شحمة اذنه ثلاث مرات وكأنه يتخاطب بشيفرة سرية.

ثم احنى رأسه بزاوية ٤٥ درجة، واخذ يحاول تقييم الكتب المتناثرة على المنضدة. غير ان الكتب كانت كلها مكسوة باغلفة من الورق البني العادي، فاغمض عينيه وكأنه يرسم في مخيلته صورة لما ينتظر ان تحتويه من موضوعات اباحية.

وفجأة تبدلت هيئته، فاعتدل في جلستهوبدأ يتلو سلسلةنسبه بصوت جهير، بادئا بجده الاكبر ومسهبا في ذكر مختلف جذور اسرته العريقة وفروعها واوراقها، ومرصعا ذلك كله باسماء الاماكن المهيبة التي يعمل فيها اقرباؤه لكسب رزقهم.

انها الغربان – وحين انتهى من ذلك سكت وقد تسمرت عيناه على حافة النافذة، فمددت عنقي اتابع نظرته، ورأيت قشرة بيضة، فقلت في صوت خافت: "انها الغربان تلتقط كل انواع التفاهات وتلقيها هنا وهناك...".

فتنحنح الرجل ينظف حنجرته، ثم انطلق في غطة مستطيلة عن العادات الغذائية، اتضح منها ان جده كان شديد الانفة في طعامه وشرابه، يأبى ان يتقبل قطرة واحدة من الماء خارج جدران بيته الاربعة ثم عاد فالقى نظرة ماكرة على قشرة البيضة، واخذ يدافع في شدة وبلاغة عن قضية التزام الغذاء النباتي.

ولم ينقطع هذا السرد المستفيض الا بوصول ناندو المفاجيء.فقد دخل هذا الصبي البالغ الثالثة من العمر مندفعا كالعاصفة وهو عار تماما كما ولدته امه، وراح يثرثر: "بابا، بابا"، ولم يلبث ان تسلقني بسرعة القرد.

هنالك، تراخى فك الضيف كالنفق الضيق وتساقط لهول الصدمة، فتجمد الضيف في مكانه دقيقة كاملة بفمه المفتوح على سعته ووجهه المتقلب بملامح الانفعال والتساؤل: اعقاب سجائر لا تحصى. وروزنامة بنساء شبه عاريات يعلن عن الخمور والمرح الصاخب. وكتب دعارية. وقشور بيض. ثم – ويا للهول – ابن عار!

هبّ الرجل واقفاً، وصعقني بنظرة نارية، ثم اختفى في غمار الشمس اللاهبة.

وامكست بالقرد الصغير الذي تسلقني وانزلته برفق، وعبثت بشعره المتشعث. ولطالما كنت حذرت ابن الجيران وانبته كي لا ينادي اي رجل يراه بلقب: "بابا"، وهو اول كلمة تعلمها. غير انني في هذه المرة رأيت ان اكافئه بقطعة من الحلوى.

■ **ج.س. راجهافان**

٦ خطوات وتنفتح أمامك أبوابُ النجاح

ان القواعد الاساسية الفعالة الآتية التي خبرها الناجحون في كل مكان تعينك على تنظيم اوقاتك وانجاز اغراضك ·

□ **الخطوة الاولى: اصقل طاقتك ونشاطك**

اولى قواعد النجاح هي ان تتوافر لديك الطاقة وان تمتلك النشاط اللازم · ومن اهم الامور ان تعرف كيف تركز طاقتك، وكيف ترعاها وتوجهها · ولكنك قبل ان تفعل ذلك يجب ان تمتلكها، ومن الغريب ان يكون كثيرون يفتقرون الى ذلك ·

ولعل افضل السبل لتنمية الطاقة هو ما يأتي: قسم يومك اصغر اجزاء زمنية ممكنة، واعتبر كل جزء منها كوحدة مستقلة لها قيمتها في ذاتها · وحين تقسم عملك وحدات مجزأة، يمكنك ان تنصرف بكليتك الى كل وحدة لتنتهي منها، ثم تنقل الى التي تليها، فيتيح لك ذلك فرصة التغيير في معدل السرعة ونمط التقدم، واحساسا متجددا بالايجاز ·

لقد ظللت سنوات طويلة ابدأ ايام عملي في حال من القلق والاتقاد · ولم اكد اصل الى مكتبي لاجده قد ازدحم قبل وصولي بالرسائل والوثائق البريدية، بينما تدق اجراس التلفونات ويتضخم عدد المنتظرين مقابلتي · ولا تكاد الساعة تبلغ الحادية عشرة حتى يتملكني الارهاق والتوتر ويغلب علي الامتعاض من نفسي لعدم تمكني طوال ساعتين كاملتين من ان اتم عملا واحدا ·

وفي النهاية، قررت ان ابدأ النهار بانجاز شيءما، مهما كان بسيطا، فعقدت العزم على قضاء الساعة الاولى في الرد على البريد، من دون ان ارد على المكالمات التلفونية او ان اقابل اي شخص · وعالجت البريد وكأنه شريحة مستقلة من العمل، مهمة

ولكنها محدودة. وبعد انتهائي من قراءته، والرد عليه واتخاذ ما تتطلبه الحال من اجراءات والتخلص منه باكمله، كنت "اكافىء" نفسي بفنجان من القهوة نظير ما انهيته من عمل محدد، ثم اخرج لاتمشى حول المكتب.

ولم يمض وقت طويل حتى وجدتني اتطلع الى ساعتي الاولى هذه، لانها كانت تعطيني احساسا بالتصميم والانجاز، وتتيح لي ان اوجه طاقتي الى مهمة محددة، بدلا من تركها تتبعثر وتتزايل في بداية اليوم بسبب عدم تركيزها على اي شيء بعينه.

□ **الخطوة الثانية: سيطر على الكسل**

كثيرون منا يصابون بالفشل بسبب التواني في اداء المهمات الصعبة التي تكسبنا اعتراف الاخرين بقدراتنا. ولا يعود هذا التواني الا الى مجرد الكسل البسيط الذي يولد فينا نوعا من الخمول الدائم اذا ما اجزنا له ان يضرب جذوره في نفوسنا. والحيلة الناجعة هنا هي ان نستخدم هذا الكسل لكي نتحول به من صفته السلبية الى عنصر دعمي ايجابي.

فاعتبر، مثلا، ان امامك مهمة ضخمة يستغرق انجازها ساعات عدة. عد نفسك بانك حالما تنتهي منها ستستطيع العودة الى التكاسل، واقنع نفسك بان الشيء الوحيد الذي يحول دونك واستمتاعك بكسلك هو هذه المهمة بالذات، ثم اهجم عليها وكأنها العدو اللدود، وانقض عليها وانتزعها من سبيلك، ثم كافىء نفسك بفترة من الكسل تكون آنئذ قد استحققتها عن جدارة.

وبعد ان تنمي قدرة التغلب على نفسك واستغلال كامل طاقتك لفترة قصيرة، لن تلبث ان تجد نفسك قادرا على الاستمرار في ذلك لفترات أطول. فالسر هنا يكمن في ان تبدأ اولا بايجاد الصلة بينك وبين طاقتك. وما ان يحدث ذلك حتى تكتشف فيها كنزا لا يفنى ومعينا لا ينضب.

واياك ان تنسى انك اذا ما بدأت عملا فلا بد لك ان تكمله. فالطاقة تتغذى من ثمرات الانجاز، وتذبل وتتلاشى بالتباطؤ والتراخي.

□ **الخطوة الثالثة: كن على سجيتك**

كثيرا ما يقضي الناس ايامهم في صراع مميت مع عاداتهم الطبيعية وانماط سلوكهم الفطرية، وهو امر لا يعادله شيء في افساد الطاقة الانتاجية. فاذا لم تكن من هواة العمل في الصباح، فلا تثقل كاهلك بالمهمات الصعبة في بداية اليوم؛ واما اذا كنت ممن يحبون النوم مبكرا في المساء والتبكير في النهوض صباحا، فباشر يومك بانجاز المهمات الصعبة.

واذا كان نشاطك خاضعا للعمل الروتيني، فاجعل لنفسك نمطا روتينيا تقوى على مسايرته والاستمتاع به، على ان تستوثق من انه يضمن لك مقدارا من التغيير في سرعة انطلاقك من وقت الى آخر، دفعا للملل. ومن الطبيعي ان تضطر احيانا الى بعض التنازلات، ولكن لا يغيبن عن بالك انك كلما انفقت مزيدا من الطاقة في مقاومة ميولك الطبيعية، كلما قل ما يتوافر منها لديك كي تبذله في عملك وتسخره لاهدافك.

☐ **الخطوة الرابعة: قاطع الضجر**

لا شيء يضاهي الضجر في استنزاف الطاقة: فاذا ما وجدت نفسك تنزلق الى مهاوي الضجر التي تحد من طاقتك، جرب ما يأتي:

- راهن نفسك على انك تستطيع انجاز ما عليك ان تنجزه قبل نهاية اليوم، وكافىء نفسك حين تنجح.
- حدد لنفسك هدفا رئيسيا واحدا في اليوم، وانجزه، مهما كانت الاشياء الاخرى التي تضطر الى اهمالها.
- اجعل لك في كل اسبوع يوما "لانجاز الامور المتعلقة"، كي يتسنى لك في الايام الاخرى ان تضع جانبا معظم الامور الصغيرة التي تضايقك، لتنجزها في ذلك اليوم.
- حدد لنفسك مهلة لانجاز كل عمل يتولاه. فمعظم الناس يتمكنون من تركيز هممهم على نحو اوفى حين يضعون نصب اعينهم حدا اقصى للانجاز.
- لا تعتبر كل يوم انه امتداد لليوم السابق، بحيث تتيح لنفسك ان ترجىء الى الغد ما لا تنجزه اليوم. فالناجحون يخططون حياتهم على اساس انها سلسلة من الايام الناجحة. والانجازات المحددة المتتابعة، وان لمن شأن هذا التوالي الملح ان يبعث طبيعيا على مضاعفة قوة التركيز. فتعلم اذا ان تفكر في يومك باعتباره وحدة حيوية مستقلة من الزمن. واحكم على ادائك بما انجزته اليوم، وليس بالامس ولا في الغد.

☐ **الخطوة الخامسة: احفز ذاكرتك**

اذا شئت النجاح، فلا يمكنك ان تجازف بنسيان الامور. غير ان من الاهدار لقدرة ذاكرتك ان ترهقها بما يسهل عليك تدوينه. فتحول اذا الى كاتب قوائم، اذ ان كثيرا من الناجحين يتميزون باهتمامهم الدائم بتدوين ما عليهم ان يتذكروه من الاشياء.

ومن الحيل الاخرى التي تساعدك على تذكر الاشياء هي ان تهتم بها. واذا كان الناجحون يتميزون بقوة ذاكرتهم، فان ذلك يرجع الى انهم يستغرقون تماما في ما يفعلونه، فلا يجدون اي صعوبة في تذكر ما يهمهم من الوقائع والارقام والاسماء. الا انه لما كانت الضرورة لا تدعو الى تذكر كل شيء، فان اول ما يقتضي عليك هو ان تحدد ما هو المهم لديك بالفعل، وان تضع اولوياتك تبعا لذلك.

☐ **الخطوة السادسة: استهلم الاحلام**

يقولون ان من الخطأ التفكير في الماضي. ولكن الحقيقة هي ان الناجحين هم عادة اولئك الذين يفكرون في اخطائهم ويتعلمون منها. فاذا ما انتابك الفشل في شيء، واجه النتائج وابذل كل جهد تستطيعه لتدارك الامر، ثم فكر في طريقة حدوثها وكيف يمكن درؤها في المستقبل.

وكثيرا ما يقر الناجحون ايضا بانهم غالبا ما يحلمون بأعين مفتوحة في النهار وانهم يستوحون من احلام اليقظة الاهداف المعينة التي يرمون اليها. فاستفد من احلام يقظتك، واستمتع بها، واجعلها احلاما بناءة بربطك اياها بالاهداف التي تتوخاها.

■ مايكل كوردا

هل بدّلت المرأة عقليّة الرّجل؟

لقد أفضت جهود الحركات النسائية الى حمل عدد من الرجال على اعادة النظر في اولوياتهم، وتصورهم للنجاح، ومفهومهم لانفسهم، كأزواج مطلقي الصلاحية. وكانت النتيجة حتى الآن: الشعور بالاسى والفوضى، مع نفاذ البصيرة في بعض الاحيان.

كان من الممكن، يوما، تعريف الرجل بما يتمتع به من مزايا. فهو بحكم تفوقه الجسدي على المرأة وصلابته النفسية كأنما خلق ليسيطر. فالرجل كان دائما هو الصياد والمحارب وباني الجسور وواضع الشرائع والقوانين والسيد الآمر على مائدة الطعام، والمهيمن المتسلط في غرفة النوم. وكان يكد لاعالة اسرته، ويعود الى بيته ليجد في انتظاره طعاما ساخنا وزوجة مسايرة ولينة العريكة. وكان يتصرف على سجيته مع اقرانه الرياضيين في النوادي المقصورة على الرجال، حيث لكل درجه الخاص للاحتفاظ بملابسه وادواته. ومع هذا، كان الرجل يشكو أكثر من المرأة من أمراض القلب والقرحة ومغبات ادمان الكحول، بل وكان يسبق المرأة الى الضريح.

كان الرجل يدرك دائماً انه يعيش في ما يشبه الغاب. وبالتالي فقد كان من شأن الثورة الثقافية الامريكية التي شهدتها الستينات وما صاحبها من انتقادات لاسلوب الحياة العملية، انها حفزت كثيراً من الرجال على التساؤل عما اذا كانت تلك الحياة تستحق ما يعانون من شقاء. بيد ان تحرر المرأة قد كشف النقاب عن ان هذا الشقاء يرجع امره في غالبيته، الى واجب الرجل بان يتصرف كرجل. ومنذ ذلك الحين اصبح عدد كبير من الرجال يدركون – اسوة بالنساء– ان

الدور الملقى على عاتقهم هو بمثابة النير في اعناقهم بحكم التزامهم باثبات قدرتهم على الانجاز والعطاء لسد حاجات اسرهم. ومن ثم بدأ الرجال يعيدون النظر في اولوياتهم وفي تصورهم للنجاح من جهة ولانفسهم كأزواج مطلقي السلطة وقادرين على كل شيء، من جهة اخرى.

ولعل مجرد وجود النساء باعداد متزايدة في اوساط العمل كان كافيا لحمل الرجال على اعادة النظر في آرائهم الجنسية النمطية. فقد نجم عن انخراط المرأة في العمل ان راتبها صار يكفل للزوج الاقلال من عمله والاكثار من التفكير في نوعية الحياة، مما جعل الرجال يبدون بعض الاهتمام بمشاركة زوجاتهم العاملات في الاعمال المنزلية. كما اصبحوا اكثر اهتماما ايضا بدورهم كآباء، وأكثر تأكيدا لحقوقهم الابوية في قضايا الطلاق وأصبحوا كذلك أكثر قابلية للتعبير عن بعض المشاعر التي كانت مستنكرة من قبل باعتبارها "انثوية"، كالخوف والبكاء في حضور الآخرين.

بيد ان هذا التحول في مواقف الذكور الامريكيين لم يكتسب ابعادا خارقة. فهو لا يتعدى، على ما يبدو، اوساط الشباب المثقفين بين العشرين والاربعين من العمر، وهم اسرع الفئات استجابة للتيارات الاجتماعية الجديدة. اما غالبية الرجال الاكبر سنا، فيستبعد ان يكون قد تغير شيء من آرائهم حول دور كل من الرجل والمرأة. كما ان رياح التغيير لم تهب بعد على المجتمعات العمالية المتواضعة، ولا سيما فئات العمال اليدويين ذوي الياقات الزرق، حيث تشتغل الزوجات منذ سنوات لمجرد المساعدة في اعالة الاسرة، وحيث يعتبر بيت الرجل مهما كان متواضعا، حصنه المنيع.

التحدي الاول - وقد جاء اول تحد سافر لسيادة الرجل مع التيار الثقافي المضاد الذي برز في الولايات المتحدة الامريكية في الستينات بظهور "الهيبيين" وغيرهم من الفتيان الساخطين ممن حملوا زهرة كشعار للحب، فكانوا بمثابة النابذ المتعمد لنموذج الرجل العملي الطامح الى النجاح الاجتماعي. كما ان الصراحة الجنسية الجديدة كانت بمثابة استهزاء بمعايير انثوية متوارثة. وكان المحتجون على حرب فيتنام والمتهربون من التجنيد يكيلون الوان الازدراء للحرب باعتبارها، على مر التاريخ، ميدان اختبار الرجولة. واخيرا، تمردت المرأة نفسها على الدور الذي فرض عليها وظلت حبيسة له بحكم التاريخ.

ولئن كان عدد كبير من الرجال لا يزال يصعب عليه الاقرار بحاجته الى تلطيف اعباء "الرجولة"، ولا يستطيع مجرد التعبير عن المحنة التي تنتابه من جراء ذلك، الا ان البعض الآخر قد شرع فعلا في اتخاذ عدد من المواقف العملية في هذا الصدد. ويتضح هذا التغيير باجلى صوره في عالم العمل، اذ يقول خبراء التوظيف وغيرهم من المسؤولين في الشركات انه بات من الصعب العثور على ذلك الصنف الذي كان متوافرا في الماضي من الرجال الطموحين، المكبين على العمل، المستعدين للانتقال من وظيفة الى اخرى افضل منها. ويقول احد

اختصاصيي شؤون المستخدمين: "قد يكون الموظف مخلصا للشركة كذي قبل، ولكنه يريد الآن مزيدا من التوازن في ما يتعلق بوقت فراغه وحياته العائلية ونشاطه الاجتماعي".

كذلك اصبح الرجال يعزفون عن التنقلات واسفار العمل خارج المدن. فمنذ عشر سنين كان المدير الشاب الذي لديه اقل من ثلاثة اطفال وزوجة اسيرة، لا يمتنع عن الذهاب الى اي مكان وفي اي وقت، في سبيل الترقي. وانما تبين من استقصاء اجرته حديثا مؤسسة "اطلس فان لاينز" في ٧٨٥ شركة، وردت اجوبة من ٥٥٣ شركة ان بعض الموظفين في ٧١ في المئة من هذه الشركات يرفض التنقل، وان هذه النسبة هي ضعفي ما كانت في ١٩٧٣.

ومن اسباب هذا التأبي زيادة نسبة الزوجات اللواتي اصبحن يطالبن بالمشاركة في اتخاذ قرار الانتقال. وكثيرا ما تعزى معارضة الزوجة بهذه الصورة الجديدة الى انها تشغل هي ايضا وظيفة تحول دون انتقالها. وقد تبين من احدى الدراسات انه على رغم ان مرتب الزوج لا يزال هو العامل الاساسي في تحديد مستوى معيشة الاسرة، الا ان النسبة العلاقية داخل الاسرة بين مرتبي الزوج والزوجة ربما كانت في تعادل.

آباء حقيقيون — ومع تزايد نزوع الرجال الى قضاء اوقات فراغهم في بيوتهم، تزايد ايضا اهتمامهم بشؤون اطفالهم، بل هم اصبحوا يرتاحون لذلك. وقد شهدت العيادات النسائية زيادة هائلة في عدد الرجال الذين يزورونها. كما اصبح الآباء يعنون بتغيير اقمطة اطفالهم الرضّع من دون ان تترتب على ذلك زيادة محسوسة في معدل وخز الاطفال بالدبابيس، وتزايدت كذلك مشاركتهم في تربية اطفالهم مع نموهم عاما بعد عام.

وحتى عندما تتفكك عرى الاسرة، فان الرجال يظلون مصرين على حقوقهم الابوية. وقد جرت، منذ ١٩٧٠، سلسلة من التحديات المهمة ازاء الادعاء القانوني القائل بان حضانة الاطفال تعود تلقائيا الى الأم. وقد عمدت ١٥ ولاية امريكية حتى الآن الى اصدار قوانين تعتبر الوالدين على قدم المساواة في ما يتعلق بالحق في حضانة الاطفال.

غير ان السمة البارزة التي تميزت بها السبعينات، ربما كانت شيوع الزواج على اساس "المناصفة"، ومعظمها بين الشباب، حيث تمارس المرأة حريتها وتطبق في البيت قواعد المساواة كما هي الحال في عنابر النوم في المدارس الداخلية. ومن الامثلة على ذلك غريغ اندرسون وزوجته كارين، وكلاهما في اواخر العقد الثاني من العمر، وهما يتناوبان في مراعاة احدهما مصالح الآخر منذ التقائهما كطالبين في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وهما انتقلا الى شيكاغو عندما قُبل غريغ في كلية الحقوق هناك، مما حرم كارين العمل كصحافية متفرغة في ميامي. ثم ضحى غريغ بدوره بوظيفته في شركة للمحاماة عندما انتقلا الى نيويورك بعدما عرضت على كارين وظيفة في مقر مجلة "بيزنس ويك". وانهما يريان في هذه المرونة باعثا على هناء الحياة المنزلية. ويقول غريغ: "عندما تزوجت كنت

ادرك تماماً ان من المتوقع في عصرنا هذا ان يكون لكارين مستقبلها الوظيفي وان تشارك هي في اتخاذ كل القرارات التي تهمنا معا".

ومن المحتمل، على الأمد الطويل، ان يتغير البنيان الاجتماعي نفسه تبعا للتغير في وظائف كلا الجنسين: ومن الملحوظ ان هناك تغيرات جذرية قد تحققت بالفعل في العلاقة بين الرجل والمرأة سواء في العمل او في البيت. الا ان هذا التحول يسبب نوعا من التشويش، ولا سيما بين الرجال الذين بلغوا سن الرجولة الكاملة قبل ان تتغير الادعاءات التقليدية حول تفوق الرجل. وعلى رغم تغير مفاهيم "الذكورة"، فان وسائل الثقافة الشعبية قلما تتكشف عن رسم دور نموذجي للذكر الحساس المنفتح. فالسينما والتلفزيون وفنون الدعاية لا تزال تؤكد على فكرة الذكر المهيمن. وهي قد تظهر الرجل مظهر الضعف احيانا، لكنها قلما تظهره مظهر الانسان الذي يمكن التغلب عليه.

من هنا اصبح كثير من الرجال قلقين، يؤرقهم التفكير في ما عسى ان يكون دورهم في المجتمع. والنساء يزدن من حدة هذا الارتباك. فقد تبين من استقصاء اجري عام ١٩٧٧ في انحاء الولايات المتحدة الامريكية ان معظم النساء يفضلن ان يكون ازواجهن لطفاء المعشر، متفاهمين معهن، ولكنهن في الوقت نفسه يعجبن بمظاهر الرجولة العادية، بما في ذلك النجاح في العمل.

ولما كانت كثرة من المعايير الثقافية الشائعة لا تزال تحمل الرجل على الاعتقاد بان النجاح في الانجاز يتطلب الفظاظة والصرامة، فالرجل لا يزال يعتبر بالتالي ان العمل هو سجيته الرئيسية. غير ان الرجل بدأ يسمع الآن ان النجاح في العمل لا يكفي وحده، بل يجب عليه ايضا ان ينجح في الاسرة. وهنا يجد الرجل نفسه في مواجهة ازمة مزدوجة قد يستحيل معها النجاح في الاسرة وفي العمل على السواء.

ويبدو اجمالا ان معظم الرجال الامريكيين لا ينجحون تماماً في معالجة المشكلات الناجمة عن تحرر المرأة، بغض النظر عن تمسك بعضهم بآداب اللياقة ازاء المرأة. ذلك ان ميلهم الغريزي الى السيطرة يتغلب عليهم في محاولتهم ان يتكيفوا مع القواعد الجديدة. لذلك، فان بعض علماء الاجتماع يتوقعون ان ينشب تدريجاً صراع اجتماعي تقليدي يبلغ ذروته عندما تصبح المرأة على قدم المساواة تقريبا مع الرجل في اماكن العمل، فيما يجد الرجل ان مكانته التقليدية في العمل والبيت تتقلص باستمرار.

ولتحاشي هذا الصراع يرى جون ديموس، استاذ التاريخ في جامعة برانديس، انه من الضروري اجراء تغيرات جذرية في نظم العمل ذاتها يخفض معها اصحاب الاعمال المتطلبات المفروضة على مستخدميهم كيما يتيحوا لهم، رجالا ونساء، الفرصة لحياة متوازنة.

ويكاد يجمع الخبراء، على رغم اختلاف وجهات نظرهم حول التفاصيل، على ان ثمة تغيرا في دور كل من الرجل والمرأة. فمن المؤكد ان النساء بدأن يتمردن على اسلوب حياتهن، وربما كان الرجال يجتازون الآن مرحلة انتقالية. فالتغيرات في

عقلية المرأة قد تكون لها اهميتها، لان الالفاظ لا بد ان تؤثر اخيرا على الواقع. واذا كان الرجال قد بدأوا هم ايضا التمرد، فان لهذا ما يبرره. وربما كان على المرأة ان تتراجع قليلا كي تتيح للرجل الفرصة والشروط الملائمة للاعتراف بالتغير العميق الذي طرأ على تصوره لمكانته في المجتمع.

وقد يستغرق هذا جيلا باكمله. لانه، على رغم ان الشبان لا يزالون متأثرين ببعض الافكار والدوافع الناجمة عن الاسطورة المتوارثة لتفوق الرجل، فهم يعرفون انهم مختلفون عن آبائهم. ومثال ذلك رافائيل سواريز، المتخرج في جامعة نيويورك: فهو يعترف بانه اكثر انشغالا من زوجته بمستقبله الوظيفي وبالاثراء. ولكنه يضيف قائلا: "ليس من مصلحة الرجل التمسك بصورة الرجل التقليدية وما يواكبها من ضغوط، بل الافضل له ان يكون انساناً اولا".

واما هذه النظرية البسيطة بالفعل، فقد راودت اجيالا من الرجال المثقلين باعباء العمل في الماضي. لكن كان لا بد من حلول هذا العصر المتميز بالثورة على المفاهيم القديمة لكي يعبروا عنها ويفكروا في تطبيقها دون التخوف من ان ينال ذلك من رجولتهم.



ان العون الذي يمكن ان يلقاه الرجل من زوجة طيبة لا يماثله شيء آخر في الدنيا. ومن هنا يأتي تفوقنا على النساء : فنحن نستطيع الحصول على زوجة طيبة، اما النساء فلا يستطعن".

الدكتور وايلدر بنفيلد

قالت الشابة لصديقتها : "ان حبيبي كاتب".
فسألتها الصديقة: "وهل باع شيئا ؟"
فردت: "بالتأكيد. كل مجوهراتي!"

(صحيفة "شتيرن" - المانيا)

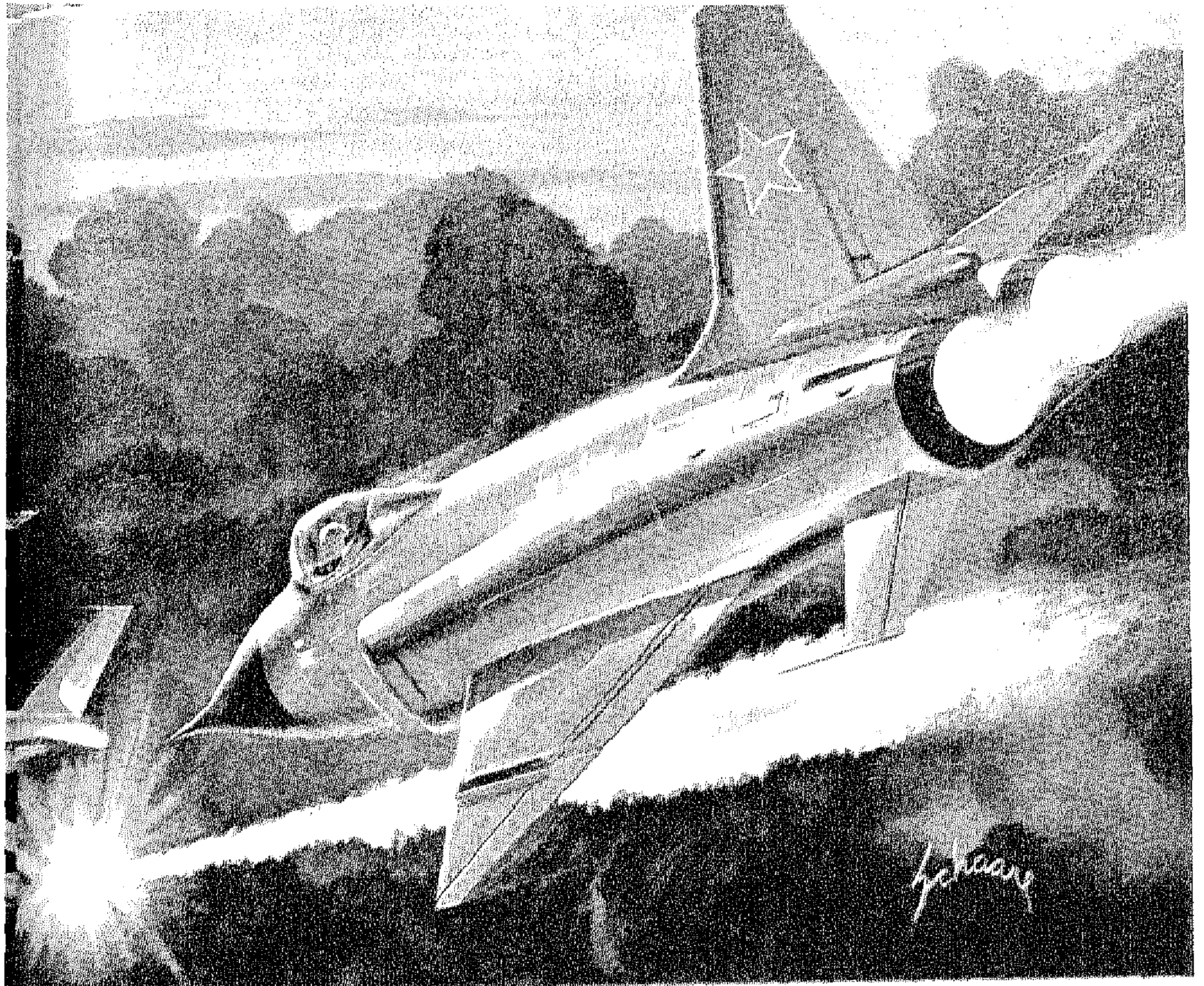
قالت ربة البيت شاكية: "كل هذه الاضرابات في المدارس شيء مؤسف. في يوم يضرب الآباء، وفي اليوم التالي يضرب المدرسون، ثم موظفو المدرسة. على اي حال، ما دام الأولاد يظلون الآن في البيت طوال الوقت، فأن الاضرابات لم تعد قائمة في الجامعات، وانما هي اصبحت عندي هنا في المنزل".

منطق...!

وقفت ام وابنتها الصغيرة تنظران بقلق وسط الزحام في احد الاحياء التجارية في لندن، واخيرا قالت الطفلة: "يا الهي... لقد تهنا يا اماه!"

فردت الام بحزم: "كلا يا حبيبتي. نحن لسنا تائهين. نحن هنا. ابوك هو الذي تاه!"

("التايمس" - لندن)



الطائرة التي أُسقِطت فوق القطب

المغامرة السرية للرحلة الجوية الرقم ٩٠٢

كانت طائرة الركاب النفاثة
المتجهة الى كوريا
قد انحرفت - بطريقة ما -
عن مسارها الصحيح
بما يزيد على ١٠٠ درجة،
مندفعة على الفور
داخل المجال الجوي السوفييتي.
وكان رد موسكو سريعاً وعنيفاً.



في الساعة ١٢ والدقيقة ٣٩ بعد ظهر يوم ٢١ ابريل (نيسان) ١٩٧٨، اقلعت من مطار اورلي في باريس الطائرة الرقم ٩٠٢ التابعة للخطوط الجوية الكورية، متجهة الى مدينة سيول عبر القطب الشمالي، وكان على متنها ٩٧ راكبا من اليابانيين والكوريين والفرنسيين والبريطانيين والالمان الغربيين والصينيين، اضافة الى طاقم الطائرة المؤلف من ١٣ شخصا. وكانت الرحلات الجوية عبر القطب تعتبر في ما مضى حافلة بالاخطار، الا انها قد اصبحت في السنوات الاخيرة امرا عاديا، بل وروتينيا. وكان قائد الطائرة الرقم ٩٠٢، الكابتن كيم تشانج - كيو البالغ من العمر ٤٦ سنة قد طار عبر القطب أكثر من ٣٠ مرة من دون اي حادث، كما كان ملاح الطائرة لي - كون شيك (٤٦ سنة) قطع الطريق ذاتها اكثر من ٧٠ مرة.

غير انه مهما كانت خبرة الطاقم الجوي، فأن الظروف الغريبة الخاصة التي تحيط بالطيران عبر سقف العالم تجعل من الملاحة فوقه امرا لا يخلو من المفاجآت الشاذة. فالخرائط تكاد تكون عديمة الجدوى، اذ انه من ارتفاع ١٠٥٠٠ متر يبدو المحيط القطبي مجرد مساحة شاسعة من الثلوج من دون ملامح مميزة على الاطلاق، وكأنه ملاءة بيضاء خرجت لتوها من يد الكوّاء. كما ان اي نقطة على سطح الارض تحت الطائرة تتحرك بمقدار ١٥ درجة تقريبا في الساعة، نظرا الى سرعة دوران الارض. وهذا ما يستلزم الاعتماد الكامل المستديم على العدادات والاجهزة ومراجعتها فضلا عن طول الوقت.

ومعظم طائرات الركاب التي تجتاز القطب اصبحت اليوم مزودة بشبكات الملاحة الجوية الدولية، وهي ادمغة الكترونية متصلة بجيروسكوب من احدث النماذج وتغذيها باستمرار المعلومات الصادرة تباعا عن محطات الرادار والمستقاة من العمليات المتواصلة لرصد مواقع الشمس والقمر والنجوم. لكن الطائرة الرقم ٩٠٢، وهي بوينغ ٧٠٧ يبلغ عمرها احد عشر عاما، لم تكن مزودة بدماغ الكتروني من هذا النوع، بل بشبكة "دوبلر" القديمة العهد للملاحة الجوية التي تضطر الملاح الى مراجعة مواقع الشمس او النجوم مرة على الاقل كل

١٠ او ١٥ دقيقة، ثم يضبط على هذا الاساس جهاز الجيروسكوب الذي يحدد اتجاه الطائرة·

خطأ فادح ـ ومضى كل شيء طبيعيا في الطائرة ٩٠٢ طوال الساعتين او الثلاث الساعات الأولى بعد مغادرتها باريس، ثم واجهت الطائرة اول مشكلة اعترضتها لدى اقترابها من جزيرة ايسلندا، بسبب "الظروف الجوية" التي حالت دون اتصال الكابتن كيم بمحطة مراقبة حركة الطيران في ريكيافيك في ايسلندا لاطلاعها على موقعه· ولذلك فقد اتصل في قرابة الخامسة بعد الظهر بالمحطة الارضية التالية في ارخبيل سبيتزبيرغن الواقع في المحيط المتجمد على بعد ٦٥٠ كيلومترا من الرأس الشمالي لنروج، وابلغها انه يمر وراء الساحل الغربي لغرينلاند وطلب اشعار محطة ريكيافيك بذلك· غير ان محطة سبيتزبيرغن لم ترد بانها تلقت الرسالة·

وفي تلك اللحظة، كان المفروض، حسبما جاء في تقرير الكابتن كيم، ان تتجد الطائرة ٩٠٢ الى المجال الجوي الكندي· غير انها بدلا من ان تطير نحو الغرب قد انحرفت ـ بسبب خطأ لعله افدح اخطاء الملاحة الجوية في تاريخ الطيران الحديث ـ ودارت دورة مقدارها ١١٢ درجة كاملة، فأصبح اتجاهها الفعلي الجنوب الشرقي، في اتجاه الاتحاد السوفييتي مباشرة!

وقد صرحت المصادر غير الرسمية في موسكو، ان اول تحديد راداري للنفاثة الكورية قد تم بواسطة محطات تقع قرب فرانز جوزف لاند، وهي مجموعة جزر سوفييتية شمال خط العرض ٨٠، على مسافة ١١٠٠ كيلومتر من ميناء مورمانسك· وتقول هذه المصادر ان حيرة الروس المتزايدة جعلتهم يوجهون استفساراتهم الى الطائرة "على كل ذبذبة راديو تجارية متاحة"، ولكنهم يؤكدون باصرار انهم لم يتلقوا اي رد، فأخطروا بذلك الجهات المسؤولة في موسكو·

"هناك خطأ ما!" ـ كانت الطائرة تنقل جماعة من عمال البناء الكوريين، عائدين الى بلادهم من الغابون في غرب افريقيا حيث كانوا يعملون في احد المشاريع، وكانوا يطلبون مزيدا من البيرة والويسكي· وكان هناك ايضا اثنان من اصحاب مصانع الاقمشة البريطانيين ـ هما بنسون كوهين ووليم هوارد ـ يترددان بين النعاس حينا والثرثرة حينا آخر، والقراءة حينا ثالثا· ونظر هوارد الى ساعته ليحسب الوقت الباقي لكي تحط الطائرة فترة قصيرة في مدينة انكوريدج في ألاسكا، فتتيح له ولزميله تحريك سيقانهما التي آلمها التشنج بسبب الجلوس الطويل· وقال: "اظن اننا سنبدأ الهبوط عما قليل"·

اما سايكو شيوزاكي، الطالبة اليابانية التي تدرس الانكليزية، فقد لكزت بمرفقها خطيبها الناعس الى جوارها الفنان موتو ـ اويوتا للفته الى منظر الشمس وهي تسطع بروعة الالوان الذهبية والحمراء والرمادية فوق الافق الثلجي، مباشرة الى يمين الطائرة· ولفتت الشمس كذلك كينيو اوهتاني، وهو صاحب متجر لاجهزة التصوير في طوكيو، فقال لزوجته: "هناك خطأ ما، لان الشمس على الجانب غير المألوف من الطائرة"·

وفي الوقت نفسه تقريبا، شعر

الكابتن كيم ايضا بان هناك خطأ ما بالنظر الى موقع الشمس من الطائرة، ثم بدأ رادار الطائرة يشير الى الجزر العائمة في البحر، فقال للملاح لي: "تحقق من موقعنا!". لكن الوقت كان قد فات...

انفجار يصم الاذان ـ لعل هان يونغ ـ تشون، العامل الفني الكوري في اجهزة تكييف الهواء، كان اول من رأى الطائرة المقاتلة، واخذ يرشف قدحا من الويسكي وهو يرقب في هدوء طائرة بدا جناحاها على هيئة مثلث وانف كالابرة الطويلة وهي تصعد في اتجاه طائرة الركاب، ثم حاذتها على مسافة ١٠٠ متر تقريبا من طرف الجناح الايمن للبوينغ. ومع ان معظم الركاب رأوا طائرة مقاتلة واحدة فقط، الا ان اعضاء طاقم البوينغ قرروا في ما بعد ان مقاتلتين اثنتين على الاقل اعترضتا الطائرة ٩٠٢.

اما في داخل غرفة القيادة في طائرة الركاب، فقد بدا وصول النفاثتين المجهولتين للوهلة الاولى امرا باعثا على الارتياح. وقال الطيار الثاني تشاسون ـ دو: "اظن انها مقاتلة كندية".

فقال الكابتن كيم: "اسألهم اذاً اين نحن الان!"

واستخدم الكوريون ذبذبة راديو الطوارىء المقررة دوليا، وحاولوا تكرارا ان يتحدثوا مع طياري المقاتلة من دون ان يتلقوا اي رد. وظلت المقاتلة المحاذية للجناح الايمن محافظة على موقعها مدة عشر دقائق على الاقل، ثم انحرفت بعيدا وغابت في ظلال الغسق والسحاب. وفجأة، صدرت من جانب الطائرة الايسر هدة غريبة مصحوبة بشعاع كالبرق وبانفجار عنيف يصم الآذان، وارتطمت شظايا من المعدن الملتهب بجسم الطائرة فانتشرت فيه التمزقات ـ من ثقوب في حجم رأس المسمار الى اخرى في حجم البطيخة ـ وتناثرت الشظايا في مؤخر كابينة الركاب.

كان تشوي بونغ ـ كي، وهو رئيس قسم في احدى الشركات التجارية الكورية الكبرى، قد انحنى الى الامام ليكتب ترجمة التعليمات الخاصة بجهاز للتصوير يحمله مسافر آخر، فكانت انحناءته تلك سببا لانقاذ حياته، اذ ان قطعة صغيرة من المعدن قد اخترقت النافذة الى جواره، وبدلا من أن تشق صدغه، لو أنه كان جالساً معتدلا، جعلتها انحناءته تمر خلف رأسه محتكة بها احتكاكا بسيطا نتج عنه جرح طفيف. وفي الكرسي الذي امامه، نجا سائح ياباني من الموت بفضل حزام "الكوبوي" (رعاة البقر) الذي كان يرتديه اذ صد الحزام عن جسمه شظية في حجم الرصاصة.

لكن الحظ لم يكن من نصيب مسافرين آخرين، اذ كان الفتى بانغ تاي ـ هوان قد ترك مقعده ليحدث صديقا له، واذا به ينهار محتضرا في الممر وقد اطارت احدى الشظايا قمة جمجمته. وكان يوشيتاكا سوجانو، وهو صاحب مقهى في يوكوهاما، قد تبادل مقعده قبل لحظات مع اخيه الاكبر، واذا به يتكوم الى الامام وقد اصيب بجراح مميتة من الشظايا التي اخترقت مرفقه وصدره وركبته. واصابت الشظايا ايضا ١٣ مسافرا آخرين بجراح بعضها خطر.

وتقول المصادر السوفييتية غير

الرسمية ان موسكو خشيت ان تكون طائرة الركاب تحمل معدات الكترونية للتجسس، وانها لن تلبث ان تدور نحو الغرب وتفلت عبر الحدود الفنلندية. وطبقا لما تقوله هذه المصادر، فان الطائرتين المقاتلتين وهما من طراز "سوخوي سو - ١٥" الاسرع من الصوت، حاولتا الاتصال عبثا بالكوريين فصدرت الاوامر "بارغام الطائرة على الهبوط باطلاق النار عليها؛ ولكن مع أنزالها في حال تسمح بفحصها فحصا دقيقا".

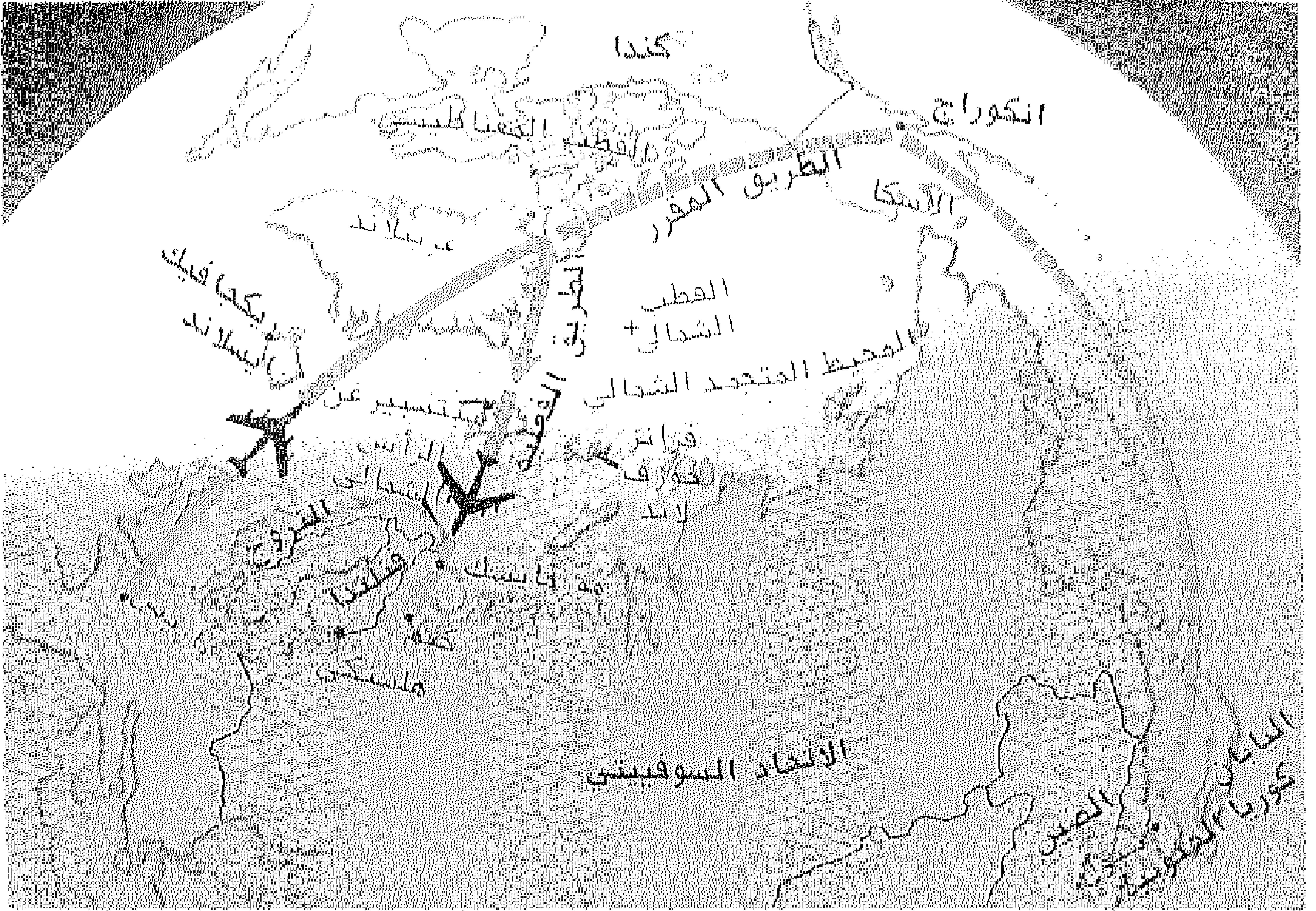
غير ان هذه الادعاءات بقيت موضع شك كبير. اذ انه بين الساعة ٦:٣٥ مساء والساعة ٦:٤١ مساء، سجلت مراقبة الحركة الجوية في روفانييمي في فنلندا ثلاث محاولات كورية للاتصال بالمقاتلتين السوفييتيتين. ويتضح من هذه التسجيلات ان الروس لم يردوا على الاطلاق.

هبوط اضطراري - كان مصدر الضربة في ما يبدو انفجار قذيفة اصابت جناح الطائرة ٩٠٢ وذيلها. واهتزت البوينغ بعنف، ثم بدأت تغطس من ارتفاع يزيد على ١٠٥٠٠ متر في هبوط تستحيل السيطرة عليه وقد اتجه مقدمها الى أسفل. وفرقعت الاسلاك الكهربائية وانطفأت الانوار، وامتلأ الممر بالدخان الخانق. وعلا صراخ الجرحى، وسال الدم على الارض المائلة في انحدار شديد، واصبح ضغط الهواء المتناقص في كابينة الركاب يتهددهم بانفجار آذانهم؛ واغمي على عدد من المسافرين.

وكافح الكابتن كيم ليستعيد السيطرة على الطائرة، ونجح في ان يرفع مقدمها قليلا، لكن استمرار تناقص الضغط بسرعة في الطائرة وهي على ارتفاع كبير كان امرا ينذر بالخطر، فاضطر الى اعادة توجيهها لمواصلة الهبوط الحاد. وفي الوقت نفسه، اختطف كبير المضيفين تشو ميونغ - يونغ الميكروفون الخاص بمخاطبة الركاب وراح يطمئنهم بلهجة فيها من الهدوء اكثر مما فيها من الدقة، ويقول لهم باللغات الكورية واليابانية والانكليزية: "ان الطائرة بخير وليس فيها اي عطب. وينبغي للركاب ان يحافظوا على رباطة الجأش ويتعاونوا مع طاقم الطائرة". ولكنه لم يلبث ان قال لأفراد الطاقم بعد ذلك مباشرة باللغة الكورية: "استعدوا للهبوط الاضطراري!"

وعلى ارتفاع ٩٠٠ متر من سطح الارض، اعتدل الكابتن كيم بالطائرة واخذ يفحص الموقف. كانت الضربة اضافة الى ما احدثته من ثقوب في الذيل، قد انتزعت طرف الجناح الايسر وثلاثة امتار من زعنفته الامامية. وكان احد المسافرين قد توفي بينما راح طبيبان يابانيان شابان يحاولان، في ضوء مصباح جيب كهربائي وعلى رغم ان احدهما جريح، انقاذ حياة سوجانو ووقف نزفه بضمادات صنعاها من ربطات العنق واحد الاحزمة.

وظل موقع الطائرة ٩٠٢ امرا غير معروف. لكن الكابتن كيم ادرك ان المقاتلتين النفاثتين ما زالتا تتعقبان طائرته المصابة وهما متسترتان باجنحة الظلام المتسارع. فلم يبق امامه الا حل واحد: الهبوط الاضطراري. فأخذ يبحث عن مكان مناسب لذلك وهو يدور بالطائرة



دورات واسعة متعرجة فوق الارض المكسوة بالثلوج البيضاء التي يغمرها نور القمر.

واسرع الطاقم الى الباس الركاب سترات الانقاذ، وطلبوا منهم ان يخلعوا احذيتهم ويجلسوا في وضع الاجنة في ارحام امهاتهم، ويشدوا احزمة المقاعد. واستجابت سيكو شيوزاكي نطلب خطيبها، فصرفت ذهنها عن التفكير في المستقبل بان بدأت تسجل تفاصيل الحادث في يوميتها: "اختفى طرف الجناح الايسر. الطائرة تواصل الطيران. موتو - أو يقبلني".

وسعى ياباني شاب الى حماية وجهه من العواقب المحتملة، فأخذ يلف رأسه بقطع الملابس التي كان يحملها او التي استطاع ان يفترضها من الآخرين. وتصافح رجلا الاعمال البريطانيان برصانة ووقار وتبادلا التمنيات الطيبة بالحظ السعيد، واشتركا في تعزية انفسهما بأن زوجتيهما على الاقل سوف تحصلان على مبالغ التأمين السخية.

ويتذكر الموقف لين سينغ - يويه، وهو فنان من تايوان، فيقول: "كان السؤال الذي واجهني واوقع القشعريرة في جسمي هو: ما الذي استطيع ان افعله بما تبقى لي من وقت قصير؟ ولم يكن لدي الا جواب واحد: ان استعيد ذكرياتي. فرحت انبذ الاحداث التي آلمتني في الماضي، واشتد توقي الى اجمل هنيهات حياتي، فاستعادتها ذاكرتي وساءلت نفسي: لماذا لم يكن لدي مثل هذا الوعي من قبل؟"

وحاول الكابتن كيم ثلاث مرات ان يهبط بالطائرة في حقول للحبوب او

على الطرق، لكن التلال او الاسلاك الكهربائية كانت تعترض محاولات هبوطه في كل مرة. وأخيراً برزت امام عينيه بحيرة متجمدة تحيط بها الاشجار، فتساءل هل ترى سيصمد الثلج على سطحها لوزن البوينغ الذي يبلغ ١٠٠ طن؟ وايا يكن الامر فلم يعد امامه سوى ان يحاول...

وأثار هبوط الطائرة على سطح البحيرة سحابة هائلة من الثلج المتطاير، ولكنه كان هبوطا موفقا على رغم ان الجناح المتضرر قد تحطم في النهاية على اثر اصطدامه باشجار الارز على جانب البحيرة. وواصلت سيكو شيوزاكي كتابة يومياتها: "هبطت الطائرة. السنة لاهبة تطايرت لفترة قصيرة خارج النافذة. جو من الارتياح يسود كابينة الركاب. ظهر قائد الطائرة الكابتن كيم وحياه الركاب بالتصفيق وهم وقوف!"

النجم الاحمر – حملق احد المسافرين الالمان مستطلعا اسرار الظلام، ثم علا صوته فأعلن واثقا من نفسه: "ها نحن في الاسكا". وفتحت احدى المضيفات بابا من ابواب الطوارىء، خرج منه بعض الركاب منزلقين الى سطح البحيرة المفروش بالجليد، لكن البرد الشديد لم يلبث ان اعادهم الى الطائرة. وكانت الظلمة سائدة داخل الطائرة والبرد يتزايد فيها من دون ان تتوقف جهود الطبيبين لانقاذ حياة سوجانو.

وانقضت ساعتان تقريبا. وتناهت الى اسماع الركاب في البداية اصوات طائرات نفاثة تحلق بالقرب منهم، ثم ساد السكون. وتساءلت المضيفة يوهاي – جا مستغربة: "واين هم الامريكيون اذاً وفرقهم الانقاذية؟"

ثم بدأ شيء يتحرك خارجا من بين الاشجار، ببطء وحذر، في اتجاه الطائرة. كانت تلك مجموعة من ٢٠ او ٣٠ رجلا، فتعالت هتافات بعض الركاب بالترحيب المتفائل.

وفتح الباب الامامي، ودخل الى كابينة الركاب رجل طويل القامة ممتلىء البنية يرتدي طاقية من الفراء وجزمة ثقيلة ومعطفا عسكريا سابغا يكاد يبلغ قدميه. وكان وجهه خاليا من كل تعبير عن المشاعر وهو يستوعب الموقف بنظره، ثم سار ببطء يقطع الممر. ولمح الركاب في الكابينة الصامتة نجمة حمراء على طاقيته، وعلامات حمراء على معطفه. ولمع في ذهن الآنسة يو منظر من فيلم "دكتور زيفاغو"، وادركت ان هذا المكان ليس الاسكا. وان الرجل ضابط روسي!

وكان كثير من الكوريين الجنوبيين من ركاب الطائرة مقتنعين بان الروس سوف يسلمونهم الى كوريا الشمالية، فقضوا الساعات القليلة التالية وهم يمزقون جوازات سفرهم والرسائل التي يحملونها من اهلهم في الوطن، آملين في ان ينجحوا في التظاهر بانهم صينيون او يابانيون. وكان رئيس القسم تشوي يحمل وثائق خاصة بشركته تتضمن قوائم بمشروعات انشائية يمكن ان تعتبر اهدافا عسكرية في كوريا الجنوبية، فتعاون مع الانسة يو على احراقها والقاء الرماد في المرحاض.

واخيرا هبطت على الارض طائرات هليكوبتر اخرى اصغر حجما تحلق بالقرب من الموقع. وكان سوجانو اول من نقل من الركاب، الا ان الوقت كان

قد فات لانقاذه، فتوفي بعد ذلك بقليل في مستشفى سوفييتي.

وعلى مدى يومين، ابقى الروس هؤلاء الضيوف المشبوهين في اماكن اقامة موقتة في بلدة كم، وهي ميناء صيد يقع على مسافة ٣٧٠ كيلومترا جنوب مورمانسك. وبعد اتصالات اجرتها سفارتا الولايات المتحدة الامريكية واليابان في موسكو، سمح الروس لطائرة ركاب امريكية مستأجرة بان تنقل المسافرين الـ٩٥ الباقين احياء والـ١١ عضوا من طاقم الطائرة، وجثماني الراكبين المتوفيين الى هلسنكي. ومن هناك، حملتهم طائرة اخرى تابعة للخطوط الجوية الكورية واكملت بهم الرحلة الى سيول. وبعد ثمانية ايام من الاستجواب في الاتحاد السوفييتي، اطلق الطيار والملاح ايضا.

وثمة عدد من الاسئلة المهمة الخطيرة عن هذه الرحلة ٩٠٢ باقية بلا جواب.

اولا: كيف ضل الطريق كل هذا المقدار طاقم طائرة لديه هذه الخبرة الطويلة؟

ثانيا: اذا كانت المحطات السوفييتية الارضية قد حاولت حقا الاتصال بالنفاثة الكورية، فلماذا ليست هناك اي تسجيلات بالراديو لهذه الاتصالات؟

ثالثا: لماذا لم يبذل طيار المقاتلة السوفييتية – حسبما تدل الشواهد – اي جهد جدي للاتصال بالطائرة الكورية قبل ان يطلق عليها النار؟

اما الروس، فقد احتفظوا بالدليل الاهم في هذا الصدد، وهو جهاز تسجيل الطائرة البوينغ المعروف بـ"الصندوق الاسود" والذي يضم تسجيلا كاملا لكل ما يقال في غرفة القيادة في طائرة الركاب في اثناء رحلتها الجوية. وطالما انهم يرفضون الافراج عن شريط التسجيل، فستظل حقائق قصة الطائرة ٩٠٢ مجهولة من الغرب. بيد ان الواجب يدعو الى تجنب مآس من هذا النوع او أكثر عنفاً منه، وبالتالي فالواجب تجاه العالم يحتم على الروس الافراج عن شريط التسجيل، ونشر بيان كامل يضم كل الوقائع ويوضح ما يعتقدون انه قد حدث.

وقالت صحيفة "الغارديان" البريطانية: "ان الملاحة الجوية عبر القطب فن بالغ الصعوبة، وان البشر معرضون للخطأ. الا انه لا بد من وسيلة اكيدة او نظام مضمون، لا يصل الى حد اطلاق النار، يتسنى معه لطائرة حربية ان تنذر طائرة اخرى مدنية بانها ترتكب عملا اثميا..".

■ انطوني بول

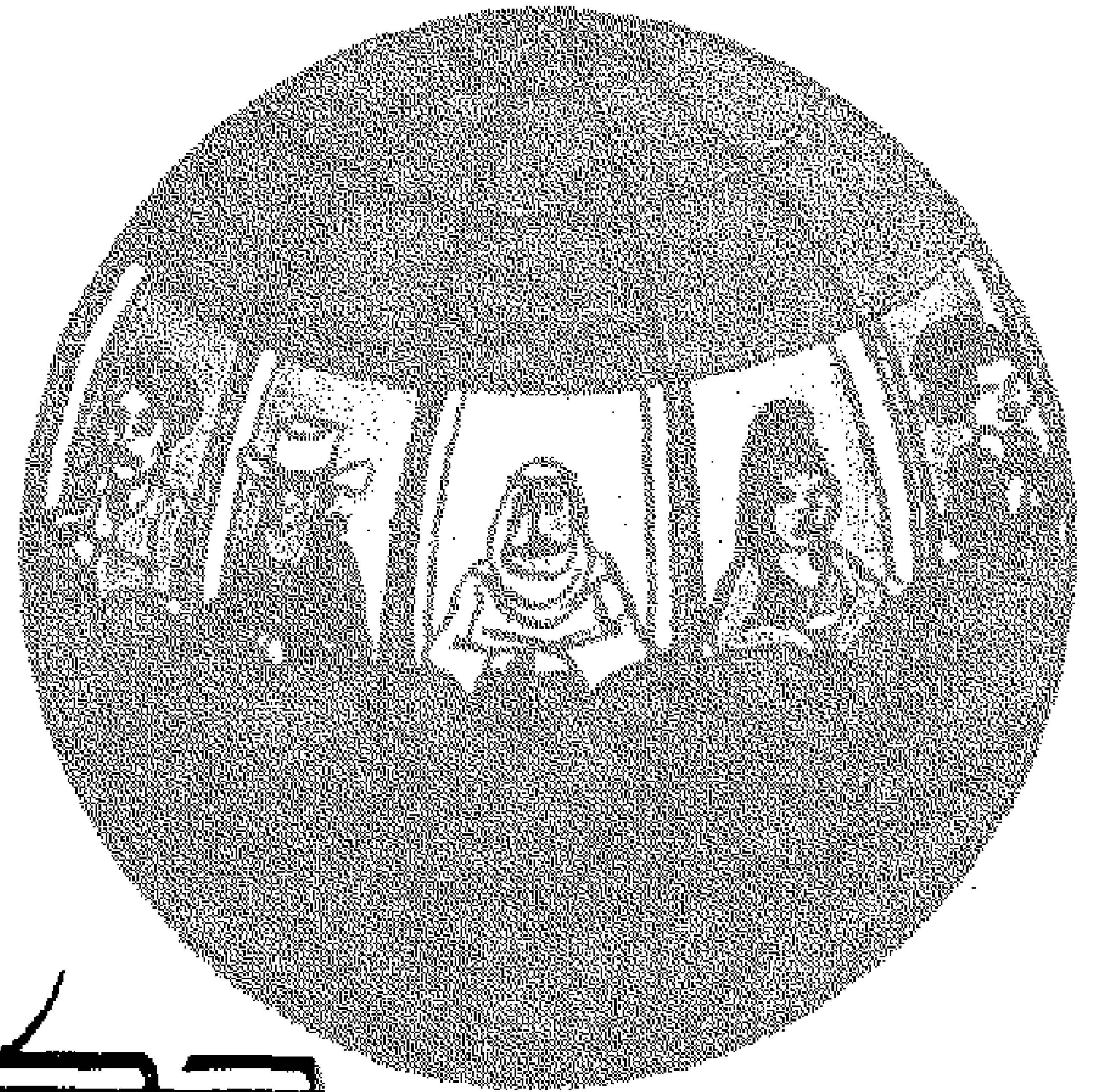
اشترك في تحقيق هذا الموضوع كل من ناووكي اوسوي من مكتب الدايجست في طوكيو وبارك سوكي وهونغ تونغ – صن من وكالة هابدونغ في سيول.



اعذب وصية

أشترط كهل ثري وهو يملي وصيته من فراشه ان تعزف "أوركسترا فيينا الفيلهارموني" في جنازته، فقال محاميه الذي كان يتلقى الوصية: "حسناً يا سيدي، وما هي القطعة التي تود سماعها؟"

(مجلة "شتيرن" – ألمانيا)



حكايات صغيرة من العالم

اللصوص ... حافزه

يقول بل روجرز بطل سباق ماراثون الركض في ملروز ماساشوستس ان اللصوص جعلوا منه عداء: "ذات يوم سرقت دراجتي النارية فاشتريت دراجة هوائية. وسرقت هذه ايضا، فقررت على الاثر ان اقطع ركضا يوميا مسافة الميلين او الثلاثة الاميال التي تفصلني عن مكان عملي، وتصورت ان احدا لن يقوى على سلبي هذا الشيء".

يعرف ... بذلك

بعد اتمام عقد زواج جوديما جيو ومارلين مونرو، ذهبت مارلين في رحلة الى القواعد العسكرية في كوريا بينما بقي جو في اليابان. وقد رجعت مارلين جذلة نشوى فقالت: "جو، كان هنالك خمسون الف جندي يصفقون ويهتفون استحسانا. كان ذلك شيئا رائعا. انك لا تتصور الاحساس بذلك". فنظر جو اليها مبتسما واجاب: "بل انني اعرف". ب.ب.

الحقيقة بتواضع

كان موظف المعاملات العقارية في المصرف يواجه عروسين شابين متوتري الاعصاب، وهما يوقعان على اول عقد رهن في حياتهما، حين قالت الزوجة فجأة، وقد اتضحت لها الامور: "اذا فالبيت في الحقيقة هو بيتكم انتم!"
فقال الموظف موافقا: "نعم، هو كذلك"، ثم فكر برهة واضاف ببشاشة: "ولكننا نريدكما انتما ان تعيشا فيه". ن.م.

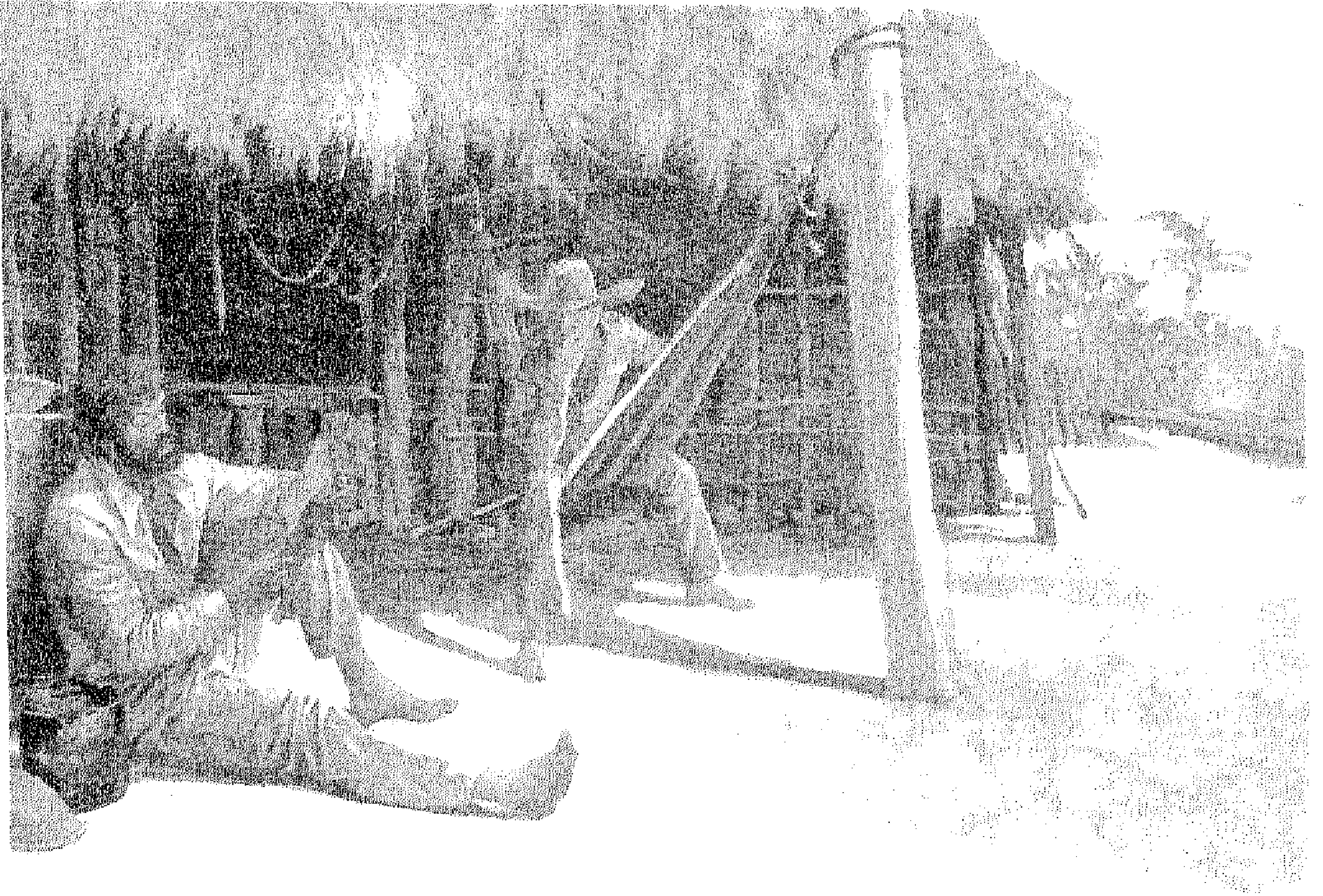
الارغن المضاد للحشرات

لبى احد صانعي الارغن الاسوجيين البارعين طلبا تجاريا تقدم به اليه طبيب من مدينة لاغوس في نيجيريا لصنع ارغن كنسي من ٤٠٠ انبوب يستجيب لبعض المواصفات الدقيقة: كملاءمته للمناخ النيجيري، ووقاية قاعدته من غزو الجرذان والقوارض الاستوائية الاخرى والنمل الابيض الذي تبتلي به نيجيريا. فاضطر صانع الارغن الى تسميم جميع اخشاب الجهاز الموسيقي.

ا.س.

وصفة "السعال"

كنت اندهش دائما كلما راح اخي - وهو طبيب - ينصح مرضاه بالاقلاع عن التدخين، بينما هو يدخن علبتين من السجائر يوميا، وكنت اخشى ان تذهب نصائحه سدى،
ولكنه اوضح لي الامر، قائلا: "ان مرضاي لا تقنعهم كلماتي بمقدار ما تقنعهم طريقة سعالي وانا اقول تلك الكلمات". ك.و.



ديكنز في الأمازون

مستكشف ضل طريقه في ادغال الامازون، فنجا بفضل رجل لا يعلو على سخاء ضيافته الا هيامه بالقراءة٠

عاش السيد تود في الامازون قرابة ستين عاما، ولكن قلما كان الناس يعرفونه باستثناء بضع اسر من هنود "الباي واي"٠ وقد اختار لاقامته منزلا منعزلا في منطقة بطحاء لا تتجاوز رقعتها ثلاثة اميال تساورها الغابة من جميع جنباتها ولا تحوي غير الاعشاب والرمال٠ وكان له قطيع صغير من الماشية ومزرعة من نبات المنيهوت الذي يستخرج النشاء من جذوره، وعدد من اشجار الموز والانبج (المانغا)٠

وذات يوم قدم اليه رجل من هنود "الباي واي"، واخبره ان هناك مستكشفا من البيض يهيم على وجهه في الغابة وحيدا وهو في حال الضنى والمرض الشديد٠ فهم تود الى لقائه ووجده عند الاجمة عاري الرأس، حافي القدمين، دامي الرجلين، يتآكله الورم وقد نهشته الحشرات

والخفافيش ولم يترك مكانا سليما في جسمه، وراح يحاكي نفسه بنفسه مصابا بهذيان الحمى. فتوقف فجأة عندما سمع صوت تود، وغمغم قائلا: "انني تعب منهك لا استطيع التقدم الى ابعد".

فسانده تود من ذراعه ومشى به عبر الرابية الخضراء في اتجاه منزله، وطمأنه الى "ان هذه الطريق قصيرة جدا، وعندما نصل الى البيت ساعطيك شيئا يخفف من آلامك".

فسأله الرجل: "انك تتكلم الانكليزية. وانا ايضا انكليزي واسمي لاست".

واجاب تود: "حسنا يا سيد لاست. هون عليك ودع عنك القلق، فانني سأتولى امرك".

جاء الشفاء بطيئا، فتناوبت في بادىء الامر فترات الصفاء تليها نوبات الهذيان ثم هبطت الحمى واستعاد الرجل وعيه حتى في اسوأ اللحظات. ولم ينفك تود عن اعطائه جرعات منتظمة من العقاقير العشبية، ويقول له: "في الغابة ادوية لكل شيء. كانت امي من الهنود وعلمتني الكثير عنها".

"ولكنك انت انكليزي؟"

"كان ابي انكليزيا من باربادوس، ثم جاء الى غويانا مبشرا. لم تمر عشرون سنة على وفاته. كان رجلا متعلما. اتعرف القراءة؟"

قال لاست: "بالطبع".

"ليس ذلك من حظ كل انسان. فانا مثلا اجهل القراءة".

وضحك لاست في حرج وقال: "لا شك في ان الفرصة هنا غير سانحة للقراءة".

فأجاب تود: "بل لدي عدد كبير من الكتب وسأريك اياها. كان رجل متعلم يقيم معي هنا لخمس سنوات مضت. وكان يقرأ لي بصوت عال كل يوم. وانت ايضا ستقرأ لي عندما تتحسن صحتك".

"بكل سرور".

وكرر تود قائلا: "نعم. انك ستقرأ لي بصوت عال".

ومرت الايام رتيبة، ليس فيها شيء يذكر.

وفي اول مرة خرج لاست من المنزل، اصطحبه تود في نزهة قصيرة. وقال له وهو يقوده الى هضبة صغيرة تحت اشجار المانغا: "تعال اريك قبر واشنطن. كان ودودا لطيفا، يقرأ لي بصوت عال طوال ساعتين عصر كل يوم الى ان وافته المنية. اعتقد انني ساضع صليبا على مثواه بمثابة ذكرى لوفاته ولقدومك. انها حقا فكرة جميلة".

هل تحب ديكنز؟ — بعد ان زالت الحمى عن لاست بنحو ستة او سبعة ايام، قال له تود: "اعتقد انك الان في حال طيبة وتستطيع ان ترى الكتب". كانت هناك في طرف الكوخ علية خشبية تكاد تصل الى مستوى السقف، اسند تود اليها سلما ثم صعد وتبعه لاست في خطوات غير ثابتة بسبب مرضه الطويل. وجلس تود على منبسط العلية فيما وقف لاست على آخر درجة من السلم ينظر اليه. فاذا بأكوام من الطرود الصغيرة الملفوفة في خرق من القماش او في اوراق النخيل ومربوطة باحزمة من الجلد.

وقال تود: "لا احد يعرف كم عانيت لاحميها من الديدان او النمل الذي كاد يقضي على اثنين منها".

وفض تود اقرب اللفافات اليه

وتناول كتابا مغلفا بجلد رقيق، فاذا به طبعة امريكية مبكرة لكتاب "بليك هاوس" (او المنزل الكئيب) لتشارلز ديكنز.

وسأله لاست: "اتحب ديكنز؟"

فاجاب: "بل اكثر من ذلك فقصصه هي الكتب الوحيدة التي استمتعت بها في حياتي. كان ابي يقرأها لي وتلاه السيد واشنطن. والان انت. لقد سمعتها كلها مرات عدة ولكن لا املها ابدا. فهي تطالعك دائما بتفاصيل جديدة، وتعرض عددا كبيرا من الشخصيات، وتنطوي على تنوعات متعددة في المناظر وعلى معين ذاخر بالالفاظ. لدي الان كل ما كتبه ديكنز، باستثناء ما التهمه النمل. وقراءتها كلها تستغرق وقتا طويلا، اكثر من سنتين".

فقال لاست بنبرة مازحة: "هذا اطول مما ستستغرقه زيارتي".

فاجاب تود: "بل آمل العكس. انه لسرور كبير ان يبدأ المرء قراءتها مرة اخرى، فانني اجد في كل مرة اشياء جديدة تثير اعجابي".

بدأ لاست جلسة القراءة الاولى عصر ذاك اليوم، وكأنه كان مولعا بالقراءة بصوت عال، وجلس تود العجوز منفرج الساقين على ارجوحته الشبكية في مواجهة لاست، يتابع الكلمات بشفتيه وبلا صوت. وكلما ظهرت شخصية جديدة في القصة، كثيرا ما كان يقول: "كرر الاسم، فقد نسيت هذه الشخصية". او يقول: "نعم، نعم انني اذكرها جيدا، يا للمرأة المسكينة انها ستموت بعد ذلك". وكثيرا ما كان يقاطع قراءة لاست ليطرح عليه اسئلة حول الشخصيات الواردة في القصة. وفي نهاية الجلسة الاولى قال العجوز لضيفه: "ان قراءتك جميلة وممتعة، فكأن المرحوم والدي كان هنا، من جديد". وفي نهاية كل جلسة كان تود يشكر ضيفه بأدب جم ويقول: "لقد استمتعت ايما استمتاع. يا له من فصل محزن، ولكن اذا لم تخني ذاكرتي فكل شيء سينتهي على ما يرام".

وذات يوم، قال لاست، وهو يتلمس بابهامه الصفحات الباقية من قصة "بليك هاوس": "لا يزال امامنا الكثير من الصفحات. آمل في ان انتهي من قراءة الكتاب قبل رحيلي، فقد حان الوقت للتفكير في العودة الى المدينة. لقد اثقلت عليك اكثر من اللازم في استضافتك لي".

التزم تود الصمت. فاستطرد لاست قائلا: "متى استطيع ان اجد قاربا؟ انني اقدر لطفك وكرم ضيافتك كل التقدير، ولكني يجب ان اعود الى بلادي..."

فاجابه تود: "لقد جازيتني يا صديقي بقراءتك لديكنز على اضعاف استضافتي لك. فلا تتحدث عن ذلك مرة ثانية".

فقال لاست: "عذرا يا سيد تود ان الححت، فمتى يمكنني ان اجد قاربا؟"

فاجاب العجوز: "لا قوارب هنا".

فالح لاست: "ربما تمكن الهنود من صنع قارب ينقلني".

فقال تود: "اذا عليك الانتظار حتى موسم الامطار، اذ ليس هناك مقدار كاف من المياه في النهر الان".

وسأل لاست: "وكم يطول هذا الانتظار"؟

فاذا بالاجابة: "شهرا او اثنين..."

وفي هذه الاثناء، انتهت قراءة قصة "بليك هاوس" واوشك الانتهاء ايضا من قصة "دومبي وولده" عندما جاء موسم الامطار، وقال لاست: "آن وقت الاستعداد للرحيل".

فقال تود: "هذا مستحيل، فالهنود لن يصنعوا القارب في موسم الامطار، فمعتقداتهم تمنعهم عن ذلك. ربما فاتني ان اعلمك بهذا؟ اما الآن وقد انتهيت من تناول طعامك فهل تتفضل بقراءة فصل آخر".

... ومرت الاسابيع. وانتهت قراءة كل من "نيكولاس نيكلبلي" و "دوريت الصغيرة" و"اوليفر تويست".

وذات يوم، بعد مرور عام تقريبا على مغادرة لاست لبلاده انكلترا، قدم الى البطحاء رائد من الذين يقضون حياتهم في التنقيب عن المعادن وسط الغابات والادغال. واستغل لاست وجود الرجل، فخربش اسمه على ورقة صغيرة دسها في يد الغريب. واطمأن الى ان الرجل سيحط رحاله في قرية من البرازيل خلال العام الحالي او العام المقبل، ومعه بعض الشيء من اخبار لاست. واستأنف لاست مهمته الرتيبة في القراءة بقلب مطمئن وثقة مليئة بالامل.

شراب العسل والخبز - وذات مساء على اثر حديث طويل مع احد جيرانه الهنود، اقترح تود على لاست ان يصطحبه لمشاركة الهنود في الاحتفال بواحد من اعيادهم المحلية. فتوجها بعد العشاء الى حيث تحلقت جماعة من الهنود حول النار في كوخ قائم في الطرف الاخر من البطحاء وراح الهنود ينشدون في نغمة رتيبة مملة، ويتداولون من فم الى فم قرعة مليئة بسائل يتناولون منه جرعة الواحد بعد الآخر. واحضروا طاسين مستقلين لتود وضيفه، فقال تود: "عليك ان تشرب كل ما في الطاس جرعة واحدة، فهي العادة والاداب المتبعة عندهم". فشرب لاست السائل الداكن جرعة واحدة ووجد ان له نكهة العسل والخبز الاسمر. ثم مال الى الوراء في الارجوحة الشبكية وهو في حال غير عادية من الرضا. قدموا اليه طاسا ثانية فرده فارغا، واستلقى على ظهره يراقب الظلال المتحركة التي يعكسها هنود "الباي واي" وهم يرقصون. ثم اغمض عينيه وراح يفكر في انكلترا وفي زوجته حتى استغرق في النوم.

استيقظ لاست ليجد نفسه في الكوخ نفسه وكأنه تأخر في نومه على غير عادته. وبحث عن ساعته فلم يجدها حول معصمه ودهش لذلك. وفي طريقه عبر البطحاء اضطر الى التوقف اكثر من مرة وهو يفرك عينيه ويأخذ نفسا عميقا، قائلا لنفسه: "يا له من شراب خداع هذا الذي تناولته بالامس!". عندما وصل الى المنزل وجد تود جالسا وسمعه يقول: "لقد تأخرت يا صديقي على جلسة القراءة. فلم يبق امامنا سوى نصف ساعة من الضياء قبل مغيب الشمس. هل انت بخير؟"

اجاب لاست/ "انا في اسوأ حال ممكنة. فهذا الشراب لا يناسبني ابدا".

فقال تود: "ساعُطيك شيئا يريحك".

فنظر اليه لاست سائلا: "هل رأيت ساعتي؟ اظن انها كانت حول

معصمي.. لم انم نوما طويلا كهذا في حياتي".

فاجاب تود: "نعم... طوال يومين".

فعقب لاست مشدوها: "هراء.. لا يمكن".

فقال تود: "بلى. لقد نمت طويلا بالفعل. خسارة. فاتك ان ترى ضيوفنا".

- اي ضيوف؟

"ثلاثة من الانكليز، كانوا يبحثون عنك. ولكن ماذا كان عساي ان افعل؟ انك كنت مستغرقا في نوم عميق. وحيث انك لم تستطع ان تستقبلهم بنفسك اعطيتهم ساعتك تذكارا منك. كانوا يريدون شيئا يأخذونه الى زوجتك التي اعلنت عن مكافأة كبيرة لمن يأتيها باخبار عنك. سعدوا جدا بالساعة. ثم التقطوا صورا عدة للصليب الذي وضعته احتفالا بمجيئك. لا اظن انهم سيعودون الى مكاننا هذا النائي المنعزل. بل لا اظن ان احدا سيأتي لزيارتنا ابدا. على أي حال سآتيك ببعض العلاج الذي سينعشك ولن نقرأ ديكنز اليوم. ولكن غدا. وبعد غد وكل يوم بعد ذلك.. فلنقرأ "دوريت الصغيرة" مرة اخرى. ثمة صفحات في هذا الكتاب لا اسمعها الا وتراودني رغبة عميقة في البكاء".

مقتبس من كتاب "حفنة من الغبار".

■ افلين ووغ



قالت قارئة لموظف المكتبة:

- لقد وجدت ورقة نقدية ضمن هذا الكتاب. فهل لديك كتب اخرى للمؤلف نفسه؟

صحيفة "ايفننغ تايمس" - لندن.

ارمها في النار

مرة وجه روائي شاب الى الكاتب الكبير سومرست موم السؤال الآتي:

- هل تنصحني بان اضع نارا اكثر في رواياتي؟

فأجابه موم:

- لا. بل عليك ان تفعل العكس.

مجلة "ريفاي" - انكلترا.

فن غير مقصود

في احدى الجلسات وقعت عدة الالوان على غير عمد من يد الرسام الفرنسي فيلار وانسكبت على سروال الكاتب جان جيرودو. فقال فيلار لصديقه المؤلف:

- اعذرني. سآتي بالماء فورا لتنظيف سروالك.

فأجاب جيرودو:

- أرجوك الا تفعل. دع بقع الالوان في مكانها ووقع اسمك تحتها.

جان نوهين في كتاب "عبور القرن العشرين"

متى تحتاج الى العلاج النفسي

اذا كنت انسانا كسائر الناس، فلا بد ان في حياتك فترات نجاح وفترات اخفاق، فترات ترتفع فيها معنوياتك واخرى تنخفض فيها. بل انك قد تكون تساءلت عما اذا كنت تحتاج الى العلاج النفسي، فكيف تتخذ قراراً مناسباً؟ وما هي الفروق بين التقلبات الطبيعية في الحال المعنوية وتلك المشكلات العاطفية التي تستدعي العلاج النفسي؟

يقول الاطباء والاختصاصيون النفسيون ان ساعة التماس العون تدق حين تشعر بان حالك قد ساءت الى الحد الذي يعوقك عن اداء وظائفك، اي حين تبدأ مشكلاتك في اعتراض مسار حياتك اليومية، فتلحق الضرر بعملك واوضاعك الزوجية. فعندما يعترضك مثل هذا الموقف، يصبح السؤال هو الآتي: كم من الزمن سيستمر؟ فاذا طالت هذه الحال شهرين او ما يزيد، فقد يحسن بك عندئذ ان تلتمس العون.

ولكن لا تعتقد انك تعاني مشكلة نفسية او عاطفية لمجرد ان مثل هذه الحال تنتابك من حين الى آخر، ولا سيما اذا طرأت عليك ازمة - كوفاة عزيز من اسرتك، او اقدامك على الطلاق، او فقد وظيفتك - يضطرب لها اي شخص. اما الذي يحتاج فعلا الى العلاج النفسي، فهو ذلك الذي تنتابه تكرارا هذه المشاعر وتظل تتملكه عادة طوال بضعة اشهر من دون ان يكون لها سبب واضح في اغلب الاحيان. فان كنت من هذه الفئة، حاول الاجابة عن العشرين سؤالا الآتية، فهي تعينك على اتخاذ قرار.

● وضعت هذه الاسئلة على اساس التجارب التي اجراها الدكتور جون س. اوبرين، الاختصاصي في علم النفس في قسم العلاج النفسي، والدكتور جون هـ. بريتان، مدير التربية العلاجية النفسية - وكلاهما يعمل في مستشفى سانت اليزابيت في مدينة بوسطن في ولاية ماساتشوستس الامريكية.

١ - في المواقف الجديدة، مثل مقابلة من اجل الالتحاق بوظيفة او حفلة يحضرها غرباء كثيرون، هل تخشى ان تسير الامور سيراً سيئاً بالنسبة اليك؟

أ - دائماً او غالباً. ب - كثيراً. ج - من وقت الى آخر. د - نادراً أو أبداً على الاطلاق.

٢ - حين يطلب منك ان تقوم بعمل لا تريد ان تؤديه، مثل رعاية اطفال اصدقائك في غياب والديهم او البقاء الى ساعة متأخرة بعد الموعد المقرر، فهل يمكنك ان ترفض مثل هذا العمل حين تكون راغباً فعلا في الرفض؟

أ - دائماً او غالباً. ب - كثيراً. ج - من وقت الى آخر. د - نادراً او أبداً على الاطلاق.

٣ - هل يحدث ان يثور غضبك ثم

تدرك بعد ذاك ان حدة انفعالك قد تجاوزت كثيراً ما كان الموقف يستحقه؟

مثال ذلك: اذا تأخر زوجك (او زوجتك) عن موعد الطعام بسبب صعوبة حركة المرور.

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من وقت الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

٤ - حين تكون في صحبة اصدقاء، هل يمكنك ان تحملهم على الاصغاء لك اذا كان لديك اقتراح تبديه، مثل اختيار مطعم او دار للسينما؟

أ ـ دائماً أو غالباً، ب - كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

٥ - هل تجد صعوبة كبيرة في اتخاذ القرارات، مثل اختيار معطف جديد او تقرير طريقة قضاء عطلة نهاية الاسبوع؟

أ ـ دائماً أو غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

٦ - هل تتردد في الاشتراك في الانشطة الجماعية؟ مثال ذلك: هل تجد نفسك منعزلا وحيدا في الحفلات؟

أ ـ دائما او غالبا، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او ابدا على الاطلاق.

٧ - هل تنشد المديح او التشجيع على الاعمال التي تقوم بها على نحو مستديم، مثل عملك اليومي في المكتب او اعداد وجبة الطعام للاسرة؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

٨ - هل تستطيع التعبير عن استيائك عندما يحاول الآخرون ان يخدعوك او ان يحتالوا عليك، كأن يتخطوك في الصف مثلا؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د - نادر او أبداً على الاطلاق.

٩ - هل تشعر بالارتياح لعلاقاتك الحميمة؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

١٠ - هل تتناول مشروبا او مهدئا لكي تشعر بشيء من الثقة بالنفس قبل الذهاب الى حفلة او اجراء مقابلة للالتحاق بعمل؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

١١ - هل تضايقك عادات لا تستطيع التحكم بها، مثل التدخين او الافراط في الأكل؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او ابدا على الاطلاق.

١٢ - هل تنتابك مخاوف، من الطيران مثلا او من الاماكن الضيقة، الى درجة لا تستطيع السيطرة عليها او الى درجة تمنعك من القيام بما تريد؟

أ ـ دائماً او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او ابداً على الاطلاق.

١٣ - عندما تغادر المنزل، هل تضطر الى العودة كي تستوثق من اغلاق الباب او اطفاء الموقد، الخ؟

أ ـ دائما او غالباً، ب ـ كثيراً، ج ـ من حين الى آخر، د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق.

١٤ - الى اي مدى تكون العلاقات الجنسية غير مرضية بالنسبة اليك او الى زوجك ؟

أ ـ دائماً او غالباً · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق ·

١٥ - هل تحتاج الى أكثر من ساعة كي تستغرق في النوم، او هل تستيقظ قبل الموعد الذي تريده بأكثر من ساعة كاملة ؟

أ ـ دائماً او غالباً · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق ·

١٦ - هل انخفض وزنك أخيراً من دون سبب طبي ومن دون ان تلتزم بنظام غذائي ؟

أ ـ قليلا جداً او لم يحدث · ب ـ أكثر من ٢ كيلوغرام · ج ـ أكثر من ٥ كيلوغرامات · د ـ أكثر من ٧ كيلوغرامات ·

١٧ - هل انت شديد الاهتمام بالنظافة او التحرز من التلوث بالنسبة الى شخصك او الى الاشياء التي قد تلمسها ؟

أ ـ دائماً او غالباً · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او ابداً على الاطلاق ·

١٨ ـ هل تيأس من المستقبل، او هل يطوف بذهنك ان تلحق الاذى بنفسك او ان تنتحر ؟

أ ـ دائماً او معظم الوقت · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق ·

١٩ ـ هل يحدث لك ان ترى اشياء او تسمع بها او تشعر بها مما لا يدركه احد غيرك ؟

أ ـ دائماً او غالباً · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق ·

٢٠ - هل تعتقد انك تتمتع بقوى خارقة او ان هناك آخرين يعاكسونك بقوى خارقة ؟

أ ـ دائماً او غالباً · ب ـ كثيراً · ج ـ من حين الى آخر · د ـ نادراً او أبداً على الاطلاق ·

ماذا تعني اجاباتك ؟

لاحظ - قبل كل شيء - ان هذا ليس اختبارا ينطوي على اجابات صحيحة او خاطئة· فمن منا لا يتملكه الغضب من وقت الى آخر لاسباب تافهة؟ ومن منا لا يشعر من وقت الى آخر بعدم ارتياح ازاء علاقاته الحميمة؟ ولكن ما يحدث في الظروف العادية هو ان الاشخاص الذين يتمتعون بدرجة جيدة من التكيف مع ظروفهم ينتهون عادة الى الاجابات الآتية:

١ - ج أو د	٦ - ج أو د	١١ - ج أو د	١٦ - أ أو ب
٢ - أ أو ب	٧ - ج أو د	١٢ - ج أو د	١٧ - ج أو د
٣ - ج أو د	٨ - أ أو ب	١٣ - ج أو د	١٨ - د
٤ - أ أو ب أو ج	٩ - أ أو ب	١٤ - ج أو د	١٩ - د
٥ - ج أو د	١٠ - ج أو د	١٥ - ج أو د	٢٠ - د

● الاسئلة من ١ الى ١٠ فيها تقويم لمدى قدرتك على التعبير عن مشاعرك ولمدى ما تتمتع به من ثقة بالنفس. واذا اختلف عدد من اجاباتك عن الاجابات المبينة اعلاه، فذلك يعني انك تعاني صعوبات في التعبير عن مشاعرك او انك لا تتمتع بمقدار كاف من الثقة بالنفس. فاذا شئت ان يتغير هذا الوضع او هذا النمط السلوكي، ففي وسعك ان تستعين بالعلاج النفسي.

● الاسئلة من ١١ الى ١٤ تتعلق باشكال السلوك التي تكون في العادة مصاحبة لمصاعب عاطفية. فاذا اختلف عدد من اجاباتك عن الاجابات المبينة اعلاه، واذا كنت ترى ان متاعبك تؤثر على حياتك اليومية، فقد يكون من المستحسن ان تستشير اختصاصيا في علم النفس او في العلاج النفسي.

● الاسئلة من ١٥ الى ٤٠ تتناول انماط السلوك التي تتولد عنها علامات الانذار المبكر بمشكلة عاطفية خطيرة. واذا كان بعض اجاباتك او الكثير منها يختلف عن الاجابات المبينة اعلاه، فيقتضي عليك ان تستشير اختصاصيا على الفور. واذا تبين ان الامر يحتاج الى علاج، فقد يكون من الافضل لك الا تتوانى عن اجرائه.



فأر البيت الأبيض

ان فئران البيت الأبيض – وليس الكونغرس الامريكي فقط – قد علمت جيمي كارتر الحدود التي تقف عندها السلطة الرئاسية.

ففي احدى الليالي بينماكان الرئيس كارتر يرئس اجتماعا في مكتبه الصغير المنعزل انطلقت فأرتان عبر السجادة، فأشعرت بذلك على الفور ادارة الخدمات العامة المسؤولة عن المباني الاتحادية.

وقد تبين ان مشكلة الفأر عويصة وصعبة المعالجة. فقبيل وصول رؤساء حكومات امريكا اللاتينية الى واشنطن للتوقيع على معاهـدة قناة باناما، تسلقت احدى هذه الكائنات الرمادية الصغيرة جدار البيت الأبيض وتسللت الى الداخل ونفقت هناك. ولم يلبث ان انتشرت رائحة الفأرة الميتة في المكتب البيضوي فاتصل الرئيس ثانية بادارة الخدمات العامة، الا ان الوكالة اكدت له انها قد قضت على جميع الفئران داخل البيت الأبيض، وبالتالي فان الفأرة الجديدة آتية، ولا ريب، من الخارج. ومن ثم فقد اصبحت القضية من صلاحية وزارة الداخلية التي افادت بدورها ان الفأرة صادرة عن الداخل. ومهما يكن امر المصدر، فقد نزل الهم بادارة الخدمات العامة باعتبار ان الجيفة كانت داخل الحائط. وقد شكا الرئيس الامريكي امره الى السكرتير الصحافي جودي باول فقال له آسفا: "أرى انه لم يعد في وسعي ان اطرد فأرة من مكتبي!" ولم يكن من الرئيس الا ان استحضر موظفين من كل وكالة الى المكتب البيضوي والزمهم بالخروج بحل لهذه الورطة الروتينية.

واما الآن، فقد اتخذ البيت الأبيض موقفا هجوميا تحاشيا لاي ازمة مماثلة في المستقبل، فعلق جودي باول على هذا الموقف بقوله: "لم يعد في وسعك بعد الآن ان تفتح جاروراً هنا من غير ان تقع يدك فريسة لاحدى مصايد الفئران".

(النيويورك تايمس)

عجوزا الفندق الصغير

يرسم الكاتب في هذا المقال صورة رقيقة لجديه، يستحضر فيها ما يحيط بالشيخوخة من كآبة محببة٠

يخرج جدي عصر كل يوم ليقتعد النجيل خارج الفندق، وينقل معه مجموعة من المعدات: عصاه وقبعته وسترته وبطانية زرقاء صغيرة ووسادة ويحشو جيبي قميصه بشتى الادوات الشخصية: فهناك نظارة للشمس واخرى للقراءة وقلما حبر وتشكيلة من أقلام الرصاص التي تآكلت المماحي في كعوبها، وهناك العلبة الصغيرة التي يضع فيها اداته المساعدة على السمع، وكدسة من الاوراق المطوية بعناية فائقة، من ايصالات وقوائم ومشابك الأوراق والرسائل، وحبوب الدواء وعصابة سوداء للعين مشدودة الى رباط مطاط٠ ويحتجز سرواله بحزام للنقود مزود بزمام منزلق يضع فيه بعض الاوراق النقدية بعد طيها بعناية واحكام٠ ذلك ان جدي ظل طوال حياته هاويا للاستنباطات البارعة، وهو الان متعلق بمعينته السمعية وعصبة عينه الاصطناعية ووجبة اسنانه وكيس النقود المتدلي من جنبه، والجهاز الكهربائي في بطانة صدره الايمن لمراقبة تكات النبض فكأنه بذلك أصبح هو ذاته جهازا ميكانيكيا٠

ويتمدد جدي على جنبه في ارجوحة شبكية، ويصغي الى أحاديثنا جميعها - جدتي وزوجتي ديبي وأنا - ويتململ بحركات عصبية من جهاز التحكم في معينته السمعية الذي كان من صنع شركة انهت اعمالها والذي كثيرا ما اصبح يشكو من الخلل٠

واذا ما سألته لماذا لا يشتري جهازاً جديد- حدق فيّ مشدوهاً٠ فهو يحتفظ بكل فتلة تقع في يديه، ويجمع كل مراسلاته في ملفات، وليس في نيته ان يتخلص من جهاز سمعه لا لشيء الا لان احدا لم يسمع بالشركة التي صنعته٠

وتجلس جدتي على مقعد من النجيل وتحبك بالصنارة، ولست اذكر قط

انها توقفت يوما عن الحبك، فكانت تصنع شتى الاشياء: من سترات صوفية واغطية للمائدة واوشحة وبدلات شمسية، وبطاطين لاحفادها. وعندما ادركت ان قدرتها على الحبك قد وهنت قررت ان تتوقف عن صنع السترات الصوفية التي لا تقابلها الاسرة الا بالنقد، واخذت تنسج الضمادات لمصحة للمصابين بالبرص طالعت° أخبارَهما في الصحف.

وكنت الاحظ ان جدي وجدتي كانت لهما وجنات متوردة، لكنهما كانا يعترضان على ذلك وينفيانه. وكان يسعدهما ان تكون زوجتي قد فقدت شيئا من وزنها، وانما عليها، في رأيهما، ان تتجنب الاسراف في النحافة. وكثيرا ما كانت جدتي تلتفت الي وتقول لي كم انها تتمنى ان احلق لحيتي قبل مماتها حتى يتاح لها ان ترى وجهي من جديد. وكان جدي يؤكد ان لحيتي ستفسد علي جاذبيتي، وفضلا عن ذلك كان يذكرها بان اباها الذي كانت تقدسه، كان ملتحيا. ولم يكن من جدتي عندئذ الا ان تطأطىء رأسها وترفع حاجبيها وتنصرف الى عد الغرز.

الشيخ الودود - وما ان وقف جدي الى جانبي في قضية اللحية، حتى راح يسألني عن الطريق الذي سلكته لكي اصل الى الفندق. وما كنت اجيبه عن سؤاله حتى يأخذ في تعداد الطرق الاخرى التي كان يمكنني ان اختارها: طرق أقصر، وطرق اجمل وطرق اقل ازدحاما. وهنا تدرك جدتي ان فرصتها قد سنحت فتقول لي ان الطريق الذي اخترت وان قل عن الطرق الاخرى التي ينصح بها جدي من حيث المناظر الطبيعية الخلابة الا انه لا يقل عنها ،في ما يبدو، من حيث سرعة الوصول. فيذكرها جدي بانه كان دائما خلال زواجهما الذي امتد لستين عاما، هو الادرى بمعرفة الطرق. ويشمخ بانفه ويقول لها، وعيناه تومضان، الا تعارضه في مثل هذه الامور. وعلى اثر هذه الكلمات يعود جدي فيتمدد ،والاسف على وجهه.

ويحل المساءفيتغلغل نسيمه البارد في بطانية الشيخ المضفورة المربعة النقش، فنقرر ان ننتقل الى احدى غرف الجلوس في الفندق. وتتقدم جدتي الموكب، وقد احدودب ظهرها الان بحيث اصبح يخيل للرائي انها لولا سرعة خطوها لانكفأت على الارض المكسوة بالحشيش. ويهيب بها جدي ان تعدل قامتها وان تخطو بحذر والا وقعت على الارض وكسرت وركها. لكنها تمضي غير آبهة وتفتح له الباب فيدخل باحة الفندق ويجتازها مارا برجلين متقاعدين من اصحاب المصارف القدامى وبآخرين كانا في الماضي امينى مكتبات وجاءا الى الفندق لقضاء اجازتهما، وبأمير للبحر متقاعد، وبرجل وزوجته في مقتبل العمر قد ضلا الطريق وتعطلت سيارتهما فقررا قضاء الليل في الفندق حتى يتم اصلاحها.

ويتوقف جدي ويقدم نفسه الى الشاب وزوجته، ويقول لهما انهما سيجدان طعام الفندق جيدا وانه استاذ في تاريخ الفن وقد تقاعد الان، وان هذا هو حفيده قد جاء لزيارة جده الشيخ. فيهز الرجل وزوجته رأسيهما باحتراس، فاذا ما هما تأكدا ان جدي قد دخل الفندق مال الرجل نحوي وقال انه يبدو شيخاً ودوداً.

وقد حدث ذات يوم ان اصطحبت جدي وجدتي في سيارتي من منزلهما الى هذا الفندق، وفي الطريق توقفنا لنتناول طعام الغداء في احد المطاعم. وكان الزبائن متزاحمين امام المنضدة في مدخل المطعم، والموائد مكتظة ببقايا الطعام التي خلفها المسافرون ممن جاؤوا قبلنا. لكن ذلك لم يثن جدي عن ان يقدمني ويقدم زوجته ويقدم نفسه الى الفتاة القائمة على خدمة الزبائن والتي توقفت لتسجل طلباتنا من الطعام.

وكان دافعو عربات الطعام قد توقفوا خلفنا في انتظار اي فجوة للمرور حول المنضدة، لكن جدي مضى يطلع الفتاة على مهنته ويسهب في ذكر محل اقامته ووجهة سفره، بينما كانت هي تلح علينا في تحديد طلبنا وتومىء حزينة الى سائر الزبائن. واخيرا ابلغها جدي مطلوبنا من الطعام، فسجلت طلباتنا وهمت بالانصراف نحو المطبخ، لكنها توقفت ووجهت الى جدي نظرة مصحوبة بالقلق فكأنما كانت تهم بخرق اقدس القوانين القبلية، ومضت تقول له اسمها وتعلمه بانها طالبة في المدرسة الثانوية وبأنها لا تتجاوز السابعة عشرة وترجو ان تلتحق بالجامعة. وتساءلت حينئذ بيني وبين نفسي ما اذا كان يتسنى للحكومة ان توظف الشيوخ من أمثال جدي ليطوفوا في ربوع البلاد وينشروا فيها قواعد السلوك المتحضر.

الامتحان الديني – وقد بدا لي ان هذا الفندق ليس هو المكان المناسب لجدي وجدتي، فقد صور جدي الكاتدرائيات العظيمة والقى المحاضرات عن روائع الفن في عصر النهضة، وهو حجة في المعمار، صمم كنائس ورمم مثلها وعمل مديرا لاحد المتاحف. وها هو يقضي عطلته مع المتقاعدين من موظفي المصارف وامناء المكتبات ممن لا حديث لهم الا عن السرطان وقوائم الطعام وشؤون الحياة اليومية او انهم لا يتحدثون على الاطلاق.

وعندما نكون في غرفة الجلوس، تراودني الاحلام والامنيات في شأن جدي: حبذا لو استمعت اليه زوجتي وهو في احسن احواله. فاوجه الحديث نحو هندسة الفندق، فيقول ان ذاكرته ما زالت تضعف فضلا عن ان زوجتي لا بد ان يصيبها الملل اذا ما تحدث هو عن المعمار. ونحتج انا وزوجتي على ذلك، كما تقتضي اللياقة، فيزداد حماسة للموضوع. والتفت الى ديبي وانظر اليها نظرة ملؤها الاعتزاز، فتبدي هي بعض القلق، اذ من الواضح ان الابتهاج لا يستخفها بهذا الحديث كما يطيب سماعه للحفيد.

وبعد مشاهدة الاخبار على التلفزيون، يدق ناقوس العشاء، فننهض اربعتنا ونتجه نحو غرفة الطعام، علما بان العشاء هو الحدث الرئيسي في الفندق. ويحرص جدي على أن يورطنا جميعا في النقاش فور جلوس كل منا في موضعه من المائدة. فاذا احتدم النقاش واختلط الامر، اخذ زمام المناقشة بيده، وهو ينشر فوطته على حجره ويتنفس نفسا عميقا ويشير الى عبير الطعام الاتي من المطبخ، وبعد ذلك ينصرف الى قراءة قائمة الطعام.

ثم يأتي الطعام، وهو يشتمل على كميات صغيرة من الغذاء اللين، فيمضغ جدي كل شيء بتمهل وعناية،

ولا يستثني من ذلك الحساء الكثيف. وينظر الينا فيرى اطباقنا وقد خلت من الطعام، فيقطب جبينه ويحذرنا من انه لا ينبغي الاكل بهذه السرعة. فالاكل بسرعة حري بان يسبب لنا مشكلات هضمية ومرض القلب عندما تتقدم بنا السن. وما الداعي الى العجلة على اي حال؟

فاذا انتهينا من طعام العشاء، طوينا الفوط وصعدنا الى غرفة جدي. وتجلس جدتي وتنصرف الى اللعب باحجية من الصور المقطعة. اما جدي فيجلس على سريره. وعندئذ اشير الى ديبي بما معناه اننا لن نمكث الا لبضع دقائق.

ويلتفت جدي الى ديبي فجأة ليسألها عما اذا كانت متدينة، فتجيبه بانها ما زالت متدينة بمعنى ما. وتبدو عليه علائم الرضا، فيسألها الى اي كنيسة تنتمي. فتجيبه بانها تنتمي الى الكنيسة الاسقفية. فيقول: آه! نحن اذا في مواجهة كاثوليكية رسبت في امتحان اللغة اللاتينية. وتضحك ديبي وسرعان ما يقنعها بان تتلو عليه اعترافها. ويشترك جدي في التلاوة حسب الطقس الانغليكاني، مراعيا ان يسرع في ايقاعها حتى ينتهيان الى التسابق وقد علت وجهيهما الحماسة وتملكت كلا منهما الرغبة في اثبات قوة ذاكرته.

وبعد ذلك يبدأ جدي في الحديث عن الكنيسة في بلدته الصغيرة، وكيف انه كلف في مدرسة الاحد ان يتلو من الذاكرة ثلاثةمزامير، لكن انتباهه شت بسبب ما في نشيد الانشاد من فقرات مفعمة بالحيوية مما جعله يتعثر في تذكر الكلمات، فقطع على نفسه عهداً بألا يسيء اداءه بعد ذلك قط. ومن ذلك الوقت حرص جدي على الاستعداد لتلاوة الكتاب المقدس واللاتينية واليونانية، او اي دروس تقتضي الاداء الحرفي.

وهو يروي القصة لا كموعظة وانما ليوضح امرا يتعلق بشخصه. فلقد أخذت تنتابه الشكوك في أثناء تقاعده الفاتر. وكثيرا ما هو يتساءل عما اذا كان بالفعل عالما من عداد العلماء ام ان منزلته لا تعدو الشغف بجمع المعلومات، تماما كما يجمع الطوابع والبطاقات البريدية والرسوم الليتوغرافية؟ اهو من التدين بما يصلح له ان يكون قسا علمانيا ام ان الامر لا يعدو استمتاعه بان يكون الخطيب امام جمهور المصلين؟

الخيمة افضل ـ وتلتفت جدتي اليه وتوبخه على شكوكه بقولها: "دعك من التعبير عنها". وتؤكد له انه معلم عظيم كما يعتقد طلابه وانه قس ممتاز.

وهنا انهض واتظاهر بالتثاؤب، واقول: لقد آن وقت النوم. ولما كنت قد رفضت اقتراحهما ان يتسأجرا لي غرفة في الفندق، فقد بقي ان نقضي الليلة انا وديبي في خيمة في الغابة المقابلة للفندق. فيقول جدي انه ليس هناك ما هو اصح للجسد والروح. فتقول له جدتي: ان الاقامة في الخيام لا تناسب الشيوخ ذوي القلوب المريضة. لكن جدي يتجهم متظاهرا بالدهشة. واقول له: اننا سنتناول معكما طعام الافطار قبل القيام برحلة العودة. واقبله على خده الكاشط.

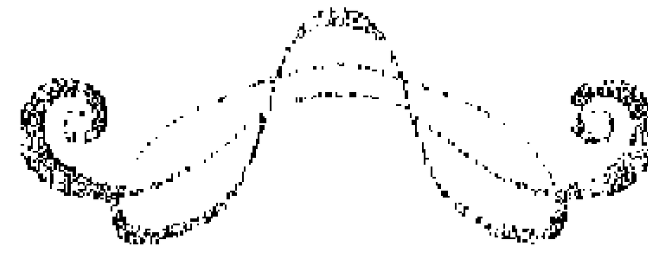
وما ان نبلغ اسفل السلم حتى نرى صاحب الفندق. فينتحي بي جانبا

ويقول لي ان جدي مسنان، بل ربما اسن واوهن من سائر النزلاء في الفندق. فعلني اجد لهما مكانا آخر ليقيما فيه في اثناء الصيف المقبل، ولعلهما يجدان فيه رعاية اوفى، لان الحقيقة هي ان التأمين هنا لا يكفي لتغطية جميع الاشياء التي قد تحدث للمسنين، ككسر الورك او الاختناق بالطعام.

ولا اجد ما اقول. واهم بان اقول له ان الموضوع لا يخص احدا غيره وغير جدي. لكنني اقول بدلا من ذلك انني سافاتح ابي في الموضوع، فيقول صاحب الفندق: ارجو الا يكون لكلامي اي اثر سيء في نفسك. فأؤكد له - لكي اتخلص منه - ان كلامه لم يترك في نفسي أي أثر سيء. لكنه لا ينثني عن عزمه فيلاحقنا بصوته في طريقنا الى الخارج ويقول مكررا: "كل ما في الامر هو ان العمر تتقدم بهما!"

ونأخذ امتعتنا الى الغابة، وننصب خيمتنا على تربتها. وسرعان ما نستغرق في النوم. لكن الليل يتفجر عن عاصفة رعدية فيلوذ كل منا بعناق الآخر حتى ينقضي البرق.

■ اندرو وورد



يحكى عن رماسوامي أيار، احد مشاهير المحامين في الهند، انه رفض ان يكون قاضياً في مستهل حياته المسلكية، وقد كتب الى رئيس القضاة في محكمة مدراس العليا، مبرراً ذلك بقوله: "افضل قول التوافه بضع ساعات من النهار، على سماعها طوال النهار"

ف.ل.

الوضع الانسب

بعد الانتهاء من حفلة توزيع الشهادات، وقف صديقي الى جانب ابيه لاخذ صورة لهما. فقال المصور: "تفضل واقترب من ابيك وضع يدك على كتفه".

فرد الوالد متذمرا: "قد يكون من الأنسب ان يقف الى جانبي ويمد يده الى جيبي".

ش.م.

شتاء اليابان

اذا كنت تتقن "حشر" الجماهير، فيمكنك ان تعتبر ان فصل الشتاء هو انسب فترة لك للحصول على وظيفة في اليابان، حيث تتولى احدى شركات السكك الحديد للنقل في طوكيو استشجار ٨٠ موظفا اضافيا في فصل الشتاء "لحشو" قطاراتها بالمسافرين، وذلك لان ثياب المسافرين الشتوية الكثيفة تشغل مكانا اوسع في القطار، وتضطر الشركة الى زيادة حشر الركاب.

عيون من سري لانكا لعميان العالم

هذه قصة طبيب كرس نفسه
طوال عشرين عاما لتحقيق حلم عمره وهو اعطاء
نعمة البصر للآلاف من عميان العالم.

☐ عبد الرزاق ابو صالح صاحب كشك لبيع السلع في سنغافورة، وهو في الثالثة والثلاثين من العمر وكان فقد بصره قبل ١٨ عاما، ولكنه استعاده كاملا بعد سلسلة من عمليات ترقيع القرنية.

☐ في اليابان، كان طالب طب في التاسعة عشرة من عمره يتسارع الى العمى منذ ثماني سنوات، فاستعاد بصر عينه اليسرى بعملية زرع القرنية.

☐ وفي هونغ كونغ، فقد احد عمال البناء وعمره ٢٨ سنة الجانب الاكبر من بصر عينه اليمنى منذ اربع سنوات، فاستعادت العين قدرتها الكاملة على الرؤية بعملية ترقيع القرنية.

لقد جاءت جميع القرنيات السليمة التي زرعت في هذه العيون المريضة او الضريرة من واهبين في سري لانكا، بعد ان استؤصلت جراحيا من اجسامهم قبل انقضاء ٣٦ ساعة على وفاتهم، ووضعت في آنية خاصة مبردة، ونقلت على وجه السرعة الى سنغافورة واليابان وهونغ كونغ.

وفي كل يوم تقريبا، تنقل العيون الممنوحة من كولومبو، عاصمة سري لانكا ومقر بنك سري لانكا الدولي للعيون، الى اماكن بعيدة، مثل لندن وسان فرنسيسكو وريو دي جانيرو. وفضلا عن ذلك، فان هناك تيارا من العيون الممنوحة يتدفق من هذه الجزيرة - الجمهورية التي يسكنها ١٤ مليون نسمة. فقد وقع ٥٠٠ ٠٠٠ من سكان سري لانكا على تعهدات بالتبرع بعيونهم بعد الوفاة وتوزيعها على جراحي العيون داخل البلاد وخارجها.

ويتماشى تاريخ بنك سري لانكا الدولي للعيون في كثير من جوانبه مع تاريخ مؤسسة الدكتور هدسون سيلفا، طبيب العيون الذي يبلغ من العمر ٤٨ سنة. فقد ظل هذا الرجل البشوش الهادىء المقدام يعمل بتفان لا يعرف الكلل من اجل خدمة قضية العميان طوال العشرين عاما الماضية، تعاونه زوجته ايرانجاني خلال ١٦ عاما منها. وفي ١٩٦٤، عندما باشر البنك اعماله ارسل الدكتور سيلفا ستة عيون بالطائرة الى سنغافورة، داخل زجاجة "ترموس" مملوءة بالثلج. وبحلول عام ١٩٧٧، كانت شحناته الى الخارج قد بلغت ١١٢٠ عينا معبأة في اوعية

حديثة التصميم.

ابن النجار – ولد هدسون سيلفا في اسرة بوذية من اب ورع يشتغل في صناعة الاثاث في بلدة صغيرة خارج مدينة كولومبو. وكان يرغب منذ حداثة سنه في ان يصبح طبيبا، لكن والده كان عاجزا عن تحمل نفقات فلتحاقه بمدرسة الطب. غير ان احد معلمي سيلفا كان بالغ الاعجاب بخلق فلفتى وقدراته، فتمكن من اقناع ابيه بان يساعد في الانفاق على تعليمه في جامعة سيلان. وفي اثناء وجوده في هذه الجامعة عام ١٩٥٧، فكر سيلفا في انشاء بنك للعيون. وذلك انه كان يوما داخل غرفة العمليات حيث كان اثنان من المرضى يتهيأن معا لاجراء عملية جراحية في الوقت نفسه. وكان احدهما مصابا بسرطان خلف العين، مما يحتم استئصالها. وكان الثاني مصابا بالعمي نتيجة لمرض في قرنيتيه، وهو ينتظر الحصول على القرنية السليمة من عين المريض بالسرطان. ويقول الدكتور سيلفا متذكرا: "أدركت وانا اشهد هذا الاجراء مدى ندرة الامكانات المتاحة لاستئصال الانسجة الحية من شخص وزرعها في جسم شخص آخر".

وكان يعرف كطالب طب انه ليس من المحتم ان تأتي القرنية من متبرع حي. وحتى عام ١٩٥٦ – عندما علقت حكومة سيلان عقوبة الاعدام بصفة تجريبية (وقد اعيد تطبيقها في ١٩٥٩)، كان الجراحون في وطن سيلفا يفون بجانب من الحاجة الى القرنيات عن طريق استئصالها من عيون السجناء الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام، والا فمن أي مصدر آخر يمكن الحصول على العيون؟ وفجأة، خطرت فكرة لسيلفا في غرفة العمليات: اذا تبرع عدد كاف من الناس بعيونهم بعد الوفاة، امكن الوفاء بحاجات المصابين بعمى القرنية في سيلان. ووجد سيلفا ان هناك قرابة ٢٠ وفاة تحدث يوميا في مستشفى كولومبو الحكومي، وان مجرد واحد في المئة منها يكفي للوفاء بجميع حاجات البلاد.

ورأى سيلفا ان يحفز السكان على التبرع، فكتب مقالا نشرته صحيفة "صانداي لانكاديبا" التي تصدر في كولومبو، في اوائل ١٩٥٨. وبعد ذلك باشهر قليلة، اجريت اول عملية للترقيع بقرنية اخذت مت احد القراء المتبرعين. ولم يمض وقت طويل حتى كان عدد من المتبرعين الذين استجابوا للمقال يزيد على ٤٠٠. وفي عام ١٩٦١، حصل سيلفا على درجته العلمية وعين جراحا مقيما في مستشفى كولومبو للعيون. وفي شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام، انشأ "جمعية سيلان للتبرع بالعيون". ومن بين الاربعين عضوا المؤسسين للجمعية، كانت ام الدكتور سيلفا هي اول الموقعين على تعهد التبرع اذ هي اوصت بان يتولى ابنها استئصال عينيها عندما تحين ساعتها... وقد نفذ سيلفا الوصية فعلا بعد ذلك بعامين. وفي الوقت نفسه تقريبا، تبرع الحاكم العام لسيلان ويليم جو بالاوا بعينيه الاثنتين. وقد كان هذان الحادثان حافزا دفع ١٧٠٠٠ شخص الى الانضمام خلال اسبوع واحد الى الجمعية. وكتب الدكتور سيلفا مقالا

آخر نشرته الصحف، تنبأ فيه بان سيلان سوف تملك ذات يوم "محصولا وفيرا" من العيون يمكنها من ارسال بعضه الى الخارج.

عيون للعالم — ووصف بعض زملاء الدكتور سيلفا ذلك القول بانه مبالغة ضخمة. وتبرع نادي "الليونز" في كولومبو لمستشفى العيون بثلاجة خاصة لتخزين العيون الموهبة، ولم يلبث عدد العيون المخزونة في تلك الثلاجة ان زاد على كل ما يستطيع زملاء الدكتور سيلفا استخدامه. عندئذ بدأ الطبيب الشاب توجيه الرسائل الى "رؤساء جراحي العيون" في كل من مستشفيات نيودلهي وسنغافورة وطوكيو ولندن ونيويورك، يعلمهم فيها بان كولومبو تستطيع توريد العيون لاجراء جراحات ترقيع القرنية عند الطلب.

وكان اول المستجيبين طبيب جراح في مستشفى سنغافورة الحكومي فوافاه الدكتور سيلفا في شهر مايو (آيار) ١٩٦٤، بشحنته الاولى التي تألفت من عيون ثلاثة متبرعين. وفي العام التالي، ترأس رئيس الوزراء آنذاك "دادلي سينانا ياكي الافتتاح الرسمي لبنك سيلان الدولي للعيون وتبرع بعينيه. وبحلول عام ١٩٦٦، كان الدكتور سيلفا وزوجته قد حولا الطابق العلوي من المنزل الذي يضم مسكنهما وعيادتهما الى مقر رئيسي لبنك العيون.

وبعد ذلك بثماني سنوات، في ليلة ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٧٣ طرق احد السعاة باب الدكتور سيلفا ليعلمه بوفاة رئيس الوزراء السابق. ولم تكن لهذا الاستدعاء في تلك الساعة المتقدمة من الليل اي صفة رسمية او استثنائية. فقد درج الدكتور على اعطاء تعليمات بان تغلق عينا الشخص المتوفي بحرص اغلاقا تاما لتفادي جفاف انسجة القرنية، ثم يسارع الى منزل الميت او المستشفى حيث يجري عملية مدتها ١٥ دقيقة تسمى عملية "استخلاص النواة"، يتولى فيها استخراج العينين بدقة ومهارة، ثم يضعهما في محلول يحتوي على البنسلين والاستربتومايسين، ويضع كرتين من القطن في المحجرين الفارغين، ثم يخيط الجفون وهي مغلقة لكي يبدو منظر المتبرع طبيعيا. وبعد ذلك يقدم الى اسرة المتبرع راية عزائية خاصة تحمل شعار جمعية التبرع بالعيون - ويكون ذلك بمثابة رسالة موجهة الى اصدقاء الفقيد تشعرهم بان آخر اعماله كان اغداق منحة البصر على اخوة له في الانسانية.

وما ان يعود الدكتور سيلفا الى بيته حتى يضع العينين في ثلاجة تحفظهما في حرارة ٤ درجات مؤوية ريثما تدعو الحاجة اليهما. وعندما تصل برقية طلب من الخارج، يراجع الدكتور سيلفا جداول سفر الطائرات واذا لم يجد متطوعا فانه ينقل بنفسه العيون في سيارته الى المطار الذي يقع على مسافة ٣٦ كيلومترا من العاصمة، حيث تتولى جميع خطوط الطيران تقريبا حمل اوعية الدكتور سيلفا مجانا. وقد الغيت جميع الاجراءات الادارية التي قد تؤخر شحنات الدكتور سيلفا سواء في مطار الاقلاع او في مطارات الوصول، فلا تكاد الاوعية تنزل من الطائرة حتى

تنقل فورا الى المستشفيات المعنية من دون اي ابطاء.

ففي استطاعة الاطباء في سري لانكا وخارجها ان يطلبوا العدد الذي يلزمهم من العيون مع تعيين تاريخ تسلمها بالضبط، وهم واثقون من تلبية طلبهم تماما. وكثيرا ما يتلقى بنك العيون - وينفذ - ثلاثة طلبات برقية في يوم واحد. وقد بلغ اخيرا مجموع عدد المدن التي وافاها بنك سري لانكا الدولي للعيون بشحناته ٦٤ مدينة موزعة على ٤٩ قطرا مختلفا.

الجندي المجهول - واما الاسباب التي تبرر هذه المكرمة ونجاحها فهي التأييد الشعبي الواسع والدعم اللذين يبديانهما زعماء الاقليات الكاثوليكية والبروتستانتية والهندوسية في سري لانكا لبنك العيون. والاهم من ذلك هو ان البنك يحظى بتأييد غالبية السكان الذين ينتمون الى مذهب "النيرافادا" الانساني العظيم من مذاهب البوذية، ومن ثم فهم يحملون تقديرا واحتراما كبيرين لمفهوم "الاحسان والعطاء". وهناك سبب آخر مهم ايضا لنجاح البنك هو العمل المتفاني الذي بذله الدكتور سيلفا وزوجته في هذا السبيل وما ابدياه من مهارة في التنظيم والتدبير.

ويدار بنك العيون في غرفة تلاصق غرفة نوم الدكتور سيلفا وزوجته. ولما كان حضور موظفي البنك ومتطوعيه يقتصر على تسع ساعات، بينما يظل البنك مفتوحا طوال الـ٢٤ الساعة فان زوجة الطبيب السيدة ايرانجاني هي التي تسد بنفسها معظم الفراغ الباقي. وعندما يكون الدكتور غائبا، تتولى هي الرد على مكالمات المتبرعين، وتصدر التعليمات للمتعهدين كي يحكموا اطباق عيني المتوفي ويتريثوا في تحنيط الجثمان الى ان يتم استئصال العينين.

ولقد تحتم، منذ البداية، ان تتمازج تصرفات ايرانجاني المنزلية تمازجا وثيقا بالتدابير التي تنفقها على بنك لعيون. وذات مرة طلبت منها احدى زائراتها شرابا باردا، فاعتذرت لها ايرانجاني بانها لا تستطيع فتح الثلاجة تلافيا لتغيير درجة الحرارة اللازمة لحفظ العيون الموجودة داخلها. فما كان من هذه الزائرة بعد ذلك الا ان جمعت نقودا من اصدقائها لشراء ثلاجة ثانية جديدة وتقديمها الى آل سيلفا، وهي ما زالت تستخدم في البيت حتى اليوم.

وتتميز سري لانكا بموقع له اهميته بالنسبة الى نجاح بنك العيون الدولي: فان هذا الموقع يسمح للدكتور سيلفا بتوفير المدد السريع من العيون لبلاد آسيا وافريقيا التي تمس فيها الحاجة الى عمليات ترقيع القرنية وزراعتها. فكثيرا ما يعاني الاطفال في البلاد النامية سوء التغذية الذي يؤدي غالبا الى عتامة القرنية وتكوين الغشاوات عليها. ويسود الاعتقاد بان علل القرنية ينجم عنها العمى لدى خمسة ملايين من البشر يمثلون خمس المصابين بالعمى في العالم بأكمله.

وقد اسفرت الجهود النشطة التي يبذلها الدكتور سيلفا عن تحقيق استجابة دولية لمشروعه النبيل. فتبرع نادي الليونز في نومازو و"كوراشيكي" في اليابان باول سيارة يملكها بنك العيون، وساهمت

جمعية الكومنولث الانكليزية الملكية لرعاية العميان في تقديم الادوات الجراحية اللازمة لاجراء عمليات استخراج العيون المعروفة باسم "استخلاص النواة"، وتبرعت جمعية بنك العيون في هونغ كونغ بقناني نقل العيون. ويقول الدكتور سيلفا: "عندما توقفت اخيرا في كراتشي في اثناء احدى رحلاتي، وجدت مئة من الباكستانيين الذين كانوا مصابين بالعمى من قبل وقد جاؤوني معا، لا لشيء سوى لرؤيتي بعيونهم المبصرة".

واذا استثنينا رسما صغيرا* يتقاضاه بنك العيون لتغطية بعض النفقات البسيطة، فان العيون التي يقدمها البنك تمنح من دون اي مقابل على الاطلاق. وقد تيسرت هذه المجانية الكاملة لان الدكتور سيلفا وزوجته يساهمان شخصيا في توفير الخدمات اللازمة والمساحة المطلوبة لمقر البنك، ولان المتطوعين يؤدون معظم الاعمال المكتبية، كما ان الاطباء في المناطق النائية يجرون عمليات "استخلاص النواة" مجانا لدى وفاة اي من المتبرعين في مناطقهم.

بيد انه على رغم جهود هؤلاء المخلصين، فان ثلاجة بنك العيون تضم في بعض الاحيان عددا من العيون يزيد على ما يستطيع الدكتور سيلفا تسليمه للمستشفيات خلال فترة الايام الثلاثة التي تكون فيها القرنيات صالحة للاستعمال. وذلك لان سري لانكا تتلقى من تبرعات العيون عددا يفوق ما يعوزه البنك الان.

وتسهيلا لعملية الجمع والتوزيع، بوشر تشييد مبنى جديد لبنك العيون على ارض منحته اياها حكومة سري لانكا يمول البناء من التبرعات المعفاة من جميع الرسوم والضرائب، على ان يتولى الدكتور سيلفا الادارة الطبية للبنك، الذي سيضم ثلاثة اطباء آخرين، كما ستكون تسهيلات المستشفى والبحوث في البنك ميسورة لا لجميع الاطباء في كل انحاء سري لانكا فحسب، وانما ايضا لاطباء البلاد النامية الذين يعتزم البنك ان يقدم اليهم منحا للزمالات الدراسية. وباتمام المبنى واستكمال هيئة العاملين فيه، سيغدو في الامكان تصدير ٢٠٠٠ عين في السنة، بعد الوفاء بحاجات سري لانكا نفسها. وسيقوم البنك بذلك في حدود موازنة وضعت له تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ دولار امريكي فقط.

ويدرك الدكتور سيلفا ان سري لانكا لا تستطيع وحدها تقديم جميع العيون التي يحتاج اليها العالم، ولذلك فانه يعتزم العمل لانشاء شبكة تضم خمسة بنوك دولية للعيون، يتم الاتصال في ما بينها عن طريق التلكس. وهو يقول: "ان اي مستشفى يحتاج الى العيون يصبح في استطاعته الاهتداء على الفور الى اقرب مدد ممكن. فاذا ما توافرت هذه البنوك في نيويورك ولندن وطوكيو وسيدني وكولومبو وغيرها، لاستطاعت ان تفلاي بمطالب العالم باكمله".

وبذلك يتحقق الحلم الجميل الذي جال في خاطر طالب طب لعشرين سنة مضت، باعطاء نعمة البصر لخمسة ملايين من عميان العالم.

■ فرنكلين وماري التنغ فولسوم



وحيدة في البراري مع ٤ جمال

نقتطف هذه القصة من يوميات الفتاة روبن ديفيدسون التي قطعت مع جمالها الاربعة وكلبتها ديجيتي ٢٧٠٠ كيلومتر عبر منطقة من أجف المناطق وأقفرها في العالم.

"اشعر بان في داخلي خيطا تتراخى عقده ما بين جوانحي، وهو الخيط الوحيد المهم الذي تتلاشى عنده اوصال الفزع. وكثيرا ما يساورني الارق قبيل منتصف الليل ويستبد بي من دون ان ادري اين انا او من عساي اكون.

ولم يلبث أن ترددت في حناياي ثلاثة اصوات: فاولها ينذرني بانه قد قضي الامر وضاع الامل في اي شيء. ويقول الثاني في الحاح: "واصلي المسير، ولا تستسلمي الى اليأس. فسوف تهتدين الى نفسك مرة اخرى".

واما الصوت الثالث فانه صوت مغرب في الصراخ.

وفي الفجر توقظني ديجيتي، فارى جمالي الاربعة مقيدة بالقرب مني، واطمئن الى مرآها. واباشر عمل الصباح بدافع يشبه الغريزة: فاغلي الماء لتحضير الشاي واحزم الامتعة واسرج الجمال، وايمم شطر الجنوب من جديد.

وها انني قد اصبحت في اليوم الحادي والسبعين من رحلتي. ولقد كان للايام فعلها البطيء في نفسي، بحيث انني كلما هممت بالمسير راحت الخيوط في داخلي تتشابك وتتضافر، وادركت في النهاية من انا من جديد".

عام ١٩٧٥ بلغت الخامسة والعشرين فانقطعت عن دراستي الجامعية في ابريسبين في اوستراليا، وانتقلت الى اليس سبرنغز. وعزمت هناك على ان اقوم برحلة الى المحيط الهندي على مسافة ٢٧٠٠ كيلومتر عبر ارض جميلة خلابة وان تكن قفرا. وهي في الواقع مجهولة لا يعرفها الا الاوستراليون الاصليون وحفنة من المستوطنين البيض وقلة من



المسافرين الذين يقطعونها بالسيارات.

وكانت الجمال هي اول ما احتاج اليه. فهذه الحيوانات التي استوردت من الهند اصلا حظيت بنصيب كبير من النجاح في اجتياز الصحارى والقفار الى ان اخذت سيارات النقل الكبيرة تحل محلها في العشرينات، فاطلق حينذاك الكثير منها. غير ان بعضها ما برح يساس في اليس سبرنغز حيث علمني سائس قديم كيف اطعم الجمال واطببها واقودها، بالرفق والنظام.

واخيرا، اي في الثامن من ابريل (نيسان) ١٩٧٧ شددت رحالي واتجهت نحو الساحل الغربي لاوستراليا وفي صحبتي الجمال الاربعة: "دوكي وبوب وكلاهما ذكر مخصي، وزليخة وفصيلها جولايث

وكلبتي ديجيتي".

اليوم الاول - سؤال رهيب ما زال يقلقني مرة بعد اخرى طوال اليوم: "أفهل ضللت طريقي؟" ولم يلبث هذا السؤال ان اضحى امرا مألوفا لدي في الاشهر التالية. وعند مغيب الشمس نصبت خيمتي بالقرب من الطريق وقدرت المسافةالتي قطعتها بانها لا تتجاوز ثلاثين كيلومترا. فما اطول المسافة الباقية! وبعد ان قيدت الجمال لترعى، اشعلت نارا وقضيت الليل ما بين الاغفاء والتساؤل عما اذا كان سيقدر لي ان ارى جمالي مرة ثانية. واستيقظت اخيرا لاجدها جاثمة بالقرب من امتعتي بينما كانت ديجيتي تغط في طمأنينة كاملة تحت بطانيتي.

اليوم الرابع - وصلنا مستقرا للاوستراليين الاصليين يسمى اريونغا، وكنا منهمكين فتوقفنا واستجممنا لثلاثة ايام.وكان معظم السكان هناك يتكلمون لغة بيتغانتغارا" ولم تكن العبارات المعدودة المتعثرة التي تمكنت من تعلمها الا مثارا للضحك بين اصدقائي الجدد. وانتشرت بينهم اشاعة في ما يبدو، ان "الراما - راما" (او ما يرادفق الشخص المجنون بمعنى يكاد يخلو من الاساءة) يتكلم "البيتغانتغارا" بطلاقة!

اليوم الثامن - حذرني اصدقائي هؤلاء من ان الطريق الجبلي الصاعد عتيق لم يستخدم منذ سنين. ولم يكن ذلك من قبيل المبالغة فبعد ٢٥ كيلومترا امحى الدرب وقضيت ساعات ادرس الخرائط والبوصلة.

وعلى رغم مما واجهنا من انتكاسات فقد تمكنا منالوصول الى تمب داوبز في ثلاثة ايام. وهناك ملأت قربي بالماء وبدأت السير في اتجاه ايرز روك على بعد ٢٤٠ كيلومترا الى الجنوب الغربي.

ودخلنا ارضا من التلال الرملية، وكانت فضاء مترامياً من الرمال الحمراء المتماوجة المنبسطة في سكون ميلا بعد ميل. وقد غمرتنا ملايين الذباب في النهار، حتى اذا اتى الليل تكاثف من حولنا البعوض.

اليوم الحادي والعشرون - بين افواج السياح الذين قدموا الى ايرز روك بالطائرات والسيارات ليشاهدوا هذه الاعجوبة الطبيعية الشاهقة، التقيت صديقا من اليس سبرنغز، وتحادثنا او بالاحرى تحدثت اليه طوال اربعة ايام. وغادرت ايرز روك وانا في ذروة الغبطة.

واتجهت في المرحلة التالية الى مستقر دوكر ريفر على الحافة الشرقية من صحراء جيبسون. سارت الامور على ما يرام الى ان هطل المطر بغزارة.

لكن اقدام الجمال هي اشبه باطر السيارات المكشوفة ويصعب عليها المسير في الوحول. ولا بد ان قيادة الجمال فوق ارض زلجة امر مرهق لكل من السائق والبعير. وما ان بلغت العاصفة ذروة عنفوانها حتى تمزقت كمامة دوكي، افضل جمالي. ولشد ما كان فزعي عندما رأيته يعرج، فظننت ان الرحلة قد اتت الى نهايتها.

وقضيت ليالي اربعا اجمع الحطب لدوكي وادلك كتفه واعانقه واقبله واذرف الدموع متوسلة اليه ان يتحسن. ثم سرنا الى دوكر ريفر بصعوبة وبطء شديد.

اليوم التاسع والستون - عندما

تحسنت حال دوكي بحيث صار قادرا على الرحيل، استأنفنا المسير ودخلنا صحراء جيبسون. ولم يمض وقت طويل حتى رأيت عددا من الجمال البرية.

وتذكرت ما قيل لي في اليس سبرنغز على سبيل التحذير: "الجمل البري الذكر لا يتورع عن قتلك اذا كان نازيا. فهو يحاول ان يأخذ احدى نياقك عنوة ولن يتوقف الا رميا بالرصاص".

ورأيت على بعد مئتي متر ثلاثة جمال جسيمة وكان من الواضح انها نازية وانها تشتهي زليخة. فما كان ان تناولت البندقية وحشوتها بالذخيرة وعدلت الزناد. ولما اقتربنا من الجمال البرية، ولم يفصلنا عنها سوى ٣٠ مترا، صوبت البندقية واطلقت النار. لكنني اخطأت التصويب. وكان علي ان أطلق أربع مرات لكي اصرع الجمل القائد. اما الآخران فقد سارعا في الابتعاد.

ولم يلبث ان هبط الظلام. فقيدت جمالي وحاولت ان ابقيها على مقربة مني. ونمت، لكنني كنت اسمع طوال الليل حركة الجملين وهما يدوران حول مخيمي.

ولدى بزوغ الفجر وجدت احدهما على بعد ٥٠ مترا. فقررت الا اطلق عليه الرصاص ما لم يهددني او يهاجم جمالي. وامسكت بدوكي وزليخة وجولايث، واستدرت لامسك ببوب، لكنه افلت في لمح البصر، وراح يعدو مع الجمل البري الفتي على رغم قيوده. وحاولت طوال ساعة ان الحق به، فلم استطع. وفي الوقت نفسه بقي الجمل البري على مقربة منا، فقررت ان لا بد ان يقتل احد الجملين: فاما الجمل البري او بوب. وصوبت بندقيتي، واحسنت التصويب على رغم انهمار دموعي.

اليوم الحادي والسبعون — السير، ولا شيء الا السير. وتلال رملية بعد تلال. ولقد تناقص ما لدينا من ماء فلم يبق معنا سوى ٤٠ ليترا، لكن خريطتي تقول ان امامنا بئرا ارتوازية وخزانا للماء.

اليس لهذه التلال الرملية من نهاية؟ كيف خيل الي من قبل ان تلك التلال جميلة؟ "ارجوك يا رب ان تكون البئر على التل التالي. ليست هنالك! فليكن: قد تكون على التل الآخر. لا بد ان تكون على ذلك التل. كلا!..."

وفي النهاية صعدنا الى قمة تل بدت لي منه الارض تتسطح وتنبسط. ورأيت بقعة خضراء تتلألأ من بعد فتلاشى خوفي، وتملكني الضحك. ولم تلبث الجمال ان شربت وشربت ديجيتي وانا كذلك. ثم اخذت حماما بالماء البارد. فيا للضحك، ويا للمرح واللعب! وما امتع ان يكون المرء حيا!

اليوم الخامس والسبعون — كان هذا اليوم مشهودا، فقد تلقيت فيه هدية من السيد ادي. ففي ذلك المساء جاء الى مخيمي عدد غفير من الاوستراليين في سياراتهم. وقدمت اليهم الشاي جميعا. وبينما نحن نتبادل اطراف الحديث استرعى السيد ادي انتباهي. كان رجلا نحيل البنية قصير القامة يكاد لا يزيد على متر ونصف متر. وكان معتدل الظهر، جميل المحيا وله يدان معبرتان باروع ما يكون التعبير.

وفي صباح اليوم التالي قرر

ضيوفي ان يصحبني احدهم الى بيباليا تغارا التي تبعد مسيرة يومين عن موضعنا. فلذت بالصمت محاولة ان ابدو بمظهر الادب، وشرعت في السير حتى لحق بي الشيخ القصير.

واستدرت، ونظر كل منا الى الاخر. ولكم كانت تلك العينان مليئتين بالدعابة وعمق الشعور والمعرفة! ولامر ما انطلقنا معا في الضحك. واستمر ضحكنا خمس دقائق. ثم قدم نفسه قائلا: ادي. وقدمت نفسي قائلة: روبن. ولقد ظللنا نتحادث طوال ذلك اليوم واليوم الذي تلاه عن طريق الاشارات وبنتف من لغتي "البيتغانستغارا" او الانكليزية، كما استمر احدنا يضحك لتهريج الآخر. ولست اعتقد انني سعدت يوما بوقت قضيته سعادتي بتلك الفترة. وهكذا وصلنا الى بيباليا تغارا.

وبعد ثلاثة ايام حزمت امتعتي استعدادا للرحيل الى واربيرتون على بعد ٢٩٠ كيلومترا غرب صحراء جيبسون. وعندئذ اعلن ادي انه قادم معي.

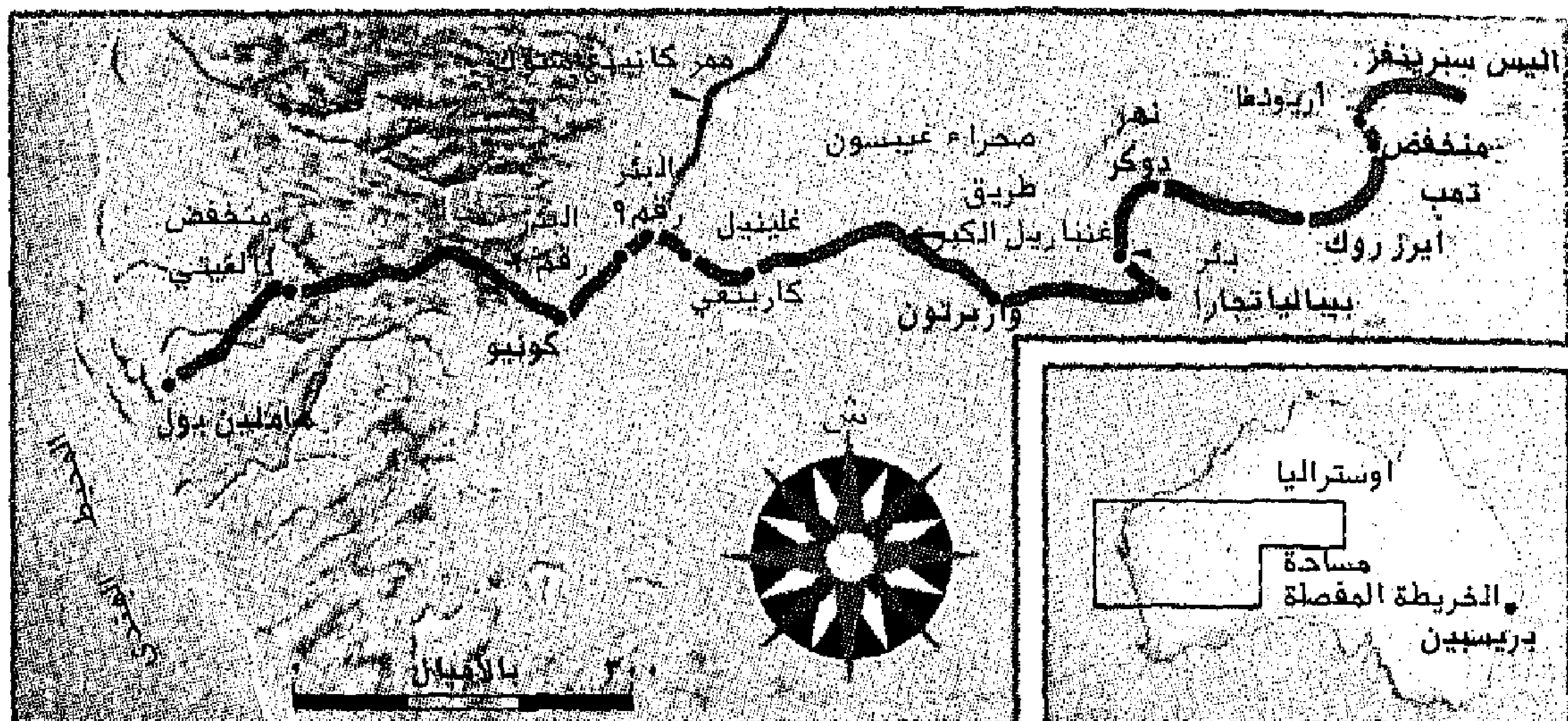
اليوم الثمانون - بدأنا المسير، وبعد كيلومترين او ثلاثة كيلومترات صمم ادي على ان نتحول عن الطريق من اجل قطف البيتوري، وهو نوع من التبغ المخدر يزرعه سكان البلاد الاصليون ويمضغونه. فانتقلنا الى واد ورحنا نبحث في صمت عن ذلك النبات ساعات عدة.

وبدأت اتساءل مرة أخرى ما أذا كنا سنبلغ واربيرتون. لكن ادي بدا وكأنه يسير مع الزمان ولا يقيسه. ولم يعتم الامر حتى بدأت اطمئن الى ما يحيط بي واستمتع به. وكان ذلك درسا آخر لا يستهان به من بين الدروس التي علمني اياها ذلك الشيخ الرائع.

اليوم الرابع والتسعون - افترقنا في واربيرتون. ولم ازل اذكر الاسابيع الثلاثة التي قضيناها معا في الطريق باعتبارها لباب رحلتي بأكملها. لكن امامي الان مرحلة خطرة مسافتها ٥٦٠ كيلومترا على طريق جان باريل عبر الصحراء الوعرة. وقلما تخاطر السيارات باقتحام هذا الطريق، وليس من الصعب ان ادرك هذا السبب الان. فهذا الطريق ليس سوى اخدودين ضحلين لا تستطيع اجتيازهما الا امتن السيارات واقواها.

اليوم الثاني عشر بعد المئة - يا له من يوم خالد الذكر بعد المسير طوال اسبوعين وقطع مسافة ٣٥٠ كيلومترا على طريق جان باريل. فما ان تسلل ضوء الفجر من بين اجفاني حتى ادركت ان هناك شيئا ناقصا وهو الزنين المألوف الذي تصدره اجراس الجمال. ونظرت فلم اجد زليخة وجولايات وبوب. اما دوكي فكان موجودا لا لشيء الا لانه يشكو من ثقب كبير في قدمه ولا يقوى على السير.

وقال لي صديق حكيم ذات يوم: "لا ترتعبي اذا لم تجر الامور كما تشتهين. والاحرى ان تضعي اناء الشاي على النار وان تجلسي وتفكري بوضوح". وهكذا، فقد وضعت اناء الشاي على النار وجلست واخذت اعرض النقاط البارزة في الموقف: انت على مسافة ١٥٠ كيلومترا او تزيد عن اي عمران، ولقد فقدت ثلاثة جمال، وثمة جمل آخر يعاني من ثقب



في قدمه، وليس لديك من الماء ما يكفي لاكثر من ستة ايام، ووركك متقرحة، وهذا مكان بشع لا يمكنك ان تقضي بقية عمرك فيه.

فما ان نسقت الامور على ذلك النحو، حتى انتباني الرعب، لكن امره لم يطل لحسن الحظ. فبعد مرور اربع ساعات اطلت الجمال الثلاثة. واستطعت ان استعيدها. وبعد ان عالجت قدم دوكي بدأنا السير مرة اخرى. وكانت شفتاي متشققتين، وكان أنفي قد بدأ يتقرح نتيجة لوهج الشمس. وكان بي فزع من الموت حتى لقد استيقظت صباح اليوم التالي نتيجة لاصطكاك ركبتي. وعلى رغم كل هذه المتاعب فقد بقيت على يقين من جدوى الرحلة التي اقوم بها.

اليوم الثامن عشر بعد المئة ـ في نهاية طريق جان باريل مزرعة كارنيجي للماشية. لكن المزرعة قد هجرت نتيجة لشدة الجفاف ولم يكن في استطاعتي عندما بلغتها ان اتزود بالمؤن كما كنت آمل. فلم يبق لي مفر من التوجه نحو الشمال الغربي الى مزرعة جلينيل عبر طريق يمتد على مسافة ١٢٠ كيلومترا. فلقد شح الغذاء لدي حتى انني اضطررت ذات مرة الى ان آكل بسكويت الكلاب الخاص بديجيتي.

واخيرا وصلنا بشق النفس الى المزرعة، وكان منظرنا مزريا. فلم اكن قد اغتسلت لشهر، وكانت ملابسي ووجهي مكسوة بالغبار الاحمر. وكان اول ما رأيت حسناء في اواسط العمر تسقي زهورها، فلما اقتربت منها ابتسمت، وقالت من دون ان يطرف لها جفن: "مرحبا بك يا عزيزتي، تفضلي وتناولي كوباً من الشاي".

وهكذا التقيت ايلين وهنري وارد. وقد اصرا على الا استأنف رحيلي قبل مضي اسبوع آخر. فيا لهما من شخصين كريمين، وما اشد عطفهما !

اليوم التاسع والعشرون بعد المئة ـ غادرت جلينيل واتجهت نحو طريق كاننج ستوك الاسطوري، عند البئر رقم ٩. وكان علينا ان نسلك هذا الطريق لمسافة ٢٧٠ كيلومترا. وبالتالي ان نقطع منطقة الكلاب

البرية، وكنت اخشى ان تلتقط ديجيتي طعما مسمما من التي يضعونها للقضاء على الكلاب البرية. فكممتها، لكنها صارت تعوي واخذت تخمش الكامة باظافرها، فبلغ الضيق منيحدا حملني على انتزاع الكمامة عن فمها.

كانت المنطقة وعرة. فما ان وصلنا الى البئر الرقم ٦ حتى قررت ان اتوقف. كان المنظر رائعا: ضباب ازرق رقيق يمتد فوق الصحراء، وتلال هلالية الشكل وكثبان رملية حمراء من لون اللهب تسبح في الضباب الشفيف. ونصبت خيمتي في موقع تحيط به اشجار الاوكالبتوس الساهقة كأنها ابراج كاندرائية.

وكان ان قضيت هنالك ثلاثة ايام شعرت فيها بعيشة بلغت حد الكمال، ومن دون ان تساورني اي رغبة في الرحيل، وكأن كل ما في الرحلة من حسنات قد تجمعت وتركزت في ذلك المكان الفريد، حتى اذا كانت الليلة الثالثة، فالتهمت ديجيتي طعاما مسموما، اضطرني الى ان اقتلها رميا بالرصاص، وقبل ان يبزغ الفجر غادرت المكان الذي ظننت انني لن ابرحه.

اليوم السابع والثلاثون بعد المئة — لم يبق لدي الان سوى رغبة واحدة وهي ان ابلغ نهاية الرحلة. ومن ثم، فلم اعد ابالي بالارض التي تطأها قدماي. وهكذا، فقد وصلت الى كونيو في السابع والعشرين من اغسطس (آب).

اليوم الثمانون بعد المئة — شهر من السفر البطيء بعد ان غادرت طريق الماشية في كونيو. ووصلنا الى مزرعة الاغنام بدالجيتي داونز التي لا تبعد اكثر من ٢٥٠ كيلومترا عن البحر. واستضافنا ديفيد ومارغو ستدمان وأخذا يغدقان علينا جميعا من كرمهما وعطفهما.

اليوم الخامس والتسعون بعد المئة — المرحلة الاخيرة من الرحلة. فما اشد سروري! واخيرا رأيت المحيط الهندي رأيته يومض من بعيد، عند الطرف الاقصى من الكثبان، رأيت منتهى سفري.

وقرب مغيب الشمس، امتطيت احد الجمال وهبطت الى الشاطىء، فخلب لبي جمال البحر. وقد تعذر على الجمال ان تتفهم وجود مثل ذلك الماء الكثير. فكانت تحدق فيه، وتخطو بضع خطوات ثم تعاود التحديق.

وبعد اسبوع متألق رائع تعمره الغبطة، آن اوان العودة. ولم يكن في مقدوري ان اصطحب الجمال الاربعة فتركتها على مضض في رعاية سائسين من اهل المنطقة. وخاطبت الجمال مودعة فقلت لها: "يا اصدقائي الاعزاء سوف تقضون شيخوخة هنيئة، تأكلون الحلوى وتتأملون تضخم اسنمتكم".

ولكم سئلت منذ قمت برحلتي عن الدافع الذي حملني على السفر؟ ولم يكن لدي ما اقوله في هذا الصدد سوى الخواطر القليلة الاتية:

"انا شغوفة بالصحراء وما تقترن به من احساس فريد بالرحابة والسعة. ويروقني ان اعايش سكان البلاد الاصليين واتعلم منهم. ثم انني اهوى الحرية الملازمة للعزلة والانفراد، والنضج الناتج عن المغامرة".

وكل ذلك واضح وبدهي وبسيط. فما الداعي الى التساؤل؟

غريب وغير مرئي كالثقب في الفضاء؟

حالما ينهار احد النجوم انهيارا كاملا ليتحول الى ثقب اسود، فان ما يخلفه ذلك النجم وراءه هو الجاذبية. وفي الامكان الاستدلال على وجود تلك الجاذبية من الاثر الذي تحدثه في نجم قريب منها اذ هي تجعله يدور في فلكه مترنحا. وهكذا فأن الفلكيين الذين يستخدمون اجهزة التلسكوب البصرية والمراصد المزودة بأشعة أكس يتولون اليوم مسح الفضاء مسحا دقيقا بحثا عن نجوم مزدوجة يدعى الواحد منها "النجم الثنائي"، وهو عبارة عن شمسين توأمين تدوران حول مركز جاذبية مشترك تدور فيه الواحدة منهما حول الاخرى. واذا كان احد التوأمين يؤثر تأثيرا غير اعتيادي في انجذاب التوأم الاخر وكان في الوقت نفسه معتما ومضغوطا بشدة، فمن المرجح ان يكون هذا الرفيق ثقبا اسود.

ولكن لا بد من اجراء اختبار لاحق للتأكد من هذا الترجيح. من المعروف ان كل نجم ضخم ومضيء يولد بضغط غليانه ريحا نجمية تعج بالجسيمات والاشعاع وتهب في جميع الجهات. واذا كان هناك ثقب اسود في جوار النجم فانه يتغذى من هذه الريح. وحالما تنجرف المواد التي يمتصها الثقب الأسود وتنهار فيه، ترتفع حرارتها، بفعل الاصطدام، الى ٥٠٠ مليون درجة مئوية. ونتيجة لذلك تطلق المادة المنهارة فيضا مضطربا ولكن كثيفاً من أشعة أكس التي تتوزع في ارجاء الفضاء. وفي الامكان اكتشاف هذه الاشعة وقياسها. ولكن لما كانت الطبقة الغلافية الكثيفة من الهواء المحيط بالكرة الارضية تمتص الاشعة السينية وتحول دون تسربها، اصبح لزاما على العلماء الذين يتقصون الثقوب السود ان يطلقوا كاشفات الذبذبة السينية على متن اقمار اصطناعية تدور في افلاك فوق ذلك الغلاف الارضي الواقي.

ان المواد العلمية التي اطلقت الى الفضاء بصاروخ من سماء كينيا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ كانت من اعظم الحمولات المثمرة التي اطلقها الانسان الى فلك خارج فضاء الارض. فقد حمل ذلك الصاروخ اول مرصد فضائي يعمل باشعة اكس. واطلق على المرصد اسم "اوهورو" الذي يعني "الحرية" في اللغة السواحيلية. واستطاعت الكاشفات الدقيقة في تلك المركبة المذهلة التي اطلقتها "ناسا" تسجيل ٣٣٩ مصدرا نجميا تبث اشعة اكس. والاهم من ذلك هو ان الكاشفات سجلت، بعد مرور ثلاثة اشهر على بدء عمل مرصد "اوهورو" الفضائي، اختلافا في نوعية البث باشعة اكس من مصدر معروف سمي "كوكبة الدجاجة اكس - ١" (بمعنى انه اول مصدر لاشعة اكس يكتشف في مجموعة كوكبة الدجاجة التي تمكن رؤيتها صيفا وخريفا من بعض مناطق الارض على هيئة تقاطع مصلب في الشمال). وفي الوقت نفسه بدأت "كوكبة الدجاجة اكس - ١" تبث اشارات لاسلكية مكنت الفلكيين من تعيين موقعها بدقة اعظم كثيرا مما كانوا حصلوا عليه لو انهم اكتفوا بضبط نقطة الصفر، اي

الاعتماد الكلي على اشعة اكس.

وهكذا، ما ان تم للفلكيين تحديد "كوكبة الدجاجة اكس - ١" تحديدا دقيقا حتى تبين انها رفيقة معتمة لنجم عالي الحرارة، وهو عملاق تفوق كتلته ٣٠ ضعفا كتلة الشمس ويبعد عن كرتنا الارضية مسافة ٨٠٠٠ سنة ضوئية.

وقد اظهر المزيد من الدراسات ان هذا النجم العملاق المنظور يدور متمايلا في فلك غير مستقر نظرا الى قوة الجاذبية الفائقة التي تبذلها الرفيقة غير المنظورة. ويظن ان لهذه الرفيقة كتلة تفوق من خمسة اضعاف الـ ١٥ ضعفا كتلة الشمس، وانها تدور مسرعة حول النجم المنظور مرة كل ٥،٦ ايام على مسافة ١٢ مليون كيلومتر.

البيضة الكونية - اذا كانت هناك كثرة من الثقوب السود كما يتنبأ العلماء، فان المضاعفات التي تنطوي عليها تلك الظاهرة ستكون صاعقة حقا. تصور فقط امكان وجود عشرة ملايين ثقب اسود في مجرتنا، "درب التبانة"، وحدها. (لا خوف الان على رواد الفضاء من الانجراف في هذه الهوات المجهرية السحيقة، لان الفلكيين يظنون انه لو كان هناك ثقب اسود قابع في مكان ما من نظامنا الشمسي لاستطاعوا كشف امره بمراقبة اثر جاذبيته العظيمة).

لقد ادركنا، خلال العقود الخمسة الاخيرة من هذا القرن، ان الكون آخذ في الاتساع. ويجمع الرأي العلمي حاليا على ان هذا التوسع هو نتيجة الانفجار البدائي الذي فتت "البيضة الكونية" المادية العملاقة التي تكون منها كل ما هو موجود. فهل سيواصل الكون توسعه بعيدا عن مركزه. في تطاير خارجي مستديم تنتشر معه المادة وتمتد برقة ونحول؟ ام ان قوة النجوم والمجرات في الجذب ستوقف هذا التوسع آخر الامر وتتسبب في ضمور الكون وتقلصه؟ ان معادلات اينشتاين وافكاره تتبنأ بان الكون في يوم ما سيفعل هذا الشيء بالذات، اي سينهار على نفسه.

ان الفلكيين لم يعثروا بعد على مادة كافية في الكون لانتاج جاذبية قوية قادرة على عكس عملية التوسع الحالية. على ان بعض العلماء يرى ان جزءا مهما من "المادة المفقودة" المطلوبة لغلق الامتداد الكوني قد تكون محصورة داخل الثقوب السود. فاذا صح هذا الرأي، فهو يعني وجود مقدار كاف من الجاذبية لارغام الكون على الانهيار على نفسه باندفاع مذهل نحو ابادة الذات بحيث لا تتدمر المادة باكملها فحسب، بل يندثر معها الزمان والفضاء ايضا. ولكن حتى وان لم يتقوض الكون ويتهافت عند ثقب اسود واحد، فقد يختفي في نهاية المطاف عبر ملايين الثقوب السود التي يحتمل ان تكون في هذه اللحظة تلتهم المجرات المتحركة في افلاك منفردة.

وبناء على ذلك، اذا استطعنا ان نحل لغز الثقوب السود - وهو اعظم الالغاز طرا - فاننا سنفجر حتما الاغشية التي تحجب الحقيقة عن اعيننا، ونبدل النظريات بمفهوم جديد قد يعطينا فعلا الجواب عن المصير النهائي للجنس البشري.

■ جون ل. ولهلم

الوردة الزرقاء



ملخص من كتاب بقلم جيرد اكلاين / الصور : نورما هولت

هذه حكاية فتاة صغيرة، نادرة
وجميلة كما الوردة الزرقاء.
وهي حكاية تقدم رسالة حب الينا جميعا.

الوردة الزرقاء



جاني فتاة صغيرة،
صغيرة جاني وحلوة.
ولها عينان بنيتان
وشعر بني ادكن.



اذا انسدل شعرها على عينيها،
ازاحته الى الوراء.
الا ان يدها
لا تذهب مباشرة
الى جبينها.

بل، عوضا عن ذلك:
تتقوس يدها مثل وردة
تفتح براعمها للمرة الاولى،
وبعد ذلك ترد شعرها
عن عينيها.



وكما ترون،
جاني مختلفة.
اجل،
مختلفة عن معظم الفتيات الصغيرات.

ولكن ليس على الناس ان يتشابهوا
في افكارهم،
وافعالهم،
ووجوههم.



وكما اراها،
وردة زرقاء.
جاني وردة زرقاء.

زرقاء؟
هل رأيتم مرة وردة زرقاء؟

هناك ورد ابيض،
وورد قرنفلي،
وورد اصفر،
وهناك، طبعا، كثير من الورد الاحمر.
اما ان يكون الورد ازرق،
فهذا شيء آخر.

ان كل بستاني
يحب ان يربي وردة زرقاء.
فالناس عندئذ يأتون
من امكنة بعيدة لكي يروها.
وهي ستكون نادرة
ومختلفة وجميلة.

جاني ايضا مختلفة.
وهي، في هذا،
مثل وردة زرقاء.



عندما دخلت البيت للمرة الاولى،
آتية من المستشفى،
وكانت طفلة وردية اللون،
مستديرة وتغري بالمعانقة،
كانت تبكي غالبا .
وكانت تبكي أكثر مما يفعل
معظم الاطفال.

ولكن لماذا بكاؤها؟

ربما لانها رأت اخيلة مختلفة،
واخافتها تلك الاخيلة.
ربما سمعت اصواتا
بدت غريبة لها.
وعندما صارت أكبر،
كانت تلازم امها
وتلتصق بها دائما.
عندما تفقد هرة صغيرة ذنبها،
تعرفون ما يقال:
انها تكسب اذنين ارهف سمعا.
صحيح ان الذنب
يساعد الهرة
على الركض بسرعة أكبر.
لكن هرة بلا ذنب تسمع أكثر،
وفي امكانها ان تشعر
بوقع الخطى المقتربة منها
قبل الهريرات الاخريات بكثير.

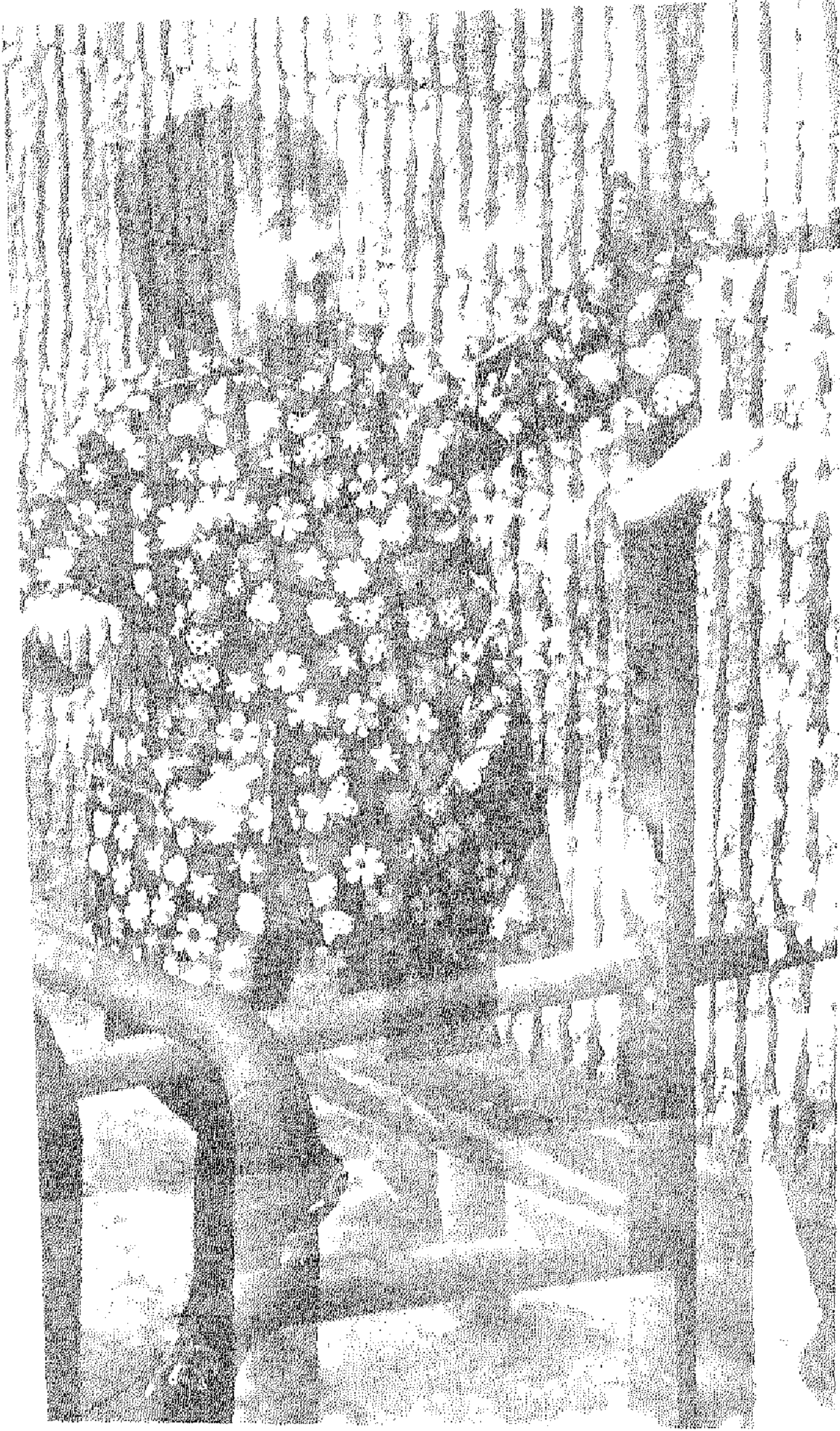
بين الناس من لا يعرف
بوجود هذا النوع من الهررة
ذات الاسماع المرهفة.
انهم لا يلاحظون سوى
عدم وجود الذنب.

وبين الاطفال من هم قساة،
ويحدقون ساخرين وقائلين:
"الهرة الصغيرة لا ذنب لها ،
الهرة لا ذنب لها !"

احيانا تذهب جاني
راكضة الى امها،
وتلتصق بها من دون ان يكون
هناك اي سبب ظاهر لفعلها
وعلى الاقل،
لا يكون هناك سبب يمكن ان نراه.

من هنا ادركنا ان عالمها
مختلف عن عالمنا قليلا،
ونحن نجهل جوانب منه.
بيد أننا نفكر انها ربما كانت
تعيش في عالم
لا نشعر فيه نحن بالاستقرار،
وان ذهابنا الى ذاك العالم
قد يكون كالذهاب الى كوكب آخر.





ان جاني تبدو كأنها
تقف وراء شاشة ·
وهي شاشة لا نستطيع ان نراها ·
ربما كانت ذات الوان جميلة ·
وربما كانت هذه الالوان
تصرف انتباه جاني عنا
ونحن نتكلم اليها أحيانا ·
او ربما كانت جاني
تصغي الى موسيقى
ليس في امكاننا سماعها ·

يقال ان للسمك لغة
وموسيقى خاصتين به ،
يحملهما الموج ·
ونحن لا يمكننا
سماع هذه الموسيقى
لان آذاننا ليست بالغة الدقة ·

اذا ، ربما كانت جاني
تسمع اصواتا لا نسمعها اطلاقا ·
وهذا قد يكون سبب قفزها احيانا
لترقص رقصة غير متناسبة ·



احيانا يخيل الي
ان جاني مثل عصفور،
جناحاه قصيران جدا.
ان عصفورا كهذا
يصعب عليه الطيران،
فهو يقتضي مقدارا أكبر
من القوة والنشاط والوقت.

ان عصفورا بجناحين طبيعيين
يأخذ الطيران كأمر مفروغ منه.
لكن عصفورا بجناحين قصيرين
عليه ان يبذل جهدا أكبر للتعلم
لكي يصبح اكثر براعة.

لذلك، علينا ان ندرك
أي انجاز كبير تحققه جاني
عندما تنجح في تعلم شيء ما.

الا ان هناك جاني ثانية ،
هذه تمكث بعد ظهر احد ايام الشتاء العاصفة ،
في كرسيها الهزاز الصغير ،
تمكث وحدها وتهزهز ،
حاملة لعبتها على ذراعيها ·
وهي تجلس بأضطراب وحيرة ،
وتقول بهدوء :
"ماما ،
الفتاة سالي تقول اني متخلفة ·
ماذا تعني تلك الكلمة يا امي؟
متخلفة ؟
الاولاد يقولون : متخلفة ،
ويضحكون " ·







هناك امور كثيرة لا تفهمها جاني.
هناك امور كثيرة
يفهمها الناس عن جاني...
هي انها
مثل هرة صغيرة بلا ذنب،
سمع موسيقى مختلفة،
كعصفور ذي جناحين
قصر من أجنحة العصافير،
ذلك هو يحتاج الى حماية.

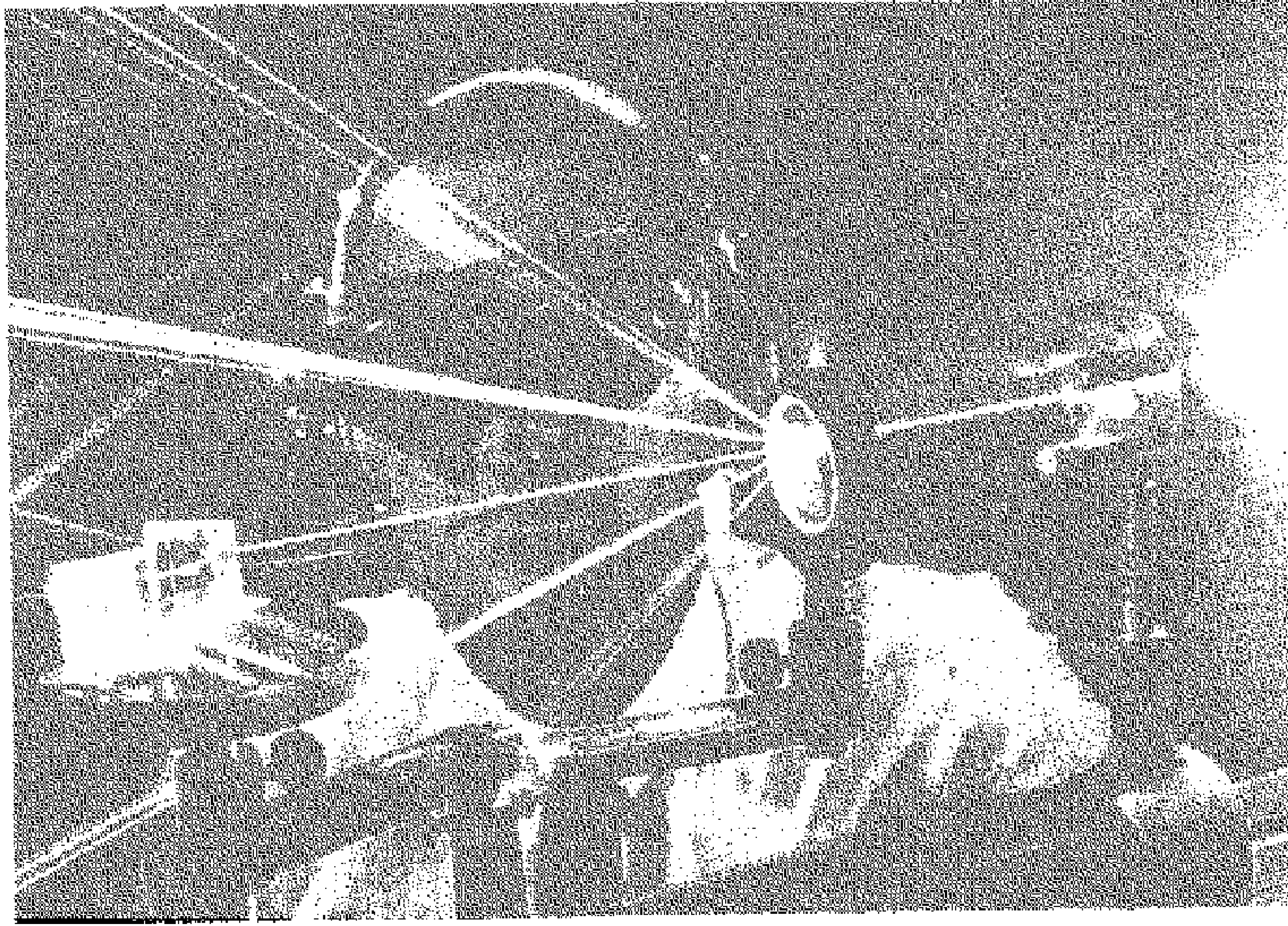
ان جاني مثل وردة زرقاء،
اعمة وحلوة.
لان الورود الزرقاء قليلة جدا،
حن لا نعرف الكثير عنها.

كل ما نعرفه انها تحتاج
لى رعاية أكبر
حب أكثر.



"أماه لماذا يتطلعون الي ويضحكون؟" ٠

الليزر: أشعّة الموت تُحسِّن الحياة



أشعة ليزر آرغون - ايون تتيح اتصالات في عمق الفضاء .

معجزة تكنولوجية مذهلة تحمل في طياتها البشير والنذير في آن واحد

نحن في مستهل القرن الحادي والعشرين . الرئيس الأمريكي يضغط على زر فيطلق شعاعا رفيعا من الضوء الكثيف، ويوجهه الى كبسولة تحتوي على نوع من الهيدروجين المستخلص من مياه البحر . وبذلك يبدأ تشغيل مولّد الليزر الرقم ١، أول محطة أمريكية لتوليد القوى المحركة بالليزر، ليحل محل آخر محطة كبرى لتوليد الكهرباء بالنفط .

هل هذا خيال علمي؟

لعله ليس كذلك .

لا يكاد يمضي ١٨ عاما على الليزر وها هو قد نما وتحول من مجرد مستنبط نادر جديد في المختبرات الى أداةٍ عملاقة تستغل في الصناعة

والعلوم وانتاج الأسلحة، وأصبح بعد الحاسبات الالكترونية أكثر اختراعات القرن العشرين قابلية لتعدد الاستعمالات. وتستخدم الآن أشعة الليزر على نطاق واسع في جراحات العيون، كما ان العلماء يستعملونها في قطع كتل الخرسانة والصلب، وفي صنع الصور الثلاثية الأبعاد (الهولوغرافية) من دون الاستعانة بعدسات، وفي متابعة الصفائح الصخرية المتحركة على طول الصدوع الجيولوجية تسهيلا للتنبؤ بقرب حدوث الزلازل.

ويجرب العلماء كذلك استخدام أجهزة الليزر للفضاء على القذائف الموجهة المغيرة وعلى التوابع (الاقمار الاصطناعية) التي تدور حول الأرض، ولصنع بنادق الليزر ومدافع بازوكا الفضاء وغير ذلك من أنواع أسلحة "حرب الكواكب".

وهناك أبحاث قطعت شوطاً بعيداً تستهدف انتاج طاقة رخيصة غير محدودة ونظيفة نسبياً باستخدام القوة المركزة للضوء في بدء عمليات الاندماج النووي الحراري.

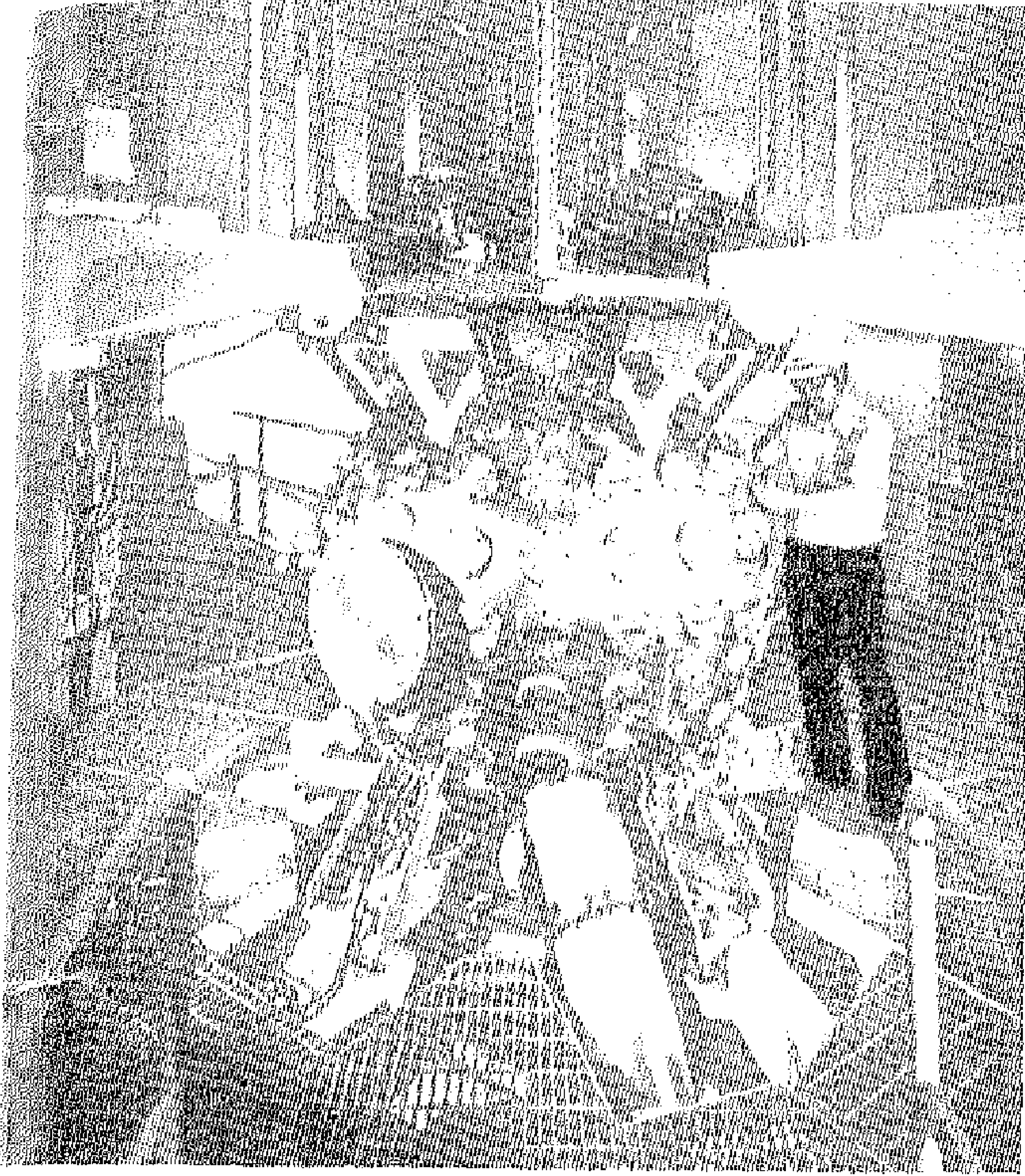
ظاهرة الخمسينات — وضوء الليزر هو أقوى ضوء على الارض. فالضوء العادي - الصادر من الشمس مثلا أو من مصباح مشع - يتميز بالانتشار، فيتشتت باطراد في أثناء انتقاله حتى يتلاشى. ويتألف هذا الضوء من موجات كهرومغناطيسية تتذبذب على ترددات متعددة مختلطة، تتراوح بين موجات الراديو وموجات الأشعة السينية وما بينهما من بقية الموجات التي يحتويها "طيف" أو مجال الترددات الكهرومغنطيسية. أما ضوء الليزر فهو على النقيض من ذلك، متماسك تماما ويتذبذب على تردد كهرومغنطيسي واحد فقط. واذا تصورنا أن الأمواج المنتشرة المتناثرة للضوء العادي تشبه حشدا مختلطا من الناس، فان الأمواج المتسقة المنتظمة لضوء الليزر تكون عندئذ أشبه بفيلق من الجند الذين يسيرون جميعا بخطوة موحدة منتظمة. ونظرا الى ان ضوء الليزر لا ينفتح الى الخارج مثل أشعة مصباح الجيب مثلا، فانه قابل تماما لتركيزه وتصويبه الى هدف محدد.

وقد توصل كل من العلماء الأمريكيين والعلماء السوفييت الى اكتشاف ظاهرة الليزر في الخمسينات، كل على حدة. ففي الولايات المتحدة، اكتشف تشارلز تاونز وآرثر شولاو أن الضوء المنبعث من مصباح جيب كهربائي قد جعل جزيئات بلورات من تراب معين نادر تصدر بدورها دفقة من الضوء القوي المكثف. وفي عام ١٩٦٠، استخدم أول جهاز عملي لانتاج الليزر بلورة من الياقوت الصناعي. غير أن الامور قد تطورت اليوم، فأصبحت هناك أجهزة كيميائية وكهربائية لانتاج الليزر تستخدم فيها أنواع عدة من المواد الغازية والسائلة والصلبة. (وقد توصل العلماء الروس الى ان يستخدموا في اجهزتهم شراب التونيك الذي تخفف به الفودكا، وتوصل العلماء الأمريكيون الى استخدام الهلام "الجللي" للغرض نفسه). وتفسير ذلك هو أن جزيئات أي مادة تتذبذب وتصدر ضوءا على تردد معين. ومن الممكن اجتذاب أو "اغراء" ضوء

الليزر للخروج من هذه المادة عن طريق الاستعانة بالطاقة، سواء أكانت على شكل حرارة أم تفريغ كهربائي أم ضوء كثيف، شريطة ان يكون لهذه الطاقة التردد نفسه الذي يتذبذب عليه ضوء المادة المستخدمة. (وكلمة "ليزر" تتألف من الحروف الأولى للتعريف التقني لهذه العملية باللغة الانكليزية، ومعناه: مضاعفة الضوء بالاصدار الحافز للاشعاع).
(Light Amplification by Stimulated *Emission of* Radiation)

ليزر "ارجوس" - ومع تزايد الاستعمالات التي أصبح استخدام الليزر فيها ممكنا، تتعاظم المنافسة بين علماء كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي الى درجة يرى بعض المراقبين أنها قد تتفوق بمراحل على السباق الذي جرى بين الفريقين في الستينات على غزو الفضاء وتطوير القذائف الموجهة والصواريخ. وقد رأيت أن ألقي نظرة على ما تحققه الولايات المتحدة الامريكية من تقدم في هذا الصدد، فزرت مختبر لورنس ليفرمور التابع لجامعة كاليفورنيا، وهو مركز لأبحاث الاسلحة النووية، حيث ينهمك العلماء أيضا في بحوث الاندماج النووي لحساب وزارة الطاقة التي أنشئت حديثا.

وصحبني الدليل لأرى ليزر "أرجوس" الذي كان الى عهد قريب أقوى شيء من نوعه في العالم. ومن النظرة الاولى، بدا لي جهاز الليزر على حال من الهدوءوالسكون لا توحي بأنه آلة تعمل لالغاء دور النفط. فلم يكن هناك صفير توربينات هائلة ولا فوران مواد كيميائية تغلي وتتفاعل، وانما مجرد سلسلة طويلة من الأنابيب على شكل حرف "U" تستقر على طاولات تمتد بطول الجدران في غرفة لا تزيد مساحتها على ملعب صغير لكرة السلة. ولكنني لم ألبث ان علمت الدراما المذهلة التي تتخذ من هذه الأنابيب مسرحا لها.



الغرفة التي يتم فيها انصهار ليزر - شيفا.

فليزر "أرجوس" يطلق دفقة من الضوء تخرج من قصبة مصنوعة من زجاج "النيوديميوم" تحيط بها مصابيح بالغة القوة، ثم ينشطر الضوء الخارج - بفعل جهاز بصري - فيصبح شعاعين، تتم مضاعفة قوة كل منهما بواسطة سلسلة من أقراص زجاج النيوديميوم، ثم توجيهه خلال خط الأنابيب الطويل الذي شاهدته في الغرفة.

وفي النهاية يعود الشعاعان الى

الاتحاد عند الطرف الآخر من الغرفة، حيث يضربان بعد اتحادهما هدفا ضئيل الحجم، وكأنهما قدم فيل هائل تسحق برغوثا تافها. أما الهدف فهو كرة زجاجية تكاد العين تخطئها لصغر حجمها، تحتوي على مزيج غازي من الديوتيريوم والتريتيوم، وهما شكلان من أشكال غاز الهيدروجين. وعندما تضرب الطاقتان المجتمعتان للشعاعين الكرة الزجاجية الضئيلة فانهما تحطمانها تحطيما يبلغ من مفاجأته وعنفه أن الانفجار الى الداخل «IMPLOSION» الذي ينتج منه يسفر عن درجة شديدة التركيز من الحرارة المحصورة (تصل الى ١٠٠ مليون درجة مئوية)، وهو ما يكفي لدمج ذرات الهيدروجين داخل الكرة الصغيرة وتحولها الى ذرات من غاز الهليوم تحولا مصحوبا باطلاق كمية من الطاقة على شكل جسيمات نووية.

وقوة ضوء الليزر الذي يمكن توليده في جهاز "أرجوس" في لحظة لا تزيد على واحد من بليون من الثانية تبلغ ٤ ملايين مليون واط - أي ستة أضعاف القوى المحركة التي تنتجها في الفترة نفسها جميع محطات انتاج القوى الكهربائية الموجودة في الولايات المتحدة الامريكية بأكملها. أما الطاقة التي تصدر من هذا التفاعل النووي الاندماجي فيمكن في النهاية تحويلها الى حرارة بخارية واستخدامها في تشغيل التوربينات.

ويقول العلماء الأمريكيون الذين زاروا معهد ليبيديف للفيزياء في موسكو، ان أحد أجهزة الليزر السوفييتية يستخدم مجموعة معقدة من العدسات والمرايا تنقل تسعة خيوط من الضوء في تسع قنوات مختلفة ثم تركزها كلها على الهدف النهائي الصغير. ويروي المراقبون أن هناك على الأقل برنامجين رئيسيين لاستخدام الليزر يجري تنفيذهما في معهد ليبيديف، أحدهما يستخدم ٣٢ شعاعا من الضوء، وينتظر ان يستخدم الثاني شبكة بالغة التعقيد من ٢١٦ شعاعا تقوى على ايجاد ضغط يكفي لتفجير الهدف وتحويله الى غبار نووي. والسوفييت واثقون من أن أساليبهم ستتفوق على أساليبنا في انتاج القوى المحركة من الليزر، وهناك بعض المراقبين الامريكيين - من بينهم علي جافان، رائد الليزر والأستاذ في معهد ماساتشوستس التكنولوجي - يرون أن السوفييت قد يحرزون قصب السباق في هذا المجال بالفعل.

غير أن الولايات المتحدة الامريكية تحقق تقدما سريعا في مشروعاتها الخاصة بتطوير الليزر. وهناك منافسة حادة بين مختبرات وزارة الطاقة - في ليفرمور ولوس ألاموس والبوكيرك - والشركة الخاصة كي - إم-إس للاندماج النووي (KMS Fusion inc.) في مدينة آن آربور بولاية ميتشيغان. وعلى سبيل المثال، فعلماء مختبر ليفرمور، مثلا، يجرون التجارب حاليا على نظام "شيفا" ذي العشرين شعاعا نسبة الى الاله الهندي شيفا ذي العشرين ذراعا، رب التدمير والخلق. وقد بلغت تكاليف هذا النظام ٢٥ مليون دولار، وينتظر أن ينتج من القوة عشرة أضعاف ما ينتجه نظام "أرجوس".

وهناك مشروع آخر في ليفرمور

يطمح الى أبعد من ذلك، وهو نظام "نوفا" الذي تبلغ تكاليفه ١٩٥ مليون دولار وينتظر استكماله عام ١٩٨٥ (اذا استمر الكونغرس في اعتماد الأموال اللازمة). وسينتج نظام "نوفا" مئة ضعف الطاقة التي ينتجها نظام "أرجوس"، ويأمل العلماء - بعد ادخال مزيد من التحسينات على هذا النظام - في أن يتمكن من بلوغ ما يسمونه "نقطة التعادل"، حيث تصبح كمية الطاقة الناتجة من التفاعل النووي الاندماجي مساوية لكمية طاقة الليزر التي استخدمت لاحداث التفاعل، أو أكثر منها. واذا تيسر الحصول على أنظمة مثل نظام "نوفا"، فنكون حينئذ قد ولجنا الطريق الى انتاج الطاقة على نطاق عملي في أوائل القرن المقبل، أي في الوقت المناسب لسدّ الثغرة التي ينتظر حدوثها آنئذ حين توشك موارد النفط في العالم على النضوب.

وكما هي الحال بالنسبة الى كثير من الاكتشافات العلمية، فان لليزر امكانات ضخمة تنطوي على الخير والشر على السواء. ولا تزال التطبيقات العسكرية لليزر من الأسرار العسكرية المحاطة بالحرص الشديد في كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي، لكن الليزر قد استخدم فعلا في أنواع كثيرة من النظم الحديثة المعقدة لتوجيه القذائف وغيرها. وقد استخدمت القنابل الموجّهة بالليزر - أو ما يسمى بالقنابل "البارعة" - للمرة الاولى في حرب فييتنام، وهناك الآن فئة كاملة من هذا النوع من الأسلحة، تعرف باسم "الذخائر الموجهة للتصويب الدقيق."

(PGM. Precision Guided Munitions)

وهي تشمل القنابل والصواريخ وغيرها من القذائف التي يمكن اطلاقها من المدافع والسفن والطائرات، بل وبواسطة الجنود المشاة، فتبحث عن هدفها وتسجل اصابات مباشرة في الدبابات والجسور بل أو المدن. ويمكن أيضا استخدام أشعة الليزر لتوجيه الرؤوس الضاربة المتعددة التي تحملها الصواريخ العابرة للقارات.

وقد توصلت الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٦٩ الى استنباط طريقة للتصوير الفوتوغرافي بالليزر للتحركات والمنشآت العسكرية من على ارتفاع ٤٨٠ كيلومترا في الفضاء، ونقل الصور في لحظة التقاطها الى المكتب البيضاوي الذي يشغله رئيس الجمهورية، وقد بلغ من وضوح الصور التي ظهرت على مكتب الرئيس أن أمكن فيها تمييز سائق يقود سيارة في احراج فييتنام.

وفي عام ١٩٧٦ نشرت الصحف تقارير - كذبتها بعد ذلك كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي - تفيد ان شعاع ليزر قد أطلق من مكان ما في منطقة التندرا السوفييتية (سهوب الدائرة القطبية) فأعمى نظام الاستشعار في قمر اصطناعي أمريكي للانذار المبكر. ويقول أحد اختصاصيي الدفاع في هذا الصدد: "لو تمكن السوفييت من تطوير مثل هذا السلاح الدفاعي، لأصبح من المحتمل ان تنقلب الأوضاع العالمية رأسا على عقب، باعتبار ان "الصقور" من العسكريين السوفييت قد يجدون في ذلك الحجة للقيام بضربة مسبقة ضد الولايات المتحدة الامريكية".

ومن الأمور التي لم تعد في مجال

الأحلام أيضا امكان تطوير السلاح بأشعة الليزر وايجاد جهاز "لأشعة الموت" يتيح "تبخير" العدو بكامله.

ان مجال الليزر في شقيه العسكري والمدني - لا يزال يبدو لكثير من المراقبين في مرحلة الطفولة الباكرة، لكن الطفل ينمو بسرعة كبيرة وقد تصبح أشعة الليزر أداة لانقاذ العالم بقدرتها على توليد نوع جديد من الطاقة التي لا تنفد. أو قد تصبح هذه الأشعة شكلا من الاسلحة ذات القدرة الهائلة على الابادة والتخريب، وبالتالي اداة لتدمير العالم بأسره.

وأيا تكن الحال، فان من يحرز قصب السباق في تطوير أجهزة الليزر سيكون في مركز يتيح له أن يغير مسار التاريخ.

■ لي اوسون (من "نيوزويك")



درس في الحساب

كانت معلمتنا قصيرة القامة، وكان يصعب عليها دائما ان تعد التلاميذ الحاضرين. فاستطالت عنقها يوما لترى الجميع، وقال لها احد التلاميذ "لماذا لا تعدين الأرجل وتقسمين المجموع على اثنين؟".

ا.ب.

مقاومة "سرطان الحجر"

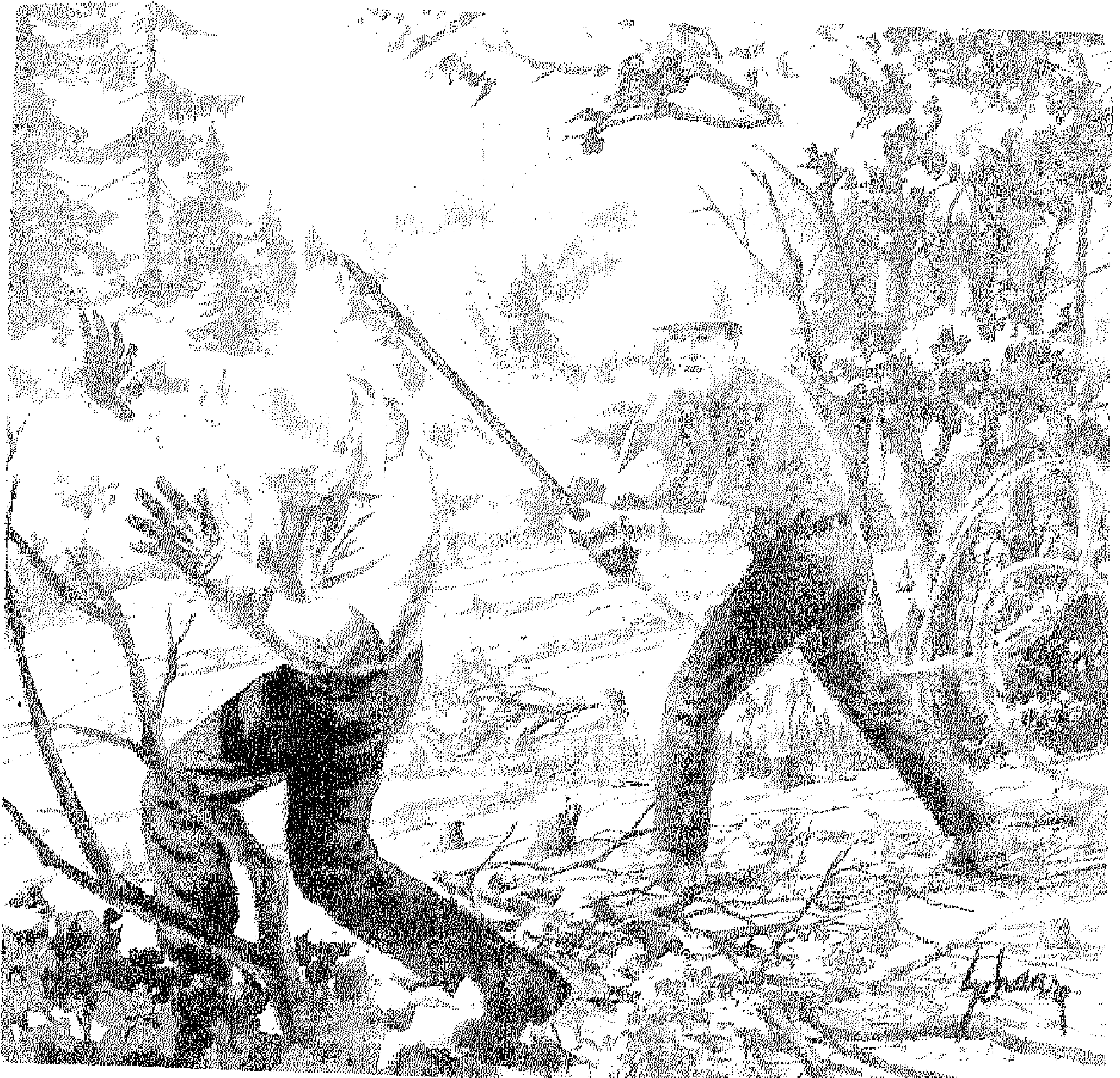
في غضون عام واحد، يتلف "سرطان الحجر" حوالي ٥٪ من تماثيل البندقية وواجهات قصورها القديمة، من جراء امتزاج الملوثات الصناعية بالهواء المالح. ويتعذر التغلب على هذه الاضرار بالاعتماد على اساليب التنظيف التقليدية التي تشكو من بطئها الشديد.

وقد حاول جون ازموس الفيزيائي الكاليفورني معالجة هذا الامر عندما زار البندقية في ١٩٧٢ فاخذ صورا فوتوغرافية ذات ثلاثة ابعاد بواسطة اشعة الليزر، لهذه الآثار الثمينة التي يتهددها الزوال.

وقد اقترح عليه احد المرممين ان يوجه اشعة الليزر الى ميزاب ناتىء من جهة السطح على صورة حيوان (كرغل) ومكسو بقشرة، فاحدثت الاشعة انفجارا طفيفا ظهرت على اثره مساحة نظيفة بحجم قطعة نقدية صغيرة. واستخلص ازموس من هذا الحادث ان الملوثات تمتص الطاقة الليزرية فتغلي وينبيض الحجر من دون ان يتضرر.

ومن ثم، فقد طلب المقر النيويوركي لادارة الصندوق الدولي لصون الاثار، الى أزموس ان يصنع ليزرا آخر، ففعل، وأعيد هذا الليزر الى مدينة البندقية حيث يعنى المسؤولون بتنظيف مئات القطع الاثرية. ولا يزيد استهلاك الليزر من الكهرباء على ما يستلزمه تسخين ماء الحمام.

(نيوزويك)



يا إلهي...
قطع المنشارُ قلبيَ

عبث المنشار الهوائي بجسد ستيف هاكلمان وشطره نصفين تقريباً، فواجه ستيف غمرات الموت، لكن العناد مكّنه من التشبث والبقاء على قيد الحياة.

كان يوم ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ صافيا كالبلور وقد بلغ الرجلان قمم الجبال المرتفعة في غابة كوكونينو الوطنية في ولاية أريزونا كي يقطعوا أشجار الصنوبر والسنديان الصغيرة التي تعترض خط نقل الكهرباء. وكان ستيف هاكلمان، وهو شاب في الثانية والثلاثين ذو بشرة سمراء دبغتها

الشمس وعضلات مجدولة كالسوط المضفور على مدى ١٣ عاما من العمل القاسي بالبلط والمناشير الكهربائية المتينة. أما زميله جيم ماكغريغور فكان في الثانية والعشرين، حديث العهد بالمهنة ولكنه ماهر في تشذيب الأشجار.

كان ستيف قد انتهى بالكاد من عملية استغرقت نصف ساعة بمنشار "آكلي" الفائق السرعة الذي يتحرك بالهواء المضغوط، وهو آلة تشبه جهاز كشف الألغام الأرضية، لها يد طولها ستة أقدام ونصف قدم (١٩٨،٢٥ سنتيمترا) في نهايتها نصل منشار دائري مكشوف قطره عشر بوصات (٢٥،٤ سنتيمترا) ويدور بسرعة ٤٥٠٠ لفة في الدقيقة. واخذ ستيف يكدّس الأخشاب المقطوعة، بينما راح ماكغريغور يقطع بالمنشار مجموعة من أشجار الصنوبر الصغيرة.

وقد سبق لكل من الرجلين ان استخدم منشار "آكلي" مرات عدة، وانما كان ذلك عادة لقطع الشجيرات المخفوضة. وكانت هذه المرة الثانية فقط التي يستخدمان هذا المنشار لقطع الأشجار السميكة، هما يعلمان أن النصل اذا اصطدم بطبقة من الخشب أكثر صلابة وبزاوية حادة، فانه قد يرتد فجأة وبعنف، فتدفعه القوةالطاردةالتييولدها النصلالدائر في شكل قوس كبير نحو اليمين.

وفي الثانية والدقيقة الثانية عشرة بعد الظهر كان ستيف يعمل خلف ماكغريغور الأيسر المفروض انه مأمون، وانحنى يلتقط بعض الأخشاب المقطوعة، ولم يلاحظ أن جيم كان يلاقي بعض الصعوبة في قطع جذع مخفوض يكاد يلتصق بالأرض، أو انه قد قلب المنشار لكي يتسنى له استخدامهمن زاويةأفضل.وبدأالنصل الدائر يشق الخشب، ثم توقف عن القضم وانزلق عن الجذع ومرتداً في شكل قوس نحو اليسار بسبب وضعه المقلوب رأسا على عقب.

ورأى ستيف - أو ادرك - ان المنشار يتجه نحوه، فرفع ذراعه اليمنى بحركة غريزية ليحمي بها رأسه، واذا بالنصل الدائر يخترق صدره تحت الابط بثلاث بوصات (٧،٦٢ سنتيمترا) تقريبا، فيشق قفص ضلوعه ورئتيه كما تشق السكين طبقة الزبدة.

لم يشعر ستيف بأي صدمة أو ألم، وانما أحسّ فقط وكأن سكينا ساخنا حادا قد لامس جلده، لكنه شعر على الفور تقريبا بنزف الدم الدافيء،يبلل جنبه، ولم يحاول أن ينظر الىأسفل، وانما ادرك أن النصل قد اخترق جسده الى أبعد مدى يمكن أن يبلغه، حتى منتصف صدره تقريبا.

وقال: "يا إلهي لقد انقطع قلبي!"

الا انه ظلّ يرى ويسمع ويفكر، فلو ان النصل قطع قلبه لأصبح الآن ميتا. واستدرك قائلا: "ولكنني لم أمت وها انيلا ازال حيا!"

اسعاف... اسعاف - وبدت الوقائع تتكشف أمامه في حركة بطيئة. فرأى ماكغريغور، وقد تلاشى اللون من وجهه، يلقي بالمنشار أرضا ويندفع الى راديو الموجة القصيرة الموجود في الشاحنة ويصيح في الميكروفون: "طواريء "٨٣٧"، ويحدد موضع الشاحنة لجماعة اخرى تعمل في موضع قريب على الخط نفسه ويقول: "أصيب ستيف بجرح بالغ. نحتاج الى سيارة اسعاف!" ثم استدار ليلقي

نظرة فاحصة على ستيف، وتركزت عيناه على الجرح الذي بدأ ينفتح ويتدفق منه الدم، فرأى حواف العظام العارية والأنسجة المكشوفة وبقعة الدم الآخذة في الانتشار. وقال بصوت عال: "لقد قتلته"... وانهار قاطع الأشجار الشاب الى جوار الشاحنة وقد سحقه الأسى.

ووجد ستيف نفسه يواجه الموقف وحده. وأجال نظرة حوله في الغابة الساكنة، وترامى اليه تغريد طير قريب. وكان الألم لم يمتلكه بعد ولكنه كان يحس بالبلل ينتشر ويمتد داخل ملابسه وعلى ساقه. وقال في نفسه: "الإسعاف! لا بد من وقف النزف".

وحاول أن يتصوّر نقاط الضغط الرئيسية الست التي تلقى عنها درسا عمليا في دورة التدريب على الاسعافات الأولية التي تابعها منذ عهد قريب، فاستطاع ان يتخيّلها جروحا في الوجه والكتف والذراعين والساقين ولكنه لم يتذكر اي مواضع يتوقف فيها النزف من جرح في الصدر بمجرد الضغط عليها ومع هذا، فقد كان لا بدّ له من التوصل، بطريقة ما، الى الضغط على الأوعية الدموية المقطوعة ليوقف تدفق الدم.

لن تموت — كان رئيس العمال جيم بابكوك على مسافة تسعة كيلومترات تقريبا في أسفل الخط الكهربائي مع ورشة اخرى من مؤسسة أريزونا للأشغال العامةحين ورد نداءالاستغاثة من ماكغريغور. وقد استشف من نبرة الصوت أن الحادث شديد الوطأة، فوثب الى سيارته وانطلق بها بسرعة خاطفة في الطريق غير المرصوف.

ويقول بابكوك وهو يتذكر الحادث: "لم أكن منتظرا على الإطلاق ان افاجأ بمثل هذا المنظر: كان الدم متناثرا على الأشجار وأوراق النبات المبعثرة في دائرة يزيد نصف قطرها على ثلاثة أمتار، وقد تجمعت منه برك صغيرة على الأرض هنا وهناك".

وكان وجه ستيف في لون الشمع، وكان مقتعدا الأرض ومستندا الى صفيحة بنزين. وكان ماكغريغور لا يزال تحت تأثير الصدمة يحوم حول ستيف. وظن رئيس العمال للوهلة الاولى أن يد ستيف اليسرى قد قطعت، ثم أدرك أنها مدفونة في مكان ما من جانب صدره.

وهمس ستيف: "لقد أصبت بقطع شديد، وسوف أموت".

فرفع بابكوك صوته على رغم نوبة الغثيان التي دهمته، وقال في نبرة قاطعة: "اسمع، لم يحدث أبدا أن مات أحد وهو يعمل في ورشتي، ولن تكون انت الملعون الأول الذي يحدث له ذلك. دعنا الآن نفعل شيئا لهذا الجرح".

فأبرقت ومضة غضب في عيني ستيف: فها هو مقطوع شطرين تقريبا بينما لا يبالي بابكوك إلاّ بالعتاب. ثم قال: "أذاً ابحث عن شيء يزيد الضغط على يدي". فأنتزع بابكوك حبلا وجعل فيه عروة كبيرة لفها حول ستيف وشدها بقوة، فعاد ستيف يغمغم: "يمكنك أن تضيّقها أكثر".

وقد أدت شدّة الضغط على كف ستيف المفتوحة الى اغلاق الجرح تماما. واطمأن بابكوك الى أن النزف الخارجي على الأقل قد توقف، فأتصل باللاسلكي بمقر المؤسسة الرئيسي في بلدة فلاغستاف طالبا طائرة هليكوبتر طبية. وعلى رغم ان

أقرب طائرة متاحة لهذا الغرض كانت في مدينة فينيكس على مسافة غير قريبة، فأنه لم تكد تنقضي ثوان قلائل على صدور النداء حتى كان الطيار ديوك مور والمساعد الطبي مايك مكارثر على اهبة الانطلاق بأسرع ما يمكن.

وشرد عقل ستيف، ثم تركز على أطفاله الأربعة الصغار. كان قد حصل منذ أسابيع قليلة على حكم قضائي بحضانتهم بعد طلاق مرير من زوجته التي أدمنت الخمر. وكانوا في تلك اللحظة في البيت مع مدبرة المنزل. وخرج من شفتيه سؤال غير موجه الى أي شخص بالذات: "ماذا سيكون مصير الأطفال اذا مت؟"

وانتهز بابكوك هذا الحافز الجديد ليحث ستيف على مقاومة الموت، وقال له على الفور: "ان عدم موتك يتوقف عليك وحدك، اذ لا يليق بك أن تتخلى عن هؤلاء الصغار".

وعلى رغم ما كان يغمر ستيف من خدر وغثيان، إلا أنه صمم على أن يعود الى أطفاله. لكن عزمه هذا لم يمنع أعراض الصدمة من أن تتسلل الى جسمه كالعدو الصامت، فتقاطرت على جبينه حبات العرق البارد وأخذت تسيل على وجهه وبدأت أسنانه تصطك وكست عينيه غشاوة شبه زجاجية.

وصاح به بابكوك: "لا تغدر بي الآن، لا أريد انهزاميين في ورشتي!"

فهمس ستيف: "لا تقلق، فلن أفسد سجلك. انني لن أموت".

وكانت الهليكوبتر قد وصلت محلقة فوق الموقع، لكن الهبوط فيه كان أمرا آخر، بالنظر الى شدة الرياح الجبلية التي تهب بسرعة مئة كيلومتر في الساعة. وأراد الطيار مور ان يتحاشى خطوط الكهرباء ذات التوتر العالي الذي يبلغ ٢٦٠٠٠٠ فولت، ولكنه تبين من النظرة الاستكشافية السريعة التي القاها على تضاريس الارض ان المنطقة مكسوة كلها بغابة عالية وآجام كثيفة الأغصان، وليس فيها سوى مسطح وحيد مكشوف هو الطريق وما يحف به على الجانبين، تحت اسلاك الكهرباء مباشرة.

وهبط مور ببطء في وضع مواز لخطوط التيار الكهربائي. ثم اهتدى الى متسع مكشوف بين بضعة أشجار متباعدة من الصنوبر، فنزل بالطائرة تحت مستوى الاسلاك مباشرة، من دون ان يحطّ بها ارضا، بل أبقاها محلقة بينما مال زميله مكارثر الى خارجها ليراقب المسافة الفاصلة بين مروحة الذيل والاسلاك، ولم يلبث أن رفع ابهامه علامة التوفيق. عندئذ انزلق مور بالطائرة الى اليسار تحت الاسلاك، وتوقف بها في جوار الطريق على مسافة ٥٠ مترا تقريبا من موضع ستيف هاكلمان.

وقبل ان تلمس الطائرة الارض، سارع مكارثر الى مغادرتها وانطلق نحو ستيف. وبعد أن ألقى نظرة سريعة على الجرح، تعاون الجميع على نقل ستيف الى الطائرة، ثم ارتفع بها مور بضعة أقدام عن الأرض، ومضى بها الى الأمام تحت الأسلاك مباشرة حتى بلغ ممرا يتضاءل عند ارتفاع الأشجار التي تحف بالجانب الأيسر من الطريق، فأدار الطائرة الى اليسار، وارتفع بها حتى قمم الأشجار، ثم انفلت بها فوق أشجار الصنوبر الفتية، ولم يلبث ان وجد فوقه فسحة السماء الزرقاء،

فأرتفع بالطائرة الى العلو المناسب واطلق لها عنان العودة.

ولدى وصول الجريح الى مستشفى فلاغستاف العام كان فريق الطوارىء من الأطباء على أهبة الاستعداد، بينما تولى موظفو الأمن التابعون للمستشفى وقف حركة المرور على الطريق المجاور كي تهبط عليه الطائرة. وبمجرد اخراج ستيف من الطائرة، ألقى الدكتور هيلد براند ـ الجراح المكلف الطوارىء ـ نظرة عجلى على الجرح، ثم أطلق زفرة متأوهة، قال يفسرها في ما بعد: "قلّما يشهد الأطباء المدنيون مثل هذه الجروح التي لا تحدث عادة الا في المعارك الحربية الضارية".

يده في الجرح ـ وبينما هم يندفعون الى غرفة العمليات، حاول الطبيب عبثا ان يرفع يد ستيف عن الجرح، وقد روى ذلك في ما بعد فقال: "أخذ اثنان منا يجذبان ذراعه، ولكن على رغم أنه كان فقد نصف وعيه، فاننا لم نستطع زحزحة يده، حتى أعطيناه مخدرا فاسترخى قليلا، وعندئذ فقط أمكننا ان نستخرج يده من الجرح".

وتبين من الفحص أن المنشار قد اخترق ثلاثة أضلاع والنصف الأسفل من الرئة اليمنى، وتوقف على مسافة بوصة واحدة (٢،٥٤ سنتيمترا) فقط من القلب. وكان الجرح مليئا بنشارة الخشب وأشواك الصنوبر من قفاز ستيف، فاضطر الأطباء الى استخدام ما يقرب من خمسة ليترات من المحلول الملحي لغسله وتنظيفه. ويقول الدكتور هيلد براند: "لم أكن أعتقد أنه سينجو، ولكننا أجرينا له العملية، وأغلقنا الجرح، وملأنا جسده بمضادات الجراثيم، ثم أرسلناه الى وحدة العناية المركزة وعقدنا أصابعنا أملا في الحظ".

وفي ذلك المساء، وقف جيم بابكوك وجيم ماكغريغور وأم ستيف خارج وحدة العناية الفائقة ساهرين في قلق. أما داخل الوحدة فقد حدث ما لم يكن متوقعا، اذ بدأت أعراض الحياة والحيوية تتأكد على ملامح ستيف ببطء واصرار. وحين خرج الطبيب يطمئنهم الى نجاته، طمر ماكغريغور وجهه في راحتيه وقال وهو ينشج متنهدا بانفاس سريعة: "الحمدلله، الحمدلله!"

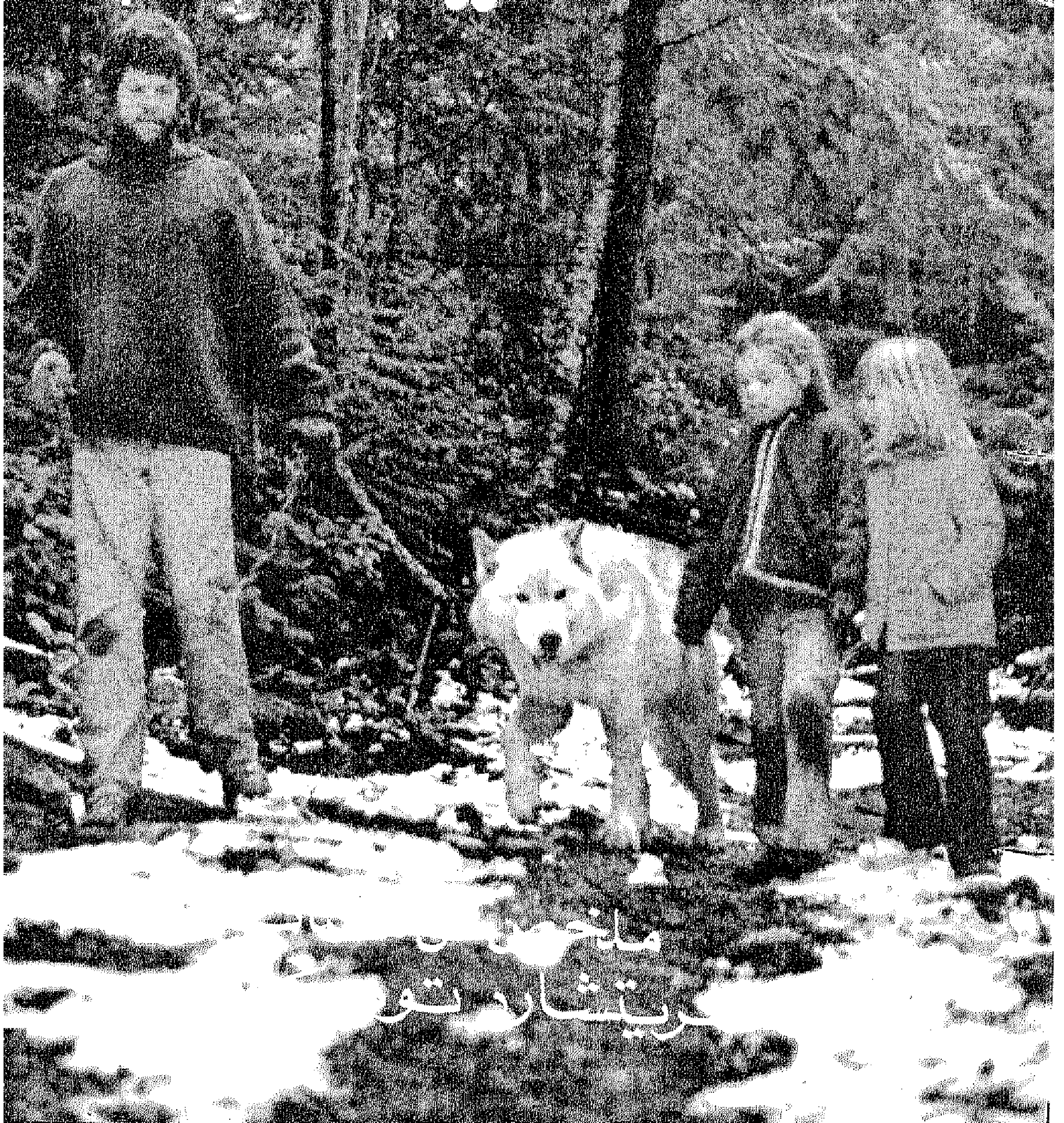
وتسارعت أمور على نحو يصعب تصديقه: فقد خرج ستيف من وحدة العناية الفائقة بعد سبعة أيام فقط، وغادر المستشفى بعد عشرة أيام أخرى، وعاد الى عمله قبل انقضاء أربعة أشهر، من دون أن يترك الحادث المميت اي اثر عليه.

وعندما يستعيد الدكتور هيلد براند ذكرى هذا الحادث، فأنه يعزو "اعجوبة شفاء ستيف الى لياقته البدنية الفائقة، والى ثباته القوي على احكام الجرح بيده. ويقول: "الواقع، كان من المتعذر على أي طبيب أن يفعل أفضل من ذلك، فان ضغط اليد لم يغلق كل تلك الأوعية الدموية المقطوعة فحسب، بل انه أوجد كذلك جيبا من الهواء في الجزء الأعلى من رئته. ويمكن الاقرار بان ستيف قد أنقذ حياته بيده، بكل ما في الكلمة من معنى".

ويوافق جيم بابكوك على كل ذلك، لكنه يصر على وجود عنصر آخر كان له أثره الفعال، فيعزو النجاة من حادث مثل هذا الى مشيئة المولى عز وجل.

■ **ستانلي انغلبرت**

ذئب في الدار



ما ان عاد ريتشارد تومكيز الى فناء داره في مقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا مع بوبو الذئب اليافع حتى استبد به القلق وحار في امر هذا الحيوان الذي جاء به ليعيش وسط افراد اسرته. وقد روت الاساطير عن حكايات الذئاب المفترسة ما روت. لكن جوهر المشكلة، كما تكشف لم يكمن في هذه الحكايات والمخاوف التي تثيرها، بل في المصاعب التي نشأت عندما تحقق تومكيز من ان اسرته لم تعد في عداد الاسر، بل اصبحت الآن سربة للذئب، وتعين عليه وعلى زوجته وابنتيه الطفلتين ان يعيشوا كلهم طبقا لشريعة السربة، والا جر عليهم الويل.



ذئب في الدار

ابصرت بوبو للمرة الاولى في باحة لوقوف السيارات في قلب مدينة فانكوفر الكندية. ولم أكن في ما مضى اثق كثيرا بنظريات الادراك الغيبي خارج نطاق الحس. ولكن في تلك اللحظة ايقنت، كما لو في الحلم، ان شيئا مهما على وشك الوقوع. وما ان ترجلت من سيارة اللاندروفر حتى وقفت منشدها أتلمس تفسيرا لما حل بي اذ وجدتني احملق في عيني اروع ذئب رأيته في حياتي.

ولو ان احدا شاهدني في تلك اللحظة لقال اني ولجت حالة من السحر تجمدت فيها اوصالي وتخشبت كل

حركة من حركات جسمي، فلم استطع فكاكا من اسر عينيه. وذابت الاشياء من حولي وتلاشت الا هاتين العينين الواسعتين الصافيتين. وخلت انهما تكادان تنطقان وانهما تسبران اغوار نفسي بحثا عن وتر يتجاوب مع احاسيسهما. ومكثت على تلك الحال دقيقة من الزمن. ورويدا رويدا، بدأ الواقع يغلفني مثل بصلة تلف قشورها حولي، ويوطد اركانه من جديد. فأبصرت ذلك الرأس الكبير بخطمه الابيض وحاجبيه الفضيين. وقد صرّ الذئب اذنيه الشبيهتين باذني الهر، فانتصبتا في وجهي. وبدأ جسمه الضخم يتجلى بالوان تتفاوت من الفضي عند الظهر الى البرتقالي الذي يشوبه بياض عند البطن، بينما عقص ذؤابة ذيله وهي في حجم الساق على مؤخرته ونتأ مخلباه من امامه كقفازي ملاكم مكسوين ببلور صخري. وكان قابعا في مؤخر سيارة طويلة داخل قفص من النوع الذي توفره شركات الطيران لنقل الكلاب.

كان الرجل الذي جئت لمقابلته قد اشترى الذئب من هنود اليوكن قبل اسبوع، وهو ينوي استخدامه لتصوير شريط سينمائي عن الحيوانات البرية. وكان اسم الذئب "بوبو". ومع انه كان اليفا الى حد، الا انه بدأ يظهر توترا لا يساعد على تصوير الشريط. وكان يعسر تبديل طباعه الراسخة وهو في الثالثة من عمره. وما ان تأكد القائمون على التصوير من هذا الامر حتى بادرت الى توقيع عقد شراء الذئب، فانتقلت ملكيته الي.

ان الذئاب، في نظر معظم الناس، لا تعدو كونها فكرة او مفهوما نظريا. فالذي نفهمه من دروس علم الحيوان انها وحوش كبيرة من فصيلة الكلاب البرية وانها مفترسة. كما نعرف من خلال قصص مثل "رد رايدنغ هود وجدتها التعيسة" (ليلى والذئب) و"الخنانيص الثلاثة" ان الذئاب كبيرة ورديئة. ولهذا فان الخوف الذي يغشانا منها، سواء أكان خرافيا او علميا، هو خوف حقيقي للغاية. وهذا هو ما اكتشفته بنفسي يوم جئت لانقل بوبو في سيارتي بصحبة زوجتي فاليري وابنتينا الصغيرتين سوريل وكستر.

وفيما وقفت اراقب بوبو من ثقوب شبك زريبته الفولاذي، ادركت اننا سنصبح بعد حين وما من شيء يفصلنا سوى سلسلة قصيرة عن ذئب كبير مجهول الطباع من ذئاب الغابات.

قضينا اكثر من ساعة ونحن نداري بوبو ونلاطفه بغية ادخاله سيارة اللاندروفر. وكان مرتابا في البدء، وفاتر الانفعال وهادئا الى حد مخيف حين ربطنا السلسلة حول عنقه، وعنيدا لدى سحبه وحثه على التوجه نحو السيارة. ورحنا نجره برفق شبرا فشبرا ونحن نتمتم بلا انقطاع مناجاة رتيبة لا معنى لها. ولكن ما ان وصل الى نقطة تبعد مترا ونصف متر عن اللاندروفر حتى انشب مخالبه الاربعة في الارض رفضا لمزيد من التقدم.

ومن دون مشاورة لادراك مدى مجازفتها، لحست زوجتي فاليري ظاهر يدها ومدتها الى رأسه المشاكس. وانحبست انفاسي وانا اراقب المشهد. فقد اخذ بوبو يتشممها ثم يلحس يدها بلسانه ويكف عن المقاومة بينما راحت فاليري تمسد اذنيه. وحدقت ابنتاي سوريل وكستر في المشهد مثلما

حدقت انا بعينين مفتوحتين عجبا. وقالت فاليري: "انت خائف يا بوبو. أو َلست خائفا حقا؟" ثم اردفت وهي تحدجني بابتسامة: "ان هلعك منه يزيد حاله سوءا". وبدأت فاليري تحثه على التحرك نحو السيارة، فوثب داخلها مرة واحدة.

شددت سلسلة بوبو الى حبل من النايلون كنت اوثقت ربطه تحت نافذة خلفية من سيارة اللاندروفر، ثم انطلقنا في الطريق. وفجأة اضطرب بوبو من جديد واخذ يتحرك بعنف في عرض السيارة وهو يشد الحبل بقوة حتى بدأت خيوطه تنسل وتتهرأ ونحن لم نتجاوز بعد سوى مئات من الامتار. وايقنت انه في غضون دقائق معدودة سيفلت من معقله ويحل بيننا ما لم ندعم متانة الحبل.

فأوقفت السيارة وتسلقت فوق المقاعد الى مؤخرها متظاهرا بعدم المبالاة. الا اني لم احسن اخفاء امتقاع لوني. وقبل انتهائي من شد وثاقه الى ارض السيارة مباشرة، احسست بوجود قوة قاهرة قوّضت جميع سبل دفاعي، فتلاشى ذلك التظاهر باللامبالاة وتبدد. وادرت رأسي ببطء شديد صوب الذئب، واذا بي اجد ان خطمه الوحشي الرهيب لا يبعد عن وجهي اكثر من خمسة سنتيمترات. وقد تجعدت شفتاه عن كشرة وتقوس شعر شاربيه الى الخلف. وبدا لي ان هذه الامور كلها حدثت ببطء اتاح لي متسعا من الوقت كافيا لاحس بالوهن الذي اجتاح امعائي ولاقدر ما تعنيه ملاقاة الموت، وجها لوجه، حق قدرها. ولا بد من اني تراجعت قليلا لاني تمكنت من مراقبة لسانه القرنفلي الغليظ ينساب من مستقره بين الانياب ويمتد فوقها في اتجاهي الى ان غمر وجهي برطوبة قبلة دافئة.

وتمتمت متابعا صلاتي: "لكن نجّنا من الشرير..." وانهيت شد وثاقه الى ارض السيارة، وتسلقت المقاعد رجوعا الى مكان السائق، مدركا ان ما كنت اكنه من رجاء ازاء بوبو اصبح الان، او بات ممكنا ان يصبح، امرا متبادلا.

عيون محجّبة

ان تأسيس نظام اجتماعي لسربة الذئاب بين افراد الاسرة الانسانية ليس هدفا يتوخاه رب الاسرة. ولم يكن هذا هدفي عندما جاء بوبو ليعيش بيننا. والحق ان لحظة لقائنا الاول كانت ختاما لسلسلة من الاحداث وبداية لاخرى.

ورجوعا الى الماضي، بدأت السلسلة الاولى قبل سنوات عندما كنت محررا صغير الشأن في احدى وكالات الدعاية التجارية في لندن. وكان من عادتي ان اقتل الوقت بعد ظهر كل يوم من ايام الاجازة الاسبوعية في حديقة الحيوان في لندن وسط حدائق "ريجنت". وكانت للذئاب في اقفاصها جاذبية مغناطيسية تشدني الى حدقات عيونها - وهي في لون الكهرمان الاصفر - المرة تلو المرة. وبدت كأن في نظراتها حجبا تستر آفاقا ابعد كثيرا من سآمة اسرها، فتولد لديّ نزوع عاطفي نحوها. واذ كنت احدق في عيونها، نسجت مخيلتي خيوطاً شفافة من الحلم نقلتني بعيدا عن رتابة العيش المضجر في لندن الى اقاصي تخوم موطن الذئاب.

قيل: "ما الحلم الا رجيّة لنا في

صورة تلفزيونية ملتقطة

سوني
SONY

سوني بيتاماكس

أنت لا تحتاج بعد اليوم أن تأتي مبكراً لتجلس في أنسب المقاعد

Sony Betamax سوني بيتاماكس

انتظار التحقق في المستقبل". وهذا قول يصدق في وضعي: فتلك الخيوط العنكبوتية، التي نسجتها في لندن بوحي من الذئاب، القت مراسيها باحكام غرب كندا، فجذبتني بقوة عنيدة الى هذه الارض الرائعة التي اعيش عليها الان. وفي السنين العشر التي امضيتها هنا، ظلت الذئاب تتعقب خطاي في ملابسات عجيبة وتتجسد امامي، كما يبدو لي الان، في الاوقات نفسها التي حامت فيها الشكوك حول القرار الذي اتخذته بعدم الرجوع الى لندن وكنت في حاجة الى من يشد عضدي.

تجسد الذئب الاول ذات مساء من امسيات مايو (ايار) على ضفاف نهر روس في منطقة يوكن حيث كنت اعد نص شريط وثائقي حول افتتاح احد المناجم. وسرت في ذلك المساء الى هضبة صخرية تبعد بضعة كيلومترات عن المنجم، وجلست مطمئنا الى الخلوة ومتنعما بالروعة، وقد طوقتني الشمس باشعة غروبها. غير ان فرحي لم يدم طويلا حتى زعزعته روح موحشة من هذا المشهد الغريب الذي يكتنفني، فاجتاحتني مشاعر الحذر والخوف وتملكني حنين الى لندن وضجيجها المألوف لحظة من الزمن.

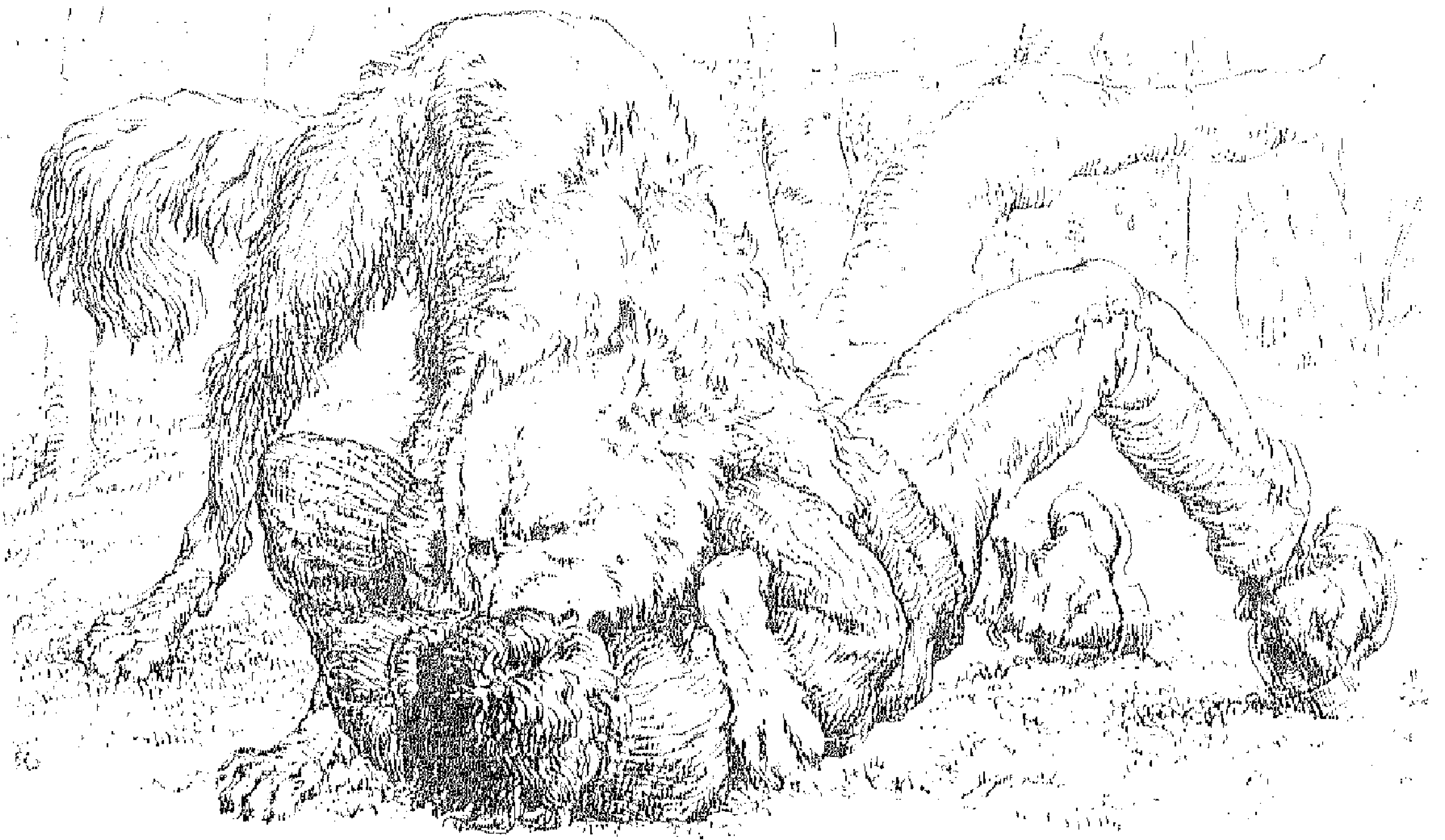
وفي تلك اللحظة طلع الذئب من بين الاشجار الصنوبرية المتشابكة على بعد ١٥ مترا، ووقف ساكنا يرمقني بتينك العينين الصفراوين اللتين رأيتهما في لندن. الا انهما هذه المرة كانتا صافيتين، بلا حجب تعوق نفاذهما الى النفس. وبقينا نحدق الواحد منا في الآخر مدة نصف دقيقة، ثم اغضى هو وراح يمشي في نصف دائرة واسعة فوق فسحة قفراء من الارض، وبعد ذلك توقف ونظر اليّ ثانية قبل ان يختفي في تحابك الادغال. وبدا لي انه كان، في نظرته الاخيرة، يوبخني على الشكوك التي ساورتني في الدقائق السابقة. ودفعة واحدة عمني سلام مساء يوكن القرنفلي مؤكدا على وجودي هناك، فانقشعت حجب الشكوك وتبخرت.

وفي عدد من المناسبات خلال السنوات الست التالية، كانت الذئاب، كلما استبد بي الحنين الى الوطن او بلغ الاستياء من كندا اشده، تقمع هذه المشاعر بتدخلها في الوقت المناسب. حقا ان كندا ترفقت بي ووفرت لي اسباب الحياة الكريمة، وعرفتني على الفتاة التي اتخذتها رفيقة لحياتي ومنحتنا الانعتاق في ظل سماء الغابة الساحلية في مقاطعة كولومبياالبريطانية حيث نعيش الآن.

واعتقد ان معظم المهاجرين يصلون الى نقطة ينمو معها اقتلاع الجذور لديهم الى حد لا يطاق. ولذا فان عليهم اما ان يبتروا نهائيا جميع صلاتهم النفسية عندما يزمع المهاجر على القيام برحلته الاولى الى "الوطن" لمجرد الزيارة في الظاهر، في حين يراوده سرا امل في العثور على حلم جديد من البقاء المستمر هناك.

وقد جاءت هذه الازمة بالنسبة اليّ والى فاليري عام ١٩٧٠ حين وضعنا خطة لزيارة الوطن في فصل الخريف ضمناها الاماكن التي عزمنا على زيارتها، ومنها تلك المدن والقرى الانيقة التي انتشرت في ذاكرتنا كالدرر ترصع بساط ريف انكلترا الاخضر الناعم.

غير اني، سعيا الى الانصاف،



قررت ان اتزود في رحلتي بذكرى جديدة اخيرة من عوالم البراري والقفار التي اجتذبني سحرها الى كندا قبل ستة اعوام.

ولهذا انطلقت في السيارة قبل اسبوع من موعد رحلتنا طلبا لسكينة قمة المنحدرات الغربية من وادي نهر ليلويت، وبرفقتي كلبتنا كليو وهي من فصيلة الدوبرمان. وعند المساء وصلنا الى مكان فوق شفير جدول تنصب فيه عين ماء ساخنة من جنب الوادي ورافد آخر بارد، ثم تصب المياه في سلسلة من الاحواض الطبيعية القائمة على طول مجرى الجدول الصخري.

ارخى الليل سدوله وطلع القمر باردا وراحت اجنحة البخار تنعطف فوق العين الساخنة وتتراكم فوق اوراق الخريف لتكسوها بالماس من بلور الصقيع. وافترشت انا وكليو كيس النوم على الارض في محاذاة اللاندروفر.

وران هدوء على الغابة التي تلألأت بفضية القمر. ولم يكن الذئب مرئيا بادىء الامر، الا انه في غضون ثوان تبدى كالشبح الهائل على بعد يقل عن عشرة امتار. وكان يحدق فينا ويتشمم بخطمه محاولا التعرف على ذبذبات الرائحة التي تنبعث مني ومن كليو. وزفر زفرة قصيرة في اتجاهنا ثم ادنى رأسه من الارض وعوى عواء متكررا بصوت ارتفعت طبقته حتى كاد لا يسمع.

في تلك الليلة عوت الذئاب. وكان لبعض نداءاتها المعولة المستوحشة فعل البلسم في جروح الشكوك التي شعرت بها حيال البقاء في كندا.

وبعد اسبوع مررت عبر البوابات الدوارة عند مدخل حديقة الحيوان في لندن، حاملا معي اربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من شرائح اللحم الطري التي اقتطعت من خواصر البقر



مع بوبو على سجادة المستوقد، من اليمين الى اليسار: فاليري، كستر، المؤلف، سوريل، كليو (كلبة الدوبرمان) .

وبيعت بثمن فاحش، ورميت بها خفية الى تلك الذئاب الحزينة التي فتحت عيونها المحجبة عينيّ . وعدنا بعد ستة اسابيع الى ساحل كندا الغربي، ولكن للاقامة هذه المرة .

وبعد سنة من ذلك التاريخ التقيت بوبو . ولم يكن في يوم اللقاء من اهالي فانكوفر البالغين قرابة المليون عددا سوى رجل واحد يملك ذئباً سرعان ما سيحتاج الى بيت يأويه، وآخر يملك دارا مناسبة وهو على استعداد لان يتقاسمها والذئب . اما ان يتلاقى الرجلان، فتلك لعمري مصادفة عجيبة .

الدجاج والكلاب والذئب

وصلنا الى البيت في سيارة اللاندروفر بعد منتصف الليل وشددت بوبو بالامراس الى شجرة الارز التي تبعد ١٥ مترا عن البيت . وقبيل فجر اليوم التالي خرجت لاتودد الى بوبو حاملا اليه عظمة بقر كبيرة . لكنه تجاهلني وتجاهل العظمة ايضا . ولم يخفف من برودة عدم مبالاته، وان كان متنبها، الا مجيء كليو التي اقتربت منه برعشة وحذر . ومدّ كل منهما انفه الى الآخر حتى تلامسا . تلامسا وجيزا، ثم اندلع لساناهما في تماس وتبادل من اللعاب اسس بينهما اواصر الصداقة .

ورحت انا والبنتان في ما بعد نعلف الدجاج، فاظهر بوبو مرة اخرى اهتماما بالامر . وما من شك في انه كان يبيت لها نيات الافتراس . وبعيد ساعة الفطور تهادى ديك احمق منتفخ تيها واستفزازا ودنا من حبل بوبو . لكنه، بعد انقضاضة في مثل لمح البصر، فرّ هارباً وقد خلف من ريشه ما جعل قفاه املط كابهام اليد .

لم يعترف بوبو على الاطلاق بحق الدجاج والبط والاوز بحياة آمنة مطمئنة. لكن ما أجهز عليه من الدواجن في السنوات الثلاث الاخيرة كان أقلّ مما قتلته الحيوانات القناصة الاخرى في سنة واحدة سبقت مجيئه. فاللواحم من الراكون والوشق والظربان الامريكي والقضاعة والكلاب الشاردة كانت تتسلل ببراعة فائقة مرارا وتكرارا لتولم الولائم مهما بالغنا في الحرص واقفال الاقفاص واغلاق الزرائب ولكن كفانا الحديث في هذا الشأن. فمنذ مجيء بوبو خلا المكان الا من البوم او النسر احياناً.

ومع ذلك، فان سمعة الذئب في القدرة على اماتة النفس هي سمعة نالها باستحقاق. وقد شهدنا براهين عليها في بعض المناسبات. فعلى سبيل المثال، لنا صديق لديه كلب ضخم الجثة من كلاب سيبيريا، اسمه "مغول". وكان الكلب امينا لاسمه، فانتهك بجسارة الحدود الاقليمية لجميع الكلاب الاخرى التي صادفها لا لشيء سوى متعة القتال. وفي أحد الايام تربص بوبو بين الاعشاب الطويلة يترقب مغول وهو يقتحم بكل خيلاء حرمة دياره. وحاولنا جهدنا ان ندعو مغول الى التراجع، ولكن بلا طائل.

وفي اللحظة التي ادرك مغول مدى امتداد الحبل، وثب بوبو عليه فتراجع قليلا لكي يقابل الناب بالناب. الا ان فكيه اطبقا على فراغ الهواء بينما دق بوبو مخنقه بقوة جعلت الكلب الذي يزن ٣٥ كيلوغراماً، يرتفع في الهواء رأسا على عقب وينطرح في الارض على بعد ثلاثة امتار. ومع ان المناوشة لم تدم اكثر من ثانية واحدة، الا انها اسفرت عن ٦٤ قطبة جراحية لرأب عنق مغول.

بيد ان المعركة التي احتدمت بين بوبو و"غارتي" كانت الوحيدة التي خسرها بوبو واذلته اذلالا مشينا. وغارتي خنزيرة عملاقة يربو وزنها على ٢٠٠ كيلو غرام، انضمت الى اسرتنا قبل سنوات وانجبت في أوج ايامها عشرة خنانيص اثارت اصواتها الطفولية شهية عارمة من جانب بوبو تحلب لها فمه. وكان في الامكان تجنب ما وقع لولا الرياح التي أقتلعت احدى الاشجار وقذفت بها فوق خطوط الطاقة الكهربائية، فتعطل التيار الذي كان ينبض في اسلاك السياج ويحصر الخنازير في نطاق حظيرتها. وترقب بوبو قطيع الخنانيص القرنفلية اللون وهي تنسلّ تحت أسلاك السياج. وما ان أحست الخنانيص بالحرية التي تحققت لها وراء السياج حتى بدأت تشق طريقها تدريجا الى بوبو. وقبل ان اتمكن من الوصول اليها عدوا، كان زعيم الخنانيص قد ادرك دائرة انقضاض بوبو، فانقض هذا عليه. وانطبقت انياب بوبو على ظهر الخنوص فانشق سكون العصر بصرخة الذعر، واذا ببقية رفقائه يتفرقون باختلاط واضطراب طلبا للحماية وكان رد فعل غارتي كالزلزال اذ اندفعت بجسمها - تلك الربوة من اللحم والأمومة - لاغاثة وليدها بسرعة حرثت السياج الكهربائي حرثا، وشقت طريقها بقوة الى بوبو في غضون ثلاث ثوان

بالتمام، وواصلت اندفاعها اليه حتى رطمته بفنطيستها (انفها) في وسطه. وللحال تعالى جسد بوبو في الهواء مما اتاح للخنوص ان يهرول مسرعا نحو حظيرته. وما ان بلغ بوبو ذروة مداره فوق الأرض حتى بدأ يرفص سيقانه استعدادا للهبوط على قوائمه وفكاه يهددان غارتي التي ارتفعت في الهواء، لكنها استجمعت بثقلها من جديد واندفعت لتنطحه مرة اخرى قبل ان يتمكن من استرجاع توازنه فاصعدته ثانية عن الارض، ولما هبط من عل ادارت له ظهرها باستخفاف ورباطة جأش واستعلاء، واخذت تتهادى ثقلها عائدة الى الحظيرة لتهدىء من روع وليدها بعدما انجزت مهمتها على أتم وجه من دون ان تصاب بأدنى اذى.

شهوة بدائية

ترتفع الارض برفق خلف بيتنا ثم تستوي لمسافة ٣٠ متراً قبل ان تنفذ طبقة صخرية من التراب لتكون عقداً صخرياً ينتأ في هيئة تلة وتتكثف النباتات الدائمة الخضرة وتلتف وراء هذه التلة لتبدأ زحفا متراصا عبر ٣٠ كيلومترا حتى تبلغ قمم الجبال الداخلية. وكنت قد شيدت لابنتي بيتا صغيراً للعب على رأس القمة الصخرية، فحولته يوم مجيء بوبو الى وجر له ريثما تتوثق بيننا اواصر التعارف.

وعلى رغم كراهيتي الشديدة للكبح من حريته وتقييد حركاته، كانت غايتي الأساسية ان اجعل وثاقه مانعا للهرب. فربطت حبلين بين شجرتين على طول ٣٠ متراً فوق حافة الصخور، وركبت الحبلين على بكرة وصلت بسلسلة طولها خمسة امتار، وكان في الطرف الآخر من السلسلة قفل ينغلق مع الشد لاحكامه في طوق حول عنق بوبو. لكن العثور على طوق يلائم عنق بوبو، وهو بقياس ٥٥ سنتيمترا، كان مشكلة قائمة في ذاتها. وأخيراً وجدت الحل باستخدام حزام السلامة الذي يستعمله عمال البريد في تسلقهم اعمدة الاسلاك الهاتفية، وبطنت الحزام بجلد خروف. وما ان انقضى نصف النهار الأول على مجيء بوبو حتى اصبحت له حظيرة جاهزة لاستقباله.

وحين تقدمت من بوبو وجدت ان موقفه ازائي قد تبدل. فهو في الصباح تجاهلني، بل كان ايضا مشاكسا ومهددا. اما الآن فقد اظهر سروراً لقدومي، عبر عنه بهز ذيله وتحريك رأسه والكشف عن مخنقه بخضوع واستسلام. فلم أجد عناء في شبك الطوق حول عنقه وسوقه الى حظيرته.

غير اني اظن ان مرور كلبتنا في طور الاهتياج الجنسي في الوقت نفسه الذي وصل فيه بوبو هو الذي بدّل من طباعه. وكنت خلال ساعات الصباح قد ذدت كعادتي عن كليو ملاطفات كلب هجين يعيش في منطقتنا وطردته خارج فناء الدار. ولما كان التوالد بين الذئاب يقتصر غالباً في السربة الضئيلة العدد على زعيم السربة الفحل والأنثى المرافقة له بينما يتولى سائر اعضاء السربة امور الصيد وكسب الرزق، فمن المحتمل اني، بعد طردي الكلب الدخيل، اصبحت في مفهوم بوبو زعيما للسربة باعتبار كليو رفيقة

حياتي. واظن انه، في اعقاب استئصاله من يوكن، لا بد ان يكون وجد في احداث ذلك الصباح نظاماً اجتماعياً مطمئنا فانحاز اليه وارتاح له.

لم أكن أعي حقيقة وضعي الجديد عندما بدأت السهر طوال شهر من الزمن على الحافة الصخرية خلف بيتنا. وقد قيل لي انه، اذا هاجمني بوبو في اي وقت، يتوجب علي ان اكف عن محاولة الدفاع عن النفس اذ ان في الرد على هجوم حيوان ضار يضارعني وزنا ويفوقني تسلحا استجلابا للهلاك. وليس من بديل من الدفاع عن حياتي سوى الوقوف بلا حراك مع احناء الرأس وتطويق عنقي بذراعي والاسترخاء التام للتعبير له عن خضوعي واستسلامي.

توجهت الى دار اللعب على التلة الصخرية مستعدا لهذه الاحتمالات ومحاولا اخفاء مقدار كبير من التخوف. وكنت قد القيت على كتفي كيس النوم وحملت في يدي كيساً صغيراً من النايلون فيه فضلات لحم. وقفز بوبو في اتجاهي وانتزع كيس الفضلات من يدي وهو يجتازني والقى بها على بعد خطوات. ثم عاد فوثب فوق رأسي من دون ان يمسني، لكنه في وثبته مزق كيس النوم فوق كتفي منتزعا احشاءه الصوفية، فتناثرت ككرات من الثلج لم تلبث ان غطت نصف التلة. وارتد بوبو من قفزته ليثب علي من جديد مسندا رجليه الاماميتين هذه المرة الى كتفي المرتجفتين، ونظر في وجهي بحنو وقبلني.

ولكن اذا فوجىء المرء بمجابهة

ذئب يقف باستقامة على ساقيه الخلفيتين فيتجاوز طوله المترين ويرخي عليه وزنا يزيد على ٧٠ كيلوغراماً، فلا بد لذلك المرء من ان يختبر جسامة الموقف نفسياً وجسدياً٠ وهكذا انثنت ساقاي من تحتي ووقعت على ظهري ومن فوقي بوبو، واذا بنا نخوض غمار مصارعة ضارية٠

كان بوبو يندفع بقوة نحوي، ثم يبتعد عني ليعود الى الوثوب من فوقي او الانزلاق على جسمي كجرو الكلاب٠

واخيرا تمكنت من الاستدارة على الارض والاعتماد على قدمي في الوقوف٠ لكن بوبو في هجمته التالية فتح فكيه واطبق انيابه على عضدي، ولكن من دون ان يغرزها في لحمي، وجرني بلا الم حتى وقعت على الارض فوقه٠ واقسم على انه اراد لي الغلبة لانه استدار تحتي باستسلام وانقلب فوق الارض ومد رقبته نحوي مسلماً نحره الي٠ فاعترتني للتو نشوة وحشية لم تكن شعوراً باللذة وانما بشهوة بدائية في النصر اشتعل اوارها في دمي٠ فزمجرت واثباً عليه وأقفلت رأسه الى الوراء بساعدي الايسر بينما انقبضت يدي اليمنى على كتلة من اللحم والوبر فوق مخنقه٠ ولما عاودني العقل وجدت وجهي مدفونا في كثافة صوف رأسه بينما كنت اعضض اذنه اليسرى وازمجر فيها بغضب٠

وببطء شديد ارخيت مماسكي ووقفت مستقيما على قدمي٠ فلم يتحرك بوبو الا قليلا ليميل برأسه الى الجهة الاخرى فيرمقني من زاوية عين واحدة٠ ولم يقوّم وضعه الا بعدما



تركته لأعود اليه بكيس فضلات اللحم، فربض على الارض يراقبنني وانا اقدم اليه مكافأته٠

زعيم السربة

بقيت شهراً بأكمله اقضي ست ساعات يوميا مع بوبو وفي كل ليلة كنت اهرب كيس نومي الجديد الى دار اللعب خشية ان يمزقه٠ وكنا ننام

معا على السرير الذي صنعته لطفلتي. لكن النوم مع ذئب على سرير طفل لم يكن افضل سبيل للراحة في الليل. اضف الى ذلك ان اضعف الاصوات كانت تنبه بوبو، فيرفع رأسه ويصر اذنيه في اتجاه الباب ويبث من جسمه موجات من التوتر كانت توقظني باستمرار. وكان في معظم الاحيان يربض مثل ابي الهول لمدة دقيقة او اكثر، ثم يغمغم من اعماق صدره قبل ان يستأنف النوم. اما اذا كان ما سمعه او شمه جديراً بمزيد من التحقق، فهو كان ينسل من السرير وينساب نحو الباب كطيف لطيف لا يصدر عنه ادنى صوت، حتى ان السلسلة التي كانت تطوقه لم تحدث اي رنين ينم عن تحركاته.

وفي غضون اسبوع حاضت كلبتنا كليو بقوة، وبما اني طردت الكلاب عن الدار، فقد بدأت كليو تظهر اهتماما خفراً ببوبو. وقد بدأ ذلك حين كنا نخرج في نزهتنا اليومية الى الارض المحيطة ببيتنا. ولاحظت آنذاك ان بوبو كان يبول على نحو غريزي على حدود ملكنا، وكان معينه لا ينضب. وحرت في الأمر الى ان ادركت انه كان يبول على المواقع نفسها يوميا، فأيقنت انه يطبق بذلك انظمة سربة الذئاب تطبيقاً حرفياً، واضعاً علامات تحدد ديارنا مثلما تفعل الذئاب حول اوجارها.

ولدى اشتداد تحرق كليو جنسيا بدأت تتعقب السلائق التي خلفها بوبو وتقرفص فوق معالمها الرئيسية، فلم يعد بوبو يقوى على تحمل الأمر. واخذ هو الآخر يتزايد حمأة وينتفض حولها وقد انتصب ذيله وومضت عيناه. غير اني وزوجتي فاليري عزمنا على احباط هذه الرومانسية لعلمنا ان الجراء التي تتولد من ذكر ذئب وانثى دوبرمان سيصعب تطويعها.

وكنت في تلك الآونة احرص على وضع السلسلة حول عنق بوبو خشية من هربه. وذات يوم حين اشتدت حمى مغازلاته لكليو، شددت سلسلته بعنف وانتهرته بقسوة. على اني لم اصدق اثر ما فعلت حين خرّ بوبو على بطنه كما لو كان لتوبيخي له فعل الرصاص، ثم حبا نحوي وقد انسدلت اذناه على رأسه وانعقص ذيله تحت جسمه الا الذؤابة التي ارتعشت في الهواء. ولم اكن قد شاهدت في حياتي تجسيداً أبلغ من ذاك لمذنب يستجدي المغفرة. وما ان بلغ قدمي حتى استلقى على ظهره وفرج رجليه الاماميتين امام بطنه تاركا نحره عرضة للذبح. وادركت مغزى ما حدث، لـه فانحنيت فوقه ممسكا مخنقه بعنف وهززته بقسوة.

ومنذ ذلك الحين لم يتقدم بوبو من كليو بتوجد او شبق ولا مرة واحدة. وهكذا افترضت انه استنتج من تصرفاتي اني انا الكلب القائد وان التوالد بينه وبين كليو محظور طوال بقائي حيا. وبلغ يقيني من هذه النتيجة حدا ابحت فيه لكليو حريتها في اثناء طور الاستجعال (الحيض)، فلم يقترب بوبو منها على الاطلاق. واذ علمت بحقيقة منزلتي عنده اغتبطت كثيرا، متيقنا من اني سأكون في مأمن من مهاجمته لاحقا اذا انا تصرفت بحكمة ضمن حدود العرف الذئبي. الا ان العيب الوحيد

في هذه العلاقة الثلاثية بيني وبين بوبو وكليو هو انها تركت الاناث في دارنا، اي فاليري والطفلتين، في وضع وسط لا يحسدن عليه كونهن ايضا عضوات في السربة خاضعات لاهواء بوبو ونزواته. فهو سيعتبر نفسه، بصفته الذكر الآخر الوحيد في السربة، في منزلة نائب القائد الاعلى.

نظام الزوجتين

بدأت اكون آراء في الاختلاف الرئيسي بين الكلاب والذئاب. فمن جهة، يمكن الحكم على معظم الكلاب في رفقة الانسان، من حيث مطاوعتها ورغبتها في الارضاء، بأنها تعد نفسها، بمقدار ما يسمح به ذكاؤها، بشراً. اما الذئاب في صحبة الانسان، من جهة اخرى، فنادرا ما تظهر اي رغبة في الارضاء عن طريق الاستجابات المطيعة. وهي لا تظهر مطلقا اي تبعية او خنوع في مفهوم الكلاب، وانما قد تظهرها بمفهوم ذئبي محض حيث تصبح التبعية مجرد اذعان في وجه السلطة كما يقتضي قانون السربة المتوارث.

وما ان قبل بوبو بمنزلتي كزعيم للسربة وبكون كليو خليلة لي حتى اصبح ايسر له ان يطير في السماء من ان يجامع كليو.

في وحشة القفار المهيمنة على منطقة يوكن الوسطى، يتدبر افراد سربة بوبو شؤون مناطقهم الاقليمية في وجه ظروف من شظف العيش قد تتطلب فسحة من الارض تربو على ٢٥٠٠ كيلومتر مربع للقيام بأود سربة من عشرة افراد فقط. والتحايل على البقاء المحض على قيد الحياة اقتضى الذئاب دهورا طويلة من الاختبار بحيث انطبعت في نواة كل خلية من خلاياها المتوارثة قوانين التصرف الاجتماعي التي لا يمكن كسرها مطلقا لان البديل الوحيد لها هو الموت. وليس في شريعة السربة سوى نطاق محدد يمنح بعض الافراد اللامعين مقداراً من المرونة من أجل غايات البقاء.

وهكذا شعرت بأنه، اذا شئنا ان تنجح تجربة المزج بين حياتنا وحياته، فسوف يتطلب ذلك أموراً تتجاوز توفير الطعام والمحبة من جانبنا. بل سيتوجب علينا ان نتعلم نحن شريعة السربة وان نحاول العيش بمقتضاها، وان "نتذأب" بمقدار ما تسمح به طبيعتنا البشرية.

وفي الوقت عينه يتوجب على بوبو من ناحيته ان يكبح طبيعته الذئبية الى أقصى حد ممكن في جهد يبذله هو لقبولنا، والا ستنتهي التجربة برمتها بمأساة قد يثبت معها انها كانت غلطة دموية. وثمة ظاهرة ينبغي على بوبو ان يقبل بوجودها، على رغم تناقضها التام مع كل ما تعوده في اختباراته السابقة، وهي ما يبدو له من نزعة زعيم السربة الجديد الى تعدد الزوجات. ولئن كنت ارضى لبوبو ان يعتبر كليو رفيقة لحياتي، غير اني لم اكن على استعداد للتخلي من اجله عن علاقاتي الزوجية مع فاليري.

ولهذا اقتضت خطتنا ان نلجأ الى التمثيل بالايماء والحركة لشرح الوضع الحقيقي على اوضح ما يكون. ووفقا لذلك اخذت فاليري تتهرب مني على نحو لعوب بينما قمت انا بمطاردتها

حتى استسلمت لي بالعناق والقبل على بعد لا يتجاوز مدى حبل بوبو الا قليلا. واذا به يغدو كالمسعور ينهب الارض امامنا جيئة وذهابا على مدى رباطه. وكان من فترة الى اخرى يتوقف امامنا زافرا انفاسه وقد انتصبت اذناه امام رأسه. ثم فككنا العناق وافترقنا. ومشت فاليري الهوينا في اتجاه بوبو بينما قمت انا بمناورة خاطفة من ورائه وامسكت سلسلته بحزم. وللحال ضمت فاليري ذراعيها حول نحرها وقاية من ترحيب بوبو لها بالوثوب عليها واقفا على رجليه الخلفيتين. وسمعتها تتمتم: "آه... رحماك يا ربي"، اذ اطبق الذئب فكيه على زندها. ثم اردفت: "مرحبا بوبو، مرحبا ايها الصبي!" وفي طرفة عين بدأ بوبو يجرجرها صاعدا الى دار اللعب ورجلاه تتخبطان وتنغرسان في درجات الارض المتصاعدة. وشددت السلسلة بكلتا يدي فلم افلح الا في تبديل وجهة سيره.

وصاحت فاليري: "ريتشاردا!" ثم نادت ثانية وقد ارتفعت طبقة صوتها درجة كاملة.

ولما ادركتها كان بوبو يغسل وجهها بلعابه على نحو ما نغسل نحن قطعة لحم سقطت في ماعون من الرماد. فوثبت عليه مزمجرا واطلقت فاليري بعدما رميته على ظهره وارتميت فوقه منشبا اظافري في مخنقه بانتقام مرير. ثم تصارعنا بعض الوقت حتى استسلم لي وارتمى على ظهره من تحتي. فوقفت فوقه انظر فيه وقد راح يبص بعين واحدة بينما تدلت قائمتاه الاماميتان وارتعشت ذؤابة ذيله تعبيرا عن اعتذار مكبوت.

واظن اننا، عصر ذلك اليوم، صنعنا تاريخا ذئبيا جديدا. فللمرة الاولى، على حد علمي، قبل ذئب راشد من ذئاب الغابات الشمالية بوجود زعيم متعدد الزوجات.

درس مفزع

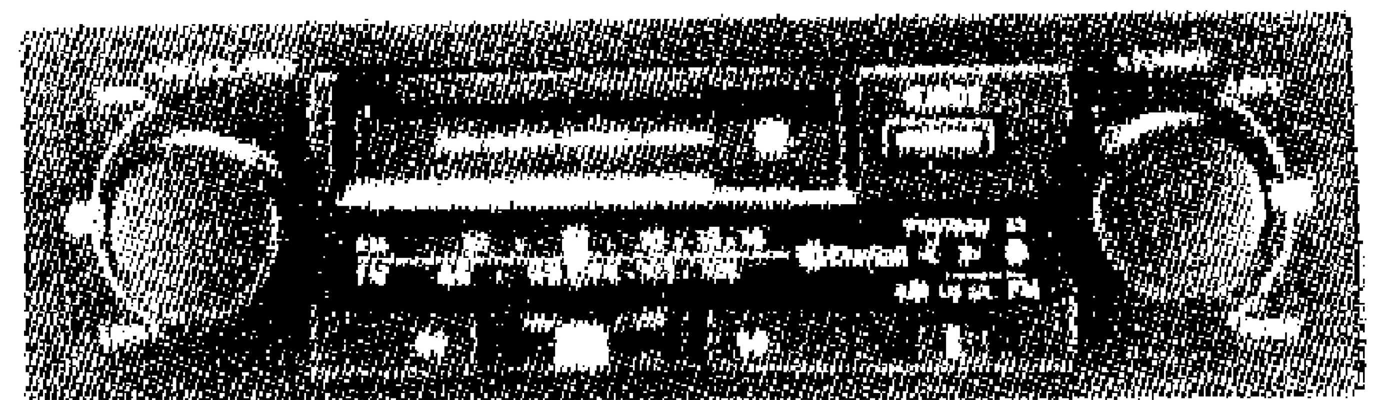
لقد اقتضى تعريف بوبو على الطفلتين مشقة اكبر من جانبي. سوريل كانت في الثالثة فقط من عمرها ولم تكن كستر بلغت الثانية بعد. وشعرت، مع شيء من اليقين، بان بوبو سيتصرف حيالهما تصرفا وديا، وربما احبهما. لكن مجرد وجود بعض الشك كان ينطوي على مقدار من المجازفة. وتعين علي ان اسأل نفسي باي حق يجوز لي ان اعرض طفلتين بريئتين لخطر محتمل.

ودار تفكيري على اساس ان للطفلتين في نظر بوبو اعتبار جروين من جراء الذئاب. وعليه، فان وجودهما يمثل استمرار اسرتنا السربية وديمومتها. ففي البراري قد يتولى افراد السربة مساعدة الام على تربية انجال قائد السربة. وما لم يظهر بوبو انفصاما تاما عن المنطق الذئبي. فسيكون من المستحيل عليه ان يؤذي النشء الجديد خصوصا لما يحمل من معاني الاستمرار. على ان هواجس الشكوك هاجت لدي بالحاح: هل ثمة سبب من الاسباب المنطقية او ظرف من الظروف الشرعية في مفهوم الذئاب يبيح لبوبو عضهما بانيابه؟ وقررت ان ارجىء تعريفه على الطفلتين ريثما اتمكن من الحصول على الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال. الا اني حرصت في هذه الاثناء على ان يألف بوبو على الاقل

كلاريون

رفيقك المفضل على الطرق

اثبت جهاز كلاريون انه جدير بثقتك على الطرق
الاشد وعورة وفي الطقس الاشد حرارة، وهو مصمم
ليكون سهل التشغيل فيساهم بالتالي في راحتك وامان
سيرك، وكلاريون التي اشتهرت بجودة منتجاتها
ومتانة ادائها تزودك بمجموعة كبيرة من
ستيريوهات السيارات؛ وكلها سهلة التركيب؛
فاختر منها الجهاز الذي يروقك،
كلاريون — يجعل القيادة اكثر متعة،



PE 663

Clarion

Clarion Co., Ltd. Tokyo, Japan

رؤية البنتين وان يدرك مدى حبي لهما. فصرت العب معهما يوميا بالقرب من حظيرته، ولكن على مسافة آمنة منه.

وحصلت على الاجابة عن سؤالي بعد ستة اسابيع. وكان ذلك في جبال بيلي الواقعة في منطقة يوكن على بعد ١٣٠ كيلومترا الى الشمال الشرقي من وايتهورس. وكانت تحرياتي قد افضت بي الى الاحاطة بآراء وافرة ومتناقضة تتفاوت من قصص شبيهة بما نسجه رومولوس وريموس حول تبني الذئاب وتنشئتها لاطفال البشر الى تحذيرات حاسمة من ان بوبو سيأكل الطفلتين لا محالة. وفي النهاية ادركت انه ما من شيء سيشفي غليلي مثل المعرفة الشخصية والاختبار الذاتي. ومن اجل ذلك توجهت جوا الى الشمال.

واستطعت، بمعاونة احد الصيادين الهنود، العثور على وكر للذئاب تسهل مراقبته. وكان الوكر قريبا من رافد يصب في نهر بيلي. ومكثت داخل كيس النوم اربعة ايام وثلاث ليال قارسة البرودة، محشوا بين ملاءتين من النايلون. ولم اكن آتي باي حركة الا وقت الاكل الذي اقتصر على قطع الكعك القاسي وعلب حساء الدجاج المزودة بوسائل التسخين الذاتي. وكنت اراقب بمنظار مكبر تحركات سربة من الذئاب على بعد ١٢٠ مترا. وكانت الذئاب تعلم بوجودي، فتحفظت بادىء الامر ولم تخرج الا لماما. لكني، عصر اليوم التالي، رأيت صغارها تخرج للمرة الاولى خارج الوكر، وكان عمرها لا يتجاوز ثلاثة اسابيع او اربعة. وشهدتها تتقلب وتتدحرج خارج الوكر، ولم تلبث طويلا حتى تدرجت الجراء الستة عائدة الى وكرها.

وتعرفت خلال مراقبتي على اربعة ذئاب كبيرة ايضا، منها ذئبة ضرعاء حلوب لا شك في انها الام، وذئب آخر اكبر يفوق بوبو حجما، ولا بد من انه كان "الالف" كما يدعى، اي طليعة ذكور السربة وابا الجراء. اما الاثنان الاخران، وهما ذكر وانثى، فقد احضرا الى الوكر شيئا بريا، ربما كان ارنبا صغيرا. وكانت هذه هي المرة الاولى خلال اربعة ايام متواصلة من المراقبة شهدت فيها عملية تأمين الاكل. ولا يسعني الا ان افترض ان الجراء كانت تقتات بالقيء.

وفي جميع المرات التي خرجت فيها الجراء للعب، لم اشهد سيدها "الالف" الا مرة واحدة ربض فيها على الارض بينما لهت الجراء وهرجت من حوله ومن فوقه. وراحت تنهش اذنيه تارة وذنبه تارة اخرى. وكانت تعوي وتزمجر في هجوم وهمي عليه، الا انه كان مطرقا ومتضايقا، بل كاد ان يكون ضجراً بمجونها ولم يعد يطيق لهوها، فابتعد عنها مسافة مترين، ولكنها لحقت به وجددت هجماتها.

وكان بين الجراء الستة واحد تميز عن خلانه، وهو اكبرهم حجما واشدهم ولعا بالقتال. الا انه اظهر نزعة الى مشاكسة اخوته وايذائهم اقوى من نزوعه الى اللهو بذيل ابيه او اذنيه. وكان هذا الابن الضال يمسك احد اخوته بفكيه الصغيرين وينشب انيابه فيه حتى تتعالى صيحات المه فتصل الى مسمعي. ولم يكن يكف عن مواصلة تعذيبه الا بعدما يركله ابوه بمخلبه. وعندها يتحول

هذا الزعيم الصغير الى نهش مخلب ابيه، فيسحب الاب رجله بسرعة من شدة الالم. ثم يعود هذا الجرو الى مهاجمة ضحية اخرى من بين اقرانه. ورأيت من خلال المنظار ان الذئب الكبير اخذ يزيد غيظا من مشاكسة الجرو وقحته.

وفي صباح اليوم الرابع لحقت بالجرو عقوبة مفزعة. فما ان بلغ بضحيته الثانية في غضون عشر دقائق حد صيحات الالم التي تثير الشفقة حتى اطبق الذئب الكبير فكيه على جمسه الصغير العصي وهزه مرة واحدة بقوة، فزهق آخر نفس من انفاسه، وتعالت صيحة واحدة قصيرة هرع لها بقية الاقران فتسابقوا الى وكرهم. والقى الذئب الكبير بالجثة الصغيرة الهامدة على الارض، واخذ يقلب لسانه ويلويه باشمئزاز للتخلص من الشعر الذي علق عليه.

وخرجت الذئبة الام من وكرها وتشممت جثة ولدها، ثم اقتربت من خطم خليلها وشمته. وبعدما نظرت بحزن، على ما اظن، في الافق، عادت الى وكرها. ووقف الذئب الكبير وتمطى بكسل، ثم وثب واختفى وراء اشجار الدغل. ولم ار بعد ذلك مزيدا من الذئاب.

لقد عملت الان ان هناك ظروفا يمكن فيها الذئب ان يقتل انساله، وانه يحتمل بالتالي ان يهاجم بوبو طفلتي. وكان مجرد التفكير في ذلك بشعا ومثيرا للهلع حتى اني لم اكترث حينذاك لتقصي ما حدث وفهم مغزاه حق الفهم. لقد انتهت التجربة، فالمجازفات اعظم من ان تحتمل، ويجب تسليم بوبو الى حديقة للحيوان.

تعريف حذر

ارتجت اللاندروفر فوق مدخل دارنا وكان الوقت عصرا. ولمحت بوبو يركض من جهة الى اخرى مهتاجا لمقدمي، فصعدت الى الهضبة لزيارته. وراح يمرح في استدارات محمومة حولي ثم يندفع في وجهي محاولا مصارعتي. فتصارعنا الى ان طرحني ارضا وصار من فوقي، وكان كلما انفجرت ضاحكا يلعق وجهي بلسانه.

واخيرا تمكنت من الوقوف وتحركت في اتجاه فاليري وطفلتي. فاذا به يشد ذراعي بانيابه ويرفض السماح لي بمغادرته حتى اتصارع معه مرة اخرى، ففعلت. وعلمت من فاليري خلال العشاء ان بوبو كان يعوي باستمرار كل ليلة في فترة غيابي. وقالت انها متأكدة من انه كان مستوحشا من وحدته. وفكرت في تلك العيون الكهرمانية المحجبة في لندن والالم الدفين فيها، فادركت اني لن اتمكن مطلقا من الحكم على حياة بوبو بالسجن في حديقة الحيوان، وان علي اما ان اواصل تجاربي فيشاطر بوبو حياة اسرتنا على نحو تام، واما ان "اطلق سراحه" الى الابد برحمة رصاصة لا بد منها، لان اطلاقه بالمعنى الحر للكلمة سيكون بمثابة الحكم عليه بالموت البطيء. فهو لن يستطيع، من دون مؤازرة سربته، البقاء على قيد الحياة في الخلاء، كما لا يمكنه الان الانتماء الى أي سربة، اذ ان دخول ذئب غريب المناطق الاقليمية للذئاب الاخرى يعني عادة الطرد او القتل.

وكلما استرسلت في التفكير اتضح لي اكثر فاكثر اني، في غمرة

استغراقي في الحادث المرعب الذي حل بالجرو العصي، فاتني ان ادرك مغزى ما شاهدته. فالمجتمعات التي يعتمد فيها البقاء المحض على انظمة صارمة تبلغ احيانا حد تحريم متعة الانجاب على جميع اعضاء السربة باستثناء الزعيم وخليلته، كيف يصح ان تتسع انظمتها لقبول جرو وحشي الطباع مثل ذلك الجرو العصي؟ ان ولعه بالخصام والقتال مع افراد اسرته سيعني وجود مصدر مستديم للاخلال بالامن. واني استطيع الحكم مما رأيت بان تلك السربة ما كانت لتعرف الامن والسلام الا بموته او بموت زعيمها. فهو، بتهديده النظام والامن، انما يهدد حياة جميع الذئاب في سربته. ولهذا كان اعدامه امرا حيويا بالنسبة الى بقاء السربة، ولم يكن، كما تصورته، قتلا للاطفال.

بيد ان استنتاجاتي النظرية من حادث مفرد معزول لم تكن في ذاتها قاعدة نعتمدها في مجابهة مع بوبو قد تسفر عن تشويه ابنتي او عما هو اسوأ. وانطلاقا من هذا، كان لا بد من تقصي مزيد من الوقائع، فتحريت جميع المشاهدات والتقارير التي تحدثت عن ذئاب افنت صغارها. وتبين لي ان الذئب "الالف" كان المسؤول الوحيد عن القتل في كل مرة. وعزت بعض الآراء ذلك الى شكل من اشكال تحديد النسل بغية المحافظة على وجود السربة.

وبما اني كنت، في نظر بوبو، زعيم السربة، فان ما يتعلق بتحديد عدد السكان هو من اختصاصي وحدي. وهذا يعني ان اقدام بوبو على ايذاء الطفلتين سيكون انتهاكا مستحيلا من وجهة شرعية. واذا تقيدت الطفلتان بلباقة التصرف وامتنعتا عن الامعان في مضايقة بوبو، فسيكون لقاؤهما به امرا مأمون السلامة. واقصى ما يمكن ان يفعله بوبو هو ايذاؤهما عن غير قصد في مرح صاخب. ولكن على رغم ذلك، قررنا ان يتم التعارف بالتدريج.

وكنت قد قرأت عن عادات الذئاب في الاكل وعلمت ان زعيمي السربة في البراري يقبلان قبل سواهما على الاكل حتى الشبع من اي قنيصة، وعندما يتخمان فقط تقبل بقية الذئاب لالتهام ما يتبقى. لكن هناك حالة استثنائية غالبا ما تتكرر ايام الوفرة والنعمة او حين تكون الجراء من الصغر بحيث لا تقوى على الصيد على نحو فعال. في هذه الظروف الاستثنائية تمنح الجراء، على ما يبدو، امتيازات خاصة تؤهلها، الى جانب الابوين، لاولوية الولائم. وقررت ان استغل عادة الاكل هذه لازيد من ترسيخ الانطباع في ذهن بوبو بان للبنتين اولوية عليه.

وعمدت الى تثبيت مائدة النزهات عند سفح التلة واقمت فوقها عريشة تقينا انهمار المطر. وكنا نجلس الى المائدة معا وقد توسطتها قطعة لحم تزن كيلوغرامين ونصف كيلوغرام هي حصة بوبو، وكنا نأكل طعام الفطور على مهل. وكانت فاليري تنضم الينا ومعها طبق عليه ابريق شاي وخبز محمص، بينما تقبع كليو تحت المائدة ملتقطة الفتات.

وكنا، حالما نفرغ من الاكل، نتناول حصة بوبو من اللحم فيلعقها كل منا بلسانه، ثم اقرب القطعة من كليو لتلعقها بلسانها (لا لتخطفها مني)، فيدرك بوبو بحاسة الشم اننا

جميعا اكلنا منها قبله. وكنا بعدئذ نسير اليه جميعا لتسليمه الأكل، فيشب على قائمتيه الخلفيتين ويتناول اللحم بين فكيه، ثم يبتعد وثوبا الى فسحة صخرية جعلها مكانه المعتاد لتناول الطعام.

وقبل مضي وقت طويل ادنيت ابنتي من بوبو، وسرعان ما بدأتا تقدمان اليه ظاهر اليدين بعد لحسهما، فيشممهما بوبو مترفقا بهما ومرتعش الانف، ثم ينسل لسانه بلطف شديد ليلثمهما لثمة مبللة. واذ كان بوبو يضع رجلا على قمة رأس كل واحدة منهما، كانتا تقعان على الارض مستغرقتين في الضحك.

لكن هذه المواجهات الاولى بين بوبو والطفلتين كانت مدعاة للقلق. وعلى رغم ان المنطق كان يوحي الي بانه لا داعي الى الفزع. الا ان اثر الحكايات والاساطير في نفسي جعل من العسير علي قبول فكرة ان الذئب سيقتصر على مداعبة ابنتي وشمهما بخطمه. وعلى اثر هذه المقدمات الاولية المترددة بدأت البنتان تقتربان منه اكثر فاكثر حتى اخذتا تلعبان معه من دون تحفظ. فكانت سوريل تمتطي صهوته وهو رابض بلا حراك، وتشد اذنيه يمنة ويسرة وتركل جنبيه بكعبيها وصوتها يرن كالاجراس: "هيا. انهض. امش".

اما كستر فكانت ترتمي عند خطمه او ذيله، مستلقية على ظهرها عادة وممسكة بقبضتين من الوبر تشدهما باقصى ما اوتيت من قوة وتقرقر مسترسلة في ضحكها بينما يلعق بوبو بلسانه ما استطاع الوصول اليه من جسمها بكل صبر ورزانة.

وكنت في عين مخيلتي استرجع مشهدا مماثلا عبر جدول في مقاطعة يوكن، ولتلك الصورة في ذهني ظلال سود كامنة فيه ابدا. ولهذا استقر رأينا، اي فاليري وانا، على اننا لن نسمح مطلقا للطفلتين، على رغم عذوبة لعبهما، بان تخلوا ببوبو.

"لننتف بوبو"

تحول ربيع بوبو الاول بيننا الى دفء فصل الصيف، وغدا العشب على التلة دغلا نمرح فيه ونلعب شتى انواع اللعب. وكان اكثرها تكرراً وشعبية لعبة "اختبىء واهجم"، وهي تحوير للعبة التغمية، او "اختبىء وابحث"، حيث يتولى بوبو دور المختبىء متواريا بين الاعشاب الى ان يقترب احدنا منه متظاهرا بعدم معرفة ممكنة، فيهاجمه بوبو بوابل من اللكمات بمخالبه ليبدأ شبه مصارعة ينطرح معها بوبو مستسلماً في كل مرة عن عمد.

لقد بت متأكدا، بعدما راقبت بوبو طوال ثلاث سنوات، من ان اللعب جزء رئيسي من حياة الذئب اليومية. وفي حين ان الكلاب، على غرار البشر، تقلع عن العاب الطفولة لدى بلوغها، تدأب الذئاب، كما يبدو، على المحافظة، على هذه الظاهرة من حياة الجراء، فتنغمس فيها يوميا من اجل المتعة المجردة وربما من اجل ارضاء حاجة نفسية بعيدة الغور توازي حاجتنا نحن الى الاستجمام.

وفي الأيام التي لم يتسن الوقت لأي منا للعب معه، كان بوبو يلعب بمفرده ساعات متواصلة احيانا. وقد رأيته مرة يطارد ذنبه باستمرار طوال مدة لا تقل عن ٤٠ دقيقة. وكان يثني مقدمه ببطء وحرص وينتظر بصبر احتدمت مع الروح الافتراسية،

فريسته المرتعشة، حتى اذا بات على بعد وثبة منها قفز عليها بغتة. لكن ذنبه في تلك اللحظة يرتد بعيدا عن صائده، فيطارده بوبو بعنف في دوائر ينكمش محيطها المرة تلو المرة وتزيد سرعة دورانها على نحو يتعذر معه حصر نطاقها. واخيرا يلوذ بوبو بالفرار متظاهرا بالهلع من ذيله الذي بدأ الآن يطارده هو.

ومع مرور الأيام جمع بوبو تشكيلة العاب، منها اطار سيارة قديم، وكرة بحر منبعجة، وجمجمة حيوان الموظ، وجزء من حبل نايلون ضخم يستخدم في شدّ السفن الى البر. وكان يحتفظ بها وبغيرها من الكنوز داخل دار اللعب، فيخزنها بحرص وعناية تحت سرير النوم ويخرجها من مخبأها متى شاء.

وفي احد اوقات اللعب معا، وكان يوما من شهر يوليو (تموز)، افزعني بوبو كثيرا ومنحني في الوقت نفسه منحة غير مرتقبة. فقد قبضت على وبره لامسكه باحكام بغية مصارعته، واذا بقبضتي تنزعان الوبر من جلده انتزاعاً. وخطر لي انه اصيب بعدوى مرض لا يلبث ان يجعله املط. غير اني، بعد فحص مكان الوبر، لم اجد بقعا عارية بل كساء من شعر اشد خشونة واكثر دكنة. فادركت انه كان ينزع عنه معطفه الشتوي.

وعرضت علينا جارة طيبة مهارتها ودولاب غزلها بعدما وجدت ان صوف الذئب، اذا غزل مع صوف الخراف، يعطي خيوطا متينة وناعمة ودافئة كأجود اصناف "الموهير". وفي خلال سنوات ثلاث جاد علينا بوبو بصوف نسجنا منه كنزات لنا جميعا. وعيب هذه الكنزات الوحيد هو ان الكلاب، بدلا من اكتفائها بالشم العرضي كما هي عادتها، اظهرت اهتماما حادا بنا حتى ان بعضها كان يفاجئنا بالتصرف كما لو مسه تيار كهربائي مكثف. فهي اما تفقفق في نباحها وتنكمش خوفا باذلال وخنوع، واما - وهذا لعمري هو الأمر الاسوأ - تتحفز للهجوم فتصلب سيقانها وتتقدم متوعدة. ومن حسن الحظ ان الكلاب لم تعضنا في اي مرة، وان كادت هي ان تفعل ذلك.

في المنزل امام الموقد

ارجأنا مشروع ترويض بوبو على العيش وحسن السلوك داخل منزلنا الى مطلع شهر اغسطس (آب)، اي الى ان يحتّ صوفه الشتوي كله. وكان ذلك الارجاء استجابة لاصرار فاليري. لكنها، لو درت بعواقب ادخاله المنزل، لتخلينا عن مشروع تدريبه كلياً.

ادخلت بوبو البيت عبر باب المطبخ وفككت للتو مشبك طوقه. وكان الامر الأول الذي استرعى انتباهه منشفة صحون تركت باهمال فوق احد الرفوف وفي ثناياها طبق خزفي ثمين. وبعد ذلك جاء دور غطاء ابريق الشاي، ولكن انى لبوبو ان يعلم ان الابريق كان فيه شاي حتى منتصفه.

وخاف بوبو من صوت تكسر هذه الاواني وانتشار شظاياها في ارض المطبخ، لكن خوفه لم يدم طويلا، ففي غضون لحظات سحب طبقا عن دفة المغسل، وكانت المصيبة الكبرى ان الطبق احتوى على نصف ما نملكه من آنية الخزف الصيني. وقبل ان اسكن روعي مما حدث، كان بوبو قد امسك بمنشفة اخرى للصحون يبدو ان رائحتها راقته كثيرا، واندفع

بالمنشفة الى غرفة الأكل المجاورة وراح يتقلب فوقها وتحتها، فاشتبكت قوائمه عرضا بقوائم طاولة استندت فوقها اجزاء جهاز استماع "هاي - فاي". ووثبت عليه وفي يدي سلسلة طوقه، فطار مكبر الصوت وتهشم محدثاً حريقاً محدود النطاق في اثاث الغرفة. ولولا سرعة الخاطر في سحب قابس التوصيل الكهربائي وحسن استخدام مطفأة الحريق، لأتت النار على البيت ومن فيه.

وكان بوبو لا يزال مزهوا بلعبه، فوثب الى غرفة الاستقبال وطفر، قبل ان اتمكن من اللحاق به، على اربع من الستائر الست التي تزين نوافذ الغرفة وخلعها من مكانها واطاح عوارضها وحواشيها في عاصفة من التدمير الفضولي. وكان فخورا، بل فرحا ومغتبطا، برؤيتي عندما تمكنت اخيرا من اصطياد طوقه وشبك السلسلة في عروته. والواقع انه كان ينضح اعتدادا بنفسه الى حد انه ثغر في اثناء جره من الصالون على كرسي كنا كسوناه حديثا بالمخمل، تاركا عليه مسحة من بوله للاعراب عن ملكيته الاقليمية.

عند هذا الحد طفح كيل فاليري. وهي، كربة بيت، معذورة اذا طغى اعتزازها بالبيت على كل ما عداه. والمحت بتهديد خفي الى انه، اذا داس بوبو عتبة دارها مرة اخرى فستهجر البيت الى الابد. ولم يكن امامي من خيار سوى اصلاح ما افسده بوبو او ابداله في اسرع وقت ممكن. وبعد مرور فترة على اندمال الجروح تخللها الكثير من التأكيدات العاطرة راودني أمل جديد في ادخال بوبو البيت مرة اخرى.

ان مستوقد النار في جدار غرفة الجلوس الامامية واسع، وليس ثمة عوائق تعترض حرية التنقل في فسحة الارض امامه، وهي ارض غطيت بطبقة من الاسمنت في حين بني جدار المستوقد من الصخور. فاستأجرت ثقابة صخرية تعمل بضغط الغاز، واغتنمت فرصة غياب فاليري في عصر احد الايام وثقبت الجدار ودققت فيه رزة حديد. وما ان عادت فاليري الى البيت حتى كان بوبو يرقد بسلام على حصيرة المستوقد وقد احكم سلسلته بالجدار الصخري.

ورضخت فاليري في النهاية للأمر الواقع، وكم اكبرت فيها ذلك واحببته. واظن ان رؤية ذئب يلاعب في دعة ابنتينا الصغيرتين هو الذي استهواها. وكنا نبقي بوبو مربوطا بسلسلته ساعة او اكثر كل يوم. وبعدما فقدت الاشياء جدتها وغرابتها بوقت قصير، فككنا رباطه وراقبناه بحرص شديد وهو يقوم بجولات تفقدية في أرجاء البيت وقد خلف علامات ملكيته في مكانين. ولكن بعدما طبع زعيم السربة في ذهنه ان هذه الاعمال محظورة في المنزل، تخلى بوبو عن جميع حقوق الاولوية في الممتلكات باستثناء سجادة المستوقد.

شعور بفداحة الذنب

استغرق تحديد المعالم الأساسية لجغرافية العلاقات مع بوبو الجزء الاعظم من السنة الأولى. وتمكنا، من معرفة الملامح الرئيسية في سلوكه وحدود تصرفاته، وتوصلنا عن طريق المساومة الى العيش ضمن نطاقها. على ان الخريطة ما زالت بعيدة عن الاكتمال. والواقع ان مركب السلوك

الذئبي معقد الى حد ان علماء الحيوان ينفقون اعمارهم في محاولة فهمه. ولكن اذا جمعت بين ذلك التعقيد ومركبات السلوك البشري الاكثر تعقيدا لتصاعدت الاحتمالات السلوكية في تعاقب هندسي الى ما لا نهاية له. وتصرف بوبو ازاء الناس الذين يزوروننا هو امر ملحوظ. فموقفه تجاههم يراوح، دونما نظام او منطق ظاهر، من المحبة الى الكراهية القاتلة او الفزع.

ويتضح لي، من خلال استرجاع ذكريات الماضي، ان تعلمنا العيش بحسب الشريعة الذئبية كان يتطور بالتدرج نتيجة الانسجام مع مقتضيات الضرورة في حينه. وقد حدث ذلك على مراحل من دون علم منا، فجلب معه مقدارا ناميا من البهجة بتحقيق علاقة مع الذئب مبنية على المحبة والاحترام المتبادلين. والحق ان البهجة التي يجلبها بوبو الينا تنمو من لحظات استكشاف متفرقة وبسيطة حتى تغمر قطاعات برمتها من حياتنا، فتدر علينا محاصيل وافرة من الخبرة ما كانت لتتوافر لولا ان دروب حياتنا لم تتقاطع. وهي بهجة شاملة تعم حياتنا الى درجة انها تبدو هبة من الهبات غير المكتسبة. والغريب انها تولد احيانا حزنا غير مألوف، كأنما هو شعور بفداحة الذنب.

كم مكثت ساهرا في فراشي ساعات متقدمة من الليل، منصتا الى رجع نداءات بوبو كأنها اصداء جرس وحيد تنطلق دندناته المستوحشة عبر كاتدرائيات الغابة. وذات ليلة، بينما كنت انا وفاليري خارج البيت، كانت حماتي، التي جاءت حديثا من انكلترا واعتادت حياة المدن الانكليزية، ترعى الطفلتين. وكانت البنتان تلعبان في حديقة الدار حين عوى بوبو فاستجاب لعوائه ذئب آخر وراء التلة. ولما عدنا الى البيت وجدنا الجدة تحتضن الطفلتين داخل الدار وقد احكمت اقفال جميع الابواب خوفا من تهديدات الذئاب القناصة التي توهمت انها احاطت بالدار من جميع منافذها. ولم نكن قد رأينا في اي مرة اصدقاء بوبو من ابناء جلدته. غير اني اعرف، من تقصي الأثر على صفحة الثلج وراء التلة، ان اثنين على الاقل من الذئاب البرية يزورانه من حين الى آخر.

اني، اذ انظر الى بوبو، اتحسس مدى روعته وارى فيه تجسيدا لثمرة النشوء والارتقاء، وهي ثمرة بلغت من التطور حدا في اتقان الصنع والتناسب مع طبيعة موطنه يجعلني اتساءل: باي حق، بل باي شهوة مؤسفة، اختار الانسان ان يستأصله من جذوره الى الأبد؟ واراه، وانا في تلك اللحظات من التأمل، منطلقا وقد انتصب ذيله عاليا في سباق عبر سهول المنطقة القطبية الشمالية الجرداء. واكاد اسمع عواءه الضاري كما يجب ان يكون، فاتمنى، على رغم تعلقنا الشديد به، لو انه لم يرنا قط.

ولكن لا رجاء في عودة بوبو الى البراري. فهو لن يقدر مطلقا على استرداد ميراثه المفقود، وان كان قادرا على ان يشركنا معه في نتاج ذلك الميراث. وهذا ما يفعله بوبو بطيب خاطر وكرم من النفس، واننا لشاكرون له ذلك.

■ ريتشارد تومكيز

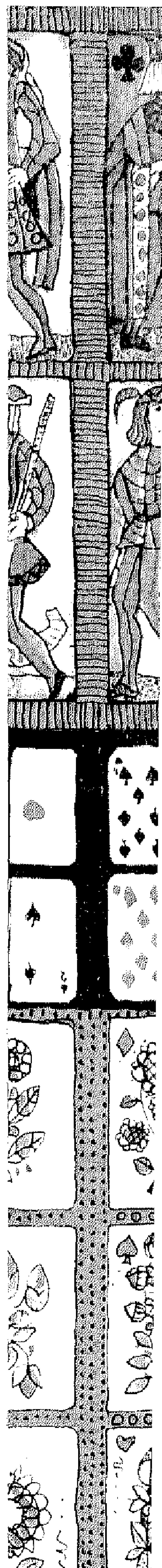


ابريل (نيسان) ١٩٧٩ - جمادى الاول ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير: ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب ·
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير: رينا نداف ·
الاخراج: اروى سيف الدين ·

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية- باريس ·

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ·

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية- باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ· اوهارا ·
مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية الاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: تصميم ورق لعب

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
April 1979 Nº5 *(New Series)*. Vol. 1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

○ **كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.**

○ **كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...**

○ **عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.**

○ **في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.**

○ **ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.**

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ **تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.**



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولاراً

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصاً المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

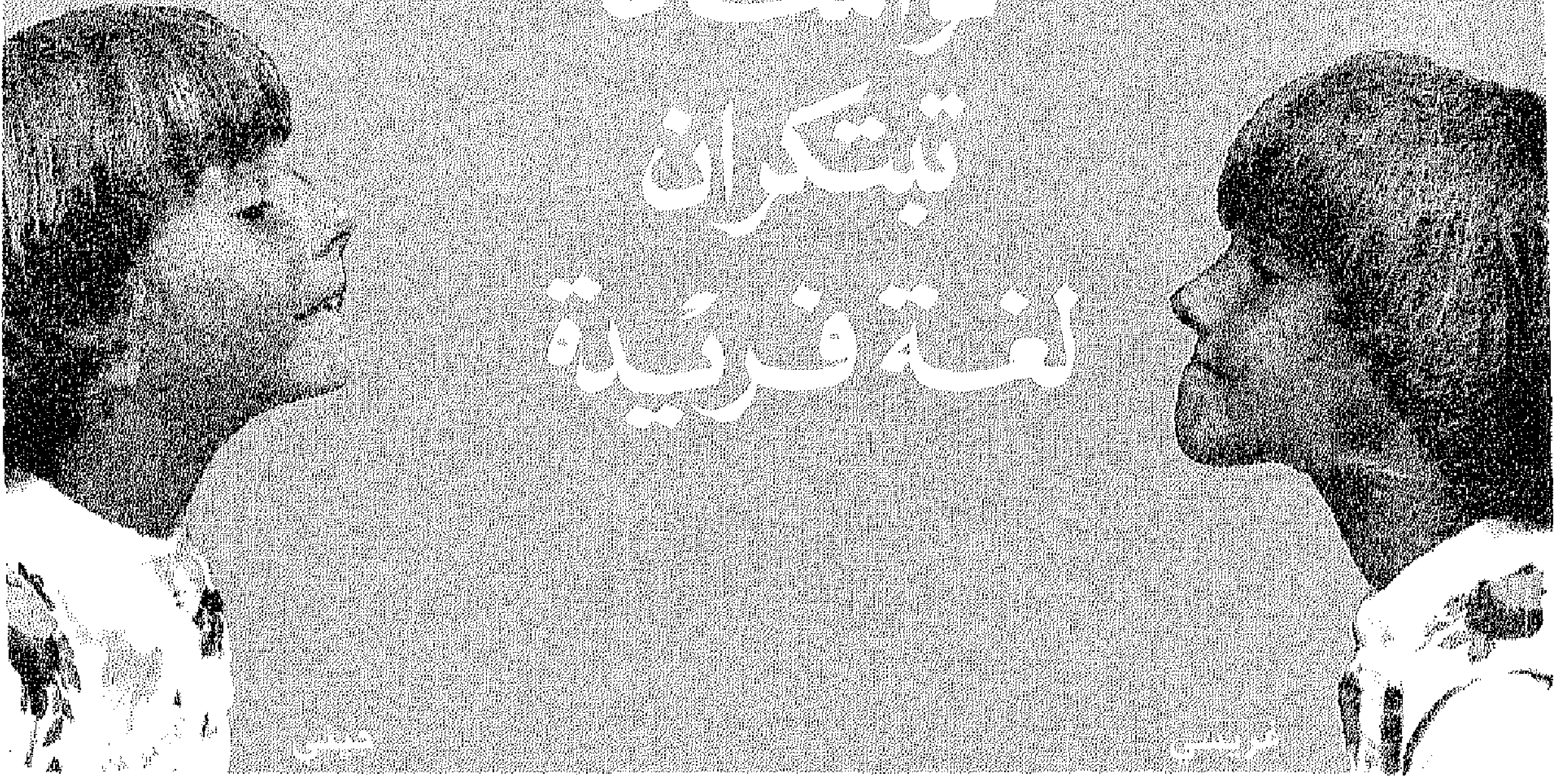
● شروط خاصة ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

توأمتان تبتكران لغة فريدة



تتناغمان وكأنهما عصفوران يزقزقان، فتقول غريسي: "كابنغوبادم مانيباد وبيتو"، وترد جيني: "دوان ني بادا تنغكمات".

وغريسي هي التي تمسك عادة باطراف المحادثة. فهي ولدت عام ١٩٧٠ خمس دقائق قبل مولد شقيقتها التوأمة، وما زالت هي المهيمنة منذ ذلك التاريخ.

وتقول جيني: "بوتوبنيت".

فتسأل غريسي: "بنيت؟".

وتصر جيني قائلة: "ياه".

ان هذه اللغة التي تستعملها غريسي وفرجينيا كينيدي فريدة يتعذر التحدث بها او فهمها على احد غيرهما. غير ان خبراء اللغة والنطق في مركز النطق والسمع والاحساس العصبي في مستشفى الاطفال والمركز الصحي في سان دييغو في كاليفورنيا، يحاولون منذ شهر اغسطس (آب) ١٩٧٧ ان يهتدوا الى مفتاح هذا العالم الذي تعيش فيه غريسي وجيني، ومعرفة ما تعنيه تلك النبرات الغريبة التي لا بد ان تنطوي على مدلولات اكيدة، بعد ان تطورت الفتاتان باسلوب نطقهما.

وما هي المقومات التي توافرت في حياة تينك الفتاتين الصغيرتين الزرقاوي العيون والحريريتي الشعر، فمكنتهما من تطوير لغة خاصة بهما؟

CONDENSED FROM FAMILY HEALTH / TODAY'S HEALTH (SEPTEMBER 78)
PHOTO AL SATTERWHITE

ولماذا لم تتعلما التكلم بالانكليزية او حتى بالالمانية التي كانت لغة جدتهما ولغة المربية التي كانت ترعاهما في اثناء غياب والديهما؟ وان يكن الامر مجرد نمط من انماط نطق الاطفال، فلماذا لا تفقده الفتاتان اسوة بمعظم الاطفال؟ وهناك مسألة اهم من ذلك كله، وهي معرفة ما اذا كانت بقية العالم ستجني فائدة من طريقة نطق الفتاتين بالنسبة الى اصول اللغة وطريقة اكتسابها؟.

عندما ولدت التوأمتان غريسي وفرجينيا عام ١٩٧٠ في كولومبوس، جورجيا (الولايات المتحدة) وجد والداهما توم وكريس كينيدي صعوبة في تحمل العبء المالي الناجم عن اضافة طفلتين الى العائلة، فبقيت الطفلتان تتشاركان في كل شيء بما في ذلك مهدهما الصغير، ومرت ستة اشهر قبل حصول كل منهما على سرير مستقل حتى تمكن الوالدان من توفير بعض المال لشراء الأغراض اللازمة لهما.

وقد اصيبت فرجينيا يوم مولدها بتشنجات شديدة، وفي اليوم التالي عانت غريسي نوبة مرضية مماثلة. وأجرى الاطباء اختبارات للتحقق من وجود سائل متجمع على الدماغ، فجاءت النتائج سلبية، لكن التشنجات استمرت تعترض حياة البنتين طوال الاشهر الستة الأولى.

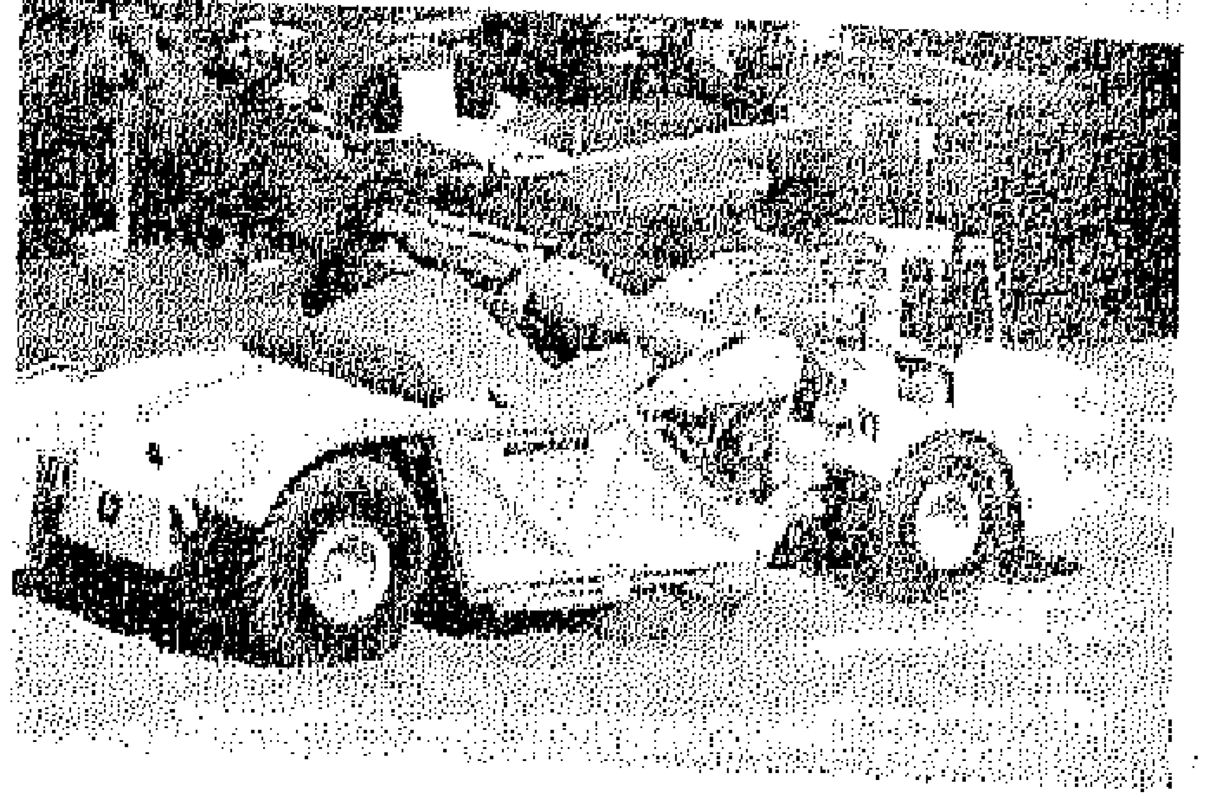
وعندما بلغت التوأمتان عامهما الأول تم فحصهما بمرسمة موجات الدماغ كشفا للعطب المحتمل فيه. وقال والدهما توم كينيدي: "كانت النتائج عادية غير ان الاطباء افادونا انه يتعذر عليهم التأكيد بنمو جيني وغريسي طبيعيا قبل السن الخامسة او السادسة".

وكان ذلك التحذير الطبي مغايرا مباشرة لتطور حال غريسي وجيني، ذلك ان توم وكريس ظلا يعتقدان، طوال تقدم ابنتيهما في السن، ان التوأمتين معوقتان عقليا، بل كثيرا ما استندا الى هذا الاحتمال في تفسير نمو البنتين البطيء.

عالم منكمش — وكان توم وكريس مضطرين الى التفرغ للعمل مما قضى على غريسي وجيني ان تمضيا وقتا طويلا مع جدتهما التي على رغم محبتها لهما وتلبية كل حاجاتهما المادية، قلما كانت تجد الوقت الكافي لمداعبتهما او لتعليمهما بعض المهارات او الالعاب او - وهو الاكثر اهمية - بضع كلمات، فكانت الايماءات وبعض الالفاظ المفردة هي الطريقة الوحيدة للاعراب عن رغباتهما للجدة.

ولما بلغت الفتاتان الثالثة من العمر ارتحلت عائلة كينيدي الى كاليفورنيا واقامت في حي تقطنه غالبية المواطنين المتقدمين في السن، ويقل فيه عدد الزملاء والزميلات في الالعاب، فاقتصرت الفتاتان على الاعتماد احداهما على الاخرى وتزايدت لديهما رغبة الانكماش والانفراد في عالم خاص بهما.

وفي هذه الاثناء، تمكنت غريسي وجيني من فهم ما كان يقوله والدهما، لكنهما لم تستعملا الا كلمات انكليزية قليلة. وكانت اول كلمة مفهومة نطقتا بها عندما كان عمرهما سبعة عشر شهرا، هي "بابا"



JD860-B الجديدة
تتميز بمحرك اقوى
وجهاز دفع للرافعة امتن

اصبحت الرافعة JD860-B تتميز بمحرك جديد يمكنه اعطاءك ١٠ احصنة اضافية و ٢٥ بالمئة اكثر من قوة دفع سابقاتها .

وتسهيلا لعمليات التحميل اصبح لدى JD860-B نظام تحريك للرافعة جديد واكثر متانة ويمكنها بفضل ثقل القطع وجمودها من قذف الاتربة بسهولة اكبر الى مؤخرة الرفش .

جون دير انتركونتيننتال ليمتد ش.م. - بولفار ولويه ٣٤، ص.ب ٤، ١٢٠٠ بروكسل، بلجيكا .



JOHN DEERE ذو الحركة الدائمة

موزعون في مصر، الاردن، ...
السعودية، السودان، الإمارات العربية المتحدة.

و"ماما". ولم تعقب ذلك سوى كلمات قليلة مما ادى الى شعور والديهما بالسأم واليأس. وقالت والدتهما كريس: "لم نوفق الى حملهما على النطق في جمل، وبدا لنا ان النطق متعذر عليهما بسبب التشنجات التي تعتريهما وتحول دون اقبالهما على التعلم والنطق".

بيد انه عندما كانت الفتاتان وحدهما كانتا مليئتين بالحياة والنشاط وتلعبان طوال ساعات عدة وتتبادلان اطراف الحديث بطريقتهما الخاصة.

وقالت كريس: "كانت غريسي وجيني تتحدثان بسرعة غريبة. غير انني وتوم كنا نعتقد ان حديثهما كان لغو اطفال. وقد اكتشفنا انهما اصطنعتا اسما مستعارا لكل منهما، فكان اسم غريسي"بوتو" واسم جيني "كابنغو". ومع ذلك فلم ندرك ان بقية الحديث في ما بينهما كانت في الواقع شكلا من اشكال الاتصال، وان احداهما كانت قادرة على فهم ما تقوله الأخرى".

اللغة التوأمية ــ ولم يحاول والداهما مراجعة مركز النطق والسمع والحواس العصبية الا بعد ان بلغت الفتاتان السادسة والنصف من العمر. فلاحظتهما خبيرتا علم امراض النطق، اليكسا رومين وآن كوينكي وقررتا بعد فترة قصيرة من الاصغاء الى حديث التوأمتين ان ذلك الكلام قد يكون توأميا اي نوعا من المفردات الذاتية الازدواج. وتحدث هذه الظاهرة عندما يقدم توأمان او طفلان تربطهما صلة نسب وثيقة ببعضهما على استنباط اسلوب خاص للتخاطب.

وما زال المتخصصون في علم اللغات يناقشون منذ زمن بعيد ما اذا كان الكلام المزدوج يعود الى اسباب بيولوجية ام بيئية. فثمة من يقول، من ناحية، ان التركيب العصبي لبعض التوائم يجعل اكتساب اللغة عملية أصعب لهم مما هي بالنسبة الى الاطفال الوحيدين، اما من الناحية الآخرى، فان بيئة التوائم تخلق تأثيرا خاصا يبدو انه لا يشجع على تعلم الحديث. فالتوأمان يقضيان معا عادة وقتا اطول مما يقضيه الاخوة والاخوات غير التوائم، وبذلك يحفز التوأم شقيقه التوأم الآخر على الاستمرار في العادة اللغوية الضعيفة. كذلك فان التوأمين يفهمان احدهما الآخر مهما يكن اسلوبهما ناقصا، وبالتالي فان حاجتهما الى ان يفهمهما الآخرون ليست، بمقدار حاجة غير التوائم او الاطفال الوحيدين. ولما كان يتوافر لدى التوائم غالبا امكان تسلية بعضهم البعض فانهم قلما يصرفون اوقاتهم في التمارين على المحادثة بالشكل الصحيح.

اما في حال غريسي وجيني كينيدي، فقد حددت لهما الخبيرتان في علم امراض النطق هدفين اثنين: الاول توثيق كلام الفتاتين بجمع مكتبة كبيرة من الاشرطة السمعية والبصرية، والثاني، مساعدة الفتاتين على تعلم الانكليزية.

وقد بدأت الخبيرتان عملهما بتصميم مجموعة من النشاطات تحفز الفتاتين على استعمال كلامهما التوأمي. وبعد العمل مع التوأمتين لمدة تزيد على العام الواحد، تمكنت

الخبيرتان من الكشف عن كثير من اسرار لغة الفتاتين، بما في ذلك: ان كلمة "جيمبا" تعني "كرافان" او "سيارة" وان "داين" تعني "قلم" وان "بنيت" تعني "انتهى"·

يتوارد كلام التوأمتين بسرعة وبحدة تستغرق معهما عملية نسخ المسجل منه على الاشرطة وقتا طويلا· وربما استلزم الامر مدة ساعتين لتحليل عينة من خمس دقائق· غير ان خبراء اللغة يعتقدون ان صعوبات تحليل المحادثة الفريدة من نوعها جديرة بذلك الجهد· والحقيقة انه بعد ان تستوفى الاجوبة عن بقية الاسئلة في هذا الصدد، قد تتوافر لدى الخبراء في علم امراض النطق افضل الوثائق الموضوعة اطلاقا عن الكلام التوأمي حتى الآن·

وفي هذه الاثناء تزايد كثيرا مجموع المفردات الانكليزية التي تستخدمها التوأمتان وبدأتا تتعلمان في مدرسة نظامية قواعد اللغة وتركيب الجمل والنسق اللفظي· وهما الحقتا بصفين منفصلين لتشجيعهما على اللعب والحديث مع التلميذات الأخريات·

وكان من المنتظر للتوأمتين، بفضل ما تبديانه من نباهة وتجاوب، ان تزول اسباب استصعابهما لتعلم الانكليزية وان تتطور لغتهما التوأمية· لكن النتيجة الواقعية لم تتحقق تماما حسب المنتظر· نعم، هناك اجوبة محتملة في شأن هذا الموضوع ولكنها غير قاطعة·

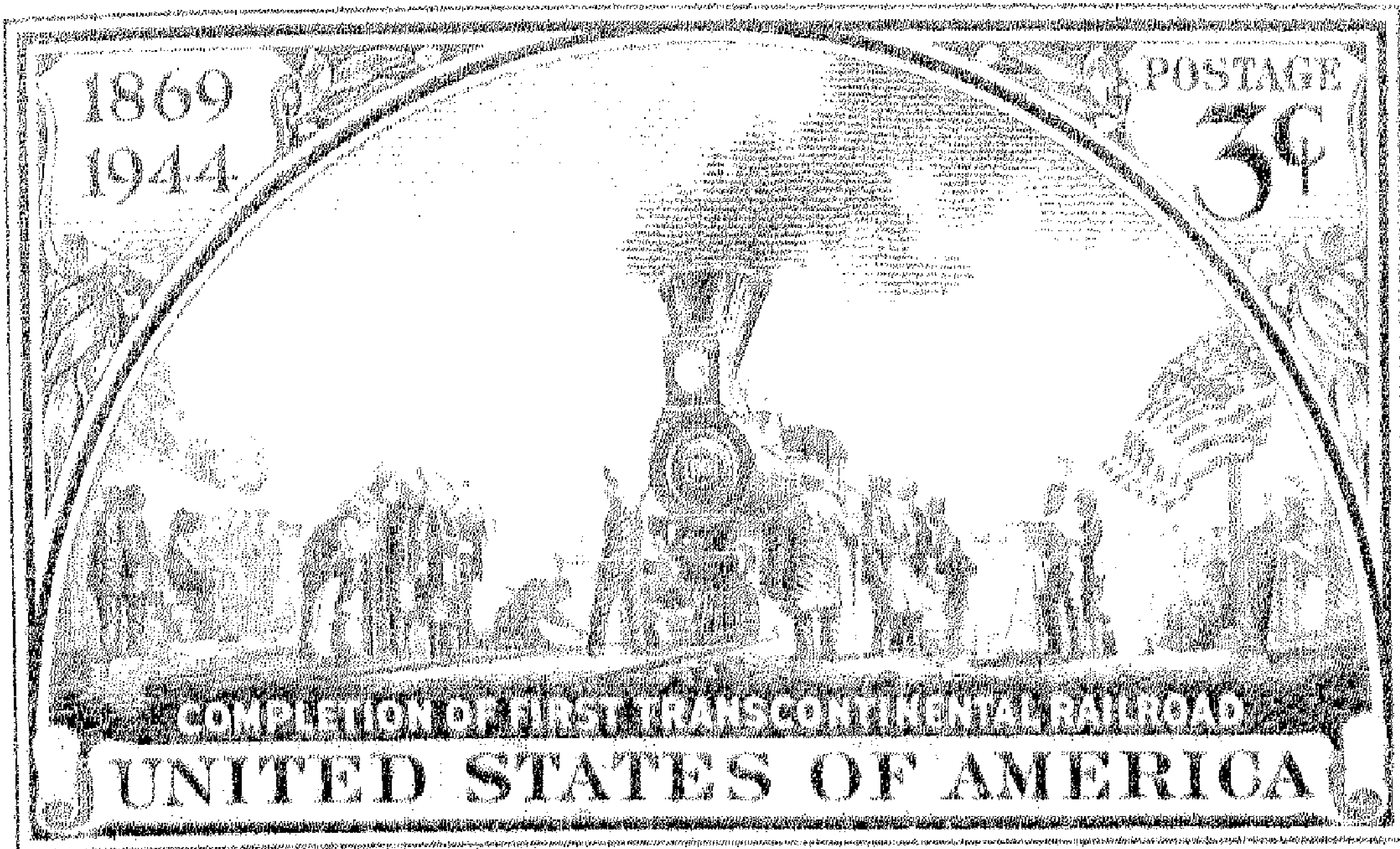
وتقول اليكسا رومين في هذا الصدد: "لا نستطيع استبعاد وجود عطب في الجهاز العصبي لدى التوأمتين، الا ان التشنجات لا تحصل في كل حال من حالات الكلام التوأمي· ونعتقد عموما ان التوأمتين معوقتان في تنسيق الحركات والنطق بسبب افتقارهما الى حافز"·

وانتظمت غريسي وجيني على متابعة جلسات علاجية يومين في الاسبوع بعد دوامهما المدرسي· ولم يكن الغرض من هذه الجلسات مقتصرا على تمكين الفتاتين من الطلاقة في الانكليزية، بل كان المقصود ايضا تنمية شعورهما بالجدارة والكفاية وثقتهما في النفس· ويؤكد الخبراء في امراض النطق انه ينبغي للتوأمتين ان تنموا مقتنعتين بان لغتهما التوأمية هي شيء "خاص" وليست امرا "مستغربا"·

وفي غضون ذلك، بقي العالم المكتوم الذي يكتنف غريسي وجيني مقفلا للآخرين، لان الفتاتين لا تتحدثان الى الآخرين بلغتهما التوأمية· وتقول اليكسا رومين: "وعندما نحاول تقليد لغتهما والتحدث اليهما فيها، فانهما تنظران الينا وكأنهما امام مجانين· فهي لغة خاصة بهما ومقصورة على كلتيهما دون اي شخص آخر"·

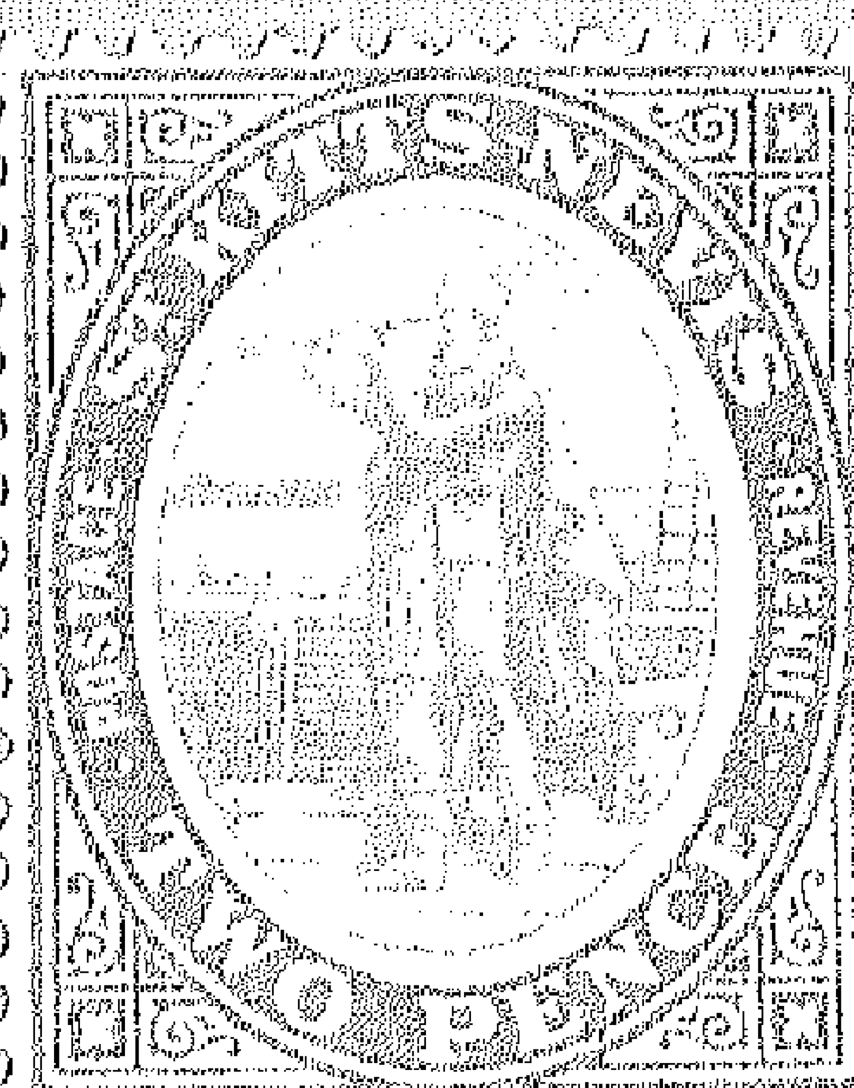
وعلى اي حال، فقد تتمكن غريسي وجيني في يوم من الأيام بعد مشاهدتهما بعض الافلام عنهما وهما تتحدثان معا، من اطلاع الآخرين على ما كانتا تقولان، فتفتحان بذلك باب عالمهما السري على مصراعيه، اسوة بما فعلت اليس بطلة المغامرات في بلاد العجائب عندما راحت تقص حكاية تلك البلاد التي وراء المرآة·

■ دايان اوبراين

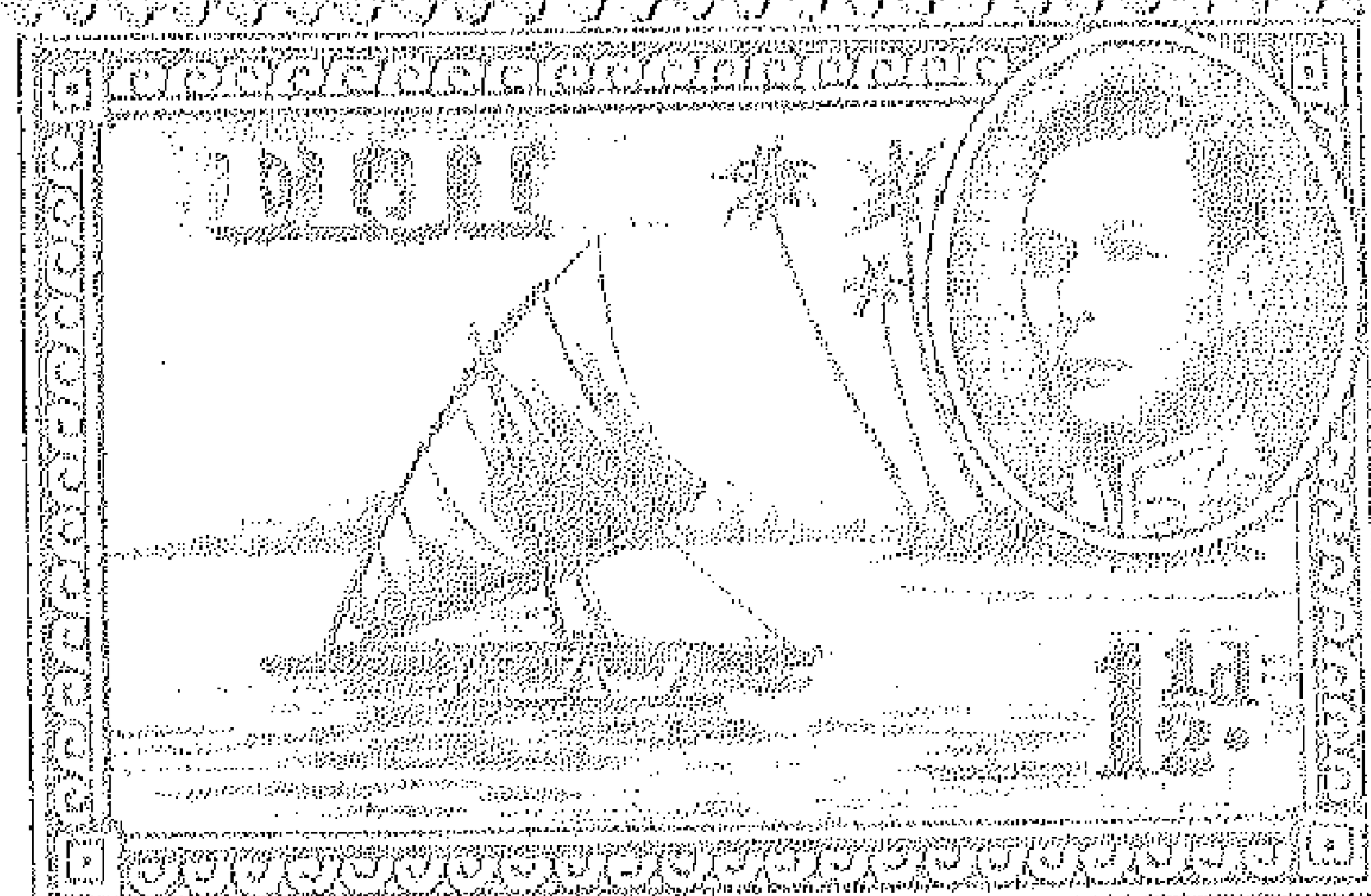


١ – الولايات المتحدة الامريكية (لم يصحح اطلاقا)

٢ – سانت كيتس نيفيس ١٩٠٣: كريستوفر كولومبس يتطلع الى اليابسة (لم تصحح اطلاقا).



٣ – فيجي: جزر فيجي ١٩٣٨ (اصدار مصحح ١٩٤٠).



الطوابع البريدية تمتحن ذكاءك

هنا عينات من طوابع بريدية صدرت في مختلف انحاء العالم، وتشكو كل منها من خطأ واقعي – علمي، او تاريخي، او لغوي، الخ...

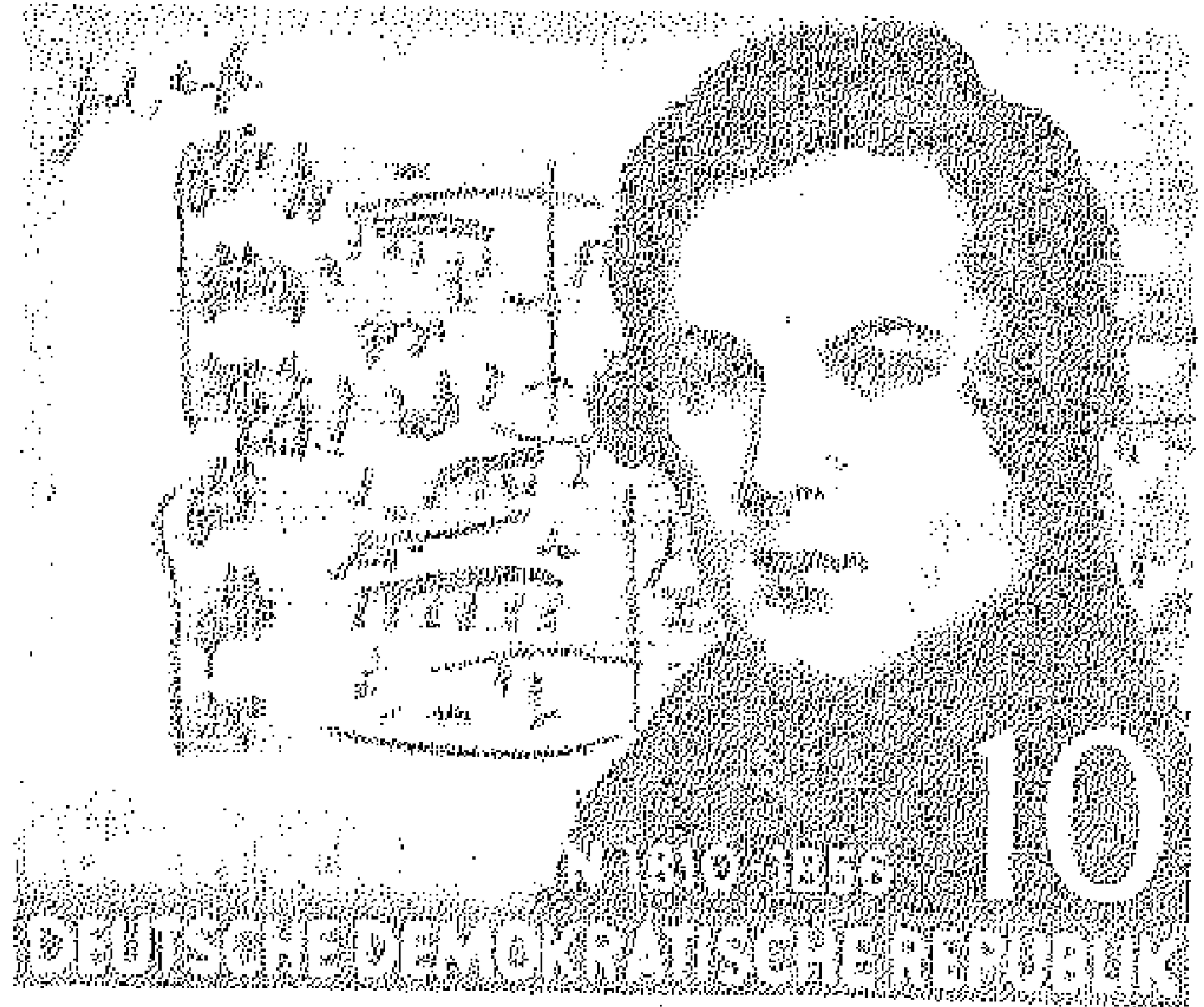
ففي بعض الحالات، صحح الخطأ لمناسبة اصدار مضبوط للطابع المعني، واما في بعض الحالات الاخرى، فلم يسلم بوجود أي خطأ.

فهل يمكنك ان تجد اين هو الخطأ في كل من هذه الحالات؟

● مقتبس من "العاب" ابرا زويفاخ



٤ - جمهورية المانيا الشرقية يوليو (تموز) ١٩٥٦



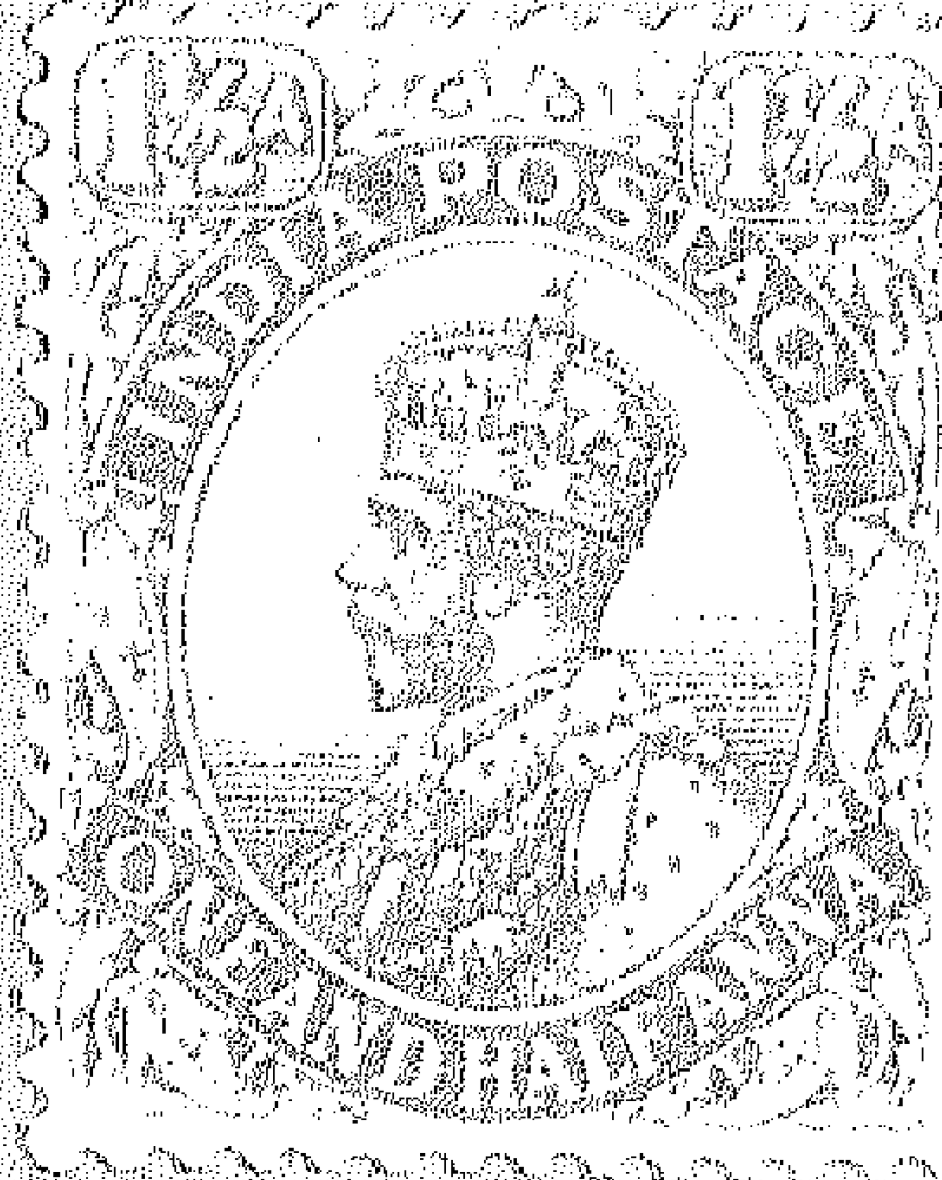
(الاصدار المصحح: اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦)



فرنسا ١٩٣٧: "مقالة عن المنهج" لديكارت ١٦٣٧



٥ - فرنسا ١٩٣٧: "مقالة المنهج" لديكارت ١٦٣٧

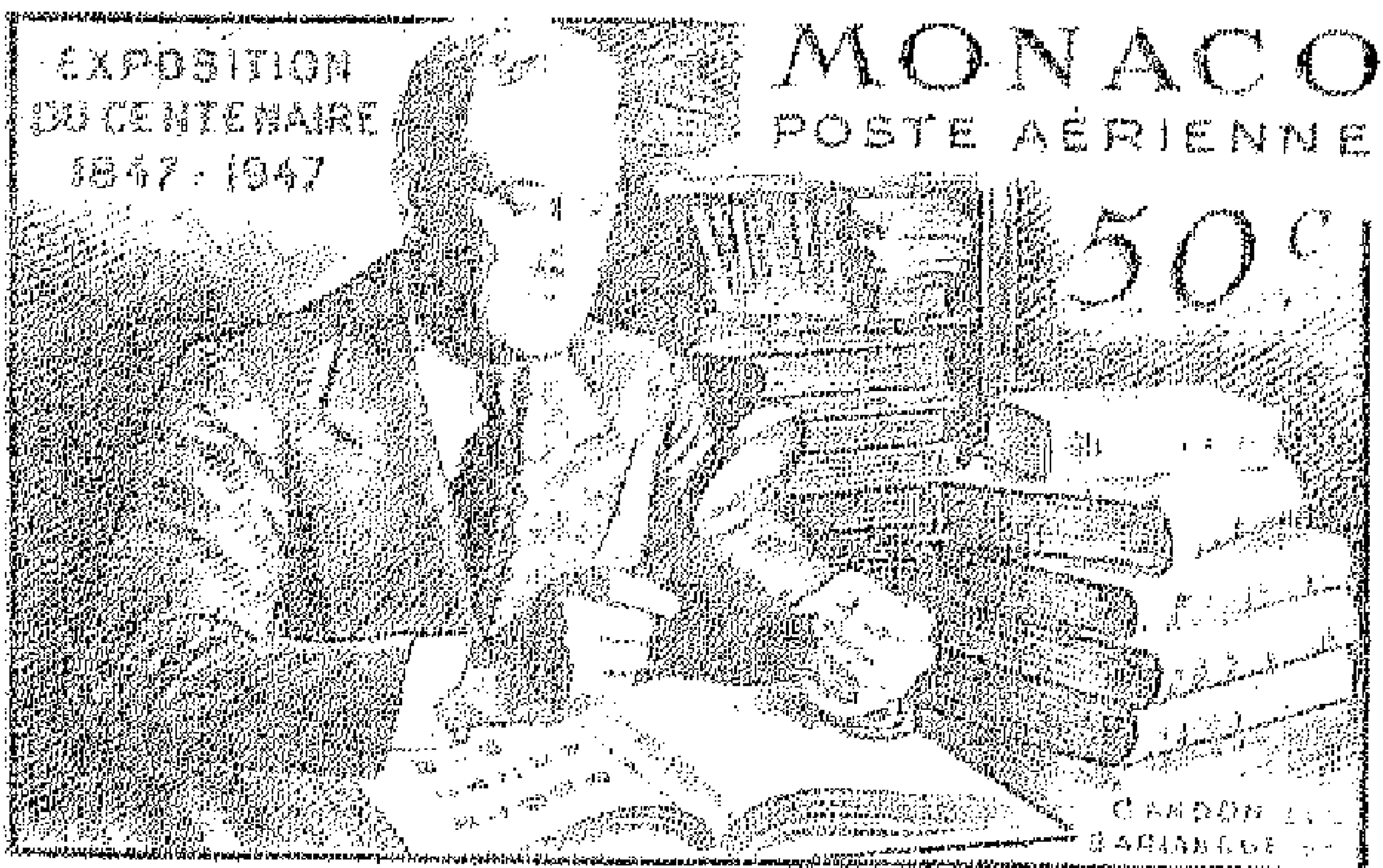


٦ - الهند ١٩١٩:
١/٢ ١ أنّا

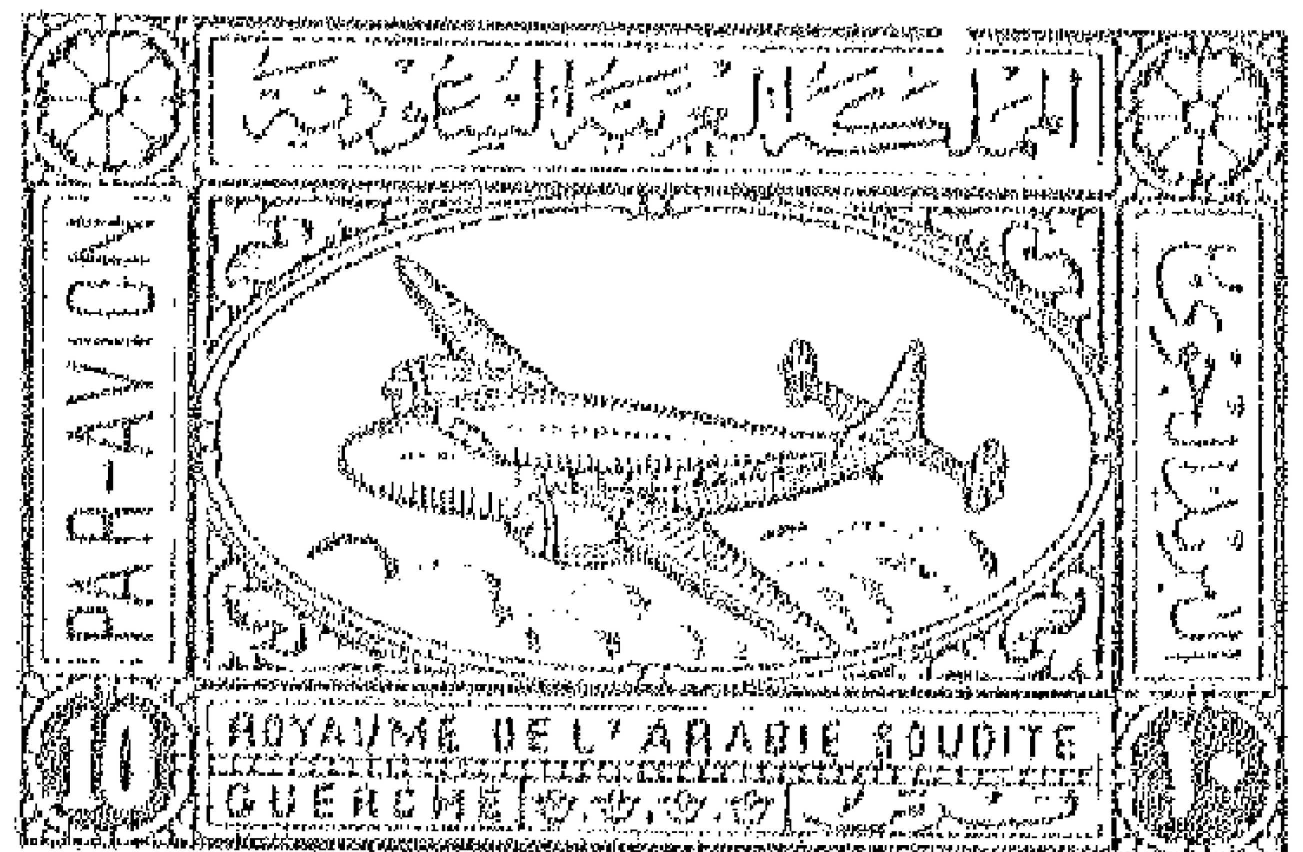


الاصدار المصحح
١٩٢١:
١/٢ ١ أنّاس

٧ - موناكو ١٩٤٧: (لم تصحح اطلاقا)

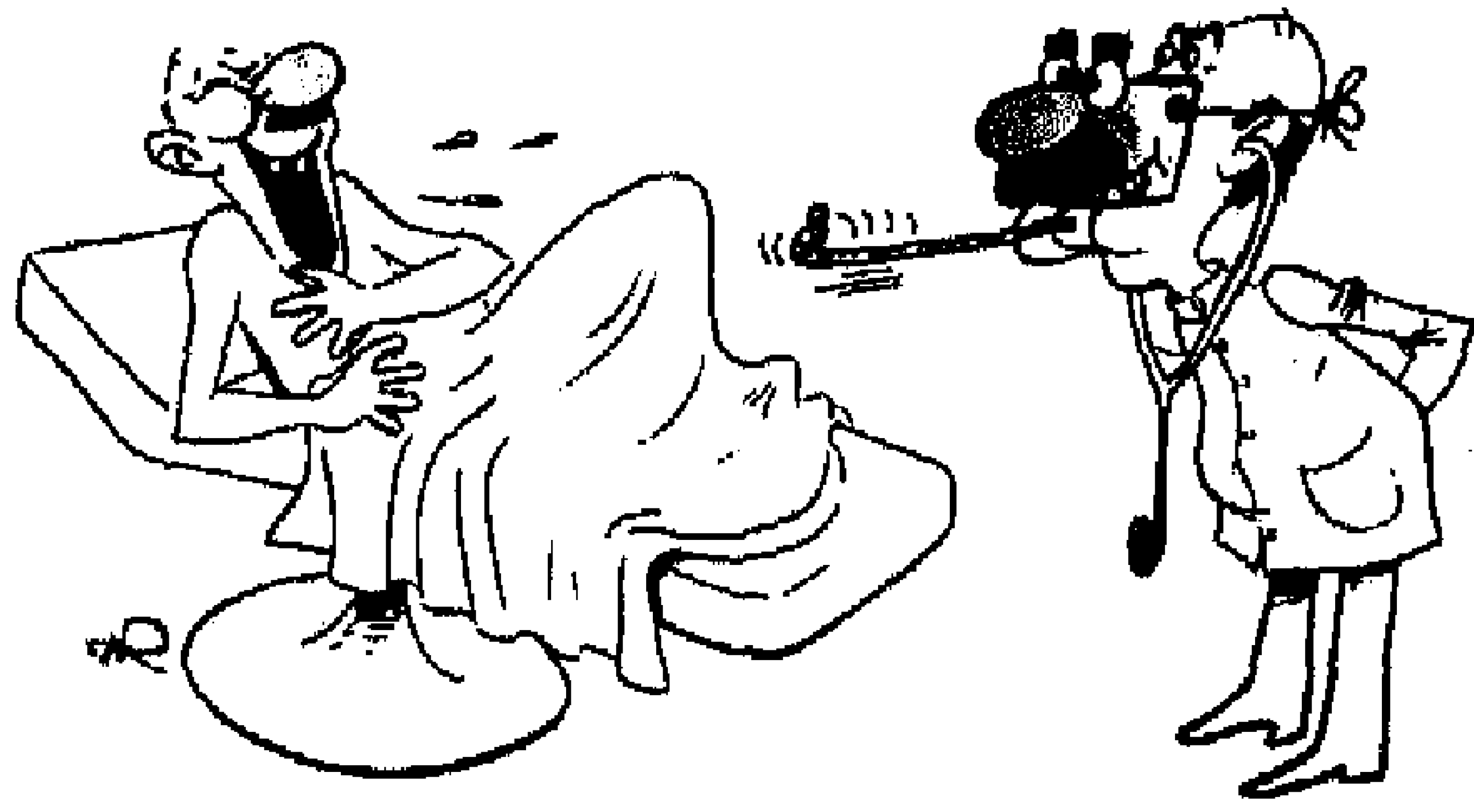


٨ - المملكة العربية السعودية ١٩٤٩ (لم تصحح اطلاقا)



(الاجوبة ص ٤٧)

الضحك خير دواء



عذوبة العازب

توجه يوما شاب اعزب وشحيح العطاء الى مطعمه المفضل لتناول وجبة الغداء، وكانت الفتاة القائمة على خدمة الزبائن تعمل للمرة الأولى في ذلك المطعم، فترك لها الشاب ثلاثة قروش بقشيشا قبل ان ينصرف. ثم جاء في اليوم التالي، فشكرته لفرط "سخائه" واضافت ان في امكانها ان تستكشف عادة طوايا الزبون من طريقة عطائه. فقال الشاب:

– وماذا عساك ان تعلميني عن نفسي.

فاجابت: لقد وضعت ثلاثة قروش في شكل متقن مرتب، مما يفيد انك شاب منهجي للغاية: فالقرش الاول يعني لي انك مقتصد، والثاني يدل على انك اعزب.

فقاطعها، قائلا: هذا صحيح، ولكن ماذا يعني لك القرش الثالث ؟

فقالت: يعني لي ان أباك كان هو أعزب أيضاً.

الحاجة غير المتبادلة

عندما كنت اعمل في الفليبين كنت، اشتري البيض من رجل ريفي يعيش على بعد ٨ كيلومترات من المدينة. وكان يسلمني البيض عادة في منزلي، غير انني كنت ازور مزرعته بعض الاحيان وانتهز الفرصة لشراء بعض البيض وتبادل الحديث. وكنت الاحظ ان ثمن البيض عندما اشتريه مباشرة "من المزرعة، كان يزيد دائما على سعره عندما كان المزارع ينقله الى منزلي البعيد عنه ٨ كيلومترات. فسألت المزارع يوما ان يفسر لي هذا الامر، فقال: "هذا بسيط ومنطقي، يا سيدي. انك عندما تأتي الى مزرعتي، فذلك يعني انك في حاجة الى البيض، واما عندما اجيء انا الى منزلك، فذلك يعني انني في حاجة الى المال".

د.هـ.س.

لعبة حظ

كان طالب يكتب امتحانا يقتضي وضع إشارة الصواب أو الخطأ أمام كل جملة. وكان ينقر قطعة نقود في الهواء وينتظر حتى تسقط على الطاولة أمامه قبل وضع الاشارة. فتقدّم الاستاذ منه وسأله عما يفعل. فقال: "إذا وقعت قطعة النقود على رأسها كانت الجملة صحيحة، وإذا وقعت على ذيلها كانت مخطئة".

ولدى انتهاء فترة الامتحان شرع الاستاذ في جمع الأوراق، وكان الطالب نفسه ينقر قطعة النقود. عندئذ سأله: "وماذا تفعل الآن؟" فأجاب: "احاول التحقق من صحة الأجوبة".

ج.هـ.

في البدء...

الطبيب النفساني: "لم أعرف مشكلتك بعد. فهل لك ان تبدأ من البدء؟"

المريض: "في البدء خلقت السموات والأرض...".

خفّفوا الطلبة

في عهد الجنرال فرنكو في اسبانيا، لبضع سنوات مضت، نظم الطلاب تظاهرة صاخبة امام السفارة البريطانية مطالبين باستعادة جبل طارق. وعندما وصلت طلائعهم الى مبنى السفارة، تلقى السفير نداء تلفونيا من احد وزراء الكوديليو يقول له: "انني آسف جدا يا سعادة السفير، لان اعلم الآن بما يجري أمام سفارتكم. فهل الموقف يدعو الى القلق؟ وهل تريدونني ان اوافيكم برجال الشرطة؟".

فأجاب السفير: "ارجوكم الا تزعجوا انفسكم بارسال مزيد من الشرطة، وانما تفضلوا بايفاد عدد اقل من الطلبة".

ش.ر.

بائع السراب

تملك الظمأ رجلا يجتاز الصحراء. وبينما كان تائهاً بين الرمال اللاهبة صادف تاجراً حاول ان يبيعه ربطة للعنق. فقال له الرجل الظمىء: "انك مجنون، دون شك، فانني اكاد ان اموت عطشا وانت تعرض علي ربطة للعنق".

فهز التاجر كتفيه من دون اكتراث وتابع مسيره. وعند الأصيل بلغ الرجل العطش مكاناً ساطعاً بالاضواء ومن حوله موقف مكتظ بالسيارات، فكاد لا يصدّق نظره، فاقترب من المدخل واذا به يرى جماعة من الناس يحيون حفلة عامرة بالاكل والشراب، فتوسل الى الحارس ان يعطيه جرعة من الماء، قبل ان ينهار ارضا من الظمأ. فرد الحارس: "انني آسف، لان الدخول محظور على من ليس لديه ربطة للعنق".

ا.ث.

الامهات لسن نساء

تأخرت والدة احد الطلاب مرة في زيارة ابنها في مدرسته الداخلية فدعاها احد الاساتذة الى غرفته لتناول القهوة بعد العشاء، وكان الحديث لطيفا وشيقاً ومضى الوقت سراعا، فخشيت السيدة ان تكون خرقت النظام الصارم الذي يتبعه المعهد بمنعه النساء من زيارة مساكن الرجال بعد ساعة معينة من الليل، واخذت تلقي نظرات عجلى متكررة على ساعتها.

فطمأنها الاستاذ بقوله: "لا تجزعي، فنحن لا نعتبر الامهات بمثابة نساء".

ن.د.

لا تزعجوا الاشباح

من المعروف عن مجلس اللوردات الانكليزي ان مناقشاته تتسم عادة بالهدوء والاتزان، غير ان المجادلة فيه قد احتدت يوما حول معرفة ما اذا كان ينبغي لاعضائه الجدد ان ينحنوا احتراما ثلاث مرات حسب العرف المتبع منذ العام ١٦٢١، ام ان مرة واحدة تكفي. فقرر المجلس في النهاية ان يحافظ على تقليد الانحناءات الثلاث، متأثرا بتصريح اللورد كودليب: "اذا ما نحن عبثنا بالتقاليد الرسمية وتلاعبنا بالشكليات، فاننا ولا شك سنعكر بذلك صفو حشد كبير من الاشباح".

(صحيفة "ميلووكي")

الموسيقي الدعيّ

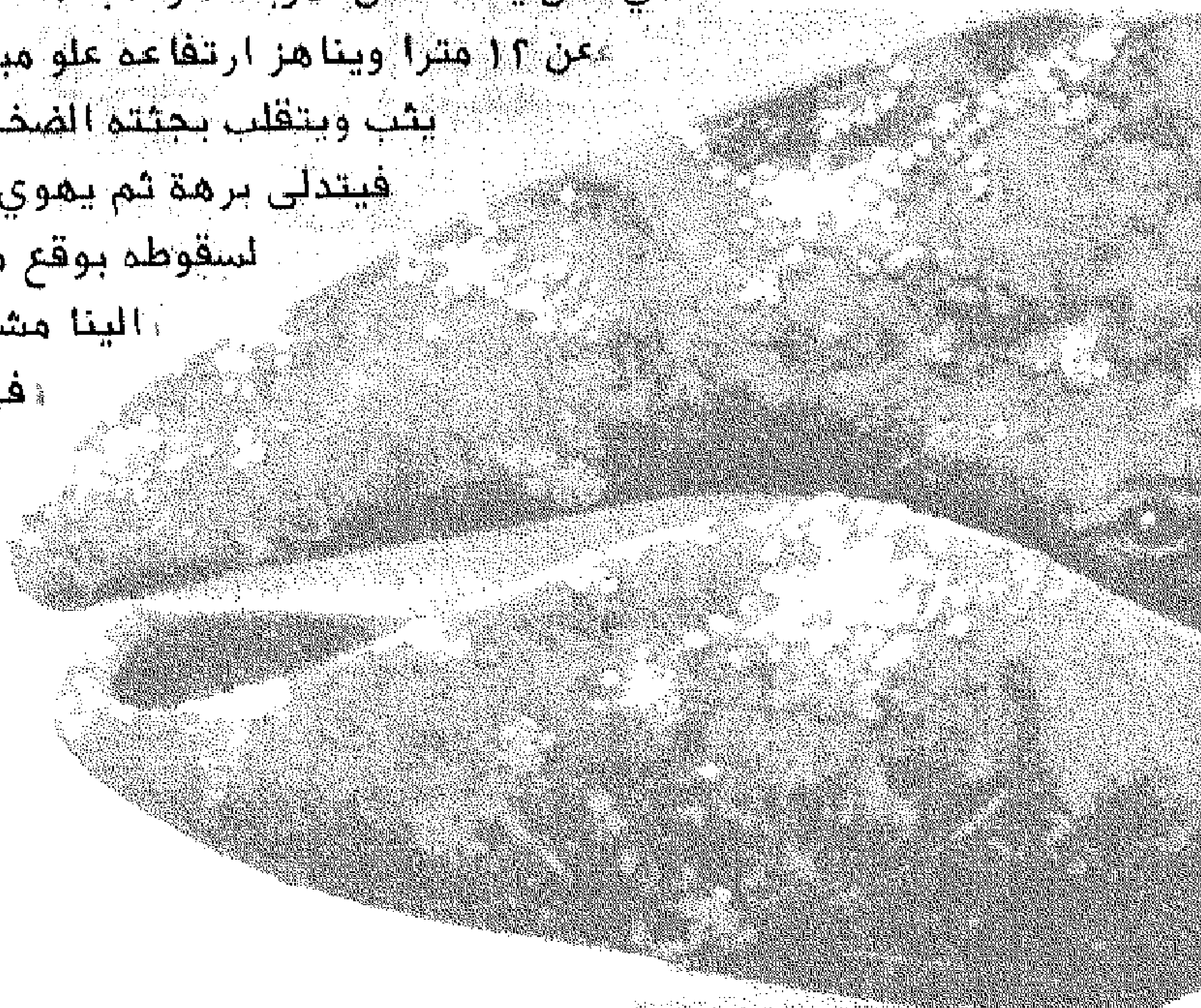
بعدما جمع تاجر ألبسة ثروة طائلة من تجارته، قرّر أن يعتزل المهنة لكي يحقق حلماً كان يراوده بالحاح، وهو ان يصبح قائد فرقة موسيقية. وهكذا استقدم ناقر طبل ونافخ مزمار و٣٣ عازف كمان. وخلال التمرين الأول كانت قيادة التاجر من الضعف بحيث طلب ناقر الطبل الى زملائه ترك الفرقة. فأجابه عازف الكمان: "لماذا نتركه وهو يدفع لنا جيداً؟ ثم انه لا بد من ان يعرف شيئاً ما عن الموسيقى".

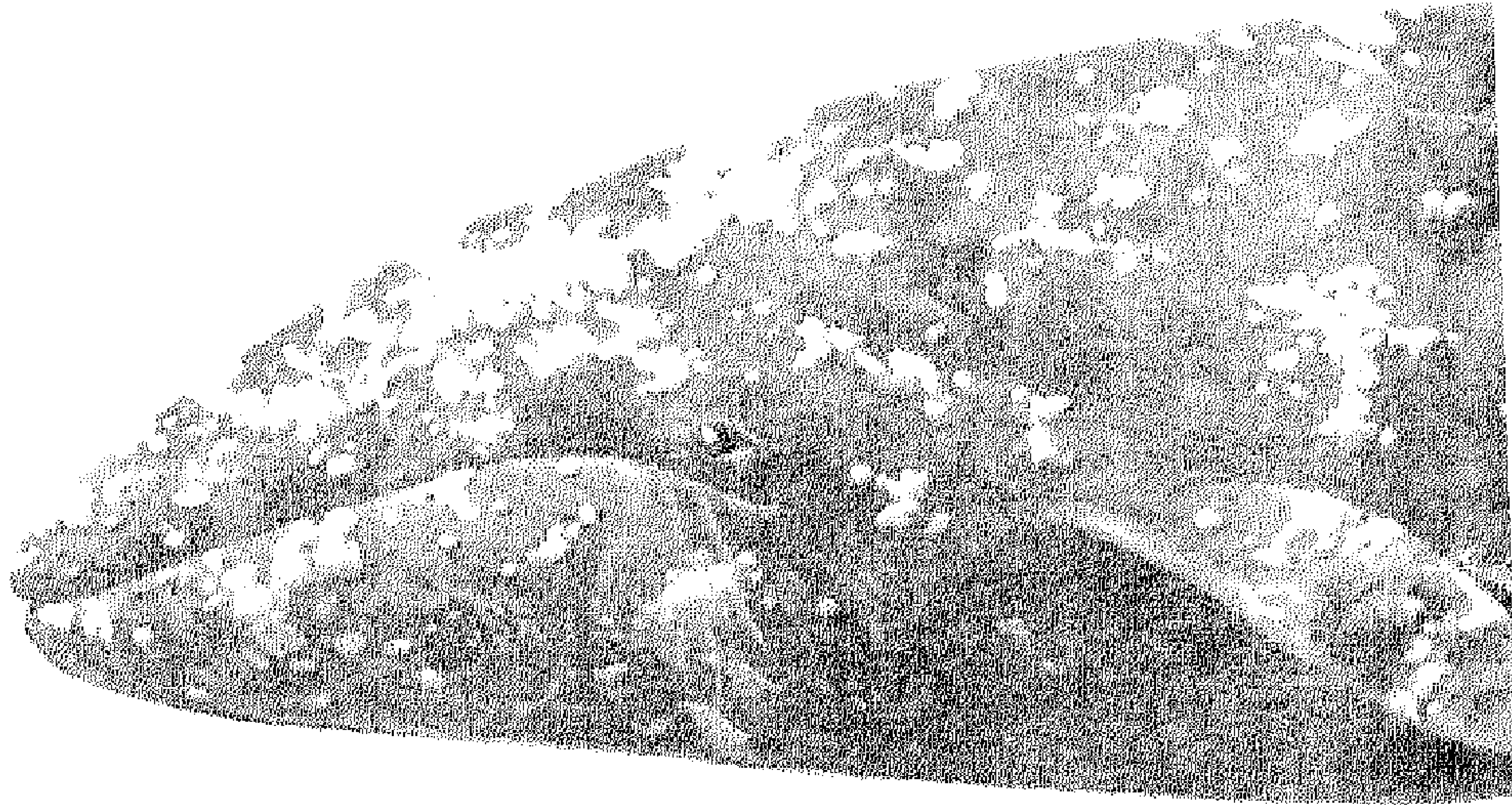
وحين استأنفوا العزف، لم يتمكن القائد من الحفاظ على الوقت. فاشتد غضب الطبال وأخذ ينقر في حدة بالغة. عندئذ أمرهم القائد بالتوقف عن العزف، ونظر فيهم قائلا: "من الذي احدث ذلك التشويش؟".

(مجلة "العالم المضحك")

تفجرت الاعماق في بحيرة سان اغناسيو على بضع مئات الامتار من قاربنا الصغير الذي كان يقلنا نحن الاربعة، واذ بالماء ينحسر عن حوت هائل لا يقل طوله عن ١٢ مترا ويناهز ارتفاعه علو مبنى من ثلاث طبقات. وراح الحوت يثب ويتقلب بجثته الضخمة ببطء واناة، ويرتفع في الهواء فيتدلى برهة ثم يهوي بثقله الكبير على الماء فيستجيب لسقوطه بوقع مروع. وكانت وثبة الحوت بالنسبة الينا مشهدا من اروع مشاهد الحياة البرية في العالم، اذ تتلاقى الوف الحيتان الرمادية في اجتماعها السنوي في البحيرات الضحلة في شبه جزيرة باخا.

قال هيرمان ملفيل في وصف هذه الحيتان الكبرى انها مثقلة بـ"النذر





والاسرار". ولا يزال هذا الوصف صادقا حتى اليوم بالنسبة الى معظم الناس. غير ان حيتان كاليفورنيا الرمادية تقضي جزءا كبيرا من حياتها في المياه الضحلة على مقربة من اليابسة، مما يتيح دراستها بالتفصيل، وان تكن بعض جوانب سلوكها غير معروفة بالضبط، الا ان علماء الحياة البحرية يعرفون ما يكفي لتأكيد كون الحوت الرمادي حيوانا رائعا وخليقا بالاهتمام.

فهو يعد من الحيتان المتوسطة الحجم، اذ لا يزيد طوله على ١٥ مترا. وهو هزيل عموما ويشبه السيجار من حيث الشكل، وله رأس صغير يتوسطه الفم فيقسمه باحكام الى نصفين. اما لون الجسم فهو اسود فعلا، لكنه مرقش ببقع بيضاء عريضة غير منتظمة يبدو معها كأنه رمادي من مسافة بعيدة.

عائلتان من الحيتان – ومن الممكن تصنيف جميع الحيتان مجموعتين، اولاهما الحيتان المسننة التي تمثل الحيتان العنبرية والدرفيل وخنزير البحر وتتغذى على الاسماك الكبيرة والحبارى، مستخدمة في ذلك صفوف

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسّمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

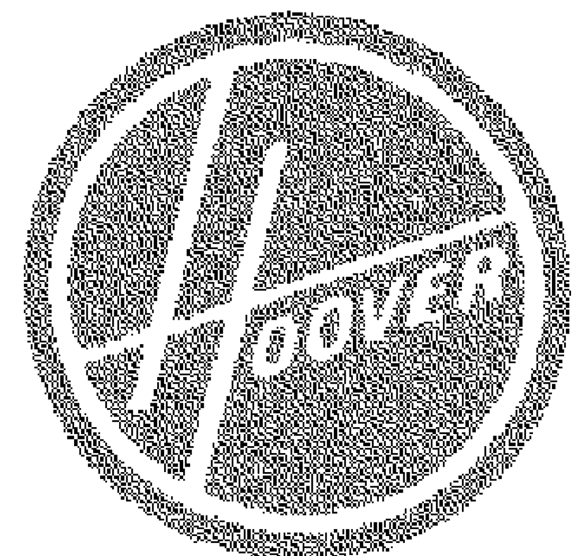
«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»
أروج جهاز تنظيف في العالم.

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هوفر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



اسنانها الحادة. والثانية الحيتان البلينية التي تشمل الحيتان الزرقاء والحيتان المزعنفة والحيتان الحدباء، وهي تتميز بستائر من صفائح عظمية فكية تستخدمها في عصر طعامها وتصفيته من الماء المحيط بها. ويعتبر الحوت الرمادي اقرب الحيتان البلينية الى المرحلة البدائية، ولعله يمثل تلك المرحلة من التطور التي تم فيها الانقسام الى مجموعتين.

على ان الحيتان الرمادية تبدأ استعدادها للاشتراك في اجتماعها السنوي في بحيرات باخا قبل موعد هذا الاجتماع بستة اشهر، وذلك في مياه القطب الشمالي الباردة التي تبعد ١٠،٠٠٠ كيلومتر عن البحيرات. وتجد الحيتان مراعي خصبة لها في منطقة مضيق بيرينغ الغنية بالغذاء، فتتفرغ فيها الحيتان الرمادية تفرغا تاما للاكل.

والتغذية لدى هذه الحيتان تشتمل على بضع حيل جديرة بالملاحظة. فهي عندما تغطس توقف بعض وظائفها الجسمية توفيرا للاوكسيجين بحيث ان القلب، مثلا، يتباطأ في ايقاع دقاته. ويتكون طعام الحيتان من مركزات الحيوان القشري الذي يسمى "مزدوج الارجل"، وهو يسكن قاع البحر ويشبه الجمبري (القريدس)، ويبلغ طوله ٢٥ مليمترا. وهناك اعداد كبيرة من هذا الحيوان ترعى في المياه الضحلة في القطب الشمالي.

فعندما تتناول الحيتان طعامها تمتص جرعات هائلة من الماء والوحل، ثم تستعين بالسنتها الضخمة في بصق الماء والوحل الى الخارج عن طريق عظام الفك، وتحتجز بذلك مقادير كبيرة من مزدوج الارجل. فاذا ما صعدت الحيتان الى السطح زفرت الهواء المثقل بالرطوبة من رئاتها بتدفق غزير يصل ارتفاعه الى اربعة امتار ونصف متر، ويسمع صوت اندفاعه الانفجاري على بعد مئات الامتار.

ها نحن الان في وسط بحيرة سان اغناسيو، ومن حولنا عشرات الحيتان التي تنفخ عاصفة في جميع الاتجاهات. وثمة حوت طفل يبلغ طوله حوالي عشرة امتار ونصف متر، راح ينزلق تحت زورقنا، في بطء متعمد، فاذا بفصي ذنبه الهائلين يموجان من تحتنا وعرض كل منهما يساوي ثلثي طول مركبنا الصغير.

وبعد انتهاء فترة الاكل التي تستمر اربعة اشهر، من منتصف يونيو (حزيران) حتى منتصف اكتوبر (تشرين الاول)، تتأهب الحيتان الرمادية لهجرتها السنوية - وهي اطول هجرة يقوم بها حيوان ثديي - التي تمتد من بحار القطب الشمالي حتى البحيرات الساحلية لشبه جزيرة باخا وبالعكس، والتي يبلغ طول دورتها ١٩،٠٠٠ كيلومتر. وتظل الحيتان في اثنائها صائمة لا تقتات، لثمانية اشهر تقريبا، سوى الشحم الراسب في اجسامها وما اختزنته من طعام في طبقاتها الدهنية.

ولا بد للحيتان من ان تغادر المناطق القطبية قبل ان تتجمد، والا ماتت صغارها التي تولد وليس لها طبقة واقية من الشحم وبالتالي فان

بقاء هذا النوع بكامله يتوقف على وصول الاناث الحوامل الى بحيرات باخا الدافئة في حلول يناير (كانون الثاني) او فبراير (شباط)، وهو الوقت الذي تولد فيه اغلبية الحيتان.

ويبدو ان مجتمع الحيتان الرمادية - والذي يبلغ تعداده باسره قرابة ١٢،٠٠٠ حوت - يعرف بالغريزة متى تقتضي عليه مغادرة المناطق القطبية. وعندئذ تنهمك الاناث الحوامل بالرحيل، فتتقدم الركب حريصة على الاسراع في المسير وعدم التلكؤ اطلاقا في اثناء الرحلة. وتليها الحيتان الذكور والاناث غير الحوامل، وكثيرا ما تتوقف هذه وتتغازل. وفي الاخير يأتي الصغار الذين ولدوا في العام السابق، والذين يتوجهون شطر الجنوب للمرة الاولى ويجهلون الطريق.

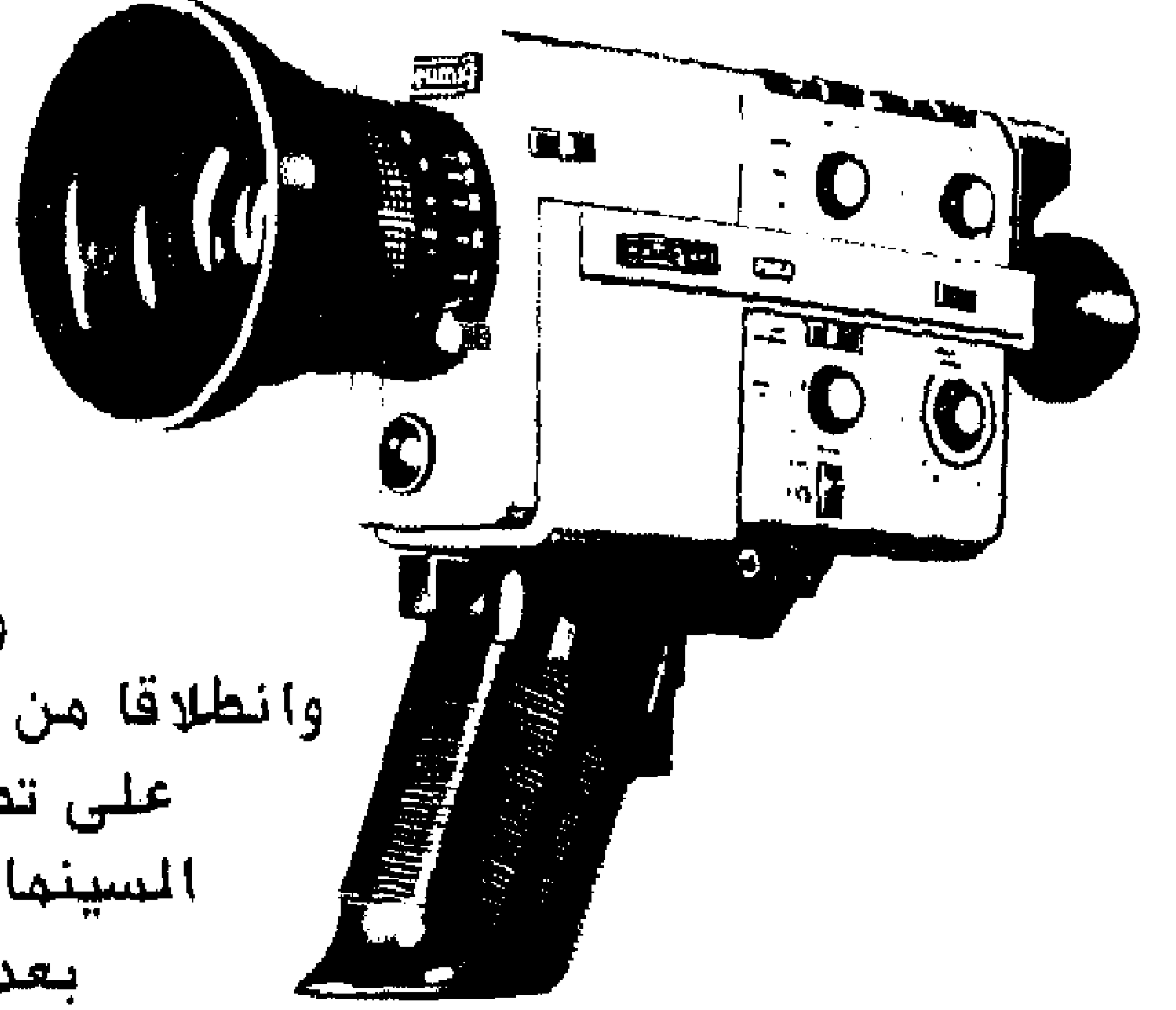
وعندما تسبح الحيتان الرمادية فانها تضرب الماء بفصوص ذيولها صعودا ونزولا، فتندفع بذلك الى الامام، وتستخدم زعانفها الامامية الغليظة كمجاذيف لادارة دفة السير. وهي تستطيع على هذا النحو ان تتقدم بسرعة سبعة كيلومترات وربع كيلومتر في الساعة، وان تقطع قرابة ١٤٥ كيلومترا في اليوم الواحد خلال فترة الشهرين ونصف الشهر التي تستغرقها الرحلة، في محاذاة الشاطىء الذي لا تبعد عنه احيانا اكثر من بضع مئات من الامتار، وكأنها تستعد لمهرجانها الدافىء في باخا، فتمر على التوالي، منذ اواخر ديسمبر (كانون الاول) حتى اوائل فبراير (شباط)، في عرض لوس انجلوس وسان دييغو، حيث يتزاحم على الشاطىء عشرات الالوف من المتفرجين او يبحرون في زوارقهم لمشاهدة موكب الحيتان وقد انطلقت نوافيرها بالمياه المتدفقة.

طقوس الزواج والتربية - وفي كل شتاء تلتقي الحيتان الرمادية، شأنها منذ الوف السنين، للتزاوج وتلد في البحيرات المنعزلة لشبه جزيرة باخا. وتستمر فترة الحمل ١٣ شهرا، ثم ترضع انثى الحوت وليدها لفترة تراوح بين ستة اشهر وثمانية اشهر. وتعود في الشتاء التالي الى البحيرات حيث تحمل مرة اخرى.

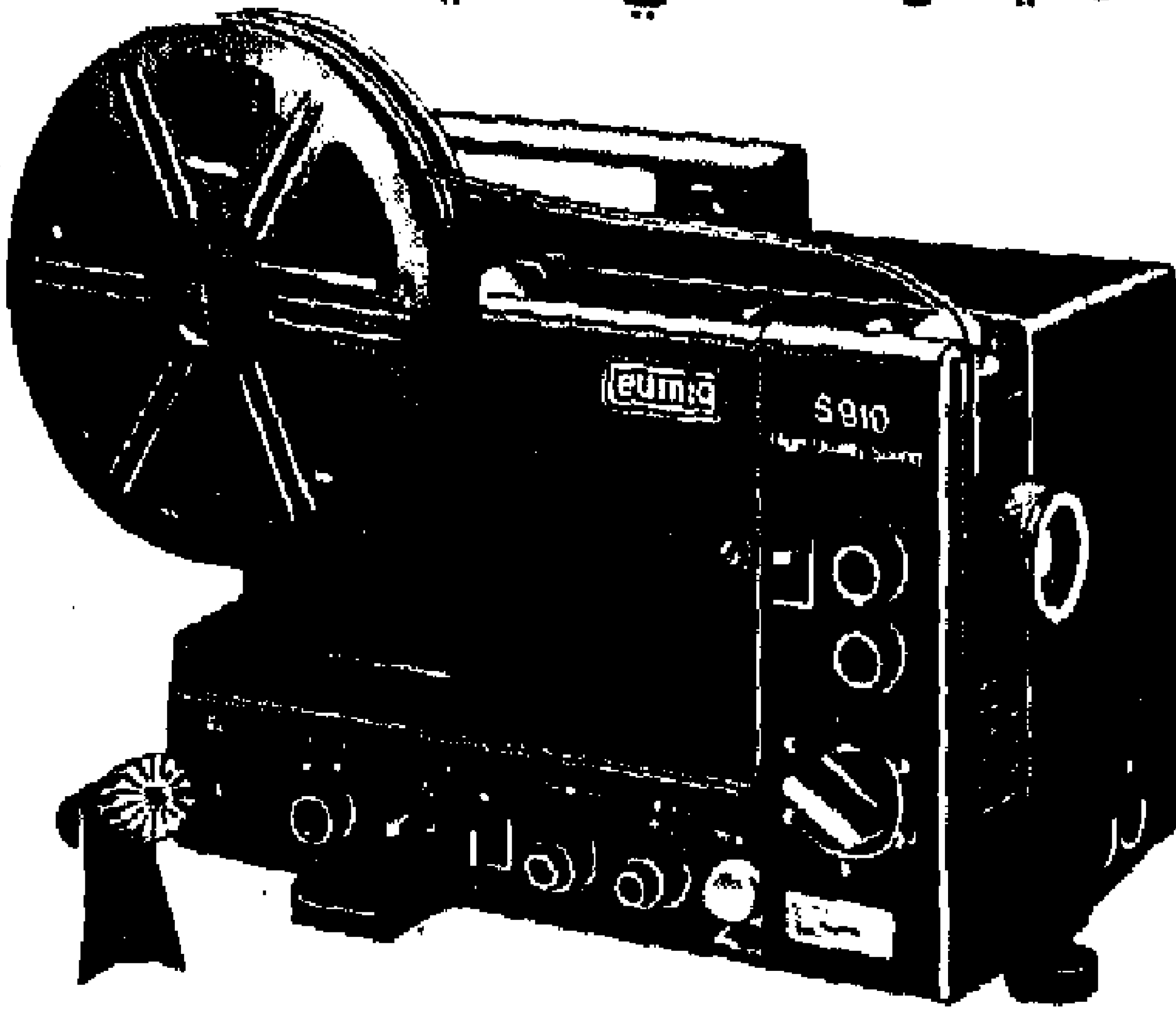
وعندما وقف قاربنا الصغير على بعد ١٢ مترا من الحيتان، اخذنا نشاهد الطقوس التي تتبعها عند التآلف، وهو مشهد فريد يتميز باللياقة، والحشمة. فالذي يحدث هو ان حوتين ذكرين يطاردان احدى الاناث، لكن الفوز يقتصر في النهاية على احدهما.

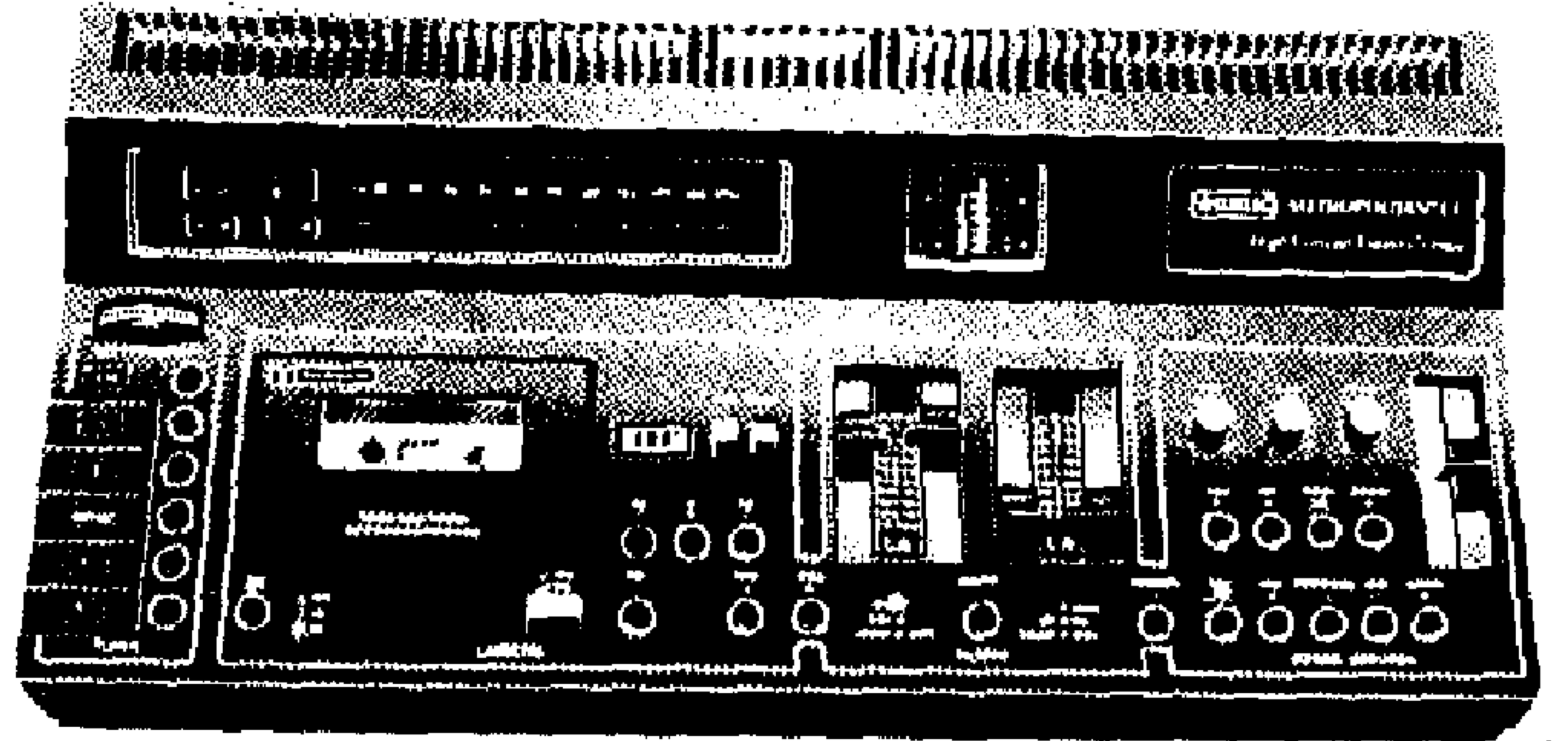
والواقع ان عدد الذكور اللائقين يفوق دائما عدد الاناث غير الحوامل بمقدار ضعفين تقريبا. لكن الذكور لا تتصارع على ذلك. وهي وجدت حلا عادلا غاية العدل عن طريق النظام الثلاثي، يندر ان يطبق في العالم الطبيعي. فالتغازل،يبدأ بان يطارد سبعة ذكور انثى واحدة. لكن الحيتان السبعة تتخلى عن المطاردة واحداً بعد الاخر حتى يخلو المجال لحوتين اثنين. وعندئذ يبدأ الذكران والانثى لعبهم الجنسي حتى يتمكن احد الذكرين - وهو في العادة اضخمهما - من الاتصال بالانثى، بينما ينصرف

النجاح يولّد النجاح



ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ،
واصبح النجاح حليف اجهزة eumig في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ،
وقد عقد eumig العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ،
وانطلاقا من ذلك ، فان eumig يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء
صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ،
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان eumig
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة eumig وللكاسيت الموسيقية ، فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ، وان eumig
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان eumig مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ، ومن
الطبيعي اذا ان يكون eumig هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنية ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ،
وبأن سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ،





eumig®

الذكر الاخر متطلعا الى حظ افضل مع انثى اخرى.

وما ان يحل شهر فبراير (شباط) حتى تكون اغلبية الحيتان قد وصلت الى البحيرات الشاطئية لشبه جزيرة باخا. وعندئذ تتجه الاناث الحوامل الى مناطق الحضانة، وهي مناطق ضحلة دافئة وآمنة. فمتى حان وقت الولادة، انفردت انثى الحوت بوليدها. وقد يحدث في الاشهر التالية ان ترافق الام وطفلها احدى الاناث الاخريات.

والحوت الرمادي الطفل يستطيع السباحة فور انطلاقه من بطن امه. ويراوح طوله عندئذ بين ٤،٢٥ امترا و٥ امتار، كما يراوح وزنه بين ٧٠٠ و ١٤٠٠ كيلو غرام، وهوعند الولادة يتمتع بشهية هائلة تستلزم من الام ان تدر مقادير ضخمة من الحليب الغني بالدهن (تصل نسبة الدهن فيه الى ٤٠ في المئة). وما ان ينصرم العام الاول حتى يكون وزن الحوت الرضيع تضاعف تقريبا.

ويبدأ الرضيع تدربه في البحيرة فيتعلم كيف يكتشف المسالك المؤدية الى عرض البحر وكيف يتحاشى الحواجز الرملية. وتظل الام وطفلها يسبحان معا لمدة شهرين في المسالك الى ان يحقق الطفل درجة كافية من النضج تمكنه من ان يصحب امه الى المراعي الصيفية في الشمال. وتتولى الام تغذية طفلها على فترات متقاربة، وهي عندئذ تداعبه برفق بزعنفتها الامامية، وكثيرا ما تحمله على ظهرها.

وبلغنا عند الاصيل منطقة في مواجهة روكي بوينت، فشاهدنا حوتا انثى وطفلها يلعبان على سطح الماء. وقررنا ان نسمي هذه اللعبة "لعبة النفخ والوثب". وفيها الام تغطس وتنفخ، فينجم عن ذلك تيار من الفقاقيع تحت طفلها. فيتقلب هذا جذلا في الماء الفوار، وعندئذ تضع الام انفها تحته وتديره برفق في احتدام الامواج.

والحيتان الرمادية تبدو مسالمة الى حد بعيد. بيد انها اشتهرت بين الصيادين في القرن الماضي بانها حيوانات رهيبة، اطلقوا عليها اسم "سمك الشيطان" ووصفوها بانها عنيدة، "صلبة الرأس".. وليس هناك من انواع الحيتان ما يفوق الحيتان الرمادية شراسة في دفاعها الرهيب عن صغارها وفي انزالها الخراب بالسفن والهلاك بالرجال الذين يطاردونها.

غير ان الفوز في النهاية كان نصيب الصيادين الذين اودوا بالحيتان الرمادية الى حافة الانقراض. فقد قدر عدد الحيتان الرمادية في العام ١٨٥٣ بثلاثين الفا. وتوقف صيدها في نهاية القرن التاسع عشر، بعد ٤٠ عاما تعرضت فيها لما يشبه المجازر. وبحلول عام ١٩٢٥، استعاد مجتمع الحيتان الرمادية شيئا من قوته واستأنف الصيادون هجماتهم الفتاكة. وتعرض هذا النوع من جديد لخطر الانقراض، ولم يبق منه سوى بضع مئات.

الا ان الحيتان الرمادية لم تلبث ان استردت شيئا من عنفوانها العددي مرة اخرى على اثر الاتفاق العالمي في ١٩٣٧ لحظر الصيد للاغراض

التجارية. وليس هناك ادنى شك في ان هذه الحيتان ذاتها، اذا ما هوجمت، سترد على العدوان بالضراوة التي ابدتها في القرن الماضي، كما يشهد على ذلك سكان سيبيريا والاسكا من الاسكيمو الذين يسمح لهم القانون حتى الان بصيد الحيتان الرمادية طلبا للطعام. فهم يعتبرون هذه الحيوانات شديدة الخطر للغاية، وانها تبادر دائما الى مهاجمة السفن والصيادين.

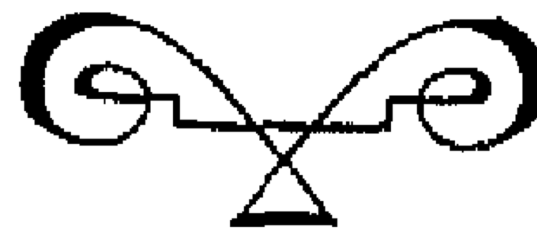
صداقة مستجدة - لكن الحيتان الرمادية في بحيرات باخا لم تتهدد في السنوات الاخيرة بأي خطر، ومن ثم صارت تتقبل اساطيل الزوارق الصغيرة التي تفد بالراغبين في مشاهدتها. بل انها اصبحت تقترب من الزوارق وركابها مع مرور الوقت. فقد حدث في بحيرة سان اغناسيو في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٧٦ ان اقتربت حوت انثى طولها تسعة امتار من زورق مطاطي خال من الركاب وتفحصته باناة وحذر واحتكت بمؤخره ثم ادرجت انفها ببطء من تحته ورفعته برفق وادارته رأسا على عقب. وبعد ذلك استلقت بهدوء وامان في محاذاة مركب آخر واتاحت لركابه المشدوهين ان يدلكوا بنعومة ظهرها ورأسها وشفتيها.

ومنذ ذلك الوقت تعددت لقاءات المودة بين المشاهدين والحيتان وزادت بنسبة مذهلة. وكان من شأن هذه التجارب انها ابرزت قلة فهم الانسان لحقيقة هذه الحيوانات الرائعة، كما دلت على ضرورة حمايتها وحماية بقية الحيتان من ضروب الاستغلال.

وفجأة غيرت الحوت الانثى وطفلها اتجاه مسارهما واقتربا من زورقنا الصغير. وأدهشنا ما رأيناه منهما من رقة وما ابدياه من عناية في الالتفاف من حول الزورق.

ثم ارتفعا ببطء واتزان حتى اقتربا الى بضعة سنتيمترات من ايدينا الممدودة. ولم يلبثا بعد لحظة من التردد ان لامسانا بلطف وايناس، وعيونهما شاخصة الينا.

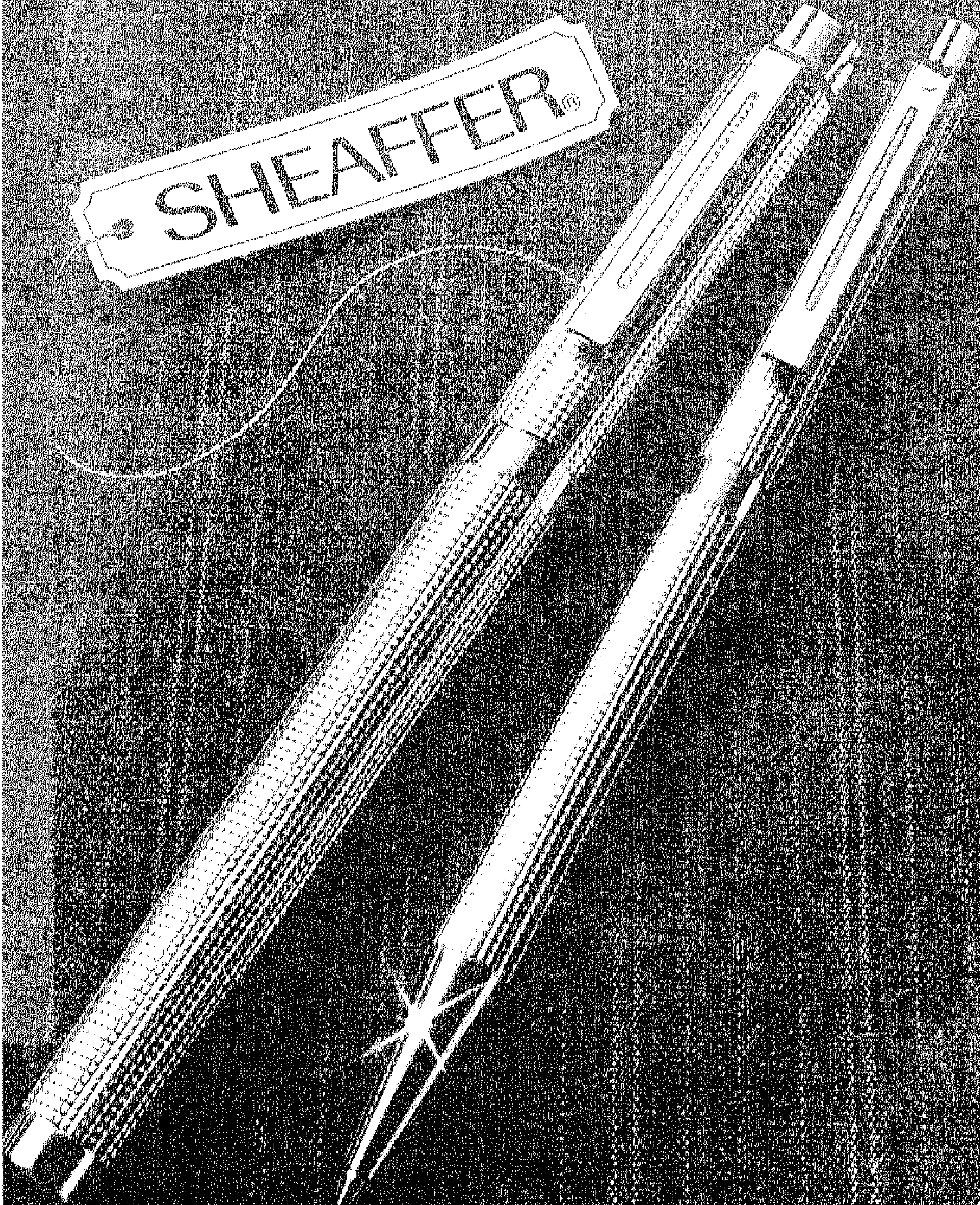
■ جيمس سيمونز



"المنسيون"

أقيمت مأدبة عشاء في هوليوود على شرف احد المبرزين، فالقى فيها المسرحي ريد بوتونز كلمة حول المبرر لاقامة الحفلة، فقال: "ما الداعي الذي يحملنا على احياء هذه الوليمة لهذا الرجل، بينما لم تقم اي وليمة على شرف اكبر مشاهير التاريخ العالمي، من امثال: بونس دي ليون، اول رجل ذهب الى فلوريدا من دون زوجته، وحواء التي انفجرت سخطا على آدم لدى ملاحظته لها ان ولديه لا يشبهانه وزوجة نوح التي قالت له بعد انقضاء اربعين يوما واربعين ليلة: لقد جاء دورك الآن في تنظيف البيت. وجورج واشنطن الذي قال لوالده: "تريدني ان امتنع اطلاقا عن الكذب، فكيف تريدني ان اصبح رئيسا".

زوّد حقيبتك
بحلية فاخرة جديدة



SHEAFFER EATON TEXTRON

Sheaffer Eaton Division of Textron Inc.



أمريكي واحد و ١٦ روسيًا يهدّدون العالم

الخطر الهابط من الفضاء

هذه ليست رواية من روايات العلم الخيالي، فقد سبق ان سقط تابع فضائي (١) نووي على الارض، ويبدو ان السقوط اصبح يتهدد المختبر الفضائي الامريكي "سكاي لاب" الذي يزن ٨٥ طنا. ومع تزايد الاجهزة السابحة في الفضاء فمن الطبيعي ان يتزايد احتمال سقوطها وان يفضي ذلك الى نتائج مفجعة.

يبدو ان الفضاء اصبح الان مسرحا لرواية مفجعة صامتة تدور احداثها على ارتفاع ثلاثمئة وخمسة وثمانين كيلومترا فوق سطح الارض: والظاهر ان المختبر الفضائي "سكاي لاب" اضحى عرضة للسقوط بعد فترة لا تتجاوز العام الواحد من الان، مما حدا بالعلماء الامريكيين على سطح الارض الى التسابق مع الزمن، لعلهم يستطيعون انقاذ المختبر. وما مشكلة "سكاي لاب" في الواقع، سوى احدث مثال للاخطار الناجمة عن تصميم الانسان على تسخير الفضاء لسلطانه.

واذا علمنا ان ٤٥٠٠ قطعة من نتاج الهندسة البشرية، بينها ٩٠٠ تابع صناعي والبقية حطام فضائية، تندفع

١ - المرادف العربي للاجرام الاصطناعية.

CONDENSED FROM THE WASHINGTONIAN (MAY 78) PUBLISHED BY WASHINGTONIAN MAGAZINE INC 1218 CONNECTICUT AVE WASHINGTON D C 20036

الان في الفضاء بسرعة هائلة، لكفى ذلك - حسب قوانين الاحتمال - لندرك مدى الخطر الذي يتهدد عالمنا، خصوصا ان ازدحام الحركة في الفضاء يتزايد باطراد، اذ ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي اللذين يحتكران في ما بينهما غزو الفضاء يعتمدان على التوابع الصناعية للاغراض العسكرية والنفعية معا، (ففي العام ١٩٧٧ بلغ عدد المقذوفات الصاروخية ١٥٦، بينما بلغ عددها ٩٥ في الاشهر التسعة الاولى من ١٩٧٨)٠

ولسنا هنا، لسوء الحظ، في صدد افتراضات من قبيل الخرافات العلمية٠ فقد رأينا في يناير (كانون الثاني) الماضي من عام ١٩٧٨ كيف كان من المحتمل ان تحدث كارثة ضخمة بسبب "كوزموس ٩٥٤" التابع العسكري السوفياتي الذي كان يزن ٥ اطنان ويزود بالطاقة النووية٠ وذلك ان مراقبي التوابع الصناعية في القيادة الامريكية للدفاع الجوي في كلورادو سبرنغز (نواراد) قد لاحظوا في ٦ يناير (كانون الثاني) ان التابع المذكور اخذ يهوي نحو الارض في وضع يتعذر معه التحكم به بعد انقطاعه عن الاستجابة للاوامر اللاسلكية الموجهة اليه من الارض٠

التجربة الاولى - وكان من المحتمل لـ"كوزموس ٩٥٤" الذي كان مزودا بستين كيلوغراما من وقود اليورانيوم الفتاك ان يسقط في منطقة سكنية من امريكا الشمالية او غرب اوروبا او آسيا، وان يفيض منه الاشعاع حول مدينة من المدن فتنجم عن ذلك عواقب وخيمة لا يمكن تقديرها٠ ومن ثم، فقد انشأ مجلس الامن القومي في البيت الابيض جهازا سريا لمراقبة مسار هذا التابع "الهارب" وتنسيق شتى خطط الطوارىء الممكنة في مجالات الكوارث والدفاع المدني والسياسة٠ وكان البيت الابيض يخشى ان يواجه موقفا مشحونا بعناصر الرعب لا يقل في هوله عن اي مشهد مرعب من المشاهد التي ابتكرتها هوليوود٠

وكان عامل الشك والارتياب في تطور هذا الامر اسوأ عنصر في برنامج مزاقبة "كوزموس ٩٥٤" ليل نهار من دون انقطاع فكان من المفروض ان ينفصل قسم المفاعل النووي عن بقية التابع بعد شهر او شهرين من اطلاقه، وان يرفع هذا القسم بواسطة الاجهزة الاضافية لتعزيز الطاقة الى مدار اعلى ويبقى يدور فيه لقرون عدة قبل ان يعود الى المحيط الجوي٠ لكن هذه العملية لم تتم حسب المعتاد٠ فلما تبين ان "كوزموس ٩٥٤" سيسقط من مداره خلال بضعة ايام او اسابيع، اصبح السؤال الاولي المهم هو معرفة ما اذا كان هذا التابع المتهور، المميت سيتحلل لدى دخوله المحيط الجوي للارض ام سيقع على الارض في شكل فتات مشعة٠ واخيرا، اصبح السؤال المهم: اين سيقع التابع؟

وكان اول ما قرره الرئيس كارتر حينذاك هو الالتزام بالسرية التامة في صدد هذه الازمة٠ فقد رأى الرئيس - وايده في ذلك كبار الرسميين في واشنطن - ان اشاعة الخبر عن التابع النووي الذي يوشك ان يهوي نحو الارض من شأنها ان

تتسبب في موجة ضخمة من الرعب، من دون ان يكون في استطاعة الحكومة اتخاذ الاجراءات الاحتياطية اللازمة، لعدم تمكنها من التنبؤ بمسار كوزموس حتى بين ساعة واخرى، وبالتالي عدم استحالة التفكير في اخلاء المدن جميعا من السكان.

غير ان الادارة الحكومية كانت مستعدة بالفعل لتنفيذ خطط الطوارىء المقررة اذا سقط "كوزموس ٩٥٤" او احد اجزائه المشعة على منطقة سكنية من البلاد، فوضعت فورا في حالة التأهب الفرق العسكرية الخاصة بمواجهة الخطر الذري". كما ان واشنطن نبهت في الوقت نفسه الحكومات الاجنبية الى وضع كوزموس الخطير وانذرتها باحتمال وقوعه في اي من بلادها.

سقط فوق الثلج – وقد بلغت الازمة ذروتها في الساعة ٦،٥٠ من صباح يوم ٢٤ يناير (كانون الثاني) عندما بدأ التابع عودته الى الغلاف الجوي للارض فوق جزر الملكة شارلوت المواجهة للساحل الغربي لكندا. وفي الساعة ٦،٥٣ تحلل "كوزموس ٩٥٤" في شكل كريات نارية اخذت تتساقط في السماء قبل الفجر، وامطرت بوابل من الفتات المشعة منطقة "مغطاة بالثلج على بعد ١٥٠ كيلومترا شرق "يلونايت".

وفي الساعة ٧،١٥ صباحا اتصل الرئيس الامريكي هاتفيا برئيس وزراء كندا السيد بيار ترودو ليخطره بوقوع التابع ويعرض عليه المساعدة الامريكية للبحث عن مصادر الاشعاع. والواقع ان بعض حطام "كوزموس ٩٥٤" كان على درجة عالية من النشاط الاشعاعي، استغرقت معه عملية تطهير المناطق قرابة ثلاثة اشهر. وما زالت الدراسات تجري حتى الان عن الآثار الممكنة للاشعاع.

وكان لعامل الحظ نصيبه الكبير في وقوع التابع في منطقة غير مسكونة من الاقاليم الشمالية الغربية لكندا. اما لو دار التابع دورة اخرى حول الارض فلكان من الممكن ان يتفتت فوق مدينة نيويورك.

امريكي و١٦ روسيا – ويبدو من المستبعد ان يعود اي من المفاعلات النووية التي تدور في الفضاء – ومنها ١٦ مفاعلا روسيا ومفاعل امريكي واحد – الى المحيط الجوي للارض قبل الموعد المقرر لها، اي بعد بضعة قرون من الآن، بيد ان مجرد وجود هذه المفاعلات في الفضاء لا بد ان يظل مثارا للقلق.

وحقيقة الامر هي ان التكنولوجيا الفضائية النووية منها وغير النووية يتعذر توقفها عن التقدم لاي سبب. فكل من واشنطن وموسكو تولي الاعتبارات العسكرية الاولوية العليا في برامج الفضاء. ومن المعروف ان حكومتي الدولتين العظميين تعتمدان على التوابع للتحقق من تطبيق اتفاق ١٩٧٢ للحد من الاسلحة الاستراتيجية، علما بان التوابع في استطاعتها ان تستكشف التحركات العسكرية التي تجري سواء على الارض او في الجو او في البحار، فضلا عن انها تستطيع اعتراض الاتصالات العسكرية. ومن هنا اصبحت التوابع جزءا جوهريا من شبكات الاستخبارات العالمية، لا تستطيع اي من الدولتين العظميين

الاستغناء عنها من دون ان تعرض سلامتها للخطر.

وتعتبر محطة الفضاء "سكاي لاب" كأخطر مشكلة فضائية تواجهها الولايات المتحدة في الوقت الحاضر. فقد اطلقت المحطة في ١٩٧٣، وتولت امرها خلال العام الاول من دوراتها ثلاث مجموعات من ملاحي وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا). وكان من المتوقع وفقا للتقدير الاصلي لـ"ناسا" ان تبقى محطة "سكاي لاب" في فلكها حتى عام ١٩٨٣، على ان تعود بعد ذلك وتدخل المحيط الجوي للارض بسهولة وتهبط على سطح المحيط الهادي، وهي خاضعة لظروف التحكم العادية. لكن مراقبي "نوراد" صرحوا في اوائل يناير (كانون الثاني) الماضي ان المحطة قد هبطت من ارتفاع ٤٣٩ كيلومترا الى ارتفاع ٤٠٧ كيلومترات. على ان هذا الهبوط لا يتم تدريجا وانما على طفرات. وتعزو "ناسا" هذه الظاهرة الى المقاومة الجوية الناتجة من مستوى مرتفع على نحو غير عادي لنشاط البقع الشمسية. وبعد ان فشلت المحاولة الانقاذية الاولى في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، حاولت مراقبة المهمات الفضائية خلال يوليو (تموز) اعادة "سكاي لاب" الى موقعها والحد من طاقة انهيارها، وربما تسببت هذه المناورة في بقاء المحطة بفلكها، حتى الاشهر الاولى من عام ١٩٨٠.

وسيلة وحيدة - واما الان، فالوسيلة الوحيدة التي تتيح ابقاء "سكاي لاب" في الفضاء، هي ان ينتقل ملاحو الفضاء جيئة وذهابا على متن مركبة فضائية اخرى، ويعملوا على احكام بعض الوشائج التي تشد المحطة الى فلك اعلى. فاذا عجز الملاحون عن ذلك، بذلت محاولة اخرى لاخراج "سكاي لاب" من مدارها الحالي لكي تعود الى الغلاف الجوي للارض فوق منطقة نائية في عرض المحيط.

وكل شيء في هذا الصدد يتوقف على عنصر الوقت. فاذا اطلقت المركبة الفضائية في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩، كما هو مقرر، فانها ستحاول بلوغ "سكاي لاب" في اثناء رحلتها الثانية التي ينتظر ان تتم في فبراير (شباط) ١٩٨٠. لكن المشكلة هي ان المركبة الفضائية قد لا تتمكن من بلوغ "سكاي لاب" في الوقت المناسب، اذ ان ادارة "ناسا" تتوقع هبوط "سكاي لاب" بمقدار ١٩٠ كيلومترا قبل اوائل ١٩٨٠، واذ ذاك فانها ستخرج من مدارها وتهوي نحو الارض.

ومن المؤكد ان "سكاي لاب" ستتفتت فور عودتها الى الغلاف الجوي للارض ويرجح المتفائلون في "ناسا" انها ستتساقط في المحيط، نظرًا الى انها تحلق فوق الماء طوال ٨٠٪ من الوقت. ومع هذا، فان هناك احتمالا بنسبة ٢٠٪ ان تنهار اجزاء ضخمة من "سكاي لاب" على اليابسة.

ومهما يكن الامر بالنسبة الى "سكاي لاب"، فانه يمكن التأكيد ان الاجهزة الصناعية السابحة في الفضاء ستتزايد اعدادها، بل ربما تضاعفت خلال السنوات الخمس عشرة المقبلة، نظرًا الى تصميم الانسان كما يبدو، على استكشاف السموات واستغلالها.

■ تاد شولك

صور من الحياة



الطالب العبقري

كتب أحد الذين كانوا يترددون على جامعة برلين في أواسط القرن التاسع عشر ما يأتي:
"كنا نرى بين الطلاب شخصا قصيرا، أبيض الشعر، متقدما في السن، وعلى وجهه امارات السعادة. وعرفنا انه الكسندر فون همبولت، رائد علم التاريخ الطبيعي، الذي قال انه يحضر الصفوف الجامعية ليعوّض ما فاته في حداثته. وكان يجلس في الصف ويدوّن الملاحظات كأي طالب آخر.
"وفي احدى المحاضرات كان البحّاثة المرموق ريتر يلقي درساً في الجغرافيا الفيزيائية، ووصل الى نقطة استشهد فيها بكلام من فون همبولت قائلا انه الحجة التي يحتكم اليها. فشخصت عيون الحاضرين جميعا الى العالم ذي الشعر الابيض الذي وقف في مكانه وأحنى رأسه قليلا، ثم جلس متابعا الكتابة".

("سير أكابر العلماء")

على طريقة تشرشل

في عشاء ضم رؤساء دول "الكمنولث" منذ سنوات، شاهد رئيس البروتوكول أحد الضيوف يتناول مملحة مصنوعة من الذهب ويضعها في جيبه. فتوجه رئيس البروتوكول الى السير ونستون تشرشل واستشاره في ما يجب فعله. فأجاب تشرشل: "لا عليك، سأتدبر الأمر بنفسي".
وتقدم تشرشل الى الطاولة ووضع علبة فلفل مذهبة في جيبه، ثم اقترب من الرجل الذي أخذ المملحة وهمس في اذنه: "لقد رآنا رئيس البروتوكول نقدم على فعلنا، فالأفضل ان نعيد العلبتين الى مكانهما".

("الديلي تلغراف")

القبلة المخيفة

ان أصعب مهمة تواجه مربية الاطفال هي ان تحملهم على النوم. وقد حدث أخيرا ان المربية التي ترعى اطفالي بين وقت وآخر لم تفلح في حث ابني الكبير (٧ سنوات) على النوم على رغم انها أغرته بسندويشات اضافية وموسيقى وأغان وأقاصيص، لكنها عادت ونجحت في مهمتها.
وعندما سألتها عن سبب نجاحها، أخبرتني أنها حدقت الى الصبي وهددته قائلة:
"اذا لم تذهب الى الفراش في دقيقة واحدة فسأقبلك قبلة النوم". فما كان منه الا ان اختفى تحت اغطية السرير في عشر ثوانٍ.

قطار الله

علق على لوحة الاعلانات الى جانب خط السكة الحديد بين كونيكتكت ونيوهيفين في الولايات المتحدة اعلان جاء فيه: "ان الرب آت قريبا"، فأضاف احد الاشخاص: "ولكن، ليس اذا ركب قطار نيوهيفن".

حياتك الجنسيّة هل غدت نفثة دُخان ؟

توقع العلماء ان تؤدي كثرة التدخين الى الاجهاض وولادة الجنين ميتا ٠ ويبدو الآن ان التدخين يمكن ان يعوق القدرة الجنسية ايضا ٠

■ بول وليندا كونراد متزوجان منذ عشر سنين٠ ومنذ العيد السنوي الثالث لزواجهما اخذت ليندا تذهب من طبيب الى آخر في محاولة عقيمة لتكتشف سبب "عدم قدرتنا على انجاب طفل"٠ واخيرا وافق زوجها على ان يعرض نفسه ايضا للفحص٠

■ باتريشيا لانسينغ وزوجها ارادا كذلك انجاب اطفال٠ لكن اول جنين لباتريشيا ولد ميتا، وكان طفلة حملتها امها تسعة اشهر كاملة من دون ان يزيد وزنها على كيلوغرامين٠

■ كين قاريل كان قلقا من انحدار ملحوظ في قدراته الجنسية٠ وقال لطبيبه: "اقرأ طوال الوقت عن رجال في السبعينات من اعمارهم ولا يزالون اقوياء٠ وها انذا اجد صعوبة وسني لم تتجاوز الحادية والثلاثين!"

هذه الحالات الثلاث (وقد غيرت اسماء اشخاصها) تبدو قليلة الصلة احداها بالاخرى، باستثناء انها جميعا متعلقة بالصحة الجنسية او بالنسل٠ لكن وصفة العلاج في كل منها كانت مطابقة للحالتين الاخريين، وهي ببساطة: امتنع عن التدخين٠

امتنع عن التدخين؟ هل يمكن التدخين أن يؤثر على الجنس؟

التدخين والضعف الجنسي — على رغم ان الادلة العلمية على وجود صلة بين التدخين والجنس ليست مكتملة بعد، الا ان عددا كبيرا من الاطباء

مقتنع بوجود هذه الصلة· واحدهم هو آلتون اوكسنر (من مواليد ١٨٩٦)، وهو كبير مستشاري مستشفى مؤسسة اوكسنر في ولاية نيو اورلينز الامريكية وكبير دعاة الحملة الامريكية ضد التدخين· وقبل ٢٨ سنة من توصل الجراحين الامريكيين الى النتيجة نفسها عبر تقريرهم العام، كان الدكتور اوكسنر قد تكلم، بناء على مراقبته المرضى، عن وجود علاقة سببية بين شدة تدخين السجائر وسرطان الرئة· واقنعته الادلة العيادية نفسها بان تدخين السجائر يمكن ان يشكل خطرا على صحة المرء الجنسية· لكنه يعبر عن دهشته حيال نجاحه في شرح تلك الظاهرة الذي لم يقابله نجاح مماثل في اقناع المرضى بالاقلاع عن التدخين لئلا تلحق بهم عواقب اشد خطرا من الضعف الجنسي المحض·

ويقول الدكتور اوكسنر انه، على رغم استمرار الوفيات المرتبطة بالتدخين، فان الناس يثابرون على عادتهم· "ولكن عندما اقول لهم ان التبغ قد تكون له آثار ضارة على نشاطهم الجنسي، اجدهم ينتبهون فجأة ويسمعون"·

وهكذا وفق بول كونراد، الذي كشف فحصه عن مستوى عادي لهرمون تيستوستيرون الذكري مع انخفاض عدد الحيوانات المنوية، الى الاقلاع عن التدخين· واظهر الفحص ان حيواناته المنوية بطيئة، اي ضعيفة الحركة· وعندما علم طبيب بول انه يدخن ثلاث علب سجائر يوميا، وذلك منذ ١٩ سنة، نصحه بالكف عن التدخين وزيارته بعد ثلاثة اشهر لاجراء مزيد من الفحوص·

لم يكن بول مؤمنا بالمشورة، لكنه تغلب على عادة التدخين· وعندما فحص مرة اخرى وجد ان تحسنا ملحوظا طرأ على عدد الحيوانات المنوية وحركتها· وبعد اربعة اشهر اصبحت ليندا حاملا·

وليس هناك طبعا دليل ملموس على ان التدخين كان سبب مشكلة بول وليندا كونراد· ويقول احد رواد البحث في هذا الحقل، الطبيب كارل شيرين من جامعة هامبورغ الالمانية الذي درس انماط الاخصاب لدى قرابة ١٠٠٠٠ شخص، انه "لا يمكن الوصول الى اية نتائج حاسمة "في شأن التدخين وعدم الخصوبة لدى الذكور· لكنه لاحظ "اضطرابات شديدة في حركة الحيوانات المنوية" لدى مجموعة من الرجال المدخنين·

ويقول الدكتور شيرين: "لقد شرح لاولئك المرضى احتمال وجود صلة بين عدم الانجاب والخلل الذي يصيب الحيوانات المنوية بفعل النيكوتين· وكانوا اذا كفوا عن التدخين تماما يظهرون تحسنا كبيرا في حركة الحيوانات المنوية خلال فترة تراوح بين ستة اسابيع وعشرة اسابيع"· ويضيف الدكتور شيرين: "في كل حال من حالات انخفاض الخصوبة لدى الذكور، يجب الكف عن التدخين تماما اذا كانت ثمة رغبة في انجاب اطفال"·

وتميل دراسات اخرى نحو توكيد هذا الرأي· فمثلا، وجد عالم الكيمياء البيولوجية الاوسترالي المرموق مايكل بريغز ان التدخين الشديد يخفض انتاج هرمون تيستوستيرون،

في حين ترتفع نسبة هذا الهرمون اذا توقف المرء عن التدخين.

ولدته ميتا — اما الادلة على ان تدخين النساء يمكن ان يؤثر على قدرة حمل اطفال اصحاء فانها اكثر ثبوتا واشد اثراء. ولنأخذ مثلا باتريشيا لانسينغ التي لا تزال منذ كانت في المدرسة الثانوية تدخن سيجارة تلو الاخرى وتكاد لا تنقطع عن التدخين. لقد بدا حملها الاول عاديا مع ان طبيبها حثها على التقليل من تدخين اربع علب من السجائر يوميا كما كان دأبها. وعندما ولد طفلها ميتا بعد فترة حمل كاملة، وكان وزنه دون معدل وزن الاجنة ذات الاشهر التسعة باكثر من كيلوغرام، اصيبت باتريشيا بصدمة عنيفة.

ثم قرأت ملخصا لتقرير طبي نشر عام ١٩٧٣ تحت عنوان "آثار التدخين على الصحة"، فاستحوذت عليها جملة منه تقول: "هناك بعض الادلة القوية على ان الامهات المدخنات تزيد بينهن على نحو اكبر نسبة الحمل المجهض نتيجة ولادة الطفل ميتا او موته عقب الولادة". وتتذكر ذلك قائلة: "كانت تلك العبارة بمثابة سكين تطعنني".

ويكاد يستحيل تثبيت كون تدخين باتريشيا مسؤولا عن موت طفلها. ولكن ثبت احصائيا ان النساء المدخنات يتعرضن لخطر كارثة مثل كارثة باتريشيا على نحو اكبر كثيراً مما تتعرض له الامهات اللواتي لا يدخن السجائر. ويقول تقرير الجراحين العام لسنة ١٩٧٣. "ان امكان وضع المرأة المدخنة وليدا ضئيل الوزن يساوي ضعفي امكان حدوث ذلك لدى غير المدخنة. ومثل هؤلاء الرضع الصغيري البنية يتعرضون للامراض والموت اكثر من المواليد الاكبر بنية".

وعلى صعيد اكثر اشراقا، تشير الادلة التي جمعت من دراسة لقرابة ١٧،٠٠٠ حالة حمل في بريطانيا الى ان النساء اللواتي يقلعن عن التدخين بحلول الشهر الرابع من الحمل يمكن ان يجنبن تعريض اطفالهن للاخطار. ويشرح الطبيب جوزف وارشو، مدير قسم طب الحمل المتعلق بمرحلة الولادة في جامعة يايل، ذلك قائلا: "ان معظم اضرار التدخين تأتي في المرحلة الثانية من الحمل". ويضيف: " "اني انصح كل امرأة حبلى بالكف عن التدخين".

ويكاد قلق بعض الاشخاص من نتائج التدخين السلبية على الحياة الجنسية السليمة يوازي قلقهم حيال ضرر التدخين اللاحق بالخصوبة وولادة الاطفال. هنا ايضا نرى المعطيات شحيحة، لكن ثمة عددا كبيرا من المستشارين الجنسيين والباحثين في العقاقير، مثل الدكتور اوكسنر، اقتنعوا من خلال مراقبتهم الشخصية، بوجود علاقة بين النشاط الجنسي والتدخين. ويقول الدكتور اوكسنر: "ان عشرات المرضى قالوا لي حرفيا ان حياتهم الجنسية تحسنت بعد توقفهم عن التدخين". ويسر الدكتور اوكسنر ان يتحدث عن رجل في الثالثة والسبعين من عمره اجريت له جراحة لازالة رمل من رئته: "قلت له ان عليه وقف التدخين، ففعل، وبعد شهرين شفيت رئته تماما. وقال لي انه، قبل اقلاعه عن التدخين، كان يمارس الجنس مرة كل اربعة اشهر او

ستة اشهر. اما الان فهو يفعل ذلك ثلاث مرات او اربع مرات في الاسبوع".

عيادة لوقف التدخين - الطبيب جويل فورت، مدير مركز سان فرنسيسكو لحل المشكلات الاجتماعية والصحية الخاصة، وهو مركز يساعد الناس في التغلب على عادة تدخين السجائر كذلك في معالجة مشكلاتهم الجنسية، ينصح مباشرة المدخنين الذين يشكون من العقم بالانضمام الى عيادة المركز الخاصة بوقف التدخين. ويقول الدكتور فورت ان الاغلبية الساحقة من الرجال الذين يفعلون ذلك يبلغون المركز بتحسن حياتهم الجنسية تحسنا ملحوظا. وهو ينصح النساء اللواتي يشتكين من قلة الاهتمام بالجنس بعمل الشيء نفسه.

ويخرج الدكتور فورت بنظرية ملخصها ان التدخين يعوق الاداء الجنسي على وجهين رئيسيين: اولهما ان ما يدخل الرئتين من ثاني اوكسيد الكربون يخفض من نسبةاوكسيجين الدم ويعوق انتاج الهرمون، والثاني ان ما يدخل الجسم من النيكوتين يقلص اوعية الدم التي يشكل انتفاخها الاداة المركزية للاثارة الجنسية والانتصاب. ويعدد الدكتور فورت كذلك آثارا ثانوية للتدخين: تقلص الرئة وانخفاض القدرة على اطالة فترة الجماع، اضافة الى ان النيكوتين يؤدي الى اصفرار الاسنان ورداءة رائحة النفس مما يضعف جاذبية المدخن الجنسية.

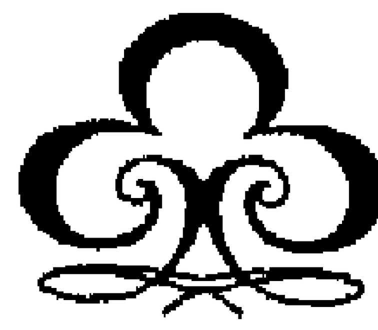
غير انه لم تجر سوى دراسات علمية قليلة حول العلاقة بين التدخين والقدرات الجنسية. وقد نشر باحثان باريسيان هما الدكتور هـ. سندرون وج. فاليري ماسون دراسة حول اثر السن والتدخين وعوامل اخرى في النشاط الجنسي للذكور. واختارا ٧٠ رجلا تراوح اعمارهم بين ٤٥ و٩٠ سنة ووزعاهم في مجموعتين: الاولى ضمت ٣١ شخصا ممن يدخنون علبة سجائر او اكثر يوميا، والثانية ضمت ٣٩ شخصا لا يدخنون او يدخن الواحد منهم خمس سجائر او اقل يوميا. وقال اكثر من نصف هؤلاء الرجال ان نشاطهم الجنسي سجل انحدارا بين الخامسة والعشرين والاربعين من سنيهم. وجاء في تقرير الباحثين "ان ثمة فرقا كبيرا بين المدخنين وغير المدخنين في تلك العينة من الاشخاص. فقد كان انحدار النشاط الجنسي بين الخامسة والعشرين والاربعين اكثر شيوعا بين المدخنين".

أقلع لتعرف - ويقول احد الاطباء: "اذا كنت تعاني ضيقا في التنفس، وكنت متعبا وربما مصابا بمرض في الاوعية الدموية زاده تدخينك تعقيدا فانك لن تكون شديد الرغبة في الجنس. اما اذا كف المريض عن التدخين وزاد من تمرين جسمه حتى بات يشعر بلياقة افضل، فان اهتمامه بالجنس وقدرته عليه يصيران افضل".

هكذا كانت حال كين فاريل. وكان توصل الى تدخين اربع علب سجائر يوميا عندما قرر استشارة احد الاطباء. وقد وجده الطبيب اقل وزنا مما ينبغي. ولكن من دون ان يكون هناك اي خلل جدي. ويقول فاريل: "نصحني الطبيب، مع ذلك، بالكف عن التدخين او بخفضه على الاقل.

وفي حدود ذلك الوقت التحقت ببرنامج للتمرين"، وخلال ثلاثة اشهر، قلل فاريل تدخينه بمقدار عشر سجائر في اليوم، فزاد وزنه قرابة سبعة كيلوغرامات، ووجد نفسه اكثر سعادة الى حد كبير، صحيا وجنسيا.
ويأمل الدكتور اوكسنر في ان يؤدي التشديد العصري على الجنس الى مزيد من الاهتمام العلمي بدراسة اثر التدخين على الاستجابة الجنسية. وهو يقول: "الامر الغريب هو ان رجالا كثيرين لا يدركون انهم يعانون مشكلة في شهوتهم الجنسية الا بعد اقلاعهم عن التدخين واكتشافهم ما كانوا يفتقدون. ولكن من المؤسف ان يبلغ المرء الثالثة والسبعين قبل اكتشاف ذلك".

■ جونيل سوباك - شارب



يقول الكاتب والروائي الفرنسي مارسيل آشار: كثير من الناس يعتقدون بان النجاح لا يتحقق الا بالقيام باكرا. لا، اذ يقتضي، بالاضافة الى ذلك، ان تستيقظ صافي المزاج.

ازعج ادارة تحرير "الباري بريس" ان يتغيب عن العمل عدد كبير من اعضائها كلما جرت مباراة في كرة القدم، فعلقت على الباب اشعارا جاء فيه: "يرجى من اعضاء هيئة التحرير الذين يرغبون في حضور جنازة احد انسبائهم ان يطلبوا ترخيصا من الادارة بذلك، في اليوم السابق لموعد مباراة كرة القدم".

جان بول لاكروا

"جنة" العالم السفلي

توفي فارلي فيربانكس وذهب الى العالم السفلي، فأعلمه رئيس الشياطين بانه يستطيع أختيار واحد من ثلاثةأماكن لاتخاذه مقرآ أبدياً له. وفتح الشيطان الباب الأول فرأى فيربانكس آلاف البشر منتصبين على رؤوسهم فوق ارضية مفروشة بالآجر، وقال للشيطان انه لا يريد ان يقضي الابدية في مثل هذا الوضع. وفتح الشيطان الباب الثاني، فرأى فيربانكس آلاف البشر منتصبين على رؤوسهم فوق ارضية خشبية، وفضل ان ينتقل الى الاحتمال الثالث. وفتح الشيطان الباب الثالث فرأى فيربانكس آلاف البشر واقفين الى رسوغ اقدامهم في مادة عفنة وكل منهم يشرب فنجاناً من القهوة. وقال فيربانكس: "لا شك في ان هذه المادة القذرة كريهة الى اقصى حد، لكنني افضل هذا المكان على المكانين الآخرين، فدخل القاعة وانغلق وراءه الباب، واذ ذاك علا صوت مساعد الشيطان صائحا: "هيا بنا الآن لقد انتهت فترة القهوة، فعودوا جميعكم وانتصبوا على رؤوسكم!".

ف.ن.

افغانستان، الممر والمفترق

هنا مفترق الطرق العريق القدم، وممر الغزاة ومعبر القوافل. وهنا ارض الاباء والروعة والرهبة، موطن المحاربين ومقام الجبال الجاثمة على سقف العالم.

عبر السهوب الجرداء من اواسط آسيا اقبل ثلاثمئة فارس يندفعون نحوي كالرعد في دوامة هائلة من الغبار. وفجأة توقف الهجوم واندفع احد الفرسان، ورأسه الى اسفل، وسط هذه الجلبة المتعالية من الجياد الصاهلة المتواثبة، وتدلى من ركاب واحد حتى بلغ الارض، ثم انتشل من فوقها في لمح البصر عجلا بلا رأس امسكه من ساقه ودسه تحت فخذه الايمن واندفع به بسرعة البرق يتبعه جمع الفرسان وهم يعدون في زئير هائل.

كان اولئك المعممون ذوو الاحذية الطويلة العالية الساق، فرسانا من رجال القبائل يلعبون "الوزكاشي"، وهي لعبة متوسطة بين "البولو"، وهجوم الفرسان. ولكي يفوز الفارس منهم في هذه اللعبة العنيفة المتسمة بالتنافس المطلق بين الجميع،



عرض "وزكاشي".

يقتضي عليه ان ينتقل "بالكرة" - وهي جثة عجل محشوة بالرمل المبلل ويبلغ وزنها ٥٠ كيلو غراما تقريبا - حول عمود يبعد مسافة خمسة كيلومترات، ثم يعيدها الى دائرة البداية المرسومة بالطباشير.

ولم اشاهد في حياتي فروسية حافلة بالصلف مثلما رأيت عندما راح اللاعبون الكبار الذين يطلق عليهم اسم "تشاباندار" يتصارعون بقسوة وعنف في سبيل جثة العجل بينما تفرقع السياط وتتصادم الجياد المدربة في صهيل مسعور.

وقد عددت ثلاثة انوف دامية واربع سيقان مكسورة بين هؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يعرفون الخوف، قبل ان يندفع البطل الفائز كريم مقتربا من نقطة النهاية، عقب اربع ساعات هائجة حافلة، ويطرح في دائرة الفوز ثم يرفع يديه عاليا ويزأر بنداء النصر "هلال! هلال!". ولم يلق احد حتفه في ذلك اليوم وهذا امر "غير عادي" كما لاحظ البعض، ووافق عليه الجميع.

الصورة الطبيعية - وهذا التطرف القاسي في مجال الرياضة الشعبية يعكس صورة افغانستان الطبيعية، ذاك البلد الخام المليء بالمشاهد الاخاذة والموحشة في آن، والذي يقع كالاسفين بين الاتحاد السوفياتي والصين وباكستان وايران، في ارض مرصفة بالسلاسل الجبلية المغطاة بالثلوج على قرابة ثمانية آلاف متر من العلو حيث تتشامخ القمم المهيبة لجبال الهندكوش ("قاتل الهندوس") التي تكاد جبال روكي في امريكا الشمالية تبدو امامها تلالا صغيرة. وهي كذلك ارض "داشت - ي - مارغو" (صحراء الموت) حيث ترتفع الحرارة صيفا الى حد لاهب يبلغ ٥٥ درجة مئوية، وتنخفض شتاء الى مستوى البرد القاتل عند درجة ٣٥ مئوية تحت الصفر.

ان هذه البقعة المنعزلة النائية هي معقل تبلغ مساحته ٦٥٠٠٠٠ كيلومتر مربع اي ما يقارب مساحة ولاية تكساس، ولا منفذ له الى اي بحر، وليست فيه اي خطوط حديدية ولا يزيد مجموع طرقه الرئيسية المرصوفة على ٣٠٠٠ كيلومتر، وتمر فيه قوافل الجمال وهي تتخير مواقع خطاها على سفوح جبلية يربو ارتفاعها على ٥٠٠٠ متر. ويعيش كثيرون من الافغانيين الذي يبلغ تعداهم ١٧ مليونا، في بيوت مخفوضة متعرجة التركيب كجحور الارانب وجدرانها مبنية من الطين، ظلت كما هي من دون اي تغيير على مدى القرون. ولا يتجاوز متوسط دخل الافغاني ٩٠ دولارا في السنة، ولا يزيد متوسط العمر بين غالبية السكان على ٤٠ سنة.

وينطق الافغانيون بلغتين رئيسيتين هما: "الداري" وهي نوع من اللغة الفارسية، و"البشتو" او "الباثان"، الى جانب ٣٥ لهجة محلية على الاقل. ومعظمهم رعاة ومزارعون، وما زالوا يلتزمون في حياتهم نظاما اقطاعيا الى حد بعيد، ويتميزون بانهم محافظون ومتدينون في اسلامهم، يؤدون الصلوات اليومية الخمس بانتظام (الاوتوبيسات تتوقف في مواعيد الصلاة)، ومن حق الرجل فيهم ان يحتفظ باربع زوجات. ولا تزال كثيرات من نسائهم يمشين

محجبات من قمة الرأس الى اخمص القدم في ثوب سابغ يسمى "تشادري" ويحجب حتى العينين.

وفي عالم الرجال هذا ينمو الافغاني صلب العود حادا كنصل السيف المرهف. وهم لا يمشون، وانما يتبخترون ويختالون. ولا يزال رجال القبائل المتنازعون يتحاربون بالبنادق العتيقة ذات الطلقة الواحدة والزناد الخارجي، اما قطاع الطرق والمهربون فانهم مسلحون بالمدافع الرشاشة وهم من النوع الذي يطلق النار اولا، ثم يتفاهم بعد ذلك.

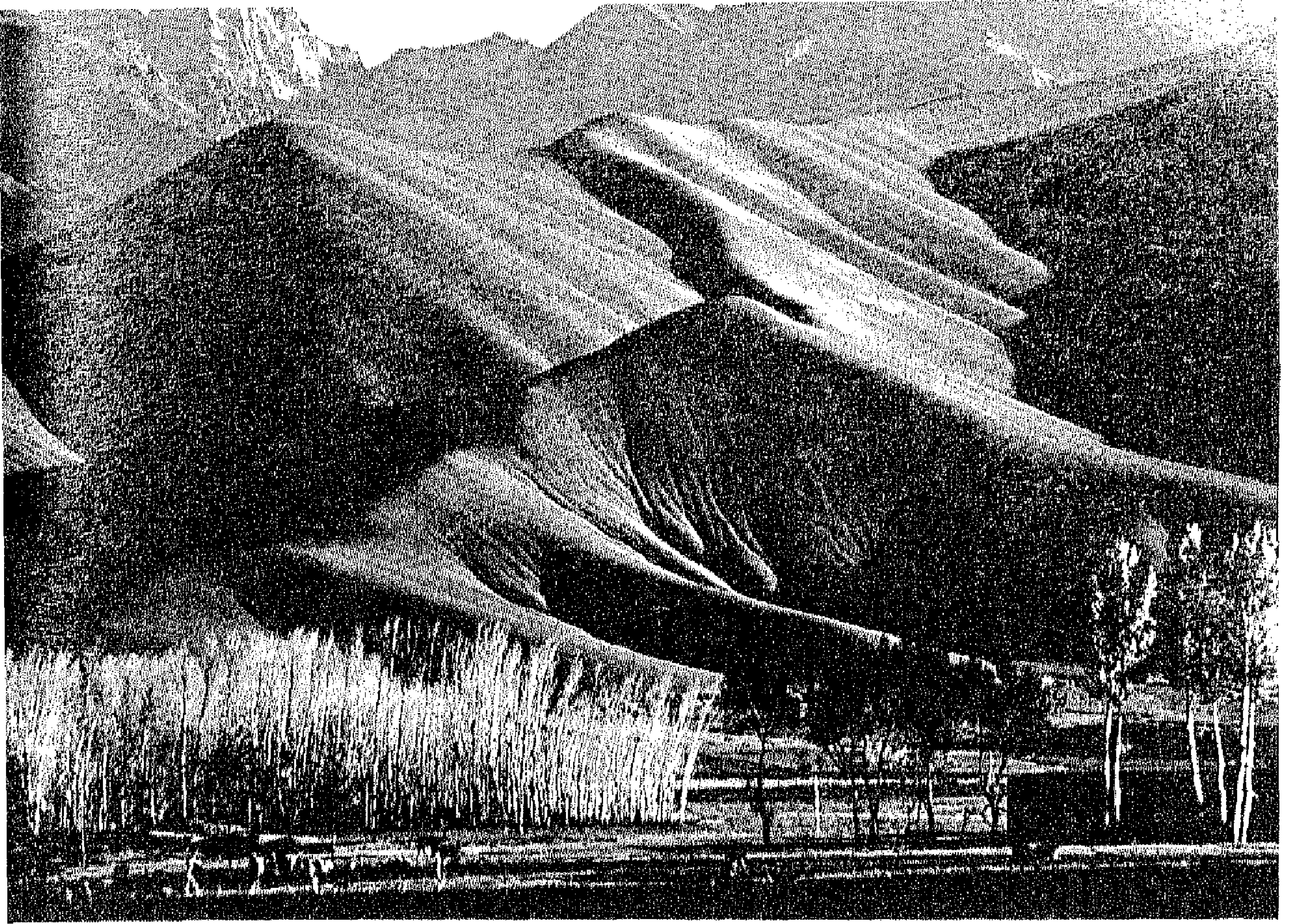
وليست روح القتال التي يتميز بها هذا الشعب من الظواهر التي ترجع الى المصادفة المحض، وانما يندر ان يكون في الارض مكان آخر تعرض لمثل ما عانته تلك البلاد من مرور الجحافل عبرها جيئة وذهابا بقيادة عدد من اشهر الغزاة في التاريخ، مثل دارا ملك الفرس والاسكندر الاكبر وجنكيزخان وتيمورلنك، وغيرهم. وقد واجه الافغانيون الشجعان الحرب بالحرب، فنجحوا تارة في ابادة مهاجميهم، ونجحوا طورا في استيعابهم، ولكن لم يحدث ابدا ان هزموا هزيمة حاسمة او خضعوا للاستعمار على نحو دائم. وكانوا، اذا لم يقاتلوا الغزاة انصرفوا الى القتال في ما بينهم،حتى ان الـ"تورش" اي الشجاعة، اصبحت هي المعيار الذي يقاس به الرجل من ابنائهم.

وفي القرن التاسع عشر، خاض الافغانيون البواسل حربين ضد الامبراطورية البريطانية، وابادوا ذات مرة في مكمن اسطوري قرابة ٤٥٠٠ جندي من البريطانيين والهنود. وفي ١٩١٩ حصلت افغانستان في النهاية على استقلالها التام، واصبحت جمهورية عام ١٩٧٣ وكان يحكمها حتى ابريل (نيسان) ١٩٧٨ رجل عابس قوي، هو محمد داود الذي خلع آخر ملوك البلاد منذ اربع سنوات (وكان الملك ابن عمه وشقيق زوجته) واعلن نفسه رئيسا، حتى جاء انقلاب دموي قتل فيه محمد داود وتسلمت السلطة حكومة يسارية موالية للسوفييت.

الخلية البشرية - ليس الوصول الى العاصمة كابول امرا عاديا بسيطا. فالطائرة تندفع عالية فوق ممر خيبر، ثم تغطس بين قمتين مخيفتين كالكابوس، وتهبط هلى نحو يثير الرعب كي تستقر فوق سهل منبسط يبلغ ارتفاعه ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر.

ويكاد نور الشمس الباهر يعمي البصر، فلم اعد اميز سوى بضعة عشر كوخا من الطين وعدد من الاغنام فوق مدرج المطار. وبعد حين، ارى عن بعد قلعة دكناء من الطين جاثمة فوق قمة صخرية، تساورها جدران متتالية تزحف كالثعابين عبر المنحدرات الجرداء، وقد التصقت مئات من البيوت الطينية المسطحة بالسفوح العارية الشديدة الانحدار.

وتتباهى كابول (٥٠٠ ٠٠٠ نسمة)، المدينة التي تحصرها الجبال، بشوارعها المكتظة بسيارات الاوتوبيس البالية والجمال والاغنام والماعز والدراجات، وتتردد فيجوانبها نغمات الموسيقى العربية وصياح الباعة في الشوارع حيث ينتشر رجال القبائل بعباءاتهم وهم



وادي باميان، كأنه من مراتع الجنة.

يحملقون في واجهات الحوانيت المزدحمة باجهزة الراديو والخلاطات الكهربائية. ومررت بشوارع كاملة مخصصة لحوانيت صياغة الذهب والفضة، وراح التجار المتربعون يشيرون بايديهم ويدعونني الى ان ادخل محلاتهم، حيث يعرضون علي بنادق قديمة مطعمة بالصدف تعتبر من التحف، او ربطات انيقة من الحشيش او ساعات رائعة من عهد الملكة فيكتوريا، او قطعا في حجم قبضة اليد من حجر اللازورد - السماوي الزرقة - ومخلب دب قطع حديثا.

وتملكني الارتباك في هذا الخضم من المساومات، فدخلت مشربا للشاي تتناثر فيه الاباريق النحاسية اللامعة التي يتصاعد منها البخار وينتشر الزبائن ذوو العمائم في انحائه وهم يدخنون نارجيلاتهم. وتلكأت في سوق للسجاجيد حيث ينثر التجار سجاجيد حرير - تساوي الواحدة منها ٣٠٠٠ دولار - على الرصيف لكي يزيد وقع الاقدام العابرة من بريقها. وفي المدينة القديمة المكتظة بالناس كخلية النحل، مشيت في الطرق المتعرجة المتربة، التي لا يزيد عرضها في احيان كثيرة على عرض الكتفين، بين جدران عالية من الطوب (اللبن) ترد عمن في داخلها لفح الشمس. ومررت بثقوب مظلمة في تلك الجدران لاتبين انها حوانيت وورش. واكتشفت ان المدينة القديمة خالية من الكهرباء، ثم لاحظت فجأة اسراب الذباب الكثيفة، فقررت ان الوقت قد حان للخروج من المدينة.

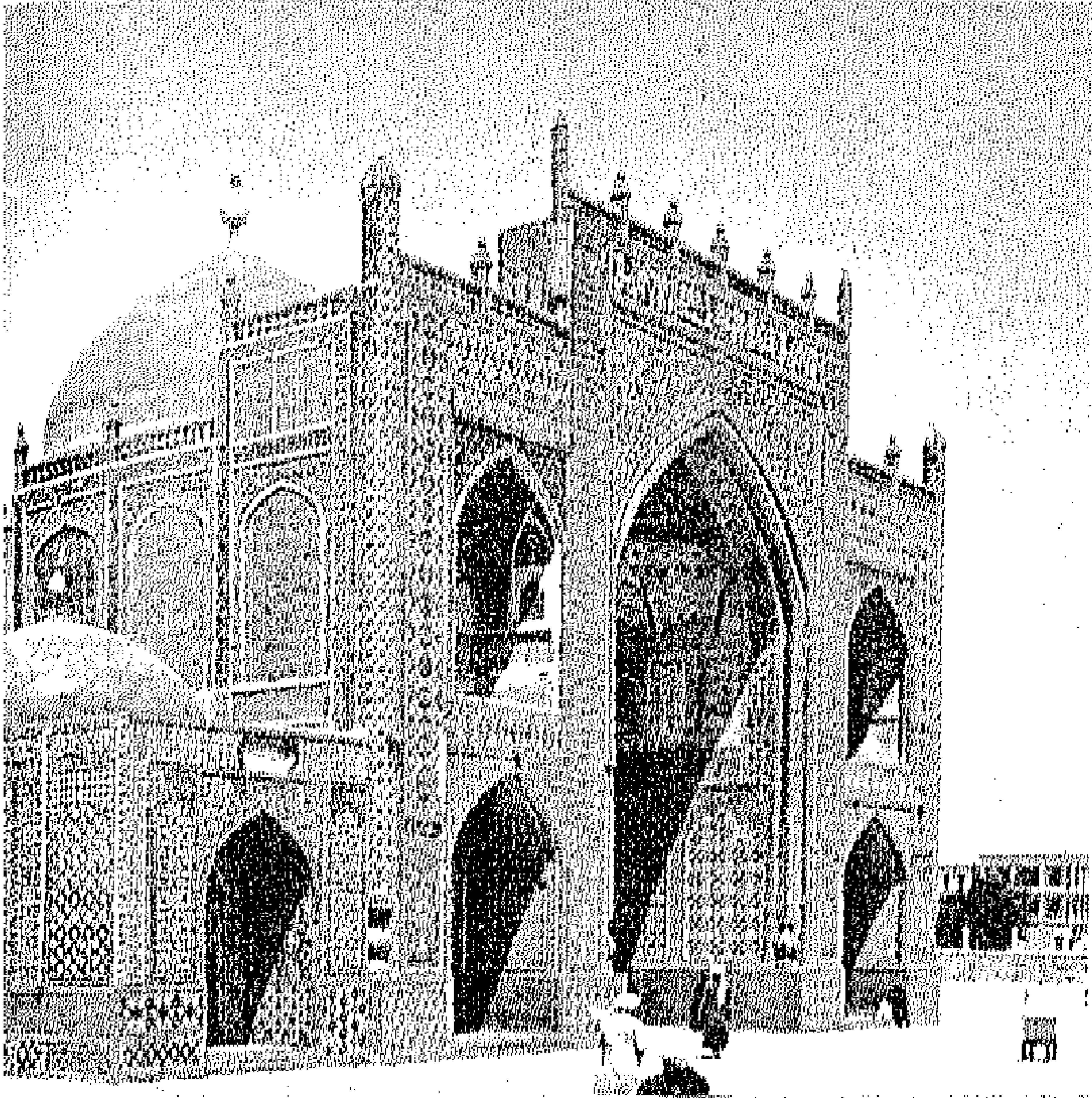
مدينة المهربين - مضينا نحو الشرق، انا وسانا جول، سائق سيارتي، في اتجاه ممر خيبر، فغاصت بنا السيارة بين المعاقل الصخرية الطبيعية الشاهقة التي تحصر مضيق "تانغ - اي - غارو" الذي تتقارب الصخور على جانبيه احيانا الى حد يصبح معه الفراغ الموجود ما بينها كافيا بالكاد لطريق السيارات الذي مولت انشاءه الولايات المتحدة واخيرا ينفرج الوادي الضيق الرهيب ونصل بعد ساعة الى مدينة جلال اباد، قرب الحدود الباكستانية، فنرى صفوفا تلو صفوف من الحوانيت ذات الغرفة الواحدة، وقد تكدست فيها اجهزة الكاسيت، وصناديق السجائر ولفائف الاقمشة. وقال ساناجول: "هذه مدينة المهربين" فكل شيء تراه هنا مهرب". وفي اتجاه الشمال، تمتد وديان سحيقة ينتشر فيها عبير الزهور مع نسائم الربيع المتوهجة بحمرة الخشخاش وتعد هذه المنطقة احدى المناطق الثلاث الاكثر شهرة بانتاج الافيون على وجه الارض.

وعدنا الى كابول نستعد لتسلق جبال الهندوكوش المعممة بالثلج وهي الامتداد الغربي لسلاسل جبال هيمالايا. وراح الطريق يصعد ويصعد بلا هوادة - ٢٥٠٠ متر، ٣٠٠٠ متر - ويدور في منحنيات حادة متتابعة بلا حصر كالكوابيس التي لا تنتهي، واخذ رأسي ينبض وانا اشهق طلبا للهواء، ورأيت نسرا يحلق بعيدا في اسفل، وهو يتأرجح في رياح البانشي.

وعند ارتفاع ٣٣١٠ امتار بلغنا نفق سالانج، وهو اعلى نفق في العالم. ويمتد هذا الممر المظلم الرهيب، الذي بناه السوفيات، مسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات ومئتي متر. وقال ساناجول: "اذا حدث زلزال..."، ثم تمالك نفسه واغلق فمه. وخرجنا من النفق فجأة الى منظر منفسح من الجليد والثلوج يبهر الابصار، والى يميننا ترتفع قمة شاهقة تعلو على قمة مون بلان في سويسرا بثمانمئة متر، ولكنها محرومة حتى من الاسم. ثم بدأنا نهبط بالانحدار الرهيب نفسه الذي صعدنا به.

على خطى ماركوبولو - انفتح مضيق تاشكورغان امامنا وانبسط تحت اعيننا جانب من السهوب الروسية الشاسعة التي تمتد بلا انقطاع مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر حتى تبلغ اوروبا. وحبسنا انفاسنا في خولم، مدينة السوق القائمة في الموقع الذي اشترى فيه ماركوبولو حاجياته عام ١٢٧٤. ورأيت الحرفيين من الكهول الذابلين راكعين يعملون بمحبة في تطريز القبعات ونسج الحرير المخطط وصناعة الاحذية الطويلة الساق من جلد الغزال اللين الناعم. كان المشهد ساحرا، الى ان جاء جمل ضل طريقه فعاث فسادا في ادوات العمل والمشترين حتى اختلط الحابل بالنابل.

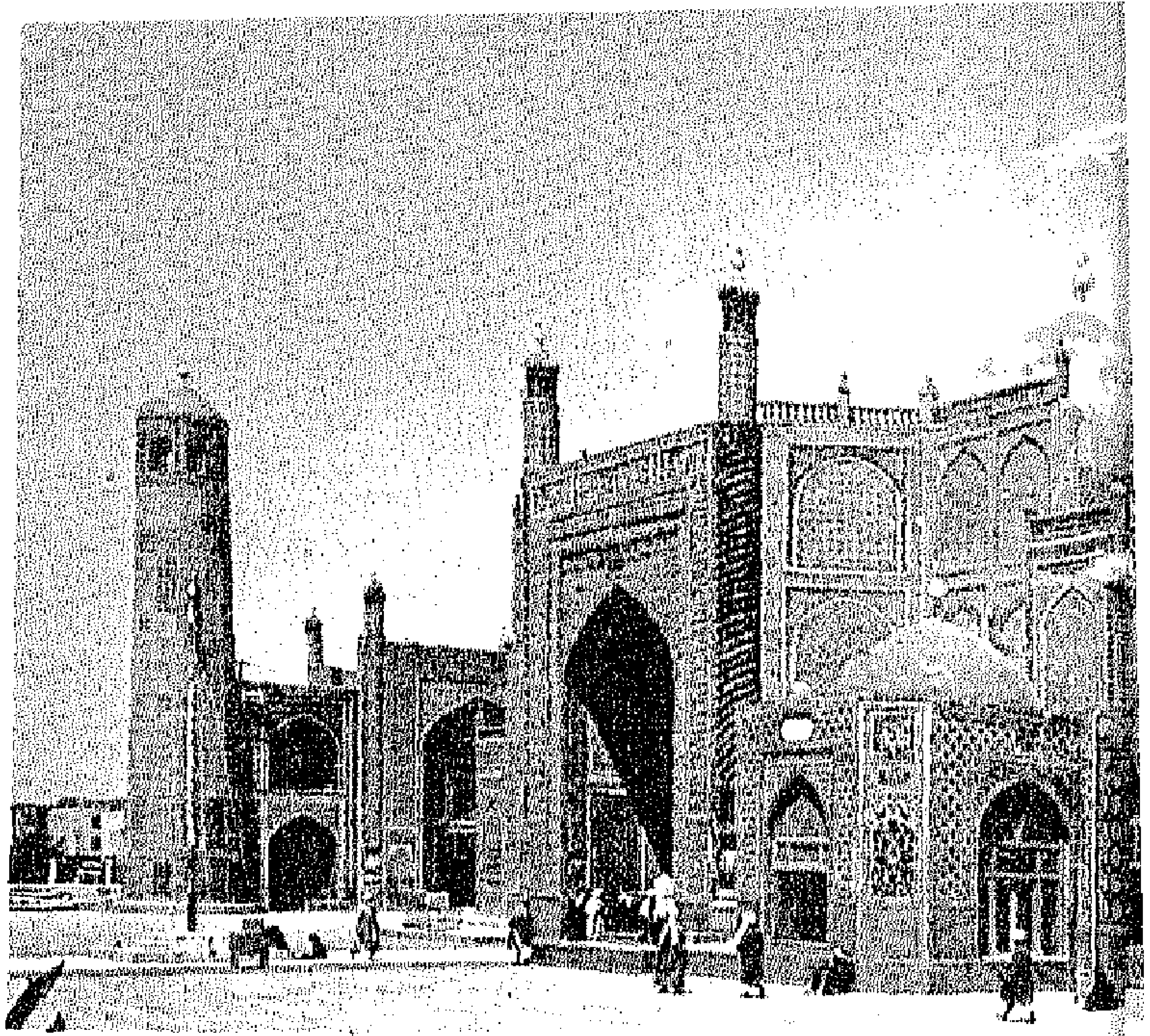
ويمضي الطريق بعد خولم مستقيما عبر خواء السهوب المطلق الذي يصدمك بالفراغ، ولا تقطعه الا بعض قوافل التجارة التي تمضي من حين الى آخر متهادية في عياء عبر الطريق الرئيسي، وينطلق رنين حزين


المزار الشريف، ويبدو المسجد الازرق.

من اجراس الجمال المتهادية في غمرات الصمت المحيط، وكم يتلمس المسافر في هذا المسطح الشاسع مشاعر الاغتراب والانسحاق. وبعد هذا تبرز مدينة المزار الشريف، اكبر مدن الشمال في افغانستان، كمفاجأة سارة. فهي واحة ناعسة ساحرة تجتابها طرق فسيحة وتظللها اشجار التوت وتزينها الحدائق الزاهية وهذه المدينة هي مركز صناعة السجاد الافغاني الشهير التي يكاد العمل فيها يقتصر على النساء (قيل لي انه كلما زاد عدد زوجات الرجل تزايد انتاجه من السجاد). وهي ايضا مدينة لها طابعها الديني، ينتهي كل شارع فيها الى مسجد من ابدع مساجد آسيا هو مسجد الضريح الذي يرقد فيه حسبما ترويه الاسطورة الافغانية جثمان الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه زوج ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم. والمعتقد ان هذا المسجد الازرق يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر. وهو يقوم على مساحة ١٦٠٠٠ متر مربع مكسوة بالرخام وتنتصب فوقها مباني المسجد ومآذنه الرشيقة وقبابه الفيروزية في انشودة معمارية رائعة العذوبة.

وخرجنا من مدينة المزار الشريف ورحنا نضرب مرة اخرى عبر السهوب نحو بلخ التاريخية، مدينة الاشباح. وكانت هذه المدينة في عزها افخم مدن آسيا الوسطى واجملها، ولكنها تدهورت عندما راحت تجتاحها موجات الغزاة المتتابعة، فلم يبق منها اليوم سوى مسجد اتلفه الزمن وقوس معماري علوه ٢٢ مترا وقلعة بلحصار المتهدمة التي كانت في ما مضى حصنا شامخا منيعا. وتجولت فوق اسوار القلعة والرياح المعولة تصفر من حولي ولكنها اعجز من ان تكبت الاصوات التي تخيلتها صادرة من اشباح الابواق وحوافر جياد الفرسان.

وحينما عدنا الى الجبال، مضى طريقنا ينحدر انحدارا شديدا على كيلومترات عدة، حتى القى بنا في وادي باميان الضائع بين المرتفعات، وكأنه مرتع من مراتع الجنة يزدهر بالخضرة الغنية ويشرق بالترحاب. وقد كان وادي باميان منذ القرن الاول مقاما دينيا مبجلا من ملاجئ البوذية، يعيش فيه ٦٠٠٠ راهب بوذي في ارديتهم الصفراء مستغرقين في التأمل. واستمر هذا



سائق سيارتي ان يتوقف حيث تربعت خمس خيام سوداء مخفوضة يقيم فيها الرعاة الكوتشي بين قطعان الماشية. وسرعان ما واجهنا بضعة عشر رجلا من هؤلاء الرعاة وصوبوا بنادقهم نحونا بحذر، واخذوا يتقدمون ببطء من دون ان يبدو ظل ابتسامة على وجوههم. ووجدت سائقي منفعلا يدخل معهم في حديث استمر ٤٠ دقيقة.

واخيرا، خرج من كبرى الخيام شيخ مهيب جليل المظهر ذو لحية فضية تتوج رأسه عمامة بيضاء، ورفع صوته يزأر: "تعال!" وهو يدعوني

الحلم البديع اكثر من ستمئة عام، حتى جاء العرب المسلمون فطبعوه بطابعهم الديني.

لكن وادي باميان لا يزال محتفظا بسحره العريق. فالجبال هي هي طوال خط الافق تبسط امواج قممها الوعرة فوق الجرف الصخري الشاهق المطل على سهل باميان، وهناك ايضا تمثالا بوذا العملاقان المنحوتان في صلب الصخرة وقد تشوه وجهاهما ولكنهما لا يزالان منتصبين يظللان الوادي كحارسين امينين. وهناك تمثال بوذا العظيم - وهو اطول تماثيله اطلاقا - الذي يعادل علوه ارتفاع عمارة من ١٧ طابقا، ترسم ذراعاه المكسورتان نصف المرفوعتين شعار البركة الجريحة وقد تقوست شفتاه غبطة في بوادر ابتسامة هنيئة.

نفوس حرة - وذات يوم طلبت من

ملوحا بذراعه. وتقدمت بين صفين من الرعاة المحملقين ذوي الاردية السوداء حتى بلغت مضرب الخيام وانا متوتر الاعصاب، فوضع مضيفي يده فوق قلبه وقال برقة: "هار - كالا - راشي" (مرحبا!).

وكان مضيفي هذا عبد الملك عمار كيل الذي يبلغ من العمر ٧٣ عاما، ويجلله الوقار، وله ثلاث زوجات ويملك ٤٠ رأسا من الابل و ١٧٠ رأسا من الغنم.

وداخل الخيمة الدافئة المبطنة باللباد الصوفي، جلسنا متربعين على بسط التركستان الضخمة وقدمت الينا نساء الكوتشي الخبز (نان) الساخن وقدور الشاي الاخضر الذي يتصاعد منه البخار. ولم تكن اولئك النسوة الوسيمات الطويلات القامة محجبات. ورحن يضحكن ملء قلوبهن، ويخشخشن بما في سواعدهن من

الاساور النحاسية، ويحملقن في بشيء من الجرأة الى ان اغض انا من بصري. وغمغم السائق "بلهجة المأخوذ: "ان الزوجة من الكوتشي تكلف ضعف ما تكلفه اي زوجة اخرى، فهن يستطعن اطلاق البنادق وترويض الجياد الجامحة، ويقمن بأي عمل يستطيع الرجل ان يفعله".

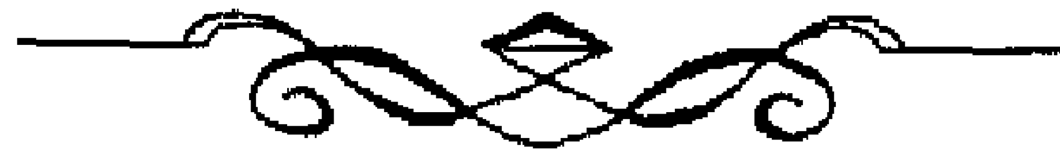
وازدحم رجال الكوتشي داخل الخيمة يقيّمون هذين المتطفلين، ثم اخرجوا ناياتهم المصنوعة من القصب وطبولهم الرقيقة، وارتفعت اصواتهم باغنية موحشة حزينة. ورحت اقلب مرتبكا في جيوبي ابحث عن هدايا اقدمها اليهم، ولكن كل ما كانوا يريدونه هو اقراص الاسبيرين، لتسكين اوجاع اسنانهم.

وقال عبد الملك: "اننا لم نستبق ثلوج الشتاء الا بايام قليلة، ولا يزال امامنا ٤٥٠ كيلومترا حتى نصل الى مخيمنا في الاراضي المخفوضة. وقد يستغرق قطعنا لهذه المسافة المليئة بالممرات، مدة شهر ولكن من الذي يبالي بذلك؟". وضحك حتى التمعت اسنانه البيضاء، واستطرد: "اننا احرار ذوو نفوس حرة، نتجول حيث نشاء. ونحن على استعداد لقتال كل من تسول له نفسه ان يعترض طريقنا".

وغمس شيخ الرعاة الاشيب يده في كيس قديم من جلد الغزال، واخرج منه ثلاث قطع متلألئة من البلور الجبلي، وقال: "هذه لك. وليكن الله معك!"

وودعنا الرعاة واتجهنا الى السيارة، يتابع خطانا حرس من الكوتشي المسلحين وهم يطلقون رصاص بنادقهم نحو السماء الصافية المرصعة بالنجوم.

■ كريستوفر لوكاس



كفى فراء

قال الثري: "دعيني، يا عزيزتي، امتع عيني بوجهك الجميل، اقدم اليك فرو سمور لزنديك. ودعيني الامس يدك فاشتري لك وشاحا من فرو الثعلب الفضي. ودعيني اقبلك، فاقدم اليك معطفا من فرو المنك. ودعيني...".

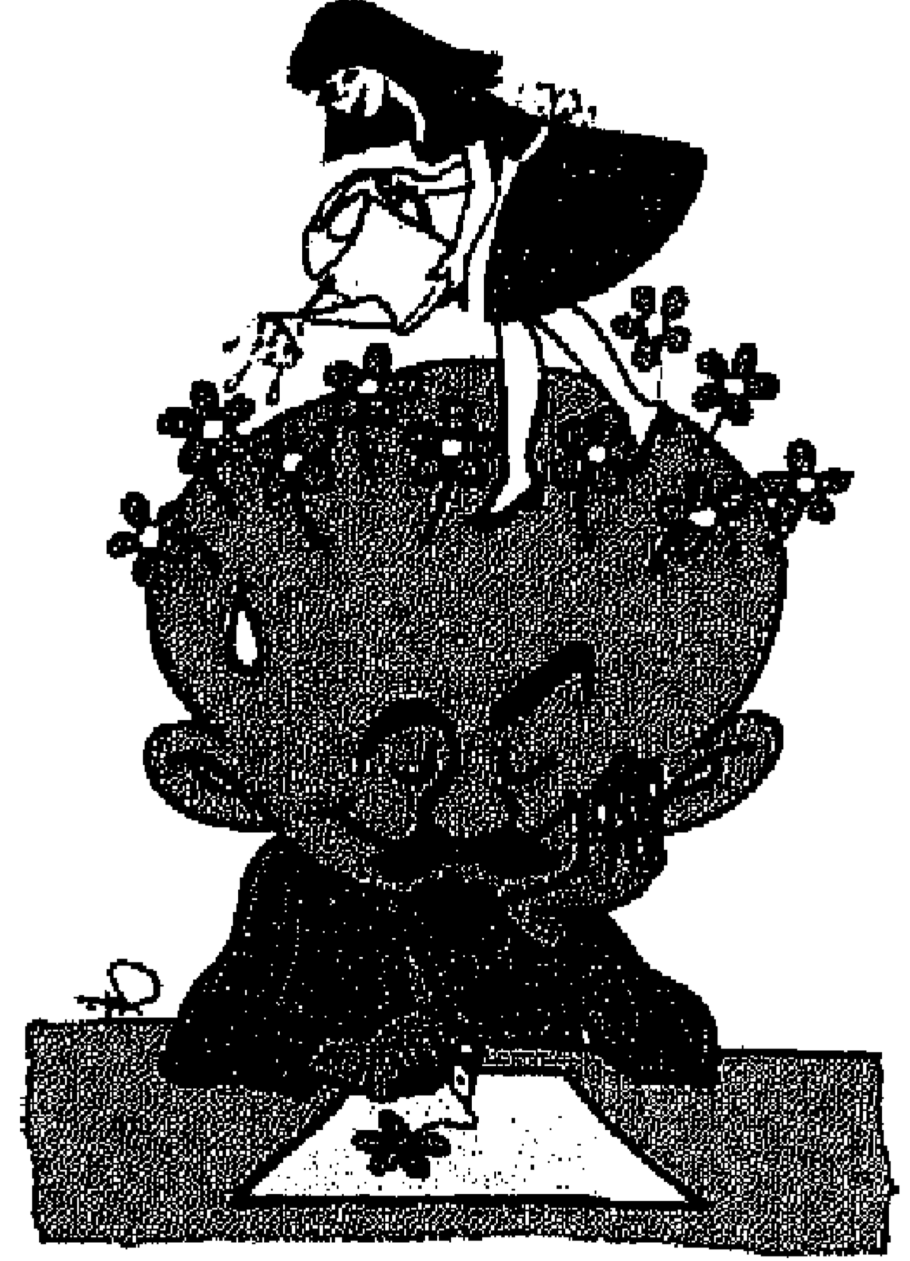
فقاطعته قائلة: "قف! فكفى فراء".

(امريكان فارم اند هوم الماناك)

شاب انيق يقضي عطلته الصيفية على الشاطىء الفرنسي، دخل خطأ غرفة الفندق التي تشغلها سيدة متقدمة في السن، فتلعثم مرتبكا: "عفوا، يا سيدتي، لقد ضللت طريق غرفتي".

فأجابت السيدة: "ليس ذلك بالضرورة هو واقع الحال، ولكنك جئت متأخرا اربعين سنة".

("داي زايت"، هامبورغ)



حديقة افكار

■ رقق كلماتك فيسهل عليك أمرها اذا ما شئت ان تبتلعها في ما بعد.

(فرنكلين ب. جونس)

■ ما الكون سوى فكرة عابرة في خاطر الله، بل فكرة مقلقة ولا سيما اذا ما تأخرت عن دفع قسط بيتك.

(وودي الين)

■ ربما نسيت من اضحكك، لكنك لن تنسى أبدا من أبكاك.

(مثل عربي)

■ طوبى للذين يغرقون في العمل، فلا يكون لديهم متسع للهموم في النهار، وللذين يغرقون في النوم، فلا يكون لديهم متسع لها في الليل.

(ليو أيكمان)

■ ليس الغرض من درجة السلم ان يستريح عليها المرء، بل ان تكون موطئاً لقدمه كيما يخطو صعوداً بالقدم الاخرى.

(توماس هكسلي)

■ كثيراً ما تبدأ الاجتماعات حادة في السابعة والنصف وتنتهي فاترة في العاشرة والنصف.

("اوكلاهوما مايزون")

■ اذا ما تذمرت، مرة ثانية، فتذكر ان النفايات التي تطرحها تفوق ما يتوافر لغذاء ٣٠٪ من سكان العالم.

("اوربانس كوميدي فيللرز")

■ المكاسب المادية كالملذات الجنسية، يظن المرء انها تنطوي على اكثر مما هي تحوي، وان نصيب الآخرين منها اوفر من نصيبه.

(روبرت فيدش)



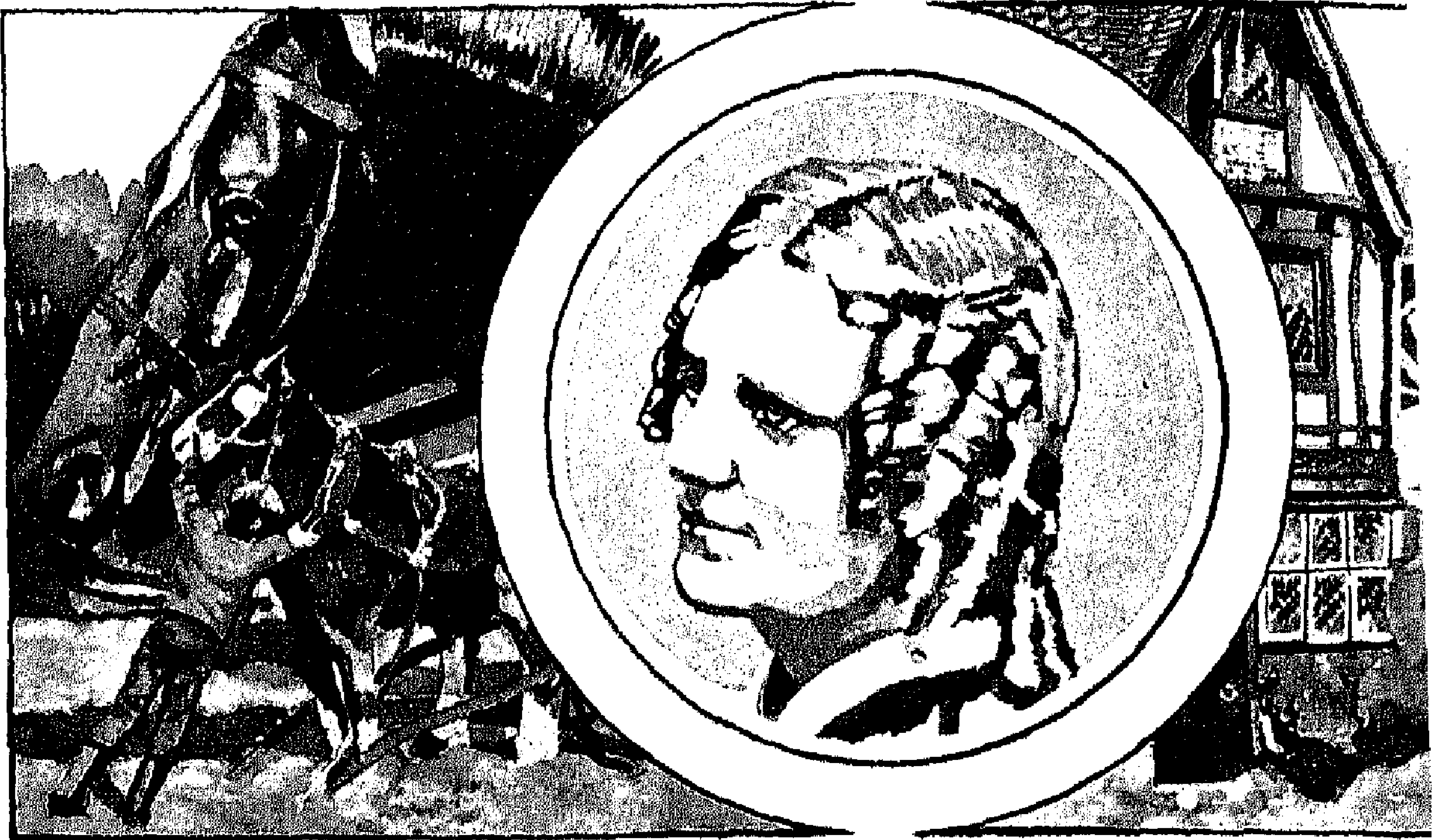
الجمال الأسود

نظرة حنان الى الخيول

روايتها عن الخيول قد تكون اهم لفتة الى هذا الكائن الذي يلقى عادة من الحب والود مقدار ما يلقى من القسوة وسوء المعاملة.

كان وقع حوافر جواد يتردد بعد الظهر في احد شوارع قرية نورفولك صوتا يمكن ان يحطم قلب فارسة أقل شأنا من آنا سيويل. فقد كان هذا الصوت يقول لها - وهي ترقد فوق اريكة في غرفة الجلوس في منزل ابويها - انها لم تعد قادرة على ان تمضي ثانية في نزهاتها التي تحبها في عربتها التي يجرها حصان. لقد اصابها العرج وهي في الخامسة عشرة. وهي الآن، في الحادية والخمسين، ضحية مرض غامض يجعلها تشعر بانها لا يمكنها من الخروج للتنزه. لذلك آثرت ان تقدم جوادها الذي تعشقه ومركبتها الى مدير مدرسة يملكها اخوها فيليب بدلا من ان تغلب انانيتها فتحتفظ بالجواد في وضع خامل من شأنه ان يجرّ عليه الأذى.

ورأت آنا في هذه النهاية لاحدى



مراحل· حياتها فرصة لبدء مرحلة اخرى· وفي حال من عرفان الجميل للخيول التي امتلكتها طوال حياتها وعطف بالغ على كل الخيول التي تعاني صعوبات، قررت ان تكتب رواية تهذيبية· وكما قالت في تواضع بعد ست سنوات: "كنت اخطّ ما تصورت انه سيكون كتيّبا غايته اثارة الشفقة والعطف والتفهم في معاملة الخيول"·

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٧، صدر هذا "الكتاب الصغير" الذي وضع في غرفة الجلوس التي تفوح منها رائحة اوراق الورد في البيت الأبيض في اولد كاتون شمال نوريتش باسم: "الجمال الأسود"· وحقق الكتاب هدف آنا على نحو رائع، حتى قيل انه صنع لخير الخيول أكثر مما صنع اي كتاب آخر· وتحول فوق ذلك، الى واحد من الكتب الكلاسيكية، وصوّر للسينما ثماني مرات على الاقل، واخذت عنه البرامج للتسجيلات والاذاعات، وكان مصدر الهام لمسلسلين تلفزيونيين خلبا المشاهدين، وترجم الى عشرات اللغات، وبيع منه اكثر من ٣٠ مليون نسخة، واصبح واحدا من اكثر الكتب انتشارا في العالم·

غير ان القراء الذين وجهت آنا حديثها اليهم في زمن الخيول الذي عاصرته، حين كان الكثيرون يعاملون الحيوانات بلا مبالاة كما يعامل بعض السائقين اليوم سياراتهم، كانوا هم الحوذية والسياس وصبية الحظائر· ولكي تحقق آنا لروايتها اكبر مقدار من الجاذبية، ابتدعت شخصية بطل جميل بالغ الذكاء سمته "الجمال الأسود"، وهو جواد يزيد طوله على متر ونصف متر ويكسو ظهره شعر اسود ناعم "يلتمع كأنه جناح غراب"، وتزين جبهته نجمة بيضاء جميلة، وله ساق بيضاء·

لغة الخيل - ولكي تضفي آنا الحيوية على روايتها - وهي التي نشئت على اقاصيص لافونتين عن الحيوانات - استخدمت اسلوب لافونتين نفسه، واعطت كتابها عنوانا فرعيا هو: "السيرة الذاتية لجواد"، وقالت انها "ترجمة عن لغة الخيول الاصلية". وهكذا صار في وسع "الجمال الأسود" وأترابه في الحظيرة عرض نظرة الخيول على بني الانسان.

ان "ميريلغز" - وهو جواد رمادي بدين يشبه كثيرا جواد آنا - يزمجر قائلا: "يظن الاولاد ان الحصان اشبه بقاطرة يمكن ان تقطع اي مسافة يريدون وفي السرعة التي تروقهم". اما جينجر، احدى صديقات "الجمال الأسود"، وهي مهرة كستنائية اللون عانت اياما قاسية وأثار موتها دموع اجيال من القراء، فتقول في مرارة عن الناس: "اذا كانوا قساة ومن دون مشاعر، فليس في وسعنا ان نفعل شيئا سوى ان نتحمل، ونتحمل حتى النهاية".

كانت آنا تكتب احيانا بقلم الرصاص على قصاصات من الورق، لكنها أحيانا اخرى لم تكن قادرة الا بشق النفس على استجماع قواها لتملي بضع عبارات على امها ماري. وهكذا وضعت عقدة ٤٩ فصلا قصيرا، عمل "الجمال الأسود" خلالها لدى دائرة واسعة من السادة والسيدات. وهو بدأ حياته العملية مع سكواير غوردن، وهو "فارس طيب للغاية، يهتم كثيرا بجواده". ثم اخذ ينتقل من مالك الى آخر، وينحدر شيئا فشيئاً حتى اصبح يجر عربة في لندن حيث انهار انهياراً مأسوياً وهو يجاهد لجر حمل بالغ الثقل. ثم استرد عافيته وارتاح في النهاية - وهو في الرابعة عشرة - الى العمل لدى ثلاث شقيقات مسنات: "لقد انتهت كل متاعبي، وانا الآن في داري".

وفي سخط بالغ على السائقين الذين يلهبون ظهور خيولهم بالسياط حتى تسقط ميتة بين قوائم العربات، قدمت آنا عمداً في قصتها امثلة عن هذا اللون وغيره من الوان القسوة، وخصوصا عذاب اعنة الحمل التي تبقي رؤوس الخيول منتصبة على نحو غير طبيعي. ويقول "الجمال الأسود" في شكوى واتهام: "قبل هذا لم اكن اعرف ماذا يعني ان يعلو الزبد شدقيك... ان البعض يظن ان هذا مشهد طريف ويقولون: "نعم، هذه الكائنات التي تمتلىء حيوية"... ان عنقي وصدري متوتران وهما يؤلمانني، وفمي ولساني ملتهبان".

ولم تضرب آنا المثل فحسب باستخدام اعنة مريحة لجوادها ومركبتها، بل كانت تثير دهشة الراكبين معها اذ كانت لا تستخدم هذه الأعنة، وانما تحث الجواد بحديثها الرقيق على عادة اتباع طائفة "الكويكرز": "عليك ان تسرع قليلا... انك ستشعر بالأسف اذا تأخرنا".

وكانت مشكلتها الرئيسية، وهي تضع كتابها، ان تكتشف تفاصيل الرعاية السليمة للخيول. وكانت سيدات العصر الفيكتوري يتحاشين الحظائر. فأخذت آنا توجه الاسئلة الدقيقة الى اخيها فيليب في زياراته المنتظمة للبيت الأبيض. وكانت النتيجة ان رواية "الجمال الأسود"

تحوي رصيداً غنياً من المعرفة بالخيول، من تغذيتها وسقيها الى تركيب الحدوات ورعايتها الطبية، بل وأدق الاساليب الفنية لترويضها، حتى صاح ادوارد فوردهام فلاور – وهو فارس معاصر شهير وخبير في الخيل – في دهشة عندما قرأ الكتاب: "لقد وضعه جراح بيطري وحوذي وسائس، وما من خطأ واحد فيه كله. كيف امكن سيدة ان تعرف هذا كله عن الخيول؟".

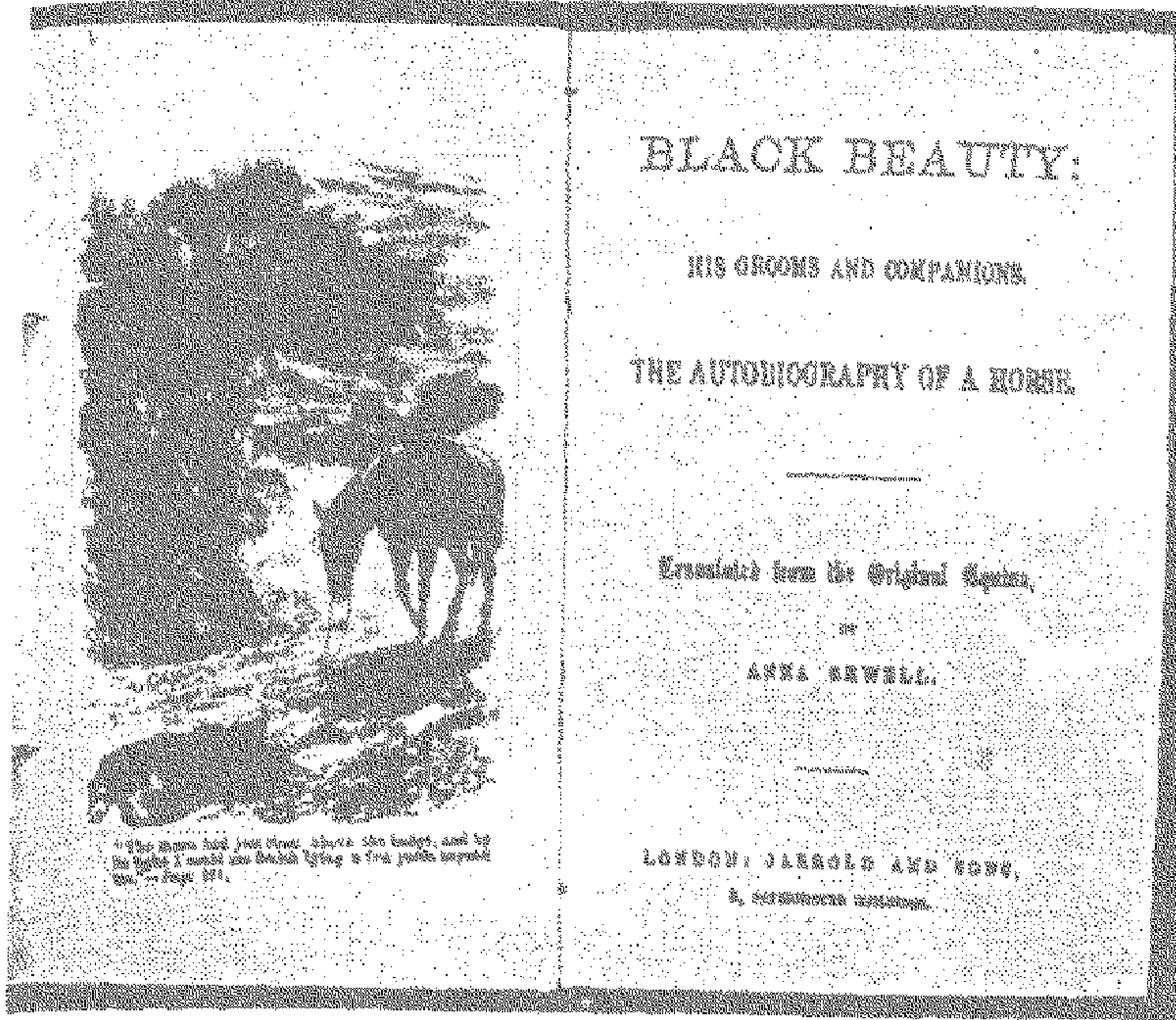
واستندت آنا في كثير من مشاهدها وشخصياتها الى ملاحظاتها طوال حياتها. فبعد وقت قصير من مولدها في بلدة غريت يارموث في ٣٠ مارس (آذار) ١٨٢٠، انتقلت الاسرة الى شارع كاموميل في شرق لندن، وافتتح ابوها اسحق، الذي كان ينتمي الى طائفة "الكويكرز"، محلا يبيع فيه ملابس خاصة بأتباع طائفته. وكانت طفولتها متقشفة صارمة. فكثيرا ما كان آل سيويل يكتفون بالخبز والثريد، واحيانا كانوا يعطون اللحم اسرة مجاورة فقيرة. وصادقت آنا خيل العربات في الجيرة، وهي خيل كانت تنتظر صابرة كيفما كان الجو، وتتحمل اهوال المرور في المدينة، تماما كما كان شأن "الجمال الأسود".

محنة وإبداع – وبعدما افلس محل والدها الأول وتبعه محل آخر في منطقة هاكني، اشترى آل سيويل مزرعة في ستوك نوينغتون، وهناك سقطت آنا والتوى كاحلها وهي تركض عائدة من المدرسة في يوم من عام ١٨٣٥ لتصاب بالعجز مدى الحياة. وارسلت في العطلة الى مزرعة عمها وعمتها جون وآن رايت في نورفولك. والمزرعة، ببستانها وممرها الذي تحف به الاشجار، اشبه ما تكون بموطن "الجمال الأسود" الثاني في بيرتويك بارك. اما سكواير والسيد جوردان، "الخيران، العطوفان على كل امرىء وكل شيء"، فقد استمدت آنا شخصيتيهما من آل رايت.

وانتقلت عائلة سيويل بعد ذلك الى برايتون في مقاطعة ساسيكس حيث اصبح اسحق، الذي لا يستقر على حال، مديرا لاحد المصارف. وانتقل بعد ذلك بعائلته الى لانسينغ وهايواردز هيث وتشيشستر وويك في مقاطعة غلوسترشير وباث.

وفي ويك سحقت احدى العربات سائس الاسرة. وتجد هذه النهاية الأليمة صدى لها في سائس "الجمال الأسود" روبن سميث الذي استسلم لاغراء الكحول (كانت آنا من الدعاة المتحمسين للامتناع عن الخمور)، فأخذ يلهب ظهر "الجمال السود" بسوطه في طريق وعر واحدى حدواته مفكوكة، حتى سقط ولقي حتفه. وفي باث كان ثمة خط للسكك الحديدية وحقل خلف منزل آل سيويل كذاك الذي كان فارمر غراي (وهو شخصية مستمدة من جد آن) يضع فيه "الجمال الأسود" لكي يألف رؤية القطارات.

وادت وفاة زوجة فيليب الفجائية عام ١٨٦٧ – تاركة له سبعة اطفال فضلا عن سبعة ايتام كانا قد تبنياهم – الى ان تنتقل الاسرة آخر انتقال لها الى اولد كاتون على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من منزل فيليب. وعكفت آنا طوال ثلاث سنوات على



غلاف الطبعة الأولى من كتاب "الجمال الأسود" (١٨٧٧)، وهي نادرة اليوم. وقد بيعت احدى نسخ هذه الطبعة بمبلغ ١٣٠ جنيهاً استرلينياً في مزاد علني في لندن قبل ثلاث سنوات، وهي التي لم تكن تساوي في عام صدورها اكثر من شلنين وستة بنسات.

رعاية اطفال فيليب قبل ان تتدهور صحتها. وقالت امها انها اصيبت بعدوى مرض غير معروف. غير اننا - على حد قول سوزان تشيتي التي سردت قصة حياة آنا في كتاب "المرأة التي كتبت الجمال الأسود" - "اذا ما نظرنا بعيون القرن العشرين الاكثر ادراكا، بدت لنا حال آنا اقرب الى كونها عدم رغبة في مواجهة العالم".

وكان فيليب قد تزوج ثانية. اما امها التي حققت مقدارا محدودا من الشهرة عن طريق كتابة الرواية والشعر والاغاني العاطفية، فقد هجرت الكتابة لتشرف على البيت الأبيض. وهكذا لزمت آنا الفراش واصبحت خاضعة لسيطرة امها اكثر من اي وقت. ولم تكن تغادره عادة الا بعد الظهر لكي ترقد على الاريكة.

وحين انتهت من رواية "الجمال الأسود" في مطلع العام ١٨٧٧، حملتها ماري الى "دار جارولدز للنشر" التي كانت تتعامل معها. وعرضت الدار ٢٠ جنيها استرلينيا في مقابل حقوق طبع الكتاب الكاملة. وحثت ماري ابنتها على القبول لانها، ككاتبة غير معروفة، لا يمكن ان تحصل على اكثر من هذا.

تحرير الخيل - في البداية لم يتجاوب القراء مع الرواية. وذكر مندوب دار جارولدز ان مجموع ما بيع من النسخ لم يتجاوز المئة. لكن الحديث ينتشر عن الرواية، واخذت الصورة غير العاطفية للحياة كما تعرضها آنا، من وجهة نظر جواد، تثير سخط الرأي العام وتهز ضميره. وفي العام ١٨٨٣ وقع ٥٠٠ من الاطباء البيطريين عريضة تدين اعنة الحمل الضيقة. وفي ثلاثة اعوام قلّ الى حد كبير عدد المستخدم منها. ووصلت رواية "الجمال الأسود" الى الولايات المتحدة حيث حققت نتائج لم يسبق لها مثيل. ففي العام ١٨٩٢ كان وزع منها مليون نسخة. ورحب جورج ت. انغيل، مؤسس "جمعية ماساتشوسيتس للرفق بالحيوان"،

بهذه الرواية قائلا انها تمثل، بالنسبة الى الخيول، ما تمثله رواية "كوخ العم توم" بالنسبة الى العبيد.

وأدى نجاح الكتاب المذهل في امريكا الى صدور طبعة ثانية في بريطانيا عام ١٨٩٤ حيث سرعان ما اصبح من اكثر الكتب رواجا. وصدرت الطبعة بعبارة تقول: "بتوصية من الجمعية الملكية للرفق بالحيوان". وقد وجدت الجمعية في "الجمال الأسود" سلاحا قويا في حملتها من اجل منع اساءة معاملة الخيول المسنة التي كانت تباع بأثمان رخيصة وتدفع الى العمل حتى الموت، كذلك من اجل الكف عن ضرب خيول عربات النقل والحافلات بالسياط.

لقد كفلت رواية "الجمال الأسود" ظروفا افضل لخيول العربات. لكنها كانت في المقام الأول - باثارتها موجة عطف عارمة على الحيوانات - قوة اساسية وراء صدور قانون حماية الحيوانات عام ١٩١١، وهو القانون الذي يعرف باسم "شريعة الحيوانات" والذي يعد أساساً لأي تشريع لحماية الحيوانات. حتى يومنا.

وبانقضاء فترة حماية حقوق الطبع عام ١٩٢٧، اصدر معظم كبار الناشرين البريطانيين رواية "الجمال الأسود". وما زالت طبعات جديدة منها تصدر كل عام تقريبا. لكن ما بيع من الرواية، حين تدهورت صحة آنا وتوفيت في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٨٧٨، لم يتجاوز بضعة آلاف. ولم تحقق آنا من جهدها الادبي الوحيد اكثر من عشرين جنيها استرلينيا.

وكانت امها - التي عاشت ست سنوات بعدها - اول من واصل حملتها ضد القسوة. ففي يوم جنازة آنا كانت عربة نقل الموتى تقف امام البيت الابيض لتحمل جثمانها الى مدفن طائفة الكويكرز في قرية لاماس المجاورة. وكان المعزون يحتشدون في غرفة الجلوس، حيث كتبت آنا رواية "الجمال الأسود"، حين نظرت ماري من النافذة وشهقت قائلة: "كلا! هذا امر لا يجوز".

وهرعت الى الخارج لتتحدث الى منظم الجنازة، فيما مضى واحد من رجاله لينزع اعنة الحمل عن الخيول.

■ مايك تومكيز

اجوبة احجية الطوابع البريدية

١ - يتصاعد الدخان من اليسار الى اليمين، بينما يلوح العلم من اليمين الى اليسار.
٢ - يتطلع كولومبس الى اليابسة عام ١٤٩٢ بالتلسكوب الذي لم يخترع الا في القرن السابع عشر.
٣ - يتبين من الاشرعة ان المركب يبحر بسرعته القصوى بينما ليس فيه ملاح واحد.
٤ - يبدو روبرت شومان، في الاصدار الاول، ووراءه موسيقى من تأليف فرانز شوبرت.
٥ - في الاصدار الثاني صحح عنوان الكتاب.
٦ - في الاصدار الاول كان الخطأ في كلمة "انا" التي جمعت في الاصدار الثاني واصبحت "أنّاس".
٧ - يبدو فرنكلين د. روزفلت بستة اصابع في يده اليسرى.
٨ - طائرة تقليدية تحلق من دون مروحة، خطأ في كتابة (السعودية) بالفرنسية.

الثوم رائع وكثير المنافع

أهو تعويذة للحظ؟ ام علاج منزلي؟ ام اكسير للحب؟ نعم: ان هذه البصيلة السحرية ذات الرائحة الغريبة النفاذة هي كل ذلك معا. اما في المطبخ... آه! فهناك موطن سلطانها الحقيقي.

هل هناك من يدري كيف استولى الثوم بسلطانه الفريد على قابلية البشر؟ فلقد كان لخمسة وعشرين قرنا مضى يسمونه "الوردة العفنة" ومن قبلهم وبعدهم آخرون كثيرون يطلقون عليه مجموعة من الاسماء المختلفة تراوح بين "كافور الفقراء"، و"سم الساحرة"، و"دبس الفقير"، و"قوت العاشق"، وغير ذلك... وايا يكن الاسم الذي يعاود الذهن، فانه يشف دائما عن اعتقاد راسخ في قوى الثوم وطاقاته المذهلة.



ويعود عهد اول حادث مسجل لادمان الثوم الى ٤٥٠٠ سنة، عندما امر عاهل بابلي بتوريد ١٣٩٤٠٠٠٠ ليتر تقريبا من هذا النبات لمائدته، ومنذ ذلك الحين درج الناس على استخدام الثوم في شتى الاغراض: فالى تطعيم غذائهم به تحسينا لنكهته اخذوا يدعكون به اجسامهم واجسام اطفالهم الرضع، ويدفنونه الى جوار موتاهم، ويتقلدون جدائل منه حول اعناقهم او يضعونه في احذيتهم، ويعلقونه على جدران البيوت... بل ويتضرعون

اليه احيانا تضرعهم لما يُعبد.

وقد خلف قدماء المصريين في قبورهم العادية، نماذج للثوم مصنوعة من الطين المدهون باللون الابيض، ووضعوا ست بصيلات حقيقية منه في القبر الذهبي للفرعون توت عنخ آمون، وكانوا مقتنعين بان الثوم - الى مزاياه الطبخية - يحوي سر القوة البدنية: فقد انفق الملك خوفو ٤١٦٠٠ كيلوغرام من الفضة على الثوم الذي اشتراه لتغذية عماله المشتغلين في بناء الهرم الاكبر، والذين يقال انهم اضربوا عن العمل عندما شحت الكميات المتوافرة منه.

واما من الناحية النباتية، فليس للثوم خصائص مميزة فريدة: فهو، اذا ما غرس فص واحد منه في مكان مشمس وتوافر له الماء الكافي، يتم انباته على نحو اكيد من الناحية العملية في اي مناخ معتدل. كما انه لا يتسم باي مظهر جمالي خاص، بل ينمو كضرب من الكرنب في كرات صغيرة على ساق كثيرة العقد متعرجة السطح، تتألف من ٦ بصلات الى ١٣ بصيلة بيضاء متراكبة ومتلاصقة وكأنها لوزات معوجة تكسوها قشرة ورقية.

للرياضيين والجنود والعمال - الا انه منذ اللحظة التي تنشق فيها الانسان اول شمة من هذا النبات او لاك اول قضمة من هذه السوسنة الشاذة (والثوم في حقيقة الامر ينتمي الى فصيلة السوسن)، افترض ان هذا النبات الحريف اللاذع الكبريتي المرير لا بد وان يكون شيئا مميزا غير عادي. فالى الاستعانة به على بناء الاهرامات، كان الثوم يضاف بسخاء الى طعام الرياضيين الاغريق ليزيد من قدرتهم على الاحتمال، والى طعام الجنود الرومان ليمدهم بالقوة في اثناء المعارك، والى طعام عمال المزارع السوريين - في الماضي والحاضر - في اوقات الحصاد. وحين ولد هنري الرابع ملك فرنسا، ابتهج جده - في ما يقال - عندما شاهد الرضيع "يتمصص شفتيه الصغيرتين" لدى احتكاكهما بفص من الثوم، وقد رأى جده في ذلك "علامة على الحيوية الباكرة". وقد لقي الثوم رواجا كبيرا على مدى التاريخ باعتباره منشطا لا مثيل له للقوى الجنسية. اما كيف تبقى الشهوة حية مشتعلة بعد ان تهب عليها انفاس العاشق الفائحة بالثوم، فهو سؤال لا يزال الجواب عنه متعذرا، اذ يكفي المرء ان يبتلع جزءين اثنين من مئة الف جزء من الغرام من زيت الثوم لكي تفوح انفاسه بعطره الرهيب.

ويقال ان رائحة الثوم وحدها كفيلة بان تصنع الاعاجيب لصحتنا. والواقع انه ليس هناك اي نبات آخر قد حافظ مثل الثوم، طوال هذه الفترة الطويلة، على سمعته كدواء للامراض البشرية المختلفة. وقد سجل العلامة الروماني الكبير بليني ٦١ علاجا من الثوم لشتى الاوجاع البدنية، منها: لدغة الثعبان والبواسير والقرحات المختلفة والربو والتقلصات والحصبة والبرد والزكام العادي. كذلك الاطباء الهنود فقد اوصوا في القرن الخامس باستعمال الثوم لتحسين الصوت والقوى العقلية، كما اوصى به الاطباء الفرس في العصور الوسطى للمحافظة على دورة الدم وتنشيطها، ووصفه الاطباء الصينيون كعقار مسكن. وكلما ظهرت حوادث الكوليرا وحيثما نشبت، خلد

الثوم في العالم العربي

مصر هي اكبر منتج عربي للثوم، وهي المنتج الثاني في العالم، اذ تأتي بعد اسبانيا. ومن اصل ١٠٠٠٠ هكتار زرعت ثوما في العالم العربي عام ١٩٧٧، كان لمصر نصف هذه المساحة. وبلغ انتاجها في ذلك العام ١٥٠٠٠٠ طن. وهو يفوق نسبيا انتاج اسبانيا في العام نفسه، الذي بلغ ١٩٩٠٠٠ طن في ٣٧٠٠٠ هكتار.

وتأتي سورية بعد مصر في انتاج الثوم في العالم العربي. وهي شهدت زيادة في الانتاج بين ١٩٧٠ و١٩٧٧ من ٤٠٠٠ طن الى ١٥٠٠٠ طن سنويا، فيما تضاعفت مساحة الارض المزروعة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ هكتار.

وبعد سورية تأتي تونس فلبنان. لكن المحصول السنوي بقي ثابتا في هذين البلدين بين ١٩٧٥ و١٩٧٧، اذ بلغ في تونس ٤٠٠٠ طن وفي لبنان ٢٠٠٠ طن سنويا. اما البلدان العربية الاخرى فليس فيها زراعة ثوم تذكر.

والعرب يعرفون منافع الثوم الذي يكون عنصرا رئيسيا في مآكلهم. وفي مصر معامل لاستخراج زيت الثوم، وهو يستعمل لتحسين مذاق الاطعمة المحفوظة. الى ذلك، يستعمل العرب الثوم ومشتقاته كعلاج لبعض الامراض مثل ارتفاع ضغط الدم والديدان المعوية وتشنج الامعاء والالتهابات الخارجية. وهو يستعمل ايضا كطعام للحيوانات.

الناس (كما وقع حديثا في نابولي في ايطاليا عام ١٩٧٣)، الى استخدام فصوص الثوم لتنقذهم من هذا البلاء. وما زال الملايين مقتنعين بان الكلمة الاخيرة في هذا الموضوع هي تلك التي قالها في القرن السابع عشر الاختصاصي في الاعشاب نيكولاس كالبيبر الذي اعيد اخيرا طبع الدليل الذي كتبه والذي جاء فيه: "ان الثوم هو دواء لمعالجة كل الامراض".

للسكري والكوليسترول – وقد يبتسم الاطباء سخرا في أيامنا هذه لدى ذكر افضال الثوم العلاجية. لكنهم لا يجهلون ان فص الثوم المسحوق يعتبر في الحقيقة بمثابة مطهر قوي فعال، بشهادة الاطباء العسكريين الذين جعلتهم تجاربهم الاضطرارية في ميادين القتال ابان الحربين العالميتين يحلفون بافضال عصير الثوم في الوقاية من التسمم والاكال (الغنغرينا) الناتجين عن التلوث. وقد ثبتت صحة دعواهم هذه في عام ١٩٥٤ حين اكتشف احد العلماء الروس ان عصير الثوم كفيل بابادة شتى انواع الجراثيم في مستنبتها خلال ثلاث دقائق. وبعد ذلك، نشرت المجلة الطبية البريطانية الموثوقة "لانسيت" عام ١٩٧٣، دراستين اثبتتا ان في استطاعة عصير الثوم ان يخفض نسبة السكر في دم المصابين بهذا الداء، وان يخفض ايضا نسبة الكوليسترول بدرجة ملحوظة.

ولئن كان الثوم يقصر عن منافسة الادوية التقليدية (فمعدل ابادته للجراثيم لا يزيد على واحد في المئة من فعالية البنسلين)، الا انه مليء بالوعود الطيبة في ما يختص بابادة الحشرات والنباتات المؤذية.

وقد نجح عالم الحشرات الهندي شانكار امونكار في انتاج زيت الثوم الاصطناعي واستخدامه بفعالية في ابادة ديدان خمسة انواع من البعوض، من بينها الانواع الناقلة للمرض الفيلي والحمى المخية، والحمى الصفراء والملاريا. كما اثبت هذا الزيت الثومي ايضا انه يتميز بمعدل فعاليته المرتفعة في ابادة اصناف اخرى من الحشرات، كحشرة المنة التي تمتص عصارات النبات، وذبابة المنازل واليسروع حفار الكرنب والملفوف.

غير ان معظمنا - في طبيعة الحال - لا يتلمس السحر الحقيقي للثوم الا في المطبخ. ويقول مؤلف كتاب الطهي الشهير مارسيل بولستان: "ليس من المبالغة في شيء ان نقول ان السلام والهناء يبدآن - جغرافيا - حيث يستخدم الثوم في الطهي". ولربما نسب التحيز الى بولستان لانه فرنسي، لكن الثوم قد استمر أمداً طويلا عنصرا لا غنى عنه في الطهي - ليس في جنوب فرنسا فحسب، وانما ايضا في ايطاليا واسبانيا واليونان - بل وفي الواقع في كل مكان حول البحر المتوسط، فضلا عن جنوب آسيا باكمله حتى الصين واليابان. اما البلاد التي نبذت الثوم فهي خصوصا البلاد الشمالية والبلاد الغربية الباردة المناخ، والتي قد تكون في طبيعتها اقل ميلا الى السلام والهناء. الا ان هذه البلاد ايضا قد بدأت تتعلم.

وليست هناك اليوم ربة منزل واحدة تدعي القدرة على الطهي وتقبل ان تخلو جعبتها من الثوم. وقد زاد استهلاك الثوم في الولايات المتحدة الامريكية بنسبة مئة في المئة على مدى السنين العشر الاخيرة، وقد نشأت صناعته الزراعية وراجت كي تشبع الطلب المتزايد عليه، فامتلأت رفوف المخازن الكبرى للاغذية بالثوم المجفف.

غير ان عشاق الثوم الاصيليين المخلصين لا يعدلون شيئا بفصوصه الطبيعية. ومن اسعد ذكريات اسرتي عدد من الوقائع التي يلعب فيها الثوم دورا بارزا: نزهة خلوية على ساحل امالفي في ايطاليا اكلت فيها قطعة من الخبز المحمص مدهونة بالثوم ومحشوة بالطماطم (البندورة) الطازجة المشبعة بزيت الزيتون، كما يعاودني ذكر غداء حافل في مزرعتنا في توسكانيا قوامه عجة مطبوخة مع شرائح رقيقة من الثوم الطازج، ولحظة لا يمكن وصفها حين عثرنا على نبات فطر (عيش الغراب) عملاق في الغابة وهرعنا به الى المقلاة لنقليه قليا خفيفا بعد دهنه بغشاء رقيق من الدقيق (الطحين) المخلوط بفص او اثنين من الثوم.

كانت تلك اطباقا بسيطة مما يأكله الفلاحون وقلما تتسرب اسرارها الى كتب الطهي. غير انه لا يكاد شخص واحد ممن خبروا مذاق الاطباق الايطالية الشهية، لا ينتهي به المطاف في اغلب الاحيان الى هواية الثوم متيما به من دون تحفظ ولا ندم. لكن افضل الاطعمة الايطالية لا تستخدم الثوم بكثرة على نقيض الانطباع السائد. فكثيرا ما تقتصر ربة الاسرة على وضع فص واحد فقط في طبق المعكرونة اليومي، وهو المقدار الذي تضعه ايضا في طبق لحم الغنم الشهي او في طبق لحم العجل المشوي.

كذلك الفرنسيون فهم اقل سخاء ايضا في استخدام الثوم مما يعتقده البعض. وقد لا يتعدى الامر لديهم مجرد ايحاء بالنكهة في بدائع انواع السلاطات والصلصات الفرنسية. بيد ان الفرنسيين جديرون ولا شك بالجائزة الاولى على اطباق معينة في طبخهم تحتوي على اعلى نسبة من الثوم، من بينها حساء الثوم الفرنسي الكلاسيكي ومايونيز الثوم المسمى "ايولي" الذي ذاع صيته فاجتذب الناس من اطراف الارض ليتذوقوا "البويابيس"(حساء السمك) المرسيلية مع حفنة من "الايولي"، وطبق من الدجاج المقلي المثقل بعشرة فصوص من الثوم.

وهناك الآن حقيقة كفيلة بان تطمئن من التحقوا حديثا بهواية الثوم ولكنهم لا يزالون يتراجعون عنه خشية تعلقه بانفاسهم بعد الطعام. غير ان انفاسك، ايها المتذوق، لا تشي بك ابدا اذا انت اكلت الثوم مطبوخا، وان في طبق الدجاج ذي العشرة الفصوص. ولكنك اذا ما سحقت الثوم نيئا، كما يحدث مثلا حين تمسح به وعاء خشبيا تعد فيه السلطة، فهنالك تنشأ المركبات التي تفوح منها تلك الرائحة الحادة الغلابة. ولاولئك الذين غلبهم الادمان فلم يعودوا قادرين على مقاومة اغراء تلك السلاطات، هناك امل جديد يشرق من اليابان، حيث نجح اخيرا احد المزارعين ممن يعملون في انتاج الرز في ايجاد فصيلة من الثوم عديمة الرائحة. ومن يدري، فقد يحمل هذا الاكتشاف تلك البصيلة السحرية الى ذروة الانتصار النهائي في تاريخها.

■ كلير ستيرلينغ



ذاعت شهرة الجامعة المجاورة لدار الشباب التي نقيم فيها، بسبب سهولة تسرب اسئلة الامتحانات.

وفي اثناء حفلتنا السنوية، قدمت القهوة الى القيّم على هذه الدار بكوب من الورق كانت القهوة تتسرب منه، فقال على الفور مداعبا: "هذا الوضع ينطبق تماما عليكم، ايها الشبان، فلعلكم قد استخدمتم اوراق اسئلة الامتحانات لصنع هذه الفناجين التي ترشح". (ب.ك.)

أجود صابون في العالم

تعذر على احد اصدقائي من الخريجين الجامعيين ان يجد عملا له، فراح ينتقل من بيت الى آخر ليبيع مسحوق الصابون لغسل الثياب. وانتهى به الأمر الى دار للشابات، فشئن ممازحته وطلبن اليه ان يتولى غسل ثيابهن التحتية كبرهان عملي على جودة المسحوق.

وامتثل صديقي لمشيئتهن، فكان ردّ الشابات ضحكة جماعية ساخرة.

وهنا قال صديقي مستدركا: "لدي الآن مسحوق آخر يقتضي بالطبع اجراء تجربة عملية مماثلة، وهو مسحوق الصابون الخاص بالحمام!". ش.ك.ش.

أغرب من الخيال

هناك مجموعة من الحقائق المستغربة تؤكد المثل السائر بأن الحقيقة قد تكون أغرب من الخيال٠

غرائب فيزيائيــة وفضولـيــة : اذا سقطت حبة من العنب في كأس من الشمبانيا البـاردة، اخـذت تتحـرك صعوداً وهبوطاً باستمرار٠ عندما تدار البيضة المسلوقة في شكل لولبي فانها تقف على احد رأسيها، واما البيضة النيئة او "النيمرشت" فلا تقف كذلك٠ ان كرة الفولاذ تثب الى علو يفوق وثوب كرة المطاط٠ يفرقع السوط لان طرفه المستدق يتحرك بسرعة تفوق سرعة الصوت٠ يصعق البرق الارض مئة مرة في الثانية٠

ملذات الطعام: يستلزم أكل قطعة من الكرفس كمية من الحريرات تفوق ما تحويه قطعة الكرفس قبل البداية بأكلها٠ من الناحية الغذائية، يتضمن سمك الرنكة قيمة وقودية تفوق القيمة الموجودة في شريحة من لحم الخاصرة (الستيك)٠ يبلغ وزن ما يتناوله الفرد العادي من الطعام والشراب في العام الواحد قرابة طن٠

غرائب جسديــة : ينتقـل العطـاس بسرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة٠ تبلغ حساسية العين البشرية درجة يتمكن معها شخص واقف على قمة جبل في ليلة صافية غير مقمرة من رؤية عود ثقاب يشتعل على مسافة ٨٠ كيلومترا٠ الاظـافر اسرع نموا على اليد التي تحظى بأفضليتنا٠ يستنشق الفرد سبعة ليترات ونصف ليتر من الهواء في الدقيقة٠ تستلزم الابتسامة تحريك ١٧ عضلة ويستلزم العبوس تحريك ٤٣ عضلة٠ في غضون ٧٢ سنة مـن العمـر ينبـض القلـب البشـري الطبيعي اكثر من ثلاثة مليارات مرة٠

نبذات فنيــة : كـان الفنـان بيـار اوغست رينوار في اواخر حياته مصابا بالتهاب المفاصل الى حد انه كان يربط الفرشاة بيده كي يتمكن من الرسم٠ يتضح من تماثيل الفرسان - تقليديا - ان الفارس قد قضى نحبه طبيعيا، عندما تكون حوافر الحصان جميعها على الأرض، وأما اذا بقي حافران في الهواء فيستدل من ذلك على ان الفـارس قد استشهد في ساحة الوغى٠ واذا بقي حافر واحد في الهواء، فمعنى هذا ان الفارس قد مات خلال المعركة متأثراً بجروحه٠

لمحة عن الحظ : هناك ما لا يقل عن ١٧٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ طريقة لنقل الحجار العشرة الاولى في مباراة الشطرنج. ان مجموع النقاط على الوجهين المتقابلين من مكعب النرد هو دائما ٧.

أنثى العنكبوت وبقية الحشرات : ان انثى العنكبوت الارملة السوداء تلتهم ذكرها بعد الجماع (وفي وسعها ان تقتل ٢٥ طالب جماع في اليوم الواحد). تقدر النملة ان ترفع ثقلا يعادل ٥٠ ضعف وزنها. يستطيع البعوض ان يعيش في المناخ البارد، فقد وجدت اجناس منه على مقربة من القطب الشمالي. قد تعمر ملكة النمل الأبيض قرابة خمسين عاما. يشتمل اليسروع على زهاء ٢٠٠٠ عضلة.

لعبة الالفاظ : ان لفظة "غوغول" تدل على الرقم ١ متبوعا بمئة صفر. محمد اكثر الاسماء شيوعا في العالم. ان لفظة بقشيش ("تيب" بالانكليزية) مركبة اصلا من اوائل حروف الكلمات الثلاث الآتية: لكي يتأمن الاسراع *(To Insure Promptness)*.

علامات طبيعية : في وسع الخلد ان يحفر نفقاً طوله ٩٠ متراً في غضون ليلة واحدة. تستشم الافاعي الروائح بالسنتها التي تلتقطها من الارض او من الهواء. اسرع الاسماك في البحر هي ذات الشراع (سيلفيش) على الارجح التي تبلغ سرعتها القصوى ١٠٩ كيلومترات في الساعة. تكسو جسم القنفذ (الشيهم) قرابة ١٦ الف شوكة. الخفاش هو الحيوان الثديي الوحيد الذي يقوى على الطيران. يستطيع الحصان ان ينام واقفا. لا تشرب الخراف من الماء الجاري، وقد جاء في المزمور الثالث والعشرين "هو يقودني الى ضفاف المياه الساكنة".

رياضيات : تقول النظرية الحديثة للنسبية العامة ان المنحنى هو أقصر مسافة ما بين نقطتين، وانه من الممكن لخطين متوازيين ان يلتقيا، وان الفراغ محدود وغير محدود في آن. اذا ذاب مكعب جليدي في كأس من الماء فانه لا يرفع منسوب الماء، اذ ان الحجم الذي يزيحه المكعب يعادل الحجم الذي يشغله في حالة السائلة. اذ بدأ امرؤ العد منذ لحظة ولادته واستمر كذلك حتى بلوغه السن الخامسة والستين، فانه لن يصل في عده الى البليون (مليون مليون). اقوى مجموعة لونية في اثرها البصري هي التي تجمع بين الاسود والأصفر.

عوامل البرد : لم يعثر احد اطلاقا على كسفتين ثلجيتين متماثلتين في تركيبهما البلوري.

■ **ديفيد لويس**



بين الضحكة والقبلة

كتبت مارسيل كابرون في "الفيغارو":

هناك مشهد لا يتصوره العقل في باريس: عندما يتيح سائقو السيارات لانفسهم متعة الضحكة، فقد يستغرق ذلك بعض الوقت. وعندما يتيح العاشقون المشاة لانفسهم ان يتوقفوا لتبادل القبل وسط الطريق فذلك يشل حركة المرور.

مَن هُم السُّعَداء في الحَياة؟

معظم الناس يعلمون في اوقات التعاسة انهم تعساء، وكثيرا ما يدركون ايضا انهم يعيشون لحظات من السعادة العابرة. اما السؤال الآن فهو: "من هم السعداء في الحياة؟" وليس من السهل الجواب عن هذا السؤال. فربما كان الاختبار الآتي الذي وضع على اساس الميزات المشتركة بين السعداء، مفيداً في تقدير درجة السعادة التي ننعم بها.

حاول، اذا، ان تختار لكل سؤال اقرب الاجابات الى التعبير عن شعورك او حالتك. (ولا تحاول ان تختار من الاجابات ما يبدو لك اقرب الى السعادة، فمثل هذه الاجابات لا تنطوي بالضرورة على ما تدل عليه). اما اذا بدا لك ان ايا من الاجابات ليست هي الصحيحة، فيمكنك ان تتحقق من صحة اجابتين فقط، وليس اكثر من ذلك.

١ - أي الوظائف تختار من بين الوظائف الآتية؟

أ - مهمة صعبة فيها امتحان لقدراتك، حتى انك اذا وفقت فيها حصلت على ترقية الى وظيفة ادارية كبرى.

ب - وظيفة يمكنك ان تبرز فيها لأنها مناسبة تماما لقدراتك ومواهبك.

ج - وظيفة متواضعة تقتضي منك العمل مع شخصية مهمة في مركز رفيع.

٢ - هل تحب اسداء المعروف؟

أ - نعم، قلما أرفض اذا سئلت.

ب - نعم، اذا كان ذلك في متناولي وفيه مساعدة حقيقية لشخص ما.

ج - كلا، لا احب ذلك. ولكن اسدي الجميل اذا شعرت بأنني مدين به للشخص المعني، او اذا كان هناك سبب ملزم.

٣ - اي من الاوصاف الآتية يطابق طريقتك العادية في النوم؟

أ - النوم العميق، مع بعض الازعاج للاغراق في النوم.

ب - النوم الخفيف، مع سهولة التيقظ.

ج - النوم السليم، مع بعض الصعوبة للاغراق في النوم.

٤ - هل تشعر احيانا بانك في حاجة الى ان تكون منفردا بنفسك؟

أ - بكل تأكيد. فان اهنأ اوقاتي وانسبها للابداع هو عندما اكون في مفردي.

ب - كلا، فأنا احب ان أجالس الآخرين.

ج - كلا، فاني اتحمل الوحدة عندما اكون في مفردي، لكنني لا اشعر بحاجتي اليها.

٥ - ما هو مدى اهتمامك بالمحافظة على الترتيب والنظافة حولك؟

أ - ذلك امر شديد الاهمية. في امكاني ان اتحمل الاهمال من الآخرين، ولكن لا اسمح به لنفسي.

ب - ذلك امر مهم، ولكم اود ان اكون اكثر نظافة وترتيبا.

ج - ذلك امر له اهمية، وانا اميل الى الترتيب، ولست احب القذارة او الفوضى.

د - لا أهمية لذلك. افضل ان اكون في بيت ينقصه الترتيب ويأخذ سكانه الامور مأخذا سهلا، على ان اكون في بيت منظّم يتصف سكانه بالتزمت والصرامة.

٦ - من هو الشخص الذي يستبعد ان ترغب في صداقته؟

أ - المدعي والمتنفج (سنوب) المقلد لمن يعتبرهم ارقى منه.

ب - المتنمر على من هم اضعف منه ولا يقوون على ردّ عدوانه.

ج - الرجل الفج، الفظ، غير المهذب.

٧ - كم مرة في الاشهر الستة الماضية تغيبت عن العمل بسبب المرض؟

أ - لم يحدث ذلك على الاطلاق.

ب - مرة واحدة.

ج - مرتين أو اكثر.

٨ - اذا طرأ حادث مؤسف لشخص عزيز عليك كأن يتوفى صديق له تربطه به علاقة حميمة، فماذا يكون موقفك؟

أ - احاول ان اواسيه وابدد حزنه.

ب - اشاطره الاسى، فاتألم معه حينما يتألم.

ج - ابدي له اسفي لمصابه، لكنني استمر في معاملتي له كما ألفت في الاحوال العادية.

٩ - الى اي حد انت حريص على دقة المواعيد؟

أ - انني حريص على ذلك الى اقصى حد، لأن لي حاسة دقيقة بالوقت.

ب - اخالف المواعيد الى حد بعيد. وحتى اذا قصدت مكان الموعد المضروب في وقت مبكر، فانني لا اصل ابدا في الموعد المحدد.

ج - يختلف الأمر من حال الى اخرى. فانا احافظ على المواعيد في بعض الأمور، واتأخر عنها في امور اخرى.

د - انني احافظ عادة على المواعيد، فاصل الى المكان المعين في الوقت المحدد.

١٠ - الى اي مدى يستمر جفاؤك للشخص الذي اساء اليك؟

أ - لفترة طويلة، فلست اغفر الاساءة على الاطلاق.

ب - لست ممن يحنقون لان الحنق ليس سوى وليد عقل مضطرب.

ج - لا لفترة طويلة. لكنني عرضة للزعل، وانما يندر ان احتفظ بضغينة.

د - لا يطول غضبي لكنني اقرر عادة ان اتجنب الشخص المعني واقاطعه.

١١ - افترض انك ورثت بضعة ملايين من النقود، فماذا يكون شعورك حينئذ؟

أ - شعور بالبهجة الكاملة.

ب - اتوقع المشكلات، وان كنت

أتقبل المال الذي آل الي".

ج - يتملكني القلق حيال التصرف بمثل هذا المبلغ الضخم، بسبب اضطراري الى مواجهة حياة جديدة تماما.

١٢ - ما هي الصفة التي تروقك ان تجدها في شريك العمر؟

أ - جمال الطلعة.

ب - الغنى.

ج - الذكاء.

د - الانسجام.

هـ - العشق الرائع.

و - التفاهم.

١٣ - ما هو اقرب الاوصاف الآتية الى مفهومك للحياة الاجتماعية؟

أ - اميل الى اصطفاء مجموعة قليلة من الاصدقاء.

ب - اتميز بالنشاط الاجتماعي الواسع النطاق ولي معارف بالمئات.

ج - لي اصدقاء كثيرون، لكنني لا اواظب على الاتصال بهم، فاقتصر عادة على معاشرة من يأتي الي منهم ايا كان.

١٤ - على اي جملة من الجمل الآتية توافق؟

أ - يمر الوقت بسرعة، وكأنه يمر في طرفة عين.

ب - يمضي الوقت ببطء شديد.

ج - الايام طويلة، لكن الاسابيع والأشهر سريعة المرور.

د - يبدو ان الايام تمر بسرعة، لكن الاسابيع والاشهر تتباطأ.

١٥ - ما رأيك في وضعك الحالي من حيث الصفات الشخصية والاصدقاء والاسرة والعمل وآفاق المستقبل؟

أ - وضع رائع، والمستقبل مشرق.

ب - وضع جيد. قد لا اكون في وضع رائع لكنه لا بأس به، وهو يتحسن باطراد.

ج - رأيي حول وضعي يختلف من وقت الى آخر. فاحيانا ارتاح الى نفسي واحيانا اخرى لا ارتاح.

راجع اجاباتك على اساس القائمة الآتية، وامنح نفسك نقطة على كل اجابة صحيحة.

١ - ب	٤ - ج	٧ - ا أو ب	١٠ - ج	١٣ - ج
٢ - ب	٥ - ج	٨ - ج	١١ - ا	١٤ - د
٣ - ا	٦ - ب	٩ - د	١٢ - د	١٥ - ب

اجابات "المختار"
عن اختبار "من هم السعداء في الحياة؟"

اذا حصلت على نقطتين او اقل فان معنى هذا، لسوء الحظ، ان حياتك تخلو من السعادة. اما اذا حصلت على اربع نقاط فيعتبر ذلك مجموعا جيدا، كما تعتبر النقاط الست مجموعا جيدا جدا. واذا كان المجموع سبع نقاط او اكثر، فمعنى ذلك انك انسان سعيد. وفي ما يأتي وصف لكل حالة، مع عدد الاسئلة التي تتضح درجة سعادتك من "صحة" الاجوبة عنها:

من هم السعداء في الحياة؟

الشخص السعيد هو الذي يأتي من الأعمال بما هو نافع ومثمر، ويستغل قدراته على نحو كامل (١)، وهو الذي يسعده ان يساعد الآخرين، لكنه لا يضحي بمصلحته (٢)٠ وقد وجد الباحثون ان الشخص السعيد لا يصعب عليه ان ينام (٣)، وهو يميل الى الاكتفاء الذاتي، ويمكنه ان ينعم بالانفراد كذلك بصحبة الآخرين، لكن حاجته الى ايهما ليست حاجة مطلقة (١٣،٤)٠ وهو عادة شخص يحب الترتيب وحريص على المواعيد (٩،٥)٠

والشخص السعيد يغفر للناس هفواتهم، لكنه يكره القسوة والنزوع الى التدمير (٦) ٠ وهو سليم الصحة (٧) ولا يبالي بالرخاء المادي (١١)، ويأبى ان يشارك الآخرين في انفعالاتهم السلبية (٨) او ان يظل اسير انفعالاته (١٠)٠ فاذا اراد ان يختار شريكة العمر اختار شخصية تناسبه بدلا من ان يختار شخصية تتحلى بالمعاني الرومنطيقية وسمات الحسن الخلابة (١٢)٠ وهو كشأن الاشخاص النشطين المنكبين على اعمالهم، يشعر بان الايام تمر بسرعة وان تبدى له ان الوقت في وحداته الكبرى - من اسابيع وأشهر واعوام - يطول بلا نهاية (١٤)٠ ويمكن القول اخيرا بان الشخص السعيد يشعر بانه في تقدم وتحسن وبأنه في سبيله الى تحقيق غاياته (١٥)٠



يقول المسرحي الفرنسي ساشا غيتري: "يحسن بالمرء ان يقرأ بين السطور، لان ذلك اقل تعباً للعيون"٠

عودة الروح

غرق احدهم في الديون، فلم يبق له من حيلة سوى الانتهاء من الحياة٠ فقال له جاره الصيدلي: "لماذا الموت، يا احمق! سأعطيك جرعة من الدواء تتخدر معها حيويتك، وعندئذ اقول للجميع بانك توفيت ثم انتقل بجسدك الى ولاية اخرى حيث يمكنك الانتعاش وبدء حياة جديدة"٠

فقبل المديون، وفي اليوم التالي سجي في قاعة الاستقبال حيث جاء المعزون واقبل كذلك الدائنون٠ فقال الدائن الاول متأسفا: "لماذا فارقتنا يا عزيزي، صحيح انك مدين لي بخمسة عشر الف دولار، ولكن ما قيمة هذا المبلغ بين الاصدقاء؟"٠

ثم تقدم الدائن الثاني، وقال: "الم يكن الاحرى بك ان تطلب الي تمديد تاريخ الاستحقاق؟ صحيح انك مدين لي بخمسين الف دولار، ولو قلت لكنت ارجأت ايفاءها الى اجل غير محدود"٠

ثم تبعه دائن ثالث وقال: "انت، يا قذر، مدين لي بمائتي الف دولار، والآن فقد فقدت منزلي وعملي بسببك، غير انني سانتقم لنفسي منك، ولو انك ميت، بطعن قلبك طعنة نجلاء بهذا الخنجر الحاد ثم افتله في داخله فتلة عن كل دولار"٠

وعند سماعه هذا التهديد، لم يلبث الميت ان فتح بحرص طرف عينه، ورفع سبابته وقال: "مهلا، فانت سأفيك دينك"٠

(اوربنز كوميدي فيلارز)

يقبل الرياضيون في انحاء العالم، هواة ومحترفين، على تعاطي المنشطات على نحو مطرد الازدياد مما بات يدعو الى بذل اهتمام خاص بهذه المشكلة التي من شأنها الاساءة الى الرياضة والرياضيين وعشاق الرياضة على السواء.

الرّياضيّون والعقاقير المنشّطة

راح ناسيلي اليكسييف يتباهى بخطى واسعة على خشبة المسرح في حلبة سان مايكل في مونتريال (كندا)، بينما تتعالى هتافات الجمهور في حماسة شديدة. فقد سبق له ان نال لقب اقوى رجل في العالم، وها هو الان تملأه الثقة بالحصول على ميداليته الاولمبية الذهبية الثانية لرفع الاثقال في الوزن فوق الثقيل، فيسجل بذلك رقما قياسيا عالميا في الرفع والنتر.

وكانت الثقلة المعدنية ملقاة على الارض وفي طرفيها اقراص حديد تضاف اليها اقراص جديدة لكي تبلغ الوزن المذهب الذي يعادل (٢٥٥ كيلوغراما) بينما لا يقل وزن اليكسييف عن ١٥٦ كيلوغراما، واقفا في ثبات بصدره العامر داخل بزته الحمراء، يحدق الى الثقلة من جميع جنباتها. ثم اقترب منها في تؤدة واغمض عينيه لحظة وامسك بقضبة الثقلة ثم اطلق تنهدة عالية وانتشلها الى كتفيه ثم رفعها الى ما فوق رأسه مترنحا قليلا الى الوراء وعضلاته المشرئبة ترتعش وقد اطبق اسنانه في عزم ثابت وتصميم عنيف. وما ان تأكد من سيطرته عليها حتى تصلب جسمه في سكون ظافر، وافلت الثقلة قذفا فارتطمت بالارض من دون ان يتردد لها صدى وسط صيحات الجمهور المسحور وهتافاته للبطل.

ولكن هل تقدم اليكسييف لاجراء المعاينة الطبية قبل المباراة امام اللجنة الاولمبية الدولية في مونتريال؟ ام انه كان خارج المدينة في ذلك الحين ولم يتسن بالتالي فحصه للكشف عن تناوله بعض المواد المنشطة او غيرها من العقاقير المحظورة؟ ام هل عمد، كما يشك بعض المسؤولين والمتبارين المتنافسين، الى ازالة كل آثار الهرمونات المنشطة من جسمه

قبل خضوعه لمعاينة تعاطي العقاقير؟

قد لا تلقى مثل هذه الاسئلة جوابا مطلقا لعدد من الاسباب، بينما ان هذه المعاينة لا تطبق على جميع المتبارين قبل المباراة. وفاز اليكسييف بالميدالية الذهبية واجرى فحصه الطبي بعد المباراة.

ليس ثمة رياضي او مسؤول سوفييتي لديه ذرة من العقل يجروء على افشاء شيء عن استعدادات اليكسييف قبل الالعاب الاولمبية. ولكم يتعذر على الاتحاد الدولي لرفع الاثقال، بعد الحيرة التي واجهها بسبب حرمانه بولونيا وبلغاريا الميدالية الذهبية بحجة تعاطي المنشطات، ان يعرض سمعته للانتقاص عن طريق اتهامه بحساسيته السياسية بدلا من روحه الرياضية البحتة.

الا ان الدلائل كلها في ذلك اليوم في مونتريال كانت ايجابية في نظر جورج فرين اللاعب الاولمبي من رماة المطرقة في الولايات المتحدة. وقال فرين ان وجه اليكسييف كان منتفخا على نحو غير عادي وكأنما يوشك ان يتفجر من بشرته. وان تلك هي في العادة علامة تناول العقاقير وخصوصا المنشطات، بالاضافة الى تلك الكريات الكوليسترولية الصغيرة التي تتجمع تحت مقلة العين بسبب جرعة مفرطة من "الاستيرويد".

التغذية بالنار – لم يعد مشهد تعاطي العقاقير في نظر فرين وغيره من الرياضيين المعنيين والسلطات الطبية مجرد ستار من دخان لتحسين الاداء الرياضي وانما اصبح حريقا مستعرا في غابة لا يفهمه المسؤولون ولا يملكون الوسائل لمكافحته.

ويخشى بعض الرياضيين ان يسقط ذات يوم لاعب ذو مكانة عالمية من رماة الكرة الحديدية مغشيا عليه في احدى الحلبات الاولمبية او ان ينهار احد لاعبي الهجوم في مباراة كبرى للبولينغ ضحية جرعة مفرطة من العقاقير.

وقد تجلت الاخطار التي ينطوي عليها هذا الوضع في ما حدث اخيرا لاحد ابطال سباق الجري الذي اخذ يسرف في تعاطي العقاقير بعد ان انضم الى جمعية رياضية اعتقادا منه بان الامفيتامينات ومركبات "الاستيرويد" ستزيد من قدرته وعنفوانه، وانتهى الامر بانه فقد كل سيطرة على نفسه بعد مباراة للبطولة جاء ترتيبه فيها الثاني بينما كان يتوقع الفوز.

فعلاوة على ١٤٠ ملليغراما من "ابوترول ٤٠"، الذي يعد من أشد الامفيتامينات فعالية، تناول المهدئات والكحول.

وقد ادى به هذا المزيج القوي الى حال هياج شديد في فندق محلي، فحطم مثبتات الاضواء في الغرف وانتزع اجهزة اطفاء الحريق من الجدران، ثم ظهر الشاب الجامح الذي يزن ١٤٥ كيلوغراما في غرفة اثنين من الرياضيين اللذين اعوزتهما المساعدة للسيطرة عليه.

وقد اسفر هذا الحادث عن احراج كبير للجمعية الرياضية التي ينتمي اليها، وعن اتخاذ الاجراءات التأديبية ضده.

اخطار الامفيتامينات – من شأن العقاقير التي يتعاطاها الرياضيون

عموما انها تساعد في تحسين مستوى الاداء او اعادة اللياقة الى مستواها العادي. وعلى رأس قائمة المنشطات الظرفية ترد الامفيتامينات، (ومعظمها محظور من جانب الاتحادات الرياضية الدولية). وقد اقترنت الامفيتامينات بكل انواع الرياضة تقريبا، من سباق السيارات الى المصارعة. فهي تزيل الجوع (تغري الملاكمين وفرسان السباق والمصارعين) وتسرع التنفس وتنشط القلب والمخ.

وبعض الامفيتامينات اقوى من بعضها الآخر. ففي مقدور خمسة ملليغرامات من هيدروكلوريد الميتامفيتامين مثلا، (يباع في شكل حبوب بيضاء تعرف تجاريا باسم ديسكوكسين) ان تزود الفرد بقوة عارمة وان تخلف لديه احساسا بالثقة ومزيدا من التركيز عندما يتطرق الشك الى النفس، وهكذا تصبح الحبة منه بمثابة دعامة لرامي القرص او رافع الاثقال المرتاب في مقدرته على بلوغ هدفه. وقد تكون بالنسبة الى لاعب كرة السلة عاملا يساعده على الاستمرار في الانطلاق بسرعة حين تدعو ساقاه المتعبتان الى التراخي.

ولكن للعقار نصيبه ايضا من المشكلات. فكثيرا ما تتذمر زوجات بعض لاعبي كرة القدم المحترفين من اساءة معاملة ازواجهن لهن كرد فعل لتعاطي العقاقير في النهار، وان يكن احد منهم لا يعترف بذلك علانية، وهن عاجزات عن وقف ازواجهن عن تعاطي الحبوب لانهن يدركن ان مستقبلهم يتوقف على مدى حسن ادائهم الرياضي.

وتقول المصادر القريبة من الرابطة الوطنية لكرة القدم في الولايات المتحدة الامريكية ان اكثر المسرفين في تعاطي الامفيتامينات بين محترفي اللعبة هم لاعبو الهجوم والدفاع الذين تدعوهم الحاجة خصوصا الى بذل مزيد من النشاط في الصراع الفردي المتوالي عند نقاط التحصين. ويقول لاعب احد النوادي: "اذا شئت ان تكون في مقدم اللاعبين هنا فعليك ان تتعاطى الامفيتامينات".

لكن الباحثين الطبيين يرون ان للامفيتامينات سيئات تفوق بكثير فوائدها. فهي، الى الاضطرابات السلوكية المحتملة التي تحدثها، تتسبب عادة بالنسبة الى الذين يكثرون من استخدامها وادمانها في مضاعفات طبية تتفاوت بين نزف المخ والمشكلات الغذائية. وهناك نزعة ايضا بين الرياضيين الى الاعتقاد بانهم اذا شعروا بشيء من العافية لمجرد تناولهم حبة واحدة، فقد يصبحون في وضع رائع اذا هم تناولوا حبتين. ولكي يستعيد الرياضي وضعه السوي على اثر تعاطيه جرعة كبيرة من المنشطات، فانه غالبا ما يضطر الى استخدام المهدئات فيقع من جراء ذلكفي حلقة مفرغة لا نهاية لها.

اعتقال العضل – وقد حدث منذ سنوات ان عمد احد رافعي الاثقال، في سعيه الى تسجيل رقم قياسي، الى اخذ حقنة من "الادرينالين" وثلاث حبات من الامفيتامينات قبل المباراة بعشرين دقيقة. وعلى رغم انه زعم قبل المباراة انه لم يشعر

ابدا من قبل بمثل هذه القوة، فانه سقط مغشيا عليه في اثناء المباراة ولم ينقذه الا الاسعاف بالاوكسيجين وتدليك الصدر.

وليست الامفيتامينات هي العقار الوحيد في جعبة الرياضيين. فقد اصبح الكوكايين هو العقار الناجح الشائع. ويعتقد بعض لاعبي "البيسبول" ان الكوكايين يشحذ قدرتهم على التركيز ويجعلهم اكثر توفيقا في اصابة المرمى. ويقول اللاعبون الذين يستنشقون الكوكايين عرضا في ايام المباريات انه يقي سواعدهم التصلب ويعوق الاحساس بالكلل والوجع.

اما مركبات "الاستيرويد" التي حظرتها اللجنة الاولمبية الدولية، ولا يزال الرياضيون مع ذلك يستخدمونها على نطاق واسع، فقد اصبحت هي المصدر الاكبر للنقاش في الطب الرياضي الدولي. ومثال ذلك ان اوي باير احد ابطال رماة المطرقة في المانيا الغربية قد فاز في ١٩٧١ وهو في الثانية والثلاثين من العمر ببطولة اوروبا وحطم الرقم القياسي العالمي في هذا المضمار. وقد اوردت التقارير الصحافية تصريحا له قال فيه انه اعتمد على مركبات "الاستيرويد" في برنامج تدريبه استعدادا للالعاب الاولمبية في مونتريال الى حد انه حين انقطع عن تناول الحبوب اضحى فاتر الهمة ومكتئبا يشعر بهبوط في قواه الحيوية ويائسا من الفوز بأي شيء. وقد عانى اعراض الاقلاع وهو ما يعانيه مدمن المخدرات.

ومركبات الاستيرويد المنشطة هي مستحضرات من الهرمونات الذكرية الطبيعية والتوليفية التي لها اثار بناءة على العضلات وتساعد على زيادة الوزن، غير ان لها علاقة ايضا بسماكة البشرة ونمو اللحية، ونمو اعضاء الذكورة وانخفاض طبقة الصوت. ومن اكثر ما تردد في صدد الالعاب الاولمبية في ١٩٧٦، السؤال الذي وجه الى مدرب من المانيا الشرقية لمعرفة سر انخفاض اصوات السابحات الالمانيات. فرد المدرب: "لقد جئنا لنسبح لا لنغني".

غير ان بناء العضلات عن طريق تعاطي مركبات "الاستيرويد" يحمل الرياضيين على الاعتقاد بان العقار سيزيدهم لياقة وقوة وسرعة. لكن استعمال هذه المركبات بالنسبة الى الكثيرين لا يتجاوز، ويا للاسف، مرحلة التجربة والخطأ. وقلما نجد بين المعلومات العلاجية المتاحة من شركات الادوية بينات عن المقادير الصحيحة التي يمكن ان يستفيد بها الجسم في الاداء الرياضي. ومن شأن القيام بتجربة جرعات كبيرة غير عادية من مركبات "الاستيرويد" خلال فترة قصيرة من الوقت، ان يؤدي الى الغثيان وفقد الشهية.

ثمن الفوز – لقد اصبح الالمانيون الشرقيون مصدرا للتخمين المستمر حول استخدام التجارب العلمية، بما في ذلك العقاقير، لزيادة قوة رياضييهم وسرعتهم. ويقول الطبيب الدكتور الويس مادير، العضو السابق في البرنامج الطبي للرياضة في المانيا الشرقية والذي انضم الى الغرب منذ سنوات، ان هناك مراقبة مستمرة للرياضيين على مختلف المستويات خصوصا قبل المباريات

وفي اثنائها وبعدها كذلك. وتجري تغييرات في برنامج تغذيتهم وتدريبهم بما يتناسب مع مستويات معينة من الاجهاد. وقد تسبب هذا النهج في اثارة الحقد والانقسام بين كثير من الرياضيين والمدربين والمسؤولين في الغرب، وهم يتساءلون ما اذا كان الفوز يستحق مثل هذا الجهد العلمي المكثف.

ويقول الجراح الدكتور ايرفنغ داروك رئيس اللجنة الطبية التابعة للجنة الاولمبية للولايات المتحدة الامريكية والتي انشئت حديثا: "ان الرياضيين يفضلون عدم تناول مركبات "الاستيرويد" فهم لا يشعرون بانها مفيدة او صحية ولكنهم يخشون مغبة عدم تناولها بسبب جهلهم لما قد يفعله المنافسون لهم".

وتتخذ الان بعض التدابير الوقائية ازاء سوء استخدام العقاقير. فالاتحاد الدولي لرفع الاثقال مثلا، بعد ان احرجه اعلان عدم اهلية بعض الرياضيين في مونتريال بسبب تعاطي مركبات "الاستيرويد" والتقارير الواردة عن استخدام الحبوب في مباريات البطولة الوطنية، قد اعتمد تنظيمات جديدة تقضي بعدم الاعتراف بارقام قياسية عالمية ما لم تكن هناك تدابير لمراقبة عدم استخدام المنشطات في المباريات، كما تقضي بتشكيل فرق للتحقيق بصفة منتظمة ومراقبة بقية البطولات الوطنية والدولية.

وكان، ويا للاسف، اتخاذ الاتحادات والرابطات اجراءات صارمة وتشديد القيود على توزيع الامفيتامينات باعثا على تلمس هذه العقاقير في الخفاء. ويقول جورج فرين لاعب رمي المطرقة: "ان الرياضيين لن يكفوا عن تناول العقار لمجرد عدم توافره رسميا. ولكن المؤسف هو ان العقار الذي يباع بطريقة غير مشروعة سيء النوع ولا يخلو من التلوث، بسبب انعدام مراقبة الجودة في بعض المصانع، ومن المحتمل والحال هذه، ان يشتري المرء سم الفئران بدلا من الدكسيدرين".

ولكن، هل يستطيع الرياضيون ان ينقطعوا عن العقاقير؟ وهل تستطيع المنظمات الرياضية ان تتحمل فضائح كبرى بسبب تعاطي العقاقير؟ ولم يكن اقدام اتحاد الدراجات البلجيكي في ابريل (نيسان) ١٩٧٧ على وقف فريدي مارتنز وايدي ميركس واربعة آخرين مع وضعهم قيد المراقبة لمدة سنة، بسبب استخدام عقار محظور لمقاومة التعب، سوى عقوبة خفيفة. ولكن ماذا يستطيع الاتحاد ان يفعل غير ذلك؟ فهو في حاجة الى النجوم من اجل بقاء الرياضة. ومن ثم فان العقاقير تشكل مصدر ازعاج لا بد له ان يتحمله. والواقع انه ليست هناك رياضتان يمكن ان تتفقا على طريقة مكافحة مشكلات العقاقير على نحو ناجع، كما ليست هناك وكالات وطنية لسد الفجوة القائمة بين الرياضيين والمسؤولين.

ويقول فرين: "لقد حان الوقت لمواجهة المشكلة. فلنجلس معا ونرى اين نحن الان؟ والى اين نحن ذاهبون؟ قبل ان يفوت الاوان".

■ نيلي امدور

مأساة واقعية

زوجتي كشفت لي جوهر الحب

احبته يوم كان صحيح الجسم وزاد تعلقها به عندما غاب عن الوعي وفقد النطق وعجز عن المشي.

كان بيتر ساراسينو البالغ من العمر واحدا وعشرين عاما يقود سيارته في التاسع عشر من شهر يوليو (تموز) عام ١٩٧٦ في ضاحية بلوود من مدينة شيكاغو، فانزلقت السيارة فجأة وارتطمت بعمود كهرباء ثم اندفعت بعنف وتحطمت على عمود ضخم للاعلانات وقذف بيتر مثخنا بالجروح على رصيف لا تقل مسافته عن ٣٠ مترا. وما ان علمت والدة بيتر الارملة بالحادث حتى انطلقت مسرعة الى مستشفى ويست ليك القريب من هناك حيث وجدت موظفي غرفة الطوارىء يعملون بانفعال شديد لانقاذ حياة ابنها. وكاد الامر ان يكون مستحيلا، فقد كان بيتر في غيبوبة عميقة وكان مصابا بعطب خطير في منطقة الدماغ التي تتحكم بتنسيق العضلات والصوت والنطق والذاكرة. وكان تشخيص الاطباء "متحفظا"، فقرروا انه حتى وان بقي بيتر على قيد الحياة، فمن المحتمل ان يظل مشلولا عاجزا عن النطق ومضطرا الى الاعتماد التام على عناية الاخرين به.

وكان بيتر سعيد الحظ بوجود اطباء ممتازين وممرضات مخلصات مندفعات واجهزة من احدث طراز ورعاية طبية من احسن الرعايات الممكنة. لكن كل ذلك لم يكن كافيا بالنسبة الى والدة بيتر السيدة لويز ساراسينو التي لم تغادر غرفة ابنها طوال الاشهر الاربعة التالية، كما لو كانت ترعى طفلا صغيرا عليلا، لكن هذا الطفل طوله متر وخمسة وثمانون سنتيمترا، ووزنه ٩٤ كيلوغراما.

لقد قضت لويز حياتها تجهد من اجل توفير بيت عائلي لاطفالها الخمسة بمساعدة اقتصادية حكومية ومعونة اسرة امريكية كبيرة من اصل ايطالي. اما الان، فقد تخلت ابنتها الكبرى آنا ماري البالغة من العمر عشرين عاما عن عملها لكي تكرس جهودها للعناية باخواتها الثلاث الاصغر منها سنا.

الحب الكبير – وكانت لوزير تعتبر

ايضا ليندا فراكالا البالغة من العمر واحدا وعشرين عاما وخطيبة بيتر منذ ثلاثة اعوام، كفرد من افراد عائلتها. وكانت ليندا تمارس عملا متفرغا في مستشفى في شيكاغو حيث كان بيتر يعمل حارس آمن لدى وقوع الحادث. وكان هو اكمل اخيرا فترة خدمة في احتياط القوات البحرية وينتظر الالتحاق باكاديمية الشرطة. وكان بيتر يحب ليندا حتى العبادة وكانت هي تعتبره وكأنه العالم باسره.

وكانت ليندا تذهب في سيارتها الى المستشفى كل يوم بعد انتهاء عملها، لتساعد لويز في العناية بالمريض المشلول الفاقد الوعي. وكثيرا ما كانتا تناضلان في اثناء الليل على السرير المرتفع لكي تغسلا جسده وترشاه بالذرور (العطر المطهر) وتدهناه بالنطول (الماء تغلى فيه الادوية). وكانت ليندا تقلم اظافر بيتر، وعندما ازيلت العصابات عن رأسه استدعت حلاقا ليقص شعره، وشرحت ليندا هدفها من ذلك: "انني اردت ان ازينه لكي يشعر بالارتياح عندما يستعيد وعيه".

وقد جاءت لويز وليندا بافضل ما كان يشتهيه بيتر من طعام ايطالي علما منهما بالمكانة التي يحتلها الطعام لديه، وكانتا تمسكان بطبق الطعام تحت انفه، لعل رائحته الشهية تتغلغل الى ذاكرته وراء نطاق الوعي فيستفيق. ولم تنثني المرأتان عن التحدث الى بيتر وهو غارق في غيبوبته، وعن شد ازره.

وفي احدى ليالي شهر سبتمبر (ايلول) ادارت لويز جهاز التلفزيون على برنامج من البرامج المفضلة لدى بيتر، وبينما كانت تضبط الوان شاشة التلفزيون لاحظت ان عيني بيتر ترمشان وتتحركان. ثم اطفأت الجهاز واشعلته بسرعة، فرمشت عيناه ثانية. واندفعت لويز الى الخارج وركضت في الممر لتدعو الممرضات ولم يمض شهران ونصف على ذلك حتى اخذ بيتر يستعيد الوعي تدريجا.



وبحلول شهر اكتوبر (تشرين الاول) بدأت عيناه تتبعان ليندا ووالدته اينما اتجهتا في ارجاء الغرفة، كما اصبح من المستطاع اعطاؤه طعام الاطفال، وانما كان يتعذر عليه النطق. وكان الشلل يسمر جسمه وذراعيه وساقيه باستثناء يده اليمنى التي كان يحركها بشكل طفيف ويمد سبابته عندما يطلب منه ذلك، ويستعين بها في ضغط الحروف على السبورة المغناطيسية الصغيرة، التي جاءت بها لويز. وكانت والدته تسأله وهو جالس موثوقا الى كرسيه ليبقى في وضع قائم: "من انا يا بيتر"؟ وترد هي نفسها على ذلك، بقولها "ماما" وتشد باصبعيها على شفتيه لكي تتخذا شكل النطق بهذه الكلمة، فيتجاوب بيتر مع ذلك بنخرة من حنجرته. وتطلب منه امه ان يتهجأها، فيحرك بيتر يده متعثرا ويمدها نحو السبورة الموجودة في حضنه، ويستعين بسبابته في اختيار الحروف وترتيبها في وضع معوج.

في معهد النقاهة ـ وكان ذلك كل ما يستطيع بيتر ان يقوم به في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ عندما دخل معهد النقاهة في شيكاغو للحصول على معالجة مكثفة، فوضع في رعاية الطبيب بهوبندراك اغراوال المتخصص في نقاهة المرضى والذي يعاونه لفيف من الممرضات واطباء النفس والمتخصصين في المعالجة البدنية والمهنية والخبراء في امراض النطق واللغة والمستشارين المهنيين من مركز الهندسة الحيوية التابع لمعهد النقاهة في شيكاغو.

وكان بيتر يعلم اين هو الا انه كان يفقد الوعي حينا ويستعيده احيانا. وعندما بدأ شفاء دماغه المعطوب اصبح بيتر يتلقى يوميا معالجة تتناول النواحي الجسمانية والمهنية والنطقية،، وتتسبب في انتعاشه اكثر من اي وقت مضى عندما كانت لويز تجيء لزيارته ثلاثا او اربع مرات في الاسبوع او عندما كانت ليندا تقدم الى المستشفى كل ليلة بعد الانتهاء من عملها.

وكانت لفظة "آه" اول كلمة تفوه بها بيتر في شهر فبراير (شباط)، وكان عسر الكلام الذي يعانيه عائدا الى الضعف او الشلل في عضلات الصوت، وهو مرض يستلزم استعمال ما يزيد على مئة عضلة تتحكم بنطق الكلمات التي تلفظها بصوت عال، وبالتالي كان ينبغي لبيتر ان يتعلم تحريك هذه العضلات. وما ان حل شهر مارس (آذار) حتى استطاع النطق بثلاث كلمات: "لا"، "آي"، "ما"، غير انها كان من الصعب فهمها نظرا الى عدم وضوح اللفظ وضعف النبرة، ولكنها كانت كلمات على اي حال.

واخذ بيتر يتعلم كذلك الاحتفاظ برأسه منتصبا بفضل قبعة مزودة بجهاز راديو واداة تحكم يدوية. وكان هذا الجهاز يزود بيتر بالموسيقى طالما بقي رأسه منتصبا، وتتوقف الموسيقى عندما يميل رأسه، وبذلك يفطن الى ابقاء رأسه في وضع قائم. وقد اخذ ادراكه يتزايد ولكنه بدأ صبره ينفذ، لرغبته في القيام بزيارة للبيت.

وفي الثامن من مارس (آذار) ١٩٧٧ تحققت هذه الزيارة وللمرة الاولى منذ

ثمانية اشهر شاهد بيتر منزله حيث تجمع ١٤٢ من الانسباء والاصدقاء والجيران، بمن فيهم عمة لويز الضريرة التي لم تخرج من منزلها طوال خمس سنوات، وقالت لويز في هذا الصدد: "وعندما انحنت عمتي لتتلمس وجنة بيتر وهو ملقى على سريره بكينا جميعا". حتى ان بيتر نفسه انفجر بالبكاء للمرة الاولى منذ الحادث الذي اقعده. وبعد ذلك، انطلق ابن عم بيتر باغنية مألوفة وانضم اليه الاخرون، بينما راح بيتر يؤدي بيده في شكل ايقاعي نغم الاغنية التي لم يستطع المشاركة فيها فتأثر الجميع فرحا وتبادلوا العناق مرة اخرى.

معه حتى النهاية – وكان من شأن هذا المشهد رفع معنويات بيتر، فبدأ يتدرب على استعمال الجمل ويتناول الطعام بنفسه بملعقة لهاممسك مربوط كجبيرة الى يده. وكان خلال جلسة العلاج الجسماني يتدحرج على الحصير لينهض بنفسه الى وضع الجلوس. واخذ يدرب ذراعيه برفع اوزان مربوطة على معصميه ويقوي قبضته بمعجونة بلاستيكية. فما ان اقبل شهر مايو (آيار) حتى رخص لبيتر ان يشتغل في البيت.

وسحبت ليندا ما ادخرته من مال واشترت حوضا للسباحة طوله ثمانية امتار ونصف متر اقامته في الفسحة الخلفية من منزل والدتها. ثم تركت وظيفتها واشترت بآخر راتب قبضته خمس بذلات سباحة لبيتر وفرشتين عائمتين. وقالت: "اردت ان اكون معه واساعده على القيام بالتمارين وكل شيء. ولكنني شئت ان يكون له في ذلك بعض المتعة والسلوى".

ولم يكن الامر متعة في الحقيقة غير ان بيتر كان على الاقل في البيت. واستقرت ليندا في منزل لويز تساعدها في تقديم وجبات الطعام الى بيتر والمحافظة على نظافته وعونه على القيام بتمارينه وتزويده بالعطف والحنان. ولم ينقطع الاقارب عن زيارة البيت وكان اصدقاء بيتر متوافرين دائما لرفعه عن السرير الى كرسيه للراحة والرقاد، ثم ينقلونه بالسيارة الى حوض السباحة في بيت ليندا. وبعد انقضاء ستة اسابيع عاد بيتر الى معهد النقاهة في شيكاغو ليتلقى معالجة مكثفة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٧، اي بعد مرور سنة على الحادث، كان بيتر قادرا على الجلوس في وضع منتصب من دون سند لفترة خمس ثوان. وبات في مقدوره، في شهر اغسطس (آب) ان يدفع كرسيه ذي العجلات بنفسه، وفي شهر سبتمبر (ايلول) صار يستطيع الوقوف على قدميه لمدة خمس دقائق بين قضيبين متوازيين. وطالت زيارته لمنزله هذه المرة ثلاثة اشهر.

وعاد بيتر الى معهد النقاهة في شيكاغو في شهر ديسمبر (كانون الاول)، وبدا كسابق عهده، ضحوكا مشاكسا وهو يمر بسرعة في كرسيه ذي العجلات، ويخالجه شعور بانه رجل مندفع نابض بالحياة والحنان واهل للمنافسة. كما انه كان يشعر هذه المرة بانه اصبح في المرحلة النهائية من اقامته بين المرضى.

لقد كان بيتر مصيبا في تقديره، اذ لم تطل مدة اقامته في معهد

النقاهة سوى شهرين عصيبين طرأ خلالهما تحسن كبير على نطقه وبدأ يمشي من جديد. وهذا جل ما كان بيتر يتوق اليه فناشد الجميع بان يزودوه بمتكأ من الالومنيوم لاعانته على المشي. ولم يحظ بذلك الا بعد بضعة اسابيع من المشي على مسافة ثلاثة امتار بين قضيبين متوازيين. ولما حصل على المتكأ لم يعد من الممكن وقفه عن التمرين الا بانتزاعه من المتكأ بالقوة. فهو عقد العزم على ان يمشي مرة ثانية لان والد ليندا قال له: "يمكنك الزواج من ابنتي يوم تستطيع ان تجتاز واياها الجناح المؤدي الى صحن الكنيسة". وكان بيتر يعرف الكنيسة ويعرف ايضا ان الجناح طويل.

وفي الحادي والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٧٨ غادر بيتر معهد النقاهة بمتكأه، على ان يعود للمعاينة مرة كل ثلاثة اشهر. وكان نطقه يتحسن يوما بعد آخر، وكانت قابليته للعمل كبيرة كذلك شهيته للاكل. وزاد وزنه الى ٩٠ كليوغراما بعدما كان ٦٣،٥ كيلوغراما قبل عام فقط. وبدا قوي البنية، سليم الصحة وجاهزا لاجتياز الجناح المؤدي الى صحن الكنيسة.

وفي السادس عشر من يوليو (تموز) احتشد انسباء بيتر واصدقاؤه وقد ناهز عددهم المئتين والخمسين شخصا ليروه وهو يدخل من الباب الجانبي لكنيسة سيدة بومبييه مع متكأه. وانسكبت الدموع مدرارة على وجنتي لويز التي جلست على مقعد في المقدم تشاهد وصيفات العروس يمررن من جانبها، وراحت تقول لهن: "ابتسمن يا حبيباتي، ابتسمن"، وكأنها تريدهن ان يظهرن على وجوههن الشعور الذي يخالجها من خلال الدموع. ومرت ليندا بثوب العرس الانيق من جانب لويز تتأبط ذراع والدها، واشرقت ابتسامة من ثغرها موجهة الى لويز وفي عينيها تتألق دمعة البهجة والغبطة، وتابعت خطاها تحت قوس من الزهر للانضمام الى بيتر، ثم تقدما معا بصحبة اشبين بيتر وصعدا الدرجات الثلاث في اتجاه المذبح.

وبعد انتهاء خدمة الاكليل، مشى بيتر مستعينا بمتكأه الى جانب ليندا واجتاز جناح الكنيسة.

يقيم بيتر وليندا الان في شقة في ملروز بارك على بعد ٢٥ كيلومترا الى الغرب من شيكاغو. وتذهب ليندا كل يوم الى عملها في المستشفى بينما يواصل بيتر علاجه في البيت ويقوم بالتمرينات لتحسين قدرته على النطق وتنسيق عضلاته. ويأمل في ان يشغل وظيفة ثابتة في غضون سنة، كما يأمل هو وليندا في ان ينجبا عائلة كبيرة. ويقول الدكتور أ. أفشار، طبيب بيتر في مستشفى ويست ليك: "ان قضية بيتر ساراسينو المرضية تعتبر اكثر من معجزة بالنسبة الى الطب الحديث، بل هي انتصار رائع لروح الشجاعة الانسانية". واما بيتر فيعبر عن مشاعره ببعض التعثر في النطق ويقول: "اود ان اكون ابا طيبا لاعلم اطفالي ما تعلمته انا، فقد تعلمت الكثير عن الحياة خلال السنتين الماضيتين، لكن ليندا علمتني جوهر الحب".

■ اليز بيكيت

ليـنارت نيلسُون

رائد الفضاء الداخلي للجسْم البشري

كان عمله اشبه بالمعجزة، فهو أدخل الكاميرا الاحشاء الداخلية للانسان واستطاع بتفانيه ومهارته المذهلة ان يستمد من "الفضاء الداخلي" للجسم البشري صورا تبعث على الخشوع.

قبل عقد من الزمن قدم الينا احد الاصدقاء كتابا من الصور التي التقطها المصور الاسوجي لينارت نيلسون، وكانت زوجتي آنئذ حاملا تنتظر ولادة طفلنا البكر. وكانت تلك المرة الأولى التي تلتقط صورة لطفل وهو جنين في بيئته الطبيعية - الرحم.

يا للرؤيا! لقد نزلت علينا هذه الصور لعالم الاجنة البهي المتألق، فجأة ومن دون اي تمهيد. وقد اظهرت صور نيلسون اجنة قرنفلية اللون شبيهة باللؤلؤ، لا يعدو حجم بعضها حجم الابهام. ومع ذلك، فلكل منها ذراعان ويدان في غاية الصغر وعينان مؤطرتان بالسواد. وبدا الجنين الطافي باسترخاء في السائل الذي يحيط به وسط نسيج رابط في هيئة الغمام، اشبه ما يكون برائد فضاء يجوب اطراف كونه الخاص.

وشاطرنا الاعجاب ملايين الناس. واصبح كتاب نيلسون "مولد طفل"،

العالم الخارجي كما يبدو من الجزء الباطني للعين عبر النافذة التي تؤطرها قزحية العين.

الذي نشر عام ١٩٦٥، في عداد الاعمال الكلاسيكية. ويثني الاطباء على هذا الكتاب لوضوحه البياني، ويمتدح المصورون الفوتوغرافيون براعته الفنية، ويعجب به الفنانون لقدرة عين المصور على استخلاص صور بهذا الجمال لحياة كائنات لم تولد بعد.



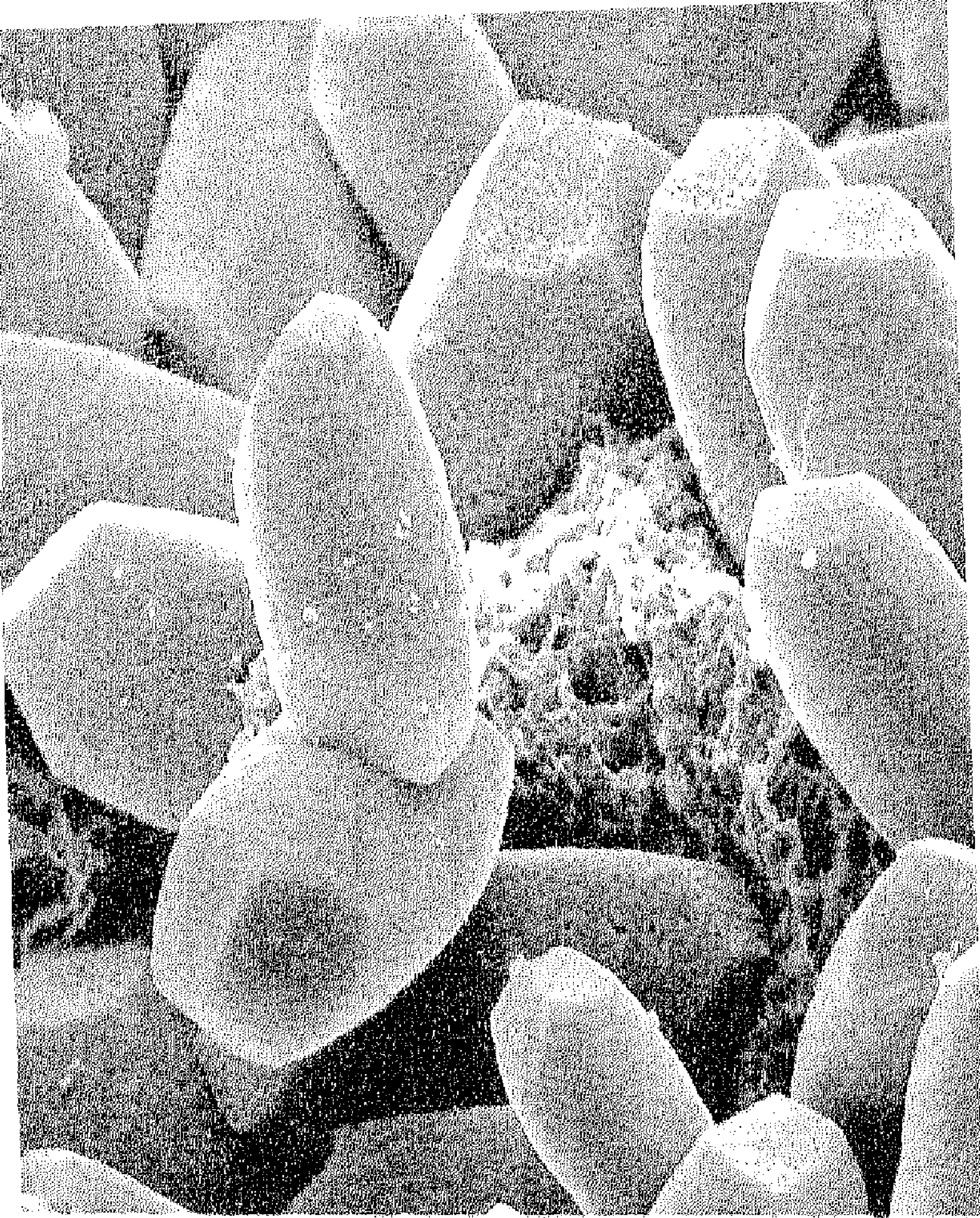
تنتشر في انحاء الجسم اعضاء حسية من مختلف الاشكال والانواع. وهذه البصيلة الرقيقة هي احدى الحليمات الذوقية في ظهارة اللسان.

وقال المصور الراحل فيكتور هاسلبلاد، صاحب المؤسسة الاسوجية الشهيرة لآلات التصوير: "ان نيلسون رائد خاض عالم الفضاء الداخلي وعاد به الينا لنراه جميعا ونحار في امره". والحق ان نيلسون اظهر، سواء في تصويره مجموعات النمل تحت الارض او جسم الانسان، تفانيا في الدقة والاتقان يرقى بانتاجه الى مرتبة الفنون الجميلة. وقد علق احد محرري زاوية الكتب في صحيفة "النيويورك تايمس" لدى صدور كتاب نيلسون "انظروا الانسان" الذي استقبله النقاد بالتهليل، بقوله انه لا يحتمل ان يكرر المرء، بعد اطلاعه على صور نيلسون المفصلة، تلك العبارة السقيمة: "دماء وامعاء" عندما ينظر من جديد الى اجزاء الآلة البشرية.

ان المناظر التي يصورها نيلسون غريبة، ومع ذلك فهي مألوفة وملازمة لنا. فهنا تظهر هذه الارض البركانية المخددة التي تتكشف عن كونها منظرا مكبرا للغدد البوابية في المعدة، او هذا الشراع الاملس الممدود في وجه الريح، والذي يتكشف عن انه الصمام التاجي للقلب. وتبدو انسجة فقرة من العمود الفقري كأنها نافذة شبكية مصنوعة من زجاج البندقية الناعم. اما بلوريات الكالسيوم في الاذن الداخلية فهي اشبه ما تكون بصخور ضخمة غير منحوتة رصفتها الطبيعة على هيئة ستونهنج (معبد الدرويديين الانكليز قديما). واذا، فان الاشياء التي عجزت العين المجردة حتى عن رؤيتها اصبحت الآن مجسمات مفعمة بجمال بصري يحبس الانفاس.

طلب المستحيل - كيف استهل نيلسون طريقه في هذه الرحلة؟

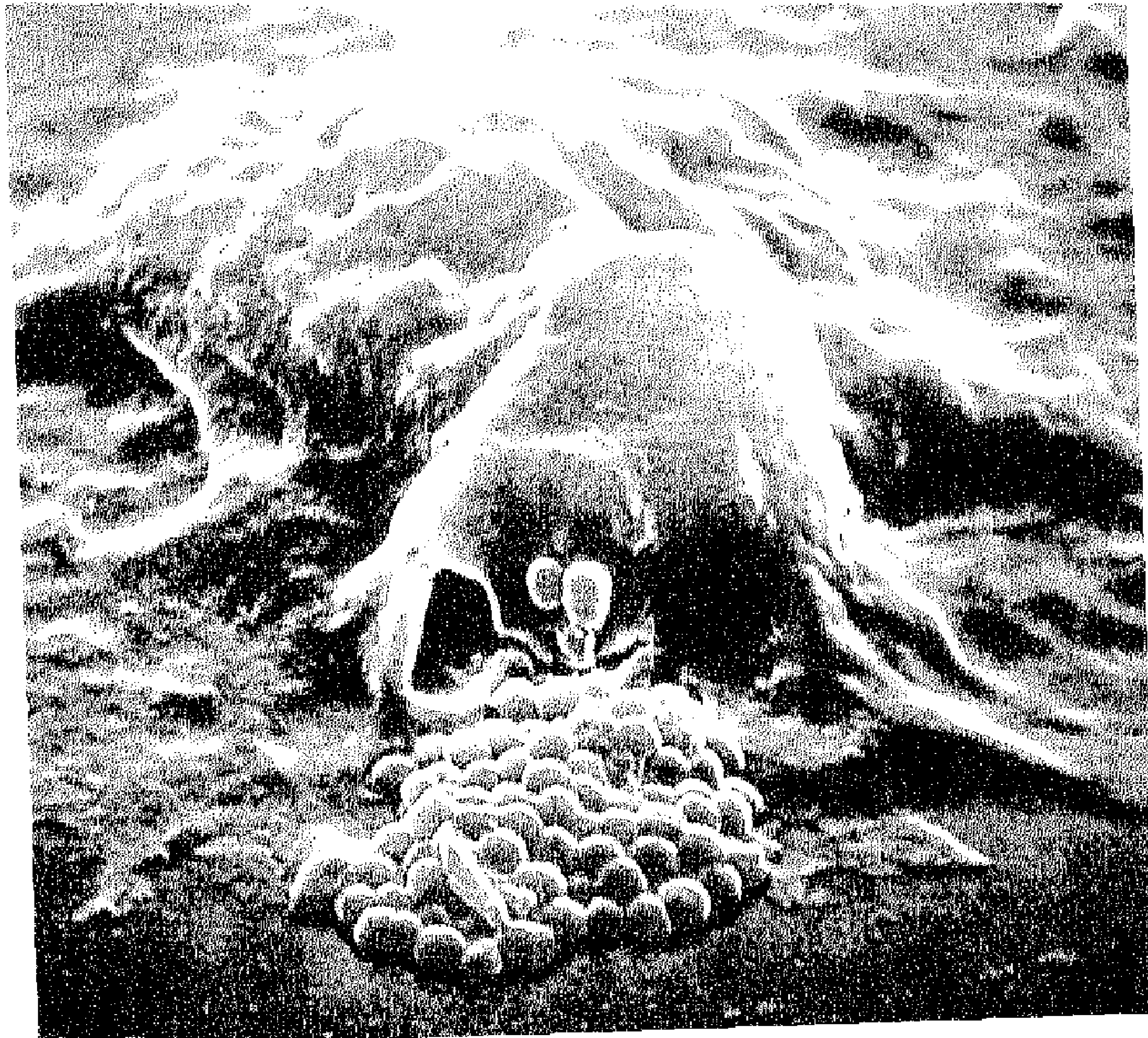
ولد نيلسون في ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٢٢. وهو يذكر انه كان صبيا سابحا في دنيا الخيال، لا يسعده شيء مثل التقاط صور الزهر والحشرات والنباتات بآلة التصوير التي أهداها اليه ابواه. وما ان بلغ مطلع العشرينات من عمره حتى ذاع صيته كأمهر مصور صحافي في اسوج. ويذكر احد اصدقائه ان "اللقطة الفوتوغرافية المستحيلة هي التي كانت تحفزه وتنميه". ومرة بقي



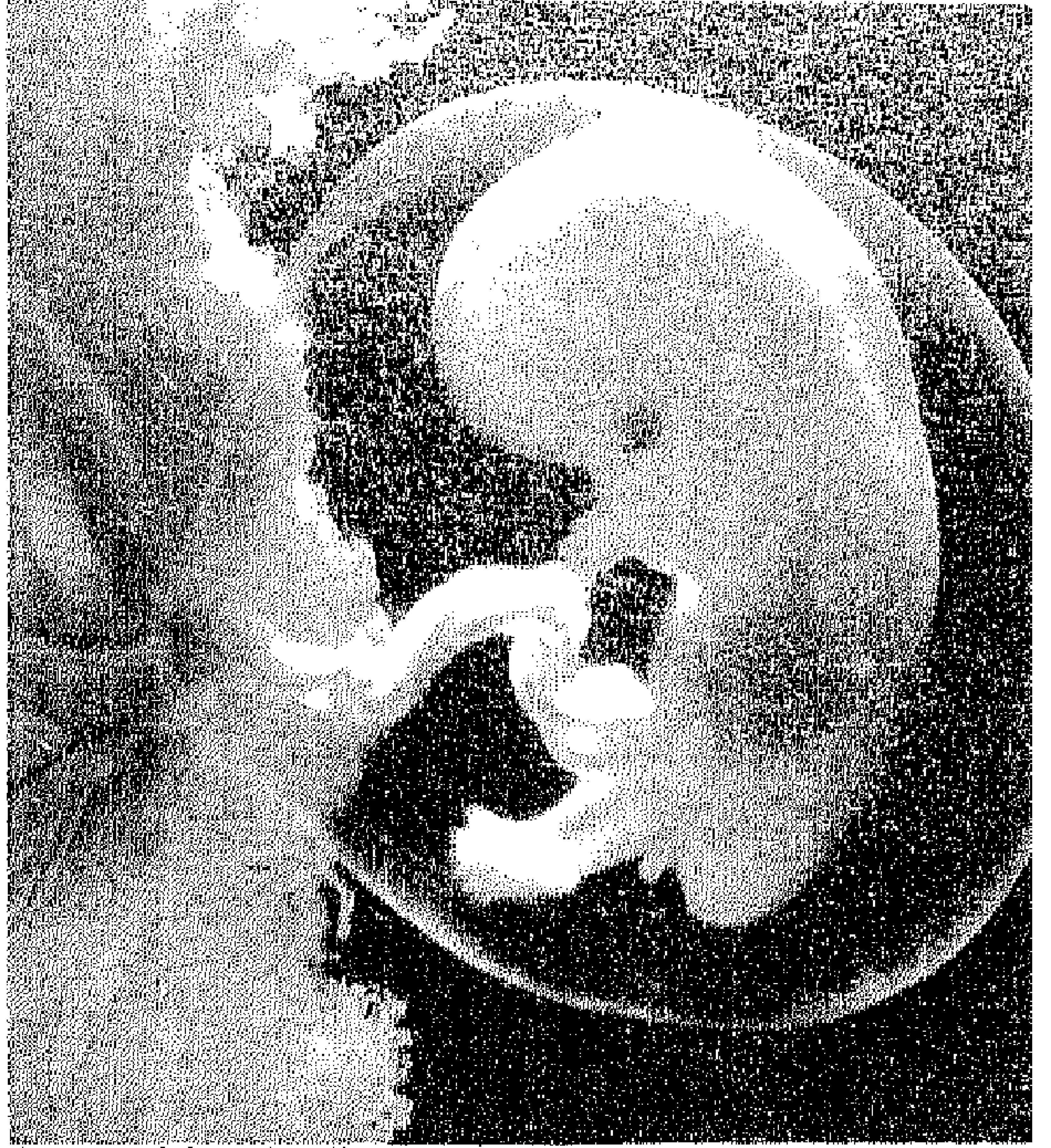
"الحجار المنتصبة" - او بلوريات الكالسيوم التي يبلغ طول الواحدة منها (٠،١) مليمتر تقريبا في الاذن الداخلية - هي جزء من نظام الاشارات الى الدماغ للمحافظة على التوازن.

اشهرا يراقب كثيبا للنمل ويصوره عن قرب بأصغر العدسات التي استطاع العثور عليها ليغنم بلقطة ساحرة تمثل كيف يبدو النمل في عين النملة نفسها، هائل الحجم كالابقار. ومرة اخرى جهز نفسه بأدوات التزلج على الثلج ليتابع جولات احدى القابلات عبر بلاد اللابيين الرحل. وفي ضوء الشمعة الخافت في اكواخ القطب الشمالي، التقط نيلسون صورا للولادات البشرية الاولى التي شاهدها في حياته. وهو قال لي: "ان افتتاني بالخلق البشري بدأ منذ ذلك الوقت".

وساقته مهمة عادية عام ١٩٥١ الى تصوير احد العلماء البارزين في بحوث الانسجة العضوية في معهد كارولينسكا الاسوجي. وللحال



احدى خلايا الدم البيضاء تندفع صوب تكتل للبكتيريا (الكريات الخضر) لتطوقه ثم تزدرده.



الجنين بعد شهرين واسبوع من الحمل. طوله ٣٧،٥ مليمترا، وهو يطفو في السائل الذي يملأ السلى. ويتمتع الجنين بالاعضاء كلها التي يولد بها الطفل الكامل.

استرعت انتباهه زجاجة على رف في مكتب ذلك العالم احتوت على جنين ذي شهر، طوله ١٢،٥ مليمترا ومحفوظ في الكحول الجراحية. ويذكر نيلسون تلك المناسبة بقوله: "كنت اظن الاجنة كتلا رجراجة كالهلام، الا ان ذلك الجنين كانت له عينان وانف ويدان". ولدى مغادرته معهد كارولينسكا بعد ظهر ذلك اليوم، بدأ يفكر مليا في السبيل الى تسجيل مراحل الحياة البشرية فوتوغرافيا منذ بدء تكون الاجنة الحية حتى الولادة.

وبدت فكرة نيلسون للوهلة الأولى شبه مستحيلة من الوجهة الفنية. فكيف سيتسنى له تحديد نظره داخل الرحم ليصور ما يراه بالالوان؟ واقترح عليه الاستاذ اكسل انغلمان ساندبيرغ، الطبيب المختص في التوليد، ان يجرب المنظار الباطني، وهو أداة انبوبية في رقة القلم، لفحص الجزء الداخلي من تجاويف الجسم. فركب نيلسون تلك الاداة على آلة التصوير بتثبيت طرف منها في مكان خاص فوق العدسة. ولما كان الضوء المركب داخل المنظار الباطني اضعف مما يفي باغراض التصوير، صمم له صديق مهندس مصباحا لا يزيد حجمه على ١٢،٥ مليمترا، ومع ذلك كان نوره اقوى ١٠٠٠ مرة من نور الاداة. وفي الامكان ربطه الى انبوب المنظار الباطني وادخاله بلا وجع من المهبل الى الرحم.

سبع سنوات طويلة — واجريت التجربة الاولى في احد أيام عام ١٩٥٥ عندما تلقى نيلسون دعوة من الاستاذ انغلمان ساندبيرغ الى حضور الفحوص التي سيجريها لامرأة تشكو من مضاعفات رحمية حادة بعدما وافقت تلك السيدة على تجربة نيلسون. وقال الاستاذ وهو يوجه رأس المنظار الباطني الى الرحم: "استعد الآن لالتقاط الصورة". وحدق نيلسون في مصوبة آلة التصوير ليرى شيئا لا يزال يذكر انه "صاعق" على حد تعبيره، وهو جانب لوجه جنين في الشهر الرابع يمص ابهامه بهدوء واطمئنان. وضغط فورا على معتق الغلق لالتقاط الصورة، لكن زناد الضوء الالكتروني لم يعمل تلك اللحظة. وفي اللحظة التالية استدار الجنين في مكانه فاختفى رأسه عن العيان. واقتضى الامر ان ينتظر نيلسون سبع سنوات طويلة قبل ان يرى منظرا مماثلا ويسجله على الفيلم.



داخل القلب من اسفل البطين الايمن صعوداً في اتجاه الاذين الايمن.
وفي الوسط الصمام المثلث الشرفات الذي يحول دون عودة الدم الى الاذين لدى تقلص البطين.

وتركت حماسة نيلسون انطباعا قويا في نفس الاستاذ انغلمان ساندبيرغ الى حد انه حث زملاءه الاطباء على اعلام نيلسون عندما يزمعون على اجراء فحوص رحمية بالمنظار الباطني. وفي السنين العشر التالية كان نيلسون يأوي الى فراشه وهو يرتدي نصف ملابسه، والى جانب سريره حقيبة عدته الفوتوغرافية، ليبقى على استعداد للوثوب من الفراش والتوجه الى اي مستشفى يستدعيه. وتجمع لديه في نهاية الامر عدد من الصور المثيرة التي سجلت المراحل الرئيسية لتطور الجنين البشري. وبين مختلف ردود الفعل التي عبرت عن الاعجاب بالصور، علق في ذاكرة نيلسون رد فعل واحد كان ابلغ اثرا من سواه، وهو صورة لقرويات في الكونغو تحلقن حول كتاب صور الاجنة في استغراق ينم عن الدهشة والخشوع. وقد التقط صورة النسوة مصور اسوجي آخر.

واراد نيلسون بعد ذلك ان يحول اهتمامه الى "مسرحيات اخرى تتمثل مشاهدها في اجسامنا". وبلغت به جرأة التفكير، حين باشر عمله مع مجلة "لايف" الامريكية لسرد قصة الشرايين في جسم الانسان ونظام الدورة الدموية للقلب، حدا جعله يفكر في التقاط الصور الفوتوغرافية داخل الاوعية الدموية نفسها. وقد صممت له احدى الشركات الاسوجية لصناعة الادوات البصرية عدسة ثورية مصغرة جدا، يمكن تركيبها في اسلاك القسطر (المستخدم طبيا لتفريغ المثانة عبر مجرى البول) بعد ملء القسطر بخيوط الياف زجاجية ناقلة للضوء يمكنها بث صور واضحة المعالم على نحو متسق الى فيلم في الخارج فور ايلاج القسطر في الأوعية الدموية.

ونصب نيلسون معداته في غرفة عمليات تشريح الجثث استعداداً للتصوير في الاحوال التي تفتح فيها مسالك الاوعية الدموية جراحيا. وكانت نتيجة ذلك التصوير المقال المصور الفذ الذي ظهر عام ١٩٦٨، وفي صوره تبدو الشرايين كأنها انفاق متفرعة داخل كهف خيالي واسع الاطراف في باطن الارض. وبلغ اعجاب رابطة بحوث القلب الامريكية بهذا العمل حدا منحت نيلسون جائزة "لمأثرته في نشر المعلومات حول نظام الاوعية الدموية القلبية".

الفضاء الداخلي — وفي العام ١٩٧٠، قرر نيلسون، بالاشتراك مع الدكتور جان لندبيرغ الاختصاصي في اسباب الامراض واعراضها في معهد كارولينسكا والمصور الفوتوغرافي في الوقت نفسه، التعاون على كتاب يتقصى باطن الجسم على نحو لم يشهده من قبل حتى الاطباء انفسهم. ويفسر نيلسون اهداف الكتاب بقوله: "لقد أردنا أظهار باطن الجسم على نحو يسهل فهمه لدى عامة الناس، وتصويره تصويرا مرضيا من وجهة فنية وجمالية بحيث لا تكون الصور مجرد رسوم ايضاحية لكتاب مدرسي". واقتضى ذلك العمل الجبار استخدام اربع عدسات مصغرة اضافية، كل واحدة منها اصغر من سابقتها حتى ان قطر صغراها لم يتجاوز قطر خيط رفيع. وقد استخدم نيلسون هذه العدسة في التقاط الصور

الفوتوغرافية الاولى للاذن الداخلية من مسافة قريبة.

ومن الادوات الاخرى التي يعتمدها نيلسون في عمله الفريد جهاز مسح مجهري الكتروني يكبر الاحجام الدقيقة بمقدار ١٠٠،٠٠٠ مرة. ومن صوره التي نالت شهرة خاصة تلك اللقطة الاولى بالمجهر الالكتروني لبعوضة في اثناء عملية القرص. وللفوز بتلك اللقطة ملأ نيلسون عشرات من انابيب المختبر بالبعوض الذي قنصه، ثم اطلق البعوض كله في حجرة مسدودة وقف فيها المتطوعون في انتظار القرص. والحيلة التي لجأ اليها نيلسون هي قتل البعوضة خلال عملية القرص بمادة كيميائية تحفظ الاجسام، وذلك في اللحظة الحاسمة التي يخترق فيها خرطوم البعوضة طبقة الجلد. وبعد مئات القرصات حظي نيلسون بما اراده، فنقل البعوضة وشريحة من الجلد الذي جثمت فوقه الى جهاز المسح المجهري الالكتروني. واسفر ذلك عن صورة تشبه طائرا ضخما من الجوارح يطعن بمنقاره حصيرة من المطاط.

قبلة الحياة — ومن صوره الشهيرة ايضا تلك التي تسجل اللحظة الاولى من بدء تكون جسم الانسان. وقد وقع عليها نيلسون عندما كان يلتقط صورا ايضاحية لدراسة تتعلق بالعقم عند بعض الناس. وبينما كان نيلسون يفحص بالمجهر العادي مسحة من عنق الرحم على شريحة زجاجية مجهرية تعج بمئات الخلايا النطفية الذكرية التي تدافعت حول بيضة انثوية او خلية التناسل الانثوية، ابصر فجأة احدى الخلايا الذكرية وقد بدأت تخترق السطح الهلامي للخلية الانثوية. وهزه هذا المشهد فبادر الى تجميده بالسائل الكيميائي، ثم نقل الشريحة الى المجهر الالكتروني الماسح وكبر الصورة ٣٠،٠٠٠ مرة، فسجل بذلك مشهدا فذاً لا مثيل له لخلية نطفية ذكرية متجعدة الثنايا كأنها فرخ ضفدع عملاق يدس رأسه في كهف صغير داخل الخلية الانثوية ليباشر على الفور عملية التلقيح. وكم وفق ذلك الصحافي الاسوجي الذي وصف المشهد بعبارة "قبلة الحياة".

لقد حصل نيلسون على جوائز والقاب وتكريم اكثر مما يستطيع حصره في ذاكرته. ولكن ربما كان اغرب اعتراف بمقدرته هو ان "ناسا" ، الادارة القومية الامريكية لبحوث الطيران والفضاء، ضمنت "بطاقة التحية الكونية" التي حملها رواد مركبتي الفضاء "فوياجر" ١ و٢ عام ١٩٧٧، نسخا عن الصورة الفذة التي التقطها نيلسون لتلقيح خلية التناسل الانثوية، مظهراً اللحظة الاولى لبدء التكوين البشري.

■ روي فيرغسون



كان الرسام الهولندي المشهور فان دوبخن يفضل ان يسافر متخفيا، فاختط لنفسه طريقة بسيطة ومضمونة: اذا سأله شخص يشتبه به عن اسمه، كان فان دوبخن يجيب: "فان دوبخن، يكتب بكلمتين مثل اسم الفنان المعروف.

هارولد هيلفر



الثعلب وعالم الانتروبولوجيا

عالم شاعر يروي
معجزة البراءة التي شاهدها
على شاطىء مهجور.

بدأت القصة في ساعة متقدمة من اصيل يوم خصص في بدايته للاغراض العلمية العادية. فبينما كنت اسير في منطقة غير مطروقة من شاطىء البحر اذ بي امام قارب تحطم مقدمه وانغرس في الرمال، حيث القت به التيارات منذ مدة وقد اطل الضباب ليغمر القارب المقلوب، ثم يندفع في وجهتي ويلتف من حولي كأنما هو يمعن النظر الي ليتبين ملامحي. لم يعترني الرعب من ذلك، وانما ادركت ببعض الوجل، ان احدا لم يكن يتوقع ان ابرح المكان على الفور.

فهممت بالجلوس واسندت ظهري الى القارب المقلوب ومر نورس فوق رأسي يضرب بجناحيه الفضاء وانطلقت منه صرخة كانت اشبه بانتحاب صادر عن كائن غريب، فأغلقت عيني وتركت قطيرات الضباب تتحسس وجهي. واطلقت

العنان لذاكرتي فراحت تهيم في ثنايا الزمان الى ان غشيني النوم.
وعندما افقت كان الضباب والليل قد انقشعا. وجلست ملتفا بسترتي المصنوعة من جلد الغنم واخذت ارقب الفجر يلامس وجه البحر وينساب الى الواح القارب من خلفي. فبدت اذ ذاك المعجزة لعيني وشاهدتها لانني كنت منحنيا في اتجاه الارض ولم اكن اتطلع الى أشياء هذا العالم تطلع الانسان المغتر بانتصاب قامته.
ولم ادرك الامر للوهلة الاولى. لكنني عندما استجمعت انتباهي التائه لم ار سوى اذنين ناتئتين سلطت عليهما شمس الصباح. ولمحت تحت الاذنين وجها رقيقا انيقا يرفع بصره الي على استحياء. وكانت اذناه تنثنيان تجعدا بازاء كل نبرة حبا في الاستطلاع وتبينت انهما لم تعرفا للخوف معنى بعد.
وزحفت على ركبتي حول مقدم القارب وجلست القرفصاء الى جانبه، واذا به ثعلب جرو يقيم في وكر تحت الاخشاب، لا بد ان والديه لم يعودا بعد من رحلة الصيد.
في فمي عظمة ـ وتناول ببراءة من كومة مختلطة من اشتات القمامة، ما بدا وكأنه عظمة دجاجة، واخذ يهزها امامي كأنه يدعوني الى اقتسام الوليمة، وقد ارتسم على وجهه مرح نزق بلا حدود.
ولكم قيل ان الانسان مهما فعل، لا يمكنه الوصول الى مرتفع يواجه منه العالم. فنصيب الانسان من العالم يقتصر على رؤية الجانب البعيد منه وعلى ادراك الطبيعة بالتراجع الى الوراء. فما القول اذا في ذلك الكائن القابع بين العظام، ذلك الثعلب الجرو البريء الواسع الاحداق يدعوني الى اللعب واياه، وقد تجلت كياسته الفطرية في ضمة قائمتيه الاماميتين مشفوعة بما بدا وكأنه هزة ازدراء من الرأس؟ فكأنه العالم يدور على نفسه في شكل عجيب لكي يعرض علي ملامح وجهه. وكان الوجه من الصغر بحيث ان العالم ذاته اضحى بسمة مشرقة.
الا ان تلك اللحظة لم تكن للتحدث عن الكرامة الانسانية، وانما كانت لحظة لمراعاة قواعد اللياقة المسجلة وراء النجوم. فما كان مني الا ان استعنت بكل ما لدي من وقار وهيأت يدي بينما راح الجرو يموء في بهجة واغتباط. واندفعت غير مبال فالتقطت عظمة واخذت اهزها بين اسناني التي لم تنس تماما مهمتها الاصلية. واخذنا انا والجرو ندور وندور ونتعثر في غمرة النشوة. فلقد كنا ذلك الشيء البريء بين العظام الذي انبعث من جوف البيضة ثم نشأ في الوكر او تشكل في صورة الانسان، وعندها تباعد وانعزل تحفظا عن سائر الكائنات.
لكنني شاهدت معجزتي. فرأيت العالم في البداية التي تبدأ منها جميع الاشياء. ولم تكن تلك البداية الا ذلك العالم الطفولي الضحوك البالغ الصغر. وربت على ظهر الجرو واخذت اعدو عدوا الى اقرب مرتفع من الارض. وكان وجه الشمس عندئذ عالقا فوق سطح البحر. وكان العالم يدور مرتدا الى وضعه العادي. كما ان كبار الثعالب كانت ولا بد في طريق العودة الى اوكارها.

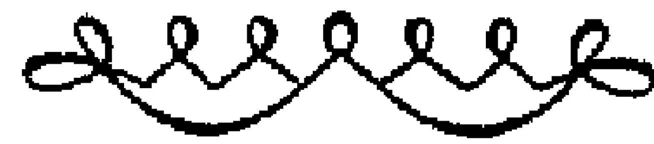
وبعد مسافة قليلة رأيت احد الثعالب على مرتفع شامخ الرأس والذنب، وعلى وجهه علامات الترقب والاحتراز. لكننا لم نأبه بالامر، فمضى كل في طريقه من دون ان تلتقي اعيننا.

اما انا، فقد جاءني الضباب بالمشهد الفريد الرائع، لحظة انتصبت امامي الاذنان الناتئتان في اشراق شمس الصباح، فعشت معجزتي الصغيرة كما هي الحال في كل عظيم من الامور. لكنني تمكنت لبرهة من ان اوقف مسيرة العالم بحيلة لا تعدو كوني قد جلست القرفصاء امام وكر الثعلب، واهرول هنا وهناك وفي فمي عظمة دجاجة.

ولقد كانت تلك اللحظة، ولا شك، اكثر وقارا ورزانة وادل ما اتيته من اعمال على الاطلاق.

■ لورن ايسلي

لورن ايسلي عالم امريكي مشهور في ميدان الانتروبولوجيا، توفي في عام ١٩٧٧ وقد جمع في آخر سنة من حياته بعض مقالاته المحببة ونشرها. وهذه احدى تلك المقالات.



من نوادر الشيوخ

عندما عدنا من عطلتنا الصيفية، كنا نتوقع ان نرى جدنا واقفا عند باب المنزل ليستقبلنا. لكننا وجدنا الباب مقفلا والبيت خاليا. وحيث انه كان عالما بقدومنا، فقد ظننا انه وضع المفتاح في مكان ما. فأخذنا نبحث عنه الى ان وجدناه ودخلنا المنزل، ورأينا كل شيء فيه جاهزا لاستقبالنا، بالاضافة الى مذكرة تركها على المائدة وجاء فيها: "لن اتأخر في العودة. المفتاح تحت عتبة الباب".

ك.ك.

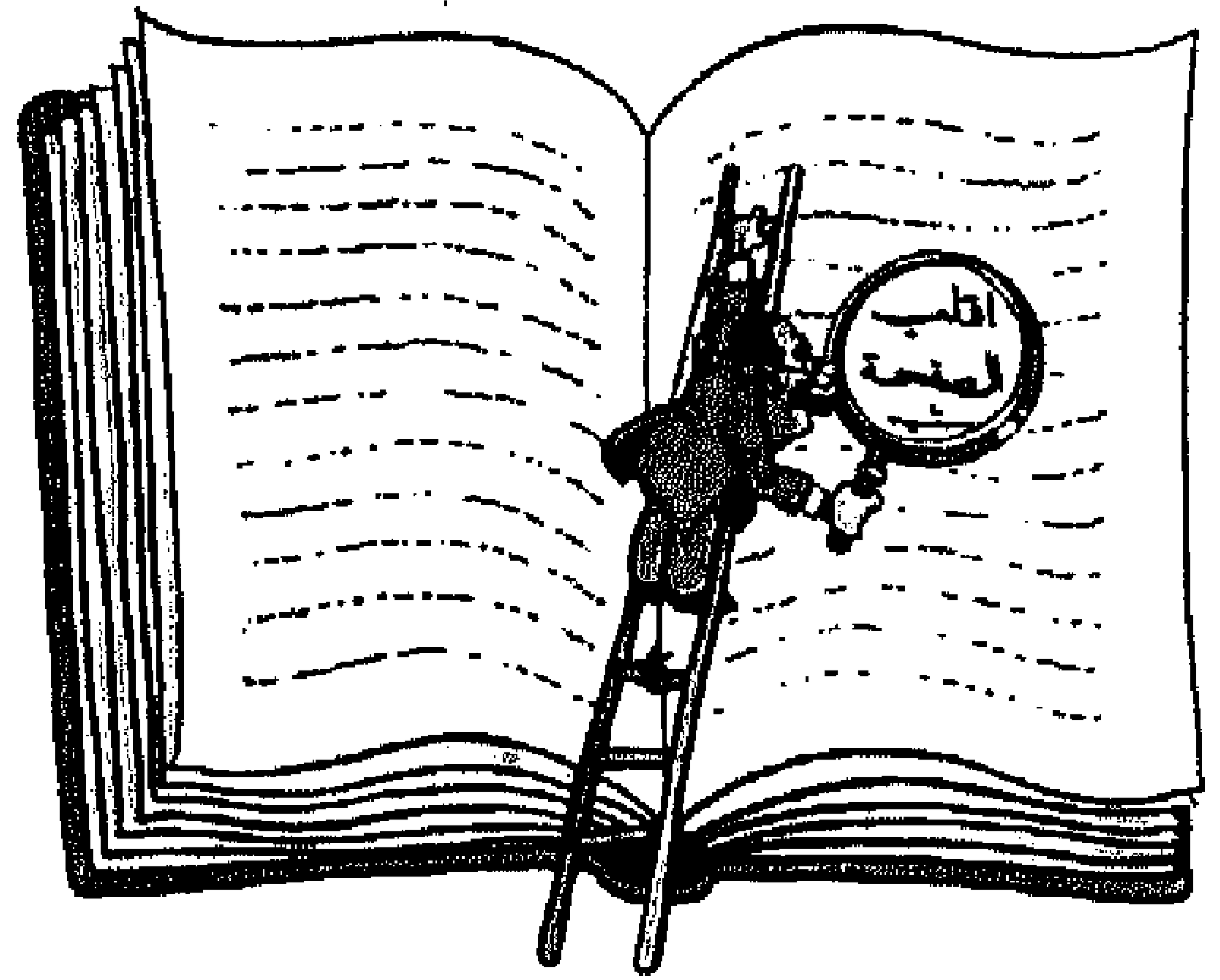
وقت للرئاسة ووقت للرئيس

ذهبت الى واشنطن بوصفي طالبة فرض عليها ان تروي قصة طريفة، فتمكنت من اقناع احد معاوني الرئيس ليندون جونسون الذي كان غائبا في ذلك اليوم، بان ازور القاعة البيضاوية التاريخية من البيت الابيض التي تتخذ فيها القرارات الوزارية. والتمست من المعاون ان يسمح لي بالجلوس لحظة على كرسي الرئيس.

فغطست في المقعد المكسو بالجلد وبسطت يدي على ذراعيه العريضتين واخذت احدّق في الطاولة. فرأيت هناك تحت مقدمها ومقابل المقعد لوحة تحمل اربعة ازرار: احمر وازرق واخضر وابيض. فقلت في نفسي: يا لعظمة السلطة الرهيبة! فأي هذه الازرار يتصل بالبنتاغون (مقر وزارة الدفاع الامريكية)، وأيها بالكرملين (مقر الحكومة الروسية)، وأيها بداونينغ ستريت رقم ١٠ (مقر رئاسة الوزارة البريطانية)، وأيها يتحكم بانطلاق الحرب النووية التي قد تبيد الحضارة؟

وكدت اطير فرحا لتمكني من العثور على مثل هذه الرواية المثيرة. ولكن، لسوء الحظ، ما ان انقضى الاسبوع حتى صدرت مجلة "التايم" وفيها خبر مقتضب عن الازرار الملونة الاربعة التي امر الرئيس جونسون بوضعها امام مقعده في القاعة البيضاوية: الزر الابيض لطلب الحليب، والاحمر لطلب القهوة، والازرق لطلب المشروب، والاخضر لطلب الماء.

لوتا دمبسي في كتاب "لا حياة للمرأة"



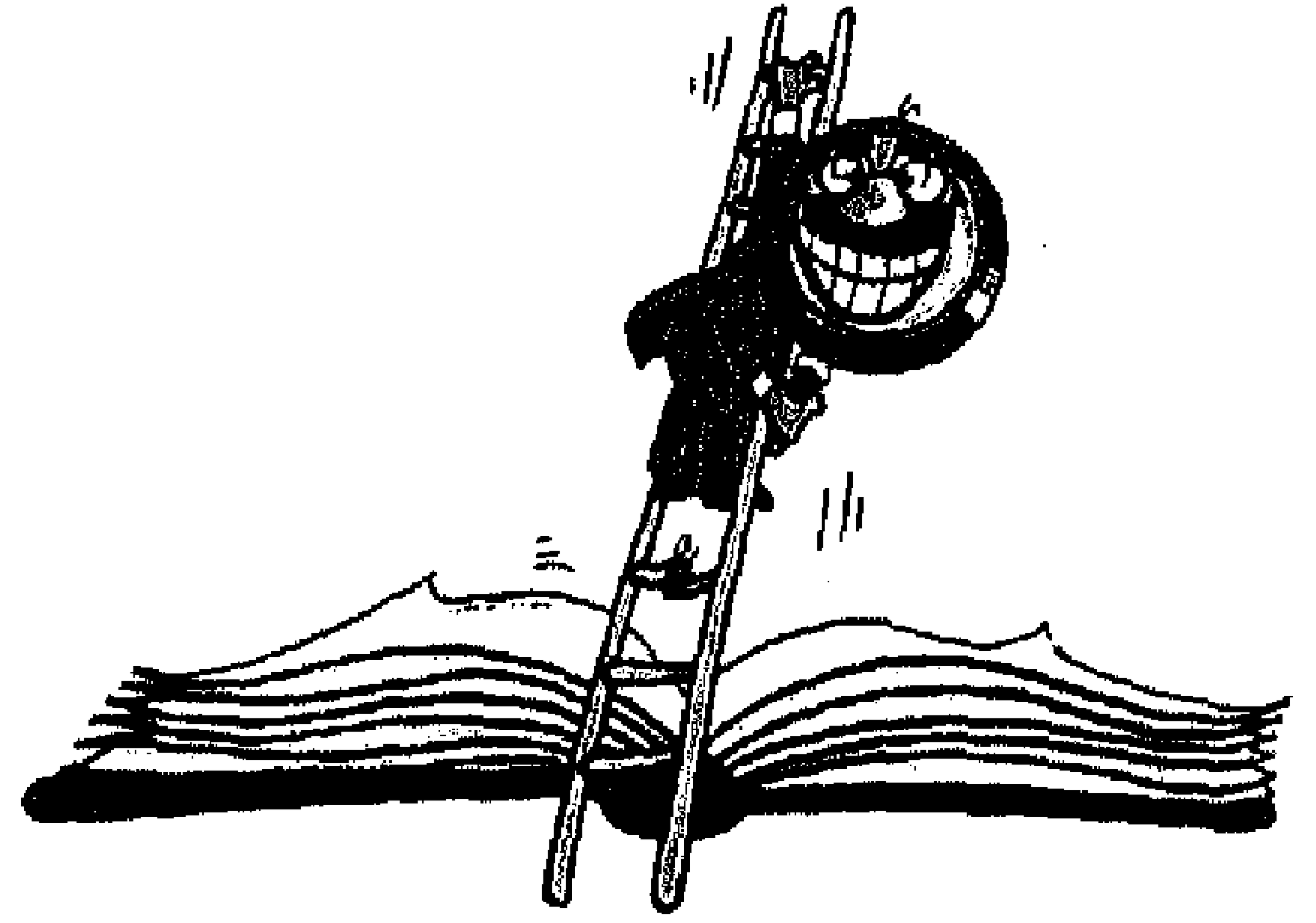
دائرة المعارف

هذا الباب فتحه "المختار" بهدف زيادة معارف قرائه من جهة، ومساعدتهم على فهم بعض المواضيع المتخصصة.

ومن أجل الوصول الى هذا الهدف، أخذ "المختار" بفكرة الرياضة الذهنية فاسحاً أمام قرائه مجال الاختبار.

كلمات الدائرة في هذا العدد هي اسماء أعلام (أشخاص) مذكرة ومؤنثة. وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ • غيث: عون - ندى - ثلج - مطر.
٢ • رباح: غنى - ربح - عبير - كَرَم.
٣ • تامر: كثير التمر - بائع تمر - مثمر - طويل.
٤ • عبْلة: صخمة ممتلئة - سمراء - شقراء - بيضاء.
٥ • أيْمَن: منسوب إلى اليمن - سعيد - كريم - مبارَك.
٦ • لمياء: سمراء الشفتين - واسعة العينين - طويلة - فاتنة.
٧ • بشير: سعيد الحظّ - عاشق - مَرِح - مبلّغ البشرى.
٨ • وَضّاح: واضح - أسمر - أبيض - جَوّاد.
٩ • أُسامة: اسم زهرة - اسم طائر - اسم للأسَد - رفيع الخُلُق.
١٠ • لُبْنى: شجرة صنوبر - شجرة ذات عسل طيب - رضيعة - حاجة.
١١ • فاروق: مؤمن - مفرّق الامور - زعيم - قادر.
١٢ • عِصام: عَهْد - قوي - ساعِد - لا يُخْطيء.
١٣ • نَذير: عالم بالأمر - مستعدّ - ناظِر - مُنْذِر.
١٤ • بلال: نَدى - رجاء - ماء - كَرَم.
١٥ • ضُحى: جَمال - تضحية - مكان مرتفع - وَقْت شروق الشمس.
١٦ • تَميم: بَدْر - كامل الخَلْق - طائر مائي - خرزة زرقاء.
١٧ • أدهاء: طويلة - ذكية - سمراء - بيضاء.
١٨ • رامِح: رمح طويل - غمد السيف - صفة للبرق - ذو عقل.
١٩ • جُمانَة: صَدَفَة - لؤلؤة - بنفسجة - قلادة فضة.
٢٠ • عَزّام: مضيف - صبور - صعب القياد - عاقِد العَزم.
٢١ • نجيب: صديق محسن - عاقل - كريم الحَسَب.
٢٢ • وائل: ملتجىء - وارث - عائد - سعيد.
٢٣ • كِنانَة: جعبة للسهام - رَوض - ضمير - سِتْر.
٢٤ • إياد: متقدّم - كريم - سَنَد - قويّ.
٢٥ • حليم: قاض في الامور - ذو عقل - تقي - حالم.
٢٦ • ضَيْغَم: أسَد - حصان - نمر - ضخم الجسم.
٢٧ • سُهى: ضوء القمر - اسم كوكب - سَهَر وأرَق - خيال.
١٨ • فَيْصل: واضح - مادح - لسان - حاكم وقاض في الامور.
٢٩ • لبيب: رقيق القلب - بهيّ - عاقل - مُنْتَقى.
٣٠ • عاتكة: قادرة - شديدة الحُمرة - فاتنة - ممتلئة الجسم.



الأجوبة الصحيحة

٠١ غَيْث: مطر، وربما سمي السحاب غيثاً، أيضاً: الكلأ الذي ينبت بماء الغيث، ومنها: "رعينا الغيث"، أي النبات.
٠٢ رَباح: ربح، ما يُربح.
٠٣ تامر: كثير التمر أو عنده تمر.
٠٤ عَبْلة: ضخمة، ممتلئة الجسم، عبلاء: صخرة بيضاء.
٠٥ أيْمَن: مبارك على قومه، وبالمعنى نفسه يامن وميمون.
٠٦ لمياء: في شفتها لمى، أي سمرة او سواد، وهي مؤنث ألمى.
٠٧ بَشير: مبلغ البشرى او الخبر المفرح.
٠٨ وضّاح: أبيض اللون، حسن الوجه، بسّام، نهار.
٠٩ أسامة: من اسماء الأسد.
١٠ لُبْنى: الذي يفرق بين الامور، لقب الخليفة عمر بن الخطاب.
١٢ عصام: عَهْد او ذمام، كحل.
١٣ نَذير: منذر، اسم بمعنى الانذار، رسول، الشيب لأنه ينذر بتقدم السن.
١٤ بلال: ماء، ما يُبَلّ به الحلْق من ماء او لبن.
١٥ ضُحى: وقت شروق الشمس، الشمس، البيان: "ما لكلامه ضحى"، أي بيان.
١٦ تميم: كامل الخلق، جميل.
١٧ أدماء: سَمْراء.
١٨ رامِح: صفة للبرق الذي يلمع لمعاً خفيفاً متقارباً، طاعن بالرمح، ذو رمح، "السماك الرامح": نجم سُمي هكذا لأن قدامه كوكباً كأنه رمح له.
١٩ جُمانة: لؤلؤة (كلمة فارسية)، جمعها جُمان.
٢٠ عزّام: مبالغة "عازم": عاقد العزم او الضمير على فعل شيء، جادّ في الأمر، صفة للأسد.
٢١ نجيب: كريم الحَسَب، فاضل نفيس في نوعه.
٢٢ وائل: ملتجىء، متخذ موئلا، راجع إلى الله.
٢٣ كِنانة: جعبة من جلد او خشب تُجْعل فيها السهام.
٢٤ إياد: سَند او دعامة، "إياد الجيش": جناحاه، أي ميمنته وميسرته، ستْر، كنَف، هواء.
٢٥ حَليم: عاقل (ضدّ طائش)، رزين، صبور، هادىء.
٢٦ ضَيْغم: أسد، وجمعها ضياغم.
٢٧ سُهى: كوكب خفي، يمتحن به الناس أبصارهم، ومنه المثل: "أُريها السُهى وتريني القمر"، يُضرب للذي يَسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً.
٢٨ فَيْصل: حاكم وقاض، ما يَفْصل بين الامور، القضاء بين الحق والباطل، السيف القاطع.
٢٩ لبيب: عاقل، ذو لبّ.
٣٠ عاتكة: شديدة الحمرة، قوْس محمرّة، كريمة خالصة، العاتك: الكريم الخالص من كل شيء ولون، النبيذ العاتك: الصافي.

المستوى

٢٥ - ٣٠	: ممتاز
١٩ - ٢٤	: جيد
١٣ - ١٨	: مقبول

حَظّ اكبر للمصَابات بسَرطان الثدي

هناك علاج جديد يعقب الجراحة حقق اهم تقدم في معالجة سرطان الثدي منذ مطلع القرن الحالي.

في مطلع ١٩٧٦، تولت جماعة من باحثي المعهد القومي الايطالي للاورام الخبيثة تقويم النتائج الاولية لاحد البرامج التجريبية لمعالجة سرطان الثدي في مرحلته الثانية بواسطة العقاقير - ذلك النوع الذي يبدو لدى الجراحة انه اجتاح العقد اللمفاوية المجاورة للثدي. وحتى ذلك التاريخ، كانت امرأة واحدة من اصل خمس نساء مصابات تقضي نحبها في غضون ثلاثة اعوام، بينما تقضي نصف المصابات تقريبا نحبهن خلال خمسة اعوام. اما الان، اي بعد خمسة اعوام من بداية المشروع الايطالي، فقد ادت المعالجة الجديدة الى زيادة الحظ في النجاة، خصوصا لدى النساء اللواتي لم يبلغن سن اليأس.

ولما كانت فرص سلامة المصابات بسرطان المرحلة الثانية نادرة احصائيا، فقد كلف مدير البرنامج جياني بوناندا ان يختبر عليهن نظاما علاجيا يستند الى ثلاثة عقاقير، ويطلق عليه اسم "سي. ام.اف". (سيكلوفوسفاميد، ميثوتريكسات، فلوروراسيل). ولكل من العقاقير الثلاثة طريقة مميزة في مهاجمة خلايا الداء.

نتائج مشجعة - وبعد تركيب العقار عام ١٩٧١ في المعهد القومي الامريكي للسرطان الدي دعم تمويل المشروع الايطالي، جرب باحثو المعهد عددا من العقاقير المضادة للداء. الا ان العقار الثلاثي الذي لم يستخدم من قبل لمرض المرحلة الثانية اثبت فعالية مثيرة في المراحل الاخيرة من المرض حيث تندر فرص الشفاء.

انتقى الدكتور بونادونا ٣٨٦ مصابة لاختبار العلاج عليهن. وكان اجري استئصال جزئي للثدي لهن جميعا. وهي جراحة تقوم على بتر الثدي كاملا وشذب ما تحته من عضلات الصدر، والعقد اللمفاوية للابط، بعد تفشي الداء لديهن جميعا الى العقد اللمفاوية. واستثنيت من المعالجة بعد الجراحة ١٧٩ امرأة. بينما حقنت الباقيات بجرعتين من العقار الثلاثي سي. ام١٠ف.، وتناولن عن طريق الفم جرعة واحدة شهريا لمدة ١٢ شهراً أعقبت الجراحة.

ومن بين النساء اللواتي لم يتخطين سن اليأس وتابع الباحثون تطوراتهن الصحية على مدى أربعة اعوام، تكررت الاصابة لدى ٦٠ في المئة من اللواتي لم يعطين الدواء، في حين توفيت ٣٠ في المئة منهن. اما اللواتي عولجن بواسطة العقار الثلاثي "سي١٠ام١٠ف". فقد تكررت الاصابة لدى ٢٥ في المئة منهن، وانخفضت نسبة الوفيات بينهن قرابة ١٠ في المئة. ولاسباب لم تحدد بعد، كانت النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس اقل حظا على رغم ان العلاج بواسطة العقار الثلاثي ساهم في تأخير الانتكاس.

وتؤيد تجارب مشابهة اجريت في الولايات المتحدة النتائج المشجعة التي حصل عليها الدكتور بونا دونا. وان اوسع تجربة تمت في الولايات المتحدة حتى الان كانت مبنية على العقار "ال - بام" (خردل الفينيلالانين) الذي يؤخذ عن طريق الفم. وقد شاركت ٤٠٠ امرأة ضمن ٣٣ مركزا امريكيا واربعة مراكز كندية في دراسة للمعهد القومي للسرطان بدأت عام ١٩٧٢ في اشراف الدكتور برنارد فيشر من جامعة بيتسبورغ الامريكية. ولمدة خمسة ايام كل ستة اسابيع خلال عامين، اعطي نصف النساء حبوبا مزيفة والنصف الآخر حبوب "ال - بام". وهؤلاء النسوة كاللواتي عوجلن بطريقة بونادونا، سبق ان اخضعن لاستئصال جذري للثدي بعد انتقال الداء لديهن جميعا الى عقدة لمفاوية واحدة على الاقل.

وبعد ٤٨ شهرا من مباشرة الدراسة، وجد فيشر ان الاصابة تكررت لدى ٥٠ في المئة من النساء اللواتي لم يبلغن سن اليأس وتناولن الاقراص المزيفة، بينما اقتصر تكررها على ٣٠ في المئة من النساء اللواتي تناولن "ال - بام". غير ان النتائج بالنسبة الى النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس لم تسجل رقما ملحوظا هي الاخرى. فقد تكررت الاصابة لدى ٣٨ في المئة ممن تناولن الاقراص المزيفة ولدى ٣٥ في المئة ممن تناولن عقار "ال - بام".

ولا يزال غامضا سبب ضعف تأثير العقار على النساء اللواتي تخطين سن اليأس. ومن النظريات الشائعة لتفسير ذلك واحدة تستند الى اختلاف التوازن الهرموني لدى النساء الاكبر سنا. وثمة نظرية اخرى تقول بحقيقة كون خلايا السرطان تنشطر وتنتشر بسرعة اكبر لدى النساء الاصغر سنا. وقد توحي هذه الحقيقة للوهلة الاولى ان فرص نجاة المسنات اقوى. لكن الواقع ان خلايا السرطان السريعة الانشطار تبقى اشد تعرضا للتلف بواسطة العقاقير.

في حال الاصابة بسرطان الثدي...

□ ابحثي مع طبيبك مسألة العلاج الاكثر ملاءمة لك:
يختلف علاج سرطان الثدي من امرأة الى اخرى تبعا لاختلاف الحاجات والظروف. ولا يعطي الطبيب تقديره لمدة الجراحة وما يتبعها من علاج كيميائي وعلاج بالاشعة الا بعد دراسة حجم الاصابة ونوعها وموضعها. وفي حال وصف الجراحة، لا تترددي في الطلب من طبيبك ان يشرح لك الطرائق الجراحية المتوافرة والخطوات التي تليها.

□ استشيري اختصاصيا في السرطان، اذا وصف لك العلاج بالمواد الكيميائية:
ان معظم اطباء الصحة واختصاصيي الجراحة العامة وحتى الاختصاصيين في الامراض الداخلية ليسوا مؤهلين لاستعمال الطرق الجديدة لمعالجة السرطان. وان اي طبيب صحة قديرا لا يرفض طلب استشارة طبية مع احالة او طلب احالة الى اختصاصي في السرطان لديه معرفة عصرية بامكانات العلاج بعد الجراحة.

□ استفسري عن امكان اجراء جراحة تجميلية:
يمكن في بعض الاحوال المحافظة على محيط الثدي عن طريق اجراء جراحة تجميلية. ويستلزم هذا، لدى النساء الراغبات، فيه، جراحة ثانية اذا امكن اجراؤها. لكن يجب ان يبحث في امرها ويخطط لها قبل العملية الاولى، اذ ان انقاذ الحياة اهم من الحفاظ على الثدي. ولكن في بعض الحالات لا يكون الخيار على هذه القسوة.

□ شاركي في مشروع بحث اذا طلب منك ذلك:
ان تعاون آلاف النساء الامريكيات والاوروبيات مع الباحثين المختصين في سرطان الثدي هو الذي ادى الى تحقيق هذه المكاسب الجديدة المشجعة.

ويرى بونادونا ان مفتاح الحل بالنسبة الى المسنات هو في تكثيف المعالجة بواسطة عقار "سي.ام.اف". او اضافة عقاقير اخرى الى الخليط. وتحقق الاساليب الجديدة في الولايات المتحدة الجمع بين عقار "ال - بام" وعقار مضاد للاستروجين اسمه تاموكسيفين، دلت التجارب البريطانية على كونه زاخرا بالوعود. وهي تستخدم ايضا لقاحا يدعى "سي - بارفوم" وهو مادة مقوية لدفاع الجسم المناعي. ويقول الدكتور فيشر: "نشعر بان التقدم بالنسبة الى النساء اللواتي تخطين سن اليأس سوف يأتي عن طريق توافق العلاج الكيميائي والعلاج الهرموني والعلاج بالمناعة".

فهم متزايد - ان هذه الطريقة الجديدة لمعالجة سرطان الثدي هي حصيلة فهم متزايد لطريقة انتشار السرطان. فقد ظن الاطباء لسنوات عدة ان خطورة السرطان ناجمة عن اجتياحه الخلايا المجاورة او - كما في حال سرطان الثدي - بقية الجسم عبر الممرات اللمفاوية. وكان هدف الجراحة استئصال السرطان باكمله قبل ان يتمكن من الانتشار. وقد ادى هذا التصور الى تطور طريقة الاستئصال الجذري للثدي التي ظلت طريقة العلاج المتبعة طوال ٩٠ عاما.

ومع استمرار وفيات المصابات باورام صغيرة وعقد لمفاوية نظيفة، على رغم الجراحة الناجحة وبفعل اورام غير مباشرة، بدا واضحا انه لم

يكن في وسع ابرع جراح الحيلولة دون انتشار بعض الخلايا الخبيثة في الدم وبالتالي تسريع اورام مقبلة.

ان فهم التطور الطبيعي لسرطان الثدي وكل الاورام الصلبة قد تبدل في الوقت الحاضر ببساطة وعمق بحيث اصبح يؤثر في مختلف الطرق العلاجية الجديدة. فالتغير الحالي ينطلق من كون الاورام الخبيثة شاملة الجسم كله على رغم انها تبدو في الظاهر اوراما موضعية. والنظرية التي تبرر استخدام المعالجة بالمواد الكيميائية هي ان العقاقير تعمل في انتظام على تدمير نمو الاجسام الصغيرة غير المرئية عبر الجسم وتزيد مناعة الجسم للتغلب على ما يجتاحه. وتبقى الجراحة مفيدة لأنها تخفض عبء الورم الكلي.

وقد كانت نتائج المعالجة الكيميائية من الاهمية بحيث ان كلا من الدكتور بونادونا وفيشر قررا اخضاع كل امرأة في المرحلة الثانية من السرطان لهذه المعالجة في الاختبارات المقبلة. ويقول الدكتور بونادونا: "ان الامتناع عن اعطاء علاج افضل ليس خلقيا". وبغية التوصل الى علاج اشد فعالية، يواصل بونادونا وفيشر وعدد كبير من الباحثين تجاربهم باستخدام جرعات مختلفة ومركبات من العقاقير على مرضى جدد. وستتم مقارنة نتائج كل فئة مع النتائج التي حصلت عليها النساء اللواتي اقتصرت معالجتهن على طريقة "ال - بام" او العقار الثلاثي. وقد تم وضع العقارين وسواهما من العقاقير المضادة للسرطان في متناول ذوي الاختصاص.

وتذهب فئة كبيرة من الاختصاصيين في السرطان الى ان العلاج بالعقاقير يجب ان يقتصر على مختبرات البحث ريثما تصبح النتائج نهائية وتنكشف آثار العقاقير الجانبية في المدى الطويل. لكن رد الفعل العنيف جاء من جانب الدكتور جيمس هولاند، رئيس قسم السرطان في معهد جبل سيناء للطب في نيويورك واحد الرواد العالميين في مجال المعالجة الكيميائية للسرطان، اذ قال: "ان اخطار العقاقير ضئيلة للغاية اذا ما قورنت باحتمال الموت من سرطان الثدي حين تكون العقد اللمفاوية متأثرة بذلك خصوصا اذا اعطيت العقاقير من طبيب كفي".

وبينما يستمر الخلاف، يجمع معظم الباحثين على ان هذه المجموعة من العلاجات الكيميائية المرافقة للجراحة تمثل اهم تقدم في معالجة سرطان الثدي منذ مطلع القرن. وهي بالتالي تقدم املا جديدا الى آلاف النساء اللواتي يتعذبن تحت وطأة هذا المرض.

■ برباره يونكير



يتضح من دراسة أجريت اخيرا ان عددا كبيرا من المراهقين يعارضون التربية الجنسية في المدارس، ويدعون انها مكيدة ينصبها اهل التلاميذ والمربّون لجعل هذا الموضوع مملا وغير ممتع.

ا.س.

الغريب القادم من البحر

هذه حكاية خرافية مستقاة من التراث الشعبي في اقاصي الشمال القطبي، تبرز من خلالها فضائل الثبات والحنو.

بدأت سلسلة اسفار ناكوسياك من زقاق بحري تكتنفه الاجرف على الشاطىء الشرقي لجزيرة بافين (★)، صباح يوم من شهر يوليو (تموز) في اواسط القرن التاسع عشر، وكانت مياه المحيط تحجبها طبقات الضباب الابيض المنذرة بالشؤم. وقد تجمع الصيادون على الشواطىء يستمعون الى الاصوات المنغمة المتعالية من اول فوج من الفقمات يفد الى تلك المياه في ذلك الفصل. وكانت بواعث الاغراء بمطاردتها كثيرة وملحة، غير ان العواصف الهوجاء في تلك الفترة كانت تحول دون القيام بمثل تلك المجازفة.

لكن ناكوسياك لم يأبه لتحذير رفاقه واحتراسهم، وفضل ان يعتمد على قوته وحسن طالعه في مواجهة الاخطار، التي تخبئها له المياه.

ورأى المشاهدون على الشاطىء زورقه المصنوع من الجلد (الكاياك) وهو يتوارى بين كتل الجليد الطافية على سطح المياه. وعلى رغم الصعوبة الكبرى التي لقيها في تحديد مكان الفقمات، ابى ناكوسياك ان يرتد على اعقابه وقد استحوذ الصيد على ذهنه حتى انه كاد الا يلاحظ تفاقم انقضاض الريح العاصفة من الغرب.

وبعد بضعة ايام لاحظ الحارس المكلف مراقبة الجليد في مضيق ديفيس من قفص المراقبة في اعلى السفينة النرويجية لصيد الحيتان، ان شيئا يطفو فوق الجليد على بعد ٣٠٠ كيلومتر تقريبا الى الجنوب الشرقي، فظن انه دب قطبي وصاح باعلى صوته آمرا بتغيير وجهة الابحار. وراحت السفينة تشق طريقها وسط كتل الجليد المترابطة، في اتجاه ذلك الشبح الذي اخذ يتجلى في هيئة انسان ملقى على سطح عائم بين طافيتين متقاطعتين من الجليد.

(★) أكبر جزيرة في الارخبيل الكندي القطبي.

وبعد ان نقل جسم ناكوسياك المنهك مع زورقه المحطم الى السفينة تناول بعض الطعام الساخن فبدأ يستعيد قواه على اثر التجربة القاسية التي مر بها. لكن ناكوسياك الاسكيمو لم يسبق له اطلاقا ان شاهد بشرا من اللون الابيض لذلك تملكه الارتباك خلال الساعات الاولى على ظهر السفينة وتفاقم اضطرابه عندما بدأت السفينة تتجه بثبات نحو الجنوب الشرقي وشعر بانها تبتعد به عن مقره وذويه.

وبلغ قلقه ذروة الهلع عندما تغلغلت السفينة في عرض المحيط فراح يترصد زورقه بعين محمومة ولهفة مكشوفة فضحت نياته. فما كان من بحارة السفينة الا ان ضبطوا الزورق الذي كانوا اصلحوه على عجل، واحكموا شده الى الباب الخلفي من السفينة. ولم يقدم البحارة على هذا التصرف الا حفاظا على حياة ناكوسياك الذي يتهدده الموت، بلا ريب، ان هو نزل في عرض المحيط بزورق ضئيل كهذا.

كانت السفينة الى جنوب شرق جزر فايرو حين واجهتها ريح جليدية هوجاء هبت من الناحية الشمالية الغربية. وكان في استطاعة هذه السفينة المتينة ان تصمد في وجه العاصفة لو لم تتفكك فجأة اشرعة الصاري الرئيسي وتتشقق في ضجة مخيفة انقصف معها الصاري كالعظمة المكسورة وهوى الى جانب السفينة المحجوب عن الريح، ولم يلبث ان اصبح بمثابة المرساة بدافع الحبال التي تشدها، فتمايلت السفينة واستدارت بعنف مع الريح نحو منحدر الامواج المرتفعة العاتية وانقلبت نصف قلبة.

ولم يتسع الوقت لانزال زوارق الانقاذ من السفينة. وبالكاد تمكن ناكوسياك من قطع رباط زورقه المشدود الى الباب الخلفي والانزلاق في جوفه الضيق قبل ان ترتطم السفينة بموجة طويلة عملاقة اخرى تكسرت هادرة على ظهر السفينة فتلاشى كل شيء تحت غمرة الماء.

تحطم الزورق كالبيضة — وسرعان ما تقاذفت الامواج ناكوسياك وزورقه بعيدا عن السفينة، ثم اعتلى لحظة قمة موجة عامرة كالجبل، وحبس انفاسه وهو يهبط في منحدر شاهق بدا انه سيفضي به الى اعماق المحيط. وكان ناكوسياك احكم على خاصرته رباط تنورته المصنوعة من جلد الفقمة والمخاطة الى حافة الزورق منعا لتسرب الماء الى داخله. حتى غدا الرجل وزورقه وكأنهما هيكل واحد لا يتجزأ.

وظلت الامواج العاصفة تتقاذف هذا الحطام القطبي الصغير، والقلب البشري الخافق في جوفه، في اتجاه الجنوب الشرقي على مدى فترة طويلة الى ان غام بصر ناكوسياك وانعدمت الرؤية لديه، وتصدعت عضلاته وتلولبت بالم مبرح الى ان انتهت محنته فجأة مثلما بدأت لدى قدوم موجة طويلة جبارة انتشلت الزورق عاليا وارقصته على كفها قبل ان تقذف به من عل فوق الحصى المتزاحمة على الشاطىء الصاخب فتحطم الزورق كقشرة البيضة، وانصعق ناكوسياك في شبه ذهول، وراح ينجرف فوق تيار المد حتى

انتهى به المطاف الى جزيرة تارانسي في الهبريد الخارجية (★)٠

وبعد مضي بضع ساعات افاق ناكوسياك من غيبوبته على صراخ النورس وقد انقشعت الغشاوة عن عينيه لكنه لم ير اي اثر لوميض الجليد على سطح البحر الجائش٠ وحلقت فوقه اسراب الطيور البحرية تهدده باشكالها واصواتها الغريبة واجال نظره شطر الحقول المسيجة فوق لسان الارض الممتد الى البحر واستقر بصره على مشهد مألوف، وظن ان تلك الرقع البيض المترامية فوق المروج المرتفعة لا بد ان تكون ثلوجا ذرتها الريح فوق اليابسة٠ وحدق فيها طويلا حتى اتى الخوف على اوهامه مذ بدأت تلك البقع البيض تتحرك وكأنها تنبض بالحياة٠ وهب ناكوسياك يعدو فوق الشاطىء الى ان بلغ كهفا فلاذ الى حماه وقلبه يخفق قلقا ورعبا لانه لم يعرف من قبل سوى حيوان واحد ابيض بمثل هذا الحجم، هو الذئب القطبي، ولم يدر في خلده ان ثمة ذئابا بهذه الكثرة٠

وبقي ناكوسياك قابعا في الكهف خلال اليومين التاليين لا يجرؤ على الخروج منه، ولكنه في اليوم الثالث احس بالحاجة الى امرين ملحين: الطعام والسلاح٠ وبعد ان عثر على خشبة طولها متر واحد جرفتها المياه الى الشاطئ، استطاع ان يربط سكينه بها فجعل منها رمحا بدائيا ساعده على استعادة شجاعته، بانتظار ما سيواجهه من احداث جديدة٠

الكائنات الغريبة — وفي صباح اليوم الرابع بلغ ناكوسياك، بعد ان تسلق منحدرا طويلا وشاقا، حافة معشبة خضراء فوق مرتفع صخري احمر، فمكن اصابعه منها وارتفع بجسمه والقى به فوق العشب الناعم لاهثا، ولكن سرعان ما غرب شعوره بالارهاق، لدى مشاهدته على اقل من مئة خطوة منه، حشداً كبيراً من الكائنات البيض الغريبة، فامسك في الحال برمحه واحكم قبضته عليه٠

وبدأ القطيع يدنو منه رويدا رويدا، وفي طليعته كبش كبير ذو قرنين اسودين لولبيين٠ وثغت الخراف في جوقة متعالية النغم، ولم يقو ناكوسياك على الصبر فاطلق صرخة المتحدي وهاجم الحشد الابيض طعنا برمحه المرتجل٠ فجفل القطيع وتفرق هربا، وراح ناكوسياك يحملق في الحيوانين المقتولين المرتميين على الارض ويرتجف رعبا كالمصاب بالحمى٠ لكن الشك ما لبث ان زال عنه واتضح له ان تلك الكائنات ليست ارواحا وانها بالتالي عرضة للموت، فاحس بغمرة من الانفراج وتملكه الضحك. واخذ يملأ معدته المتضورة جوعا باللحم الاحمر٠

على قمة التلال كان الراعي المحنك آنغوس ماكريمون على بعد نصف كيلومتر تقريبا داخل اليابسة، فاسترعت نظره حركة القطيع غير العادية٠ فهو رأى الخراف تتجمع حول كائن مجهول الشكل عند حافة المنحدر الصخري٠ وقبل ان يتمكن الراعي من الوقوف لاستجلاء الامر، نهض ذلك الكائن المقرفص ووثب صارخا على القطيع٠ ثم ابصر ماكريمون وهج الدم على الصوف

(★) جزر واقعة غرب الساحل الاسكتلندي٠

الابيض، وشاهد القاتل وهو يشق خروفا ميتا ليأكل لحمه النيء. فسارع الى طلب النجدة وهو يلعن نفسه لانه ترك كلبه في المنزل. ولم يطل الوقت حتى اقبل عشرة من القرويين، اثنان منهم مسلحان ببندقيتين من الطراز القديم تلقمان بالرصاص من فوهتيهما، وثالث يحمل بندقية ذات ماسورة طويلة.

كان النهار قد شارف على الافول عندما بدأ الرجال الرعاة يجتازون المروج في اتجاه الصخرة. وشاهدوا من بعد كومتين بيضاوين هما الخروفان المقتولان فتجمعوا في كتلة متراصة ومشوا بحذر الى ان رفع احدهم يده مشيرا الى نقطة معينة، ورأوا جميعهم الكائن الجاثم بالقرب من احد الخروفين، فاطلقوا لكلابهم العنان.

وكان ناكوسياك منهمكا في تقطيع شرحات اللحم، ولم يلاحظ قدوم الرعاة الا عندما ارغمه نباح الكلاب الصاخب على رفع عينيه، فرأى الكلاب قد احاطته وفي مقدمها كلبة لرعاية الغنم ضخمة سوداء وبنية اللون من فصيلة الكولي الاسكوتلندية الاصل. وانقضت الكولي بحركة دائرية على ذلك الكائن الغريب الرائحة والغريب الملبس والدامي اليدين الجاثم بقرب الذبيحة الممزقة. فرد ناكوسياك على الانقضاض بحركة جانبية ممسكا نصاب رمحه بكلتا يديه والقم الكلبة على جانب رأسها ضربة شديدة كسرت عنقها. وللتو دنت منه بقية الكلاب مرة اخرى فتراجع ناكوسياك حتى حافة الصخرة ثم رفع رأسه في اتجاه الرعاة وصاح بلغته: "اني انسان لا ينوي شرا".

وردا على كلمته دوت طلقة من البندقية واصابت القذيفة كتف ناكوسياك بقوة استدار معها حول نفسه، وعلت صيحة الرعاة واندفعوا راكضين الى الامام بينما تعثر ناكوسياك فوق حافة الصخرة وهوى، الا انه تشبث بيده اليمنى بارض المنحدر الشاهق وتمكن من التعلق بسفحه منزلقا مسافة مترين فوق جزء ناتىء ثم استلقى منهوك القوى ومرتعشا على حافة ضيقة حفرتها الطبيعة في جدار المنحدر الصخري.

وحين أطل الرعاة فوق المنحدر لم يروا في الاسفل سوى بريق موج البحر المتكسر على الشاطىء الضيق ووميض اجنحة النورس التي فزعت من اماكنها، فاستدعوا كلابهم وقفلوا راجعين الى ديارهم عبر المروج التي بدأ الظلام يخيم عليها. ومهما تكن حقيقة قاتل الخروفين فقد علموا في اعماق قلوبهم انه كائن بشري الا ان نفوسهم لم ترتح الى هذه المعرفة، كما عبر عن ذلك ماكريمون عندما سألته زوجته وبناته عن حقيقة ما وقع فقال: "لقد حدث ما حدث. ولا خير في ابلاغ الدنيا باسرها ما جرى فوق المروج، فلن يصدق الناس الخبر. ومن الافضل نسيان الامر".

اما ماكريمون فلم يقو هو على نسيان الحادث ولازمته ذكرى ذلك الصوت الغريب وانتابته الافكار المزعجة. فما كان منه بعد ثلاثة ايام الا ان توجه الى المرتفع الصخري وانحدر فوق حافته برفق بينما اخذ كلبه يئن في عوائه ولم يجرؤ على

الانحدار وراء سيده الذي اختفى عن النظر.

الطائر ينتقم له — كان الجزر ينحسر عن الشاطئ فومضت الحصى المبللة في اسفل الهوة السحيقة وراح ماكريمون ينحدر شبرا فشبرا فوق الجزء الناتئ واذا به يمر قرب عش متأخر لطائر الاطيش البحري آكل الاسماك، فقذفت انثى الطير بنفسها في الفضاء وهي ترفرف بجناحيها بعنف، ولطم احد الجناحين وجه ماكريمون لطمة قوية، فرفع احدى يديه غريزيا لوقاية وجهه وابعاد الطائر عنه. وفي تلك اللحظة تقوض الصخر الطيني الذي ارتكزت عليه قدماه فتساقط الرجل في اتجاه حجار الشاطئ واحس الكلب من على قمة الصخرة بوقوع المأساة فاخذ يولول عاليا في نباحه.

وايقظ نباح الكلب ناكوسياك من سباته العميق في الكهف الصغير الذي لجأ اليه انتظارا لابلال جسمه من الجروح. فقبض بيده السليمة على السلاح الوحيد الذي تبقى لديه وهو عبارة عن حجر كبير مكسو بقشور "البرنقيل" العالقة بالصخور. فرفع الحجر عاليا وابقاه في الهواء استعدادا لاستخدامه بينما سمع ضجة تدحرج الحجار تصحبها صرخة انسان. فمشى متثاقلا خارج كهفه الصغير ورأى فوق ركام غليظ من العشب البحري جسد رجل ينز الدم من جرح في جمجمته. وفي طرفة عين وقف ناكوسياك فوق عدوه وقد ارتفعت الكتلة الصخرية بيده عاليا. وحوم الموت فوق آنغوس ماكريمون، ولم ينج من الهلاك الا باعجوبة. وقد وقعت الاعجوبة بالفعل. اعجوبة الشفقة.

ووقف ناكوسياك مرتجفا ينظر الى الرجل الجريح وتراخت ذراعه المرتفعة ثم انحنى وامسك بذراعه السليمة جسد الراعي وسحبه فوق الحصى الى ملاذ الكهف.

وفي صباح اليوم التالي عثر الفريق المكلف البحث عن ماكريمون، على كلبه فوق حافة الصخرة فتجهمت وجوههم وقدروا ما حدث لكنهم لم يدركوا كل شيء. واذ بخيط رقيق لولبي من الدخان يتصاعد من الكهف، فقادهم مباشرة اليه، وراحوا يحدقون بحذر داخل الصدع الصخري والبنادق مهيأة لاطلاق النار، وبدت على وجوههم علامات الحيرة والدهشة من المشهد الذي رأوه حتى ان ماكريمون لم يتمالك من الابتسام. وهدّأ روعهم قائلا: "لا تخافوا يا اخوان" واضاف وهو ممدد على فراش من عشب البحر: "ليس هنا سوى نحن المتوحشين ولكننا لن تفترسكم".

داخل الكهف كان الدخان يتصاعد كثيفا من النار التي اضرمها ناكوسياك في عدد من اخشاب جرفتها المياه، مستخدما قطعتين من الفولاذ والصوان كانتا في حوزة ماكريمون. وقد لف ناكوسياك رأس الراعي الجريح بعصابة من قطع قميصه الممزقة، كما غطى ظهره المرضوض وضلوعه المكسورة بالسترة الفرائية التي كان يلبسها هو حينما فتك بقطيع الخراف، وها هو يجلس الان نصف عار الى جانب الراعي ويسند كتفه الجريحة بذراعه السليمة.

وانتقل الاسكيمو بنظراته العصبية

العجلى من وجه ماكريمون الباسم الى مجموعة الرؤوس المحتشدة عند مدخل الكهف، ثم بدأت الابتسامة ترتسم على محياه ايضا بالتدريج، ابتسامة الفرج الذي يتعذر وصفه بالنسبة الى رجل كان تائها في فراغ مخيف ثم عاد الى ارض البشر.

وبقي ناكوسياك وماكريمون عدة ايام طريحي الفراش في سريرين متحاذيين داخل كوخ الراعي الى ان برأت جروحهما. وكانت زوجة ماكريمون وبناته يحطن ناكوسياك بالعناية والعطف بينما تولى هو تسليتهن باغاني الاسكيمو. وبعد انقضاء اسابيع قليلة بدأ الناس هناك يشيرون اليه بمحبة وحنان قائلين: "ذلك هو الشاب الصغير الذي جاء من البحر".

وسرعان ما تكيف ناكوسياك مع طريقة الحياة في الهبريد. ثم تزوج ابنة ماكريمون البكر بعد ثلاث سنوات من وصوله وبدأ حياته العائلية الخاصة واختار لنفسه اسم مالكولم، واصبح واحدا من اهالي تارانسي لا فارق اطلاقا بينه وبينهم الى ان وافته المنية في أواخر القرن، ووري الثرى في باحة كنيسة القرية.

ويقول الراوون: ذات يوم من ايام الصيف جاء شاب عند الاصيل، هو ابن حفيد ناكوسياك وانحنى فوق التربة ليقرأ الكتابة التي حفرها احد اصدقاء الاسكيمو على شاهدة قبر مالكولم بجوار زوجته. وعلا الاعتزاز جبين الشاب وهو يقرأ الكلمات الآتية بصوت عال:

لقد اطل هذا الغريب من البحر، قادما من
ارض لا يدري باسمها احد
ليقيم في تارانسي
وقد احبه الاهالي حبا جما
لانه عرف جيدا
كيف يجازي الشر بالخير العميم.

■ **فارلي موات**



قال رجل لزوجته انه لا يوافق اطلاقا على شراء فراش من المطاط يملأ ماء.
وأضاف معللا ذلك: "عندما اذهب الى سريري في الليل، اود ان اجد فيه راحتي، ولست ابحث عن ظفر في معركة بحرية".

مقايضة كهربائية

قال ابن البلد الكهل للتاجر: "اود ان اقايض زوجتي التي عمرها ٤٠ سنة بزوجتين عمر كل منهما ٢٠ سنة".

وعلى رغم غرابة هذا الطلب، قبل التاجر ان يلبيه، فانصرف ابن البلد الكهل سعيدا مغتبطا. ثم عاد في الاسبوع اللاحق، فقال له التاجر: "خير انشاء الله! وما هو طلبك الآن؟".

فأجاب الكهل: "اود ان اقايض زوجتي اللتين عمرهما ٢٠ سنة، بواحدة عمرها ٤٠".

ورد التاجر: "لكنك طلبت عكس هذا في الاسبوع الماضي".

فاجاب الكهل: "نعم، هذا صحيح، ولكنني وجدت ان مقسمي الكهربائي موصول على ٢٢٠ فولطا".

("كورييه" - انكلترا)



دوروثي اليسون مع بعض الميداليات التي منحتها أياها مختلف دوائر البوليس.

موهوبة ترى الغيب بعينين خارقتين

... والنساء ايضاً خارقات. فقد استطاعت احدى ربات البيوت، بفضل "الصور" التي تتمثلها من المساعدة في الاهتداء الى عدد كبير من المفقودين.

لم يدر السيد تشارلز ليتل ايغل ماذا كان ينتظره عندما تخطت قدماه الدرجات المؤدية الى بيت دوروثي اليسون، في شمال نيو جيرسي مساء ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥. وكانت ابنته البالغة الثامنة عشرة من عمرها قد اختفت قبل يومين، فابلغ دوائر الشرطة من دون رجاء، ولم يلبث ان استولى عليه اليأس وحمله على محاولة المستحيل والاستعانة بالسيدة اليسون التي نقل اليه احد اصدقائه مجموعة من المعلومات عن قدرتها الخارقة.

وبدأ ليتل ايغل اطلاع المرأة على سبب

مجيئه، فاستمعت اليه وبقيت بضع ثوان صامتة تصغي اليه وهي تترصد سلسلة "الصور" الوامضة في مخيلتها كأنما هي تدير مفتاح الجهاز التلفزيوني ثم تقفله تباعا ٠ ثم اخذت الكلمات تتدفق على لسانها لتنقل اليه على عجل كل ما "ابصرته" عيناها، وطمأنته: "ان ابنتك في أمان٠ وانها تسكن بيتا قذراً له باب احمر وان رقم الدار هو: ١٠٦ او ١٨٦ او ١٦٨٠ وان الرجل الذي هربت ابنتك معه يحمل اسما يشتمل على حرفي "راء" او "راء" مشددة وانه سيتم اكتشاف موقع البيت قبل ٢١ يناير (كانون الثاني)٠ وهناك شيء آخر٠ انك ستصبح جدا"٠

ولدت دوروثي في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٤ وهي ربة بيت قصيرة القامة ونشطة، تحب الطبخ ولا تأنف القيام باعمال التنظيف، ويمتعها التسوق في المتاجر الكبرى٠ وهي، الى ذلك، امرأة مستقيمة ونزيهة وحنونة ومفعمة بالحماسة، عدا انها بصيرة شديدة الحساسية بالقوى الروحية، تستطيع الرؤيا ما وراء نطاق معرفتها وتجاربها٠ وقد تعاونت منذ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ مع عشرات الدوائر البوليسية لمساعدة هذه في الاهتداء الى اماكن الاشخاص المفقودين٠ كذلك هي لبت طلبات اسر عدة لاكتشاف مفقود عزيز من ابنائها، وهي تأبى ان تتقاضى المال اجرا لجهودها وتقول: "لقد انعم الله علي بهذه الموهبة، فمن الحرام ان استخدمها لغير الاغراض الانسانية"٠

اقتفاء الاثر في بروكلين ــ استبعد البوليس في قضية اختفاء الآنسة ليتل ايغل عنصر العنف او الاكراه، كما استبعد ان يكون له صلاحية قانونية لارغامها على العودة الى ذويها في حال العثور عليها ما دامت الفتاة قد بلغت الثامنة عشرة من العمر٠ وطلب الوالد الى دوروثي ان تتكرم بالخروج معه محاولة للعثور على ابنته لكنها لم تستطع اذ كانت تعاني زكاماً حاد وسرعان ما تحول الى ذات الرئة٠

فاكتفى ليتل ايغل بتكليف رجل المباحث الخاصة تشارلز دلاهنتي الا ان هذا عاد بعد اسابيع من تحرياته بخفي حنين٠ فاضطر الوالد في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦ الى زيارة دوروثي مجددا وكانت بدأت تتماثل الى الشفاء٠ فقالت له: "ارجع يوم الثلثاء المقبل وسنخرج معا للبحث عن الفتاة"٠

وعندما ركبت السيارة مع دلاهنتي وزميل له قالت: "فلنذهب الى نيويورك"٠ وحين سألها دلاهنتي: "لم؟" اجابته: "لان الفتاة هناك"٠ على ان دلاهنتي اعتبر في تلك اللحظة ان يومه سيضيع سدى٠

وما ان وصلت السيارة بهم الى مانهاتن حتى اشارت دوروثي باصبعها وقالت: "اتجه في ذلك الطريق" (والمدهش ان دوروثي لا تملك حاسة الاتجاه ولا تستطيع حتى ارشاد شخص غريب الى بيتها) واستمرت قرابة ثلاث ساعات تنتقل برجلي التحري في اتجاهات مختلفة متعرجة عبر الجزء الجنوبي من مانهاتن ثم في عمق بروكلين٠ وفجأة قالت: "علينا الآن ان نبحث عن شيء له علاقة بسيارات التكسي٠ كذلك عن

شيء آخر له علاقة باسم رئيس امريكي"٠

واخيرا وصلوا الى شارع مونرو، فقالت: "در الآن حول زاوية الشارع٠ فان الفتاة موجودة في بيت في الشارع التالي"٠ واسر" دلاهنتي في اذن زميله: "هذه المرأة مجنونة!"٠

وصاحت دوروثي: "هوذا البيت" مشيرة الى بناية خربة للسكن تحمل الرقم ١٨٦، ولها بوابة امامية حمراء٠ وكانت في الطابق الاول من البناية غرفة امامية صغيرة تطل على الشارع وتستخدم كمكتب لاستقبال طلبات الخدمة لسيارات التكسي٠ اذ ذاك استولت الدهشة على دلاهنتي٠

ثم دخلوا المبنى وتحدثوا الى المرأة التي تدير اعمال المكتب فابلغتهم ان الفتاة التي يطلبونها لم تأت اطلاقا الى ذلك المكان٠ وعندما خرجوا، قالت دوروثي مؤكدة للرجلين: "ان الفتاة هنا في هذا المكان"٠ وبالفعل فقد تبين في ما بعد انها كانت مختبئة تحت السرير٠

وفي ٢١ يناير (كانون الثاني) اتصل والد الفتاة هاتفيا بدوروثي وقال لها مذكرا: "اما قلت لي اني سأرى ابنتي اليوم او غدا؟ فهيا بنا نذهب الى ذلك البيت ونحضرها معنا"٠ فأجابت: "ليس اليوم٠ لا اريد ان اتورط في حادث اصطدام٠ سارافقك غدا"٠

غير ان الوالد لم يستطع التريث، فركب السيارة مع رجلي التحري الخاصين واتجه الثلاثة الى نيويورك، وبينما هم في الطريق انزلقت احدى السيارات فوق الجليد، وفقد السائق سيطرته على مقودها فارتطمت بسيارتهم وتحطمت سيارة دلاهنتي٠ ولحسن الحظ لم يسفر الاصطدام الا عن اصابة الركاب ببعض الرضوض٠

وفي اليوم التالي، رافقتهم دوروثي ووجدوا الفتاة داخل البيت حيث كانت تعيش مع رجل يدعى هاريس بتشديد "الراء" (اي انه يتكرر فيه حرف "الراء"، كما تنبأت دوروثي) وكانت الفتاة حاملا، وقد حبلت بعدما كانت دوروثي ابلغت الوالد انه سيصبح جدا٠

وكانت الفتاة مضطربة من العودة الى دار ابيها، لذلك اقترحت دوروثي فترة لتهدئة الخواطر تقيم فيها الفتاة مع دوروثي وزوجها بوب الذي يعمل مهندسا مشرفا على اعمال البناء٠ والحت دوروثي على الفتاة قائلة: "عندنا بيت واسع وكم سيسعدنا ان تقيمي معنا" فوافقت الفتاة٠ وبعد قضاء بضعة اشهر في كنف عائلة اليسون عادت الى بيت والديها قبل ان تقرر اخيرا الانضمام الى ابي طفلها والشروع في بناء حياتها العائلية الخاصة٠

اكتشاف رهيب – ان الكرم والحنو شيمتان انطبعت عليهما دوروثي٠ فقد ربى والدها ١٣ طفلا من دون ان يمنعهما ذلك من العناية ايضا بصبي تيتم من امه في اثناء الولادة٠ وتستعيد دوروثي الذكريات فتقول: "لقد تعلمنا ان نهتم بعضنا بالبعض وان نتقاسم ما نملك، لذلك فانني اجد ان هذا العمل الخاص بالبحث عن المفقودين ترتاح اليه النفس ولو انه مزعج وشاق للغاية٠ انني عندما التقي ابوين فقدا طفلهما اشاطرهما الشعور بالاسى وعندما ابحث عن الطفل

المفقود احس وكأنني ابحث عن طفل لي".

ولقد ادركت دوروثي منذ طفولتها ان لها بصيرة نافذة خارقة - كما كانت امها - غير انها لا تستطيع تعليل قدرتها على رؤية ما وراء نطاق البصر ولا تجد فائدة من التحرز والتخمين في هذا الصدد. وقد بدأ تورطها مع البوليس على غير توقع الساعة السادسة صباح ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٧ حين استيقظت من حلم رأت فيه صبيا صغيرا ميتا داخل انبوب متصل بنهر. وظلت الرؤية تنغص عيشها يوما بعد يوم. واخيرا ابلغت دائرة البوليس في نتلي، نيو جيرسي، ما "رأت". فقال لها رئيس البوليس ان طفلا في الخامسة من عمره يدعى مايكل كوركسيس قد غرق قرابة الثامنة صباحا (لقد حلمت دوروثي بالحادث قبل ساعتين من حدوثه) من يوم ٣ ديسمبر (كانون الاول) غير انه لم يكن عثر على جثته بعد. وذكرت دوروثي، بتردد، لرئيس الشرطة انها تملك قدرة على رؤية الغيب، لكنه لم يعبأ بكلامها لان الصحف المحلية كانت تناقلت نبأ المأساة في حينه.

وصدف ان كان دونالد فيكارو، احد افراد شرطة الخفر، واقفا على مقربة منها، وكان على اتصال شخصي بعائلة كوركسيس وشديد الاهتمام بالعثور على جثمان الصبي، فسألها قائلا: "هل تستطيعين تزويدي بمزيد من التفاصيل لان الصحف التي نشرت نبأ الحادث لم تنشر صورته ولم تورد اي وصف للطفل؟".

- بلى. اني ارى المزيد. انه يرتدي فوق قميصه الوبري الذي شبكت به ميدالية دينية، بدلة ثلجية خضراء. امه خارج البلدة. شيء آخر عن مايكل: انه ينتعل حذاءيه على نحو معكوس.

وتحقق فيكارو من ان وصف ملابس الطفل الخارجية صحيح. فاتصل هاتفيا بالسيد كوركسيس للاستعلام منه عما اذا كان يعرف دوروثي اليسون؟ فأجاب: "كلا. ولم اسمع بها مطلقاً".

ودار بينهما الحديث الآتي:

- هل كان حذاءا مايكل معكوسين على قدميه؟

"لا ادري لان الطفل ارتدى ملابسه بمفرده ذلك الصباح".

- هل السيدة كوركسيس موجودة في المنزل؟

"كلا".

وفكر فيكارو بان دوروثي قد تكون فعلا امرأة لها قدرة على رؤية ما وراء نطاق البصر. فطلب اليها ان تحاول مساعدته في العثور على جثة الصبي، فوافقت بحماسة. وحين وصلا الى ضفة النهر حيث سقط مايكل ظلت دوروثي تردد المرة تلو المرة انها رأت جسمه داخل انبوب. لكن الانابيب الوحيدة المتصلة بالنهر التي كان فيكارو يعلم بوجودها، هي مصارف امطار العواصف التي تصب في النهر، فكيف يمكن الجسم ان ينتقل من النهر الى داخل المجاري التي تصب فيه اصلا؟

وطلب فيكارو الى دوروثي ان تضع نفسها ذهنيا في مكان الطفل وان تعلمه بما هو ماثل امامها وخلفها ايضا فأجابت:

"الماء من أمامي ومن خلفي الماء أيضاً".

وهل انت واقفة في الماء؟

"كلا".

وحينذاك استنتج فيكارو: "اما ان تكون هي معتوهة واما ان اكون انا هو المعتوه". ثم فكر في ان خبيرا في التنويم المغناطيسي قد يتمكن من استخلاص تفصيلات اكثر دقة من معلومات دوروثي. وقاده البحث الى الطبيب الدكتور ريتشارد ريبنر المتخصص في علم النفس في مدينة نيويورك الذي وضع دوروثي في حالة شبه نوم مغناطيسي. وفي تلك الحالة من الاسترخاء الكامل رأت دوروثي شكلا شبيها برقم ٨ بالافرنجية (8) وباحة لوقوف السيارات.

وفي الايام التالية قالت لفيكارو انها رأت مدرسة حولها سياج وبيتا رمادي اللون ومجموعة من المكاتب وبابا عليه كتابة بحروف ذهبية ومصنعا قائما وراءه. وفي ٧ فبراير (شباط) علم فيكارو لدى دخوله دائرة البوليس انه عثر على جثة مايكل كوركسيس في بركة بليتشري التي يصب فيها النهر الثالث على بعد خمسة كيلومترات من مكان سقوط الصبي.

وتوجه فيكارو بالسيارة الى البركة. ووصف المكان في ما بعد بقوله: "كان الوضع برمته رهيبا. البركة في الحقيقة بركتان يفصل بينهما حيز ضيق من الأرض. وعندما وقفت فوق تلك القطعة من اليابسة ابصرت الماء من امامي ومن خلفي. ورأيت من مكاني مدرسة عمومية رقمها ٨ وحولها سياج، كذلك بيتا رماديا ومكتبا على بابه حروف ذهبية ورأيت خلف المكتب مصنعا له باحة لوقوف السيارات. اما مايكل فقد كان يرتدي قميصا وبريا شبكت به ميدالية دينية وحذاءين لبسهما في شكل معكوس".

وعلم فيكارو في ما بعد ايضا انه حين غرق مايكل كانت احدى شركات البناء مدت انابيب كبيرة في النهر الذي يصب في البركة، واستخدمت تلك الانابيب كاساس لجسر موقت. ومن المحتمل كثيرا ان يكون جثمان مايكل قد حشر مع كتل الحجار وغيرها من الحطام داخل احد تلك الانابيب فترة من الزمن.

رؤية "خاطئة" — ويقول الدكتور ريبنر: "ليس كل ما تقوله دوروثي مصيبا دائما. فقد ترتسم في ذهنها صورة سيارة وترى ان رقم لوحتها هو ٠٢٦٩ واذا لم تثبت صحة تسلسل هذه الاعداد فيجب التحقق من الرقمين الآخرين اللذين يشتملان على الاعداد نفسها اي ٦٩٢ او ٠٢٩٦ او ربما كان الرقم ينطبق على عنوان منزلي او رقم هاتفي".

على ان الدكتور ريبنر فوجىء الى حد بعيد بقدرات دوروثي في حادث وقع داخل مكتبه: "طلبت دوروثي مع اثنين من رجال التحري تحديد موعد لمقابلة الدكتور ريبنر وعندما وصلوا الى عيادته كان احد المرضى جالسا في غرفة الانتظار وبعدما ادخل الطبيب النفسي ثلاثتهم مكتبه واغلق الباب وراءهم قالت دوروثي له: "يا ريتشارد، ذلك الشاب في غرفة الانتظار يحمل مسدسا ويعتزم الانتحار. فهو شاب لديه امكانات

عظيمة وفي مقدوره ان يكون رجلا ناجحا جدا متى تماثل للشفاء".

ويستعيد الدكتور ريبنر هذه الذكرى فيقول: "كنت اعلم ان المريض مصاب بكآبة حادة توهن عزيمته وانه معرض للانتحار. وعندما سألته عن المسدس في اثناء جلستي الطبية معه، اقر بانه فيحوزته وينوي استخدامه. فاقنعته بالتخلي عنه وبالاقلاع عن فكرة الانتحار وبمواصلة الاهتمام بحل مشكلاته. وهو يعمل اليوم في التصميم الصناعي حيث يحظى بقسط وافر من التوفيق".

احساس بالفرج - لقد كانت دوروثي مصدر فرج وارتياح لبعض العائلات التي فجعت بفقد شخص عزيز في اثناء تلك التجارب المريرة. ففي ١٥ مايو (آيار) ١٩٧٦ لم تعد الفتاة سوزان جيكوبسون (١٤ سنة) الى منزل والديها في جزيرة ستاتن في نيويورك لتناول وجبة العشاء. وفي صباح اليوم التالي احس ابواها في اعماقهما بانها ماتت، بالنظر الى عدم وجود اي سبب يبرر اختفاءها بمطلق ارادتها. غير ان رجال الشرطة ابلغوا عائلة جيكوبسون ان سوزان فتاة من "الهاربات" ولا شك، مما يستدعي احالة قضيتها على فرقة البوليس الخاصة بالمفقودين.

وبعد ثلاثة اسابيع من البحث سدى سمع ابو الفتاة وامها ايلين بدوروثي اليسون، فاتصلت الام بها تلفونيا. وكانت اجريت لدوروثي جراحة في لثتها، وكان فمها ووجهها لا يزالان ملتهبين لكنها تأثرت بصوت ايلين المستغيث الملح فقالت لها: "اعط عنوانك لزوجي مع الارشادات المناسبة وسنترك بيتنا في غضون عشر دقائق". ولم تكن دوروثي قد زارت جزيرة ستاتن من قبل.

وفور وصولهما وجهت دوروثي السؤال الآتي الى ايلين وهي تدون بعض الارقام على قطعة من الورق: "ماذا تعني الارقام ٥، ٢، ٦٢ بالنسبة اليك؟".

فأجابت ايلين:

"انه يوم عيد ميلاد سوزان (٥ فبراير (شباط) ١٩٦٢)".

- وماذا عن ٤٠٨، او ٤٠٥؟

"هذا هو الوقت التقريبي لساعة ولادة سوزان".

- اني ارى جثمانها في هذه الجزيرة. اخبريني هل الحروف الثلاثة م. أ. ر. تعني شيئا لك؟

ولما هزت ايلين رأسها بالنفي، تابعت دوروثي كلامها قائلة: "ان سوزان بالقرب من هذه الحروف. ومن ذلك المكان تستطيعين ان تري مجموعتين من الابراج المزدوجة لاحدى الكنائس وجسرين وسيارة محروقة".

وانطلق ويليم جيكوبسون وعدد من انسبائه واصدقائه في شوارع جزيرة ستاتن بحثا عن مكان ينطبق على وصف دوروثي.

وفي اليوم السادس صادف وليم صخرة كبيرة نقشت فوقها باللون الاحمر الحروف الثلاثة "م. أ. ر." ثم تملكته الدهشة عندما شاهد سيارة محروقة وجسرين ومجموعتين من ابراج كنيسة ثنائية ترتفعان عبر الخليج في نيوجيرسي، وقد تناثر في ارجاء المنطقة حوالى خمسين خندقا صغيرا شبيهة بالآبار كانت تستخدم في بناء السفن ابان الحرب العالمية

الاولى وقد امتلأ معظمها الآن بالماء.
وبعد ذلك عاد ويليم بصحبة دوروثي الى المكان فاحست بان جثة سوزان موجودة فيه، لكنها اقترحت عليه ان يطلب الى البوليس احضار الكلاب الخاصة التي تستخدم في كشف الجرائم نظرا الى اتساع رقعة المنطقة التي تقارب مساحتها اربعة كيلومترات. ورفض البوليس تلبية هذا الطلب، معللا ذلك بقوله: "اننا نتعامل بالحقائق لا بالرؤى!".
وفي الاشهر المروعة التالية ركزت اسرة سوزان كل اعتمادها على عائلة اليسون، وتبادلت الاسرتان الزيارات وظلت ايلين تتصل بدوروثي هاتفيا عدة مرات في الاسبوع. وتقول ايلين: "لولا دوروثي لاصبت وزوجي وليم بانهيار عصبي".
وفي ٢٣ مارس (آذار) ١٩٧٨ - اي بعد مرور ٢٢ شهرا على اختفاء سوزان، كان ثلاثة صبيان يصيدون فئران "الموسك"، وهي حيوانات مائية شبيهة بالفئران، داخل خنادق بناء السفن التي صرفت مياهها، فعثروا في احدها - وهو الحوض الذي حاول وليم البحث فيه لكن الماء حال عندئذ دون جهوده - على برميل باتساع ٢٠٠ ليتر يحتوي على رفات سوزان. وبعد مضي ستة اسابيع على ذلك وجهت تهمة القتل الى شاب في الثامنة عشرة من عمره كان يعرف سوزان. وتقول ام سوزان:
"واخيرا انتهى كل شيء بعدما عثروا على جثة سوزان وشعرت باحساس من الفرج لانني حصلت على الشيء الوحيد الذي بقي في امكاني ان اتمنى تحقيقه، وهو اجراء مأتم لائق بسوزان".
وكثيرا ما يغمر الحزن والأسى حياة دوروثي بسبب هذه الاكتشافات. وقد توقفت مرة عن مساعدة البوليس لكنها سرعان ما وجدت ان ذلك اسوأ وقعا عليها من مواصلة جهودها، وهي تقول: "لقد منحت هبة ولا بد لي من ان اردها عن طريق العطاء".

■ جوزف ب. بلانك



حسان الفضاء الخارجي

روى رائد الفضاء توم ستافورد قائلا: "انفصلت سفينتا الفضاء الروسية "سويوز" والامريكية "ابولو" بعد لقائهما في الفضاء عام ١٩٧٥. ولكن الاتصال اللاسلكي بينهما ظل مفتوحا وارتفعت منه اصوات عدة: حسان، مجموعات من الحسان، يمرحن في الماء ويصرخن ضاحكات. وران الصمت من الجانب الروسي فترة حتى تبين للرواد الروس ان هذه الاصوات لا يمكن ان تكون صادرة الا عن السفينة "ابولو".
وجاء صوت رائد الفضاء السوفياتي الكسي ليدنوف متسائلا: "توم، توم، ماذا يحدث عندك؟ فأجابه ستافورد بسرعة: "ما رأيك انت يا الكسي؟" وفهم الروس ان المسألة دعابة، فضحك واجاب: "تبا لك يا توم، انه شريط مسجل، اليس كذلك؟".



قلادات البندق

المعاقون الذين يعوضون ما فقدوا بالشجاعة والأمل، كم هم مدهشون. هنا خمسة منهم في مخيم صيفي بزّوا الاصحاء في ادائهم.

بدأوا ينزلون الاطفال – وكان عددهم يقارب المئة والعشرين – من السيارات والحافلات، وكان المشهد غريبا يقف المرء امامه مشدوها. لقد الفت الغابة وممراتها المؤدية الى هذا المخيم الصيفي وطء اقدام الجموع، واصداء اصوات الاطفال الاصحاء وهم يلعبون.

واما هؤلاء الاطفال القادمون فلا يحيط بهم الا الصمت الذي يغمر موكب الاباء فيدفعون بعربات اولادهم في اتجاه المرشدين المنتظرين، وانا واحد منهم، وهم الهدف المقصود من هذه الرحلة.

وامتلكني الذعر، كسائر زملائي المحيطين بي، واستولى علينا السكوت.

مع ان ممرضة المخيم كانت قد شرحت لنا بعض الشيء عن الاطفال المعاقين، لكن مشهدا مثل هذا المجموع منهم صدمة تفقد الصواب. فما عساك ان تقول لاطفال حرموا البصر او الذراعين او الساقين؟ اطفال خلت وجوههم من سمة التعبير، تعتريهم بين الحين او الحين تشنجات عضوية وكأنهم دمى مشدودة الى خيوط خفية. كائنات خالية من مظاهر الحياة، وكأنهم امتعة حشرت



في مقاعدها المتحركة؟!

وقد عين مرشدان لكل وحدة سكنية تضم خمسة من هؤلاء الاطفال. وكان شريكي في المسؤولية شاب نحيل الجسم وطويل القامة يدعى دومينيك كافيللي له عينان عسليتان عميقتان تنمان عن حبه للاطفال واهتمامه بهم، وتعلو شفتيه ابتسامة رقيقة ترتسم على محياه كلما هم بالحديث، وكان يحاول التخصص في العناية بالاطفال المعوقين، بينما اقبلت انا على هذه المهمة في المخيم لبضعة اسابيع فقط، وسرعان ما تقلصت اوهامي عندما تبينت استحالة المزاح واللعب مع هؤلاء الاطفال، واستبعاد الحظ بان نسير معا ولو بضع خطوات.

كان بني اول من وصل من الاطفال الى وحدتنا وهو اسود البشرة ضئيل الجسم في حجم الفول السوداني، وفي الثامنة من عمره، وقد اودى شلل الاطفال بساقيه ولكنه لم يأت على جرأته او قلبه. كان قابعا في مقعده المتحرك وخوذته على رأسه، ينحني الى الامام كأنه يشترك في سباق للسيارات. وما ان اطمأن الى وضعه في المقعد، حتى رفع ذراعيه ودفع العجلات فانطلق المقعد. ولم يكن في المخيم كله طفل اكثر حركة من بني.

وجاء بعده سبايدر (العنكبوت) ويبلغ العاشرة. اسم غريب لا ينطبق على سبايدر الذي ولد بلا اطراف، فنبتت له بدلا منها بعض النتوءات المتدلية من قامته القصيرة وكأنها فروع مكسرة عالقة بشجرتها. وكان سبايدر يقظا، حاد الملاحظة وطلق الحديث.

اما توماس نزيلنا الثالث، فلم يكن لديه عفوية بني ولا بداهة سبايدر، وكان يعاني سوء تغذية عضلي وهو من اقسى العلل الجسدية المزمنة، وكان عمره يراوح بين ١٥ و١٦ سنة بينما لا يتجاوز وزنه ثلاثين كيلوغراما. وكنت تخاله اذا ما حاولت ان تلمسه، ككتلة مطوية من القماش، كأن عظامه منفصلة بعضها عن بعض، لا رابط بينها بعد ان تسلل المرض مع الزمن في جسد توماس وجرده من عضلاته وانسجتها. كان يجلس في مقعده مقطب الجبين يأبى التحرك.

وكان مارتن اكثر نزلائنا لياقة من الناحية البدنية، تقارب سنه الرابعة عشرة، وكان دائم الابتسام ودائب الحركة على غرار اقرانه الاطفال المكفوفين في المخيم. وكان طويل القامة نحيل البنية، وله شعر احمر زاه متنافر في كل الاتجاهات.

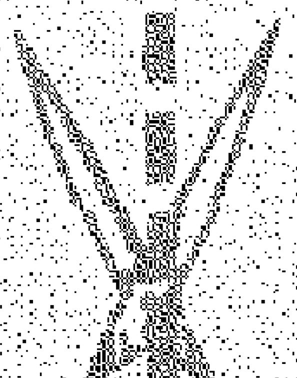
كان اريد الطفل الخامس في وحدتنا، وقد استحق هذه الكنية (الكريه) بسبب رائحة فمه البشعة. ولم يكن للطفل المسكين مثانة تتجمع فيها فضلات جسمه السائلة، فزودوه بكيس من المطاط مربوط بمعيه ومعلق حول ساقه ويحتاج الى افراغه كل ساعة. ولا شك في ان وضعا مثل هذا يعيي اي انسان، فكيف به لدى فتى لم يبلغ العشرين من عمره؟

العقد يكتمل - هاكم عقد الاطفال الخمسة قد اكتمل الان. فربما انهم لا تعوزهم الشجاعة، الا ان مجرد فكرة العناية بهذه الحطام البشرية قد اجفلتني، فتمنيت لحظة لو عدت الى منزلي، ولكنني خشيت مواجهة نفسي اذا ما تخاذلت، فقررت البقاء والتحمل.

في اليوم الاول الذي كرسناه للحرف اليدوية، شغلت نفسي بصنع قلادة من حبات البندق. وسألني سبايدر عما افعل،فقلت له: "صنعت لنفسي قلادة من البندق لا تغلب على شعوري بالوحشة والحدة". ضحك سبايدر وقال: "نحن ايضا نحس بمثل هذا الشعور، فهل يمكننا ان نصنع قلادات مثل قلادتك؟".

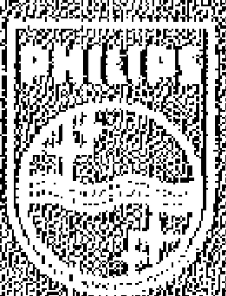
وفي نهاية الصباح كان كل من اعضاء وحدتنا (المسكن الرقم ٤) يضع قلادة من البندق حول عنقه. وعندما ذهبنا الى حوض السباحة عصرا اثارت قلاداتنا فضول الاطفال واعجابهم. ولم يبلغ الاسبوع نهايته حتى كنا انتهينا من صناعة قلادات تكفي كل افراد المخيم، بما في ذلك المرشدون والاطفال والطاهي وحتى الممرضة السيدة نلسون. واقترح سبايدر ان نطلق على انفسنا اسم "جماعة البندق"، فتوطدت بذلك روابط الاخوة في ما بيننا واصبحنا مجموعة متراصة في مواجهة الصعاب.

ولكم شعرت بالبهجة اذ ذاك لانني لم اغادر المخيم كما كدت ان افعل. وغدا حوض السباحة عالما جديدا بالنسبة الى كل فرد من افراد المجموعة. وغمر الماء اجسامنا



غسالات فيليبس تجمع بين الامتياز التكنولوجي وسهولة التشغيل

تأمل أية غسالة من غسالات فيليبس تجد أنك ستعجب حتما بمظهرها الأنيق. وبحجمها الذي يجعلها لا تشغل إلا مساحة صغيرة. الا أن إعجابك بها سيزداد إذ تدرك سهولة وضع الثياب فيها. والبساطة في مفاتيح التشغيل وترتيبها الموضوع بعناية. وأداءها الذي يجمع بين اليسر والإتقان. إن تصميم آلات من هذا المستوى لا يتم في ليلة واحدة. بل لقد بذل قدر كبير من الدراسة والتفكير في تصميم كل غسالة من غسالات فيليبس. وذلك إلى جانب الأبحاث العلمية والمهارة الفنية. والخبرة العملية الواسعة العالمية النطاق. وكل غسالة من غسالات فيليبس. على اختلافها. سواء منها ما كانت ذات باب جانبي أو فتحة علوية. إنما صنعت لتوفر لك خدمة تستطيع الاطمئنان الى مستواها الممتاز سنوات طويلة. ذلك أمر مضمون



فيليبس الأفضل لكم دوماً

بالنشاط والبشر والمرح وافلتها من عقالاتها. وزودنا الاطفال باحزمة الامان البرتقالية واطلقناهم في الحوض وانتهى عهد القيود التي تعوق الحركة، وبدأ الاطفال يمرحون ويتسابقون ويتراشقون بالماء. وبعد ان كان هؤلاء سجناء مقاعدهم على اليابسة، تحول المرشدون والاطفال الى حياةجديدة على سطح العالم السائل.

كان سبايدر مدهشا في الماء يؤدي حركاته السريعة كالدرفيل من دون ذراعين ولا ساقين. وقد قرر يوما ان يسبح من اول الحوضحتى آخره. وتجمع الاطفال من الوحدات السكنية الاخرى ليشاهدوا سبايدر يغوص ويطفو على طول الحوض. ونجح في ذلك بعد عناء، فانتشلته من الماء ورأيت ابتسامة الابتهاج ترتسم على وجهه بينما تعلو تهاليل الجميع وهتافاتهم وانا معهم.

مغامرة لا تنسى - كانت حياة المخيم شاقة بالنسبة الى الجميع، لكن التجارب المشتركة، كقلادات البندق وسباحة سبايدر، كانت تشجعنا على الاستمرار. وثمة مغامرة لن انساها طالما حييت. كان ذلك ذات امسية ونحن نستمع الى الاشرطة المسجلة ينقلها الينا مكبر الصوت، واذ به يذيع اعلانا موجها الى الاطفال الاصحاء جسديا الذين يأتون الى هذا المخيم كل‌عام، وقد جاء فيه ان عددا من الجوائز ستمنح للذين يتسلقون جبل "لوك اوت".

وما ان سمع بني الاعلان حتى راح يتساءل: "لماذا لا نتسلق الجبل نحن ايضا ما دام غيرنا من الاطفال يستطيعون ذلك؟" وتبادلنا انا ودومينيك نظرات الدهشة والارتياب. واذا بمارتن، الفتى الضرير، يهب واقفا ويحرك ساقيه كمن يتسلق الجبل، معلنا بذلك انه ينوي الصعود فعلا. ولم يسعنا الا ان نحذو حذوه.

غادرنا المعسكر مع بزوغ الفجر. وكانت المسافة صعودا ونزولا لا تقل عن ستة اميال (قرابة ٩،٦ كيلومترات) من دون ان تكون لدينا فكرة عن وعورة الطريق. سار دومينيك في المقدم يدفع امامه عجلة سبايدر، وجاء وراءه بني وهو يدفع مقعده بيديه، وتبعه مارت وهو يدفع اريد، وسرت انا في مؤخر الموكب ادفع امامي مقعد توماس.

وكان موكبنا اشبه بعربة قطار من حيث الشكل والضوضاء. ولم يلبث ان قل بنا الحديث وغاب الزهو بعد ان استولت علينا رهبة المغامرة. فقد كان همنا في البداية مقصورا على الاحتكاك باغصان الآجام والفروع المتدلية من الاشجار والتي كانت تلتف حول عجلات المقاعد كأذرع الاخطبوط. ثم راحت الطريق تتقلص تدريجا عن سبيل يمكن اجتيازه على القدمين الى معبر ضيق فالى ممر هزيل كالخيط.

وعندما اتجه الطريق صعودا، اضطررنا الى الالتفاف حول المقاعد المتحركة لكي نسحبها من الامام بدلا من دفعها من الوراء حتى ان بني نفسه كان يسحب عجلاته سحبا ثم يوقفها بعد كل دورة. وعند منتصف النهار تمكنا من بلوغ الهضبة الموصلة الى قمة الجبل، وبلغت المسافة التي قطعناها حوالي اربعة كيلومترات.

لكن الجزء الباقي البالغ ثلاثة ارباع الكيلومتر، كان منحنى من الصخر والحصى يتعذر معه دفع المقاعد او جرها. واقترح دومينيك ان نحمل الاطفال واحدا بعد الآخر الى القمة. لكن توماس رفض قائلا: "لن اصعد الجبل محمولا على ظهر احد".

وبينما نحن نبحث في الموضوع سمعنا مارتن ينادي: "انظروا يا اخوان... ان المسألة بسيطة!". كان مارتن جالسا القرفصاء يدير ظهره الى القمة، وراح يدفع الارض بقدميه في اتجاه القمة وهو رابض على قاعدته، فيتقدم شيئا فشيئا من حافتها، كأنه ينتقل في زورق ذي مجاذيف.

وعلى اثر مداولات طويلة، بعد ان قام مارتن بعدة تجارب عملية قررنا الصعود. جلس دومينيك في وضع معاكس للقمة ووضعت سبايدر في حجره وربطته اليه بحزام العجلات. وشاء بني ان يقوم بالمحاولةوحده لكنه مزق سرواله في التجربة الاولى، فقررنا ان نشد وسادة من وسائد المقاعد الى اسفل ظهره، ثم وضعت اريد في حجر مارتن وربطتهما معا. وربطت توماس الي وبدأنا الزحف.

كنا نتحرك كما يزحف اليسروع، ووصلنا قمة الجبل في الساعة الثانية، حسب توقيت سبايدرالذي خلع على الجبل واحدة من قلاداته، في لفتة نقية من التفاخر بالظفر والانتصار. وكان نجاحنا بمثابة كنز لنا من معانيالقوة المتضامنة والزمالة المشتركة في هذا الجهد.

مهرجان للآباء — وبعد العودة الى المخيم، بدأت الايام الباقية تتلاشى كالامواج المنحسرة عن الرمال، واصبح كل يوم اقصر من سابقيه. وسيجيء الآباء يوم السبت اللاحق ويذهب الاطفال، وتتوقف الانشطة، ويدب السكون بعد الاصيل.

شعرت الممرضة نلسون بوطأة الكآبة في النفوس فجمعت الاطفال وقالت: "لماذا لا ننظم مهرجانا مائيا يشترك فيه الجميع احتفاء بالآباء عندما يحضرون؟" ووافق الاطفال على الفور.

لقد ظلهؤلاء الاطفال جماعة من المتفرجين طوال حياتهم، اما الان وقد اتيحت لهم فرصة الاشتراك في اداء العرض، تساءل احدهم اعجابا: "هل نستطيع فعلا ان نقوم بمثل هذا العرض؟". ولم يلبث ان جاء الرد جماعيا عاليا: "نعم، نستطيع!"

وما ان اطل يوم السبت، حتى تحول حوض السباحة بحيرة مستكملة الاوصاف بما في ذلك سفينة للقرصنة ومن حولها اشجار النخيلوغيرها من الغرسات الاستوائية، وجزر من الزهر عائمة على الاطارات الداخلية للعجلات ومكسوة بالورود، كما حولت احزمة النجاة الى تنانير للرقص الايقاعي واحزمة للقراصنة وازياء قبلية.

وجاء الآباء. وكانوا يتوقعون من اطفالهم مجرد التحيات المتكلفة المعتادة. ولكم كان سرورهم عظيما لدى وصولهم الى حوض السباحة حيث اشرقت وجوه ابنائهم بالغبطة والابتسام، وهم يهللون في بزاتهم المرتجلة لقدوم ذويهم.

وامسكت السيدة نلسون بالميكروفون وبدأت تقص حكاية "قرصان البندق": "ذات يوم وصلت

سفينة القراصنة الامريكية"، "البندق" "الى بحيرة تسكنها قبيلة من الاهالي الاشداء الجميلين. وتحدى القراصنة الاشرار اهل البحيرة في شكل مباراة في القوة والحكمة، وكانت بداية المبارة الغوص بحثا عن الكنز الدفين فيجوف الماء".

وبعد هذه المقدمة، القت السيدة نلسون في حوض السباحة بكل ما في المخيم من اوان فضية... من ملاعق وشوكات وسكاكين. وبدأ الغوص. وكلما ظهر طفل وفي يده حفنة من الكنز هلل له الجميع.

واستأنفت السيدة نلسون قصتها فقالت: "حملوا الكنز الى معبد الجزيرة لكي يباركه الاله "اوه لا". لكن الاله اصر على الاحتفاظ بالكنز ريثما يؤدي اصحابه رقصة الماء الاسطورية".

واشارت السيدة نلسون الى الاطفال بالرقص، فانطلق اعضاء الفريق، كل في حزامه وراحوا يسبحون نحو منتصف الحوض حيث شكلوا دائرة كبيرة، ثم نجمة متحركة.

وما ان انتهى الباليه المائي، حتى اعلنت السيدة نلسون ان هناك مباراة ختامية فحواها ان الاله "اوه لا" قد اوعز باعطاء الكنز للفائز في سباق يقوم بين قبطان القراصنة القبيح، وهو انت يا سيد جونز، وامهر سباحي البحيرة الذي لا يقهر، وهو انت يا سبايدر. ووفقا للتقاليد المتبعة، يسمح لسبايدر بالانطلاق اولا بحيث ان قبطان القراصنة معروف بالغش والخداع ويمكنه الغطس من فوق المنصة.

وانطلق سبايدر بكل قوته وسط تشجيع الجميع وتهليلهم واخذت اراقبه لكي احدد اللحظة التي يجب ان اغطس فيها بدوري. كنت اعرف ان سبايدر يعتبر هذا السباق حقيقيا، وكان علي الا افسد عليه معتقده، الى ان اطلقت اخيرا صرخة قرصانية مدوية وغطست في الماء محاولا اللحاق به. واخذت المسافة بيننا تتقلص، ويصيح الجمهور مشجعا: "هيا يا سبايدر أسرع... اسرع".

وعند منتصف الحوض كنت قد سبقت سبايدر بما يقارب المتر. فلمحته بطرف عيني يتقدم فجأة بسرعة مذهلةوكأنه حجر قذفته يد قوية على سطح الماء فراح يقفز فوقه قفزا. وبلغت حماسة الجمهور ذروتها، واذا بالقبيلة تسحب سبايدر في الماء بحبل مشدود الى خصره. ولم يكن في استطاعتي اللحاق به. وعندما اقترب سبايدر من حافة الحوض، غار الحبل في الماء بعد ان افلته المناصرون. وقطع سبايدر الجزء الاخير سباحة وانتصر.

وبانتهاء السباق، انتهت الاقامة الصيفية في المخيم وانتهت فترة الرفقة والعشرة، حتى انني لم اتمكن من مشاهدة جماعة البندق وهم يغادرون المخيم. لكنني اعتقد انهم فهموا وقدروا موقفي هذا من لحظة الوداع. ولعلهم كانوا يفهمون اشياء عدة يفوتني فهمها مهما حاولت. فكثير منهم كانوا يعلمون ان الموت يتربص بهم، ومع ذلك فكانوا لا يحجمون عن الاشتراك في مباريات السباق، وتسلق الجبال، وكانوا يفوزون.

■ مقتبس من كتاب رون جونز

أبسط طريقة لتخفيف الوزن

هذا احدث اسلوب للتنحيف
من دون تغيير النظام الغذائي.

المزعج في معظم نظم الحمية لتخفيف الوزن هو: انها معقدة، عسيرة التطبيق، بحيث ان المحمي كثيرا ما يضيق ذرعاً بالنظام الغذائي الصارم ويتخلى عنه. فهل هناك طريقة بسيطة وفعالة لتنحيف الجسم؟ الجواب: نعم. فقد ابتكر الطبيب ريتشارد ج. بلاك طريقة لتخفيف الوزن عندما كان مساعدا لمدير عيادة الآلام المزمنة في المستشفى الجامعي في بسياتك، واشنطن وقد طبقت الطريقة لمدة سبع سنوات على قرابة ٢٠٠ مريض في المستشفى وادت الى نتائج طيبة، اي انها ساعدت على انقاص الوزن بمعدل كيلو غرام او كيلو غرام ونصف كيلو في فترة اسبوع واحد. وهناك عدد كبير ممن علموا بهذه الطريقة وطبقوها بانفسهم من دون اشراف طبي. فما هو السر في ابتكار هذه الطريقة في عيادة للآلام المزمنة؟

الواقع ان المرضى المصابين بآلام مزمنة عسيرة المعالجة كثيرا ما يعانون مشكلات انفعالية. فالالم الذي يصيب اسفل الظهر، مثلا، يحمل المرضى، على انفاق معظم اوقاتهم جلوسا، وكثيراً ما

يجدون في تناول الطعام مصدرا للتعزية والسلوى، فيؤدي ذلك الى البدانة في غالب الاحيان. وقد حاول الدكتور بلاك ان يجد لمثل هؤلاء الاشخاص طريقة مضمونة قليلة التعقيد، تساعده على تخفيف وزنهم من دون ان تؤدي الى تفاقم آلامهم.

ولم يكن مثل هذا الحل في تحديد عدد السعرات الحرارية (الكالوري) او في الحد من كمية الطعام، وانما كان طريقة بسيطة لا تنطوي على كثير من المشقة وتمكن المريض من انقاص مقدار ما يتناوله من الطعام مع تعيين اهداف له تمتد على فترات قصيرة لكي يتبين منها بوضوح مدى التقدم الذي احرزه، فتساعده على المثابرة وتكون له بمثابة الحفز والتشجيع.

الطريقة ــ وقد اهتدى الدكتور بلاك الى طريقة بسيطة سهلة التطبيق تقتضي عد القضمات بدلا من عد السعرات، وهي تقوم على استخدام عداد يمسك باليد يراوح ثمنه في امريكا بين خمسة وسبعة دولارات). ويسجل كل لقمة او قضمة من الطعام. وعلى الشخص الذي يتبع هذا النظام ان يسجل وزنه وعدد القضمات التي يتناولها كل يوم، الى ان يتمكن بذلك من تعيين حد قاعدي للقضمات الكفيلة بانقاص وزنه بمعدل مناسب ودونما مشقة.

وقد اتاحت هذه الطريقة للدكتور بلاك ان يشهد نجاحها لدى عدد من المرضى لم يقووا على تقبل اي طريقة اخرى. ذلك ان هذه الطريقة تحدد كمية الطعام الذي يتناوله الشخص ولا تحدد نوعه. ومعنى هذا ان تطبيق النظام لا يستلزم التخلي عن اي من الاطعمة المحببة. يضاف الى ذلك ان هذا النظام يعتبر من الوجهة العلمية اصح من كثير من الطرق التي تعتمد على تغيير انواع الطعام.

صعوبة تغيير العادات ــ يقول الدكتور بلاك: "يصعب على الناس تغيير العادات التي الفوها طوال حياتهم. ولذا، فقد كان لا بد من ايجاد طريقة لتحديد الوزن يمكن تطويعها وفقا للاسلوب المألوف لدى الشخص المعني في ما يتعلق بالطعام. وكان لا بد لهذه الطريقة في الوقت نفسه ان ترتكز على التسليم بعدم تقبل الناس فترة طويلة لنظام غذائي يقتضي تناول طعام غير سائغ.

فهل يصعب الاستمرار في تطبيق الطريقة التي نحن في صددها؟

لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بالنفي، انقاص عدد القضمات لا يستدعي انكاد الذات بمقدار ما يبدو ذلك للوهلة الاول، ويعود الفضل في هذا الامر الى العداد اليدوي الصغير الذي تستدرك منه ان ارتفاع مجموع القضمات في اليوم الواحد الى حده القاعدي له اهميته الحاسمة، وان من مصلحتك الا تتجاوزه، وبالتالي فانك تنعم في هذه الحال بمستوى ملحوظ من الحماية والطمأنينة، نتيجة قيامك بحساب ما تأكل، لانك من دون هذا الحساب يتعذر عليك ان تعرف على وجه الدقة مقدار ما اكلت، بينما يساعدك العداد على جلاء هذه النقطة على الدوام. ولا داعي الى ان تقلق في ما يتعلق بانواع الطعام التي تأكل ما دام طعامك متوازن العناصر.

تعريف القضمة ــ ولكن ما المقصود

بالقضمة" على وجه التحديد؟

القضمة هي كمية الطعام التي يتناولها الآكل بفمه دفعة واحدة ويبلعها، سواء استخدم ملعقة او شوكة او يده (كما هي الحال في الجوز او البندق مثلا)، وسواء وضع الآكل الطعام في فمه او لعقه بلسانه (كما هي الحال في البوظة او قضمه باسنانه (كما هي الحال في الخبز والحلويات، والكعك)، او احتساه او ارتشفه. كالسوائل، باستثناء الماء والمشروبات الخالية من السعرات الحرارية). ولقد يحدث في البداية ان تتفاوت القضمات في احجامها، لكنك لن تلبث ولا شك ان تهتدي الى الحجم العادي بعد قليل من الوقت.

فهل انت على استعداد للشروع في ذلك؟

يتوجب عليك قبل ان تبدأ تطبيق هذه الطريقة او اي طريقة اخرى لانقاص الوزن ان تستشير طبيبك).

١ - جهز سجلا للتدوين.

خذ قلما وورقة وارسم ثلاثة اعمدة، وتوجها باحد العناوين الآتية: التاريخ، الوزن، عدد القضمات، وعليك ان تزن نفسك عندما تستيقظ في الصباح وقبل ان تتناول طعام الافطار. ثم دون على السجل تاريخ اليوم ووزنك، فاذا جلست الى المائدة لتناول افطارك اضغط مكبس العداد كلما تناولت قضمة.

ولا تحاول في هذه المرحلة ان تقلل من كمية الاكل او ان تدخل اي تغيير على الاطلاق، بل كل كعادتك في هذه الفترة الاولى. ثم اضف عدد القضمات من وجبة الغذاء الى مجموعها في وجبة الفطور، وافعل الشيء نفسه بالنسبة الى وجبة العشاء. واذا تناولت اي طعام او شراب في ما بين الوجبات الرئيسية او بعد العشاء فعليك ان تضيف عدد القضمات في هذه الحال ايضا. وفي نهاية اليوم دون العدد الاجمالي للقضمات في العمود المخصص لها. واستمر على هذا المنوال لمدة اسبوع او اسبوعين مقتصرا على عد القضمات التي تتناولها في المعتاد.

٢ - حدد الخط القاعدي الخاص بك.

راقب وزنك في بداية الاسبوع الاول وفي نهايته. فهل زاد وزنك ام قل ام ظل ثابتا؟ وما هو متوسط عدد القضمات التي تتناولها في اليوم الواحد؟ فاذا وجدت انك تتناول ١٥٠ قضمة في اليوم وان وزنك يتزايد ببطء، قد يتبين لك ان وزنك لن يتغير اذا اقتصرت على مئة قضمة وانه ينخفض اذا راوح عدد القضمات بين ٨٠ و٩٠ قضمة. ومثال ذلك، اذا ظل وزنك ثابتا في حال تناولك ١٥٠ قضمة في اليوم الواحد، فقد يكون في استطاعتك ان تنقص وزنك بمقدار كيلو في الاسبوع اذا تناولت ٨٠ قضمة. وفي استطاعتك كذلك سواء ان تبطىء عملية تخفيف الوزن بحيث لا تفقد الا نصف كيلو في الاسبوع اذا انت رفعت عدد القضمات الى ٩٠ او تستسرع هذه العملية بمقدار كيلو ونصف كليو في الاسبوع اذا انت خفضت العدد الى ٧٠ او ٧٥ قضمة في اليوم. ويمكنك ان تعتبر ان خطك القاعدي هو عدد القضمات الذي تلتزم به يوميا لكي يخف وزنك بالمقدار الذي يريحك ولا يسبب لك اي مشقة.

٣ - ابدأ في تخفيف وزنك٠

استمر في تسجيل الوزن والتاريخ وعدد القضمات يوميا٠ وقلل عدد القضمات او عدله بما يمكنك من تحديد العدد المناسب لانقاص الوزن بالمعدل الذي تبتغيه٠ وحاول ان يجيء تخفيف الوزن تدريجيا، بحيث ان الاسراع في تخفيف الوزن لا يتيح لك الوقت الكافي، للتكيف مع النظام الغذائي الجديد، فضلا عن انه اذا كنت مفرطا في البدانة٠ يزيد من تعرضك لمشكلات الدورة الدموية٠ ويكفي ان ينقص الوزن٠ بمعدل يراوح بين نصف كيلوغرام وكيلو غرام ونصف كيلو في الاسبوع الواحد٠

وبعد ان تبدأ خفض عدد القضمات سوف تشعر بتحسن تحكمك في تحديد الكمية المعينة لكل وجبة بدلا من تحديد مجموع القضمات في اليوم بأكمله٠ ولقد تجد من الافضل ان تحدد الافطار بعشر قضمات او خمس عشرة قضمة ووجبة الغذاء بخمس وثلاثين او اربعين قضمة وان تتساهل الى حد ما في وجبة العشاء٠

٤ - ثبت وزنك٠

فاذا وصلت الى الوزن المطلوب، عليك ان تزيد مقدار ما تأكل حتى تضع حدا لعملية تخفيف هذا الوزن٠ وانت في هذه الحال تعرف على وجه الدقة مقدار الزيادة الواجبة بفضل نظام حساب القضمات٠ فاذا وجدت، مثلا، ان وزنك يظل ثابتا عندما تتناول ١٠٠ قضمة في اليوم وانه ينقص عندما تتناول ٨٠ ، فما عليك لتثبيت وزنك الا ان تعود الى تناول ١٠٠ قضمة٠ واذا لم يحقق هذا ما تريد على وجه الدقة، ففي امكانك بسهولة ان تعدل عدد القضمات ٠

وربما تساءلت عما اذا كان يمكنك ان تتخلى عن عدادك؟

نعم، في طبيعة الحال، وذلك بعد ان توفق الى تغيير عاداتك الغذائية والى التحكم بمقدار الوجبات التي تتناولها وانما يجب ان تستمر في مراقبة وزنك٠ وكلما وجدت انه آخذ في الزيادة، وجب عليك ان تعود الى عد القضمات٠

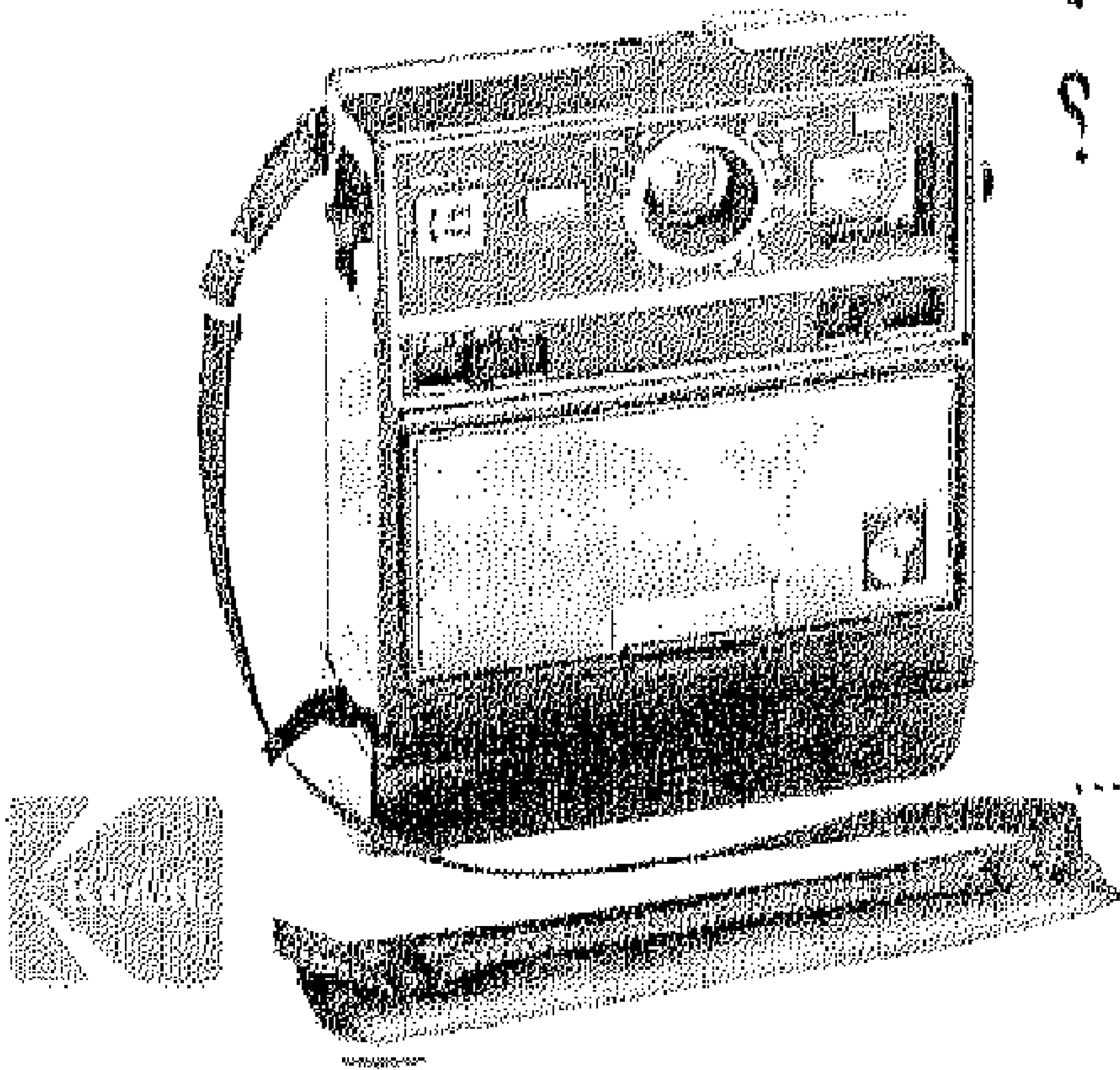
■ ص٠ماينز

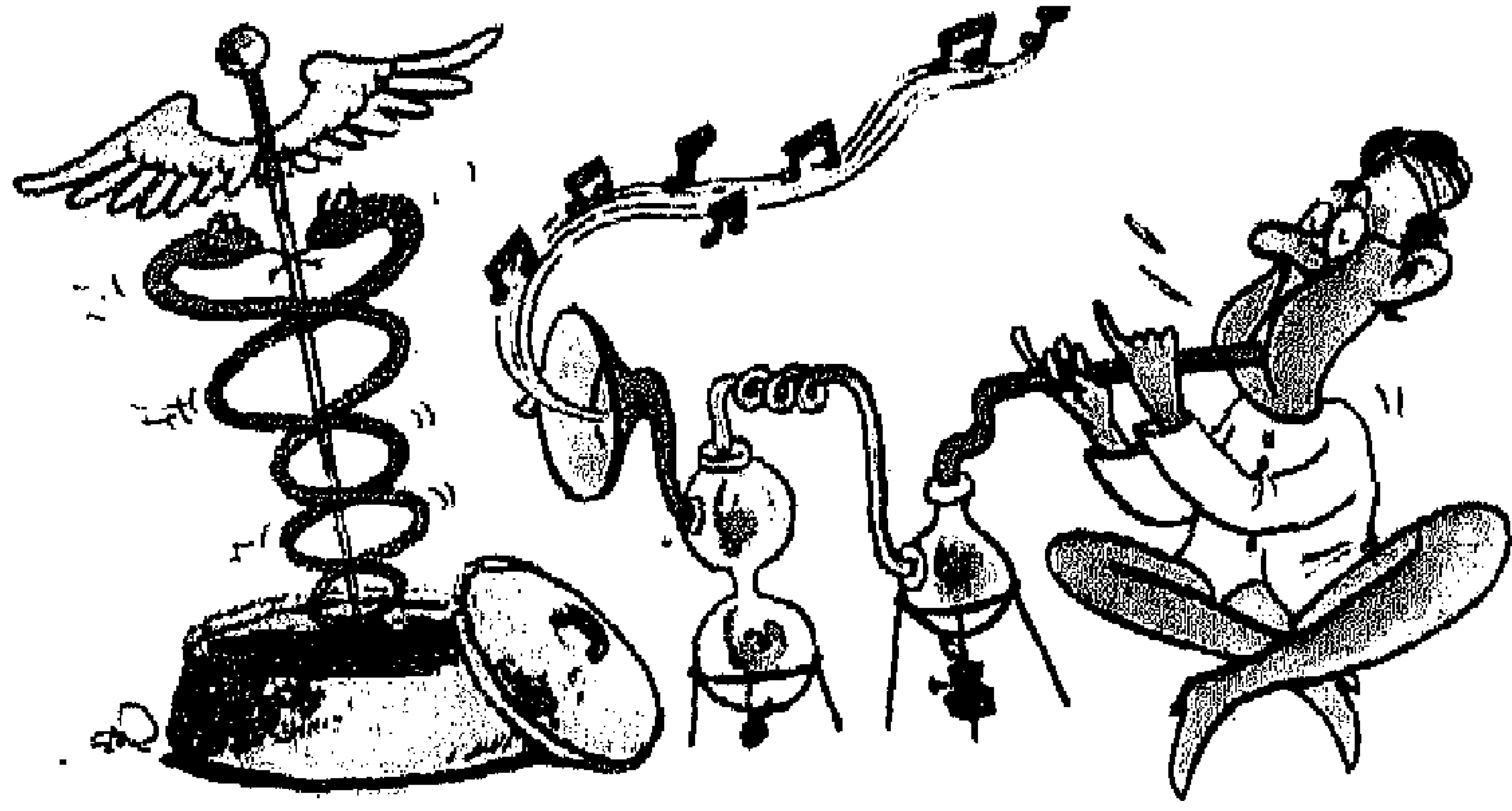


يقول سووست موم: "اذا شئت ان تأكل جيدا في انكلترا ، فكل ثلاثة فطورات صباحية كل يوم٠

اعتاد احد اساتذة اكسفورد اللامعين ان يذهب الى الجامعة على دراجته الهوائية لالقاء محاضراته، فوجد يوما ان اطار الدراجة المطاطي الامامي مفرغ من الهواء، فسارع في فكه واخذ ينفخ الاطار الخلفي، فشاهده احد طلابه ونبهه الى انه ينفخ خطأ الاطار السليم٠ فقال الاستاذ شبه مستغرب: "أليس الاطاران مترابطين احدهما بالآخر؟"٠

ج٠ر٠





اصداء من عالم الطب

دواء للنقرس ينقذ المصابين بالازمات القلبية

درست مجموعة مشتركة من الباحثين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا ١٤٧٥ حالة من حالات مرضى القلب، واسفرت هذه الدراسات عن فعالية دواء "انتورين" في انقاذ اكثر من نصف الذين يصابون بأزمة قلبية متكررة. والغريب ان هذا الدواء يباع في الاسواق منذ عام ١٩٥٩، كعلاج لداء النقرس.

وقبل نشر هذه النتائج في مجلة "نيوانغلاند الطبية"، لم يكن في جعبة الاطباء ما يحمون به ضحايا الازمات الاولى من السقوط صرعى الازمات الثانية.

وطبقا للتقدير المتحفظ للاطباء الستة والتسعين الذين اشتركوا في هذه الدراسات، فان تناول دواء الـ"انتورين" يوميا بالنسبة الى من عانوا ازمة قلبية، قد ينقذ ١٥،٠٠٠ حالة سنويا على الاقل في الولايات المتحدة الامريكية وحدها.

وقد مولت شركتا "سيبا" و"جايجي" لصناعة الادوية هذه الدراسات التي كان الغرض منها مراقبة ٧٣٣ حالة لاشخاص يتناولون "الانتورين" و٧٤٢ حالة لاشخاص يتناولون دواء "بلاسيبو" وذلك على مدى عامين. ولما حلل الباحثون النتائج الاولية بعد فترة ٨،٤ اشهر وجدوا الآتي: ٦٨ حالة وفاة في المجموعتين منها ٤٢ حالة موت مفاجىء، ٢٩ منها في المجموعة التي كانت تتناول "بلاسيبو" و١٣ في مجموعة الـ"انتورين". اما المعدل السنوي لعدد الوفيات الناجمة عن ازمة قلبية فقد بلغ ٦،٣٪ في مجموعة "بلاسيبو" و٢،٧ في مجموعة "انتورين"، اي بفارق ٥٧،٤٪ بين المجموعتين.

ازاء هذه النتائج، قرر باحثو المشروع، برئاسة الدكتور صول شيري من كلية الطب في جامعة تيمبل في فيلادلفيا، ان يعرضوا في الحال تقريرهم على الاطباء المختصين حتى لا يحرم مرضى القلب دواء فيه انقاذ لحياتهم.

(لورانس ك. التمان في "نيويورك تايمس")

اللمسة الشافية

يجري الآن في كثير من المستشفيات ومدارس التمريض في انحاء الولايات المتحدة الامريكية تعليم فن غير تقليدي للشفاء، تحاول فيه الممرضات حمل المرضى على الشعور بالراحة والتحسن بمجرد "وضع ايديهن عليهم". وتتولى تدريس هذه "اللمسة السحرية" على مستوى الدراسات العليا الاستاذة دولوريس

كريفر، وهي ممرضة تحمل دكتوراه في الفلسفة وتعمل أستاذة في مدرسة مهن التربية والصحة والتمريض والمهن الفنية التابعة لجامعة نيويورك.

وليس الغرض من "اللمسة الشافية" اجراء "علاج سحري" بأي حال، كما في علاج "الشفاء بالايمان"، وانما الهدف، كما توضح الدكتورة كريفر، هو احداث الشعور لدى المريض بأنه موضع اهتمام وحنان، وهو شعور ينتقل أيضاً بالاقتراب المادي، كما يحدث عندما تمسح ممرضة بيدها جبهة محمومة او تمسك بيد مريض. والذي يحدث في الواقع هو ان كريفر نادرا ما تلمس المريض، وانما هي تبقي يديها على مسافة قليلة منه "لأننا نتعامل هنا مع مجالات الطاقة التي تحيط بالجسم ومن ثم تجعل اللمس غير ضروري". وهي تقول إن "اللمسة الشافية" يمكنها في أحيان كثيرة ان تنقل مقدارا من الطاقة الجسدية من ممرضة تتمتع بصحة جيدة الى مريض يعاني "نقصا في الطاقة".

وتوافق المراجع الطبية على ان المشاركة الوجدانية والاهتمام والعطف التي تندرج كلها في علاج كريفر يمكنها ان تحدث أثراً حميدا، ولكنهم يشككون في احتمال افضاء ذلك الى احداث اي تغييرات بيولوجية او كيميائية، وعلى رغم هذا فقد حصلت كريفر على مساندة الدوائر الطبية. وعلى مدى السنوات الخمس التي قضتها حتى الآن في تدريس "اللمسة الشافية"، تمكنت - حسب تقديراتها - من تعليمها لأكثر من ٣٠٠٠ ممرضة وطبيب ومعالج، بل ولبعض البيطريين أيضاً.

(رونالد سوليفان في "النيويورك تايمس")

الفصل في اثبات البنوة

كثيرا ما يحدث ان يفاجأ رجل باشعار قضائي يعلمه بانه متهم في قضية اثبات بنوة وان ثمة امرأة تدعي انه اب لطفلها، بينما يدعي هو انه لم يرها في حياته.

ولمدة سنوات طويلة ظلت الطريقة الوحيدة المعتمدة في قضايا اثبات البنوة هي مطابقة فصائل الكريات الحمراء في الدم و٩٠٪ من الحالات تظل معلقة لان الوسيلة غير فاصلة. لكن الوضع بدأ يتغير بسبب تحليل طورته جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس وبدأت تعتمده المحاكم الاوروبية منذ عام ١٩٧٠.

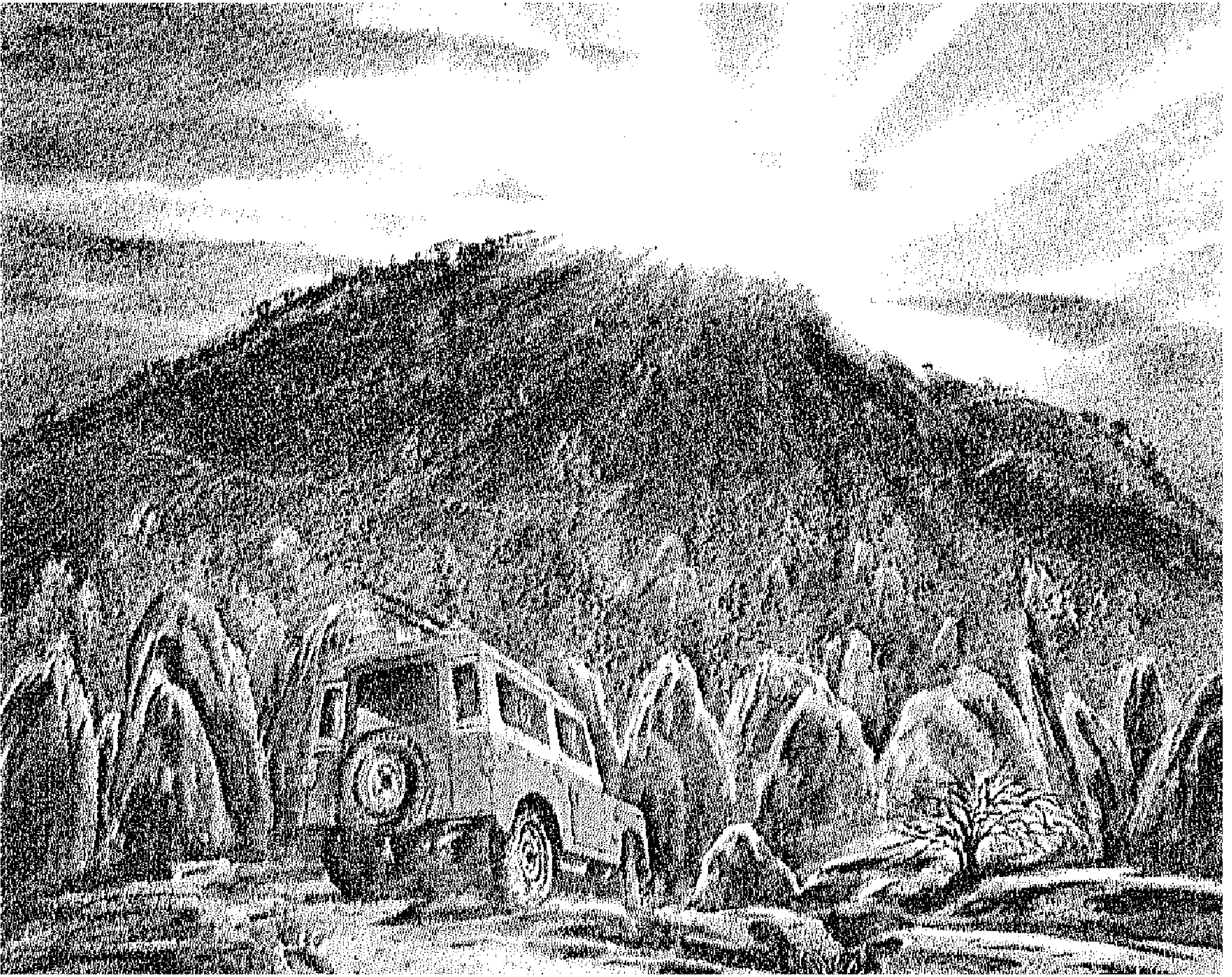
وجاءت هذه الوسيلة كنتيجة فرعية لبحوث تتعلق بزرع الكلي والقلب ورفض جسم الانسان لاي مادة عضوية غريبة عنه. وهو تحليل يعتمد على المقارنة بين "بصمات" الكريات البيضاء، يتولاه الاطباء للتأكد من صلاحية نقل عضو من اعضاء الجسم لزرعه في جسم مريض آخر.

ويقول الدكتور ترازاكي من قسم الجراحة في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس، وهو الطبيب الذي طور هذا البحث، ان التحليل عندما استخدم في ١٠٠٠ حالة استبعد ٣٥٪ منها بصفة قاطعة، واثبت براءة الرجال المتهمين بالابوة. اما بالنسبة الى بقية الحالات فقد اثبت التحليل البنوة في ٦٤٪ منها، بنسبة ٩٠٪ من التأكيد.

الاختناق بالطعام

صدر قانون جديد في ولاية الينوي الامريكية يفرض على كل مطعم أن يعلق في مكان ظاهر ارشادات الى طريقة انقاذ حياة شخص يعاني اختناقا بالطعام. وقد تلقى واضعو مشروع القانون، قبل إقراره، "مساعدة" بائسة اذ توفي خلال أسبوعين اثنان من الشخصيات البارزة في شيكاغو، عاصمة الولاية، في حادثتي اختناق بالطعام.

وهذا القانون، المعمول بمثله في ٢٠ ولاية اخرى، يترك للمطعم حرية اختيار وسيلة الاسعاف التي يعلن عنها. غير ان معظم المطاعم قد تفضل الاعلان عن الارشادات الخاصة باجراء "مناورة هايمليشن"، وهي تتلخص ببساطة في الضغط المفاجىء فوق سرة الضحية مباشرة وتحت قفصه الصدري مباشرة، حتى يندفع الهواء في قصبته الهوائية خارجا فيطرد الطعام المحشور فيها.



المدينة المفقودة

مدينة كالاهاري الافريقية، هل بناها الفينيقيون في القرن الثالث
ثم دمرتها القبائل التي ثارت عليهم·
هنا حديث عن رحلة عبر الصحراء بحثا عن هذه المدينة·

لا أزال غير متأكد من السبب في ذهابنا الى ذلك المكان· لربما كان شعور بالملكية، خصوصا لأنه سبق لي ان كتبت قصة طويلة عن مدينة كالاهاري الاسطورية المفقودة· وكنت منذ ايام طفولتي مفتتناً بالانقاض الأثرية المنتشرة في مناطق الذهب في بوتسوانا وروديسيا وموزامبيق·

وربما كان السبب ايضا الانفعال والحماسة للانطلاق الى المجهول، او الاغراء الذي يوحيه اكتشاف شيء جديد· ولكن أظن ان السبب الحقيقي لذهابنا هو انني وزوجتي دانييل نشعر باننا جزء من الكيان الافريقي

كما هي حال تلك الجدران الحجرية القديمة.

بدأت مغامرتنا عندما أبلغنا احد الاصدقاء انه تمت رؤية الانقاض عندما انحرف احد الطياريين عن طريقه الجوي وسط صحراء كالاهاري. ثم استطعنا ان نتبين من الطائرة التي استأجرناها الموقع المقصود بالضبط، وهو عند هضبتين صخريتين تطلان على بحيرة ملح جافة وتكلل كل واحدة منهما اشجار الحميرة العملاقة، تلك الاشجار الاستوائية العريضة الجذوع. واستطعت ان اتبين بوضوح، في ظلال جذوع الاشجار المنتفخة، معالم الجدران السميكة التي تطوق قمة كل هضبة وتحصنها.

لقد اقنعتنا هذه الرحلة الجوية لمسح الموقع بأن محاولة الوصول الى الانقاض عن طريق البر سيكون عملا يستحق اصدار شهادة على جنوننا المطبق. اننا لا نرغب في ان نترك عظامنا المبيضة بفعل الشمس لتزيين البراري. لكننا، مع ذلك، عقدنا العزم على ان نكون اول شخصين يزوران المدينة المفقودة.

"القضية، في الحقيقة، ليست على ذلك المقدار من الحماقة". تفوهت بهذه الكلمات في ذلك اليوم من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٦ ونحن نغادر بلدة مون، وقد وجهت مقدّم اللاندروفر نحو الصحراء. لكننا كلينا ادركنا ان الاخطار تنتظرنا في رحلتنا التي تمتد ٣٠٠ كيلومتر عبر الاراضي القاحلة في قلب بوتسوانا.

وبعد يوم كامل من السفر بلغنا منطقة الاحراج الكثيفة حيث انعدمت منذ ذلك الوقت جميع الدروب المطروقة، وضاع معها كل احتمال في وصول العربات الخاصة برحلات القنص للنجدة في حال اي عطب قد يصيب السيارة. واخترت شجرة بارزة بين الاشجار في افقنا المحدود لتسديد خط الهدف اليها بالبوصلة. ثم انطلقنا عبر تلك الاراضي الجافة الموحشة التي يختلط فيها القيظ بالجمال الأخاذ.

قافلة من حمار الوحش - كاد النهار ان ينتصف قبل ان نخرج فجأة من الغابة الى سهل واسع ومنبسط ترصعه اجمات من اشجار النخيل العاجية الفخمة وتكسوه، على مدى النظر، اعشاب ناعمة في لون الفضة الشاحبة. وبعدما اجتزنا قرابة ثمانية كيلومترات، انتابني احساس غريب بالدوار، بدا السهل معه مائجا كصفحة البحر. ثم ادركت ان بيننا وبين الافق قطيعا لا ينتهي من حمار الوحش الذي راح يهرب منذ وصولنا.

واذ مخرت حوافر الآلاف من هذه الحيوانات سطح الأرض الجاف كالمسحوق، أخذت تطوقنا سدود من الغبار الخانق حجبت عين الشمس. وسرعان ما غدونا وسط تلك الكتلة الضخمة من الاجسام المتراكضة. وكانت رؤوسها الملونة الجميلة تدق الهواء كالمطارق بينما انتصبت آذانها واعناقها المتصلبة.

وبعد حين تجاوزنا القطيع. وانحاز رعيل القطيع جانبا وثبت قوائمه الامامية بتصلب في الارض فتوقفت الحمير عن الحركة كليا وراحت تحدق الينا بذهول واضح ونحن نجتاز الارض امامها. ومع بعد المسافة اندمجت تلك الاجسام المخططة في خليط فضي

رمادي كسا السهل كله وراءنا.

وأدركنا عصر ذلك اليوم الحوض الطبيعي الأول، وهو بحيرة ملح جافة. وكان سطح البحيرة الابيض يومض بنعومة واغواء. وبدا ان في امكاننا ان نسرع فوقها بالدوس على مسرع السيارة حتى يستوي على ارضيتها. غير ان الآثار التي خلفها قطيع من المهى انذرتنا بان الحوض ما هو الا شرك لنا. فقد احدث ثقل الحيوانات التي داست قشرتها الناعمة كسورا انكشفت تحتها مادة كالثريد صفراء اللون. وحين مشيت على سطحها البلوري المتكسر التصق ذلك الطين الثريدي بحذائي وكأنه قطعة حلوى ممضوغة دبقة.

ولهذا توجب علينا استخدام الاضلاع العشبية التي تتشابك وتتقاطع بين بحيرات الملح الجافة جسورا للعبور. لكننا شعرنا بخيبة امل بعد اجتياز عشرة كيلومترات، اذ انتهى بنا المطاف عند أكمة عشب بحرية. ولم يكن أمامنا من طريق او بديل سوى الرجوع من حيث أتينا لنحاول استخدام جسر آخر. وتنفست الصعداء عندما تبينت من خلال الضباب الحار امامنا جزءا من ارض مرتفعة وبعض اشجار. وضربنا خيمتنا عند جذع شجرة من اشجار الحميرة بالقرب من حفرة ماء.

أسد فوق رأسي – استيقظت تلك الليلة فوجدت زوجتي دانييل تنتشل كيس نومها من قربي في محاذاة النار. وسألتها: "الى اين انت ذاهبة؟" فأجابت: "الى اللاندروفر من أجل النوم فيها هربا من شخيرك".

واستغربت الأمر لأني لم أشخر قط في حياتي. لكني سمحت لها بالذهاب. وما كدت أتهيأ للنوم من جديد حتى سمعت زئيرا. وكانت الاسود في السهل خلفنا على بعد كيلومترات قليلة من مكاننا. وكان زئيرها كهدير طبول خفيت في ظلمة الليل وسكونه.

وعندما استيقظت من النوم مرة أخرى، وجدتني واقفا في مكاني كالسهم استقامة وقد تشبثت بكيس نومي الملتف حول خاصرتي. لقد كان الأسد على بعد عشر خطوات من رأسي عندما زأر، فخلت ان عفاريت جهنم كلها رعدت معا في جوقة مرعبة. وقفزت من مكاني وكيس النوم عالق بين رجلي الى سيارة اللاندروفر، محطما الرقم القياسي الأولمبي لسباق العدو بالأكياس!

واستأنفنا رحلتنا بعيد الفجر. وكانت قد مضت قرابة ١٢ ساعة وانا غير متأكد من موقعنا بالضبط حين رمقتني دانييل بنظرة مشككة وسألت: "الا ينبغي ان نكون بلغنا المكان الآن؟" ورحت اقلب الخرائط وامسح الافق بالمنظار المكبر. ووقفت على سطح اللاندروفر فرأيت بضع تلال منخفضة موزعة فوق مساحة ٨٠ كيلومترا. على ان التحقق من كل واحدة منها يقتضي اسبوعا كاملا. وما لدينا من ماء ووقود كان قد انخفض كثيرا بعد ثلاثة أيام من السفر.

وأجلت نظري مرة أخيرة عبر المنظار المكبر، وفجأة تجلى على عدسته خيط قرنفلي لامع وطويل، يتلوى كالأفعى فوق خط الأفق. ومرت بضع ثوان قبل ان ادرك انه سرب من

اذا تزايدت شهيَّة سيارتك فجرب مجموعة جديدة من شمعات الاشعال "شامبيون"

هل ينبغي لشمعات الاشعال (البوجيات) وحدها ان تحسِّن فعلاً استهلاك الوقود؟

بكل تأكيد، فقد اثبتت التجارب على مئات السيارات ذات المحركات ان ابدال الشمعات المرهقة بشمعات "شامبيون" الجديدة يفضي الى تحسين استهلاك الوقود وفعالية المحرك، فيجب تغيير الشمعات المرهقة مرة على الاقل كلما قطعت السيارة مسافة تراوح بين ١٢٠٠٠ و ١٦٠٠٠ كيلومتر،

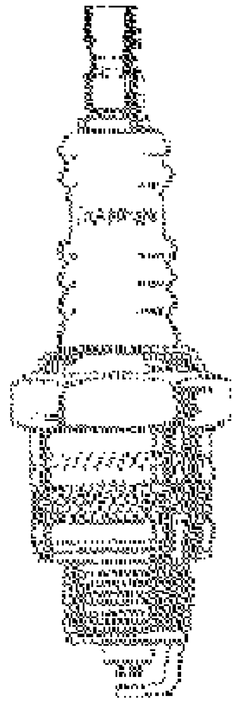
ما هو الدافع الى تغيير الشمعات المرهقة والاستعاضة عنها بشمعات "شامبيون"؟

هناك أكثر من دافع واحد:

- ان "شامبيون" هو الاختصاصي في صنع شمعات الاشعال،
- انه يصنع شمعات ملائمة تماماً لسيارتك،
- ان شمعات "شامبيون" يستخدمها معظم ابطال سباق السيارات في العالم،

وبناء على ذلك، فاذا بدا لك ان سيارتك تسرف في استهلاك الوقود، وانها اصبحت تتباطأ،

فجرب مجموعة "شامبيون" الجديدة، لان من شأنها ان تكبح شهية سيارتك، وان تنشط محركها، وان تقوّي سرعتها،





البائع العالمي
رقم ١

النعام، وهي طيور مائية ذات أعناق وقوائم طويلة. وتذكرت اننا شاهدنا من الطائرة سربا كبيرا من هذه الطيور بالقرب من الانقاض. والتفت الى زوجتي واشرت بخفة الى كتلتين دكناوين في الأفق الشمالي، وقلت: "تلك هي المدينة المفقودة".

أشجار وآثار وأفعى – وفي الخمسة الكيلومترات الأخيرة شقت اللاندروفر طريقها عبر مجموعات من اشجار شوكية كثيرة العقد ومشوهة الشكل. وقد نمت الاشجار بعضها على مقربة من بعض حتى بدا ايجاد مخرج بينها شبيها بمحاولة حل لغز من الممرات المعقدة المحيرة. ونفذنا أخيرا الى حافة حوض طبيعي، ثم عبرنا الطريق بحذر على طول ضفة بحيرة الملح الجافة في اتجاه الهضبتين التوأمين.

وتوقفنا عند سفح الهضبة الأقرب الينا وقد سدت طريقنا صخور ضخمة. وحدقنا في اشجار الحميرة القديمة العهد التي غرست كما يبدو في دوائر ذات مركز واحد على قمة الهضبة. وكانت ظلال الشمس الغاربة قد حجبت الأسوار الحجرية التي رأيناها من الجو، فقررنا ان ننتظر حتى الصباح قبل الشروع في أكتشاف المكان.

ووقفنا ساعة الفجر بالقرب من نار مخيمنا وراقبنا باحساس من الورع ظهور الاسوار الحجرية لمدينتنا المفقودة من بين حجب الظلام. وتسلقنا الهضبة الى الاسوار وكلنا شعور بالعجب. لقد كانت أسوارا هائلة، لكن جزءاً كبيرا منها انهدم ودمر إما بفعل بالزمن وإما على يد عدو قديم. وكانت للأجزاء السليمة منها كوى ومنافذ صغيرة لاغراض الدفاع وبوابات ذات عتبات علوية صممت بعناية وعضادات حجرية خالصة.

وعثرنا داخل الاسوار على فخار ورؤوس فؤوس من حديد اضافة الى خرز وزجاج. وكانت هناك بقايا مصاهر معدنية وكسر مهشمة من البوتقات الفخارية السميكة التي استخدمت في استخلاص المعدن، وربما كان الذهب.

ووجدنا على القمة داخل الأسوار الدفاعية بقايا برج حجري منهار وتساءلنا: أهو معبد للشمس، ام خزانة المدينة؟ وكنت على استعداد لأقلب بضعة حجار أملا في الكشف عن قطعة ذهب براقة.

وانكشف لنا فعلا شيء لامع بين الظلال عندما اقتربنا من كومة الصخور الرمادية، وما لبث ذلك الشيء ان تموج وانساب كمعدن اسود مصهور وراح يفك من حلقات استدارته على نفسه واخرج رأسا في حجم قبضة يدي مكسوا بالقشور، واخذ يحدق الينا بعناد بعينين سوداوين لامعتين لا جفون لهما، بينما انطلق لسانه الأسود المترجرج يتذوق رائحتنا. انه افعى "المامبا" السوداء، أسرع الأفاعي الافريقية وأشدها سما. ويعرف عن أفعى المامبا انها تهاجم ضحيتها من دون استفزاز. وقد بلغ طول الافعى التي رأيناها اكثر من ثلاثة امتار. اما في عالم القصص فربما رمز بهذا الحيوان الزحاف الى ملك المدينة القديم. وتراجعنا ببطء تاركين المامبا تؤدي مهمات حراستها.

اجلال وتقديس ــ لقد أمضينا ليلتين قرب نار مخيمنا خارج الاسوار ونحن نتجاذب اطراف الحديث حتى ساعة متقدمة ونتصور الرجال الذين جاؤوا الى هنا من مكان قصي جدا كما فعل اجدادنا، ونفكر في اولئك الوافدين الاجانب - ويقول بعضهم انهم فينيقيون - الذين بنوا هذه المدن وأخضعوا القبائل المحلية وحفروا مناجم الذهب ثم اختفوا على نحو غامض في القرن الثالث. وتقول احدى الاساطير المعروفة عند الزولو ان القبائل هي التي ثارت ضدهم وقضت عليهم.

وتوجهت في الصباح الأخير، بعدما قوضنا الخيمة، نحو الانقاض الحجرية، وفي داخلي شعور كاد ان يبلغ حد الاجلال والتقدس، فيما تسمرت عيناي في الاشكال التي تحدد معالم مدينتي المفقودة. وكنت اعلم اننا حين نعود سيقول عدد كبير من الناس ان هذا كله اضغاث اوهام. غير اني لن اجادلهم. فمن اين لهم ان يدركوا هذا الاحساس السحري بحضور الماضي الذي استحوذ على مشاعري وانا اطأ بقدمي تلك الديار القديمة؟

وبدا لي ان تلك الانقاض الاثرية الصامتة تخط بمعالمها درسا عظيما، وهو ان افريقيا لن تطيق اولئك الذين يقصدونها من اجل الاستيلاء على ذهبها واستعباد شعبها. ان مثل هؤلاء انما يؤكدون على ان المشكلات التي تواجهها هذه الارض الآن هي المشكلات عينها التي واجهتها قبل ١٠٠٠ عام.

وتساءلت انا وزوجتي: ترى هل سيحدث في المستقبل البعيد ان يضرب رحالة آخر خيمته على مشارف انقاض جوهانسبورغ مهدمة، فيطلق العنان لفكره كي يتأمل في نوعية الناس الذين بنوا تلك الديار والمصير الذي آلوا اليه؟ ان التاريخ كثيرا ما يعيد نفسه لسبب بسيط هو ان الانسان لا يسمع من المرة الاولى.

وأخيرا، عندما حان وقت الرحيل، صليت انا ودانييل على رجاء ان يكون ممكناً هذه المرة كسر طوق الدائرة المفرغة بالتسامح والانسانية.

■ **ويلبور سميث**

كاتب روائي، روديسي المولد، يعيش في جنوب افريقيا. وقد ألف، منذ ١٩٦٤، عشرة من اكثر الكتب رواجاً، كان احدها بعنوان "طائر التَّمَيُّر" (١٩٧٢) وهو قصة حضارة ضائعة.

الاسكوتلندي على حق

عندما سئل السفير الامريكي السابق لدى الامم المتحدة ادلاي ستيفنسون اذا لم يخب امله لعدم تمكن الأمم المتحدة من تحقيق السلام، فاجاب: يقتضي على الذين ينشدون السلام التام في العالم ان يتذكروا ما قاله الاسكوتلندي المقتصد ردا على ابنه الذي طلب منه كرة ارضية: "ساشتري لك كرة أرضية عندما يستقر العالم قليلا". وبعد مضي خمسين عاما على ذلك، رد ابنه على احفاده بالعبارة نفسها.

جون ج. ماك الير

لم تحل حياة فرانز شوبرت القصيرة دون انجازه مجموعة من أجمل الروائع الموسيقية·



فرانز شوبرت

سيّد اللحن والنغم

دخل احد اصدقاء فرانز شوبرت عليه في شقته صبيحة ذات يوم من دون موعد، فوجده منكبا على التأليف· وقال هذا الصديق لاحقاً: "كدت اظن اني في حضرة انسان آخر· فوجهه متوهج وفي مقلتيه بريق قوي خاطف، وهو يتحرك كالسائر في نومه· وحتى حديثه كان مختلفاً"·

وما برح اللغز والغموض المحيطان بطريقة تأليفه لموسيقاه المألوفة، كما كانا عندما توفي في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٨، عسيري السبر· وكل ما يمكننا اعتماده في هذا المجال هو الافادات التي ادلى

بها خلان له رووا قصة التبدل الظاهر الذي طرأ على حياته وحوله من شاب نمسوي خجول ومتحفظ الى انسان متحمس كثير الرؤى. وكان شوبرت كالآخرين تماما تحت وطأة الحيرة ازاء هذا الانفصام المدهش في حياته. وكان يحلو له تكرار هذه العبارة: "يخيل الي بين الفينة والأخرى انني انتمي بكليتي الى عالم آخر". وقال ذات مرة: "لقد وضعت على هذه الارض من اجل تأليف الموسيقى فقط".

والحقيقة ان شوبرت كان غزير الانتاج الى حد مدهش، اذ وضع ما ينيف على الف مقطوعة موسيقية بين اغان وسمفونيات واوبرات ورباعيات وسوناتا للبيانو. ومرة طلبت منه امرأة شابة تلحين قصيدة لمناسبة ذكرى ميلاد صديق مشترك، ففكر شوبرت لبضع دقائق ثم صاح: "لقد وجدتها!" وجلس ليضع نوطة معزوفة جوقية ابسط من السوبرانو يؤديها رجال أربعة.

وتطلب وضع سمفونية شوبرت التاسعة والأخيرة في "الدو ماجور"، المعروفة بـ "العظيمة" والتي تعتبر اهم معزوفة الفها، فترة لم تتجاوز شهراً واحداً، على خلاف بيتهوفن الذي صرف سبعة اعوام حفلت بالكد الدؤوب لوضع آخر سمفونياته. وألف شوبرت في سحابة عام مدهش، ولما يتجاوز الثامنة عشرة، سمفونيتين واربع اوبرات ومعزوفات جوقية وحجرية (تقدم امام جمهور قليل العدد) وقرابة ١٥٠ اغنية، جاعلا ذلك العام اكثر الاعوام انتاجا في حياته وحياة اي موسيقي.

انتاج غزير ورفيع - وكانت الافكار والخواطر تتوارد على ذهنه في الليل على نحو متكرر جعله يحفظ قلما وورقة قرب سريره وينام بنظارتيه، ومعروف عنه تأليفه ثماني معزوفات موسيقية بين السادسة صباحا وموعد الغداء، في أحد الأيام. ومن المألوف لديه وضع رائعتين او اكثر في سحابة يوم واحد، اذ كان يشرع في تأليف اوبرا او مقطوعة دينية، على سبيل المثال، فور انتهائه من وضع احدى الرباعيات.

وتوحي هذه الانتاجية الغزيرة الهائلة بعمل غير متقن، لكن العكس هو الصحيح في حال شوبرت، اذ يعتبر القسم الاكبر من مؤلفاته في عداد اكثر الروائع الموسيقية خلودا في العالم. ويذكرنا تدفق الجماهير وتزاحمها لحضور حفلاته بأن جاذبه العاطفي لا يزال قويا في يومنا هذا، شأنه منذ قرن ونصف قرن. وتشهد ثلاثيات البيانو المحلقة وخماسية الـ"تراوت" المتألقة والسمفونية الثامنة الهادئة الحزن، التي لم يضع لها اللمسات الأخيرة، والسمفونية التاسعة، بالهام غنائي ابدي. وقد اصبحت معزوفاته الساحرة "لاسيريناد" و"آفي ماريا" والـ"ايرل كينغ" على كل شفة ولسان في كل صقع من الارض.

وكان شوبرت جسرا رئيسيا بين المدرستين الكلاسيكية والرومنطيقية. وهو يعد أبا القصيدة الالمانية المعاصرة، او ما يعرف بالأغنية الفنية، وقد نجح في جعل السمفونية ناعمة ونضرة عاطفيا وفي الوقت نفسه جدية ورفيعة المستوى. وعلق

المؤلف الموسيقي انتونان دفوراك على ذلك فقال: "لقد ادخل الأغنية الى السمفونية". واضاف: "في امكان العباقرة الغنائيين من طراز شوبرت فقط تخطي حواجز التقليد الكلاسيكي".

وكاد شوبرت الا يرى ابان حياته ايا من معزوفاته منشورة. ولم تعد عليه موسيقاه، التي اثرت ناشريها وشركات الاسطوانات، الا بالقليل القليل، الى حد ان ثروته الشخصية قدرت عند وفاته بأقل من مئة دولار. ويعزى هذا، جزئيا على الاقل، الى طبعه الانطوائي الخجول. ويذكر احد معارف الناشر الموسيقي توبياس هاسلينغر انه رأى ذات مرة باب مكتب الناشر ينفرج قليلا ليظهر من خلاله رجل قصير نحيل يضع نظارتين سميكتين. وقال هاسلينغر بعد صرفه الزائر، بحركة من يده: "لو سمحت للمدعو شوبرت هذا بالدخول لجاءني كل يوم". وباع شوبرت - وهذا امر لا يصدق - جميع الحقوق التي تعود اليه من ١٤ اغنية من افضل اغانيه بمبلغ ٤٠٠ دولار فقط. وقد عادت احدى تلك الاغنيات، وهي المعروفة بال"ايرل كينغ"، بهذا المبلغ في غضون اشهر قليلة من نشرها للمرة الأولى.

ومما لا ريب فيه ان جزءا من خجل شوبرت وحيائه عائد الى مظهره المنفر. فهو كان معروفا بين اصدقائه في فيينا ب"الفطر الصغير" في اشارة ساخرة الى رأسه الكبير الجاثم فوق جسده الصغير، اذ كان طوله ١٥٤ سنتيمتراً فقط.

الابن الثاني عشر - ولد فرانز شوبرت، الابن الثاني عشر لمعلم مدرسة وضيع الحال، عام ١٧٩٧. وتلقى دروسا في البيانو والكمان وهو بعد في الخامسة من عمره. وبعد عامين ارسل لدراسة الموسيقى على يد قائد خورس من فيينا ذائع الصيت، دهش لنبوغه وقال عنه: "كان يعرف مسبقا كل جديد كنت اود تلقينه اياه". والتحق شوبرت بعدئذ بمعهد داخلي يعرف ب"الدير الامبراطوري"، اشتهر بمستواه الرفيع في تعليم الموسيقى. وانتهى من وضع اولى سمفونياته وبعض ثلاثيات البيانو والثلاثيات الصوتية وثمانية واحدة وقرابة ثلاثين ثلاثية راقصة، ولما يتجاوز السادسة عشرة. وبناء على رغبة من والده، قضى سنتين تاعستين على اثر تركه المدرسة معلما في المدرسة الابتدائية المحلية. وتمكن من احتمال ذلك الوقت، كما يقول، عن طريق ملء فراغه بتأليف قطع موسيقية، مجهدا نفسه الى حد كبير كما لو كان في سباق مع ساعة غير مرئية. ولدى اختتام الحركة الاولى من الرباعية الثالثة الهادئة النغمات، قال: "لقد الفتها في اربع ساعات ونصف ساعة".

وكان يتابع دراسته الموسيقية مع استاذه انطونيو سالييري الذي تتلمذ عليه في الدير الملكي، حين بدأ ان شيئا ما تبدل في تصرفه. فقد رفض شوبرت رفضا قاطعا محاولة استاذه ثنيه عن تلحين قصائد المانية، وحثه عوضا عن هذا على تقليد الاسلوب الغنائي الايطالي المزوق الذي كان سائدا في تلك الآونة.

وظل منذ تلك اللحظة، على رغم استمرار خجله في علاقاته الشخصية، متصلبا في الامور الموسيقية. ويروى ان نجمة اوبرا سبق ان الف لها بعض الاغنيات بناء على طلب مسرح "كارنتزتور" الذائع الصيت، طلبت منه تعديل بعض المقاطع الصعبة الاداء. فصاح في وجهها: "لن اعدل شيئا!". وغادر المسرح على عجل. وعاد عليه تصرفه هذا باسناد منصب مساعد قائد اوركسترا اليه، وهو منصب يحسد عليه كان قد تقدم سابقا بطلب لملئه. ويعود فضل الاكتشاف الباكر لمواهب شوبرت الخارقة الى مجموعة من اصدقائه الشباب الذين نصبوا انفسهم قيمين عليه ورقباء. وكان بعضهم زملاء دراسة سابقين او شعراء ورسامين، والبعض الآخر محامين او موظفين حكوميين. وقال الرسام موريتز فون شفينت: "لقد كانوا يعدونه اكثر ممتلكاتهم جمالا وتلألؤا".

ويروى ان صديقين قدما ذات يوم لزيارته في القاعة التي يدرس فيها، تمكنا من اقناعه بمحاولة كسب عيشه عن طريق تأليف الموسيقى وذلك بعدما شاهداه منكبا على تصحيح بعض الاوراق وسط التلاميذ الذين كانوا يتشاجرون. وعاش شوبرت بقية ايام حياته عيشة مقلقلة جدا الى حد لم يستطع استئجار غرفة له الا لثلاث فترات قصيرة. وتعتبر معظم السنوات الممتدة بين عقديه الثاني والثالث سنوات سعيدة بالنسبة اليه، على رغم هذا كله.

هو والاصدقاء وبيتهوفن — كان شوبرت يخصص فترة الصباح، بعد استيقاظه في السادسة، للتأليف الموسيقي، ثم يلتقي اصدقاءه في احد المقاهي المحلية بعد تناوله الغداء. وكانوا احيانا يتنزهون عبر غابات فيينا ليعودوا الى الاجتماع في احدى حانات الجعة في موعد العشاء. ثم كانوا يقصدون منزل اهل احدهم حيث يرتجل شوبرت معزوفة عى البيانو تتبعها قراءة من الشاعر يوهان مايرهوفر لآخر ابياته، يعقبها عرض يقدمه موريتز فون شفينت لآخر اشكتشاته.

واعتبر شوبرت تلك الاجتماعات أجمل لحظات حياته القصيرة. وكتب لاحقا الى احد اصدقائه: "أتذكر تلك الايام السعيدة حين كان كل منا يعرض على الآخرين آخر مؤلفاته الفنية وعلى محياه تورد الأم الحنون؟".

ويبدو ان وفاة بيتهوفن في شهر مارس (آذار) ١٨٢٧ أثرت تأثيرا نفسيا عميقا في شوبرت. بيد انه من المحتمل، نظرا الى خجله وعلى رغم اقامته في جوار بيتهوفن، انه لم يتبادل الحديث واياه. لكن المؤكد ان صديقا لبيتهوفن اعطاه خلال مرضه الأخير ٦٠ اغنية من اغاني شوبرت. وعندما سمع بيتهوفن بأن هناك ٥٠٠ اغنية اخرى مثلها، قال: "حقا ان شوبرت هذا يملك نفسا الهيا"! وحمل شوبرت في موكب بيتهوفن مشعلا أطفأه في الأرض عندما ووري الجثمان الثرى.

وفي الذكرى الاولى لوفاة بيتهوفن، وافق شوبرت على الظهور للمرة الأولى امام الجمهور لأداء مؤلفاته الموسيقية. وعادت هذه

الحفلة التي قدمت في قاعة الموسيقى الشهيرة المعروفة باسم "ميوزيك فيراين سال" بقرابة ٣٠٠٠ دولار واقرار بعبقرية فاق كل اقرار سابق.

بيد ان انتصاره كان، ويا للأسف، عابرا، أذ أن صحته كانت متقلقلة منذ اواسط عقده الثاني. وأصابته في خريف ذلك العام حمى تيفوئيد اضطرته الى ملازمة الفراش في منزل شقيقه فرديناند. لكنه تابع كفاحه بشجاعة لتصحيح مسودات اغنيته الرائعة "رحلة الشتاء". وفي مطلع بعد ظهر ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٨، قال شوبرت لاهثا: "ها هي نهايتي حانت!" وأسلم الروح بعد دقائق معدودة ووري جثمانه الثرى في مقبرة فارينغ في فيينا على مقربة من رفات معبوده بيتهوفن.

وعلى شاهدة ضريحه ابيات صادقة كتبها صديقه الشاعر فرانز غريل بارزر: "لم تفقد الموسيقى به كنزا نفيسا فحسب، لكنها فقدت أملا اجمل منه بكثير".

ويعود الفضل الرئيسي في نشر قسم كبير من مؤلفات شوبرت قبل وفاته الى جهود اصدقائه، على رغم ان مجمل ما ألفه لم يظهر بكامله الا بعد عقود.

وقد زار عالم الموسيقى الانكليزي جورج غروف والمؤلف آرثر ساليفان فيينا بعد وفاة شوبرت بقرابة ٤٠ عاما، ومحصا الملفات العتيقة لناشر موسيقي خامرهما شك حول امتلاكه مخطوطات لشوبرت لم يدر الناشر بها، وهي مؤلفات لم تحظ باذن النشر فطواها النسيان منذ تلك الآونة.

ووقعا فعلا على النوطات المخطوطة لسمفونيات شوبرت الاولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة، مع احدى الاوبرات ومجموعة مؤلفات لموسيقى تعزف على الآلات وقرابة ٦٠ اغنية. ودفعهما جذلهما الفائق بهذا الاكتشاف، على رغم انتهاء مهمتهما في الثانية صباحا، الى الخروج الى الشارع ولعب "القفزية"، اي قفز الواحد منهما على ظهر الآخر.

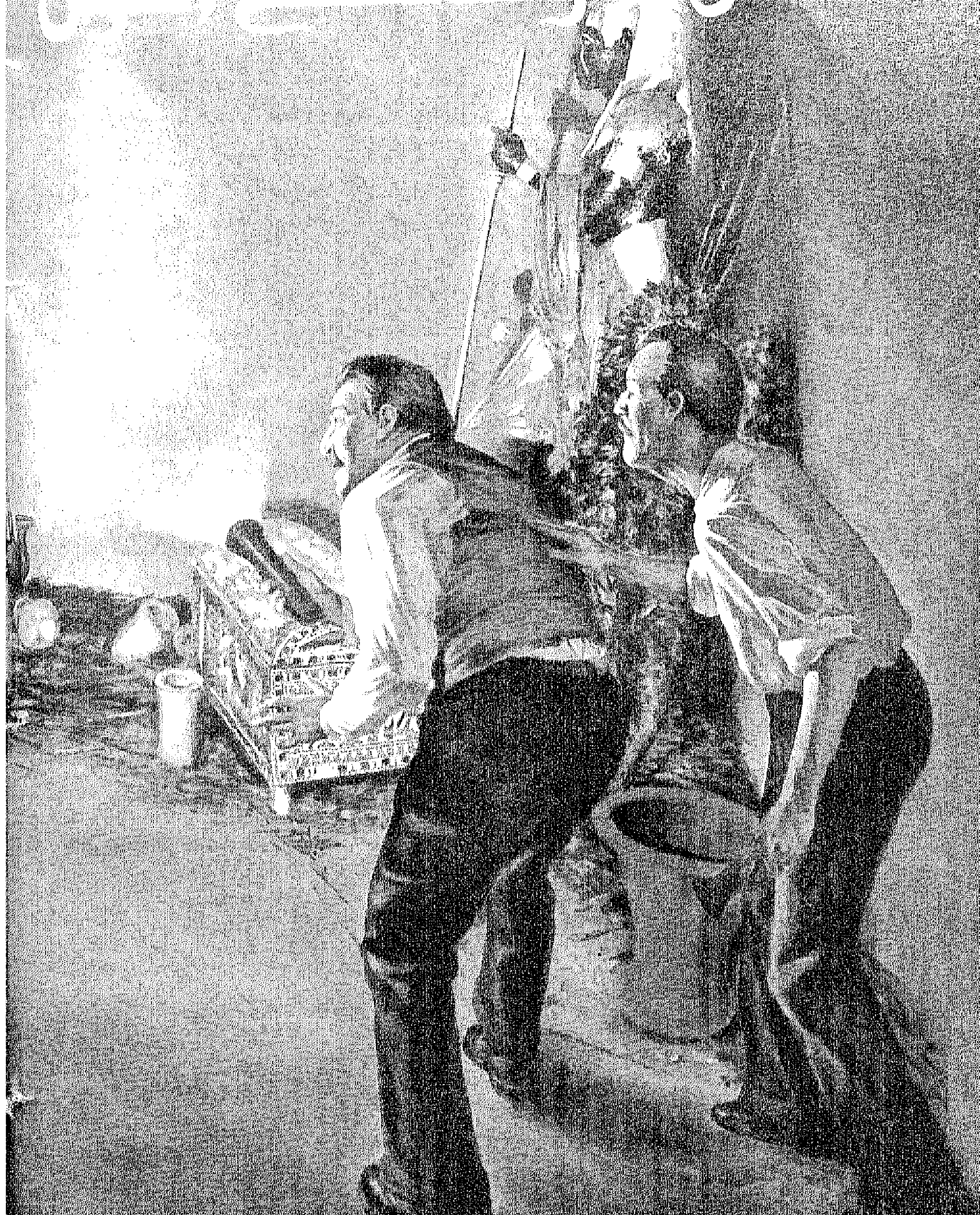
تجسد الشعر والاغنية — ولعل أكثر الاكتشافات اثارة ما تم على يد المؤلف روبرت شومان خلال زيارته لمنزل فرديناند شوبرت عام ١٨٣٨. وقال شومان لاحقا: "عثرت هناك بين الغبار المتراكم وفي الظلام الحالك على مجموعة كبيرة من المخطوطات كانت في عدادها سمفونية الـ"دو ماجور"". وتولى شومان، بتكليف من فيلكس مندلسون، الاهتمام بها وكتب عن اكتشافه: "في اعماق هذه السمفونية يكمن اكثر من مجرد اغنية واكثر من مسحة حزن وفرح. انها تنقلنا الى عالم لا نذكر اننا زرناه في ما مضى".

ولخص اخيرا المغني الالماني الكبير ديتريتش فيشر ديسكاو حياة شوبرت بقوله: "عندما قام الشعر والأغنية بزيارة خاطفة الى عالم الارض، تأنسا في شخص فرانز شوبرت".

■ **ليلي فولدس**



سئل مارك توين عن سبب نجاحه. أجاب: "لقد ولدت تواقاً الى الحياة".


مدفن توتنخ آمن
PHOTO: GRIFFITH INSTITUTE, ASHMOLEAN MUSEUM, OXFORD UNIVERSITY

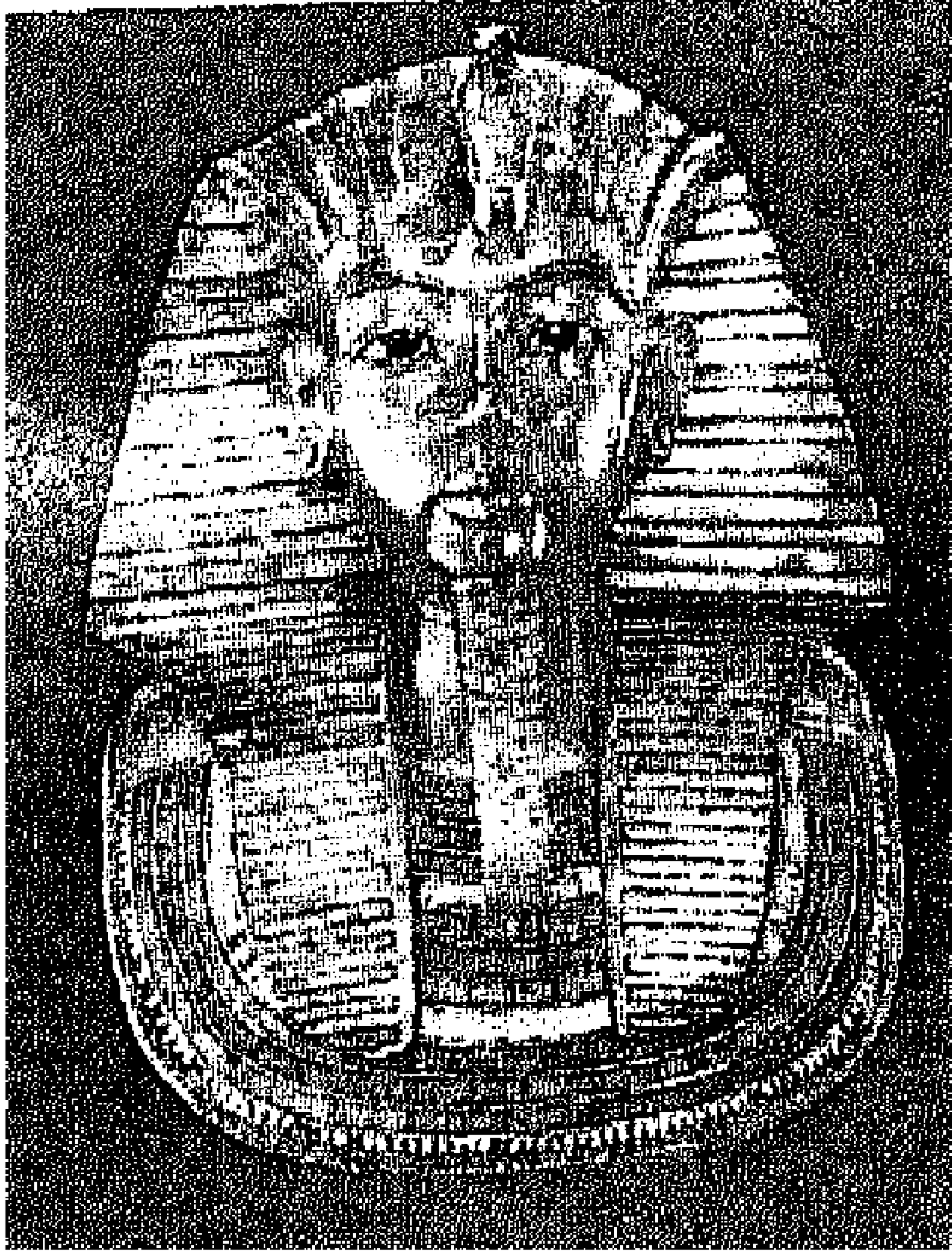
كتاب الشهر

ملخّص مِن كتاب

بقلم

توماس هوفينغ

مدفن توت عنخ أمون



قصة أروع اكتشاف أثري تروى للمرة الأولى

بقلم توماس هوفنغ

توماس هوفنغ، مؤلف هذا الكتاب، كان مدير متحف المتروبوليتان في نيويورك ورئيس الفريق الذي نظم معرض "كنوز توت عنخ أمون" في جولتها الأخيرة عبر الولايات المتحدة الامريكية. وقد توافد ملايين الزوار على متاحف واشنطن وشيكاغو ونيويورك لمشاهدة القطع الخمس والخمسين من كنوز توت عنخ أمون التي لم تنته جولتها الامريكية بعد.

والذي حدا توماس هوفنغ على تأليف كتابه هو البحوث التي تولاها استعدادا للمعرض والتي كشفت عن تناقضات في الروايات الرسمية التي وصفت التنقيب عن مقبرة توت عنخ آمون. وفي اثناء مواظبته على الدراسة في متحف المتروبوليتان، عثر هوفنغ على مئات الوثائق الاصلية التي غبرها عدم الاستعمال، وهي رسائل ورسوم ومذكرات كتبت بخط المنقبين انفسهم. وقد اعتمد تلك الوثائق القيمة من أجل قص الرواية الكاملة للمرة الأولى.

ان اكتشاف ضريح توت عنخ أمون ليلة ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ وما تبعه من عثور على قرابة ٥٠٠٠ تحفة فنية رائعة خلال عشر سنين، اثار اهتماما واسعا في العالم كله. فهو كان ولا يزال اغنى الاكتشافات طرا في تاريخ الآثار.

واصبح توت عنخ أمون، الفرعون الذي حكم تسع سنوات ومات في ظروف غامضة وهو في الثامنة عشرة من عمره عام ١٣٥٠ قبل الميلاد، شغل الناس. كذلك اصبح مكتشفا الضريح، وهما عالم الآثار المصرية البريطاني هوارد كارتر وممولة الثري اللورد كارنارفون، شغل الناس من دون ان يسعيا الى ذلك ففي اعقاب سنوات الحرب العالمية الاولى المرهقة، بدت الاحداث التي شهدتها منطقة وادي الملوك في مصر القديمة مثيرة للاهتمام على نحو غير عادي. وتولدت عن هذا الاهتمام آلاف القصص الجديدةحتى ليخال المرء انه لم يبق مجال اليوم لاضافة جديد نافع حول توت عنخ أمون والاكتشاف المذهل. غير ان الامر في الواقع ليس هكذا.

فجميع الروايات التي نشرت حتى الان تقصر عن كشف بعض الحقائق البالغة الاهمية، ذلك ان الرواية الكاملة لا تتوافق في جميع اجزائها مع تلك القصة البطولية السامية التي اعتدنا سماعها. بل انها تضج بالكيد والخداع والاكاذيب والآمال الخائبة والغم، وبهذا تغدو قصة مذهلة على نحو لا يقل عن الاكتشاف العظيم عينه.

في العام ١٩٠٧، العام الذي جمع اللورد كارنارفون وهوارد كاتر، كان جورج ادوارد ستانهوب مولينكوس هيربرت لورد بورشستر ايرل كارنارفون الخامس (وهو اسم اللورد) غير معروف الا على نطاق ضيق خارج دائرته الخاصة. ولو تحرى الناس عنه لوجدوا ان اللورد كارنارفون، الذي عرف باسم "بورشي" كان اريستوقراطيا انكليزيا ثريا في الحادية والاربعين من عمره، ولم يكن حقق اي شيء يذكر حتى ذلك الوقت.

وكان اللورد كارنارفون في حداثته قوي الشخصية وانيقا وعلى شيء من الاندفاع. ولكن بحلول العام ١٩٠٧، اصبح وجهه مضنى وهزل جسمه. وهو يظهر، في الصور التي اخذت له آنذاك، حاملا عصا في احدى يديه وواضعا يده الاخرى في جيب سترته وواقفا كمن اصابه جرح.

لقد انسحب بورشي من كلية "ترينيتي" (الثالوث) في جامعة كيمبريدج عام ١٨٨٧ لان انجازه الدراسي كان عديم الجدوى، وبدأ سلسلة من الاسفار دامت سبع سنوات. وكان برنامج رحلاته لافتا، حتى وان قيس بعصر الفضاء الحالي. فهو افتتح رحلاته بالابحار ثلاثة ارباع الطريق حول العالم، ثم سافر الى افريقيا الجنوبية واوستراليا واليابان وفرنسا وتركيا واسوج وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية التي جال فيها من المحيط الى المحيط. وفي يوم مولده التاسع والعشرين تزوج آلمينا وومبويل، وهي امرأة جميلة وذكية. وفي السنوات الاربع التي تلت زواجهما، رزقا صبيا وبنتا. والصبي هنري، اللورد بورشستر، وهو اليوم في العقد

التاسع من العمر، لكنه لا يزال رشيق الحركة، اما البنت ايفلين، فقد كانت رفيقة والدها الحميمة.

وبعد سنوات قليلة من ولادة هنري وايفلين، وقع للورد كارنارفون حادث اصطدام سيارة غير مجرى حياته. وكان من حسن حظه ان بقي على قيد الحياة، وان كان لازمه ارتجاج في الدماغ وكسور في عظام الصدر. ومنذ ذلك الحادث لم يتعاف كليا، لكنه خرج منه مصقول الشخصية ماضي العزيمة ونازعا الى التحليل.

وبناء على نصيحة طبيبه، قصد اللورد كارنارفون الى مصر عام ١٩٠٣، فغدا على الفور اسير ذلك المكان. وكان مهتما بعلم الآثار في السنوات القليلة السابقة، فتحول اهتمامه هناك الى هواية. وفي العام ١٩٠٦ حصل على ترخيص منوزارة الاشغال العامة المصرية ومديرية الآثار التابعة لها للعمل في وادي الملوك المسكون بالاساطير.

واذا نحن تأملنا اليوم في ذهاب لورد انكليزي - او "لوردي" كما كان المصريون يسمون كارنارفون - الى مصر والحصول فورا على اذن رسمي يخوله التنقيب في التخوم الفرعونية المقدسة من دون تدريب سابق او اشراف، لوجدناه امرا مروعا حقا. اما في تلك الآونة فكان في امكان اي مواطن عادي ان يحصل على موافقة احد المسؤولين الفرنسيين في مديرية الآثار المصرية على الشروع في الحفر، بشرط ان يكون ذلك المواطن ثريا، وعالما بالوسيلة المناسبة للوقوف امام المسؤول. وكان للفرنسيين سيطرة شبه تامة على كل ما يمت الى الآثار المصرية بصلة، وهو امتياز حافظوا عليه منذ حملة نابوليون المصرية.

في ذلك الوقت كان امتياز التنقيب قائما على اتفاق بسيط. يقضي، بادىء الامر، بان يتم العمل في رعاية مديرية الآثار، وهو شرط لميتحقق الا نادرا. واذا وقع المنقب على مقبرة، كان عليه اعلام المديرية فورا. وكان في وسعه ان يكون اول الداخلين اليها، بشرط ان يرافقه احد مفتشي الآثار.

اما المسألة الحساسة، وهي توزيع العمل، فقدعولجت بطريقة مرتجلة. وكان هناك عرف غير مكتوب يقولبان المومياءات والاكفان والنواويس يجب ان تبقى ملكا للدولة، في حين توزع محتويات المقابر التي سبق ولوجها في الازمنة الغابرة على المنقب ومديرية الآثار بالتساوي. واذا تم العثور على مقبرة نجت من النهب على ايدي اللصوص في القدم - وهو امر لم يكن قد تحقق حتى ذلك الوقت - فان كنوزها تذهب كلها الى الدولة.

وباشر اللورد كارنارفون اعمال الحفر بحماسة فور حصوله على الترخيص ولكن على نحو يعوزه الانضباط والنظام. ولزم عمله يوما بعد يوم طوال ستة اسابيع، وسط سحب كثيفة من الغبار. وجعله ازدياد الغبار يدرك انه يحتاج الى خبير يساعده وحين قدم ذاك الخبير اخيرا، كان شخصا غريب الاطوار يدعى هوارد كارتر.

مسحة من العناد

كان كارتر سليل بيت متواضع. وقد ولد في كنسنغتون، (انكلترا) عام

١٨٧٤، وكان ابوه رساما بالالوان المائية، اختص في وضع رسوم للحيوانات التي كان يملكها اريستوقراطيون. وكان الاب فقيرا فعلم ابنه في البيت ولم يرسله الى المدرسة. واكتسب الولد حرفة ابيه، وبدا انه كان مقيضا له الاستمرار في تلك المهنة التي لا فائدة ترجى منها، وهي رسم الحيوانات والمناظر الريفية المبتذلة.

الا ان تغيرا كليا طرأ على حياة كارتر صيف ١٨٩١. فقد عرض الاستاذ بيرسي نيوبيري من متحف القاهرة على احدى معارفه القديمات في انكلترا، الليدي امهرست اوف هاكين، رسوما لكتابات هيروغليفية منسوخة عن تماثيل قديمة، طالبا ان تدله على شخص لديه القدرة على اكمال الرسوم. فما كان من الليدي امهرست الا ان اقترحت اسم هوارد كارتر الذي يعيش في جيرتها، وكان آنذاك في السابعة عشرة من عمره.



هوارد كارتر بريشة شقيقه وليم (١٩٢٤).

وهكذا تم توظيف كارتر الذي عمل ثلاثة اشهر في المتحف البريطاني قبل ان ينضم الى مؤسسة خاصة مرتبطة بالمتحف، تتولى اعمال التنقيب في ارض النيل. وبعد حين اصبح كارتر مساعدا لاحد اهم علماء الآثار المصرية، وهو السير وليم فلندرز بيتري. وبين عامي ١٨٩١ و١٧٩٨، راح كارتر ينسخ بتؤدة، بواسطة الالوان المائية، الرسوم والنقوش التي كانت تزين جدران معبد "دير البحري" الخاص بدفن الموتى.

كان كارتر رجلا قصيرا، ممتلىء الجسم. وعلى مقدار كبير من القوة البدنية، وقد لزم عمله طوال فترة تدربه. وكان شخصا صارما وذا اندفاع بالغ، ولكن يعوزه المرح.

وعلى رغم افتقاره الى الدراسة التقليدية، فقد اكتسب اصول الآثار بسرعة. ويبدو انه كان يتصف بمسحة من العناد وحدة في الطبع. غير ان انصرافه التام الى عمله وحماسته اكسباه تقدير رؤسائه.

وفي العام ١٨٩٩، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، عينه السير غاستون ماسبيرو، وهو فرنسي متفوق كان يشغل منصب مدير الآثار المصرية، مراقبا للتماثيل في مصر العليا والصحراء النوبية.

وسارت مهمة كارتر في مديرية الآثار على أتم وجه حتى العام ١٩٠٣، حين انقطعت نهائيا. وقصة تلك النهاية ان السير وليم بيتري، الذي كانت ترافقه زوجته وثلاث شابات متدربات، كان يعمل على نسخ الكتابة الهيروغليفية على مقبرة في سقّارة. وحسب رواية بيتري، دخل بعض الرجال الفرنسيين السكارى المخيم في احدى الامسيات طالبين ادلاء يرافقونهم فيجولة سياحية، ثم حاولوا اقتحام ركن النساء. فطلب بيتري نجدة كارتر الذي وصل الى المكان ومعه زمرة من المصريين العاملين لحساب مديرية الآثار. وحصل عراك رمي فيه احد الرجال الفرنسيين ارضا.

ورفع الفرنسيون شكوى شديدة اللهجة الى ماسبيرو، حملت القنصل الفرنسي العام على طلب اعتذار رسمي. لكن كارتر رفض الانصياع.



اللورد كارنارفون.

فبذل ماسبيرو، الذي كان يكن مقدارا كبيرا من الود لكارتر المتصلب، قصارى جهده لاقناعه باصدار اعتذار شكلي اكراما للصداقة الانكليزية - الفرنسية. الا ان كارتر، الذي لم تكن التوافه السياسية تعني له شيئا، رفض الاعتذار. فاضطر ماسبيرو آسفا

الى تسريحه من الوظيفة٠

وخلال السنوات الاربع اللاحقة، واجه كارتر ظروف عيش قاسية٠ فعمل دليلا سياحيا، وباع رسومه المائية للسياح، وتعاطى من وقت الى آخر تجارة "الانتيكا" (كما يسمي المصريون السلع القديمة)٠ وعندما قدمه ماسبيرو وبجزع الى اللورد كارنارفون ليعمل لديه خبيرا في الآثار، كان سريعا جدا الى القبول٠ وكان ذلك تدبيرا رائعا للاثنين، لان هوارد كارتر كان محترفا فضلا عن كونه رهن الاشارة وبخس الثمن٠

مقاعد الصمت الابدي


ان المسرح الذي كانت ستجري عليه الاحداث التي اشترك في تمثيلها توت عنخ امون واللورد كارنارفون وهوارد كارتر كان مكانا مهيبا هو وادي الملوك٠ والاسم نفسه مليء بالخيال والشعر٠ غير انه يعسر على المرء ان يتصور مكانا اشد بعدا وكراهة وسخونة ووحشة٠

وكان الناس في الازمنة الغابرة، كما هي الحال اليوم، يذهبون الى الوادي من طيبة، وهي اليوم مدينة الاقصر، الواقعة على نهر النيل على بعد ٧٠٠ كيلومتر جنوب القاهرة٠ وكانت وراء النهر ارض منبسطة يبلغ طولها خمسة كيلومترات او اكثر، حولتها الفيضانات الموسمية الى ارض وافرة الخضرة٠ اما الحد الفاصل بين الارض الصالحة للزراعة والصحراء فلم يطرأ عليه سوى تغير طفيف لم يتجاوز امتارا معدودة خلال آلاف السنين٠ وعند ذلك الحد ترتفع الصحراء تدريجيًا الى ان يتعاظم ارتفاعها ليبلغ ذروته في شكل منحدر صخري شاهق يعرف باسم دير البحري٠ وفي اسفل هذا المنحدر يقوم وادي الملوك٠

لقد كان المصريون القدماء يعتنقون عقائد، من اهمها ان يكون المرء مجهزا بعد الموت لملاقاة كل ما يواجهه في الحياة الثانية، وان يبقى جسده سليما في المكان المعد له٠ وسعى الملوك الاوائل الى تحقيق هذا الغرض عن طريق تشييد اهرام فوق اجسادهم المائتة، وهي جبال مرتفعة من الحجار٠ ولم يألوا جهدا في ابتكار كل ما توحيه العبقرية وشراء كل ما يوفره المال من اجل ذلك الغرض٠ وكانت مداخل ضرائحهم مسدودة بحجار صوان يزن الواحد منها اطنانا٠ وقد اقيمت ممرات وابواب خفية داخل المقابر، لكن ذلك كله لم يكن مجديا٠ ففي الصراع المستديم بين الذين حاولوا اخفاء كنوزهم الى الابد واولئك الذين طفقوا يبحثون عن تلك الكنوز لسلبهم اياها، لم تكتب الغلبة للساعين الى التخفي٠

ومع بداية حكم السلالة الثامنة عشرة في حدود العام ١٥٨٠ قبل الميلاد، قل ان يوجد بين مقابر الملوك في مصر واحدة لم تنهب٠ غير ان الملك تحوتمس الاول كسر التقليد بعنف حين قرر اقامة غرفة دفن مستورة كليا٠ تحت الارض٠ ووقع اختياره على واد عند سفح المنحدر الصخري العظيم، يشرف على النيل من عاصمته طيبة٠

واقتفى ملوك السلالة الثامنة عشرة جميعا خطى تحوتمس٠ وكانت النتيجة ان سرقات المقابر في



البحر الأبيض المتوسط
الاردن
فلسطين
الشمال
القاهرة
منفيس
السويس
سيناء
وادي الملوك
مدخل مقبرة
توت عنخ أمون
النيل
وادي الملوك
المكرنك
الاقصر
٥٠
٢٥
٠
بالاميال
البحر الأحمر

عهدهم الذي استمر ٥٠٠ سنة، كانت قليلة جدا، لكن هذا النوع من السرقة ما لبث ان تفشى كالوباء في ايام السلالتين التاسعة عشرة والعشرين (بين العامين ١٣٢٠ و١٢٠٠ قبل المسيح)، ومع الوقت، انتهكت حرمات جميع الملوك العظام.

لقد شغف كارتر بالطابع الموحش لوادي الملوك، كذلك بتاريخه وبما سماه "شعورا دينيا ينبثق منه بعمق حتى ليبدو مصبوغا بحياة خاصة به". وغالبا ما احب كارتر ان يكون هناك بمفرده، راكبا ظهر حمار ومدفوعا بالمهابة التي تثيرها "الصخور الوحشية" التي لا تنتهي. كل شيء هناك كان ميتا وابكم. واحيانا كان مرعبا ان يمر المرء عبر الشعب الصحراوية الصخرية، الملتفة وغير المطروقة، الى المقابر نفسها التي سميت في الازمنة الغابرة "مقاعد الصمت الابدي العظيمة."

واحتفظ كارتر على مر السنين بسجل دقيق لكل اكتشاف اثري، مهما يكن تافها، مدونا ما يعرفه حول كل ضريح ملكي او مومياء. ومنذ اول عهده بالمهنة بدأت تتكون لديه قناعة بان وادي الملوك لم يكن كشف عن جميع اسراره بعد، على رغم ان كل عالم او باحث عن الكنوز كان يؤمن انه استنفد المنطقة برمتها.

ولكن في العام ١٨٧٥ حصل اغرب اكتشاف وكان ذلك في دير البحري. فقد عثرت جماعة من لصوص المقابر المحترفين، وهي من عائلة عبد الرسول، على غرفة محفورة في الصخر تحتوي على مومياءات ٤٠ ملكا من السلالات الثامنة عشرة حتى الحادية والعشرين، كانت موضوعة كلها في غرفة واحدة في محاولة سريعة لاحباط خطط اللصوص.

ولدى مشاهدته الكنز الذي لم يسبق العثور على مثيل له، اقسم رئيس عائلة عبد الرسول على كتمان الامر. غير ان الطمع استولى عليه، فما لبثت السلع الملكية الغنية ان نزلت الى سوق "الانتيكا". وتناهت القضية الى مسمع حاكم المنطقة داود باشا.

وكانت لداود طريقة فذة وبسيطة في الاستجواب، وهي تحديق النظر الى المشبوه بعينين ليس في مصر نظير لهما من حيث القسوة والحقد. وقد سبق لاحد عمال كارتر، وكان لصا في حداثته، ان اقتيد الى داود الذي كان قابعا في برميل ماء، مغمورا حتى العنق. وكان يكفي المرء ان يرى رأسا ضخما مدورا يفصله الماء عن جسمه وعينين سوداوين وحشيتين ليضطرب لتوه. ويصف كارتر المشهد كما يأتي:

من كرسي حكمه غير التقليدي، نظر داود الى العامل ولم يفعل شيئا آخر، "فنفذت عيناه"، كما يقول المسكين، "الى داخلي، وأحسست بأن عظامي استحالت ماء. ثم قال بهدوء شديد: هذه هي المرة الاولى التي تظهر امامي. واني اطلقك بشرط ان تكون حذرا، فلا تظهر هنا مرة اخرى. واعتراني خوف شديد حفزني على تغيير مهنتي".

ولجأ داود الى الطريقة نفسها مع احد افراد عائلة عبد الرسول. فأقر هذا بما حصل وقاد السلطات الى داخل الغرفة. وهناك، في ضريح قليل العمق، كانت بقايا اعظم الملوك سلطانا في مصر القديمة قابعة في

أسمال بالية ولكن من غير ان تمس. وعلى التوابيت الخشبية الخالية من الزخارف الثمينة (التي سرقها اللصوص منذ زمن طويل)، وعلى اقمطة الكتان التي كفنت بها المومياءات كان الكهنة قد دونوا روايات مصورة عن رحلات الملوك. وبهذه الطريقة امكن التعرف بدقة على كل ملك، وهو امر خطير بالنسبة الى كارتر الذي لم ينس بعد سنوات طويلة اسماء الملوك الذين كانوا لا يزالون مفقودين.

وكان ذلك الاكتشاف الضخم كافيا لاقناع المؤرخين هذه المرة بان وادي الملوك استنفد حقا. غير انه حدث، في العام ١٩٠٢، ان المليونير الامريكي تيودور ديفيس حصل على ترخيص بالعمل هناك. وعثر عام ١٩٠٧ على عدد من الاشياء التي حملت معها دلالة مباشرة على الملك توت عنخ أمون.

وفي السنة التالية وجد حفرة بسيطة على تلة بالقرب من مقبرتين اخريين معروفتين. ولم تحمل الحفرة اي اشارات تدل على وجود شيء في الداخل. غير ان ديفيس عثر فيها على قرابة ٤٠ جرة مملوءة بالكتان وعدد من الكؤوس الخزفية وما شابهها، مما ثبط عزيمته. لكنه لم يشك في ان تلك البقايا غير الخلابة كانت ذات علاقة بتوت عنخ أمون. ووجد ان "غطاء احدى تلك الجرار كان مكسورا وقد لفت حوله قطعة قماش كتب عليها اسم توت عنخ أمون". الا ان البقايا نفسها كانت تافهة بحيث لم يكترث لها احد.

وما لبث ديفيس ان اعلن خلو وادي الملوك من كل شيء جديد، وتخلى عن حقوقه. وكان ذلك قبيل حصول اللورد كارنارفون وهوارد كارتر على الترخيص بالعمل هناك. وبعد موافقته على الترخيص، اسر لهما ماسبيرو بأنه يظن ان الاشياء التي قد يعثران عليها لن تكفي بدل تعبهما. لكن كارتر كان مقتنعا بان مقبرة فرعون واحد آخر كانت لا تزال في وادي الملوك، وان ذلك الفرعون هو توت عنخ أمون.

المواسم العجاف

ان النظرة التقليدية الى اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون تذهب الى القول بان كارتر عثر عليها مصادفة، اي بضربة حظ قوية. غير ان الواقع كان على نقيض هذا الاعتقاد، وهو ان كارتر أجرى حسابات دقيقة على مدى سنوات كان فيها توت عنخ امون شغله الذهني الشاغل. وفيما كان يحاول مع كارنارفون اكمال خطة لحملة مفصلة تبدأ في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤، اندلعت الحرب العالمية الاولى، فأدى هذا الى تعليق الامور موقتا.

واستأنف الاثنان حملتهما في خريف ١٩١٧. وكان قرار كارتر ان يتجاهل الحفريات التي جرت سابقا ويبادر الى الحفر مجددا بغية الوصول الى الطبقة الصخرية السفلى. وارتأى ان يعمل على ارض مثلثة الشكل تقوم عليها مقابر الملوك رعمسيس الثاني ومرنفتاح ورعمسيس السادس. كما ارتأى، بناء على الدراسات السابقة، ان تلك البقعة مرشحة اكثر من سواها لان تضم مقبرة توت عنخ أمون.

ولكي يضمن لعمله المنهجية التامة،

ابتكر كارتر طريقة الشبكة المتسامتة، اي ذات الخطوط الافقية والعمودية المتساوية، على غرار الحواجز المدفعية التدريجية ذات الفعل المدمر في الحرب. وكان مزمعا على تنفيذ مخططه كاملا من دون تغيير.

وعلى رغم ان مساحة قطعة الارض المثلثة لم تتجاوز الهكتار، الا ان العمل كان هائلا. فهناك عشرات آلاف الامتار المكعبة من الرمل ورقاقات الحجار والجلاميد التي تجب ازالتها. وبما ان التجهيزات الآلية لم تكن متوافرة في تلك الايام، فقد وقع العمل على عاتق الصبية والرجال الذين استخدموا المعاول والمعازق والسلال الصغيرة التي كانوا يملأونها ويفرغونها من دون توقف.

في موسم العمل الاول، وصل كارتر عمقا حتى اسفل بوابة قبر رعمسيس السادس.وعلى بعد عشرة امتار او ١٥ مترا امكنته مشاهدة الاساسات القديمة لاكواخ العمال التي اقيمت فوق كتلة من حجار الصوان الضخمة. وكانت الصخور المدورة تلك علامة اكيدة على وجود مقبرة قريبة. غير ان كارتر توقف عن الحفر فجأة وطلب من عماله التوجه الى طرف المثلث المقابل.

وانه لامر غريب جدا ان يكون كارتر فعل ذلك. وربما قدر ان الاكواخ ترجع الى زمن رعمسيس السادس الذي جاء بعد توت عنخ امون بمئتي سنة. وعلى كل حال فقد بدأ الحفر في الطرف الآخر من المثلث. ولم يظهر في الشهرين التاليين اكثر من الغبار والحجار.

وكان الموسم الثاني، الذي بدأ في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨، افضل قليلا من السابق. وكان في نية كارتر تنظيف كل ما تبقى من المثلث. واستغرقت ازالة الانقاض السطحية ستة اشهر قبل ان يبدأ الانحدار الى الصخور العذراء. وبعيد وصول كارنارفون وزوجته في زيارتها الاولى، عثر الفريق على ١٣ جرة مرمرا تحمل اسمي رعمسيس السادس ومرنفتاح، وهو الامر الوحيد الذي يمكن ان يسمى اكتشافا خلال سنتين تقريبا.

اما الموسم الثالث والرابع والخامس، التي استمرت من ١٩١٩ حتى ١٩٢٢، فلم تخلف شيئا سوى اشهر من العمل الذي يقصم الظهور فضلا عن الاجور الباهظة التي صرفت على فريق العمل الكبير. وبدأ اللورد كارنارفون يفقد اهتمامه في الامر، واخذت صحته تخبو على رغم انه لم يتجاوز السابعة والاربعين. ولاحظ اصدقاؤه وافراد عائلته استغراقه في فترات طويلة من الصمت على نحو مطرد. واستمر المه الجسدي وارهاقه الروحي والنفسي حتى كاد ان ينهي رعايته لعلم الآثار المصرية.

وزاد مزاجه فسادا الموقف الجديد لمديرية الآثار. وعند هذه النقطة من الرواية ينبغي تقديم شخصية لعبت دورا رئيسيا في المسائل المتعلقة بتوت عنخ أمون. والشخصية التي نعني هي مدير الآثار المصرية بيار لاكاو الذي خلف السير غاستون ماسبيرو عام ١٩١٧. وقد كان لاكاو عالم آثار بارعا وقديرا جدا وفخورا بمواهبه الادارية. وكان في امكانه

ان يتكلم بلا انقطاع وبمهارة في عشرات المواضيع. وكان عمله من الدقة بحيث قيل انه "يحفظ فهارس للفهارس".

وكان اختيار ماسبيرو قد وقع شخصيا على لاكاو كخلف له. ولكن في حين كان ماسبيرو على قناعة راسخة بانه ينبغي تشجيع المنقبين الاجانب عن طريق وعدهم بالحصول على نصف الموجودات على الاقل، اصر لاكاو على ان لمدير الآثار الحق، بالنسبة الى كل الاكتشافات، في ان يأخذ ايا من الموجودات او كلها لمصر. واثار هذا الموقف اشمئزاز هوارد كارتر الذي كان من دعاة سياسة عدم التدخل الحكومي في شؤون المنقبين.

وفي العام ١٩٢١ ظهر اكتشاف مهم في احدى غرف الخزن التابعة لمتحف المتروبوليتان في نيويورك. وكان هيربرت وينلوك، مدير المتحف السابق، حصل للمتحف على بعض الاشياء الثانوية التي عثر عليها تيودور ديفيس. وعندما سنحت له الفرصة لتفحص تلك الاغراض، وقع نظره على اشياء لم يشاهدها احد من قبل. ومكنته تلك الملاحظة من ان يبرهن على ان بعضا من المواد يعود الى مراسم تحنيط توت عنخ أمون. وكانت بين المواد المذكورة ادوات استعملت خلال مأدبة الدفن التي اقيمت داخل المقبرة قبل قفلها للمرة الاخيرة. وكان ذلك دليلا قاطعا على ان توت عنخ أمون دفن في وادي الملوك.

وما كان من وينلوك الا ان اعلم كارتر فورا بالامر. فابتهج هذا، فيما قرر اللورد كارنارفون ان يستمر في تقديم العون المالي خلال الموسم اللاحق.

مقبرة العصفور المذهب

وصل كارتر الى وادي الملوك في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ استعدادا للموسم "الاخير". وقضى بضعة ايام في نقل المعدات واستقدام العمال، ومراجعة مخططات العمل بمساعدة المقدمين الثلاثة من رجاله. ولم تكن المعدات كلها ذات علاقة خالصة بالآثار، اذ كان بينها عدد كبير من علب اللحم وصناديق كعك خاصة ووفرة من اجود الخمور التي اختارها كارنارفون بعناية من محلات "فورتنام آند ماسون"، متعهدة تموين الاريستوقراطيين ذات الشهرة العالمية. وكانت صناديق الخشب الوافرة المميزة مشدودة بأحزمة فولاذية، وقد كتبت على كل منها اسماء محتوياتها كتابة دقيقة، حتى بات ممكنا ان يخال الزائر الطارىء نفسه في محلات "فورتنام آند ماسون على النيل"!

وحمل كارتر معه كنارا ليحيي وحشة بيته. وسرعان ما اصبح الكنار محبوبا من العمال والمقدمين. واطلقوا عليه اسم "العصفور المذهب"، ناظرين اليه كرمز للنجاح.

وفي اليوم الاول من نوفمبر (تشرين الثاني)، بدأ كارتر العمل على البقعة التي سبرها قليلا وتوقف قبل خمس سنوات، وهي البقعة التي تقوم عليها اساسات اكواخ العمال. ولدى حلول مساء اليوم الثالث، كان في امكان كارتر ان يرى تحت الاكواخ قرابة متر من التراب القديم الذي يفصل الاكواخ عن طبقة الصخور

السفلية. وهناك كان مزمعا ان يعمل في اليوم التالي.

وعندما وصل كارتر في الصباح فوجيء بصمت غير عادي بين العمال الذين كانوا في العادة يثرثرون طوال النهار. والفكرة الاولى التي راودته كانت ان حادثا حصل. لكن احد المقدمين اعلن الخبر، وهو الوقوع على درجة محفورة في الصخر. وبعد اجراء قليل من التنظيف، وجد كارتر نفسه في مدخل حفرة صخرية عميقة، دل شكلها على انها درج مغمور يؤدي الى مقبرة ملكية.

واستمر العمل على نحو محموم طوال ذلك النهار والنهار التالي. واشار شكل الدرجات الى ان المقبرة ترجع الى السلالة الثامنة عشرة التي ينتسب اليها توت عنخ امون. وبدأ كل شخص هناك مشدوها، واخذ بعض العمال يتكلم عن المقبرة على انها "مقبرة العصفور المذهب"، عازيا الحظ السعيد الى كنار كارتر.

وكان الدرج المحفور كله في الصخر ينحدر بزاوية تبلغ ٤٥ درجة ليصل الى هضبة صغيرة. ومع بروز درجات اضافية، ظهر سقف فوق الطرف الغربي واتخذت الدرجات شكل نفق سحيق. وقبيل الغروب، وقع كارتر عند الدرجة الثانية عشرة على الجزء الاعلى من باب شيد بحجار كبيرة جصص بعضها فوق بعض ووضعت عليها اختام وكتابات هيروغليفية. وفي حمى الترقب راح يفتش الاختام، التي يبلغ كل منها حجم اليد، بحثا عن اسم صاحب المقبرة. وكان ينبغي ان يكون هناك اسم، اذ كانت تلك القاعدة مطردة ومقدسة في وادي الملوك. وحين لم يعثر على اسم، استنتج كارتر ان المقبرة لم تكن تؤوي ملكا.

ولو ذهب كارتر اعمق قليلا لوجد اختاما عليها اطار بيضوي مزخرف يحمل اسم "نبخفرورا"، وهو الاسم الملكي لتوت عنخ امون، ولكان، كما قال هو، وفر على نفسه عناء ثلاثة اسابيع واكثر من القلق. غير انه لم يفعل لسبب عملي هو ان الوقت كان متقدما ولم تكن الانوار الكهربائية مؤمنة في ذلك الجزء من الوادي. وكان عليه ان يكرس الساعات الباقية من النهار لتغطية الجزء المنظف من الدرج حماية له قدر المستطاع. وكان ثمة سبب آخر متعلق بكرم الخلق، وهو التوقف عن العمل ريثما يصل راعيه، كارنارفون، من لندن. وكان ذلك عذرا لائقا.

وهكذا اعاد كارتر ملء الحفرة على مضض. وبعدما اختار من العمال ادعاهم الى الثقة لحراسة المكان نهارا وليلا، غادر الوادي مؤقتا.

وفي اليوم التالي ارسل برقية الى كارنارفون وطلب مساعدة عالم الآثار البريطاني ا.ر. "بيكي" كالندر. وكان في امكان كالندر ان يتولى اي عمل يعهد اليه في مواقع التنقيب عن الآثار، وكان، كما لاحظ وينلوك، "احد الزملاء القلائل الذين تمكنهم ملازمة كارتر وقتا طويلا من دون فقد عقولهم". وخلال انتظاره وصول كارنارفون، اشترى كارتر المعدات اللازمة لتأمين الكهرباء للحفريات المرتقبة. وسار العمل من غير عائق.

ثم وقع حادث هز العمال بعنف: لقد قضى "العصفور المذهب"، بشير الحظ

السعيد، في ظروف غريبة. ووصف وينلوك الحادث لاحقا في رسالة الى زميل بقوله: "ذهب كارتر الى القاهرة لملاقاة كارنارفون. وكان كالندر يقيم وحده في منزل كارتر ويعتني بالعصفور. وبعد ظهر احد الايام سمع رفرفة صاحبها صوت قصير حاد، واذ به يبصر في القفص صلا كان يزدرد العصفور.

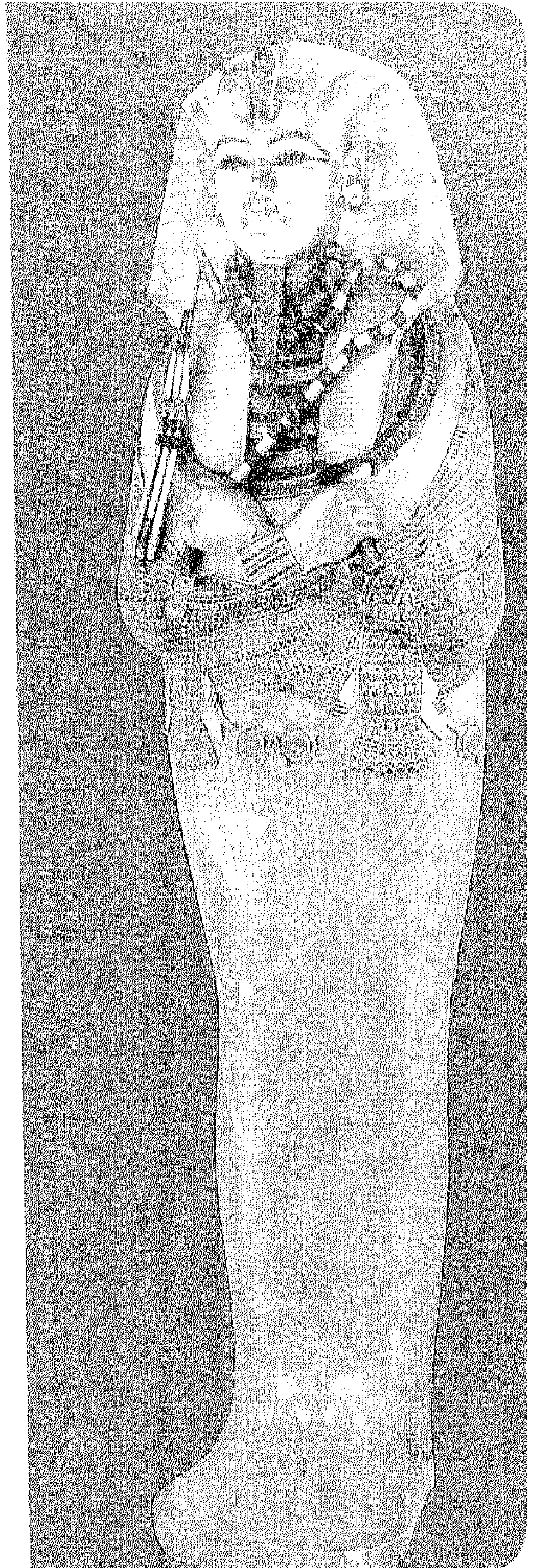
"وكما يعرف جميع الاهالي المحليين، كانت الافاعي من نوع الصل تنمو على رؤوس الملوك الاقدمين. لذلك بدت النتيجة واضحة، وهي ان افعى الملك انقضت على جالب الحظ الذي باح بسر المقبرة. وكانت النتيجة واضحة كذلك، بالنسبة الى العمال المحليين على الاقل، وهي انه سيموت شخص ما قبل انقضاء الشتاء".

"اشياء رائعة"

في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) وصل اللورد كارنارفون وابنته المفعمة، حيوية ايفلين هيربرت الى الاقصر ومعهما كارتر.

وفي صباح اليوم التالي ازال العمال الركام عن الدرجات الباقية. وعندئذ تمكن المنقبون من فحص الدرج المختوم بكامله. وكانت الاختام في الجزء الاسفل تحمل اشارات واضحة نسبيا. واستطاعوا قراءة اسم توت عنخ امون على عدد منها.

واعقب ذلك لحظة من الابتهاج فها هو حلمهم الاروع يتحقق اخيرا. ولدى استئناف التدقيق يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، اكتشفوا دليلا على وجود فتحتين وقفلين على الاقل لجزء



كفن توت عنخ امون الأخير الذي وصفه كارتر بانه "سبيكة ذهب صرف، على مقدار كبير من الضخامة".

من الباب· وهذا يعني ان المقبرة لم تسلم من عبث اللصوص· لكن السرقة لا يمكن ان تكون حدثت بعد تشييد مقبرة رعمسيس السادس، اي بعد ٢٠٠ سنة من زمن توت عنخ امون· وتمسك كارتر وكارنارفون بالرجاء الذي استمداه من كون المقبرة اعيد ختمها مرتين باحكام· فالختم علامة على ان اللصوص لم ينهبوا كل شيء·

وحضر كبير مفتشي مديرية الآثار، ركس انغلباك، الى المكان ذلك اليوم بناء على الحاح لاكاو· وبذل كارتر جهدا لكي يوضح لانغلباك ان الثغرات التي اعيد سدها في القدم دليل على ان المقبرة لم تسلم من الزيارات غير المشروعة·

واستمر الحفر طوال صباح ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني)، وكان العمال يملأون السلال واحدة بعد الاخرى· وعلى بعد عشرة امتار من الباب الاول، عثر الفريق على باب آخر عليه اختام تحمل اسم توت عنخ امون الملكي·

لقد حانت اللحظة التي لا تصدق· وارتعشت يدا كارتر وهو يتناول قضيب حديد من كالندر ليحفر ثقبا صغيرا في زاوية الباب العليا الى اليسار· واضاء شمعة وقرب لهبها الى فتحة الباب تحريا للغازات الفاسدة· ثم وسع الفتحة ونظر الى الداخل·

وما حدث بعد ذلك يصفه كارتر في قطعة من اكثر قطع ادب الآثار حيوية وشهرة:

حملت الشمعة ودخلت، وكان اللورد كارنارفون والليدي ايفلين وكالندر يقفون قلقين الى جانبي· ولم استطع، في البداية ان اتبين شيئا اذ كان الهواء الساخن المتسرب من الغرفة يحدث ذبذبة في لهب الشمعة، ولكن عندما اعتادت عينياي الضوء، اخذت تفاصيل الغرفة ترتفع رويدا رويدا من خلال الضباب· وكانت هناك حيوانات غريبة وتماثيل وذهب، وكان بريق الذهب يملأ المكان· وفي تلك اللحظة التي بدت دهورا للواقفين هناك، اخرستني الدهشة· وعندما سألني اللورد كارنارفون، الذي لم يطق مزيدا من الارجاء، بترقب قلق: "هل يمكنك ان ترى شيئا"؟ كان كل ما امكنني قوله الكلمات الآتية: "اجل، اشياء رائعة"·

وتجدر الاشارة الى ان رواية كارتر المنشورة، بالاضافة الى عشرات بل مئات الروايات التي تصف تلك الدقائق الساحرة، تذهب الى ان المكتشفين الاربعة اكتفوا بالنظر الى غرفة المقبرة الاولى التي سميت بعد ذلك "حجرة الانتظار"، ثم سدوا الفتحة وغادروا· والواقع ان رواية كارتر غير صادقة، وان الاحداث الصحيحة مدونة في قسم الآثار المصرية في متحف المتروبوليتان للفن، كذلك في ثلاث ملاحظات مجهولة نشرها في مجلة علمية بين ١٩٤٥ و١٩٤٧ الفرد لوكاس، وهو انكليزي شارك في اعمال التنقيب·

وتبين مقالات لوكاس ان كارتر كتب سطورا سريعة الى انغلباك يعلمه فيها بازالة الركام عن الباب الداخلي ويسأل الحكومة ان ترسل مفتشين الى المكان· لكن الرسالة وصلت الى دائرة الآثار في الاقصر متأخرة عند المساء بحيث لم يتمكن انغلباك من الرد عليها وعندئذ توجه كارتر الى الباب·

وكان ان اثار هذا الاكتشاف

الهائل، بعد سنوات مضنية من العمل غير المثمر، شعورا بالنشاط والخفة. وقد يكون اول من طرح فكرة التسلق الى المقبرة اللورد كارنارفون او الليدي ايفلين، ولكن لا سبيل الى التأكد من اي منهما فعل. غير ان كارنارفون كتب مسودة مقال لم تنشر اطلاقا، يصف فيها الانطباعات الاولى لدى افراد الفريق، ويقول ان كارتر جعل في الباب فتحة كبيرة تكفي للقفز الى غرفة الانتظار. وبما ان ايفلين كانت اقصر شخص بينهم، فقد كانت الاولى في الدخول، ثم تبعها الآخرون.

لم تكن حجرة الانتظار واسعة، بل كانت بطول ثمانية امتار وعرض ٣،٧٠ امتار وارتفاع مترين ونصف متر. وقد "كدّس الى جانب كل جدار منها، "بفوضى ولكن فوضى منظمة" على حد تعبير كارتر، كنز من الاشياء. وبدا كل شيء جديدا على نحو لا يصدق. ومن تلك الاشياء هاون استعملت لاعداد الجص الذي كسا الباب، ومصباح بدا كأنه اطفىء قبل برهة، وعلامة اصبع فوق الدهان، وازهار محفوظة على نحو رائع تركت على العتبة. وكانت الخصوصية الملازمة لتلك الاشياء ونسمة الحياة العميقة التي لم تفارق الغرفة القديمة عاملين جعلا اعضاء الفريق ينظرون الى انفسهم كمعتدين.

وبدت بعض محتويات الغرفة، لدى تسليط النور البراق، عليها، مبعثا على الرهبة في نفوس الحاضرين. فقد تأرجحت على الجدار الغربي طيوف ثلاث ارائك مطلية بالذهب، وكانت جوانبها المحفورة على هيئة حيوانات جبارة تلقي على الحائط ظلالا ضخمة. وكانت على يمين المدخل مباشرة منحوتتان سوداوان تمثلان الملك في حجمه الطبيعي وتواجه احداهما الاخرى في شكل حارسين يرتدي كل منهما لباسا نصفيا من ذهب ويحمل عصا وصولجانا مذهبين ايضا. وكان شكل المنحوتتين مهيبا، وقد بقيتا في وضع ممتاز.

تلك كانت الاشياء الاولى التي لفتت الباحثين. لكن ثمة مئات من الاشياء الاخرى كانت مكدسة بعضها فوق بعض حول الاشياء الرئيسية. ومن تلك الاشياء علب جواهر صغيرة، مصبوغة ومرصعة، تجل عن الوصف، وآنية زهر مصنوعة من المرمر، ومقامات سوداء غريبة الشكل، مقفلة ومختومة، ومجموعة عرضية من العلب البيضاء تبدو الواحدة منها مثل بيضة عملاقة، ومركبات مكسوة بالذهب، وصورة للفرعون تكاد لا تظهر بين تلك الاشياء.

وعلى رغم الدهشة التي اعترته، كان كارتر يبحث عن شيء يفوق تلك الاشياء اهمية بالنسبة اليه، الا وهو الدليل على وجود حجرات اخرى. وعثر على الدليل المنشود في الجدار على الناحية الجنوبية الغربية حيث وقع نظره على فتحة صغيرة. وحدق من خلال تلك الفتحة فرأى غرفة اخرى مكتظة بالاشياء. وتولدت لديه قناعة بان اللصوص استعملوا تلك الغرفة، التي سماها "الحجرة الملحقة"، لتفحص الكنوز وتعريتها من الذهب.

ولكن اين كان الناووس والمومياء؟

اللحظة المثيرة

بالاضافة الى مدخل الحجرة الملحقة، كان هناك باب واحد آخر. وكان ذلك الباب حاجزا مكسوا

بالجص ومختوما، يقوم بين الحارسين الاسودين المذهبين. وصعق كارتر حين وجد ان اللصوص تسربوا من ذلك المكان ايضا. وكانت في وسط الباب من اسفل لطخة شبه دائرية شبيهة بتلك التي وجدت على البابين الخارجيين. ولكن ظهرت على الجزء الجديد مجموعة اختام مدينة الموتى، وهي علامة اكيدة على ان الكهنة سدوا الفتحة بعد مغادرة اللصوص. غير ان الطلاء وضع بسرعة اذ كانت هناك شقوق كبيرة في الجانب السفلي ظهرت من خلالها حجار غير منتظمة.

ولم يستغرق كارتر سوى دقائق معدودة في رفع بعض تلك الحجار. وحين وجه ضوءه الكشاف من خلال الفتحة، لم ير سوى ممر ضيق ينتهي عند جدار مسدود. وقفز كارتر من الفتحة. فيما كان الآخرون ينظرون. وكان الممر على عمق متر تقريبا من حجرة الانتظار. ولبضع ثوان، بدا ان كارتر اختفى.


وحين وقع على موطىء لقدميه، سلط الضوء الكشاف على الجدار الغربي للممر فوجد بابين كبيرين جدا لمقام خارجي. وكان البابان مقفلين من دون ختم ومزينين بذهب وخزف أزرق مزخرف على جمال يخطف الانفاس. ولم يكن ذاك ممرا على الاطلاق، وانما كان غرفة الدفن نفسها.

وتمكن اللورد كارنارفون وايفلين هيربرت من عبور الفتحة الى الداخل، لكن كالندر، وهو ممتلىء الجسم، لم يفلح في ذلك. ويبدو ان كارتر قرر الا يوسع الفتحة. فقد تراءى لهم جميعا انهم على وشك الاقدام على مغامرة لا يسمح بها الترخيص الرسمي. غير ان الخرق كان قد حصل، ولم يكن من تراجع عنه.

وفيما هم يتفحصون ابواب المقام الازرق الذهبي الهائل، تشاوروا حول الاقدام على فتحه اذ لم يكن ذلك يحق لهم. لكنهم كانوا اولا، علماء آثار، وكانوا بشرا.

واخيرا رفعوا المزلاجين المصنوعين من الابنوس. وسحب كارتر الباب الضخم المزدوج على مهل في البداية، لكنه لم يتزحزح، عندئذ شده بقوة اكبر، فكانت حركة مفاجئة حادة وانفتح الباب. وكشف الضوء عن ثوب كتان معلق، كان من الشفافية بحيث بدا مصنوعا من ذرات الهواء عينها. وقد تدلت منه ورود مشغولة بالبرونز والذهب، وكانت، كل وردة في حجم قطعة نقود. ولمس كارتر واحدة منها فسقطت في يده كأنما بقيت منتظرة ٣٢٠٠ سنة كي تنتزع. وبعدما وضعها في جيبه، ازاح الثوب بحذر ليجد وراءه بابا لمقام آخر. وكان هذا مطليا بالذهب على نحو رائع ومغطى بالكتابة الهيروغليفية. وفي الوسط، فوق رزتين كبيرتين من البرونز، كان حبل مجدول وملفوف باحكام وممهور بختم مدينة الموتى الملكية الذي لم يمس على الاطلاق. وفي صوت هادىء مكبوت، اعلن كارتر ان الملك كان يقبع هناك آمنا. وعلق لاحقا ان تلك اللحظة كانت اكثر لحظات حياته اثارة.

وكانت بين بابي المقامين مجموعة كنوز نفيسة. ولم تخل زاوية او شق في جدار من الاعمال الفنية. وبعد تفحص بضعة اشياء من بينها علبة عطر غريبة وضعها كارتر في جيبه،



وبعد لمس الحبل المجدول باحكام والختم السليم الذي يحمله، اعاد الفريق باب المقام ومزلاجيه الى الوضع الاساسي.

ثم اتجهوا شمالا من امام المقام الى الجدار الشرقي لحجرة الدفن. وكان في الزاوية الشمالية الشرقية من الغرفة باب مفتوح، فسلط كارتر النور عبره ليرى غرفة اخرى شبه مربعة، وضعت عند مدخلها منحوتة كبيرة من الخشب الاسود على قاعدة مرفوعة للاله انوبيس الذي كان على صورة ابن آوى. وكانت المنحوتة صاعقة في جمالها المهيب: "فالرأس من الرفعة بحيث ظهر شاخصا، والاذنان من الانتصاب بحيث بدتا مصيختين".

وسلط كارتر الضوء الكاشف على بقية اجزاء الغرفة المربعة التي اختار لها اسم "الخزنة". وكانت الصناديق وعلب المجوهرات الصغيرة والعلب المستطيلة الرفعية السوداء - وهي جميعا مقفلة ومختومة - تملأ الغرفة. وقد وضعت عليها عشرات المراكب الصغيرة حتى استحالت الغرفة اشبه بنهر النيل وعلى سطحه اسطول صغير متأهب للابحار.

وانقضت ساعات على وجودهم في الداخل. ولم يجرؤوا على تفحص عدد كبير من الاعمال الفنية لئلا تعلم مديرية الآثار بدخولهم غير المشروع. فعادوا ادراجهم بحذر عبر حجرة الدفن واعادوا قطع الحجار الى موضعها. ورفع كاتر غطاء سلة قصب كبيرة بالقرب من احد الحارسين واسندها، مع حزمة قصب غير محكمة، الى الحائط لكي يستر آثار تلك المغامرة.

وخرج الفريق وسدوا الفتحة الداخلية، ثم ركبوا حميرهم وغادروا الوادي عائدين الى بيوتهم في وجوم مكبوت.

تفان وتعاون

في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) كان انغلباك منهمكا في واجبات رسمية. فحضر الى المكان عند الظهر المفتش المحلي لمديرية الآثار. وكانت جميع معالم الليلة السابقة قد طمست.

وانتشر خبر الاكتشاف على الفور في مصر كلها. واخذت الاشاعات في الظهور، ومنها ان ثلاث طائرات حطت في الوادي ثم اقلعت وعلى متنها حمولة كبيرة من الكنوز. ومن اجل قمع تلك الروايات، نظم كارنارفون وكارتر افتتاحا رسميا للمقبرة يوم ٢٩ من ذلك الشهر، من دون ان يطلبا سماح مديرية الآثار بذلك.

وتماديا في خطأهم اكتفيا بدعوة صحافي واحد هوآرثر ميرتون، مدير مكتب صحيفة "التايمس" اللندنية في مصر وصديق كارتر. ولم يسمح لاي مندوب عن الصحافة المصرية او الاوروبية او الامريكية بحضور الافتتاح. وكان ذلك مثلا ساطعا على لامبالاة كارنارفون وكارتر، اذ عزلا اولئك الاشخاص الذين كانا سيحتاجان اليهم في المستقبل.

ومنذ اللحظة التي ظهرت اولى الروايات في الصحف، اخذت البرقيات والرسائل تنهال على المكتشفين. وقد وصلت التهاني اولا،

قناع ذهب بالحجم الطبيعي كان يغطي وجه توت عنخ امون.

وتبعتها عروض المساعدة وطلبات التواقيع وعقود الحقوق السينمائية. وكانت حشود هادرة من الزوار تصل في جميع الاوقات. ومع ازدياد تدفقها اخذ كارتر يرد كل زائر لم ينل رضاه الشخصي. ولكن كان سيأتي وقت يدفع كارتر ثمنا غالياً لتصرفاته تلك.

ولم يطل الوقت بكارتر حتى تحقق من ان سنوات من العمل البالغ الدقة كانت في انتظاره. ذلك ان اصلاح رداء ملكي واحد مزدان بمئات النقود الذهبية من شأنه ان يستغرق شهرين. وكانت ثمة امور لا تحصى برسم الانجاز قبل ان يتاح لكارتر رفع اصغر قطعة من حجرة الانتظار. وكان عليه ان يحصل على مواد للحفظ والصر وان يجند خبراء في الحفظ للعمل معه.

وتخلى عن فكرة الاعتماد على اعضاء مديرية الآثار لان جدارتهم كانت موضع شك ورأيهم غير منسجم مع رأيه. ولم تراوده قط فكرة طلب العون من المتحف البريطاني، بل وقع اختياره على متحف المتروبوليتان للفن في نيويورك. وكان ذاك الاختيار امرا بدهيا تبعا لازدهار دائرة الآثار المصرية في المتروبوليتان، ومن بين اعضائها وينلوك الذي امد كارتر بالدليل القيم على وجود المقبرة.

واذا تركنا هذا العامل جانبا، فمن الجدير الاشارة الى ان كارتر وكارنارفون بقيا طوال سنوات على علاقة مالية خاصة بالمتروبوليتان، وهو امر ابقته المؤسسة حتى اليوم طي الكتمان. والحق ان من اجود التحف المصرية الفنية في حوزة المتحف مجموعة جاءت عن طريق

السرقة وسهت عنها مديرية الآثار، واشتراها المتحف بطريقة سرية من كارتر مباشرة، وكان هو ابتاعها من تاجر مصري بمال امده به كارنارفون من اجل افادة كارتر من الصفقة. وقد بدأت تلك العلاقة مع المتحف عام ١٩١٧ واستمرت حتى ١٩٢٢. وكانت حصيلتها المادية ان دفع المتحف مبلغا خياليا هو ٢٥٦،٣٠٥ دولارات، اي ما يعادل اليوم مليونين ونصف مليون دولار. وكانت عمولة كارتر من ذلك المبلغ قرابة ٤٠،٠٠٠ دولار.

الى هذا، كان كارنارفون وكارتر على علم بان وينلوك والبرت ليثغو، امين الدائرة المصرية في المتروبوليتان، يبذلان كل ما في استطاعتهما لثني لاكاو عن ابطال العرف القائل بقسمة الكنوز المكتشفة مناصفة. وكان الاثنان مهتمين جدا بهذا الامر.

وارسل كارتر برقية الى ليثغو الذي كان آنذاك في لندن، فحصل على جواب يمنحه تفويضا مطلقا للاستعانة بكل عضو تابع للدائرة المصرية "بأي طريقة يجدها ملائمة".

وقد اجمع الذين وصفوا ذلك التدبير على الثناء عليه كتجسيد للتفاني والتعاون. والحق انه كان هكذا من ناحية، لكنه من ناحية اخرى كان ميثاقا لخدمة المصلحة الشخصية المتبادلة، تعهد بد الطرفان بعد تمحيصه في ضوء العقل من اجل جني اكبر فائدة مالية وفنية. وقد اسر كارنارفون الى ليثغو بالآتي: "ينبغي ان اعطي المتحف البريطاني شيئا ولكن يهمني ان ينال المتروبوليتان النصيب الصالح".

وحين كان الفريق مجتمعا، اغلق كارتر ابواب المقبرة. وكلفت مفرزة من الجنود المصريين حراسة المكان طوال ٢٤ ساعة في اليوم. غير ان كارتر وظف حراسا خصوصيين من اجل مراقبة الجنود. وغادر كارنارفون والليدي ايفلين مصر الى انكلترا لقضاء فرصة عيد الميلاد، فيما توجه كارتر الى القاهرة لشراء معدات من بينها بوابة ذات قضبان فولاذية لسد الباب الداخلي. وبقي كالندر في وادي الملوك، وكان يجلس معظم الوقت بالقرب من المدخل وعلى ركبتيه بندقية ملقمة.

اللعنة

في ١٠ يناير (كانون الثاني)، وقع كارنارفون عقدا شاملا مع صحيفة "التايمس" اللندية منحها بموجبه حقوق نشر الاخبار عن المقبرة الملكية في العالم. واثار الاتفاق عاصفة احتجاج هبت من صحف العالم الكبرى جميعا. وفي القاهرة وجد لاكاو نفسه مطوقا من جميع الجهات. فقد رفع رجال الصحافة المصريون، بدافع من الاوساط الصحافية الاجنبية، شكوى عنيفة لانهم حرموا دخول مقبرة مصرية. كما تدفق الوف ممن كانوا يودون زيارة المقبرة على مكاتب مديرية الآثار، معربين عن غيظهم حيال عدم سماح كارتر لاي كان، بزيارة المكان، حتى اولئك الذين يحملون اذنا رسميا.

واجتمع لاكاو مرات عدة بكارتر على حدة والتمس منه ان يصدر بيانات صحافية ويوزعها على المراسلين المصريين. لكن كارتر رفض. كذلك توسل اليه لاكاو ان يسمح لمديرية الآثار بارسال زوار الى المقبرة لينضموا الى الجماعات التي

كان كارتر يعمل لها دليلا يوميا. فرفض هذا الطلب ايضا بحجة ان زواره الاخصاء هم جميعا علماء آثار ولهم ملء الحق في الدخول.

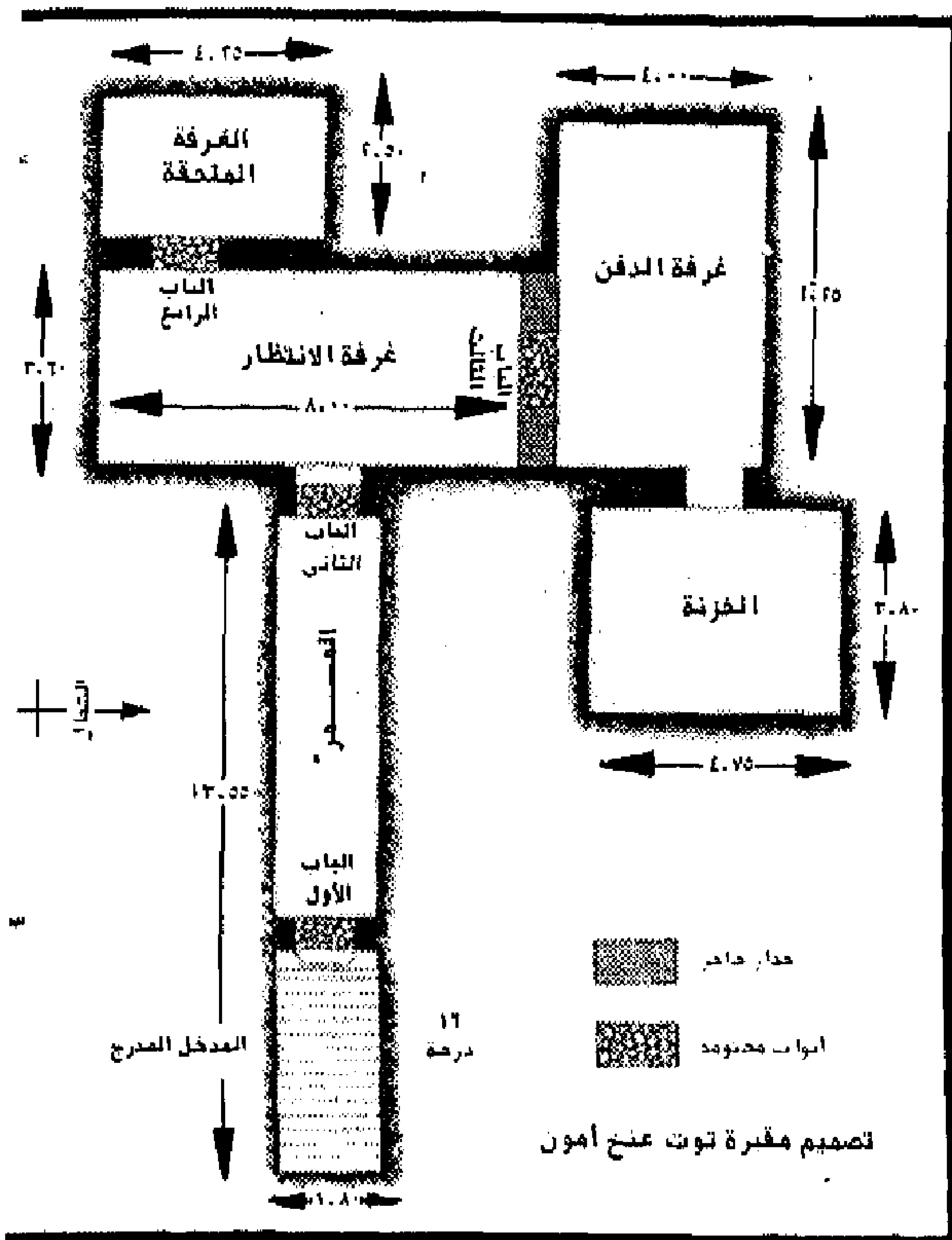
وفي الوقت نفسه، كان كارتر يحاول استئناف عمله العلمي الدقيق. فحصل على غرفة مظلمة لمصوره هاري بورتون الذي حضر من المتروبوليتان، كما حصل على اذن باستخدام مقبرة قريبة كمختبر وغرفة خزن.

وابتكر الفريق طريقة ثابتة لحفظ سجل بالكنوز. فكان بورتون يلتقط صورة اولى لكل كنز في مكانه. وبعد ذلك يرسم كارتر الكنز نفسه بالقلم على ورقة مساحتها ٢٠ × ١٣ سنتيمترا، مدونا قياساته كلها، مع اشارات حول الاجزاء المفقودة او التالفة منه. ثم يلتقط بورتون مجموعة اخرى من الصور، واضعا بطاقة مرقمة امام كل كنز. ويتبعه رساما بوضع رسوم بارعة على ورقة تمثل، من فوق الى تحت، الكنوز في سياقها. وبعد الفراغ من ذلك كله كان الكنز ينقل الى المختبر حيث يلتقط بورتون صورا اضافية تظهر فيها مراحل اصلاحه. وهذا تدوين دقيق قل ان حصل مثله في المقابر التي اكتشفت سابقا.

وقد عبر كارتر في هذا العمل الدقيق المجهد عن براعة لا توصف. واشار الى الكنوز "كارث مباشر من الماضي"، وتكلم عن نفسه كما لو كان الوسيط المحظوظ، ولكن الموقت، الذي حدث ان مرت تلك الاشياء عبره. وهو قال ما يأتي: "اذا ادى الاهمال او الجهل بالمنقب الى انقاص المعرفة التي قد تكون جاءت عن طريق الكنوز، فلن يغيب عن باله انه مسؤول عن جريمة من الدرجة الاولى في علم الآثار".

وكان كارتر دائم الشكوى من المشاهدين، وان بدا عديم الاكتراث تجاههم. وعلى رغم ان وجودهم في المكان اغاظه، فقد امر عماله بلطف ان يحملوا المكتشفات المهمة عارية على مرأى من صفوف النظارة الى غرفة المختبر. اما الاشياء الاقل اهمية فكانت تلف وتنقل بعناية فائقة على حمالات فيما كانت تبدو اغراضا تافهة مرفوعة من الخنادق.

وحين عاد اللورد كارنارفون والليدي ايفلين في اواخر يناير (كانون الثاني)، كانت ٦٠ تحفة قد نقلت من حجرة الانتظار. وفي ١٧ فبراير (شباط)، رأس كارنارفون



تصميم مقبرة توت عنخ أمون

الاحتفال الرسمي بافتتاح غرفة دفن توت عنخ امون. وقبل يومين من موعد فض الباب المختوم، غدت الاقصر قبلة المعمورة. واخذت مئات الرسائل الصحافية تقعقع يوميا على اسلاك التغراف الحديثةالتركيب في القاهرة. ووصل المشاهير والوجهاء والسلاطين والباشوات في قطارات غصت بهم. واقيم منبر موقت لتلك المناسبة المثيرة. وكان كارتر مزمعا على فتح الحاجز لجمهور مختار يعد ٢٠ شخصا، ويلي ذلك يومان يسمح لكارتر فيهما بفحص المحتويات فحصا مفصلا. ثم في اليومين اللاحقين يتاح لممثلي الصحافة العالمية والزوار "الخواص" مشاهدة الكنوز.

وكان كارتر يرفع بنفسه حجار المدخل واحدا واحدا ويدفع بها الى احد معاونيه. وحين اصبحت الفتحة كافية للمرور، نفذ منها الى الغرفة. وتبعه اللورد كارنارفون. وظهر الاثنان مرة اخرى بعد ٢٠ دقيقة تقريبا. ولم يتفوها بكلمة واحدة، بل اكتفيا برفع ايديهما دلالة على الدهشة. وبعد ذلك دخل افراد الفئة المختارة، اثنين وراء اثنين.

واتصفت التقارير اللاحقة كلها بالابتهاج الغامر. واجمعت الشخصيات الملكية والاشراف والعلماء على تقريظ الاكتشاف والمثابرة التي تم بها حفظ الموجودات. وتكونت لدى كارنارفون وكارتر قناعة تامة بانهما تجاوزا النقد السلبي الذي جاء على السنة المصريين والصحافة العالمية.

وفي ٢٦ فبراير (شباط) اغلق الاثنان المقبرة بعد انهاء العمل لذلك

الموسم، واعادا طمر الممر والدرج، وعادا الى المختبر حيث كثف العمل وراء الكواليس. وكان للحر هناك اثر سلبي ظاهر في صحة كارنارفون. فقد كان معدل الحرارة داخل غرفة المختبر قرابة ٣٨ درجة مئوية. وكانت عواصف الغبار تثقل الهواء في الخارج فتعوق تسربه.

وقصد كارنارفون الى القاهرة في اوائل مارس (آذار) بغية الحصول على ضمانات من لاكاو في شأن قسمة "صحيحة" لمحتويات المقبرة. وكانت ايفلين تكتب الى كارتر رسالة كل يومين تطلعه فيها على سير الامور. وفي ١٦ مارس (آذار) بعثت برسالة تحمل نذيرا اذ كتبت عن والدها: "البارحة اخذت كل الغدد في عنقه تنتفخ فجأة، وفي الليل ارتفعت حرارته ولا تزال مرتفعة اليوم. وقد بلغ به الارهاق مبلغا لا يقوى معه على الكلام".

وفي الاسبوع اللاحق بلغ المرض بكارنارفون حدا حاسما، وكان مرضه الاخير. وتوفي في ٥ ابريل (نيسان). وقيل أن انوار القاهرة انطفأت كلها لحظة وفاته، وان التحقيق اللاحق لم يكشف سبب انقطاع التيار. وجاء تصريح ابن كارنارفون ووريثه، اللورد بورشستر، ليزيد ذلك اللغز تعقيدا، حين اعلن ان كلب والده المفضل عوى وسقط ميتا في لحظة وفاة سيده ايضا، وكان ذلك في بيت العائلة الريفي في هايكلير.

وعزت الصحف في العالم اجمع موت كارنارفون الى لعنة مصدرها القبر. وعلى رغم انه لم توجد لعنة حقيقية في ضريح توت عنخ أمون وانها لن توجد البتة، فان رواية "اللعنة" معروفة اليوم على نطاق واسع كما هي حال رواية توت عنخ أمون نفسه وكنوزه الفريدة. وعندما سئل اللورد كارنارفون الحالي عن تلك اللعنة خلال مقابلة تلفزيونية اجريت معه في نيويورك في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٧٧، اجاب بان موقفه منها "ليس موقف المصدق ولا موقف الرافض". غير انه اكد للمذيع الذي اجرى معه المقابلة انه "يرفض دخول مقبرة توت عنخ امون في وادي الملوك حتى وان اغري بمبلغ مليون جنيه استرليني".

الخروج

وانتهى الموسم الاول المثير وعندئذ قال كارتر لوينلوك: "كل ما علينا فعله الآن هو أن نقشر المقامات الملكية كما تقشر البصلة، وسنكون بعد ذلك مع الملك نفسه".

ويخرج المرء من قراءته وصف كارتر لموسم العمل الثاني بانطباع مؤداه ان اعمال الحفر استؤنفت بهدوء ومن دون ازعاج. لكن الحقيقة ان كارتر صرف ٨٠ يوما في كشف الضريح قبل ان يتمكن من فحص محتوياته. وغالبا ما ادى به هذا التأخير الى فقدان الصبر وحدة الطبع. ومرت بعد ذلك الوقت عشرة اشهر كاملة قبل ان تكشف المومياء، وهي اشهر عشرة انطوت على مفاوضات على جانب كبير من الدقة، وانفجارات غضب، ومماحكات، ودعاوى قضائية، وفضيحة ابقيت طي الكتمان،ونزاع سياسي.

وظهرت الصعوبة الاولى حين ابرم كارتر عقدا صحافيا حصريا مع "التايمس" اللندية. فمن اجل تطويق محاولة دخول المراسلين المقبرة في

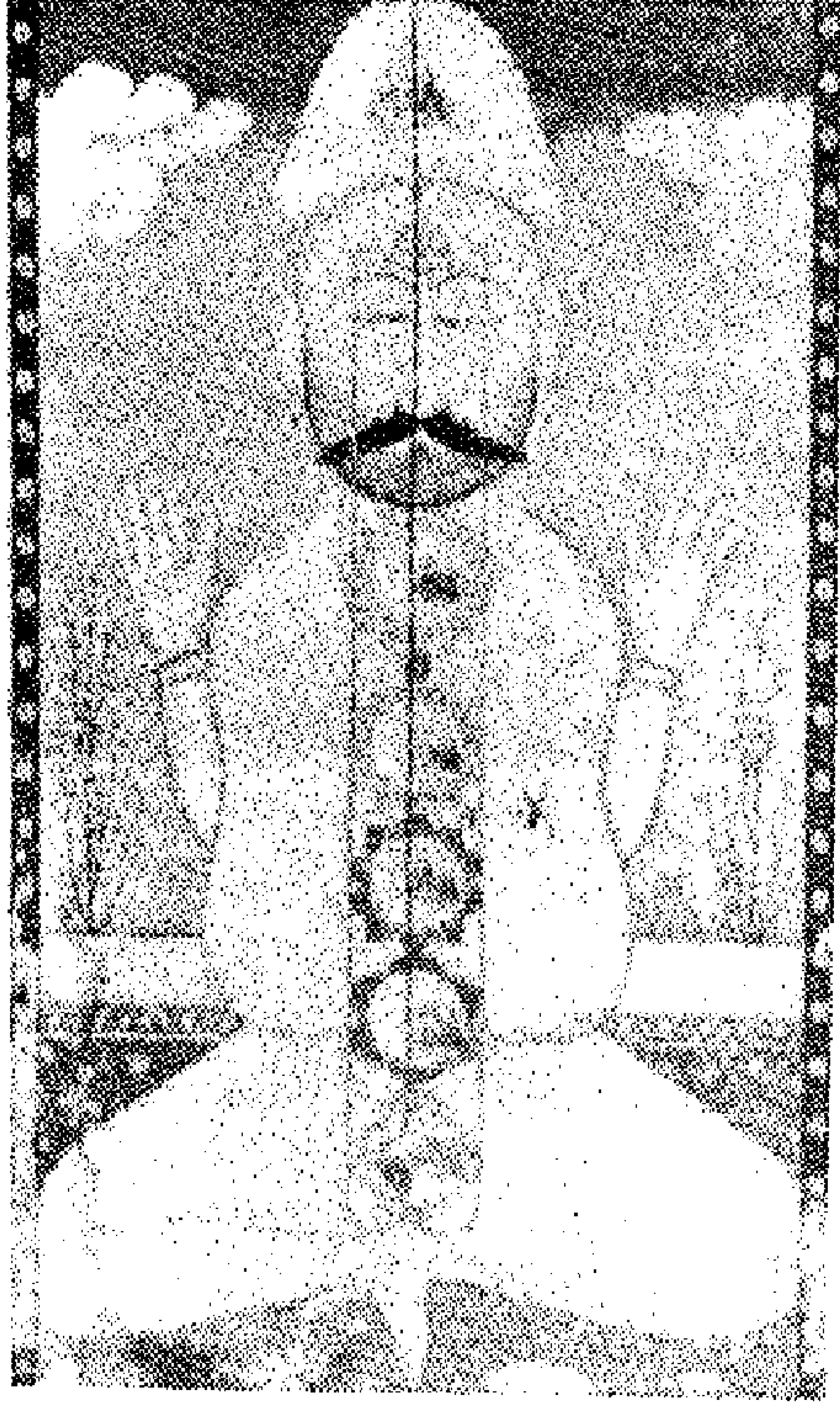
كل مرة يدخلها احد رجال الصحافة، ارتأى كارتر ان يعين مراسل "التايمس"، آرثر ميرتون، عضوا رسميا في بعثة التنقيب. وهذا التدبير يكفل لميرتون دخول المقبرة في أي وقت يشاء كارتر. اما بالنسبة الى الطلبات التي تسلمتها مديرية الآثار في شأن مشاهدة المقبرة، فقد قال كارتر ان الزوار ايا كانوا، من شأنهم اعاقة العمل العلمي.

وكان لاكاو يفخر بنفسه كاداري ممتاز. والحق انه كان لبقا وساعية وفاق. اما العلاقة المعقدة التي جمعته بهوارد كارتر فقد اصبحت فيها اللباقة نقطة ضعف. من هنا كان رفض لاكاو او عجزه عن التصرف بصراحة تامة - وهو امر راجع جزئيا الى عدم رغبته في ان يجرح مشاعر الآخرين - يفسر من قبل كارتر على انه تذبذب وعدم اخلاص واحيانا نفاق صريح. ورضخ لاكاو وزملاؤه في النهاية لاقتراحات كارتر حول ميرتون والزوار. غير ان احدا لم يخبر كارتر ان انقساما حادا في الرأي ظهر بين معاوني لاكاو المصريين. وعاد كارتر الى وادي الملوك في ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ مقتنعا بان كل الامور كانت تجري على خير وجه.

لكن ضغط الصحافة وضغط المصريين الذي لم يلن له جانب سرعان ما حتم اجراء محادثات لاحقة مع لاكاو. واشتكى كارتر من ان ثلث الايام الخمسين الاولى من الموسم الجديد "بدده التدخل الاداري". وخلال تلك المحادثات المطولة، وفي سياق تصريحات عامة متعددة، نجح كارتر في اهانة لاكاو. ومن عوامل ضغينته على لاكاو شعوره بانه هو (كارتر) وورثة كارنارفون "يملكون" المقبرة فعلا. ويضاف الى هذا العامل انه كان يكره لاكاو كرها شخصيا. غير ان العامل الاساسي كان الارهاق الذي عاناه كارتر ودوامته الذهنية التي لا تهدأ. وكانت ادنى نكسة واقل اثارة تحملانه اما على الغيظ واما على التأمل الصامت.

واشير على لاكاو مرارا وبالحاح ان يعطل الترخيص ويطرد كارتر من المقبرة. الا انه قرر اتباع خطة اخرى بعدما ارتأى ان التمسك بحرفية القوانين وفرضها على نحو غير منقوص من شأنهما دفع كارتر الى تصرف احمق. وهكذا راح لاكاو يلقن انغلباك كلاما لكي ينقله عفويا الى كارتر، ومؤداه ان مديرية الآثار تريد الحصول على لائحة باسماء معاونيه. وهو طلب وجده كارتر "شائنا" وتبعته في الاسابيع اللاحقة سلسلة متطلبات بدت الغاية منها، في نظر كارتر انتهاك الحقوق التي يمنحها الترخيص.

واعان لاكاو في حملته حدث سياسي ذو حجم هائل. ففي انتخابات ١٩٢٣، هزمت الحكومة التي كانت تؤيد الوصاية البريطانية على مصر لتحل محلها حكومة تقوم على نظام قومي متين. وكان وزير الاشغال العامة في الحكومة الجديدة - وهو المسؤول الاعلى الذي يخضع له لاكاو - مرقص بك حنا، وهو شخص اخرق متبلد الحس سبق ان حاكمه البريطانيون وادانوه وسجنوه بجرم الخيانة. وقد حفزه عدم ثقته بالاجانب، ولاسيما البريطانيين



"النرفانا" بمئتي دولار

اذا شئت الاستمتاع بالطمأنينة، بل وبالطمأنينة الكاملة. فلماذا لا تقصد "النرفانا"، حيث السعادة القصوى التي تتخطى الهم، تنتظرك في الهند.

والطمأنينة التي توفرها لك الهند تقصر عن شرحها الكلمات. فالهند تقدمها لك اينما اتجهت: في الابتسامات الدافئة التي تحييك، والوجوه البشوشة الودودة التي تستقبلك، والاسواق الغنية بالالوان والنابضة بالحياة، وفي تناغم الصنوج، وايقاع الاقدام الراقصة، والضيافة الطبيعية المنفتحة، والبساطة التي يتحلى بها كل فرد.

فكل هذا

يمكنك الحصول عليه، دون اسراف في التكاليف او تبذير، عن طريق شركة الخطوط الجوية الهندية

في أطار "برنامج اكتشاف الهند"
لمدة اسبوعين في مقابل ٢٠٠ دولار فقط

او ما يعادلها بعملة قابلة للتحويل.

فيمكنك السفر في انحاء الهند كلها لمدة ١٤ يوما، بمئتي دولار لا غير (او لمدة ٢١ يوما بكلفة لا تزيد على ٢٧٥ دولارا).

ويمكنك الاختيار بين ٦٠ رحلة تراوح بين كشمير وخاجوراهو والسواحل الغربية التي تغسلها مياه المحيط الهندي.

وهناك تعرفة "خاصة للشبان" ايضا

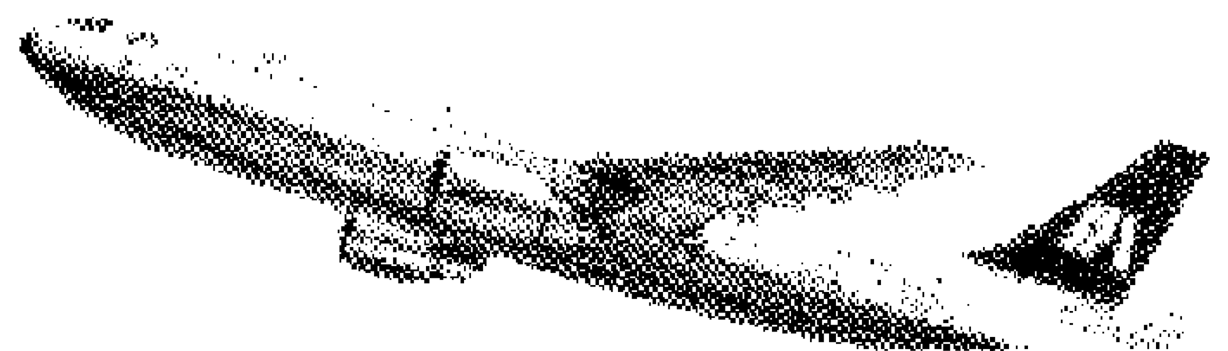
يستفيد منها جميع الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ و٣٠ سنة، فينالون حسما بـ٢٥٪ من التعرفة العادية بالدولار لرحلة تستغرق ٩٠ يوما.

ويمكن شراء البطاقات من اية مدينة كبرى من مدن العالم، عن طريق الـ١١١ شركة خطوط جوية دولية التي تربطها اتفاقات مع شركة الخطوط الجوية الهندية.

ولا يكلفك ذلك الا الاتصال بممثل الشركة التي تتعامل معها.

فتعال واكتشف الهند،
وستجد فيها اكثر مما تتوقع،
كالطمأنينة والراحة الفعليتين.

IA-4911



Indian Airlines

واحدة من كبريات الشركات العالمية للخطوط الجوية الداخلية

وخصوصا كارتر، على تأييد اي مخطط من شأنه ارغام كارتر على ترك المقبرة ومغادرة المنطقة والخروج من مصر.

وبلغت المسألة ذروتها في ١٣ فبراير (شباط) ١٩٢٤. وكان كارتر قبل ذلك الوقت قد نجح في الوصول الى الناووس نفسه، علما بانه من المدهش ان يكون وجد وقتا لمتابعة اعمال الحفر. فقد كان عليه اولا تنقيب المقام الخارجي الذي تقوم وراءه ابواب تؤدي الى مقام آخر. ولدى فتح تلك الابواب، ظهرت ابواب مقام ثالث تخفي وراءها عالما متألقا من الذهب. وكان ثمة مقام رابع بدت على مدخله كتابة هيروغليفية جلية تبين انها عبارات الملك نفسه: "لقد رأيت الامس، فها انا اعرف الغد".

وكان وراء المقام الرابع ناووس من الحجر الرملي البلوري البديع، يعلوه غطاء من الصوان. واخيرا في ١٢ فبراير (شباط)، رفع الغطاء الذي يزن طنين بواسطة حبال، خلال احتفال حضره لاكاو ومجموعة من الاعيان. وكان يملأ الناووس تمثال مذهب للملك - الفتى، ويتألق في ملء مجده لدى انعكاس الانوار عليه. وكان ذلك التمثال مثالا على الصنعة التي بلغت ذروة البراعة والابداع. وهو كان مصنوعاً من الخشب المذهب ومرصعا بالخزف المزخرف والزجاج والحجار شبه الكريمة.

وقبل ان يغادر الرسميون المكان ذلك اليوم، بحث كارتر معهم في تفاصيل مؤتمر صحافي يعقد في اليوم التالي. وطرح سؤالا عرضيا حول السماح لزوجات الذين شاركوا في الحفر بزيارة المقبرة، فجاءه الجواب ايجابا. غير انه تسلم رسالة صباح اليوم التالي تعلمه بان وزارة الاشغال العامة رفضت طلبه. فهرع كارتر الى المقبرة وعرض الرسالة "المهينة" على زملائه الذين لم تقل دهشتهم وحنقهم عن دهشته وحنقه هو. وللحال وضعوا مسودة موجزة لارسالها الى لاكاو ومرقص بك حنا والرأي العام، ينذرونهم فيها بانهم سيغلقون المقبرة ويهجرون عملهم. ونفذوا ما قالوه حرفيا. فاقفل كارتر المقبرة والمختبر كليهما، حاملا معه مفاتيحهما التي لم يكن هناك نسخة عنها في حوزة احد، ومخلفا وراءه اطنانا من الحجار المعلقة فوق التمثال المذهب والمنذرة بالسقوط عليه.

رأس اللوتس

من العسير ان نفهم كيف يمكن ان يكون عدد كبير من الاشخاص ذوي العقل الراجح ارتكبوا خطأ فادحا في تقدير الامور. فهم اساؤوا فهم طبيعة نظام الحكم الجديد، ولم يدركوا ان فكرة السماح لنساء اجنبيات بدخول المقبرة قبل ان يدخلها اي مصري بوقت طويل من شأنها اثارة الغضب في مصر كلها. حقا انهم كانوا اسرى مفاهيم تخطاها الزمن حول انماط السلوك اللائقة بالمستعمرين والنخبة ورجال العلم.

وكانت الحكومة سريعة الى رد الفعل. فبعد مضي يومين على "الاضراب"، كما سمته الصحف، توجه كارتر الى المقبرة فصدته فرقة من الجنود المصريين. وبعد ذلك الحادث بايام حضر عمال الى المكان وكسروا اقفال البوابة الحديدية ليدخل اعوان الحكومة ويعيدوا، بحذر شديد، وضع

غطاء الصوان على الناووس. وفي الوقت نفسه كان مرقص بك حنا يبلغ كارتر الغاء الترخيص للموسم الراهن.

فما كان من كارتر الا ان رفع المسألة الى المحكمة المختلطة في القاهرة. وكان نظام الوصاية المصرية يتيح للاجنبي ان يقدم دعواه امام هيئة مؤلفة من قضاة اجانب ومصريين ويرئسها قاض اجنبي. ووكل كارتر الى محام انكليزي اسمه ف.م. ماكسويل مهمة الدفاع عنه، لكن اختياره لم يكن مناسباً. فقد سبق لماكسويل ان شغل وظيفة المدعي العام البريطاني عندما جرت محاكمة مرقص بك حنا بتهمة الخيانة. وبعدما اوجز حججه في قضية كارتر في ختام يوم طويل داخل المحكمة، راح ماكسويل يشرح للمحكمة ان موكله لم يزل يحمل الصفة القانونية التي يخوله اياها الترخيص حتى بعد اقفال المقبرة ورفع الدعوى، وان الحكومة دخلت "في شكل عصابة لصوص وسلبته حقوقه عن طريق العنف".

وحدثت جلبة في المحكمة. فكلمة "لص" هي من اقسى العبارات العربية التي يمكن ان ينعت بها شخص. واستغلت الصحافة المصرية تلك العبارة الى اقصى حد، موحية بان ماكسويل، ووراءه كارتر وجميع معاونيه، اطلقوا على الوزير صفة "لص"، فأهانوا بذلك جميع المصريين.

وعلى الاثر اصدر مرقص بك حنا بيانا اعلن فيه ان وزارة الاشغال العامة لن تفاوض كارتر اطلاقا، حتى وان طلبت منها المحكمة ذلك. وفي الوقت نفسه قرر كارتر مقابلة نائب القنصل البريطاني على أمل ان يفوز منه بضغط سياسي على الحكومة المصرية.

ووصل كارتر الى مكان الاجتماع في حال من حب الخصام والمشاكسة. وسرعان ما فقد سيطرته على نفسه، فراح يوجه الكلام اللاذع كلمة بعد اخرى حتى وصل الى نعت مديرية الآثار بعدم الجدارة ونائب القنصل بالسذاجة فما كان من نائب القنصل الا ان فقد اعصابه ورمى محبرة على رأس كارتر. وعندئذ تدخل اشخاص كانوا هناك لتهدئة الرجلين الغاضبين.

وحين طلبت المحكمة من هيربرت وينلوك ان يتوسط في الخلاف، أصابه قلق عميق لدى اكتشافه المؤامرة، وقرر ان يرسل كارتر خارج مصر. وكان اسم كارتر مدرجا على جدول محاضرات عدة في امريكا، لكنه كان يفكر في الغائها. غير ان وينلوك اقنعه باحترام ما تعهد به. وهكذا، غادر كارتر القاهرة في ٢١ مارس (آذار) من دون ان يدري ما اذا كان سيرى مصر مرة اخرى.

إلا ان المسألة لم تنته عند ذاك الحد. فقد توجهت لجنة خاصة من المصريين برئاسة لاكاو للكشف عن المقبرة وغرف الخزن. وهناك وجد اعضاء اللجنة ان كل الأشياء كانت مصنفة ومرقمة على اكمل وجه. فقد سجل كارتر أرقامها بنفسه في ثلاثة مواضع مختلفة: خارج كل صندوق، وداخله، وضمن فهرس وضع على طاولة قريبة. وتركت مناهج كارتر الدقيقة انطباعا ملموسا في أعضاء اللجنة.

ثم وصلوا الى الركن الخلفي من

غرفة الخزن حيث رأوا كومة من صناديق "فورتنام آند ماسون" الفارغة، وبينها صندوق كتب عليه: "نبيذ احمر". وكانوا على وشك تجاوزه حين سألهم لاكاو ان يفتحوه. وعندما فعلوا وجدوا في داخله رأسا خشبياً في حجم رأس طبيعي تقريباً، وقد رسمت ملامحه بدقة كاد يبدو معها انه يتنفس. وكان ذلك التمثال يقوم على قاعدة حفرت عليها بتلات زهرة اللوتس الزرقاء، وهي زهرة النيل المقدسة.

وأخذ لاكاو العجب، لكنه عمد الى المحافظة على الانضباط بين معاونيه، مصراً المرة تلو المرة على انه لا يعقل الا يكون هناك تفسير منطقي للدافع الذي حدا كارتر الى حفظ الرأس في ذلك المكان الغريب من دون ان يصنفه ويرقمه على غرار الاشياء الاخرى. غير ان المصريين طالبوا بارسال برقية استنكار على الفور الى رئيس الوزراء المصري نفسه.

وفي اعقاب ذلك الحادث ذهب انغلباك في زيارة الى وينلوك. فأخبره الأخير أن المصريين "فقدوا اعصابهم تماما"، وراحوا يصرخون قائلين ان المنحوتة سرقت من المقبرة دونما شك. فما كان من لاكاو إلاّ ان اخبرهم بأن كارتر كان اشترى رأس اللوتس من سوق التحف الفنية. لكن انغلباك لم يكن على يقين من ان المصريين صدقوا رواية لاكاو، على رغم ما أظهروا من ميل إلى الأخذ بها بعدما شاهدوا "الطرق المنهجية" التي ابتكرها كارتر. إذا، هل يمكن ان يحصل وينلوك على تأييد من كارتر لذلك الرأي؟

ومن أجل هذه الغاية، أرسل وينلوك استفهاما الى كارتر بواسطة مصطلح رقمي كان الاثنان قد ابتكراه قبل سنوات لاستعماله في حال حدوث امر طارىء. وجاء جواب كارتر ان القطعة كانت بين الأشياء التي اكتشفها في ركام المدخل المؤدي الى المقبرة. وقال انه أعطى تلك الاشياء "ارقاما جماعية"، لكنها "لم تكن قد سجلت كليا في الفهرس". وتجدر الاشارة الى ان حجة كارتر غير مقنعة. ففي الجزء الأول من كتابه "مقبرة توت عنخ امون"، الذي نشر قبل ستة اشهر من ذلك الحادث ، لم يرد ذكر رأس اللوتس بين الأشياء التي وجدها كارتر في ركام المدخل ووصفها وصفا مفصلا.

وعلى رغم ذلك، فقد قبلت اللجنة المصرية بتوضيح كارتر، وكتب وينلوك ان لاكاو "أبهجه ذلك التوضيح كليا لأنه كان يعني، مما يعنيه، ان القطعة هي بالتأكيد ملك متحف القاهرة". وفي اواسط ابريل (نيسان) بدأ وينلوك يأمل في ان يكون الجو الذي خلفته قضية توت عنخ امون اخذ ينحسر كي يتمكن من أقناع "المحامين جميعا بالانسحاب من القضية واتاحة الفرصة لعالمي الآثار الوحيدين اللذين دخلا في المسألة" - اي لاكاو ووينلوك نفسه - لكي يحلا الخلاف المرير.

الاستسلام

ان جهود وينلوك الرامية الى تجديد الترخيص بشروط مختلفة جدا عن الشروط السابقة كادت ان تكلل بالنجاح في اوائل يونيو (حزيران) حين تسلم كارتر من دار النشر التي يتعامل معها النسخ الخمس الاولى من

كتيب وضعه غفلا من التوقيع، وكان ذلك قبيل انهاء رحلته الى الولايات المتحدة التي لقي فيها نجاحاً منقطع النظير. وقد وضع الكتيب في الظاهر "من أجل التوزيع الخاص" المحدود، لكنه كان اتهاما لاذعا، كتب في الضمير الغائب (هو)، ضد الحكومة المصرية ومديرية الآثار ولاكاو الذي نعت كارتر طرقه بأنها "عائق يواجه مستقبل علم الآثار في مصر".

وتسلم وينلوك نسخته من الكتيب من مكان مجهول في الاول من يوليو (تموز) ١٩٢٤، وكان مزمعا في صباح اليوم نفسه ان يستقبل كارتر في مكتبه في المتروبوليتان، بعد انقطاع دام بضعة أشهر. وقلب وينلوك صفحات الكتيب بسرعة، وامتعض حين وجد ان كارتر ضمنه كل شيء ولم يترك شيئا خارجا من برقيات مشفرة ورسائل سرية وملاحظات تظهر دور وينلوك في ستر الفضيحة التي اثارتها المنحوتة التي كانت في صندوق الخمر. وكانت تلك ضربة قوية ضد سمعة وينلوك كعالم آثار.

وعندما وصل كارتر فوجىء بالحنق الظاهر على صديقه. واحاطه وينلوك علماً بأنه، بعد صدور الكتيب، لا يريد ان يكون مرتبطا به بأي طريقة. وقال له بجفاء انه مقتنع بان تصرفه منذ بروز المشكلة كان صادرا عن عناد وعدم اتزان، وأن الكتيب اللعين كان القشة الأخيرة. وأفضى اليه برأيه انه لن يُسْمَح له بالحفر ثانية في مصر ما لم يرضخ للشروط المصرية. وحيال هذا كله، وجد كارتر نفسه غير قادر على الكلام.

وقطع وينلوك الاجتماع بعد وقت قصير ليطلع مدير المتحف، ادوارد روبنسون، فورا على رأيه في عمل كارتر الأخير المتهور. وحذره من ان كارتر، الذي كان سيسافر واياه على ظهر باخرة واحدة متوجهة الى انكلترا، سيسلمه نسخة من الكتيب المقيت الذي وضعه ويحاول كسب مدير المتحف الى جانبه في حملته ضد المصريين. وأستغل وينلوك المناسبة ليحذر روبنسون من عدم الانجرار الى حجج كارتر.

غير ان غضب وينلوك: الصديق القديم، هز كارتر هزاً عميقاً. ولم يدر في خلده قط ان نشر المعلومات التي تورط وينلوك في قضية رأس اللوتس من شأنه ان يولد فيه احساساً بأن كارتر خانه. لكن كارتر بذل جهودا سريعة لوقف توزيع الكتيب، ولم يبارح غرفته في الفندق حتى موعد اقلاع الباخرة "موريتانيا" الى الوطن. وعندما جلس في الباخرة يحادث روبنسون، اعترف بأنه "فعل وقال حماقات كثيرة تجعله يندم ندماً شديداً" وقال "ان بعض تلك الحماقات مرده الى سوء النصح والبعض الآخر الى التوتر الذي كان يعانيه والذي منعه من التفكير الجلي او الهادىء". وحين وجد روبنسون ان كارتر كان في حالة قبول وتلق مذهلة، نصحه بأن يقدم الى الحكومة المصرية "اي اعتذار تطلبه" من اجل انهاء عمله في المقبرة.

وفيما كانت الباخرة تبحر نحو انكلترا، قرر كارتر أخيرا وضع حد لذلك النزاع الطويل. وكان كيانه مرهقا ومليئا بالهواجس حين جلس يكتب رسالة الى لاكاو يتنكر فيها "كليا لأي فعل او ادعاء او ذريعة من اي نوع في ما يخص مقبرة توت عنخ

أمون ومحتوياتهـا... وأنـي اعلـن سحب كل الامور المعلقة".

النصر الأخير

لدى عودة هوارد كارتر الى وادي الملوك في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٥، سلم في لقاء رسمي مجموعة مزدوجة من مفاتيح المقبرة والمختبر. وأجرى على الفور تفتيشاً لمحتويات حجرة الدفن برفقة بيار لاكاو. ورأى كل شيء في مكانه من دون اي تبديل. فأعرب عن رضاه تجاه لاكاو الذي باح له، في صوت مخفوض، بأنه كان مسرورا جدا لعودته. وكانت تلك مصالحة سريعة وخصوصية وودية.

ومنذ ذلـك اليـوم، وعبـر ثمانـي سنوات مليئة بالعمل المضني الذي كان يجري، كما في السابق، تحت حر وادي الملوك وريحه وغبـاره، نـادرا ما كشف كارتر عن الجانب القاتم النزق من شخصيته. فقد وجد نفسه منغمسا مرة أخرى في اعباء علم الآثار الصرف ومنهجيته، مما جعل الجانب اللطيف والحساس من شخصه يطغى على ما عداه.

وكانت مهمة كارتر الأولى رفع غطاء التابوت المذهب الذي اكتشفه قبل سنة. ووجد داخله شيئا اشبه بتابوت آخر مغطى بأكفان من الكتان الرقيق ومزين بأكاليل الزهر. وبعدما رفعت الاكفان وقف كارتر يحدق في "أروع مثال فني لصناعة التوابيت القديمة ظهر حتى الآن". وكان غطاء التابوت الثاني، كغطاء الأول، يرمز الى الملك الصغير في شكل الاله اوزيريس. لكن التمثال الثاني فاق الأول في فخامته الى حد كبير.

ولدى انتزاع غطاء التابوت الثاني، بان لعيني كارتر المذهولتيـن تمثـال بشري آخر. وكان هو الآخر مغطى بطبقة من الكتان الرقيق. فانتزعها كارتر وانتزع معها الياقة المشغولة بالخرز والزهر والتي كانت تحيط العنق، ليقف وجها لوجه امام مشهد حابس للانفاس. ذلك كان التابوت الثالث الذي يزيد طوله على ١،٨ متر، وهو مصنوع من الذهب الخالص الذي بلغت كثافة بعض اجزائه ١٥ مليمترا تقريبا. وقدر كارتر ان ما يراه هو "سبيكة ذهب صرف، على مقدار هائل من الضخامة".

ورفع كارتر غطاء التابوت الثالـث حيث كانـت موميـاء الملـك ملفوفـة بدرع من الذهب والزخارف. وكان هنـاك تمثـال للملـك فـي الحـجـم الطبيعي، استعمل قناعا له، وكان يلمع لمعانا باهرا قبالة اقماط الكتان القاتمة. ولا ريب في ان هذا القناع هو من اجمل المجسمات في تاريخ البشرية.

وبعد الكشف عن المومياء، شرع كارتر في رحلة على منتهى الغرابة، وهي الحفر في طبقة ضمن طبقة من الأقمطة. وجهز كارتر نفسه بمشارط مشحوذة الـى اقصـى حـد، وطفـق، بمساعدة استاذ التشريح في جامعة القاهـرة المصريـة، يقـص الكتـان القاسي الذي يكـون الطبقـة الاولـى لينكشف له كنز حقيقي من الذهب يضم التاج الملكي وصدرة ذهبية وخنجرا مع غمد مصنوعين من الذهب الخالص. وقد وضعت علـى الذراعيـن المحنطتين اللتين جعلت احداهن فوق الاخرى ١٣ سوارا. وبعد قص طبقات الاقمطة كلها، اخرج كارتر ما لا يقل

عن ١٤٣ قطعة رائعة من مجوهرات وحلى وتمائم وادوات.

وبواسطة فراش مصنوعة من وبر السمور، ازيلت بقايا القماش المتهرىء. واخيرا تجلى وجه توت عنخ امون نفسه. وبدا ان جمال الملك كان يجل عن الوصف. وحين اخذ الرأس بين يديه، خيل الى كارتر انه حمل الى الوقت الذي كان الملك المفعم بالنشاط حيا. وهزته تلك التجربة حتى الصميم.

وبحلول نهاية فبراير (شباط) ١٩٣٢، كان هوارد كارتر قد اخرج اخر الاشياء من المقبرة وأشرف على نقلها الى المتحف المصري في القاهرة، وذلك قبل مرورو عشر سنين على اليوم الذي انجز اروع اكتشاف اثري.

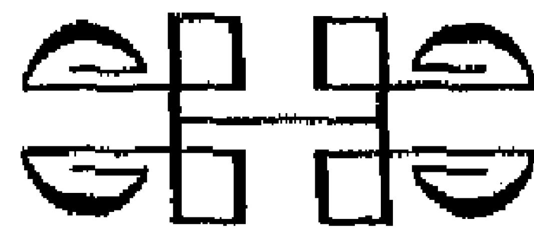
وعاد في ربيع ذلك العام الى انكلترا. وفي اقل من سنة اصابه مرض لم يستطع منه فكاكا. وعلى رغم زياراته المتكررة لمصر، فهو لم يعد الى الحفريات الاثرية على الاطلاق. وفي ٢ مارس (آذار) ١٩٣٩، مات وهو في اواسط العقد السادس من عمره. ولم يحضر دفنه سوى عدد قليل من الاشخاص، بينهم الليدي ايفلين هيربرت بوشان، ابنة اللورد كارنارفون.

لم يكتشف كارتر اي وثيقة او ورقة بردي من شأنها ان تحل اللغز اللازم لوفاة توت عنخ امون في سن مبكرة جدا. غير ان حقائق جديدة قد تنكشف يوما ما في مكان غير متوقع في وادي الملوك على يد شخص ورث من هوارد كارتر احلامه وطموحه.

وحتى ذلك الوقت سوف تبقى هناك شكوك وتساؤلات.

ان توت عنخ امون، الذي يلفه الصمت ويحيطه لغز عميق، ضمن لنفسه سحراً آسراً اكثر مما تسنى لمعظم حكام الأزمنة الغابرة. وهو حقق النصر الأخير المتجلي في حياة ثانية مستمرة وآمنة. ولا تزال الكلمات الجريئة المحفورة على المقام الاخير المؤدي الى ناووسه الضخم تبدو صادقة: "لقد رأيت الأمس، فها انا أعرف الغد".

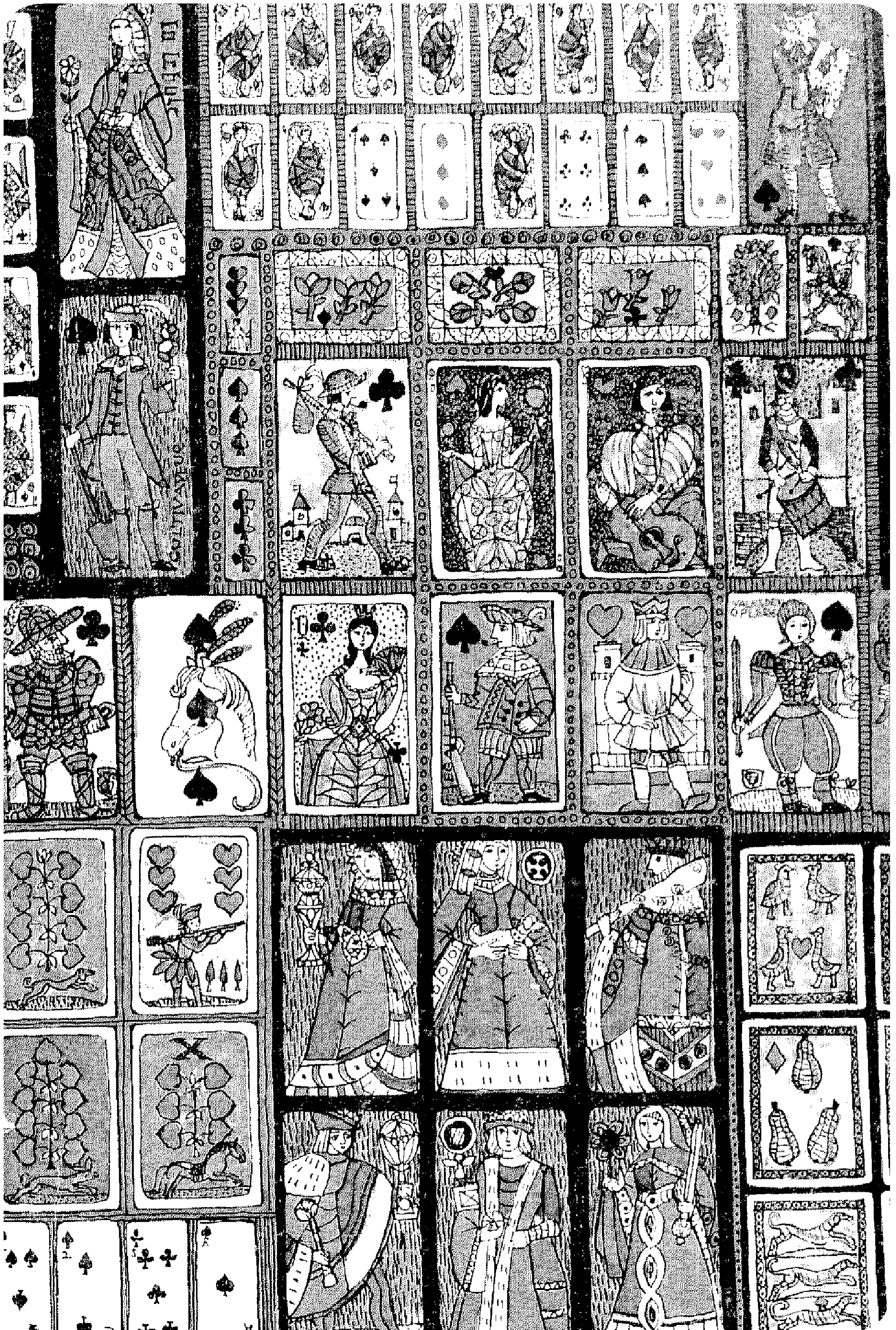
■ توماس هوفنغ

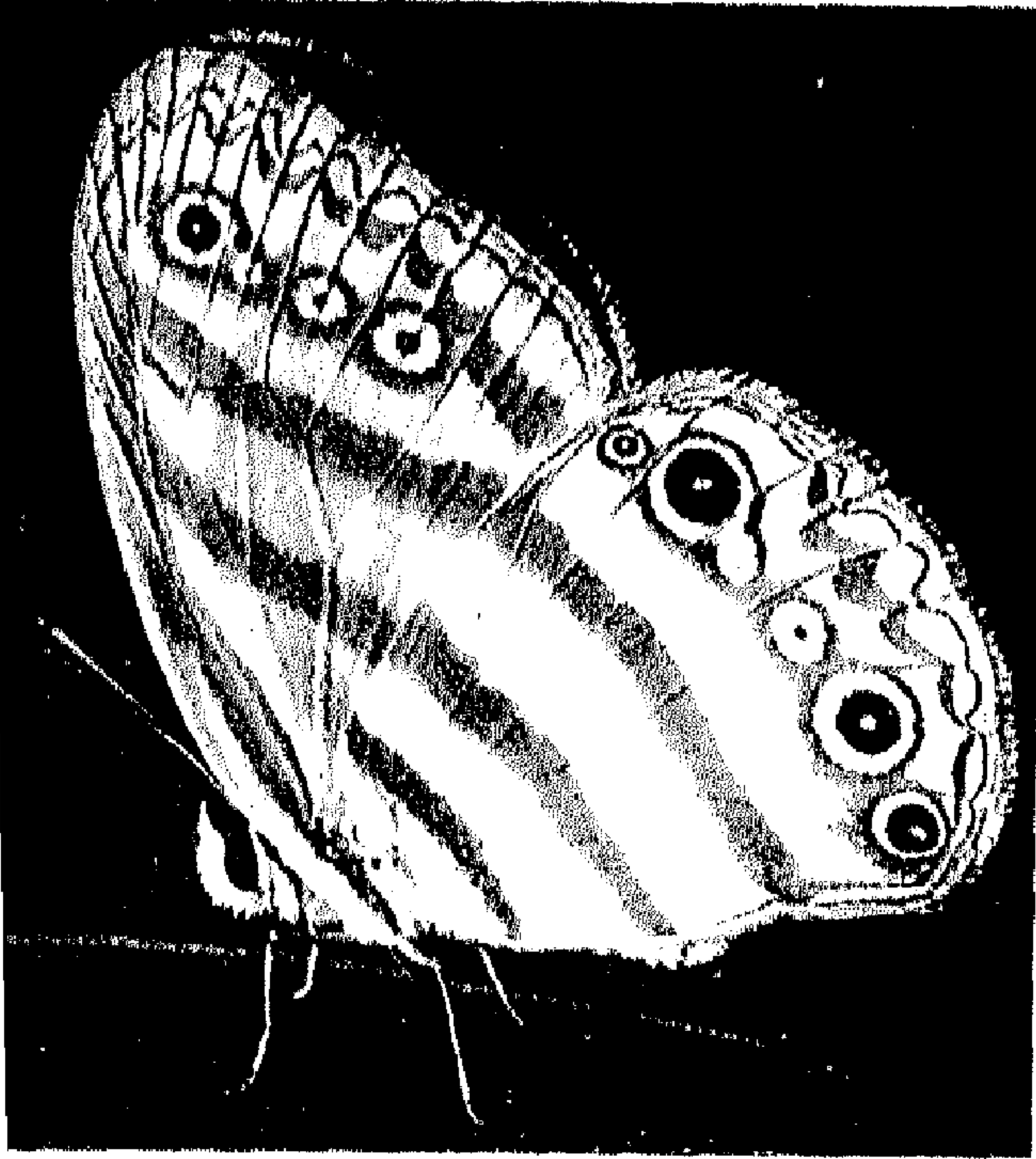


جعة رهبانية

فازت الراهبة الفرنسيسكية دوريس انغلهارت البالغة من العمر ٢٩ سنة بشهادة ماجستير في تخمير الجعة في مدينة أولم الالمانية، متفوقة في ذلك على ٢٦ من زملائها الرجال. وتعد هذه الراهبة أصغر سنا من سائر مخمري الجعة البارعين في المانيا، وهي تعمل بمساعدة راهبتين اخريين وتحضر قرابة ١٨٠،٠٠٠ ليتر من الجعة سنويا، وتستخرجها كلها من محصول الشعير في مزرعة الدير. وتتميز الجعة التي تخمرها الراهبة وتبيعها محليا بلونها الفاتح وباعتدال نسبتها من الكحول (٤ في المئة)، الا في فترة اعياد الميلاد ورأس السنة والفصح حيث ترفع الراهبات الثلاث نسبة الكحول تجاوبا مع رغبة المستهلكين.

روبير





الربيع :

أجمل الفراش ص ٤٠

الحبُّ الأعمى ص ٢٥

لا تدع الخجل يغلبك ص ١٧

السُّكر: حلوٌ ومُرٌّ ص ١٢

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الأمارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest May 1979 N°6

مايو (ايار) ١٩٧٩ - جمادي الثاني ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

اختر اللقطة التي تروق لك -
واضغط على الزر فقط!

Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠ تفعل الباقي.

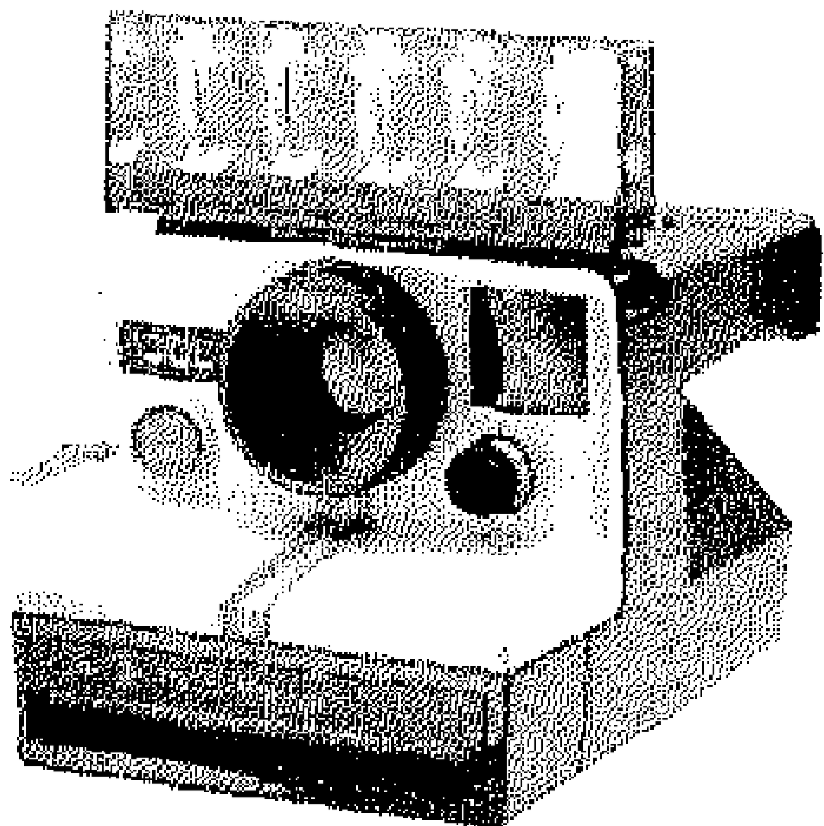
آلة التصوير التي يرغبها العالم أجمع!

ليس هنالك ماتعده ولاشيء تضبطه .. ماعليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التي ستقدم لك فوراً صور بألوان إس. إكس ٧٠ الزاهية الخلابة التي تحمض نفسها تلقائيا أمام عينيك.

ليس هنالك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين.

لاغرابة في أن العالم كله يرغب في إقتناء آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠!

إتصل فوراً ..
بوكيل بولارويد المعتمد.



Polaroid
ثلاثون عاما
في طليعة التصوير الفوري



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين ،
رئيس التحرير: ادمون صعب ،
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب ،
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم ،
امانة التحرير: رينا نداف ،
الاخراج: اروى سيف الدين ،

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ،

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ،

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ،

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE
Tel 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:
TAMAM شركة تمام
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ،

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ،

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ،

الخط: محمد ماجد ،

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا ،
مدير التحرير: آلان دوليرو ،

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: حديقة كاميليا (هاريو بامبا)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
May 1979 Nº6 *(New Series)*. Vol. 1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

هذا المخلوق المتلوي بأذرعه الثماني
هو في الحقيقة خجول وذكي ولعوب، على رغم
السمعة السيئة التي عرفت عنه منذ أمد ، كعدو مخيف للانسان،

يطيب لحيواناتٍ الاخطبوط ان تحتلي بنفسها، والواقع انها مخلوقات غيورة على مساكنها غيرة تبلغ حد الافتراس، فهي لا تتردد في التهام المتطفلين الذين يجرؤون على الدخول الى مناطق عيشها. ومع ذلك، فان معظم الروايات عن اتصالها بالانسان، حتى في عرض البحار، تتسم إما بالود وإما بالخوف، ولكن من جهة الاخطبوط.

يقول جوك ماكلين، وهو غطّاس متقاعد من مقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا، ان من الصعب حقاً حفز الاخطبوط على العض. فهو، اذا شعر بالخوف، لجأ الى امور اخرى حتى ينقذ نفسه. ويستطيع، من خلال اسرع ما في مملكة الحيوان من انظمة وقاية بواسطة تغيير اللون، ان يتحول الى لون أبيض عند الخوف او الى أحمر عند الغضب لكي يرعب عدوه، وقد يتحول لونه الى ابيض ضارب الى الخضرة او بني او احمر على سواد، او قد يصبح مخططا للتمويه. وهو احيانا ينفث صبغة في لون الحبر لتضليل مطارد مفترس وشل حاسة الشم لديه، غير ان الأخطبوط يحاول دائماً الفرار الى عرينه او الالتجاء الى فجوة مجاورة.

يعيش الاخطبوط في معظم السواحل البحرية في العالم، من المناطق الاستوائية الى المناطق القطبية الشمالية والجنوبية. وهناك ١٠٠ فصيلة منه على الأقل، تراوح من عمالقة شمال الاطلسي حيث يبلغ الاخطبوط المكتمل النمو حجما يستطيع معه ملامسة محيط دائرة قطرها ١٠ أمتار، الى تلك الاقزام



الصغيرة التي لا يتجاوز طولها بضعة سنتيمترات وتعيش في بحر الصين الجنوبي. الا أن معظم حيوانات الاخطبوط هي في الواقع متوسطة الحجم وتنمو حتى يبلغ طولها مترا او شبه ذلك. ويتشمس بعضها في المياه الضحلة قبالة السواحل بينما قد يعيش البعض الآخر على عمق ١٥٠٠ متر في قاع المحيطات.

وتشكل الحيوانات البحرية الصدفية، مثل السرطان والمحار والبطلينوس وأذن البحر، غذاء طبيعيا للأخطبوط الذي قد يصطاد السمك أحيانا. وهناك بعض من فصائله، مثل "أخطبوط النهار" في هاواي، تخرج للبحث عن طعامها نهارا. غير ان معظم اصناف الاخطبوط خجولة، تنتظر وصول فريسة غير متوقعة او تتوجه للصيد تحت جنح الظلام.

ويمسك الاخطبوط طعامه بمصاصات مستديرة موجودة على واحدة او أكثر من اذرعه الثماني القوية. وقد يبلغ عدد هذه المصاصات لدى الاخطبوط الواحد ٢٤٠، مرتبة في صفين على كل ذراع. ويتفاوت حجمها من ثقب صغير كرأس دبوس الى فتحة قطرها ٦٠ مليمتراً. وللأفلات من مصاصة واحدة قطرها ستة مليمترات، يلزم الشدّ بقوة ١٤٧ غراما. وهذا يعني الحاجة الى قوة شد ضخمة للافلات من قرابة ٢٠٠٠ مصاصة تكون موجودة عادة في معظم اصناف الاخطبوط المألوفة. وبهذه المصاصات يحمل الاخطبوط فريسته الى فمه ويعضها بمنقاره (اذ يوجد لاخطبوط طوله ٤٥ سنتيمترا منقار كمنقار ببغاء صغيرة)، ثم يحقن في الفريسة سماً من غدده اللعابية حتى يصعقها او يميتها.

تدجين الاخطبوط - ومع ان حيوانات الاخطبوط تحب العزلة وهي في البحار، الا انها تصبح أليفة في الأسر. وتقول جيل هيوليت، عميدة حديقة الحيوانات المائية العامة في فانكوفر (كندا): "تلك حيوانات تحب التمسيد والملاطفة ولديها مقدار من الذكاء، وهي قد تمارس الدعابة ايضا. وفي احد الاوقات كان لدينا اخطبوط اعتاد رش المارة بالماء. الا أن حب الاستطلاع لدى تلك الحيوانات وما لديها من ذكاء كانا في بعض الأحيان يؤديان الى نتيجة خطرة. فقد حدث ان سحب اخطبوط سدادة مصرف الصهريج الذي كان فيه، فمات بعد انصراف الماء.

"وفي صباح أحد الأيام عثرنا على اصابة أكثر غموضا، أذ وجدنا أن نصف سمكة صدفية طولها ٣٠ سنتيمترا أُكل ولم يبق مخلوق آخر في الصهريج مع النصف الآخر. وفي اليوم التالي ألقينا القبض على اخطبوط متلبس بالجريمة وهو يتسلق صهريج الاسماك الصدفية، ربما ليلتهم ما تبقى من وجبته. وهكذا ينبغي المحافظة على بقاء صهاريج الاخطبوط مغطاة جيدا بشبكات دقيقة صغيرة الثقوب، لأن في امكان اخطبوط وزنه ٢٥ كيلوغراما ان يتسلل من خلال فتحة قطرها خمسة سنتيمترات. ويجب وضع ثقل على الغطاء أيضا، والا فأن الاخطبوط قادر على دفعه ليلوذ بالفرار".

ويقول سيسيل بروسو، المدير

المتقاعد لحديقة الحيوانات المائية في بوينت ديفاينس في تاكوما (واشنطن): "قد يعيش الاخطبوط خمس او ست سنوات. ويعتمد نمو جسمه من ناحية على المزاج. فاذا كان الاخطبوط شديد الخجل ويندر ان يجازف بالخروج من عرينه لكي يقتات، فان نموه الجسماني يكون بطيئاً. ولكن اذا توافر الغذاء وكان الاخطبوط من نوع مندفع نشط، فأن معدل نمو جسمه يكون هائلا". وكان لدى بروسو أخطبوط زاد وزنه من ٣١ كيلوغراماً الى ٤٩،٥ كيلوغراماً خلال تسعة أشهر.

شخصيات مستقلة ــ وقد كرّس بروسو قسطاً كبيراً من وقته لمساعدة الانسان والأخطبوط للتغلب على خوف احدهما من الآخر. وكان بروسو يسمح للاطفال في حديقة بوينت ديفاينس المائية باطعام الاخطبوط اسماك الرنكة. وهناك الآن حيوانات اخطبوط في صهريجين مكشوفين مملوءين ماء حتى ارتفاع الخصر، وحافتهما العليا مغلفة بالخيش الذي لا يجرؤ الاخطبوط على تجاوزه. ويقول بروسو: "يحتاج الاخطبوط الى اسبوع لكي يتخلص من خوفه من الأنسان. غير ان الناس يستطيعون التغلب على خوفهم من الأخطبوط فوراً. فبعدما تقنعهم بلمس الأخطبوط، يبدأون بمداعبته حتى ينتهي الأمر بهم الى انهم لا يريدون مبارحة المكان".

ويدعي جون آرنولد، المتخصص في علم الأجنة والخلايا في مختبر كيوالو البحري في هاواي، أن حيوانات الاخطبوط تتمتع بشخصيات فردية مستقلة وبمقدار من الذكاء. وقد تحدث عن اخطبوط من جزر البهاما كان يغذيه بقواقع صغيرة. باعطائه ست منها فقط في اليوم، كان الاخطبوط يحملها تحت لحمته ويأكلها واحدة واحدة كلما شعر بالجوع. وبعد ذلك تعلم كيف يفتح قبضة آرنولد بحثا عن القواقع. وكان يعطيه احيانا قوقعة فارغة تجنبا للمغالاة في الأكل. غير ان الاخطبوط تعلم بسرعة كيف يدخل رأس احدى اذرعه في كل قوقعة ليكتشف ما اذا كان في داخلها ما يمكن ان يقتات به.

من أوفى الامهات ــ ولئن كان الاخطبوط ماهراً، فأنه لا يقل عن ذلك دأباً. كما ان أنثى الاخطبوط الشائع هي من أوفى الأمهات في البحر. ويبلغ حجم البيضة التي تضعها قرابة نصف حجم حبة الأرز. وعندما تبرز البيوض تلجأ انثى الاخطبوط الى نسج جذوعها وضمّ بعضها الى بعض لكي تشكل منها اشرطة يبلغ طول الواحد منها ١٥ سنتيمتراً وتتدلى من حافة ناتئة او من سطح كهف بحري. وقد يشتمل الشريط على الف بيضة. وتضع انثى الاخطبوط قرابة ٣٢٥،٠٠٠ بيضة خلال اسبوعين.

وخلال الاسابيع الأربعة او الستة اللازمة لتفقيس البيض، تعكف الاخطبوطة الأم على رعاية البيض من دون توقف. ومنذ لحظة الشروع في بناء العش تنقطع عن الطعام وتدرأ عن البيض خطر المعتدين. وبنفخ الماء على اشرطة البيض وتمرير اذرعها بين تلك الاشرطة، تحافظ على تزويد البيض بالاوكسيجين. وبعد ان يفقس البيض تكون مهمتها قد اكتملت، فتموت.

الترحيب بالزائرين ..!

طقسنا يتغير، وهذا يحدث غالباً، والمناظر الطبيعية الخلابة تتغير أيضاً كلما اجتزت بضع كيلومترات، ولكن على هذه الأرض الخضراء الصغيرة هناك شيء واحد لا يتغير:



تقاطع بكنغتون

حفاوتنا بالزائرين، حفاوة صديقة، حارة تهتم بك كل الاهتمام تماماً كما تريده أن يكون.

إن مكاتب الخطوط الجوية البريطانية هي أول مكان تتعرف فيه بنوعية هذه الحفاوة. إتصل بنا فنوفر لك بكل سرور جميع المعلومات عن برنامج عطلات الخطوط الجوية البريطانية واقتراحات مفيدة أخرى بما

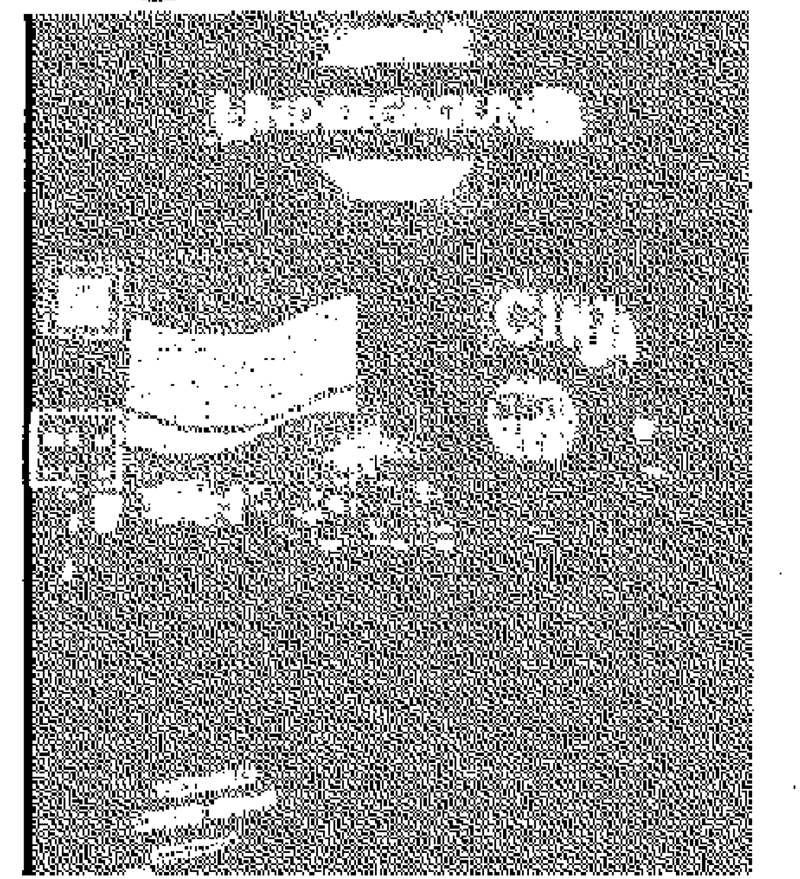
موكب ملكي في هايد بارك

تقليدٌ قديم في بريطانيا.


حدائق كنسينغتون

يساعد العائلة بجميع أفرادها على التمتع بعطلتها على أكمل وجه بأقل قدر من الازعاج.

عطلتنا تبدأ بالطبع بلندن وبمحلاتها الشهيرة بكل ما تحتويه من القيم المفيد. لكن تذكر دائماً أنه يمكنك جمع التسوق إلى أنواع كثيرة أخرى من المتعة كالتنزه في بوند ستريت والتمتع



بيكاديلي سيركس

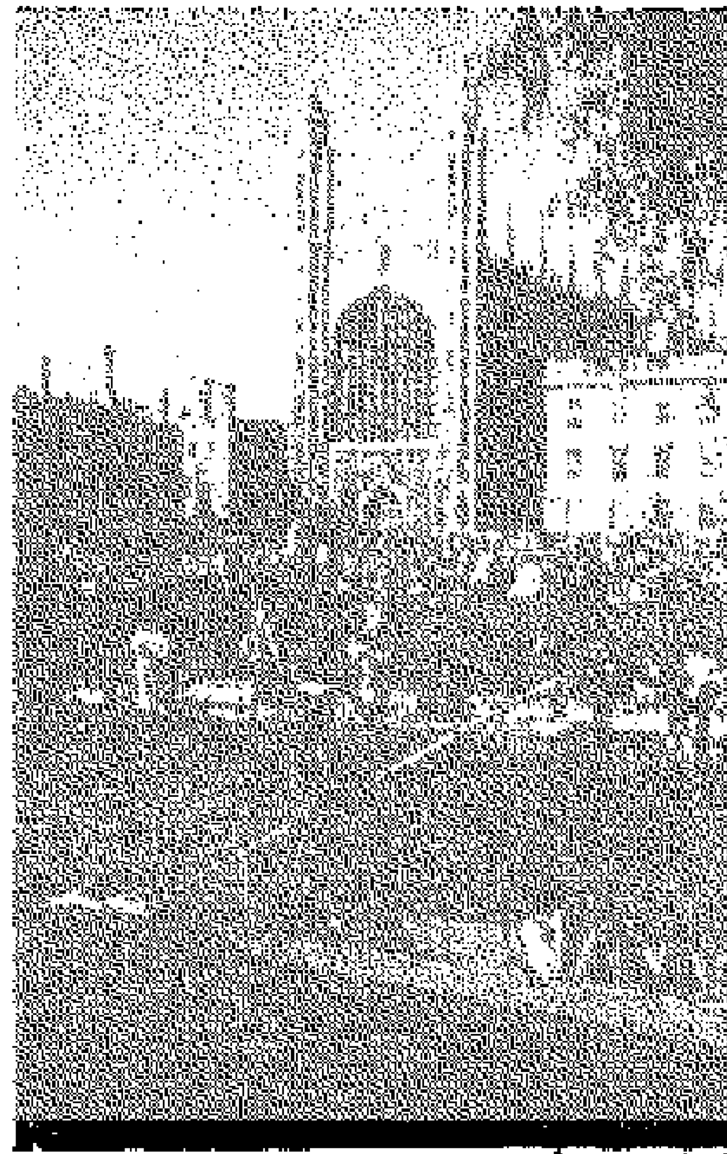
بمشاهدة كنوزه واجهداً نفسك في نهاية المطاف وسط فضاء "بركلاي سكواير" وأشجاره الرائعة التي تعود إلى القرن الثامن عشر. اجتز شارع أكسفورد بكامله وهناك إلى الناحية الأخرى



شارع ريجنت

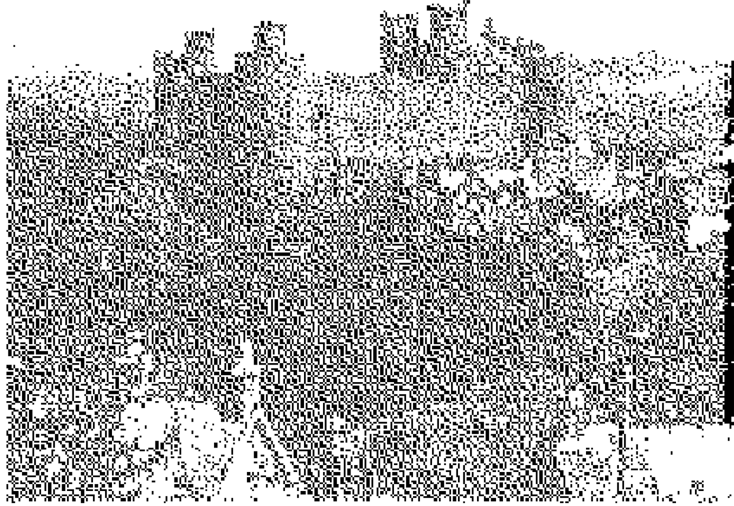
من "ماربل آرش" تمتد أمام ناظريك المساحات الخضراء الجميلة التي تكون حدائق هايد بارك.

شاهدوا لندن أولاً بكل ما في الكلمة من معنى. انتقلوا بواسطة الأتوبيس في رحلاته حول لندن أو استعملوا القطار فهما في متناول يدكم أينما كنتم والتعرف على المحطات سهل للغاية. ولكن بما أنكم لا تستطيعون شراء كل شيء من محل واحد فلا تنتظروا مشاهدة بريطانيا بكاملها

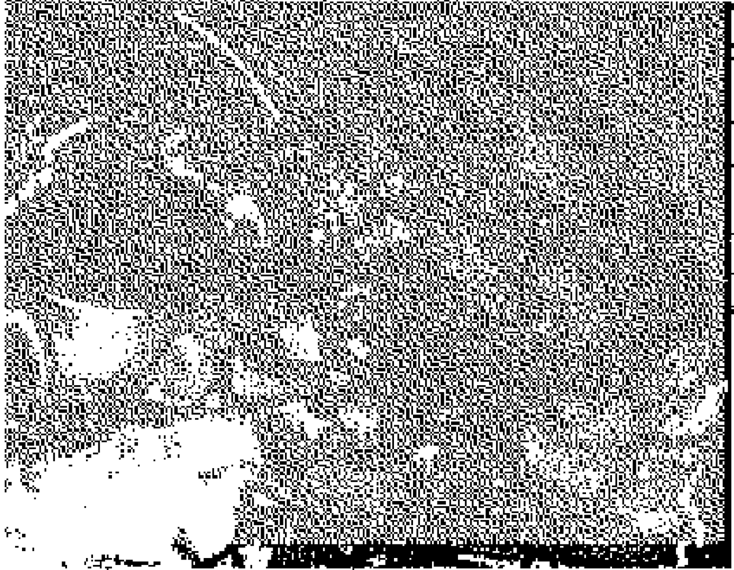

كامبريدج

في لندن. قوموا إذاً برحلة يوم واحد إلى خارج لندن وقارنوا ضجيجها بهدوء جامعات أوكسفورد وكامبردج. اكتشفوا هندسة برايتون التي تعود إلى العهد الوصاية وتمتعوا

بمقاهيها، حاناتها وشوارعها الضيقة التي تثير الفضول.


قصر وارويك

بريطانيا تحتفي بك بأشياء متناقضة تنتظرك يومياً عند كل زاوية: من القصور إلى الحقول الخضراء الغنية


روست بيف

من المحلات التي تبيع الأشياء الأثرية إلى المطاعم الفخمة، ومن الشمس المشرقة إلى الأمطار الناعمة.

منذ اللحظة الأولى التي تأتي بها إلينا لتقريرها برنامجك مع عطلات الخطوط الجوية البريطانية وحتى اللحظة التي تعود بها إلى بيتك سالماً، سنحيطك بعناية أكبر.

الأخطبوط لم يعد مخيفاً؟

ربما تكون حيوانات الاخطبوط اكتسبت سمعة سيئة بسبب الخلط بينها وبين ابناء عمها حيوانات الصبيدج او الحبار التي تلتجىء الى العض بسرعة. غير ان الاخطبوط يحتفظ بمنقاره وسمه لفريسته الطبيعية. وليس من نوع سام للانسان سوى الاخطبوط الصغير المطوق بحلقات زرقاء. وهو يعيش في المياه الاوسترالية ويبلغ معدل حجمه قرابة عشرة سنتيمترات. وقد سبب في السنوات الخمس والعشرين الماضية ثلاث وفيات وست اصابات.

وقد صرحت فاليري تيلور، المصورة الكاتبة التي كانت تلتقط صورا غير متحركة في ميناء هاكنغ بالقرب من سيدني (اوستراليا)، بقولها: "عندما شاهدت اخطبوطا عاديا في مدخل كهف صغير، حاول ابعاد آلة التصوير بنفث الماء عليها ثم حاول دفعها بأذرعه. وقد ركز كل جهده على الكاميرا الصغيرة، وبدا كأنه تجاهل المخلوقة الكبيرة المتعلقة بها". وراحت تداعب الاخطبوط المطوق الازرق بلطف، فوجدت انه يحاول بذل جهده لكي يتجنب الاتصال بالانسان، تماما كما تفعل الانواع الاخرى.

وادركت فاليري تيلور، كأي شخص آخر يألف الاخطبوط، انه ليس بالوحش الرهيب، بل هو مخلوق ذكي متميز، وحتى محبوب الشخصية.

■ **بيتي برات - جونسون**



الرجل المتفائل هو ذاك الذي ينتظر في سيارته، من غير ان يطفىء محركها، عودة زوجته من المخزن المجاور حيث تبتاع حاجياتها. ا.ر.

الازواج: خمسة... خمسة

اعرب الممثل السينمائي الفرنسي الان ديلون عن رأيه في الزواج فقال: "يحتاج الرجل الى خمس نساء: نجمة سينمائية، وربة منزل، وطاهية، ومستمعة مصغية، وممرضة متفانية. وبما ان كل امرأة تحتاج ايضا الى خمسة ازواج: زوج ذكي، وآخر مثقف، وثالث رياضي ورابع ممول ماهر، وزوج شاعر ساحر، فالاوفق ان يتفق الطرفان على الامر منذ البداية".

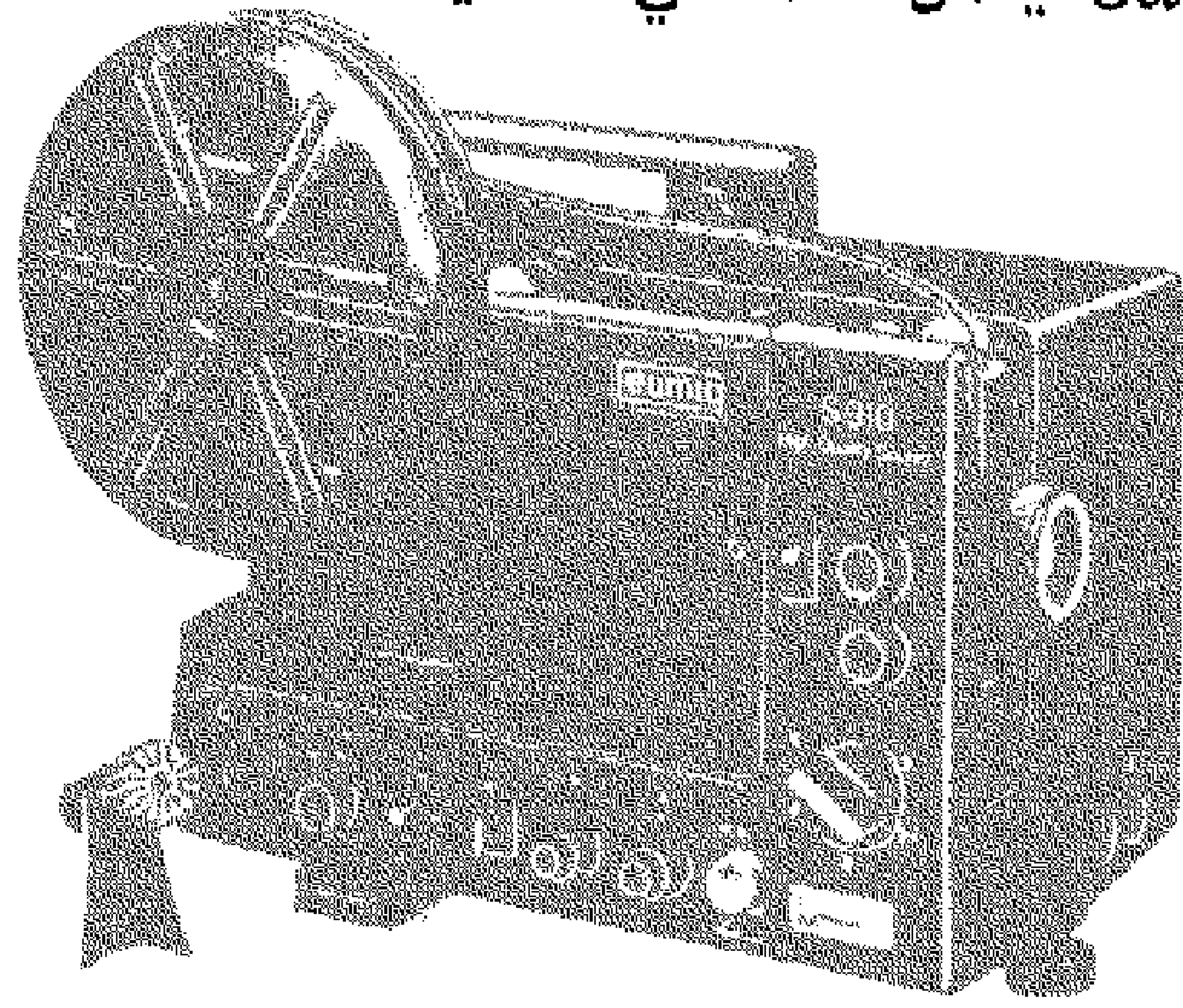
هدية تخطاها الزمن

تسلمت امرأة خطّ شعرها الشيب قطعاً من الملابس الداخلية هدية من زوجها. ومع انها شعرت بالزهو والفرح، الا انها اضطرت الى الاشارة الى ان الملابس صغيرة القياس وينبغي تبديلها. فرد زوجها: "هل سمعتك تقولين ان القياس صغير جدا؟ هذا مستحيل، فقد استشرت قائمة القياسات التي أعطيتنيها". وبكل اطمئنان وثقة بالنفس، اخرج من حقيبته قطعة ورق مهلهلة، كانت قائمة القياسات التي اعطته أياها زوجته بعد زواجهما قبل ٢٧ عاماً!

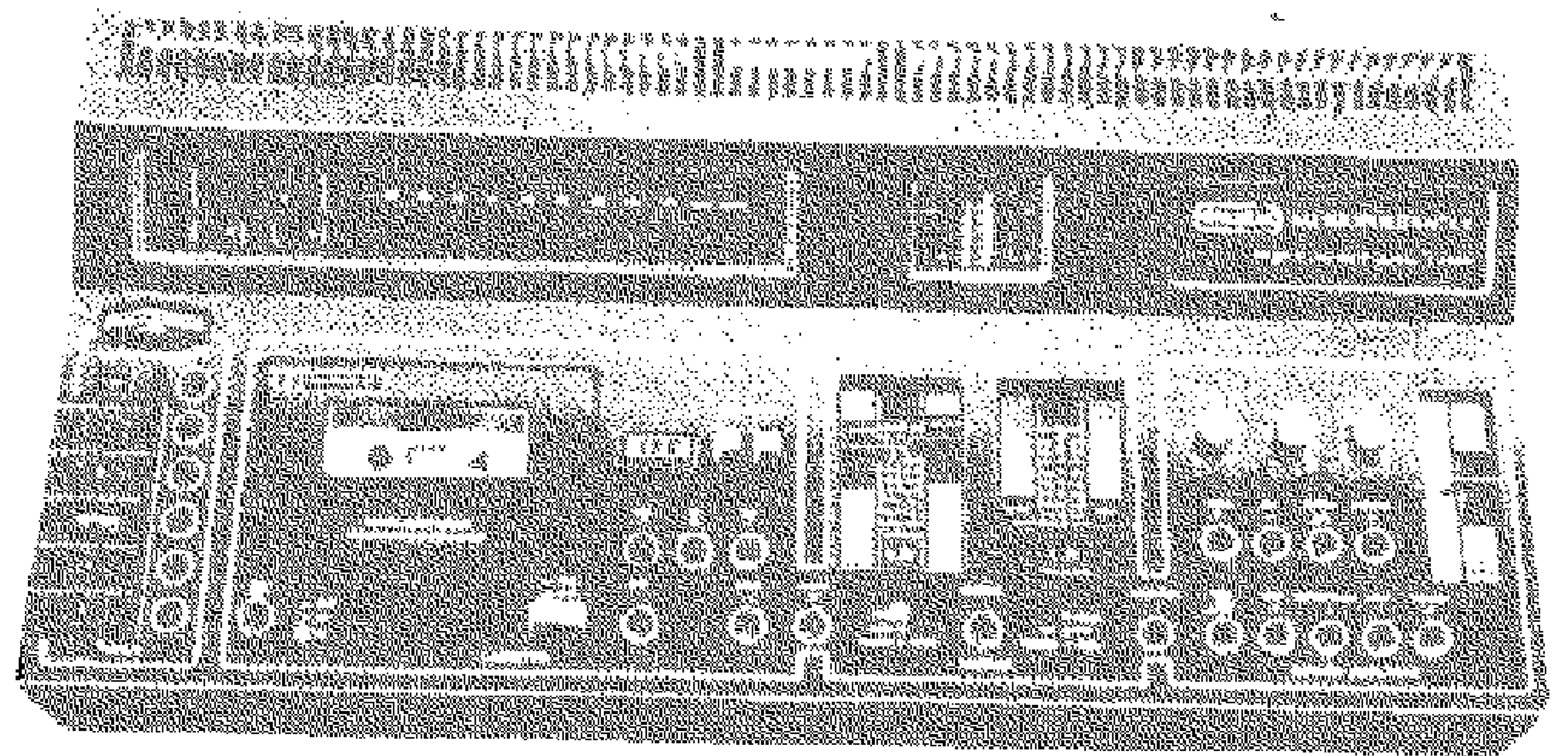
النجاح يولّد النجاح



ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ٠
واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ٠
وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ٠
وانطلاقا من ذلك ، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء



صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ٠
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان *eumig*
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية ٠ فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ٠ وان *eumig*
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان *eumig* مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ٠ ومن
الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ٠
وبأن سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ٠



eumig®

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...

○ عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولاً، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولاراً**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصاً المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

السُّكَّر حُلوهُ مُرّ

تميل الحقائق الى تأييد شكوك كثيرة حول هذا العنصر الغذائي الذي لا يخلو منه أي طعام.

ان انصار السكر يسمونه "الطاقة الفورية" بينما يصفه مناوئوه بانه "سعرات حرارية فارغة". اما بالنسبة الى المستهلك العادي، فالسكر هو غالباً المذاق الطيب المستساغ الذي لا يقبل المقاومة.

ويبدو ان لدى الناس (والحيوانات) ولعاً فطرياً بالحلوى. واذا حقنت مادة السكرين في الرحم ازداد ابتلاع الجنين للسائل الذي يحيط به. كما انه في حال اضطرار الجرذان الى اختيار ما تأكل او تشرب، فأنها تختار الماء المحلى مفضلة اياه على طعام مغذ حتى ولو كان ذلك سيؤدي بها الى سوء تغذية او موت.

وقد وصف السكر في السنوات الاخيرة بانه عدو ينطوي على خطر يهدد الصحة. فهل هو حقاً هكذا؟

أن السكر، كالنشاء، مادة كاربوهيدراتية، أي مؤلفة من كاربون وهيدروجين واوكسيجين. ومن بين اصناف السكر الكثيرة، هناك السكروز (سكر المائدة المصفى من قصب السكر او الشمندر) واللكتوز (سكر الحليب) والفركتوز (سكر الفاكهة) والغلوكوز (سكر الدم) والدكستروز والمالتوز والغلاكتوز.

وكثير من السكر الذي تحويه الاطعمة المستهلكة هذه الأيام "مختبىء" في الاطعمة المصنعة. وان

كنت لا تصدق ذلك فما عليك الا ان تتفحص المعلومات لمذكورة على علب الطعام لترى كم منها يذكر السكر او الذرة كعنصر رئيسي.

حاجة مزعومة - والغذاء الذي يقوم على مثل هذه الاطعمة المصنعة المحلاة بالسكروز كمصدر كاربوهيدراتي رئيسي قد تنقصه المادة والقيمة الاشباعية، فضلا عن عناصر غذائية اساسية موجودة في اطعمة كاربوهيدراتية اخرى كالفاكهة والخضار والحبوب والخبز والمعجنات التي تحتوي على انسجة ليفية وماء وفيتامينات وعناصر معدنية بما فيها من سعرات حرارية. والسكروز المصفى نفسه ما هو الا سعرات حرارية. ويندر ان تحتوي الاطعمة التي يستعمل فيها بكثرة على ما يكفي من العناصر الغذائية الاخرى للرد على العبارة المهينة "سعرات فارغة".

وليس للجسم حاجة فيزيائية الى السكروز لا تمكن تلبيتها من اطعمة اخرى مغذية اكثر. فالجسم يستطيع، مثلا، تحويل النشويات الى سكر، ويستعمل السكر الموجود في الفاكهة والخضار لتوليد الطاقة. حتى ان حاجة الجسم المزعومة الى السكر على انه "طاقة فورية" هي خرافة، اذا استثنينا ما يحدث في حال الصدمة الانسولينية، وهي افراز الجسم البالغ للانسولين الذي ينتج عنه هبوط مفاجىء لمستوى السكر في الدم تعقبه رجفة وعرق بارد وتشنج وغيبوبة.

واذا تناولت شيئا يحتوي على سكر مركز وكانت معدتك خاوية، فان مستوى الغلوكوز في الدم سيرتفع في غضون نصف ساعة، ويتم افراز الانسولين بسرعة لنقل الغلوكوز من الدم الى الكبد وخزنه هناك على شكل غليكوجين او غليسيريدات ثلاثية في مستودعات خزن المواد الدهنية في الجسم. وخلال ممارسة التمارين يستنجد الجسم باحتياطي الغليكوجين (واذا انخفض هذا الاحتياطي، فبالاحماض الدهنية الناجمة عن تحلل الغليسيريدات الثلاثية) لتزويد العضلات بالطاقة اللازمة.

واذا تناولت السكر قبل التمرين فان الجسم يختزنه ببساطة. ولا يساعد السكر في المحافظة على مستوى مرتفع من سكر الدم لتزويد العضلات بالطاقة الا عند تناول قطع صغيرة منه على نحو متقطع خلال تمارين طويلة الأجل. اما بالنسبة الى تأثيرات السكر السلبية المعروفة، فيمكن، على اساس الأدلة المتوافرة، الادلاء عنها بالآتي:

البدانة - ان السعرات الزائدة التي يتناولها المرء هي التي تسبب البدانة، وليس السكر. ولكن بما ان السعرات يمكن ان تكون عالية التركيز في الاطعمة المحلاة بالسكر، فانك قد تتناول من السعرات من مثل تلك الاطعمة ما يزيد على حاجة جسمك قبل ان تشعر بالشبع او حتى قبل ان تدرك مقدار ما استهلكت من الطعام. وما عليك الا مقارنة قيمة الاشباع في كمية من التفاح وزنها نصف كيلوغرام مثلا بقطعة سكر نبات وزنها ٦٠ غراما، وستجد انهما تحتويان على السعرات نفسها على رغم التفاوت الكبير في الوزن.

تسوّس الاسنان - يسرّع السكر

بالتأكيد حدوث تسوس الاسنان. فالبكتيريا الموجودة في الفم تهضم جزيئات السكر الملتصقة على سطح الاسنان. وينتج عن هذه العملية حامض يحفر المينا الواقية للاسنان ويشجع امراض اللثة. وتجدر الاشارة الى ان بقاء السكر على الاسنان وقتا طويلا، وليس مقدار السكر المستهلك، هو الذي يؤدي الى الاصابة بالتسوس. وهكذا فان الحلويات العلكية وحلويات المص والحبوب المحلاة بالكسر او بالعسل هي اكثر ضررا للاسنان من الشراب المحلى او المثلجات. وللتقليل من خطر اصابة الاسنان بالتسوس، يوصي اطباء الاسنان بغسل الفم او تنظيف الاسنان فورا بعد تناول اي طعام او شراب حلو، كما ينصحون بتجنب تناول الحلويات بين وجبة واخرى.

مرض السكر – في حال الاصابة بمرض السكر يقصر" البنكرياس عن انتاج كميات كافية من الانسولين لتطهير الدم من الغلوكوز الزائد على حاجة الجسم. وبناء على ذلك، يطلب من المصابين بالسكر ان يتجنبوا تناول الحلويات حتى لا يرتفع مستوى السكر في الدم الى حد خطر. وهناك بعض دلائك، وان يكن بلا براهين، على ان الاطعمة التي تحتوي على نسبة مرتفعة من السكر ربما تشجع على ظهور مرض السكر على اشخاص يكون لديهم ميل وراثي الى هذا المرض. فقد ظهر في التجارب المخبرية ان الجرذان المعرضة لمرض السكر تصاب به فعلا بعدما تكون قد تناولت اطعمة تحتوي على نسبة عالية من السكر ولكن ليس بعد تناولها اطعمة منخفضة النسبة.

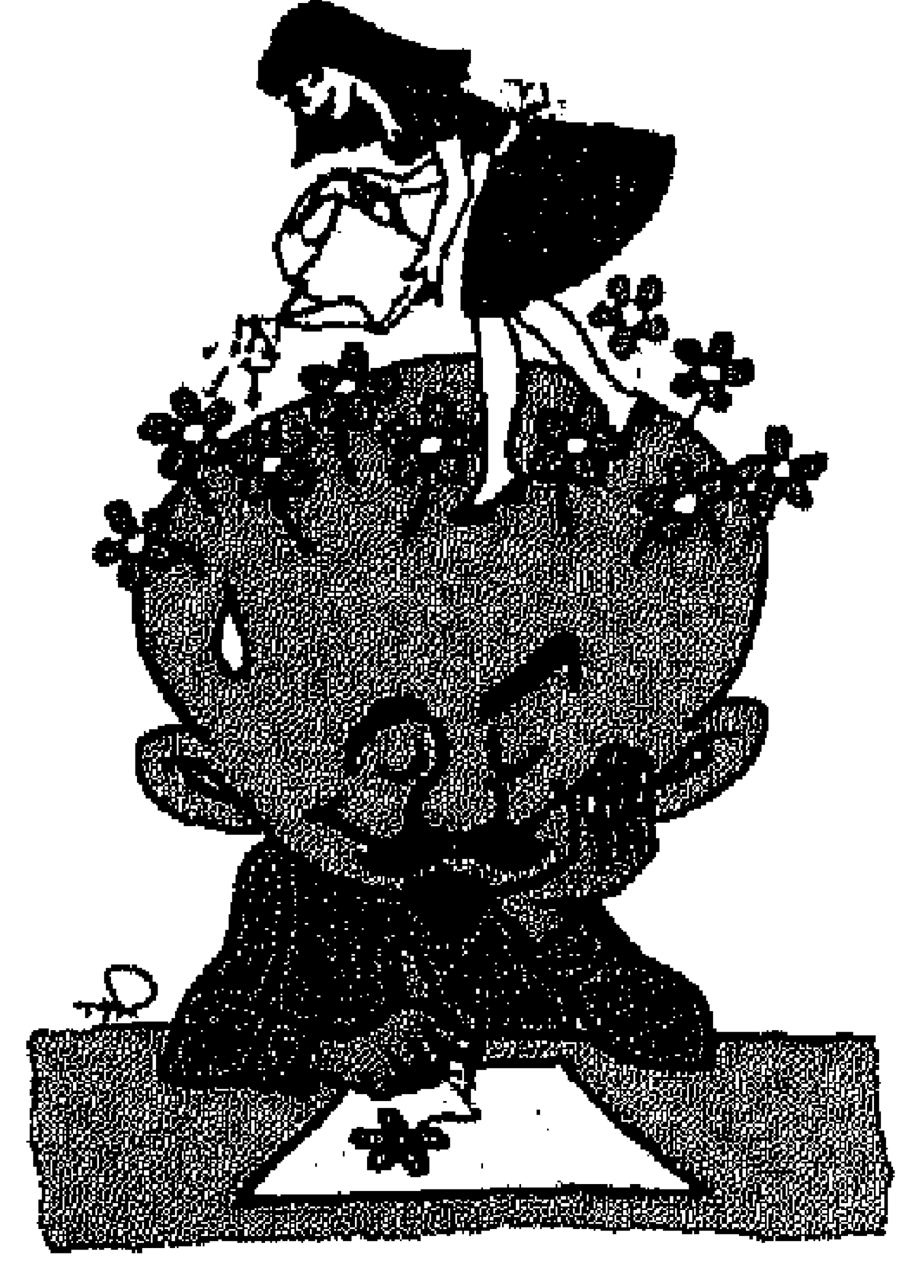
أمراض القلب – ان النظرية القائلة بان الاطعمة الغنية بالمواد السكرية هي سبب مهم من اسباب امراض القلب وتصلب الشرايين لا تلاقي تأييدا بين اوساط الخبراء الذين يقولون ان المواد الدهنية والكوليسترول هي أكثر تسببا في تلك الامراض. ومع ان معظم الاقطار التي تستهلك كميات كبيرة من المواد السكرية تشهد نسبة مرتفعة من الاصابة بامراض القلب، فانها ايضا الاقطار ذاتها التي تستهلك كميات كبيرة من الاطعمة الدهنية الحيوانية والكوليسترول. ونجد في شتى انحاء العالم ان العلاقة بين تناول المواد الدهنية وامراض القلب علاقة اقوى كثيرا. وفضلا عن ذلك، فان الطعام الغني بالمواد السكرية لم يسبب امراضا قلبية في الحيوانات التي اجريت عليها التجارب في المختبرات. غير ان الاطعمة الغنية بالدهون او الكوليسترول تسبب امراضا من ذاك القبيل.

فما هي الحقيقة عن السكر اذا؟

ان الطعام الغني بالمواد السكرية قد لا يكون ذا علاقة بامراض القلب وقد يشجع أو لا يشجع على الاصابة بداء السكر. لكن مثل ذلك الطعام يمكن ان يؤدي الى البدانة والمتاعب المتعلقة بها، ويساعد بالتأكيد على حدوث تسوس الاسنان.

ومجمل القول انه لا يوجد الكثير الذي يمكن الادلاء به امتداحا للانواع المصفاة من السكر، وانما هناك حجة قوية ضدها.

■ جين أ. برودي



حديقة افكار

- الصديق الحميم هو الذي يعضدك ان انت أخطأت ، فكل الناس تقريبا يساندونك اذا كنت على صواب ٠

مارك توين

- الماء الذي يقع تحت ملمسك في النهر الجاري، هو مؤخر الماء الذي عبر وطليعة الماء الذي سيعبر ، كذلك الامر مع الزمن الحاضر ٠

ليوناردو دافنشي

- شعبية الكلاب نابعة من اعتقاد الانسان بانه سيد كلبه٠

الدوس هكسلي

- ينبغي ان تتبسط الاشياء بمقدار المستطاع ، ولكن ليس أكثر تبسيطا من ذلك٠

البرت اينشتين

- الحقيقة رمادية اللون٠

اندريه جيد

- ليست محبة العالم هي المهمة الشاقة، بل ان اساس المشكلة هو ذلك الجار المسكين الواقف عند عتبة الدار٠

("التايمس" النقابي)

- الصمت جواب بارع لا يطاق٠

ج٠ك٠ تشسترتون

- الرجل الحر، في الواقع هو الذي يعرف كيف يرفض الدعوة الى وليمة عشاء من دون ابداء اي عذر٠

جول رينار

- اذا شئت ان تعرف ما لا يعرفه الآخرون، فاقرأ ما قرأ الغير بعد مضي سنة واحدة٠

رالف والدو اميرسون



كيف تكون سَيّد نفسك !

هل انت خجول؟
اذا كنت هكذا فانك لم تولد خجولا ، بل اكتسبت الخجل في مرحلة من حياتك. وفي امكانك التغلب على هذه النقيصة حين تكتشف العلاج داخل ذاتك وتتحرر من سلطان الآخرين.

السَيطرة على الخجَـــل

هنا مقابلـة مـع الدكتـور زيمبـاردو، استـاذ علـم النفـس الاجتماعـي فـي جامعـة ستانفورد (كاليفورنيا)، والذي صدر له اخيرا كتاب بعنوان: "الخجل، ما هو وماذا تفعل في شأنه؟".

س : ما هو الخجل يا استاذ زيمباردو؟

ج : الخجل هو انكماش عن الاتصال بالناس، وينجـم عـادة عـن شعـور بنقص او خوف من مجازفة. وهو قوة عازلة تمنعنا عن ادراك ما لدينا من امكانات وقدرات كامنة وعن التمتع برفقة اشخاص آخرين.

ومن بيـن الشخصيـات المرموقـة الذين وصفوا انفسهم في وقت من حياتهم بانهـم خجولـون، الرئيـس الامريكـي جيمـي كارتـر وعقيلتـه والامير تشارلز ولـي عهـد بريطانيـا وكاتريـن دينـوف نجمـة السينمـا، وكثيرون من ذوي الشهرة الذين لا يظهر انهم خجولون، ومع ذلك فانهم يختبرون المعاناة من الخجل.

س : هل يولد المرء خجولا؟

ج : ان الخجـل ينشـأ مـن معـانـاة

CONDENSED FROM U S NEWS & WORLD REPORT (OCTOBER 9 '78) 1978 BY U S NEWS & WORLD REPORT INC 2300 N ST N Y WASHINGTON D C 20037

نختبرها في المنزل والمدرسة وعند الاختلاط مع اندادنا. وقد اظهرت البحوث التي عكفنا على اجرائها في السنوات الست الماضية ان ربع الاشخاص الخجولين وهم في سن الرشد لم يكونوا خجولين في سني الحداثة. ومن ناحية اخرى، فان نسبة لا بأس بها من الاشخاص الذين كانوا خجولين في حداثتهم يتوقفون عن الخجل في مرحلة ما من حياتهم اللاحقة.

س : هل الخجل بالضرورة خصلة سيئة؟

ج : ان الخجل قد يجعل بعض الناس اكثر استراقة وجاذبية للآخرين. وما يبدونه من تواضع وتحفظ يساهم في جعلهم مستمعين جيدي الاصغاء ولا يحتكرون اضواء المسرح! وقد درسنا ما يزيد على ٧٠٠ حالة، لم يصنف سوى عدد قليل منها الخجل كخصلة ايجابية. غير ان اكثر من ٧٥ في المئة يقولون ان الخجل في تصرفاتهم خصلة سلبية.

فالخجل يجعل الالتقاء باناس جدد لتكوين صداقات امرا عسيرا. وهو يمنع فردا من الافصاح عما يريد والتعبير عما يدور في خلده وما يتمسك به من قيم. ومن غير المرجح ان يقوى الخجولون على الاتصال الفعال بالآخرين او توجيه انتقاد سليم له ما يبرره، خصوصا اذا كان الخجولون من المديرين والمعلمين.

والانسان الخجول لا يظهر ذاته بافضل وجه ممكن، لان الخجل يميل الى تشجيع الشعور بالذات على حساب الاهتمام بالآخرين والاتصال بهم. ويمكن ان يؤدي الخجل في الحالات القصوى الى شعور بالكآبة والخوف والوحدة. ويواجه الخجولون مصاعب في المواقف الحميمة. لذلك ليس غريبا ان يكون الخجل مصدرا للعجز والفتور.

س : ما هو السبب الاساسي للخجل؟

ج : يكمن في صلب المسألة قلق فائق يتعلق بناحية السلامة والاطمئنان والانسجام مع ما هو معروف ومألوف لدى المرء بدلا من المجازفة في تجربة امر غير مؤكد. والناس الخجولون يضيعون الكثير من جراء عدم التجربة والاختبار في الحياة ومن خلال سماحهم لاناس آخرين واوضاع اخرى بالتحكم بما يبدونه من ردود فعل.

انني اعرف طلابا خجولين في الكليات لا يقوون على توجيه سؤال الى رقيب مكتبة المراجع او الاستفسار منه عن امر. وبدلا من ذلك يقضون ساعات هائمين في ارجاء المكتبة من دون ان يحصلوا على ما يبتغون. وفي حال كونهم فقراء، فان الخجولين لا يلجأون حتى الى الافادة من المعونات الطبية والاجتماعية والضمانات المتوافرة. وقد يبلغ الخجل ببعضهم حدا يمنعهم حتى من الحصول على مشورة اختصاصي عندما يكونون في امس الحاجة اليها.

س : وما الذي يمكن فعله لمساعدة الخجولين؟

ج : ثمة امور كثيرة ممكنة. فالخجولون يشعرون بقلق متواصل من ان الناس ربما ينظرون اليهم باعتبارات سلبية. وتغدو حياتهم كلها مسرحية يتخيلون ان دور الآخرين فيها تقويم اوضاعهم باستمرار. لذلك فهم لا يستطيعون

الشعور براحة واطمئنان مع اولئك الذين يبدون لهم "قضاة" ناقدين.

وهكذا ينبغي على الآباء والامهات ان يبدأوا في مرحلة مبكرة باعطاء الطفل انطباعا بانه محبوب لدى والديه من دون قيد او شرط. وينبغي عدم السماح كليا بمرور الطفل في حال يشعر معها بان قيمته الذاتية انما تقوم على اساس مصادقة المجتمع على ما يفعل او على اساس اداء آني. بل ينبغي تلقينه بوضوح وجلاء ان الانسان، فتى كان ام شيخا، له قيمة ذاتية مستقلة تمام الاستقلال عما يحققه من منجزات وعما لديه من رصيد في المصارف او ما هو عليه من اناقة المظهر.

س : وماذا عن المصاعب التي يواجهها الخجولون خلال ممارستهم اعمالهم؟

ج : ينزع الخجولون الى كونهم اقل اكتفاء ورضى واضعف معنويات في بيئة عملهم عما هي الحال بالنسبة الى غير الخجولين. فهم يشعرون بان مساهماتهم لا تلاقي تقديرا وان عملية منح الجوائز تتجاوزهم. ويتقاعسون اكثر من اندادهم غير الخجولين عن اعلام رؤسائهم بما هم فاعلون. ويبدو ان احدا لا يلاحظ العامل الذي يجيد اداء عمله في مؤسسة كبيرة، فيكون بالضرورة شخصا مجهولا.

غير ان هذا الشخص لا يريد ان يكون مجهولا بل مرموقا.

س : هل في امكان الخجولين تقويم هذه الحال من تلقاء انفسهم؟

ج : اذا كانت المشكلة متأصلة فعليهم البحث عن عون من اختصاصي. ولكن تمكن مساعدة الكثيرين من خلال جعلهم يعلنون جهرا التزامهم بالتخلص من الخجل. ولعل أهم ما ينبغي ان يتعلموا من امور هو معرفة مجموعة من الاصول والامكانات حول طريقة التقرب من الآخرين والاتصال بهم.

وعلى الخجول ان يركز تفكيره على طرق استجابته لعبارات الثناء والمدح، وطرق بدء محادثة وابقائها مستمرة ثم انهائها. وفي امكان الخجولين ان يبدأوا بامور "مخيفة"، مثل المباشرة بقول: "مرحبا" لثلاثة غرباء، وبعدئذ البناء على ذلك. وعليهم ان يتعلموا كيف يسيطرون على مخاوفهم ويتصورون عواقب حميدة بدلا من حالات مرعبة. ويمكنهم التركيز على الاتصال مع من يتحدثون اليهم عن طريق النظر، ويستطيعون كذلك تقمص شخصية المستمع المنتبه مع ابتسامة وايماءة بالموافقة والظهور بمظهر المهتم بالحديث.

ومن الممكن تقوية الاعتزاز بالذات من خلال صيغة او معادلة بسيطة هي: امتنع عن قول امور سلبية عن نفسك وفكر، بدلا من ذلك، في تقويم ما تظن انه خطأ لكي تخطو الى الامام بثقة وثبات.

س : يتضح انك تشعر بان التغلب على الخجل مسألة مهمة!

ج : التغلب على الخجل غاية في الاهمية بالنسبة الى الفرد الخجول والمجتمع على السواء. فان لم يتمكن الناس من الاتصال بعضهم ببعض على نحو سليم فسيكونون خاسرين، في تجارتهم واعمالهم وحبهم وحياتهم.

كيف تكون سَيّد نفسك ؟ (٢)

التحرُّر مِن الآخرين

لمعاملة الناس لك تأثير كبير عليك، فقد تتسم مواقفهم تجاهك بالجودة او السوء، على نحو يجعل اعادة تقييم سلوكك تجاههم، الخطوة الاولى نحو النجاح في علاقاتك الاجتماعية. فهل تشعر بأنك مهضوم الحق ومغبون؟ فكّر اذاً في الارشادات الآتية من أجل التوصل الى سلوك بناء يرضي الذات

كيف يعاملك الناس؟ هل يسخرونك كوسيلة ويسيئون معاملتك على نحو متكرر؟ وهل تجد الآخرين يستغلونك او لا يحترمونك كفرد؟ وهل يضعون الخطط من دون استشارتك ويفترضون انك ستقبل بما يخططون؟ وهل تجد نفسك تتولى ادوارا لا تستسيغها لان كل شخص آخر في حياتك يتوقع منك ان تتصرف كما تتصرف؟

هذه بعض من التحسرات التي سمعت انينها من زبائن واصدقاء يشعرون بانهم مغبونون على نطاق هائل. اما رد الفعل الذي ابديه في هذا الصدد فلم يتغير عموما، وهو "انك تعامَل كما تعلّم الناس ان يعاملوك".

زارتني احدى السيدات طلبا للمشورة لانها شعرت بان زوجها المحب للسيطرة قد هيمن عليها بصورة فظة قاسية. وتذمرت مما تلقاه من سوء معاملة نتيجة الفاظه النابية وما يتبعه من اساليب لاستغلالها، فضلا عن ان اطفالها الثلاثة لا يظهرون لها كثيرا من الاحترام. وقد وصلت بها الحال الى حد اليأس.

وبينما كانت تقص علي حكاية ماضيها، سمعت بحالة طبق الاصل عن سيدة اخرى سمحت بان يهضم حقها منذ نعومة اظفارها. فوالدها المهيمن النزعة رصد سلوكها منذ السنوات الاولى من حياتها خلال مرحلة تكوين شخصيتها، وظل يلاحق تحركاتها حتى وقت زواجها. و"صدف" ان زوجها كان على غرار والدها. وهكذا

انتقل بها الزواج الى حال من الغبن شبيهة بما كانت عليه.

الحل في الداخل - وبعدئذ اشرت اليها بانها هي التي علمت الاخرين بكل دقة ان يعاملوها بتلك الطريقة، وان الخطأ لم يكن خطأهم اطلاقا. فأدركت بسرعة انها هضمت حقها بقبولها الاهانة طوال تلك السنوات، وان مسؤوليتها الان هي البحث في قرارة نفسها للعثور على حلول للمشاكل التي تعانيها بدلا من البحث عن تلك الحلول في مكان آخر. وقد ساعدتها المشورة على معرفة سبل تجعل الاخرين يعاملونها بطريقة مختلفة.

وتم توجيه سلوك تلك السيدة لكي تبين لزوجها واطفالها انه ينبغي عليهم عدم اخذها كشيء مفروغ منه. وكان من أحب التصرفات الى قلب زوجها ان يغضب ويستاء منها، خصوصا في حضور اطفالهما او اشخاص من خارج المنزل. وكانت ترتعد دائما من حدوث ذلك لانها لم تشأ خلق مهاترات وعراك. وأصبحت مهمتها الاولى الدفاع عن مصلحتها ضد زوجها بصوت مرتفع النبرة، وبعدئذ تغادر الغرفة. وكان عليها، اذا لم يظهر ابناؤها احتراما لها، ان تصر بحزم على احترامها.

وبعد مرور بضعة اشهر على ممارستها هذا النوع من التصرف المجدي، بدت مغمورة بالسعادة عندما افادت بان افراد عائلتها اخذوا يعاملونها باحترام وبطريقة مختلفة. وادركت على نحو مباشر ان الناس يعاملونها كما تعلمهم هي كيف يعاملونها. اما الان، وبعد انقضاء ثلاث سنوات، فانها يندر ان تقابل بازدراء او شتيمة.

التعليم عن طريق السلوك - وتعلمت تلك السيدة ايضا كيف تسير الامور بنفسها. وينبغي على المرء ان يعلم الناس ليس بالكلام بل بالسلوك. فاذا حاول المرء تبليغ آرائه عن الغبن او عدمه من خلال مناقشات مسهبة مستفيضة، كانت النتائج الوحيدة الكلام الذي يدور بينه وبين من يغبنونه الحق. وقد يكون هناك اتصال بين االشخص وكل شخص آخر. ولكن الى ان يتعلم كيف يتصرف بطريقة مجدية، فانه سيبقى رهن الاستغلال. والطريقة التي يتصرف بها المرء ليبين تصميمه وعزمه تساوي أكثر من مليون كلمة مهما قويت بلاغتها وفصاحة بيانها.

ويفترض كثيرون ان كون الشخص شديد الاصرار والالحاح يعني كونه غير مستحب او انه يتعمد الاساءة. لكن ذلك ليس الواقع، وانما يعني اعلانه جهرا لحقوقه او لموقفه غير المغبون.

وهناك شخص آخر ممن يرتادون عيادتي طلبا للمشورة. وقد كان دائما وديع المعاملة مع الباعة في المتاجر. وكثيرا ما اشترى اشياء لم يكن يريد شراءها لانه كان يخشى الاساءة الى شعور الموظفين. وبينما كان يتهيأ لاتخاذ الاصرار والالحاح منهجا، حدث ان توجه لشراء حذاء. وبعدما عرض عليه بائع الاحذية زوجا من الاحذية اعجبه، قال انه سيشتري ذلك الزوج. وعندما كان البائع يضع الحذاءين الجديدين في علبة، لاحظ الشاب خدشا في احدهما. وعندئذ كبت ما

في نفسه من نزعة لتجاهل الخدش، وجمع كل جرأته وقال للبائع: "اعطني من فضلك زوجا آخر لان في احد هذين الحذاءين خدشا".

وعندما رد البائع على ذلك الطلب بقوله: "حاضر يا سيدي"، اصبحت تلك اللحظة لحظة تحول في حياة ذلك الشاب الذي بدأ ينتهج الالحاح في تصرفه حيث كانت المكافآت اكثر من مجرد الحصول على زوج من الاحذية غير المخدوشة! واخذ مديره وزوجته واطفاله واصدقاؤه جميعا يتحدثون عن شخص مختلف تماما، لا يسلم بكل ما يحدث. وهو بذلك لم يحصل على ما كان يبتغي في معظم الاحوال فحسب، بل اكتسب ايضا مقدارا كبيرا من الاحترام.

سبع نصائح – وفي ما يأتي بعض الاساليب التي يمكنك اتباعها لكي تعلم الاخرين كيف تريد ان يعاملوك.

١ – مارس، الى ابعد حد ممكن، ابداء رد الفعل بالسلوك لا بالكلام. فاذا تخلى احد من افراد عائلتك عن مسؤولياته وكان جوابك التذمر المألوف الذي يتبعه قيامك انت بالعمل بدلا منه، فان عليك اتخاذ اجراء ما في المرة المقبلة. فاذا كان المفروض ان يتولى ابنك تفريغ سلة القمامة ولكنه ينسى او يتناسى باستمرار، فما عليك الا تذكيره بمسؤوليته مرة واحدة فقط. واذا اغفل ذلك فحدد له موعدا نهائيا. واذا تجاهل الموعد النهائي، فان تفريغ القمامة على سريره (بكل تؤدة وهدوء) مرة واحدة سيؤدي، اكثر من اي كلمات، الى تعليمه انك تقصد ما تقول.

٢ – ارفض تنفيذ امور تكرهها، خصوصا عندما لا تشكل جزءا من مسؤولياتك. توقف عن الاعمال المنزلية مدة اسبوعين وراقب ما يحدث بعدئذ. استأجر شخصا ليقوم بالعمل اذا استطعت الى ذلك سبيلا، او درب افراد العائلة على الاعتناء بانفسهم. والحقيقة ان المرء ينجز اعمالا مهينة لانه يكون قد عوّد الاخرين على انه سينجزها من دون اي تذمر.

٣ – اتبع السلوك الذي يتسم بالالحاح وكثرة الاصرار حتى في الاماكن التي يبدو فيها سلوك من هذا القبيل سخيفا. ناقش الخدم والباعة والغرباء والكتبة وسائقي سيارات الاجرة، ورد على الثقيلي الظل.

٤ – توقف عن استعمال العبارات التي تكون بمثابة دعوة للاخرين لكي يغبنوك ويهضموا حقك. وهذه العبارات مثل: "انا لست مهما جدا"، او "انا لست بارعا"، او "لن استطيع فهم المسائل القانونية اطلاقا". فهي بمثابة رخصة للاخرين حتى يستغلوك.

عندما تواجه متبرما او متطفلا او كثير نقاش او متبجحا او ثقيل ظل او من يماثلونهم من هاضمي حقوق الاخرين، فعليك بوصف تصرفاتهم بعبارات مثل: "لقد قاطعتني لتوك"، او "انك تتذمر من امور لن تتغير اطلاقا". فمثل هذا الاسلوب وسيلة ممتازة تجعل الناس يدركون اسلوبهم المجافي. وكلما ازداد هدوؤك وصراحتك في توجيه ملاحظاتك وآرائك الى صلب الموضوع، تضاءل الوقت الذي تقضيه في مقعد التضحية.

٥ - عود الاخرين على ان يدركوا ان لك الحق في الحفاظ على وقت تفعل فيه ما يروقك من اعمال او هوايات٠ واصر على فترة استراحة من العمل في مكتب او مطبخ كثير الشغل٠ واعتبر استرخاءك واستجمامك غاية في الاهمية، ولا تسمح للاخرين مطلقا المساس بمثل ذلك الوقت٠

٦ - قل: "لا"٠ ان هذه واحدة من افضل الكلمات لتعليم الاخرين٠ وانس التردد والارتياب اللذين يعطيان الاخرين مجالا لاساءة فهمك٠ فالناس يحترمون "لا" حازمة أكثر من احترامهم التصرف المتردد الذي تبغي من ورائه اخفاء مشاعرك الحقيقية٠ ناهيك بان احترامك لنفسك سيقوى ايضا٠

٧ - لا تدع الاخرين يحملونك على تأنيب الضمير من جراء تصرفك الجديد المتسم بشدة الاصرار والالحاح٠ وقاوم اللجوء الى الشعور بالارتباك اذا نظر احدهم اليك نظرة جارحة او اذا التمس منك امرا او قدم اليك هدية او رد عليك بغضب٠ والناس الذين عودتهم هضم حقك سابقا ليسوا في وضع يمكنهم عموما من معرفة طريقة التصرف تجاه شخصيتك الجديدة التي لم يألفوها٠ الا انه ينبغي عليك ان تقف موقفا حازما في مثل هذا الظرف٠

وتذكر انك تلاقي معاملة بالطريقة التي تعلّم الناس ان يعاملوك بها٠ فاذا اتخذت من هذه العبارة دليلا في حياتك، فانك ستكون في الطريق نحو البدء بتوجيه الامور على النحو الذي تشاء٠

■ واين و٠ داير



علق صاحب حانوت للخضر في شارع المفتار في باريس، اشعارا فوق كمية الخس المعروضة ينذر به النساء المشتريات: كل "لمسة خسة" تجيز المعاملة بالمثل لصاحب الحانوت٠

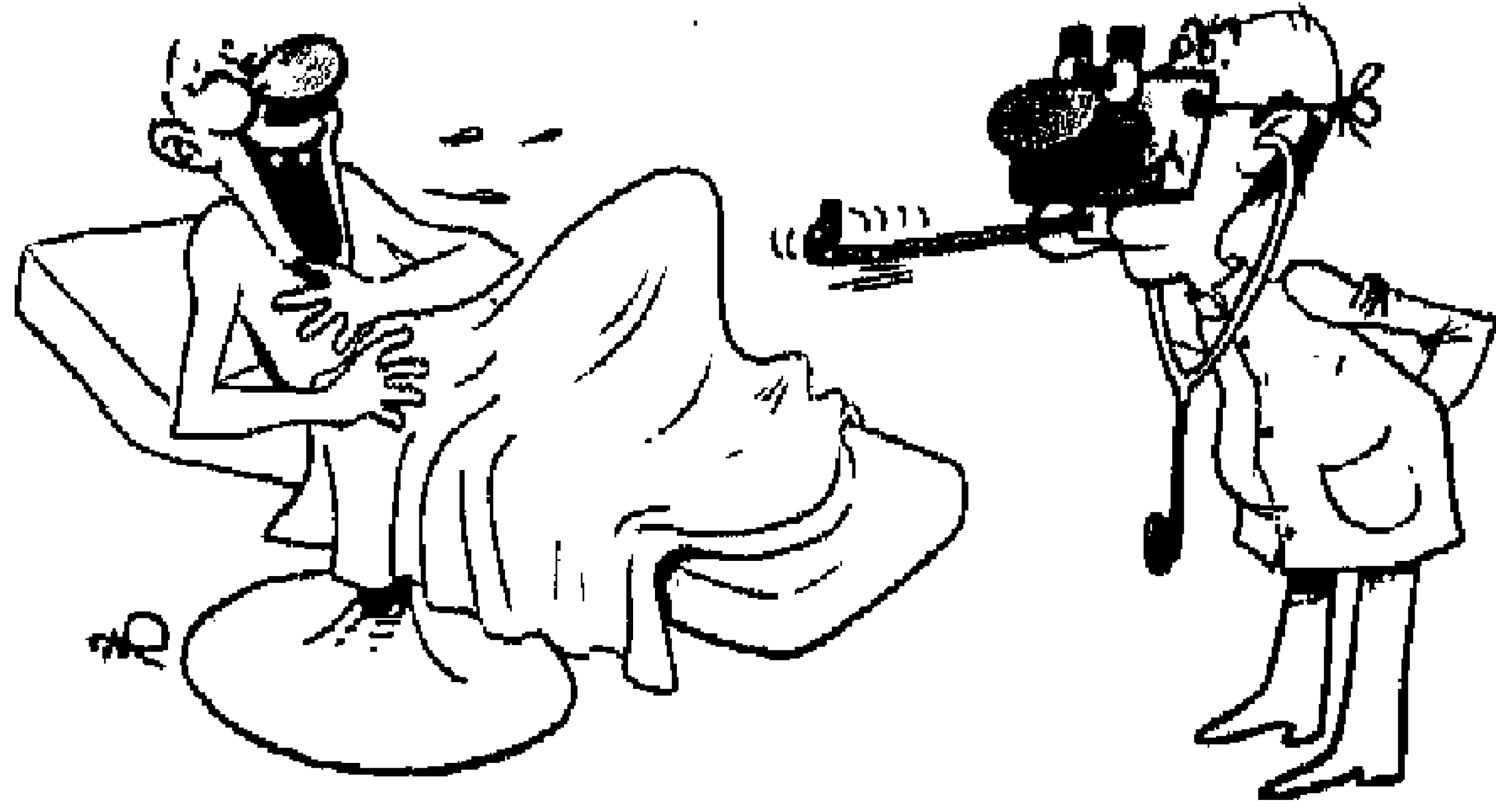
("جورنال دوديمانش" - فرنسا)

العاديون والطبيعيون

يقول هارولد بنتر كاتب الروايات المدهشة والمحيرة: "كتبت الي امرأة ذات مرة تقول: "سيدي الفاضل، سأكون ممتنة ان انت اوضحت لي، في روايتك "حفلة عيد الميلاد"، من هما الرجلان الاثنان؟ ما هو اصل ستانلي؟ من اي بلد او دولة هو؟ هل كان المفروض ان يكونوا كلهم عاديين وطبيعيين؟ انك ستدرك ان عدم اجابتك عن هذه الاسئلة سيجعلني عاجزة عن فهم روايتك"٠

فاجاب بنتر: "سيدتي الفاضلة، سأكون ممتنا جدا اذا تفضلت واوضحت لي، من انت، من اي بلد، وهل المفروض ان تكوني طبيعية؟ انك ستقدرين بدورك انه من دون الاجابة عن هذه الاسئلة سيتعذر علي فهم رسالتك تمام الفهم"٠

الضحك خير دواء



تجارة ام شطارة؟

اتهم شاب بسرقة مخزن بضائع، فطلب الى احد المحامين ان يدافع عنه، فقال له المحامي، "اقبل ان ادافع عنك بشرطين: الاول،ان تكون بريئا، والثاني ان تدفع لي ٤٠٠ دولار".

ففكر المتهم قليلا ثم اجاب: "هل ترضى ان ادفع لك ٥٠ دولارا نقدا وفي مقابل الباقي كمية من البضاعة؟"

ج.د.

نكتة اسكوتلندية

في مستهل عهد الطيران في اسكوتلندا حاول احد الطيارين البارعين في الحركات البهلوانية الجوية ان يبيع رحلات صغيرة علىمتن طائرته الوحيدة المحرك. وذات يوم اقبل عليه مزارع عجوز والح عليه ان يصطحبه هو وزوجته في الرحلة من غير كلفة اضافية. فنفد صبر الطيار وقال للمزارع العجوز: "اسمع! سآخذكما معا بسعر راكب واحد بشرط الا تتفوها انت وزوجتك بكلمة واحدة طوال الرحلة، والا فانني اضاعف السعر".

وقبل الرهان، وصعد الجميع الى الطائرة، ولم تلبث ان اقلعت، وراح الطيار يقوم بمناورات بهلوانية متتابعة من دون ان تصدر كلمة واحدة من الراكبين، ثم اعياه التعب وحط بالطائرة.

وعندما هم المزارع العجوز بالنزول، قال له الطيار، : "لقد قمت بمناورات كثيرة كادت ان تخيفني انا، ومع ذلك بقيت صامتا. انك في الحقيقة رجل لا يهاب الاخطار"...

فأجاب الاسكوتلندي: "اشكرك يا سيدي، على حسن ظنك بي، وانما اود ان اصارحك بانك كدت ان تخيفني مرة واحدة".

فقاطعه الطيار: ومتى كان ذلك؟

"فاجابه العجوز: عندما هوت زوجتي من الطائرة".

الحق على العمر

التقت نجمتان سينمائيتان وقد تقدم بهما العمر واخذتا تتبادلان اطراف الحديث حول حياتهما المسلكية، فقالت الاولى:

"اتذكر الفيلم الذي مثلته عام ١٩٢٨، ولكنني لم اشاهد فيلمك السابق، فقد كنت آنذاك في روضة الاطفال".

فردت الممثلة الثانية: "اصحيح ما تقولين؟ لم اكن ادري انك كنت معلمة في رياض الاطفال".

("نبراسكا سموك ايتر")

على طريقة الارانب

في رحلة قنص في افريقيا، سأل احدهم الدليل المحلي: "كيف يمكن اتقاء هجوم الوحوش في الليل؟"

فاجاب: "الامر بسيط. عليك ان تحمل مشعلا مضاء".

– وهل ذلك مجد حقا؟

☐ هذا يتوقف على سرعة انطلاقك به".

ك.ك.

الحُبُّ الأعمَى
والحُبُّ المُبْصِر

ان العثور على حب حقيقي يعني التخلي عن توقعات عاطفية غالبا ما تكون غير واقعية، كما يقول هذا العالم النفسي البارز.

يفضي انهيار الحب سواء أكان فجائيا او متباطئاً، الى جيشان الزوجين عاطفياً. وقد يرتدّ احدهما متأثراً من جرح مشاعره وغضبه وخيبة امله، فيقول كلمات يفترض أنها ستفصم اواصر العلاقة بينهما: "لم أعد أحبك". ولكن خلافاً للاعتقاد الشائع وأقوال الشعراء الخالدة، ففي امكان هذه الكلمات ان تؤذن بتباشير عروة وثقى فيها الألفة والصداقة الحميمة.

انا لست عدوا للحب الرومنطيقي الذي يجعلنا جميعا نحس بالغبطة، سيان في التعبير عنه او في تلقيه من الآخرين. لكن هذا الحب غالبا ما يكون سريع الزوال وفارغا، خصوصا اذا شفع بآمال يتعذر تحقيقها. والزوجان اللذان يسعيان وراء هذه الاطياف لا يعثران في نهاية المطاف احدهما على الآخر كما يحصل للعشاق في رواية روسية. بل ان الحب الرومنطيقي الذي غالبا ما تكون حلاوته مشوبة بالمرارة وسعيه بلا ثمار، قد يشوش المعنى الحقيقي للعناية والاهتمام. والاسباب في ذلك هي كالآتي:

"الحب" غير واقعي – ان المشهد الضبابي المألوف لعاشقين اشتبكت يداهما وهما يسيران على شاطىء البحر وقت مغيب الشمس يعبر عن مثالية الرومنطيقيين. على ان الناس لا يعيشون على هذا المنوال الا خلال الاجازات. بل انهم يجدون انفسهم في حيز ضيق يلاحظون فيه عن كثب البثور والتجعدات والتهدل في وجوههم. ولهذا فان الرؤيا الرومنطيقية تقصي ما بين الحبيبين الى مسافة ابعد ما داما يحاولان معانقة السراب بدلا من الشخص الحقيقي، ولكي يتمتع المرء بالشيء

الحقيقي، عليه هجر الاحلام.

ان ايجاد حب حقيقي يعني التخلي عن هالة الغموض التي تحيط بالحب الرومنطيقي. والسؤال المهم هو الآتي: "ما هي المزايا التي تسر كل واحد منكما في الشخص الآخر؟" تمسك بهذه المزايا واجعلها قاعدة للعلاقة بينمكما. ذلك لأن العيش في الواقع الحاضر من شأنه ان يجود بالمسرات. عندئذ يقوم الحب على حقائق معلومة وتصبح المودة والعناية والمشاركة جزءا من الاهتمامات الوثيقة المتبادلة.

الحب يتوقع عوائد مبالغاً فيها – قد يدفع الحب، عن عمد او غير عمد، شريك الحياة الى مطالبة شريكه بمتطلبات خطيرة. فرب فتى يحب فتاته ولا يستطيع ان يفهم لماذا تريد الابتعاد عنه. اما هي فتقول: "لم لا يتركني وشأني؟ انا لا استطيع فعل شيء من دون ان يلازمني. واذا كنت لا اشاركه المشاعر نفسها، فان ذلك يولد لدي شعورا بالذنب".

وينبغي على الزوجين ان يؤمنا متسعا لحرية التنفس والا اختنقت علاقتهما. والاهتمام بالشخص الآخر يتجلى في المرونة، لا في الشد والتعنت، لان ثمة توازنا لا ينكر في العيش معا اشبه ما يكون بتأرجح النواسة بين صعود وهبوط. والفرد لا يمكنه ان يتأرجح وحده لاحداث هذا التوازن. لا بل ان الأخذ والعطاء هما الحركة المساعدة على استمرار العلاقة. ولا شك في ان شعور المرء بانه يحظى بمكانة خاصة واعتبار مهم في نظر شريكه هو ما يتمناه معظم البشر. اما النزوع الى الاستئثار وتملك الشخص الآخر الى حد الهوس والجنون انما يسفر عن خذلان الذات.

الحب يريد قبولا غير مشروط – يخامرنا جميعا شعور باننا سنعثر على شريك في الحياة يهبنا كل ما فاتنا في الماضي. ويضل بنا الحب الى الاعتقاد ان هذا التمني سيتحقق في يوم من الأيام. لكن اعظم ما يمكننا توقعه هو وجود رفيق عطوف وحنون ومتفهم.

واحدى الدلالات المهمة على النضج هي ادراك حقيقة انه ما من انسان سيفهمنا دائما فهما كاملا، والقبول بهذه الحقيقة. ولهذا، على الزوجين ان يتمتعا بما لديهما ويقبلا به مهما كان ناقصا، من دون المطالبة بالمزيد على الدوام.

الحب يتوقع منك ان تكون قارىء أفكار – يولع الزوج بقراءة الافكار التي تجول في خاطر الزوج الآخر ويتوقع ان يحدس الآخر في مزاجه واحواله. والواقع ان هذا الامر يغيظنا في اعماقنا ويسيء الى كرامتنا الشخصية. ومع ذلك ترانا ندأب على هذا النهج يوميا.

وقد تستقبل الزوجة رجلها لدى رجوعه الى البيت من العمل، ولكنها سرعان ما تشعر بالأهانة لانه لم يعلق على تسريحة شعرها الجديدة. وبدلا من ان تسأله: "هل تعجبك؟"، تتوقع ان يلاحظ التسريحة بنفسه. ومن ناحيته، يشعر الزوج بمقدار متساو من السخط لأن زوجته لم تلاحظ قلقه من جراء يوم نكد في المكتب من دون ان يذكر هو شيئا عن ذلك.

وما لم يتعلم الزوجان الصراحة في

التعبير عن مشاعرهما ورغباتهما، فسيظل الاتصال بينهما معقدا ومشوشا. ويتعثر الشريكان ويسقطان نتيجة لهذا النوع من التخاطب غير المنطوق بينهما. وينبغي الا يغرو بنا الحب الى الاعتقاد ان قراءةالافكار هي جزء من العيش معا. فالانفتاح هو الذي يأتي بالفيض الهادىء للمودة الحميمة.

الحب يشجع على الخنوع - تشرب الذكور عن طريق التقاليد فكرة حماية الاناث، وادى هذا الى احداث اضطراب عظيم تجلى كاختلال في التوازن بين الطرفين. فهنا ذكر قوي وهناك أنثى سهلة القياد. والواقع ان احدا من الشريكين لم ينزع تلقائيا، او عن رغبة، الى تقمص دوره وانما قاده شعور ملح بضرورة هذه الادوار.

اما اليوم فان الذكور والاناث جميعا بدأوا يتقبلون حقيقة كونهم بشرا يتمتعون بمدارك وعواطف واحتياجات متماثلة. وقد ينعدم التساوي في المواهب والمهام، الا ان الطرفين متساويان من حيث احتياجاتهما البشرية. ومتى ادركنا هذه الحقائق وحل الانصاف بين الجنسين، تمتع الزوجان باحساس من الاتحاد.

ولكن اذا عمد احد الزوجين الى تقديم نفسه على اعتبار انه الطرف الضعيف الذي لا عون له، فعندئذ سيسير الشريكان معا نحو الشقاء والمتاعب. ذلك لأن الحب الوحيد الناجح هو ذاك الذي يمنح كلا الطرفين الشعور بانه ذو اهمية واعتبار لدى الطرف الآخر. واذا كان احد الزوجين مهتما فعلا بشؤون الآخر، فقد يقتصر اعظم سند يستطيع تقديمه على بضع كلمات وعلى استعداد للاصغاء.

الحب يرفض التغيير - "لم لا تبقى الامور على ما كانت عليه؟ ولماذا لا نعود الى سابق عهدنا؟" لكن الطرق على ابواب الزمن، مهما علا ضجيجه، لن يعيد ولو لحظة واحدة من الألفة الغابرة، ولن يقوى الشريكان على العيش معا ما لم يعيشا واقع الزمن الحاضر.

هناك شاب وشابة تزوجا قبل سنتين وشغلت كليهما مسؤوليات مهنته. ولم تكن امكانات العمل وتحدياته انكشفت بعد. وفجأة ادركا ان طبيعة العلاقة بينهما تبدلت. فأخافهما ذلك، وبذلا محاولات عاجلة لحفظ جذوة الحرارة الماضية. بيد ان المشاعر التي خبراها في الماضي لم تعد موجودة على الاطلاق. وانتابهما الحزن على الأزمنة الطيبة التي عرفاها، وبدا لهما اندثار الحب كالموت تماما.

والواقع ان عددا كبيرا من الازواج يقع في مثل هذا المأزق من دون ان يدرك الناس ان تبدل اطوار العلاقات بينهما لا يعني نهايتها. ومن طبيعة العلاقة الوثيقة انها تطرح اهابها القديم جانبا مثلما تطرح الافعى جلدها العتيق. وعندما تمكن هذان الزوجان من التخلي عن ماضيهما، تعلما كيف يمكن الواحد منهما ان يتمتع بصحبة الآخر عبر مختلف التجارب الجديدة، علما بان التمتع بالزمن الحاضر يتيح وجود مسحة من الحنين اللطيف الى الماضي.

الحب يعني اني دائما على حق -

يتوقع ازواج كثيرون مني ان اصدر حكما على ما اذا كانوا محقين او مخطئين في احوال خاصة معينة. لكن عددا كبيرا من القضايا التي يطرحونها علي هي امور ذات تفضيل شخصي محض، ولا دخل للحق او الخطأ في جوهرها. فالزوجان كلاهما محقان في ما يشعران به، والمشاعر لا تمكن مناقشتها، بل يمكن قبولها او رفضها فقط.

وتكتنف المتاعب شريكي الحياة حين يخفقان في التمييز بين الفكر والشعور. فليس هناك مجال لمناقشة المشاعر، اما الافكار فتمكن مناقشتها. ذلك لان العواطف مرهونة بتقدير الشخص لذاته. والتعبير عن تفهم عواطف الشخص الآخر هي بداية المساواة النفسية.

ترى ما أهمية كونك على حق في عيني نفسك؟ وهل تعلمت ان تبيح لشريك حياتك حرية الشعور بما يحلو له حتى وان كنت تعارض رأيه بشدة؟

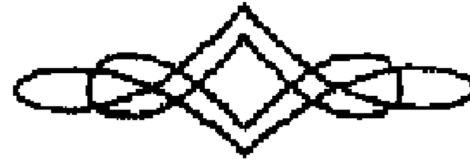
ان في الامكان تعزيز اواصر العلاقة الزوجية عندما يتقبل الزوج مشاعر زوجه من دون تهديده. ويحق لرفيق الحياة ان يشعر احيانا بالغضب او يحمل رأيا مخالفا او يصادق آخرين او يتصرف احيانا بعدم مبالاة.

ولكن عليك ان تثق بالتصرف العام للشخص الآخر - بما في ذلك حركاته وتفكيره واقواله وافعاله - لكي تعبر عن حرصك واهتمامك اللذين يفضيان الى المودة الحميمة. ويمكن التعبير عن الاهتمام الحقيقي من دون اللجوء باستمرار الى ترديد عبارة "احبك!".

هذه الاسباب التي تفسر المشكلات الناشئة عن "الحب" انما تدل على ان "الحب" بهذا المعنى، ليس ضروريا للألفة الحميمة. والتآلف بين الزوجين يتأتى اذا كانت لا تشوب علاقتهما شوائب الالتباس ولا تضللها اوهام الحب الرومنطيقي. وحين يتقارب شخصان باللطف والرقة والمودة والعناية فسيمكنهما اكتشاف ألفة لا تفنى.

■ هيربرت زيروف

المؤلف مدير مؤسسة "شارلوت" للزواج والاسرة في ولاية كارولينا الشمالية الامريكية، وهو عمل مستشارا للقضايا الزوجية طوال ٣٠ عاماً.



أن ندرك قصورنا في منجزات حياتنا، وان نظل مع ذلك مبتهجين بكوننا احياء - تلكم هي السعادة التي يعرفها الناضجون.

اريك نيكول في كتاب "رسائل الى ابني".

ثمة صالون للتزيين في باريس يشتمل على قسمين: احدهما للزبائن الذين يريدون ان يتحدثوا، والآخر لمن لا يروقهم الحديث. ويشتمل "قسم الحديث" على اربعة فروع مصنفة كما يأتي: الرياضة، المواضيع العامة، المشاكل العائلية، المضاربة بالبورصة.

("انباء جانيك الصحافية")

- تقول مدام دو سيفينييه: "لا تثقل نفسك بالبغض، فهو اخف عبئا مما تفتكر".

نصائح تقود
الى التوفير
في وقود سيارتك

يعمل كاتب هذا المقال مستشارا لعدد من شركات النفط، وقد درس مئات الاساليب التقنية التي يتبعها الخبراء لتحسين انتفاع السيارات بالبنزين. والواقع ان بعض هذه الحيل تكشف عن فرق مدهش في معادلات استهلاك البنزين، بينما لا يتجاوز التوفير الناتج عن بعضها الآخر كوبا كل اسبوع. غير انك، اذا اتبعتها جميعاً، أمكنك أن تخفض، الى حد كبير، التكاليف التي تنفقها على البنزين.

■ **تدفئة المحرك**

كان يستحسن في الماضي ان يدار محرك السيارة وهي واقفة لفترة دقيقة او دقيقتين قبل الانطلاق بها في الطقس البارد. اما اليوم، بعد ظهور المكربنات (الكاربراتيرات) الحديثة، فالمستحسن اصبح عكس ذلك. فعليك، بمجرد ان تدير محرك سيارتك، ان تنطلق بها فورا، على ان تسير بسرعة منخفضة مسافة كيلومترين او ثلاثة في البداية، باعتبار ان المحرك الذي يشتغل خلال السير يسخن بمزيد من السرعة وتتم فيه عملية التزييت الداخلي بفعالية أكبر من المحرك الذي يدور في اثناء وقوف السيارة والذي لا نتيجة له، بالتالي، سوى استهلاك الوقود من غير داع.

ومن الافضل كذلك ان توقف المحرك تماما عندما تنتظر بسيارتك لفترات طويلة نسبيا، كما هي الحال مثلا عندما تنتظر امام حاجز السكة الحديد حتى يمر القطار. وقد دل الاختبار على ان ايقاف المحرك يعود بفائدة من حيث استهلاك الوقود أكبر من التي يعود بها اذا تركته يدور بينما السيارة واقفة لمدة دقيقة او دقيقتين.

■ **على الطريق**

من المفيد ان تتخطى درجة من مقسّم السرعة، اذا امكنك ذلك، عند تغيير سرعة سيارتك. والفكرة هنا

هي ان تحاول الوصول، في اقل ما يمكن من الوقت، الى الدرجة الاعلى من حيث السرعة والاكثر اقتصادا من حيث الاستهلاك. ومثال ذلك ان بدء تحرك السيارة على طريق مستو او منحدر هو مناسبة جيدة للانتقال من السرعة الاولى الى الثالثة مباشرة، من دون المرور بالسرعة الثانية.

ومن اسباب زيادة استهلاك البنزين بصورة ملحوظة ان تبدأ تحريك سيارتك "قفزا"، اي بالاندفاع السريع المفاجىء، او ان تسير بها على قرب متراص وخطر من السيارة السائرة امامك، لانك في هذه الحال تضطر باستمرار الى استخدام الكابح ثم زيادة السرعة بصورة متتابعة بحيث ان حركتك عندئذ تخضع لما تفرضه عليها السيارة التي امامك. وعند سيرك على الطريق السريع، فان تغيير سرعة سيرك - ولو بمقدار عشرة كيلومترات في الساعة فقط - يمكن ان يؤدي الى خفض استهلاكك للوقود بمقدار اربعة ليترات ونصف ليتر لكل كيلومترين من المسافة التي تقطعها السيارة. ولا تكن عجولا. فالسيارة التي تسير بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة لا تحقق سوى ثلثي الاقتصاد في استهلاك البنزين الذي تحققه سيارة بسرعة ٧٠ كيلومترا.

اغلق نوافذ السيارة ايضا كلما امكن ذلك وانت تسير بها، لان النوافذ المفتوحة تثير دوامات هوائية تدفع السيارة الى الوراء وبالتالي تعوق تقدمها. بل ان النوافذ المفتوحة على الطريق السريع من شأنها ان تزيد من استهلاك الوقود بنسبة تتجاوز العشرة في المئة.

وحاول ان تتجنب الوقوف بالسيارة من دون داع ملزم، لان استعادة سرعة السير العادية بعد التوقف التام يستلزم استهلاك كمية من الوقود تزيد بنسبة ٢٠ في المئة على الكمية التي يتطلبها الانتقال من سرعة السير البطيئة الى السرعة المذكورة نفسها. وعلى ذلك، فاذا رأيت من بعيد ان اشارة المرور امامك انقلبت حمراء، فاخفض سرعة سيارتك بتخفيف الضغط على دواسة البنزين واقترب من اشارة المرور متمهلا حتى تتحول الى الضوء الاصفر فالاخضر خلال تقدم سيارتك. ولا تستخدم المناورة بالقابض (الدبرياج) كي تبقى السيارة جامدة على منحدر، وانما الافضل ان تستخدم كابح اليد. فهذه الطريقة تقلل من استهلاك قرص القابض (اسطوانة الدبرياج) وجهاز نقل السرعة، وتؤدي الى التوفير في الوقود.

■ **الوقوف في الباحة المخصصة للسيارات**

عندما يكون خزان سيارتك مليئا بالنزين، اوقفها، كلما امكن ذلك، في وضع يكون مقدمها في اتجاه سفح المنحدر، لان هذا الوضع يحول دون اندلاق البنزين من الخزان. كما ان ايقاف السيارة في مكان ظليل يساعد على منع تبخر البنزين الذي يحدث اذا كانت السيارة واقفة في الشمس. فضلا عن ان داخل السيارة يبقى باردا باعتدال، ومن ثم يوفر تشغيل جهاز التكييف، مع توفير في الاستهلاك عندما يدور المحرك.

وعليك ان تمتنع تماما عن زيادة سرعة دوران المحرك قبل ايقافه.

فهناك سائقون كثيرون يظنون ان هذه "الدفعة" تحسن تشغيل دورة الزيت، ومن ثم تكفل حماية افضل للمحرك في اثناء توقفه. لكن هذا الظن خاطىء من اساسه.

■ **تعبئة خزان الوقود**

احتفظ بخزان الوقود في حال اقرب الى الامتلاء لكي تتجنب فقد البنزين بالتبخر او التكثف. وهذه الطريقة مفيدة بصفة خاصة في فصل الشتاء في البلاد الباردة، حيث انه اذا كان الخزان شبه فارغ وتبخر الوقود وتجمد، انسدت انابيب البنزين واستحال تدوير المحرك. الا انه ليس من الحكمة ان تملأ الخزان الى حافته، ولا سيما في الايام الحارة عندما يتمدد البنزين فيفيض من الخزان ان لم يجد متسعا له. ومن المحتمل ان يؤدي هذا الامر الى فقد ليترين كاملين من الوقود.

وعند شراء الزيت، تذكر ان الزيت الأخف (ذا الرقم الأدنى) يسيل بسهولة اكبر ويزلق احسن من الزيت الاثقل والاكثر لزوجة، كما انه يستلزم قوة دفع اقل (من المحرك) لضخه. وعلى ذلك، فان الزيت الذي درجته ١٠ يتيح لك ان تقطع بكمية الوقود نفسها مسافة أكبر مما يتيحه الزيت الذي درجته ٤٠، ولا سيما في فصل الشتاء. واذا كنت ترتاح أكثر الى الزيت الاثقل (على اساس ان "الزيت الاثقل يحمي أكثر")، فان ما يفي بحاجتك آنئذ هو الزيت المتعدد الدرجات. والزيت الذي من هذا النوع (١٠ - ٤٠) يكون رقيقا وهو بارد. ثم يتكثف كلما زادت حرارة المحرك ويحتاج الى حماية أكثر.

ولكن ماذا عن الزيوت الاصطناعية الجديدة؟

انها تقلل الاحتكاك الداخلي في المحرك، فتزيد بذلك من المسافة التي تقطعها السيارة بكمية معينة من الوقود. بيد ان هذا التحسن تتفاوت درجاته تبعا لحالة المحرك، كما ان ثمن هذه الزيوت مرتفع. غير ان توفير الوقود واطالة عمر المحرك ميزتان لهما اهميتهما ايضا.

■ **شراء الاطارات**

تجنب الاطارات العريضة اذا كنت تشاء ان تقطع مسافات أكبر بوقود اقل. فالاطارات ذات الملامس الضيقة تتميز بانها اقل احتكاكا بالطريق، ومن ثم فانها تتعرض لمقاومة اقل في السير. ويمكنك ان تحصل على النتيجة نفسها بأن تضيف ما بين ١٫٥ كيلوغرام و٢٫٥ كيلوغرام الى معدل الضغط الموصى به لنفخ كل اطار. ومن شأن هذا الاجراء ان يزيد فعلا من عمر الاطارات ومن توفير الوقود (بزيادة المسافة المقطوعة) من دون ان يؤثر تأثيرا ملحوظا على توازن السيارة في اثناء السير.

واسهر على مراقبة ضغط الاطارات على فترات متقاربة، ولا سيما عندما يكون الطقس باردا. فانخفاض الحرارة بمقدار ٦ درجات مئوية يؤدي الى انخفاض ضغط الاطارات بمقدار نصف كيلوغرام. وعلى ذلك، فان الفرق بين ضغط الاطارات شتاء وضغطها صيفا يمكن ان يبلغ اربعة كيلوغرامات كاملة اذا لم يتم ضبطه، وهو فرق يتسبب عنه خفض استهلاك الوقود بمقدار ليتر كامل في مسافة ثلاثة ارباع الكيلومتر.

ويتبين من اختبارات توفير الوقود ان الاطارات نصف القطرية (راديال) تزيد من توفير استهلاك الوقود. فالسيارة التي تقطع ستة كيلومترات بكل ليتر وهي مزودة باطارات عادية تقطع ٦،٤ كيلومتر بالليتر وهي مزودة باطارات نصف قطرية (راديال). كما انها اذا سارت مسافة ٦٤،٠٠٠ كيلومتر - وهي المسافة المضمونة للاطارات نصف القطرية - فهي تكون حققت توفيرا في الوقود يزيد على ٧٠٠ ليتر، وفي ذلك بالطبع توفير مقابل في ثمن الوقود.

وينبغي العزوف عن تركيب الاطارات الخاصة بالثلوج قبل موعدها المقرر، كما يجب نزعها بمجرد ان يسمح الطقس بذلك، لان ملامسها العميقة تسبب مزيدا من المقاومة في اثناء السير بالنسبة الى ما تسببه الاطارات التقليدية. ومن ثم فان اطارات الثلوج تبعث على خفض المسافة التي تقطعها السيارة بكل ليتر من الوقود بمقدار يراوح بين نصف كيلومتر وكيلومتر وربع.

■ **الاضافات: الحسنة منها والسيئة**

من الممكن توفير بعض الوقود ايضا عن طريق ضبط اجهزة سرعة السيارة، وذلك بان تضبط الجهاز قبل الانطلاق على السرعة التي تريدها، فيتولى هو اوتوماتيكيا امر دواسة البنزين. ولا شك ان السرعة المنتظمة تتيح توفيرا في الوقود. غير انه ليس من الحكمة استخدام جهاز ضبط سرعة السير في المناطق الجبلية.

والاجهزة التي تعمل بالبطارية - مثل الراديو وجهاز التسجيل والنوافذ الاوتوماتيكية وجهاز التسخين - كلها تستهلك مزيدا من الوقود، باعتبار انها تحفز المولد - المبدّل الكهربائي (الدينامو) على امداد البطارية بالكهرباء لتعويض ما تصرفه منها. فهذا الجهد الاضافي له ثمنه، اي حرق مزيد من الوقود لانتاج القوة اللازمة لادارة وحدة التوليد.

فيحسن اذا ان تتحقق من ان سيارتك لا تحوي اجهزة غير ضرورية تزيد من وزن السيارة وبالتالي من استهلاك الوقود.

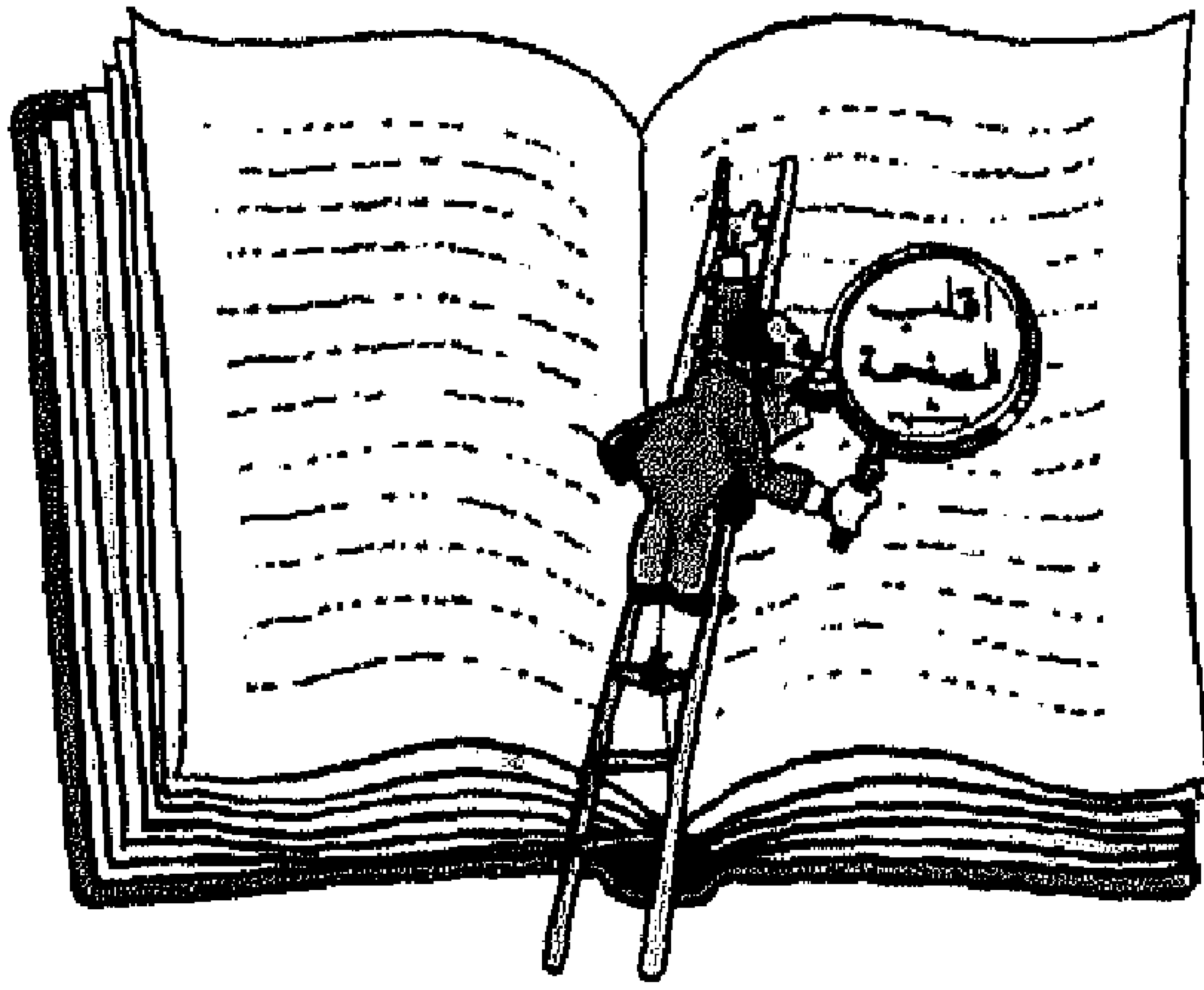
ولكن تجدر الاشارة الى ان اضافة اشخاص الى حمولة السيارة من شأنها توفير الوقود. ومثال ذلك، اذا كنت تنتقل في سيارتك الى العمل، ففي استطاعتك، بدلا من الانتقال بمفردك ان تتفق مع مجموعة من ثلاثة اشخاص يتناوبون يوميا على نقلكم جميعا كلّ في سيارته، فيتوفر على كل واحد منكم مبلغ سنوي لائق.

■ روبرت سيكورسكي

ما أعذب الاعتذار

عندما عاد صاحب السيارة اللندني الى الموقف حيث ترك سيارته، وجدها مصابة بعطب بالغ بسبب سيارة اخرى تسوقها سيدة متقدمة في السن، فقالت له: "كم انا سعيدة الآن لانك رجعت، فانني لا اشعر بالسعادة ما لم تسنح الفرصة لي لابداء الاعتذار".

ا.ب.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من مقالات افتتاحية ظهرت أخيرا في صحف عربية مختلفة.

وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية، أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة.

١ • **تعزيز**: تفخيم – غلبة – تقوية – ملاطفة.

٢ • **مفعم**: متحمس – قوي – مغتبط – مملوء.

٣ • **ناشد**: سأل – قرّظ – غنّى – أيّد.

٤ • **متعنّت**: رافض – متشدّد – بغيض – شاذّ.

٥ • **حاسم**: قاطع – عنيد – عنيف – مميت.

٦ • **أوج**: ازدهار – علو – طريق – جبل.

٧ • **مقايضة**: بيع – خيانة – هبة – مبادلة.

٨ • **أعباء**: أخطار – أخطاء – مسؤوليات – ظروف.

٩ • **هيمنة**: محافظة – قدرة – سيطرة – هيام.

١٠ • **ندّد**: شهّر – تحدّى – تودّد – خاصم.

١١ • **جسيم**: عظيم – ثمين – مخطىء – مادي.

١٢ • **تفويض**: استدانة – تكليف – شراء – بيع.

١٣ • **غاشم**: جبان – غبي – خائن – ظالم.

١٤ • **حنكة**: كذب – مقدرة – تجربة – حياء.

١٥ • **مأرب**: حيلة – حاجة – سؤال – ضلال.

١٦ • **كثب**: مسافة – قرب مكاني – قرب زمني – تلة رمل.

١٧ • **يحدو**: يتيح – يأمر – يسير – يدفع.

١٨ • **منوال**: اسلوب – نصيب – لون – عطاء.

١٩ • **أكبّ**: نسي – رمى – حقّق – لزم.

٢٠ • **أبه**: شعر – أضاع – أهمل – فطن.

٢١ • **تنسيق**: مشاورة – مراقبة – تنظيم – تعاون.

٢٢ • **عقبة**: درجة – صعوبة – حال – استحالة.

٢٣ • **تعسّفي**: ظالم – شديد – منتصر – منتشر.

٢٤ • **جهويّ (بتثليث الجيم)**: ثريّ – قويّ – محلي – محدود.

٢٥ • **انتهك**: اخترق الحرمة – استولى – احتقر – تعب.

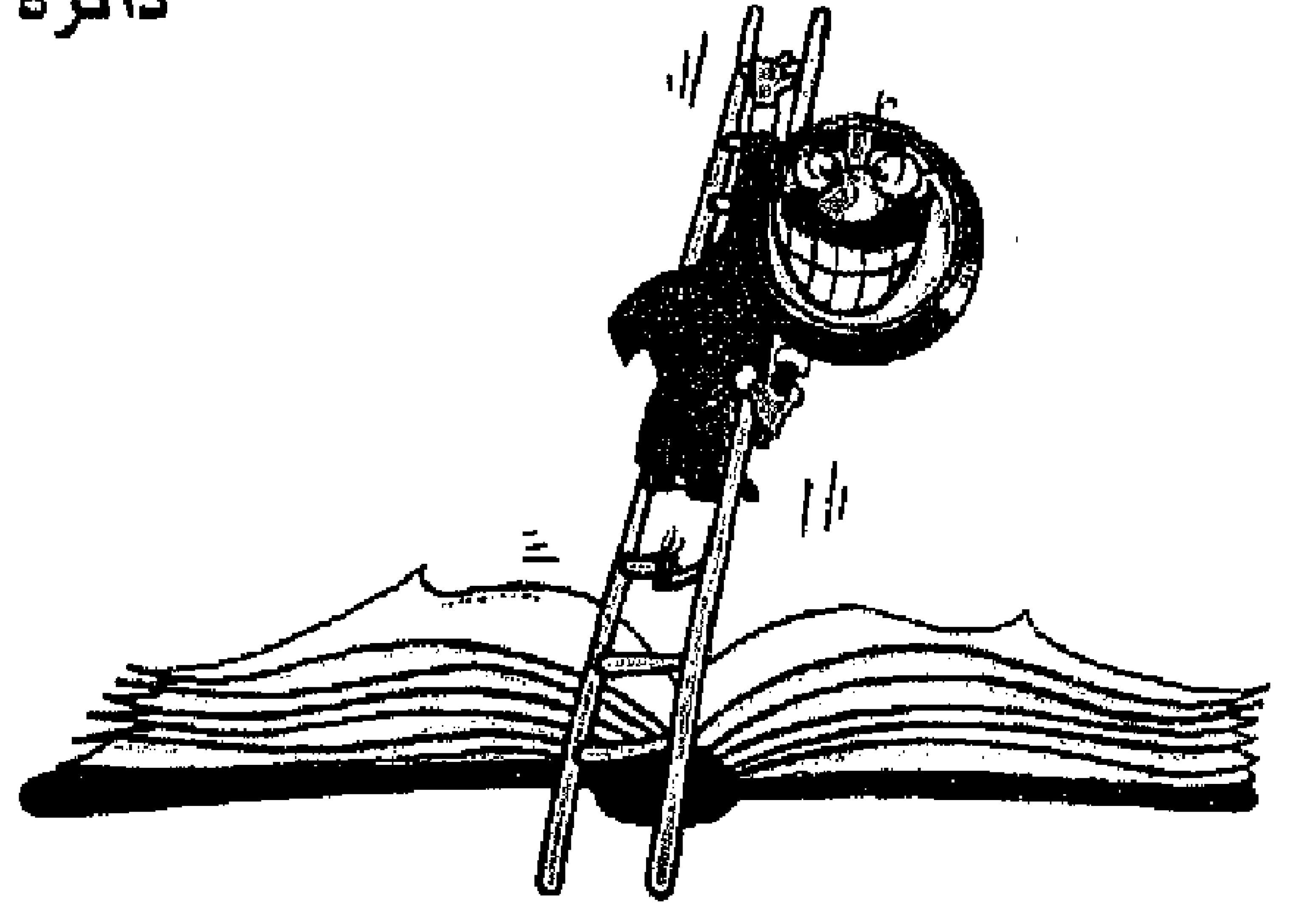
٢٦ • **فرّط**: استعمل – كسّر – طرد – بدّد.

٢٧ • **ذريعة**: هدف – وسيلة – نتيجة – سبب.

٢٨ • **تنصّل**: هرب – اعتذر – انغرز – تبرأ.

٢٩ • **تضافر**: انضم – ساعد – تعاون – انتصر.

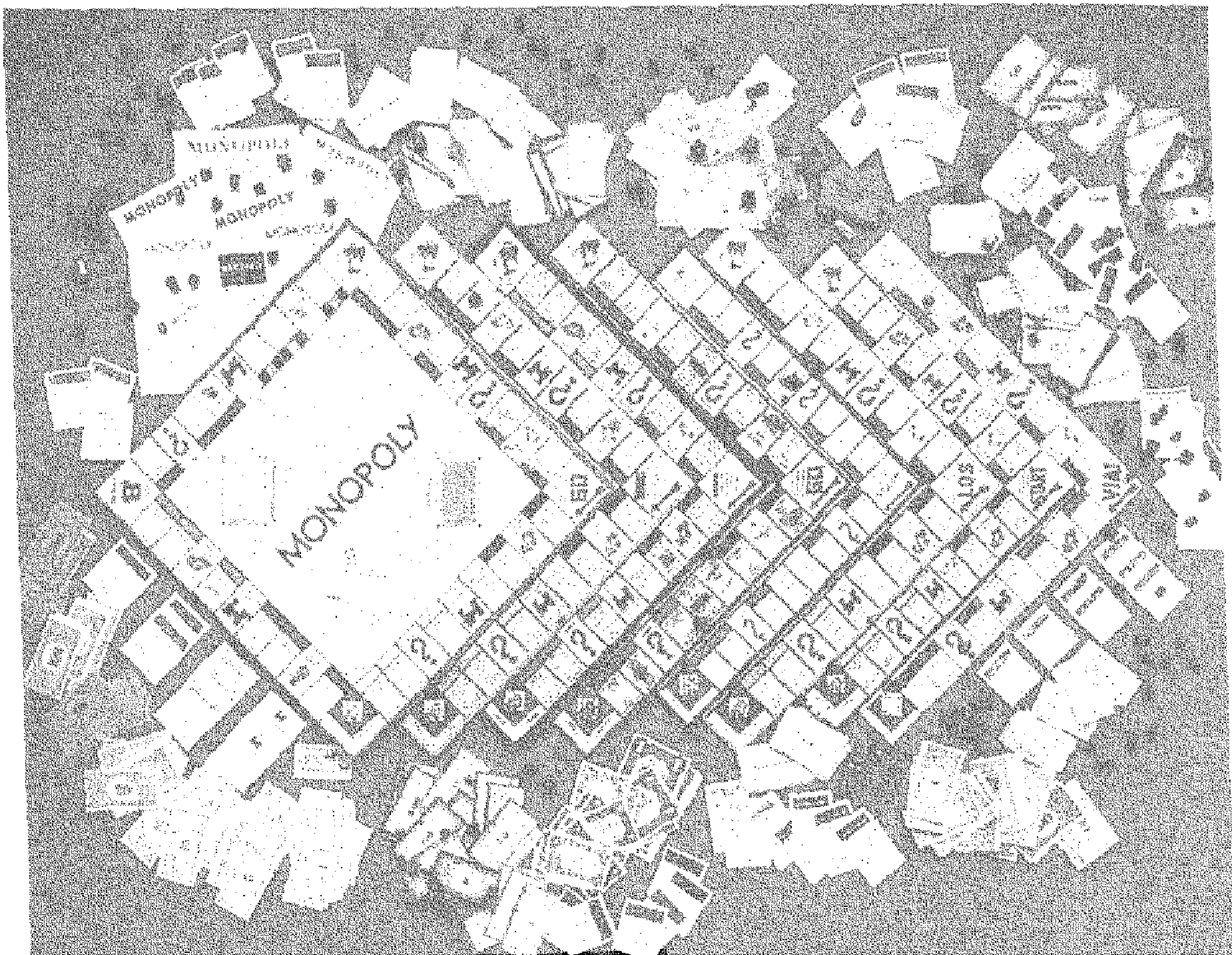
٣٠ • **حوافز**: دوافع – موانع – نتائج – أسرار.



الأجوبة الصحيحة

١ • تعزيز: تقوية، تعظيم، عون.
٢ • مفعم: مملوء، فعم وأفعم: ملأ.
٣ • ناشد: سأل، طلب.
٤ • متعنت: متشدد، طالب الزلة والمشقة. عنته: شدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه ويشق تحمله، ومنه المثل: "ارضاء المتعنت صعب".
٥ • حاسم: قاطع.
٦ • أوج: علو، أيضا: أبعد نقطة يكون فيها القمر بالنسبة الى الارض.
٧ • مقايضة: مبادلة شيء بشيء آخر معادل له في الثمن.
٨ • أعباء: مسؤوليات، أثقال، أحمال، مفردها عبء.
٩ • هيمنة: سيطرة ورقابة، هيمن هيمنة: قال آمين، المهيمن والمهيمن: من أسماء الله تعالى، بمعنى المؤتمن أو القائم على خلقه.
١٠ • ندد: شهر الشيء وشيعه بين الناس، صرح بعيوب شخص.
١١ • جسيم: عظيم، ضخم، من فعل جسم (يجسم جسامة).
١٢ • تفويض: تكليف، تحكيم، فوض (تفويضا) اليه الأمر: صيره اليه وجعله الحاكم فيه.
١٣ • غاشم: ظالم، غاصب، غشم (يغشم غشما): ظلم.
١٤ • حنكة: تجربة، فهم، دهاء، تهذيب، المحنك: الذي جعلته التجارب خبيرا حكيما.
١٥ • مأرب: حاجة، غاية، أرب الى الشيء: احتاج.
١٦ • كثب: قرب مكاني، يقال: "من كثب" و"عن كثب".
كثب: دنا، كاثب القوم: دنا منهم، جاء يكثبه: يتلوه.
١٧ • يحدو: يدفع، حداه على أمر: بعثه وساقه.
١٨ • منوال: اسلوب أو نسق، المنول (والمنول) أصلا: خشبة الحائك او آلته التي ينسج عليها، يقال: "منوالك ألا تفعل كذا"، أي ينبغي لك ألا تفعله.
١٩ • أكب: أقبل على الأمر ولزمه.
٢٠ • أبه: فطن، اكترث، لا يؤبه له: لا يلتفت اليه.
٢١ • تنسيق: تنظيم، نسق: نظم، نسق الدر: نظمه، والكلام: عطف بعضه على بعض ورتبه.
٢٢ • عقبة: صعوبة، المرقى الصعب من الجبال أو الطريق في أعلى الجبال، جمعها عقاب وعقبات.
٢٣ • تعسفي: ظالم، جائر، من غير مبدأ أو هدى، مفروض بالقوة.
٢٤ • جهوي: محلي (نسبة الى جهة).
٢٥ • انتهك: اخترق الحرمة، اتخذ الشيء لنفسه من دون مراعاة حرمته، انتهكته الحمى: أضنته.
٢٦ • فرط: فرق الشيء وبدده.
٢٧ • ذريعة: وسيلة، حجة، عذر، تذرع بذريعة: توسل بوسيلة، الذريع: الشفيع.
٢٨ • تنصل: تبرأ وخرج من جناية.
٢٩ • تضافر: تعاون، ضافر: عاون، ضفر الحبل: فتله، والشعر: نسج بعضه على بعض عريضا.
٣٠ • حوافز: دوافع، حفز (يحفز حفزا): حث وحرك، حفزه عن الشيء: أبعده، حفز الليل النهار: ساقه.

المستوى:
٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيد
١٣ - ١٨: مقبول



ملتقى المربعات: نموذج لعبة المونوبولي في ثمانية بلدان مختلفة.

تعالوا نلعب المونوبولي

لعبة المونوبولي التي ابتكرتها عبقرية تشارلز دارو تكتسح العالم بما فيه العالم العربي وتستهوي الكبار والصغار

خلال العام ١٩٣٢، جلس بائع عاطل عن العمل في الثالثة والاربعين من العمر الى طاولة مطبخه واخذ يرسم بعض الخطوط على غطائها المصنوع من القماش المزيت، مستعيناً بعدد من الكشاتبين والمماحي ومكبات الخياطة لابتكار لعبة يدور محورها على المال. وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٧، احتلت هذه اللعبة الصغيرة مركزها الدولي في مونت كارلو حيث توافد المتبارون من ١٩ بلدا مختلفا للتنافس على بطولة العالم. وقد فاز آنذاك باللقب وبكأس فضية قيمتها ٥٠٠٠ دولار، مهندس النفط السنغافوري تشونغ سنغ كوا، البالغ الحادية والثلاثين من عمره.

وهذه اللعبة اسمها الـ"مونوبولي" (اي الاحتكار)، وهي اليوم ملكة العاب التسلية بلا منازع. فمنذ ان قامت شركة "باركر اخوان"، صاحبة امتياز النشر، بطرحها في الاسواق، باعت منها، حتى اليوم، ما يفوق ٨٠ مليون قطعة في مختلف انحاء العالم. ويقدر عدد الذين يمارسون هذه اللعبة بأكثر من ٢٥٠ مليون شخص في ٤٦ بلدا مختلفا. وخلال عام ١٩٧٥، اصدرت مطابع المونوبولي في الولايات المتحدة الامريكية وحدها اوراقا مالية زائفة بأكثر من ٤٠ بليون دولار، بينما لم يزد اصدار الادارة الرسمية للاوراق النقدية الصحيحة على ٢٢ بليون دولار.

تحريم وتحليل ـ ولا يخلو تاريخ هذه اللعبة من المفاجآت والمفارقات. فالبلدان الشيوعية حظرت استيراد اللعبة، الا انها لم تنجح في استئصال جذورها. ففي كوبا مثلا، ما زالت اللعبة تمارس خلسة، على رغم ايعاز الحكومة بمصادرة جميع القطع المعروضة. وفي المانيا الشرقية، حيث هذه اللعبة ممنوعة على عامة الناس، يحصل الرجال الرسميون الشيوعيون عليها عن طريق التهريب لتسليتهم الشخصية.

اما في الغرب، فالمقر الرئيسي لشركة باركر - وهو في مدينة بفرلي في ولاية ماساشوستس الامريكية - يضفي صفة شرعية على تسجيل الارقام القياسية، كما يتولى حسم النزاعات الناشئة عن تفسير اصول اللعبة. وقد سخرت الشركة مطبعتها الرسمية لنشر انباء غريبة عن المونوبولي، كالشوط الطويل الذي استغرق خمسة ايام وثلاث ساعات، او الذي استغرق ١٢ يوما في مصعد، وحتى الشوط الذي استغرق ٣١ ساعة في مغطس. اما الرقم القياسي على الاطلاق للطول فقد سجل عام ١٩٧٧ في شوط ضم ٦٠ لاعبا في مدينة اطلنطا (ولاية جيورجيا) واستغرق ١١٧٦ ساعة، اي ٤٩ يوماً.

ولم تتورع شركة باركر اخوان عن تصميم نماذج تتيح ممارسة لعبة المونوبولي في شتى الظروف غير المألوفة. فحين طلب اليها، مثلا، بعض الرجال الضفادع نموذجا يصلح تحت سطح الماء، استنبط مصمم الالعاب لدى الشركة نقودا وقطعاً مقاومة للماء ولوحا معدنيا يركز في قعر الماء. وبالنسبة الى رواد الفضاء، قدمت شركة باركر الى ادارة الفضاء في الولايات المتحدة نماذج مطبوعة على ورق خاص غير قابل للاشتعال. اما الغواصات النووية فهي قديمة العهد بهذه اللعبة، اذ ان طاقم الملاحين غالبا ما يبقى في الغواصة تحت الماء ٦٠ يوما بلا انقطاع.

والارشادات التي تشرح اصول هذه اللعبة موضوعة في ١٥ لغة مختلفة. وتجرى بعض التعديلات باسماء الاماكن في النماذج المعدة للتصدير الى البلدان الواقعة خارج نطاق اللغة الانكليزية. ففي فرنسا، مثلا، يستبدل اسم حي "بورد وولك" باسم شارع "دي لابي"، واسم "مارفن غاردنز"، باسم شارع "لا فاييت". كما ان الدولارات تحول الى جنيهات وفرنكات وماركات وبيزيتات وينات، وهكذا.

على طاولة المطبخ ـ وقد بدأ سحر

المونوبولي ينتشر خلال عام ١٩٣٢، حين كانت الولايات المتحدة تعاني ضغوط اولى سنوات الركود الاقتصادي. في تلك الفترة كان بائع اجهزة التدفئة تشارلز دارو عاطلا عن العمل منذ سنتين في ضاحية فيلادلفيا المتاخمة لمدينة جيرمان تاون، فراح يعمل في جز اعشاب المروج واصلاح التجهيزات المنزلية في النهار، ويقضي ليله محاولا اختراع اداة يتسنى له بيعها كسبا للعيش. وقد اهتدى الى صنع عداد خاص للعبة "البريدج" ونموذج جديد لمضرب الكرة، ولكن من دون ان يحظى اي منهما بالرواج المنشود. فجلس ذات ليلة الى طاولة مطبخه وراح يرسم تلك الخطوط التي اضحت في ما بعد لعبة المونوبولي. ولما كانت الطاولة مستديرة، فقد جاء النموذج الاول في شكل دائرة تشتمل على خانات تحمل اسماء بعض الشوارع والمرافق في "اطلنطيك سيتي" وعلى بعض محطات السكك الحديدية، وحتى على اسم احد السجون. وزود كل من اللاعبين بمبلغ من المال تمكينا له من شراء الاراضي وبناء المنازل والفنادق او بيعها او رهنها طلبا للسيولة. وينتهي الشوط حين ينجح احد اللاعبين بفرض الافلاس على منافسيه. وقد يتطلب الامر احيانا وقتا طويلا للغاية.

وانصرف دارو وزوجته واصدقاؤهما الى التسلي ليليا بهذه اللعبة المبتكرة مع ادخال بعض تعديلات على اصولها. كما انهم غيروا شكل اللوحة المستديرة الى لوحة مربعة. واصبح جيران دارو يطلبون اليه ان يمدهم بنموذج من اللعبة، مما حداه على صنعها بيده وبيعها لقاء دولارين ونصف دولار. ثم اقترح عليه احد جيرانه، الذي كان يعمل في الطباعة، ان يعد له لوحات يبيعها لاصحاب المحلات. فكانت محلات "جون وناميكر" الكبرى في فيلادلفيا اول

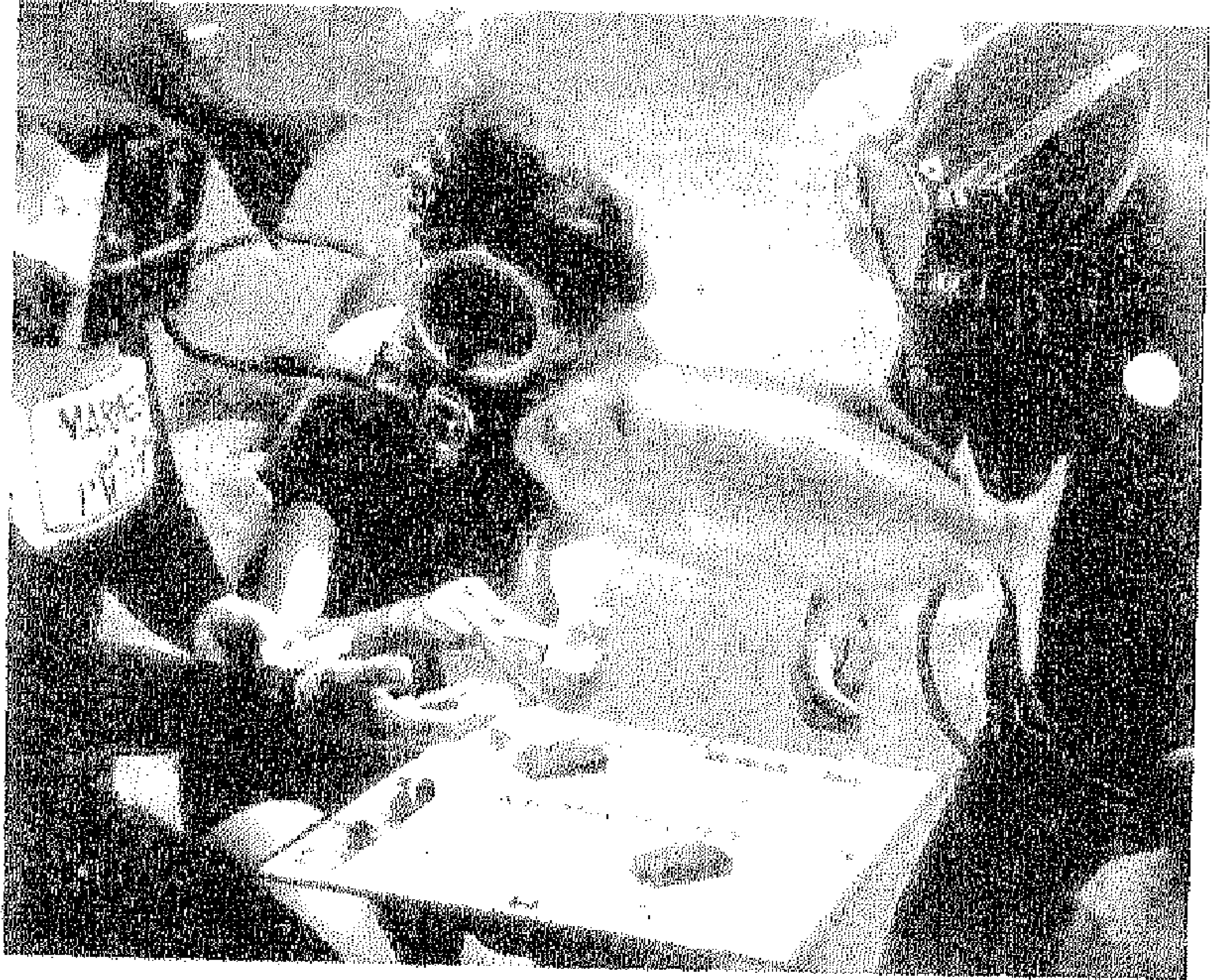


تشونغ سنغ كوا من سنغافورة، بطل العالم في لعبة المونوبولي.

من عرض اللعبة للبيع عام ١٩٣٤. وقد حمل النجاح دارو على ارسال نموذج من لعبته الى شركة باركر اخوان التي تلقت خلال تلك السنة ٣٠٠٠ طلب بقبول لعبات مبتكرة. ولدى استلام هذه الطلبات كان الموظفون المعنيون يجلسون، وفقا للعادة التي درجوا عليها، ويمارسونها واحدة تلو الاخرى بصورة جدية. وعند الانتهاء من تجربتهم للعبة المونوبولي قرروا انها تنتهك ٥٢ قاعدة من القواعد التي تستلزمها اللعبة الناجحة، فرفضوها.

ولم ينل القنوط من عزيمة دارو

لاقتناعه بصحة لعبته، فأنفق آخر فلس لديه على طباعة ٥٠٠٠ نسخة من اللعبة، وجاء بقسم منها الى محلات ناميكر، وبقسم آخر الى محل الالعاب "ف· شوارتز" في نيويورك، حيث ابتاع نموذجا منها احد اصدقاء سالي بارتون، ابنة جورج باركر مؤسس



طلاب من جامعة كاليفورنيا الامريكية يلعبون المونوبولي للمرة الأولى تحت الماء·

شركة باركر اخوان· ولعب هذا الصديق المونوبولي، ثم اتصل بسالي ودعاها الى مشاركته· فاعجبت بها جدا، واطلعت والدها وزوجها روبرت بارتون، مدير الشركة، على هذه اللعبة· فاعاد زوجها الكرة واختبرها مرة اخرى، وما كان منه الا ان عدل عن رأيه السابق في قيمة اللعبة ومستقبلها·

مغارة الكنوز ـ واشترى باركر اللعبة من دارو، كما وافق ايضا على منحه مكافأة على اختراعه· وكان ذلك القرار بمثابة انفتاح المغارة الاسطورية المليئة بالكنوز· وعلى مر السنين، درت المونوبولي على باركر اخوان ما لا يقل عن ٢٤٠ مليون دولار وبعدما كانت الشركة على شفير الافلاس لدى استملاكها حق الاصدار، استعادت مكانتها بفضل تدفق السيولة من المبيعات، وحين توفي دارو عن ٧٨ عاما، ترك بضعة ملايين وسيلا لا ينضب من الجعالات لورثته المحظوظين، فضلا عن اعداد هائلة من اللاعبين الذين لم تبد عليهم حتى الآن بوادر السأم·

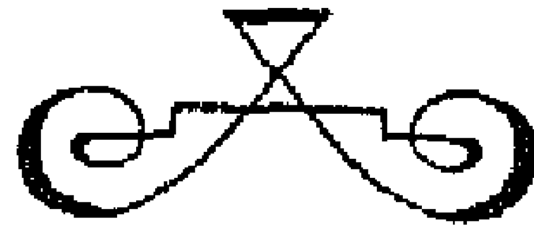
وجدير بالملاحظة ان رواج المونوبولي يتنافى مع الاصول المحددة لتأمين النجاح للالعاب· فهذه الاصول تصنف الالعاب في ست فئات رئيسية هي: العاب تقفي الآثار كلعبة "البارثيزي" التي كانت رائجة في الهند قبل ٣٠٠٠ سنة، والعاب الالفاظ كلعبة "السكرابل"، والعاب الحرب كلعبة الشطرنج، والعاب الورق كلعبة البريدج، والعاب الحظ كلعبة الزهر والروليت، واخيرا العاب الرصف كلعبة الداما الصينية·

وتشتمل المونوبولي على اكثر مميزات هذه الفئات الرئيسية الست، بالاضافة الى الطابع الانساني الذي تتسم به والذي يفسر مدى استهوائها

الناس. وتقول العالمة النفسية جويش براذرز في هذا الصدد: "ان هذه اللعبة تتطلب مقدارا من المهارة يحمل الرابح على الاعتزاز، كما تتطلب مقدارا من الحظ يحمل الخاسر على لوم الحظ". ويقول ادوارد باركر، احد مديري الشركة السابقين: "ينزع الناس بشدة الى ممارسة المونوبولي لانها تتيح للمرء ان يسبب افلاس احب الاصدقاء اليه من دون ان يلحق به اي ضرر ملموس. وتلك هي القاعدة الاساسية التي ترتكز عليها اي لعبة ناجحة".

وما زالت النماذج المبتكرة تتدفق كل يوم على شركة باركر اخوان من الهواة الذين يهزهم الامل بالنجاح، على رغم ان معظم الالعاب الحديثة تتولى تصميمها اليوم شركات خاصة. وعلى اي حال، لم ينجح حتى الآن اي مصمم من الهواة او المحترفين في استنباط لعبة قادرة على احتلال مقام المونوبولي. واما سبب ذلك فقد شرحه جورج باركر في قوله: لا يمكنك ان تدفع مبلغا من المال لانسان ما وتطلب اليه ان يجلس الى طاولته ويؤلف لك رواية تماثل "ذهب مع الريح".

■ جيمس ستيوارت غوردون



عندما سئل الامريكي آل اورتر الذي فاز اربع مرات ببطولة الالعاب الاولمبية، عن طريقة اثارة اهتمام الناس برياضة رمي القرص، قال: "لست اظن ان الرياضة ستجتذب الاهتمام الى ان يسمحوا لنا برمي الاقراص بعضنا على بعض". م.د.

الفن وما عداه

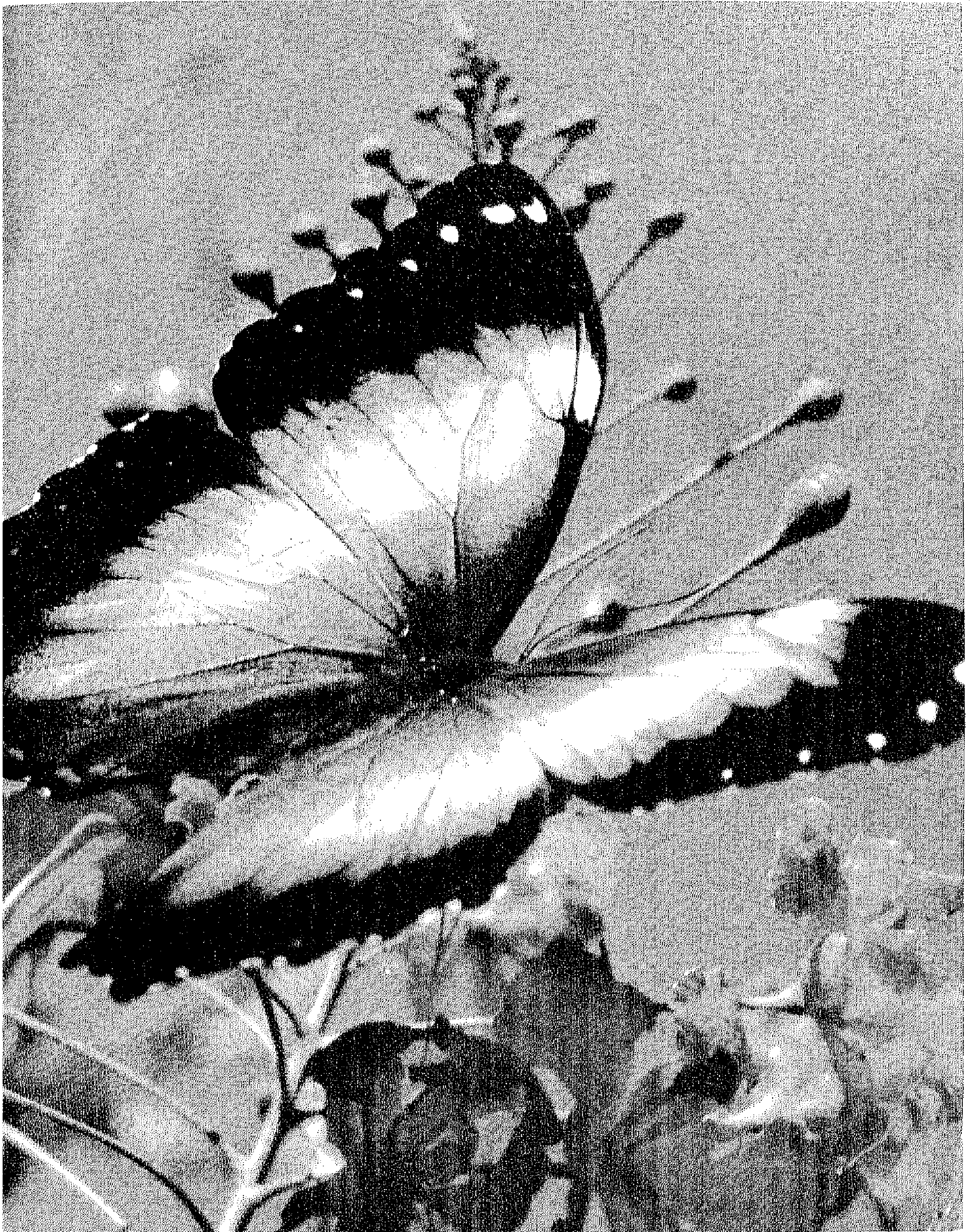
يروي النحات البريطاني المعروف هنري مور ما يأتي:

"ذات يوم كنت انحت تمثالا في الهواء الطلق، في مقاطعة "كانت"، واذا برجل قلما اعرفه يدنو مني ويقف ساكنا الى جانبي ويراقب عملي، ثم يقول: "لماذا كل هذا التعب؟ وما هي الفائدة من هذا العمل الشاق؟"

وحاولت ان افسر له الاثارة النفسية والغبطة القلبية الناشئتين عن مجرد معرفة الانسان لاستعمال ناظريه. ولكنني عندما رأيته يهز برأسه، انقطعت عن الحديث واستأنفت العمل، فانصرف.

ولكم كنت اود ان اعلمه بان التمادي في استعمال حواسنا من دون غاية نفسية لا يرقى بنا عن مصاف الحيوانات. فضمة من العشب مثلا، بالنسبة الى البقرة، ليست سوى شيء للاكل وليست متعة للنظر. واما الرسم والنحت والموسيقى والشعر، فكلها مصادر لبهجة النفس التي تتولد عنها نشوة الحياة وجداراتها بان تعاش... ولكنه انصرف وتوارى عن متناول منطقي.

(بيو باختر - سويسرا)



الفراش يعلن الربيع

إن للفراش لسحرا ...
لكن هل يمكن تحديده ووصفه؟

هل هو يكمن في وميض ألوانه أم في رفيفه وهو يطير؟

أم هل تراه في تنوع أجنحته اللامتناهي، وهو الذي يرخي عليه - في الأيام او الاسابيع الاولى من حياته - حللا زاهية كثياب العرس؟

الصور المثيرة على هذه الصفحات مأخوذة من كتاب عن الفراش. وقد التقطها الفنان النروجي كييل ساندفيد، وهو منتج صور متحركة تدور على موضوعات مختلفة من التاريخ الطبيعي، وكتب النصوص استاذ البيولوجيا الانكليزي مايكل امسلي.

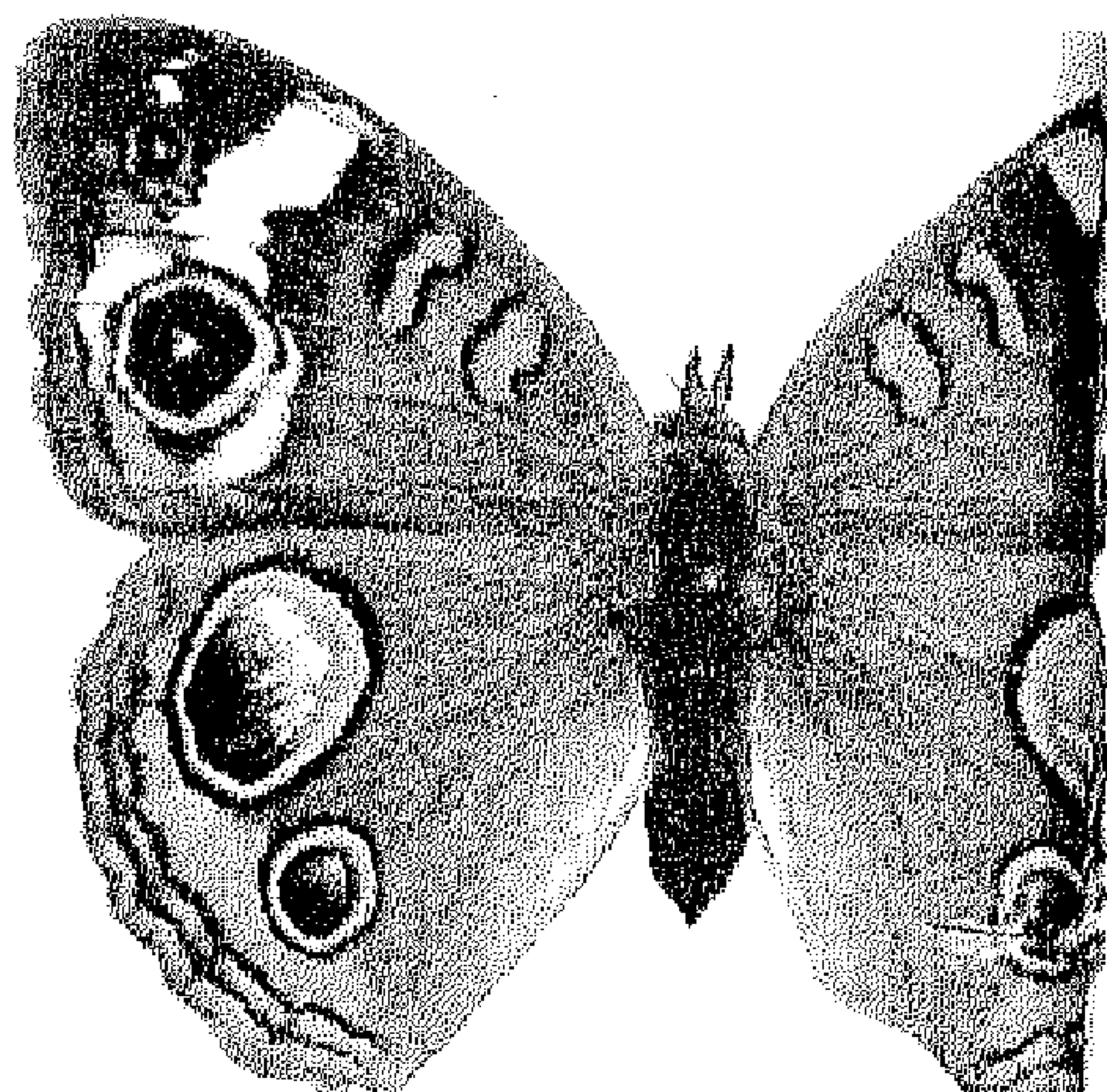


فراشة "مورفو"، بالازرق القزحي الذي يلونها، تمكن مشاهدتها من طائرة تحلق على مسافة منخفضة فوق المناطق العالية من غابات البرازيل حيث توجد. وهناك نماذج مخبرية منها تستعمل في تزيين المجوهرات.

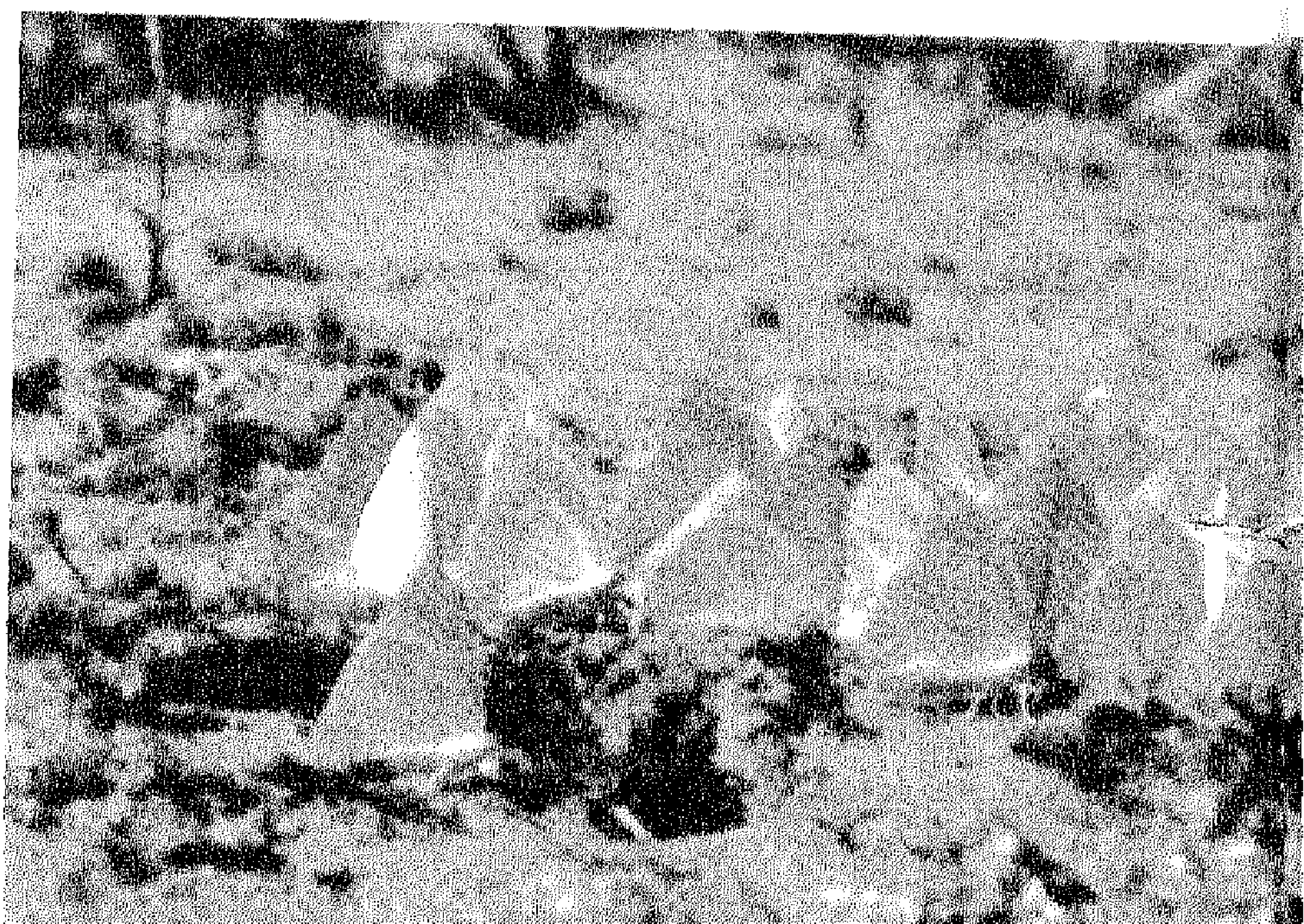
فراشة "سيبريتا" البرازيلية تعرض جناحيها للشمس من أجل توليد الحرارة التي تنتقل من الجناحين الى بقية الجسم، وبعض هذا الجنس لا يمكنه التحليق اذا كانت حرارته دون ٣٠ درجة مئوية.



فراشة "باكي" من الولايات المتحدة الامريكية في صورتين: عامة (تحت) ومفصلة (الى اليسار). وتظهر على جناحيها نقاط تشبه العين، وهي قد تخيف العصافير الى حين فتعطي الفراشة فرصة للهرب.



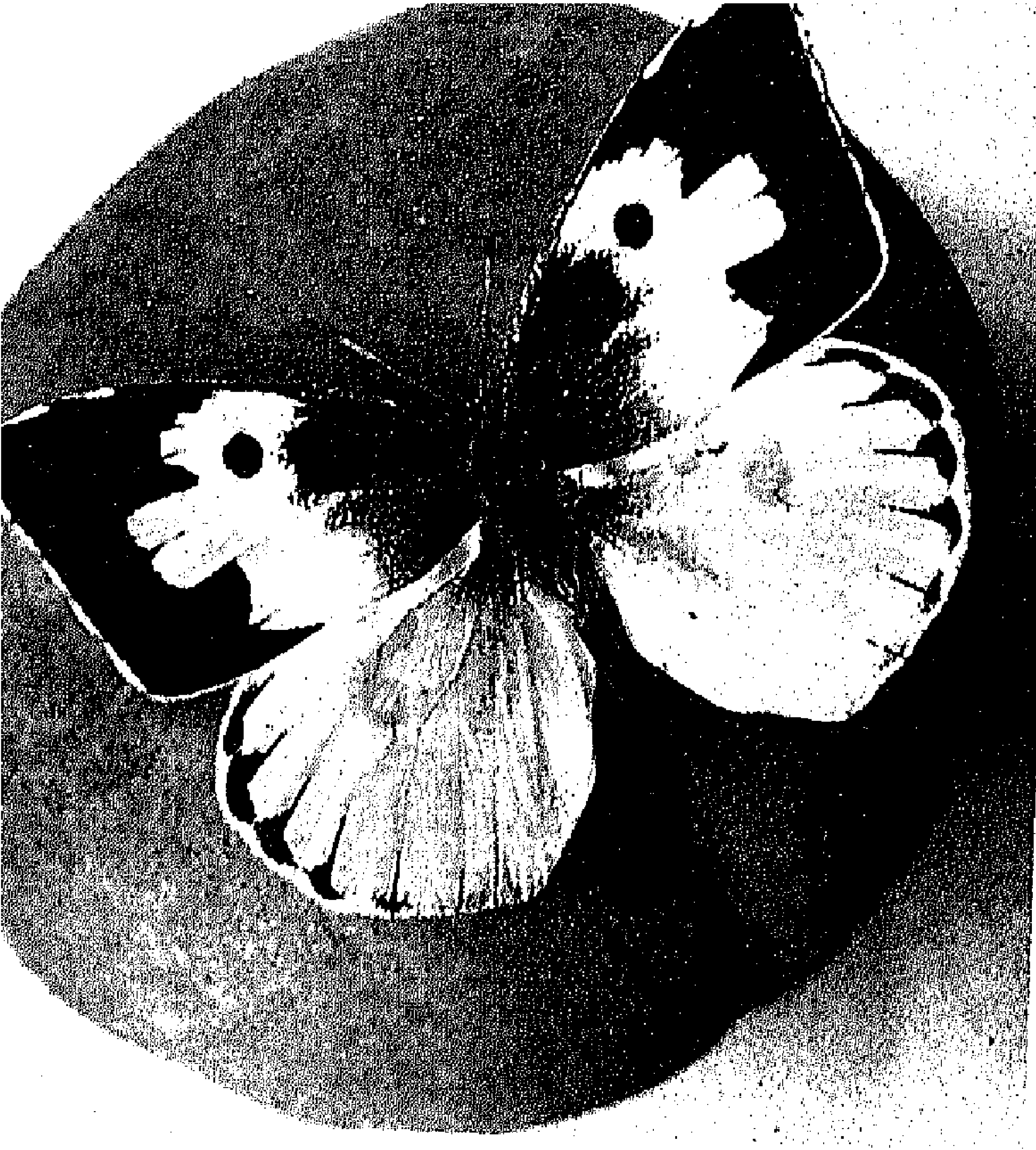
فراشات من نوع "فيبيس" في امريكا الاستوائية تجتمع لتمتص ما تبقى من رطوبة البرك الصغيرة قبل جفاف مائها، وهي تحتشد وتحلق لتصد المعتدين لدى تعرضها للخطر.



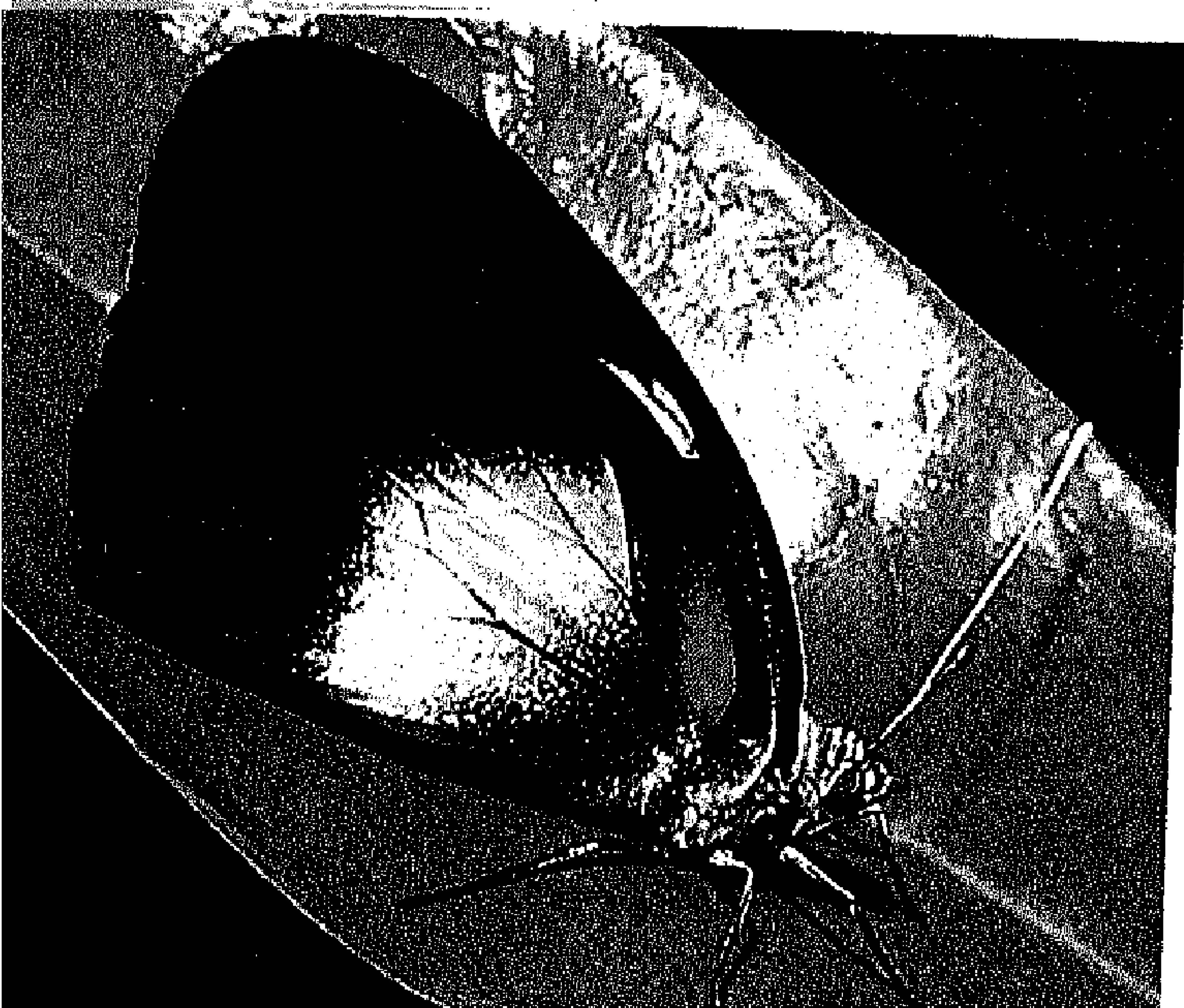
فراشة من نوع "ليكانيد"، وهي مزودة بما يشبه الرؤوس على جناحيها الخلفيين. وحين يغافل عصفور هذه الفراشة محاولا التهام رأسها الوهمي، تكون قد تنبهت لتهرب وتنجو برأسها الحقيقي.

الفراش الذي ينفر منه المعتدون تغلب عليه الالوان الزاهية المتألقة. ومن هذا النوع فراشة "بابيليو".






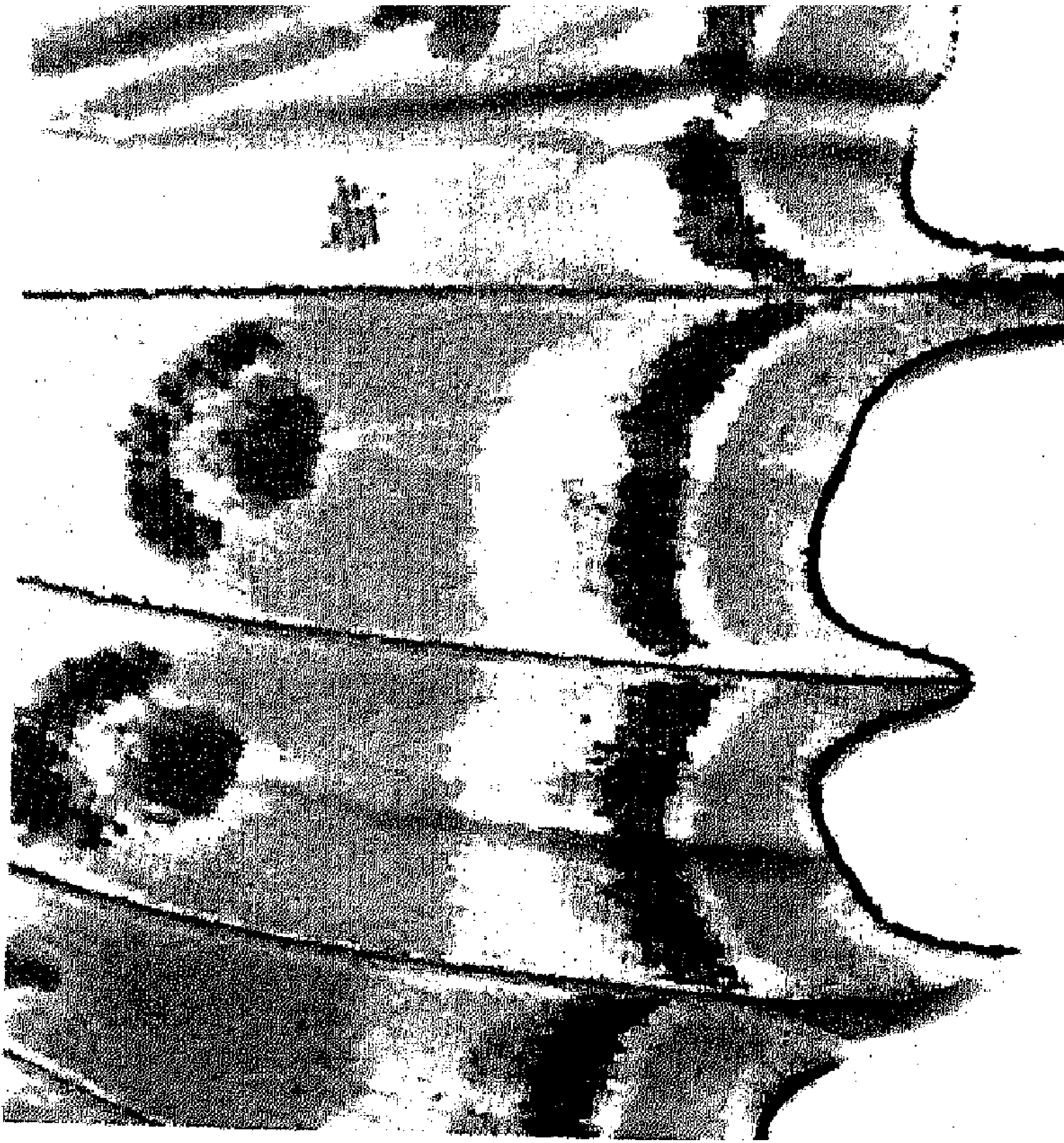




فوق: فراشة "وجه الكلب" تظهر بجناحيها شبها بكلب "البوْدل" الذكي والكثيف الشعر ·

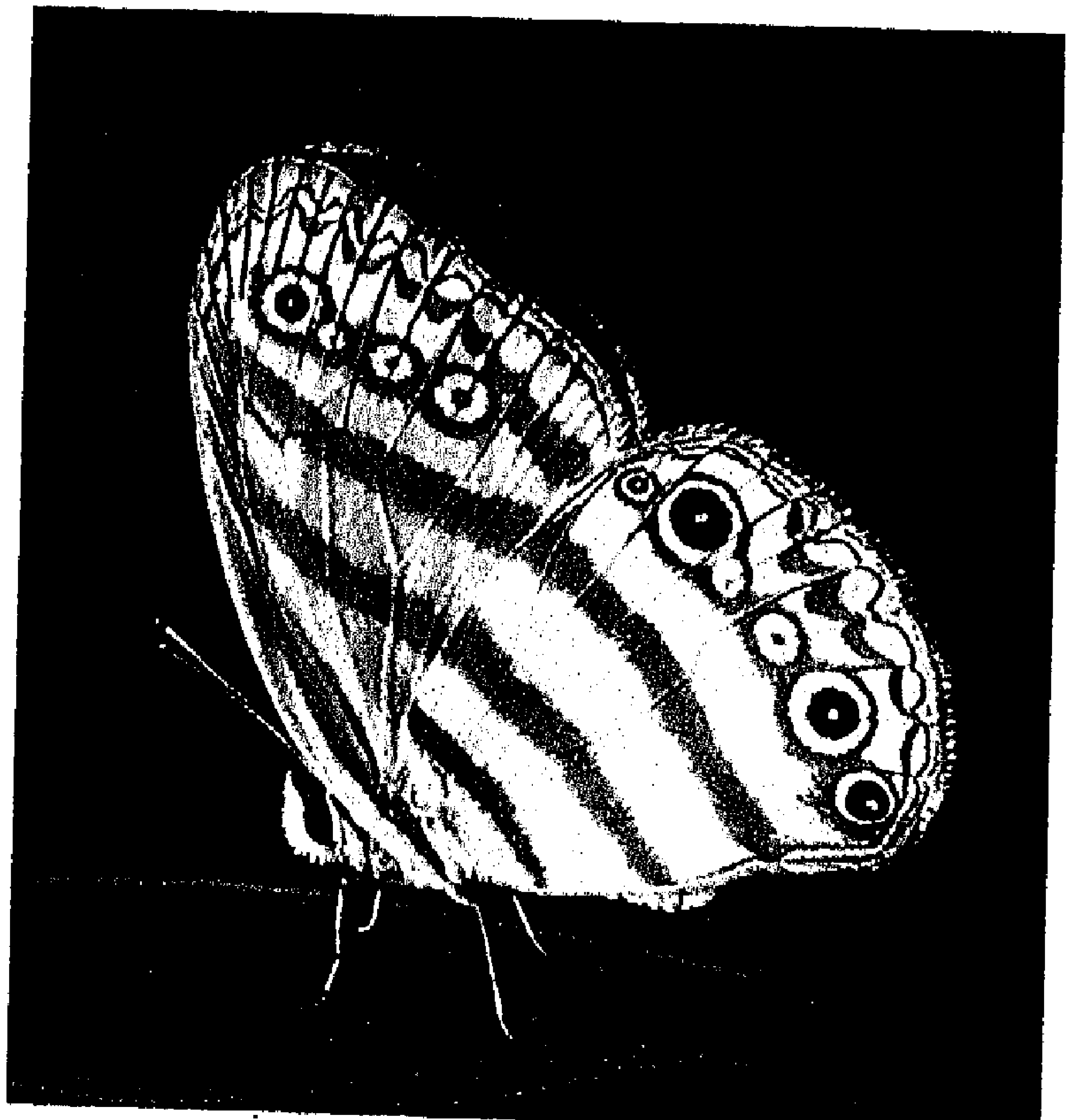
تحت: انثى "بوادوفال" من غينيا الجديدة وعلى جناحيها علامات كالبورسلين·





فراشة "اوليريا" هذه لا تتفتح لها شهية العصافير في الغابات الظليلة، وربما كانت البقعة البيضاء دليلا للذكر لكي يلاقي الانثى.

فراشة "ناواب" التايلاندية تتباهى في جناحها الملون الناعم الذي يمكن تقليده لتزيين رداء صيفي منقوش.



فراشة "اوبتيشيا" الجميلة التي تسعى اليها الطيور والسحالي.

لم يبق للشرطي الاوسترالي الشاب سوى وسيلة وحيدة: التوغل مسافة ٦٥ كيلومتراً عبر مجاهل الادغال الكثيفة الوعرة المحفوفة بالاخطار والحافلة بالثعابين والتماسيح والسيول الموسمية.

مأساة واقعية

شهامة شرطي

جاءت السيدة جيسي براون الى مركز بوليس ماونت ايزا في ولاية كوينزلاند في اوستراليا لمقابلة المفتش جاك فودين واطلاعه على الموضع الذي انحصر فيه ابنها دنيس البالغ من العمر ٢٩ عاما، فأشارت باصبعها الى المكان على الخريطة الجدارية الكبيرة واوضحت للشرطي انه يقع على طريق كامooويل - بيركتاون على مسافة ١٥٠ كيلومترا تقريبا الى الجنوب من خليج كاربنتاريا، وروت له كيف انها استأجرت هي وكنتها طائرة ركاب صغيرة سعيا الى اكتشاف مكان ابنها الضائع فوجدته غائصا في سيارة النقل التي يقودها في مستنقع كبير وقد عزلته مياه السيول بضعة كيلومترات من كل صوب.

وقالت السيدة بثقة يمازجها القلق



الشديد: "هذا هو الموقع، والمياه تتقاذف عليه بسرعة متزايدة".

فأجاب المفتش مهدئا روعها: "لا تقلقي، سنعيده اليك".

بدأت متاعب الشاب دنيس براون قبل هذه المقابلة باربعة ايام، وكان ذلك في ١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٦، عندما غادر مزرعته "فرنشمانز غاردنز" (حدائق الفرنسي) المختصة بتربية الماشية، باذلا جهده لكي يستبق العاصفة المدارية المنذرة بالهبوب، الى مدينة ماونت ايزا الواقعة على مسافة ٢٥٠ كيلومترا جنوب مزرعته والتي يعمل سكانها في تعدين النحاس.

ومن المعروف عن هذه المنطقة انها عرضة للسيول الغزيرة بين عيد الميلاد وشهر مارس (آذار) وان معدل كثافة المطر في ذلك الحين يبلغ ٤٥٠ مليمترا في ٢٤ ساعة. وكثيرا ما يرتفع مستوى مجاري المياه بسبب الفيضان حتى يعزل المجتمعات الصغيرة في المنطقة الداخلية عزلا تاما. وقرر دنيس براون ان يغادر المزرعة في الحال، اذا هو شاء ان يتجنب شر العزلة لمدة شهرين كاملين.

وقاد براون شاحنته القوية طوال سبع ساعات، ثم فوجيء بها تميل الى الامام بحركة اثارت هلعه، وغاصت عجلتاها الاماميتان تحت سطح الطريق، ولم يكد يخرج منها حتى غرق الى خصره في مستنقع وحلي تتصاعد منه الفقاقيع ورائحة كبريتية نفاذة، وتلتصق الوحول بساقيه وتكاد تمتصه وكأنها رمال متحركة. ولا شك في ان براون قد توغل بشاحنته في واحدة من أخطر الورطات التي يتعرض لها السائق الغافل في منطقة الادغال الداخلية. فهناك طبقة من الصخر الصلد على عمق اربعة او خمسة امتار تقريبا تحت الطريق تحول دون تسرب السيول الهاطلة على منحدرات التلال، الى باطن الارض، فتتجمع هذه الامطار في التربة التحتية التي تتشبع بها بالتدريج بينما تلهب اشعة الشمس الحامية سطح التربة وتجعل منه قشرة صلبة يختفي تحتها الشرك الخادع، وتتحمل ثقل رجل، بل وثقل حصان في بعض الاحيان، ولكنها لا تقوى على تحمل سيارة تغامر بالمرور فوقها فلا تلبث ان تنهار بها التربة السطحية فتهبط السيارة في الشرك الكامن تحتها من دون ان تستطيع الخلاص منه.

ساقه مشلولة — ولم يفت براون انه لن يتمكن ابدا من قطع المسافة الباقية من الطريق على قدميه، بالنظر الى عطل ساقه اليسرى من جراء شلل الاطفال الذي انتابه في صغره والذي جعله يعرج حتى الآن على نحو ظاهر. وكان اقرب مكان مأهول من هناك غريغوري داونز الذي يبعد ٦٧ كيلومترا ولا يزيد عدد سكانه على ٣١ شخصا. هذا، وبالنظر ايضا الى بدء فصل الامطار الموسمية فقد بات من المتعذر الامل في مرور سيارة اخرى.

وفي تلك الليلة سقطت امطار غزيرة بلغ معدلها مئة مليمتر في أقل من ساعة واحدة، وامتلأت الوديان بالمياه حول الموقع الذي وصل اليه براون فعزلته وحاصرته تماما. وقضى

براون اليوم التالي وهو يحاول عبثا اخراج الشاحنة التي زادت انغراسا في الوحل الطري عند هبوط الظلام، ولم يعد امامه اي خيار سوى انتظار النجدة.

ويوم الاربعاء لم يبق لديه سوى علبة واحدة من اللحم، كما ان الحرارة ارتفعت الى ٤٢ درجة مئوية، فتعاونت الحرارة والرطوبة على انهاك قواه.

وفي صباح الخميس، حلقت طائرة البحث فوق موقعه والقت اليه ببعض الاغذية، بينما راح هو يلوح لها باهتياج شديد ليعلمها بانه حي وسليم، فتلاشى منه اليأس في تلك اللحظة وشعر بشيء من الانفراج.

وفي هذه الاثناء صدرت من ادارة البوليس في مدينة ماونت أيزا تعليمات المفتش فودين الى اثنين من أكفأ اعوانه هما الجاويش راي براند (٣٩ سنة) والشرطي غراهام روبسون (٢٣ سنة)، لكي يعملا "كل ما تستدعيه الضرورة"، لانقاذ دنيس براون. وعلى الفور اعد براند وروبسون امدادات الطوارىء ووضعاها في شاحنة البوليس وسارعا بالانطلاق من كاموويل، على مسافة ١٥٠ كيلومترا جنوب شرقالموقع الذي عزل فيه براون.

ولاحظ رجلا البوليس ان الطريق يزداد خطرا وغدرا كلما تقدما نحو الشمال، واخذت سيارتهما تتواثب فوق الحفر المتكاثرة على طول ٥٠ كيلومترا وتنتقل بهما عبر الوديان الضيقة والرمال المغمورة بالمياه وتنزلق بين حين وحين في الوحل الأسود، فيكاد الشرطيان يفقدان سيطرتهما على قيادتها، اضافة الى ان الطريق قد اختفت معالمها في مواضع كثيرة تحت المياه الغامرة على مسافات تمتد مئات الامتار.

ولم يتمكنا من بلوغ موقع دنيس براون الا في الساعة ٩،١٥ مساء، اي بعد انقضاء ست ساعات كاملة على خروجهما من كاموويل. وقد تذكر براند هذا اللقاء في ما بعد فقال: "كنت احسب انني قد رأيت في الماضي جميع مظاهر العواطف التي تنتاب الانسان، الى ان وقعت عيناي على ملامح براون وقد كساها الاحساس الخالص بالراحة والسعادة".

ولكن لم يلبث ان تحول هذا الابتهاج الى يأس، بعد ان قطر الشرطيان شاحنةبراون الى شاحنتهما وحاولا ان يجراها ويخرجاها من المستنقع الذي انغرست فيه، ولكن سرعان ما انهارت مساحة اخرى من سطح الطريق فغاصت شاحنة البوليس بدورها غوصا لا امل معه في اخراجها، على رغم الجهود الشاقة التي بذلها براند وروبسون في هذا السبيل والتي لم تفض الى اكثر من النتيجة التي افضت اليها محاولات براون من قبل، اي تفاقم انغراس شاحنتهما في الوحل.

وقد اتضح ايضا لهما ان جهاز اللاسلكي لا يجدي نفعاً في ذلك المكان الذي تحيط به التلال. فقد حاولا مرارا ان يتصلا بمدينة ماونت ايزا، فلم يفلحا بسبب التشويش المتأتي من ضوضاء صائدي الاسماك في خليج كاربنتاريا البعيد. الى هذا، فقد بدأ الرجال الثلاثة يخشون

ان تجتاحهم السيول، بالنظر الى قرب سقوط وابل مدرار من المطر.

مغامرة الجاويش - وقرابة الساعة الاولى صباحا، اقترح روبسون على رفيقيه - نظرا الى تفوق لياقته البدنية ومعرفته لتلك المنطقة التي ولد ونشأ فيها - ان يتوجه بمفرده الى غريغوري داونز، اقرب الاماكن الآهلة الذي يبعد ٦٧ كيلومترا من هناك، لطلب المعونة. وكان مثل هذا الاقتراح امرا بمثابة الانتحار في اي وقت آخر، لكن الموقف هنا موقف استثنائي اضطر معه الجاويش براند الى الموافقة على الاقتراح.

ولم يكن روبسون من جانبه يتوهم ان في مقدوره ان يقطع المسافة في حر النهار، لذلك لم يتمهل لحظة واحدة، بل انطلق على الفور وحيدا في ظلمة الليل.

وقطع روبسون الكيلومترات العشرة الأولى بسرعة جيدة خلال الآجام الشائكة واشجار الصمغ المديدة، ثم التقطت اذناه في الظلام الفاحم صدى انجراف المياه المتدفقة وضجيج الفروع المتكسرة والجذوع المقتلعة وهي تندفع في جدول حولته السيول الى نهر جارف.

وتقدم روبسون خطوة في اتجاه التيار المتدفق والملتف كالدوامة، وسرعان ما تراجع على اعقابه فور سماعه في اسفل المجرى زئيرا عميقا يصدر بالتأكيد عن تمساح. ويقول روبسون: "يكفي ان يسمع المرء مرة واحدة زئير التمساح عن قرب لكي لا ينساه طوال حياته". وكان روبسون يرهب التماسيح، ويعرف ايضا ان نهر غريغوري الذي يصب فيه الجدول على مسافة كيلومترات قليلة هو موئل لهذه الوحوش الفتاكة آكلة البشر. وكان قرأ منذ بضعة اسابيع نبأ عن صياد التهمه تمساح طوله سبعة امتار.

وجمد روبسون في مكانه نحو عشر دقائق، يرهف السمع ليتبين مكان التمساح. ثم تملكه الخجل، بعد ان وعد رفيقيه بالحصول على المعونة، بينما هوذا قد سمر في مكانه يحاول الانصراف عن مواصلة الطريق.

التمساح والثعبان - وتنفس روبسون نفسا عميقا وسار بجرأة نحو المياه المتدفقة، واندفع فيها الى ان بلغت علو صدره، فغمغم صلاة قصيرة وانطلق في السباحة. الا انه على رغم مهارة روبسون في السباحة، لم يلبث التيار ان حمله معه بين الاغصان المتلاطمة، في اتجاه التمساح. ولم يكد يصل الى منتصف المسافة حتى انسته المفاجآت تخوفه من التمساح.

ومد روبسون يده كي يدفع عنه ما حسبه فرعا طافيا، ولكنه اعتراه الرعب لدى شعوره بانه يلمس شيئا حيا كان ثعبانا مائيا هائل الحجم. أذعرته اللمسة فالتوى على بعضه دقاعا عن النفس. وقذف التيار الثعبان بعيدا لكنه لامس بطوله الكامل الذي يبلغ المترين وجه روبسون فانتابته بذلك رعدة الخوف. وما ان وطئت قدم روبسون قاع المجرى على الجانب الآخر من التيار حتى اسرع الى الضفة شاهقا يسترد أنفاسه. لم تكد محنته تبدأ بعد، وها هوذا قد تعرض خلال دقائق معدودة لامرين من اكبر مخاوفه في تلك المنطقة باسرها: التماسيح والثعابين.

وقطع روبسون خمسة عشر كيلومترا اخرى غائصا حتى خصره في المياه الموحلة غالب الاحايين. وقد خلع الحذاء الخفيف الذي كان يلبسه لانعدام جدواه في الوحل، ولم يلبث ان انتزع ايضا سرواله القصير بعد ان بللته المياه وبدأ يحتك بجلده احتكاكا مؤلما. وما اكثر ما انزلق ووقع على الصخور الحادة، فامتلأ جسمه بالرضوض والجروح، وهاجمته اسراب من البعوض كالسحاب الكثيف، والتصقت الديدان الماصة بكاحليه وقدميه وتغلغلت بين اصابع رجليه لا يستطيع انتزاعها من دون ان يتوقف عن السير، وكان اذا ما توقف لانتزاع الديدان، هاجمته الحشرات المئينية (ام اربع واربعين) الضخمة وتسلقت ساقيه وجسمه واثخنته بلدغاتها البالغة الايلام، بل ان هذه اللدغات - حسب ما يؤكده سكان الادغال - تظل آلامها تعاود الملدوغ مرة كل اثني عشر شهرا طوال ما بقي من حياته.

الا ان الثعابين هي اكثر ما يثير خوف روبسون. وكان يعرف انها على اختلاف اشكالها - ومن بينها فصائل سامة خطرة متعددة، كثعابين المولجا والثعابين الاوسترالية البنية - ستتجه مثله الى البقع القليلة الباقية من الارض المرتفعة الجافة، فلازمه الخوف طوال الليل من ان يدوس عرضا احد هذه المخلوقات الشريرة.

وحدث ثلاث مرات ان انهارت الارض فجأة تحت قدميه وراح يتخبط في المياه المرتفعة حتى رقبته، بينما الوحل يمتص ساقيه. وقد تمكن في كل مرة من ان يتمسك بغصون الاجام للنهوض بنفسه. وواصل طريقه وهو مبتل حتى عظامه والمياه تقطر منه والرعدة تجتاح بدنه والخوف يتملكه، وهو يكرر لنفسه من دون توقف: "لا بد ان استمر، لا بد ان احصل على المعونة". ولم يحدث له من قبل - طوال حياته في منطقة الادغال هذه - ان شعر بمثل هذه الوحدة الكاملة وانعدام الحيل ازاء ما يتهدده من أخطار.

وبدأ المطر ينهمر بينما روبسون يشق طريقه خلال الوحل الاسود المتكاثف بين الحشائش النامية حتى خصره. وقد تسلخت اربيته عند ملتقى فخذيه فاضطر الى السير بساقين متباعدتين، وكأنه على ظهر حصان. ثم تحول المطر الى سيل جارف، واخذ البرق يومض في الافق البعيد ويشق كبد السماء بخطوطه المتعرجة التي تخطف البصر وتنذر بمزيد من العواصف المطيرة التي تحمل معها خطرا متعاظما يهدد دنيس براون والشرطي براند في عزلتهما.

وبينما كان روبسون مستغرقا في التفكير في الخطر الذي يهدد رفيقيه، وطئت قدمه جسم خنزير بري ضخم، فاطلق الوحش شخرة غاضبة وانتصب على اقدامه، فلاذ روبسون بالفرار ليتجنب هجمته، ولم يلبث ان تزحلق وسقط متخبطا في الوحل، من دون ان يتعقبه الخنزير البري لحسن الحظ.

وكان الوادي الغارق في المياه لا يعرف الصمت ولا السكون، يملأه الصرير والطنين والاصوات المتصاعدة من ملايين الضفادع وصرارات الليل وغيرها من الحشرات، فأرهقت الضوضاء المستديمة اعصاب روبسون

ثم التفت الى نفسه وراح يضحك من سخافة مغامرته في عبور منطقة الادغال الرهيبة سيرا على الاقدام وهو يعتمر قبعة البوليس وليس على جسمه سوى القميص.

تباشير الخلاص – وفي الساعة الخامسة صباحا، بزغ الفجر ولاحت خيوط الضياء فكانت سببا في انقاذ حياته، اذ رأى ثعبانا من اضخم الثعابين البنية الاوسترالية التي شاهدها في حياته يعترض سبيله على مسافة تقل عن ستة امتار. وكان طول الثعبان يقارب المترين ويعادل ثخنه معصم الانسان. ورفع الثعبان السام الخطر رأسه متأهبا للهجوم، وظل الاثنان يحملقان احدهما في الاخر لبضع لحظات حسبها روبسون دهرا لا نهاية له، وراح يتراجع ببطء شديد من دون ان يرفع عينيه ابدا عن عيني الثعبان، وما ان تيقن من انه ابتعد عن متناول وثبته، حتى اطلق ساقيه للريح.

وارتفعت الحرارة الى ما يزيد على ٣٠ درجة مئوية واشتدت الرطوبة على نحو مرهق، فبدأ روبسون يتوجس من انه مقبل على الجنون وانه يدور في حلقات لا سبيل له الى الخروج منها في منطقة خالية من المعالم. وقد ادرك من ساعته انه قضى وقتا طويلا وهو يمشي، وكان يدري انه قطع من دون شك مسافة كبيرة، وانما كان حسه ينبئه بانه لا يزال في المكان نفسه.

وتملكه الهوس باحصاء خطواته، بينما اخذت مخيلته المتعبة تحدثه بمظاهر الشؤم التي تحملها الطيور الجارحة المحلقة فوق رأسه.

وتابع روبسون مسيرته في صورة آلية عازما على ضرورة الاستمرار على قدميه، ولم ينتبه الى صوت يصدر من امامه على مسافة معينة ويشبه هزيم الرعد. وحتى عندما انتبه الى الصوت فانه لم يستطع ان يحدد نوعه، ثم ظلل عينيه بيديه وأمعن النظر فرأى آلة ضخمة لتمهيد التربة، فاسرع نحوها حتى بلغ حافة الطريق الضيق الموحل، وهناك تهاوى ببطء على ركبتيه وطمر رأسه في كفيه لما انتابه من الشعور بالعياء والاحساس بالفرج.

ولاحظ بيل بيلي سائق الجرار الضخم ان روبسون مصاب بحروق شديدة من لفح الشمس، وان الدماء تقطر من جروح ساقيه، وان لدغات الحشرات تنتشر في كل جسده. وكاد الا يصدق ان روبسون قد تمكن في تسع ساعات من ان يمشي ويتسلق ويزحف ويسبح عبر هذه المنطقة البالغة الوعورة ويجتاز اكثر من ٦٥ كيلومترا في ارجائها. اما روبسون، فقد كان لا بد له من ان يلمس الجرار الضخم بيديه ليتأكد من ان الامر كله ليس وهما من نسج خياله، وظل يكرر باستمرار ان عليه ان يعود لانقاذ براون وبراند.

واسرع بيلي فاصطحب روبسون الى غريغوري داونز، حيث جمعا على عجل فريقا للانقاذ. وفي الساعة ٤،٣٠ من عصر ذلك اليوم الجمعة ٢٠ فبراير (شباط) رجع روبسون الى النقطة التي بدأ منها مسيرته الاسطورية، على رأس قافلة صغيرة اخترق بها الوحول والسيول والفيضانات ووصل الى براون والشرطي براند اللذين استقبلاه بالحرارة والامتنان، من دون

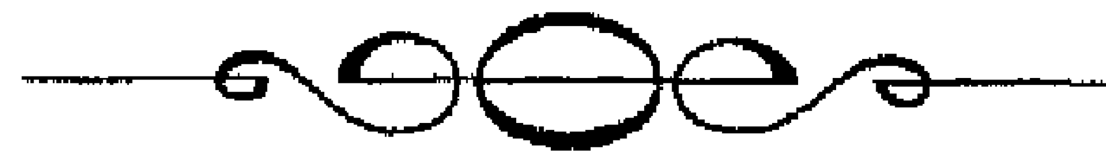
ان تبدو عليهما آثار العناء من الانتظار الطويل.

وحين عاد الجميع الى كامooيل في ذلك المساء - بعد قضاء ٤٢ ساعة من الجهود الشاقة المتواصلة - اسر روبسون الى براند باحساسه "بشيء من التعب"، ثم انهار فوق احد الاسرة، حيث نام اكثر من ١٢ ساعة.

ولم تمض ايام قليلة حتى بدأت رسائل التهنئة تصل الى مقر رئاسة البوليس. وقد منحت ادارة بوليس كوينزلاند بعد ذلك روبسون ارفع ما لديها من اوسمة الشجاعة والتفاني؛ كما منحته جمعية اوستراليا الملكية للاعمال الانسانية ميداليتها الفضية للشهامة. وفي فبراير (شباط) ١٩٧٧، بعد انقضاء عام على مسيرته الخرافية، منح روبسون ميدالية ستانهوب الذهبية، وهي اعلى الاوسمة التي تقدمها الجمعية البريطانية مكافأة للاعمال الانسانية، وتقديرا لاشجع عمل قام به انسان خلال العام السابق في انحاء الكومنولث البريطاني.

ويطيب لدنيس براون ان يعلن ابتهاجه ازاء مظاهر التكريم التي تمنح للشرطي الشاب، ويقول: "لا شك في ان اقدامه على تحمل تلك المشاق من اجل شخص لم يعرفه من قبل، لدليل اكيد على الشهامة والشجاعة الاصيلة اللتين يتحلى بهما".

■ تيموثي هول



تقول الممثلة الفرنسية سارة برنار: لا يصبح الانسان غنياً ما لم ينفق نفسه.

النار تأكل نفسها

رسم ثلاثة لصوص من محطمي الخزائن الحديدية خطة فائقة الاتقان والدقة لسلب اموال احدى الشركات المعروفة في مدينة فانغ النرويجية، فوضعوا عبوة ناسفة تحت الخزينة وتربصوا في الغرفة المجاورة بعدما اشعلوا الفتيل. وما ان حدث الانفجار حتى انهار الجدار بأكمله على الثلاثة. وتبين ان الخزينة كانت خالية من المال ومليئة بالمواد المتفجرة.

نويل انطوني، "نانا"

البكاء والحرية

كثيرا ما يساعدك البكاء على الانفراج من الأمر الذي سببه لك. ولكن مهما استرسلت في البكاء وظننت انك لا تقوى معه على ضبط النفس فانك في الحقيقة لا تزال تكبت نفسك في الصميم.

أما الضحك الصادق فهو، في نظري، احد العوامل القليلة التي تتيح لك ان تتحرر كليا من الضوابط التي تكبتها في قرارة نفسك.

بوب تالبرت، صحيفة "فري برس" (ديترويت)

المهن الحرّة في حالة حصار

ان المهن المكتسبة عن طريق التعلّم في المجتمع المعاصر، كالطب والتعليم والمحاماة، لن تستمر في فقدان احترام الجمهور لها فحسب، بل ستستمر في فقدان حريتها الغالية أيضا، ما لم تصلح نفسها خلقياً.

ان مكانة أي مهنة ترتفع وتنخفض كسوق الاسهم المالية، تبعا لعوامل غير قيمتها الحقيقية. ولقد اوضح الجمهور الامريكي والصحافة الامريكية طوال عقد من الزمن أو ما يربو على ذلك أن المهن المكتسبة عن طريق التعلم لم تعد تلك الاشياء الرائعة التي يُنظر اليها برهبة واحترام كما كانت الحال في ما مضى.

فالأطباء، الذين كانوا يُعبدون كسامريين صالحين لا حدود لمعرفتهم. يعدّون اليوم استغلاليين، وغالبا ما تتعرض كفاءاتهم للشك ويحاول الواحد منهم ستر الاخطاء القاتلة للآخر. اما المحامون، الذين كانوا ذات يوم المدافعين عن الحقوق الخاصة والعامة، فيعدّون اليوم مهملين وابتزازيين، يخدعون الجمهور متعمدين من خلال لغة يُقصد منها الغموض وفقد الأكاديميون احترامهم وهيبتهم لعدم مبالاتهم وعجزهم في الاضطرابات الجامعية التي وقعت بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٠. وأصبح العلماء، الذين كانوا يُعدّون أنصاف آلهة منذ عهد داروين، مثارا للشك بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما عام ١٩٤٥. وآخر من يُوجّه اليه اللوم والانتقاد هو المحاسب، المتزمت الذي يتعذر فهمه والذي يبدو بوضوح أنه سيد تشويه الحقائق ومختلس حسابات من الطراز الاول.

المراقبة الخارجية – لقد كتب برنارد شو منذ فترة طويلة أن المهنة المستقلة هي "مؤامرة ضد سواد الناس". وهذه الحكمة يجب ألاّ تُرفض على أنها نكتة أو مبالغة لا داعي لها. فالتأكيد الوحيد المفرط هو في كلمة "مؤامرة" التي توحي بوجود

هدف سري لخداع الجمهور. لكن تهمة استغلال الاسرار المحفوظة بالذات هي التي تصبح فكرة الرجل العادي عن المهنة عندما تبدأ في فقد ثقة الجمهور واحترامه. وهنا يكمن الخطر. ذلك لأن الفكرة التالية التي تخطر على بال النقّاد المتيقظين هي المطالبة باشراف قوي على المهنة يأتي من الخارج.

لكن اقامة علاقات أفضل بين الشخص العادي والمهني يكاد يستحيل تحقيقها في جو من الشك والعداء المتبادلين كما أن تحقيق تحسن من خلال المساومة الجماعية أمر غير ممكن. فأساس هذه العلاقات فردي. وبناء على هذا، يجب ان تصبح ماهية المهنة، مرة أخرى، ملكا عاما بين من هم داخل المهنة ومن هم خارجها على السواء.

وكما قال ابراهام فليكسنر، مصلح التعليم الطبي الامريكي الشهير الذي عاش قبل نحو ٧٠ سنة، ان التدريب الطبي يقتضي "حيازة مقدار معين من العلوم التي تُرتّب وتُنظّم لتحقيق هدف عملي واضح. وهذا ما يجعلها مهنة". ولما كان سواد الناس يفتقرون الى مثل هذه الاهداف والى التدريب الخاص، فالمهنة تكون احتكارا بالضرورة. وهذا الاحتكار يصبح أمرا مشروعا في المجتمعات باعطاء الاجازة لممارسة المهنة. ويُبرر المهنيون الاحتكار باعتباره أمرا حيويا لسلامة الجمهور. غير ان الحد الفاصل بين الاحتكار والمؤامرة أمر يصعب تحديده ويسهل تخطيه وتجاوزه.

والنتيجة هي ان المهنة، بطبيعتها، مؤسسة معرضة للانتقاد. فهي ذات متطلبات، وهي تطالب لنفسها بامتيازات فريدة، كما عليها ان تؤدي وظيفتها. لكن الضمير "هي" لا يوجد فعلا ككيان مفرد قائم في ذاته. فالمهنة، أو "هي"، عبارة عن بضع مئات او آلاف من الأفراد الذين يختلفون الى حدّ كبير كما يختلف جميع البشر الآخرين، ولكن كمهنيين، يُتوقع منهم أن يتصرفوا نموذجيا وأن يكونوا ناجحين مهنيا على نحو ثابت ومستمر.

اتهام متبادل - ومع ذلك، فالواقع أن كل مهنة لا تبلغ من الجودة الا حداً متوسطاً. وهي، بطبيعتها لا يمكن ان تكون غير ذلك. لكن توقعات الجمهور تصل الى درجة أعلى كثيرا من المتوسط، بحيث انه حينما يحين موعد الحساب ويكون سواد الناس متلهفين للحصول على حقوقهم، فان الخوف العام والاتهام المتبادل تصبح امورا لا مفرّ منها. والأسوأ من ذلك أنه، على رغم أنه يجب الحكم على أي فن قياسا الى أفضل نتائجه، فمن المؤكد ان المجتمع الديموقراطي، الذي نشأ على المساواة في جميع الامور، يحكم على المهنة من خلال أسوأ نماذجها. وهذه هي الحال التي نجد نفسنا فيها الآن.

فلننظر، مثلا، الى الدعاوى القانونية التي تقام ضد سوء التصرف. ان من العدل، حسب وجهة نظر معينة، أن يتلقى المريض أو وارثوه التعويض عن الاضرار التي تنجم عن المعالجة المهملة او التي تدل على جهل. أما من وجهة نظر أخرى، فمن السخف أن يكون الاخفاق

سببا للشكوى بعد بذل أفضل الجهود المهنية. الا ان العميل لا يستطيع أن يعرف ما اذا كان قد حصل على أفضل الجهود. وهو يصدر حكمه تبعا للنتيجة النهائية: الموت أو الشفاء، ويريد ان يعرف الاسباب معرفة واضحة.

وتتبدى حدة المأزق على نحو أكبر في حقل التربية، حيث يظهر أثر الاخفاق في "تعليم" طالب معين في الطالب نفسه، وحيث يفوق اللوم الحصافة الانسانية. وليس في امكان نظامنا الحالي أن يحذو حذو رئيس الكلية الذي قال في غابر الازمان للوالدة الساخطة: "سيدتي، نحن نضمن لك نتائج طيبة، والا أعدنا ابنك اليك!"

تدنّي المستوى — وبسبب هذه التعقيدات التي تقف دون النتائج النهائية، أي الشفاء والتعليم الجيد وكسب القضية القانونية، بدا، طوال قرون عدة، ان من الافضل ان تتولى المهن مراقبة نفسها. لكن تنظيم الاعمال جاء بسبب اهمال هذه المراقبة. فقد استغل ارباب العمل العامل والمشتري تحت شعار "فليذهب الجمهور الى الجحيم". والمهني اليقظ اليوم عاوده شعور بعدم الارتياح من أن المهن أصبحت في المرحلة الحاسمة التي يُلصق بها الشعار عينه.

وهناك دلائل أخرى على تدنّي مكانة المهن تدريجا الى مستوى الاعمال العادية. فقد مُنح المحامون والجراحون الامريكيون حق الاعلان والدعاية، مما يعيد عنصر المنافسة المالية الى الظهور. كذلك سُمح للمهندسين المعماريين بتولي أعمال المتعهدين، وللمعلمين بالانخراط في اتحادات عمالية. ويطالب الرجال العاديون بحقهم في الانضمام الى المجالس الادارية للمهن المختلفة على أساس ان الادارة الداخلية لها غير قادرة على خدمة الجمهور على نحو لائق ما لم تخضع للمراقبة. وتعمل الاموال الحكومية على تحقيق الغرض نفسه، حيث ان البيروقراطية، عن طريق توجيهها استخدام تلك الاموال تتحكم في من يستخدمونها.

ان مثل هذه الخطوات، سواء أكانت تعد تهديدات أو اصلاحات، تدل على شيء واحد، وهو أن المهن الحديثة كانت محتكرة لمدة طويلة نسيت معها ان هذا الاحتكار امتياز أعطي لها مقابل افادة الجمهور. وقد فُسرت الشكاوى أحيانا على أنها حسد او سوء فهم بدلا من تفسيرها كما هي فعلا، أي امتعاض من خيانة الثقة.

ولربما كنا نشهد الآن اندفاعا نحو مجتمع جديد، يكون جماعيا من بدايته الى نهايته، استنادا الى النظرية القائلة باستحالة الثقة بالفرد والمجموعة على السواء. وهذا سيعني تلاشي المبدأ الاساسي للمهنة.

العقل والضمير — ان النصيحة التي تُوجه الى المهن اليوم هي أن أملها الوحيد في البقاء مع تمتعها بحرياتها الحالية او بما يشابهها، هو استرداد القوة العقلية والخلقية. وعبارة "خلقية" هنا لا تعني الامانة فحسب، بل تشير الى طبيعة أي علاقة أو معاملة بين شخصين. فكل علاقة بين شخصين هي علاقة خلقية تكون

فيها الامور إما صالحة أو رديئة من الناحية الخلقية. ان ممارسات كاجراء تجارب على المرضى الفقراء أو اجراء جراحات من قبل الاطباء الذين لا يزالون في مرحلة التدرج، في الوقت الذي يظن فيه المريض انه في رعاية جراح عظيم، هي امور سيئة خلقيا، ولها مثيلها في مهنتي التعليم والمحاماة. لكن أوضاعا اكثر حدة تظهر من خلال الممارسة الجماعية لأي مهنة يمكن أن تتقاذف العميل فيها أيد كثيرة بحيث يفقد الثقة طوال الوقت ويدرك في النهاية أنه حُرم الاهتمام الصحيح.

ان الحساسية الخلقية لن تعود الى صاحب المهنة الفرد بمجرد ان تصدر نقابته مجموعة جديدة من القواعد والمبادىء. ذلك لأن مجموعة القواعد لا تضع سوى الحدود التي يُدان بها السلوك الذي يتجاوزها. كما أن المستوى الخلقي لا يُعد لائقا اذا اكتفى اولئك الذين ينخرطون تحته بالوقوف قيد أنملة من هذه الحدود. والواقع ان مجموعة القوانين هي للمجرمين والمتنافسين، وليست للمهن التي يريد اصحابها ان يوصفوا بالتفاني. ولا شك في أن مجموعات القوانين ومواثيق الشرف المهنية المعمول بها الان يمكن تطويرها عن طريق المراجعة. غير ان ما تحتاج اليه المهن أولا هو الارادة لتنظيم نفسها بيد غير نفعية، ودونما اعتبار لمسألة العلاقات العامة. فان أي مجموعة صغيرة من الفضائح سرعان ما تقنع الجمهور بأن المراقبة تدبير فعّال، وبالتالي تعيد ثقة الجمهور بالمهنة.

النمو" بعد انحدار - لكن المراقبة ليست كافية لانها سلبية. والاصلاح الخلقي لا يمكن تحقيقه الا عندما يصبح اعضاء مجموعة ما واثقين من أن السلوك الخلقي البناء مرغوب فيه فعلا، وان ممارسته منتشرة، وانه يلقى القبول والاعجاب. غير ان النمو والارتقاء بعد انحدار لن يتم تحقيقهما الا ببطء. وهناك قوة واحدة تستطيع أخذ المبادرة في هذا المجال، وهي قوة القيادة الخلقية والعقلية. ان جميع المهن تحتاج الى نقّاد من الداخل. انها تحتاج الى رجال يدركون طبيعة الامور، ويستطيعون ان يقدموا الى زملائهم من أصحاب المهن رؤيا جديدة للمهنة كمؤسسة.

ويجب توضيح التفاصيل لكل مهنة، مع الحرص على ان تكون هذه التفاصيل جزءا لا يتجزأ من المبادىء العامة. والهدف من ذلك هو تحويل بالنقد من مجموعة شكاوى الى مجموعة أهداف.

ان المشكلة، عندما تكون اخفاقا في الكفاية والمقدرة والاخلاق، فلن يحلها شيء سوى جهد عقل الفرد وضميره، يساعده في ذلك الرجال الكثيرون ذوو المواهب والنيات الطيبة الذين لا يحتاجون الا الى من يوجههم. وبدون جهد بطولي كهذا، فان التاريخ سيشير الينا، نحن المهنيين، على أننا جميعا قوم جبناء. وهو سيكون على حق.

■ **جاك بارزون**

مؤرخ واستاذ فخري في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك. له مؤلفات عدة، بينها: "السهل والمباشر" و"حسن استعمال الفن وسوء استعماله".

رُعبٌ في الفضاء

أصيبت النفاثة الضخمة
" لوكهيد ل - ١٠١١ "
بخلل ينذر بكارثة سريعة،
ولم يفلح افراد الطاقم
في معرفة سر" الخلل.

اشرفت الساعة على منتصف الليل في مطار سان دييغو الدولي في كاليفورنيا عندما انطلقت النفاثة التابعة لشركة خطوط دلتا الجوية على مدرج المطار تمهيدا للتحليق في رحلتها الى مدينة لوس انجيليس. وعندما بلغت سرعة الطائرة على المدرج ١٢٦ عقدة (قرابة ٢٠٠ كيلومتر في الساعة)، ارتفع مقدمها فجأة قبل ان يتسنى للطيار ان يتحكم بجهاز القيادة من اجل الاقلاع. ولم تلبث سرعة الطائرة ان تزايدت في اتجاه السحب الكثيفة التي تعلو المحيط، كما ازداد شموخ مقدمها الى مستويات اعلى فأعلى. وسارع الطيار الذي تملكته الدهشة بدفع جهاز التحليق الى الامام في محاولة لايقاف المقدم عن الارتفاع والعودة به الى الوضع الطبيعي.

على هذا النحو المزعج بدأت رحلة دلتا الجوية الرقم ١٠٨٠ يوم ١٢ أبريل. (نيسان) ١٩٧٧.

وعلى رغم تحسن الاحتياطات الوقائية الملحوظ في طائرات الركاب خلال السنوات الاخيرة - كتعاظم الثقة التي تبعث عليها محركات الطائرات، واتقان أساليب الضبط والرقابة الجوية، وغير ذلك من وجوه التقدم - الا ان الامر لا يخلو من بعض عيوب لا يمكن تجنبها في أفضل الأحوال. وفي النهاية، فأن حياة الركاب كثيرا ما تتوقف على مهارة ربان الطائرة، كما حدث فعلا في الرحلة الجوية ١٠٨٠.

كانت الطائرة من طراز لوكهيد ل - ١٠١١ العريض البدن. وكان يقودها جاك ماكماهان البالغ من العمر ٥٦ سنة، وهو متين البنية وبشوش الوجه

ومن أكثر الربابنة خبرة في شركة دلتا. وكان الى جواره في حجرة القيادة الطيار المساعد ويلبور رادفورد والمهندس ستيفن هايت. وكان على متن الطائرة ٤١ راكبا وثماني مضيفات.

وحين دفع الربان ماكماهان بجهاز القيادة الى الامام للحد من سرعة الارتفاع، بدت الطائرة وكأنها استعادت وضعها الطبيعي. ويقول ماكماهان: "كان أول ما فعلته التحقق من ضبط جهاز التوازن (اي الوصلتين الافقيتين على الذيل اللتين تتحكمان بتعادل مستوى الطائرة). وقد تبين من المؤشرات على لوحة العدادات ان هذا الجهاز كان مضبوطا".

شرود في الأعالي ـ الا ان الطائرة عادت تتجه الى الارتفاع الشديد حين وصلت الى علو ١٢٠ متراً، فجرب الربان جهاز التصحيح الكهربائي، وهو جهاز آخر لضبط التوازن، ثم جرب جهاز التصحيح اليدوي، فوجد ان كليهما معطلان. فكرر المحاولة، ولكن من دون جدوى. واستمرت الطائرة في صعودها الحاد الى قلب السحاب الكثيف حتى بلغت ٢٤٠ متراً من العلو، فطلب ماكماهان الى المهندس هايت ان يتحقق من سلامة الجهاز الهيدروليكي الذي يسيطر على معظم اجهزة التحكم. ويضيف الربان ماكماهان: "لم يساورني القلق في تلك اللحظة، لان الطائرة ل - ١٠١١ مزودة باربعة اجهزة هيدروليكية مستقلة بعضها عن بعض، مما يبعث على مزيد من الاطمئنان. وكنت واثقا من ان وسيلة واحدة على الاقل من الوسائل المتعددة المتاحة لنا ستتكفل، ولا بد، بحل مشكلتنا".

وأعاد ماكماهان ضبط جميع المفاتيح والمؤشرات المتصلة بزاوية الطيران، بينما اخذ رادفورد يتحقق من اضواء الانذار على لوحة المفاتيح، ثم كرر هايت اختبار الاجهزة الهيدروليكية. وعلى ارتفاع ٩٠٠ متر، جرت تجربة جميع اجراءات الطوارىء الخاصة بالميل وتصحيح التوازن، ولكن من دون ان يفلح الطاقم بعد ذلك كله في الاهتداء الى مصدر الخلل.

ويقول ماكماهان: "لقد ثبت لنا عندئذ اننا نواجه مشكلة مزعجة وانه ليس لدينا اي وسيلة لمواجهتها. وبدأ القلق يساورني فعلا".

وسارع الربان الى اخطار برج المراقبة بالصعوبة التي تجتازها الطائرة، ثم تعاون ومساعده على الضغط بأقصى قوتهما على جهاز القيادة. لكن زاوية ارتفاع الطائرة ظلت تتزايد حتى تجاوزت تجاوزاً كبيراً الزاوية الطبيعية التي تبلغ ١٥ درجة.

وراقب ماكماهان مقياس الارتفاع وهو يتدرج من ١٠٠٠ متر الى ١٢٠٠، ثم الى ١٤٠٠. وتجاوزت زاوية الارتفاع ١٨ درجة، فبلغت ٢٠، ثم ٢٢، بينما اخذت السرعة تتناقص، فهبطت الى ١٥٠ عقدة، ثم ١٤٥، ثم ١٤٠.

مياه المحيط ـ واصبحت الطائرة عرضة للخطر الداهم والانهيار المفاجىء بسبب ارتفاع مقدمها مع تناقص سرعتها. ومعنى ذلك ان الهواء لم يعد يتحرك عبر الجناحين بسرعة تتوافر معها قوة الدفع اللازمة

لرفع الطائرة٠ ويقوم الحل الوحيد في مثل هذه الحال على خفض مقدم الطائرة الى الوضع الافقي وزيادة سرعة الهواء٠ غير ان الطاقم عجز عن خفض المقدم٠

ويقول ماكماهان: "ادركت فجأة اننا سنمنى بالاخفاق٠ وتملكني الرعب بعدما حاولت ان احلق بهذا الشيء على خير ما استطيع ولكنه ابى ان يستجيب٠ وتبدت لخيالي صورة شديدة الوضوح للمصير الذي ينتظر الطائرة: ستتوقف المحركات، ثم تنقلب الطائرة الى اليسار وتنهار رأسياً لتختفي في مياه المحيط"٠

وفي تلك اللحظة اقفل الربان جميع صمامات الوقود لخفض سرعة الطائرة٠ وكان ذلك التصرف غير منطقي بالنسبة الى أي طيار، لأن خفض السرعة يؤدي الى الحد من سرعة الهواء فيقوي احتمال توقف المحركات٠ ولكن - كما يقول ماكماهان - "انك تنصرف في تلك الفترة عن انتهاج الخطة الطبيعية، وتضطر الى القيام بعمل ما، تفعله بسرعة"٠

وقد نجحت هذه الطريقة، وشعر ماكماهان بتحسن سيطرته على الطائرة، فزاد من قوة المحرك رقم ٢ المركب في ذيل االطائرة٠ ومن المعروف عن طائرات ل - ١٠١١ ان المحركين المركبين على الجناحين يميلان الى اسفل بعض الشيء، فيؤدي دفعهما الى توجيه الطائرة الى أعلى٠ اما المحرك المركب في الذيل فان انحرافه قليلا الى اعلى يجعل دفعه يؤدي الى توجيه الطائرة الى اسفل٠

ولم يلبث ان انخفض مقدم الطائرة الى زاوية ارتفاع مقدارها ١٨ درجة تقريبا، فازدادت السرعة٠ وعند ارتفاع ٢٧٠٠ متر خرجت الطائرة من السحاب الى ضوء القمر الساطع، وما ان وصلت الى ارتفاع ٣٠٠٠ متر حتى تمكن الربان من المحافظة على توازنها٠

وبادرت جين هوبر، المكلفة بشؤون التنسيق على الطائرة، الى اخطار الركاب بان هناك صعوبة في السيطرة على الطائرة، وطلبت اليهم ان ينتقلوا جميعا الى المقاعد الامامية تسهيلا لخفض المقدم٠ ويقول المهندس هايت واصفا ذلك: "لقد رأينا ان كل تعاون، مهما كان بسيطا، من شأنه ان يدعم تحسين الموقف"٠

تصورات واحتمالات - واصبحت المسألة الآن اختيار موقع للهبوط٠ واستبعد الربان العودة الى مطار سان دييغو الذي تغطيه السحب٠ وكان هناك مطاران عسكريان قريبان، ولكن يتوقفان عن العمل في العاشرة ليلا٠ اما محاولة الوصول الى مطارات ابعد في الداخل فقد تضطر الطائرة الى التحليق فوق سلسلة جبال "سييرا نيفادا" حيث تسود الاضطرابات الجوية وتتعرض الطائرة التي يصعب التحكم بها الى الخطر المحتوم؛ ولم يبق بعد ذلك كله بد من الاتجاه الى مطار لوس انجيليس الدولي٠

غير ان ماكماهان تخيل الكارثة التي يمكن ان يسفر عنها سقوط الطائرة فوق المدينة، فقرر ان يقترب من المطار متخذا سبيله فوق المحيط، وهو اسلوب في الهبوط

كثيرا ما ينفر الطيارون منه في الليل نظرا الى انعدام وجود اي معالم مرئية. لكنه يتيح الاقتراب من المطار عبر مسافة طويلة في خط مستقيم، فيوفر وقتا كافيا لضبط توازن الطائرة.

وكان من المستحيل التفكير في اجراء هبوط عادي، اذ ان انعدام سيطرة الطيار على انحدار الطائرة وارتفاعها وعدم تمكنه من خفض مقدمها على مدرج المطار، يجعل الطائرة تسبح عبر المطار على وسادة من الهواء حتى تتحطم في نهايته. وتصور ماكماهان ان الحل يكمن في الدخول على المدرج مع ضبط الاطراف المتحركة للاجنحة على زاوية مخفضة، وهو ما يتيح للطائرة ان تلامس الارض وهي منطلقة بسرعة تفوق السرعة العادية، اي بمعدل ١٧٠ عقدة بدلا من ١٣٠. وكان ذلك ينطوي على مقدار من المجازفة، لكنه يتيح للطائرة ان تستلقي ببعض العنف على المدرج. ويقول رادفورد: "كانت غايتنا ان نحط على الارض". وكان مفتاح العملية كلها كامنا في الثواني القليلة الاخيرة.

واستعد برج المراقبة في مطار لوس انجيليس، فاستدعى سيارات الاطفاء والغى المرور جوا وارضا في مجال تحرك الطائرة. وحين هبطت الطائرة الى علو ٧٥٠ مترا انزلت اجهزة الهبوط (العجلات وغيرها)، فتغير مركز الثقل، مما جعلها ترفع رأسها فجأة الى اعلى. ويقول ماكماهان: "دفعت قصبة التحكم اماما الى النهاية، لكن الطائرة استمرت تصعد. وكان اول ما خطر لي، بما اننا لا نستطيع التحكم بالطائرة حين ننزل اجهزة الهبوط، هو ان نسحب هذه الاجهزة وان ندور بالطائرة نحو الجنوب لكي نهبط هبوطا اضطراريا في المحيط في خط مواز للساحل".

غير ان ماكماهان لم يقدم على ذلك، بل لجأ الى حل بديل. فعمد الى زيادة قوة المحرك رقم ٢ وكف عن دفع المحركين الآخرين، ومن ثم بدأ مقدم الطائرة يهبط ببطء. وتبين من جهاز التسجيل في ركن القيادة ان رادفورد قال عند ارتفاع ٣٠٠ متر: "كل شيء يبدو على ما يرام والطائرة تنزلق في طريق الهبوط".

صيحة ابتهاج - وعلى ارتفاع ١٥٠ مترا، خرجت النفاثة من بين السحب امام المدرج مباشرة.

وقال ماكماهان: "سألامس الارض الآن واستخدم الكوابح باقصى قوتها، فساعدني على التحكم باجهزة الضبط".

واصطدمت عجلات الطائرة بارض المدرج وهي منطلقة بسرعة ١٧٠ عقدة، وضغط ماكماهان على الكوابح باقصى قوة بينما راح الطيار المساعد يعدد بصوت عال تطور سرعة الطائرة: "١٣٠ - ١٢٠ - ١١٠ - ١٠٠ - ٩٠ - ٨٠ - ٧٠ عقدة، ٦٠ عقدة، الحمد لله!".

وانطلق هايت بصيحة الابتهاج.

ونادى برج المراقبة سائلا: "حسنا يا دلتا ١٠٨٠، هل كل شيء على ما يرام؟".

ورد ماكماهان: "نحن في خير، وسنسير بالطائرة الى البوابة".

وبقي السؤال: ما الذي سبب هذا الخلل؟

فلم تكد تمضي بضع ساعات حتى

احتشد حول الطائرة مهندسو ادارة الطيران الامريكية ومهندسو شركة لوكهيد، فتبينوا ان لجهاز ضبط التوازن "مصعدين" صغيرين على طرفيه الخلفيين يتحركان الى اعلى والى اسفل مع حركة جهاز ضبط التوازن. وكان "المصعد" الايسر قد انحشر في وضع الارتفاع، مما جعل الطائرة تميل في اتجاه الصعود. وليس في طائرات دلتا ل - ١٠١١ ضوء انذار في ركن القيادة يكشف عن حدوث خلل في المصعدين، على رغم وجود ضوء انذار خاص بجهاز ضبط التوازن، الذي يعتبر جهاز التحكم الرئيسي. وقد تعذرت رؤية المصعد المنحشر بسبب ظلمة الليل، فلم يتمكن الطيار من معرفة سبب الخلل.

ولكن لماذا انحشر المصعد؟

لقد تجمع الماء من المطر والضباب والسحاب فوق ذيل الطائرة، ثم تساقطت قطراته من الذيل في اثناء صعود الطائرة وهبوطها الى احدى كراسي التحميل، وادت التغيرات المتتابعة في الضغط الى امتصاص الماء داخل الكرسي، فتآكل بالصدأ حتى انكسر. وعندما بادر ماكماهان الى تحريك مقابض الطيران قبل الاقلاع، تأثر المصعد المتصل بكرسي التحميل المكسورة فانحشر في وضع الصعود.

وسارعت شركة لوكهيد الى تحذير جميع شركات الطيران التي تستخدم طائرات ل - ١٠١١ لكي تفحص كراسي التحميل. فوجد عدد كبير منها مليئا بالماء وقد بدأ يتآكل بالصدأ. وامرت أدارة الطيران الامريكية باعادة النظر في حال المصاعد قبل تحرك كل طائرة من طراز ل - ١٠١١.

وعمدت شركة لوكهيد منذ ذلك الحين الى تصميم محول لصرف الماء وابعاده عن كرسي التحميل، فضلا عن جهاز محكم يبقى معه الماء خارج كرسي التحميل والشحم في داخله. كما اعادت تصميم كرسي التحميل نفسها، بحيث اذا تعطل جزء منه ظلت بقية الاجزاء صالحة للعمل.

وعلى رغم ان ركاب الطائرة، وعددهم ٤١، قد ادركوا الصعوبة التي كانوا يواجهونها، الا انه فاتهم انهم كانوا على قاب قوسين من الكارثة، بل ان واحدا منهم عنف الربان بقسوة لتأخر الطائرة عن الموعد المقرر.

وفي اواخر عام ١٩٧٧، منحت ادارة الطيران الامريكية جائزتها الرفيعة التي تكافىء بها الخدمات الممتازة، للربان ماكماهان، تقديراً لما ابداه من مقدرة نادرة في الهبوط بطائرة الرحلة رقم ١٠٨٠ سالمة.

■ وليم كارلي

افضل طريقة لايقاف الجواد المنطلق بسرعة خاطفة هي المراهنة عليه.

مجلة "الكرة الارضية والبريد"

(تورنتو، كندا)

كشمير: حلم لا ينتهي

هل تكون هذه "الزمردة المرصعة باللآلىء"، في عزلتها الشاهقة في جبال الحملايا، اروع مكان على الارض؟

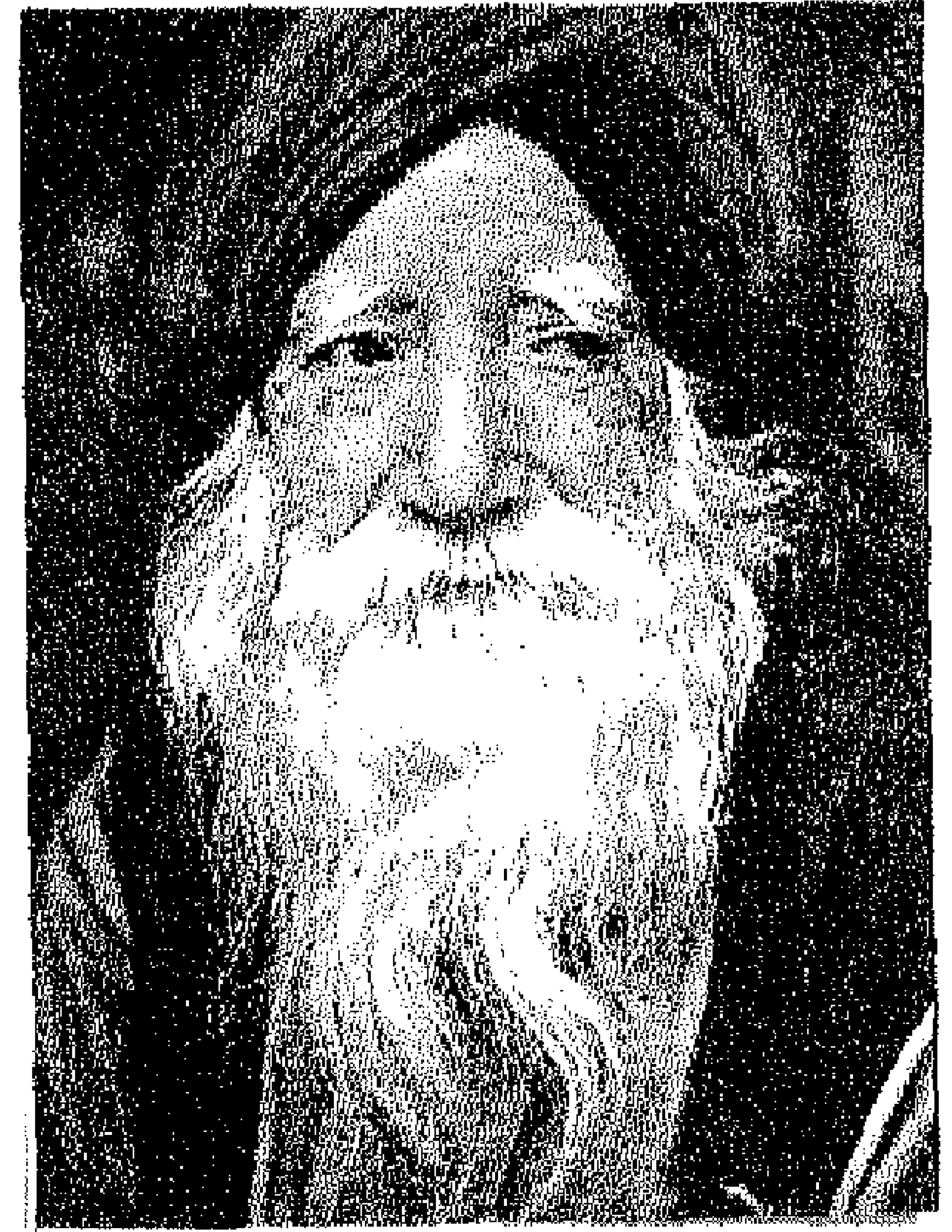
حالما تخرج من النفق الذي يخترق سلسلة جبال بيربنجال على علو ٢٢٠٠ متر فوق سطح البحر، لا بد من ان تتوقف وتشهق وقد سرت في بدنك نمنمة النشوة والافتتان. لقد خلفت وراءك الطرق المحرقة والمدن التي تعج بها السهول الهندية، وترامت امامك ومن تحتك خضرة وادي كشمير في تقابل حاد مع الروعة المتجمدة في اسوار الهملايا ومتاريسها. وانتشرت على مدى نظرك شبكات حقول الارز وقد طفحت بالماء، فصارت كالمرايا تعكس زرقة السماء وبياض القمم المكللة بالثلج. واذ تستنشق الهواء النقي البارد، يطل عليك صقر من مرتفعات بلورية ويرقب مسارك الى شرينغار عاصمة الولاية الصيفية على بعد اكثر من ١٠٠ كيلومتر.

تقع ولاية كشمير، وهي واحدة من ٢٢ ولاية هندية، في اقصى شمال البلاد. ولما كانت تشتهر بجمالها الطبيعي ومناخها الصحي، فقد بدأت تحتل مكانها بسرعة في طليعة الجنات السياحية في قارة آسيا. الا ان المدنية لم تفسد براءتها. ولا تزال ثماني اسر كشميرية بين كل عشر اسر ترتزق بالفلاحة وتكدح في حرث قطع صغيرة من الارض بالمحراث الحديدي الذي تجره الثيران على غرار ما فعل الاجداد. هنا لا ازدحام في حركة المرور ولا كثرة في المصانع، واعلى عمارة لا تتجاوز ثمانية طوابق. وتنتهي السكة الحديد الوحيدة التي تربط كشمير بباقي الهند عند مدينة جمّو، العاصمة الشتوية على اطراف حدود الولاية.

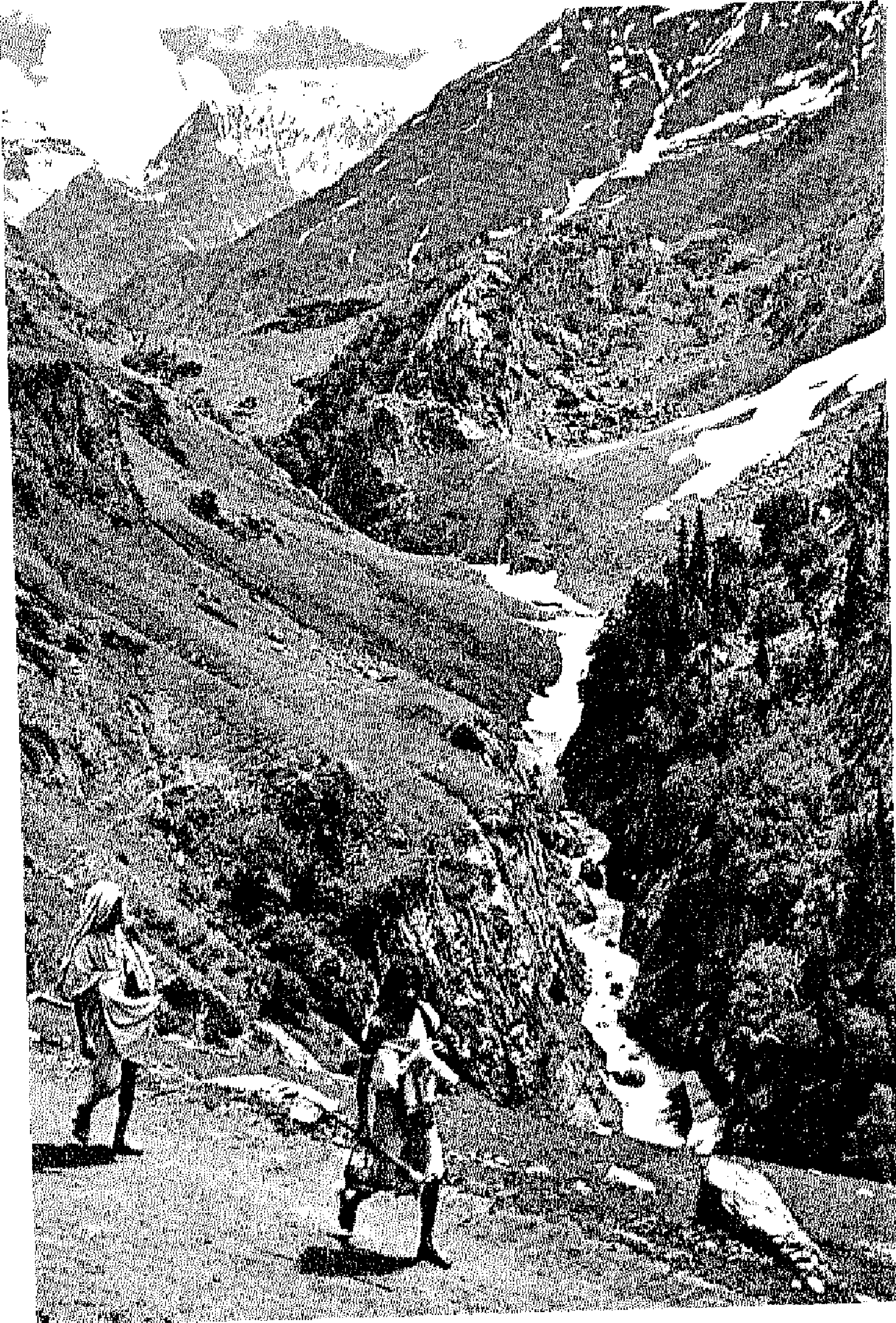
الوادي السعيد — ان الوادي المحيط بمدينة شرينغار، ويسمى "الوادي السعيد"، هو سهل غريني تكون بفعل الطمي الذي حملته السيول. ويبلغ طوله ١٥٠ كيلومترا وعرضه ٤٠ كيلومترا، ويرتفع عن سطح البحر قرابة ١٦٠٠ متر. انه اكبر الاودية - وقيل اروعها - القابعة في احضان اعلى سلسلة جبلية على هذا الكوكب. ويطوق الوادي بأكمله تقريبا سور مثلم من المرتفعات التي تصل الى علو ٥٢٠٠ متر وتجود قممها بمعجزة الماء على مدار السنة. فالماء ينبجس من

ذوبان الانهار الجليدية، ويتدفق في شلالات فضية، ويطفح من جوف الارض في ينابيع ثرثارة، وينبض في القنوات، وينحصر في حقول الارز، ثم يكون بحيرات ومستنقعات، واخيرا يتجمع في منعرجات نهر جهلوم العريض. وتقول الاساطير ان الوادي كان بحيرة عميقة القرار الى ان جاء كشياب التقي، حفيد براهما خالق الكون، فصرّف الماء باحداث ثقب في جدار البحيرة. ويعرف هذا الثقب اليوم باسم "فجوة بارامولا"، وهي الفجوة التي تيسر انسياب الماء الى المنخفضات البعيدة. ويظن ان اسم كشمير الذي اطلق على الوادي بعد ظهوره اشتق من اسم ذلك القديس.

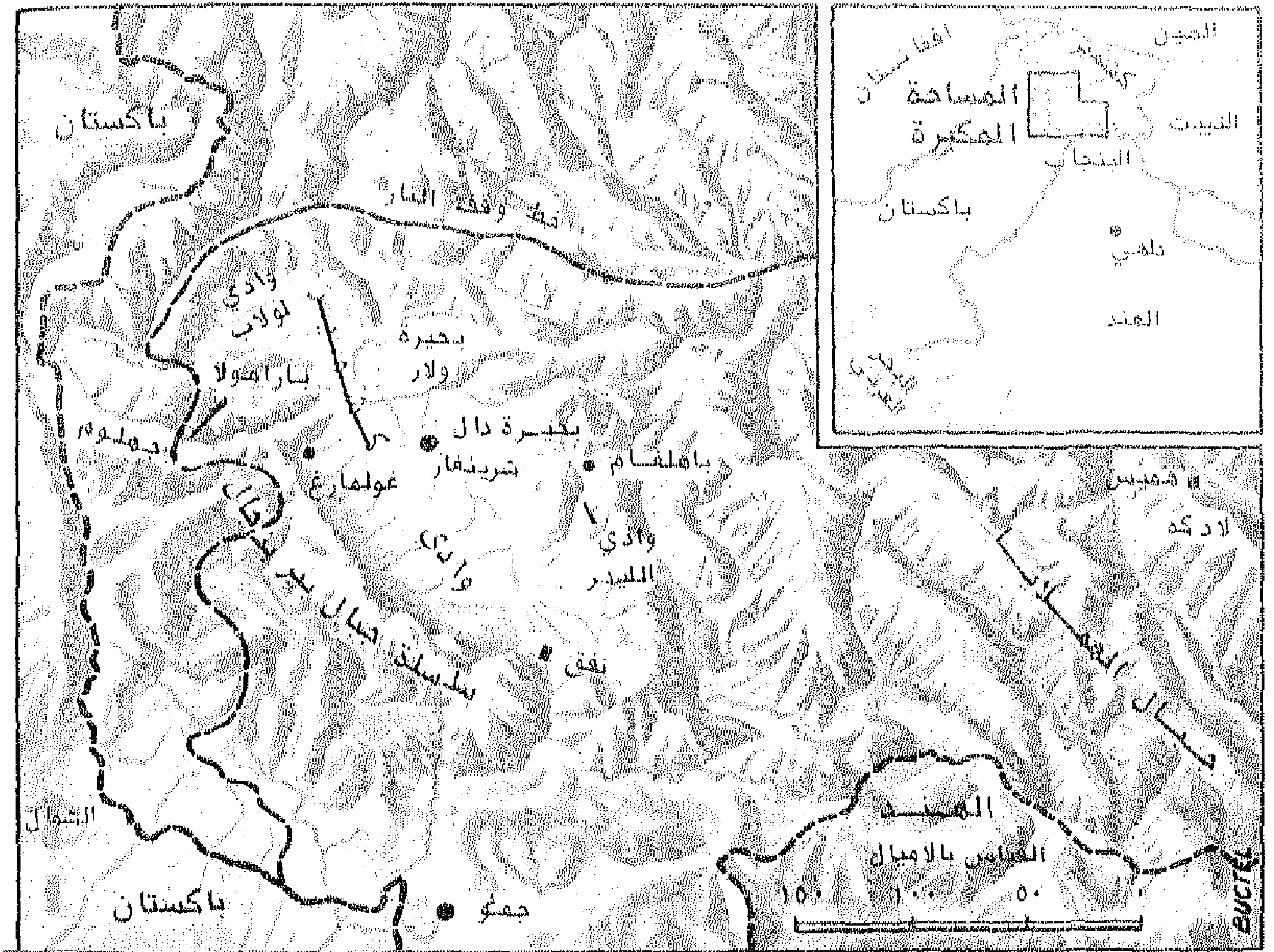
لكن كشمير، بالنسبة الى المراقبين المهتمين بالشؤون السياسية في آسيا، تعني القلاقل. فهي، بوصفها حامية الممرات الحيوية الشمالية للهند، ظلت عرضة



وجه حنكته التجارب:
تاجر كشميري يقيم زبونا قادما.



اثنان من السادهو، وهم من رجال الدين المقدسين عند الهندوس، يشقان طريقهما فوق التلال السفحية على منحدرات الهملايا في مكان ما شمال شرينغار.



للغزوات عبر القرون. وفي العام ١٨٤٦ اقدمت بريطانيا العظمى، التي كانت تسيطر على معظم انحاء الهند، على بيع كشمير (ولم تكن المنطقة ملكا لها) الى المهراجا غلاب سينغ من جمو مقابل ٧٥٠،٠٠٠ جنيه استرليني. واعتمدت بريطانيا على هذا الحاكم الصديق وخلفائه في الدفاع عن الحدود، فلم ترسل جنودها الى كشمير، بل حددت وجودها في المنطقة بمكتب "المقيم" البريطاني.

وفي عام ١٩٤٧ حين تداعى الكيان الامبراطوري واسفر عن استقلال الهند وتجزئتها في الوقت نفسه، قرر حاكم كشمير - ومعظم سكانها مسلمون - ان ينضم الى جمهورية الهند الجديدة بدلا من باكستان المسلمة. ومنذ ذلك الوقت هوجمت الهند ثلاث مرات من باكستان ومرة من الصين. وتملك هاتان الدولتان اليوم اكثر من نصف الولاية الاصلية التي كانت مساحتها ٢٢٢،٢٣٥ كيلومترا مربعا. ولم تقع في المنطقة منذ ١٩٧١ اي عمليات عسكرية كبرى. ولا تزال الامم المتحدة تتولى حتى الان حراسة خطوط وقف اطلاق النار.

وفي عزلتهم وراء الحواجز الجبلية، عقد سكان كشمير - وعددهم خمسة ملايين نسمة - العزم على المحافظة على طابع هويتهم صافيا من غير شوائب. فكشمير هي "بلدهم"، واما "الهنود" بالنسبة اليهم فهم شعب يعيش وراء حدودهم الجنوبية. والواقع ان الشعب الكشميري شعب

ذكي يعمل بجد ونشاط، وهو، الى ذلك، موهوب بسجايا من الابداع تجعل من الكشميريين حرفيين ممتازين. وترى الرجال بينهم مديدي القامة، وتتسم ملامحهم بحدة الذكاء واليقظة بحيث يمكن التعرف عليهم في جمهرة من الهنود. واما النساء الكشميريات فيتميزن ببياض البشرة والعيون الخضراء او العسلية والحواجب الدكناء والانوف المستقيمة والثغور الواسعة. وقد اشتهرن بجمالهن منذ القديم.

ولئن كان للفقر نصيب في كشمير منذ قرون، الا ان الكشميريين لا يعرفون بؤس مدن الاكواخ الهندية وقذارتها، وتكاد كل عائلة في كشمير تملك بيتا خاصا، يقوم غالبا وسط مزرعة صغيرة فيها اشجار جوز وبستان فاكهة. وعندما يحل فصل الشتاء وتعزل الثلوج بيوت المزارع، تؤخذ الخراف والماعز الى داخل البيوت حفاظا عليها من قسوة البرد. ولكن يندر وجود المدافىء، وترى معظم الكشميريين في الشتاء يحملون تحت اكداس الثياب التي يتدثرون بها جهازا للتدفئة يسمونه "كانغاري"، وهو مجمرة صغيرة ذات غطاء مصنوع من اماليد مجدولة وفي داخلها فحمات مشتعلة.

المدينة العائمة ـ ومدينة شرينغار، التي يبلغ عدد سكانها ٥٠٠،٠٠٠ نسمة، هي مدينة تلتحم فيها اليابسة والماء في شبكة معقدة من شبه الجزر والقنوات والخلجان الصغيرة. ويرى الغريب نفسه، اذ يتجول في قلب المدينة القديمة، محاطا بجلبة عربات "التونغا" التي يجر كل عربة منها حصان واحد، والدراجات النارية ذات العجلات الثلاث، وتدعى "ريكشو"، وحافلات الركاب الصغيرة الى جانب الابقار المقدسة التي تقضم في طريقها الخضار في اكشاك البقالين.

اما الاسواق في شرينغار فتتألف من فجوات في الجدران مطلة على الشارع. وهي اسواق خلابة تعرض فيها انواع التحف الشرقية الساحرة من مجوهرات دقيقة الصنع ونقوش في الخشب وخُمُر او شالات موشاة نسجت من زغب ماعز الباشمينا ذات الصوف الناعم الخفيف الوزن كالريشة. ولكن احذر ايها الشاري! فان للكشميريين سمعة في المعاملات الحاذقة. فلا يغرّنك مظهر التاجر وكأنه شبه نائم وهو ينفخ الدخان من نارجيلته، انه لا يتاجر بالصدقة.

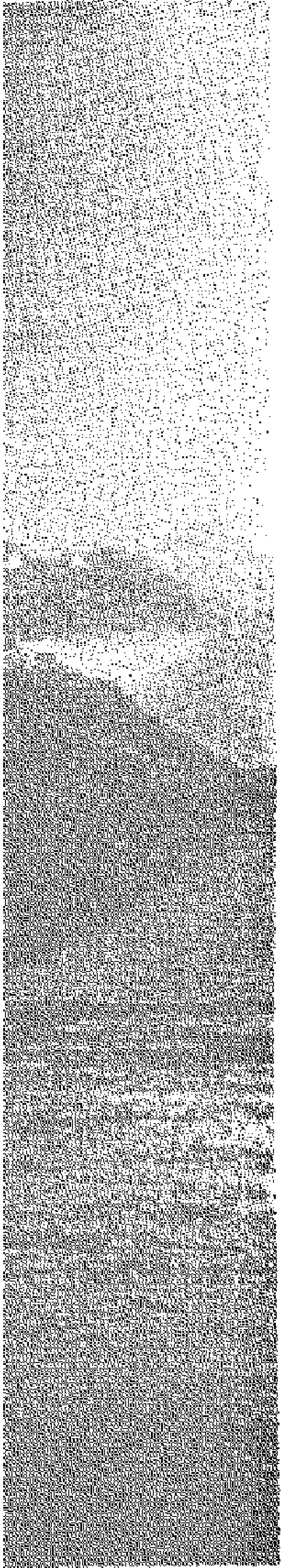
وحيثما تلتقي اليابسة بالماء في شرينغار ترى المراكب المعدة للسكنى راسية على الضفاف. ويحرم قانون كشمير امتلاك الارض والاطيان من قبل الاجانب. غير ان مغامرا انكليزيا اسمه م.ت. كينارد تمكن من تجنب احكام القانون عام ١٨٨٨ حين اشترى مركبا مسطح الارضية من المركبات التي يستخدمها الناس للنقل والسكنى في نهر جهلوم. واعطى بيته العائم اسم "النصر". وهناك اليوم ٥٨٥ مركبا من مراكب السكن معدة للاستئجار في مختلف البحيرات والجداول في شرينغار. وهي تتدرج من مراكب متواضعة يحتل فيها الزائر حجرة واحدة لقاء خمسة دولارات يوميا الى قصور عائمة يبلغ طول الواحد منها ٤٥ مترا ويتسع لاجنحة تفي بجميع متطلبات الراحة وتكلف

٢٠ دولارا يوميا للزوجين بما في ذلك اجرة الخدم وثمن وجبات الطعام. ونادرا ما تترك هذه المراكب مرافئها او مراسيها وسط الانهار والبحيرات. لذلك يجذّف الناس اليها بقوارب الشيكارا التي تشبه الجندول وقد فرشت بوسائد توشيها الوان بهيجة.

جنات وأنهار - وعلى مقربة من شرينغار تطل سلسلة الحدائق الملكية الفخمة التي هندسها اباطرة المغول على بحيرة دال الجميلة وقد تلفعت صفحتها بخمار من ازهار النيلوفر القرنفلية. واشهر تلك الحدائق شاليمار، ومعناها "مهجع الحب". وهي حديقة تجري من تحتها السواقي وتنبجس من فوقها النوافير وتمتد فوق اربعة مدارج واسعة يرتقي اعلاها جنبات التلال المشجرة. وفيها مقاصير شيدت بالمرمر حيث كان الملكيون وضيوفهم يلعبون ويولمون الولائم وسط رذاذ الماء وهمس الشجر. واذ ابصرنا جماعة من الزوار الهندوس في ملابسهم الملونة يمشون الهوينا في مسالك الحديقة، توقفنا وامعنا النظر فيهم، فبدوا كأنهم افراد اسرة ملكية من زمن سحيق.

واذا استقل المرء حافلة او سيارة ركاب من شرينغار وخرج في جولة استطلاعية قصيرة، فسرعان ما يجد نفسه في مناطق ريفية في جمالها وبساطتها. ولدى تسلق براري وادي الليدر سيبلغ قرية الرعاة باهلغام، وله ان يضرب فيها خيمته على ضفاف الساقية التي تتدفق مياهها ملتفة كالدوامة وتتقافز فيها اسماك السلمون المرقط، وتجابهه هنا وهناك في بقعة سحرية انقاض عصر ذهبي كانت فيه كشمير في عهد ملوك الهندوس من اعظم مراكز العلم والدين في آسيا. وهي انقاض المعابد التي شيدت قبل ١٢٠٠ سنة من حجارة ضخمة على نحو كلاسيكي فريد النوع في الهند وشبيه بجلاء البناء الاغريقي القديم.

وتعيد المنازل الصغيرة الجذابة في غولمارغ القائمة فوق فسحة خضراء وسط الجبال الى الاذهان الايام التي كان فيها الضباط البريطانيون وعائلاتهم يفدون اليها صيفا من ولاية البنجاب القريبة فينفقون الليالى في اللهو والطرب او يخرجون لصيد الفهود الثلجية وديب الهملايا. وعلى حافة بحيرة ولار - وهي اكبر تجمع للمياه العذبة في الهند - سيروقك الاستجمام في وادي لولاب حيث تتلألأ غابات أرز الهملايا بأشعة الشمس وقد اشرأبت رؤوس اشجارها الباسقة وكأنها الصواري في استقامتها.



وعندما يستقل السائح من جديد حافلة الركاب متوجها الى المقاطعة الشرقية من كشمير، وهي منطقة استراتيجية على الحدود فتحت جزئيا

للزوار عام ١٩٧٤)، فسيواجهه طريق لولبي ضيق ذو منعطفات مدوخة وحادة. وبعد قطع مسافة ٤٣٥ كيلومترا عبر الجبال، يصل المرء الى ارتفاع يزيد على ٤٠٠٠ متر. وقد اجتزنا مناطق كانت فيها جدران الثلج على جانبي الطريق ترتفع الى علو اربعة امتار ونصف متر وقد برزت منها نباتات السوسن البري وشجيرات الورد ذات الزهر القرنفلي. ورأينا جماعات من البدو الرحل تسوق ماشيتها فوق السهول البعيدة الى المراعي الصيفية. ولمحنا قطيعا من الياك، وهي ثيران التيبت الضخمة، سارحا في حقل جبلي تغطيه الازهار البرية. وما ان يقبل المرء على مشارف لادكه الشرقية حتى يواجه تمثالا عملاقا لـ"تشامبا" الذي يمثل بوذا المنتظر، وقد نحت في صخرة متوحدة وجعلت له اربع اذرع، وبدا كأنه يحرس مدخل هذا البلد الذي يعتنق البوذية.



قاربا شيكارا ينسابان على صفحة بحيرة دال الهادئة.

وكثيرا ما تسمى لادكه "التيبت الغربية"· وهي الزاوية الحرة من قلب بلاد التيبت الشاسعة التي وقع الجزء الصيني منها تحت السيطرة الشيوعية· واللادكيون شعب مرح يتكلم احدى اللهجات التيبتية ويعتنق المذهب اللامي، وهو فرع من الديانة البوذية· والرجال والنساء كلهم هنا يجدلون شعورهم ويتزينون بالمجوهرات الثقيلة من الفضة والذهب والفيروز ويرتدون اثواب القفطان الاسود ويحزمون وسطها بوشاح حريري، بينما تعتمر رؤوسهم قبعات انيقة في هيئة المدخنة تصنع من الحرير او المخمل· وتتمتع النساء بالمساواة مع الرجال، وتتزوج الواحدة منهن احيانا بضعة رجال في آن واحد، ويكون الرجال عادة اخوة من اسرة واحدة·

الفردوس المفقود ـ ان روعة لادكه تكمن في اديرتها البوذية، ومعظمها قابع في عزلة اودية عطرية على سفوح مرتفعات يكلل قممها الجليد· وأكبر هذه الخلايا البشرية هو دير هميس الذي يعيش فيه ٤٠٠ راهب من اللاميين· وهم عادة يضربون رحالهم في ارجاء البلاد، حاملين معهم دواليب الصلاة ليقيموا الطقوس الدينية في كل مكان ويواسوا المرضى·

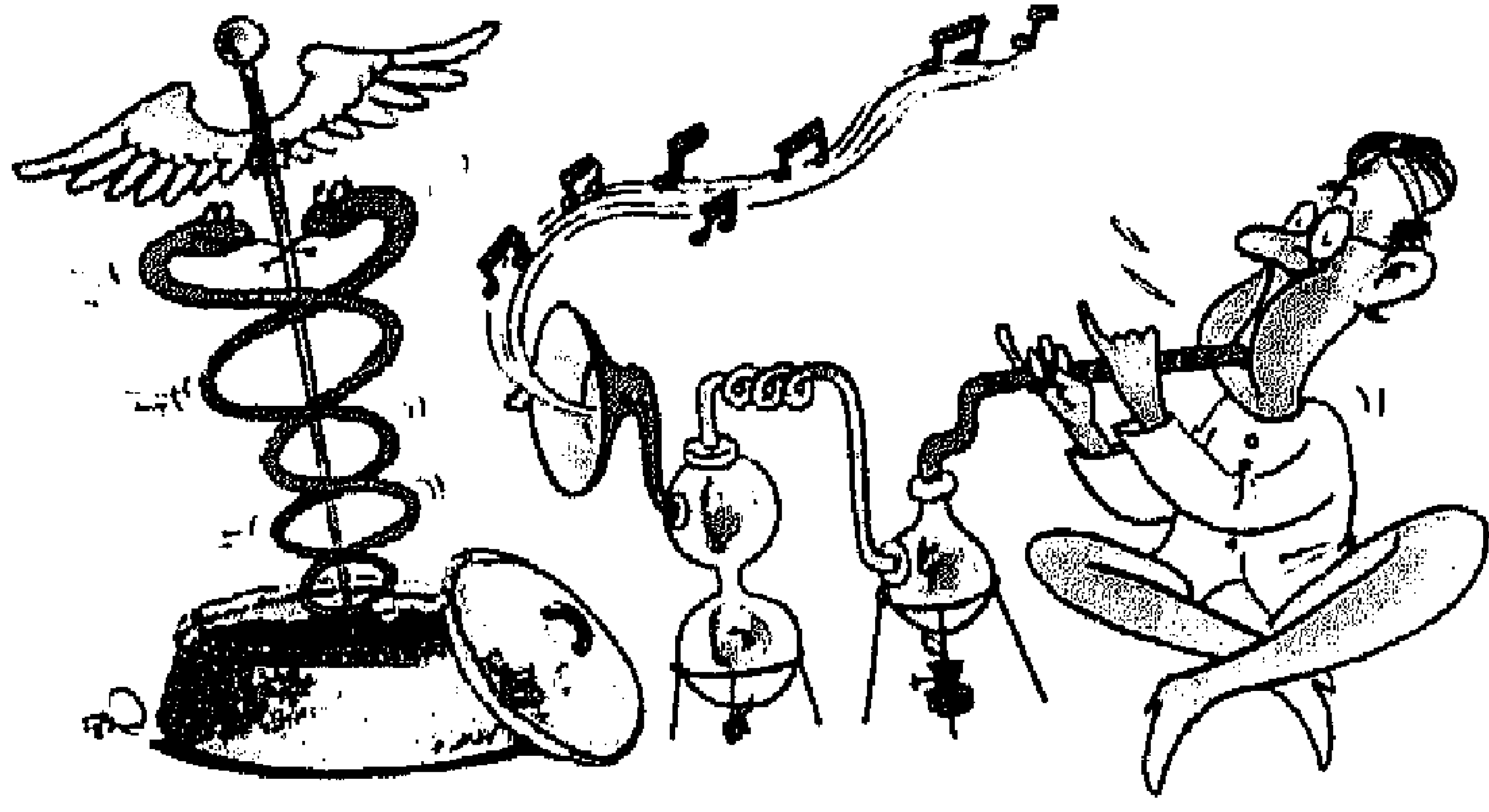
وقد ذهبت ذات صباح اشتدت ريحه لزيارة دير "شيي" اللامي، وهو مبنى قديم خرب يجثم على قمة هضبة وحيدة تطل على الطريق النهري· واذا بالدير يئن ويصر كأنه سفينة تتقاذفها العواصف· وكانت ابوابه تصفق بيد الريح ونوافذه تقرقع· وفي حرم الدير المعتم والعابق برائحة البخور، كانت المعلقات الحريرية المدلاة من عوارض السقف ترفرف مثل اجنحة الخفافيش· وكشف النور الشاحب من مشعلي الكهربائي عن رسوم جصية باهتة على الجدران تمثل بوذا والقديسين والشياطين· ولم اجد في الدير حيا سوى لاما طاعن في السن يرتل صلواته وينقر على الطبل بايقاع يتوافق مع نغمات ترتيله، وراهب يافع في حدود العاشرة من عمره يتدرب على يديه· وارشدني الراهب الفتي بصمت الى تمثال يبلغ ارتفاعه ١٢ مترا ويمثل بوذا جالسا، وهو أكبر تمثال من نوعه في لادكه· وكان وجه التمثال مطليا بالذهب فيما اطلت عيناه الزرقاوان العميقتان من بين جفون نصف مسبولة في نظرة عذبة يغمرها السكون· وعلى رغم ان المشهد كان بعيدا كل البعد عن القيم الروحية الخاصة بي، الا ان ومضة من الحضور القدسي تجلت بوضوح في مشاعري·

ولدى الرجوع بعد بضعة ايام الى فوران الحقائق واضطرابها في حياة الهند اليوم، بدا لي ان الوادي الاخضر ولادكه العلية فردوس مفقود ينتظر من يكتشفه من جديد·

■ ارنست هاوزر



الكتاب هو المكان الوحيد الذي تستطيع ان تقلب فيه فكرة سريعة العطب من دون ان تتكسر بين يديك.



المستجدات من عالم الطب

ضحايا السكتة الدماغية يتحررون من دعامات الساق

هناك ملايين من الناس الذين يصابون بالسكتة الدماغية يظلون يعرجون بعد شفائهم منها بسبب ارتخاء القدم وتعذر التحكم بالعضلات المشلولة في الكاحل. الا ان الدكتور جون ف. بصماجيان، مدير مركز تدريب بحوث التأهيل في جامعة ايموري في اتلانتا، يبشر بتطور هذا الوضع على نحو يتيح للكثيرين من هؤلاء المرضى ان يستغنوا عن دعامات الساق التي تساعدهم على السير.

والدكتور بصماجيان من رواد العاملين في مضمار التغذية البيولوجية المرتدة بكهرباء العضلات - وهو اسلوب تجريبي يقوم على تضخيم الاشارات الكهربائية الصادرة من احدى العضلات واستخدامها في تدريب الشخص المريض على استعادة سيطرته على العضو المشلول. ويقول الدكتور بصماجيان انه عالج بطريقة التغذية البيولوجية المرتدة بكهرباء العضلات ٣٩ مريضا من ضحايا السكتة الدماغة السابقين الذين يعانون جر القدم فلم يبق سوى ١١ مريضا منهم من دون تحسن كبير. وكان ٢٥ من هؤلاء المرضى مزودين بدعامات قصيرة للساق، فتمكن ١٦ من بينهم من الاستغناء عن هذه الدعامات بعد عدد من الجلسات العلاجية يراوح بين ٣ جلسات و٢٥ جلسة مدة كل منها نصف ساعة. ويضيف: "بل ان بعض المرضى استطاعوا ان يستغنوا عن العصي التي كانوا يستعينون بها على السير. وهناك عدد منهم يضطر الى استخدام دعامة الساق من حين الى آخر، عندما يعمل واقفا على قدميه لفترات طويلة".

(ميديكال وورلد نيوز)

العنّة تهدد مدخني المخدرات

اجريت دراسة على عدد من الذين يدخنون الماريجوانا يوميا مع مراقبة ظروف هذا الادمان تأمينا لدقة البحث. وقد تبين ان هذا المخدر يفضي في بعض الحالات الى اعاقة افراز هرمون الذكورة - "التستوستيرون" - الى درجة قد تؤدي الى العنة او العقم.

ولئن تكن التقارير السابقة قد ربطت بين ادمان الماريجوانا وانخفاض المستويات في افراز التستوستيرون، الا انه يتضح من هذه الدراسة الجديدة ان المخدر هو السبب الفعلي في النقص الهرموني، وان من المحتمل ان يزول هذا الاثر خلال اسبوعين بعد الانقطاع عن تناول الماريجوانا.

وقد اجرى الدراسة باحثون من مؤسسة بحوث التناسل البيولوجي في سانت لويس ومن جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس.

جين ا. برودي (النيويورك تايمس)



تمثل الصورة الى اليمين ترسا عثر عليه في كومانش غاب في ولاية نيومكسيكو، وربما يعود عهده الى العام ١٤٠٠. اما القرون والفؤوس فهي التي كان الهنود الحمر يصنعونها سلاحا لهم. واما كفا الدب الرمادي الظاهرتان على الترس، فربما كانتا شعارا يرمز الى احدى العشائر او احدى الارواح الحارسة.

لقد ظل هذا التراث الثمين من فن الهنود الحمر البدائي عرضة لعوادي الطبيعة على مدى قرون طويلة، بلا اعتراف بقيمته أو تقدير لروعته أو تدبيرْ لحمايته، ليصبح الان ضحية للتخريب العشوائي وعبث الانسان "المتحضر"

الصخور الناطقة

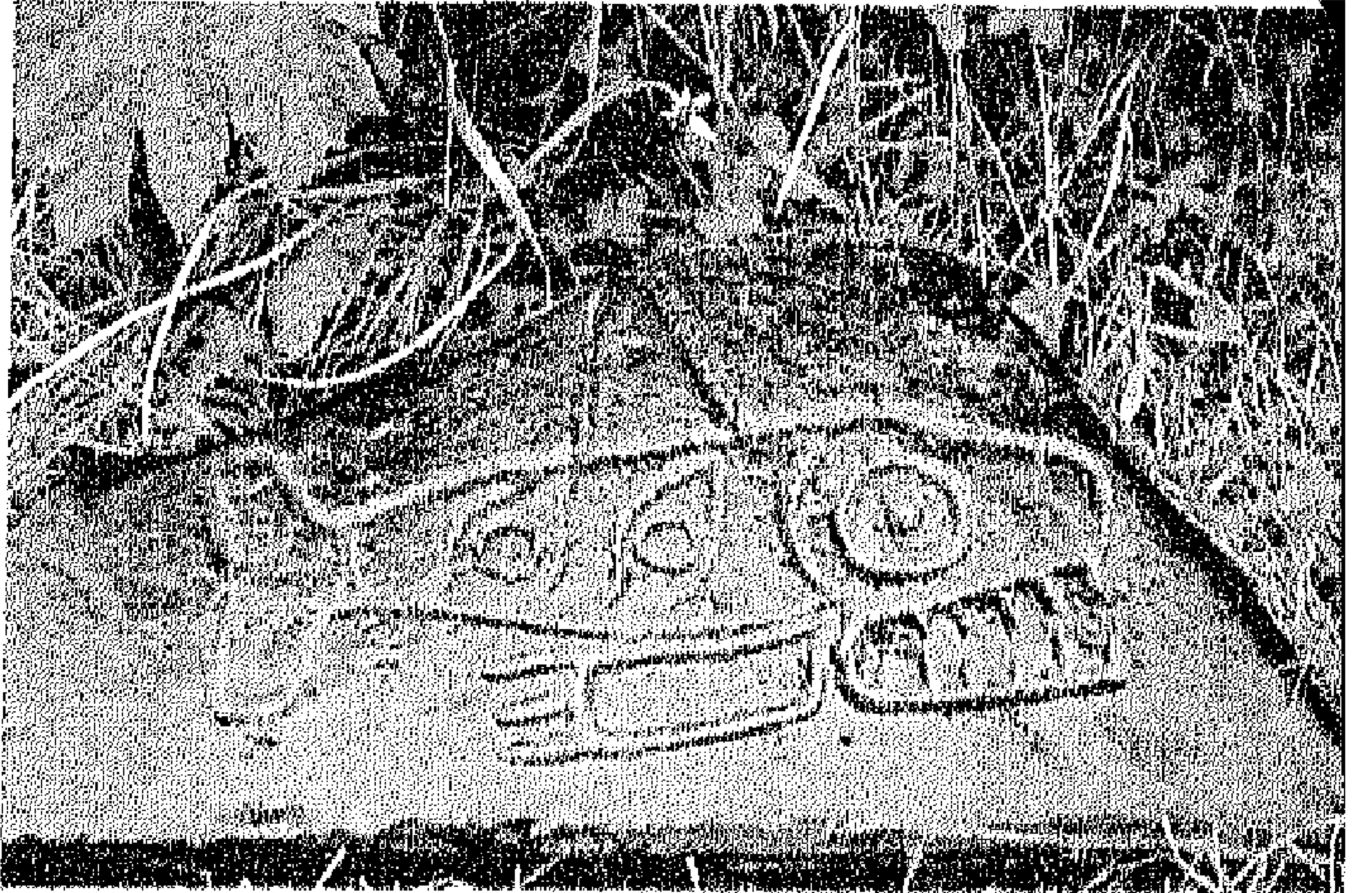
الرموز المصورة اعلاه نقشها الهنود الحمر ما بين عامي ١٠٠٠ و١٥٠٠ احياء لذكرى الزيارات لترسبات الملح بالقرب من ويللو سبرينغز في ولاية اريزونا، وهي تشير الى عشائر كرو، رد آنت، كورن، كاتشينا.

ان فن الهنود الحمر في النقش على الصخور - شأنه شأن المسلات الحجرية الجبارة في جزيرة الفصح (ايستر ايلاند) والصور المرسومة على جدران الكهوف والتي ترجع الى عصور ما قبل التاريخ في "آلتاميرا" و"ليسكو" - هو فن تحفّ به هالة من السرية والغموض، سواء في ما يتعلق بالفنانين القدامى اصحاب هذه النقوش، او بالمعاني والرموز التي تنطوي عليها.

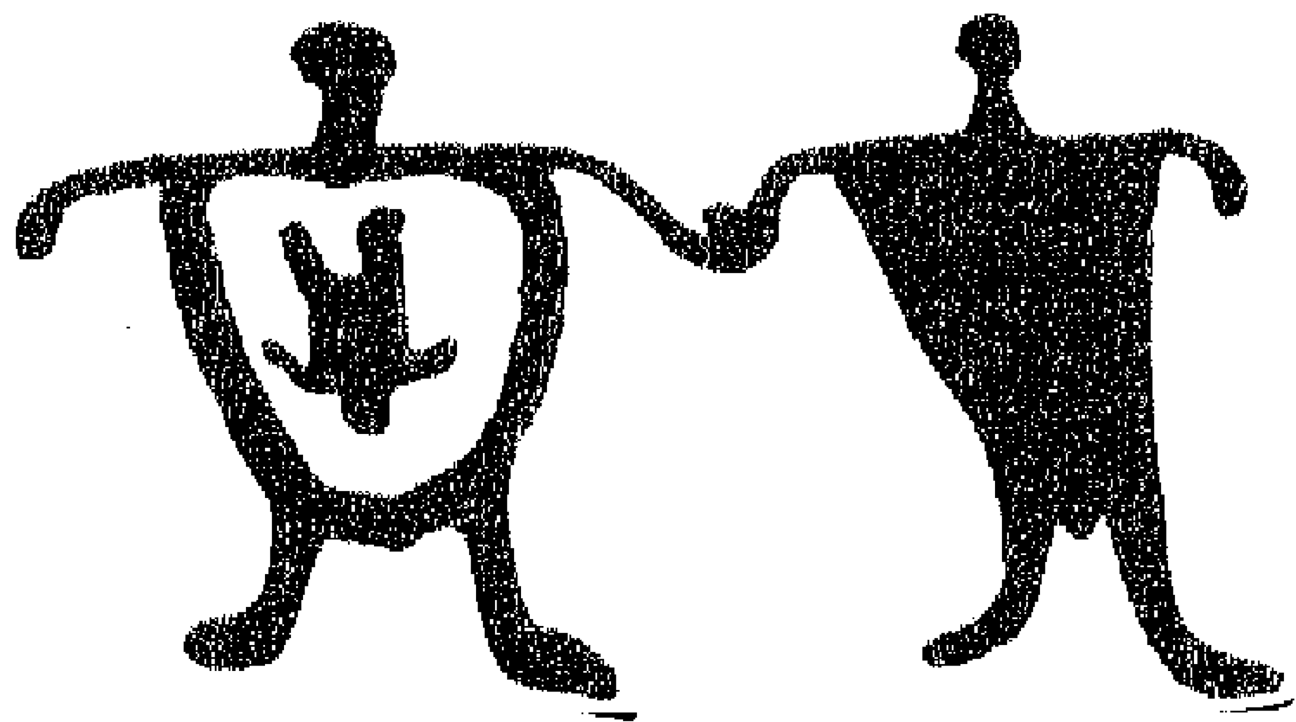
وعلى رغم كثرة الامثلة والنماذج المتوافرة من هذا الفن في قرابة ١٥،٠٠٠ موقع - في الاودية والصحارى والكهوف ومضائق الانهر - في ما لا يقل عن ٤٣ ولاية امريكية، فان هذا التراث الهائل من ماضي القارة لم يكد يلقى نصيبا سوى الاهمال. واستمر الامر على هذا المنوال حتى عشر سنوات خلت، مذ اصبح فن النقوش البدائية على الصخور في الولايات المتحدة الامريكية مجالا مزدهرا من مجالات الدراسة. ويرجع جانب من الفضل في

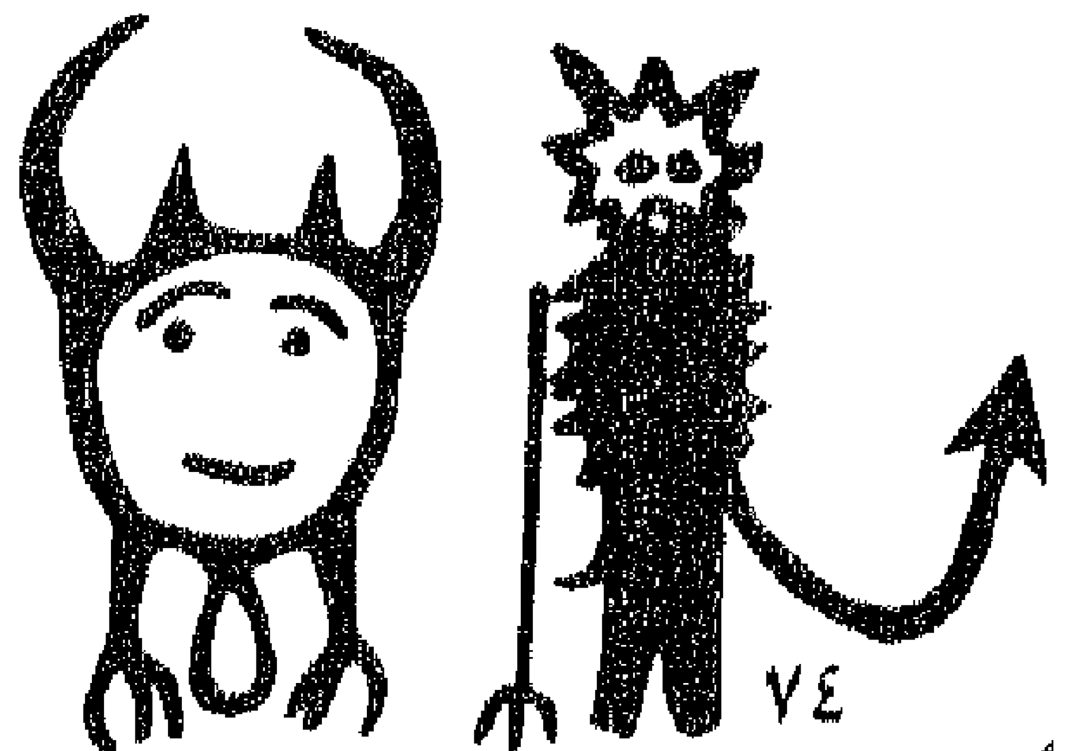
يمثل هذا النقش المحفور غير العادي، الذي وجد قرب مدينة "برينس روبرت" في كولومبيا البريطانية (كندا)، "الرجل الذي سقط من السماء"، حسبما جاء في احدى اساطير "تسيمشيان"٠

الى اسفل رسم يمثل فكين وعمودا فقريا لسمكة ضخمة، لعلها الحوت السفاح الذي ظهرت صورته كثيرا على "الطواطم" التي كانت تصنعها قبائل الساحل الشمالي الغربي وتتخذها رمزا لها٠ وقد وجد هذا الرسم في "رانغل" في ولاية الاسكا٠

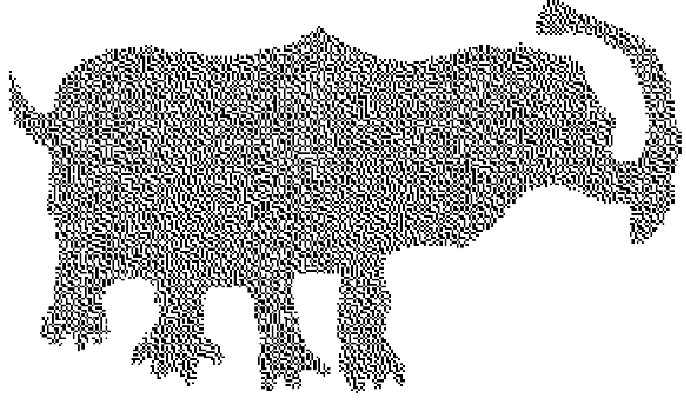


الى اسفل رسم يمثل الحبل، وجد في وادي "غوبيرنادور كانيون" قرب مدينة فارمنفتون في ولاية نيومكسيكو٠ وهو يرجع الى حدود العام ١٠٠٠٠





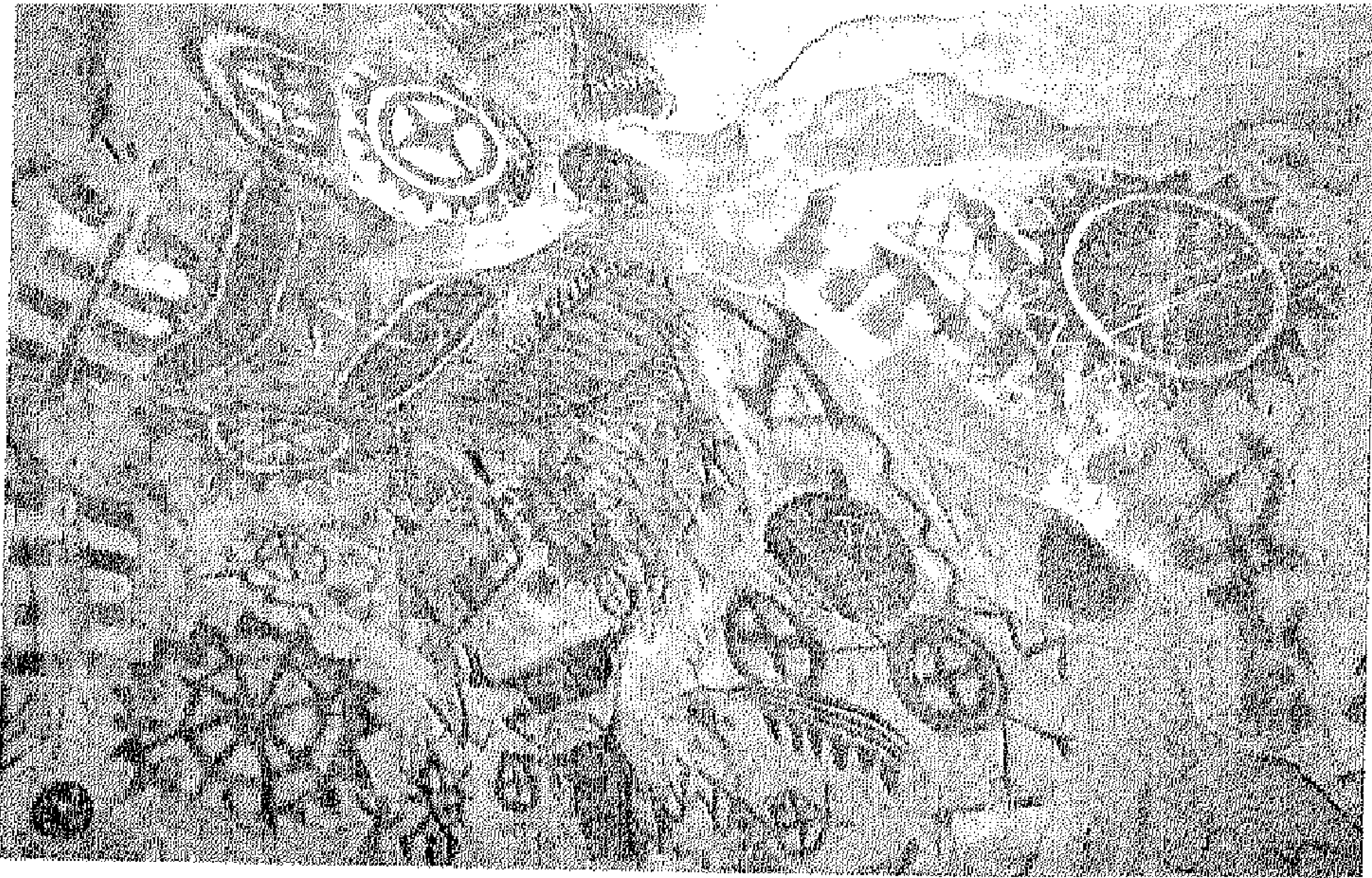
وجه شبيه بالقناع (القريب)، عليه زينة رأس ذي قرون وحوله قلادة ذات حلى، وجد في "ليو" (ولاية اوهايو)٠ اما رسم الشيطان (البعيد) فهو من عمل هنود الـ"اباش" المتأثرين بتعاليم الارساليات المسيحية، وقد وجد قرب "بينت روك" في ولاية تكساس٠



كان المعتقد من قبل أن الرسم اعلاه يمثل حيوان الماستودون (فيل ما قبل التاريخ) ويعود عهده الى ٦٠٠٠ سنة مضت. اما الان فالمعتقد ان الرسم يمثل احد افيال سيرك زار مدينة مواب في ولاية يوتا عام ١٨٦٩.

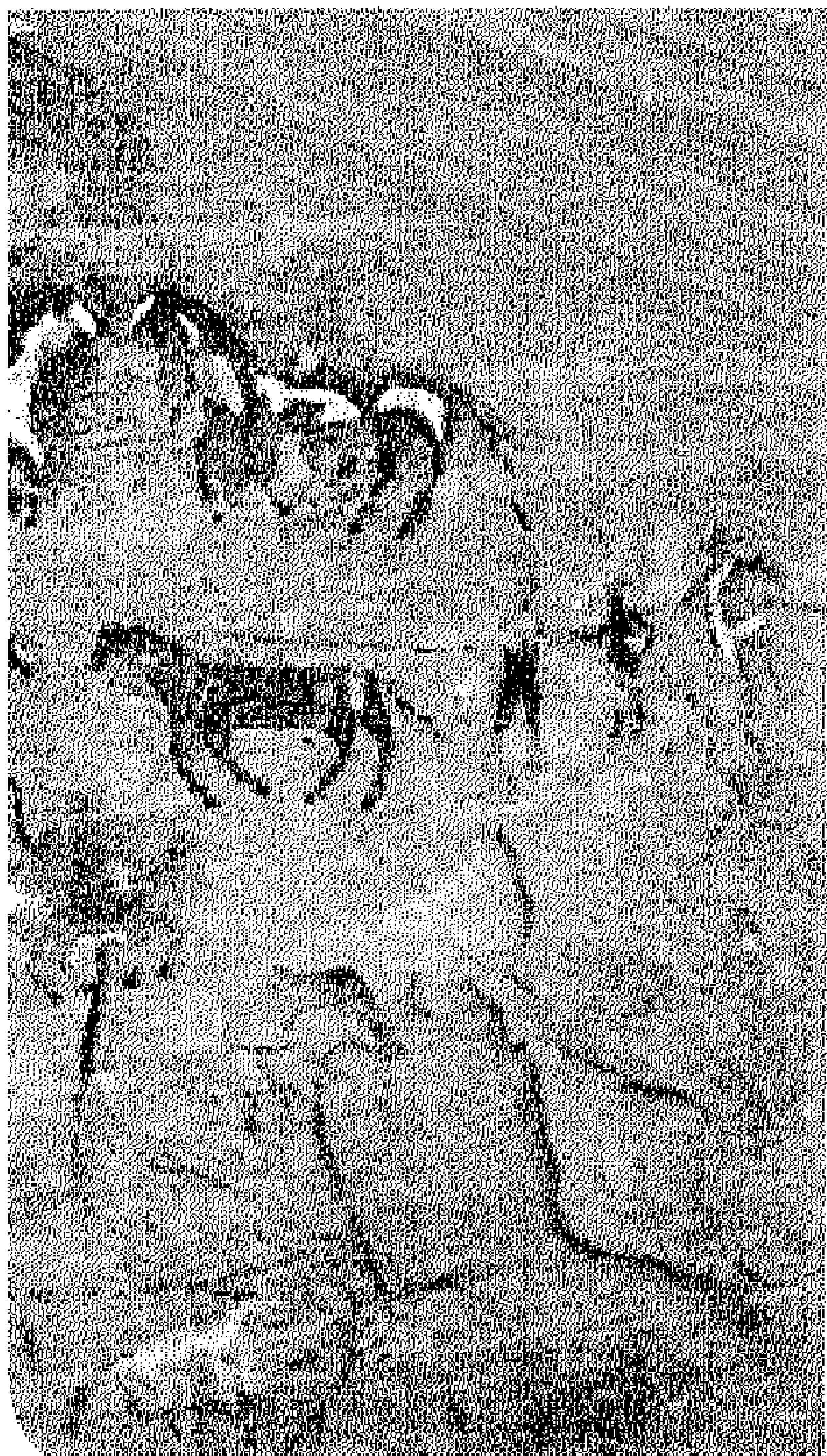
وجد هذا الرسم الذي يمثل تصورات خرافية، مع رسوم كثيرة تشبهه، في منطقة ينمو عليها نبات "داتورا" المخدر جنوب غرب كاليفورنيا. وهو من صنع هنود "تشوماش" قرب سانتا بربارة، ويبدو انه رسم تحت تأثير عقاقير الهلوسة.

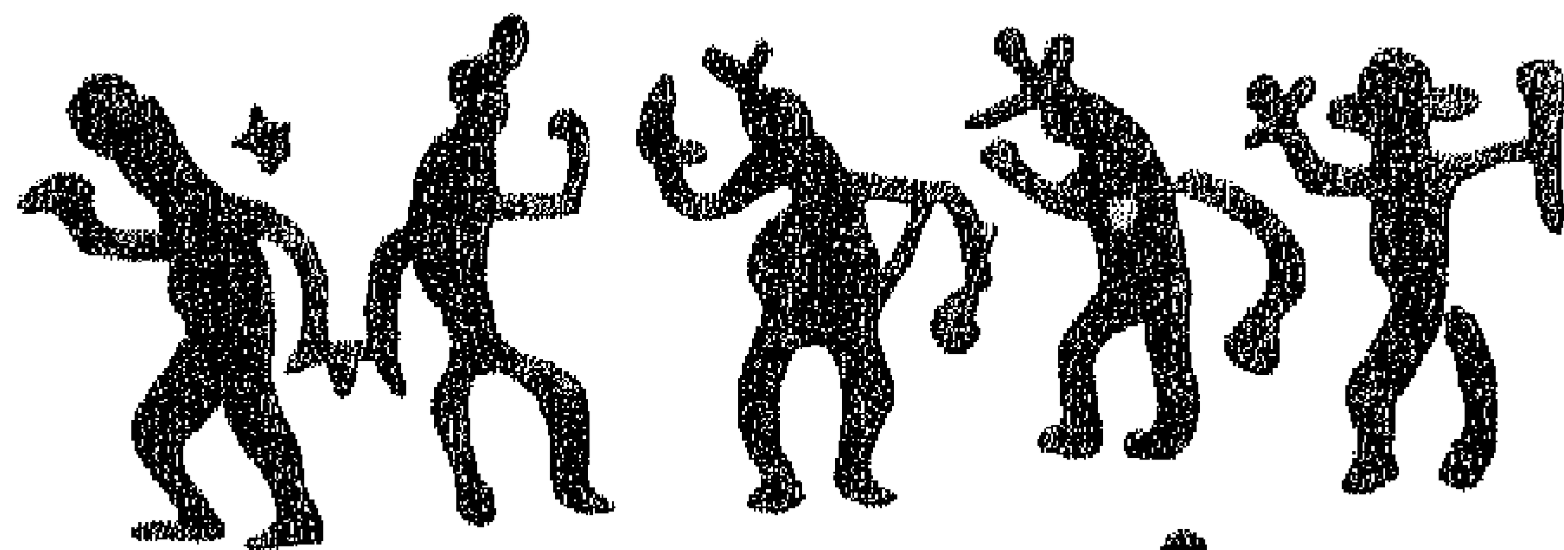
اللوحة المبينة اسفل هذا الكلام من عمل هنود "تشوماش" ايضا. لكن التعليقات والكتابات الحديثة فوقها شوهتها.





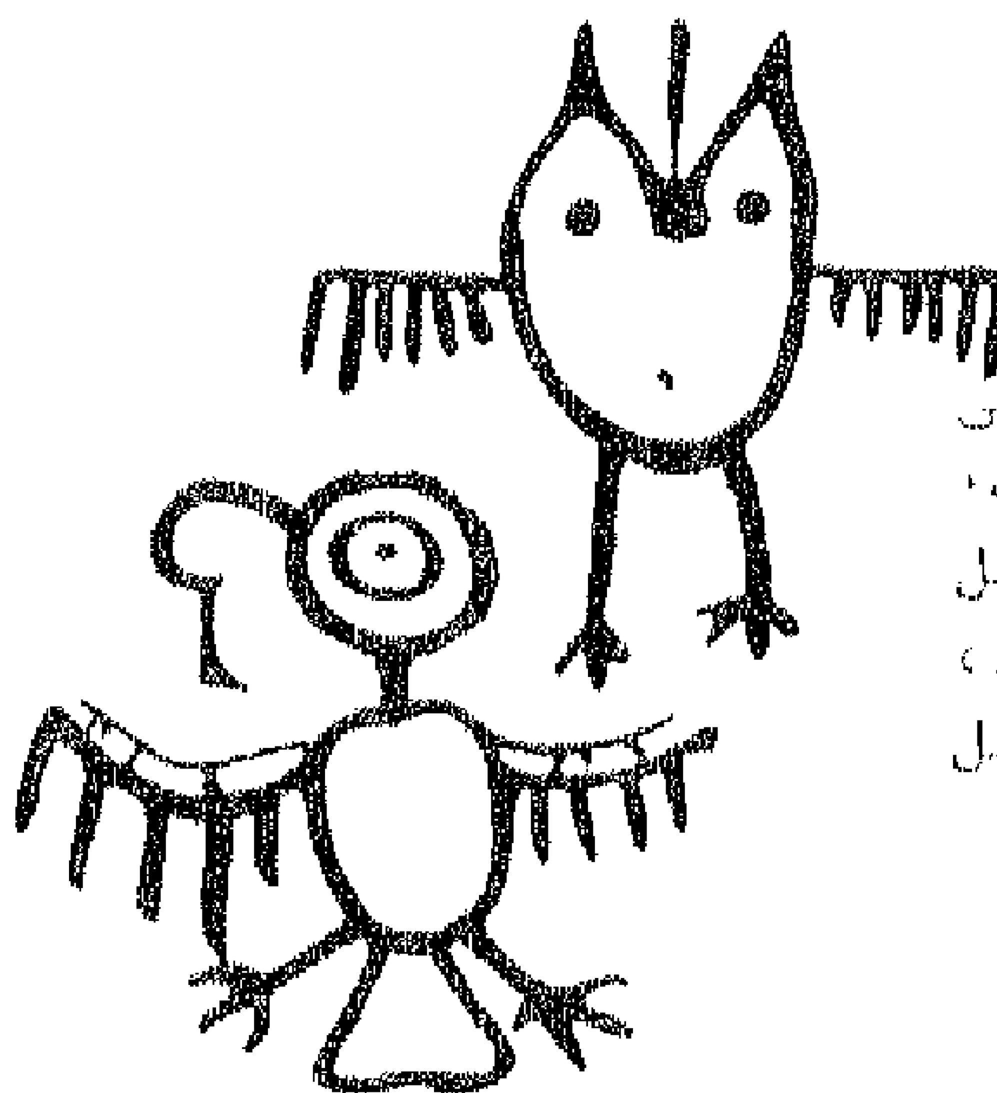
رسمت هذه الصورة الآخاذة في منتصف القرن التاسع عشر تذكارا للقاء مبكر مع الرجال البيض. وهي تمثل احد المستكشفين. وقد عثر عليها بالقرب من "غراند كانيون" (الوادي العظيم).





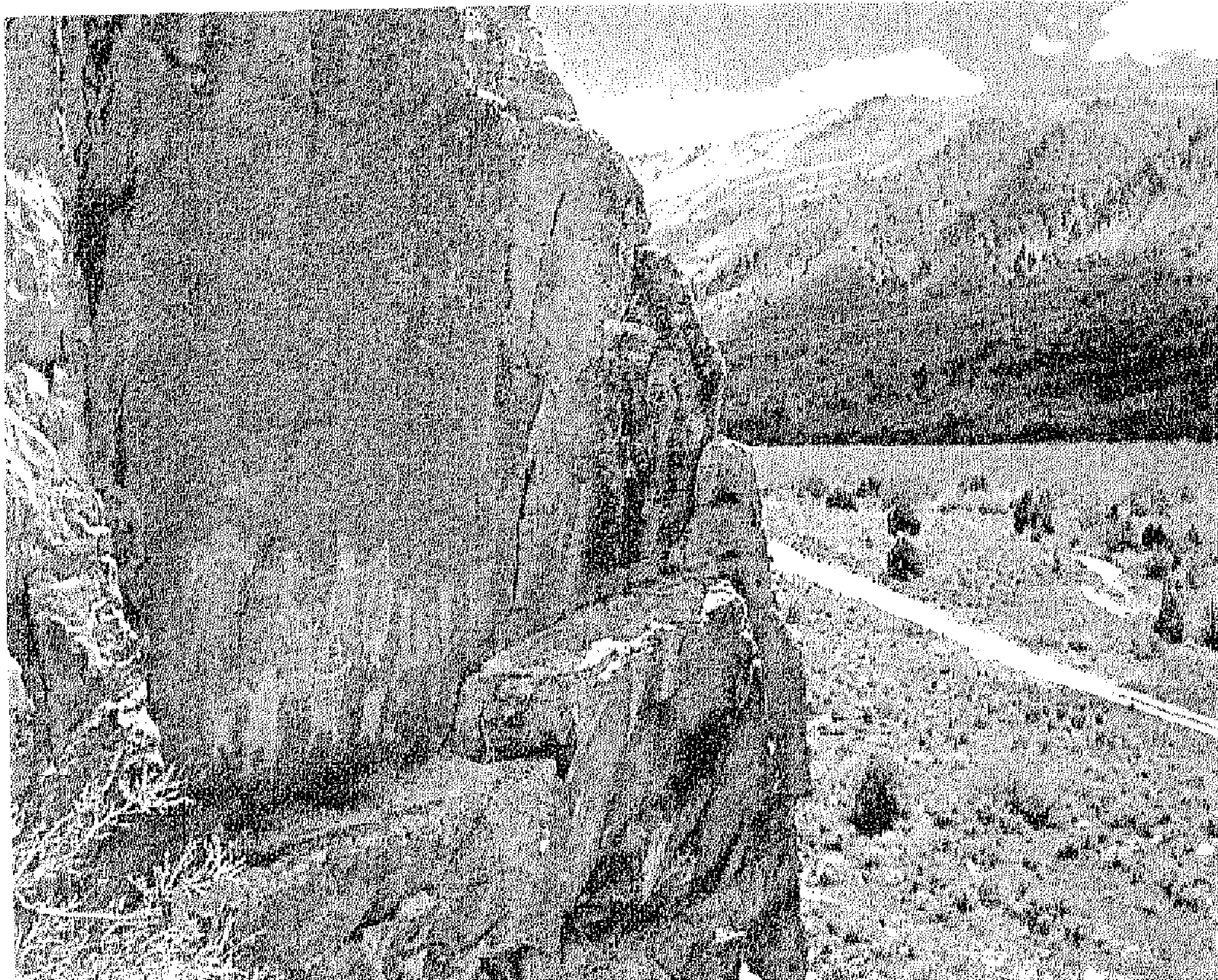


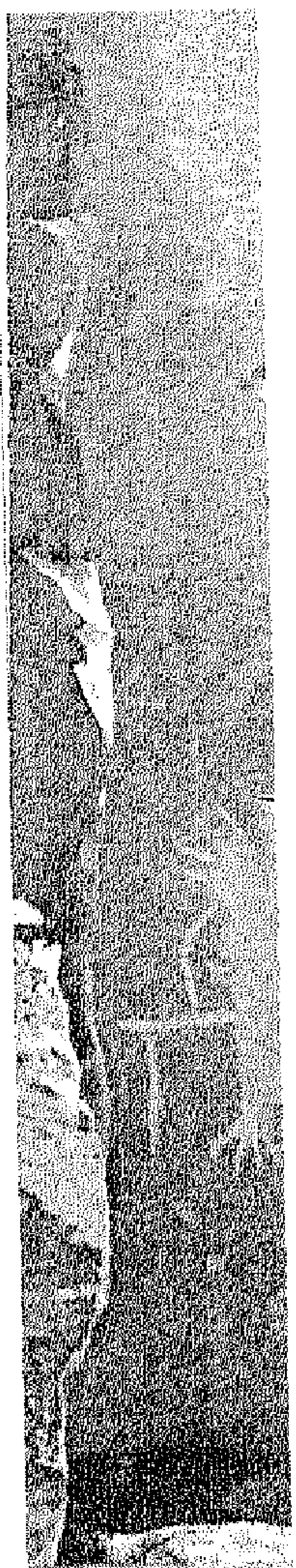
رسم ُيظن انه من عمل هنود الـ"اباش" في القرن الثامن عشر، وهو يمثل مشهد رقص، ويزخر بالحياة الى حد" تكاد تسمع معه موسيقى الرقص باذنيك، وقد عثر عليه بالقرب من "ال باسو" في ولاية تكساس.



الى اليسار رسم لبومتين عثر عليه في "سبيديس" في ولاية واشنطن، ويعود تاريخه الى ٣٠٠ – ٥٠٠ سنة خلت، والمعروف ان الطيور تحتل مركزا مهما في حضارة الهنود، لانهم كانوا يعتقدون أنها تنقل الارواح.

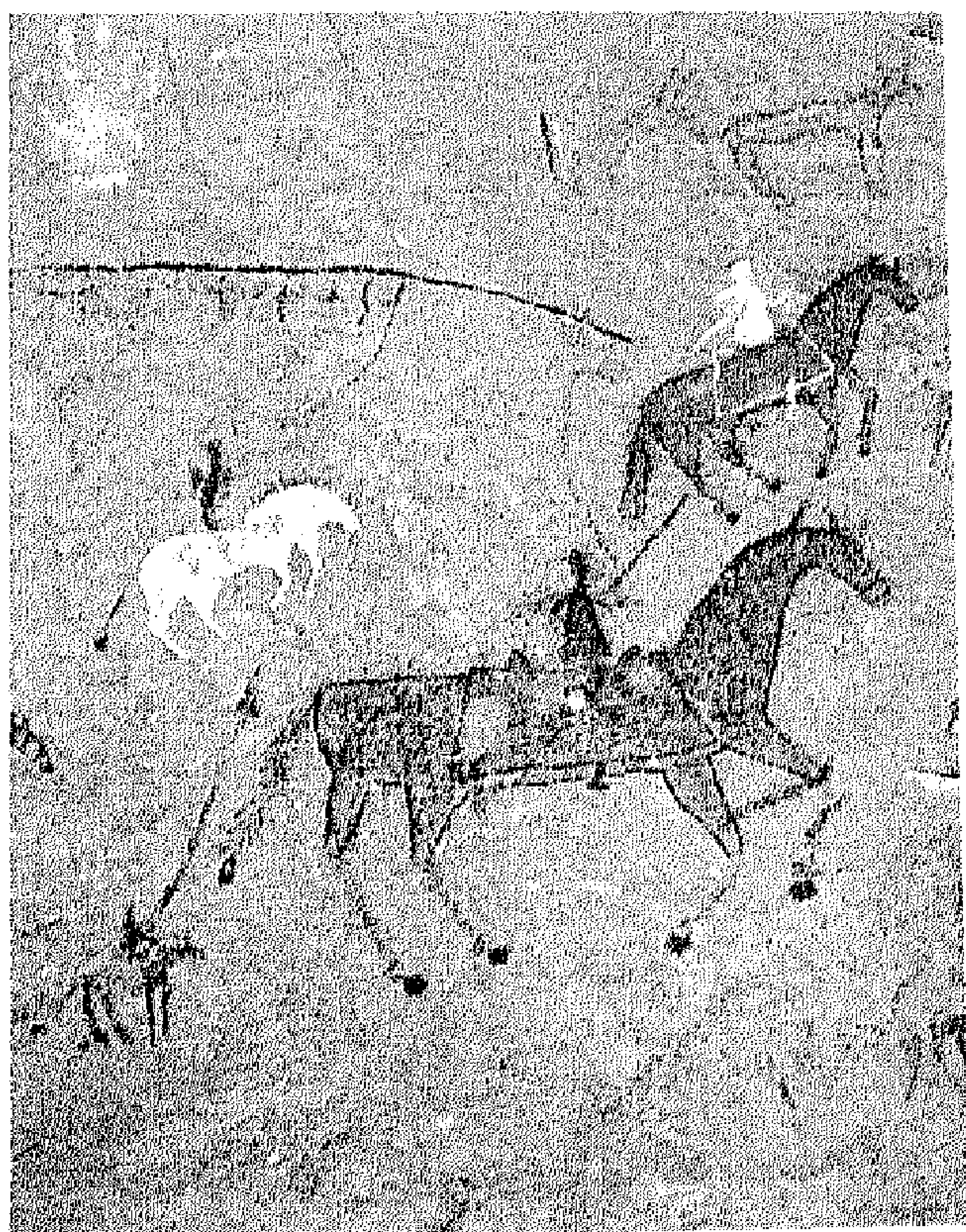
كانت الاماكن الوعرة التي تتميز بصعوبة الوصول اليها وخطر مواقعها تتخذ مواضع مختارة لاعمال الفن الديني ومنه هذه اللوحة التي تمثل هيئتي رجل والد، وهي نقشت بين عامي ١٥٠٠ و١٨٠٠ عند بحيرة "دينوودي" العليا في ولاية وايومينغ. والى اليمين صورة مكبرة لجانب من اللوحة، تبين التلف الذي انزله بها المخربون.







الى اليسار رسوم لطائر "مخوّض" طويل الساقين، ورموز اخرى متقنة الشكل عثر عليها في "بيتربورو" في مقاطعة اونتاريو (كندا).



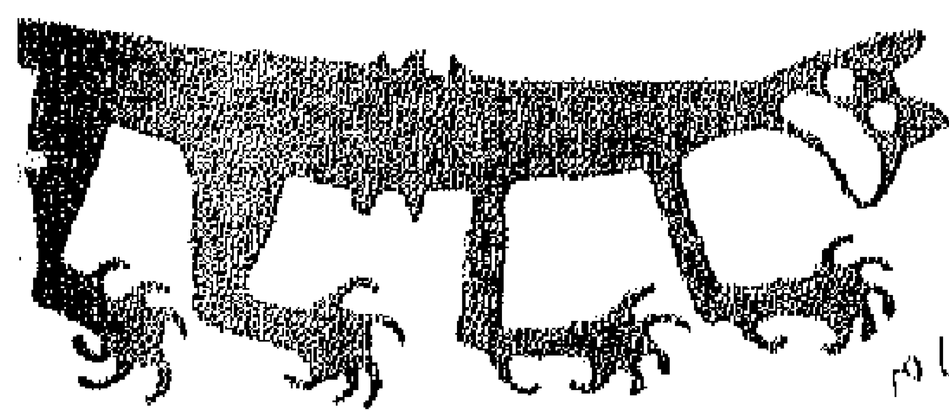
الى اليمين فرسان اسبان في نقش وجد في "كانيون ديل مويرتو" (وادي الموت) في ولاية اريزونا. وفي هذا المكان عام ١٨٠٥، أباد هؤلاء الفرسان ١١٥ من هنود "نافاخو".

حية ملتفة تمثل الماء او الخصوبة، ورسم لنجمة الصباح وقد زودت بمخالب النسر، وهي فأل النشاط الحربي. والرسمان من رسوم الصخور في قرى الهنود الحمر، ويرجع تاريخهما الى ما بين عامي ١٤٠٠ و ١٧٠٠، وقد عثر عليهما قرب "ابو" في ولاية نيومكسيكو.

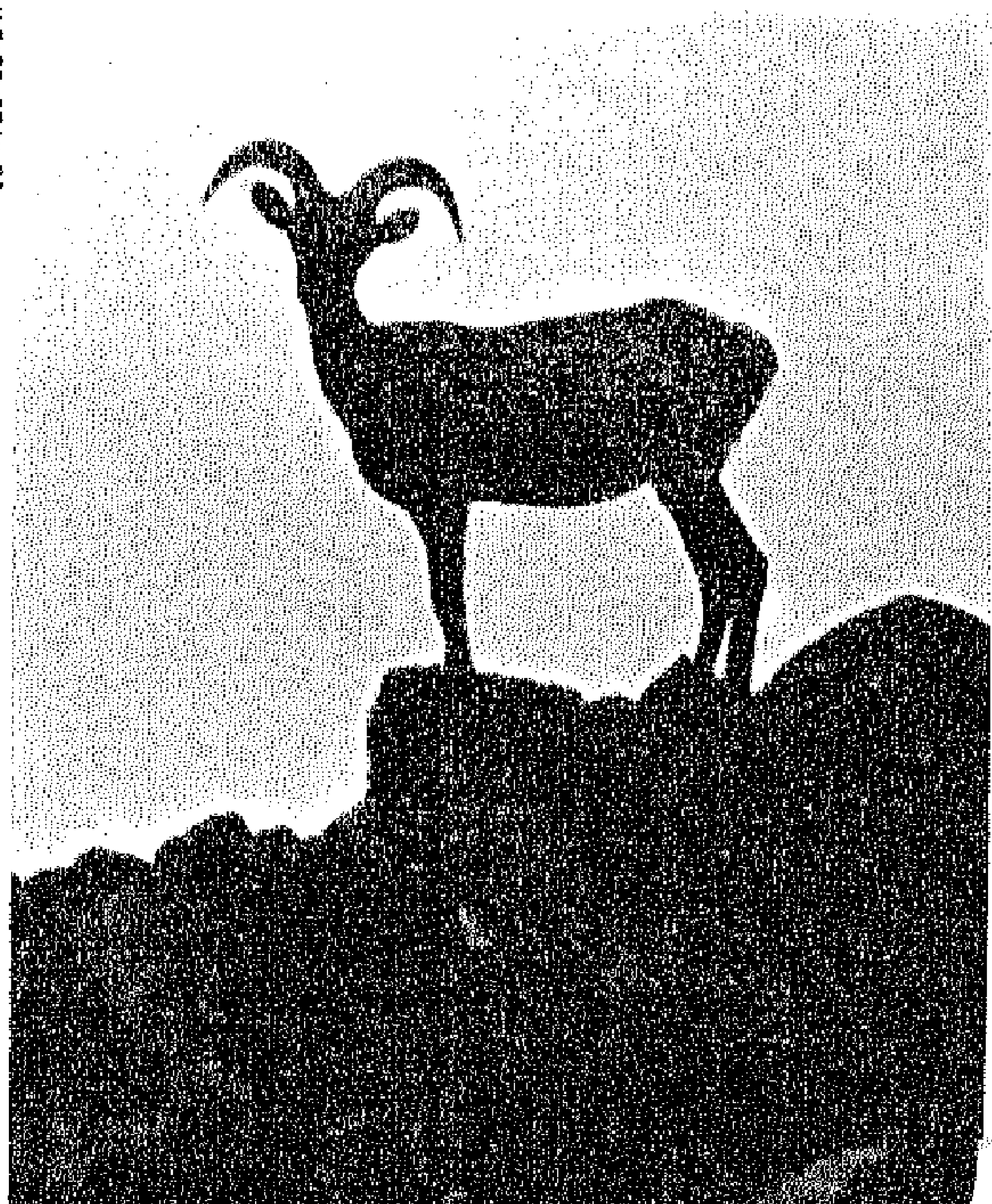


كان الفنانون الهنود يترجمون ملاحظاتهم الدقيقة للطبيعة الى صور جريئة صافية تتميز بالمقدرة الفنية العالية، حتى بمقاييس عصرنا الحاضر. وكان الكبش الكبير القرون، الذي تبدو له صورة فوتوغرافية حديثة اسفل هذا الكلام، من العناصر المتكررة في فن النقش على الصخور.

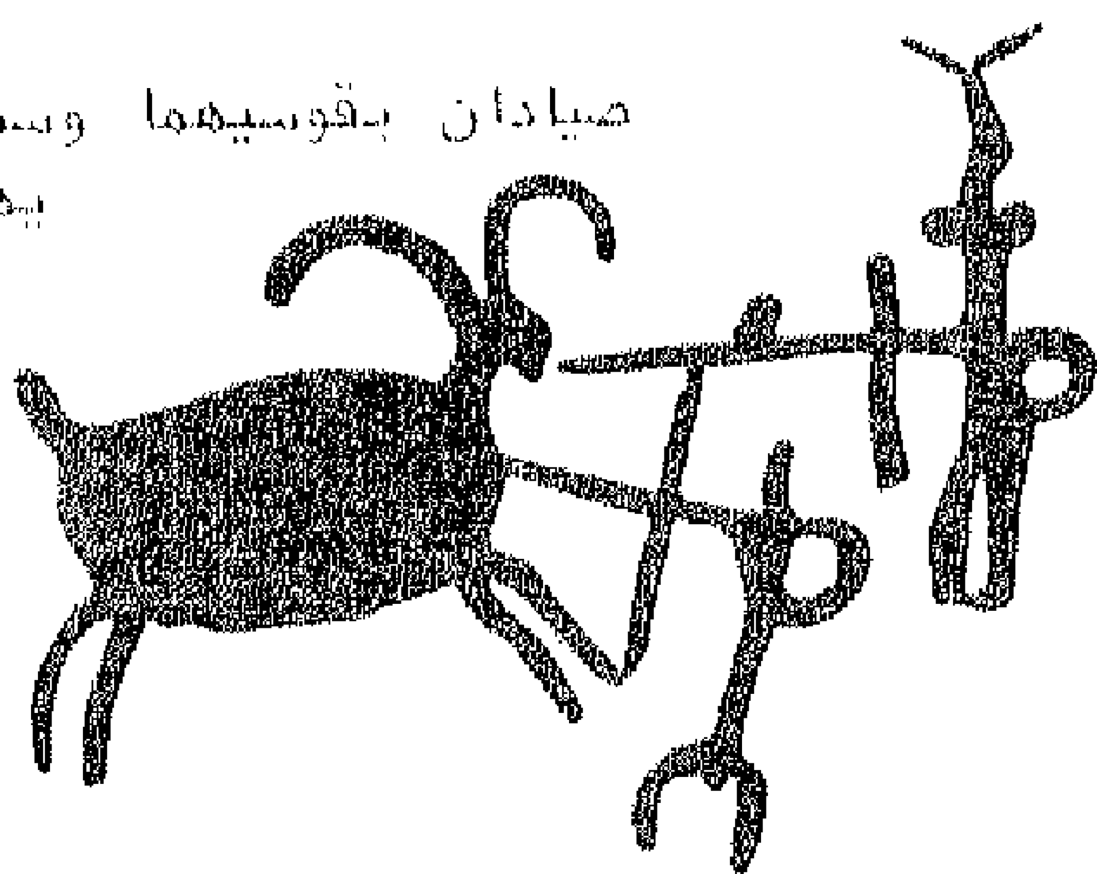




صورة تمثل حيوان الـ"بوما" المفترس. وكان الهنود الحمر يتوجهون الى البوما بدعواتهم قبل اقتحام القتال لما عرف عنه من القوة والدهاء. وتوجد هذه الصورة في المتنزه القومي للغابة المتحجرة في ولاية اريزونا.



JOHN BLAUSTEIN



صيادان بقوسيهما وسهامهما (الى اليمين) يهاجمان كبشا في نقش يمثل الصيد ويوجد في جبال كوزو في ولاية كاليفورنيا.

ذلك الى جهود الباحث الالماني المولد كلاوس ف. ويلمان، استاذ علم الامراض الاكلينيكية في جامعة ولاية نيويورك، الذي زار ولاية اريزونا عام ١٩٥٨ حيث رأى، للمرة الاولى في حياته، نقشا على الصخر يرجع عهده الى ما قبل كولمبوس. وقد اخذت الصور والرسوم الواردة على صفحات هذا المقال من الكتابين اللذين وضعهما الدكتور ويلمان عن هذا الموضوع.

ويرجع فن النقش على الصخور الى عصور سحيقة تمتد الى ٥٠٠٠ سنة مضت. وهو يمثل تاريخا فريدا لسكان القارة الامريكية الاصليين، ويعدّ من اغنى الاثار التي تركها الهنود الحمر، فضلا عن كونه اخصب تراث فني لهم. ويعبّر هذا الفن، في معظم الاحوال، تعبيرا بصريا عن معتقدات ترجع الى ما قبل التاريخ، ويصور بحساسية فنية بالغة تثير الدهشة مجموعة من الطقوس التي كانت تمارس في ذلك الحين، مثل الاحتفال بسن البلوغ ومراسيم الصيد وشعائر الخصوبة والطقوس الدينية.

ومن المؤسف أن كثيرا من هذه الاثار القديمة شوهتها عوادي الطبيعة وعدوان الانسان. فهناك مواقع غير محمية تعرضت ولا تزال تتعرض الى الرياح والمياه وبالتالي الى التآكل والانجراف. لكن الخطر الاكبر هو الذي يأتي من الانسان، بما ينشئه من طرق وبيوت وخزانات وسدود، لا يتردد عند اقامتها في تدمير الالاف من هذه الرسوم والنقوش التي تحملها الصخور.

اما الخسائر الهائلة التي تترتب



اعتدى لصوص الفن على النقش الصخري اعلاه بالادوات الحادة، فانتزعوا منه نحتا ملونا لسلحفاة بحرية. ويعود تاريخ هذا النقش الى ٢٠٠ - ٣٠٠ سنة مضت، وقد عثر عليه في "كاسل غاردنز" في ولاية وايومينغ. وأمكن استرداد القطعة المسروقة، وهي محفوظة اليوم في متحف الولاية في مدينة "شيين".



تبدو الاغنام كبيرة القرون واضحة في هذا النقش الصخري المفعم بالحياة، الذي يمثل منظرا للصيد يعود الى حدود العام ١٠٠٠، ويترأسه شخص اقرن يمثل الساحر الكاهن. ويوجد النقش في وادي "كوتونوود كانيون" في ولاية يوتا.

على تصرفات الافراد المفتقرين الى الوعي فحدث عنها ولا حرج. ويروى ان مدرّسا اصطحب تلاميذه الى احد مواقع هذه النقوش والرسوم، حيث "عبّر" الاطفال عن انفسهم بتغطية النقوش بما شاؤوا من بقع الالوان. وقد اجتهد احد المزارعين في ولاية يوتا لكي يبعد الزائرين المخربين، فوضع لافتة لـ"منع التعدي" على احدى الروائع، ولكن لم يحل ذلك دون تفاقم اعمال التخريب وتنوعها: من الدهان بالرش، الى المحو بالمِدى، الى الرماية على الرسوم والنقوش.

لكن هذا الفن، لحسن الحظ، لم ينضب معين حماته وانصاره. فقد انشئت "الرابطة الامريكية لبحوث فن النقش على الصخور" عام ١٩٧٤، وجعلت هدفها حماية مواقع هذه النقوش وصيانتها. والامل الكبير معقود على جهودها وجهود الافراد الاخرين المهتمين بالامر في انقاذ هذا التراث الثمين، لان هذه الرسوم والنقوش، حسب قول ويلمان، "قد شقت طريقها الى الضياء والبقاء بدافع تقصر عنه مجرفة الباحث الاثري بمفردها".



سياحة ليلية

هناك رحلات سياحية تنظم في مدينة بالتيمور في ولاية ماريلاند الامريكية من اجل محبي السهر. وفي امكان هؤلاء ان يشاهدوا ضوء الفجر الباكر يطلع من وراء حصن ماك هنري الذي لعب دورا مهما في الثورة الامريكية. وكان فرنسيس سكوت قد راقب طلوع الشمس في المكان نفسه عندما كتب النشيد الوطني الامريكي عام ١٨١٤.

وتشتمل تلك الرحلات ايضا على زيارة مطبعة جريدة "الشمس" التي تصدر في بالتيمور والتجول في سوق السمك في المدينة. وتبدأ هذه الرحلات السياحية في الواحدة والنصف بعد نصف الليل، وينصح المشتركون فيها حمل اضواء كهربائية.

اكبر حشرة واصغر حشرة

يقول روس هـ. آرنيت جونيور، استاذ البيولوجيا في جامعة سيينا في لودونفيل (ولاية نيويورك) ان الخنافس هي الكائنات الحية الاكثر انتشارا على الارض. فهناك ٣٠٠ الف صنف من الخنافس، اي ربع عدد اجناس الكائنات الحية الذي يبلغ مليونا و١٤٤٢٦٣٧ ويلاحظ آرنيت ان عدد اصناف الخنافس يفوق عدد اصناف النبات.

ان اكبر حشرة في العالم هي من الخنافس، وتعرف باسم "خنفسة جوليات". وهي تعيش في افريقيا الاستوائية. ويفوق حجمها حجم الجرذ، ويمتد كل من جناحيها قرابة ٣٠ سنتيمترا. واصغر حشرة في العالم هي ايضا من الخنافس. وهي ذات جناحين ازغبين، وتعيش في بذار الفطر. وحجمها اصغر من حجم النقطة في نهاية هذه الجملة.

("الالعاب المصورة")

خواطر طبيب حول خلود النفس

جرّاح شهير في امراض الدماغ والاعصاب يشرح تجاربه وخبراته في معالجة عضو من أكثر أعضاء الانسان تعقيداً وغموضا، ويفسر كيف ان هذه الخبرات عززت ايمانه بالله·

كانت الصبية الصغيرة في السادسة من عمرها، وكانت رائعة الجمال يشع محياها تألقاً وسعادة· لكن الفحوص الطبية كشفت عن وجود ورم خبيث ضخم في دماغها· وفي اثناء العملية الجراحية رأيت ان نصف دماغها المعتل متضخم بشكل ملحوظ لوجود كيس عملاق فيه متصل بالورم· وبدأت اتعقب الكتلة المليئة بالسائل، ولكن وقعت الكارثة! فقد أنهار فجأة سطح نصف الدماغ وانفجرت الأوعية الدموية الكبيرة الموجودة عليه واغرقت موضع العملية بالدم·

ورحنا، زملائي وأنا، نصارع لكي نوقف النزيف، لكننا سرعان ما اوشكنا على ان نخسر المعركة، فتملكتنا الكآبة وغمرنا الأسى· وأخذت اضغط باصابعي ضغطا قويا على وسائد صغيرة من القطن لكي اسد الاوعية المتفجرة، في محاولة مستميتة لوقف النزيف· واخيرا نجحت محاولتي، ولكن لم اجرؤ على اعتاق اصابعي· وكان كل ما استطعته آنئذ هو أن أصلي بينما كانت تجرى للصغيرة الجميلة عملية نقل دم·

وأحسست خلال انتظاري بالعجز الأليم وبضآلة شأني· وتساءلت عمن أكون لكي اقدم على مثل هذا العمل الموقع في النفس، ظاناً انه من مسؤوليتي وحدي ان استأصل هذا الورم الخبيث من دماغ هذه الطفلة – ذلك النسيج الغالي الذي تكمن فيه اسمى وظائفها الحيوية، وشخصيتها الرائعة، وذكاؤها، وذاكرتها، وعواطفها، وارادتها الحرة· وهذا الموقع من دماغها حيث أجري العملية

هو مقر كينونتها وموطن ذاتيتها.
الله معنا – انقضت نصف ساعة، وكانت غرفة العمليات تموج بتوتر صامت رهيب. ولم يكن احد يصدق – ولا أنا – انني استطيع رفع أصابعي عن نقاط الضغط من دون ان ينطلق من تحتها سيل جديد من الدم. فواصلت الضغط وانا اصلي واتضرع الى الله العلي القدير لكي يزود اصابعي بما يتطلبه الموقف من قوة.

وفجأة شعرت بالراحة. فقد أدركت اني فعلت كل ما في استطاعتي، وملأ جوانحي يقين مريح بأني استطيع استئناف العملية، وثقة بوجود الله معنا في غرفة العمليات. ورحت ارفع الضغط عن الاوعية بحرص وبطء، اصبعا تلو اصبع، فلم يحدث اي نزيف حتى أطلقت اصابعي كلها. ثم انطلق نزيف في احد الشرايين، ولكن امكن تداركه بسهولة.

واستغرقت عملية استئصال الورم اربع ساعات ونصف ساعة، حرصت بعدها على ان اظل قريبا من سرير مريضتي الصغيرة طوال الاسبوع التالي، فتبين لي ان جراحها التأمت تماما. فلم يتكرر حدوث اي نزيف، ولم تظهر اعراض لاي عجز عصبي او عطل في الدماغ. وأسفرت النتيجة عن خير ما كنا نتمناه، واصبحت الفتاة اليوم مراهقة طبيعية، سعيدة وسليمة.

وفي العام ١٩٧٤، اجريت عملية جراحية لصبي اصيب بنزيفين شديدين في الدماغ، اظهرت الفحوص انهما ناشئان عن ورم صغير في وسط دماغه بالضبط. وكانت المناطق التي حدث فيها النزيف اصيبت بتلوث شديد، ودخل الفتى في دور الغيبوبة التي تنذر بالموت. وقد ادخلنا انبوبين في جانبي دماغه وغسلنا فعلا فجوة الدماغ بمحاليل باردة من المضادات الحيوية، وهو اسلوب فني جديد من ابتكارنا. وادخلنا الصبي بعد ذلك في جهاز التنفس الاصطناعي وخفضنا درجة حرارة جسمه.

واستمر الصراع لانقاذ حياة الصبي اسابيع طويلة لم انقطع خلالها عن الصلاة من اجل الصبي وأبويه، وأيضا من أجل أن ينعم الله بالقوة على جميع اعضاء الفريق الطبي الذي يعالج هذه الحالة المحزنة المرهقة. ثم بدأت حالة الصبي في التحسن ببطء كاد ان يكون غير ملحوظ، ولاسباب لم تتضح لنا حتى الآن. وبعد اسبوعين رفعنا عن الصبي بطانية التبريد، وبعد اسبوعين آخرين امكننا ان نخرجه من جهاز التنفس. ثم استطعنا ان ننتزع انبوبي التصريف من دماغه. وبدأت، في مقابلاتي اليومية مع الأبوين القلقين، المح لهما الى احتمال نجاة ابنهما من الموت، وان لم يكن له حظ في الحياة الطبيعية. بيد ان الصبي استمر في التحسن على غير ما كان متوقعا، ولاسباب خفيت علينا. وعندما حل موعد خروجه من المستشفى، كان تشخيصي لحاله انه يعاني من تقلصات ارتعاشية لا ارادية ومن تخلف عقلي شديد، وهو امر يتجاوز كثيرا ما كنا نجرؤ على توقعه.

وبعد ذلك ببضعة أشهر، عاد الابوان لزيارتي بصحبة ابنهما لكي افحصه.

وما زلت حتى الآن مندهشا لما وجدته: فقد بدا الصبي طبيعيا تماما من جميع الوجوه، ومليئا بالبهجة والعافية. بيد ان الورم كان لا يزال باقيا في مكانه وسط دماغه (وكنا نواصل مراقبته بشدة)، ولكن لم يتفاقم امره ولم يزد حجمه على مدى اربع سنوات.

الامر ليس وهماً – واذا بدا اني انزع الى الاعتقاد بحدوث "اعجوبة"، فان هذا يكون تصورا خاطئا لأني لا اعتقد ذلك فعلا. فلقد واجهت مرارا في غرفة العمليات مواقف يحفها الخطر البالغ، بل ان كثيرا منها كان يبعث على القنوط. لكن المريض كان في كل منها – لدهشتي البالغة – يعيش ويتحسن حتى يشفى. غير اني لا ارى في هذه العمليات الناجحة شيئا "عجائبيا". واعتقد انه كان من المتعذر تحقيقها لو لم تتضافر في سبيلها جهود الاطباء المعنيين. وعلى رغم ذلك، فأن احتمالات الاخفاق في هذه العمليات كانت راجحة الى حد يحملني على الاعتقاد أن النجاح فيها لم يكن ممكنا لولا العناية الالهية التي وجهتنا وساعدتنا في اتخاذ قراراتنا، ولولا ثقتنا في ادائنا الفني الدقيق.

فهناك عدد من العلماء والباحثين يبدو انهم يفقدون ايمانهم بالله مع زيادة معارفهم. اما انا فقد كان وضعي على نقيض ذلك في تجاربي وخبراتي مع مرضاي، وفي بحوث الاعصاب التي اجريها لاكتشاف اسرار الدماغ. وكانت النتيجة ان ازدادت الرهبة التي تتملكني ازاء هذا العضو الخطير. ولم يبق لي خيار سوى الاقرار بوجود عقل اعلى بالغ السمو، هو المسؤول عن تصميم تلك العلاقة الخارقة بين الدماغ والعقل وانمائهما، التي لا يحدها ادراك الانسان.

ولنفكر الآن قليلا في هذا العضو العجيب الذي هو دماغ الانسان. ان أي دماغ الكتروني يصممه الانسان، مهما بلغ من الدقة والحنكة، لن يضاهي في دقته وفعاليته وادائه هذه الكتلة الهلامية النسيجية التي لا يتجاوز وزنها ١٤٠٠ غرام. ولئن بدا ان اي دماغ لا يختلف عن اي دماغ آخر، لتشابهها جميعا في تلك التضاريس الحافلة بالتلال الصغيرة والاودية الضيقة التي تتشابك فوقها المجاري الحمراء والزرقاء، الا ان هناك مكانا غير محدد في كل دماغ بعينه تكمن فيه الصفات والمزايا التي تجعل كل شخص منا كائنا فريدا متفردا. فالدماغ مركز العقل الذي هو جوهرنا. ومع ذلك، فما زال العلم لا يعرف الا اقل القليل عن تلك الرابطة بين الدماغ والعقل – تلك العلاقة بين الوعاء وما يحويه.

مقام مقدس – واني لعلى يقين من ان الدماغ هو مستقر روح الانسان، ومن ثم فانه، بالنسبة الي، مقام مقدس. لكنه، على رغم ذلك، معرض للاذى والمرض. وكثيرا ما تدعونا الضرورة الى دخول هذا الحرم لنبحث في اعماقه عن الاورام والنزيف واسباب التلوث ونعمل على معالجتها. وفي رأيي ان هذا العمل يكاد يكون مهمة دينية تتطلب اعلى مستويات المهارة البشرية. ولذلك، لا بد لي من الارتكاز على مجموعة من المعتقدات القوية الراسخة لكي تشد ازري وانا امارس هذا العمل الخطير.

وفي نظري ان ممارسة الطب والايمان الديني امران متشابكان في نسيج واحد. وانا اصلي كثيرا، ولا سيما قبل العمليات الجراحية وبعدها، لان الصلاة تبعث فيّ نوعا من الارتياح وتحملني على الشعور بوجود قوى هائلة تظاهرني، واحتاج اليها وأنشدها.

ما يتجاوز العلم - انني اعرف بين زملائي رجالا عظماء وخيرين يستطيعون، كما يبدو، تفسير الامور لانفسهم في معادلات رياضية وكيميائية، ويرتاحون الى افتراض ان ما يتعذر تفسيره اليوم لن يلبث ان يتضح امره مع اطراد تقدم العلم. لكن الفكرة القائلة بان الحياة الانسانية ليست سوى نتيجة الترافد العارض بين بيولوجيا الجزيئات المعقدة والنشاط الكهربائي، تبدو في نظري امرا خارجا عن نطاق المنطق والتصديق المتعقل.

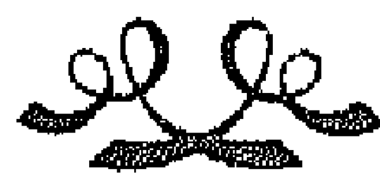
فمن الناحية العلمية المحض، يبدو لي ان مركب الدماغ - العقل في الانسان يتجاوز كل ما توصل اليه العلم، بحيث انه لا مفر من التسليم بوجود عقل خالق، فائق، عليّ، قدير، لتعليل فردية الكائن البشري وتفرده. ومهما بلغت معرفتنا بالدماغ، فانها تظل قاصرة عن التوصل الى ايضاح كاف شاف للعقل. ولا بد لي من الاعتقاد بان لهذا كله علة اصلية عاقلة، وبان قوة عليا اوجدت كل ذلك. ولا يمكنني ان اتقبل الزعم بان الصدفة المحض هي التي ادت، في نقاط معينة من الزمان، الى ظهور تلك الخصائص الجوهرية الفذة، كالذكاء والشخصية والذاكرة والجسم البشري.

واني اجد من غير المعقول ايضا ان افترض ان تلك الخصائص الجوهرية القوية، كالذكاء والشخصية والذاكرة، تنتهي بانتهاء الحياة وتتوقف عن الوجود بمجرد موت الدماغ. بل ان المعقول اكثر من ذلك بكثير هو الاعتقاد ان جوهرنا ينفلت من وعائه الدماغ الذي لا يعود آنئذ قادرا على احتوائه، كي يجد له سندا ودعامة.

أما الذي يحدث لجوهرنا عند موت الدماغ فهو امر لا اتطاول الى مجرد تخمينه. وكل ما استطيع قوله هو ان المنطق يقودني، على نحو حتمي، الى الايمان بان تفرد الكائن البشري وفرديته يواصلان الحياة بعد موت الدماغ، في نطاق ذلك المفهوم الذي نسميه الروح.

■ **روبرت ج. هوايت**

روبرت ج. هوايت، كاتب هذا المقال، طبيب ودكتور فلسفة؛ وهو استاذ ورئيس مشارك لقسم جراحة الاعصاب في جامعة "كيس وسترن ريزيرف" في كليفلاند في ولاية اوهايو الاميركية. وهو ايضا مدير جراحة الاعصاب في مستشفى متروبوليتان العمومي في كليفلاند، وله شهرة واسعة اكتسبها باعماله الرائدة في مجال البحوث وتقنيات الجراحة في ميدان جراحة الدماغ والاعصاب.



قال الطبيب النفسي مؤنبا مريضه: "الا تزال تشعر بالذنب بعد كل سنوات العلاج هذه؟ يجدر بك ان تخجل من نفسك".

مَعركة الحرّية

ولد الصحافي والمؤلف اليوغوسلافي ميخائيل ميخائيلوف في ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٤. وقد اعتقله نظام المارشال تيتو ثلاث مرات، في ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و١٩٧٤، فقضى في السجن ما يقارب السنوات السبع. وكانت الجريمة المنسوبة اليه "الاساءة الى سمعة دولة اجنبية" (ذلك انه بعدما زار الاتحاد السوفييتي في اطار برنامج للتبادل الثقافي، صرح في كتابه "صيف موسكو"، بان "معسكرات الموت الاولى لم ينشئها الالمان، بل انشأها السوفييت")، و"نشر واذاعة الدعايات العدائية" (ذلك انه كتب وارسل الى الخارج ما ظنه الحقيقة عن بلاده).

وقد اعفي عنه في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، طبقا لاتفاق مؤتمر هلسنكي، ثم حصل على تأشيرة خروج وهاجر الى الولايات المتحدة الامريكية في يونيو (حزيران) وبعد ذلك بقليل، بدأت موجة جديدة من المحاكمات في اثناء الحملة التي شنها الاتحاد السوفييتي ضد حقوق الانسان، فكتب ميخائيلوف المقال الآتي في هذا الصدد:

ما اغرب الامر! منذ ١٣ سنة حتى العام الماضي وانا اعيش بين الاعتقال والمحاكمة والانتقال من سجن الى آخر، بينما كان الناس في مناطق اخرى من العالم يعترضون على اعتقالي وينظمون المظاهرات ويوقعون العرائض مطالبين باطلاق سراحي.

وها انذا الان هنا، ولست في ذلك الشطر من العالم حيث اتعرض للمحاكمة والعقاب. ولست انا الذي يحاول الغرباء مؤاساته بمنحي تأييدهم المعنوي. فانا اليوم في العالم الحر حيث يقتضي علي ان اكتب الاحتجاجات واسير في المظاهرات وانضم الى اللجان دفاعا عن اولئك الابرار القائمين بعيدا والواقعين، على رغم براءتهم الواضحة، فريسة نظام همجي.

انني انعم منذ حين بهواء الحرية، تلك النعمة التي يكاد لا يصدقها العقل ويحدها الوصف. وهي، ككل

نعمة اخرى، لا يدرك الانسان قيمتها الحقيقية الغالية الا متى افتقدها. فهنا يمكنك ان تذهب حيثما يقودك النظر، وان تقرأ ما شئت، وان تقول وتكتب كل ما يخطر لك في البال. وليس هنا الزام بمراجعة الشرطة على سبيل المراقبة، ولا حملات صحافية ايديولوجية، ولا حزب مطلق النفوذ.

ها انذا في مدينة نيويورك العملاقة، انتقل بانظاري عبر النافذة فوق سطوح المباني حيث تقبع خزانات المياه مثل العناكب الضخمة، بينما تموج الشوارع بحياة غريبة لا حد لتنوعها. واني ارى وجوها لا حصر لها: بيضاء وسوداء واحيانا صفراء، وقد ارتدى كل فرد ثيابا مختلفة ومتميزة عن ثياب غيره. فلا احد هنا يحاول ان يلتزم بمعيار او شكل او زي واحد - سواء في الفكر او في العقيدة او في الانتماء الحزبي او في طريقة تصفيف الشعر.

هنا وهناك — ان السعادة تملأ جوانحي لمجرد الجلوس هنا والاستمتاع بهذه الحرية، من دون ان افكر في ما هو بعيد عني في الزمان والمكان. وانما يحدث فجأة ان تقتحم عناوين الصحف منزلي وتطرق بابي بقبضاتها الثقيلة، حاملة الي انباء موجة جديدة من المحاكمات في ذلك العالم الآخر، وتساقط الاحكام على رؤوس الضحايا: يوري اورلوف، سبع سنوات في السجن وخمس سنوات في المنفى الداخلي، اناتولي شارانسكي، ١٣ سنة في السجن ومعسكرات العمل، الكساندر غينزبورغ، ثماني سنوات، فيكتوراس بيتكوس عشر سنوات في السجن وخمس سنوات في المنفى، وهلم جرا. وهناك محاكمات وعقوبات بتهمة التجسس (اصدار بيانات علنية عن الاضطهادات غير القانونية)، والقيام بأنشطة هدامة (مساعده عائلات المسجونين)، والافتراء والدعاية المعادية (قول الحقيقة).

ولكم اصبحت مثل هذه الانباء مألوفة هنا. لكن مجرد قراءة التقارير عن المحاكمات السوفييتية تجعلني - حتى وانا هنا في نيويورك - اشم تلك الرائحة العفنة التي تفوح من دورة مياه السجن، وتلك الرائحة الاخرى الكريهة المنفرة التي تنبعث من حيوانية العنف. وانني اعلم ان هناك في مكان ما، في هذه اللحظة بالذات، انسانا محصورا في زنزانة انفرادية يجلده السجانون ذوو الوجوه السمينة الغليظة المعتمرون قبعات تعلوها نجوم خماسية حمراء، وان هناك ايضا في مكان ما حكما يتلى علنا وقد تقررت فحواه قبل اجراء الاعتقال والمحاكمة بزمن طويل.

هذا كله اصبح مألوفا الى ابعد حد. ولا تلبث عناكب خزانات المياه ان تتحول في نظري الى ابراج للمراقبة، ولا تلبث القرقعة الخافتة الصادرة عن المصعد خلف جداري ان تتعاظم فاخالها صدى طقطقة باب السجن التي يتوقف لسماعها قلب السجين عن الخفقان.

لست وحدي — ويعاودني الان ذكر المرة الاولى التي سجنت فيها. لقد وقع الامر بصورة مفاجئة سريعة، اشك معها في ان يكون امر اعتقالي بلغ مسامع اي انسان في المدينة المجاورة، ناهيك بعالم الغرب. ولن

انسى ابدا تلك اللحظة حين راح المحقق يؤنبني بصوته الغاضب قائلا: "حسنا، ان اصدقاءك الصغار في الغرب، الذين اثاروا كل تلك الضجة، لن ينفعوك في شيء".

وما ان سمعت تلك الكلمات حتى شع الابتهاج في طيات كياني. فقد كان معناها ان الناس يفتحون اعينهم ويراقبون. اذا، انا لست وحدي. ولله ما كان اعظم القوة التي امدني بها ذلك الادراك!

فاكثر ما يرتعب لهوله الانسان وهو في طريقه الى السجن ان يصبح فيه نسيا منسيا. لذلك لا استطيع ان اسمح لنفسي بالاستراحة ومجرد الاستمتاع بالحرية التي انعم بها، وانما واجبي يدعوني الان لبذل كل الجهود الممكنة لكي يفهم الناس مصير ذلك العدد الضخم من الرجال والنساء الذين وقعوا اسرى سجون العالم الشيوعي، ولكي لا ينقطعوا ابدا عن المبالاة بامرهم.

هذا الامر يتجاوز كثيرا مجرد فكرة التضامن الانساني. فلقد كان من شأن المحاكمات التي جرت على مدى التاريخ انها لم يتقرر فيها مصير المتهمين فحسب، بل تقرر ما هو اكثر من ذلك بكثير - واعني به مصير المستقبل. وتلك هي ايضا طبيعة محاكمات اورلوف وشارنسكي وغينزبورغ وبيتكوس والاشخاص العديدين الاخرين الذين تحفل بهم الاخبار. وهم زجوا اليوم جميعا في السجون لانتمائهم الى جماعات تطوعت لمراقبة مدى التزام السوفييت بمبادىء احترام حقوق الانسان التي اقرتها وتعهدت بصونها ٣٥ دولة في هلسنكي خلال صيف ١٩٧٥.

وما الغرض من محاكمة المنشقين في الاتحاد السوفييتي سوى تجريد العالم الحر - الولايات المتحدة الامريكية - من اخطر سلاح يمكن استخدامه ضد الديكتاتورية الشيوعية، تدليلا للعالم كله على ان سياسة الدفاع عن حقوق الانسان مآلها الاخفاق.

السلاح الاقوى - واني لاذكر ذلك الامل الكبير الذي ملأ جوانح كل انسان حين اعلن الرئيس كارتر ان حماية حقوق الانسان في كل مكان من العالم هي من اهم الاهداف التي تضعها حكومته نصب عينيها. فلقد بدا آنئذ، للمرة الاولى في التاريخ المعاصر، ان امريكا وجدت السلاح الايديولوجي والروحي الذي يخترق دروع الاستبداد الشيوعي.

وادرك هذه الحقيقة على الفور كل انسان هناك، في الجانب الآخر، بمن في ذلك السجناء والسجانون، واتضح للجميع ان الكفاح في سبيل حقوق الانسان اشد خطرا على الديكتاتوريات الشيوعية من قنابل الهيدروجين والنيوترون.

لكن هذه القضية لا تلقى دائما حقها من الفهم هنا في الغرب. وقد تبين، فضلا عن ذلك، ان البلاد الديموقراطية - باستثناء مقدار كبير من الضجيج الكلامي - لن تفعل شيئا ملحوظا ازاء عدم التزام الشيوعيين بقرارات هلسنكي الذي يمكن اعتباره في واقع الامر دليلا على اعتزام الكرملين على تجاهل اي اتفاق دولي يدخل طرفا فيه. وفي هذا الوضع ما

يبعث على تعزيز اقتناع الشيوعيين بان الغرب على استعداد لتقبل اي شيء في سبيل التوقيع على اتفاق للحد من التسلح.

فاذا كان الشيوعيون على حق في هذا الاقتناع، وتقاعس الغرب عن الاستجابة لتصرفاتهم استجابة جدية، مكتفيا بالالفاظ الجوفاء والاحتجاجات المكتوبة، فاني لعلى يقين من اننا سنشهد نهاية الانفراج الدولي وبداية الخطوات الاولى في اتجاه حرب جديدة. فنحن، اذا، نواجه من جديد مرحلة حاسمة سيتقرر فيها مصير البلاد الديموقراطية، لان النجاح في تصفية المنشقين في الاتحاد السوفييتي سيسفر عن دعم مكانة العناصر المتطرفة في عقيدتها وعدوانيتها في الحزب الشيوعي السوفييتي. لذلك، في مجال الكفاح من اجل السلام، تتسم المعاملة التي يلقاها الافراد المتحمسون لحقوق الانسان باهمية تفوق كثيرا اهمية التوقيع على اي اتفاق للحد من الاسلحة الاستراتيجية.

وطالما ظلت البلاد الشيوعية تتمادى في خرقها الصارخ لحقوق الانسان، فاني اؤمن بان التصرف السليم الوحيد الباقي امام الغرب هو ان يعمد الى الغاء اتفاق هلسنكي. ولن يكون هذا في طبيعة الحال، سوى حد ادنى من رد الفعل، لان لدى العالم الحر امكانات كثيرة اخرى تتيح له القيام بهجوم مضاد له اصداؤه العميقة وآثاره الموجعة، فهو يستطيع ان يلغي المعونة التقنية والتكنولوجية والعلمية المقدمة الى الاتحاد السوفييتي، وان يوقف جميع الاعتمادات، وان يضع حدا لبيع الحاسبات الالكترونية واجهزة حفر الآبار والقمح وكثير من الاشياء الاخرى.

واذا ما تصرفت الولايات المتحدة الامريكية بالحزم والحسم، فليس لدي ادنى شك في ان الشيوعيين سيتراجعون كما فعلوا في ازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢. اما اذا لم تدرك الولايات المتحدة الامريكية انه ليس لديها اختيار آخر. فربما استيقظت نيويورك ذات صباح وقد تحولت فعلا خزانات المياه القابعة فوق سطوحها ابراجا لمراقبة السجون، وربما وجد شعبها الحر نفسه ذات يوم بين جدران ذلك العالم الاخر.

■ ميخائيل ميخائيلوف

الحكام ورقي الامم

اذا ما شاء حكامنا ان يحسنوا بالفعل من رقي الأمة، فلا يطلب منهم اكثر من الاقتصار التام على تأدية واجباتهم الشرعية اي ان يترك للرأسمال ان يجد من تلقاء نفسه طريقة للربح، وللسلع ان تحدد اسعارها المعقولة بذاتها، وللصناعة والفطنة ان يحصلا على مكافأتهما الطبيعية، وللكسل والحماقة ان يلاقيا عقابهما الطبيعي، وان يعنى حكامنا بصيانة السلام، وحماية الملكية، وخفض ثمن القانون، وبالمحافظة على الاقتصاد الصارم في كل قطاع من قطاعات الدولة. فاذا ما قامت الحكومة بكل ذلك، تكفل الشعب بتحقيق الباقي.

ماكولي

اليابان والدولار

ان النجاح الذي تلاقيه اليابان في مجال التصدير
يبعث على تهديد نظام التجارة العالمية المفتوحة الذي حاق به
الخطر فعلا، ويعزز قيمة السين الجبار.
ولكم يجدر بالمؤسسات الاقتصادية الغربية الا تكتفي بالتذمر،
بل ان تفسح لنفسها المجال في اليابان وتبيع

من اجل بناء يابان جديدة،
فلنضم معا قوانا وعقولنا،
ولنبذل غاية جهودنا لتعزيز الانتاج،
ونصدر بضائعنا الى شعوب العالم،
باستمرار ودونما نهاية،
كالماء المتدفق من ينبوع.
فاكبري يا صناعتنا،
واكبري، واكبري، واكبري!

ان هذه العبارات من نشيد شركة "ماتسوشيتا" للصناعات الكهربائية تصلح لان تكون شعارا للصناعة اليابانية باكملها. وهو شعار اثار جدلا واسع النطاق في الولايات المتحدة الامريكية، لما ينطوي عليه من خطر، حول حماية التجارة الامريكية. ومن بين الانفجارات التي تعالت في هذا الصدد، نذكر هنا، على سبيل المثال، التصريح الذي ادلى به جورج ميني، رئيس اتحاد نقابات العمال الامريكية: "اذا لم تكبح الولايات المتحدة الامريكية قوة الواردات اليابانية، فلن يلبث الامريكيون ان يصبح شغلهم الوحيد تلميع احذية بعضهم بعضا".

ففي نهاية السنة المالية اليابانية الماضية - في ٣١ مارس (آذار) ١٩٧٨ - كانت اليابان قد انجزت حملة تصدير ناجحة سجل فيها ميزانها التجاري مع بقية بلاد العالم فائضا لمصلحتها مقداره ١٤٫٧ مليار دولار، منه مبلغ مذهل قيمته عشرة مليارات دولار لمصلحة اليابان من تجارتها مع

الولايات المتحدة الامريكية وحدها٠ ولم يكن مستغربا بعد ذلك ان يصاب الدولار الامريكي بانخفاض شديد بالنسبة الى الين الياباني نظرا الى ان اليابانيين يحتاجون الى كمية اقل من الدولارات لشراء ما يعوزهم من السلع الاجنبية، بينما تسعى الدول الاجنبية الاخرى الى الحصول على مبالغ اكبر من الين لكي تشتري بها المنتجات اليابانية٠

وفي اواخر عام ١٩٧٨، تزايد انخفاض الدولار بسرعة تثير القلق، من جراء الشكوك التي بدأت تنتاب تجار المال والعملات في العالم حول مدى فاعلية السياسات التي تتبعها حكومة الرئيس كارتر لمكافحة التضخم٠ كما ان المصالح النفطية العربية - في محاولة منها لتعويض خسائرها الناجمة عن انخفاض قيمة ايراداتها من الدولار - انذرت باحتمال فرض زيادة اخرى على سعر النفط، وهو اكبر بند منفرد يساهم في احداث العجز في الميزان التجاري الامريكي٠ وقد ادى ذلك بدوره الى استحثاث اتجاه المضاربين الى بيع ما لديهم من دولارات٠ وعلى رغم ان واشنطن اعلنت آنذاك عن تدابير صارمة جديدة ساعدت العملة الامريكية على استعادة بعض قواها، الا ان قيمة الدولار لم تكن تتجاوز في منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ٦٣ في المئة من قيمته بالين الياباني قبل عامين٠

وعلى رغم ان عددا من الشركات اليابانية اقدمت باختيارها على تخفيض صادراتها الى الولايات المتحدة من بعض السلع الشديدة الرواج كالسيارات وأجهزة التلفزيون الملون، وكذلك على رغم اعلان حكومة رئيس الوزراء الياباني تاكيو فوكودا عن خطط تبلغ قيمتها اربعة مليارات من الدولارات لتمويل "شراء واردات طوارىء" من الولايات المتحدة تراوح بين الطائرات والاورانيوم المركز، فقد ظل باب العجز ظاهرا في الميزان التجاري للولايات المتحدة عن معاملاتها عبر المحيط الهادىء (مع اليابان)٠ والواقع انه، على رغم الدلائل الاولية التي تشير الى ان صادرات الولايات المتحدة الى اليابان اخذت في الازدياد والى ان الواردات الامريكية من اليابان اخذت تنخفض، فارقام العجز - مقدرا بالدولار - واصلت ارتفاعها بسبب انخفاض قيمة الدولار وقدر المحللون الاقتصاديون انه في نهاية شهر مارس (آذار) ١٩٧٩، سيبلغ العجز في ميزان الولايات المتحدة التجاري مع اليابان ١٢ مليار دولار، مسجلا زيادة ٢٠ في المئة على العام الماضي٠

فما هو الدافع الى ذلك؟

هذا الدافع يرجع، في جانب منه، الى ان الامريكيين يواصلون شراء المنتجات اليابانية٠ وقد اصبح اليابانيون يحتلون فعلا اكثر من ٤٠ في المئة من السوق الامريكية لاجهزة التسجيل التلفزيوني، و٨٠ في المئة من سوق الآلات الجديدة للنسخ

الفوتوغرافي على الورق العادي. اضف الى ذلك رواج السيارات اليابانية، التي بلغت مبيعاتها ١،٩ مليون سيارة في الاثني عشر شهرا المنتهية في ٣١ مارس (آذار) ١٩٧٨، بالمقارنة مع رقم هزيل مناظر، لا يزيد على ١٥،٠٠٠ سيارة امريكية صدرت الى اليابان خلال الفترة نفسها.

وهذا الوضع الخطر لا يقتصر امره على الولايات المتحدة الامريكية. ففي غضون السنة المالية اليابانية ١٩٧٧، باعت اليابان لدول السوق الاوروبية المشتركة سلعا تفوق قيمتها ما استوردته اليابان من تلك الدول بمقدار خمسة مليارات من الدولارات. ويقول السير روي دينام، المدير العام المسؤول عن العلاقات الخارجية في مجلس السوق الاوروبية المشتركة: "ان هذا الوضع يعرض للخطر نظام حرية التجارة في العالم". وقد اصبح ذلك النظام مهددا فعلا لاسباب لا تقتصر، في اي حال على الاساليب التجارية التي تتبعها اليابان. ويكاد لا يوجد ادنى شك في ان القيود الرسمية - وغير الرسمية - على التجارة شهدت زيادة كبيرة منذ عام ١٩٧٤، وان لم تتوافر ارقام دقيقة حتى الان في هذا الصدد.

الطريقة اليابانية — ان من سخرية القدر ان تصبح اليابان اليوم متهمة بانها باعث رئيسي على تعزيز النزعة الحمائية في الولايات المتحدة الامريكية دفاعا عن الانتاج القومي، لان اليابان هي البلد الذي استفاد اكثر من اي بلد اخر من حرية التجارة العالمية وانفتاحها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

فقد خرجت اليابان من تلك الحرب مجردة من امبراطوريتها في آسيا والمحيط الهادىء وهي تنوء بعدد كبير من السكان الذين يتزايدون بسرعة، ولا تملك الا قلة من الاراضي الزراعية والموارد الطبيعية. وكان سبيلها الوحيد الى الخلاص ان تعمد الى بناء مجتمع كثيف التصنيع يستند الى استيراد الموارد الاولية الرخيصة الثمن وتحويلها الى منتجات مصنوعة متزايدة التعقيد وصالحة للتصدير المربح. وخلال فترة لا تزيد على عشر سنوات، كانت اسواق العالم المفتوحة نسبيا عونا لليابان على تحقيق الفائض الاول في ميزانها التجاري. وفي العام ١٩٦٩، تجاوز ذلك الفائض مليار دولار، فنعت العالم هذه النتيجة باسم "المعجزة اليابانية". فكيف نجح اليابانيون في ذلك؟

يعزو بعض المراقبين هذا النجاح الى المتوسط العام لـ"حاصل الذكاء" (★) بين اليابانيين، الذي يبلغ ١٠٦ ويعد اعلى حاصل في جميع الاقطار التي جرى فيها هذا القياس. (يبلغ متوسط هذا الحاصل في الولايات المتحدة ١٠٠ فقط). وهناك

(★) "حاصل الذكاء" هو حاصل قسمة "سن" الطالب العقلية (او الانتاجية) على سنه الزمنية، مضروبا بمئة.

محللون آخرون يؤكدون اهمية التأثيرات الجغرافية والتاريخية على عادات العمل لدى اليابانيين. فلقد ظل اليابانيون، على مدى عشرة قرون على الاقل، ينشأون منذ حداثتهم على ضرورة التعاون والعمل الشاق المنضبط. ومن المحتمل ان يكون هناك ارتباط مباشر بين هذا الارث والحقيقة المعروفة عن العامل الياباني بانه لا يأخذ باختياره عادة الا ما يقرب من ٤٠ في المئة من الاجازات المستحقة له.

وجاءت الاخلاقيات الكونفوشية، التي وردت من الصين، فزادت تأثيرها على الاسلوب الياباني في التنظيم، بما تقضي به من اسناد اهم الادوار في المجتمع الى نخبة من البيروقراطيين الذين يجري اختيارهم على اساس التنافس المطلق، فتتألف منهم "نخبة جدارة" تقودها صفوة من المتعلمين المثقفين، واصبح ذلك ما اسمه: "الطريقة اليابانية".

وقد ترك هذا التراث القومي بصماته الواضحة على الصناعة اليابانية ومثال ذلك ان جميع موظفي شركة "ماتسوشيتا" - ابتداء بكبار المديرين التنفيذيين ومشاهير العلماء وانتهاء بالسعاة وموزعي الرسائل - يبدأون يومهم وينهونه بنشيد الشركة الذي ينطلقون بغنائه معا على نحو تلقائي لا حرج فيه. وكثيرا ما تبدو مثل هذه المبادرة الجماعيةالجادة امرا غريبا في نظر الغربيين،وانما يتضح من النتائج العملية انها تبعث على تعبئة العبقرية والجهد اليابانيين.

ومن الاسباب الاخرى لتعاظم السيل المتدفق من الصادرات اليابانية "نظام الاقدمية في الخدمة والاجور". وقد بدأ تطبيق هذا الاسلوب في العشرينات من هذا القرن، وبمقتضاه يتحدد اجر العامل أو الموظف ومركزه في الشركة تبعا لطول مدة خدمته بها أكثر مما يتحدد وفقا لانتاجيته، فالعمال من الشباب غير المهرة يحصلون على اجور منخفضة لقاء انخراطهم في سلك التدريب على العمل وتمتعهم اللاحق بالامن الوظيفي طول العمر.

وقد ظلت هذه السياسة تلاقي نجاحا طيبا حتى عهد قريب." وهي توضح السبب في نزعة الشركات اليابانية الى التركيز على حجم المبيعات من دون الاهتمام الكبير بالمربحية"، حسبما يقول احد الاختصاصيين البارزين في الشؤون اليابانية، وهو بيتر ف. دروكر، استاذ كرسي كلارك للعلوم الاجتماعية في معهد كليرمونت للدراسات العليا في كاليفورنيا، الذي يستطرد موضحا: "ذلك انه اذا زاد حجم المبيعات زيادة كافية تسمح بتوظيف اعداد كبيرة من الشباب، فان المربحية عندئذ لا تلبث ان تتحقق وترتفع تلقائيا".

وعندما يتذمر الغربيون من الكفاية الانتاجية اليابانية، يشعر كثير من اليابانيين بان ذلك ينطوي على نقد

غير منصف. وقد اجريت دراسة عام ١٩٧٤ على خطين للتجميع، يشتغل على كل منهما ٣٥ عاملا يستخدمون معدات متماثلة. ويوجد احد هذين الخطين في اتلانتا في ولاية جورجيا (الولايات المتحدةالامريكية) والثاني في طوكيو عاصمة اليابان. وتبين من هذه الدراسة ان العمال اليابانيين ينتجون عددا من لوحات الترانزستور يزيد عما ينتجه نظراؤهم الامريكيون بنسبة ١٥ في المئة. وقد ذكر لي صديق ياباني قديم مثلا يحث على اعتماد الاسلوب الصائب الذي يتبعه الاخرون فقال: "ان حجار التل الاخر قد تصلح لصقل حجارك الكريمة". وهذا قول حكيم ولا شك، لان العمال الامريكيين في مصنع شركة سوني اليابانية القائم في مدينة سان دييغو في ولاية كاليفورنيا يتبعون في عملهم خطة التنظيم اليابانية، فينتجون عددا من اجهزة التلفزيون مساويا تماما لما ينتجه نظراؤهم في طوكيو.

اسباب مناوئة – بيد ان النجاح الياباني في ميدان التصدير لا يمثل الا جانبا واحدا من اختلال التوازن بين الصادرات والواردات. فلليابان كذلك سجل غير مشجع في مجال شراء المنتجات الغربية، مما يجعل شكاوى الغرب في هذا الصدد قائمة على مبررات قوية وسليمة. ففي عام ١٩٧٨ كانت نسبة السلع المصنوعة لا تزيد على ٢٦ في المئة من جملة الواردات اليابانية، وهي ادنى نسبة على الاطلاق في جميع الدول الصناعية الكبرى، وتناظرها في الولايات المتحدة وسائر اقطاراوروبا نسب تبلغ ٥٠ في المئة او اكثر.

يضاف الى ذلك ان اليابانيين تباطأوا كثيرا في الحد من نظام الحصص النسبية (الكوتا) الخاصة بالاستيراد والتعرفات الجمركية أو الغائها. فعلى رغم الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة ودول السوق الاوروبية، لا تزال اليابان تفرض حصصا نسبية صارمة على استيراد كثير من السلع، ومعظمها من المنتجات الزراعية. وقد كان موضوع الفاكهة واللحوم من الموضوعات البالغة الحساسية بصفة خاصة لدى المصدرين الامريكيين خلال المفاوضات التجارية التي جرت بين الولايات المتحدة واليابان عام ١٩٧٨. فاليابان تفرض ضريبة مقدارها ٤٠ في المئة على واردات الليمون الهندي (كريب فروت) في فصل الشتاء، على رغم ان اليابان لا تنتج شيئا على الاطلاق من هذه الفاكهة. ولم تستورد اليابان طوال عام ١٩٧٨ الا ٢٩،٠٠٠ طن فقط من اللحم البقري الامريكي. على رغم ان ازمات اللحوم الشديدة في اليابان ادت الى ارتفاع اسعار بيعها بالتجزئة (المفرق) ارتفاعا جنونيا، فبلغ سعر بعض انواع اللحم البقري اكثر من ١٢٠ دولارا للكيلوغرام الواحد.

اما السلع الاجنبية التي تجد فعلا طريقا لها الى داخل اليابان، فان

اللوائح الجمركية القاسية ومعايير الانتاج الصارمة تقف لها بالمرصاد. وهناك تعديلات انتاجية كثيرة تمليها احتياجات الثقافة اليابانية المتميزة، لكن هناك تعديلات كثيرة اخرى يبدو ان هدفها الوحيد هو مضايقة المستورد اكثر من خدمة المستهلك او المشتري الياباني. ويقول احد مستشاري الاستيراد الساخطين في طوكيو: "ان اللوائح تفرض، مثلا، الا يوجد في مقدم السيارة اي جهاز عاكس احمر اللون، وذلك على رغم ان كل سيارة اجرة في طوكيو مزودة في مقدمها بعواكس حمراء!".

جيش الوسطاء ـ اما نظام التوزيع الياباني فهو معقد تعقيدا يبعث على التثبيط. وتقول صحيفة "وول ستريت جورنال": "ان هناك عددا لا حصر له من المتاجر الصغيرة للبيع بالتجزئة، يمدها بالسلع عدد اكبر من تجار الجملة المتراكمين طبقة فوق اخرى، بحيث ان شريحة اللحم تنقل من مربي الماشية الى المستهلك عبر مراحل متعرجة ذهابا وايابا في طريق يشبه التحركات المتاهية في لعبة صينية معقدة، ويمر في كثير من الاحيان ببضعة عشر وسيطا". بل ان هذا النظام يثير اعتراضات المستهلكين اليابانيين انفسهم، لانه يبعث باطراد على زيادة سعر اي سلعة تخضع له. وقد تبلغ اسعار المنتجات الامريكية بالتجزئة في اليابان ثلاثة اضعاف ما تبلغه في الولايات المتحدة الامريكية.

بيد ان كثيرا من رجال الاعمال الامريكيين المقيمين في طوكيو، بعد نجاحهم في اختراق السوق اليابانية، لا يتوجهون بمقدار كبير من اللوم الى نظام التوزيع، بل يلفتون النظر الى نماذج النجاح الملحوظة التي سجلتها المؤسسات الامريكية المثابرة. فعلى رغم رد الفعل الواسع النطاق الذي احدثه شراب الكوكاكولا في بداية الامر عندما قيل ان "مذاقه اشبه بالدواء"، فان تلك الشركة نجحت في الاستيلاء على ما يقرب من نصف السوق اليابانية للمشروبات غير الكحولية عن طريق الاستعانة بوكلاء محليين يتولون تعبئة زجاجات المشروب وتوزيعها. كما ان شركة "سيبو ليميتد للمحلات الكبرى" (وهي يابانية) قد عاونت شركة "سيرز وروباك وشركائهما" (الامريكية) على انتاج وتوزيع ثلاجة صغيرة الحجم تلائم البيوت اليابانية الصغيرة المساحة، وبلغت المبيعات من تلك الثلاجات عام ١٩٧٧ اربعة اضعافها عام ١٩٧٦.

وبعد اقل من عشر سنوات في اليابان، نجحت شركة "نورد سون كوربوريشن"، التي تتخذ مقرها في مدينة امهرست (ولاية اوهايو)، في الاستيلاء على ٩٠ في المئة من السوق اليابانية لمعدات التصميغ بالحرارة التي تستخدم في صناعات التعبئة، كما تتزايد بسرعة النسبة المئوية لنصيب الشركة من سوق معدات طلاء الاجهزة الصناعية عن طريق الرش،

نظرا الى الانخفاض النسبي في تكاليف العمالة الامريكية في هذا المجال. ويقول انطوني ويذر، مدير التسويق في الشركة المذكورة "اننا نستطيع انتاج نافورة رش (فم خرطوم المياه) من الكاربيد (المركب من الكاربون واحد المعادن) بسعر لا يتجاوز نصف السعر الذي يعرضه اكبر المنتجين اليابانيين".

التكيف مع مقتضيات السوق - لكن عددا كبيرا من المؤسسات الامريكية القادرة على التصدير تبدو مفتقرة الى المثابرة او الدراية اللازمة. ويروي احد المشترين اليابانيين عن رجل اعمال امريكي انه حاول ان يقنعه بشراء مماسح من التي توضع امام ابواب البيوت لكي ينظف بها الداخلون احذيتهم. وكان واضحا ان الامريكي يجهل ان اليابانيين يخلعون احذيتهم قبل دخول البيوت، ومن ثم فهم لا يحتاجون الى هذه المماسح.

ويقول الاقتصادي الامريكي بيتر ف. اولغير: "ينبغي على الامريكيين، بدلا من التذرع بالشكوى، ان يبذلوا جهدا كافيا لمعرفة بيئة السوق اليابانية". وتوافق جوانيتا م. كريبس، وزيرة التجارة الامريكية، على هذا الرأي فتقول: "اذا لم نبذل مزيدا من الجهد كي نبيع سلعنا لليابان، فاننا في الحقيقة لا نستطيع ان نلوم اليابان لانها لا تشتري منا، اما اذا حاولنا ثم اخفقنا على رغم ذلك في زيادة صادراتنا، فقد تكون لدينا آنئذ اسباب وجيهة لاعلاء صوتنا بالشكوى على نحو جوهري وجدي".

ونظرا الى ان حكومة طوكيو تدرك جيدا ان استمرار الخلل في الميزان التجاري لا بد من ان يلحق الضرر بالمصالح اليابانية في الامد الطويل، فانها بادرت الى تخفيف قيود الحصص النسبية للاستيراد والتعرفات الجمركية على كثير من السلع خلال الاثني عشر شهرا الماضية، كما ان وزارة الصناعة والتجارة الدولية اليابانية بدأت توجه انتباهها الى خطط تنمية الواردات. فقد افتتحت الوزارة في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ سوقا عالمية للاستيراد في طوكيو في بناية من ١١ طابقا، مساعدة منها على عرض المنتجات الاجنبية على رجال الاعمال والمستهلكين اليابانيين.

وقد انشأت بعض كبريات شركات التصدير اليابانية فروعا لها تعنى باستيراد السلع المتنوعة الى درجة تثير الدهشة. فشركة "ماتسوشيتا" للمنتجات الكهربائية تبيع الويسكي الاسكوتلندي في اليابان. وشركة تويوتا للسيارات تتولى وحدات اجنبية لبيع المنازل الجاهزة، اما سفن شركة هوندا التي تحمل الدراجات البخارية والسيارات الى الولايات المتحدة، فانها تعود منها محملة بالذرة والخنازير والماشية.

ومن الدلائل الاخرى التي تبشر بالخير للواردات الاجنبية تلك التغيرات التي بدأت تطرأ على نظام

التوزيع الياباني. ذلك ان ظهور المحلات الكبيرة (السوبر ماركت) من الطراز الامريكي وانتشارها قد بيسران للمصدرين الاجانب فرصة الوصول مباشرة الى المستهلكين اليابانيين نتيجة لتقليل عدد الوسطاء. ويقول نوبوهيكو اوشيبا، وزير الشؤون الاقتصادية الخارجية الياباني: "لقد فضلنا حتى الان ان نتبع في مجال البيع بالتجزئة اساليب اقل جدوى واكثر كلفة واكثر اتساما بالطابع الشخصي. ومثال ذلك انني استطيع ان اطلب بالتلفون من محل قريب ان يسلمني في بيتي طبقا من المعكرونة الساخنة. اما الان فاعمال تجديد السوق، لا تتوقف، والمحلات الكبيرة (السوبر ماركت) تقوم في كل مكان، حتى في المدن الصغيرة".

غير انه ربما استغرق الامر بضع سنوات لكي تؤثر مثل هذه التطورات على ارقام الميزان التجاري. وقد رأى روبرت ستراوس، الممثل التجاري الامريكي الخاص الذي كلفه الرئيس كارتر التفاوض من اجل تحسين حال الميزان التجاري المختل، ان التوازن في التجارة مع اليابان امر لن يتحقق في المستقبل القريب. على رغم التقدم الملحوظ في مجال الحد من بعض الشكاوى المعينة. وفي الوقت نفسه، فان مضاعفة الجهود من جانب رجال الاعمال الامريكيين سعيا للنفاذ الى السوق اليابانية من شأنها ان تكفل للولايات المتحدة وللدولار الامريكي عونا ثمينا تشتد اليه الحاجة.

وفضلا عن ذلك، فان هذه الجهود قد تكفل الرواج لاعمال الشركات الامريكية كما حدث فعلا في مدينة امهرست في ولاية اوهايو، على نحو ما عبر عنه انطوني ويذر من شركة نوردسون بقوله: "معكرونة السيد اوشيبا؟ انها لن تلبث ان تصل اليه معبأة وجاهزة لتسخينها في فرن الموجة الصغيرة (ميكرو ويف). وستكون شركتنا هي التي تتولى تصميغ تلك العبوة ودهان ذلك الفرن بالرش. ان اليابان حافلة بامثال هذه الفرص، وما على رجال الاعمال الامريكيين سوى ان ينشطوا الى البحث عنها واستغلالها".

■ انطوني بول



رياضة برمائية

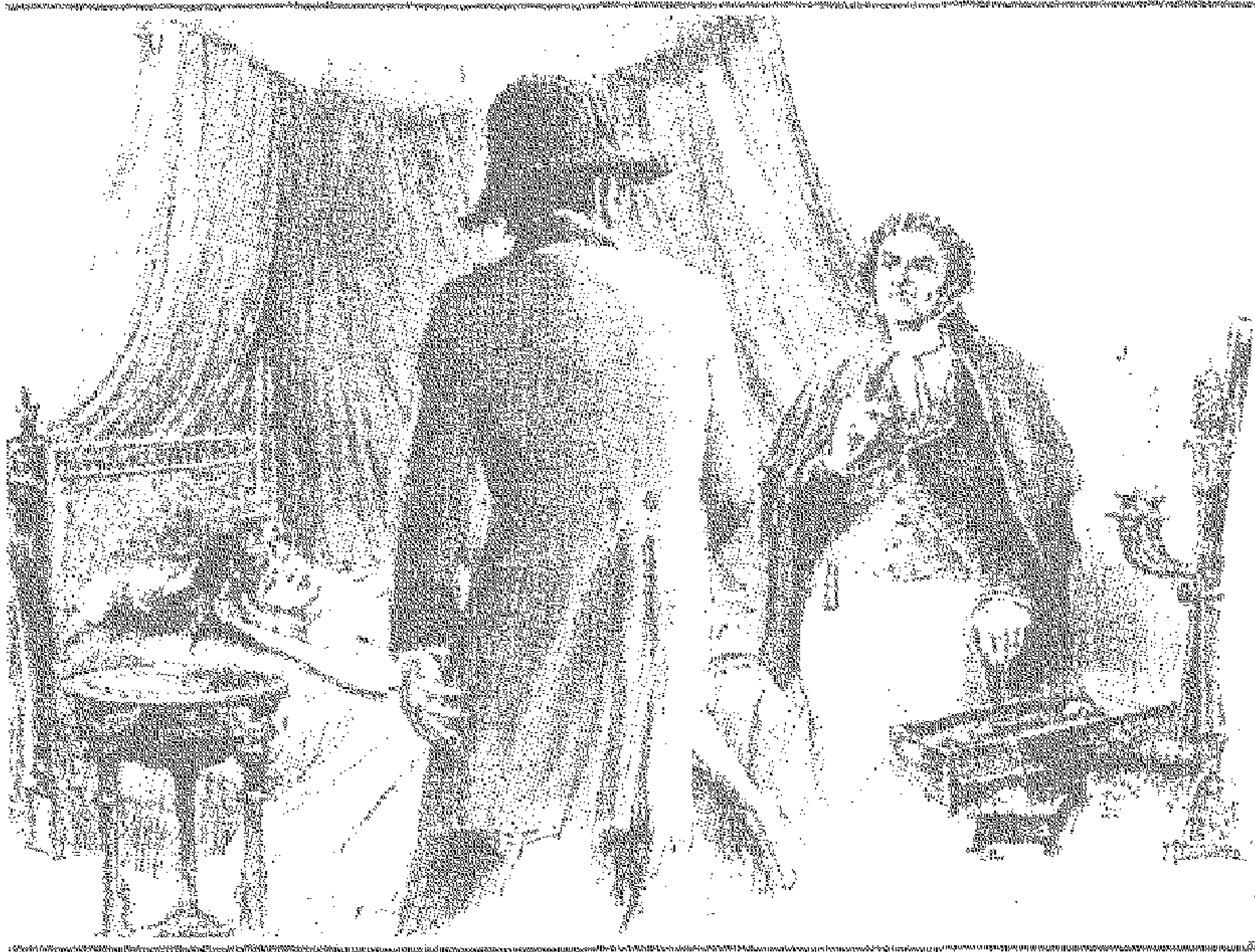
بلغت حماسة الشعب البرازيلي للعبة كرة القدم ان ملعب ماراكانيا الشهير في ريو دي جانيرو، الذي يحوي ١٨٠ الف مقعد، يغص بالمشاهدين قعودا ووقوفا.

ومن اجل حماية اللاعبين من فضول الانصار والمتحمسين، حولت حلبة اللعب الى جزيرة تفصلها عن النظارة مياه عميقة من كل جانب.

("ناشونال جيوغرافيك")

المآثر الاسطورية للفرنسي
فرنسوا يوجين فيدوك،
الجندي والسجين
والمطارد والجاسوس والعاشق
ومؤسس التحريات الجنائية الحديثة.

رائد التحريات الجنائية



تأخر حلول الربيع في باريس عام ١٨٢٢، لكن مدينة النور تألقت سحرا اذ لاحت بشائره اخيرا. وخارج قصر الكونت دارسي لم ينقطع سيل العربات تقل سيدات في مقتبل العمر. اما في الداخل فكانت جثة الكونتيسة، الشابة الحسناء ذات الشعر الاحمر، ممددة عارية على سريرها. وعلق الرقيب ريو من "السوريتي"؛ وهو مكتب التحقيقات الجنائية التابع لشرطة باريس، قائلا: "جريمة قتل". وكان فرنسوا يوجين فيدوك، أول مخبر علحي في العالم ومؤسس السوريتي، واقفا الى جانبه. فرفع حاجبه وسأل: "هل وجدت السلاح؟"

وأخذ ريو علبة من خشب الماهوغاني مغلفة بالفضة كانت تحتوي على مسدسين للمبارزة، وأجاب: "أحد هذين. انهما لزوجها الكونت، ولا شك انه القاتل".

ـ وما الدافع؟

ـ كانت الكونتيسة تصغر زوجها كثيرا، ولها علاقة غرامية. فاكتشف الكونت ذلك وقتلها. وقد احتجزناه.

ورد فيدوك بحدة: "انكم تخطئون. واقترح ان نبحث عن مقامر حصل أخيرا على بعض قطع الماس".

ورفع فيدوك عصاه مشيرا الى خزانة ذات ادراج: "لقد انتزع قفل خزانة المجوهرات بالقوة. والطريقة التي تزينت بها السيدة تدل على انها كانت تنتظر عشيقا لا زوجا. كما ان هناك مسألة الثقب الذي أحدثته الرصاصة، وهو أكبر من أن يكون صدر عن أي من مسدسي الكونت. فهو في حجم رصاصة مسدس جيب من النوع الذي يحمله المقامرون المحتالون في اكمامهم".

وخلال ٤٨ ساعة حدد فيدوك الشخص المشبوه: مقامر محتال ولص صغير يدعى ديلورو. فسرّب الى شقته ممثلة ذات شعر احمر ساعدت في العثور على مسدس الجريمة. وسارع فيدوك الى تاجر يتعاطى السلع المسروقة كان قد اشترى خاتما ماسيا يعود الى الكونتيسة من رجل تنطبق عليه اوصاف ديلورو. وبعد اختبار سريع اجراه صانع اسلحة، تم التثبت من أن الرصاصة اطلقت من مسدس جيب شبيه بمسدس ديلورو. وحين ووجه ديلورو بتلك الادلة كلها، اعترف. فحوكم وأدين وارسل الى المقصلة.

"أنا فيدوك!" ــ ان شخصية فيدوك الفذة والمآثر التي اجترحها في حياته جعلت منه نموذجا لرجل البوليس السري في الروايات الخيالية، ابتداء من شخصية شيفالييه دوبان التي ابتكرها ادغار الن بو في رواية "جرائم قتل في شارع مورغ" وانتهاء بهيركول بوارو بطل روايات اغاثا كريستي. فقد عاش فيدوك حياة مليئة بالمغامرات والعلاقات الغرامية والانجازات الكبيرة بحيث لا يمكن وصف شخصيته الا كمزيج من سيغموند فرويد وكازانوفا وهوديني وادغار هوفر (الرئيس السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي في الولايات المتحدة). وكان بدوره جنديا وضحية اتهامات ملفقة ومشردا عازما على استعادة سمعته ورفيقا للصوص والقتلة رغماً عنه ورجل اعمال شريفا ومخبر بوليس متطوعا وأول مخبر محترف. ودائرة السوريتي (الامن) التي انشأها عام ١٨١٢ وظل رئيسا لها حتى عام ١٨٢٧ انما هي السلف المباشر لدائرة التحريات الجنائية في سكوتلانديارد ومكتب التحقيقات الاتحادي في الولايات المتحدة ولكل دوائر التحريات الجنائية الاخرى في العالم.

وكانت رفقته لعمالقة الادب من معاصريه امثل اونوريه دو بلزاك والكساندر دوماس وفيكتور هيغو، نعمة لهم، اذ الهمتهم تجربته ببعض من أرفع اعمالهم. كما نجد كثيرا من تجربة فيدوك في شخصية شرلوك هولمز وأساليبه، بطل السير ارثر كونان دويل الخالد.

ويقدر عدد المجرمين الذين تسبب فيدوك في اعتقالهم بـ٢٠،٠٠٠ على الاقل. وكانت مجابهته الفردية للجريمة اسلوبا شجاعا وبارعا الى حد ان اللصوص كانوا يرتعدون لمجرد

ذكر اسمه. وفي أوج شهرته أرسل لاقتحام اشهر وكر للصوص في باريس كان يؤوي اخطر أوغاد اوروبا. وحين اعلن احد المسؤولين ان العملية تتطلب ١٠٠٠ رجل بوليس، ابتسم فيدوك قائلا: "لن احتاج يا سيدي الى اكثر من ثمانية".

وفي ليلة الغارة وزع فيدوك رجاله خارج الوكر وزودهم بحقيبة ملأى بالاصفاد وتوجه وحده نحو الماخور. واعتلى فيدوك، ذو المنكبين العريضين والشخصية المستبدة والمكسو بلباس اسود، منصة الفرقة الموسيقية وأرعد: "اوقفوا الموسيقى". فتوقفت.

ولم يضف غير كلمتين: "انا فيدوك"، حتى تساقطت السكاكين والمسدسات التي كانت مستلة، مقعقعة على الارض. وبناء على اوامره وقف اللصوص خانعين في صف. واذ ساقهم بعد ذلك نحو الباب، رسم صليبا على ظهور اولئك الذين اراد اعتقالهم او احتجازهم للتحقيق مستعينا بقطعة طبشور. وفي الخارج اقتيد اولئك الى السجن.

وحين سمع المسؤول بتلك الغنيمة علق قائلا: "انه عمل مذهل". لكن فيدوك هز كتفيه بلا مبالاة واجاب: "بل عمل روتيني".

رجل مطارد ـ منذ الربع الاول للقرن التاسع عشر وقبل تأسيس المختبرات الجنائية بوقت طويل كان فيدوك يلح على اخضاع كل ما يعثر عليه في مسرح الجريمة للفحص الدقيق بواسطة المجهر. واستنادا الى ملاحظاته الشخصية ومعرفته الموسوعية بالجرائم كان يقول: "ليس المجرمون خلاقين. واذا اهتدوا الى عمل وثبت نجاحه فسيستخدمون حتما الاسلوب نفسه بعد ذلك". وقد تولى فيدوك، بمساعدة مكتبه، اجراء تبويب منهجي للمجرمين بحسب الاسم والكنية ونوع الجرم والعادات والاساليب والاعوان، مصنفا بذلك مجموعة هائلة من الملفات ضمت في النهاية معظم المجرمين المعروفين في فرنسا وهكذا دشن فيدوك النظام الذي يُعَدّ اليوم نموذجا لدوائر تسجيل المجرمين التابعة لكل دائرة شرطة مهمة.

ولد فرنسوا اوجين فيدوك من أب خباز في مدينة اراس الفرنسية في ٢٣ يوليو (تموز) ١٧٧٥. وحين بلغ الرابعة عشرة من عمره كان قد اتقن المبارزة وبات، حسب تعبيره هو، "تجسيدا طبيعيا للهورمون المذكر". فالفتيات القاصيات والدانيات اخذن يندفعن الى أحضانه. واذ اقتنع الاب بحاجة ابنه الى الانضباط، دفعه الى التطوع في الجيش. وكان ذلك عام ١٧٨٩ وقد سقط الباستيل في باريس وغدت حمامات دم الثورة الفرنسية أمرا مألوفا، وأخذت الامم الاخرى في اوروبا كلها تتأهب لاغتنام فرصة تمزق الدولة الفرنسية.

وكما كانت حاله على الدوام، قضى فيدوك، حسب روايته هو، سنوات حافلة بالمجد واكاليل الغار في اثناء خدمته العسكرية، اذ رقي الى رتبة عريف بعدما ابدى بطولة في اولى المعارك التي خاض. وبعد خمس سنوات من القتال ترك حياة الجندية وعاد الى اراس حيث تزوج واستقر كصاحب متجر. لكنه سرعان ما اعتقل

من دون اذن قانوني وسجن بتهمة الفرار من الخدمة العسكرية. وفي السجن اتهمه رفيقاه في الزنزانة بجريمة تزوير ارتكباها هما. وهكذا وجد نفسه اعزل في وجه شهود الزور وعلى وشك ان يحكم عليه بالموت البطيء في دهاليز السجون مما دفعه الى الهرب ليغدو رجلا مطاردا.

عميل سري - كانت السنوات العشر اللاحقة كابوسا متواصلا من عمليات المطاردة، اعتقل فيدوك خلالها مرات عدة على يد الشرطة ليهرب من جديد اثر كل اعتقال، حتى جاب السجون في طول فرنسا وعرضها. وزودت مغامراته تلك دوماس وهيغو بمادة خصبة مكنتهما من انتاج اثنين من اعظم اعمالهما. فمن الاتهام الزائف والبحث عن الانتقام استمد دوماس خيوط روايته "الكونت دي مونت كريستو". ومن سعي فيدوك الدائب الى الحرية كمتهم هارب استخلص هيغو شخصية جان فالجان في روايته "البؤساء". وكانت مهنة فيدوك اللاحقة المتمثلة في مطاردته العنيدة للمجرمين نموذجا لشخصية عدو فالجان اللدود المفتش جافير.

وخلال السنوات التي قضاها فيدوك بين السجون والمخابىء بدأ يكتسب معرفته الهائلة بالمجرمين والجرائم. وطوال ذلك الوقت ظل يبحث عن اولئك الذين اوقعوا به. وحين اعتقل اخيرا عام ١٧٩٩، قابل دوبوا، رئيس شرطة ليون، وروى له قصته وناشده قائلا: "لا بد من ان استرد حريتي لكي ابرهن على براءتي!"

وكان أن عقد معه دوبوا صفقة تسمح له بمغادرة ليون حرا بشرط ان يستخدم معرفته لعالم المجرمين في المساعدة على مطاردة عصابة من لصوص باريس الذين وفدوا الى ليون حسب المعلومات الواردة الى الشرطة ونجح فيدوك في تحديد هوية اللصوص الذين تم اعتقالهم. اما دوبوا فحافظ على وعده وتولى اطلاق سراحه.

وكان فيدوك مصمما على بدء حياة جديدة، فغير اسمه وحصل على اوراق مزورة وافتتح مخزنا لبيع الملابس في فرساي لكنه فوجىء يوما باثنين من رفقاء السجن السابقين يتعرفان عليه ويهددانه بالفضيحة كمتهم هارب. وهنا لم يجد امامه سوى رواية قصته للسيد هنري، رئيس القسم الجنائي في شرطة باريس، عارضا عليه ان يدخل السجن كعميل سري. فوافق هنري.

وطوال ٢١ شهرا ظل فيدوك خلف القضبان متطوعا، يضخ المعلومات الى هنري الذي تمكن بفضلها من القيام بحملة اعتقالات باهرة. وحين اطلق سراح فيدوك رقي من رتبة جاسوس للشرطة الى وكيل ذي صلاحيات لالقاء القبض على المشبوهين، من دون استلام راتب. لكنه اعتمد على العمولات، وهي المكافآت المرصودة للقبض على المجرمين.

وكان فيدوك قد اكتسب خلال سني ملاحقته موهبة في التنكر واخذ يستخدمها الان في خدمة القانون. فأتخذ هيئة شخصية بسيطة مما أتاح له الاختلاط بالعامة من دون ان يفتضح أمره. فكان يختال في اوكار القتلة باسم "جول" الذي عرف عنه انه

شخص جسور يعيش على السلب، وكذلك باسم "جان لوي"، الذي يسعى الى رفقة اللصوص والمحتالين. وظهر أيضا كعجوز محترم يبحث عن زوجة شابة تريد التكفير عن زلتها مما أكسبه ثقة البغايا وزوجات اللصوص وعطفهن. وكان نجاحه في كل تلك الادوار سريعا وباهرا، فارتقى خلال فترة قصيرة الى صفوف شرطة باريس رسميا ومنح راتبا.

السر الاخير — في عهد السلم الذي لحق سقوط نابوليون، تألقت باريس كماسة واجتذبت المجرمين من كل زوايا الارض. وكان فيدوك واثقا من عجز الاساليب البوليسية المتبعة حينذاك عن السيطرة على الجريمة، فاقترح على هنري ان يخوله صلاحية تنظيم شعبة خاصة تابعة للقسم الجنائي، على نسق شرطة نابوليون السياسية. وقد اطلق على تلك القوة السرية اسم "سوريتي" (الامن)، وضمت في غالبيتها مجرمين تائبين.

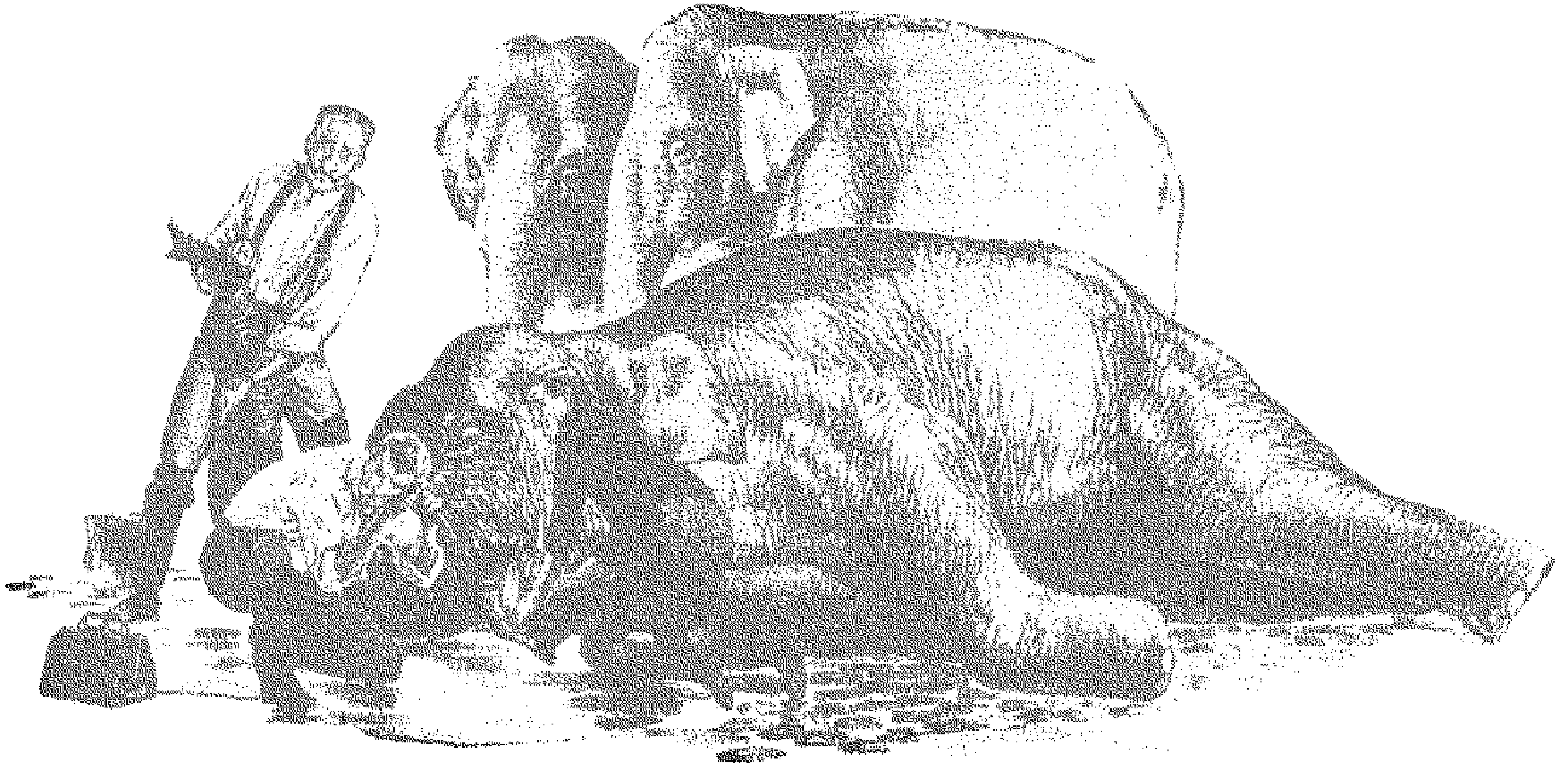
مهنة جديدة — عند بلوغه الثانية والخمسين اقتحم فيدوك ميدانا جديدا، فشرع في وضع اول كتاب عن الجرائم والمجرمين يؤلفه مخبر محترف. وما ان صدر حتى كان اكثر الكتب مبيعا في العالم. وفي العام ١٨٣٤ اسس "مكتب المعلومات"، وهو اول مكتب خاص للمخبرين ولخدمات تأمين التقارير الموثوقة. وسرعان ما اجتذب المكتب ٣٠٠٠ زبون دائم.

واخذت القاب الشرف تنهال على فيدوك من خارج فرنسا. فبعثت اليه منظمة سكوتلانديارد من لندن بوفد يطلب مساعدته في تأسيس قسم للتحريات الجنائية تابع لها. وظل مسؤولو الشرطة والعملاء يستشيرونه في قضاياهم المستعصية. وفي الثمانين من عمره كشف لغز آخر جريمة واجهته. فقد استأجرته شركة للمصدرين للتدقيق في اسباب الخسائر الغامضة. وبعدما استجوب العمال وطرح عليهم بضعة اسئلة، وجه اصبع الاتهام الى كاتبة الحسابات، وهي عانس بسيطة في الخامسة والاربعين. وظهر ان تلك العانس كانت تنفق اموال الشركة للاحتفاظ بصداقة راقص شاب. وسأله المستخدمون وقد ذهلوا: "كيف عرفت؟"، فهز كتفيه باستخفاف واجاب ببلاغة الفرنسي: "ايها السادة، ان امرأة لن تلفت انتباه رجل ما لم تضع مثل هذا العطر الفاخر في التاسعة صباحا. واذا كان لهذه السيدة من يعجب بها فلا بد من ان يكون شخصا تنفق المال عليه".

لقد ظل فيدوك حتى النهاية شخصية اسطورية في باريس وراوية تأسر قصصه بلزاك ودوماس. كما بقي محافظا على عادته في تناول العشاء مع حسناوات باريس الصغيرات، يهمس في اذن كل منهن ليودعها سره الاخير: انها الحب الصادق الوحيد في حياته والوارثة الوحيدة لاملاكه.

وحين غادر عالمنا بهدوء ذات صباح مشمس وهو في الثانية والثمانين، كان قد خلّف اسطورة، وأسس علم الاجرام وترك ١١ حسناء مخدوعة عرفن حين تليت وصيته انه ترك ثروته لخادمة بيته. ولعلنا نضيف أنه خلّف اسمه للاجيال القادمة كلها.

■ جيمس ستيوارت غوردون



الفيلة المريضة بتفاحة السِّيرك

أكلت جيردا تفاحا وجزرا، فعلقت تفاحة واحدة في مريئها وكادت ان تقضي عليها لولا طبيب بريطاني اسرع اليها وانقذ حياتها.

منذ كنت تلميذا صغيرا، اهيم في الحقول والبراري في مقاطعة لانكشير في انكلترا، كانت تستحوذ على اهتمامي جميع الكائنات التي تطير او تسبح او تزحف او تدب. وكان عدد لا يحصى من هذه المخلوقات يقع في المآزق والمتاعب. وكنت انسى واجباتي المنزلية واهملها وانا مستغرق في محاولة اسعاف احد الاغنام ومعالجته بمستحضرات عشبية من خزانة عقاقير الاسرة، او في ترقيع ثقب في ترس سلحفاة بقطعة من مطاط لاصلاح الاطار الداخلي لدراجتي. غير انني وجدت نفسي مع مرور السنين مدفوعا أكثر فأكثر الى الاهتمام بالانواع الغريبة غير المألوفة، وبالحيوانات البرية والنادرة احيانا.

وقد اصبحت عيادتي البيطرية اليوم متخصصة في معالجة مثل هذه الحيوانات التي تعيش غالبا في السيرك وحدائق الحيوان. وقد جاءني النداء الذي اتحدث عنه اليوم من سيرك في غريت يارموث، وهي منتجع لقضاء الاجازات على ساحل انكلترا الشرقي الذي تغسله الرياح. وكان الحيوان المريض انثى فيل يشتبه بأصابتها بمرض الحمى القلاعية. ولم ار من قبل فيلا اصيب بهذا المرض، وان كنت قد سمعت عن بضع حالات اشتباه بالاصابة به.

وانطلقت بسيارتي الى السيرك،

ولم البث ان وجدت حظائر الفيلة وبجانبها ثلاثة رجال يتحدثون، احدهم الماني عجوز كئيب السحنة تبين انه مدرب الفيلة والثاني شرطي والثالث رجل يرتدي معطفا من المطاط الاسود. وقلت: "انا الدكتور تايلور، الطبيب البيطري، جئت لافحص انثى الفيل المريضة".

فمد الرجل ذو المعطف الاسود يده مصافحا وهو يقول: "انا تومبكنز، الطبيب البيطري في وزارة الزراعة، جئت لاتحقق من هذا الحادث الخاص بمرض الحمى القلاعية".

وقال الالماني: "انا هر هوبفر. تفضل معي يا دكتور من هنا. ان جيردا مريضة جدا".

كانت الفيلة جيردا واقفة تاعسة وسط بركة من اللعاب المتساقط ببطء من شفتها السفلى على الارض المبلطة. وكان علي ان انظر داخل فمها، ولكن من يجازف بوضع يده من دون حيطة في حلق الفيل يعرضها للسحق.

افتحي يا... جيردا- وطلبت من هوبفر ان يحمل الفيلة على فتح فمها فصاح بها قائلا: "جيردا.. أوف. أوف!". فرفعت خرطومها، وصوب تومبكنز مصباحه الكهربائي داخل فمها القرنفلي، فلم نر فيه اثرا لأي نفطة او قرحة.

وقال تومبكنز: "لا اظن ان الافيال تصاب بالحمى القلاعية. وعلى رغم ذلك، فدعنا نفحص قدميها على سبيل الاحتياط".

ومشى بحرص حول الفيلة وهو يمعن النظر في اظافر قدميها التي قصت ودهنت بالزيت، فلم يجد اثرا لأي قرحة. وبينما كان تومبكنز يصوب مصباحه الى القدم الخلفية اليسرى تملكت جيردا فجأة رغبة في التبول. وكان بيطري الوزارة قد اهمل ان يرتدي معطف المطر الجلدي الذي تزوده به الحكومة مع المعطف المطاطي الاسود عندما يتولى فحص حالات المرض المشتبهة بالحمى القلاعية، فأنهمر الشلال المتدفق من جيردا فوق رأسه.

وعلق الشرطي على ذلك من دون ان يبدو اي تغيير في ملامحه، فقال هازئا: "لقد سمعت ان البول مفيد جدا للبشرة".

فغمغم تومبكنز ساخطا: "انتهت مهمتي وها انا ذاهب ولا اثر للحمى القلاعية هنا، فالمسألة اذا منتهية بالنسبة الى وزارة الزراعة". ومضى وهو ينثر القطر.

قلت: "والآن يا هر هوبفر، ارو لي القصة بكاملها".

فقال بأنكليزيته الغريبة: "هذا الصباح وجدت اللعاب يسيل من فمها كما رأيت. وهي تمتنع عن الأكل، وحتى عن الشرب. ربما كانت مصابة بتلف في احدى اسنانها".

وكان الم الاسنان بالفعل احد الاحتمالات الجائزة. فطلبت من هوبفر ان يحمل جيردا على فتح فمها ثانية، وأضأت مصباحي الكهربائي ومررت به بدقة على كل سن من اسنانها باحدى يدي وانا اضغط باليد الاخرى الى اسفل لسانها الزلق، وتلمست غدد جيردا ومررت بيدي على حلقها من الخارج وأخذت درجة حرارتها واستخرجت منها عينة دم. كان كل شيء على ما يرام، وظل لعاب جيردا يسيل ويسيل.

قلت لهوبفر: "احضر بعض الموز

ودلواً من الماء". وكان غرضي من ذلك ان اراقب بنفسي مراقبة دقيقة رد فعل جيردا تجاه الطعام.

وحملت جيردا موزة مقشورة بطرف خرطومها والقتها في فمها وسارعت في ابتلاعها. لكن الموزة المعجونة لم تلبث ان ارتدت ببطء شديد وأخذت تتساقط من ركني شفتيها. عندئذ وضعت امامها دلو الماء، فأمتصت منه على الفور ملء خرطومها وافرغته في فمها وابتلعته. ولكن الماء اندفع خارج فمها بعد لحظة.

وسألت هوبفر: "ماذا كان آخر طعام قدمته الى الفيلة امس؟"

أجاب: "اطعمتها تفاحا وجزرا مخروطا".

فخطر لي عندئذ ان احدى التفاحات قد افلتت من سكين الخرط وانحشرت في مكان ما من بلعوم الفيلة. وربما كان هذا المكان المحتمل واحدا من ثلاثة: اما عند موضع دخول المريء (الحنجرة) في الصدر، او حيث يمر المريء فوق القلب، او عند موضع اختراق المريء للحجاب الحاجز. وايا يكن موضع انحشار التفاحة، فأن ذلك يسبب ضيقا كبيرا لجيردا.

حالة عادية – ومثل هذه الحوادث تمر في اغلب الاحيان على نحو عادي لدى الماشية بحيث ان الاشياء المحشورة في حلقها تنزلق انزلاقا طبيعيا اذا ترك الحيوان وشأنه مدة ٢٤ ساعة. وكانت تلك هي خطتي الاولى الخائبة. فقد حجزت غرفة في فندق قريب وتأكدت ان الفيلة المسكينة مزودة على الاقل بكمية كافية من الماء كي تشرب، فلعل قطرات منه تتسرب عبر التفاحة.

لكن حال جيردا ساءت كثيرا في اليوم التالي، فقد غارت عيناها، وارتسمت عليها علامات الضعف وفقدان رطوبة الجسم. ورحت افكر: كيف يمكنني تحريك هذه التفاحة؟ فاذا دفعتها بطريقة ما ربما احدث ذلك ثقبا في المريء. وليس هناك سبيل الى التفكير في اجراء جراحة لتعذر وجود آلة تستطيع ابقاء رئتي هذا الحيوان الهائل الذي يزن ستة اطنان مليئتين بالاوكسيجين لدى فتح تجويف الصدر.

وفي اليوم الثالث، علا الاحمرار عيني جيردا وفسدت رائحة انفاسها، بينما استمر انهطال اللعاب من فمها وبلغ العطش بها حد اليأس فبدأت سلسلة من الحقن الشرجية مرة كل ساعة، وحاولت ان ادفع خليطا من الماء والغلوكوز الى ابعد ما استطيع في امعائها الغليظة السفلى، مستعينا في ذلك بأنبوبة من البلاستيك ومضخة قديمة استعرتها من معدات اطفاء الحريق في السيرك. كانت تلك العملية بطيئة وقذرة، ولم يبق داخل امعاء جيردا من كل ما دفعته فيها سوى اربعة ليترات او خمسة.

ومع حلول اليوم الخامس اخذت حال الفيلة تتدهور بسرعة، فمضيت اتمشى على شاطىء البحر في ذلك الصباح سابحا في التفكير العميق الطويل. ثم اتخذت قراري: سأخدر جيردا تخديرا خفيفا، وأدخل في مريئها مسبرا للبلعوم، وهو انبوبة طويلة مجوفة من الجلد وفي طرفها كرة من النحاس، واحمل على عاتقي مسؤولية حياتها.

وأعطيت الفيلة جرعة كبيرة من مركب "استيل برومازين"، وهو

مسكن قوي. وبعد نصف ساعة انطرحت على الارض ونامت على جنبها ولعابها لا يزال يسيل. وجذب هوبفر فكها الاعلى بينما جذب احد مساعديه فكها الاسفل، ثم ادخلت المسبر، بعد ان دهنته جيدا بزيت كبد الحوت، واخذت ادفعه بحرص داخل حلق جيردا.

وبعد ان اختفى نصف متر تقريبا من الانبوبة، توقفت فجأة عن الاختراق، فوضعت عليها علامة، وسحبتها، وقستها على جسم الفيلة، فتبين لي ان التفاحة محشورة عند موضع مرور المريء بالقلب الضخم، ولا بد من دفعها الى الداخل.

واعدت ادخال المسبر حتى وصل الى موضع الانسداد مرة أخرى. وكنت ادرك ان الدفعة القوية التالية قد تؤدي الى توقف القلب، او الى تمزق المريء وسقوط التفاحة داخل القفص الصدري. وانما كان من المحتمل ايضا ان تتكلل هذه الدفعة بالنجاح.

وصررت على اسناني، ورحت ازيد باطراد من قوة الدفع على المسبر، حتى وجدته فجأة يتحرك بحرية، وكأن شيئا صادما قد زال من طريقه. ترى هل انزلقت التفاحة في طريقها الى المعدة، ام انها راحت تتواثب على الرئتين والى جوارها ثقب قبيح متسع في المريء؟

سحبت المسبر ببطء الى ان خرج طرفه النحاسي اللامع من فم جيردا، وأخذت افحصه بامعان. كان مغطى بمخاط صاف وبفتات الموز المعجون، ولكن لا اثر عليه لنقطة واحدة من الدم.

موزة... موزة- وكان الانتظار حتى ينتهي مفعول المهدىء امرا يكاد لا يطاق. وفي النهاية، نهضت جيردا مترنحة، قرابة الساعة التاسعة مساء.

فصرخت اطلب ملء دلو من حساء الحشائش (وهو خليط من الماء الساخن وحشائش المروج الطازجة)، ووضعته امام جيردا، فراح خرطومها يتأرجح في ضعف فأمسكت به ووضعته في السائل الذهبي، واذا بنصف الدلو يفرغ ثم تقوس خرطوم جيردا ببطء نحو فمها حيث حقنت محتوياته. ورأيت عضلات البلعوم تتقلص وموجة تسري عبر حلقها الى اسفل. لقد استطاعت البلع. ووقفنا ننتظر جامدين كالتماثيل، لكن حساء الحشائش لم يرتد من فمها.

فصحت: "موزة، موزة".

ومضى هر هوبفر راكضا وعاد بعنقود كامل من الموز، فوضعت موزة في فم الفيلة مباشرة من دون تقشير، فأختفت فورا. ومع ان جيردا كانت لا تزال في حال ضعف بالغ، الا انها مدت خرطومها في رقة- ولكن بحماسة- تطلب المزيد من الموز.

وسهرت تلك الليلة الى جوار جيردا لاطمئن الى عدم اتخامها فجأة بالطعام او الماء، والى الزيادة التدريجية في غذائها الذي كانت في أشد الحاجة اليه. وحين اشرق الصباح اتضح انها قد استعادت مقدارا كبيرا من العافية، فعدت الى فندقي.

وحين جلست في عياء الى مائدة الافطار، قالت خادمة المطعم: "اووه... سهرت الليل بطوله في المدينة، ايها العفريت! كنت اعرف انك ستقضي وقتا رائعا في غريت يارموث. لا بد ان مهنتك هذه كلها لعب وتسلية!".

■ **دايفيد تايلور**

وُلِدَ مَلِكاً

ندر ان كانت بريطانيا محظوظة الى هذا الحد في ولي عهدها • وهنا صورة للامير تشارلز تظهر جوانب من ثقافته واهتماماته وحياته الشخصية •

صاحب السمو الملكي الامير تشارلز فيليب آرثر جورج، امير ويلز، ايرل تشستر، دوق كورنوول، دوق روثسي، ايرل كاريك، بارون رنفرو، لورد الجزر البريطانية، والقيم العظيم على اسكوتلندا ••• يستطيع قيادة طائرة نفاثة مقاتلة ويعرف عن طائرات الهليكوبتر ما يكفي ليساعد في تصليحها •

قاد كاشفة الغام في الاسطول الملكي وسط عواصف شمال الاطلسي بمهارة قبطان يخت يقود مركبه الشراعي في سباق قوارب • وهو يلعب البولو في المباريات باندفاع ونشاط • كما انه مظلي مؤهل وعازف تشيلو (آلة موسيقية) ومغرم بفن الاوبرا، خصوصا حين تكون الموسيقى من تأليف فيردي •

غاص تحت مياه البحر الكاريبي في بذلات الغطس الخاصة، وتزلج على منحدرات الالب، ورقص السامبا حتى ساعات متقدمة من الليل مع فاتنات برازيليات • وهو مولع بدراسة التاريخ وقادر على الاستفاضة في بحث الفضائل المهجورة التي كان يتحلى بها سلفه الملك جورج الثالث وعلى تقديم سلسلة برامج تلفزيونية عن علم الانسان •

يقدر دخله السنوي، مع شيء من التحفظ، بقرابة ٢٢٥،٠٠٠ جنيه استرليني، اي ما يعادل ٤٥٠،٠٠٠ دولار • وهو سيد منزل فخم يضم ١١٥ حجرة ويقوم على ارض مساحتها ١٢٠٠ هكتار في مقاطعة كنت • ويصف منزله بدعابة بانه "شقة عازب لا

CONDENSED FROM TIME (MAY 15, 1978) COPYRIGHT 1978 BY TIME INC
TIME & LIFE BUILDING ROCKEFELLER CENTER NEW YORK N Y 10020



يضاهيها في اوروبا مكان اكثر استحسانا. ويتمتع امير ويلز بروح نكتة دمثة متخابثة وابتسامة معدية.

حين بلغ تشارلز الثلاثين في ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، كان طوله ١٧٨ سنتيمترا ووزنه ٧٠ كيلوغراما وكان اميرا ملكيا ناضجا ورجل زمانه. وهو يؤدي مهامه الرسمية بارتياح ويواصل السعي لتوسيع اهتمامات العائلة المالكة ونفوذها في عصر من التغير بالنسبة الى بريطانيا.

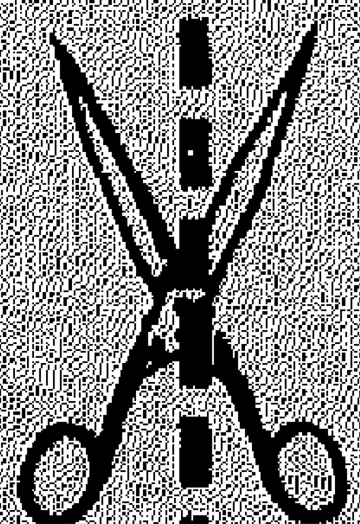
وقد اتضح في الآونة الاخيرة شيء من اهتمام تشارلز بالمشاكل الراهنة عندما عقد مؤتمرا صحافيا في قصر بكنغهام ليعلن نتائج حملة يوبيل الملكة الفضي التي شكلت جانبا خاصا من نشاطه خلال احتفالات السنة التي انتهت بنهاية عام ١٩٧٧.

وشرح الامير، بصوته الذي تشوبه بحة خافتة، ان مهمته هي "اجتذاب بعض الاموال التي يسمع صريرها في جيوب الشعب". وقد أدت الحملة الى جمع قرابة ١٦ مليون جنيه استرليني، اي ما يعادل ٣٢ مليون دولار، لتوضع في تصرف الشباب من اجل العمل معا لمساعدة الآخرين.

وسئل عما اذا كانت البرامج الجديدة ستحاول عمل شيء لاصلاح حال الفتية الاوباش المسؤولين عن اعمال عنف شهدتها اخيرا مباريات كرة القدم. فرد تشارلز على ذلك بلباقة. "لم نتسلم طلب مساعدة من جماعة تسمي نفسها اوباش كرة القدم. غير اني آمل في ان نتمكن برفق من نهي بعض الافراد عن الافعال الغوغائية".

كسر التقاليد – ان تشارلز هو النتيجة الطيبة لتثقيف تم التخطيط له ووضع اطاره بعناية فائقة من اجل ولاية العرش. ويوم مولده في قصر بكنغهام عام ١٩٤٨، اي قبل اعتلاء والدته العرش باربع سنوات، اصبح وليا ثانيا للعهد، يأتي بعد والدته. وقد اومأ العالم بالموافقة الديموقراطية عندما قررت والدته ووالده الامير فيليب ان يكون تشارلز اول ولي عهد في البلاد يداوم في مدرسة بدل بقائه في حضن والديه يكتنفه اساتذة ملكيون.

وكانت المدرسة الداخلية الاولى التي التحق بها مدرسة تشيم في مقاطعة بيركشير، ثم انتقل الى مدرسة غوردونستون في اسكوتلندا وهما مدرستان كان والده الامير فيليب تلقى الدراسة فيهما ايام طفولته. وخلال السنوات التي قضاها تشارلز في مدرسة غوردونستون، حدثت سابقة ملكية اخرى. فقد توجه لقضاء ستة اشهر في مدرسة تيمبرتوب الريفية التي تديرها الكنيسة الانكليكانية في اوستراليا. وتجاوب تشارلز بمراعاة الانظمة الشديدة المطبقة في تينك المؤسستين. وعلق على ذلك في ما بعد بقوله: "ان الفكرة هي تحدي الفرد لكي يكتشف شيئا في نفسه لم يدرك وجوده من قبل. ويمكن ان ينطوي هذا على نتيجة مثيرة لشخص ربما كان يرتاب عادة في مقدرته الذاتية. وانا اعلم ان ذلك كان ذا تأثير مستديم علي منذئذ. وهناك



Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهّة بالذهب، من أوميغا



كثير من الامور في الحياة ينبغي ان يحققها المرء من دون ان يود ذلك، ولكن هذه هي الفكرة التي ينطوي عليها الواجب."

ولئن كانت مدرستا غوردونستون وتيمبرتوب ساعدتا على تنمية شعور الامير الشاب بالواجب فان كلية "ترينيتي" في جامعة كيمبردج اماطت اللثام عن شخصيته. وقد كان تشارلز طالبا بطيئا ولكن شديد المثابرة. وحصل على درجة بكالوريوس آداب (بشرف). واشاد اللورد بطلر، عميد كلية "ترينيتي" آنذاك، بالطالب الامير لما حققه في الواقع من انجاز ضخم اذا ما اعتبرنا التزاماته الملكية.

فكاهة الملوك - لقد كان على تشارلز ان يتغيب عن الدراسة للقيام بزيارات رسمية خارج البلاد وللاهتمام بترتيبات حفل تنصيبه الفخم اميرا لويلز عام ١٩٦٩. كما كان عليه ان يحضر فصلا دراسيا في كلية ابريستويث الجامعية في ويلز في دورة مكثفة لدراسة لغة ويلز. ومع ذلك، فان جزءا كبيرا من دراسة تشارلز في كيمبريدج انطوى على نشاط خارج عن نطاق المنهج الدراسي. وكان من بين اسعد اوقاته في كلية "ترينيتي" تلك التي قضاها بالاشتراك في سلسلة من الروايات الهزلية التي اظهر فيها موهبة في الهزل السخيف والفكاهة الطيبة التي تستهين بالذات.

فهو يهوى الانقاص من ابهة المؤسسات. وقد حضر مرة ليلقي كلمة في حفلة "رابطة مبرة الخياطين البارعين" وهو يرتدي سترة رثة من صوف التويد الخشن فوق بذلته الرسمية ورباط العنق الابيض. وقال في كلمته للحاضرين: "يسألونني مرارا عما اذا كان سبب وقوفي ويداي خلف ظهري، على غرار ما يفعل والدي، يعود الى خصلة وراثية. والجواب هو انني ووالدي لدينا الخياط نفسه الذي يصنع الاكمام بقياس ضيق لا نستطيع معه الوقوف وايدينا امامنا".

وتساعده سرعة خاطره على مواجهة الظروف الحرجة على افضل نحو ممكن فبعدما القي ارضا مرتين عن ظهر جواد في سباق الخيول في المضامير الوعرة عام ١٩٧٨، اشار الى ذلك بمرح قائلا: "انه تمرين ممتاز على الهبوط بالمظلات".

خذوا اسرارهم... - واكتشف تشارلز حاجته الى روح النكتة تلك على اثر ملاحقة الصحافة له باستمرار في حياته الغرامية وخطط زواجه. ويخبرنا مصدر مقرب من العائلة المالكة ان المراسلين كادوا ان يقضوا على صداقة نمت بين الامير والليدي جين ولزلي المولودة في ٦ يوليو (تموز) ١٩٥١، الصحافية الجذابة وكريمة دوق ولنغتون الحالي. ولا يزال تشارلز والليدي جين يلتقيان احيانا، غير ان اقترانهما يبدو الان اقل احتمالا.

وهناك الليدي سارة سبنسر، كبرى بنات ايرل سبنسر، الحمراء الشعر والمولودة في مارس (آذار) ١٩٥٥. وهي قضت عطلة تزلج على الثلج عام ١٩٧٨ مع تشارلز واصدقاء آخرين في كوخ سويسري. لكنهما، مع ذلك، تصر على انهما ليسا اكثر من

صديقين. وقد اعطت في مقابلة معها صورة نادرة عن كثب للامير الاعزب.

وكشفت الليدي ساره النقاب عن ان تشارلز هو الذي يضرب مواعيد مع من يريد وليس، كما قال البعض، من خلال طرف ثالث. وقد يأتي بفتاة في سيارته الاستون مارتن او قد يدعوها لملاقاته في احد المنازل الملكية. وأسرت سارة بان قضاء عطلة نهاية الاسبوع في قلعة وندسور يحتاج الى حقيبة من الملابس. ملابس لركوب الخيل صباحا، ثوب للغداء وتنورة للشاي وثوب سهرة للعشاء، مع مقدار من الرسميات ايضا، اذ تقول انها تخاطب تشارلز بكلمة "سير".

وقالت: "ان الامير تشارلز يجعلني اضحك كثيرا. وانني في الحقيقة اتمتع بوجودي معه". واردفت: "ليست هناك فرصة لاقتراني به".

اما تشارلز فيبدي خجلا مع بشاشة تجاه احتمالات زواجه. وقد قال للصحافيين خلال زيارته لامريكا الجنوبية عام ١٩٧٨: "لو كنت متزوجا لما امكنني ان ارقص السامبا على النحو الذي فعلته في الليلة الفائتة". لكنه، في الوقت نفسه، اخذ يعي واجباته الملكية على نحو اكثر جدية. وقد بدأ ذلك منذ تقاعده عام ١٩٧٦ من الخدمة الفعلية في الاسطول برتبة كوماندر.

برنامج حافل — ان مركز اعمال تشارلز المدنية هو طاولته في مكتبه في الطابق الارضي من قصر بكنغهام. وفي جناحه الخاص فوق المكتب اكتظت غرفة الجلوس بأشياء تذكارية من رحلاته وعلقت على جدران الحمام رسوم كاريكاتورية مفضلة لديه. وهناك كتب تاريخ وفنون وعلم آثار، بالاضافة الى جهاز تسجيل صوتي صوري مع مسجل اشرطة فيديو يستعمله لاعادة عرض افلام نشاطاته ليتسنى له نقدها وابداء الرأي فيها.

في هذا الجناح يقضي الامير صباحه في اجتماعات ولقاءات خصوصية. وبوصفه قائدا فخريا لعشر كتائب وضابطا عاملا في ثلاث اخرى وقيما على ١٤٧ جمعية، ينبغي ان يلتقي بحشد من الزوار. ومن بين هؤلاء ضباط مظليون ومندوبون عن جمعية حماة الاشجار ومديرو عزبته الخاصة ودوقية كورنوول.

وينتهي البرنامج الصباحي عادة بوجبة غداء خفيفة يليها مزيد من الاجتماعات والزيارات التي يقوم بها الامير لمؤسسات جديرة، وهي تشغل فترة ما بعد الظهر.

على ان في امكان تشارلز ان يتوقع تنفيذ مزيد من مهام تمثيل الملكة بالسفر الى عواصم اجنبية في جولات ودية، فضلا عما يرتبط بتلك الجولات من بعثات تجارية اظهر في ادارتها كفاية كبيرة. وقد كانت رحلته في مارس (آذار) ١٩٧٨ الى اميركا اللاتينية اكثر من نجاح اجتماعي مجرد، اذ ساعدت على اقتناص صفقة تصدير تزيد قيمتها على مليون وربع مليون جنيه استرليني، اي ما يعادل مليونين ونصف مليون دولار.

وينزع الامير، عندما يسمح برنامجه بذلك، الى قضاء الامسيات مع مجموعة صغيرة من اصدقاء كتومين صحفيين، يشيرون اليه في ما بينهم باسم "ويلز". ويتصل بهم

هاتفيا ليدعوهم لمرافقته الى المسرح او قضاء نهاية الاسبوع معه في الصيد او لتناول عشاء في مطعم لندني مفضل. وعندما يتناول الطعام وحده يفضل تشارلز وجبات خفيفة، من بينها البيض المقلي الممزوج وسمك السلمون المدخن. وهو لا يتعاطى الخمر الا لماما ولا يدخن. ويحافظ على نشاطه الجسماني بممارسة ركوب الخيل والمشي في منتزه وندسور.

وقد قال احد اصدقائه: "يحتاج تشارلز الى تبرير اعماله امام نفسه تبريرا خلقيا". ومن اجل تحقيق هذه الغاية، كانت اهتماماته صادقة النية وعالمية النطاق وغير عنصرية. فهو يؤيد بصراحة وجود مجتمع مفتوح. وقد وافق على تولي دور الراوي في سلسلة برامج هيئة الاذاعة البريطانية عن علم الانسان بعنوان "قيم الوجوه" لكي ينمي الصورة التي يرتئيها عن الانسجام العرقي. كما انه من اتباع الاستاذ الراحل ا. ف. شوميكر الذي اتخذ عبارة "الصغير جميل" شعارا لدعوته الى انظمة اقتصادية بديلة.

الاهتمام بالناس – من اقوال تشارلز: "ان المهمة الاولى لاي نظام ملكي هي الاهتمام الانساني بالناس". ويدأب تشارلز على العمل لمساعدة الاحداث ذوي المراس الصعب وذلك من خلال انشاء "صندوق ائتمان الامير"، وهو مؤسسة احسان ستساعد الافراد البعيدين عن العين الملكية، كالاحداث الذين سبق ان تورطوا في الجريمة والفتيان من جماعات المهاجرين والجانحين. وبفضل اصرار تشارلز الى حد كبير، يجري تعيين عمال اجتماعيين من بيض وسود الى جانب كبار السن المألوفين في المؤسسات بين اعضاء مجلس ادارة "صندوق ائتمان اليوبيل الفضي".

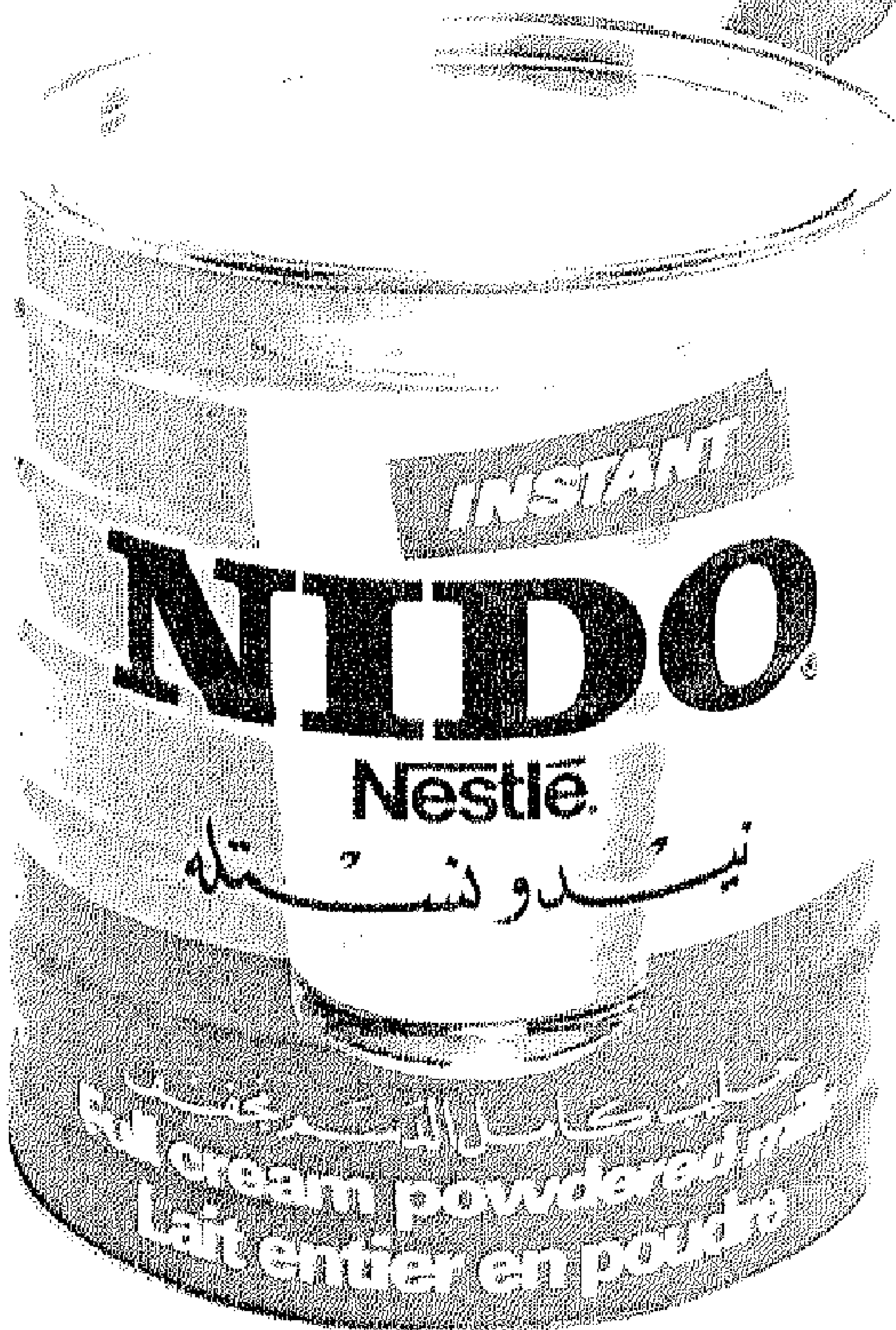
ومن المتفق عليه عموما انه ندر ان كانت بريطانيا محظوظة الى هذا الحد في ولي عهدها. وسعادة حظها الحالية هي سعادة حظ للعالم ايضا. فبريطانيا لا تزال مهدا للديموقراطية الغربية. وعلى رغم كل البهارج، فان نظامها الملكي درس، بل مثال حي، لجميع الامم الاخرى الساعية الى توازن سليم بين المراسيم والخدمة، او بين التقليد والتجديد، او بين السلطة والحرية. ان عهد الملكة اليزابيت، بما فيه من لطف وحكمة واداء واجب وما يتمتع به ولي عهدها من شعبية، كفيل باستمرار الملكية البريطانية.

■ ملخص عن مجلة "تايم"

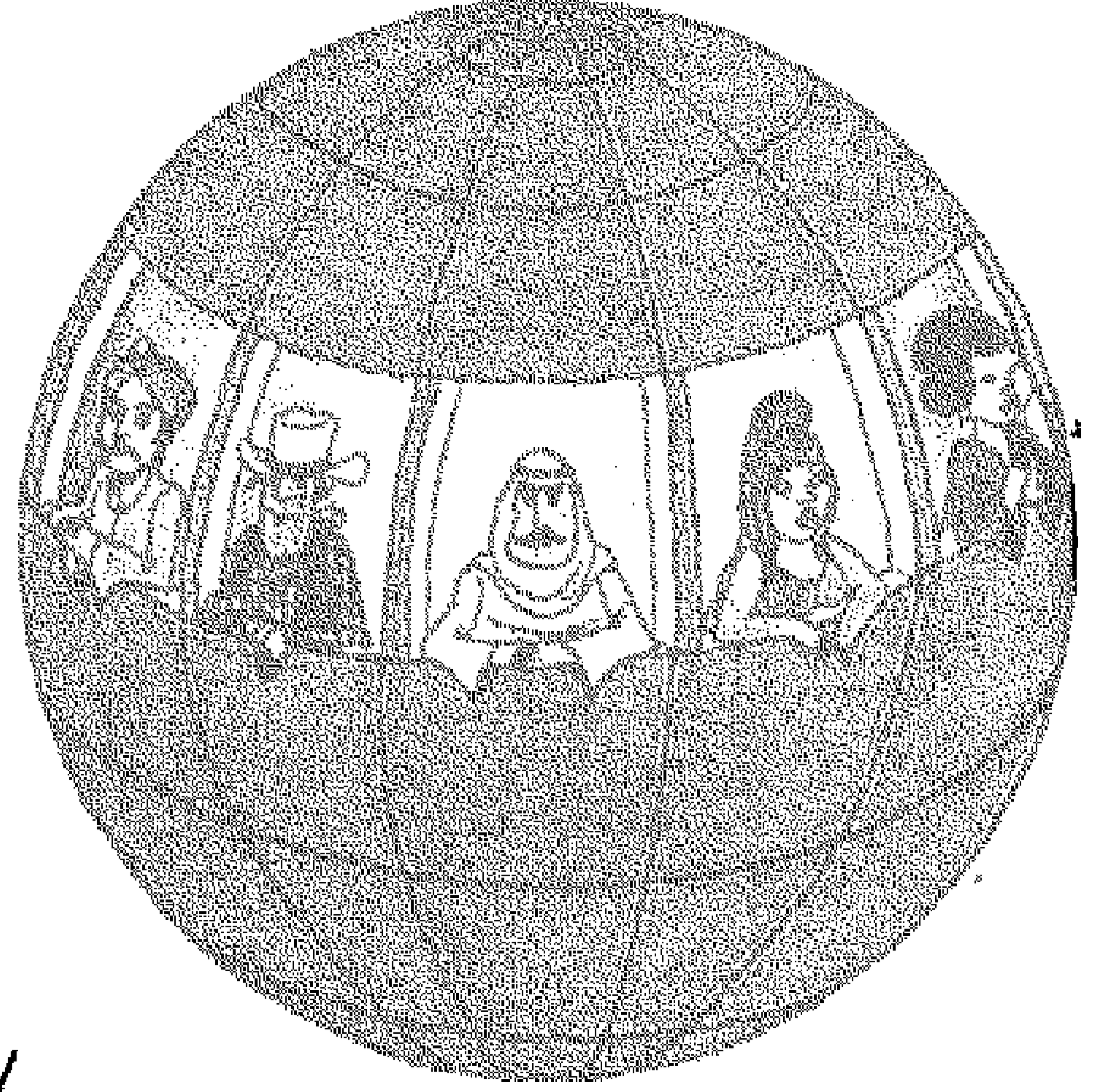
لعبة شعبية انكليزية

وصفت متفرجة في احدى مباريات الكريكت بين انكلترا والهند متعة مشاهدة هذه التسلية بقولها: "ان ما يجعل الكريكت مثيرة الى هذا الحد هو انها ضجر قاتل لساعات كثيرة دونما انقطاع. ولكن عندما يحصل شيء فعلا في نهاية المطاف فان المتفرج ينجرف بالحماسة".

("النيويورك تايمس")



INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو نستله
حليب كامل الدسم مجفف
Full cream powdered milk
Lait entier en poudre



حكايات صغيرة من العالم

مصطفى التركي

في قرية يزيلكوي التركية يروج اسم مصطفى بايزال، بحيث ان ٤٢ قرويا يحملون هذا الاسم من اصل مجموع السكان البالغ ٣٤٢٠ فكلما وردت رسالة الى احد اصحاب هذا الاسم يضطر ساعي البريد الى جمعهم في ساحة القرية وتلاوة الرسالة علنا لكي يتمكن من ايصالها الى صاحبها الحقيقي. ويقول عمدة القرية الذي يدعى، هو ايضا، مصطفى بايزال، ان قضية المخابرات التلفونية معقدة اكثر من قضية البريد، ولم تجد القرية حلا مناسبا لها بعد. فعندما ترد مخابرة موجهة الى مصطفى بايزال يتهافت جميع المدعوين بهذا الاسم على جهاز التلفون ويظلون هكذا حتى اكتشاف صاحب المخابرة الحقيقي.

("البريد القبرصي" نيقوسيا)

"قارة" يوغوسلافيا

يوغوسلافيا في وضع لا تحسد عليه من الناحيتين الداخلية والخارجية، بالنسبة الى تعدد المشاكل، فهناك: ابجديتان (واحدة لاتينية وسلافية) وثلاث ديانات رئيسية (الارثوذكسية، والكاثوليكية والاسلامية) واربع ثقافات (اللاتينية والالمانية والسلافية والشرقية) وخمس جنسيات (السربية والكرواتية والسلوفينية والمقدونية والمونتنيغرية)، وست جمهوريات (السربية، والكرواتية، والسلوفينية، والمقدونية، والمونتنيغرية، والبوسنية - الهرزيغوفينية) وسبعة جيران (ايطاليا، النمسا، المجر، رومانيا، بلغاريا، اليونان، البانيا).

اسكوتلنديون

لقد كانت ساحات القتال المكان المفضل لابراز براعة العازفين الاسكوتلنديين بمزمار القربة. وكان من شأن هذا المزمار، ونغمته العالية الصاخبة، ان يستثيرا حماسة الهايلندريين (سكان نجاد اسكوتلندا) الجبابرة في تحقيق المآثر سواء كان ذلك في اقتتال العشائر او في الحرب العالمية الثانية حيث كان العازفون الاسكوتلنديون يتقدمون دائما الجنود الى ساحة الوغى. وقد بلغت الاصابات في صفوفهم ابان الحرب الاخيرة حدا تقرر معه ان يعملوا كاطباء او يحملوا نقالات الجرحى او الموتى. وقد اصبح اليوم عازف المزمار في اي فرقة عسكرية، ملزما بان يكون مؤهلا ايضا لممارسة مهنة الطب.

(دونالد ج. فريدريك،
"خدمة الانباء الجغرافية الوطنية")

الجيش الموسيقي

تعتبر امارة موناكو البلد الوحيد في العالم الذي يفوق عدد اعضاء فرقته الموسيقية، عدد الجنود في جيشه. فالفرقة الموسيقية الوطنية تضم ٨٥ عازفا بينما لا تضم القوى المسلحة سوى ٨٠ جنديا.

("الصانداي اكسبريس، لندن)

الطباعة الصينية

تشتمل الآلات الطابعة الصينية على قرابة ٥٧٠٠ حرف ابجدي، مما يستوجب وجود لوحة للمفاتيح يزيد عرضها على المتر، ولذلك فان سرعة الطباعة على هذه الآلة لا يمكنها ان تتجاوز ١١ كلمة في الدقيقة.

د.ل.

حياد اللصوص

هاجم اربعة مسلحين احد نوادي القمار بالقرب من مدينة نيس الفرنسية وسلبوا الزبائن مبلغا مقداره ١٠٠،٠٠٠ دولار. وقد بدا اثنان منهم في مظهر يعبر عن رغبتهما في احترام مبدأ الحياد السياسي: فكان الاول يضع على وجهه قناعا يمثل الرئيس جيسكار ديستان، والثاني قناعا يمثل زعيم المعارضة الاشتراكية فرنسوا ميتران.

("الهيرالد تريبيون")

نار الاعالي

يتسنى اشعال النار على الارض بفضل تركيب الغلاف الجوي وكثافته، ويستحيل ذلك في الاماكن الفقيرة بالاوكسيجين، كالمرتفعات الشاهقة مثلا.

ويروى، في هذا الصدد، ان روح الاعتزاز حملت سكان مدينة لاباز، في بوليفيا، التي تعلو ١٢،٠٠٠ قدم (حوالي ٤٠٠٠ متر) عن سطح البحر، على شراء اجهزة للتدفئة وقد سها عن بالهم ان الضغط الجزئي للاوكسيجين على مثل هذا العلو لا يساعد في ابقاء النار مشتعلة، فاضطروا في النهاية الى الاحتفاظ باجهزتهم في مخافر الاطفاء خوفا عليها من خيوط العنكبوت والغبار.

ف.ر.

مصرف الاسماء المستعارة

ليس للذين يودعون اموالهم مصرف بورت مورسبي من سكان بابوا في غينيا الجديدة حسابات مرقمة، فهم يتخذون لهم اسماء مستعارة من الاسماك، والطيور، وما شاكل، ويصبح الزبون معروفا لدى المصرف باسم "سمك المنشار" مثلا او "الهدهد"، ويحتفظ به سرا له.

ل.م.ل.

"ارخص" مدن العالم

ليست نيويورك اغلى مدينة في العالم، بل هي تأتي في الدرجة الرابعة عشرة، بعد طوكيو، اوزاكا، استوكهلم، زوريخ، جنيف، اوسلو، كوبنهاغن، لاغوس، باريس، فيينا، تورنتو، جاكارتا، ودوسيلدورف.

("اكزيكوتيف دايجست")

الرحلة الاخيرة

وصل قطار الشرق السريع - الاسطورة التي عمرها الان ٨٨ سنة منذ العصر الذهبي لسكك الحديد - الى محطة سيركيسي في اسطمبول في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٧٧ آتيا من باريس، في نهاية الرحلة الاخيرة له التي استغرقت ٥٦ ساعة. فانحنى الواحد والعشرون مسافرا في الدرجة الاولى، من نوافذ حافلاتهم وراحوا يتجرعون الشمبانيا بوفرة بينما انصرف القطار بصريره الى الوقوف. ولم يلبثوا ان نزلوا منه وضموا ايديهم بعضها الى بعض وانطلقوا ينشدون للقطار ضحية عصر النقل الجوي. وصرح معظم الركاب ان الرحلة التي كلفت ٢٥٥ دولارا عن الشخص الواحد كانت تستحق هذا المبلغ لما تخللها من اكل شهي وحفلات راقصة ليلية في ممرات القطار.

ا.ب.

قضى المدرسون الامريكيون بضع عشرات من السنين يطالبون الاباء بعدم التعرّض لمواد الدراسة مع اطفالهم. ولكن ها هم اليوم يناشدونهم كي يمدّوا اليهم يد المساعدة في هذا المضمار.

مدرسة البيت

عاد الصبيان من مدرستهما الابتدائية الى منزل اسرتهما في نيويورك بتقدير "ضعيف" و"ضعيف جدا" في الرياضيات، فاكتشف الاب ان ولديه الذكيين - تلميذي السنتين الرابعة والخامسة الابتدائيتين - لم يسبق لهما ابداً ان تعلما جدول الضرب. ويقول هذا الاب متذكراً: "بادرتُ الى اعداد بطاقات استذكار واختبار مصوّرة ومرقّمة، وقلتُ للولدين انهما لن يشاهدا برنامج التلفزيون ما لم يحفظا جدول الضرب. وقد تعالى احتجاجهما بطبيعة الحال، ولكن اتقنا حفظ الجدول في ثلاثة ايام".

وليس هذا الاب ممن ينحون باللائمة على المعلمين، وانما هو احد الناطقين المبرزين باسمهم: انه البرت شانكر، رئيس اتحاد المعلمين الامريكيين. غير انه، كأب، ادرك ان مسؤولية تعليم ولديه وتربيتهما تقع بالاحرى على عاتقه هو أكثر منها على المدرسة. فاذا حدث ان فاتهما، بصورة ما، ان يتعلما في المدرسة احدى المواد الاساسية كجدول الضرب، ينبغي عليه ان يعوّض ذلك في البيت. واذا بقي احدهما عاجزاً عن الضرب او الجمع او القراءة، فان مشاكله هذه ستتفاقم ولا شك في ما بعد، باعتبار ان المهارات الاساسية هي بمثابة المداميك البنائية التي يرتكز عليها تحصيل التلميذ في المدرسة.

ويقول شانكر ان أهم ما في الامر

هو التحقق من ان كل طفل في السن التاسعة قد اكتسب القدرات الاساسية للقراءة والكتابة والحساب.

فبعدما قضى المدرسون الامريكيون بضع عشرات من السنين يطالبون الوالدين بعدم التعرض لمواد الدراسة مع اطفالهم، اصبح العدد الكبير من هؤلاء المدرسين يناشدون الاباء لكي يمدوا لهم يد المساعدة في هذا المضمار. ويقول لاري كوبان، المشرف على مدارس آرلنغتون في ولاية فرجينيا: "لا بد لنا الآن من الاعتراف بانه، عندما يقدّم الوالدان معونتهما، يرتفع مستوى تعلم الاطفال ارتفاعا كبيرا".

ومن بين الاسباب التي دفعت الى هذا التغير في موقف المعلمين ظهور عشرات الدراسات التي اثبتت بالبيان العملي ما لمعونة الوالدين من فائدة فعلية. ففي العام ١٩٦٦، اوضحت وزارة التربية والتعليم الامريكية ان للبيت وخلفية الاسرة اثرا على الانجاز الدراسي يفوق اثر المدرسة. واعلن عدد من اختصاصيي علم النفس مثل بنجامين بلوم في شيكاغو، ان الذكاء في سني العمر الاولى مرن طيّع وان لاهتمام الابوين وعونهما تأثيرهما الفعلي في رفع مستوى ذكاء الطفل.

وقد ادت نتائج هذه الدراسات الى حمل الملايين من الاباء على استحثاث فطنة اطفالهم في السن قبل المدرسية، بدءاً بالخرزات المتحركة المعلّقة في اسرّتهم ومروراً بتلاوة النصوص عليهم قبل النوم وتزويدهم باللعب التربوية حين تدرّجهم على المشي. غير ان معظم الاباء والامهات ظلوا يترددون في "التدخل" بعد التحاق اطفالهم بالمدرسة.

لكن موقف المدرسين تغير اليوم. ويقول شانكر: "ان الفكرة القديمة القائلة بان الاطفال قد يرتبكون من تولي ابائهم تعليمهم، نظرا الى اختلاف الاساليب، لم تعد قائمة اليوم".

وعلى اثر التشجيع الذي ابداه اختصاصيو التربية، عاد كثير من الاباء الى الانغماس في نشاط التعليم المنزلي، مستمتعين من جديد بالفائدة التي كان يجنيها اطفالهم من مساعدتهم وحفزهم لهم في السن قبل الدراسية. وهناك اسرة اعرفها تحتفظ بمجهر في غرفة اللعب وبكرة ارضية في غرفة الطعام، حيث يجتمع افراد الاسرة للعشاء ويتناقشون حول اخبار اليوم او الموضوع الذي قرأه كل واحد منهم. والمتوقع من الاطفال في هذه المناسبة ان يجيء حديثهم في جمل كاملة سليمة. فلا عجب اذا هم احرزوا بعدها نتائج حسنة في المدرسة.

اما العون الذي يستطيع الوالدان تقديمه فانه يتوقف على مزاجهما والوقت المتوافر لهما، وعلى ميلهما الى تولي هذه المهمة. ويحسن بالاباء والامهات الراغبين في مساعدة اطفالهم ان يتبعوا الارشادات البسيطة الآتية:

توفير الزمان والمكان ـ على الاباء ان يخصصوا وقتا يستذكر فيه اطفالهم، في منحى عن برامج التلفزيون واجهزة التسجيل والملاهي الاخرى. ولا بد، حتى بالنسبة الى الاطفال الصغار الذين لم يُفرض عليهم بعد واجب منزلي، من ان

يُخصَّص وقت محدد يقضونه في القراءة.

وقد يتساءل البعض عن مدى العون الذي ينبغي ان يقدمه الوالدان في اداء الواجبات المنزلية. ويرد على ذلك ديفيد هوربنيك، المشرف على المدارس في ولاية ماريلاند، بقوله: "يجب ان تمتنع عن تحضير الواجب المدرسي نيابة عن اطفالك، ولكن من المفيد ان تتحدث معهم عن الموضوع الذي يُكلَّفون به، او ان تلقي نظرة عليه بعد ان ينجزوه". ولا شك في ان مجرد التأكد من انجاز اطفالك واجبهم المنزلي امر مفيد في ذاته.

ساعدهم على تعلم المهارات – في مقدور الاباء والامهات ان يعلموا اولادهم المهارات الاساسية، كجدول الضرب والمفردات اللغوية. وتعتبر مدرسة "كوارترفيلد" الابتدائية في مدينة سيفرن في ولاية ماريلاند احدى المدارس التي تطبق برنامجا خاصا للتنمية اللغوية. فآباء تلاميذ السنة الاولى الابتدائية في هذه المدرسة يتلقون كل يوم "اشعارا" مطبوعا ينبئهم بالحرف الجديد الذي تمت دراسته في الفصل المدرسي في ذلك اليوم، ويدعوهم الى معالجة هذا الحرف مع اطفالهم مساء اليوم نفسه. وبمجرد ان يصبح تلاميذ السنة الاولى قادرين على القراءة، يبدأون في اخذ الكتب معهم الى البيت كي يقرأوها بصوت عال على مسمع آبائهم. وبعد ان يُتم الطفل قراءة الكتاب يرسل الاباء تقريرا عن ذلك الى المدرسة.

راقب الاداء المدرسي – ولا تنتظر حتى يطلب المدرسون معونتك في ذلك. تابع الموقف كي تتنبه لحالات الانخفاض المفاجىء في المستوى الدراسي وتتدخل تدخلا حاسما لعلاجها متى حدثت. وقد كان هذا الامر صعبا الى عهد قريب لانعدام وجود اتفاق على ما ينبغي تعلمه في كل سن. غير ان الاهتمام المتزايد في السنوات السبع الاخيرة باختبارات الحد الادنى للجدارة قبل ترك المدرسة، والذي نشأ بسبب كثرة عدد التاركين الذين ثبت عجزهم عن القراءة والكتابة ومعالجة الرياضيات، ادى الى بروز مستويات قياس الاداء. ففي ولاية فرجينيا مثلا، وضعت احدى ادارات التعليم قائمتها الخاصة بالمهارات الدنيا التي ينبغي توافرها. وتقضي هذه المستويات بان يكون التلاميذ في نهاية السنة الدراسية الابتدائية الثانية قادرين على تحديد الفكرة الرئيسية في قطعة قصيرة تُقرأ عليهم، وان يكونوا في نهاية السنة التالية "على دراية واضحة وتطبيقية بجدول الضرب حتى نهاية الرقم ٥".

واصل حفز اطفالك – ان اي مقدار من حفز الاطفال في سنهم المبكرة لا يمكن ان يقي "جيل التلفزيون" الاخفاق الدراسي في ما بعد. فعلى الاباء الذين يبدأون بتعليق كرات العد الملونة في مهود الاطفال ان يواصلوا العمل باستمرار.

ومنذ العام ١٩٦٤، تقوم دوروثي ريتش، مديرة المعهد الرائد "البيت والمدرسة" التابع لكلية "ترينيتي" في واشنطن العاصمة، بشن حملة من أجل التعليم المنزلي، وتأمل ان تتوسع فيها حتى تصبح حملة قومية

شاملة. وقد نشرت دوروثي اربعة كتب مليئة بـ"الارشادات" لمواصلة الحفز البيتي للاطفال في سن الدراسة. ومنها ان تطلب من طفلك ان يراجع العدّاد في محطة البنزين ويحسب ثمن ستة غالونات. ولكي تعينه على رفع مستواه في الكتابة، شجعه على كتابة الرسائل والبطاقات الى جده وجدته واصدقائه، وعلى اعداد قوائم المشتريات. واحفز قدرته على اصدار الاحكام بان تطلب منه رأيه في قصة معينة، او في غرفة ما، او في سلوك شخص معين.

وتقول دوروثي ريتش: "ان للمدارس قدرة محدودة على معاونة الاطفال على احراز النجاح. واذا اردت لهم ان يكونوا قادرين على مواجهة المجتمع الحديث، فلا بد لك من ان تواصل العمل معهم بنفسك". وقد تلقت دوروثي رسائل تؤيد ذلك من مئات الاباء والامهات. وهي تستند، فضلا عن ذلك، الى دراسة اجراها معهدها عام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ على تلاميذ السنة الابتدائية الاولى في ثمانية فصول دراسية في واشنطن العاصمة، حيث استمر المدرسون مدة ١٦ اسبوعا يوافون بيت كل تلميذ بـ"وصفة تعليمية" مرة كل اسبوعين، ويطلبون الى الوالدين ان يعملوا لتطبيقها. وفي نهاية العام، ظهر ارتفاع في مستوى القراءة لدى اطفال الـ٨٩ اسرة التي طبقت تلك "الوصفات".

ان التعليم البيتي التزام مستمر ومسؤولية لا تنتهي بمجرد التحاق الطفل بالمدرسة. وهو قد يستغرق بعض الوقت ويتطلب بعض الجهد، ولكنه استثمار سليم وأكيد الفائدة لمستقبل الطفل.

■ مايا باينز



لكل امرىء عدوان: الماضي والمستقبل. وأكبر عطية زوده بها الله هي الزمن الحاضر.
ج.س.

ابدى ك. ساين في احد الفنادق الصغيرة في هارز ماونتنز الملاحظة الآتية: "اننا، في هذا النزل، نعيش كلنا وكأننا اسرة كبيرة واحدة، فالادارة تأبى ان تتحمل المسؤولية عن الاشياء النفيسة".
ب.ر.

اختبار الفطنة

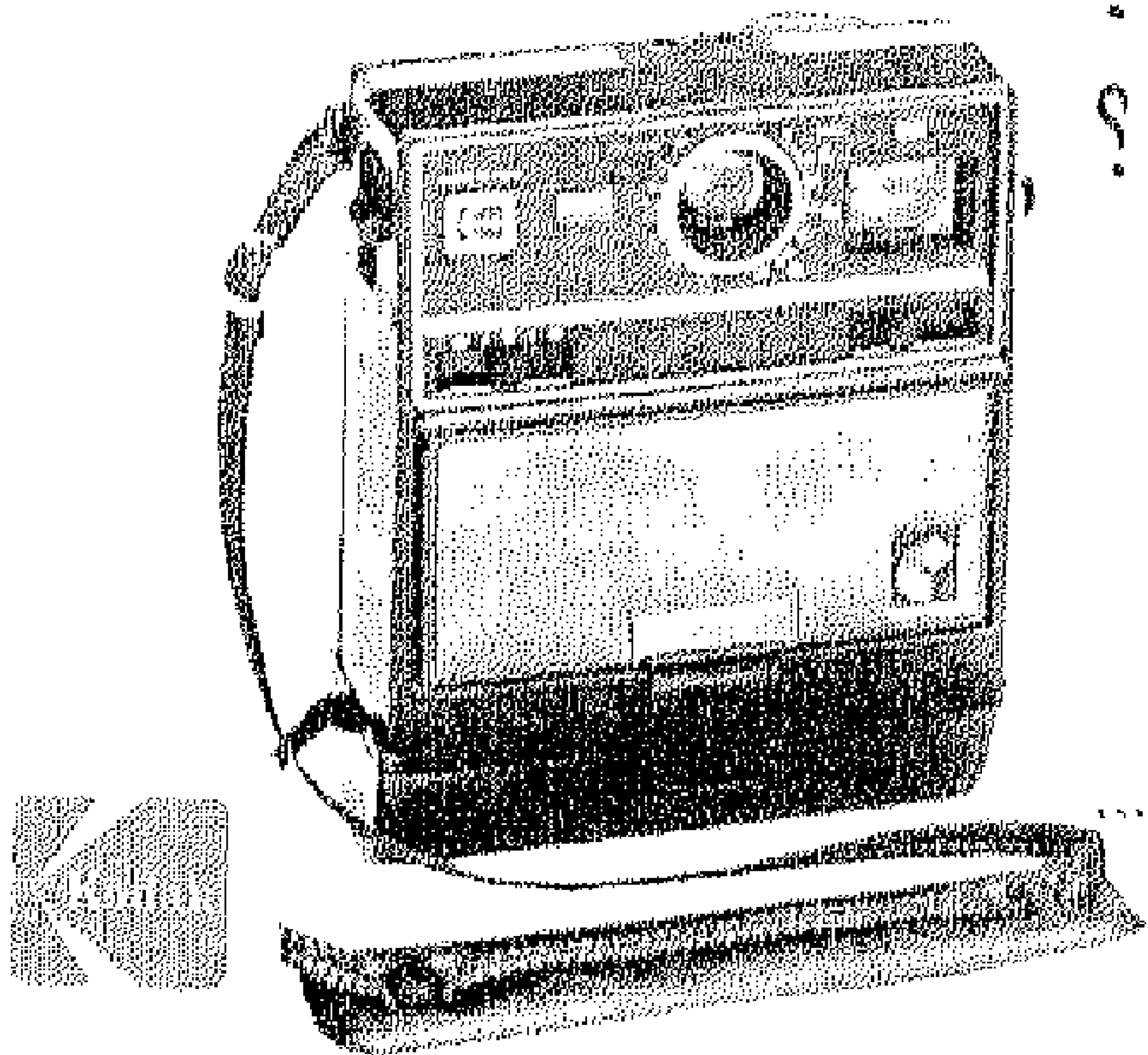
كنت اطرح سلسلة من الاسئلة على دايفيد، وهو في السادسة من العمر، لقياس ذكائه. فبدأت بسؤاله عن تاريخ ميلاده، وكان ردّه السريع: "٢٠ فبراير (شباط)". فعدت اسأله: "وفي اي عام يا دايفيد؟"

فنظر الي في حيرة، ولم يلبث ان اهتدى الى الجواب الموافق: "في كل عام!"

هل تتصوّر الحيَاة بدُون ألوَان ؟

أو صُوَراً فوريّة بدُون كودَاك ؟

الألوان تعطي الحياة اثارة وبهجة
ومجموعة كاميرات كوداك"انستانت" الفورية
تعطي هذه الاثارة لصوركم الفورية.
صور تنطق بالحياة والألوان الغنية ...
صور تخرج اوتوماتيكيًا وبألوان زاهية ...
بسعر اقتصادي ... يدهشكم !
إكتشف اليوم مع كاميرات كوداك"انستانت" الفورية...
معنى الحياة بالألوان .
لدى جميع باعة الآلات الفوتوغرافية .



المنزل المهجور

تتعاقب دورات الحياة بحلوها ومرها كما تتوالى فصول السنة: باب يوصد وآخر ينفتح.

وقفنا امام المنزل بينما راح الرجال الاشداء المكلفون نقل الاثاث يتحركون جيئة وذهابا. وخرج احدهم يحمل طاولة كبيرة، فافسح له زميله الطريق، ثم دخل المنزل. ووقفنا هناك، زوجتي بتي وانا، وكانت تنبعث لمحة من ذكرياتنا مع كل قطعة ينقلها الحمالون الى السيارة الضخمة الواقفة امام الدار.

وتعاون رجلان على حمل مائدة الطعام، واخرجاها بكل دراية من الباب. فعاودتنا ايام الماضي: ولائم اعياد الميلاد، ووجبات العشاء مع اطفالنا واحفادنا، وكعك الاحتفال بمولدهم ومولدنا، واستضافة اصدقائنا الاعزاء. ولكننا، في اكثر الاحيان، كنا نجلس أليها منفردين انا وزوجتي، ونتناول طعامنا عليها بكل بساطة. ورأينا المائدة ترتفع الى سيارة النقل الكبيرة وتغور في قعرها وتتوارى في غياهبه.

لقد بنينا هذا المنزل منذ قرابة عشر سنوات. فشرحنا للمهندسين والبنائين طراز المسكن الذي نريد، وتركنا لهم مهمة التنفيذ. ويقوم منزلنا فوق تل مرتفع، يطل على منظر رائع تجاه الغرب. وعندما يكون الجو صافيا، تتسنى لنا رؤية التلال الاخرى عبر مسافة تبلغ ١٠٠ كيلومتر تقريبا. لكنها خالية من اضواء المدينة او مصابيح الشوارع، فلا تقع ابصارنا في الليل الا على مشهد السماء فننعم النظر فيها ونتدارس رموزها في رهبة واعجاب. ولم تمض بضعة أشهر على انتقالنا الى هذا المنزل حتى اشتريت كتابا عن النجوم، واعتدت ان اقف امام البيت في ليالي الشتاء الصافية أهتدي الى الكواكب المتألقة. وكنت اظل واقفا حتى ارتجف من شدة البرد، ويؤلمني عنقي بسبب الاجهاد.

وخرج رجل من المنزل حاملا مقعدي الخاص. وسرعان ما تذكرت المكان الذي كان يحتله في قاعة الجلوس، وعلى احد جانبيه تلك الطاولة التي اختفت الآن داخل العربة، ومصباح على الجانب الآخر. ويبلغ عمر هذا المقعد ٤٠ عاما. فقد اشتريته مع مقعد آخر صنو له عند زواجنا.

وخلف مقعدي كانت ترقد كلبتنا المسنة ذات الاثني عشر عاما ٠ فرحت اتساءل عما اذا كانت سترتاح الى المنزل الجديد٠ وكان هناك سؤال آخر يراودنا جميعا: هل سنقوى على التكيف مع ذلك البيت؟

وسأل رجل زوجتي عن المكان الذي يضع فيه احد الاسرة المزدوجة في المنزل الجديد٠ وبدا أنها لم تسمع السؤال، فقالت له بعد برهة: "ماذا؟ انا آسفة٠ ولا بد انني كنت افكر في شيء آخر"٠ فالى اين شتت بها الافكار؟ ترى هل عادت الى العهد السعيد الذي قضيناه في هذا المنزل؟ ام الى المواقف الحزينة في لحظات الوداع وهنيهات القلق؟ ام الى الايام الهنيئة الهادئة؟ ام الى اللحظات الغاضبة الثائرة؟

الغرف العارية ـ ومللت استعراض قطع الاثاث تتوالى امام ناظري، فرحت اتجول في المنزل٠ ورأيت قاعة الجلوس خالية عارية الا من السجادة، ورفوف الكتب فارغة تماما٠ وخطر لي انه لو قيض لي الآن ان أعيد الكتب الى رفوفها، لاستطعت ان اعطي لكل كتاب موضعه الصحيح٠ ولكن كيف يمكنني ان اترك لمثل هذه الافكار ان تراود خاطري؟

وفي ليالي الشتاء كنا نجلس معا امام المدفأة المتقدة، ونزيح كلا مقعدينا الى مقربة من النار حيث كان يطيب لنا الجلوس وتحلو القراءة، ونستمتع بمشهد اللهب المتأجج٠

وأخذت جدران القاعة تردد صدى الذكريات الطيبة٠ فلقد كانت القاعة ملتقى الاصدقاء ومجمع الاصفياء٠ سقى الله تلك الايام المليئة بالعيش الرغيد حيث كانت الكلمات والنظرات تتدفق بالدفء والوداد٠

وقد الفت كتابا هناك، في تلك الغرفة المنحرفة عن غرفة نومنا٠ ولم اعد اجد فيها الآلة الطابعة التي استخدمتها آنذاك، اذ رزمت ونقلت مع باقي الاثاث، كما صرت مخطوطة الكتاب نفسها وألقيت ارضا مع الاشياء التافهة٠ وعما قليل سيجيء احد الرجال لينتشلها وينقلها مع الحمولة٠ ثم وجدت نفسي امام غرفة نومنا، فتذكرت ليالي الصفاء والحب، وليالي القلق والتوتر، وليالي المطر المنهمر فوق سطح المنزل والمنجرف فوق الزجاج كالموج المتكسر، وليالي الاستلقاء المريح واجالة الطرف في نجوم السماء، وصدى نباح الكلاب في اعماق الوادي او خوار البقر في وحشة الليل، بينما اتبادل مع زوجتي عبارات الرقة والحنان، وترقد كلبتنا المسنة على الارض عند قدمي السرير، ويصدر عنها احيانا نباح اجش خفيض وكأنها تتذكر الماضي القريب ابان الصيد وتنتفض ساقاها ارتعاشا فندرك انها تمسك بالطريدة٠ وتذكرت كذلك الليالي الكئيبة لدى مرض احد المقربين الاعزاء او ارتحاله الى بلاد نائية٠ وها هي غرفة نومنا - أقرب الأمكنة الى قلبينا - ينقل السرير منها الآن ويفرغ المختلى، ولا يبقى هناك سوى قطع طفيفة٠

وواصلت جولتي داخل المنزل٠ أما زوجتي فقد عدلت عن الدخول واكتفت بالقاء نظرتها الاخيرة على الغرف عندما كان كل شيء في موضعه٠ ورغبت ان تفعل ذلك بمفردها، كما لو

انها كانت تريد ان تحتفظ في مخيلتها بالبيت وهو مكتمل الاوصاف.

الأحفاد والجدة — وذهبت الى المطبخ حيث توقفت الثلاجة عن الطنين وفرغت الرفوف من الاكواب الزجاجية والاطباق والآنية الفضية والصينية والفخارية ومتبلات الطعام التي حزمت كلها ونقلت. وبدا المطبخ قاحلا بعدما كان زاخرا بالحياة. وخلا الفرن من كل شيء، فتذكرت تلك الأيام البهيجة عندما كنت ارى الديوك الرومية تكتسي لونها الذهبي الادكن في داخل الفرن، واسمع قرقرة الخضر وهي تطهى على الموقد. واحاول الآن ان اشم رائحة الطبخ فلا استنشق شيئا على الاطلاق في هذا الهواء الفاتر الذي تعوزه الحياة. كما انني لم اعد اسمع صوت الاحفاد يمطرون جدتهم اسئلة ملحة عن موعد تناول العشاء.

وخارج باب المطبخ، هناك حديقة بتي التي ذوت فيها سيقان الطماطم (البندورة) من جراء الصقيع القارس في تلك الليلة. كما اجهز الصقيع على خضر اخرى ما عدا زهور الاقحوان التي كان بعضها ذهبيا وبعضها اصفر، وكانت تنعكس عليها اشعة شمس الخريف الخافتة. ولكن لن يطول ذلك سوى لحظة يليها دور ارتحالها هي الاخرى. وتملكتني عند ذاك فكرة الزوال، فرددت في نفسي ان كل شيء مآله الفناء عاجلا او جلا، وأن لا دوام ولا خلود، في هذه الدنيا على الاقل.

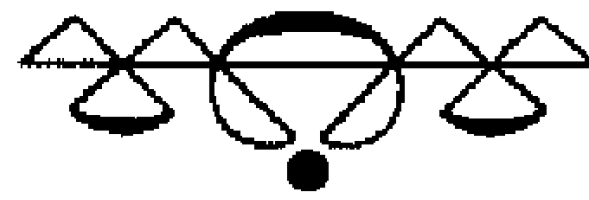
وابتعدت عن حديقة زوجتي، فرأيت تعاريش الزهر التي اقمتها بنفسي. فقد وضعت الاعمدة داخل الاسمنت حتى لا يتسرب اليها الماء ويتلفها العفن. وبعد ذلك اشترت بتي شتل الورد، وحفرنا عددا من الثقوب وسكبنا فيها بعض الماء واضفنا كمية من السماد ثم غرسنا الشتل وطمرناه بالتراب. وقد احاطت بتي هذا العمل بالرقة والحنان، كأم تضع رضيعها للمرة الأولى في مهده. واينع الشتل ونما. وهل كان ممكنا عكس ذلك؟ وبرزت البراعم الاولى ولم تلبث ان تفتحت عن ورود حمراء وبرتقالية وصفراء، شبيهة بالوان اشعة الشمس ساعة الغروب التي طالما استثارت أعجابنا ونحن نتابع مسيرها من هذا المنزل.

ورد آخر الصيف — اما الآن فقد اصطبغت اوراق الشتل باللون البني. ولكن ما ان تتعرض الوردة للضياء حتى تشرق الحياة فيها من جديد وتستدير بوجهها نحو الشمس الشاحبة. وفكرت لحظة في اقتطافها لكي اقدمها الى زوجتي. غير اني احجمت، وقررت ان اتركها تتشبث بنضارة الحياة على غصنها الطري المزدهر الى ان يحين قريبا موعد زوالها.

وجالت فكرة اخرى في خاطري: ان هذا اللون الاحمر القاني يرمز الى الموت، بل الى الحياة، الحياة التي تتحدى الفناء. فعلى رغم براثن الصقيع، فأن تلك الوردة التي فكرت في اقتطافها ستزدهر من جديد، ليس الآن وانما في فصل الربيع. ولن نكون هنا، انا وزوجتي، في هذا المكان المحبوب، لكي نراها. سنكون عندئذ في منزلنا الجديد، حيث سنشهد ربيعنا في بقعة اخرى مختلفة،

ويكون اشراقه بمثابة فجر جديد لنا ·
وتوجهت نحو الباب الرئيسي ، ورأيت ان زوجتي لا تزال واقفة هناك· ولامس كتفي كتفها ويدي يدها ، ووقفنا جنبا الى جنب مثل قدامى المحاربين·
وخرج رجل من المنزل ، منزلنا · وقال انهم فرغوا من نقل كل شيء· لقد امسى المنزل خاويا ، وكأنه ليس منزلنا بعد الآن· ولكن ما عسى ان تصبح الذكريات ، ذكريات الايام الهنيئة؟ واطياف اعياد الميلاد الماضية؟ وفصول الصيف الخوالي؟ لا ··· لا يمكن نقل هذه المشاعر ايضا الى داخل العربة· انها ذكريات كامنة في اعماق قلوبنا وفي ارواحنا ·
الباب الموصد ـ وأقفل الرجل باب العربة الخلفي الضخم واشعل وقود المحرك· وعلا هدير السيارة ، واشار الينا رجل من داخلها قائلا : "سنراكم هناك" · وحرك السائق جهاز تعشيق التروس وانطلقت السيارة· وامسكت بيد زوجتي ، وخطونا ببطء في اتجاه سيارتنا · وهممت بالقاء نظرة اخيرة على المنزل·فطلبت اني زوجتي ان اعف عن ذلك ، وقالت :"لا تنظر الى الوراء" ·
ففتحت لها باب السيارة ، ولم يكن من عادتي ان افعل ذلك دائما · ولكن بدا لي من الملائم ان افعل الآن· ثم درت حول السيارة متجها الى مقعدي ، وابتعدنا عن منزلنا الخالي· واستقرت الكلبة المسنة في المقعد الخلفي وتنهدت تنهدا عميقا · وتساءلت عما اذا كان في امكاننا القاء نظرة اخيرة قبل الرحيل··· نظرة واحدة فقط·
رباه ، هل استطيع ان امتنع عن ذلك؟
وابتعدنا في وجهة المستقبل ، الى منزلنا الجديد الصغير · وتركنا وراءنا بابا موصدا ، باب المنزل القديم· وعما قليل سينفتح في وجهنا باب المنزل الآخر ، ونلج عتبته معا انا وزوجتي ، وندخله يدا بيد ·

■ جيمس ماكراكن



اجرى الزوج مكالمة هاتفية مع زوجته واعلمها بانه دعا رئيسه الى تناول طعام العشاء في المنزل·
وفي تمام الساعة الثامنة وصل الزوج منفردا ، فسألته زوجته التي ارتدت الملابس اللائقة لاستقبال الضيف الكريم:
ـ اين رئيسك؟
☐ انني آسف لقد كانت مزحة ، ولكنني سأجد ، ولا شك ، عشاء طيبا ، للمرة الاولى في حياتي ·

ج·س·

اسلم الابواب المقفلة هو الباب الذي يمكن تركه مفتوحا ·

(مثل صيني)


الأوراق الأخيرة
بقلم كورنيليوس
وكاترين ريان

الأوراق الأخيرة...

ما ان وصل كورنيليوس ريان الشاب من دبلن، حتى بدأ نشاطه كمخبر في ساحات المعارك في اوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، ثم اصبحت تلك الحرب موضوعا رئيسيا عالجه في انتاجه في كتبه الآتية: "اليوم الاطول" و"المعركة الاخيرة" و"جسر واحد بعيد"، التي لاقت كلها رواجا كبيرا. وكانت التحقيقات والبحوث اللازمة لهذه القصة الوثائقية، الاخيرة قد اكتملت، ولكن لم تكن كلمة واحدة كتبت حين نزلت الفاجعة بريان عام ١٩٧٠ وهو في الخمسين من عمره. عند ذاك عمدت ارملته كاترين الى استخدام الاشرطة والمذكرات التي كان ريان قد دون عليها تفاصيل نضاله بسرية طوال اربع سنوات ونصف سنة، مضيفة اليها ملاحظاتها الخاصة، لصياغة هذه القصة الحادة المثيرة عن البطولة الشخصية وعن تعاونهما الاخير.



كورنيليوس وكاترين ريان في المكتب حيث كان الاثنان يعملان·

كورنيليوس: في هذا الصباح الباكر في الصيف، كان مكتبي الواقع في مبنى من غرفة واحدة على مسافة ٣٠ مترا من منزلنا في كونتيكت مغمورا بالشمس والظلال، حتى ان مجموعة كبيرة من اشجار قائمة في الطرف الآخر من الزقاق عجزت عن حجب النور الذي راح يتدفق على الحديقة الصغيرة المسيجة خارج نوافذ مكتبي ويغمر غرفتي· وفي هذا النهار، كما في ايام اخرى مماثلة، كنت قد ادرت الكرسي بحيث استطيع ان ارى المناظر في الخارج· وكانت العادة ان تقع عيناي على منظر يمتد مسافة كيلومترات عبر التلال البعيدة·

اما هذه المرة فقد كانت المناظر ترتدي اهمية جديدة غير مألوفة· العالم في الخارج يضج بالحياة، اما في الداخل فلست متأكدا كثيرا مما يجري· في هذا الصباح الرائق يجب علي، كما أرى، ان ابدأ الاقرار بأني اموت·

في هذا النهار، نهار السبت الموافق ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٧٠، كانت الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار المقابل في الغرفة، تحدث صوتها المعتاد· الوقت هو الساعة ٦،١٣ صباحا· منذ قرابة ١٢ ساعة، اي في الساعة ٦،٣٥ من مساء امس، قال طبيب بارز من نيويورك، وهو

اختصاصي في المجاري البولية، لي ولزوجتي انني مصاب بسرطان البروستات في مرحلته الاولى.

انه سرطان على كل حال. وها اني في الساعات الاليمة هذه انطق هذه الكلمة للمرة الاولى بصوت عال.

ان التشخيص يغير كل شيء. وحولي في المكتب الان يبدو كل شيء في حياتي جديرا بالذكر. على الدرج رسم زوجتي كاترين الفتية، منذ ٤٠ عاما، تبسم لي من اطار فضي صغير. ومقابل ذلك صورة ولدينا جيف وفيكي. الوقت لا يطير. انه ينطلق بسرعة وعنف. لقد اخذت لهما هذه الصورة منذ تسع سنوات حين كان احدهما في السابعة والآخر في الرابعة. ذلك الطفل الصغير بوجهه واذنيه وجبهته البارزة الى حد، قد اختفى تحت كتلة ضخمة من الشعر القاسي. اما فيكي فلم تغير تصفيف شعرها خلال هذه السنوات كلها. وهو لا يزال يرتد من جبهتها الى الوراء، اصفر اللون كشعري من قبل. اما ذلك الوجه الصغير المستدير الممتلىء، فقد رق مع بلوغ سن المراهقة، كاشفا عن وجنتين بارزتين وجمال متزايد. وهناك كذلك مزاج او طبع، ولكن احب ان انظر اليه كأنه روح، لان ذلك كان فيّ ايضا.

وعلى الجدار، الى جانب الساعة، كانت صور حبيبة الي، لرؤساء دول، واصدقاء احبهم، وصحافيين زملاء. وعلى الطاولة المقابلة لدرجي اوسمة ولوحات منقوشة وميداليات. والى جانبي خوذتي وحقيبة الجندية التي كنت احملها على ظهري ومصورات جغرافية، وهي اشياء باقية لي من الحرب العالمية الثانية تثير الذكريات.

قبل اليوم كانت هذه الاشياء هي التي تزين مكتبي. اما الان فالسرطان هو الشيء الاقرب الي. وهو الذي يرافقني كيفما ذهبت.

احب ان اجنب كاترين والولدين كل شيء مستطاع. ولن اتمكن من معالجة هذا الموضوع بصراحة الا بواسطة هذا الشريط المسجل او مدونات اخفيها بين مواد لا ينظر فيها احد سواي.

وفي الساعات الطويلة التي تلت معرفتنا بالنبأ، بذلت جهدي في تبرير هذا الحكم. لكن القول بأني ساعيش ١٥ عاما آخر، او ان سيارة قد تدهسني بعد ظهر هذا النهار، لم يكن يجدي الا هنيهة واحدة.

وسرعان ما كنت اسمع صوت الطبيب ثانية.

يقول الطبيب ان املي الوحيد في "الشفاء" هو استئصال البروستات استئصالا جذريا: "ستكون عاجزا من حيث القدرة الجنسية. وهناك احتمال نسبته ٢٠ في المئة بان تكون عاجزا عن ضبط البول. واذا حدث هذا، فلا بد من ربط وعاء من مطاط لتلقي البول". ان الذي يقصده الطبيب بـ"الشفاء" هو انني سأحيا خمس سنوات بلا سرطان بعد العملية الجراحية.

الطبيب يريد ان اجري عملية استئصال البروستات في الاسبوع المقبل. هذه العجلة تخيفني. فقد كنت ،من الناحية المهنية، ارفض قبول اي معطيات تاريخية من غير التدقيق فيها حتى النهاية، جامعا كل الآراء والمقابلات المتعلقة بها.

والذي اعلمه هو ان السرطان قد يكون ترسخ الى حد لا تجدي معه الجراحة الجذرية. غير ان الطبيب يقدر ان المرض لا يزال محصورا في البروستات. ولنفترض ان ذلك غير صحيح. فما جدوى الجراحة؟

يجب ان اسمع آراء اخرى في هذا الشأن حتى ان كان الطبيب المختص في امراض المجاري البولية مصيبا. لا بد ان هناك في مكان ما في دنيا الطب، مصادر واحصاءات وعبارات تعوزني لتقدير احتمالات نجاتي كيما يتسنى لي بعد ذلك ان احدد المسلك الافضل الذي انتهجه.

الان اذكر امرا لعله اشد الامور شبها بالمأزق الذي اجدني فيه حاليا. في الحرب العالمية الثانية وجدت نفسي الى جانب دورية في حقل الغام. ولا استطيع ان اتذكر اني عرفت الخوف، آنذاك، كما لا اذكر اني شعرت بفيض كبير من الشجاعة. ولا فائدة من التأكيد على حقيقة اننا كنا عالقين في حقل ألغام وكان الهدف الوحيد ان نجتاز ذلك الحقل بأمان. والواقع اننا نجحنا جميعا في اجتيازه. وهذا يشهد على ان الحظ عامل كبير في الحياة. لكن الظاهر في هذه اللحظة ان حظي آخذ بالافول. انني في هذه المرة، كما في ايام الحرب تلك لا اعرف الخطوات التي تنقذني من هذه المحنة، وفي الوقت نفسه لا استطيع ان ابقى مسمرا في مكان واحد.

ولكن ربما مر علي في هذا المكان وقت طويل من دون ان ادري. الاشارة الاولى الى سوء حالي تنبهت اليها منذ اربعة اشهر. ومن المفترض انني كنت اموت خلال القسم الاكبر من هذه الفترة، في العام الخمسين من حياتي. لقد اقدمت على التلاعب بهذه الجمل القليلة الاخيرة. في هذه المرحلة الباكرة يمكن رفع الشعور بالشفقة على الذات الى الدرجة القصوى. ولا بد ان ذلك عائد الى الصدمة.

هنا بعوضة تطن حول الطاولة. ولعلها، ان لسعتني، تصاب بالسرطان.

العائلة المباشرة

كاترين: في المساء الذي سبق مباشرة كورنيليوس بتسجيل اشرطته السرية. كنت عائدة واياه من المدينة الى منزلنا بعدما امضى يومين ونصف يوم في المستشفى من اجل الفحوص الطبية. وقد افترضت بسذاجة انها فحوص عادية سوف تؤدي الى علاج لمرض البروستات الذي كان يعاني منه منذ بضعة اشهر. لكنها، عوضا عن ذلك، كشفت عن زحف السرطان المقيت.

لم نتبادل الحديث ونحن في طريق العودة بالسيارة نحو كونتيكت في الليل. فقد كنا منهكين من الناحية العاطفية، وكانت افكارنا متجهة الى السرطان، لا الى الطريق فتجاوزنا منعطفنا العادي، وبقينا نتابع السير في الطريق العام. وكان كورنيليوس هو الذي اكتشف الخطأ، فقال: "بحق السماء، اين نحن يا كاترين؟"

في الاحوال العادية، كان تأخرنا في المدينة او خطأنا بالنسبة الى المنعطف، امرين مثيرين وتافهين في الوقت نفسه. اما في يوم الجمعة ذاك، فكانا نكستين جديدتين في

يوم حافل بالكروب. وطوقت كورنيليوس بذراعي وبكيت بكاءً مراً.

فهزني بلطف وقال: "كفي عن هذا يا فتاتي الصغيرة".

وكانت انوار واجهة السيارة تحجب وجهه، اما صوته فكان متزنا ومنضبطا. وجعلتني رباطة جأشه هذه اشعر بالتفاؤل بعض لحظات سريعة. ثم ارتد الي حزني، فقلت: "اتمنى من صميم قلبي يا كورنيليوس لو ان هذا حدث لي لا لك".

ورأيت ابتسامة شاحبة على وجه كورنليوس الذي قال: "عديني بأنك لن تحسديني". فأجبته: "امنحك كل شيء آخر املكه".

ثم اضفت باصرار: "علينا ان نتقاسم هذا الذي ينزل علينا. ان ما يحل بك يحل بي ايضا. وانت كنت دائما تقول اننا فريق واحد".

ورد كورنيليوس: "نحن فعلا فريق واحد. على ان هناك، شئت ام ابيت، تغيرا في اصول هذه الرفقة". وقبل جبهتي واعطاني منديله لاجفف عيني، ثم ادار وجهة السيارة نحو البيت.

"العائلة المباشرة" - نحن الاقارب الاقربين الى المريض - للمرة الاولى منذ ١٧ عاما تقريبا اجتمعت باجيالها الثلاثة تحت سقف واحد: والدة كورنيليوس، اميلي وقد جاءت من دبلن (عاصمة ايرلندا) لتقضي اجازة معنا، ووالدي الذي جاء يزورنا من ولاية ايووا، ثم نحن الاربعة.

وعند وصولنا الى البيت بعد الساعة العاشرة ليلا بقليل، كان والدي واقفا في اسفل السلم الذي يؤدي الى غرفة الجلوس. وكان وجهه يعكس شيئا لا بد انه رآه في وجهينا.

وفي محاولة مضطربة لتجنب اللحظة المحتومة، مررت بجانب والدي مسرعة كالسهم، او كالشرارة المنطلقة، ثم رحت انتقل من غرفة الى غرفة وانا انثر الاعتذارات على تأخرنا في الوصول. والتقيت بولدينا، فسألتهما كيف قضيا يومهما. لكني لم انتظر منهما جوابا.

وتقدم والدي وشدني اليه، واجبرني على الوقوف في مكاني، وقال: "ما المسألة؟"

ورد كورنيليوس: "مرض خبيث".

هنا اندفعت اميلي، ام كورنيليوس، نحوه والقت ذراعيها حول خصره، ثم اخذت تبكي. وببطء وهدوء، ركعت على الارض وراحت تتلو الصلوات ابتهالا. وكثيرا ما كان كورنيليوس قد تكلم عن والدته مازحا ليقول انها "تقلق السماء" من اجل اولادها. ووقفت احدق اليها وانا لا أفهم ما يجري.

وبعد انقضاء بعض الوقت على ذلك، ذهبت الى غرفة النوم. وكان كورنيليوس يتكلم بالهاتف الى الدكتور باتريك نيليغان، الذي اصبح في الفترة الاخيرة صديقا أكثر منه طبيبا. وجلست اراقب زوجي: شعر آخذ بالشيب قليلا عند الصدغين، كتفان عريضتان، قوة جسم على نحافة، طريقة كلام جازمة منظمة - هذه كلها كانت صفات كورنيليوس بالذات. وهو لم يكن منحنيا ولا متجعد الجسم ولا أقل حيوية من ذي قبل. فكيف يمكن ان يكون مصابا بالسرطان؟ ذلك غير معقول.

وتركته وهو لا يزال يتكلم على الهاتف، وذهبت الى جناح ولدينا متسائلة عما اذا كانت كلمة "خبيث" عنت لهما شيئا. كانت فيكي، البالغة ١٣ عاما من العمر، جالسة على سريرها وفي حضنها طبق فيه عدد من قطع لعبة صور متقاطعة. وفي جوارها كان باب غرفة جيف مغلقا كالعادة، اذ فرض علينا منذ مدة ان نقرع بابه وننتظر حتى ندعى للدخول اليه.

وجلست الى جانب فيكي، وتحدثنا كيفما اتفق. قلت لها ان والدها كان في المستشفى وانه قد يعود اليه في وقت لاحق. فهزت برأسها قانعة بذلك في ما يبدو، ثم عادت الى لعبتها.

وقرعت باب غرفة جيف ووقفت خارجها في الممر انتظر. ثم قرعت الباب ثانية، فسألني ماذا اريد. فاجبت: "اريد ان اراك". وحين فتح الباب بعد دقائق قليلة، لم يكن في غرفته غير مصباح واحد مضاء، مما جعلها تبدو مظلمة كأنما ليس فيها ضوء ابدا. وكان ترتيب الملصقات المثيرة على جدران غرفته يجعلها تبدو بألوان قوس الغمام المتعددة التي توقظ الخوف في تلك العتمة الخفيفة. وجلست واخبرته كل شيء بعفوية. انه في السادسة عشرة، وله الحق في ان يعرف الحقيقة.

ولعلي كنت مخطئة في اطلاعه على النبأ بمثل هذه السرعة. فقد جلس وأصغى الي بكل بساطة. ولكن حين انتهيت من الكلام، بدا شديد البعد عني. ولست اعلم متى قام هذا الحاجز بيننا، لكنه هناك في اي حال، وخطأي في قيامه لا يقل عن خطأه.

لقد كانت ضغوط تأليف الكتب سيئة جدا على افراد العائلة كلها. فقد كنا، كورنيليوس وأنا، نبقى ساعات طويلة في عملنا في المكتب، ونهمل صرف الوقت الكافي مع ولدينا. ثم ان هذا النبأ الرهيب سيكون اشد اثرا في تغيير حياتنا. ولن يسهل في ما بعد ان نحتفظ حتى بهذهالعلاقة الهزيلة التي كانت لنا مع جيف في وقت كان يقضي فيه الواجب بكل وضوح تعزيزها بسرعة. وكان لا بد لنا جميعا من ان يساعد احدنا الآخر.

مخطط معركة

كورنيليوس: ينبغي ان احاول استعادة النظرة العامة الشاملة الى الامور، لتسجيل تبرير عقلاني على هذه الاشرطة. يجب ان اجتاز مرة ثانية هذا الحقل المزروع بالالغام، يقظا وسليما، كما حدث حين اجتزت حقل الالغام في الحرب العالمية الثانية.

كنت دائما احس بخوف بارد حين ينتهي البحث لوضع كتاب ما. كنت في الماضي استطيع ان اتفرغ للمهمة، ولا اتذمر، الا في ما ندر، من عدم التمكن من انجاز الكتاب. اما بالنسبة الى هذا الكتاب، فان "مفكرة الكاتب" لا تزال محفوظة منذ وقت طويل بحيث انني اصبت بالذعر. وقد بدأت الآن اعرف بعض السبب على الاقل: لا استطيع ان اموت و"جسر واحد بعيد" لم تتم كتابته.. ولكن كيف ابدأ الكتابة وسيف ديموكليس معلق فوق رأسي؟

كل شيء منظم وجاهز. لقد رتبت كاترين كل مقابلة عسكرية، بدءا من رجال قيادة الفرقة الى الجنود في

مستوى الانفار. هناك خمسة ملفات سوداء ضخمة، موزعة على كل من الهولنديين والالمان والامريكيين والبريطانيين والبولونيين، وهي موضوعة على طاولتي. وقد ضمنت كاترين كل ملف خير سرد للعمليات واشارت الى جميع ذوي العلاقة باي حادث ايا كان الملف.

ثم ان سكرتيرتي،آن بارديناهاغن، تأكدت، المرة تلو الاخرى، من صحة كتابة اسماء الرجال والنساء ممن جرت مقابلتهم او ارسلوا اي معلومات. وان مصورات الشوارع في مدن آيندوفن ونييمغن وآرنهيم الهولندية، كما كانت عام ١٩٤٤، جاهزة لتعليقها على اللوحة التي تحتل نصف جدار المكتب. ثم ان المذكرات والرسائل العسكرية موضوعة بترتيب اليوم والساعة. وكل شيء جاهز للعمل، ما عداي. فبعد هذه الاشهر الطويلة، لا يزال علي ان اكتب ولو جملة افتتاحية مرضية.

ان كلامي لذاتي عن هذه المسألة اخذ يفيدني. فقد بت احسب انني اعرف ماذا يجب ان افعل: يجب ان اجري تحقيقا حول السرطان كما اجري بحثا من اجل تأليف كتاب. لا يمكنني ان اعتمد كلمة طبيب واحد فقط، ولا بد لي من الوصول الى السلطات الطبية العليا. لا بد ان اكتشف بنفسي اين يجري البحث الاكثر تقدما حول السرطان. ثم علي مع ذلك ان اضع كتابي. ليس في امكاني ان أدع السرطان يقضي علي قبل اتمام معرفتي به وانجاز عملي بالنسبة الى الكتاب الجديد. ينبغي علي ان اواصل السير، حتى ولو كانت العقبات تعترضني. ولا بد انني منتصر بطريقة ما، على نحو ما... لا بد انني منتصر.

الاحد، ٢٦ يوليو (تموز). دونت على سجل اصفر رسمي المقررات التي لا بد من اتخاذها على وجه السرعة. أولها، طبعا، استئصال البروستات. والدكتور باتريك نيليغان هو الذي سيتولى اجراء العملية شرط ان ينصح بها طبيبان او ثلاثة اطباء من الاختصاصيين في المجاري البولية.

والأمر الثاني الذي ينبغي تقريره هو من اخبر، وماذا اخبره. لدي زملاء وناشرون من ناحية، واصدقاء من ناحية اخرى. وهناك سؤال واحد ينطبق عليهم جميعا، وهو: كيف سيتلقون النبأ حين اطلعهم عليه؟ احسست فجأة بوجوب وقاية نفسي والمحافظة على سمعتي. ان كلمة "سرطان" تثير الخوف نفسه الذي يشل كالجزام او الطاعون.

والنقطة الثالثة المدونة في السجل الرسمي هي "رحلة صيد السمك". وهي الوحيدة التي لا علامة استفهام امامها.

كان ذلك منذ اعوام ثلاثة حين اصطدت في نهر التا على مسافة ٤٠٠ كيلومتر شمال دائرة القطب الشمالي، وهو اروع مكان اصطاد فيه. وكانت هناك مجموعات كبيرة من شجر الصنوبر والبتولا تغطي الضفتين وتلال صوانية ترتفع في الفضاء في امكنة اخرى. وكانت المياه بيضاء وتحدث صخبا عند الشلالات، وسوداء وهادئة في البرك العميقة حيث يعيش سمك السلمون. واذا كان مستبعدا، لسوء حظي، ان ارى نهر التا ثانية،

فان ذلك ادعى لوجوب ذهابي اليه٠
وحين اصل الى اوسلو، في المرحلة الاولى من رحلتي الى نهر التا، سوف ابدأ بالتعرف الى امكنة وجود الاختصاصيين الاوروبيين البارزين في المجاري البولية، حتى اذا حصلت على اسمين او ثلاثة اسماء لاطباء كبار، تمكنت من ترتيب مقابلتهم٠ الدكتور باتريك نيليغان يتولى اليوم جمع الصور لاعراض المرض كي احملها معي اذا قررت مقابلة اطباء اوروبيين٠ وكان قد بدأ سابقا االبحث عن اطباء في هذه البلاد، وهو سيحدد لي مواعيد لمقابلتهم خلال رحلتي٠ وقد بدأنا الاعداد لذلك٠

لقد جلت العالم خلال ٤٠ عاما، ابحث، واقابل الآخرين، واضع التقارير٠ وكنت احقق هذه الاعمال كأي شخص آخر٠ اما ان يقوم ريان بالتحقيق في شأن اصابة ريان نفسه بالسرطان فامر غريب جدا، يتضح معه على الفور وجود نقطة ضعف واحدة، وهي ان علي ان احافظ على الحد الاقصى من الموضوعية والتجرد اللذين لم اشعر بهما ابدا وانا اعد كتبي٠

هذه المعركة التي سأتولى التحقيق في شأنها لم تقع منذ ٢٥ عاما٠ ولا وقت لمطالعة خلفياتها وجمع الاحصاءات حولها خلال عدد من السنين٠ انها معركة فورية٠ ومعرفتي بقوة العدو وتحركاته المحتملة ضئيلة جدا الى حد يرثى له٠

الوالد والابن

كاترين: في الثالث من اغسطس (آب) عاد كورنيليوس من اوروبا٠ كان الطقس الرديء في نهر ألتا قد

اجبره على اختصار رحلة الصيد. ولدى عودته من "نهر السلمون"، كان يغلق عليه باب حجرته في الفندق في اوسلو ويتصل هاتفيا بمركز بحث بعد الآخر، وكان سؤاله الرئيسي: "اين يجري البحث الاكثر تطورا حول سرطان البروستات، ومن يجريه؟"

وكان ستة أشخاص من أصل ١١ شخصاً تحدث اليهم، ذكروا مؤسستين وطبيبين اختصاصيين. والاسماء هي: مركز سلون كيثيرنغ التذكاري للسرطان في مدينة نيويورك والدكتور ويليت ف. ويتمور (الابن)، ثم مؤسسة برادي للمجاري البولية في مستشفى جونز هوبكنز (ولاية بالتيمور والدكتور هيو ج. جويت. وكتب في ما بعد يقول: "كان علي ان اذهب الى اوروبا لاجد ان اثنين من ابرز الخبراء موجودان في بلادي".

وكان الدكتور باتريك نيليغان هيأ لكورنيليوس ولي مقابلة مع الدكتور وورد في نيويورك في الخامس من اغسطس (آب).

كورنيليوس: لم يؤكد الدكتور وورد التشخيص الذي توصل اليه طبيب المجاري البولية الاول فحسب، ولكن صرح عن ظنه بان السرطان ليس محصورا في البروستات، بل لعله امتد الى خارج هذه الغدة.

ووضع الطبيب لنا رسما ايضاحيا للبروستات بدت فيه هذه الغدة، من حيث الشكل والحجم، شديدة الشبه بحبة الكستناء، وتزن نحو ٢٠ غراما. وهي تستند الى جزء من المخرج، مما يتيح فحصها أحيانا باصبع ملفوفة بقفازه ثم ان الغدة كلها مغلفة بغطاء ليفي رقيق متين، يسمى "الغشاء البروستاتي". وفي تقدير الدكتور وورد ان السرطان تسرب عبر هذا الغشاء الرقيق الذي لا يرى الا بالمجهر.

ثم نظر الي مباشرة وقال: "اذا كان الامر كذلك فليس في رأيي ما يبرر عملية استئصال البروستات".

ويرى الدكتور وورد في" نموذجا جيدا للمعالجة بواسطة الهورمون. ولئن كان هورمون الذكورة، او التستوستيرون، يثير البروستات، فان هورمون الانوثة، او الاستروجين، يستطيع ان يقلص الغدة ويحول دون نشاطها. وبواسطة الاستروجين يمكن حصر السرطان ومنعه من الامتداد فترة طويلة.

ولدي الآن رأيان - وجهتا نظر متناقضتان تماما. وقد قلت للدكتور وورد: "اظن ان علي مواصلة البحث. فهل ترى ان هناك أحدا يجب ان اجتمع به؟"

فأجاب عن اقتناع: "بالتأكيد. وهناك طبيبان في ذهني: الاول هو الدكتور هيو جويت من مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور، والثاني هو الدكتور ويليت ويتمور من المركز التذكاري". وهما الطبيبان نفسهما اللذان سمعت بهما مرارا في اوروبا.

وكانت فكرة حرماني من رؤية ولدي" (بعد الوفاة) تراودني أكثر من اي شيء آخر. كان يصعب علي ان اواجه عدم رؤيتهما يزدادان طولا وينضجان ويكبران ويشقان طريقهما.

افكر في ابنتي فيكي وفي الرجال الذين سيتجمعون حولها ذات يوم. افكر في احتفال زواجها الذي لن احضره ولا ريب، في حين كان يجب

ان اسير بجانبها في احد اروقة الكنيسة، وشعرها مصفف كالفضة، وزينتها ناعمة وجمالها بالغ حد الروعة. ذلك الغريب الذي لا بد ان يأتيها ذات يوم، هل يعرف فيكتوريا حق المعرفة؟ هل يستطيع ان يكون كأبيها حبا لها، ويوفر لها حماية كحمايته ويشجعها في مطامحها؟

وهناك جيف، ابني الوحيد. انه شديد الانطواء على ذاته. وهو بلغ السن التي تكون فيها العائلة اقل اهمية، الى حد بعيد، من الاصدقاء وقد كنا، انا ووالدته، منشغلين في المكتب كثيرا وباستمرار. وكنا نتوقع من ولدينا ان ينظرا الى العمل واللعب، كما ينظر الكبار اليهما. وكنت اظن في بعض الاحيان اننا قضينا على الحنان والحب اللذين لدى الولد نحونا باصدار الاوامر والتوجيهات واحدا بعد آخر.

لقد تحادثت واياه هذا النهار. وكان الحديث ذا فائدة لنا معا. غير ان جيف كان صلبا لا يلين كالصخر، وكانت عيناه تتقدان بعاطفة شديدة الشبه بالازدراء.

ونزل الى المكتب وقد غلب عليه النعاس. وكان اشعث الشعر ويرتدي قميص صوف طويلة وسروال جينز في هذا الطقس الحار البالغ اليوم ٣٧ درجة مئوية. ويبدو انه ليس في حال حسنة. فهو شديد الشحوب، وحول عينيه خطوط حمراء. وكان يتنشق كثيرا منعا لسيلان أنفه. فناولته منديلي قائلا:

- انفخ انفك فيه. هل انت مصاب برشح او سواه؟

فرد جيف: "كلا. لست مصابا بالرشح ولا بأي سوء".

- انتبه يا جيف، هل نستطيع ان نتحادث؟

فقال: "طبعا. حديثنا هو ان تحاضر وان اصغي". ثم انحنى واضاف: "الق محاضرتك".

واخبرته بنبأ السرطان، عارفا ان كاترين كانت قد نقلت اليه الخبر، ومتمنيا لو انها تركت الامر لي. ثم قلت: "لا بد من ان تكون ظننتني غبيا فعلا لو لم اذكر ذلك لك".

ورد جيف:

- كلا. لم اظن ابدا انك غبي.

- حسنا. ان كل ما استطيع قوله لك هو اني ابذل جهدي لمعرفة كل شيء عن هذا المرض. فأنا لن انهزم امامه. وهذه العائلة لن تنهزم امام اي شيء".

فرد جيف بملل: "أنا أعرف ذلك. ولا أزال أسمع هذا الكلام طوال حياتي".

وهنا غيرت موضوع الحديث. "تقول والدتك ان بعض الاصدقاء جاؤوك في الليلة السابقة ليوم مولدك، وانكم خيمتم في الغابة. وهي كانت قلقة الى حد، لا بسبب التخييم في العراء، ولكن لانها لم تكن تعرف هؤلاء الاصدقاء كما لم تكن مرتاحة الى نظراتهم".

ورد بصوت قاس مرير: "انها حقا متكبرة. فماذا تلبس لدى التخييم في العراء؟ سروالا رمادي اللون وقميصا وربطة عنق؟" وهنا عطس مرة اخرى ومسح أنفه بطرف كمه.

"ماذا بك بحق السماء؟ لقد اعطيتك منديلي، فاستعمله. هل لك ان تخبرني عن سبب ارتدائك قميص

الصوف في هذه الموجة من الحر؟"

وفجأة شعرت بالخوف الشديد عليه. فامسكته بذراعه وأزحت كمه الى الوراء. فجلس هادئا بلا حراك، ثم راح يحدق بي وقال:

- انظر يا رجل. لا أثر لوخز الابر. أهذا ما تسعى اليه؟

- اريد ان اعرف لماذا تبدو كأنك مصاب بالرشح؟ ولماذا ترتدي هذه الثياب في طقس حار كهذا؟ ولماذا انت كسول وغير مبال طوال الوقت؟ ولماذا لا تبارح البيت؟

فقال جيف: "وأيضا لماذا لا اكون مثلك؟ هذا ما يقلقك في الواقع. اليس كذلك؟"

ولم أكن اريد ان يكون مثلي، لأن هذا يعني السرطان. وسألته: "جيف، هل تتناول مخدرات؟"

فضحك ثم نهض عن الكرسي واتجه خارج الغرفة وهو يقول: "لك أن تظن ما شئت".

ولا أزال جالسا هنا منذ ذلك الوقت، مرغما نفسي على التفكير في الامر من خلال تسجيله على شريط. واذا كان جيف يتعاطى المخدرات، فعلي ان اوقفه عن ذلك. وربما كان كل ما يقلقه لا يعدو كونه امتعاضا مكبوتا، ولكن لا شك في انه تغيّر. ولئن كان أحسن ما في حياتي ولّى وزال، فهو لا يزال في بداية الطريق. ومهما يكن الامر، فلا استطيع ان اقف مكتوف اليدين وأنا أراه يتحطم.

إني عائد اليه

كاترين: نهار الاربعاء، ١٢ اغسطس (آب). ذهبنا، كورنيليوس وانا، بالسيارة الى نيويورك للمقابلة المحددة مع الدكتور ويتمور. ورفع الطبيب الصور بعناية وقال: "انه سرطان غدة البروستات بالتأكيد. وقد امتد بين اغشية الاعصاب، مما يعني اصابة الياف الاعصاب في المنطقة الواقعة بين وعاء الخصيتين والشرج".

وسأله كورنيليوس: "ماذا علي ان أفعل في رأيك؟" فابتسم ويتمور وقال: "لا شيء على الاطلاق". ثم تابع كلامه: "دعني اشرح لك ذلك.

"لعلي اجريت من عمليات استئصال البروستات اكثر مما اجراه اي طبيب آخر في البلاد باستثناء الدكتور جويت في بالتيمور. الا انها كثيرا ما تسفر عن تعقيدات جراحية ووفيات تفوق ما يسببه السرطان نفسه. لقد اصبحت الآن انزع الى فكرة دراسة تطور خلايا السرطان في الشخص بالذات. في بعض الاحوال تتكاثر الخلية الخبيثة في البروستات او تمتد بحيث تتضاعف كل سنتين. وفي احوال اخرى يتم ذلك كل يومين او كل بضعة اشهر. وقبل معرفة نسبة النمو عند الفرد المعني، لا أنزع الى فعل اي شيء باستثناء الفحوص المنتظمة".

وهنا قال كورنيليوس: "مثل هذا الخبر من شأنه ان يؤدي الى تحرير الانسان واسعاده معا. على انه يبقى شعور مزعج بأن السرطان قد يكون مستمرا في امتداده. ولا اعرف ما اذا كان في امكاني ان احيا في ظل هذا القلق وان اركز على كتابة الكتاب. ماذا تفعل اذا جاء وقت تبين لك فيه انه لا بد من عمل شيء ما؟"

فأجاب ويتمور: "في هذه الحال تعالج بالهورمونات التي توقف

الامتداد الى حد ما". وتوقف عن الكلام قليلا ثم أضاف:

"هناك ايضا طريقة علاج ثالثة وهي طريقة ابتكرناها هنا بزرع ذرات الاشعاع في البروستات. ومن شأن هذه الذرات ان تعمل على تقليص الغدة والقضاء على نسبة عالية جدا من خلايا السرطان في وقت واحد. وقد بدأنا هذا النوع الخاص من المعالجة منذ نحو ثلاث سنوات فقط، وهي فترة قصيرة جدا بالنسبة الي وغير كافية لكي اؤكد، ولو الى حد بسيط، انها طريقة ناجحة في معظم الاحوال. ومع ذلك، فاني أطلب منك، اذا لزم الامر، ان تفكر في هذه الاساليب".

كورنيليوس: لما كان لا بد من ذلك، فقد كنت احاول ان اشرع في الكتاب. لقد كتبت نحو ٣٠ صفحة وقمت بما يقرب من ٤٠٠ محاولة مخفقة لوضع الجملة الاولى. اعرف كيف اريد ان استهل الكتاب، ولكن يبدو انني اعجز عن تدوين ذلك على الورق. لقد سجلت العبارة الآتية: "ظلمة سبتمبر (ايلول) الرقيقة وضباب الصباح الباكر". وكتبت عبارة عادية بسيطة هي: "شيء ما كان مختلفا". ووضعت عبارة اخرى أكثر التواء هي: "شيء ما كان مختلفا بصورة غريبة". لكني اريد جملة اولى جازمة رنانة، تشد القارىء شداً وتحمله على مواصلة القراءة.

الثاني من سبتمر (ايلول) ١٩٧٠. بسبب ما جرى امس كانت تتملكنا موجة لطيفة من التفاؤل. والرجل المسؤول عن تحسن حالنا هو الدكتور هيو ج. جويت.

كنت واثقا من انه سيشير باستئصال البروستات. غير انه رأى ان الحد الذي بلغه الورم السرطاني في حالتي يجعل استئصال البروستات امرا مستحيلا. وكان رأي الدكتور جويت ان الطريقة المثلى لمعالجة حالتي السرطانية هي تلك التي تستخدم قذف النسيج المصاب بجزيئات تحت النووية بواسطة آلة تسمى "المسرّع الخطوطي". وصعقني ذلك اذ لم اكن سمعت بمثل هذا العلاج.

والطبيب الذي اشار علي به هو الدكتور مالكولم باغشو، مدير قسم العلاج بالاشعة في مستشفى جامعة ستانفورد في بالو ألتو (كاليفورنيا). ولدى الدكتور باغشو احصاءات مجموعة خلال عشر سنوات، تدل على انه استطاع القضاء على الخلايا الخبيثة بهذه الوسيلة. وكان الدكتور جويت يشعر بأن هذه الطريقة قد تضمن النجاح الكامل. فسألته: "ما معنى النجاح الكامل؟ هل يشير الى عدد من السنين، ام يعني اني اتخلص من السرطان الى الأبد؟"

وجاء جواب الطبيب في شكل سؤال هادىء: "حسنا! ما رأيك في اطالة حياتك سنوات كثيرة؟"

وشعرت في تلك اللحظة، ولا ازال اشعر حتى الآن، انني حصلت على هذه السنوات الجديدة.

الجمعة، التاسع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠. انا في الطائرة متوجها الى بيتي. لم اكن اريد ان اسجل ما عرفته على شريط. لم تكن لدي رغبة في التحدث عن مشاعري حتى الى هذه الآلة الجامدة. لا شيء

اسوأ من ان يشفق المرء على نفسه، لكن ذلك هو كل ما تبقى لي. بل بقي لي شيء واحد اخر هو الغضب من القدر.

يوم الاثنين ذهبت الى سان فرنسيسكو بالطائرة. وفي اليوم التالي قطعت بالسيارة مسافة ٥٥ كيلومترا لمقابلة باغشو. وبعدما فحصني، شرح لي علاج "المسرّع الخطوطي". قال انه يحدد مكان الورم ثم يعرّض النسيج المعني فقط للاشعاع. ويقف المريض على طاولة تدور دورة كاملة من ٣٦٠ درجة، ويعطى ١٥٠ - ٢٠٠ دفقة شعاعية عادة في اليوم، الى ان يبلغ المجموع ٧٥٠٠ دفقة.

وفي الصباح التالي تم تصويري على اشعة أكس من رأسي حتى قدمي. وأدخل نظير اشعاعي الفاعلية في الوريد وراحت الصفائح تصوره وهو يسري في الجسم ليبين ما اذا كان السرطان موجودا في اي مكان من العظام. وبعد ذلك جرى فحص مدى الانتشار لمعرفة ما اذا كان السرطان قد امتد او انتقل الى اعضاء اخرى غير البروستات. ثم صور الغشاء اللمفاوي لتحديد حاله وحال المفاصل في جسمي.

وبلغني يوم الخميس نبأ مفجع، وهو ان عقدتين لمفاويتين على جهتي البروستات دلتا كل الدلالة على انهما في حال "غير طبيعية". وهذا يحتم،

قبل المعالجة بالاشعاع، اجراء جراحة لاستئصال قطعة من العقدة وفحصها مجهريا ليتقرر بعد ذلك ما اذا كان الورم خبيثا. وسألت عن معنى هذا كله، فاعترف الدكتور باغشو بقوله ان الخبث في العقد المفصلية مميت حقا. وسألته: "كم من الوقت يعطيني ذلك؟" فأجاب: "نحو ثلاث سنوات".

ورحت اتخبط في خضم من التردد، وكنت افكر في كتاب "جسر واحد بعيد" باستمرار. ولم اكن استطيع العمل على مادة الكتاب على نحو متقطع، كما كان من المستحيل ان انقل المادة كلها الى كاليفورنيا. ثم انه يتعذر علي نقل عائلتي الى كاليفورنيا ايضا، مقتلعا أياها من بيئتها طوال الوقت الذي تستغرقه معالجتي لدى الدكتور باغشو.

كاترين : الساعة الثامنة تقريبا من مساء الجمعة. كورنيليوس عاد الى المنزل، لكنه فاقد نشاطه وحماسته العاديين كليا، وفي وجهه نظرة ألم. وسألني ان اخبر بات نيليغان بأننا متوجهان اليه.

وحمل كورنيليوس حقيبته الى الدكتور نيليغان وفيها نسخ افلام العقد اللمفاوية، وقال: "لا بد من العناية بالعقد اللمفاوية. الا انني افضل اتخاذ القرار بشأنها هنا مع الناس الذين احبهم، وليس حيث اكون وحدي. وأرجوك يا بات ان تتصل بالدكتور ويتمور هاتفيا وتعلمه بأني متوجه اليه نهار الاثنين. واي شيء ينبغي ان يعمل، يجب عمله هنا في نيويورك، وبواسطته".

جراحة

كاترين : في سجل المواعيد الخاص، دون كورنيليوس في ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ما يأتي: "رأيت ويتمور اليوم. تقرر اجراء العملية". وهو يقول في اشرطة التسجيل:

"تقرر ان اذهب الى مركز سلون كيتيرنغ التذكاري لاجراء عملية تتألف من فحص دقيق للمنطقة بكاملها: فحص للعقد للتأكد مما اذا كانت اصابتها خبيثة، واستئصالها اذا كانت كذلك، ثم زرع ذرات اشعاعية، تحتوي على يود اشعاعي الفاعلية (١-١٢٥)، في البروستات بالذات. انها جراحة رئيسية. ومن يدري ما اذا كانت اي خطوة منها ستنجح؟ لكني سأخضع لها بكاملها على كل حال".

ودعي باتريك نيليغان من قبل الدكتور ويتمور لحضور العملية. وفي منزل آل نيليغان كتبت شيئا وطلبت من باتريك ان يعطيه لكورنيليوس. كنت أعلم ان احد المقاطع الحبيبة الى كورنيليوس في مؤلفه "اليوم الاطول" كان يتناول التحليقات الجوية قبيل فجر يوم الغزو، يوم السادس من يونيو (حزيران) ١٩٤٤، حين كانت حاملات المظليين تحوم فوق الاسطول الضخم الذي ينقل المشاة الى السواحل. وكان قد عمل على هذا المقطع نحو اسبوع قبل شعوره بالارتياح اليه. ونقلت هذا المقطع مما كان عالقا في ذاكرتي.

وتليت رسالتي على كورنيليوس قبيل نقله على عربة الى غرفة العمليات. كان هادئا يغلب عليه النعاس، لكنه قال لباتريك: "انها مخطئة في روايتها". ثم اخذ يتلو من

ذاكرته: "... كان رجال الاسطول الغازي يسمعون اصوات الطائرات. موجة اثر موجة كانت تمر فوق رؤوسهم... لم يكن احد يستطيع ان ينبس ببنت شفة. وعندما كانت المجموعة الاخيرة من الطائرات تحلق في الجو، انطلق نور كهرماني خلال الغيوم نحو الاسطول تحته. وببطء لمع بريق على طريقة "مورس". ثلاث نقط ففاصلة صغيرة. "ن".، اي النصر".

وبقيت في المدينة عند اصدقاء لنا. وقرابة الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر رن جرس الهاتف وكان الدكتور نيليغان هناك يحب ان يراني. كان يبدو جاف الوجه، لكن كلماته الاولى انطلقت بسرعة: "لقد خرج من العملية في حال جيدة. له جسم قوي كالثور، الا انه ينام اعمق نوم بعد هذه الجراحة".

- وماذا بشأن العقد يا بات؟

فأغمض نيليغان عينيه، وبدا وجهه شاحبا الى درجة غريبة جدا. "كان هذا اليوم طويلا بالنسبة الينا جميعا يا كاترين. لكن صورة باغشو عن اللمفاويات كانت صحيحة. فالعقد مصابة، وكذلك غيرها، بحيث كان على ويتمور ان يعمل مبضعه".

وقلت: "ما يعني هذا الآن يا بات؟".

فرفع بات نظارتيه ثم فرك عينيه وقال: "آمل في ان يكونوا قد ازالوا القسم المصاب كله".

ولما كان كورنيليوس شديد الاهتمام بمعرفة ما تبقى له من الوقت، حاول ان يتعرف الى جميع الحقائق عن مرضه وعن علاجه، واجدا في هذه المعرفة الامل الوحيد لتنظيم حياته وقد كتب الدكتور باغشو: "لم يسبق ان صورت الورم اللمفاوي لاحد في مثل هذا الوقت الباكر من الاصابة. واحسب ان هذا يشجعنا على تصوير الاورام اللمفاوية في مراحل باكرة".

وكتب الدكتور ويتمور الى الدكتور باغشو يقول: "لقد قلبت الصورة اللمفاوية افكارنا بالنسبة الى هذا المريض.

وقال كورنيليوس نفسه معلقا على ذلك: "الولايات المتحدة بلاد غنية بالموارد الكبيرة والاموال المخصصة للبحث عن السرطان. ومع ذلك، لا سبيل للاطباء والاختصاصيين الى التعرف على كل ما يجري وهم يواصلون عملهم اليومي. ولا بد من وجود طريقة يستطيع معها الطبيب ان يدير رقما من الارقام فيتمكن دماغ الكتروني ان يبلغه على الفور ما يجري في حقل خاص من الحقول. كم من حياة كانت تنجو او تطول! وكم كان اقل كلفة للمريض لو استطاع الطبيب الاول الذي يقابله ان يخبره على الفور عن الخيارات المتوافرة له وامكنة توافرها".

يوم الخميس، ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول)، صرف كورنيليوس من المركز التذكاري وكان صعبا عليه ان يقبل واقع عجزه. لكنه قال لي: "لن الومك ابدا ان فعلت امرا يناسبك. ولكن ليبق ذلك مكتوما عني".

واوضحت له مشاعري نحوه على خير ما استطعت. كنت فخورة بزوجي، كان يشع حياة ويتدفق حماسة وتنبها على نحو لم اعهده قبلا

ممن عرفت. وان قيامي باي عمل غير وفي لعلاقتنا الزوجية سيؤدي، مهما بلغ من الحذر والتحفظ، الى هدم ما بنيناه معا والى تشويهه كذلك. لقد اقسمت ان احبه واخلص له في المرض والصحة على السواء، وان ابقى متعلقة به وحده. انها فلسفة مبسطة، او لعلها قديمة، ان نقول بأن الزمن يتغير، وان الناس يتغيرون كذلك، وان هناك اسبابا للافتراق او للطلاق. لكن الانسان، اذا كان موفقا، يبقى مشدودا الى فتنته الاولى. وأظن اني احببت زوجي في سنوات مرضه أكثر من اي وقت آخر في حياتنا الزوجة. والطريقة التي واجه بها مرضه، والشجاعة الشديدة التي قاومه بها، كانتا تقضيان على رغباتي بمقدار ما كان فخري به يتزايد.

وما ان صرف من المستشفى حتى ابدى كل استعداد لاستئناف نشاطه اليومي المألوف على الفور. في اليوم التالي نهض باكرا كالعادة، واستحم، وارتدى ثيابه ببطء، رافضا اي مساعدة في ذلك. وبعد تناول طعام فطور خفيف، اخذ يشق طريقه نحو المكتب بشيء من الألم. وكان حريصا على ان يتفحص كومة الرسائل التي تنتظره. وقد عمل طوال النهار في املاء الرسائل. ولم يذكر كلمة واحدة عن حاله. الا انه دون في مذكراته لذلك اليوم كلمتين عنيفتين شديدتي الوضوح: "الالم شديد". وكان هناك دواء لمعالجة هذا الالم، لكنه رفض أن يتناوله.

وفي ١١ ديسمبر (كانون الاول) عاد كورنيليوس فاجتمع بالدكتور ويتمور. وكان كورنيليوس يبدو في حال جيدة. فقد اندمل جرحه على وجه مرض. ووجد الطبيب عند فحص المخرج باصبعه ان البروستات كانت غير مختلفة نسبيا من حيث الحجم والشكل عما كانت عليه قبل العملية. وبدا الأمل آنذاك افضل مما كان عليه منذ اشهر. وكانت معنويات كورنيليوس عالية جدا.

ضغوط

كاترين : ظل كورنيليوس يعمل على كتابه بانتظام طوال ربيع ١٩٧١. وكان يجد ان الكتابة تجري ببطء مقلق ثم طلب منه، بالاضافة الى ذلك، عمل آخر، فقبل ان ينجزه بكل سرور. لقد طلبت فيكتوريا من والدها ان يساعد في اخراج مسرحية "اوليفر" الموسيقية في المدرسة. لم يكن كورنيليوس، وهو في السادسة عشرة من عمره في دبلن، اتقن العزف على الكمان فحسب، لكنه كان صاحب جوقة موسيقية خاصة به. وكان محبا للمسرح ايضا، فاخذ يصرف الساعات مترددا على مسرح "آبي" الشهير في دبلن، حتى ان الروايات كانت تعرض عليه (وكان يرفضها كلها رفضا قاطعا).

وبالاضافة الى ذلك، تعلم الرقص النقري الذي يتميز بالضرب على الارض ضربا قويا برؤوس الاقدام او بكعوبها. ومنذ ان تمكن ولدانا من المشي، اخذ كورنيليوس يصرف الساعات مع جيف وفيكي لتعليمهما خطوات الرقص بكثير من الصبر.

ولفترة زادت على الشهر، ظل كورنيليوس يغادر المكتب عند الساعة

الثانية والنصف بعد ظهر كل يوم ويذهب بسيارته الى مدرسة فيكي ليعنى بشؤون الرقص والاضاءة والموسيقى. وبعد الحلقة الاخيرة قدمت اليه المخرجة الشابة صفيحة فضية حفرت عليها العبارة الآتية المقتطفة من احدى الاغنيات: "اعتبر نفسك واحدا منا". وللمرة الاولى خانت الكلمات كورنيليوس، لكن هذه الصفيحة احتلت مكانا بارزا بين ممتلكاته العزيزة.

ومع عودتنا الى الحياة والعمل، كانت هناك مسألة رئيسية مهملة منذ زمن بعيد، تحملنا على القلق والخوف. فقد عمدت، على رغم كل النصائح الى غزو غرفة جيف، واكتشفت فيها اثباتا على ان ابننا كان يتعاطى شيئا آخر غير التبغ. وقابلته بما وجدته، فاعترف، وجرى بيننا حوار طويل عاصف. قلت له: "عليك ان تعدنا الآن بأن هذا الامر انتهى، او ان تغادر هذا البيت".

ونظر كورنيليوس نحوي محذرا، وهز برأسه. لكني قلت: "اني أعني ما اقول. لا اريده في هذا المنزل الا اذا استقام منذ هذه اللحظة. ثم استدرت الى جيف، وقلت وانا ارتجف غضبا: "والآن ماذا ستفعل؟".

وشتم ثم قال: "وماذا يمكن ان يكون الا ما تريدين؟" ثم اندفع بجانبي وصفع الباب بعنف حتى ان الرتاج اهتز بقوة هائلة.

كان لون وجه كورنيليوس مغبرا كالرماد. وادركت انه تكلم قليلا، ثم قال: "انك لن تطرديه". فاجبته، وكنت لا ازال حزينة غاضبة فضلا عما جدّ لدي من حقد مفاجىء: "قل لي كم من الوقت صرفت انت معه في هذه السنة الاخيرة؟" فأجاب كورنيليوس: "ليس هذا عدلا".

- لا عدل ابدا. الحياة غير عادلة. اني متعبة، بل مرهقة. لدي عملي هنا، بالاضافة الى العمل المستمر في شراء الحاجات من الدكاكين او الذهاب بالسيارة الى مدرسته او مدرسة فيكي لاجراء هذا العمل او ذاك. لقد سئمت جيف وتصرفه. سئمت ذلك كله.

اخيرا قال كورنيليوس: "لعلك انت، يا كاترين، هو الشخص الذي يجب ان يذهب قبل فوات الاوان. والسبب ان حياتنا لم تعد كما كانت، ولن تعود. وليس امامنا غير علامات استفهام".

وفي وقت متقدم من ذلك المساء زارنا في منزلنا صديقنا تيد سافورد الذي كان طبيب جيف ايضا. وقال لنا: "لا جديد في مثل هذا الامر بالنسبة الى المخدرات. والاسباب تختلف بين شاب وآخر. ونحن نتوقع الكثير منهم احيانا، ولكن يشتد الضغط عليهم ويعجزون عن التحمل. ومن المؤكد ان احد الضغوط التي واجهها جيف هو المرض الذي اصابك السنة الماضية ورغبته في ان تتخلص منه".

ووضع كورنيليوس يديه على وجهه وقال بصوت مخنوق: "السرطان. يا للسرطان اللعين. انه سيقتلنا جميعا".

ورفع يديه عن وجهه وكانت عيناه غاصتين بالدموع. ثم قال له "لعنة الله على هذا المرض. لن اسمح له بذلك. يجب علي ان انقذ ابني".

ومع مرور الايام اخذت احوال جيف

تتحسن فعلا. واخذ يؤلف قطعا موسيقية ويتعلم العزف على القيثار، كما راح يعمل في الكتابة والاخراج والادارة والتمثيل في مسرحية مدرسية حققت له جائزة. وبات حضوره في البيت ملحوظا اكثر فأكثر.

ليلة ماطرة

كاترين : كانت أيام عام ١٩٧١ تمر سراعا، وكان كورنيليوس يعمل بانتظام. لكن جهوده لم تكن مجدية في نظره. وكان يرمي صفحة بعد صفحة من النسخ المخطوطة في محاولته وضع االكتاب. ثم حدثت بعد ذلك مأس اخرى مفاجئة. فقرابة الساعة الحادية عشرة من صباح ١٥ اكتوبر (تشرين الاول)، شعرت بشيء حاد ثقيل يضغط على صدري، ثم بخدر مؤلم في ذراعي اليسرى. وخلال دقائق تبللت بالعرق كأنما كنت هويت في بركة ماء. ولم اعد استطيع ان اتنفس تنفسا عميقا. وعلى الفور نقلني كورنيليوس بالسيارة الى مستشفى "نورووك" على مسافة ٣٥ كيلومترا.

وبعد فحوص عدة متوالية، لم يستطع الاختصاصيون في امراض القلب سوى ان يقولوا ان الذي اصابني "هو الم في صدري لا يمكن تحديده"، ولعله ناتج عن ارهاق. وفي اقل من عشرة ايام عدت الى البيت. وطوال بقائي في المستشفى، كان كورنيليوس يأتي لزيارتي كل يوم، وأحيانا برفقة جيف وفيكي. وفي كل مرة كان يبدو مغموما وقلقا. فقد كان مرضي يشغل وقته وافكاره، وكان لا بد لعمله في الكتاب ان يتعثر.

وكان كورنيليوس استقدم امرأة لتعد الطعام، لكنه كان يحمل الاطباق الي بنفسه، ويعنى باغتسالي، ويقضي الامسيات الى جانبي لتسليتي بالحكايات.

ومرة اخرى حدثت ازمة جديدة. ففي مساء ٩ ديسمبر (كانون الاول) كنت في الحمام. وقرع كورنيليوس الباب ودخل علي وقد امتقع وجهه، وقال: "الآن، يا كاترين، جاء شاب يطلب جيف. تكلم معي على الهاتف الداخلي، وبقيت استمع لاتأكد من ان جيف رد عليه. وقبل ان اترك السماعة، كان هذا الشاب يقول ان لديه "الغرض" ويسأل ما اذا كان جيف يستطيع ان يأتي بال٧٥ دولارا غدا. الا تظنين يا كاتي؟..."

ولم يحاول جيف ان ينكر، وقال: "لم اتوقف يا اماه. انما بدا لك الامر كذلك".

وذهل كورنيليوس. فهو كان ينشد الهدوء، ولم يكن يريد المزيد من الامراض، لا له ولا لي ولا لجيف.

"اخرج"، قلت لابني الوحيد.

وفجأة جاءت فيكي مغضبة وصرخت: "لا تلوميه. انه خطأي. فالشاب الذي اتصل به يذهب الى مدرستي. وانا اخبرت جيف بامره".

وسألها كورنيليوس عمن يكون ذلك الشاب، ثم تكلم على الهاتف فورا. غير ان والد الشاب انكر بكل بساطة ان يكون لابنه علاقة بذلك.

ولم يفطن احد منا الى ذهاب جيف. لقد انسحب بهدوء من غير ان يأخذ اكثر من الثياب التي كان يرتديها. كان المطر يتساقط برفق، ولكن باستمرار.

وقالت فيكي: "انت جعلته يذهب.

كلما كانت شمعات الأشعال جَديدة تحسّن انطلاق السيارة

– كيف تؤثر شمعات الاشعال (البوجيات) البالية في انطلاق المحرك؟

– الامر بسيط: في الطقس الرطب او السيء، يتعسر اشعال الشمعات البالية، وفي الطقس البارد يستلزم اشعال الشمعات البالية مقدارا اكبر من الجهد الكهربائي، بينما يقل تجاوب المشعلة، فاذا كان الطقس باردا او رطبا، او كليهما معا، فاحرص على تركيب شمعات "شامبيون" جديدة، تأمينا لانطلاق المحرك،

– ولماذا تبدل شمعات "شامبيون" بالشمعات البالية؟

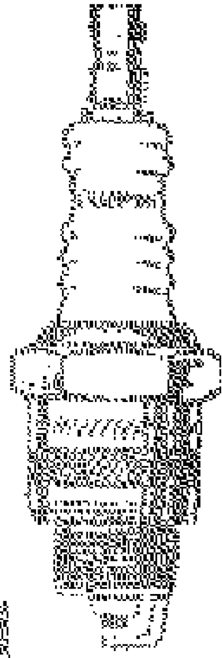
– ذلك لعدة اسباب: لان معظم صانعي السيارات في العالم يفضلون شمعة اشعال "شامبيون" على سواها من الاصناف، ولانها اكثر شمعات الاشعال استعمالا في بطولة سباق السيارات العالمية،

بالاضافة الى انها الصنف الرقم ١ الذي يباع في العالم، فعندما تحتاج الى شراء شمعات اشعال، كن على ثقة بان "شامبيون" يصنع شمعات ملائمة تماما لسيارتك،

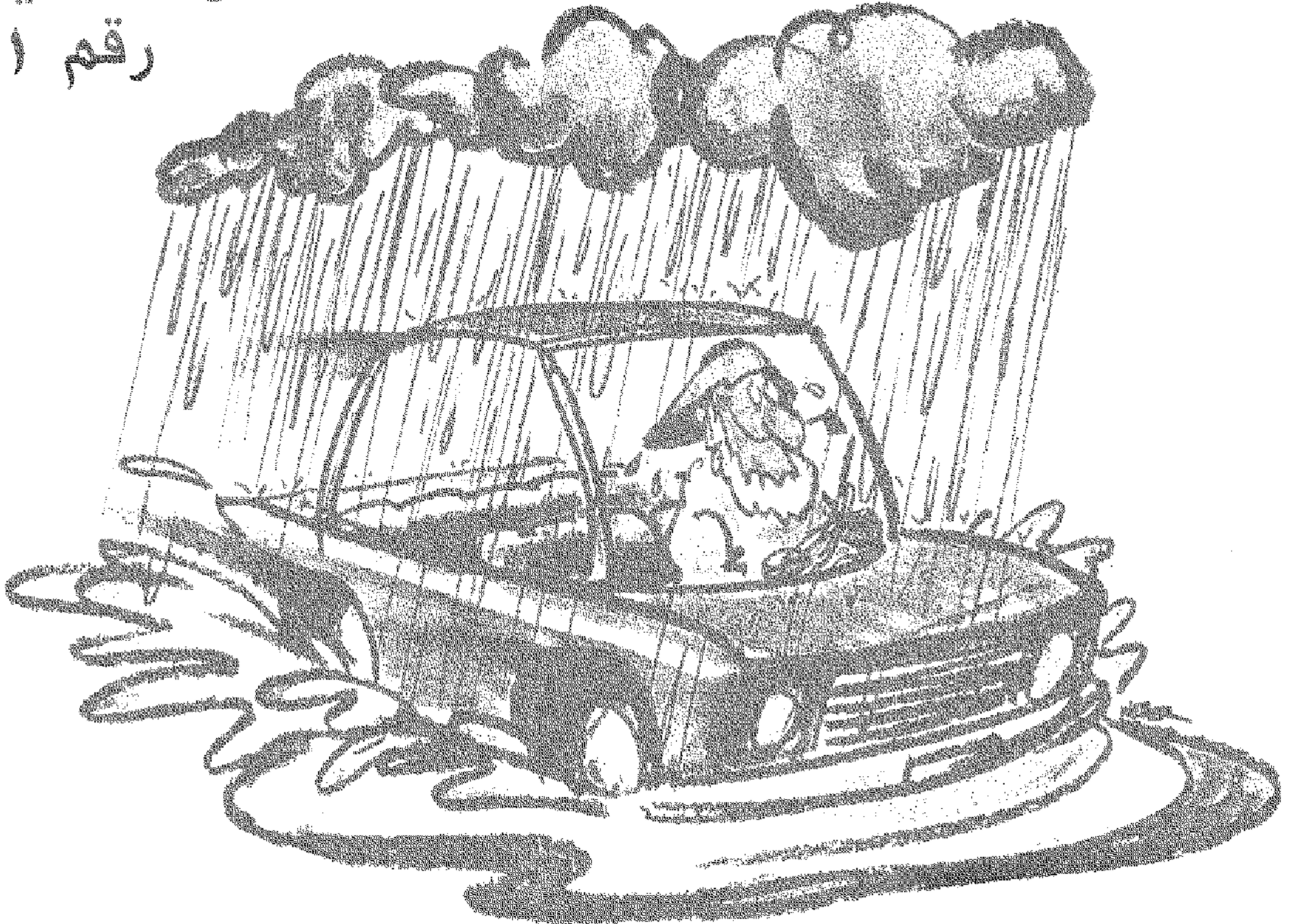
وبالتالي، فاذا شئت ان تتجنب مشكلات الانطلاق، غير شمعات الاشعال مرة على الاقل كلما قطعت سيارتك مسافة تراوح بين ١٤٠٠٠ و ١٦٠٠٠ كيلومتر، وركب شمعات "شامبيون"،

فهي الشمعة التي يفضلها معظم سائقي السيارات في العالم،





البائع العالمي
رقم ١



واللوم يقع عليك، لا عليه". وذهبت الى غرفتها صافقة الباب خلفها بقوة.

وكنت اسمع كورنيليوس يصفع ابوابا اخرى في غرفته بعدما غير ملابسه. ثم نزل السلم، واسرعت خلفه قائلة: "الى اين انت ذاهب؟".

وتناول من خزانة الدار مصباحين كهربائيين قويين، والقى معطفه على ذراعه وفتح باب غرفة فيكي. ثم خرج وفي يده ورقة صغيرة.

كانت الكتابة على الورقة بخط فيكي الجميل، وفيها: "لا تقلقا علي. سأكون بخير".

وسألني كورنيليوس: "هل هذا ما تريدينه فعلا؟ لقد ذهبا معا".

ثم تركني وخرج الى حيث كان المطر المتساقط بهدوء قد ابتلع ولدينا.

بعد الساعة الخامسة صباحا بقليل، اتصل كورنيليوس بي هاتفيا. كان صوته كئيبا. وقال باختصار: "لا شيء. انا عائد الى البيت".

وعند الساعة السادسة والنصف رن الهاتف ثانية. وابلغني معلم في مدرسة جيف ان جيف جاء اليه في منزله قبل ساعات معدودة، وانه وضعه في السرير. كان صوته متحفظا، وكنت اظن اني شعرت باستيائه من هذه الام التي تأمر ابنها بالخروج من المنزل في ليلة ماطرة.

وبعد ذلك، في الساعة الثانية تماما، سمعت ضجة من المطبخ. كان كورنيليوس يشرب القهوة وهو لا يزال يرتدي سترته الجلدية القصيرة. واخبرته عن جيف، ثم اتصلت بمدرسة فيكي هاتفيا. كانت فيكي هناك. ووعدت بان تأتي الى البيت هذه الليلة.

واتصل كورنيليوس بمعلم جيف الذي آواه. وكان عطوفاً على قضيتنا كما كان عطوفا على مشكلة جيف. ونصحنا بان الافضل لجيف في الوقت الحاضر ان يبقى في مدرسة داخلية.

وبعد اسبوع طلبت مني المدرسة ان آخذ له بعض حاجاته الى القاعة التي ينام فيها. فحملت الى هناك الحقائب، والعلب والثياب. ولما انتهيت من ذلك عدت الى السيارة. وكان جيف واقفا بجانبها فنظرت اليه وشهقت بالبكاء. ثم قلت له: "لم اكن اقصد ان يتطور الامر الى هذا الحد متى نراك ثانية؟"

فأجاب: "لا ادري. اني سعيد لما فعلت، ولا احب ان اعود ثانية الى ذلك المكان".

- هذا المكان بيتك يا جيف!

- كلا يا والدتي، انه لك. انه منزلك، انه عائلتك، انه طريقة حياتك. وانا لا اريده.

ثم انحنى بسرعة وقبل خدي قائلا: "كفي عن البكاء يا والدتي. اني احبك".

وفي ليلة عيد الميلاد جاء جيف الى البيت. وكان يبدو غريبا حتى ونحن على مائدة العشاء. شعره الطويل كان مرسلا على كتفيه، وكان يرتدي قميصا زرقاء باهتة اللون وسروال جينز منسل الخيوط عند الركبتين والقفا، فكأنه غريب جاء من عالم آخر. وسواء اسمينا ذلك انقلابا على الثقافة، او ظاهرة دون الثقافة، او

ثورة شباب، فقد كان واضحا ان مظهره يعبر عن المسافة التي تفصل بيننا. في هذه الاثناء كان كورنيليوس مريضا، شاحب اللون. وكانت فيكي هي التي انقذت عشاء الميلاد من ان يتحول مجرد لقاء صامت.

وبعد ثلاثة ايام اتصل جيف بي هاتفيا وسألني ما اذا كان يستطيع اصطحاب رفيق معه الى العشاء. كان الشاب وسيما ونظيفا ومهذبا. وكان يصغي بدون اي تعليق بينما راح جيف يطلعنا على مشاريعه. انه سينتقل ليسكن مع هذا الشاب في منزله. وكان الوالدان قد كتبا الينا رسالة مسهبة عنهما وعن عائلتهما وعن الازمة العائلية التي تعرضا لها وسلما منها. وكانت خطة جيف، اذا وافقنا على ذلك، ان يواصل تعلمه لينهي دراسته في مدرسته الحالية، ثم ينتقل الى الجامعة بعد ذلك. الا انه لم يكن يريد ان يعود ليعيش معنا في البيت في الوقت الحاضر على الاقل، او لعله لن يعود اليه ابدا.

ثم اطلعنا على خبر كان اغرب ما ذكره لنا. فهو تطوع مختارا في مشروع اصلاحي بالنسبة الى الذين يتناولون المخدرات ليتعرف الى طريقة اجتماع الآخرين ومواجهتهم ضغوط حياتهم. وهو سيقضي امسياته في المركز في جلسات العلاج، عاملا في الارض وفي المطبخ. وفي ايجاز، انه كان يبدأ حياة جديدة. واخيرا قال: "هذا هو ما قررته. وهذا ما يجب ان يتم".

وهكذا كان. وفي الثامنة عشرة من عمره كان جيف مسؤولا عن نفسه. كان لا بد له من ان يغادر العش في النهاية. غير ان الطريقة التي تم بها ذلك كانت صعبة. لقد بدأ جيف مصارعة الحياة في الوقت نفسه الذي كنا نبذل فيه قصارى جهدنا للمحافظة على حياتنا.

كم سيطول ذلك؟

كورنيليوس: منذ ثلاثة ايام، في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢، رأيت ويتمور. كان كلامه مطمئنا: البروستات اصغر حجما وقاسية، وهي احترقت نتيجة الزرع الاشعاعي. وطلب مني ان اعود اليه بعد شهرين. ترى هل يأتي يوم يقول لي فيه: "اتصل بي هاتفيا خلال سنة او سنتين"؟

لا اظن ذلك. والحقيقة هي اني محافظ على وضعي، وسيأتي يوم ابدأ فيه بالتأخر. ان هذا المرض لا بد من ان يظهر في مكان آخر في الجسم. وتفيد قراءاتي عنه بان عدم عودته ظاهرة طبية نادرة.

كاترين: ذهبنا في مارس (آذار) الى سياحة بحرية في البحر الكاريبي. واخذنا فيكي معنا لانها كانت في اجازة الربيع. وفي تلك السياحة تجنب كورنيليوس الرقص تجنبا شبه كلي، على رغم انه كان من هواته الدائمين. ففي كل ليلة، بعد العشاء مباشرة، كان يعتذر ويذهب الى غرفتنا. وكنت اجده بعد ذلك وقد اخذته سنة نوم خفيفة، او انصرف الى العمل كليا.

وباقترابنا من منتصف سياحتنا البحرية اطلعني كورنيليوس على امر كنت قد ارتبت به، وهو ان حالته الصحية تأخرت بصورة ملحوظة. فهو

لم يعد يستطيع تحديد مكان الالم. وقال ان توعكا عاما اشبه بالضعف الشامل يستنفد نشاطه وحيويته.

بيد ان الالم لم يمنعه من العودة الى المساعدة في رواية في مدرسة فيكي. كان اسم الرواية "انا والملك". وقد احب كورنيليوس ابنته في دورها. وكان واضحا للمرة الاولى انه احس بان لديها قدرة حقيقية على العمل في المسرح الذي كان يتوق اليه هو نفسه من قبل. وقد توصلت فيكي الى هذا القرار منفردة. ان المسرحيات والموسيقى والدراما ليست، بالنسبة اليها، مجرد تسلية لفتاة في المدرسة. فهذه الامور كانت تشغل المزيد من ساعات فراغها يوما بعد يوم. ومع مرور الوقت سيكون المسرح مهنتها المفضلة.

وفي وقت متأخر من احدى ليالي الربيع الجميلة، عام ١٩٧٢، عاد جيف الى البيت ليبقى معنا هذه المرة. ولم تكن الليالي التي قضيناها معه خلال الاشهر التي سكن فيها خارج البيت قد ارشدتنا الى حقيقة التغيرات التي كانت تحدث له. ثم تبين انه كثيرا ما كان في "مواجهاته" معنا يلاقي تشجيعا على خصومتنا. ان الفكرة التي تنطوي عليها عبارة "مواجهات" يصعب قبولها لدى الوالدين لتحديد علاقاتهم بابنائهم. لكن المهم ان جيف عاد.

وبعد ذلك بوقت قصير كان مقررا ان يخضع كورنيليوس لفحص دقيق للعظام. وبعد نحو عشرة ايام ابلغنا الدكتور ويتمور الخبر الرهيب. وهذا بعض ما كتبه: "فحص العظام يدل على تزايد الامتصاص الاشعاعي في مواقع كثيرة. وقد قر الرأي على مباشرة معالجة بالاستروجين".

كان كورنيليوس يعرف معنى ذلك غاية المعرفة. ان ازالة العقد اللمفاوية الخبيثة واشعاعات ١ - ١٢٥ التي زرعت في البروستات عجزت عن القضاء على السرطان قضاء تاما.

ولم يظهر كورنيليوس اي اكتئاب او انحطاط. فقد واصل العمل يوميا. وكثيرا ما كنا نجتمع باصدقائنا، كما ان كورنيليوس كان يلعب الغولف مرة بعد مرة. وبعد تخرج جيف في المدرسة في يونيو (حزيران) وقبوله في جامعة ميسوري، حيث ينوي التخصص في الصحافة، قام هو ووالده بنزهتين قصيرتين لصيد الاسماك. وكان كورنيليوس في منتهى الاعجاب بجيف.

وظهر ان العلاج بالاستروجين مفيد. ولعل هذا النوع الثاني من العلاج اكثر استمرارا وثباتا. ولو ان السؤال بقي: كم سيطول ذلك؟

كورنيليوس: اليوم السبت ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢، امس في الساعة الثانية والنصف تقريبا، انجزنا، كاتي وانا، القسم الثاني من الكتاب. لا اذكر اني شعرت بمثل هذه النشوة من قبل. لا استطيع ان اكتب بسرعة كافية. لا شيء يماثل امتلاكك المادة، ثم تدفقها عليك بوفرة لا تستطيع معها تدوينها.

لا اجد نفسي افكر في السرطان الا حين اواجه عقبة حقيقية. اني اواصل ذهنيا فحص جسمي باستمرار. ولا شيء يؤلمني وقتا طويلا في الواقع. غير اني مصاب، في ما يبدو، بكثير من الآلام المتنقلة التي تظهر ثم

تختفي. احاول ان احتفظ بموقف ايجابي. والا انكفىء على ذاتي. ولا احاول تخمين ما قد يحدث لاني احسب نفسي عالما بما سيحدث بعد ذلك. سيكون علاج الاستروجين مفيدا لبعض الوقت الى ان تنشأ مشكلة اخرى.

لقد بدأت بالصلاة اخيرا. وهذا ما لم افعله عن ادراك ووعي منذ سنوات. اريد وقتا لانهاء الكتاب. ولا شيء غير ذلك استطيع انجازه بالنسبة الى كاتي والولدين.

"انه يشحذ الذهن"

كورنيليوس: اليوم السبت، ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٧٣. منذ نحو عشرة اشهر اواصل علاج الاستروجين. ومنذ شهر تقريبا بدأت اشك في انه لم يعد مجديا. ومنذ ثلاثة ايام اكد ويليت ويتمور مخاوفي هذه. مرة اخرى تغلب السرطان على العلاج. ساقاي، حيث يتركز الالم رئيسيا، احس كأنهما من مطاط. واكاد احيانا لا اجروء على الوقوف خوفا من الا تحملني ساقاي. وكان بات نيليغان قد اعطاني دواء "بيركودان" لمقاومة الالم. الا اني لا استعمله الا قليلا، وذلك في الليل فقط. وأجد نفسي في النهار محتاجا الى صفاء ذهني تام لكي استطيع العمل.

كاترين: السبت ٣١ مارس (آذار)، اشتد مرض كورنيليوس على نحو مخيف. والح عليه الألم الى حد عجز معه عن الكلام. ولم يفده حتى "البركودان" نفسه. وكان يتصبب عرقا ولونه يشحب، وينتفض بشدة في حين كانت النوبات تتوالى عليه وهو يعض شفتيه حتى يسيل منهما

الدم، ويصارع الالم بصمت رهيب.
وعاد الى نفسه بعد ذلك، لكن الالم بات يلازمه يوميا. فهو لم يعد يجهده ابتداء من بعد الظهر ومرورا بالليل كله، بل تحول الى وجود دائم يقاومه كورنيليوس بعناد وهو يكتب صفحات أكثر من ذي قبل. واتضح انه لم يعد يستطيع احتمال الالم، وانه لا بد من ان يراه الدكتور ويتمور. فادخل المركز التذكاري في ٢١ ابريل (نيسان).

كورنيليوس: الاحد، العاشر من يونيو (حزيران). انقضى وقت طويل منذ ان استعملت شريط التسجيل للمرة الاخيرة، فكان علي ان اتأكد من انه لا يزال صالحا.
ان كتاباتي في دفاتر مذكراتي خلال الشهرين الاخيرين تبدو كانها مكتوبة من قبل شخص بدأ يتعلم كيف يكتب. من ٢٢ ابريل (نيسان) حتى ١٦ مايو (ايار) كنت في المركز التذكاري. وأظن اني شارفت على الموت هناك، مما يفسر غرابة خطي. ثمة امور كثيرة لم ادونها. ولا استطيع ان افترض تفسيرا لذلك سوى اني كنت شديد المرض او شديد الخوف.
واقدّر اني اصبت بشلل جزئي وانا في المستشفى، لأني لم اعد استطيع لفظ الكلمات. وحالي الآن أفضل مما كانت عليه آنذاك. غير ان أحدا من الناس - سواء أكان نيليغان أو ويتمور او سواهما من الاطباء - لم يعطني اي تفسير لذلك. ولعله العلاج الكيميائي الذي اتناوله، او لعله تغير جذري في الدم او اللمفاويات، او لعل ذلك يعود، ببساطة، الى ان السرطان ينتشر في كل مكان من جسمي.
لا حال اسوأ من الحال الرهيبة التي اجد نفسي فيها في الوقت الحاضر. كنت اظن اني ذقت الحد الاقصى من الاذلال، ولكني مخطىء. انا الان جالس في كرسي تسير على عجلات. كل يوم تعينني كاترين على الهبوط بضع درجات من غرفتنا الى الردهة، ثم على العودة الى الكرسي والرجوع الى الباب الامامي. بين الباب الامامي والممر ١٧ درجة، وفي الممر مكان واحد تستطيع كاتي ان تستريح فيه. ولا اعرف من اين تأتيها هذه القوة لنقلي من مكان الى آخر.
ومع الاقتراب من المكتب يرتفع الممر. وهذا هو الجزء الاكثر صعوبة بالنسبة الى كاتي. كنت اريد ان ابكي عند كل نزهة. وكنت افضل لو اني مت قبل ان تضطر الى القيام بمثل هذا العمل.
أما النواحي الاخرى لحالي في الوقت الحاضر فهي اشد سوءا من ذلك. لم اعد استطيع ضبط البول. الانبوب على ركبتي وزجاجة البول على الجهة الاخرى من الطاولة، ولكن لا استطيع ان اعرف متى يجب علي استعمال زجاجة البول. وكثيرا ما يسبقني البول قبل ان اتهيأ.
صرنا في الفترة الاخيرة نبذل افضل جهد، بالنسبة الى انهاء كتابنا، في الليل. فأنا متحمس له. وقد بت، على رغم الحال الحقيرة التي بلغتها، اعنى بألا ينعكس اي شيء من ذلك على الكتاب. اما اذا ظهر شيء من هذا القبيل، فقد كانت كاتي تطرحه وتعيد كتابته.
ويوم الخميس، ٣١ مايو (ايار)

اتممنا الصفحة ٣١٠ منه، على حد ما قالت سكرتيرتي آن.

يبدو ان احدا لا يدرك ان الالم يشحذ العقل. ومما يثير السخرية اني، مع السرطان، اكتب خيرا مما اكتب بدونه.

ستأتي كاتي عما قليل لتنقلني. كان يجب ان أكتب بدلا من ان اقضي هذه الساعة مسجلا افكاري. غير اني احسب ذلك علاجا جيدا. الكتابة تتطلب انضباطا فكريا دقيقا. أما آلة التسجيل فيمكنني الاسترخاء معها لأني استخدمها للتخلص من بعض ما يقلق بالي ولتقدير فرصة بقائي حيا بصوت عال. انها فرصة ضئيلة. لكن حقيقة معرفتي ذلك تساعدني على عدم القلق على ذاتي أكثر مما يجب. ينبغي عدم الاستسلام، حتى مع انقطاع الرجاء. في الحياة امور اخرى اكثر اهمية من خوف الموت. كل يوم هو اشبه بعطاء يجب ان نتمتع به ونتلذذ. والغريب اني، على رغم الاحوال التعيسة السابقة، لا اقبل ان ابادل موقعي مع اي شخص آخر.

انسان جديد

كاتريـن: منـذ نشـر "اليـوم الاطـول" اخـذ الاصدقـاء القدامـى ومحاربـو الحـرب العالميـة الثانيـة والفرنسيون والفرنسيات والمراسلون يكرسـون الخامـس مـن يـونيـو (حزيران)، وهو يوم مولد كورنيليوس او السادس منه، وهو يوم اقتحام اوروبا، للكتابة. وفي العام ١٩٧٣، اصبح عددالرسائلالواردة أكثر من اي وقـت آخـر. وكـان خـبـر مـرض كورنيليوس قد انتشر.

وفي ٣٠ يونيو (حزيران)، علمنا ان رئيـس جمهوريـة فـرنسـا، جـورج بومبيدو، قـرر تكريـم كورنيليـوس بمنحه الوسام الفرنسي الاعلى، وسام جوقة الشرف. وتقرَّر تقديم الوسام في منزلنا يوم الاحد، الثامن من يولـيـو (تمـوز)، بـواسطـة جـاك كوسيوسكو موريزيه، السفير الفرنسي في الولايات المتحدة.

كنت مسرورة بذلك، لكني كنت في حالة فزع. ذلك لأن مرض كورنيليوس وعملنا المكثَّف بالنسبة الى "الجسر" والاعتناء الدائم الذي كان يتطلبه، لم تترك لي اي فراغ لترتيب مصاطب الـزهـر والـحـدائـق والممـرات والسياجات، التي كانت كلها في حال يرثى لها. وهي حُرمت العناية منذ أكثر من سنة. كذلك كانت حال البيت. ولم يكن هناك مجال لكي نستعد لاستقبال مثل هؤلاء الضيوف المميزين في فترة اسبوع واحد.

لقد نسيت قوة الاصدقاء الذين، ما ان علموا بالنبأ حتى باشروا العمل في المنزل وفي الحديقة.

وفي مساء يوم السبت، اخذنا كورنيليوس بالكرسي الى الحديقة. وهو كان منشغلا طوال الاسبوع في اعداد كلمة قبول الوسام وفي كتابة "الجسر"، فلم يلاحظ العمل الذي كان يجري حوله. ولم يستطع ان يصدق ما حدث حوله من تغير. وكان الاصدقاء يقتلعون بقايـا الاعشـاب مـن بيـن الحجار فيما هو جالس في الصيف القائظ. وكان هناك جار يجفف الممر، وجـار آخـر يعنى بجرف الاوسـاخ.

في تلك الليلة نام كورنيليوس نوما عميقا. وعند الساعة الثامنة والنصف

صباحا وصل بات نيليغان ليفحصه ويقضي ساعة معه. وقال كورنيليوس بصوت مرتجف: "اريد ان اقول لكما شيئا. هذا هو الوسام الاكبر الذي يمنح لي. لعنني الله اذا سمحت لنفسي استلام وسام جوقة الشرف وانا قابع في كرسي عربة ومشدود الى وعاء من مطاط. اني أنوي ان استقبل السفير الفرنسي عند باب بيتي، واقفا على قدمي. ولن اسمح بحدوث شيء مزعج في طرفي الادنى".

ونظر بات الي وقال: "هكذا، اذا، يا كاتي". ثم خاطب كورنيليوس: "انبهك الى اني سأبقى خلفك طوال الوقت".

فأجاب كورنيليوس وهو يهز رأسه: "كلا. بل يجب ان أقف وحدي".

وبلغنا عتبة الباب والسفير يهبط من سيارته الفخمة. وتقدم الديبلوماسيون وزوجاتهم في الممر بينما أخذ زوجي، بقامته المديدة واناقته، يرحب بهم بأسمائهم. ثم دعوناهم للدخول الى المنزل. وسار الاحتفال سيرا حسنا جدا. ثم جاءت تلك اللحظة ذاتها. لقد صعد كورنيليوس الى الطابق العلوي. (كانت ثيابه قد تبللت فعلا من شدة الالم وكثرة العرق، كما قال لي بات في ما بعد). واغتسل، ثم ارتدى ثيابا اخرى نظيفة بمساعدة بات، وبدأت الباحة تغص بالزائرين. وكنا ثلاثة - السفير وزوجته وأنا - ننتظر عند اسفل السلم، بينما كان كورنيليوس يهبط السلم ببطء الى جانب بات وهو في ملابسه الاخرى، من البذلة حتى القميص وربطة العنق.

كان كورنيليوس يدفع ثمن تصميمه على المشي، وهو ثمن استمر في دفعه حتى نهاية حياته، ولم يقبل بعد ذلك ان يسمح بنقله على كرسي عربة الا في المطارات، وكانت الميدالية الفرنسية السامية قد اخذت تحدث اعجوبة صغيرة في حياتنا.

وجيء بالميدالية على حمالة ذات لون ارجواني ملكي، وكانت الوانها تلمع في الشمس المتوهجة الحارة.



كورنيليوس ريان يتسلم وسام جوقة الشرف من السفير الفرنسي.

وبينما كان السفير يعلق الوسام، رأيت يد كورنيليوس وقد اخذت ترتجف، فتقدمت نحوه وانا اخشى ان يسقط، لكن الانفعال، لا المرض، هو الذي سبب هذا الاضطراب.

وكان يقف في الشمس منتصب القامة، فخورا، ووسام جوقة الشرف معلق على صدره، واظن انه لم يسمع التصفيق الذي دوّى في الباحة.

وسرعان ما انصرف السفير وصحبه بعد ذلك، وأصرّ كورنيليوس على تشييعهم حتى الباب، ولم يرجع عن العتبة الا بعدما رآهم تجاوزوا الممر.

وخاطب بات: "حسنا ايها الطبيب، انك الآن تنظر الى رجل جديد".

فأجابه هذا: "اصعد واسترح ايها الاحمق، اقسم بأني لا اعلم كيف استطعت ان تفعل ذلك".

فقال كورنيليوس: الله اعاد الي ساقي، والفرنسيون اعطوني جوقة الشرف، اما اصدقائي.." ثم توقف عن الكلام فجأة واتجه نحو السلم بانتباه، ومددت اليه يدي بالعون، فقال: "لست اريد ذلك يا كاتي، انا ذاهب للاستراحة والتفكير في ما حدث

اليوم. غدا اعود الى "الجسر". يجب ان يكون ذلك تعبيرا عن شكري لجميع الذين ساعدوا في هذا العمل او قرأوه. يجب ان يكون رائعا كروعة هذا النهار". واستدار على السلم ببطء ونظر الى بات وقال:

- هل تعرف شيئا ما يا نيليغان! احسب ان ذلك الانسان الذي يوجد في الاعلى سيتيح لي مجال انجازه".

شامبانيا لثلاثة

كورنيليوس: الخميس، ٢٦ يوليو (تموز). امس قابلت ويليت ويتمور. وهو يرى، في ما يبدو، ان العلاج بالمواد الكيميائية يفيدني. وفي المستشفى اعطيت نوعا آخر من الهورمون، قرأت عنه في القاموس الطبي ان اثره على الجسم، في المرحلة العلاجية التي بلغتها، اشد وضوحا من استعمال الهورمونات المؤنثة.

الوجه الذي اراه في المرآة لم يعد وجهي. لقد انتفخ واستدار كالقمر، فامحت خصائصه وغلظ عنقي. ومع مرور الوقت،لا بد من ان يظهر نتوء صغير بين الكتفين، شبيه باحديداب صغير في الظهر. انني ساتحول الى شخص عجيب في النهاية.

الاحد، ٢٣ سبتمبر (ايلول). الكتاب في سباق مع الوقت، وانا اعطيه كل ذرة املكها من النشاط. لا استطيع ان انتظر النهاية، ومع ذلك اريد ان اطيله. واخشى ان اصل الى الصفحة الاخيرة، لانني عالم ان "الجسر" يبقيني على قيد الحياة.

في اواخر شهر اغسطس (آب) عادت فيكي من فرنسا بعد قضاء الصيف هناك. كانت قد ذهبت الى الخارج وهي في اضطراب عميق، وكنت شديد المرض آنذاك فلم الاحظ ذلك عليها. وكانت اسباب قلقها كامنة في الغالب هنا، في البيت. فهي كانت تخاف علي. ثم انها، حيال عدم رغبتها في اضاعة وقت والدتها، اخذت تغرق في الحزن والاسى. لكننا، كاتي وانا، رحنا ننتشلها منه شيئا فشيئا.

في الامسيات، تصعد فيكي الينا وتجلس معنا. صرت اعرف ابنتي افضل مما عرفتها في اي وقت مضى. وانا مستعد لبذل حياتي في سبيلها. لكن الاهم من ذلك هو ان استخدم ما تبقى من حياتي للاصغاء اليها وحبها.

اما ابني جيف فترك الجامعة ولم يعد اليها. ليتني اعرف الاسباب. لكن امر شهادته يهمني اكثر مما يهمه. ومع ذلك، فانه كان يزداد تعلما يوما بعد يوم في قراءاته وعمله. انه يكتشف فلسفته الخاصة في الحياة، وهو محترم وشريف. ولعلمي ان افضل ثقافة في العالم لا تستطيع ان تضمن الاستقامة والامانة، وجدتني راضيا بحاله وقد تلاقى ما كنت اريده له وما كان يعد نفسه من اجله.

كاترين: في الخامس من اكتوبر (تشرين الاول) كنا نكتب الصفحات الاخيرة المأسوية من الكتاب. وكثيرا ما وقف كورنيليوس على شفير البكاء وهو يقرأ مقابلة، ولا سيما ما كان مختصا منها بالانسحاب البريطاني في الجنوب عبر نهر الراين. كان يعرف ما هي الحاجات اللازمة للنقل والتموين في هذا الانسحاب، لكنه

كان يريد ان يعيد قراءة كل رواية بمفردها كما رواها له كل شخص٠ وفي هذه المقابلات كان الالم الانساني في قبول هزيمة الحلفاء المحتومة يضفي حياة على جميع المشاهد واحدا بعد واحد٠ وكان كورنيليوس يكتب دونما توقف تقريبا٠

السبت، ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول)، تم كتاب "جسر واحد بعيد"٠ ووقف كورنيليوس وعانقني قائلا: "لقد كان الله كريما علينا٠٠٠ علي"٠

وكان في عائلتنا فرد يراقب الاحداث باقرب مما كنا نظن٠ وكنت بعد ظهر نهار الاحد اضع الملفات الاخيرة في مواقعها المضبوطة، وكان المكتب يبدو شديد النظافة والترتيب٠ ونظرت حولي فشعرت بالاسى والارتياح معا٠ كذلك كان كورنيليوس ذا نظرات حزينة ضائعة٠ وانفتح الباب بقوة ودخل جيف وعيناه لامعتان مضيئتان، وقال بكبرياء: "لقد انتهيتما منه٠ كنت اعلم ذلك٠ كنت اشعر بانتهائه يقترب في كل مرة كنت اجيء اليكما"٠ ثم وقف وتطلع الينا وقال: "اني فخور بكما، ايها الرفيقان"٠ واخرج كيسا من الورق وسحب منه بهدوء زجاجة شامبانيا، ثم اضاف: "لقد اشتريتها ليلة امس٠ ليست افضل نوع، ولكن ارجو ان تكون طيبة المذاق"٠

وبعناية فتح الزجاجة وصب الشامبانيا في كؤوس ثلاث٠ ووقف بين طاولتينا وقال: "لا احسب ان في العالم انسانا آخر كان اكثر شجاعة منكما انتما الاثنين"٠ ثم رفع كأسه٠

تلك كانت احدى اجمل اللحظات خلال اشهر٠ ان الجسر الذي يربط عائلتنا، بعضا الى بعض استطاع ان يصمد امام الهجمات المتعددة عليه٠

كورنيليوس: السبت، العاشر من نوفمبر (تشرين الثاني)٠ اجد صعوبة في تصديق ان الكتاب انتهى٠ لقد مرت ايام كثيرة قاتمة ظننت فيها اني لن استطيع ان اجمع اي ذرة من القدرة٠

حين بدأت كتابة "اليوم الاطول" و"المعركة الاخيرة" كنت مفتونا بالاساطير ومواطن القوة والضعف عند الانسان العادي وهو يخوض معركة٠ وكان هدفي ان اعرف بماذا يشعر الناس وبماذا يفكرون٠ اما في هذا الكتاب الجديد فقد تسنت لي فرصة النظر الى ظلمة الهاوية٠ وبذلك كسبت ادراكا اكثر عمقا لاحاسيس اشخاص الكتاب مما تيسر لي من قبل٠ وآمل في ان يعكس هذا الكتاب الشجاعة الداخلية التي اكتشفتها لدى الرجال والنساء، والتي اواصل اكتشافها يوما فيوما٠

غريب ان اقول ان في الاصابة بداء السرطان فضيلة٠ انها تجعل الانسان اكثر احساسا نحو الآخرين٠

في الخلاصة التي يضعها القائد العسكري، وفي الاحصاءات المتعلقة بالسرطان، يحذف المخلوق البشري، البائس - اعني الخائف والمتألم - من الصورة٠ وها اني قضيت حياتي المهنية محاولا اعادته الى الصورة واظهاره فيها، اذ يستحيل فهم الحرب والمرض بدون معرفة ما يقاسيه الاشخاص المعنيون٠

متعب جدا

كاترين: لم يكن يكفي

كورنيليوس انه كتب "الجسر". فقد كان مصمما ان يراه منشورا، وان يرى ما بعد نشره ايضا. عند ذلك فقط يستطيع ان يشعر بالراحة والسلام.

في منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) تجول كورنيليوس في اوروبا، وقد اصطحبنا انا وفيكي معه، وقابل الناشرين والوكلاء والبارزين من ذوي العلاقة بالكتاب.

وفي منتصف يونيو (حزيران) ١٩٧٤ عدت واياه الى اوروبا، حيث عقد الاجتماع تلو الاجتماع بالمسؤولين الهولنديين للنظر في احتمال الجمع بين الشخصيات التي يتكلم عنها الكتاب ورجال الصحافة.

وفي سبتمبر (ايلول) عدنا مرة اخرى الى اوروبا بالطائرة لتلك المناسبة وحين بدأنا الرحلة كان كورنيليوس منتهك القوى، بالغا الحد الاقصى من الطاقة على الاحتمال. ولم اكن استطيع ان افعل شيئا سوى ان اراقب ما يجري واعد الايام حتى نعود الى بلادنا. وكان يبدو لي ان حال كورنيليوس تتدهور يوما بعد يوم.

واخيرا، قابل الدكتور ويتمور في ٩ اكتوبر (تشرين الاول)، وذلك للمرة الاولى منذ شهر يوليو (تموز). وكان السرطان قد عاد الى الانتشار والتغلب وفي ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) خرج كورنيليوس من الشقة التي كنا نزلنا ها في فندق شيري - نيذرلاند وهو يعرج، وصعد سيارة الى المركز التذكاري لتلقي المعالجة الاشعاعية الاولى من خمس معالجات في وركه الايمن.

وفي يوم الثلثاء التالي، افقت على زفرات غليظة، ورأيت كورنيليوس جالسا على جانب سريره المقيت والدموع تنهمر على وجهه. وهرعت اليه بسرعة وركعت الى جانبه. وقال بصوت متكسر: "تبا لحالي يا كاتي. اني آسف اذ لا استطيع ان انهض للذهاب الى المستشفى. يجب عليك ان تلبسيني ثيابي وتذهبي معي.

ودلت الفحوص الطبية على وجود انسداد في ثلاثة مواقع، مما يسبب ضغطا على العمود الفقري وجاء رأي اطباء الجهاز العصبي قاسيا: "لعله تورم. يستحيل اجراء جراحة". وادخل المستشفى واعطي ما مجموعه ٣٠٠٠ وحدة اشعاعية ذرية في القطن العجزي الفقري بين ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) و٦ نوفمبر (تشرين الثاني).

والظاهر ان المعالجة والادوية والرقابة الدقيقة من الاطباء والممرضات فعلت فعلها مرة اخرى. لكن كورنيليوس كان يتغير مع مرور الوقت. وخلال زياراتي له كان يبتسم، ويمسك يدي، ويسأل عن فيكي، ويخبرني عن زيارات جيف. لكنه كان، في ما يبدو، يسدل ستارا على الاخبار المتعلقة بالاصدقاء ومشاريع المستقبل. لقد واجه السرطان وكسب منه الوقت اللازم لتأليف كتابه، ولرؤية ولديه يقاربان النضوج. وها قد حانت الساعة التي لم يعد يهتم فيها بعملية "الترقيع" والتدابير الوقائية الموقتة. واظن ان كورنيليوس كان يتهيأ للموت.

وفي ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) اصيب كورنيليوس باشتراكات في الرئتين. وفي الصباح الباكر من اليوم

التالي ذهبنا بالسيارة الى المستشفى - جيف وفيكي وانا ·

كان كورنيليوس ممدداً، مغمض العينين، يزفر زفرات حادة قصيرة· وقد رق وجهه وشحب جلده وصار بلون الوسادة· وكانت يداه، باصابعهما الطويلة، تتحركان على الغطاء باستمرار· واقتربت منه، ففتح عينيه وابتسم· وخاطبني ببعض صعوبة· "كاتي الصغيرة"· ثم سمعت من يقول لي انه عليه اعادة قناع الاوكسيجين· واعدت وضعه كما كان· لكنه حاول ان يزيحه على الفور· فقلت له: "ارجوك، يا كورنيليوس، تنفس· اظن انك مصاب بزكام"·

وهز رأسه قائلا: "اظنني مصابا بنزلة صدرية"· ثم توقف للتنفس، واضاف: "غريب امر الاصابات بالسرطان· في نصفها يموت المصاب بذات الرئة"·

ورأى فيكي على طرف السرير، وعيناها مليئتان بالدموع، ولونها مغبر كلونه تقريبا، وسألها: "ماذا تفعلين هنا يا طفلتي"؟

فأجابت وهي تحدّق الى الارض محاولة ضبط مشاعرها: "مشتاقة الى رؤيتك"·

وناداه جيف: "أبي!"

فرد كورنيليوس: "بني الكبير"· وأشار نحو الغرفة الغاصة بالاجهزة: "شيء مزعج· اليس كذلك؟"

فقال جيف: "كلا، اذا كان يساعدك على التحسن"·

وعند الساعة السادسة، مساء كنت لا ازال بجانب كورنيليوس، وفي يدي قطعة قماش باردة· كان ذلك كل ما استطيع ان افعله له· وفجأة انفتحت عيناه· وفي المكان المقابل لسريره كانت صورة صياد يلقي بصنارته الى نهر·

وزفر كورنيليوس: "جيف"·

وتقدم جيف من السرير بسرعة·

"المعصم"· قال كورنيليوس همسا: "لا تنس ان تستعمل المعصم"·

وتابعناه وهو ينقل عينيه في الصورة· وقال جيف: "سأفعل ذلك يا والدي· انك دائما تقول لي ان النجاح في الصيد هو في المعصم· ساتدرب اكثر على ذلك"·

وابتسم كورنيليوس· وبدا كأن تنفسه الخشن ارتفع· ووقفنا هادئين الى جانب هذا الرجل الذي منحنا الحياة بطرق مختلفة·

وفجأة تمسك كورنيليوس بجانبي السرير· وبما له من قوة كبيرة في كتفيه وذراعيه، جلس فيه مستقيما· ووضعت ذراعي حوله لتهدئته· فتطاول حتى وضع احدى يديه على يدي، وقال:

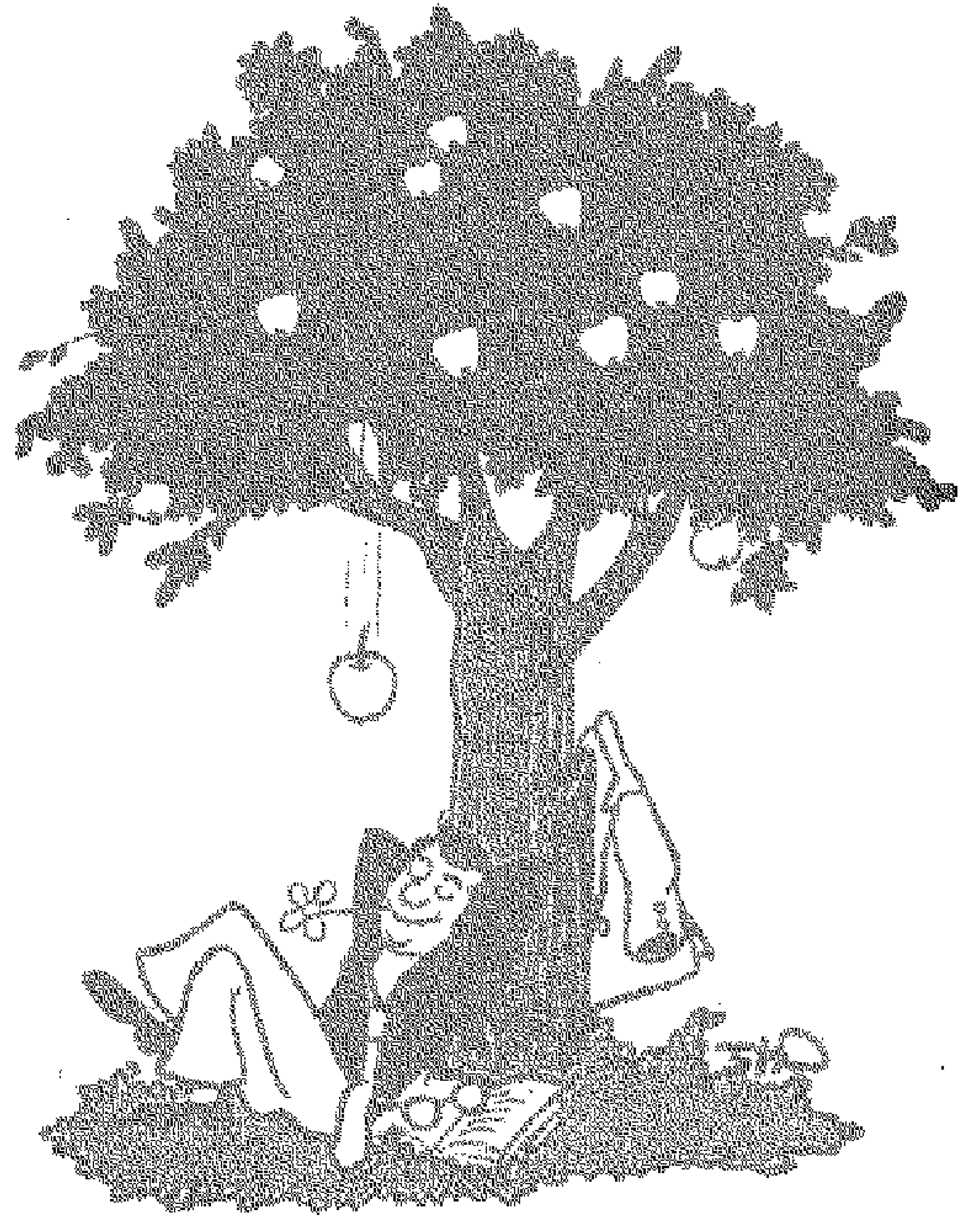
- كاتي، انني متعب جدا ·

ثم زفر زفرتين عميقتين وانطفأ·

ودفناه في مدفن ريفي صغير· قرب منزلنا· وفي رسالة منه خلال صيف عام ١٩٧٣· الى فيكتوريا حين كانت في فرنسا، ذكر ان الكتاب على وشك ان ينتم وانه كان مسرورا لذلك لانه متعب· ثم اضاف:

"اذا اضطررت قولي لوالدتك يا فيكي ان الشيء الوحيد الذي اريده على مدفني هو: "كورنيليوس ريان"، ثم تاريخ مولدي وتاريخ وفاتي· ولتضع بعد ذلك عبارة واحدة هي: "الراوية الصحافي"·

وهذا ما فعلته·



تأملات معاصرة

الرشد

يمكن ان تبلغ الرشد في اي سن. انه مجرد ادراكك ان ما يثير اعجابك ينبغي الا يطلب محاكاتك. انه لمن دواعي السرور ان تقدر شخصاً عظيما مثل تولستوي، دونما رغبة في كتابة "الحرب والسلم". وان تراقب صاحب ميدالية ذهبية اولمبية، ينزلق عبر الجليد من غير اندفاع لشراء زوج من المزالج. وان تستمتع باليوبيل الفضي للملكة اليزابيت من دون محاولة الركوب في عربة مذهبة ورفع اليد لتحية الجماهير.

("ذي كريستيان ساينس مونيتور")

التقدير

كل واحد في حاجة الى الثناء الا ان المرء قد يمضي بالحاجة هذه بعيداً كالولد الصغير الذي يقول لوالده: "هيا نلعب لعبة السهام المراشة. وسأرمي انا وانت عليك ان تقول مدهش".

("نتف وقطع")

التسامح

تحطمت تسويات كثيرة، لأن كل الاطراف المعنية جاءت مستعدة للتسامح، وغير مستعدة لكي تكون هدف التسامح.

ج.ب.

التملق

كان الفيلسوف ديوجينوس يغسل العدس ليحضر منه حساء، فرآه في اثناء ذلك الفيلسوف اريستيبوس الذي كان حصل على مقدار من حياة الترف والدعة، نتيجة تودده للملك وتملقه له. فقال اريستيبوس لديوجينوس بسخرية: "لو انك تتعلم كيف تتملق الملك لما كان عليك ان تعيش على غذاء تافه مثل العدس". فاجابه ديوجينوس بازدراء: "لو انك تعلمت ان تعيش على غذاء مثل العدس لما احتجت قط الى تملق الملك".

نوكيتس

فقدان المزاج

انه اشبه بالمسمار الحاد الذي يمزق خيوط شيء متين ومحبوك. قد نستخدم كل جزء من صبرنا ومهارتنا في اصلاحه، ولكننا لن نستطيع جعله كالجديد مرة اخرى. فالمكان المرتق، سيظل دائما واضحا للعيان.

م.س.

العوائق

حينما يتعاظم سخطك نتيجة المعوقات، حاول ان تتذكر ان تكرارها الملح قد يدل على قيمة حياتك وأهميتها. فالممتلئون حيوية وقوة ومروءة هم وحدهم الذين تثقل كواهلهم حاجات الناس. ان المعوقات والمقاطعات التي نتضجر منها، هي اوراق اعتماد تؤكد انه لا غنى عنا. وأكبر ادانة يمكن ان نصدرها هي ان نكون مستقلين وفي منأى عن تقديم العون الى الآخرين.

("الباحث" القومي)

هل تفتقد متعة البرامج التلفزيونية التي تحبها عندما تكون خارج المنزل ؟

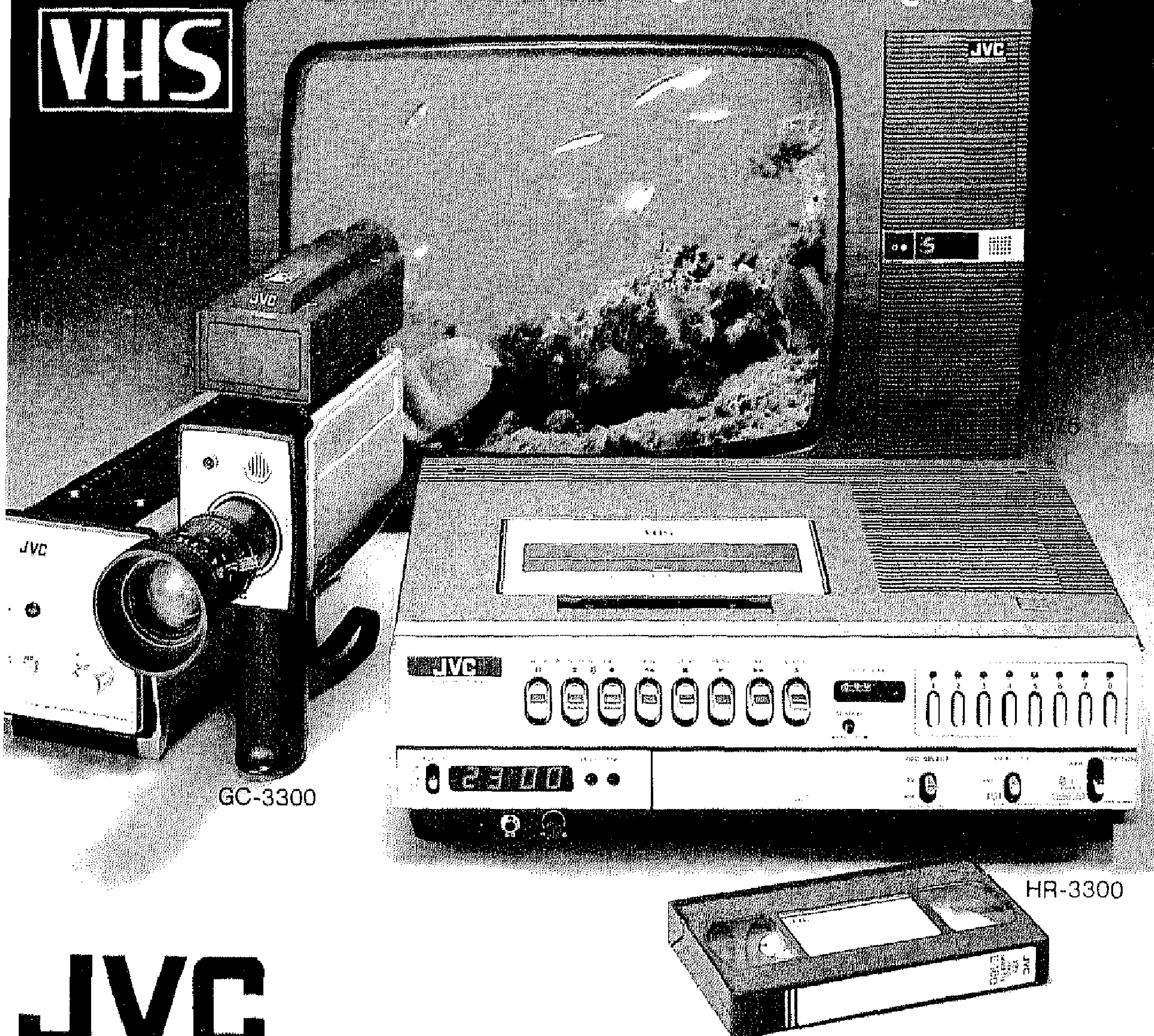
ربما كان هذا صحيحاً ، أما الآن فيستطيع احد افراد اسرتك ان يسجلها ويحفظها لك لكي تراها عندما تعود ·

وهذا بفضل جهاز «JVC Video Home System (VHS)» السهل الاستعمال ·

فهذا الجهاز يسجل البرنامج الذي تشاهده ، او اي برنامج آخر يعرض وانت غائب عن المنزل ، وذلك بواسطة آلة توقيت داخل الجهاز تدور تلقائيا لفترة ٢٤ ساعة ، او تكلف شخصاً آخر بتشغيل الجهاز ·

هذا ، فضلا عن اوجه الاستعمال المثيرة الاخرى لجهاز التسجيل
Video Cassette JVC

ان الخروج من المنزل اصبح متعة حقيقية لك ·



تقليد لصورة تلفزيونية ·

VICTOR COMPANY OF JAPAN, LIMITED 1, 4-chome, Nihonbashi-Honcho, Chuo-ku, Tokyo 103, Japan



الأردن:

أرض ملأى بالكنوز

بريجنسكي:

لا يمكن تجاهل الشعب الفلسطيني

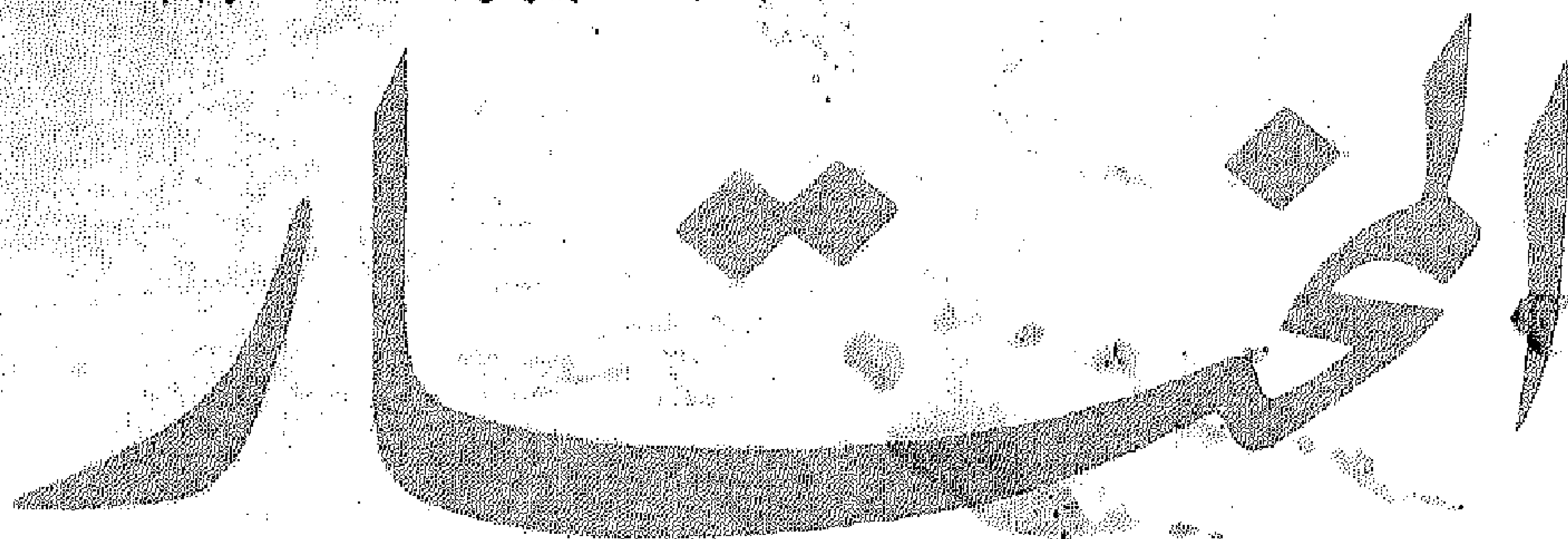
الصين:

بدأت رحلة الحياة الجديدة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest June 1979 N°7

يونيو (حزيران) ١٩٧٩ - رجب ١٣٩٩





من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

هل تفتقد متعة البرامج التلفزيونية التي تحبها عندما تكون خارج المنزل ؟

ربما كان هذا صحيحاً ، أما الآن فيستطيع احد افراد اسرتك ان يسجلها ويحفظها لك لكي تراها عندما تعود .

وهذا بفضل جهاز «JVC Video Home System (VHS)» السهل الاستعمال .

فهذا الجهاز يسجل البرنامج الذي تشاهده ، او اي برنامج آخر يعرض وانت غائب عن المنزل ، وذلك بواسطة آلة توقيت داخل الجهاز تدور تلقائيا لفترة ٢٤ ساعة ، او تكلف شخصاً آخر بتشغيل الجهاز .

هذا ، فضلا عن اوجه الاستعمال المثيرة الاخرى لجهاز التسجيل
Video Cassette JVC

ان الخروج من المنزل اصبح متعة حقيقية لك .



JVC

تقليد لصورة تلفزيونية .

VICTOR COMPANY OF JAPAN, LIMITED 1, 4-chome, Nihonbashi-Honcho, Chuo-ku, Tokyo 103, Japan



حديقة افكار

■ ان قاعدة النجاح للبرنامج التلفزيوني هي ان تكون النساء ابرع من الرجال، والاطفال ابرع من النساء، والحيوانات ابرع من الاطفال.

ر. ف.

■ لم تكد حواء تأكل تفاحة الحكمة حتى تناولت ورقة التين، وعندما تبادر المرأة الى التفكير، فاول ما تهتم له هو شراء ثوب جديد.

هـ. هـ.

■ ان شعور الفنان بشيء من عدم الارتياح بعد انتهائه من عمله الفني يعد بمثابة الدافع الى صنع عمل جديد.

برتولد اويرباخ

■ الطريق الى بيت الاصدقاء لا يشكو ابدا من طول المسافة. ان شئت راحة البال فامتنع عن معالجة شؤون العالم ولا "تحمل السلم بالعرض".

ل.أ.

■ اولئك الذين يضعون امتيازاتهم فوق مبادئهم لا يلبثون ان يفقدوا كليهما معا.

داويت آيزنهاور

■ مهنة المستقبل هو ان يكون محفوفا بالاخطار.

الفرد نورث هوايتهاد

■ لم يبتدع احد حتى الآن اختبارا للذكاء يعادل خبرة الزواج.

■ احب الرجال ذوي القلوب الرقيقة والرؤوس العنيدة.

جيرالد كينيدي

■ ان فكرة الاحتفاظ بالسر تقوم لدى البعض على افشائه بصوت خافت.

فرنكلين ب. جونز



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين •
رئيس التحرير: ادمون صعب •
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب •
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم •
امانة التحرير: رينا نداف •
الاخراج: اروى سيف الدين •

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية- باريس •

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية •

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح •

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية SEPI

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:
شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية- باريس •

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا •

الخط: محمد ماجد •

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ• اوهارا •
مدير التحرير: آلان دوليرو •

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية •

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: مشروع صيد (لريتشارد امندسون)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
June 1979 Nº7 *(New Series)*. Vol.1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

نشــوة التحليق في الفضــاء

في رياضة "الغوص" في الفضاء فجأة ينقلب الخوف ويتحقق لك الانتقال من "الهبوط" الى "الطيران"، واذا بك قد اصبحت صنوا للنسور.



في العام الماضي، كنت في مأدبة عشاء عندما دار الحديث حول اسماء الشهرة، فقلت انني في ما يختص بي، لم يكن لي ابدا اسم شهرة، وانما لو خيرت في ذلك لوددت في الحقيقة ان اتكنى باسم "الصقر". فانفجر كل الحاضرين في الضحك.

وواقع الامر هو انني قد بدأت منذ حين ممارسة الغوص في الفضاء، وعندما يتعلم الانسان طريقة الانقضاض والتحليق في الفضاء على ارتفاع مئات الامتار يحق له الانضمام الى عشيرة الصقور.

القفزة الاولى – واول ما يجب ان يتعلمه المرء في التدريب على القفزة الاولى، هو اسلوب الهبوط السليم على الارض. فقضى مدربنا بيل ساعة كاملة في شرح طريقة الهبوط من منصة ارتفاعها متر وربع متر.

وكانت المجموعة تضم ١٢ شخصا

OUTSIDE (NOVEMBER / DECEMBER 78)

PHOTO PAUL A. COURTOIS

تراوح اعمارهم بين اوائل العشرينات واواخر الثلاثينات٠ وكانت بيننا شابة لا يزيد طولها على متر ونصف متر، وبنيتها اضعف بنيات افراد المجموعة، ولكن سرعان ما امتلأنا جميعا - باستثناء واحد - اعجابا بقوة عزمها وتصميمها٠ وكلما كانت بيتي - وهذا اسمها - تقفز من فوق المنصة كان يتكشف وجهها عن كشرة مشمئزة كمن يقفز من تلقائه في برميل لتخمير الخل من دون ان يقوى دوين الشاب المزهو بنفسه الذي يعمل في محطة بنزين، على كتم ابتسامته الساخرة ازاء الفتاة٠

وضع القوس - ثم تعلمنا ان نتخذ وضع القوس: الساقان متباعدتان والذراعان منشورتان في مستوى الكتفين تقريبا والعمود الفقري مقوس الى الخلف بشدة تجعلك تشعر بالضغط في المنطقة القطنية اسفل الظهر٠ ومن المفروض ان يتخذ وضع القوس هذا لدى الخروج من الطائرة، فيستقر معه كل ثقل الجسم في المعدة، مما يضطر الجسم الى ان يتخذ بدوره وضعا افقيا مواجها للارض٠

والنموذج العملي التقليدي لفعالية وضع القوس هو ريشة البادمنتون٠ فاذا هبطت الريشة وكان طرفها المدبب الى اسفل وهي الى اعلى، فانها تسقط آنذاك على الارض مباشرة وعلى نحو ثابت ومتوازن٠ ولا بد لغطاس الفضاء من مثل هذا الثبات المتوازن في الهواء، حيث يكون ذراعاه وساقاه بمثابة الريشة، ومعدته بمثابة طرف القذيفة المدبب٠ واذا حدث ان سقطت الريشة في اتجاه الارض وهي مقلوبة رأسا على عقب فانها تنقلب في الهواء٠ واذا قوس غطاس الفضاء ظهره في الاتجاه الخاطىء - كما تفعل القطة الغاضبة، فانه يسقط متقلبا حول نفسه ويتعرض لاشتباك مظلة الهبوط بساقيه، ومن ثم للخطر البالغ٠

التدلي للسقوط - وفحصنا طائرة القفز، وهي من طراز "سيسنا ١٨٢"، وتدربنا على اتخاذ وضع الانطلاق٠ وكان هذا الامر يتطلب الخطو الى الخارج فوق العجلة والتدلي من دعامة الجناح٠ وقالت بيتي انها غير واثقة من قدرتها على التدلي من الدعامة لانها لم يسبق لها ان تعلقت مرة واحدة بيديها الى قضيب افقي منصوب فوق رأسها وان ارتفعت بجسمها حتى تصبح ذقنها على مستوى القضيب او تتجاوزه٠ واما دوين فقد تصور انه سيشعل السموات اعجابا بمواهبه الطبيعية، فلم يكد يسمعها تقول ذلك حتى دارت عيناه في محجريهما سخرية واستهزاء٠ لكن المدرب بيل طمأن الجميع الى ان مسألة التدلي من الدعامة لا يجوز ان تكون مثارا للقلق، ما دام القصد الاخير هو حمل القافزين على الاستغناء عن وسيلة التأرجح٠

وتعلمنا ان مظلاتنا المستديرةالمعيارية التي يبلغ قطرها ثمانية امتار ونصف متر او عشرة امتار ونصف متر، تنطلق الى الامام عادة بسرعة ١٤ كيلومترا في الساعة او ٨ كيلومترات في الساعة على التوالي (وتستطيع مظلات التدريب المتقدم ان تنطلق بسرعة ٢٢ كيلومترا ونصف كيلومتر في الساعة، كما ان المظلات المربعة تنطلق بسرعة ٣٠ كيلومترا في الساعة)٠ وتعلمنا ان

ندير دفة المظلة بواسطة مقابض متصلة بحبال للتوجيه، وان نيمز بين المظلة الصالحة وغير الصالحة، وان نتقن طريقة التصرف في الحالات النادرة للهبوط فوق الماء. ثم تدربنا على الاجراءات التي تستدعيها حال الطوارىء.

حبل المظلة ـ وكان بيل يوقف احد المتدربين امام افراد المجموعة، ويشد العدة اللازمة الى ظهرة ويصيح: "انطلق". وعلى المتدرب آنئذ ان يتخذ على الفور وضع القوس ويبدأ العد: "قوس الف، الفان" حتى خمسة آلاف. والمفروض في الحبل الثابت المشدود باحد طرفيه الى المظلة المستخدمة في قفزاتنا القليلة الاولى ان يفتح المظلة تلقائيا خلال ثلاث ثوان. فاذا بلغ العد "الخمسة" ولم تحدث صدمة انفتاح المظلة، يكون معنى ذلك ان ثمة خللا في المظلة الرئيسية، فيقتضي، والحال هذه، المبادرة على الفور الى جذب حبل فتح المظلة الاحتياطية المربوط الى بطن المتدرب.

وطريقة ذلك هي ان تفك غطاءي الكتفين، وهما لوحتان معدنيتان مركبتان على مفصلات قرب كل كتف في العدة، وعند فك الغطاءين تنكشف تحتهما حلقتان من السلك السميك تدخل فيهما ابهاميك وتجذبهما فتنفصل المظلة الرئيسية. وعليك بعد ذلك ان تجذب حبل فتح المظلة الاحتياطية.

كنت في المجموعة الثانية من المتدربين الذين حملتهم الطائرة كي يقفزوا منها. وكان معي كل من بيتي ودوين. ولم ينبس احد منا بكلمة، فقد كانت حلوقنا جافة، وافكارنا مشغولة باشياء كثيرة مثيرة للمخاوف.

وفتح بيل باب الطائرة، فعصفت الريح بسرعة عنيفة. وبينما كنت اقتعد ارض الطائرة، شبكني الى الحبل الاستاتي وامرني بان ادلي ساقي الى الخارج فامتثلت لامره لكن الريح قذفتهما نحو مؤخر الطائرة بشدة مفاجئة مخيفة. وخطوت فوق العجلة المثبتة وامسكت بالدعامة ثم بقيت معلقا حيث انا بينما قوست ظهري الى الخلف باقصى طاقتي. كنا على ارتفاع ٩٠٠ متر في الفضاء. وقد بدت الاشياء على الارض وكأنها نقوش بالغة الصغر.

وكان المفروض ان اركز نظري على بيل، ولكنني لا اظن انني قد تقيدت تماما بهذا الواجب. وصاح هو "انطلق!"، فافلت يدي من الدعامة وتقوست الى الخلف، ثم تتابعت الامور بسرعة فائقة وببطء شديد في الوقت نفسه. كان علي ان اعد الثواني بصوت عال، ولكنني بقيت صامتا كالحجر. اما تلك الافلام السينمائية عن مشاهد الاشخاص الذين يسقطون من اعالي الصخور الشاهقة وهم يغربون في الصياح طوال فترة الهبوط، فليست سوى هراء لا صلة له بالواقع. فاولئك الذين يسقطون من ارتفاعات كبيرة تزدحم رؤوسهم بشتى الافكار التي لا تتيح لهم الصياح.

الوضع الوسط ـ ولما كنت قد اغفلت العد بصوت عال، فقد تقوست بمزيد من الشدة الى حد استطعت معه ان ارى الطائرة فوقي، وكانت تلك علامة طيبة (لانني كنت اخشى بمجرد انفلاتي من الدعامة ان يشطرني ذيل الطائرة نصفين). ولم يعد من حاجة

لي الى طمأنة نفسي بانه اذا كانت سرعة الطائرة ١١٠ كيلومترات في الساعة فان القافز المتدلي من الدعامة يطير هو الاخر بالسرعة نفسها، ومن ثم فهو يهبط سليما وفي منأى عن الاذى. وقد بقيت متقوسا الى الخلف على نحو يدعو الى الاعجاب، بحيث كنت انظر الى اسفل مباشرة، ثم فوجئت بصوت يتعالى داخل رأسي: "انني اهبط! وينتهي بي الامر الى حفرة دامية قانية في ذلك الحقل الى اسفل". واذا بصوت آخر ينطلق ويذكرني بانني قد تواعدت مع نفسي على بقائي في وضع القوس: ولم يكن مني الا ان اتخذ وضعا وسطا. فحافظت على تقوسي من الخصر الى اعلى، بينما انطلقت ساقاي مع سرعة الريح.

ولقد اعلمنا بيل باننا سنشعر بنزعة الى الركض في الهواء، وبان احدا لا يعرف سر ذلك. وانما قد يكون السبب هو الخوف الذي يتملكنا ولا شك، فتدفعنا غرائزنا الى العراك او الهرب فنختار الهرب عدوا ما دام لا شيء في اعالي الجو يدعو الى العراك.

ولا ريب في ان انطلاق القافز في الهواء يبعث على تسلية وهزار الذين يشاهدون منظره من الطائرة. فما ان انقضت ثانية ونصف ثانية على مغادرتي الطائرة، حتى رحت اعدو وارقص "الفاندانغو" (رقصة - اسبانية) في الهواء. ثم احسست فجأة بجذبة تشد شريط الصدر، واذا بي في وضع معتدل تحت مظلة خضراء زاهية، اشرف على سلسلة من التلال الذهبية الناعمة كالقطيفة الصفراء، ورأيت زرقاء فسيحة الاطراف تتلألأ تحت اشعة شمس العصر وكانت السماء صامتة يسودها السكون الخشوع فتتناهى الى ذهني اصداء خفقان قلبي.

حصر موقع الهبوط - وكانت مقابض التوجيه في الموضع الذي اشار اليه بيل، ووجدت ان توجيه المظلة لا يقل سهولة عن توجيه السيارة. ورأيت الى اسفل خلال قدمي حقل الفدادين الخمسة المحروثة التي كنت آمل في ان اهبط فيها داخل مساحة معينة صغيرة ووجدت نسيما رقيقا يحملني الى الهدف فاقلعت معه وانا اراجع من آن الى آخر مقياس الارتفاع الموضوع فوق مظلتي الاحتياطية. وعلى ارتفاع ٧٥٠ مترا وجدتني لا ازال فوق حقل آخر غير الحقل المقصود يقيم فيه عدد من الثيران. وحين هبطت الى ارتفاع ٦٠٠ متر اخذت اقترب من الحقل المحروث. وما ان هبطت الى ٥٥٠ مترا حتى قابلتني مشكلة جديدة: كانت هناك شجرة واحدة في حقل الفدادين الخمسة فألفيتها تتصدى لي كأنها تعتمد ان تحول بيني وبين الهدف. حين بلغت ارتفاع ٣٧٥ مترا بدا لي انني احلق بلا حراك فوق تلك الشجرة اللعينة!

وكانت تعليماتنا تقضي بان ندير المظلة في الاتجاه المضاد للريح عندما نهبط الى ارتفاع ١٥٠ مترا ونستعد للنزول الى اليابسة. وقد نبهنا بيل الى انه اذا واجهنا اي عقبات، فيجب علينا ان نتجه الى اقرب مساحة مكشوفة. وعلى رغم ذلك كله، فهاأنذا اهبط في خط مستقيم يفضي بي الى الشجرة. وكنت ادرك ان الاغصان الحادة المنتصبة في اتجاه عمودي قد تفقأ العينين وتخترق العنق، فقررت

الترحيب بالزائرين..

طقسنا يتغير، وهذا يحدث غالباً، والمشاهد الطبيعية المختلفة تتغير أيضاً كلما اجتزت بضع كيلومترات، ولكن على هذه الأرض الخضراء المضيافة هناك شيء واحد لا يتغير:



تمثال بيتر بنتون

حفاوتنا بالزائرين، حفاوة صديقة، حارة تهتم بك كل الاهتمام تماماً كما تريده أن يكون.

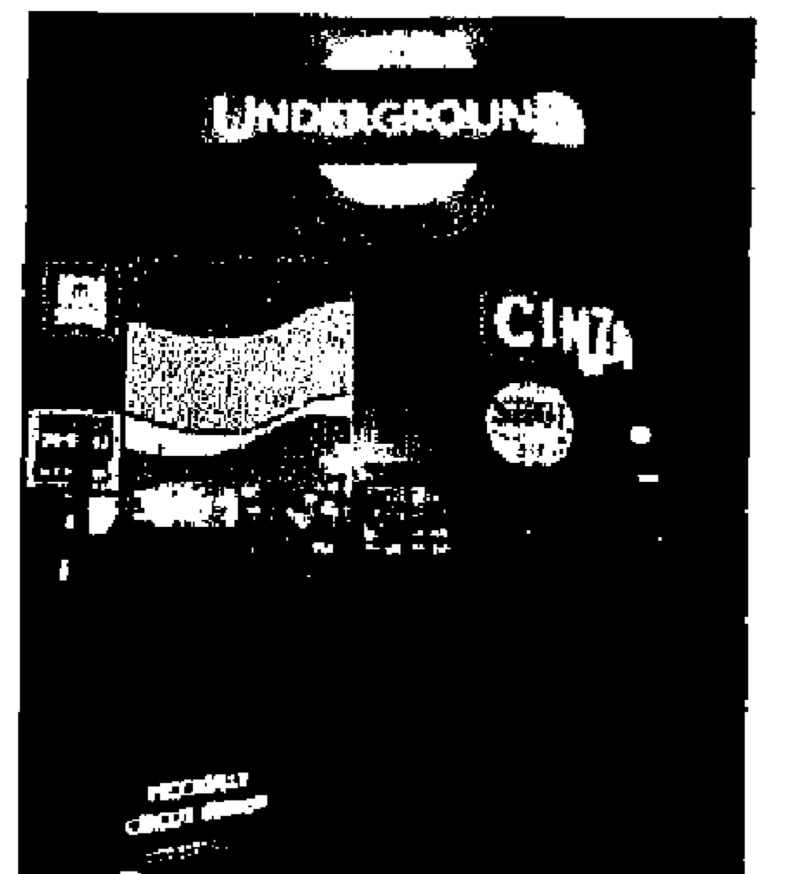
إن مكاتب الخطوط الجوية البريطانية هي أول مكان تتعرف فيه بنوعية هذه الحفاوة. إتصل بنا فنوفر لك بكل سرور جميع المعلومات عن برنامج عطلات الخطوط الجوية البريطانية واقتراحات مفيدة أخرى بما

حرس ملكي في هايدبارك

تقليدٌ قديم في بريطانيا.


حدائق كنسنغتون

يساعد العائلة بجميع أفرادها على التمتع بعطلتها على أكمل وجه بأقل قدر من الإزعاج.
عطلتنا تبدأ بالطبع بلندن وبمحلاتها الشهيرة بكل ما تحتويه من القيّم المفيد. لكن تذكروا دائمًا أنه يمكنك جمع التسوق إلى أنواع كثيرة أخرى من المتعة كالتنزه في بوند ستريت والتمتع بمشاهدة كنوزه واحدًا واحدًا



بيكاديللي سيركس

نفسك في نهاية المطاف وسط فضاء "بركلاي سكوير" وأشجاره الرائعة التي تعود إلى القرن الثامن عشر. إجتز شارع أكسفورد بكامله وهناك إلى الناحية الأخرى



شارع ريجنت

من "ماربل آرش" تمتد أمام ناظريك المساحات الخضراء الجميلة التي تكون حدائق هايد بارك.

شاهدوا لندن أولاً بكل ما في الكلمة من معنى. انتقلوا بواسطة الأوتوبيس في رحلاته حول لندن أو استعملوا القطار فهما في متناول يدكم أينما كنتم والتعرف على المحطات سهل للغاية. ولكن بما أنكم لا تستطيعون شراء كل شيء من محل واحد فلا تنتظروا مشاهدة بريطانيا بكاملها


كامبريدج

في لندن. قوموا إذاً برحلة يوم واحد إلى خارج لندن وقارنوا ضجيجها بهدوء جامعات أوكسفورد وكامبردج. اكتشفوا هندسة براسيون التي تعود إلى العهد الوصائية وتمتعوا

بمقاهيها، حاناتها وشوارعها الضيقة التي تثير الفضول.


قصر وارويك

بريطانيا تحتفي بك بأشياء متناقضة تنتظرك يوميًا عند كل زاوية: من القصور إلى الحقول الخضراء الغنية


روست بيف

من المحلات التي تبيع الأشياء الأثرية إلى المطاعم الفخمة، ومن الشمس المشرقة إلى الأمطار الناعمة.
منذ اللحظة الأولى التي تأتي بها إلينا لتقرر فيها برنامجك مع عطلات الخطوط الجوية البريطانية وحتى اللحظة التي تعود بها إلى بيتك سالماً، سنحيطك بعناية أكبر.

ان اتجنب الشجرة وانحرفت بالمظلة الى ارتفاع ١٤٠ مترا وما ان تأكدت من تجاوز الخطر حتى ادرت المظلة في عكس اتجاه الريح.

وكانت سرعة المظلة قرابة ثمانية كيلومترات في الساعة، فدارت على محورها وواجهت ريحا سرعتها ١٥ كيلومترا في الساعة، مما انتهى بي الى سرعة ارضية عكسية تبلغ خمسة كيلومترات في الساعة. وعلى ارتفاع ٦٠ مترا تقريبا، توقفت الارض عن التأرجح امام ناظري وبدت في سكون هائل، فانتقيت بقعة عند الافق وظللت احدق بها من دون انقطاع.

وكان بيل قد شرح لنا مرارا ان القافز الذي يحدق بالارض محمول على احد امرين: فهو اما ان يمد قدما واحدة نحو التراب، كالسابح الذي يحاول اختبار حرارة الماء قبل النزول اليه، واما ان يثني ركبتيه نحو صدره طلبا للوقاية. وكل من هاتين الحركتين تؤدي الى كسر الساقين. ولذلك فقد بذلت غاية جهدي كي اتحاشى النظر الى الارض، كمن يقطع مسافة كيلومتر وهو مغمض العينين. وعلى رغم اني كنت احدق النظر الى قمة تل قريب، فقد كنت ارى الارض الطيبة الداكنة تلوح الى الحافة السفلى من مجال بصري، ثم اصطدمت بالارض متقلبا على ظهري طبقا للاسلوب السليم المتبع.

ولدهشتي البالغة، وجدتني اثب الى قدمي في الحال واركض حول المظلة كي لا تجرني الريح عبر الحقل. ولم اكن على مسافة تزيد على بضع مئات من الامتار من الهدف المقصود اساسا فوق ذلك الحقل الحلو المحروث.

وبعد انفتاح مظلتي انحرفت الطائرة ودارت عائدة لكي تقفز منها بيتي التي بلغت الارض في موضع اقرب الى الهدف من اي شخص آخر في مجموعة القافزين للمرة الاولى. وكان دوين لا يزال في الطائرة ينتظر دوره. وقد انتظرنا بيتي وانا، على الارض، ولكننا لم نر اثرا لمظلته. وعندما وصلنا عائدين الى حظيرة الطائرات هبطت "السيسنا" الى الارض من دون ان يكون دوين فيها. وربت بيل بكفه على كتفي قائلا: "لقد ركضت مسافة ٥٠ كيلومترا تقريبا قبل ان تنفتح مظلتك".

قلت: "نعم، كما انني اغفلت العد ايضا".

فرد بيل: "حسنا، لقد كان اداؤك جيدا. اعط نفسك ٨٥ درجة من مئة وتذكر اخطاءك كي لا تكررها".

ووقع بصرنا في تلك اللحظة على دوين، فرأيناه يجذب عدته ليتخطى بها سورا منخفضا على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر تقريبا. وحين بلغ الحظيرة، كان يأنف التحدث الى احد على الاطلاق.

وكاد بيل الا يصدق ما حدث، وقال لدوين: "انك احجمت عن الافلات من الدعامةمما ادى الى هبوطك بعيدا جدا على هذا النحو".

فقال دوين: "نعم، نعم، نعم".

ولكني لم استطع مقاومة اغراء النكاية، فاضفت: "كان ينبغي لك ان ترى بيتي، لانها هبطت فوق الهدف بالذات تقريبا".

القفزات التالية - فاجاب دوين: نعم، نعم، نعم. اسمعوا، لا بد ان انصرف الان".

وخلال الاسبوعين التاليين قفزت

بضع عشرة مرة اخرى. وفي القفزة الرابعة بلغت مستوى طيبا في اتخاذ وضع القوس والثبات في الهواء وجذب حبل شد وهمي. وفي القفزة السادسة جذبت حبل شد حقيقي. وكانت تعليماتي بالنسبة الى القفزة السابعة ان اعد الى خمس ثوان قبل ان افتح المظلة. والثابت عمليا هو انه اذا اضيف التأخر خمس ثوان في فتح المظلة، الى فترة الجذب، فان ذلك يستغرق ثماني ثوان فتصبح سرعة غطاس الفضاء في ذلك الحين اكثر من ١٥٠ كيلومترا في الساعة وتبلغ المسافة التي قطعها ٢٥٠ مترا تقريبا في هبوط عمودي. ويصبح الاحساس عند ذاك احساس الطيران، كالذي يتحسس به السابح الواقف على حافة لوحة القفز العالية عندما ينحني منها نحو الخارج فيتلمس النقطة التي سيسقط عندها وهو يدور حول نفسه في حركة انقلاب الى الامام. وفي حال السقوط الحر، اذا بقي القافز في وضع القوس يكفيه ان يحرك رأسه حركة بسيطة الى اسفل لاحداث الاثر نفسه. واذا جذب ذراعا واحدة الى الداخل تحت جسمه، فانه يدور في الهواء متقلبا على جنبه.

ومع مرور الوقت والتدريب، تصبح هذه البهلوانيات طبيعة ثانية لدى الغطاس. والى جانب الدوران الى الامام وعلى الجانبين، يستطيع الغطاسون المتمرسون ان يقفزوا في غطسة جهنمية سريعة ورأسهم الى اسفل، او ان يعدلوا ذلك الوضع لينطلقوا عبر الفضاء في اتجاه افقي. واذا انطلقوا من مستوى الارتفاع التقليدي الذي يبلغ ٢٢٠٠ متر واخروا فتح المظلة ٣٠ ثانية فانهم يبلغون السرعة القصوى، وهي ١٩٠ كيلومترا في الساعة تقريبا، شريطة ان يتخذوا وضع القوس البطيء.

الغطاسون الماهرون - وغطاسو الفضاء المتمرسون يخرجون من الباب، دونما حاجة الى التدلي الساذج من الدعامة، ويمكنهم ان ينتقلوا عبر الفضاء في غطسة سريعة تمكنهم من الالتحاق بغطاس آخر يتخذ وضع القوس البطيء. وعند نقطة معينة فوق هذا يفرد الغطاس الملاحق جسمه في وضع القوس ثم يلتحم بالغطاس الاول بان يمسك بمعصميه. وعندما يقوم اربعة من غطاسي الفضاء بمثل هذه المحاولة فانهم يؤلفون نجمة ومن الممكن تأليف نجوم وتشكيلات اكبر من ذلك تضم ٤٠ او اكثر من غطاسي الفضاء، وهو ما يسمونه "العمل النسبي" ويمثل اعلى مستويات التعبير عن فن الغطس في الفضاء.

وفي قفزتي الثامنة تعطل حبل الشد. ويقول المراقبون الذين كانوا على الارض انهم سمعوا مني شتيمة عالية تهبط مدوية من السماء، ولكنني لا اصدق هذا القول، لانني لم اتردد لحظة واحدة، بل جذبت المقبض بكلتا يدي جذبة عنيفة ولم تلبث المظلة الرئيسية ان انفتحت.

وفي اثناء تلك القفزة، انقلب الخوف في نفسي ظهرا لبطن وتجاوزت الانتقال الخطير من وضع السقوط الى وضع الطيران. واما اذا صدرت صيحة بالفعل مني في اثناء هذا التحليق، فانني اؤثر الاعتقاد بانها لم تكن لعنة اليأس، بل انها كانت صيحة الصقر المحلق.

■ **تيم كهيل**

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

- **كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.**
- **كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...**
- **عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.**
- **في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.**
- **ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.**

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

- **تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.**



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولاراً**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

مَوْقد جَدّي يُحِبُّ الحَطَب



زيادة اسعار النفط اعادت متعة التحلق حول مواقد تنعش فيها النار الحطب الذي تقاعد منذ زمن كمصدر للطاقة و... الدفء.

عندما اصبح النفط، بفضل منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك)، ثمينا مثلما كانت البهارات النادرة قبل بضع سنوات، غدت الاولوية الاولى لعائلتنا خفض استهلاك الوقود النفطي في المجال الذي كان مصروفنا يبلغ فيه ذروته. ومع اننا مقلون في استخدام السيارة، فكثيرا ما نستخدم التدفئة نظرا الى قسوة فصول الشتاء عندنا. ولذلك عمدنا الى خفض درجة جهاز ضبط الحرارة (التيروموستات).

اما سبب تأخرنا في التفكير في امر يتجاوز هذه الخطوة الدفاعية فيحتمل ان تكون له صلة باعتمادنا التكنولوجيا الاوتوماتيكية اعتمادا اعمى. ولكن مهما يكن السبب، فقد قضينا فصلي شتاء ونحن نرتعش في الداخل من شدة البرد قبل ان يتضح لنا ان اذكى حل يمكن ان نواجه به مشكلة نقص النفط هو استخدام الحطب.

عندما كنت صبيا صغيرا كنت اقضي اجمل اوقاتي متمددا على بساط ثقيل من نوع بسط قبائل "نافاهو" الاباشية امام الموقد المنتفخ البطن الذي كان يتصدر حجرة الجلوس في بيت جدي في مزرعتهما في نيو مكسيكو. وكان ذلك الموقد المزخرف مزودا في واجهته الامامية بنافذة شفافة مصنوعة من مادة الميكا. وكانت النافذة مسودة الحواف بفعل الدخان، لكنها كانت مصفرة اللون عند الوسط وشفافة الى حد يسمح برؤية لمعان لهب النار الكهرماني. وعندما كانت فتائل قناديل الزيت تنوس، كان الموقد القديم يرمي بضوئه الناعم المتألق في الغرفة، فاري ظلالا متراقصة في ارجائها جميعا.

وفي امسيات الشتاء كان جدي يجلس مع صديق او صديقين في مقاعد سخية الحشو وهم يلفون السجائر ويتبادلون الحكايات في تلك الغرفة المعتمة جزئيا. وكانوا يتحدثون عن مناجم الذهب المخبوءة في اعالي الجبال، وعن عصابات قطاع الطرق المتجولين، وعن فصول الشتاء الفظيعة التي لم تبق سوى الدهاة الماكرين والمحظوظين. وكنت، في تمددي على ارضية الحجرة واطمئناني الى اصواتهم الرقيقة الهادئة، ودفئي المستمد من ذلك الموقد الكبير، اشعر باني دنوت من النعيم الى اقصى حد ممكن.

الموقد اللجوج - اما موقد الحطب في مطبخ والدتي فكان له دور مختلف تماما. فهو كان واسعا ضخما وكان يتطلب مني ملازمة تزويده بالحطب. وكنت صباحا ومساء، خلال الصيف والشتاء، اقصد كومة الحطب في الخارج فانقل منها احمالا الى المطبخ. وسرعان ما فهمت الاقتصاديات الحقيقية القاسية للطاقة، وهي ان كل دزينتين من الكعك الصغير تعادلان حمل حطب، اما عشاء الاحد من الدجاج والزلابية فمعناه نقلات لا نهاية لها.

ولم يكن سهلا، بالنسبة الي، ان اتعلم تطويع الموقد لارادتي، اذ كانت له صمامات لضبط تدفق الهواء، كما كان له خزان ماء ينبغي ملؤه. وكان هناك وقت ملائم للاشعال، ووقت للحطب، ووقت للفحم.

ومع وجود اربع ادوات لضبط تدفق الهواء، فان الاحتمالات الممكنة لاستعمالها تكاد تكون بلا نهاية، كأنها تنويعات في لحن موسيقي. وهي جميعا استعمالات ذات فوائد، اذ يمكن ان تزيد او تخفف من حرارة الموقد وان تجعل الدفء طويل الامد كالزواج المريح، او سريعا وحارا كفورة غرام في عطلة نهاية الاسبوع. وحركات الضبط هذه تعلم المرء، في نهاية الامر، نوعا من الانضباط، والحق انه لم يمض وقت طويل حتى تعلمت ان القوى المادية الطبيعية لا يمكن التحكم بها الا بالعمل معها. فالاوكسيجين والوقود والحرارة هي العناصر المكونة للنار. وعندما رسخت تلك الفكرة في رأسي الصغير، اقلعت عن لعب دور الديكتاتور المستبد الرادع حيال الموقد، واصبحت، بدلا من ذلك، عازف ارغن قادرا على استنباط ادق درجات الحرارة.

وكبرت وتزوجت ورحلت الى نيويورك. واشترينا منزلا في الريف، وفرشنا معظمه بقطع اثاث متنافرة

فافر لوبا

ساعة فافر لوبا قلب سويسرا النابض



FAVRE-LEUBA
Genève

"FLATLINE QUARTZ"

ابتعناها من المالك السابق، وعندما اوشكنا على استهلاك ميزانيتنا، سألنا المالك السابق اذا كنا نود الاحتفاظ بموقد الحطب الموجود في المطبخ.

كان الموقد قطعة قديمة غير جذابة، ومطلية بالدهان الابيض الصقيل. وكان ضئيل الجدوى بالنسبة الينا، الا كرف للنباتات وادوات المطبخ. لكني طلبت اليه ان يتركه لنا.

وخلال فصل الشتاء الاول الذي قضيناه هناك، القيت احمالا كبيرة من خشب التفاح في مدفأة غرفة الجلوس، فيما ابقيت موزع التدفئة المركزية مشتعلا ليلا ونهارا، من نوفمبر (تشرين الثاني) حتى مارس (آذار). وكان النفط رخيصا آنذاك. وفي السنوات التالية كنت اقلق لاستهلاك المدفأة اكثر من قلقي لفاتورة النفط. وبقيت على تلك الحال الى ان سددت منظمة اوبيك ضربتها.

وعندما تجاوز سعر النفط ضعفي ما كان عليه، خفضنا درجة ضابط الحرارة (التيرموستات) وارتدينا مزيدا من الثياب. واصبحت الحمامات الساخنة هواية محببة لدينا، واصبح كل منا انظف من مبضع جراح. غير اننا لم نشعر قط بدفء تام. نعم، لقد كنا نبقي المدفأة مشتعلة طوال الوقت، وهي تمتص كل ذلك الهواء الثمين المدفأ بالنفط وتحمله الى الخارج. وارتفعت فواتيرنا الكهربائية نظرا الى كثرة استعمالنا الفرن الكهربائي للمساعدة في تدفئة المطبخ. ثم حدث في احد الايام القارسة البرد ان انقطع عنا التيار الكهربائي، فغدونا بلا مدفأة ولا فرن. ونقلت النباتات عن موقد الحطب واشعلت فيه النار للمرة الاولى.

ليالي الشتاء - واخذت امور غريبة، ولكن مألوفة، تحدث في منزلنا، اذ رحنا نجتمع كلنا حول الموقد. وبعكس حجرة الجلوس حيث كانت المدفأة مستعرة النار، كان المطبخ مشبعا بالدفء وليس فيه تيارات هوائية باردة تثلج ارجلنا. واخذ اطفالنا، الذين اعتادوا اتمام واجباتهم المدرسية في غرف منفصلة، يجتمعون حول مائدة المطبخ، وبدا الاصحاب اشد راحة وطمأنينة واكثر مؤانسة، وراحوا يتناوبون "تحميص" انفسهم امام الموقد. وباتت البرامج التلفزيونية في ركود مقابل الاحاديث الحية الطريفة.

غير ان المطبخ كان ذا سيئة واحدة هي التقلب. فاذا برد، كان علينا ان نستعين بكميات من الورق وان نشعل نار موقده قبل ان تدب فيه الحياة. واذا غادرناه في رحلة الى محل البقال او لتناول العشاء في الخارج، كنا نعود فنجده فاقدا دفئه. وقد اشعلت نيرانا كثيرة ذلك الشتاء، واوقدت مقدارا كبيرا من الحطب وانا ارتعش في ثياب النوم.

وفي السنة التالية اشترينا موقد حطب لحجرة الجلوس. وما ان ركبناه بامان وجربناه حتى بدأ يفعل فعله ويخلق كل ذلك السحر الذي اذكره منذ حداثتي. ولم نعد نأخذ دوشا في منتصف الليل، كما لم نعد ندفع فواتير كهرباء قاصمة للظهر. وغدت حجرة جلوسنا دافئة حقا من جديد، للمرة الاولى منذ عام ١٩٧٣. واصبحنا نتلاقى هناك فنتحدث ونقرأ - احيانا

– متمتعين بدفء الموقد ورفقة بعضنا بعضا. فقد شدنا الموقد الى حرارته وحيويته وساعدنا، بوضعنا حوله، على تسلية انفسنا وتهدئة تململنا، وغطانا بدفء يسرح فيه الخيال ويلمع ويرقص بحرية مع الظلال المتراقصة.

وعندما اجتمع وزراء اوبيك في المرة الاخيرة لبحث رفع الاسعار، انتظرت نتائج مداولاتهم باهتمام وترقب، ولكن دونما قلق.

صحيح ان موقدنا لن ينتج اسمدة او اطارات سيارات او مواد بلاستيكية، ولكنه سيدفئنا طوال الشتاء. والواقع ان اوبيك اسدت الى عائلتنا معروفا كبيرا.

لقد احيت ازمة النفط مرة اخرى مباهج مكان تجمع رئيسي هو قلب المنزل الدافىء حقا، حيث تجري امور كثيرة عظيمة الاهمية. وقد وثق هذا علاقة بعضنا ببعض. ولهذا وحده اشعر باعمق الامتنان.

■ جيرالد مور



ليس اسوأ حظا ممن تجافيه المصائب، اذ لن تتاح له فرصة اثبات وجوده.

سنيكا

التاريخ يعيد نفسه

قبل ۱۹۰۰ سنة كتب الحكيم الروماني الساخر مارشال:
من كان يدري ان الشعر الذهبي على رأس كالا هو شعرها ؟
لكنها تقسم على انه شعرها.
وهي محقة في قسمها
فأنا اعرف من اين اشترته.

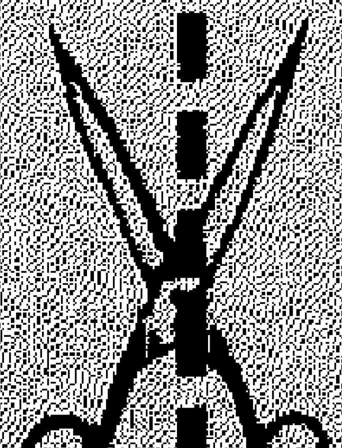
سر السعادة الزوجية

في اليوبيل الذهبي لزواجها، روت جدتي لضيوفها سر سعادتها الزوجية: "يوم زفافي قررت ان اعد قائمة اضمنها عشرا من مثالب زوجي التي يجب ان اغض الطرف عنها لمصلحة زواجنا".

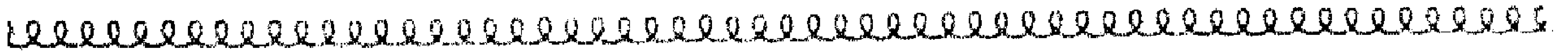
وفيما كان الضيوف يتهيأون للخروج، دنت منها سيدة شابة كانت تواجه مشاكل زوجية اخيرا، وسألتها عن بعض المثالب التي اختارت غض الطرف عنها.

فأجابت جدتي: "بصراحة، يا عزيزتي، لم اتوصل مطلقا الى تسجيلها. ولكن حيثما اتى زوجي عملا يثير غضبي الشديد، كنت اقول لنفسي: لحسن حظه، هذا واحد من بين عشرة".

رودريك ماكفرلين



المختار
يونيو (حزيران) ١٩٧٩ السنة الأولى (سلسلة جديدة)



الصين
بدأت رحلة الحياة الجديدة

الصين على عتبة تغيرات اساسية، فالكلمة الرسمية في بكين لم تعد تصدر عن ماو، وبدأ قرابة الف مليون صيني يتذوقون طعم امور كثيرة كانت محظورة عليهم.

انكبت العاملات الماهرات في احد مصانع الفخار في مدينة فوشان، قرب كانتون، على وضع اللمسات الاخيرة على تماثيل الفخار الصغيرة. وقد علق على الحائط اعلان مصور يبرز أهم الانجازات التي حققها العمال: ١٢١ من العمال الـ١٥٦ الذين يشتغلون في الورشة لديهم دراجات او ماكينات خياطة، بينما يقتني ٨٤ منهم ساعة معصم، و٢٩ غيرهم اجهزة راديو او مراوح كهربائية.

ولقد كان مثل هذا الاعلان امراً شائناً لثلاث سنوات مضت، اي قبل وفاة ماو تسي تونغ في ٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦، باعتبار انه مدعاة صارخة لخدمة مصالح العمال الذاتية المادية، وبالتالي "يعد" انسياقاً في "طريق الرأسمالية". اما الان فقد اصبح ماو ذاته عرضة للنقد العلني، بعد ان ظل اكثر من ثلاثين عاما قائد الصين العظيم المنزه عن الخطأ. كما اصبحت جدران بكين مكتظة بالملصقات المطالبة بمزيد من الحرية للشعب تمكينا له من التعبير عن رأيه.

واسرت الى احدى العاملات الشابات التي التقيتها خلال الشتاء الماضي في احدى الحدائق العامة في كانتون: "نود لنا الان حياة طيبة، ولا نريد ان نجهد انفسنا في العمل مثلما فعل آباؤنا، بل نرغب في الاستعانة بالآلات في تحمل متاعبنا". ولقد كان لمثل هذا الحديث، مع زائر اجنبي، خطورته حتى في الصيف الماضي، بالنسبة الى اي مواطن صيني. الا ان هذه المرأة الشابة كانت تغتنم فرصة تخفيف القيود المفروضة على حرية التعبير، لكي تتحدث بالانكليزية التي اصبحت تستهوي الصينيين في وضوح هذه الايام.

اما في ما يتعلق بالسياسة، فقد اعترفت بان الصين تحتاج الى وضع حد للتناحر الذي اتسم به العقد الماضي. فقالت: "لقد كانت لنا ثورتنا السياسية، ونحن الان في حاجة الى ثورة اقتصادية تتيح لنا اللحاق بركب الغرب".

شيوعية الاستهلاك – وقد ذهل كثير من الصينيين لتنفيذ زعماء بكين الجدد السياسات الكفيلة بتحقيق امنية تلك العاملة الشابة، اي تحديث الاقتصاد الصيني بحلول القرن الجديد وتوفير حياة افضل واكثر انفتاحا للالف مليون مواطن صيني. ويحتمل، عما قريب مثلا، ان يتوجه الزائر الامريكي الى بكين على متن طائرة تابعة لشركة "بان اميركان"، وان يقيم في فندق انشأه ويديره الاجانب، وان يستخدم بطاقة "دينرز كلوب" لشراء بعض التحف الصينية القديمة، بل وربما تسنى له ان يتناول وجباته ايضا في مطعم انشىء بارشاد شركة "ماكدونالد".

بيد ان هذه ليست سوى بوادر ظاهرية لتحوّل جذري. فان بكين تجري الان مفاوضات لشراء مصانع للصلب من المانيا الغربية، والحصول على معونة فنية وتجهيزات لسكك الحديد من اليابان، ومعدات عسكرية ومنشآت لانتاج الطاقة النووية من فرنسا، وطائرات مقاتلة من بريطانيا. وربما كانت الصفقة الكبرى هي تلك التي تتكفل بموجبها بضع شركات نفطية امريكية بالتنقيب عن الموارد البترولية الصينية الضخمة الكامنة في عرض الشواطىء الصينية. وقد توافد رجال المصارف من شتى انحاء العالم الى الصين واحدا تلو الآخر سعيا الى المساهمة في تمويل هذه الصفقات الهائلة التي تبلغ قيمتها ٦٠ مليار دولار.

ويعترف المسؤولون الصينيون بان بلادهم تواجه الان مشكلة تخلف رهيبة لا بد للصين من التغلب عليها. وهي عزمت على ابرام عقود لهذا الغرض مع شركات اجنبية من اجل انشاء مصانع مشتركة في الصين تستخدم المعدات والتقنيات الغربية والايدي العاملة الصينية الرخيصة. ومن سخرية القدر ان يكون هذا التوافق بين التقدم التكنولوجي الغربي والايدي العاملة الرخيصة هو الذي ساعد على استسراع عملية التنمية في كوريا الجنوبية وهونغ كونغ وتايوان.

وبالاضافة الى هذه السياسات الاقتصادية الجديدة التي تعد بمثابة تبرؤ من آراء ماو في ما يتعلق باعتماد الصين على نفسها والتفاخر بجهدها الذاتي، فقد برزت بعض بوادر التغيير في حياة الصينيين

الخاصة. فهناك عدد من النساء الصينيات اخذن يصففن شعورهن ويرتدين من جديد الازياء العصرية التي نبذتها الثورة الثقافية واعتبرتها شعار التدهور والانحطاط. كذلك القراء، فقد اصبحوا يوجهون الرسائل على نحو منتظم الى صحيفة "الشعب" اليومية، وهي صحيفة الحزب، يطالبون فيها باصلاحات جديدة كالترخيص بعرض الافلام الاجنبية وفتح ابواب المكتبات الصينية المحدودة. وثمة رسائل اخرى تشير الى نقص في اللحوم والخضر، بل وينطوي بعضها على التذمر من انعدام كفاية بعض المسؤولين عن الحزب، او من اوضاع الانفصال الطويل بين الازواج والزوجات من جراء قيامهم بالعمل في مدن مختلفة.

بيد ان الباعث الاكبر على الدهشة هو هذا الطوفان المفاجيء من الملصقات الجدارية التي تدعو الى مزيد من حرية التعبير وتأمين الحق في اختيار المسؤولين عن طريق الانتخاب.

وقد انطلقت مسيرة لم يسبق لها مثيل وسط مدينة بكين في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، اشترك فيها ما بين خمسة وستة آلاف شاب صيني، وهم يهتفون: "تحيا الديموقراطية". وقال احد جنود "جيش التحرير الشعبي" لممثل ديبلوماسي في بكين ان دستور الصين يكفل كل هذه الحقوق "بيد انها لا اثر لها في الواقع. فلم يجرؤ احد منذ سنوات على التعبير عما يدور في خاطره".

وكان ماو يحتقر المثقفين، وحاول القضاء على الاعتقاد الصيني التقليدي بان اولئك الذين يعملون باذهانهم افضل من الذين يعملون بايديهم. اما الان فان الاساتذة والعلماء سيتحررون من الالزام الذي فرضه عليهم ماو بقضاء معظم وقتهم في ممارسة العمل اليدوي. وفضلا عن استعادة نظام امتحانات الالتحاق بالكليات، فقد انشئت مدارس خاصة للاطفال الموهوبين سعيا الى اعداد صفوة مثقفة باسرع ما يمكن.

وهناك تغييرات كذلك في مجال التنظيم الصناعي. فقد بدأت الصين تخطو نحو مقدار محدود من المبادرة الاقتصادية الفردية، بما يتيح للمصانع ان تتعامل مباشرة بعضها مع البعض، مع مراعاة ربط اجور المديرين والعمال بمربحية المصانع التي يعملون فيها. بل وبدأت اعادة النظر ايضا في المشروعات الجماعية الشعبية. فقد اتيح للفلاحين، على اساس تجريبي، مزيد من الحرية في استغلال اراضيهم الزراعية، ومقدار اكبر من المرونة في اختيار ما يزرعونه في الاراضي الجماعية. وفي غمار هذه العملية، يحتمل ان تؤول من جديد سلطة اتخاذ القرارات الى الاسرة الكبيرة العريقة.

ساعة الاعراض المتزامنة — واما تصميم هذه السياسات الجديدة فيعود الى تنغ هسياو بنغ النائب الفظ لرئيس الوزراء الذي اقصاه ماو في اثناء تطهير الحزب في "الثورة الثقافية" بسبب نزعته السياسية التي وصفت بانها "يمينية"، ولم يلبث ان اعاد اليه اعتباره، ثم اطاحه مرة اخرى في ١٩٧٦، ليعود مرة ثانية الى المسرح السياسي خلال عام ١٩٧٧، بعد مرور عام تقريبا على وفاة ماو.

وقد تابع تنغ من منفاه الجبري جميع الاخطاء التي ارتكبت في اثناء السنوات الاخيرة من عهد ماو. وبعد ان نبذه نظام ماو فقد عاد وكله تصميم على نبذ النظام ذاته، مسترشدا في ذلك بتصوره لعظمة مستقبل الصين.

وكل شيء في شخصية تنغ يدل على ما للرجل من قوة ونشاط، وعلى اعتزامه على الانتهاء السريع من هراءات السنوات الاخيرة، وعلى النهوض بالصين ودفعها من جديد في طريق التقدم. وقد يعزى ذلك الى حصافة السن، فهو من مواليد ١٩٠٤، ويبلغ اذاً ٧٥ عاما: رجل تقدمت به السن فأصبح يتطلع الى انجاز الكثير على عجل. الا انه قد عرف ايضا منذ عهد طويل بنزعته الواقعية والعملية. وقد اتهم في اثناء الثورة الثقافية بانه قال: "لا يهم اذا كانت القطة سوداء او بيضاء، فهي قطة جيدة طالما هي تصطاد الفئران". وخلال العام ١٩٧٨ اعلن تنغ عن مذهبه السياسي الجديد ومؤداه ان كل شيء في الصين ينبغي ان يرتكز على افتراض علمي بسيط هو: "استقاء الحقيقة من الواقع العملي". ونتيجة لذلك اضاف تنغ افتراضا آخر: "الواقع العملي، لا اقوال ماو، هو المعيار للحقيقة".

ويبدي الشعب الصيني اعجابا ملحوظا بشخصية تنغ وسياسته وتلك ظاهرة تبعث على الطمأنينة والارتياح بعد الاضطراب السياسي والفوضى الاقتصادية اللذين شهدهما العقد الاخير. غير ان بعض الصينيين، بما لديهم من حس قوي بالتاريخ، يتذكرون ان الصراع بين المحافظين من اوائل دعاة الثقافة الوطنية مثل ماو، والمحدثين من انصار الاصلاح مثل تنغ، قد تأرجح جيئة وذهابا على نحو يكاد يماثل الايقاع الاحيائي في الصين.

واما الان، فقد اصبح زمام السلطة في يد تنغ، ويقضي "زمرة الاربعة"، وهم الاشد حماسة لماو، ايامهم في السجن. ولكن هناك بعض المسؤولين لا يزالون يترددون في تنفيذ السياسات الجديدة او يعارضونها.

وتعاني الصين اليوم ازمة سلطة. فقد حل التهكم والفتور وانخفات الحس الاخلاقي محل الكثير من الحماسة السابقة للثورة الشيوعية. ولقد ساعد ماو ذاته في زعزعة المعنويات من خلال عمليات التطهير ضد مناوئيه من قادة الحزب، وامتهانه لقواعده النظامية. وقد افضت هذه التقلبات السياسية الى اذى لحق بشعور الكثيرين من المسؤولين الصينيين. وصرح أخيرا رئيس فرع الحزب في اقليم هيونغ كيانغ: "انه لمن الصعب التمييز بين الخطوط السياسية السليمة والخاطئة. ويكاد يتحتم على المرء ان يضل سواء السبيل".

وقد اتضح الان، بعد انقضاء فترة من الزمن، ان عمليات التطهير كانت تجري على نطاق واسع جدا خلال السنين العشر الاخيرة. فقد فضحت الصحف الصينية في الاشهر الاخيرة عددا مذهلا من الاضطهادات السياسية. ففي شنغهاي مثلا، عذب المتطرفون عمدة سابقا يبلغ ٦٧ عاما من العمر حتى لقي حتفه. وفي ولاية كيرين، سجن خطأ ٢٨٦٠ شخصا من المسؤولين المحليين بعد اتهامهم

بالانتماء الى احدى شبكات التجسس وارغامهم على الاعتراف بالتهم المنسوبة اليهم. ومنذ شتاء عام ١٩٧٧، اطلق ١٠٠٠٠ ((شخص لا يزالون معتقلين منذ عشرين عاما بسبب اتهامهم باليمينية.

موضوع الانتقام — وربما كان العامل الاساسي في تنفيذ خطط التحديث في الصين، يكمن في قدرة قادتها على صون الوحدة الوطنية. والواقع ان كثيرا من الصينيين يشعرون برغبة أكيدة في الاستقرار وفي تجنب اخطاء الماضي. ومن بين الادلة في هذا الصدد ان صرف كبار المسؤولين من الخدمة يتم الان بطريقة اقل صرامة من ذي قبل، مما يحد كثيرا من النتائج السياسية المترتبة على ذلك. ويقول تنغ فضلا عن هذا، انه لا يعتزم القيام بتعديل كبير في القيادات الحزبية العليا.

بيد ان المرارة التي ولدها العقد الماضي، لن تختفي آثارها بسهولة. ولم يزل موضوع الانتقام يسود الحياة السياسية في بكين، وكأنها مأساة شكسبيرية لا نهاية لها. ولعل في تسلسل القيادات الحزبية انعكاسا لهذه المشكلة وابرازا لابعادها. فقد ذهب تنغ ضحية الثورة الثقافية، بينما ارتقى هوا كيو فنغ، رئيس الحزب الشيوعي ورئيس الوزراء، والذي اختاره ماو خليفة له، مدارج السلطة خلال تلك السنوات.

ويؤكد تنغ في تصريحاته العلنية على عدم وجود اي تعارض في الرأي بينه وبين هوا. ومن ناحية أخرى، فان الرئيس هوا الذي لا يتجاوز الثامنة والخمسين يعتبر اهلا للتعاون مع تنغ، كما يعتبر هذا التعاون اداة لاستقرار الصين على المدى الطويل. ولقد ابدى هوا قابليته لمجاراة تنغ في آرائه. فبعدما قام تنغ في الصيف الماضي (١٩٧٨) برحلته الى رومانيا ويوغوسلافيا، وهي اول زيارة له خارج الصين، بدأ هوا في دعوته الى الاسراع في تنفيذ الخطط الانمائية في الصين. واما اذا تعثرت العلاقات بينهما، فمن المحتمل ان تنشأ عن ذلك مشكلة من ادق المشكلات التي تواجه الصين، وهي مدى الاسترسال الممكن في الحط من قدر ماو وخفض منزلته. ففي الربيع الماضي بدأت بحذر شديد الحملة التي نظمها تنغ لزحزحة ماو عن سدته السامية وذلك عندما توقفت الصحافة الصينية عن طباعة اقوال ماو المأثورة بحروف عريضة بارزة. وبعد ذلك نشرت صحيفة الحزب في شهر يوليو (تموز)، خطبة لم يسبق نشرها القاها ماو عام ١٩٦٢ ويعلن فيها انه يتحمل مسؤولية "مواطن الضعف والاخطاء في عملنا" ابان الوثبة الكبرى المشؤومة الى الامام. وفي شهر اوكتوبر (تشرين الاول)، بدأت صحيفة الحزب تفضح الزيف في "الكتاب الاحمر" الصغير المشهور الذي يتضمن اقوال ماو، واعلنت ان "الشعب الصيني قد دفع ثمنا غاليا جدا" لتأليه الرئيس ماو. واخيرا، تناولت الصحافة بالنقد الثورة الثقافية ذاتها. ووصفت تلك الحقبة من تاريخ الصين بانها كانت "ديكتاتورية فاشية مضادة للثورة".

افهل فتح تنغ "علبة باندورة السحرية"؟ وعمّاذا ستسفر يا ترى هذه السياسة الجديدة التي يقودها تنغ؟ وكيف ستكون عواقبها؟

تغيير الشركاء – لا تزال السياسة الخارجية الصينية مرتكزة على معاداة الاتحاد السوفييتي. الا ان قادة الصين في سعيهم الى الحصول على مصادر جديدة للتجارة والتكنولوجيا، تنفيذا لبرنامج الاصلاح والتحديث، قد سارعوا الى تعديل مواقفهم من اصدقائهم القدامى واعدائهم. فبعدما كانت البانيا ذات يوم هي الحليف الوحيد للصين في اوروبا، تباعدت عنها الصين وتقاربت مع يوغوسلافيا عدوة البانيا اللدودة، باعتبار انها شريك اكثر نفعا. وفي آسيا، تورطت الصين في صراع مع فيتنام التي كانت تساندها، منذ ثلاث سنوات فقط، ضد الولايات المتحدة. وترى بكين ان هانوي ليست الان سوى "كوبا آسيوية"، اي انها عميل. ومن ناحية اخرى فان اليابان التي اجتاحت الصين في الحرب العالمية الثانية، قد اصبحت الان صديقها الاول الحميم في العالم غير الشيوعي. ومن المرجح ان تغدو اليابان المصدر الرئيسي للتكنولوجيا الجديدة التي تفتقر اليها المصانع الصينية. ويخامر موسكو شعور بان بكين تحاول جذب طوكيو الى حلف ثلاثي معاد للاتحاد السوفييتي يضم الصين واليابان والولايات المتحدة الامريكية.

واكبر التغييرات (★) التي تبعث على الذهول في سياسة الصين الخارجية هو ذلك الذي طرأ في ديسمبر (كانون الاول) الماضي ١٩٧٨ عندما اعلنت جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية انهما ستستأنفان العلاقات الديبلوماسية الكاملة بينهما اعتبارا من ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩. بل ويمكن القول انه حتى قبل اعلان استئناف العلاقات الديبلوماسية رسميا، كانت هناك بوادر تشير الى تحسن العلاقات بين البلدين. فقد وافقت الصين على تبادل الطلبة مع الولايات المتحدة، وكانت تجري مفاوضات معها لشراء تابع فضائي اصطناعي للاتصالات.

وازاء هذه التغيرات، ماذا عسى وضع الصين ان يصبح بعد ١٥ عاما؟ في سبتمبر (ايلول) الماضي، اطلقت صحيفة "كوانغمنغ جيه باو" البكينية لخيالها العنان، ونشرت مقالا على نمط القصص العلمية الخيالية، وكان هذا اول حدث من نوعه في الصحافة الصينية. قال كاتب المقال: "هبطت الطائرة في بكين في ٤ مايو (ايار) ١٩٩٤، فوجدت ان كل شيء فيها قد تبدل. واسترعت انتباهي خصوصا الثياب التي كان يرتديها الناس، فهي تغيرت كثيرا عما كانت في السبعينات، ولم تعد موحدة الطراز كما كانت من قبل".

وشاهد الكاتب برجا من الصلب يبلغ ارتفاعه ٣٥٠ مترا، ومكتظا بالمطاعم والحوانيت. وامتلأت شوارع بكين بالنقالات الميكانيكية للمشاة. و"شاهدت ايضا مبنى ضخما مذهلا، كان محلا تجاريا كبيرا يديره حاسب الكتروني من غير ان يكون هناك بائعون".

■ **فوكس باتر فيلد**

رئيس مكتب "النيويورك تايمس" في هونغ كونغ

(★) هذا الجزء من المقال لم يقتبس من "نيويورك تايمس".

حوار مع "سكان" الفضاء الخارجي

آذان أمريكية وسوفييتية في النافذة الأرضية

منذ عشرات السنين واجهزة الاتصال الارضية تلتقط اصواتا آتية من بعيد... بعيد في العوالم الاخرى. وثمة اعتقادات عدة بان هناك كائنات تحاول الاتصال بنا، فهل هذا معقول وممكن؟

لقد اصبح معظم علماء الفلك على اقتناع باننا لا نستأثر وحدنا بهذا الكون الشاسع، وبان هناك حياة عاقلة تنبض على الكواكب الطافية حول مليارات من النجوم والشموس التي تمخر الفضاء. وفي هذا الصدد، يلاحظ فرانك دريك، مدير المركز الوطني للفلك والغلاف الايوني (*) في جامعة كورنيل الامريكية: "ان العمليات الكيميائية التي تبيّن لنا انها العنصر الاهم في تكوين الحياة على الارض ليست هي الا النتائج العادية لقوانين الكيمياء، ومن المتوقع انها قد حدثت في اماكن عدة من الكون". اما كارل ساغان، مدير مختبر جامعة كورنيل للدراسات الكواكبية، فيقدر من جهته بمئة مليار عدد الكواكب الملائمة للحياة في مجرة الطريق اللبني وحدها، بل ان هناك "آذانا" الكترونيز في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وكندا تصغي الان لالتقاط ما قد يصدر عن هذه الكواكب من اشارات.

المحاولات الاولى – وقد جرت المحاولة الاولى لالتقاط اتصالات الراديو الواردة من الفضاء خلال عام ١٩٦٠، في "مشروع اوزما" (**)، في مرصد الراديو الفلكي الوطني قرب

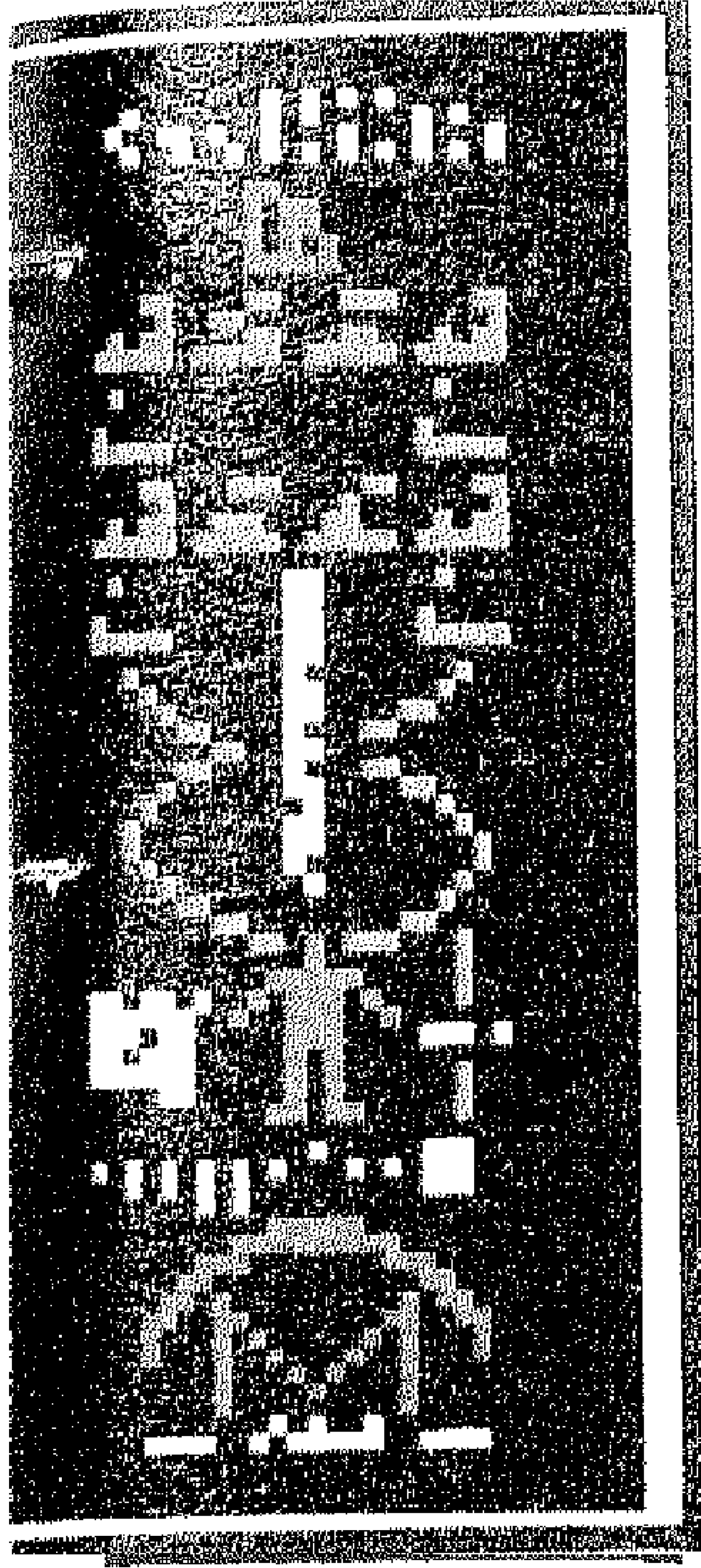
(*) – الجزء من جو الارض الذي يبدأ على ارتفاع ٤٠ كيلومترا تقريبا ويمتد في الفضاء الى ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر أو أكثر.

(**) – جاء في كتاب المؤلف أ. فرانك بوم "أرض اوز" ان الاميرة اوزما قد حكمت مكانا "قصي البعد يتعذر الوصول اليه ويقطنه سكان على حد كبير من الغرابة".

مدينة غرين بانك في ولاية فرجينيا الغربية: ففي مشروع "اوزما - ١" ثم مشروع "اوزما - ٢" الذي استمر تنفيذه من عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٧٥، رصد العلماء اكثر من ٦٥٠ نجما من النجوم القريبة، آملين في ان يلتقطوا اي اشارات تعلو على ضوضاء الراديو الطبيعية المنتشرة في الفضاء الكوني أو ٠٠٠شيئا يقول عنهم: "انكم لستم وحدكم، فهيا انضموا الى نادي المجرة"٠ وكان المتوقع ان تتخذ الاشارات الرمزية شكل معادلة رياضية يتبين منها، مثلا، الوزن الذري لعنصر ما، كاليورانيوم او اي شيء آخر يمكن تمييزه كاشارة مرسومة اصطناعية٠ غير ان العلماء لم يتمكنوا من التقاط اي اشارة٠

ولكن البحوث عن وجود كائنات عاقلة خارج الارض لا تزال نشطة، وهناك احتمالات جيدة للتعاون الدولي في هذا الصدد٠ وقد انشأ الاتحاد السوفييتي لجنة حكومية تهتم بتنسيق الجهود في هذا المجال، وزوّدها بمنظار راديو (راديو تلسكوب) ضخم اقيم في جبال القوقاز يشتمل على ٦٠٠ هوائي ومهمته الاصغاء بعض الوقت الى هذه الاشارات٠ وفي كندا، يقوم علماء مرصد "راديو الغونكين" في ولاية اونتاريو، ببحث دقيق يتناول عددا من النجوم القريبة٠

وفي الجنوب الشرقي البعيد من الولايات المتحدة، في بورتوريكو، يقوم في مرصد اريسيبو راديو تلسكوب كبير له هوائي قطره ٣٠٥ امتار ومساحة تجميع تزيد بمئة ضعف وطاقة تسجيل تزيد بستة اضعاف ما كان عليه هوائي مرصد "الرادار الفلكي الوطني" الذي كان اول من



الصور التي يسفر عنها حل الرموز التي ارسلت بالارقام المزدوجة من مرصد أريسيبو في عام ١٩٧٤٠

أرهف "اذنه" لالتقاط أشارات من الفضاء في مشروع اوزما٠ ويستطيع منظار الراديو تلسكوب هذا، في جزء من عشرة اجزاء الثانية، ان يؤدي المهمات التي كان اداؤها يستغرق شهرين كاملين في غرين بانك عام ١٩٦٠ وهو قادر على التقاط الاشارات التي قد تأتي من حضارات تبعد مسافة تراوح بين بضع مئات و٣٠٠٠٠ سنة ضوئية٠

ويتخذ الاستاذ دريك موقفا واقعيا ازاء الصعوبات التي تعترض الاتصال بالحياة العاقلة في مواضع اخرى من الفضاء الكوني، فهو يقول: "اننا نبحث عن بضع ابر في متبنة هائلة الحجم بما لا يتصوره العقل" في حين ان منظار اريسيبو الذي تفوق طاقته الخيال يقتضي عليه التحرك في ٤٠ مليون اتجاه للتمكن من فحص السماء باكملها٠ ولا يتجاوز مجموع النجوم التي تم فحصها حتى الان الف نجم، معظمها من النجوم القريبة، اضافة الى عدد قليل من الذبذبات٠

ولا بد بالطبع لعلماء الفلك من التخمين لحزر ذبذبات الراديو الطيفية التي يعتمدها سكان العوالم الاخرى لارسال اشاراتهم، مما يجعل الاتصال عن طريق هذه الاشارات امرا مرهونا بالحظ والتوفيق٠ فمن الممكن ان

تصدر الاشارات عمدا في اتجاه جوارنا العام في الفضاء، او ان تبلغنا بمحض المصادفة. ومن المحتمل ايضا ان تكون هناك حضارات ذات مستوى تكنولوجي رفيع ترسل اشارات في اتجاهنا لبضع ساعات فقط كل عام، واننا نتولى من جانبنا، في موعد مبكر اكثر مما يجب او متأخر اكثر من اللازم التقاط "سماعة التلفون".

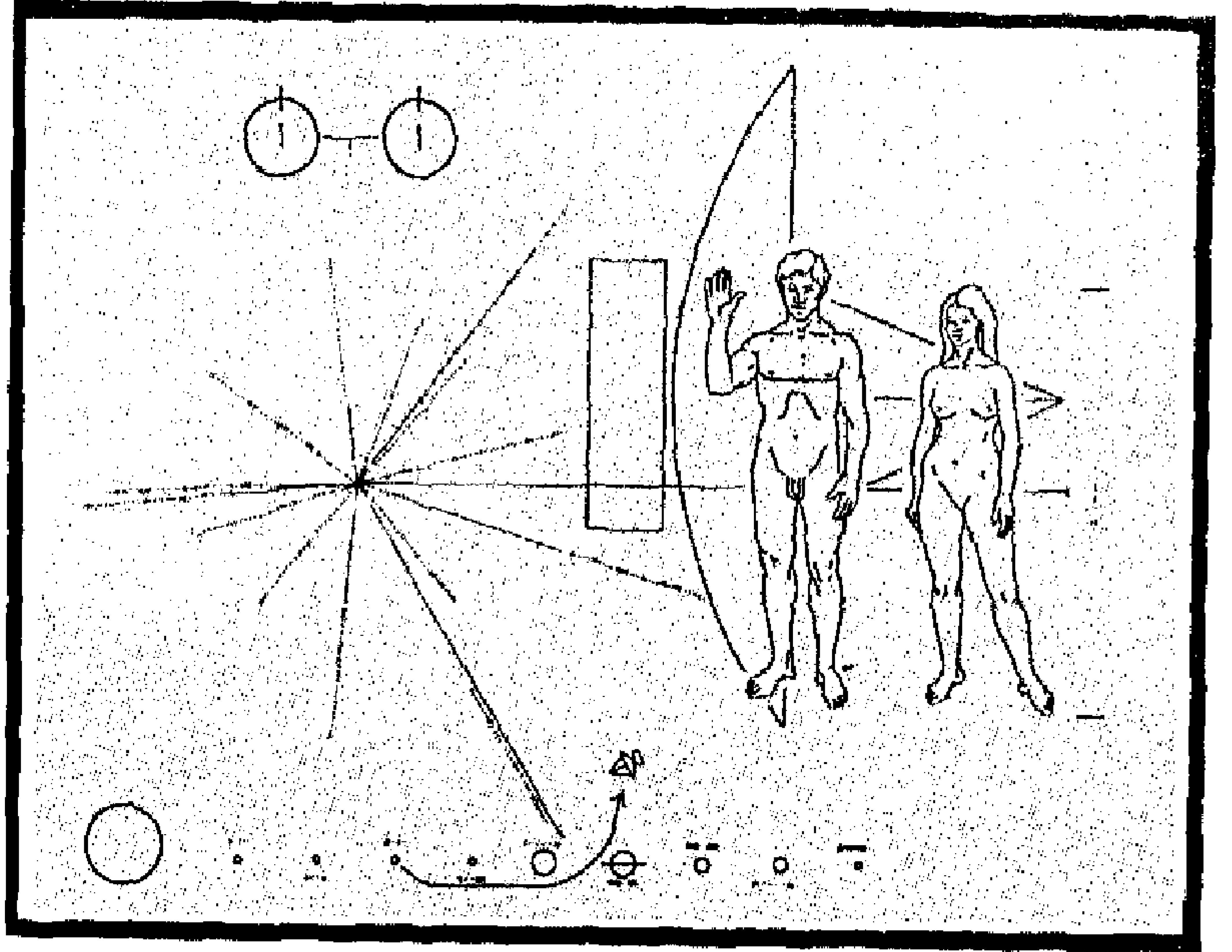
واذا كان بعض جيراننا في المجرة يرسلون فعلا اشارات، فليس هناك شك في انهم يصغون بالمثل، فنحن لا نزال نرسل منذ بعض الزمن الاشارات الخاصة بنا وان كنا لا نتعمد في معظم الاحايين اي هدف مقصود. فاشارات الارسال التلفزيوني لا يقتصر امرها على بلوغ اجهزة الاستقبال الموجودة في كوكبنا وحده، وانما هي تتشعّع ايضا في الفضاء. وعلى ذلك، فان الارض ما فتئت تعلن عن وجودها منذ نيف وثلاثين عاما من خلال ذلك الخليط المستمر المتنافر من الاشارات التلفزيونية المنتقلة بسرعة الضوء. ويقدر دريك ان ارتشاح هذه الاشارات قد بلغ ولا بد ما يقرب من ٤٠٠ نجم، بما يحيط بها من كواكب وما تحمله هذه الكواكب من كائنات عاقلة ذكية ان وجدت.

وفضلا عن ذلك، فكثيرا ما يرسل علماء الفلك اشارات الى التوابع (الاقمار) الفضائية الاصطناعية الامريكية من مرصد اريسيبو، الذي يعمل في اشراف المركز الوطني لعلوم الفلك والغلاف الايوني. وثمة عدد من هذه الاشارات يتجول في الفضاء، ولربما بلغت مسمع واحد من علماء الفلك البعيدين هناك، لكنّه لم يصغ اليها الا عرضا ولمرة واحدة ولفترة قصيرة لا تكفي للتحقق من انها صادرة عن الارض.

اطلاق السهم الرمزي الاول — وقد بذل اول جهد متعمد لتوجيه رسالة الى الفضاء الخارجي في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤، حين اطلق دريك واختصاصيو الفلك في مرصد اريسيبو سهما رمزيا واحدا الى "ميسير ١٣" وهي المجموعة الكروية من النجوم في كوكبة هرقل التي تؤلف فصيلة من النجوم تقع على مسافة ٢٥٠٠٠ سنة ضوئية من الارض.

ولم يستغرق بث رسالتنا القصيرة اكثر من ثلاث دقائق. وقد اشتملت على ١٦٧٩ مقطعا تنطوي على مقدار من المعلومات عن الحياة على الارض. وهي تعطي بالارقام المزدوجة "درسا" في نظام الترقيم المستخدم لدينا. وتضم قائمة بالارقام الذرية لعناصر الهيدروجين والكربون والنيتروجين والاوكسيجين والفوسفور وتوضح التركيب الكيميائي لحامض ديوكسيريبونكليك DNA الذي يؤلف مادة الوراثة اضافة الى رسم تخطيطي مبسط للكائن البشري وبيان لمتوسط ارتفاع قاماتنا، وعبارة تقول ان عدد سكان الارض يبلغ اربعة مليارات واننا نعيش على الكوكب الثالث بعد الشمس. وقد ختمت الرسالة بصورة للمنظار (التلسكوب) الذي ارسلها.

وكانت الطاقة الفعلية التي ركزت في الشعاع لدى ارسال الرسالة عشرة اضعاف الطاقة الكهربائية الكلية التي تنتج على مسطح الارض باجمعها. وبفضل هذه الطاقة الهائلة، اصبح سطوع الاشارة في اتجاه الشعاع على ذبذبة جهاز الارسال يفوق سطوع



بطاقة التحية التي حملتها سفينة الفضاء "بيونير".

فضائي لنبضات طاقة الراديو يسمى Pulsar كما تحملان رسما تخطيطيا للمجموعة الشمسية ورسمين لرجل وامرأة بنسبة معتدلة ورسما تخطيطيا لسفينة الفضاء. وقد صممت بطاقتا التحية، حسبما يقول علماء الفلك في جامعة كورنيل، "لتكونا اطول اعمال الانسان عمرا"، اذ ينتظر لهاتين البطاقتين ان تبقيا سالمتين دون تغيير لعدة مئات، بل ويحتمل ايضا لعدة آلاف، من ملايين السنين.

... وسفينتنا "فوييجر" – وهناك ايضا سفينتا الفضاء "فوييجر ١" و"فوييجر ٢" اللتان تتجهان نحو حواف المجموعة الشمسية. وستمر السفينتان خلال عام ١٩٧٩ الحالي بكوكب المشتري، ثم تنحرفان في اتجاه كوكب زحل (ساتورن) وتتجاوزانه. وتحمل كل من السفينتين اسطوانة فونوغراف سجلت عليها تحيات بستين لغة، و١١٦ صورة "مرمَّزة" لمناظر واشياء شتى من الارض، وساعة ونصف ساعة من التسجيل الموسيقي، تسميها آن دوريان احدى المشتركات في المشروع "مختارات من موسيقى الارض" (راجع المقال التالي: "موسيقى الرحلة البعيدة").

ولئن كانت المساعي للاتصال بالكائنات العاقلة خارج الارض، ايا يكن شكل هذه الكائنات، تأسر خيال

الشمس بمقدار عشرة ملايين ضعف. ويتذكر دريك ذلك فيقول: "لقد اصبحنا، لمدة ثلاث دقائق، اسطع نجم في مجرتنا باكملها."

ولم تقتصر محاولاتنا للاتصال بالحياة خارج الارض على اشارات الراديو وحدها. فهناك سفينتا الفضاء "بيونير ١٠" و"بيونير ١١" اللتان تتسكعان في الفضاء وراء حدود المجموعة الشمسية، بمعنى انهما ترتحلان بسرعة لا تتجاوز ١٦ كيلومترا في الثانية، وهما تحملان لوحتين من الالومينيوم المطلي كهربائيا بالذهب تولى تصميمهما في الاساس العالمان ساغان ودريك والفنانة ليندا سالزمان ساغان. فبعدما فحصت السفينتان كوكب المشتري (جوبيتر)، مضت كل منهما تطفو وحيدة في طريقها خارج المجموعة الشمسية، وربما تم العثور عليها ذات يوم وفكت رموز الرسالة التي تحملها. وتبين كل من الرسالتين موقع الارض والشمس بالنسبة الى ١٤ نبّاضا (مصدر

الكثيرين، الا انها، في الوقت نفسه، تملأ جوانح الاخرين بالتخوف والشك. فيقول هؤلاء: لنفترض ان يكون اهل ما وراء الارض في حاجة الى كواكب أخرى ينشرون عليها شكل حياتهم، او ان تكون صور الحياة على الكواكب الاخرى في نظرهم مصدرا للتغذية او الاستعباد، فالافضل اذاً، في رأي هؤلاء المتشائمين، ان نحني هاماتنا ونبقى صامتين...

غير ان اولئك الذين تستهويهم احتمالات الاتصال بسكان الكواكب الاخرى يرون فيه وفي ما لا بد ان يحمله لنا من معلومات، باعثا قويا على توحيد القوى بين البشر والامم ومصدر اثراء لنا في مجالات العلم والتكنولوجيا، مما يتعذر علينا بلوغه الا بالجهد الجهيد والاموال الطائلة. ومن يدري، فقد نصبح ذات يوم، حسب اعتقادهم، على ارتباط لا يزول امده بمجموعة من الحضارات الثرية في شبكة مترامية الاطراف داخل المجرة.

■ آلتون بليكسلي

حوار مع "سكان" الفضاء الخارجي (٢)

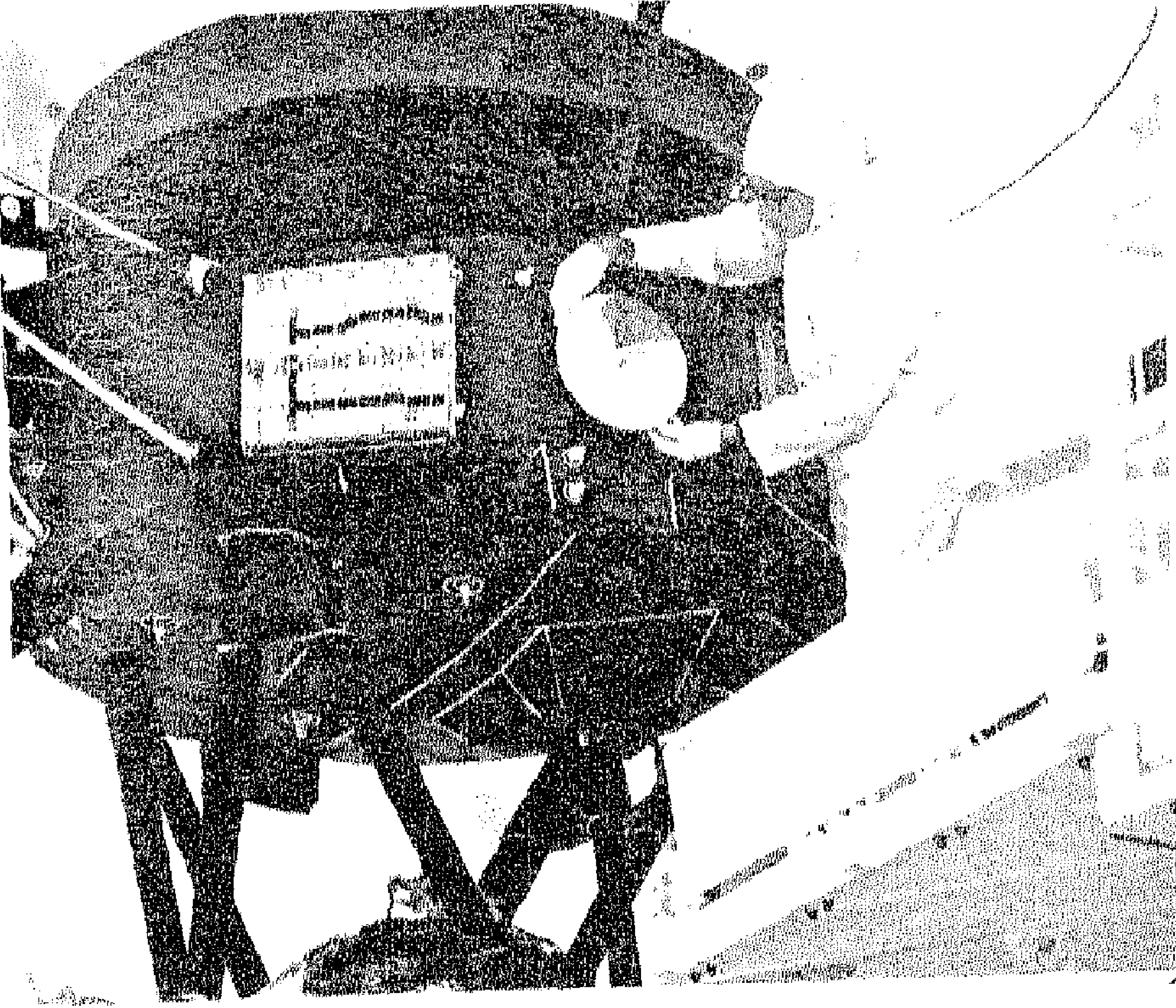
رسالة صوتية تدوم مليار سنة

أن هذا التسجيل الصوتي الفريد، كالرسالة المخطوطة التي يطرحها البحار ضمن زجاجة مغلقة في اليم، رسالة تنشد الاهتداء الى ارواح شقيقة في خضم الفضاء الفسيح

في ٢٠ اغسطس (آب) ١٩٧٧، انطلقت اولى سفينتي الفضاء التوأمتين "فوييجر" من "كيب كانافيرال" لاستكشاف كوكبي المشتري وزحل، وربما كذلك اورانوس. وبعد اثني عشر عاما تقريبا، حين تتم رحلتها الجبارة الى هذه الكواكب، ستبدأ السفينة جولتها الاخيرة التي قد تصبح ابدية بين النجوم.

وقد زود جانب السفينة بفيلم ملفوف بخرطوشة من الخزف الصيني (بورسلين) وابرة حاكي (فونوغراف) من الماس، واسطوانة حاكي من

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (SEPTEMBER 4 '77)



الاسطوانة النحاسية المطلية بالذهب، في المكان المعد لها في السفينة الفضائية.

النحاس المطلي بالذهب، وثبت كل ذلك بمسامير بيضاء مخملية الملمس من معدن التيتانيوم ضمن غلاف من الالومينيوم يكفل بقاء الاسطوانة صالحة للاستعمال طوال مليار سنة. وقد نقشت الارشادات على غطاء الصرة بلغة علمية، لشرح طريقة الاستماع الى الاسطوانة. وقد ضم الفريق الذي اضطلع أساساً بمهمة وضع الرسالة المعدة للتسجيل والتي تستغرق ١٢٠ دقيقة، كلا من عالم الفلك كارا ساغان والفنانة ليندا سالزمان ساغان والكاتب العلمي والموسيقي تيموثي فيريس وانا، مع عدد آخر من الاعضاء. وقد حددت لنا فترة لا تزيد على ثمانية اسابيع لكي نختار المادة الخليقة بمثل هذا الانفاق السخي، خصوصا بالنظر الى استحالة التثبت من امكان وصول هذه الرسالة على الاطلاق الى كائنات العالم الآخر. فسوف تنقضي اربعون الف سنة قبل ان تتهادى السفينة الى جوار اقرب نجم منا، وستنقضي مئات ملايين السنين وهي تتجول في انحاء مجرتنا، لتمر من آن الى آخر على مسافة سنة ضوئية او نحو ذلك من احد النجوم.

دقة تسجيل الاسطوانة ـ وينتج عن ذلك كله، ان عملية اعداد مثل هذه الاسطوانة امر اقرب الى الوهم والغرابة منه الى الواقع في التصدي لعدد من الاسئلة المجردة المتعلقة بالفن والحياة على الارض.

فمن نحن؟ وما هي الخصائص الجوهرية التي تتميز بها ذاتيتنا؟ وهل في استطاعة الكائنات البشرية ان تصنع شيئا كونيا؟

كل هذه اسئلة تتقارب من تلك التي تطرحها مشكلة الجزيرة النائية المهجورة والتي لا بد معها من الاقتصار على عدد محدود من الاشياء لاصطحابها الى ذاك المكان المهجور مما يتطلب منتهى العناية في اختيار الاشياء الضرورية التي لا يستغنى عنها.

وتبدأ الاسطوانة بـ١١٦ صورة، هي رسوم تخطيطية "مرمزة" تبين موقعنا

في الطريق اللبني، وبيانات تخطيطية لحامض الديوكسيريبونكليك DNA وصبغياتنا الوراثية (كروموسوماتنا)، والتركيب البنيوي لهيكلنا العظمي، ونجمنا (الشمس) وكيمياء الارض وجونا كذلك وصورا لمحيطاتنا وانهارنا وصحارينا وجبالنا وقاراتنا وزهورنا واشجارنا وحشراتنا وطيورنا وحيواناتنا واحيائنا البحرية، وكسفة ثلجية (كتلة رقيقة من الثلج)٠ وثمة صور مقتبسة من حياتنا ككائنات اجتماعية، تمثلنا ونحن نأكل ونشرب ونعمل ونلعب٠ وهناك صور فوتوغرافية لعدد من الانجازات الهندسية البشرية الكبرى مثل "تاج محل" وسور الصين العظيم وقنطرة البوابة الذهبية، يضاف الى ذلك صورة من كتاب اسحق نيوتن عن "نظام العالم" تبين طريقة اطلاق القذيفة لكي تتخذ لها مدارا حول الارض٠ وتنتهي المجموعة بصور لغروب الشمس، والآلات الرباعية الوترية، وآلة كمان، وصفحة من النوتة الموسيقية لرباعية بيتهوفن الوترية الرقم ١٣، القطعة "اوبوس" الرقم ١٣٠، تعقبها جملة موسيقية من تلك الرباعية لبيان العلاقة بين التسجيل الكتابي للموسيقى والاصوات الموسيقية٠ وتتلو هذا القسم تحيات من الرئيس كارتر والامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم، ومتحدثين بستين لغة واصوات حوتين تعبر عن تحياتهما القلبية٠

وهناك "مونتاج" مدته ١٢ دقيقة لاصوات الارض، يبدأ المقطع الاول منه بالطبقات الصوتية المذهلة السرعة التي تعكس حركات الكواكب الشمسية في مداراتها، ثم يأتي تسجيل زمني صوتي يبدأ بالثوران الهائل العنيف الذي تمخض عن تكوين كوكبنا، وتليه اصوات الامطار الضخمة التي كونت البحار والمحيطات والاختمار الاول للحياة٠ ويبدأ مقطع الاصوات البشرية بعصف الرياح الباردة في العصور الجليدية، وتلي ذلك ضوضاء التكنولوجيا على انواعها المختلفة، وينتهي بجهشة الوليد الجديد، واصداء حيوية الانسان وخفقة النبض الثابتة٠

ولما كانت الاصوات المنقولة عن عصرنا لا تستغرق من التسجيل وقتا يفوق ذلك الذي تستغرقه اصوات التموجات المائية في بحيرات العصور السحيقة، فقد يؤخذ على هذه المجموعة من التسجيلات افراطها الشديد في التأكيد على اهمية بضعة الآلاف الاخيرة من السنين على حساب ملايين السنين التي سبقتها٠ واما اذا كان المقصود من تسجيل الاسطوانة هو مراعاة النسب بين الحقبات، لكي تعكس الاسطوانة بدقة السلم الزمني لسيرة الارض خلال ٤٫٥ مليارات عام، فقد يجيء هذا التسجيل باكمله، باستثناء بضع لحظات قليلة في آخره، مقتصرا على اصوات تلاطم الامواج وهمس الرياح عبر السهول الجرداء٠

وتنطوي الاسطوانة في ثلاثة ارباعها على تسجيلات موسيقية٠ ولقد كان اختيار هذه القطع الموسيقية عملية عاصفة استلزمت منا ان نتابع مناقشاتنا في هذا الصدد حتى الساعة الرابعة صباحا في بعض الاحيان، وذلك مع علمنا بان استماع الاسطوانة في الفضاء من قبل كائنات عاقلة اخرى امر ضعيف الاحتمال، وبانه في حالة استماعها من مجتمع يتعذر علينا تصوره الان لا نستطيع التثبت من ذلك ما دام الحدث لن يبلغنا الا بعد انتهاء اعمارنا بعشرات

الملايين من السنين، فمن يدري؟

وقد استهدفنا من المعايير التي التزمناها ان تتمثل الموسيقى في انحاء العالم على اختلافها بما يدلل على مدى ثراء الحضارات الانسانية وتنوعها على كوكبنا، وان نتحاشى ادراج اي شيء لا يستند الى مجرد الشعور بالواجب. ولم يكن بد لنا خلال تلك الفترات الصعبة من التفكير في الحل الذي اقترحه الطبيب لويس توماس، في كتابه "حيوات الخلية"، حيث يقول: "انني اعطي صوتي لباخ، فكل موسيقى باخ منشورة في الفضاء مرارا وتكرارا. ولا شك في ان لهذا فخرا كبيرا لنا كما لا شك ايضا في انه يحق لنا ان نتباهى بابرز حلة لنا في بداية مثل هذا اللقاء، على ان نترك امر الحقائق القاسية الى مرحلة لاحقة".

الاعمال الموسيقية المسجلة - وقد ادرجنا ثلاثة مؤلفات لباخ واثنين لبيتهوفن، ولكننا لم ندرج شيئا لفاغنر او ديبوسي او براهمس. وكنا نعرف ان هذا امر مثير للجدل، ولكننا رأينا ان "الترجمة قد تسهل على اهل الكواكب الاخرى اذا قدمنا اليهم اكثر من عمل واحد لمؤلف واحد، لعلهم يتمكنون من استخلاص اسلوبه الشخصي من كل قطعة، ويتاح لهم بذلك تفسير الموسيقى بجملتها. وفي ما يأتي نظرة على ٧ مختارات من القطع الـ٢٧ التي ادرجت في الاسطوانة، وبعض الاسباب التي توضح مبرر اختيارها:

- "كونشرتو براند نبرغ الرقم ٢"، الحركة الاولى، لباخ، من تسجيل كارل ريشتر مع اوركسترا باخ في ميونيخ. وقد اخيرت هذه القطعة لحيويتها ولامتيازها التقني ووضوح تسجيل الاجزاء التي تعزفها الآلات النحاسية والتي ينتظر ان تحتفظ بصفائها حين تنطلق من مجاري اسطوانة التسجيل في عيدها السنوي البليوني (بعد مليار عام).

- معزوفة "جوني ب. جود" من تأليف تشاك بيري. وقد كان النقاش حول هذه المقطوعة شديدا، فقد رأى عشرات الاشخاص الذين استشرناهم ان التسجيل ينبغي الا يضم اي قطعة من موسيقى "الروك آند رول" لانها لا تزيد على انتفاضة تشنج عابر في تاريخ الموسيقى. ولكننا رأينا ان القطعة تعد مثالا لالتقاء حضارتين متباينتين في مكان بعيد: لقاء افريقيا واوروبا في امريكا. وقد كسب تشاك بيري الجولة بصفته مخترعا للروك يختلف عن الفيس بريسلي الذي لا يقل عنه اهمية لانه يؤدي اغنية من تلحينه شخصيا.

- "بيت الرجال في غينيا الجديدة". وهذه القطعة تسجيل ميداني قام به روبرت ماكلينان. وقد ميزها الخبير الاثنوموسيقي الان لوماكس بانها تنتمي الى واحد من اقدم انواع التراث الموسيقى الذي لم تنله الحضارة والمدنية باي تغيير او تبديل. ولا يقل عمر هذه القطعة عن الف عام وتتسم بتأثيرها المغناطيسي ووحدة لونها وتختلف بذلك اختلافا شاسعا عن جميع القطع الاخرى المسجلة على الاسطوانة.

- "اغنية الزفاف لنساء بيرو". وهي احدى القطعتين المختارتين من موسيقى امريكا الجنوبية، وتغنيها شابة بصوتها الرنان كالجرس صدف ان كانت واقفة امام الميكروفون الميداني لخبير الموسيقى جون كوهن. واذا كان تغريد الطيور او اي صوت آخر من الاصوات الشجية المتصاعدة من حناجر البشر يستهوي

آذان سكان الكواكب الاخرى، فاننا نعتقد ان عذوبة هذه الاغنية ستشنف ولا شك تلك الاذان.

- "الجداول الجارية". عندما استدعيت تشو وين تشونخ الاستاذ في جامعة كولمبيا وطلبت اليه ان يحدد لنا قطعة من الموسيقى الصينية، توقعت ان يحتاج الى وقت ليفكر في الرد لكنه لم يفعل، وانما قال لي على الفور: "الجداول الجارية. فهي تأمل حول الاحساس البشري بالتوافق مع الكون، يعزف على آلة الـ"تشين" ذات الاوتار السبعة التي يرجع عهدها الى ما قبل الميلاد بالفي عام. وما زالت مقطوعة الجداول الجارية واحدا من عناصر الثقافة الصينية منذ زمن كونفوشيوس. ارسلوا هذه القطعة وستكونون بذلك قد نقلتم الكثير عن الصين". وقد استمعنا الى المقطوعة، ولم نلبث ان اتخذنا قرارا من اسهل القرارات التي واجهتنا بها الاسطوانة.

- "كان الليل حالكا"، معزوفة الضرير ويلي جونسون. وكان جونسون يعزف الموسيقى الحزينة والموسيقى الدينية على الغيتار. وقد جاء من ولاية تكساس، ولم يوفق الى كسب ما يكفيه من المال لاعالة نفسه. وليست هناك كلمات غنائية تصاحب هذا العزف الحزين على الغيتار الذي سجل عام ١٩٢٧، وانما هو مجرد انين شاك بمثابة التساؤل النافذ المشحون بالوحدة الاليمة.

- الحركة الخامسة "كافاتينا" من رباعية بيتهوفن الوترية الرقم ١٣ القطعة "اوبوس" ١٣٠. وكنا نعرف ان هذه القطعة الاخيرة سيكون لها الوزن الاضافي الذي تحمله الكلمة الاخيرة. وقد اخترنا هذه القطعة البديعة لانها لا تعبر عن اي عاطفة واحدة بعينها، وانما هي تعبير غنائي هادىء عما تكنه النفس البشرية من الم وحنين وامل. فهي بمثابة التوقيع الختامي المعقد على هذه المجموعة المسجلة والذي يكتنفه الغموض تماما مثل مستقبلنا.

■ آن دوريان

كاتبة وهاوية من هواة الموسيقى المعروفين، وهي ساهمت مع كارل ساغان وعدد من الادباء الاخرين في وضع كتاب "همسات الارض" وهو قصة عملهم عن مهمة "الفوييجر".

اصدقاؤه في الجنة والنار

طرح احدهم، على الشاعر والفنان جان كوكتو، السؤال الآتي: "ما رأيك في جهنم وفي السماء يا معلمي؟"
فابتسم الاديب الكبير وقال:
"اعتذر عن الجواب لأن لي اصدقاء حميمين في كلا الموقعين".

يقول ايان روبنز، الاختصاصي البريطاني في امراض الاذن والانف والحنجرة:
"ان ضحكت ضحكت معك الدنيا، وان شخرت نمت وحدك".

(رويتر)

كنوز الاردن

السفر في هذه البلاد العريقة يعني اقتفاء طرق عبرتها شعوب عدة وخلفت فيها حضارات لا تزال هناك شواهد على روعتها ·

على الطريق الرئيسية الى العقبة كانت جرافة ضخمة صفراء تهدر، متجاوزة رجلا يركب حمارا· وكان سائق الجرافة يعتمر الكوفية والعقال· والى جانب الطريق الرئيسية ظهرت بعض معالم طريق رومانية مرصوفة بالحجار بنيت عام ١٢٩ للميلاد، ايام الامبراطور ادريانوس· وهذا يشهد على التقاء الماضي العريق بالحاضر العصري في المملكة الاردنية في جو دائم من السحر والروعة·

ملتقى الحضارات – لقد ظل الاردن طوال ٦٠٠٠ سنة ملتقى الشعوب والحضارات· فقد عبره العبرانيون والاشوريون واليونانيون والرومان والبيزنطيون والفرس والعرب والصليبيون والاتراك، وبنوا معابد وهياكل لآلهتهم وحصونا لملوكهم وخلفائهم ومدافن لموتاهم، وخاضوا حروبا دامية للسيطرة على طرق القوافل التجارية الصحراوية الواصلة من شبه جزيرة العرب· ويستطيع الزائر ان يستعيد الى الذاكرة ذلك الماضي الصاخب المتمثل في بقاياه الرائعة·

ومن بين هذه البقايا تماثيل ومدافن واختام ملكية تخص حكاما كثيرين من الازمنة الغابرة· غير ان الرومان كانوا الشعب الذي خلف أقوى الدلائل على سلطانه· ففي قلب مدينة عمان المزدهرة، عاصمة الاردن، مسرح روماني لا يزال في وضع جيد،



جرش : قوس النصر٠

وهو يتسع لستة آلاف مقعد٠ وفوق المسرح، بقايا معبد كبير شيد على اسم هرقل٠

وعلى مسافة ٤٨ كيلومترا الى الشمال تقوم مدينة جرش التي يعدها علماء الآثار من أفضل المدن الرومانية صيانة في العالم٠ وتجثم بوقار في واد تحيط به تلال جبل جلعاد الخضراء٠ وعبر قوس النصر المهيب بارتفاعه البالغ ١٢ مترا والذي اقيم احتفالا بزيارة الامبراطور ادريانوس بين عامي ١٢٩ و١٣٠ للميلاد، يمر الزائر بآثار وبقايا مضمار سباق طوله ٢٤٤ مترا يصل الى الساحة العامة (الفوروم) التي تحيط بها اعمدة شاهقة ايونية الطراز٠ والى الجنوب تشاهد الادراج المنقوشة لمسرح على درجة حسنة من الصيانة، يطل عليه معبد للآله زيوس٠

جيراسا او جرش – ومن المعبد يشرف الزائر على مدينة "جيراسا"، اي جرش، الأثرية بشارعها الرئيسي الممتد مسافة ٦٠٠ متر وقد اصطفت على جانبيه اعمدة ايونية وكورنثية متوجة، وكذلك اساسات المتاجر وانقاض المعابد والكنائس اللاحقة٠ والى جانب الجدول الصغير هناك جدران بلا سقوف للحمامات العامة التي كانت من متطلبات كل روماني يحترم ذاته٠

كانت مدينة جرش واحدة من المدن العشر الحرة التي تقع على طرق

القوافل الآتية من شبه الجزيرة العربية. وقد شهدت شوارعها عمليات بيع وشراء البهارات والحرائر والبخور والاعشاب العطرية والحجار الكريمة والعاج. لكن الانحطاط الذي حل بروما اصاب مدينة جرش ايضا. وتعطلت حياتها التجارية، ثم وقعت هزة ارضية هائلة عام ٧٤٧م فمزقت معظم معابدها وكنائسها. وما ان وصل الصليبيون الى جرش في القرن الثاني عشر حتى كانت مهجورة عفاها الزمن.

محاولات مخفقة – وتدفق الصليبيون الى الارض التي هي الاردن اليوم كجزء من محاولتهم المخفقة للاستيلاء على مدينة القدس وفلسطين وانتزاع البلاد من المسلمين. وخلفوا وراءهم شواهد تدل على طاقتهم ومطامحهم، ومن ابرزها قلعة الكرك الضخمة. وتقع القلعة على قمة تل معزول يبعد عن عمان جنوبا مسافة ١٢٥ كيلومترا. وفي اسفل التل من ثلاث جهات هوة سحيقة الانحدار تثير خوف الناظر، ويبلغ عمقها ١٢٧٠ مترا ابتداء من سور المتاريس حتى قعر الوادي. وقد اعتاد الرومان القاء من لا يريدون من الاسرى من فوق تلك المتاريس، وحول رؤوسهم صناديق خشبية لمنعهم من الغيبوبة قبل الارتطام النهائي.

وباستثناء جدران ذلك الحصن المطل على البحر الميت، فان الجزء العلوي من قلعة الكرك في خراب. الا ان الصليبيين اقاموا استحكامات عميقة في التل. وفي استطاعة المستكشف ان يسبر غور ثلاثة مستويات من الاقبية المقنطرة المعتمة التي لا يخترقها النور الا من شقوق ضيقة استعملها الجنود لاطلاق نبالهم. وهناك شبكة توزيع المياه، الفعالة في مهمتها والبدائية في تصميمها، والواح حجار الصوان التي كانت تستعمل معاصر للزيتون، والمخبز الكهفي، وهي كلها في حال حسنة من الصيانة، وكلها من الصخر العاري الخشن. وتشكل دليلا واضحا على نمط التقشف العسكري الذي عاشه اولئك الفرسان المحاربون.

ومن الكرك دهم الصليبيون تلك القوافل المحملة بالبهارات، كما داهموا الحجاج الى اماكن الاسلام المقدسة، وابتزوا الأتاوات من الاراضي الزراعية الخصبة الواقعة دونهم. واخيرا احتل الزعيم المسلم صلاح الدين تلك القلعة بعد حصار متقطع دام خمسة اعوام. وفي واحدة من الحجرات تحت الارض، اطلعنا دليلنا على مجموعة من الحجار الكروية التي كان كل واحد منها اكبر من رأس انسان، والتي رشقت منجنيقات صلاح الدين القلعة بها.

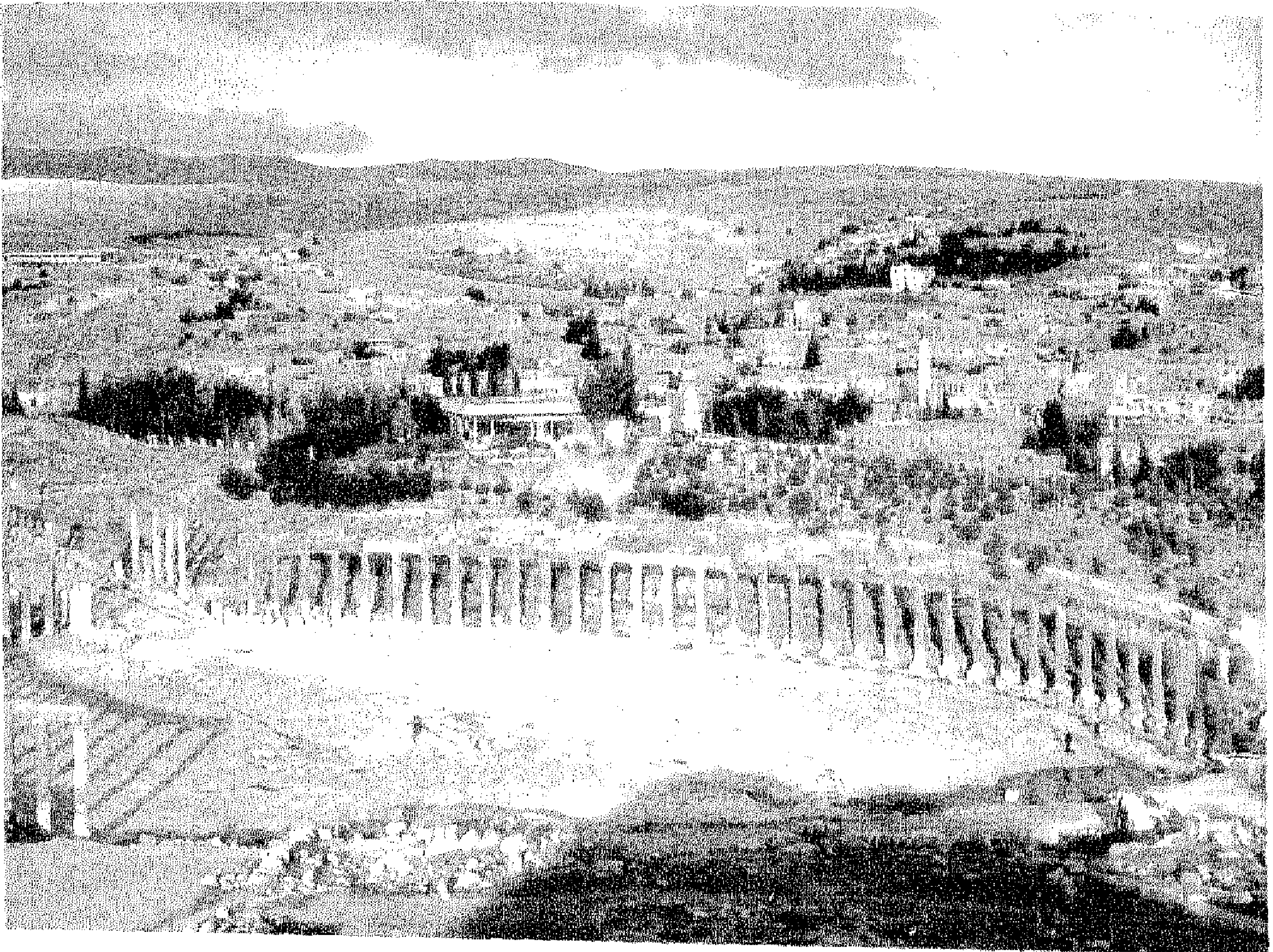
حاضرة عظيمة – وعلى بعد ١٠٠ كيلومتر جنوبا، تقبع بين الجبال مدينة البتراء، اعظم حاضرة تاريخية في الاردن. وهذه المدينة الفريدة بناها الانباط، وهم شعب عربي، بعد سنة ٣٥٠ قبل الميلاد. وفي استطاعة الزائر ان يصل اليها سائرا على قدميه او راكبا الخيل او في سيارة لاندروفر عبر المدخل الوحيد المؤدي اليها، وهو شق يسمى "السيق" يتلوى عبر جدران صخرية خالصة يصل ارتفاعها في بعض الاماكن الى ١٠٠ متر، مارا بقبور نحتت في الصخر تحت ظل شديد حتى في الظهيرة. وسرعان ما يخرج المرء الى نور ساطع ليشاهد امامه مبنى من طابقين منحوتا في الصخر الوردي اللون. هذا المبنى يسمى "الخزانة"، وهو ضريح احد ملوك الانباط. وتليه مدينة البتراء الداخلية بمجموعة اخرى من المنشآت

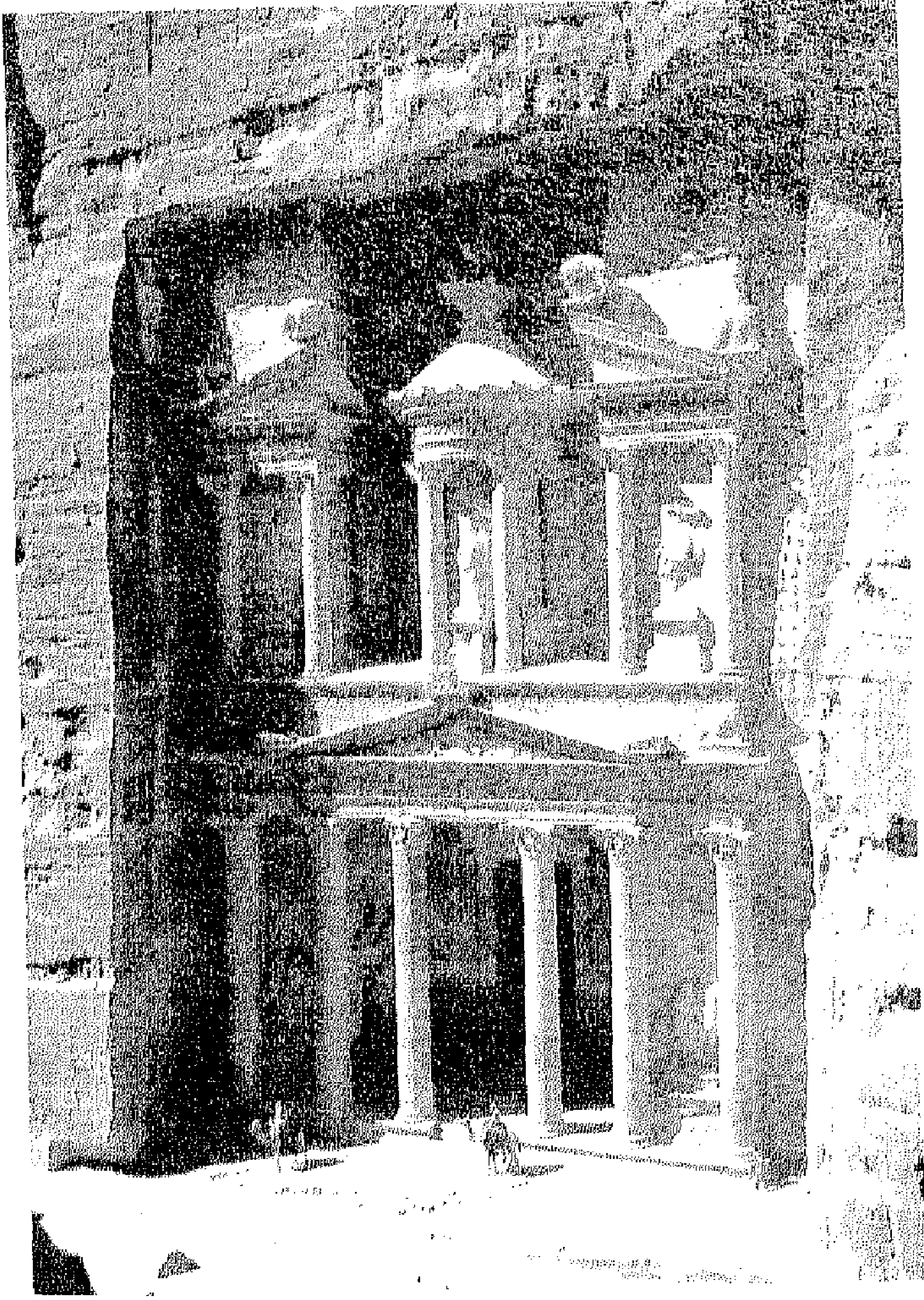
الضخمة المنحوتة في الصخر المتعدد الالوان٠

لقد ظل الانباط لمدة تزيد على اربعة قرون يجمعون الثروة والسلطة من القوافل التي مرت بمدينتهم الحصينة المحاطة بالصخر٠ ولم يقو الرومان على قهرها قبل العام ١٠٦ للميلاد٠ وقد استمروا في تنميق القبور المنحوتة لكبار مواطنيهم للنقش عليها٠ وثمة امر غريب بالنسبة الى هذه المدينة الصامتة برملها وصخورها، يثير الرعشة٠ فالبدو الذين يعيشون هناك طوال العام يؤكدون، بكل جد ووقار، على ان البتراء تسكنها الارواح٠ ولا يصعب على المرء تصديق ذلك٠

سفن فضائية ـ اما في الشرق، وعلى امتداد الحدود السورية، فالصحراء منبسطة السطح اجمالا وليس فيها ما يبعث على الاهتمام٠ ولكن الى الجنوب من البتراء، هناك مناظر طبيعية تفوق الخيال، حيث تبرز من الرمال كتل صخرية حمراء وبنية تظهر في ضوء شمس الصباح الباكر كأنها اشباح سفن تبحر عبر الفضاء٠ وهناك مناظر رحبة تمتد عبر اودية نائية٠ وفي تلك الانحاء يتعرج خط لسكة الحديد هو جزء من خط الحجاز الذي بناه الاتراك وعمد توماس ادوارد لورانس (لورانس العرب) ومغاويره

الساحة العامة في جرش٠





العرب مرارا الى نسفه٠

وعلى امتداد الجانب الغربي من وادي الرم" الهائل، تمر الطريق بين جدارين من صخر يبلغ ارتفاع بعض اجزائهما ٣٠٠ متر تشرئب بصمت ومهابة وجمال٠ وقد كتب لورانس: "بين ذينك الجدارين يستطيع سرب من الطائرات ان يمر في تشكيلة"٠ وتخترق تلك المتاريس الصخرية ممرات غير متوقعة يبلغ عرضها ١٥ متراً وهناك كهوف مستديرة - والكثير منها قبور - تطل محملقة من قمة اكثر من جرف واحد٠ وتبرز في الصخور الرملية الحمراء الغامقة اللون عروق عمودية مختلفة الالوان من اسود ورمادي وبني٠ والدليل الوحيد على وجود حياة في ذلك القفر سرب من الصقور السود التي كانت تحو"م محلقة في السماء٠

وعلى بعد بضعة كيلومترات من الرم، هناك الطرف الجنوبي للاردن متمثلا في ميناء العقبة٠ وسيطرة العرب عليه عام ١٩١٧ أذهلت قيادة الجيش البريطاني العليا التي كانت تعد" العرب غير قادرين عسكريا الا على خوض حرب عصابات٠ ولا يزال الحصن التركي الذي استسلم حماته امام لورانس ورجال القبائل البدوية قائما على احد الشوارع الفرعية في العقبة، ولكن لم يبق الشيء الكثير من القرية التي كانت موجودة آبان الحرب العالمية الاولى٠ ويحتل الميناء، المكتظ بعمال التحميل والتفريغ الصائحين وبالعربات

ونفيرها، الجانب الشرقي من المدينة. ويقوم الى الغرب جزء من الشاطىء الذي انتشرت وراءه الفنادق الحديثة وقد ازدحم بالغطاسين الذين يستمتعون بما يصطادونه من الاسماك الفاخرة والنباتات البحرية النادرة الموجودة حول الشعب المرجانية التي تشاهد تحت المياه الرقراقة الصافية في خليج العقبة. وتعج العقبة اليوم بالامريكيين والاوستراليين والالمان والانكليز والفرنسيين وغيرهم من الاجانب وهم في الطريق الى تجارتهم واعمالهم.

أنفة وكبرياء – وفي طريق العودة الى عمان، شاء دليلنا السياحي ان يكرّمنا، فدعانا لزيارة قصر العمرة، مسكن الخليفة العربي الوليد الذي كان يحل فيه خلال رحلات الصيد في الصحراء. ويقبع وحيدا بين كثبان الرمل منذ بنائه عام ٧١٠ للميلاد. ولعله افضل المعالم الاثرية الباقية من ذلك النوع وتلك الحقبة. وعلى جدران القصر يشاهد المرء صورا عمرها ١٢٥٠ سنة، تعطينا لمحة عن حياة الترف التي عاشها الخلفاء: الفتيات الراقصات وعازفو آلات الطرب يؤدون فنهم بينما تستحم النساء العاريات ويصطاد القناصة بقسيهم غزلان الصحراء، تساعدهم في صيدهم الكلاب السلوقية النحيلة والسريعة الوثب. وقد رسمت وجوه النساء بالطراز البيزنطي المستدير الذي كان مألوفا في تلك الحقبة، باستثناء وجه واحد يمثل امرأة فاحمة الشعر، سمراء العينين، ذات وجه مربع صارم الملامح، ينظر الى المتطفل بجرأة طوال تلك القرون.

وتوقفنا في وقت لاحق من ذلك اليوم عند قلعة صحراوية اخرى لم يبق منها سوى كومة من الحجار المتداعية على تلة رملية، وهي قصر الحلابات. ولدخول الانقاض، استدعى الدليل امرأة شابة كانت تحتفظ بمفتاح البوابة المؤدية الى الموقع. وبينما كانت تتقدم نحونا في ثوبها القديم الاسود، شاهدت في وجهها مرة اخرى ذلك الوجه القوي المتسم بالانفة والكبرياء... حقا ان الماضي والحاضر متشابكان في الاردن بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

■ توماس فليمنغ

سر المهنة

من اشهر المنتوجات التي تصدرها جزيرة ترينيداد في البحر الكاريبي مشروب معطر اسمه "انغوستورا"، على اسم العائلة التي حافظت على انتاجه منذ ١٨٢٤. اما تركيبة هذا الشراب فهي سر لا يعرفه اليوم سوى اربعة اشخاص من العائلة. وهي ظلت تنقل شفويا من جيل الى آخر في العائلة حفاظا على سر المهنة.

ولكن حين دونت التركيبة اخيرا، قسمت الورقة نصفين اودعا مصرفين مختلفين. ومن الطريف ايضا ان الاربعة الذين يعرفون السر لا يسافرون مجتمعين على الاطلاق، ولا يمكن احدا سواهم ان يدخل الغرفة السرية التي يحصل فيها مزج الخليط.

("دليل الناس")

صور من الحياة



علاج مجاني

كان احد البيطريين يعالج كلبا صغيرا بينما راحت صاحبته تحاول بالحاح الحصول من البيطري على مشورة مجانية لعلاج ما تعانيه هي من اوجاع. واخيرا استسلم البيطري وقال لها همسا: "حسنا، ربما كان في استطاعتي ان أعاونك شريطة الا تخبري احدا بذلك. أولا: افتحي فمك، والآن... انبحي!".

و.هـ.

الزبون الفضولي!

أعمل في احد محلات "السوبر ماركت"، ومن مهماتي ان اضع كل المنتجات الغذائية التالفة في صناديق. وذات يوم اردت كبس بعض الخضر التالفة فخطوت داخل احد الصناديق وأخذت ادهسها، ومرّ بي احد الزبائن فنظر داخل الصندوق ثم قال: "يمكنك ان تدهسها قدر ما شئت، ولكنك لن تخرج منها نبيذاً أبداً".

ف.ب.

الزوجة اعرف...

يقول الطبيب والكاتب الصحافي الدكتور وولتر الفاريز ان الدكتور تشارلز مايو علمه حيلة نافعة جدا من حيل التشخيص، اذ قال له: اذا عجزت عن معرفة ما يعانيه المريض، فاسأل زوجته. وتأييدا لسلامة هذه النصيحة، يروي الدكتور الفاريز الحكاية الآتية:

"جاءني مزارع ذات مرة يشكو من نوبات غثيان شديدة تصيبه، ولكني لم اتمكن من أكتشاف اي خلل في جسمه فالتفت الى زوجته التي كانت تصحبه وسألتها عما يشكو منه زوجها فردت بصوت غاضب: "انه يعرف ذلك تماما. فهو يصاب بالغثيان حين يفرط في مضغ الدخان ويبلع عصارته". وعندما سألت الرجل عما اذا كان كلام زوجته صحيحا، ابتسم ابتسامة عريضة مرتبكة وقال: "نعم. ولكني كنت آمل في ان تجد حلا آخر كي يتسنى لي الاستمرار في مضغ التبغ".

الداء والدواء

اشتهر فرانك سيناترا بأنه يسافر الاف الاميال لكي يغني في غرف المستشفيات ترفيها عن معارفه المرضى. وذات مرة كانت احدى صديقاته في المستشفى فقالت: "اعتقد ان حالي ليست سيئة، لأن فرانك لم يأت ليغني لي".

وفي بعض الاحيان تكون زيارات سيناترا سببا في أثارة المخاوف. فقد حدث ان دخل صديق آخر له المستشفى ليعالج من مرض بسيط لكنه كان قلقا خشية ان يكون الاطباء قد اخفوا عنه الحقيقة. واستيقظ هذا الصديق فجأة في سريره ذات يوم ليجد المغني الشهير واقفا الى جواره، اذ صادف ان كان سيناترا في المنطقة فعرج على المستشفى ليزوره، لكن الصديق المريض لم يكد يشاهده حتى صاح مولولا على الفور: "لقد كنت اعرف انهم يكذبون علي!".

ي.س.

لا يتحمل الكذب

أعمل مندوب مبيعات وأتجول بسيارة نصف نقل وأمارس معظم عملي مع المزارعين الذين يدعونني في أحيان كثيرة الى مشاركتهم في طعامهم في اثناء مناقشة ما أعرضه عليهم من سلع. وفي احدى هذه المناسبات، بعد وصف طويل لاحدى السلع، قال المزارع: "سأشتريها!".
فقلت: "ولكنك لم ترها بعدا".
فقال المزارع: "أوه! هل كنت تكذب عليّ اذا؟".

و.ب.

المهمة الصعبة

روى احد القساوسة القصة الآتية:
"كنت اقوم بزيارات وداع لاهل ابرشيتي قبل انتقالي الى ابرشية جديدة، فجاملتني سيدة مسنة بالتلميح الى ان القسيس الذي سيخلفني لن يكون في مثل كفايتي.
فأجبت وقد اسعدتني مجاملتها: "كلا يا سيدتي العزيزة، هذا غير صحيح!"
فقالت مؤكدة: "بل هو صحيح، صدقني! لقد عاصرت هنا خمسة قساوسة متعاقبين، وكان كل واحد منهم على الدوام أسوأ من الذي سبقه!".

أ.د.

رجل السندويش

كانت الشركة التي أعمل فيها تستعد لنقل مقرها الى مدينة تبعد مسافة ١٣٠٠ كيلومتر، فاضطررنا الى قضاء اسابيع بأكملها ونحن نعمل خلال ساعة الغداء، مكتفين بأكل سندويشات في مكاتبنا. وكنت مسؤولا عن طلب الطعام بالتلفون كل يوم، وكنا جميعا نطلب سندويشات عادية باستثناء مدير واحد كان يطلب باستمرار سندويشا من اللحم المحفوظ وزبدة الفول السوداني، قائلا انه مزيج لذيذ، ولكنني شخصيا لم اجرؤ على اختباره ابدا.
وبعد فترة انجزنا معظم تفاصيل الانتقال واتيحت لنا مرة اخرى فرصة الخروج لتناول الغداء، فذهب معظمنا الى المطعم نفسه الذي كان يوافينا بالسندويشات الى مكاتبنا، ولدى دخولنا المطعم صاح زميلنا صاحب الذوق الغريب: "سندويش من خبز الشعير مع لحم محفوظ وزبدة فول سوداني". وكان العامل يرتب السندويشات، فما أن سمع ذلك حتى صاح: "هذا هو الرجل! هذا هو الرجل!".

ت.ت.

رقصة الحب

يقول المخرج السينمائي الاسوجي انغمار برغمان عن مرافقه، المصور السينمائي سفين نيكفيست الذي شاركه في ١٩ فيلما: "اننا لم نعد نحتاج الى الكلام في اثناء تصوير المشاهد، فنحن نعرف بالغريزة ما نريده".
ويعاني نيكفيست ثقل السمع في أذنه اليسرى، بينما يعاني برغمان صمماً جزئيا في أذنه اليمنى. ويعلق نيكفيست المرح على ذلك بقوله: "الا اننا عندما نتحدث بالفعل، نبدو ونحن ندور حول بعضنا كزوج من الأوز يرقص رقصة الحب!".

ل.ج.

سؤال "فظ"!

عندما انتقل رون نيسن من الصحافة في واشنطن الى وظيفة السكرتير الصحافي للرئيس الامريكي السابق فورد، سرعان ما ادرك مشقة العمل اذ هو اصبح عرضة لهجمات زملاء مهنته السابقين. وهو يقول في ذلك: "أتذكر يوما قاسيا قضيته في مواجهة اسئلة الصحافيين. وعندما عدت الى مكتبي في نهاية المؤتمر الصحافي، سألت سكرتيرتي، وهي من قدامى العاملين في البيت الابيض: هل تذكرين انني عندما كنت صحافيا كنت اتصرف بمثل هذه الفظاظة؟".
فقالت: "نعم، كنت تتصرف على ذلك النحو تماما".

ل.ه.



يوحنا بولس الثاني:
بابا لكل الناس

١- الانسان

صاحب رؤى مسكوني وعلامة ورياضي، وصاحب فكر عملي ان هذا البابا "الاجنبي" (غير الايطالي) البولوني يبدو راعياً مثالياً.

كان الدخان الابيض لا يزال يتصاعد من مدخنة كنيسة سكستين يوم السادس عشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ عندما خرج الكاردينال فليتشي الى الشرفة الوسطى من ردهات كاتدريائية القديس بطرس في روما. وبصوت جهوري ردد باللاتينية عبارة: Habemus Papam! أي صار لنا بابا"! فهدرت اصوات الجمهور ثم خفتت لتسمع الاسم: Carolum Cardinalem Wojtyla'

كارول الكاردينال فويتيوا، وتجمد الجمهور وتساءلوا: "ومن يكون هذا البابا يا ترى"؟.

وفجأة، وكأن الجميع قد ادركوا معا ما حدث صاح أحدهم "انه البولوني" فيما ارتفع صوت آخرين "بابا اجنبي".

ان مجمع الكرادلة المفترض ان يكون عديم المرونة لم يكتف بما هو متوقع منه فحسب بل انه قام بما يكاد لا يصدق.

كارول فويتيوا، البابا يوحنا بولس الثاني. انه أول بابا من بولونيا واول بابا من شعب يخضع لحكم شيوعي، واول بابا غير ايطالي ينتخب منذ عام ١٥٢٢م واصغر الباباوات سنا ممن انتخبوا منذ عام ١٨٤٦. وهو في صحة جيدة قوي العضلات وقد بلغ من العمر ثمانية وخمسين عاما اذ هو ولد في الثامن عشر من شهر مايو (ايار) عام ١٩٢٠، ووصف في صحيفة اوسترالية بانه "رجل بنيانه كلاعب ركبي في الصف الامامي" ويمكن ان يدخل بعقيدته القرن الحادي والعشرين. ومن الواضح ان الكرادلة قد شاؤوا اختيار حبر يبقى فترة طويلة، وبالوضوح نفسه اختاروا رجلا يتمتع بمناقب فائقة وخبرة واسعة.

الرجل المتواضع – وفي اول مرة يظهر على الملاء بعد اختياره حبرا اعظم تجاهل البابا يوحنا بولس الثاني السابق وألقى خطابا قصيرا. وبينما خطا الى الامام مادا ذراعيه كان بنيانه المتين ينم عن سلطان وثقة بالنفس.

وبدأ القول بصوته الرنان: "مبارك يسوع المسيح". وهي عبارة تحية تقليدية ايطالية كهنوتية لم تسمع كثيرا في السنوات الاخيرة. ورد الجمهور على ذلك. "وليكن مباركا ابد الدهر". وقال "اذا لم اعبر عن نفسي جيدا بلغتكم - لغتنا - الايطالية (تصفيق) فارجو ان تصححوا لي". والواقع ان ايطاليته وان بلكنة، هي مصقولة الى مستوى رفيع بحيث ان تلك الملاحظة كانت ايماءة تقرب اكثر منها اعتذارا.

وقالت سيدة بين الواقفين في الساحة: "قد يكون اجنبيا ولكنه يتحدث بلغتنا". وسأل سائق سيارة تاكسي في روما: "ولماذا لا يكون لنا بابا اجنبي؟ فقبل كل شيء كان القديس بطرس اجنبيا".

ولقد لقي البابا الجديد ترحيبا عالمي النطاق. فمن بولونيا ابرق المسؤولون الشيوعيون الثلاثة الكبار الذين عرفوا باختلافهم سنوات عدة مع فويتيوا وزميله الاكبر سنا الكاردينال ستيفان فيزنسكي البالغ من العمر سبعة وسبعين عاما - ابرقوا الى البابا الجديد" بالرضا العظيم" الذي ساد ارض الوطن. وعلاوة على ذلك فقد رفعوا تقييدات السفر حتى تمكن قرابة الفي بولوني من حضور احتفال التنصيب في روما.

ولقد ابتهج الشعب في بولونيا بالحدث وقال مهندس في فرصوفيا: "عندما بلغنا الخبر توقفت قلوبنا عن الخفقان برهة". كذلك لقي اختيار فويتيوا ترحيبا حارا عبر العالم غير الشيوعي. ورد الفعل الايجابي هذا لم يكن ناجما عن حدوث انقطاع في سلسلة الباباوات الايطاليين المتعاقبين فحسب بل عن كون فويتيوا شخصية معروفة على نطاق واسع. فهو زار معظم الاقطار الاوروبية كذلك الولايات المتحدة الامريكية وكندا واوستراليا ونيوزيلندا.

بكى ثلاث مرات - وفي صباح اليوم التالي لانتخاب البابا قال احد الكرادلة للكاردينال فيزنسكي: "سيعم بلدكم بالتأكيد ابتهاج عظيم". فرد فيزنسكي: "نعم، ولكن لن يكون ابتهاجا، بفويتيوا". والحقيقة ان فويتيوا ابلغ الجمهور المحتشد في ساحة القديس بطرس: "انني خشيت قبول هذا التعيين". وقد بكى ثلاث مرات على الاقل خلال الاربع والعشرين الساعة الاخيرة مرة وهو في اجتماع الكرادلة لدى انتخابه، ومرة لدى ظهوره للمرة الاولى من على الشرفة، وثالثة في المساء التالي عندما توجه في سيارة مكشوفة لزيارة صديق في مستوصف جيميلي في روما كان يتعافى من نوبة قلبية.

وفي المستشفى ادلى بملاحظات الى الجمهور ولكنه سها عن اعطاء البركة الرسولية. الى ان ذكره بذلك احد مرافقيه من الاساقفة. فقال: "اظن انه حتى البابا يجب ان يتعلم اداء حرفته..." وافترت شفتاه عن ابتسامة.

كانت حياة فويتيوا في بولونيا قاسية. فقد توفيت والدته وهو في الثامنة من العمر ورباه والده الذي كان جاويشا متقاعدا. وداوم فويتيوا في مدرسة ثانوية عادية وكان يحضر القداس صباح كل يوم ويرئس جمعية دينية ولكنه كان مولعا، بالمقدار نفسه، بالادب والمسرح.

دخل جامعة كراكوفيا التاريخية ياغيلونيان حيث تخصص في دراسة الاثار الادبية وعلم اللغات. وفي اثناء فترة الاحتلال النازي اشتغل في مقلع حجار وفي معمل كيميائي. وشأنه شأن اي شاب آخر كان نشيطا في الحياة الاجتماعية وكانت له على الاقل صديقة واحدة. وفي عام ١٩٤٢، قرر فويتيوا ان يدرس استعدادا للانخراط في سلك الكهنوت في مدرسة دينية سرية.

وكان ذلك ينطوي على مجازفة، غير ان فويتيوا الشاب كان نشيطا ايضا في مقاومة النازيين. ويعيد احد زملائه في المدرسة الثانوية الى الاذهان قوله: "عاش كارول في خطر فقدان حياته فهو كان يصطحب عائلات يهودية من "الغيتو" في المدينة ويعثر لتلك العائلات على هويات جديدة، انقذ حياة الكثير من العائلات التي كانت مهددة بالابادة". وفي تلك الاثناء كان يساعد في تنظيم مسرح رابسوريك السري واشترك في التمثيل في ذلك المسرح، حيث ادت مسرحياته المناهضة للنازيين والمتسمة بالوطنية الى رفع معنويات البولونيين.

وهو سيم كاهنا عام ١٩٤٦ عندما كان الحزب الشيوعي الذي يدعمه السوفييت قد بدأ تضييق الخناق على كل المعارضين، والتحق فويتيوا بجامعة الكهنوت في روما حيث درس الفلسفة مدة سنتين ثم عاد الى بولونيا كاهنا لابرشية واستاذا للفلسفة وعلم الاخلاق. واصبح اسقفا مساعدا عام ١٩٥٨ (٣٨ عاما) وشرع مذ ذاك في اجراء الاتصالات واقامة العلاقات الدولية التي ادت الى انتخابه حبرا اعظم . فهو القى ثمانية خطابات في اثناء المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) كان ابلغها ذلك الخطاب الذي يحبذ الحرية الدينية. وبعد ذلك توالت عليه الانعامات الكنسية: فمنح قبعة الكاردينال الحمراء في سنة ١٩٦٧ ثم انتخب واحدا من بين ثلاثة اوروبيين

لعضوية السينودوس الاسقفي العالمي في سنة ١٩٧٤. وتزايدت شهرته على انه مناهض نشط للشيوعية وواعظ دامغ الحجة ورجل دين شعبي لدى العمال والشباب البولونيين.

منزلق صياد الاسماك – ان فويتيوا لا يعرف الكلل اذ هو يعمل احيانا عشرين ساعة في اليوم، كما انه قارىء نهم. وقد وضع خمسة كتب وكتب اكثر من ٥٠٠ مقالة ورسالة. ولديه موهبة ملفتة اذ انه يقرأ او يكتب بينما يشترك في محادثة وبعدئذ يتذكر مجمل ما قيل. ويتحدث بطلاقة اللاتينية والايطالية والانكليزية والفرنسية والالمانية فضلا عن البولونية.

وماذا عن الروسية؟

"ان كل بولوني يفهم الروسية، ولكن ليس هناك بولوني واحد يتحدث بها"، هذا ما قاله اخيرا كاهن بولوني.

ان البابا الجديد لا يدخن، ويشرب الخمر في المناسبات ولا يهتم للطعام او اللباس او الامتيازات الاجتماعية. وقال احد محرري الصحف في كراكوفيا: "انه يتناول من الطعام ما يقدم اليه". وذكر صديق آخر انه "لو علم الايطاليون بذوقه بالنسبة الى الخمر لما وافقوا اطلاقا على ان يكون هو البابا".

ولكونه شغوفا بالتزلج، فهو اعتاد ان يأخذ اجازة اسبوع كل عام للتزلج في منطقة تاترا اعلى الجبال الكارباتية على الحدود بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا. وكان يرتدي سروالا صوفيا فضفاضا وحذاء قديم الطراز.

ولفويتيوا شغف مماثل بالتجذيف بالنقائر (قوارب صغيرة خفيفة). وهو كان في رحلة من هذا القبيل عندما اعلن تنصيبه اسقفا عام ١٩٥٨. ولم يستطع مرافقو فيزنسكي العثور عليه بعد البحث ساعات عدة لانه كان منهمكاً في ممارسة تلك الهواية، الا انهم افلحوا اخيرا في العودة به الى فرصوفيا واخبره فيزنسكي: "ان البابا قد عينك اسقفا". فهل تقبل ذلك التعيين؟". واطرق فويتيوا مفكرا برهة ثم قال: "نعم. ولكن هذا لا يعني انني لن استطيع العودة الى رحلة التجذيف بالنقائر، اليس كذلك؟". والواقع انه ما لبث ان استأنف التجذيف في غضون دقائق. واثناء اقامته في مخيم في الريف يصطحب معه عادة مذبحا (منصة للصلاة) نقالا حتى يؤدي عليه القداس وكان يصنع صليبا يضعه فوق المذبح من مجذافين متقاطعين.

ومن بين اصدقاء، فويتيوا القريبين فنانون ومفكرون وكهنة. وهو ولع بالموسيقى ويولي التفاتة خاصة لباخ والموسيقار البولوني هنري فينيافسكي فضلا عن الاغاني والالحان الشعبية وتتذكر سيدة امريكية انها عندما كسرت احدى ساقيها وهي في رحلة تزلج في بولونيا ونقلت الى مستشفى قريب حيث اتحفها جماعة من رفاقها المتزلجين ببعض الالحان والاغاني، لم تدرك الا بعد وقت ان عازف الغيتار كان الاسقف فويتيوا نفسه.

المشاركة في القربان – يشتهر البابا يوحنا بولس الثاني بانه محافظ في ما يتعلق ببعض مسائل عقائدية واخلاقية بالنسبة الى سلطان الكنيسة. فقد اعلن معارضته لاستعمال اي وسائل اصطناعية لمنع الحمل وذلك في كتابه "الحب

والمسؤولية" (نشر عام ١٩٦٢)٠ الا ان ذلك الكتاب يشدد على اهمية المتعة الجنسية بين الزوجين٠ واتخذ فويتيوا ايضا موقفا متصلبا من الاجهاض الحر، وهو موضوع آخر يتعارض مع نظام الحكم الشيوعي في بولونيا٠ وبينما يبدي اهتماما بالمواضيع التي ينادي بها الليبيراليون مثل الطلاق، والعذرية وغيرهما، فانه يشعر بان تلك المشاكل يجب معالجتها بمشاركة كهنوتية وعلمانية وليس بتساهلات وتنازلات من مصادر اعلى٠ ولا تقل اهمية بالنسبة اليه، عن مسألة تحديد النسل والعذرية مواضيع مثل السلام والعدالة في العالم المعاصر ويبدو مؤكدا ان فويتيوا سيكون داعية قويا لحقوق الانسان والعدالة الاقتصادية٠

وقبيل انتخاب البابا يوحنا بولس الثاني كان احد الكرادلة الافارقة السود يجلس كئيبا في حجرة اجتماعات فارغة واشار بيده بازدراء الى ساحة الفاتيكان في الخارج قائلا: "كل تلك الزخارف الامبريالية والعزلة المحيطة بالبابا والانزواء الذي يعود الى العصور الوسطى، وذلك التمنع الذي يجعل الاوروبيين يقصرون عن ادراك كون الاقطار الفتية مثل بلادي تريد البساطة، بل تريد يسوع المسيح فحسب٠ كل ذلك يجب ان يتغير"٠

وبعد خمسين ساعة احتذى كارول فويتيوا نعل صياد الاسماك٠ وربما يكون التغيير قد بدأ٠

٢- العبء

"شئت أم أبيت فقد حكم عليك برحلة حج متنسكة من يوم اختيارك حتى يوم مماتك٠ انها الجلجلة (المكان الذي صلب فيه المسيح)، انها قداسة وقد بدأت لتوك بالصعود"٠

ان البابوية في طبيعتها منصب ظاهري التناقض٠ فالرجل الذي يضع في اصبعه خاتم صياد الاسماك هو بالتحديد خليفة صياد الاسماك بطرس الصخرة التي اقيمت عليها الكنيسة الكاثوليكية٠ فسلطان البابا روحي ودنيوي معا٠ فهو يعالج امورا من ناحية تتعلق بالخلاص الابدي وهو من ناحية اخرى ملك لولاية صغيرة ولكنها ثرية تتعرض لمكائد القصور والشيع٠

وهنا تكمن اولى المشاكل التي تواجه الحبر الجديد٠ فعليه ان يؤدي واجبه لعالم معقد مثقل بالمتاعب يمتد خارج جدران روما٠ ويجب عليه ان يكون انسانا عالميا يهتم بكل رفاقه من بني الانسان٠ غير ان الاهتمام وحده لن يكون كافيا واعلان المبادىء العريقة والعقائد لن يفي وحده بالغرض٠ فسيطلب منه التدخل بالكلمة الصريحة والاجراءات الصامتة في شؤون زمنه٠ ولعل مدى ما يستطيع ان يقوم به البابا الجديد من

عمل باستعمال سلطانه المتقلص في الوقت الحاضر وبنفوذه الذي صار مقيدا الان اكثر مما كان في اي وقت مضى، هو الان محور المسألة ولبها.

وهو يواجه مشكلة اخرى وهي ما فيه من قصور لكونه انسانا غير ابدي. فهو لا يستطيع التصرف على الفور وفي كل مكان وهو مرغم على تفويض الصلاحية الى البيروقراطية في روما والى الاساقفة المحليين وبالتالي الى الكهنة في انحاء العالم سواء كانوا صالحين ام سيئين او غير مبالين، فهو سوف يعاني نتيجة تقصيرات لم يرتكبها بنفسه.

والصوت الذي سيسمعه المؤمنون لن يكون دائما ذلك الذي ينادي به البابا. فسيحثه كهنته على الحديث ليس بلغة الشارع الواضحة وانما ضمن حدود الرسميات والشكليات التي ينتهجها الديبلوماسي خوفا من تفسير العاطفة والتسامح بانها جوازات لاعتقادات غير اصيلة او انحلال في التصرفات. ومع ذلك فان البابا اذا اراد ان يصغي العالم اليه فيجب عليه ان ينغمس في الخطب ويخبرنا الحقيقة المجردة بعبارات بسيطة.

الامانة للسلف - ان كل بابا يحمل على عاتقه عبء الفي عام من التاريخ. فهو يخشى الاساءة الى اسلافه حتى لا يسيء الى المبدأ الذي نقلوه اليه. وهذا الخوف ليس عقبة فقط بل انحرافا حقيقيا لمهمته الرعوية. فالجدل الذي نادى به المتمسكون الراحلون بالعقائد ليس من الاهمية بمكان اطلاقا بالنسبة الى عالم يعيش في ظل القنبلة النووية.

وسيكون البابا الجديد، بصفته وصيا وقيما على العقيدة العريقة، مضطرا الى التأكيد على حرمة رابطة الزواج وهو من ناحية اخرى كانسان وراع لن يستطيع ان يتجاهل محنة اولئك الذين ينهار زواجهم واولئك الذين تضررت عائلاتهم من الفقر او اولئك الذين يعتبرون اللاهوت بعيدا كل البعد عما اختبروه في المجتمع الحديث.

كذلك عليه ان يتحدث الى هؤلاء ونيابة عنهم كأب لا بالتقريع والتأنيب دائما بل بالرأفة والرفق. فان لم يفعل ذلك وقدم اليهم الاخلاقيات التي يدعو اليها علماء اللاهوت، فانهم سيرتدون كاطفال مرفوضين.

وهنا ايضا سيواجه الحيرة. فهو سيتمسك كأي مسيحي بالاعتقاد ان الانسان مخلوق روحي ولد لمصير ابدي في اتحاد مع الخالق او لانفصال عنه. ومع ذلك فانه لا يستطيع التأكيد على هوية المسيحي كابن الله من دون فهم طبيعته كابن انسان زائل (عابر) يكافح في يأس لاثبات حقوق مولده لمعظم العالم خلال الفترة القصيرة التي يعيشها.

واعلن مؤسس المسيحية انه لم يأت لينقض الشريعة بل ليكملها بعمل الهي من الحب البشري. وقد بعث تلاميذه الى العالم مع رسالة بسيطة: "- وأي بيت دخلتموه فقولوا اولا: "سلام على هذا البيت". ولم يكن ذلك تحديا لجدل فلسفي كما لم يكن امرا لعمل سياسي، بل استمطارا للبركة وابتهالا لانزال الخير على عالم سيء ناقص. ونحن اليوم في حاجة الى تلك البركة.

الوحدة بين الناس وهناك وحدة تجاهلها الباباوات وكهنتهم مرارا وهي الوحدة بين الناس الذين يعانون معا وجودا مشتركا ويتمتعون معا بافراح مشتركة ويتشاركون في نواحي الاضطراب والندم والاغراء نفسها. وسيتعين على البابا الجديد تشييد بنائه على هذه الوحدة.

وسيكون عسيرا ان يطلب كل ذلك من انسان واحد، الا ان ذلك سيكون مطلوباً منه وسيتحتم عليه ان يتذكر كلمات البابا يوحنا الطيب الذكر "حاولت الاحتفاظ بهدوئي واتزاني عندما كنت ابحث واقيم الامور والاشخاص من حولي، مهتما بما يوحدهم اكثر من اهتمامي بما يفرق بينهم". وسيحتاج البابا الجديد الى شجاعة شخصية وثقة عظيمة في العمل الروحي داخل نفسه وفي العالم ايضا.

انه يعيش في قصر مترامي الارجاء وسط مدينة عريقة زال منها المجد الامبريالي منذ امد بعيد. وستكون رحلاته، مهما يبتغي لها من نطاق، محدودة بسبب الميول والسياسات لدى الدول الدنيوية والتي يضمر بعضها العداء للفاتيكان ويخشى البعض الآخر من ان وجود خليفة بطرس قد يشجع على التذمر او الاضطراب.

وفي حواره مع العالم سيتحتم عليه البحث عن تلك الاسس المشتركة القائمة: اسس الاخوة البشريةوالامل الشرعي المشترك الذي يساور كل بني البشر.

ان الذي كتبته قبل خمسة عشر عاما عن بابا وهمي لا يزال صحيحا اليوم، اذ كتبت اقول: "لا يمكن التقاعد من هذا المنصب. شئت ام ابيت فقد حكم عليك برحلة متنسكة من يوم اختيارك حتى يوم مماتك. انها الجلجلة، انها القداسة وقد بدأت لتوك بالصعود. ولن يسير معك كل الطريق الا الله وحده".

■ **موريس وست**

موريس وست كاتب اوسترالي كان راهبا ومعلما في اخوية الاخوة المسيحيين وهي نظام للكهنة الكاثوليك، وكان مراسلا لصحيفة "الديلي ميل" اللندنية في الفاتيكان. وقد روى في اشهر كتبه بعنوان "نعل صياد الاسماك" قصة بابا جاء من وراء الستار الحديدي.



ابدأ بعمل بدل ان تبدأ ببرنامج.

فلورانس نايتنغيل

من حسنات المرضى

عاد غاري كيسيل، من سان دييغو، (كاليفورنيا)، الى منصبه التنفيذي في شركة طيران "باسيفيك ساوث وست" بعدما اجريتله عملية قلب مفتوح. لكن الاطباء حددوا له شروط عمل معتدلة. وعندما بدأ الضغط يتزايد، اسند كيسيل ظهره الى مقعده وحدق النظر في احد رؤسائه، ثم خاطبه بهدوء: "ان طبيبي لا يسمح لي بان اتلقى اي انتقاد".

ر.ج.

إجعل الصحة الجيّدة متعة يوميّة

هنا طريقة لا جهد فيها للتنفس والمشي والضحك، تؤدي بك الى صحة افضل

لقد تمكن الطب خلال العقود الماضية من التحكم في غالبية الامراض المعدية الرئيسية في العالم، ولكنه لا يزال عاجزا عن تلطيف البلية الصحية المزمنة التي نلحقها بانفسنا من جراء جهلنا وامتناعنا عن التصرف حسبما لدينا من المعلومات والمعارف. واما اللياقة البدنية والمحافظة عليها فامر ينبغي ان يكون مدعاة للتسلية والمرح. هنا بعض النصائح في شتى النشاطات اليومية الروتينية التي تساعدك، من دون جهد تقريبا، على اكتساب مجموعة من العادات تضمن لك الصحة والهناء.

الفطور : يتألف الفطور العادي في أكثر الاحيان من القهوة والخبز المحمص وطعام من الحبوب. وكثيرا ما يميل الناس الى الاستغناء عن هذه الوجبة تجنبا منهم لزيادة الوزن، ولكنهم لا يقدمون دائما على ذلك في معظم الاحيان. ويتضح من الدراسات ان المراهقات اللواتي يتخلين عن وجبة الفطور يتميزن غالبا بزيادة وزنهن عن المتوسط، لان انخفاض نسبة السكر في الدم عند الضحى كثيرا ما يدفعهن الى تناول وجبات خفيفة غنية بالسعرات الحرارية لدعم نشاطهن الواهن.

ويجمع اختصاصيو التغذية على ان الوجبات في صدر النهار ينبغي ان تكون "افطارا" حقيقيا يحتوي على اغذية بروتينية كالبيض والحليب والحبوب، يستوعبها الجسم بسرعة اقل من سرعة استيعاب انواع السكر البسيطة، مما يساعد على دعم مستويات النشاط خلال فترة الصباح. ويقول المثل السائد لدى بعض

المزارعين الاوروبيين الذين يمارسون الاعمال البدنية الشاقة: "تناول افطار ملك، وغداء امير، وعشاء فقير".

التنفس : قال فولتير منذ مئتي عام: "يمكن شفاء مقدار كبير من امراض البشر عن طريق التنفس". ولا شك في ان هذا القول اصدق ما يكون انطباقا على عصر يسوده الجلوس وقلة الحركة مثل عصرنا هذا. فنحن في اثناء الراحة لا نستخدم الا جزءا طفيفا من مجموع طاقة رئتينا، بل ان هذا الجزء لا يتجاوز واحدا من عشرة اجزاء عندما نقرأ كتابا او نكتب رسالة.

ويمكن تنشيط هذه المناطق المهملة من الجسم عن طريق التمرين الجسماني كل يوم، وهو يساعد على تزويد الدم بالاوكسيجين وعلى التخلص من نفايات ثاني اوكسيد الكربون المتخلف في الجسم. وعندما تمشي، تنفس شهيقا على مدى خمس خطوات او ست، تعدها، ثم تنفس زفيرا على مدى الخطوات الخمس او الست التالية. وفي اي تمرين تنفسي ركز اهتمامك خصوصا على اخراج الهواء المتبقي في الرئتين كي تستنشق بدلا منه كمية جديدة من الاوكسيجين. وتجدر الملاحظة - حتى في هذه الحال - ان كمية الهواء الذي يتغير مع كل تنفس لا يزيد على سدس ما تستوعبه الرئتان.

وحين يستبد بنا الخوف او التوتر، فكثيرا ما نحبس انفاسنا ونتنفس على نحو سريع وقليل العمق، فينجم عن ذلك تغيير كيميائي في الدم تنتج منه الاعراض التقليدية للقلق، مثل: الدوار والتقلصات العضلية والشعور بالاغماء وتسارع ضربات القلب. فاذا ما شعرت بدقات قلبية قوية وبتعقد عضلات حلقك قبل قيامك بانجاز عمل ملحوظ او تناول الكلام امام الجمهور، فاعط نفسك بضع ثوان قليلة لكي تتنفس فيها على نحو بطيء وعميق ومتواتر، فيزول عندئذ التوتر الذي يعتريك ويعود نمط تنفسك الى ايقاعه الصحيح.

التدريب الجسماني : منذ قرون طويلة، لاحظ ابقراط - ابو الطب - ان "ما يُستخدم ينمو، وما لا يُستخدم يذبل ويضمر". واذا لم نمارس التدريب الجسمامي، فاننا نعاني الضمور الناشيء عن عدم الاستعمال وتصيبنا السمنة وتنبهر انفاسنا لاقل مجهود نبذله ونحس بالتعب الدائم ونتعرض لامراض القلب ولمجموعة كبيرة متنوعة من الآلام والاوجاع العصبية وتصبح عضلاتنا المفتقرة الى التمرين ضعيفة ومترهلة. كما ان الاستخدام غير الكافي يؤدي الى اضعاف نسيج العظام، فنصبح عند ذاك أكثر عرضة للاصابة بالكسور.

وقد اصبحت امراض الشرايين التاجية من أهم اسباب الوفاة واكثرها انتشارا بين الذكور في منتصف العمر. ومن المعروف ان اولئك الذين يشغلون الوظائف التي تتطلب كثيرا من الجلوس يتعرضون للنوبات القلبية بمعدل يبلغ ضعف معدل اولئك الذين يمارسون الاعمال التي تستلزم النشاط البدني. فالقلب - ومثله بقية عضلات الجسم - يحتاج الى التمرين المنتظم لكي يحتفظ بحيويته وكفايته.

وان التمارين المنتظمة تساعد ايضا على التخلص من بعض التوتر ومشاعر

الاحباط التي تثيرها ظروف الحياة. وقد اثبت الطبيب هانز سيلي، اكبر اختصاصي عالمي في امراض التوتر والاجهاد، ان الفئران التي دربت حتى اصبحت على درجة عالية من اللياقة البدنية، تتحمل مستوى من الاجهاد والتوتر المتسببين عن الصدمات والضوضاء والنور الباهر والالم، تقوى معه على قتل الحيوانات غير المدربة.

ومن شأن التمارين الجسمانية ان تتكشف عن فوائد علاجية حقيقية. فيجب علينا - كلما استطعنا - ان نتجنب استخدام الآلات، مثل العربات الكهربائية المعدة لنقل لاعبي الغولف والسلالم المتحركة وحتى مخفقات البيض. ومن الافضل ان تركب دراجة كلما استطعت، بدلا من ان تقود سيارة، وان تقلل من مشاهدة التلفزيون وتنفق ما توفره من الوقت في اعمال الحديقة او النجارة او الاعمال الاخرى التي تحتاج الى نشاط بدني. واحرص على صعود السلالم درجة درجة من دون اسراع.

في اختصار، اجتهد في الاعتياد على ممارسة الحياة النشطة، وخصص من وقتك كل اسبوع ثلاث فترات من عشرين دقيقة للقيام بتمارين مجهدة، مثل العدو او السباحة او لعب كرة المضرب، كي ترفع معدل ضربات القلب الى ما يقارب الحد الاقصى بقصد تحسين اداء القلب ووظيفة الاوعية الدموية. واذا سبق لك ان عانيت ارتفاع ضغط الدم او تصلب الشرايين او مرضا في شرايين القلب واحتجت الى تمارين جسمانية، فيجب ان تقوم بذلك في اشراف طبي. وقد شكا أخيرا احد المديرين التنفيذيين في مؤسسة معروفة الى طبيبه انه يعاني احساسا بالتعب وانبهارا في الانفاس وفقدانا في الشعور ببهجة الحياة عموما. ولم يتبين للطبيب اي دليل على اصابة المدير بمرض عضوي باستثناء آثار طفيفة لارتفاع ضئيل في ضغط الدم، فكتب له الوصفة الطبية الآتية: "مارس التمارين الخفيفة اليوم، ومارسها بمقدار اكبر في الغد، واستمر على هذا المنوال الى ان اعطيك تعليمات بالتوقف".

الحمامات الشمسية: يقول مثل انكليزي قديم: "ان الشمس هي خير الاطباء، ولكنها اصعبهم في الحصول على موعد معها". ولضوء الشمس دور مهم في انتاج فيتامين "د" الذي يساعد على تكوين خلايا العظام وعلى انتفاع الجسم بالكلسيوم، كما انه يساعد على حماية الجلد والقضاء على عدد من الامراض الجلدية المزمنة.

وقد انتشرت عادة الحمامات الشمسية في اعقاب الحرب العالمية الاولى، عندما راجت اهمية ضوء الشمس في علاج امراض السل وشلل الاطفال وغيرها. ثم بدأت التقارير تشير الى ان التعرض المفرط لضوء الشمس يستعجل شيخوخة الجلد، بل يؤدي الى الاصابة بسرطان الجلد. ولا شك في وجود هذه الاخطار، لكن الشمس دواء اثمن من ان نحاول هدره، ولو انها تتطلب الاعتدال في تناولها اسوة ببقية الادوية. وينبغي لاصحاب الجلود الحساسة ان يحرصوا - قبل تعرضهم للشمس - على استخدام الكريم الواقي الذي تكفل اصنافه ترشيح نسبة من الاشعة الحارقة قد تصل الى ٩٠ في المئة.

الضحك : قبل ٢٠٠٠ سنة، وصف ارسطو عادة الضح بانها "تمرين جسماني عظيم الفائدة للصحة". ويجمع الفلاسفة واطباء النفس، ابتداء من افلاطون وانتهاء بفرويد، على ان عملية الضحك تتميز بالانعتاق المفاجىء من التوتر. والواقع انه نادرا ما تكون هناك نشاطات تنطوي على مثل هذه الفوائد الجمة الواسعة النطاق. فالضحك يساعد على الهضم بزيادة الافراز الغددي ويتيح الاسترخاء للعضلات وينشط الدورة الدموية في الجلد فيضفي النضارة على الوجه وتلألؤ الحياة في العينين. وقال احد الاطباء النفسيين: "قلما دعيت الى معالجة شخص يرى الجانب المضحك من الامور، ولم يسبق لي ابدا ان عالجت شخصا قادرا على الضحك على نفسه".

فترات الاستراحة : كثيرا ما يعتقد الناس ان التماس الراحة خلال يوم العمل امر اثيم لا يستسيغه الضمير. غير ان هنري ديفيد ثورو (★) يرى غير هذا الرأي ويلاحظ بحق: "ان العامل الكفي كل الكفاية هو الذي لا يزحم يومه بالعمل".

والواقع ان معظم اجهزة الجسم تمر بدورات متعاقبة من العمل والراحة. فالقلب مثلا يتمكن من الاستمرار في النبض مئة الف نبضة كل يوم من دون ان يصيبه العياء لانه يعقب كل فترة من فترات الجهد والانقباض (السيستول) بفترة اطول من الراحة (الاياستول). وأثبتت التجارب ان فترات الراحة المنتظمة تمكننا من انجاز اقصى ما يتسع لنا انتاجه باقل ما يمكن من انفاق الطاقة وادنى احتمالات الاجهاد. وغالبا ما يكون افضل سبيل للراحة هو تخصيص بضع دقائق كل يوم للتأمل الهادىء.

اجازات العطلة : يرى معظم الاطباء ان اجازات العطلة ربما كانت افضل سندات التأمين ضد الاجهاد والتوتر والمرض والارهاق.

فلا بد من العناية في اختيار مواعيد الاجازات بما يساعد على تعويض العناصر التي تفتقر اليها حياتنا وتوفر الفرص لاكتشاف الذات والنمو. ففي وسع الاجازة ان تضفي مقدارا من الاثارة والحماية على الحياة الروتينية الراكدة وان تتيح لسكان المدن العودة الى اكتشاف جذورهم، كما تتيح لمن يعانون الوحدة فرصة التمتع بالصحبة، ولمن يرهقهم الكبت فرصة الانطلاق والتفريج عن النفس. ولعل الفائدة الكبرى بالنسبة الى معظم الناس هي ان يحصل الواحد منهم على اجازتين او ثلاث اجازات قصيرة بدلا من اجازة سنوية واحدة طويلة. اما الوضع المثالي فهو ان تؤخذ الاجازات في الربيع والخريف، عندما نكون اقرب احتمالا الى الشعور بالارهاق، بدلا من شهري يوليو (تموز) واغسطس (آب) عندما تكون طاقة التمثيل الغذائي لدينا وقدراتنا على العمل في الذروة.

الوجبات الخفيفة قبل النوم :
كان الشائع في ما مضى ان يتناول الناس وجبات عشاء ثقيلة لدرء لذعات الجوع. اما الان فقد بات

(★) كاتب ومفكر امريكي شهير من القرن التاسع عشر، كان من اكبر المنادين بالعودة الى احضان الطبيعة، وهو مبتكر فكرة العصيان المدني التي اخذها عنه المهاتما غاندي وجعل منها سلاحا فعالا في الكفاح ضد الاستعمار الانكليزي للهند.

معروفا ان الوجبة الثقيلة، من اي نوع كانت، قبل النوم تسبب نوما قلقا وغير مريح. وانما من الخطأ ايضا ان يأوي الانسان الى فراشه وهو جائع، لان ذلك مدعاة للنوم القلق والاحساس بـ"جوع الليل".

وقد يكون تعاطي القليل من المشروبات الكحولية قبل النوم مدعاة للاسترخاء. لكن الافراط في ذلك يؤدي دائما، تقريبا، الى افساد راحة النوم. وتشير الشواهد الى ان كوبا من الحليب الساخن قبل النوم يحقق نتائج افضل. وقد اثبت اطباء مستشفى ادنبره الملكي في بريطانيا ان قدحا من اللبن المحلى يحسن نوعية النوم. فبفضله ينعم الصغار بنوم اعمق والكبار بنوم اطول، كما ان الذين يستيقظون في اثناء الليل يسهل عليهم استئناف النوم. وبالاضافة الى ذلك، فكلما زاد عدد الليالي التي يؤخذ فيها هذا الشراب، زادت فعاليته كمهدىء.

وهناك مثل قديم يقول: "تجيء الامراض الحادة من الله واما الامراض المزمنة فنحن الذين نخلقها". وان ملايين المستشفيات تظل عاجزة عن خلق رجل سليم واحد. كما تعجز اي تدابير صحية عامة واي اصلاحات قانونية واي قوانين برلمانية عن تزويدنا بالصحة ما لم نتكفل نحن بذلك.

■ **دونالد نورفولك**



وراء الاكمة...

في الاربعينات كان اللورد هاليفاكس سفيرا لبريطانيا في الولايات المتحدة، وكانت قامته بالغة الطول بحيث اصبح شاهدا يهتدي به الضيوف في الحفلات الرسمية في واشنطن اذ كان يقول احدهم للآخر: سنلتقي في نهاية الحفلة، وراء اللورد هاليفاكس مباشرة.

("فوغ")

الحمامة والسيارة

على رغم التطورات الهائلة التي حدثت في مجال المواصلات، فان ادارة مستشفى ديفنبورت في بليموث (انكلترا) لا تزال ترى في الحمام الزاجل افضل وسيلة لنقل عينات الدم والخلايا الى المختبر الرئيسي الذي يبعد كيلومترين وربع كيلومتر تقريبا عن المستشفى.

وقد اقلعت ادارة المستشفى عن استخدام سيارات الاجرة لهذه الغاية بعدما وجدت ان السيارة تقطع المسافة في ١٢ دقيقة في حين تقطعها الحمامة في اربع دقائق فقط وبكلفة أقل.

("رب بيت")

الكتابُ الحيّ

ماذا يجعل كتاباً ما أثراً حياً ؟
هناك ست علامات مميزة للروائع الادبية عبر العصور

لا نهاية لتأليف الكتب. ولا نهاية ايضا، في ما يبدو، لوضع جداول بـ"الكتب العظيمة". وقد كان عدد الكتب على الدوام يفوق ما يستطيع اي انسان ان يقرأ. وأمام هذا التكاثر المتواصل عبر القرون، لا بد من وضع جداول جديدة بالكتب الممتازة.

ولن تستطيع، مهما طالت حياتك، ان تقرأ الا عددا قليلا من الكتب. ولا بد لهذا العدد من ان يشمل افضلها. وفي امكانك ان تغتبط بحقيقة كون عدد هذه الكتب صغيرا نسبيا.

ان وضع جدول بالكتب المفضلة قديم قدم القراءة والكتابة. وقد فعل ذلك المعلمون والقيمون على المكتبات في الاسكندرية في الزمن القديم. وفعله كينتيليان لخدمة التربية الرومانية، فاختار، كما قال، مؤلفات كلاسيكية "قديمة" و"حديثة". وفي عصر النهضة عمد قادة احياء المعارف، امثال مونتين وايرازموس، الى تدوين لوائح بالكتب التي قرأوها.

ولئن كان متوقعا ان تتغير الكتب المختارة مع الوقت، الا ان هناك تماثلا يثير العجب بين الجداول التي تمثل افضل المختارات في اي فترة. ففي كل عصر كان صانعو هذه الجداول يضمنون مختاراتهم كتبا قديمة وحديثة، وكانوا يتساءلون باستمرار عما اذا كانت الكتب المعاصرة بلغت مستوى الكتب السابقة العظيمة.

ما هي العلامات التي نستطيع بواسطتها تمييز الكتاب العظيم ؟

لعل العلامات الست التي سأذكرها ليست الوحيدة الممكنة. غير انها العلامات التي وجدتها اكثر نفعا في تفسير اختياراتي عبر السنين.

الكتب العظيمة مقروءة عموما اكثر من اي كتب اخرى : انها ليست كتبا تروج مدة سنة او سنتين، لكنها تروج باستمرار. ان قراء قصة "ذهب مع الريح" اقل نسبيا من قراء مسرحيات شكسبير او رواية دون كيشوت. ومن المعقول ان نقدر ان قراء "الياذة"

هوميروس بلغوا ٤٥ مليونا على الاقل خلال ثلاثة آلاف سنة.

ليس من الضروري ان يكون الكتاب العظيم رائجا في عهد وضعه - وقد يمر عليه بعض الوقت قبل ان يحشد حوله القراء. ويروى عن العالم الفلكي كبلر، الذي صار مؤلَّفه عن حركات الاجرام السماوية يعد مؤلفا كلاسيكيا في الوقت الحاضر، انه قال عن كتابه هذا: "انه يستطيع ان ينتظر قرنا قبل ان يجد قارئا. فقد انتظر الله الخالق ستة الاف سنة قبل ان يظهر مراقب واحد".

الكتب العظيمة شعبية، لا حذلقة فيها ولا تقعر : انها ليست موضوعة من قبل اختصاصيين يخاطب بعضهم بعضا حول موضوعات خاصة. وسواء اكانت هذه الكتب مؤلفات فلسفية او علمية او تاريخية او شعرية، فانها تتناول قضايا بشرية، لا اكاديمية. انها مكتوبة للناس العاديين، لا للاساتذة. ومن أجل قراءة كتاب موضوع لطلاب متقدمين في موضوع ما، عليك بقراءة كتاب تمهيدي في الموضوع نفسه قبل ذلك. غير ان الكتب العظيمة يمكن اعتبارها تمهيدية بمعنى انها تعالج العناصر الاولية لاي موضوع. وهي ليست متصلة بعضها ببعض كسلسلة من الكتب المدرسية المتدرجة من حيث الصعوبة او من حيث تقنية القضايا التي تعالج.

وهناك، على كل حال، نوع واحد من القراءة السابقة التي تساعدك فعلا في قراءة كتاب عظيم، وهو ان تقرأ الكتب العظيمة التي قرأها المؤلف بالذات. ولأضرب لك مثلا على ذلك بأخذ كتاب المبادىء الهندسية لاقليدس وكتاب نيوتن عن المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية. ان كتاب اقليدس لا يتطلب دراسة مسبقة للرياضيات. وهو مدخل الى الهندسة والحساب. لكن هذا لا يمكن ان يقال عن نيوتن، لانه استعمل الرياضيات في حل المسائل الفيزيائية. ان اسلوبه يدل على عمق تأثره بمعالجة اقليدس لمسائل النسبة والتناسب. لذلك لا يسهل فهم كتابه، حتى على العلماء، ما لم نقرأ كتاب اقليدس اولا.

ولا اقصد بهذا ان الكتب العلمية العظيمة يمكن ان تقرأ من غير جهد. لكني اقصد ان قراءة هذه الكتب بحسب ترتيبها التاريخي تؤدي الى المكافأة على الجهد المبذول. فكما ان اقليدس يوضح لنا نيوتن وغاليليو، هكذا نجد ان هذين بدورهما يساعدان على جعل اينشتاين مفهوما. والحكم نفسه ينطبق على الكتب الفلسفية ايضا.

الكتب العظيمة تبقى معاصرة باستمرار : وبالمقارنة مع هذا، نجد ان الكتب التي نصنفها "معاصرة" لأنها شعبية في الوقت الحاضر، لا تستمر كذلك اكثر من سنة او سنتين، او عشر سنوات على ابعد حد. ولعلك لا تستطيع ان تذكر اسماء كتب كثيرة راجت قبل ذلك، او لعلك لا تهتم بقراءتها. اما الكتب العظيمة فلا تبطل ولا تطمسها الافكار اللاحقة او تقلبات رياح العقيدة والرأي.

وينظر الناس الى المؤلفات "الكلاسيكية" على انها الكتب التي كانت عظيمة في الماضي، في ازمنة اخرى، قائلين: "ان عصرنا مختلف". لكن الصحيح هو العكس، اي ان

الكتب العظيمة ليست آثارا علاها الغبار ليبحث فيها الباحثون فحسب، بل الارجح انها افعل القوى الممدنة في العالم اليوم.

ان القضايا الانسانية الاساسية واحدة في جميع العصور. وكل من يقرأ خطابات ديموستينس ورسائل شيشرون، او مقالات بيكون ومونتين، يجد أن الانسان منشغل، على نحو ثابت ومستمر، بالسعادة والعدالة والفضيلة والحقيقة، وحتى بالاستقرار والتغير. ولئن استطعنا تسريع حركات الحياة. الا اننا، كما يبدو، لا نستطيع تغيير المجالات المتوافرة لبلوغ اهدافها.

الكتب العظيمة هي افضل الكتب للقراءة : انها لن تخيب ظنك اذا حاولت ان تقرأها قراءة جيدة. فصفحة واحدة منها تحوي من الافكار ما يزيد على ما تحويه معظم الكتب الاخرى بكاملها. لذلك يمكنك ان تعيد قراءة الكتاب العظيم مرة بعد مرة من غير ان تستنفد جميع محتوياته.

وفي الامكان قراءة الكتب العظيمة على مستويات متعددة من الفهم، وبتنوع كبير في التفسيرات. ومن الامثلة الواضحة على ذلك روايتا "رحلات غاليفر" و"روبنسون كروزو" وملحمة "الاوذيسة". فالاطفال يقرأونها بمتعة، لكنهم يعجزون عن ان يجدوا فيها ما يجده العقل الناضج من جمال وقيمة.

الكتب العظيمة اشد الكتب تثقيفا وتعليما : ويعود هذا الى انها نوع من المخاطبة الاصيلة بين الناس، اي انها تحتوي على ما لا يمكن ايجاده في كتب اخرى. وسواء اكنت موافقا في النهاية او غير موافق على ما في هذه الكتب، فهي تبقى المعلمة الرئيسية للانسانية. وهي التي قدمت العطاءات الاساسية الى الفكر البشري.

ويكاد يكون من نافل القول ان نضيف ان الكتب العظيمة هي ابلغ الكتب تأثيرا. ففي التراث الثقافي حظيت هذه الكتب باوسع مناقشة من قبل قراء كانوا، الى جانب ذلك، كتّابا ايضا. ووضعت عنها شروح وتفاسير كثيرة لا تحصى، لكنها اصبحت طي النسيان فيما بقيت الكتب الاصيلة على حالها.

الكتب العظيمة تعالج القضايا التي لا تزال من دون حلول في حياة البشرية : في العالم غوامض والغاز حقيقية تشكل تحديا للمعرفة والفكر البشريين. واذا كان البحث في هذه الامور الغامضة يبدأ بالتساؤل والعجب، فهو ينتهي بهما ايضا. وتعترف العقول الكبيرة بامانة بوجود الالغاز والغوامض. والحكمة تتعزز وتقوى، ولكن لا تتعطل، بفهم قيودها وحدودها.

انه امتياز لنا، كقراء، ان ننتمي الى المجموعة الانسانية الكبرى التي لا تقر بأي حدود قومية. اني لا اعرف كيف اتخلص من ثوب القومية السياسية الضيق، لكني اعلم كيف نصبح اصدقاء للروح الانسانية في جميع وجوهها بصرف النظر عن الزمان والمكان، وذلك بقراءة الكتب العظيمة.

■ مورتيمر ج. ادلر

رئيس دائرة المعارف البريطانية
وأحد قادة حركة "الكتب العظيمة"
في اميركا الشمالية.

حَديث مَع بْريجنسْكي:

العَالم تغيّر والشعبُ الفلسطيني لا يمْكن تجاهلُه

أين هي "الحدود" الحقيقية للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي؟ ومن يحكم العالم، من فيتنام الى الشرق الأوسط؟ واي دور سيكون في الثمانينات وما بعدها للعالم الثالث؟
هنا مقابلة اجراها الصحافي جيمس رستون مع زبيغنيو بريجنسكي مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي حول المشاكل المهمة والمهمات الملحة في هذا العالم السريع التبدل.

س: تواجه الولايات المتحدة علاقات جديدة مع الصين ومشاكل مع الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط واوروبا... فهل انت متفائل ام متشائم؟

ج: انني متفائل أساساً، فمع ادراكي لضخامة المصاعب التي نواجهها اعتقد أننا نعمل حقيقة لايجاد اطار سليم للتعاون في العالم الذي يبدي يقظته ونشاطه من الوجهة السياسية للمرة الأولى في تاريخه.

فمنذ بضع عشرات السنين كان النظام السائد في معظم العالم قائما على اساس الامبراطوريات الاستعمارية التي بسطت سيطرتها على القسم الكبير من آسيا وافريقيا، او مرتكزا على انظمة سياسية قلما تحققت فيها مشاركة الشعوب. اما الآن فقد انهارت الامبراطوريات وتزايد عدد الانظمة الوطنية المستقلة وتقلصت الامية وانتشر التعليم وتكاثر استقرار الناس في المدن حيث اصبحوا عرضة للتعبئة السياسية

ولوسائل الاعلام الواسعة النطاق، ونشأ عن ذلك وعي اجتماعي وسياسي عالمي جديد لم يكن له مثيل من قبل.

س: وما هو تأثير كل ذلك على الامن القومي؟

ج: لقد مر الزمن - ولنقل عند منعطف القرن الحالي - حين كان يكفي الاقتصار في التفكير على حماية سواحل امريكا والذود عن حدودها وربما ايضا في كسب بعض الحلفاء تأمينا للحفاظ على تعادل القوى. ولقد اصبح مفهوم الامن القومي يعني الآن الالتزام الفعال الايجابي من جانب الولايات المتحدة بوجود عالم سريع التغير بما يتناسب مع مصالحنا ويتجاوب مع قيمنا.

س: وهل تتوافر لدى الولايات المتحدة العزيمة والقوة اللازمتان لذلك؟

ج: اعتقد ان لدينا القوة الكافية ولو بدرجة لا تعادل نسبيا ما كانته بعد الحرب العالمية الثانية. ولقد كان لدينا اخيرا مقدار اقل من العزيمة بعد ان تشظت بسبب حرب فيتنام، وانما نحن الآن على وشك الخروج من فترة هذا الانقسام.

العالم الجديد

س: هل يمكنكم ان تحددوا بعض قوى التغير الرئيسية في عالم اليوم؟

ج: في الفترة ما بين ١٩٥٠ وعام ٢٠٠٠؟ سيتزايد عدد سكان العالم فيبلغ ثلاثة مليارات ونصف مليار نسمة يعيش معظمهم في بلدان العالم الثالث، بينما لن يضم العالم الغربي آنذاك سوى عشرين في المئة تقريبا من البشر. ومن جهة اخرى، ففي نهاية هذا القرن ستكون غالبية البشر شبانا، وفقراء، وواعين سياسيا ومقيمين في المناطق الحضرية ومهيئين للتعبئة الجماهيرية. وتعتبر هذه القوى عناصر تغيير اساسية وحيوية لا بد للولايات المتحدة ان تتجاوب معها.

وهناك ايضا توزيع جديد للقوى الاقتصادية والسياسية في العالم، كما يستدل من بروز المناطق الصناعية الجديدة مثل كوريا ومجموعة دول جنوب شرقي آسيا والبرازيل وغيرها من الدول التي تتطور لتصبح مراكز جديدة للنمو الصناعي السريع. وهذا يعني ان الدول الصناعية القديمة يتعين عليها ان تعتمد بصورة مطردة على التجديد والابتكار في الميدان التكنولوجي محافظة على منزلتها العالمية.

وبما ان ثمة مجموعات من الدول، كالتي تضمها منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك)، في وسعها ان تنتظم في اتحادات للمنتجين او انصاف كارتلات تفرض سلطتها، فذلك يعني اخفاق التنظيم السابق للسلطة السياسية والاقتصادية. ولقد كان الغرب في العام ١٩٣٩ صاحب القوة السياسية بلا منازع الى جانب القوة المالية والاقتصادية. اما اليوم فان الغرب يتقاسم القوةالعسكرية مع الاتحاد السوفييتي، بينما تتزايد تجزئة القوة الاقتصادية اكثر من ذي قبل، فضلا عن وجود دوائر جديدة تملك الثروة والنفوذ الماليين وتفرض الضغوط الهائلة على نظام النقد الراهن.

كل هذا يعود بي الى محور حديثي وهو: ان سياسة الامن القومي

الاساسية للولايات المتحدة الامريكية تستدعينا الى المشاركة الفعالة في بناء الاطار التعاوني اللازم لمختلف هذه القوى. وان لم نفعل واجهتنا المتاعب.

س: ما هي القضايا الملحة اكثر من غيرها بالنسبة الى الامن القومي الامريكي؟

ج: معاهدة الحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية (سالت) والمبادىء والاوضاع الاستراتيجية، ثم الصين.

ستظل علاقة الولايات المتحدة بالاتحاد السوفييتي مشوشة لفترة طويلة، وحتى اذا تحققت معاهدة "سالت" فستستمر الخلافات والاحتكاكات بيننا وبينه. والمهم هو الا تشتد نزعة الشك والارتياب فيه الى حد الهوس، بل انه يتعين علينا وعلى السوفييت كذلك السعي الى التعادل والتكيف لان البيئة الاستراتيجية في الثمانينات ستكون مختلفة عنها في الستينات وهي الفترة التي تكونت فيها معظم مفاهيمنا الحالية وصممت غالبية اسلحتنا.

وعلينا ان نقيم التوافق الواضح مع جمهورية الصين الشعبية التي تمثل ربع البشرية وتعد قطاعا خلاقا وموهوبا للغاية تربطنا به مصالح كثيرة مشتركة، وهي مصالح بعيدة المدى لا علاقة لها بالناحية التكتيكية المعادية للسوفييت، بل تمت بالاحرى الى نظرتنا الاساسية الى العالم المتنوع لا الى العالم الخاضع لهذه السلطة او تلك.

الولايات المتحدة مضطرة الى التجاوب مع قوى التغيير في العالم الثالث

الشعب الفلسطيني موجود

س: اليس هناك احساس قوي لدى الاسرائيليين بان حكومة كارتر في اهتمامها بمسؤولياتها العالمية، قد عدلت العلاقة الخاصة التي كانت قائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل؟

ج: (...) تدرك هذه الحكومة تمام الادراك انه ما لم نتوصل الى حل سريع وشامل للنزاع العربي - الاسرائيلي فان استمرار هذا النزاع سيكون في ذاته حافزا على استسراع انتشار التطرف وتغلغل النفوذ السوفييتي في المنطقة.

فالسلام هو من مصلحة الولايات المتحدة. وانما من مصلحة اسرائيل ايضا ومصلحة الدول العربية المعتدلة ومصلحة الشعب الفلسطيني - الذي لا يمكن تجاهله - ان ينشأ نمط من التعاون الاقليمي بين الغرب والدول الممتدة من ايران الى المغرب ومن جنوب شبه الجزيرة العربية الى شواطىء البحر الابيض المتوسط (...).

س: الم نكن مبالغين جدا في تقدير امتداد خطورة التهديد السوفييتي على النطاق العالمي؟

ج: عندما كنا نخشى الاتحاد السوفييتي في الماضي كنا ننزع الى المغالاة في تقدير قوته العسكرية التي كانت في الحقيقة غير ذات بال، والى التقليل من خطورة اغرائه الايديولوجي الذي كان له اهميته من بعض الوجوه. اما اليوم فيكاد الاغراء الايديولوجي السوفييتي يكون منعدم المفعول في الواقع، اذ ليس هناك ثوري واحد في اي ناحية من العالم يمكنه التفكير في اتخاذ الاتحاد السوفييتي نموذجا لمستقبل بلاده. ومن حيث القوة العسكرية السوفييتية، فعلى رغم نموها الكبير الا انها لا تكفي للسيطرة على الولايات المتحدة او على العالم. ولكنها، مع ذلك، كافية لتعقيد حلول النزاعات الاقليمية. فالازمة اليوم تتركز مثلا في مجموعة من دول المحيط الهندي، وبالتحديد على منحنى عدم الاستقرار الذي يبدأ من تشيتا غونغ في بنغلاديش عبر اسلام اباد والطريق المؤدية الى عدن. ومن المحتمل ان يتفاعل وضعها الاجتماعي والسياسي الضعيف مع مخططات القوة السوفييتية فتنشأ عن ذلك مشاكل حادة خصوصا بسبب النفط.

المستقبل المشترك

س: وماذا تستطيع امريكا للتأثير على العالم الحديث؟

ج: لقد حققت امريكا وحدتها على اساس المستقبل المشترك لا على اساس الماضي العضوي، فهي تعتبر بالتالي نموذجا مصغرا لعالم الغد. فوحدة العالم لا تقوم على وحدة الماضي ولكنها تتجه باطراد نحو المستقبل المشترك. ولقد برهنت امريكا على ان البشر يستطيعون ان يتعاونوا في سبيل أفكار رئيسية. ونحن الامريكيين قد بنينا سوية مجتمعنا الذي ظل في الحقيقة على مدى مئتي سنة اطارا للجهود الطامحة الى ارساء مفهوم حرية الانسان. والعالم اليوم في حاجة الى مثل هذا الاطار لكي تتحقق مثل الحرية والعدالة الانسانية. ويمكننا ان نساعد في ذلك، لا عن طريق السيطرة، وانما باقامة شبكة من علاقات التعاون لا مع اصدقائنا التقليديين فحسب بل مع الدول الجديدة ايضا ومع خصومنا كذلك.

وانني اتحدث هنا عن التعاون في نطاق نسيج عالمي شامل يساهم فيه بالفعل العدد الاكبر من الشركاء وتتوزع فيه القوة الاقتصادية والسياسية على النمط الذي حدث في الولايات المتحدة ذاتها خلال الاعوام العشرين الاخيرة.

س: وماذا عن الوضع في نصف الكرة الغربي؟

ج: تختلف وجهة نظرنا مع وجهة نظر سكان امريكا اللاتينية في ما يختص بالماضي المشترك. فاهل امريكا الشمالية يميلون الى التفاخر بمبدأ مونرو (★) اما بالنسبة الى اهل امريكا اللاتينية فليس هذا المبدأ سوى وثيقة تعبر عن السيطرة الامريكية.

وقد خففت الادارة الامريكية

(★) بيان عام ١٨٢٣ عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تعرب فيه عن معارضتها للتوسع في السيطرة او النفوذ الاوروبيين في نصف الكرة الغربي.

الحالية بعض التوتر بواسطة المعاهدات الجديدة لقناة بناما . ونحن نتبع السياسة القائمة على معاملة دول امريكا اللاتينية كشركاء ناضجين على اساس ثنائي في اغلب الاحيان كما هو شأننا مع دول اوروبا وآسيا، وعلى اساس اقليمي عند الاقتضاء، وعلى اساس عالمي في ما يتعلق بتلك المشاكل التي تشترك فيها امريكا اللاتينية مع الدول المتنامية الاخرى.

وأننا في حاجة الى تحسين علاقتنا مع المكسيك والا فسوف نجد في نهاية هذا القرن ١٢٠ مليونا من البشر في جوارنا الجنوبي مباشرة لا تربطنا بهم اواصر الصداقة مع اننا نشترك في الكثير مع المكسيك ويمكننا ان نبني علاقة جماعية خلاقة اذا اتسمنا ببعد النظر وعملنا جنبا الى جنب مع المكسيكيين انفسهم في وضع السياسات الامريكية - المكسيكية المشتركة في شأن عدد من المسائل كالتجارة والهجرة والموارد الطبيعية.

س: هل هناك عدم استقرار داخل الولايات المتحدة ذاتها؟

ج: هناك من حين لآخر بعض مناطق او حالات من عدم الاستقرار، ولكن ما تنفرد به امريكا هو قدرتها على امتصاص التغير واستيعابه، وفي هذا تكمن قوتنا العظمى. فنحن، على نحو ما، قد ابتدعنا التغير لاننا جئنا معا لبناء مجتمعنا بدلا من ان نولد في مجتمع ننشأ فيه.

س: هل تشعر بالارتياح الى تفهم الجيل الناشىء لهذه الرؤية؟

ج: اعتقد ان هناك بعض العودة الى القيم الايجابية للوطنية والى المعنى الايجابي لعبارة "افتتان الفرد بوطنه" والى التفاخر الايجابي بكل ما ترمز اليه امريكا وتعمل من اجله.



اكرام الضيف

كنت وصديقتي نقضي اجازتنا في صقلية. وذات مرة ذهبنا في نزهة ساحلية طويلة على الاقدام حتى وصلنا الى طرف ناء في منطقة ناكسوس. وحين استفسرنا عن الحافلة التي تقلنا الى تاورمينا، جاءنا الجواب ان هناك واحدة فقط تتوقف في هذه المنطقة بعد الظهر، ولا احد يعرف اذا كانت هذه مرت. فهيأنا انفسنا لقطع طريق العودة سيرا على الاقدام ودخلنا الحانة الوحيدة للحصول على شيء من النبيذ والخبز والسلامي يعيننا على استعادة عزيمتنا.

وبعد بضع دقائق دخل رجلان يرتديان بزات رسمية وتسكعا حول طاولتنا ثم اخذا يراقباننا ونحن نأكل، ولما لم يكن باديا عليهما سوء النية، فقد تبادلنا معهما بعض الطرائف الصغيرة. وبعد ان انتهينا من وجبتنا الممتعة، سألانا بادب جم، اذا كنا مستعدين للمغادرة حالا.

واستولت الدهشة علينا ونظرنا اليهما، فقدما لنا نفسهما: كان الاول سائق الحافلة والثاني مراقب الخط. وكانت السيارة واقفة فعلا في زاوية الشارع وهي محملة بابناء المنطقة الذين كانوا ينتظرون بصبر حتى يستعد الغريبان للذهاب.

س. س.

كيف ينظر الرجال الى الجنس !

الاندفاع الجنسي عند الرجال معقد بمقدار ما هو قوي. هنا يشرح احد المستشارين في الشؤون الزوجية الاختلاف في وجهات النظر بين الرجال والنساء - لفائدة الطرفين.

تحدثت، خلال السنوات الاربعين الماضية، مع آلاف الازواج عن احتياجاتهم الجنسية وما يتوقون اليه وعما يرضيهم او يخيب آمالهم. ووجدت انه بينما ينفرد الرجال - كالنساء - بخصائص جنسية معينة، فانهم، في الوقت نفسه يشتركون في عدد من المواقف ازاء الجنس. وأرى ان تفهم النساء لهذه المواقف امر ذو اهمية قصوى.

اول ما استرعى انتباهي هو ان معظم الرجال اشد خجلا من النساء في ما يتعلق بالجنس وهذا قد يبدو غريبا لان الرجال يتحدثون عن الجنس اكثر من النساء ويظهرون اهتماما به اكبر مما يظهرن. ولكن ينبغي ان نلاحظ "كيف" يكون الحديث عن الجنس بين الرجال. انه حديث يكتسب على الدوام تقريبا، صبغة غير شخصية واسلوبا غير مباشر كما يتجلى في حكاياتهم الجنسية ودعاباتهم حيث يكادون لا يتطرقون مطلقا الى الحديث عن اختباراتهم الجنسية الخاصة او عن ارتباكهم وخيباتهم.

ووجدت، بحكم عملي مستشارا في الشؤون الزوجية، ان الزوجات يستطعن عموما بحث حياتهم الجنسية. باتزان اكبر وتجرد اعظم مما يستطيع الرجال فما السبب؟

عواطف مكبوتة - ثمة اسباب عدة، منها قوة الرغبة الجنسية لدى الرجل وسرعة اثارته بالصور والحكايات الجنسية التي تكاد لا تخلف اي اثارة في المرأة، وكذلك اندفاعه العدواني الذي قد ينجم عن احتياجاته الجنسية. هذه القوى المتفجرة يمكن ان تولد فيه عواطف تذهله وتجعله يخشى فقدان السيطرة على زمام نفسه. وهكذا يتعلم الرجل، لدى تطرقه الى الحديث الجنسي مع الآخرين، المحافظة على الموضوع بعيدا عنه. ولا يسمح له بأن يصبح في وقت من الاوقات موضوعا شخصيا حميما، بل يحرص باستمرار على الحيلولة دون انفجار عواطفه خشية ان يصبح اضحوكة بين الناس او مصدر فزع ورعب. هذا احد الاسباب التي تجعل ارتباط الجنس بالحب ورقة

CONDENSED FROM MODERN BRIDE (SUMMER 63).

REPRINTED FROM THE READER S DIGEST, JUNE 63

العاطفة امرا اشد عسرا على الرجال منه على النساء٠

ما من رجل يريد فعلا الجنس من دون حب٠ الا ان ثمة رجالا يجدون مشقةفيالتعبير عنمودتهم وحاجتهم الى الحب٠ بحيث يشعرون نساءهم بان الجنس حاجة مجردة لا تمت بصلة الى الشعور الشخصي تجاههن٠ وفي ذلك طبعا اذلال فظيع للمرأة التي تشعر عندئذ بانها تستغل كمتاع فقط، ولا تعامل كانسان٠

اختلاف اساسي – وتستطيع المرأة ان تتفهم هذه الناحية على نحو افضل اذا تذكرت انه لا يزال هناك اختلاف اساسي بين الادوار التي يضطلع بها الرجال والنساء٠ فدور الرجل تقليديا هو الاخذ، في حين ان دور المرأة هو العطاء٠ وان تكن هذه المواقف تبدلت اليوم، الا ان الرجل ما زال يحس بحافز على الاخضاع بينما يراود المرأة احساس يحثها على الاستسلام٠ وقد عمدت شخصيا في بعض الاحيان الى شرح الموضوع في اثناء عملي باسداء النصح الى الازواج على النحو الآتي: "الرجل يعطي حبه ليحصل على الجنس بينما تمنح المرأة الجنس لتحصل على الحب"٠ وما من شك في ان الحب الناضج يتجاوز تجاوزا كبيرا هذا المفهوم المبسط٠ لكنه، على رغم ذلك، مفهوم قريب الى الحقيقة، وقد منح عددا من الازواج الذين عرفتهم مفهوما جديدا عن انفهسم٠

وهناك حقيقة اخرى مهمة عن الرجل، وهي ان اعتباره لنفسه متأصل في جذور طبيعته الجنسية٠ والطريقة الوحيدة التي تمكنه من اثبات ذكورته امام نفسه هو لعب دور الرجل مع المرأة التي اختارها٠ وكرامة الرجل كرجل حيال هذا الدور اعمق من اي اختبار آخر في حياته٠ وهذا مصدر حساسية الرجال الفائقة وتعرضهم للانسحاق وقابليتهم للانجراح في الامور الجنسية٠ ويعلم كل من عمل مستشارا في الشؤون الزوجية مدى الحسرة التي يحس بها الزوج حين يكتشف عجزه الجنسي، اذ يصبح مهزوما لاعتقاده انه لم يعد رجلا٠

وعلى النساء ان يتفهمن هذه الحساسية البالغة لدى الرجال، خصوصا لانه ليس هناك مثيل لها في اختباراتهن٠ ان الوظيفة الجنسية عند الرجل معقدة٠ واذا تعطلت فلا يبقى في حياة الرجل اختبار اشد قسوة سوى ان تعامله المرأة التي اخفق معها باحتقار وازدراء٠

حساسية مفرطة – قد لا يبدو الرجال حساسين بالنسبة الى موضوع الجنس، لكنهن حساسون في الواقع٠ ومن المذل كثيرا للزوج ان يتقدم من زوجته ببادرة جنسية فترفضه٠ واذا كان طبيعيا ان تكون هناك اوقات يحق فيها للمرأة ان تقول: "لا"، الا انه ينبغي ان تفعل ذلك بلباقة عظيمة لئلا تجرح كبرياء الرجل جرحا أليما٠

والرجل بالاضافة الى ما سبق، حساس ايضا حيال موضوع آخر هو قدرته على اسعاد زوجته خلال العملية الجنسية٠ وما اكثر الازواج الذين يكتئبون لشعورهم بعدم الكفاية كل مرة لا تبلغ الزوجة فيها ذروة اللذة٠ واذكر، على سبيل المثال،زوجا جاءني مع زوجته الشابة من مكان

يبعد بضع مئات من الكيلومترات ليستشيرني في هذه الناحية. وبقي طوال ساعتين يروي لي قصته المأسوية. ثم خرج من المكتب ودخلت زوجته لبحث الموضوع، واذا بها تقول لي: "اني لا افهم ما يقلق زوجي بيل. فانا احبه حبا جما وارغب في مجامعته، ولا يهمني اطلاقا ان بلغت الذروة ام لا، فلماذا هو مهتم بالامر؟"

السبب، طبعا هو، شعور بيل بان المسألة تتعلق بهيبته كرجل. ومن هنا كان احساسه بالألم.

ان الاثارة الجنسية لدى الرجل اسرع كثيرا منها لدى المرأة. فالرجل، حسبما شاءت الطبيعة، هو الذي يثير المرأة. على ان النساء لا يستطعن الدخول في المزاج الجنسي الا بعد عملية بطيئة ومتدرجة تتأثر كثيرا بالجو الرومنطيقي والاتصال الجسدي. ويظل هذا الاختلاف مشكلة تتحكم بحياة اكثرية الرجال معظم الاوقات لانهم هم الطرف الذي ينبغي ان يبرد من تأجج الشهوة ريثما تبلغ الزوجات تدريجا مرحلة الاستعداد للاستجابة.

وغالبا ما يطرأ هذا الاختلاف في التوافق الزمني على المجامعة نفسها التي قد تسفر عن خيبة الطرفين معا، وجرح مشاعرهما. وهي مشكلة كثيرا ما تطرح امام المستشارين في الشؤون الزوجية. لكنها، لحسن الحظ، مشكلة يمكن حلها كل مرة تقريبا. الرجل هو المسؤول عن تكييف نفسه.

الانسجام الروحي والجسدي —

أنه الغاية الاساسية التي يحسن بالزوجين ان يسعيا اليها

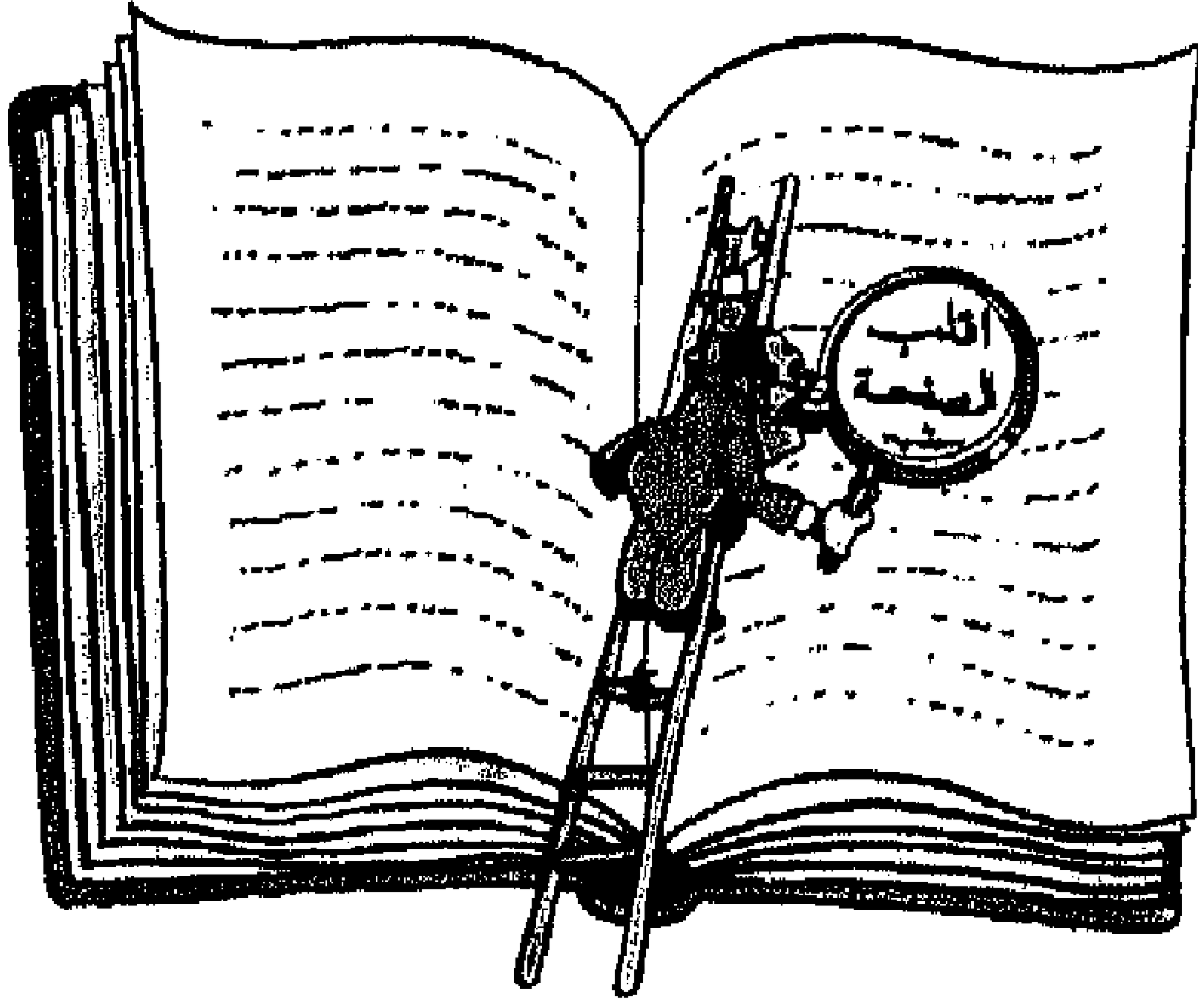
وتظهر المشكلة مرة اخرى في فترة خمود العواطف التي تلي المجامعة الجنسية حين تتلاشى مشاعر الرجل الجنسية بمثل السرعة التي تأججت فيها. على ان الزوجة تمر في مراحل عملية بطيئة وطويلة. تراودها خلالها مشاعر رومنطيقية من السعادة والاكتفاء. وتنزع المرأة الى اطالة هذا الاحساس بالانسجام الروحي والجسدي مع زوجها. وكثيرا ما سمعت الزوجات يشكين من هذا الامر. وقالت لي احداهن: "في اللحظة نفسها التي اتوق الى ان اسمع زوجي يحدثني عن مدى حبه لي، يدير جسمه الى الجانب الآخر ويغط في النوم".

لا شك في ان الرجال الذين يحبون زوجاتهم على استعداد لان يدخلوا بعض التعديلات على تصرفاتهم. لكنهم يشعرون بارتياح افضل اذا تفهمت زوجاتهم ان المسألة في حاجة الى جهد وضبط نفس، وانها لا تتأتى بصورة طبيعية. والزوجة المتفهمة تشعر، بل تصرح، بامتنانها للزوج الذي يظهر مثل هذا الاعتبار لشخصها.

ليس الجنس كل شيء في الزواج، وينبغي الا نبالغ في اهميته. ولكن يجب علينا، في الوقت نفسه، الا نقلل من خطورته وقوته الجبارة اذا ما أحسن استخدامه في التأثير على بقية اوجه الحياة الزوجية والحب الزوجي بحيث تسير الامور بيسر وحلاوة.

■ **الدكتور ديفيد ميس**

استاذ علم اجتماع الاسرة في كلية "بومان غراي الطبية" في وينستون - سالم، ولاية كارولينا الشمالية.

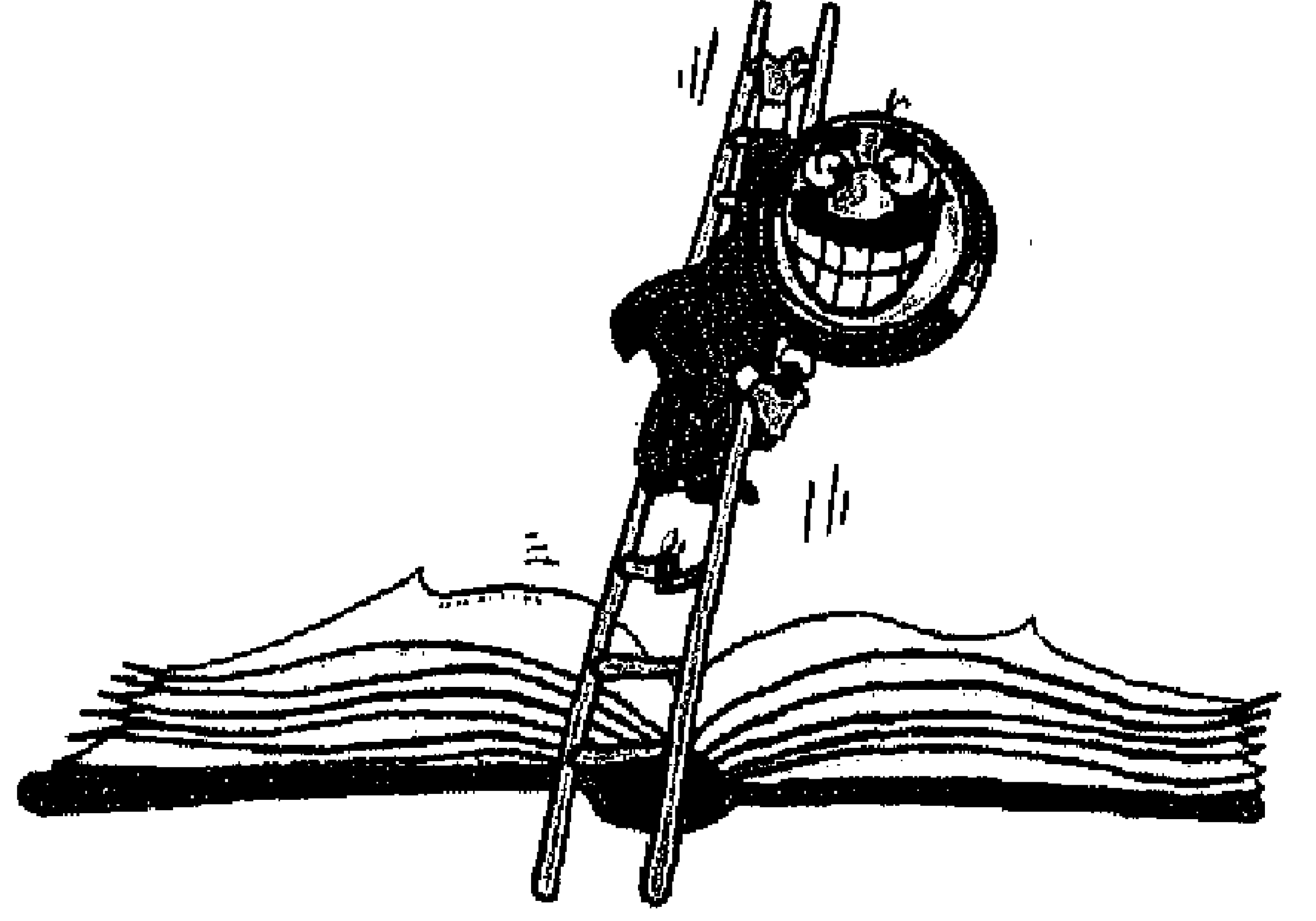


دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من العناوين والمقدمات التي ظهرت في الاعداد الستة السابقة من "المختار".

وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ ● مآثر: آثار - بطولات - معجزات - مكارم.
٢ ● يتَّسِم: يتزيّن - يتَّصف - يسمّي - يفوز.
٣ ● حاقَ: محا - أهلك - أحاط - امتلأ.
٤ ● مناهِض: جريء - مقاوم - متحمس - مخرِّب.
٥ ● قَلَنْسُوَة: تاج - عصا - قبّعة - لباس عسكري.
٦ ● كَرَّس: خصَّصَ - ثبَّتَ - نادى - ترك إرثاً.
٧ ● غَمَرات: شدائد - كوارث - أحمال - ماءٌ كثير.
٨ ● موئِل: أرض - غاية - ملجأ - منزل.
٩ ● لجوج: متردِّد - مخاصِم - مضطرب - ملحّ.
١٠ ● ينْتاب: يتوب - يصيب - يطيع - يؤدّي.
١١ ● أفلَحَ: أصلَحَ - فاز ونجح - اتّكل - حرث الأرض.
١٢ ● صَدَدٌ: طريق - امتناع - صدأ - قصْد.
١٣ ● وساوس: أحلام - مخاوف - وشايات - أفكار لا نفع فيها.
١٤ ● لبونَةٌ: انثى الأسد - حاجة - ذات لبَن - قالب لبن.
١٥ ● تشبَّبَ: تعلّق - عارض - ذكر أيام الشباب - بلغ سن الشباب.
١٦ ● شائقٌ: مشتاق - طويل - صعْب - ممتع.
١٧ ● كنَفٌ: سترة - جانب - عون - يد.
١٨ ● مغْبون: جاهل - مجهول - مظلوم - مسرور.
١٩ ● جثَمَ: تلبَّد - ركع - وقع - اصطدم.
٢٠ ● عتاة: أحرار - قساة - متغافلون - ظالمون.
٢١ ● خوارِق: معجزات - ترّهات - قِفار - ثياب بالية.
٢٢ ● عريق: عميق - طويل - ذو رائحة طيبة - ذو أصل.
٢٣ ● هوَّة: ما هبط من الارض - بئر - مخبأ - من أسماء جهنم.
٢٤ ● فذٌّ: قوي - ظافر - فرد - مجتهد.
٢٥ ● جسور: قائد - ظالم - شجاع - ضخم.
٢٦ ● رخاء: هناء - رقة - أمان - ريح ليّنة.
٢٧ ● العوادي: الأعداء - القِفار - الرياح الشديدة - العوائق.
٢٨ ● القِبْلة: القبول - الجهة - المقدرة - الصّلاة.
٢٩ ● فطن (بتثليث الطاء): أدركَ - فاقَ - قطَعَ - نهَضَ.
٣٠ ● عقّار: متاع البيت - خمر - دواء - عقيم.

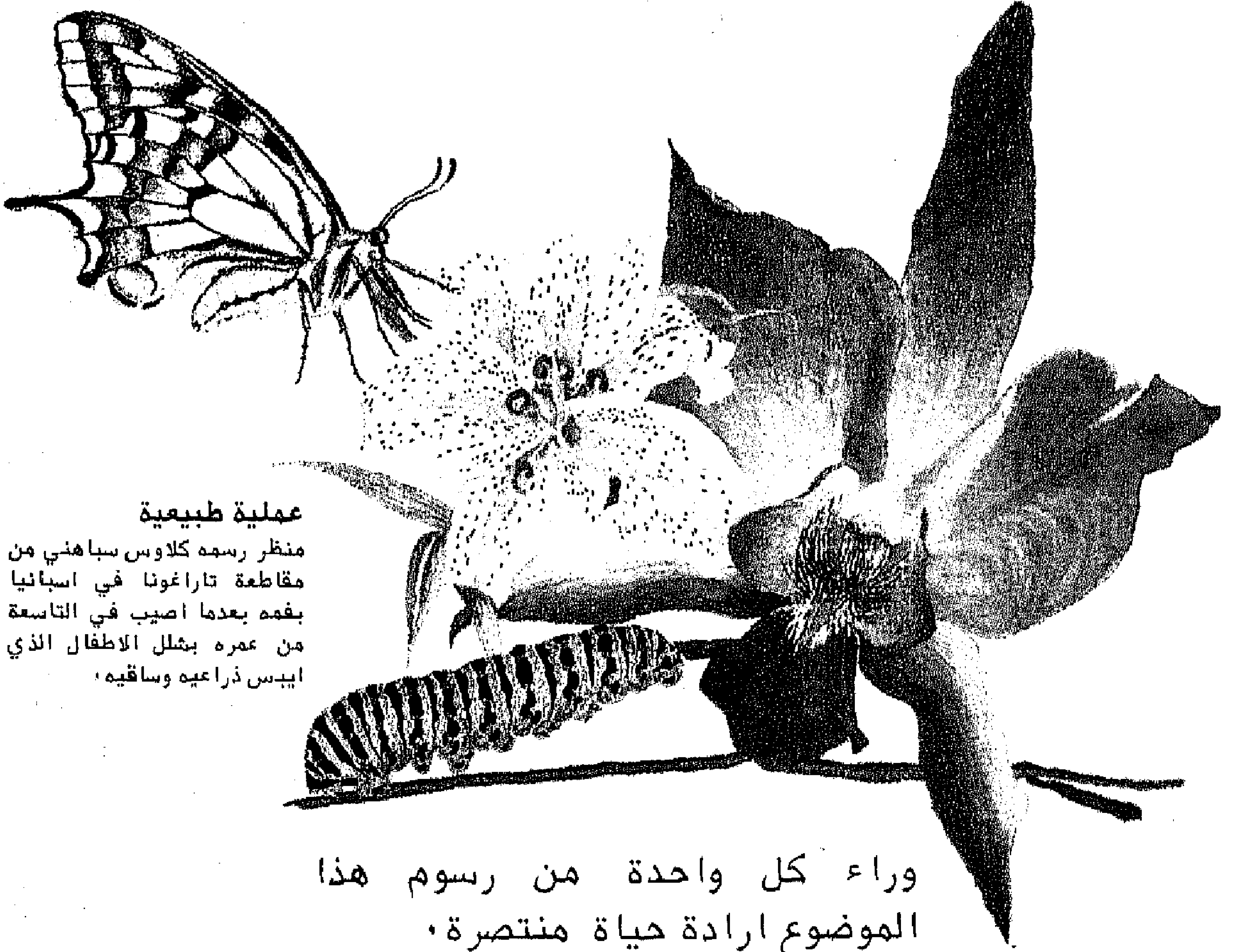


الأجوبة الصحيحة

١ • مآثر: مكارم متوارثة وأفعال حميدة، مفردها مأثـرَة ومأثُرَة.
٢ • يتَّسِم: يتصف بسمة، أي علامة، يعرف بها.
٣ • حاقَ (حوقاً بالشيء): أحاط به.
٤ • مناهض: مقاوم.
٥ • قَلَنْسُوَة: قبعة، نوع من ملابس الرأس، ويقال قَلَنسية، جمعها قلانس وقلانيس وقلاس وقلاسيّ.
٦ • كرَّسَ (نفسه على الشيء): وقفها عليه، خصَّص.
٧ • غمَرات: شدائد، مفردها غمْرة، ويقال كذلك غمار وغُمَر.
٨ • مَوئِل: ملجأ، وأل إليه: لجأ، وإلى الله: رجع.
٩ • لجوج: ملحّ، عنيد، لجّ: ألحّ.
١٠ • ينْتاب: يصيب.
١١ • أفلَحَ: فاز وظفر بمطلبه، نجح في سعيه وأصاب في عمله.
١٢ • صدَدَ: قصد، ناحية، تصدَّى له: تعرَّض.
١٣ • وساوِس: أفكار لا نفع أو خير فيها، وَسْوَسَ الرجُل: اصيب في عقله وتكلم بغير نظام، تكلم بكلام خفيّ، الوَسْواس: الشيطان.
١٤ • لبُونَة: صفة الحيوانات الثديية ذات اللبن، التي ترضع صغارها.
١٥ • تَشَبَّث: تعلَّق، رجُل شَبِثٌ: طبعه التشبُّث، أي التعلُّق.
١٦ • شائق: ممتع، حامل على الشوق، شيِّق: مشتاق.
١٧ • كَنَفٌ: جانب، ظلّ، جناح الطائر، كَنَف الانسان: حضنه أو العضدان والصدر، كنف الله: حرزه ورحمته.
١٨ • مغبون: مظلوم، مغلوب، مخدوع.
١٩ • جثَمَ (جثْماً وجثوماً) الرجُل أو الطائر أو الحيوان: تلبَّد بالأرض، فهو جاثم، جمعها جُثَّم.
٢٠ • عُتاة: قساة، جبابرة، مفردها عاتٍ، ليلٌ عاتٍ: شديد الظلمة، ملكٌ عاتٍ: قاسي القلب غير ليّن.
٢١ • خوارق: ما يخرق العادة، معجزات، مفردها خارق.
٢٢ • عريق: الذي له عرق، أي أصل، في الكرم واللؤم ونحوهما.
٢٣ • هُوَّة: ما هبط من الأرض، الوهدة الغامضة منها، الجوّ ما بين السماء والأرض، جمعها هُوىً وهُوّ وهَوِيّ.
٢٤ • فذّ: فرد، جمعها أفذاذٌ وفُذوذ، تفذّذ واستفذّ بالأمر: استبد به وانفرد.
٢٥ • جَسور: شجاع، مقدام، جمعها جُسُرٌ وجُسْرٌ، مؤنثها جاسرة، ويقال أيضا: جاسر، وجمعها جُسّار وجاسرون.
٢٦ • رَخاءٌ: هناء، سعة العيش، رَخا ورَخِيَ ورَخُوَ العيش (رخاء): اتسع وكان هنيئاً.
٢٧ • العَوادي: العوائق، مفردها عادية، وهي مؤنّث عاد: البعد، الشغل يصرفك عن الشيء، الحدّة والغضب، الظلمة والشرّ.
٢٨ • القِبْلَة: الجهة.
٢٩ • فَطِنَ (للأمر وبه وإليه): أدركه، فهمه وحذق فيه، **الفِطْنَة:** الحذق والفهم.
٣٠ • عقّار: ما يُتداوى به من النبات، الدواء مطلقاً، جمعها عقاقير.

المستوى

٢٥ – ٣٠ : ممتاز
١٩ – ٢٤ : جيد
١٣ – ١٨ : مقبول



عملية طبيعية
منظر رسمه كلاوس سباهني من مقاطعة تاراغونا في اسبانيا بفمه بعدما اصيب في التاسعة من عمره بشلل الاطفال الذي ايبس ذراعيه وساقيه.

وراء كل واحدة من رسوم هذا الموضوع ارادة حياة منتصرة.

الارادة المنتصرة

هل الشجاعة ترى بالعين؟

ان صاحب المعجم الامريكي الشهير نوح ويبستر لا يظن ذلك. وهو يحدد معنى الكلمة في قاموسه على انها "تلك السمة العقلية التي تمكن المرء من مواجهة المصاعب بجرأة". واتفق معه ايضا الروائي ارنست همنغواي الذي رأى ان الشجاعة ليست شيئا ملموسا، وسماها: "النعمة تحت الضغوط". لكن الاعمال الفنية المنشورة على هذه الصفحات توحي بان للشجاعة، في احيان نادرة، شكلا ولونا وملمسا، وانها، حين تغدو كذلك، تكون شيئا جميلا.

الرسامون الممثلون على هذه الصفحات يعانون جميعا عجزا رئيسيا. فهم حرموا، عن طريق المرض او حوادث الاصطدام او الحرب او العاهات الملازمة منذ الولادة، استخدام ايديهم. ومع ذلك، تراهم وقد اطبقوا على ممسك ريشة الرسم بأسنانهم او اصابع اقدامهم، وراحوا ينتجون اعمالا فنية جديرة بالعرض في معارض ومتاحف ذات سمعة

ALL PAINTING SELECTED FROM ART CALENDARS OF THE ASSOCIATION OF HANDICAPPED ARTISTS, INC
503 BRISBANE BLDG . BUFFALO, N Y 14203



ثمار وزهر

لوحة رسمها بفمه الفنان الايطالي غويرينو كولينا (١٩١٨ - ١٩٧٦)٠
ولد كولينا في اونتاريو (كندا) وافقده المرض القدرة على استخدام
ذراعيه ثم تعلم الرسم بالريشة والقلم حتى اصبح اخيرا استاذا للفن٠

رفيعة، مثل "فستيفال هول" في لندن وغاليري "سيركل سان لوي" في باريس واكاديمية "تابرينا" في روما و"غاليريا دارته دي كوريس" في ميلانو وغاليري "ارته كوسينشا" في قرطبة؛ وفي اماكن مختلفة في الولايات المتحدة الامريكية. كما اقدم على شرائها جامعو التحف ذوو الاذواق القادرة على الحكم والتمييز في ارجاء العالم.

ان عشرات الالوف من الهواة وشبه المحترفين ينتجون رسوما ولوحات بالالوان في مختلف مؤسسات التدريب ومراكز التأهيل، من امريكا الى اوستراليا والشرق الأوسط وافريقيا.

بركة البط

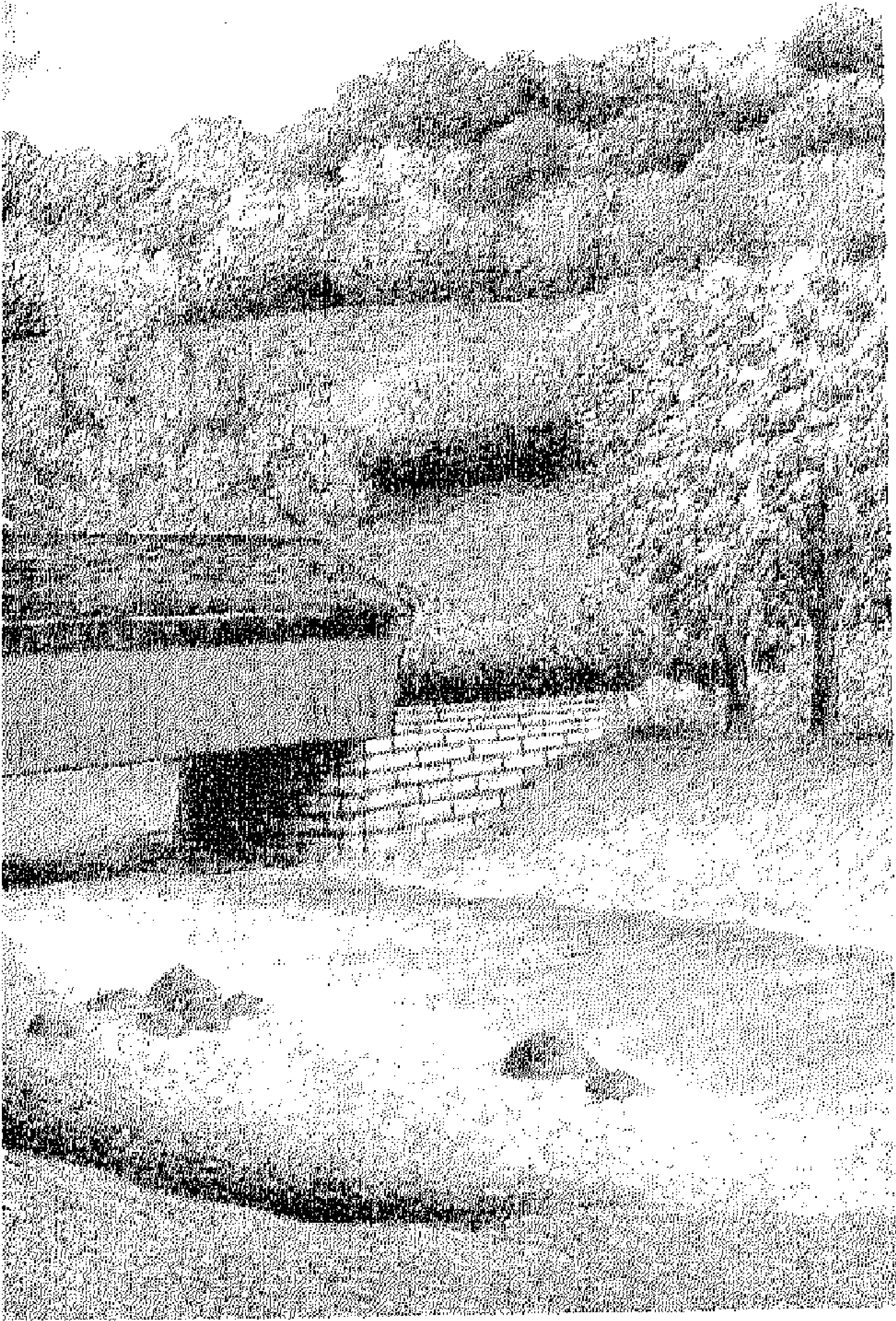
بريشة الفنان الهولندي الراحل بيتر موليفيلد الذي كان رساما موهوبا قبل ان يجبره الشلل على استخدام رئة اصطناعية من الحديد. لكن عزيمته لم تثبط، بل تعلم الرسم بالقدم حتى بلغ من المهارة ما جعل رسومه اللاحقة على مستوى لا يمكن التمييز فيه بينها وبين رسومه السابقة باليد.



جمال الصيف

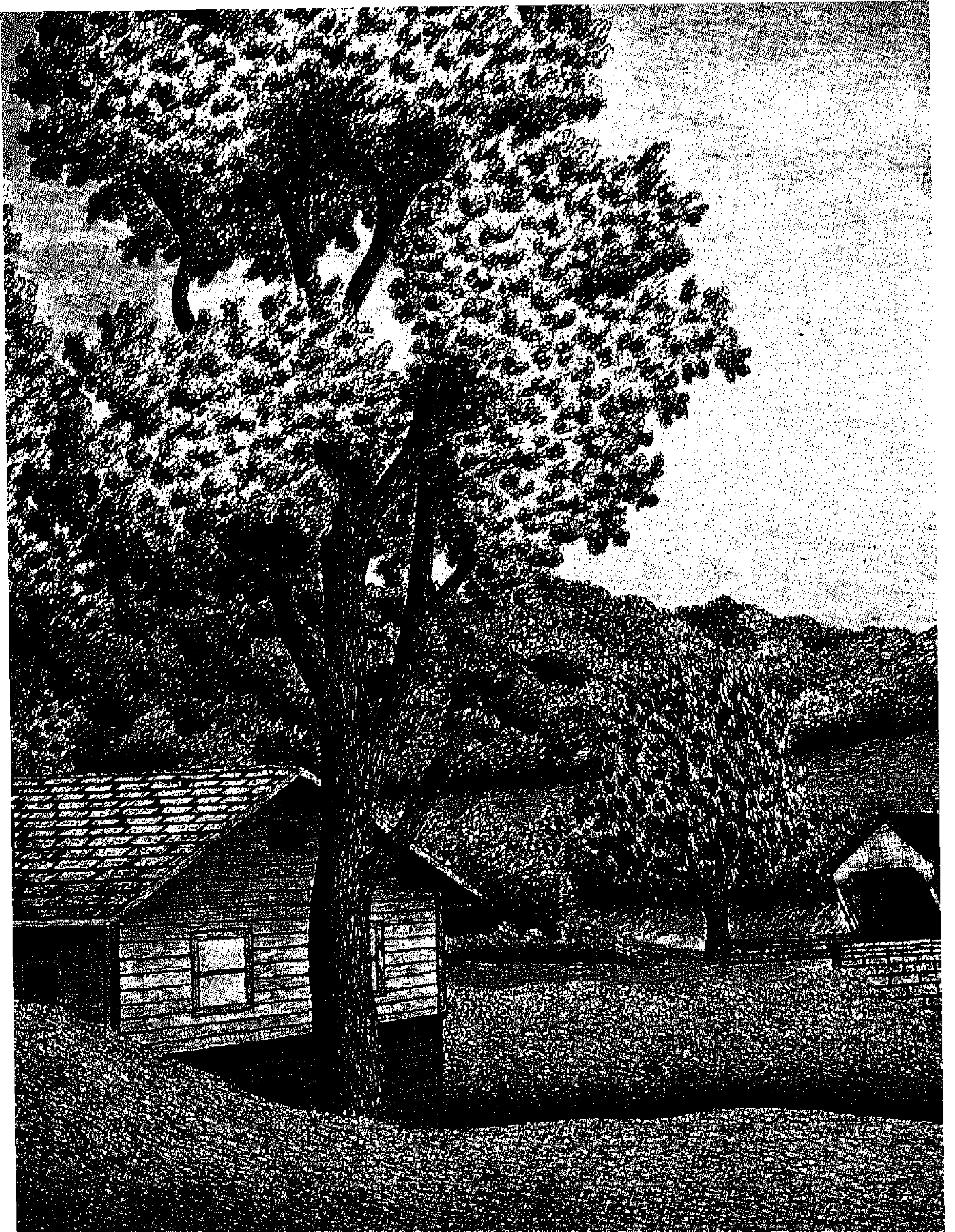
رسم بالفم من اعمال دينيس ليغريكس من باريس، وهي ولدت بلا ذراعين وبلا ساقين في منطقة كالفادوس الفرنسية عام ١٩١٠، ولم تكتف بتعليم نفسها الرسم بالالوان بل التطريز والطباعة على الآلة الكاتبة.





اما الصفوة من ابناء هذا العالم الفخور والمتخصص في الرسم فانهم ينتمون الى "رابطة الرسامين بالفم والقدم" التي اسسها في اوروبا ارنولف اريك ستيغمان، الرسام والمعلم الالماني المعاق، عام ١٩٥٩.

وقد يبست ذراعا ستيغمان وساقاه لدى اصابته بشلل الاطفال بعد ثلاث سنوات من ولادته عام ١٩١٢. وانتقل طفلا من مسقط رأسه في درامستات الى نورمبيرغ حيث تلقى دروسا في الفن والمداواة. ومع الايام التقى ستيغمان عشرات الفنانين الآخرين المعاقين، فخطرت له فكرة انشاء رابطة (هو الآن رئيسها مدى الحياة) تسعف الآخرين مثله على ان يصبحوا مستقلين ذوي اكتفاء ذاتي، وغير مضطرين للجوء الى المؤسسات الخيرية.



الجسر المغطى

من اعمال الفنان الامريكي تشارلز سميث، رسمها بفحمه وهو طريح الفراش. وهو يستخدم اقلام حبر جاف ملونة ذات رؤوس مكورة، وينهج في لوحاته نهجا مماثلا لمذهب "التنقيطية"، اي التصوير بالنقط، وهو الاسلوب الذي تطور على ايدي الرسامين الانطباعيين الفرنسيين.

قرية اسبانية

لوحة رسمت بالقدم. وهي من اعمال مانويل بارينيو ريفيرا الذي يبلغ الآن الاربعين من عمره. ويتميز بارينيو باظهار مناظر الاندلس في غمرة من الشمس، بمهارة حسية فائقة.



شارع في طوكيو

رسمها بالفم ارنولف اريك ستيغمان مؤسس "رابطة الرسامين بالفم والقدم".

واهم مصدر دخل للرابطة هو بيع بطاقات التهاني او التحية والتقاويم (الروزنامات) التي طبعت عليها صور من اعمال فنية لاعضاء الرابطة. وتتم عملية البيع بواسطة الطلبات بالبريد. اما اللوحة الاصلية فهي ملك الفنان، يتصرف بها حسبما يشاء او يبيعها بالسعر الذي يحدده هو.

والجدير بالذكر ان ستيغمان الذي يعيش الآن مع اسرته في ميونيخ - المانيا، يبيع اللوحات التي رسمها بفمه بسعر يبلغ بضعة آلاف من الدولارات للوحة الواحدة.

والفنان من اعضاء الرابطة (٥٤ عضوا انتخبوا جميعا من لجنة تضم غير معاقين على اساس جدارة الفنان وقدرته على انتاج فن رفيع) يتقاضى راتبا شهريا مقداره ١٣٠٠ دولار تقريبا على مدى الحياة، بصرف النظر عما اذا كان الفنان سيصاب بعجز لاحق يقعده عن الانتاج. كذلك تهيىء الرابطة منحا دراسية تبلغ بضع مئات من الدولارات سنويا للفنانين المعاقين الذين يبشرون بمستقبل طيب.

لقد برهن هؤلاء الفنانون في اعمالهم المنشورة على هذه الصفحات عن مدى الكمال الذي يمكن ان يحققه الانسان المعاق جسديا.

كان ايلون لامفيير عاملا ميكانيكيا عندما اصيب بالشلل عام ١٩٤٩. وبعد خمس سنوات بدأ يمارس الرسم بالفم. ويقول لامفيير، وهو ايضا من هواة اللاسلكي: "الحياة هي ما تجعلها انت. وعلى كل منا ان يتغلب على عجزه، سواء اكان عجزا جسديا او نقصا في الثقافة او المال او الثقة بالنفس. اما انا شخصيا فلم اكسب دخلا ماليا فحسب، وانما كسبت كذلك حافزا لان احيا على نحو خلاق".

وتقول الفنانة فيولا هن هامبي: "الرسم بالنسبة الي هو اسلوب بديل في اختبار الاشياء". وقد اصيبت فيولا منذ ولادتها بتلف في اعصاب ذراعيها وعضلاتهما. وهي تستخدم فمها لتحريك الريشة.

ان الجهود الخلاقة التي يبذلها هؤلاء الفنانون لا تقتصر على الرسم. فبعضهم، مثل ستيغمان، يعملون ايضا في مجال الفسيفساء او النحت باستخدام الطين والمبضع. ويتولى بعضهم الاخر تشغيل محطات اذاعة للهواة. وبينهم ايضا عدد كبير ممن ينظمون الشعر ويؤلفون الكتب. وقد وضعت دينيس ليغريكس رواية نالت اعجاب النقاد في فلورنسا بعنوان "ولكن ولدوا بشرا". وحازت عام ١٩٦٥، وسام فارس في جوقة الشرف الفرنسية.

ولئن كان القدر انزل بهؤلاء الاشخاص الموهوبين عجزا رهيبا، الا انهم بفضل حماستهم وحبهم للحياة وعزمهم الذي لا ينثني، حولوا الكوارث التي حلت بهم الى انتصارات تدخل المتعة الى نفوسنا جميعا.



"تعلّم ان تتقبّل الشيء المحتوم لكي تجعل منه شيئا مفيدا.

تاليران



تأملات معاصرة

قوة الاغراء

في كتابه عن الحرب الاهلية الاسبانية بعنوان "اجلالا لكتالونيا"، يصف جورج اورويل كيف كان كل من الطرفين المتحاربين يوجه خطبه السياسية الرنانة نحو الطرف الآخر عبر الاودية الجرداء ومن خندق الى خندق، لكن اكثر الخطباء اضعافا للمعنويات لم يكن يلجأ الى اطلاق الشعارات الثورية، وانما يكتفي عوض ذلك، بان ينبيء الخصم بان فريقه يتمتع بغذاء اجود، فكنت تسمع الصدى المتردد عبر الاودية المقفرة: "خبز محمص مع الزبدة! لقد شرعنا بالتهام الخبز المحمص مع الزبدة! ما اروع شرائح الخبز المحمص مع الزبدة!".

ولم تكن تلك، بالطبع، سوى كذبة تستفيد من حقيقة ازلية مفادها سرعة تأثر كل اصحاب المواقف السياسية والفلسفية، مهما سما تفكيرهم، بجاذبية الحواس واغرائها.

الصحافي الامريكي ميغ غرينفيل (نيوزويك)

الصداقة

تلك الراحة التي لا توصف عند الشعور بالامان مع شخص آخر، حيث لا يتوجب عليك ان تزن افكارك او تفصل كلماتك، بل ان تسكبها كما هي، بقشها وبذورها معا، عارفا ان هناك يدا امينة تتولى نخلها، فتبقي ما يستحق البقاء وتذري الساقط في الهواء بنفخة حانية.

الروائية "جورج اليوت"

دلالة اليد

يولد كل منا وقبضتاه مغلقتان ومعدتان للعدوان والاستيلاء، ولكن اذ نغادر الحياة، تكون اكفنا منبسطة، لانه لم يعد على الارض ما نحتاج اليه او نستطيع اخذه معنا.

الاسقف فلتون شين

وجهات النظر

للشاعر تبدو اللؤلؤة دمعة ذرفها البحر، وللشرقي قطرة ندى تصلبت، وللنساء جوهرة تزين اصابعهن او اعناقهن او آذانهن، لكنها ليست الا خليطا من الفوسفات وكربونات الكلس مع قليل من الهلام بالنسبة الى الكيميائي، ولا تعدو كونها افرازا مرضيا للعضو المنتج لعرق اللؤلؤ في الحيوانات ذات الصدفتين بالنسبة الى الطبيعيين.

جول فيرن

المثابرة

راقبت قاطع حجار ينهال على صخرة ضربا بمطرقته مئة مرة من دون ان تبدو عليها آثار تشقق كثيرة، ثم انشطرت قسمين عند الضربة الاولى بعد المئة. لكني اعرف ان ما ادى الى ذلك لم يكن الضربة الاخيرة، بل كل ما سبقها.

جاكوب ريس

وفاء أم بطولة؟



لولا وفاء ثلاثة كلاب لكان صاحبها قضى نحبه مشلولا في ليل مظلم وبارد.

يقيم الفونس ماري في قرية بروكفيل سورمير، شمال غرب فرنسا، منذ ثلاثين عاما، حظي خلالها بمحبة جميع ابناء القرية واحترامهم حتى انهم سموه "الأب ماري". فمنذ ان استقر في القرية وانشأ فيها منشرة للخشب ندر ان مضى يوم من دون ان يمد فيه يد العون الى أحد السكان او يبعث الطمأنينة في النفوس. وكثيرا ما كان الأب ماري يهب الفلاحين الفقراء الذين يقصدون الى المنشرة بقايا الالواح الخشبية التي لديه.

ولم يقتصر الاب ماري بعطفه على القرويين، بل احاط به الحيوانات ايضا. ولكم كان يثير دهشة المزارعين وهو يحادث الكلاب كما لو انه يخاطب الاطفال. وذات يوم، اهدى اليه احد زبائنه ارنبا لكي يطهاه مع البطاطا بالغلي البطيء. فبدلا من نحره وطهوه عني الاب ماري بترويضه حتى بات الارنب يهرول وراءه حيثما ذهب. وكان يردد احيانا: "لقد تأتي الحيوانات بالعجائب اذا ما استودعناها ثقتنا وائتماننا".

ترمّل الاب ماري عام ١٩٦٤، فأقام منذ ذلك الحين مع ابنه لويس في بيت ريفي بسيط من اربع غرف بعيدا من الطريق الرئيسي. وقد اضطر خلال عام ١٩٧٢ الى اغلاق

منشرته الصغيرة على اثر افتتاح منشرة عصرية كبيرة في قرية مجاورة. وانقطع الاب ماري عن العمل، بينما راح لويس يشتغل حارسا ليليا في مدرسة قرية غرانفيل القريبة. ولقد حذر الاطباء الاب ماري من ارتفاع ضغطه الدموي، الا انه ظل يشعر بالعافية والحيوية على رغم بلوغه السن التاسعة والستين، من دون ان يعوقه وزنه البالغ ٨٠ كيلوغراما من الاحتفاظ برشاقة حركاته.

"الاولاد الثلاثة" — وتقاسم الاب وابنه البيت مع ثلاثة "اطفال" يدبون على الاربع: ولد الاولان "راجور" و"رويال" من بطن واحد منذ تسع سنوات، ويتسمان بلونهما النحاسي وينتميان الى فصيلة هجينة من "الهاوند" الصيادة و"الكوكير" المتدلية الاذنين. اما الثالث "ريكس" فكان اصغرها سنا وينتمي الى فصيلة "اللبرادور" السوداء الشعر والضخمة البنية. وكانت الكلاب الثلاثة تتولى الاشراف على المنزل بذكاء حاد الى درجة انك تكاد تبادلها الحديث، خصوصا "ريكس" الكلب المهجّن المتصف بنباهته الخارقة وقدرته على الفهم والاتصال الا انه بالنظر الى حداثة سنه كان يكتفي باحتلال المنزلة الدنيا بين الكلاب الثلاثة، ويترك لندّيه الاخرين حظوة الاسبقية في اللعب او الانبطاح على قدمي صاحب الدار.

وفي ليلة الجمعة ١٨ مارس (اذار) ١٩٧٧، ذهب لويس الى عمله الليلي فيما جلس الاب ماري يتابع برامج التلفزيون. وقرابة العاشرة والنصف التقط مصباحه اليدوي وتلفع بوشاحه الصوفي وقبعته ونادى كلابه الثلاثة الى الخارج في جولتها الليلية العادية القصيرة.

كانت درجة الحرارة دون مستوى التجمد. واخذت الكلاب تقفز جذلا بين الاعشاب الطويلة فيما شق الاب ماري طريقه نحو دورة المياه الواقعة خلف الدار. وما ان حطّ قدمه في الداخل حتى شعر فجأة بغشاوة سوداء تغيم بصره، واعتراه ضعف شديد، فأخذ يتلمس طريقه لكنه انهار من شدة العياء. وبعد ان حاول الوقوف سار بضع خطوات ثم وقع ارضاً مرة ثانية والألم يعتصر كل خلية في جسده حتى انه كاد ان يتمنى الموت تخلصاً من هذا العذاب، ولكنه كان يؤثر الموت على فراشه الدافىء لا في العراء الحالك البارد.

وكان لا بد للأب ماري من محاولة العودة الى البيت. فالبرد كاد ان يقتله، وغمره الظلام فلم يعد يبصر ما حوله بعدما فقد مصباحه اليدوي. وحاول الوقوف من جديد، فوجد ان جانبه الايسر مصاب بشلل كامل، واخذ يزحف مستعينا بمرفقه وركبته اليمنى، وتمكن من جرّ جسمه الثقيل حوالى ٣٠ مترا، وانما في اتجاه معاكس. ثم شعر بانهاك شامل، فارتمى على العشب عاجزا عن الحركة.

شهامة الكلاب — ومضى الوقت من دون ان يشعر الاب ماري بمضيه، الا انه سمع انفاس الكلاب التي تحلقت من حوله واجمعت على النباح ثم اخذت تلعق جسمه، ثم تتريث، ثم تلامسه بانوفها. فقال لنفسه: "طالما الكلاب وصلت فانها لن تتخلى عني".

في السادسة صباحا انهى لويس

ماري عمله في المدرسة الثانوية، ومشى الى سيارته فأزال الصقيع المتجمد على حاجبها الزجاجي، ثم انطلق في وجهة المنزل. وما ان اعتلى قمة التلة الاخيرة المقابلة للبيت حتى تملكه فجأة شعور غريب لدى مشاهدته المصابيح غير مطفأة في الدار، بينما كان "راجور" و"رويال" ينبحان في الرواق الخارجي على غير عادتهما. فساوره الاعتقاد بان هناك حادثا مؤسفا ولا شك.

وحالما توقفت سيارة لويس خارج الدار، هرع الكلبان نحوها وحاولا ان يقتلعاه من مقعده ويجذباه الى الداخل، فترجل منها لويس وقفز سلم الرواق مسرعا واتجه فورا الى غرفة نوم ابيه حيث وجد الاب ماري متمددا على السرير كالجثة الهامدة وليس على جسده الملطخ بالوحل والدم سوى قميصه الداخلي وسترته الصوفية، والى جانبه "ريكس" الذي الصق جسمه الضخم بجسم صاحبه وراح يلعق وجهه بلهفة وحنان. وانحنى لويس نحو ابيه وسمعه يهمس في وهن: "هل انت هنا؟ انني في حاجة الى المستشفى". وكان وجه الاب شاحبا وجسمه نصف مشلول. ولا بد انه تعرض لنوبة قلبية شديدة، فسارع لويس الى طلب الاسعاف.

وفي المستشفى لم يكن للاطباء امل كبير في حظ الاب ماري في البقاء على قيد الحياة. وعاد لويس الى المنزل ينهشه القلق ويحاول حل بعض الالغاز المحيرة: ما مصدر الوحل والدماء على جسد ابيه؟ وما سبب تورم ركبته اليسرى؟ ولم كانت سترته مخضلة باللعاب وشبه ممزقة عند احدى الكتفين؟ ولم كانت اغطية السرير والبطانيات ملقاة على الارض في غرفة نوم الاب؟ لم يكن ذلك صنيع ابيه من دون شك. ومن المحتم ان احدا قد سحبه وهو مريض الى خارج الغرفة. واذا فكيف تسنى له ان يعود الى سريره؟ ولم انطبعت آثار اقدام الكلاب على كل الاغطية؟ فلم يكن من عادة الكلاب ان تبيح لنفسها مثل هذا التصرف؟

وبعد مضي بضعة ايام اصطحب لويس الكلاب الى النزهة. وكان "راجور" و"رويال" يقفزان كعادتهما على العشب المجاور لدرجات السلم، فيما اختفى "ريكس". والح لويس في مناداته، فظهر فجأة وهو يعدو باهتياج ويدور حول زاوية المنزل، ويجر معه شيئا لم يلبث ان القاه عند قدمي لويس، وكان ذاك سروال الاب الملطخ بالوحل. وسأله لويس "اين وجدت ذلك"؟ فاختفى الكلب ثانية، ثم عاد بقبعة الاب. وتبعه لويس في المرة الثالثة محاولا اللحاق به في اتجاه الحقل الذي يبعد حوالي ٣٠ مترا. وهنا اخذ الكلبان الاخران بالنباح والقفز، الى ان عثر لويس على القطع المفقودة من ملابس والده. كما عثر على مصباحه اليدوي. واثنى لويس على الكلاب بملامسات لطيفة خفيفة، باعتبار انه يعود اليها الفضل في كشف النقاب عن جزء على الاقل، من السر.

بين الموت والحياة ـ وبقي الاب ماري يتأرجح بضعة ايام بين الحياة والموت، ثم اخذت حاله تتحسن ببطء، واستعاد قدرته على الكلام تدريجا، فاخذ يروي للويس ما يتذكر من تلك الليلة العصيبة: "لا بد انه ظل ملقى على العشب فترة طويلة قبل ان

يشعر بان كلبه الصغير "ريكس" يحاول جذبه من كتفه ويشده بقوة من دون ان يدري الاب سبب ذلك للوهلة الاولى، ثم ادرك في ما بعد ان الكلاب تسعى الى اعادته الى البيت ان تيسر له استجماع قواه تمكينا له من الزحف.

وبما ان الجانب الايسر من جسمه كان مصابا بالشلل التام فقد اضطر الاب ماري الى اجتذابه ببطء شديد مستعينا بجانبه الايمن. وفي مجرى هذه العملية الشاقة واحتكاكه بالارض، كانت ملابسه تتقلص عنه. ففقد حذاءه وجوربيه ووشاحه ثم سرواله الذي لم يكن مزررا. وسال الدم من مرفقه وركبته اليسرى وتعرض للاغماء مرات عديدة بسبب الالم، لكنه كان كلما صحا وجد "ريكس" متشبثا بكتفه محاولا ايصاله الى البيت، فيما الكلبان الاخران يحيطان بهكما لو كانا خفيرين يتوليان الحراسة.

وسار الموكب الغريب ببطء شديد نحو المنزل. وكان الاب ماري قد فقد حسه بالزمان والمكان. لكنه ادرك انه وصل الى البيت حين مست يده في الظلام عمودا خشبيا. وقدر انه زحف فترة استغرقت ما يزيد على الساعة. وشعر بالامتنان لتلك الكلاب الطيبة التي لم تخذله وتنفس الصعداء. لكن موجة من القلق عاودت الاب ماري اذ بدا له الرواق مرتفعا كقمة ايفرست. فكيف له ان يتسلق تسع درجات خشبية شديدة الانحدار؟

لم يع الاب ماري كيف جرت عملية ارتقاء درجات السلم، لولا الشقوق العميقة التي تركتها المخالب في الخشب العتيق على اثر صراع الكلاب لتثبيت اقدامها وهي تجر جسما وزنه ٨٠ كيلوغراما. وتذكر الاب ماري لحظة مروره عبر عتبة غرفته التي ترك بابها مفتوحا عند خروجه، وتذكر ايضا كيف كان "ريكس" ممسكابكتفه ليقوده الى الداخل ويجره الى فراشه. وما ان بلغه حتى اغمي عليه. وحين عاد الى وعيه وجد نفسه في سريره وكان الكلب الى جانبه.

وقضى الاب ماري الليل يتناوبه الاغماء واليقظة.وكان، لحسن حظه، قد اشعل المدفأة الكهربائية قبل ان يخرج، بالاضافة الى المزيد من الدفء الذي زوّده به "ريكس" ذو الفروة الكثيفة وهو ملتصق به. وكان كلما عاوده صفاء الذهن تناهى اليه النباح الاليم الصادر عن "راجور" و"رويال" خارج المنزل. وقد بلغ النباح سمع احد الجيران المقيمين على بعد بضع مئات من الامتار، لكن الاخير كان شيخاهرما اعاقه الوهن عن الخروج لاستطلاع سبب النباح.

وكان الالم قد خف بعض الشيء حين دقت ساعة المطبخ الرابعة صباحا اي ان لويس سيعود الى المنزل بعد ساعتين. فادرك الاب ماري للمرة الاولى انه اصبح له امل في الحياة فازداد شعوره بالامتنان للكلاب. واكد الطبيب بعد الحادث ان الاب ماري كان محظيا بتمكنه من العودة الى المنزل، لانه لو بقي في العراء لقضت عليه النوبة القلبية والبرد القارس من دون محالة.

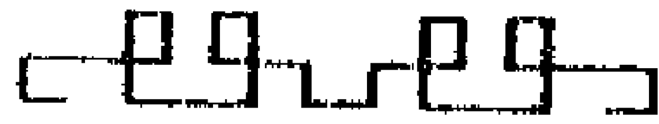
وبعد اسبوع من زوال حال الخطر عن الاب ماري رخصت ادارة المستشفى للكلاب الثلاثة بزيارته في غرفته، وما ان اقتربت منه حتى

اخذت تقفز رقصا نحو الاب ماري فيما كان المرضى والممرضات يبتهجون لهذا المشهد المثير.

اما اليوم فقد عادت حياة الاب ماري الى مجراها الطبيعي، لكن شيئا ما تغير في حياة الكلاب. فقد اصبح "ريكس" زعيم الحركة بلا منازع، وصار يستلقي عند قدمي الاب ماري في المساء من دون ان يجد الكلبان الاخران غضاضة لهما في ذلك. اما كيف اكتسب "ريكس" هذه المكانة، فتلك قصة تبدو بعض معالمها في الاثار التي وجدها لويس على آذان "راجور" و"رويال" اذ يبدو ان "ريكس" الذي لم تكن على اذنيه اي آثار، كان يعض آذان رفيقيه كلما هما بدخول الدار، لكي يبقيا يقظين نابحين في المدخل. وبقي "ريكس" وحده الى جانب سيده، وهو حتى اليوم لا يزال يحول دون دخول "راجور" و"رويال" غرفة نوم الاب ماري، كما لو ان ذكريات تلك الليلة المخيفة لا تزال عالقة في ذهنه.

وحين زرت اخيرا الاب ماري كان "ريكس" يلقي رأسه على ركبة سيده الذي علق قائلا: "لولاه لما كنت هنا". ثم اضاف مداعبا اذني "ريكس": "لقد تأتي الحيوانات بالعجائب اذا ما استودعناها ثقتنا وائتماننا". ونظر "ريكس" الى سيده بعينيه المحببتين الكبيرتين، ثم هز ذيله بتحفظ حيي.

■ **جورج فيفر**



خير هذا بشر ذا...

دخل رجل مخزنا للسجائر وطلب عشر سجائر بالمفرد. ولم يكن ذلك ممكنا لكن عاملة المخزن التي لاحظت الاطراف المهترئة لبذلة الرجل الذي كان يحمل معه كمانا، ادركت ان المشتري كان صادقا حين قال انه لا يستطيع شراء علبة كاملة. لذا اعطته علبة صغيرة من صنف آخر.

وقبل ان يغادر سألها اذا كان في استطاعته ايداع صندوق الكمان لديها حتى ينجز بعض اشغاله. ولم تمض ساعة حتى دخل رجل حسن الهندام الى المخزن واشترى بعض السيجار الفاخر. ثم التفت نحو الكمان وسأل مازحا: "هل تبيعون آلات الكمان ايضا؟"

– كلا. لقد تركه احد الزبائن. هنا وسيعود لاخذه في أي لحظة.

وطلب الرجل رؤية الكمان، فتناوله واخذ يعزف، ثم رمقه بنظرة العارف وقال:

– انه كمان جيد حقا، يساوي قرابة ألف دولار.

وانقضت ساعة وعاد صاحب الكمان طلبا لآلته. فسألته عاملة المحل:

– ما رأيك في ان تبيعني الكمان؟

– انه لا يساوي الكثير، لكني اكسب معيشتي منه.

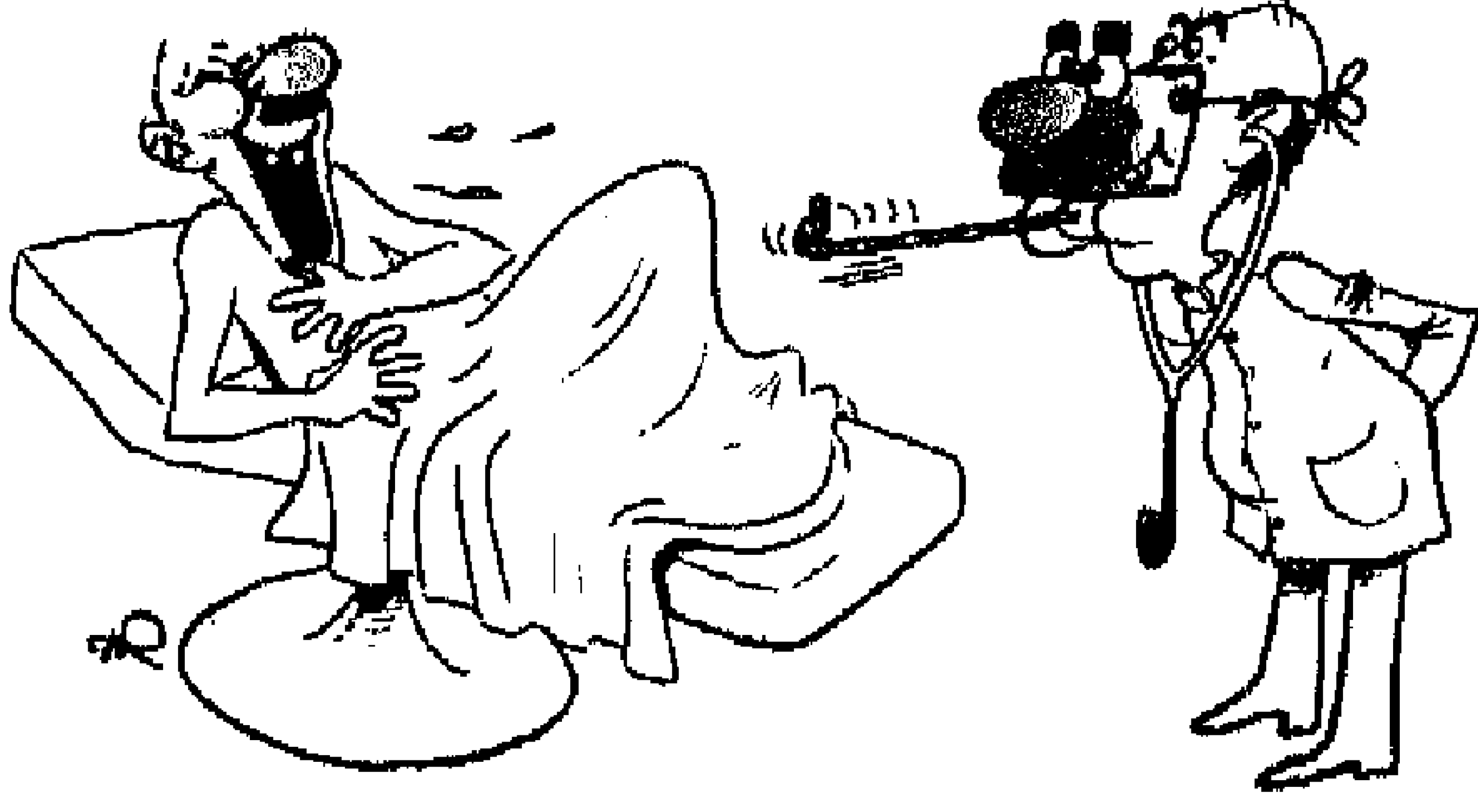
الا ان العاملة مضت تلح: "حسنا، هل تكفي ٣٠٠ دولار؟"

فوافق العازف، واخذ نقوده وانصرف.

وفي اليوم التالي ذهبت صاحبة الكمان الجديدة الى مخزن موثوق به للادوات الموسيقية لتقدير ثمنه. فقال لها الخبير: "انه لا يستحق اكثر من عشرة دولارات".

(صحيفة داغنس نيميتير، ستوكهولم)

الضحك خير دواء



"ابو اللحية الزرقاء"

في لقائي الاول لافراد عائلة خطيبتي ذهلت لسماعي ان احد اقربائها يسمونه العم "ابو اللحية الزرقاء"، ثم شرحوا لي الامر، فقالوا ان العائلة اجمعت على اطلاق هذه الكنية على العم اللطيف المولع بالتصوير الفوتوغرافي، لانه لا يتوانى في بعض الاحيان عن قطع رؤوس افراد العائلة خلال التصوير.

ا·س·

للذكرى

كان بعض العمال يهدمون مسرحا قديما فاكتشفوا في الجزء الخلفي من المسرح (الكوليس) لافتة صغيرة تحمل العبارة الآتية: "نرجو الا تكتبوا اسماءكم على الحائط، واذا كان اداؤكم جيدا بدرجة كافية، فسنتذكركم من تلقاء انفسنا".

و·غ·

دواء ضد الصمم

درجت انا وزوجتي على سماع الموسيقى الكلاسيكية حتى ساعة متقدمة من الليل، الى ان وجدنا ذات صباح امام باب مسكننا الكلمة الآتية: "عزيزي هاوي الموسيقى: يمكنكما ان تتصورا مدى ابتهاجي ودهشتي عندما استيقظت في منتصف الليل فسمعت احدى مقطوعاتي تعزفها اوركسترا سيمفونية كاملة، ووجدتني بعد هذا النوم الطويل قادرا على السماع! لقد كنت اعرف ان صممي لن يكون ابديا، ولكن ارجو ان تسمحا لي بكلمة نقد واحدة: لقد بدا لي ان الاداء قوي بعض الشيء، ولعل حفلتكما الموسيقية المقبلة تتضمن عزفا لسمفونيتي التاسعة، فاستطيع آنئذ ان ادعو جوقة البوليس الى المشاركة في الاداء.
المخلص لودفيغ فان بيتهوفن".

ر·ر·

مرشح ممتاز

كان خريجو احدى الكليات يستعدون لمقابلات التعيين في بعض الوظائف، فذهب شاب منهم ليشتري ربطة عنق من احد المحلات، وسأل ما اذا كانت الربطة تباع مصحوبة بشرح لطريقة استعمالها.

و·س·س·

مطلوب محل ترانزيستور

اسمعت عن الرجل الذي يصنع اجهزة راديو الترانزيستور؟ لقد حالفه النجاح في عمله حتى انه اصبح يبحث عن محل اصغر من محله الحالي.

م·هـ·

فيولا غير فيولا

يقول فيكتور بورج: "كان ابي يعزف على آلة الكمان وآلة "الفيولا"، (كمان كبير)، ولكن ذلك لم يرق امي، لان احدى جاراتنا كان اسمها فيولا".

ا·د·

جراحة الدماغ
تباشير أمل جديد

لقد تسببت الحياة الحديثة الصاخبة في تفاقم التوتر العصبي عموماً واستفحال الامراض العقلية والنفسية خصوصاً، فكان لا بد للاختصاصيين من اجراء البحوث الدقيقة والاهتداء الى بعض الطرق العلاجية، وقد رأينا أن ننقل عنه بعض التفاصيل الى القارىء العربي.

جورج ب. شاب جامعي في التاسعة والعشرين من عمره، قضى خمس سنوات في حالة مزمنة من الاكتئاب والقلق. فكان ينفجر من دون اي سبب ظاهر في نشيج عصبي متقطع، او تمتلكه فجأة نوبات الذعر والخوف من الاختناق. وقد دخل المستشفى مرارا وجرب ستة انواع مختلفة من العلاج النفسي وشتى العقاقير من دون ان تتحسن حاله على الاطلاق. وعام ١٩٧٧، اجريت له جراحة يسمونها "الجراحة النفسية"، وكان ذلك عن طريق ادخال قطبين كهربائيين من خلال ثقبين في جمجمته وايصال نبض كهربائي الى اربعة اهداف منفصلة في دماغه للقضاء على بعض النقاط الرقيقة من نسيج الدماغ. وبعد اجراء هذه العملية، قال جورج: "غدوت الان قادرا من جديد على الضحك عاليا". ثم تزوج واصبح يعمل ممرضا في احد مستشفيات الامراض النفسية، وهو يقول: "لقد عادت الحياة حلوة بالفعل".

الاكتشاف المثير – وهناك مئات من مرضى العقول المعذبين مثل جورج في انحاء العالم، وقد فشلت معهم كل انواع العلاج الاخرى، فأخذ اختصاصيو الجراحة النفسية يداوونهم

بشتى الاساليب الكفيلة بشفائهم او التخفيف من عنائهم. وكان مفتاح هذا التقدم ذاك الاكتشاف المثير الذي امكن معه تحديد بعض المواضع المعينة من الدماغ التي تؤثر على الاضطرابات العاطفية. وقد اتاح هذا الاكتشاف لاختصاصيي الجراحة النفسية ابتكار عدد من التقنيات الجديدة للقضاء على مقادير طفيفة من انسجة الدماغ وهي طريقة تؤدي على نحو ما الى كبت الاكتئاب والتخوف والهياج الباثولوجي العرضي التي تتميز بها كثرة من العلل العقلية الحادة.

ان الدماغ هو أكثر الكتل المركزة للمادة الحية تعقيدا في الكون بأكمله. ويمكننا ان نتصور انه يتألف من دماغين اثنين متمايزين ولكنهما مرتبطان في علاقة متكاملة: احدهما عقلاني والثاني عاطفي. فالدماغ العاطفي، الذي يسمونه "النظام الهامشي" («Limbic system») يتحكم في مجموعة واسعة من العواطف، تراوح بين السرور والرضا والقلق والاكتئاب. ويقوم بين هذه العواطف والمشاعر توازن دقيق قد يختل بسبب عوامل كثيرة، من بينها الاجهاد، وسوء استعمال العقاقير واصابات العدوى او الجروح الشديدة والضعف الوراثي. وقد كانت الجراحة الفصية (جراحة يستأصل فيها جانب من الفصين الاماميين للدماغ)، العلاج الوحيد الفعال لكثير من الامراض العقلية التي لا يمكن السيطرة عليها، فكان يتسنى معها لكثير من المرضى ان يغادروا المؤسسات التي احتجزوا فيها والعودة الى عائلاتهم، ولكن المريض كان يدفع في اغلب الاحيان ثمن ذلك بالتبلد العاطفي غير المستحب. ومع حلول الخمسينات، كان من شأن التقارير التي وضعت عن هذه النتائج وعن بعض الآثار السلبية الاخرى، الى جانب العقاقير الجديدة ذات التأثير النفسي الكبير، انها اسفرت عن انخفاض حاد في العمليات الجراحية الفصية. لكن العلاج الكيميائي بالعقاقير له مساوئه الخطيرة ايضا: فقد تبين ان هذه العقاقير قد اورثت ١٥٪ من مرضى الحالات الحادة الذين عولجوا بها حركات عضلية غير ارادية دائمة، كما تبين فشل هذه العقاقير في بعض الحالات، وفشلت معها الطريقة المألوفة للعلاج بالصدمات الكهربائية.

العملية الاولى — وفي عام ١٩٥٠، اجرى روبرت ج. هيث، الاختصاصي في الاعصاب في جامعة تولين في مدينة اورليانز في ولاية لويزيانا، أولى عمليات غرس الاقطاب الكهربائية في الدماغ غرسا عميقا لأمد طويل، واكتشف انه يستطيع بذلك ان يراقب في وقت واحد مجموعة من مواقع الدماغ يصل عددها الى ١٢٥. وتمكن ايضا من تركيب انابيب دقيقة في الدماغ يتسنى له معها ادخال عقاقير كيميائية حفازة مباشرة الى بعض المناطق الدماغية المهمة. واخذ هيث يضع بالتدريج رسما بيانيا للجولة الدورية الحسية للدماغ، محاولا بذلك تحديد المشاعر التي تتولد لدى حفز بعض الآليات والدوائر بواسطة المواد الكيميائية او النبضات الكهربائية.

ومع حلول عام ١٩٧٢، كان هيث قد غرس اقطابه وانابيبه الدقيقة في ادمغة ٦٥ متطوعا يعانون مختلف

الاضطرابات العقلية. وكثيرا ما اسفرت عمليات الحفز الكيميائي او الكهربائي التي اجراها عن تزويد المرضى براحة مدهشة، بل وعن تحسن دائم بالنسبة الى البعض منهم. وكان هيث في الوقت نفسه يضع الخرائط لنظم الدماغ القليلة الوضوح والتي تتحكم بمشاعر الانسان. وقد وجد ان الدفعة الكهربائية في الغشاء الفاصل الدماغي، وهو "مركز المتع الحسية" في النظام الهامشي، تتسبب في تغييرات مثيرة لدى مرضى الاكتئاب. والتقط هيث شريطا لمريض على اثر محاولته الانتحار مباشرة، ثم اجريت له عملية حفز للغشاء الفاصل الدماغي، واذا به يبتسم فجأة ويقول: "لست ادري السبب في ذلك، ولكنني اشعر فجأة بانني في حال جيدة". وثمة مريض آخر اجريت له عملية حفز في المنطقة التي تتحكم بمشاعر الاكتئاب، فقال بعدها لاختصاصي الاعصاب هيث: "ان العملية لا تسبب اي ألم، غير انها جعلتني فريسة لاسوأ اكتئاب شعرت به في حياتي".

ولقد كان الفضل لاكتشافات هيث وغيره من الباحثين وللتحسينات المتقنة في التقنيات الجراحية في اتخاذ عدد كبير من التدابير الجديدة التي تنطوي على نتائج ملحوظة، لا بالنسبة الى المرضى الذين يعانون اضطرابات نفسية حادة فحسب وانما ايضا بالنسبة الى الذين يعانون الالام العسيرة التسكين والمعالجة. وهناك اختلاف في الآراء حول تفسير اسباب نجاح هذه التدابير وطريقة اتخاذها. فيعتقد بعض الخبراء ان الجراحة تقطع دوائر الاتصال التي تنقل المشاعر والعواطف، بينما يظن البعض الآخر ان هذه العمليات تنشط او تكبت انتاج الجزئيات العصبية النقالة، وهي مواد كيميائية تحمل الرسائل من خلية الى اخرى. وايا تكن الاسباب، فان هناك ادلة قاطعة على ان هذه التدابير تنجح في كثير من الحالات التي تفشل فيها جميع سبل العلاج الاخرى.

وفي السنوات الاخيرة، راوح المعدل السنوي لعمليات الجراحة النفسية في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ما بين ٢٠٠ و٤٠٠ عملية. وغالبية المرضى الذين تناولتهم هذه العمليات يعانون اضطرابات حادة في المزاج والعواطف، وهي اضطرابات تتميز بانماط سلوكية يغلب عليها القلق او استبداد الهواجس او الاكتئاب المزمن او حتى الميل الى الانتحار. وهناك اتفاق عام بين علماء الاعصاب على احتمال استفادة امثال هؤلاء المرضى من الجراحة النفسية، اكثر من غيرهم.

وفي ١٩٦٥، اجرى م. هنتر براون، جراح الاعصاب في سانتا مونيكا في ولاية كاليفورنيا، دراسة للتقارير التي وضعها هيث وغيره من علماء الاعصاب، ثم شرع في اجراء عملية يبدو انها تعيد التوازن داخل الاجهزة العاطفية والشعورية الدماغية. فهو يحفر ثقبين صغيرين في الجمجمة وينفخ من خلالهما غازا هامدا الى التجاويف الدماغية المليئة بالسائل كي يجعل فجوات الدماغ واضحة على شاشة تلفزيون اشعة اكس، ثم يوجه مسباره الكهربائية الى اهداف محددة في النظام الهامشي. واذا كان

المريض يعاني اضطرابات عاطفية، فان براون يمس بالكهرباء عددا من الاهداف يتراوح بين اثنين واربعة. ويرتفع هذا العدد الى ستة اهداف في حال مرضى الفصام او انشطار الشخصية (الشيزوفرانيا).

ويعتقد كثير من جراحي الاعصاب والاطباء النفسيين ان الجراحة النفسية لا تفيد المرضى الذين يعانون الاضطرابات الفكرية كالفصام الذي يعتبر اخطر الامراض العقلية اطلاقا واكثرها غموضا (★). غير ان براون يدعي النجاح.

تقويم النتائج – تشكلت خلال عام ١٩٧٥ لجنة مستقلة من الاطباء النفسيين لتقويم حالات ٤٧ من مرضى الفصام الذين تناولتهم عمليات براون، فوجدت اللجنة ان هؤلاء المرضى جميعا قد تحسنت حالاتهم عدا اثنين منهم، بل وان التحسن كان ملحوظا بالنسبة الى البعض منهم. وعلى رغم ان الفريق نفسه لم يجر اي تقويم لاحق لحالات هؤلاء المرضى الـ٤٧، فقد تحدثت شخصيا في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ الى مريضة اخرى، اسمها روث، من مرضى الدكتور براون:

تبلغ روث الرابعة والثلاثين من العمر، وقد ظلت طوال ثماني سنوات تعاني الهلوسة والاكتئاب ونوبات العنف، وحاولت الانتحار مرتين. وقد دخلت المستشفى ثماني مرات وتلقت عبثا جميع انواع العلاج غير الجراحي الممكنة. وشخص حالها عدد من الاطباء النفسيين على انها مصابة بالفصام. وفي عام ١٩٧٢، اجرى لها الدكتور براون عمليته الجراحية المتعددة الاهداف في الدماغ، فتعافت روث، وهي تستكمل الان دراستها العالية، متطلعة الى مستقبل مهني طبيعي وحياة طبيعية. وهي قالت لي عن ذلك: "لقد نمت قبل العملية كالنبات الرتيب، وأفقت بعدها كائنا بشريا".

وجرى تقويم آخر خلال عام ١٩٧٥ تناول حالات تسعة عشر مريضا من الذين اجرى لهم الدكتور براون عملياته لانقاذهم من نوبات العنف العدواني التي كانت تنتابهم. وقد تبين من هذا التقويم ان جميع هؤلاء المرضى في تحسن ملحوظ (وكان بعضهم مصابا باضطرابات التأخر العقلي والنوبات التشنجية). ويعتقد الدكتور براون بوجوب اجراء الجراحة النفسية لنزلاء السجون الذين يتصفون بنزعتهم التلقائية الى العنف من امثال ادموند كيمبر، المسجون في كاليفورنيا بتهمة القتل الجماعي، ومن المحتمل ان يكون كيمبر مصابا بالفصام، وقد استرخصت المحكمة مرتين لكي يجري له الدكتور براون جراحة نفسية، لكن القاضي رد طلبه هذا في المرتين.

التحفظ في الجراحات – ويختلف معظم علماء الاعصاب مع الدكتور براون في انهم يعتبرون ان الجراحة النفسية لا تزال في مرحلة تجريبية، ومن ثم فهم لا ينصحون باجرائها لنزلاء السجون. وتتفق السلطات

(★) يفقد ضحايا الفصام صلتهم بالواقع وينزلقون في فترات متقطعة الى نوبات من الهلوسة والتخيلات الوهمية. وقد تتسلط على البعض القليل منهم نوبات من العنف. وهذا المرض يصيب بصفة رئيسية الراشدين الشباب، ومن المحتمل انه ينشأ عن مجموعة مترابطة من الاضطرابات في كيمياء الخلايا الدماغية.

الطبية والقضائية على الشك في ان يكون السجين الذي يطالب بان تجرى له الجراحة النفسية (ربما على امل التحرر من السجن) على اطلاع كاف يبرر اقدامه على هذا الطلب·

وأشد المعارضين للجراحة النفسية هم اولئك الذين يزعمون انها غير مأمونة وغير فعالة، او انها نوع من انواع "التحكم في العقل والفكر"، بالاضافة الى التخوف والتحامل المنتشرين على نطاق واسع ضد بحوث الدماغ· ويقول الدكتور اليوت لوبي مستشار الطب النفسي في عيادة لافاييت في مركز بحوث الصحة العقلية في ولاية ميتشيغان: "يعتقد كثير من الناس انه يجب علينا ان نترك الدماغ وشأنه، فهم يعتبرونه عضوا بيولوجيا مقدما لا يجوز ان تمسه ايدي العلماء"·

وفي عام ١٩٧٣، شكل الكونغرس الامريكي لجنة وطنية للتحقيق في الخلاف القائم حول جراحة الدماغ· وبناء على طلب اللجنة، اجرى فريق من معهد الطب في جامعة بوسطن تقويما لحالات ٥٢ مريضا اخضعوا لعمليات على ايدي اربعة اختصاصيين مختلفين من جراحي الاعصاب، وبطرق متنوعة· وكان كل من هؤلاء المرضى قد قضى في المتوسط عشرين عاما وهو يعاني مرضه ويتلقى علاجات غير جراحية عديمة الجدوى· وقد اسفرت الجراحة النفسية عن تحسن مهم لدى ٢٧ مريضا منهم، وعن تحسن يراوح بين المتوسط والبسيط لدى ١٣ منهم، وعن بقاء ٩ آخرين على حالهم من دون تغيير· وقد وجد ان حال ثلاثة مرضى فقط قد ساءت قليلا بعد الجراحة· ومن جهة أخرى، اجرى خبراء معهد ماساتشوستس الكتنولوجي اختبارا على ٨٣ مريضا قبل اجراء جراحات لهم وبعدها على يد الدكتور هـ· ت· بالانتاين الاصغر الاختصاصي في جراحة الاعصاب في مستشفى ماساتشوستس الحكومي، فوجدوا ان الجراحة لم تسبب اطلاقا اي ضرر نفسي او عاطفي ثابت لاحد منهم، وان كثيرين من بينهم قد تحسنت حالهم وخفت وطأة اعراضهم، بل وتبين ان معدلات ذكائهم قد ارتفعت·

وانتهى اعضاء اللجنة التي شكلها الكونغرس الى الموافقة على الاستمرار في اجراء الجراحات النفسية، وردوا المزاعم القائلة بان جميع اشكال الجراحة النفسية غير مأمونة وغير فعالة، ورأوا اخيرا ان الاجراءات الوقائية المناسبة كفيلة بتلافي سوء استخدام هذه الجراحات· وقال في هذا الصدد رئيس اللجنة كينيث ج· ريان من معهد الطب في جامعة هارفارد: "بناء على الدراسات التي اجريت بتكليف من اللجنة، خصوصا دراسات تقويم حالات المرضى قبل الاجراءات الجراحية وبعدها، فقد اتضح لنا ان الجراحة النفسية قد اعانت كثيرين ممن برح بهم المرض، وانها لم تسبب اتلاف ذكائهم او تجريدهم من المشاعر، وعلى ذلك، فلا داعي الى القاء الحظر على هذه الجراحة"·

وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، اتخذ جوزف ا· كاليفانو الاصغر، وزير الصحة والتربية والخدمات الاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية، قرارا بالاتفاق

على الجراحات النفسية من صندوق التأمين الصحي الحكومي لكبار السن (الذين يتجاوزون الـ٦٥ عاما) وصندوق الخدمات الطبية للفقراء والمعاقين. ولكنه قضى، موقتا على الاقل، بمنع الانفاق من اموال الحكومة الفديرالية على اجراء هذه الجراحات للسجناء والاطفال ومرضى العقول المحتجزين من دون ارادتهم والمرضى غير المتمتعين بالاهلية القانونية. وقال كاليفانو: "ان الجراحة النفسية ستظل ملجأ علاجيا اخيرا متاحا للمرضى الذين يحتاجون اليها". ودعا الاوساط الطبية الى تشكيل لجان تشرف على هذه الاجراءات.

تباشير الامل – ولئن تكن الجراحة النفسية قد خضعت لانعام النظر والتدقيق بدرجة ندر ان تعرضت لها اي تدابير جراحية اخرى في تاريخ الطب. الا ان علماء الاعصاب يسلمون بان هناك طائفة من الاسئلة لا تزال تفتقر الى اجابات شافية، وان لا بد من ايجاد هذه الاجابات. وهناك ايضا ادلة مهمة وقوية على ان الجراحة النفسية تساعد المرضى الذين يعانون بعض الاضطرابات العاطفية الحادة. ولا شك في ان تجاهل هذا التقدم والوقوف في وجه العلاج الوحيد الباقي، بعد ان فشلت الوسائل العلاجية الاخرى، هو في الحقيقة بمثابة الحكم على اولئك المرضى بان يقضوا بقية حياتهم في شقاء وعناء عقلي، او باحتمال دفعهم الى الانتحار. وليست معارضة اجراء المزيد من البحوث في هذا الصدد، بسبب الخلاف القائم في الاراء، سوى حرمان المرضى الآخرين الذين لا عداد لهم، من تباشير الامل في غد أصفى يتطلعون اليه.

■ اوجين هـ. ميثفين بمعاونة الباحثة كاثرين باول



بيروقراطية

قبل فترة قصيرة احترقت خمسة مصابيح كهربائية خاصة في احد المعامل في زغرب (يوغوسلافيا). وكان ممكنا الحصول على بدائل لها من المانيا الغربية بكلفة لا تزيد على دولارين غير ان الامر استلزم تقديم طلب من المؤسسة للحصول على اجازة استيراد من المصرف اليوغوسلافي (ثلاث نسخ)، وتوجيه طلب آخر الى المصرف ذاته لكي يوافق على الاستيراد (ثلاث نسخ)، وتقديم تقرير عن الصفقة كاملة الى المصرف القومي (١٢ نسخة)، وطلب موافقة دفع بالمارك الالماني (ثماني نسخ)، وتحديد ما يدفعه المصرف بالدينار اليوغوسلافي (اربع نسخ). واقتضت كل من هذه النسخ الثلاثين المطبوعة على الآلة الكاتبة توقيعين وختمين على الاقل.

وهكذا بلغت الكلفة النهائية المخمنة للمصابيح مئة دولار.

(صحيفة ذي انسايدر نيوزلتر)

اذا أجزنا لغيرنا ما نجيزه لانفسنا، اصبحت الحياة لا تُطاق.

جورج كورتلين

"خطة مارشال" لا تزال حية

"خطة مارشال" التي انعشت الاقتصاد الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية تطرح فكرتها في العالم العربي كما طرح موضوع السلام سواء في لبنان (لتعمير ما خربته الحرب) او في الشرق الاوسط ككل (بعد انهاء النزاع العربي - الاسرائيلي)٠ هنا نظرة على الخطة التي لا تزال حية بعد مرور ٣٢ سنة على انطلاقها٠

قال لي تشارلز فريك (٤٩ عاما) صاحب النزل الذي كنت اقيم فيه بينما كان يقدم الي وجبة الطعام، كمن يفكر بصوت عال: "خطة مارشال؟ نعم، لقد تعلمنا عنها بعض الشيء في المدرسة ولكنها كانت قد انتهت آنذاك"٠

وبدت عليه امارات التشكك عندما اخبرته ان مطعمه في باد كيسنغن قد بني في اوائل السبعينات بمساعدة اموال خطة مارشال٠ ولم يقتنع بذلك الا عندما اكد له مالك البناء ان معظم المنازل والحوانيت التي تشغلها المكاتب والاعمال الخاصة بمشروعاته، قد انشئت بفضل اموال خطة مارشال٠

ومعظم الاوروبيين، شأنهم في ذلك شأن تشارلز فريك، لا يدركون ان خطة مارشال لا تزال على قيد الحياة، وفي حال جيدة٠ نعم، انها لا تزال

في الواقع حية نشطة، فقد مولت خلال عام ١٩٧٧ عددا من المشروعات في المانيا الغربية والنمسا والدنمارك، فمدّت الاقتصاد في المانيا وحدها بثلاثة مليارات وستة وثلاثين مليون مارك، وهو مبلغ يتجاوز اي مبلغ حصل عليه الاقتصاد الالماني في اي عام سابق. ويعود الفضل في وضع هذه الخطة عام ١٩٤٧ الى الجنرال جورج مارشال وزير الخارجية الامريكية آنذاك الذي اطلق عليها رسميا اسم "برنامج الانعاش الاوروبي". وكان الهدف منها استنساخ ابلال اوروبا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودتها الى وضعها السوي، فغذت الاقتصاد الاوروبي المتهاوي ببضائع تبلغ قيمتها ١٢ مليار دولار في الفترة المراوحة بين ١٩٤٨ و١٩٥٢. وقد بلغت قيمة البضائع التي وزعها "برنامج الانعاش الاوروبي" في المانيا وحدها خلال عام ١٩٥٠ فقط مليارا ونصف مليار مارك الماني. وكانت الشركات التي تتلقى هذه البضائع تدفع ثمنها بالماركات، وكانت هذه الاموال تودع صندوقا خاصا تابعا لهذا البرنامج. وفي عام ١٩٦١، عندما تم سداد ٦٠٪ من ثمن البضائع للولايات المتحدة من الموازنة السنوية العادية الالمانية، تنازلت امريكا عن المبلغ الباقي. ومنذ ذلك الحين، شرع الصندوق الخاص التابع لبرنامج الانعاش الاوروبي في اعادة استثمار امواله في المجال الاقتصادي عن طريق تقديم القروض الى رجال الاعمال، فتزايدت ارصدته على نحو مطرد بفضل فوائد هذه القروض. ويمكن القول عموما، ان هذا "البرنامج" قد قدم، منذ بداية الخطة، قروضا تعادل ستة اضعاف ارصدته الاصلية التي كانت تبلغ ستة مليارات وثمانمئة مليون مارك الماني، اي قرابة ٤٠ مليار مارك الماني. وقد ادى الصندوق هذه المهمات من خلال ثلاثة مصارف رئيسية هي:

- مصرف التسليف للانعاش الاقتصادي في فرنكفورت، ومصرف مساواة الاعباء في بون - باد غودس، ومصرف برلين الصناعي. ولكن قلما كان المقترض العادي يتعامل مع اي من هذه المصارف الثلاثة مباشرة، بل كان مصرفه المحلي او "المنزلي" هو الذي يتولى دفع الاموال واجراء المعاملات.

الصناعة الثقيلة الهدف الاول —

وفي السنوات الاولى من الخطة خصت المصارف بعطفها الصناعة الثقيلة تمكينا لالمانيا من انعاش اقتصادها الذي قوضته الحرب. وفي الستينات، ازدهرت مشروعات الاعمال الكبرى، واخذ الاهتمام يتحول تدريجا الى المشروعات الصغرى. واصبحت غالبية الاعتمادات توزع الآن على المشروعات الصغيرة التي تواجه مشكلات خاصة ويتعذر عليها الحصول على اموال من المصارف التجارية. ومثال ذلك، ان احد الحرفيين الذي كان يصنع السلال من لحاء الاشجار في غابة بافاريا قد اصطدم بكساد صناعة الاشياء التذكارية فتمكن من الحصول على مبلغ من المال بمقتضى خطة مارشال لكي يتحول الى العمل في مجال آخر وهو صناعة الشموع الكهربائية من مادة البلاستيك. ومنح قرض ايضا في اطار برنامج الانعاش الاقتصادي لاحد الصناعيين الذي كان

ينتج صهاريج لتسخين الزيت، وذلك تمكينا لشركته من التحول الى انتاج تجهيزات الطاقة الشمسية المنزلية. واذا كان هناك اي شك في نشاطات برنامج الانعاش الاوروبي فان المشاهدة على الطبيعة تكون خير دليل على الحقيقة. وهذا ما حملني على القيام بجولة في المانيا لكي اطلع على هذه النشاطات، فقابلت عددا كبيرا من المستفيدين وكان لكل منهم روايته الخاصة به، لكن الرسالة كانت واحدة في كل الحالات، اي انه لولا خطة مارشال لما استطاع جميع هؤلاء ان يكونوا حيث هم الآن.

جولة في الخطة – واول زيارة قمت بها كانت لاحد المشروعات في شارع تحف به الاشجار في ضاحية كيم في جوار مدينة ميونيخ. فقابلت هناك هولغر نيسين، الشاب ذا الشاربين من مواليد ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ الذي يتولى ادارة مشروع لبيع آلات الاستنساخ وصيانتها، ويعاونه ثمانية اشخاص يعملون في الجزء الاسفل من احدى البنايات وفي دارة مقابلة له جددت حديثا.

وقد نمت هذه الشركة بسرعة فائقة. فقبل عامين ونصف عام فقط كان نيسين باشعا عاديا لآلات الاستنساخ لحساب احدى الشركات في ميونيخ. وذات يوم كان يجلس في احدى الحانات مع رجلين يتقدمانه في السن، واخذ الثلاثة يتبادلون الحديث حول ما يمكنهم تحقيقه من اعمال لو كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص. وقال احدهم: "لماذا لا ننشيء مشروعا خاصا بنا؟" فالفوا شركة في ما بينهم ولكن عندما حانت ساعة تقديم الاستقالة، تراجع الرجلان الآخران وانسحبا من الشركة فبقي نيسين بمفرده ومضى قدما في مشروعه.

وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥، اشترى هو وزوجته تينا، التي كانت تدرس الهندسة المعمارية آنذاك، بعض التجهيزات عن طريق الائتمان وحولا دورهما السفلي الى مكتب.

ثم تقدم نيسين بطلب للحصول على قرض مصرفي ليلة عيد الميلاد، الا ان طلبه رفض لسوء الحظ. ومع ذلك، فقد بلغ مسامعه، في اثناء معاملاته الفاشلة مع المصرف، ان هناك امكانا للحصول على سلفة من برنامج الانعاش الاوروبي. فرغب الى مصرفه في ان يمكنه من الاتصال اللازم بالمسؤولين عن هذا البرنامج. وتبين ان رجل خطة مارشال هو نفسه مدير المصرف المحلي الذي كان يعمل ايضا وكيلا للبرنامج. فقابله نيسين واطلعه على مشروعه الخاص بالاستنساخ وعلى تجهيزاته الجديدة وكراريسه، واستخدم مهارته كبائع لبق في اعطاء صورة شائقة جذابة عن المشروع.

وبعد بضعة اسابيع، حصل نيسين من برنامج الانعاش الاوروبي على قرض بمبلغ ٣٠٠٠٠ مارك الماني، لمدة عشر سنين وبفائدة تقل ٣٪ عن اسعار قروض المصارف التجارية. وقد ازدهر المشروع اليوم. وقال نيسين: "لقد حالفنا النجاح لاننا درجنا على ارضاء زبائننا. ولكن لولا توافر رأس المال لما امكننا تحقيق ذلك. ومعظم رجال الاعمال الناشئين يفتقرون الى رؤوس الاموال".

وثمة مثال آخر، وهو قصة جوزف كلين المشجعة والزاخرة بالجرأة

والاقدام. كان جوزف كلين يدير مصنعا في المانيا الشرقية، فهرب في عام ١٩٥٩ الى الغرب مع زوجته واطفاله الثلاثة وخلف وراءه ممتلكات تبلغ قيمتها مليون مارك الماني. واستهل كلين حياته الجديدة في ظل الحرية ببطالة اليمة استغرقت عاما كاملا. وذهب ذات يوم الى طبيب الاسنان لحشو احد اضراسه، وبينما كان فمه محشوا بالقطن، اشار الطبيب في معرض حديثه الى وجود مصنع خال في مدينة ورن. وما ان غادر كلين عيادة الطبيب حتى توجه على الفور الى ورن يحدوه الامل في ان يستأجر المصنع ويبدأ فيه مشروعا جديدا له.

الالومينيوم بدلا من الحديد — ولاحظ كلين ان ادوات تحميص الوفل (★) كانت تصنع من سبائك حديد رمادية. فقال في نفسه: "لماذا لا تكون اقل ثقلا، وتصنع من مادة الالومينيوم غير القابلة للتآكل، وكان يحتاج الى رأس المال اللازم لتنفيذ هذا المشروع. واقترح عليه احد اصدقائه من العاملين في احد المصارف، ان يتقدم بطلب للحصول على قرض من برنامج الانعاش الاوروبي. واخيرا تمكن من الحصول على قرض بمبلغ ٣٠٠٠٠ مارك الماني. ويقول كلين متذكرا: "لم يكن المبلغ كبيرا، ولكنني كنت لا املك شروى نقير آنذاك.

وكانت النتيجة ان توصل مشروع كلين الى تلبية قرابة ١٠٠٠٠٠ طلب في السنة للحصول على ادوات تحميص "الوفل". وبعد ذلك اتسع نطاق نشاطاته حتى شمل عضادات الابواب والارجل المعدنية للكراسي وغيرها من الاثاث ومحركات المراوح واغلفة حارقات الزيت وجزازات العشب حتى... اللوحات التذكارية. واصبح كلين الآن في طليعة المعترفين "بانه لولا ادوات تحميص "الوفل" وخطة مارشال، لما وجد مصنع جوزف كلين لصهر المعادن الخفيفة".

وثمة برنامج آخر في اطار خطة مارشال يديره الآن بنك مساواة الاعباء ويتمثل هذا البرنامج في عمليات النقل واعادة الاسكان في مكان جديد. وتتسم هذه العمليات باهمية متزايدة في عصر اصبح المسكن بضاعة رائجة، وتنشط فيه المدن لصون احيائها الاساسية من التلف الناشىء عن التصنيع. وتقدم المعونة في اطار هذا البرنامج الى الشركات التي تضطر الى الانتقال بسبب اعادة تقسيم المناطق او ضيق المكان.

وفي ما يتعلق بهذه العمليات الخاصة بالنقل، منح برنامج الانعاش الاوروبي خلال عام ١٩٧٨ فقط، ١٦٠٠ قرض يبلغ مجموعها ٢٣٥ مليون مارك الماني. وبالاضافة الى ذلك، فهناك فئة كاملة من الخدمات الاجتماعية وبرامج تحسين البيئة، كذلك برنامج لضمان القروض الممنوحة لاصحاب المهن الحرة ومعظمهم من الاطباء. وقد كفل مصرف مساواة الاعباء قروضا تبلغ ٢٧٥٠٠٠ مارك الماني لانشاء عيادة لامراض الاذن والانف والحنجرة في قرية بافارية يبلغ عدد سكانها ٩٠٠٠ نسمة وتبعد ٣٠ كيلومترا عن الحدود التشيكوسلوفاكية. وقد افتتحت هذه

(★) الوفل: كعكة تحمص في اداة تحميص خاصة.

العيادة خلال عام ١٩٧٥، وكان من شأنها، اضافة الى عنبر في المستشفى المحلي يشتمل على ٢٥ سريرا، انها اغرت طبيبا شابا على الاقامة والعمل في تلك المنطقة النائية الموحشة. وقبل قدومه في مايو (ايار) ١٩٧٥ كانت المنطقة خالية من اختصاصي في امراض الاذن والانف والحنجرة طوال ثماني سنوات. وقد زرته ذات صباح فوجدت ما لا يقل عن ٤٠ مريضا في غرفتي الانتظار في عيادته. كما لاحظت ان لديه اربعة معاونين هم: طبيب تخرج في الولايات المتحدة، وثلاثة فنيين يعاونونه في اختبارات السمع والحساسية. وقال لي الطبيب الشاب: "اجري صباح كل يوم العمليات في المستشفى، ثم انتقل الى عيادتي حيث افحص ما بين ٨٠ مريضا و١٠٠ مريض يوميا. واذا لم تحدث طوارىء يومي السبت والاحد فانني اعكف على اجراء البحوث وانجاز الاعمال المكتبية". واضاف مبتسما: "وانني، على الاقل، لا اواجه اي صعوبة في سداد اقساط القرض الذي حصلت عليه من برنامج الانعاش الاوروبي".

تجاوز الآمال ـ نعم لقد حققت خطة مارشال في المانيا نجاحا يتجاوز الاهداف التي حددها جورج مارشال نفسه في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٤٧ والتي تتلخص في انعاش اوروبا عن طريق تشجيع ومساندة المشروعات الحرة التي كانت تعد في ذاتها وسيلة ايجابية لكبح جماح الشيوعية. وعندما يتحدث جوزف كلين عن انتاج ادوات قليلة الثقل لتحميص الوفل، ويروي هولغر نيسين قصة انشاء مشروع آلات الاستنساخ في مكتبه، لا بد للمرء من ابداء الاعجاب الشديد بالمعجزة الاقتصادية التي حققها هذا المشروع.

ثم انني اتذكر هنا قول هولغر نيسين لي: "لولا خطة مارشال لتزايد عدد الشبان المتبرمين الذين يملأون الحانات ويشتكون من النظام الثقيل الوطأة الذي يعيشون في ظله. وبدلا من ذلك، فاننا نشحذ عزيمتنا على شق طريقنا بانفسنا. ولعل هذا هو الباعث على استمرار الخطة وبقاء فكرتها الرائعة اليوم كما كانت منذ البداية".

■ آلان ليفي



في عين امه...

حين حصل طفلنا على الجائزة الاولى في استعراض الاطفال المحلي، اخذنا نتباهى بذلك امام جميع اصدقائنا. وحين مازحنا بعضهم قائلا ان نتائج مثل هذه المسابقات تكون مهيأة سلفا في العادة، احتجت زوجتي قائلة: "كلا، كلا. من المؤكد ان احدا لم يتلاعب بنتائج هذا العرض، فقد كنت احدى المحكمين".

ر.ي.ب.



هذه قصة شاب اعمى كافح بما يشبه المعجزة ليصبح طبيبا، وقد تحقق له ما اراد وتجدد معه الامل في امكانات الانسان غير المحدودة.

الضرير الذي أصبح طبيبًا

كان الذين يعرفون ديفيد هارتمان يعتقدون جميعا انه يبحث عن حتفه بظلفه. وحتى اسرته هو ادركت عشية ذلك اليوم من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ قبل توجه ديفيد للمرة الاولى الى الكلية ان الوقت قد حان لوضع حد لمشاريعه المستحيلة. واذ تريث افراد اسرة هارتمان الاربعة وهم جلوس الى مائدة العشاء في بيتهم القائم في هافرتاون في ولاية بنسلفانيا الامريكية، بادر الابن ديفيد وهو اعمى الى طرق موضوع قديم بحدة جديدة قائلا: "يا والدي كن صريحا معي. هل تعتقد ان في استطاعتي ان اصبح ذات يوم طبيبا؟"

وتوقف فرد هارتمان، وهو موظف في احد المصارف ورجل عملي للغاية، فترة قبل الاجابة. ان عدم تدليل ديف

شيء والسماح له بالمضي في بناء الآمال التي ستفضي به الى خيبة مؤلمة شيء آخر، اي كلية طب ستقبل طالبا كفيفا؟ لقد حان الآوان لتقويم ديفيد وتصحيح تفكيره. ولكن الاب تساءل كيف يقدر على ان يرد بالرفض القاطع على صبي مثل ديف! كيف يمكنه ان يفرض حدا أعلى لاحلامه؟ ولهذا قال فرد هارتمان أخيرا: "طبيبا يا ولدي؟ لن تعرف ما تستطيعه ما لم تجرّب اولا. أليس كذلك؟"

وارتسمت على كلا وجهيهما ابتسامة عريضة، ذلك لان هذا هو الرد نفسه الذي ظل الاب يجيب به عن اسئلة ديفيد: "هل اقدر على...؟" منذ فقد الصبي، الذي وُلد بعينين عدستاهما غير سليمتين، كامل بصره وهو في الثامنة من عمره. "ابي هل استطيع ان العب البيسبول؟" هذا ما سأله ديف وهو في العاشرة من عمره فأجابه والده: "فلنجرب اولا ونرى". ثم عكفا على وضع اسلوب للعب ودحرج السيد هارتمان الكرة على الارض في اتجاه ديف الذي تعلم استخدام المضرب والتقاط الكرة بالانصات الى حفيفها وهي تمر بين الاعشاب.

نطاق الممكن؟ – من هذا المنطلق استهلت الاسرة جهودها الهادفة الى مساعدة ديفيد على الاستقلال قدر الامكان. وكان الطفل يصيح في بعض الاحيان وقد أفزعته الظلمة: "أماه اني لا اقوى على احتمالها!" وعندئذ تضمه ايداما هارتمان، أرق افراد الاسرة قلبا، بين ذراعيها وتهزه برفق وتدندن بصوت خفيض: "انا اعلم. انا اعلم" الى ان تعلم ان في امكانه الاحتمال فعلا. غير ان أمه انضمت الى الآخرين في جعل ديفيد يقاسم الاسرة اشغال البيت. وكانت على رغم شعورها بالتعب لدى عودتها من العمل كمحاسبة على صندوق الدفع تقرأ الكتب لطفلها تقريبا ليليا لتوسيع افقه.

ولكن باربرا، شقيقة ديفيد، هي التي قررت ان تكون اقسى افراد الاسرة في ما يتعلق بمهمات ديفيد. فذات مرة قالت لاخيها الذي نسي ساعته التي صممت على طريقة بريل للمكفوفين في الطابق العلوي من البيت فطلب منها ان تحضرها اليه: "ليقم صاحب الحاجة الى حاجته. او تظن انه سيكون حواليك على الدوام شخص لتلبية حاجاتك؟"

وهكذا شب ديفيد على اعتبار العمى ليس مأساة وانما مضايقة لعينة فقط، كما شب على الشعور بانه يستطيع ان يفعل ما يريد اذا هو صمم على ذلك. وفي الثالثة عشرة من عمره أعلن انه سيصبح طبيباً. وبما انه عجز عن رؤية الرؤوس التي اهتزت باكتئاب لدى سماع الاعلان الطفولي، أخذ ديفيد يهيىء نفسه لهذه المهنة، وأصر على ترك مدرسة اوفربروك للمكفوفين وسجل اسمه في مدرسة هافرتون الثانوية العامة. وحصل على علامات جيدة وحاز مكانا في فريق المنتخب المدرسي للمصارعة، وانتخب في سنته الرابعة والاخيرة نائبا لرئيس مجلس الطلبة.

ولكن على رغم منجزاته المثيرة فانها جميعها ظلت باستمرار في نطاق الممكن واما طموح ديفيد في نيل الدكتوراه في الطب وفي ان يصبح طبيبا نفسيا فهذا أمر لا يدخل في ذلك النطاق في رأي الاسرة. ولذلك احس اعضاء اسرة هارتمان،

وهم يودعونه على ابواب كلية غيتيسبورغ، بانهم لم يكونوا صريحين معه بما فيه الكفاية وخشوا من انه سيحصد الخيبة والحزن٠

حاول الاساتذة المستشارون في الدائرة التي انضم اليها ديفيد مناقشته بالحجة والمنطق٠ واقترح عليه الاستاذ كافالبير: "لم لا تقبل بما هو اقرب الى قدراتك كالتاريخ او علم النفس؟"

واذ احس ديفيد بان هذا المدرس الرئيسي في الدائرة على وشك رفض انضمامه الى صفه جند كل قدراته الاقناعية قائلا: "مهلا يا سيدي٠ انا لا أختلف في شيء عن سائر الطلبة! صحيح انني عاجز عن الرؤية ولكن لكل انسان عجز ما٠ بل انا اعتقد ان اشد المعاقين عجزا هم اولئك الذين لا يطلبون التحدي ولا يقبلون على عمل خاص، وأنا أريد ان اكون طبيبا نفسيا لاعتقادي بانني سأكون طبيبا ناجحا في مساعدة الاشخاص الذين يعانون مشكلات شبيهة بمشكلتي على تأهيل انفسهم٠ لهذا السبب اريد الالتحاق بكلية الطب وانا اعقد الامل على غيتيسبورغ في اعدادي"٠ ومنذ تلك الساعة اصبح كافالبير أشد حليف لديفيد٠

من سار على الدرب٠٠٠ ـ أخذ ذاك الشاب الكفيف ذو الطلعة الوسيمة والبنية القوية يتجول في انحاء كلية غيتيسبورغ بخطى حثيثة ولا يتحسس طريقه بعصاه المعدنية البيضاء الا أحيانا٠ وفي عامه الدراسي الثاني ظل ديف يلتقي مصادفة شيريل ووكر الفتاة الرشيقة اللامعة ذات العينين الخضراوين٠ وعجب ديف طوال أشهر من حسن حظه، لكن شيري اعترفت له بعدما قويت أواصر العلاقة بينهما:

"كنت حين اراك أعدو مسرعة لاعترض دربك وكلي أمل في الا تفضح انفاسي سر عدوي اذ أقول لك "يا للمصادفة٠ تصور انني التقيك مرة أخرى"٠

وفي ربيع ١٩٧٢ اوشك ديفيد على انهاء اربع سنوات في غيتيسبورغ حائزا معدل علامات كاد ان يبلغ حد الكمال اذ هو حصل على ٣،٨ (ثلاث نقاط وثمانية اعشار) من اصل اربع نقاط٠ اذا فان كل شيء يسير على افضل ما يرام حتى الآن٠ وكان ديفيد قد تقدم بطلب الانتساب الى عشر كليات طبية استعدادا للتجربة الكبرى٠

وفي مطلع ابريل (نيسان) تسلم رفضا من ثماني كليات منها ثم وصل الرفض التاسع في ٢٧ ابريل من كلية كان عقد عليها اكبر آماله٠ فانسحق قلب ديف وانهار وانهارت معه شيري واستغرقا معا في البكاء لان كل شيء قد انتهى في رأيهما٠

ولكن في احد المعاهد التي لم يتلق ديف جوابا منها بعد، وهو كلية الطب في جامعة تمبل في فيلادلفيا، كان الدكتور م٠ برنس بريغهام مساعد العميد المسؤول عن قبول الطلبة وشؤونهم يرافع بأقصى ما أوتي من سلطة وقوة امام سائر اعضاء مجلس قبول الطلبة قائلا: "لو كنا اعضاء في لجنة الالعاب الاولمبية وجاءنا رجل بساق واحدة وهو يقطع مسافة المئة ياردة (٩١،٤٤ مترا) في تسع ثوان لسمحنا له في اعتقادي بالعدو مع الآخرين٠ وعلى هذا المنوال، لقد فعل ديفيد هارتمان اشياء مستحيلة واعتقد اننا يجب ان نرى الى اي مدى يمكنه ان يصل"٠ ووافقه سائر اعضاء المجلس وبعد

وقت قصير تلقى ديف مكالمة من أمه: "هنـاك رسالـة اعتقـد انـه يهمـك سماعها" . لكن صوتها خانها كلياً فلم تقوَ على مواصلة الكلام. وفي حينه سمع صوت شقيقته باربرا تشهق قائلة: "لقد فعلتها يا ديف! لقد جاءك القبول من جامعة تمبل!" وتوّج هذا النبأ حفلة تخرجه بشرف وامتياز من الدرجة الاولى. وحين سار بخطى ثابتة الى المنصة لتسلم الدبلوم هبّ جميع الطلبة وهيئة الاساتذة وقوفا تحية له. لقد بدأ الآن فعلا يسير على دربه.

الصراع من أجل الآخرين — اصبح ديفيد، على رغم ما سبق، شديد التوتر لدى تسجيله في جامعة تمبل في الخريف التالي. لقد ولّت مرحلة الكلام وبما انه طلب دخول المعركة والضغوط فقد تم له ذلك فوراً.

وحتى دروس التشريح التمهيدية انطوت على مشكلات خاصة بالنسبة اليه . فهو وان استطاع ان يغوص بيديه المحميتين بقفازين من المطاط داخل الجثث لتلمس مواضع الاعضاء الكبيرة والتعرّف على هيئتها . الا أن التعرف على الاعضاء الاصغر حجما والاكثر تسترا مثل الضفائر العصبية استوجب استخدام يديه العاريتين. وهذا ما أقحم ديفيد في سباق لتعلم الاشيـاء الضروريـة قبـل ان تفـقـد اصابعه حاستها بسبب ملامسة محلول فورملديهيد الـذي يستخـدم لوقايـة نماذج المختبر من الفساد.

اما صعوبة علم الانسجة، وهو الدراسة المجهرية لتكوين الانسجة، فلا تقارن بشيء. ولذلك تعين على ديفيد ان يعتمد في هذه الدراسات على اساتذته وزملائه في وصف ما يرونه بالمجهر، وعلى تلمس رسوم حفرت باسلوب شبيه بطريقة بريل اعدها له استاذه.

وراح ديفيد في هذه الاثناء ينظم شؤون المكتبة الضخمة التي يحتاج اليها فـي بيتـه لمراجعـة عشـرات المواضيع المرعبة الاخرى. وكان على غرار ٥٠٠٠ طالب كفيف آخر في الكليات الامريكية. كذلك نصف الطلبة المكفوفين فـي المـدارس الثانويـة يعتمد رئيسيا على جمعية التسجيل للمكفوفين لتزويـده مجانـا بأشرطـة سجلت عليها الكتب المقررة. وتولى المتطوعون في الجمعية تسجيل قرابة ثلاثين مجلدا طبيا لديفيد.

شكوك عميقة — تزوج ديفيد من شيري في ربيع سنته الاولى في كلية الطب. واتسم شهر العسل في صيف ذلـك العـام بالهـدوء والاسـتـرخـاء نسبيا، ولكنه ما كاد يباشر سنته الطبية الثانية حتى وجد ديفيد نفسه غارقا في حال ميؤوس منها. فقد عمد ديفيد، من أجل متابعة ست محاضرات في اليوم الواحد، الى تسجيل المحاضرات كلها على آلة واحدة ثم نقل الاشرطة الى بيته لتسجيل ملخصات لها على آلة ثانية. لكن هذا الاسلوب كان يتطلب قرابة ساعتين لتسجيل ملخص محاضرة من ساعة واحدة أي انه كان في حاجة الى اثنتي عشرة ساعة يوميا لاتمام واجباته الدراسية المنزلية.

ولم يمضِ وقت طويل حتى توجه ديفيـد هارتمـان الطالـب الشـديـد العصبية والمرهف من قلة النوم الى مكتب العميد بريغهام. وتوصل معه الى حل للمشكلة: فمن ذلك الوقت سيكتفي ديفيد كغيره من طلاب صفه بتدوين الملاحظات، لكن ملاحظات ديفيد ستدون همسا في آلة التسجيل.

وحين دخل ديفيد سنته الطبية الثالثة والحاسمة بدأ العمل في مستشفى جامعة تمبل وباشر التعامل مع المرضى الحقيقيين والحياة الواقعية. وكان لا يزال هناك بعض المرتابين الذين احتفظوا بشكوك عميقة تجاه احتمال اتمام ديفيد دراساته الطبية، لانه مثلا لا يستطيع "قراءة" الصور المأخوذة باشعة اكس ولا يقدر على فحص الأذن او العين او الفم من دون مساعدة احد زملائه وتتعذر عليه رؤية الطفح الجلدي بل هو يعتمد على اوصاف الممرضة او المرضى انفسهم.

لكن هارتمان كان يتمتع بقدرات عوّضت تلك النواقص. فهو بحاسة سمعه الحادة كان حاذقا الى أبعد الحدود في استخدام النصّاتة. وكان بحاسة اللمس التي تطورت لديه الى درجة عالية جدا يستطيع الاحساس بوجود تباينات شاذة في الصدر والبطن. لكن الاهم من هذا وذاك هو انه كان مستمعا ممتازا.

وللدكتور جون هـ. مارتن الاستاذ المسؤول عن تدريس التشخيص البدني ملاحظة في هذا المضمار: "اذا اعطي المرضى فرصة للتحدث عن انفسهم فانهم في احيان كثيرة حكام ممتازون في معرفة عللهم. لذلك فان ديفيد هارتمان الذي يعوض عجز بصره بالاستماع الى المزيد من كل مريض، انما يثبت على نحو مثير قيمة هذه الحقيقة القديمة". (ويبدو ان ديفيد قد برهن على صدق ذلك بالحصول على أعلى علامة في صفه في الامتحان النهائي في موضوع التشخيص البدني).

"فوق البشر" - في ٢٧ مايو (ايار) ١٩٧٦ تسلم ديفيد شهادة الدكتوراه في الطب. فأثبت في نظر نفسه انه لا يختلف عن اي شخص آخر.

على ان هناك من تحدى هذا الرأي. فقد بدأ عدد كبير من الاساتذة في جامعة تمبل يميلون الى الاتفاق مع الدكتور مارتن في ان "هارتمان ليس شخصا عاديا وانما هو سوبرمان".

وبعد مرور بضعة اسابيع على تخرجه احتفلت جمعية التسجيل للمكفوفين ذات مساء بمناسبتين مهمتين: مرور ٢٥ سنة على تأسيس الجمعية ووقوع حدث عظيم في تاريخها اذ اقتحم اشد رعاياها طموحا ميدان الطب. واشاد رئيس الجمعية جون و. كاسل (الثالث) بديفيد وهو يقدّم اليه جائزة مؤسس الجمعية لأن ديفيد "أظهر انتصار الروح البشرية". وختم اشادته بقوله: "اننا نشعر بهذا المثل الذي ضربه لنا ديفيد هارتمان بأن ايماننا بالامكانات غير المحدودة لجميع الناس قد تجدد".

واسفرت هذه الكلمات عن وقوف الجمهور تحية لديفيد الذي رد على الكلمة باختصار مستخدما كلمات بسيطة من ماضيه، موجهة الى جميع الذين يكافحون ضد العقبات في كل مكان: "لقد كان والدي على حق... لن تعرف ما تستطيع اذا لم تجرّب اولا".

لقد انهى الدكتور ديفيد هارتمان الان سنته الاولى في طب التأهيل في جامعة تمبل. وقد انتسب الى جامعة بنسلفانيا لمتابعة برنامج خاص يدوم ثلاث سنوات لدراسة الطب النفسي الذي سيؤهله للعمل في ميدان الطب النفسي. ويركز البرنامج على المشكلات العاطفية التي "تلم" بالمعاقين.

■ ألن رانكين

كانت سوزان وابنتها بيت وحدهما في المنزل المنعزل. وفجأة انطفأت الانوار وسمعتا صوت تحطم زجاج...واذا بمسلحين يقيدان الوالدة ويخطفان الابنة.

الليل الطويل

في عطلة نهاية الاسبوع التالية لعيد الشكر من عام ١٩٧٦، الذي صادف رابع يوم خميس من نوفمبر (تشرين الثاني)، كانت اليزابيت (بيت) فيرينغر، البالغة من العمر ٢٣ عاما، تزور والديها، سوزان ودون ماير، في منزلهما المنعزل بالقرب من كلية ولاية بنسلفانيا. وكان مايكل زوج بيت قد عاد في ساعة مبكرة، بسبب عمله، الى بروكفيل الواقعة على بعد ١٣٠ كيلومترا، ولذا لم يكن حاضرا عندما بدأت معضلة بيت القاسية مساء الاحد.

ولم يكن والدها ايضا في البيت. ذلك ان دون ماير كان قد نهض ذلك المساء، بعد عشاء عائلي لطيف، وقبل زوجته وابنته متمنيا لهما ليلة سعيدة، وتوجه الى "اوتوبورت"، وهو نزل ومطعم يملكه في البلدة. وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة كانت سوزان ماير تتكلم على الهاتف، وفجأة انقطع الخط وانطفأت الانوار.

واخذت المرأتان تتلمسان طريقهما نحو غرفة النوم الرئيسية بحثا عن قنديل الكاز (الكيروسين). وبينما هما في ذلك، سمعتا صوت تحطم زجاج ثم وقع اقدام. ومن فرط خوفهما، دفعت بيت وامها بكرسي وراء باب غرفة النوم. ولكن الباب ركل بفظاظة الى الداخل، ووقف في المدخل المحطم رجل مفتول العضلات وعلى وجهه قناع وحشي وفي يده مسدس. ولاح من ورائه في الظلام شبح رجل آخر مسلح ومقنع.

تحرك الرجلان بسرعة وارغما سوزان ماير على الانبطاح ارضا ووجهها الى اسفل، ثم قيدا يديها

وراء ظهرها بحبل من النايلون· وخاطباها محذرين وهما يقودان بيت بعيدا: "اياك ان تخابري الشرطة، والا فلن تشاهدي ابنتك حية مرة اخرى"·

واسدل الخاطفان كيس وسادة على رأس بيت، ثم دفعاها الى المقعد الخلفي لسيارة والدتها الاولدزموبيل وانطلقا بالسيارة·

وسرعان ما تمكنت سوزان ماير، بعد سماعها اصوات الخاطفين وهم يغادران من التملص من وثاقها· وقفزت الى داخل سيارة بيت واتجهت بسرعة جنونية الى منزل اقرب جيرانها الذي يبعد قرابة ثلاثة ارباع الكيلومتر· وفي الساعة الثانية عشرة والربع ابلغ ماير بان مكالمة هاتفية من زوجته تنتظره·

وصرخت سوزان بصوت متهدج يملأه البكاء: لقد اختطفت بيت· وقال الخطفان انهما سيقتلانها اذا اتصلت بالشرطة· ذهل ماير، واخذ يزرع المكان جيئة وذهابا وهو يقلب اوجه المسألة· ثم قررا ان هناك امرا يمكن عمله·

كان مفتش المباحث توم دولان، رئيس مكتب التحقيقات الفيديرالي القائم في منطقة كلية الولاية، نائما عندما رن جرس الهاتف بعد منتصف الليل بنصف ساعة· غير ان صوت صديقه دون ماير الشديد الهياج اطار النوم من عينيه· وفكر دولان: "يا الهي! لقد خطفت ابنة دون! كنت أحسب ان مثل هذه الامور لا تحدث الا للغرباء"·

مصيدة المباحث - وكانت الخطوة الاولى التي اتخذها رجل المباحث ان طلب من شركة الهاتف نصب مصيدة يمكن بواسطتها تقصي مصدر المكالمة خلال ثوان بالدماغ الالكتروني على هاتف ماير في نزل ومطعم "اوتوبورت"· ثم اطلع المقر الاقليمي لمكتب التحقيقات الفيديرالي في ولاية فيلادلفيا على المسألة· واصدر نيل ويلش، العميل الخاص المسؤول، امرا الى خمسين رجلا من افضل عملائه بالتوجه الى مسرح الحادث· وخلال ثلاثين دقيقة كان هو نفسه متوجها بالسيارة نحو منطقة كلية الولاية، على رغم الجليد والثلوج، علما بأن مسافة ٣١٥ كيلومترا كانت تفصله عنها·



المنزل المهجور الذي أحتجزت فيه بيت·

في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين رن جرس الهاتف في مكتب ماير· وتحدث رجل بصوت

مزيف قائلا: "افعل بالضبط ما اقوله لك، والا لن ترى ابنتك حية مرة اخرى".

وسأله ماير: "ماذا تريد؟"

واعلن المتحدث عن طلبه: "اريد ١٥٠ الف دولار".

ورجاه ماير: "دعني اتحدث الى بيت".

"مستحيل"، قال المتكلم على الطرف الاخر، وانهى المحادثة.

وقد تم تقصي المحادثة، فتبين ان مصدرها كشك هاتف يقع على مشارف البلدة. وذهب فريق مسلح لمراقبة الكشك، ولكن بدا ان الشخص الوحيد الذي استعمله كان رجل شرطة من المدينة لاجراء محادثة روتينية مع المقر التابع له. وفي تلك الاثناء كان العملاء الاخرون من مكتب التحقيقات الفيديرالي يتدفقون على كلية الولاية من مكاتب اخرى في بنسلفانيا.

اثر رحلة بدت كأنها لن تنتهي، توقفت سيارة الاولدزموبيل. واقتيدت بيت الى بناية قديمة متداعية وانزلت على بضع درجات. وطوق خصرها بسلسلة معدنية ثقيلة وربطت السلسلة بانبوب تدفئة فوقها ربطا محكما بحيث لم تستطع التحرك من غير الم. وكان بالقرب من قدميها بكرة ورق مرحاض وعلبة زبدة فستق ورغيف خبز متعفن ووعاء ماء.

وقال احد الرجلين: "اذا سارت الامور وفقا لما نريد، فسنعود هذه الليلة".

مراقبة جوية ـ وصل ويلس الى منطقة كلية الولاية في ساعة مبكرة من صباح الاثنين، وبدأ توزيع المهام على رجاله. فعين عملاء لمراقبة كل مفترق طريق رئيسي، ثم امر ايد كريزي، وهو طيار في مكتب التحقيقات الفيديرالي عمره ٣٣ سنة، بالتوجه الى مطار البلدة واستئجار



بيت فيرينغر.

طائرة ملائمة للمراقبة والتعقب. وحصل كريزي على طائرة ذات محرك واحد من طراز سيسنا - ١٥٠.

وجاءت المكالمة الثانية من الخاطفين في الساعة ٨،٤٠ صباحا. وقال صاحب الصوت المزيف لماير: "اكتب عندك: نريد ٢٥ الف دولار باوراق من فئة العشرة دولارات، و٥٠ الف دولار باوراق من فئة العشرين دولارا، و٢٥ الف دولار باوراق من فئة الخمسين دولارا، و٥٠ الف دولار باوراق من فئة المئة دولار. ضع النقود في حقيبة مكتبية، واحرص على ان تكون اوراقا نقدية مستعملة غير متسلسلة الارقام". وامر المتحدث دون بان يركب في سيارته جهاز راديو ذا موجة "سي. بي".

بعد ذلك بدقائق اتصلت شركة الهاتف مرة اخرى. لقد افلحت المصيدة في تقصي المكالمة الى هاتف عمومي في بناية "هيتزيل يونيون" في حرم كلية ولاية بنسلفانيا. وقد برهن الخاطفان عن ذكاء في اختيار تلك البناية، اذ انهما يستطيعان الدخول الى مركز

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسّمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»
أروج جهاز تنظيف في العالم.

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هــوفــر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



الطلاب هذا والخروج منه بسهولة ومن دون لفت الانتباه.

مع تسلل ضوء النهار عبر ظلمة القبو، تمكنت بيت من نزع كيس الوسادة عن رأسها، ورأت موقدا غير مستعمل ووعاء فحم فارغا جزئيا. وتمكنت ايضا من تعيين مصدر اصوات العدو السريع التي سمعتها طوال الليل، اذ رأت فئرانا صغيرة تعدو قرب قدميها. واصطكت اسنانها من شدة البرد، وشعرت بالم في قدميها. وتناهى الى سمعها خوار ابقار في مكان ما خارج البناية، ولكنها لم تسمع اصواتا انسانية.

وفي الساعة ١٢،٤٥ بعد الظهر سأل الصوت عبر الهاتف: "هل المبلغ جاهز لديك"؟ فاجاب دون ماير:

– لقد استغرق الحصول على راديو بموجة "سي بي" مدة طويلة. وفور انتهائنا من هذه المحادثة ساتوجه الى المصرف. دعني اتحدث الى بيت.

وجاءه الجواب: "كلا. ساتصل بك في الرابعة بعد الظهر".

وردت المصيدة تلك المكالمة الى هاتف عمومي آخر في بناية "هيتزيل يونيون". واقدم ويلش عندئذ على واحد من اخطر القرارات في القضية، اذ راهن على ان الخاطفين سيجريان محادثتهما التالية من بناية "هيتزيل يونيون" ايضا. ورسم خططه وفقا لذلك.

وبينما توجه ماير بالسيارة الى مصرف "بيبولز ناشونال" ليرهن منزله وتجارته مقابل الحصول على قرض بمبلغ ١٥٠ الف دولار، اختار ويلش عشرة اشخاص من عملائه يمكن ان يحسبهم المرء طلابا او مدرسين شبانا. وعين العميل الخاص ديف ريشتر مسؤولا عنهم. وقد بدا هذا – بطوله وشقرة لونه – اصغر من سنه الحقيقية (٣٣ سنة) بعشر سنوات.

"لقد عرفت الرجل" – وسار رجال مكتب التحقيق الفيديرالي فرادي وازواجا سيرا عفويا الى بناية "هيتزيل يونيون" حيث توجد ثمانية اكشاك هاتف عمومية قرب المدخل الامامي. وارسل ريشتر عملاء الى الاكشاك الاول والثالث والسادس والسابع. وذلك ليكون احد العملاء في الكشك التالي لاي كشك يمكن ان يختاره الخاطف.

وبعيد الساعة الرابعة بعد الظهر دخل رجل مكتنز بخطى سريعة الى بناية "هيتزيل يونيون" واتجه مباشرة الى كشك الهاتف الخالي المجاور للكشك الذي كان فيه ريشتر. وتظاهر العميل بانه يجري محادثة هاتفية وقفز قلبه.

كان الرجل الواقف في الشكك المجاور يتحدث بصوت مزيف:

– اذهب الى مرآب السيارات المجاور لمطعم "بولد ايغل" في مايلزبيرغ. (مايلزبيرغ هذه تقع على بعد ٢١ كيلومترا من منطقة كلية الولاية). اشعل ضوء السيارة الذي فوق رأسك وافتح راديو "سي بي" على القناة ٧.

واتصل ريشتر فورا، وبانفعال شديد، بمكتب قيادة العملية، وقال: "لقد عرفت الرجل. انه يتحدث الى دون ماير الآن. وسارصد تحركاته".

وبعدما انهى الرجل مكالمته، سار بتؤدة وعفوية الى سيارة بونتياك قديمة الطراز، بنية اللون، متوقفة في مرآب بناية "هيتزيل يونيون". وعن طريق المصادفة المحضة كانت مصطفة بجوار سيارة ريشتر مباشرة!

كانت سيارة البونتياك مسجلة باسم محل لبيع الدراجات الهوائية



في منطقة كلية الولاية. وقال ارنست نيل، احد رجال مكتب التحقيقات الفيديرالي المحليين، وكأنما اكتشف امرا مهما: "مهلا. هذا المحل يخص غاري يونغ". ولم يكن غاري يونغ، صاحب محل بيع الدراجات الهوائية البالغ ٣٣ سنة من العمر، واخوه كنت البالغ ٢٣ سنة والذي يعمل لحسابه في المحل، مجهولين لدى الشرطة. فهما كانا في انتظار صدور حكم عليهما لما اتهما به اخيرا من اعتدائهما اعتداء خطرا على احد الاشخاص.

وكان اسلم السبل امام ويلش اعتقال غاري يونغ املا في حمله على الاعتراف. لكن حياة بيت فيرينغر كانت في خطر. وقرر ويلش المضي قدما في دفع الفدية آملا في ان يقودهم غاري الى اسيرته.

اخذ ضوء النهار يخبو، ولا بد من ان يكون موعد عودة الخاطفين اقترب. وفجأة سمعت بيت صوت تحطم عالي الضوضاء. وقالت لنفسها: "لقد عادا". غير ان مصدر تلك الضوضاء كان الرياح التي عصفت بالواح خشبية تغطي نافذة مكسورة. وانخفضت درجة الحرارة الداخلية وتخدر جسم بيت من شدة البرد، لكنها رفضت ان تفقد الامل.

وقاد دون ماير سيارته الى مايلزبيرغ ووضعها في مرآب "بولد ايغل"، مشعلا الضوء الداخلي فيها. وفجأة سمع صوتا عبر جهاز "السي بي": "ضوء القبة الداخلي - هل تسمعني؟" واجاب دون بالايجاب. ثم تلقى امرا بالتوجه الى منطقة حافلة بالحوانيت والمحلات التجارية. وبينما كان يقود سيارته اطفأ الضوء الداخلي، فانبعث صوت من جهاز الراديو يصرخ فيه: "اشعل ذلك الضوء مرة اخرى". وادرك دون بفزع ان سيارة الخاطفين تسير وراءه مباشرة. فالضوء الداخلي سيحرمه رؤية وجه اي شخص في السيارة الاخرى.

وما ان دخل دون منطقة المتاجر حتى سمع امرا عبر جهاز الراديو: "عد نحو منطقة كلية الولاية". ثم

توالت الاوامر سريعة كطلقات مدفع رشاش: "در الى اليمين. اتجه الى اليسار. سر نحو طريق المطار". وكان الخاطفان يغيران اتجاه السير محاولين التملص من اي اشخاص يطاردونهما. غير انهما لم يفلحا، اذ ظل فريق المراقبة، المكون من ست سيارات مدنية لا تحمل علامات خاصة بالشرطة، يتناوب عملية الملاحقة.

"اترك الحقيبة" - وانعطف ماير، وفقا للتعليمات، الى طريق ضيقة عبر الاحراج، وانتهت المسافة المعبدة من تلك الطريق، وبدأ السير على طريق ترابية افضت الى حقل ذرة مهجور مغطى بالثلج. ولم يظهر اي اثر لسيارة الخاطفين، لكن الصوت جاء عبر جهاز الراديو: "اترك حقيبة النقود".

ففتح ماير الباب ووضع الحقيبة في وسط الطريق، ثم كر عائدا نحو منطقة كلية الولاية.

ان اخطر وقت في اي عملية اختطاف هو ذاك الذي يتلو وضع الفدية في المكان المطلوب. ذلك انه يمكن، اذا شك الخاطفون في اقتراب الشرطة منهم، ان يتخلوا عن المغنم ويقتلوا الشخص المخطوف. وغامر ويلش مرة اخرى اذ استدعى فريق المراقبة والتتبع واوكل الى ايد كريزي مهمة متابعة السيارة من اعلى بالطائرة.

في تلك الاثناء صدر الامر الى العميلين جوزيف ماكيلان واوستن هاملتون، اللذين كانا على بعد ٦٠٠ متر فقط من مسرح الاحداث، بان يتجها عبر طريق مختصرة في الاحراج الى نقطة يتسطيعان منها مشاهدة التقاط الخاطفين للفدية. ذلك ان شهادة العيان التي سيقدمانها ستكون مهمة في اي ادعاء قانوني ضد الخاطفين. وانقضت قرابة نصف ساعة قبل ان تتوقف سيارة البونتياك قرب حقيبة النقود. ومد غاري يونغ يده والتقط الحقيبة، ثم انطلق.

في السادسة والنصف مساء عاد دون ماير الى نزل ومطعم "اوتوبورت". وفجأة بدا له ان كل شيء اخذ ينهار. فقد اتصل به غاري يونغ ساخطا وغاضبا بعدما اكتشف امر الطائرة: "لقد نسفت اتفاقنا. لقد ارسلت طائرة لمراقبتنا".

وصرخ ماير: "بحق السماء، عم تتحدث؟ ليس هناك اي طائرة. لقد اخذت النقود، فارجوك ان تقول لي اين بيت".

وانحسرت نبرة غاري الغاضبة وقال: "ساتصل بك خلال ساعة".

غير ان الخاطفين لم يتصلا خلال ساعة ولا خلال ساعتين. وتضرع ماير: "يا الهي، ارجوك.. دعهما يتصلان بي".

وعاد الاخوان الشابان بسيارتهما الى محل الدراجات الهوائية. ولبثا هناك برهة قصيرة، ثم انطلقا مرة اخرى بالسيارة. وبحلول التاسعة مساء كانت طائرة مكتب التحقيقات الفيديرالي قد صرفت اربع ساعات في الجو. وفي التاسعة والربع هبطت على ارض المطار ولم يكن في خزان وقودها سوى ٧٥٠ سنتيمترا مكعبا من البنزين.

وقبل هبوط الطائرة، ارسل كريزي اشارة الى فريق سيارات المراقبة والمتابعة لاشعال اضواء طائرته، واطفائها بضع مرات. لكن غاري يونغ لاحظ لمعان الاضواء. ولشدة ذعره اتصل بالمطار هاتفيا. ومن حسن الحظ والمصادفة، كان كريزي

هو الذي رد على الهاتف. وعندما طلب يونغ ان يعرف ما اذا كان ثمة رجال شرطة يحلقون في طائرة، اجابه كريزي: "ابدا... ليس هناك سوى طيار متدرب برفقة مدربه".

والح يونغ في سؤاله: "لكن هذه الطائرة ظلت تشعل انوارها وتطفئها". ورد عليه كريزي بهدوء: "ربما كان الطيار المتدرب لمس ازرار الضوء خطأ في الظلام. هذا امر يحصل دائما".

وصدق يونغ ما قيل له. وفي العاشرة مساء اتصل هاتفيا بنزل ومطعم "اوتوبورت" وابلغ دون بمكان وجود بيت، وقال له: "خذ معك منشارا حادا".

نهاية سعيدة — وبينما اصدر ويلش امرا الى فريق المراقبة والمتابعة بالانقضاض على الخاطفين، "ولكن من دون اعتقالهما"، كان والدا بيت وزوجها مايك ووالده يتجهون بسرعة بالغة لتحريرها من الاسر. وسارت قافلة سيارات مكتب التحقيقات الفيديرالي وراءهم بسرعة كبيرة. وتوقفت السيارات كلها وقفة مفاجئة قرب منزل مهجور على بعد ٣٧ كيلومترا من منطقة كلية الولاية.

وعمد ارنست نيل بمساعدة رجل شرطة من الولاية الى كسر باب القبو، ووجدا بيت ترتعش على الارضية الترابية. وكان الماء الذي تركه الخاطفان لها متجمدا يابسا، والحرارة تقرب من ١٧ درجة مئوية تحت الصفر. وعبر ويلش عن تقديره انها كانت ستتجمد حتى الموت لو بقيت هناك بضع ساعات اخرى.

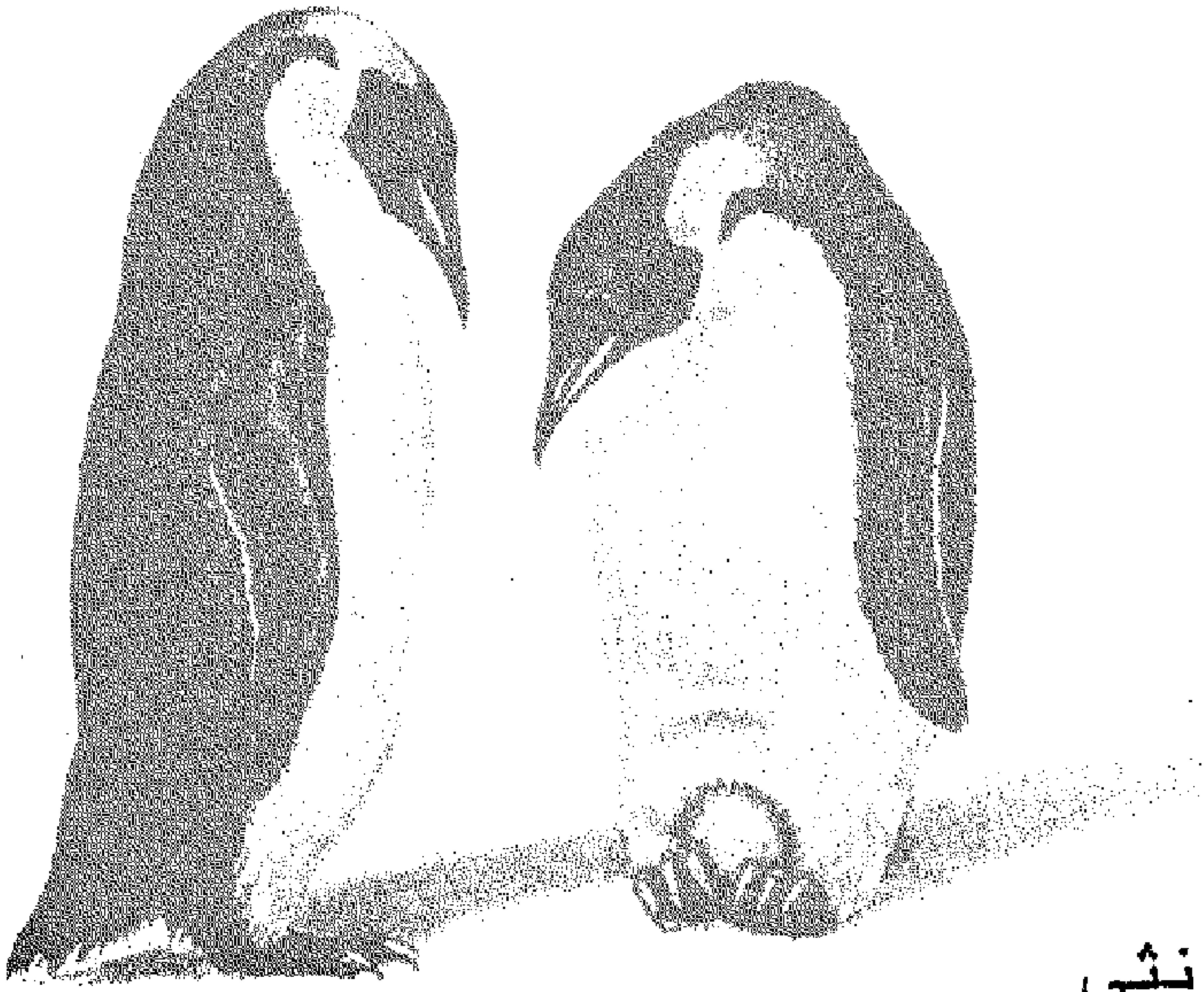
عانقت بيت زوجها مايك ودموعها تنهمر على وجهها، ثم عانقها ابوها ووالد زوجها. وكانت والدة بيت تنتظر خارجا في البرد وهي في غاية القلق والترقب. فقد رفض ويلش السماح لها بالدخول لانه لم يكن يعرف ماذا سيجدون في الداخل.

ونشر احد عملاء مكتب التحقيقات الفيديرالي السلسلة الحديدية التي قيدت بيت بها. وكانت ساقاها مخدرتين لا احساس فيهما، وكانت تمشي بصعوبة فائقة. وادخلها دون ومايك بسرعة الى السيارة الدافئة. وما هو الا وقت قصير حتى عادت بيت بامان الى منزل والديها، وانتهت تلك المحنة القاسية.

كان غاري يونغ يقود سيارته بمفرده عندما ارغمه عملاء مكتب التحقيقات الفيديرالي على الخروج عن جادة الطريق، وشهروا مسدساتهم واعتقلوه. وفاجأ خمسة عملاء آخرين كنت في شقته وقبضوا عليه في غرفة نومه. وفي صباح اليوم التالي عثر رجال مكتب التحقيقات الفيديرالي على مبلغ الفدية في كيس غسيل قماشي تحت مادة عازلة سمكها ١٥ سنتيمترا في المخزن العلوي في منزل غاري يونغ.

ولشد ما كان اسف مكتب التحقيقات لعدم امكان اقامة دعوى على الخاطفين بمقتضى القانون الفيديرالي الذي ينص على السجن مدى الحياة، نظرا الى ان ايا من الاخوين لم يجتز حدود الولاية خلال ارتكاب الجريمة. وحكم على الاخوين يونغ كليهما بالسجن في مؤسسة ولاية بنسلفانيا الاصلاحية. فتلقى غاري حكما بالسجن مدة تراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة، بينما حكم على كنت بالسجن مدة تراوح بين ثماني سنوات وعشرين سنة.

■ **دونالد روبنسون**



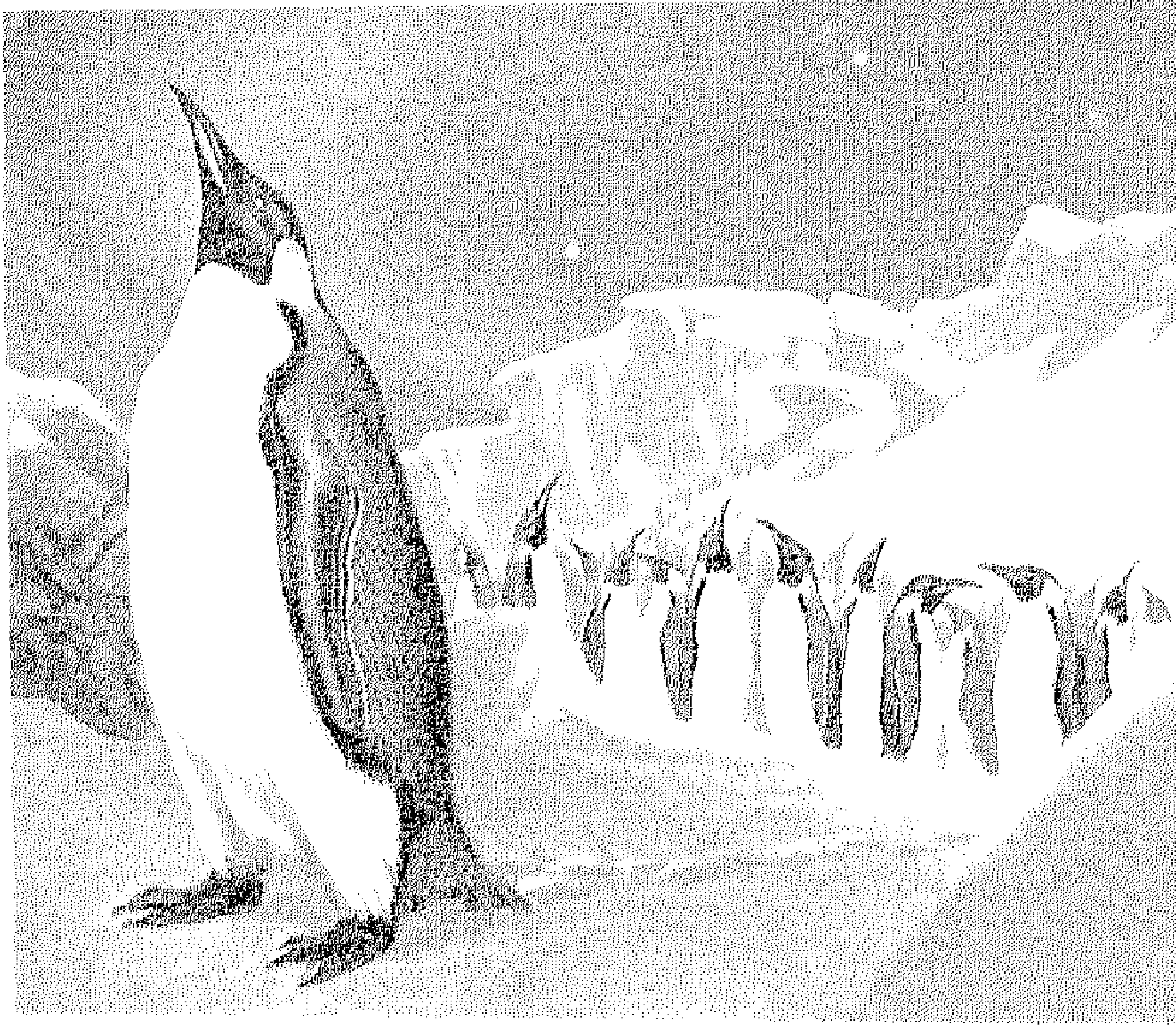
هل تعرف هذه الحقيقة
عن طائر البطريق: ان الانثى
تضع البيضة، لكن الذكر يحتضنها ؟
هنا قصة احد أغرب مخلوقات الارض.

بيضة الأمبراطور

وقف طائر البطريق، الامبراطور الكبير، على طوف جليدي مواجها شمس منتصف الليل الحمراء وهي تغرق في افق القطب الجنوبي. وانحدرت شمس يناير (كانون الثاني) ولامست الجليد بضوئها الاصفر. وخلال ثلاثين دقيقة كانت قد صعدت ثانية، ناصعة البياض هذه المرة. ووازن الامبراطور جسمه، الذي يبلغ طوله مترا، على قدميه المبرثنتين القويتين وغطس.

وحين اصبح تحت الماء تحول الى شبه سمكة وغاص في اعماق البحر.

والبطريق اسرع من الاسماك، وكثيرا ما يستمر في الصيد تحت الماء لمدة عشرين دقيقة. اما الانسان فيموت خلال ثوان معدودة في هذه المياه القارسة البرودة. لكن البطريق معزول حراريا بطبقة هوائية محصورة تحت ريشه الزيتي المرصوص. وفي الظلام الدامس، على عمق يزيد على ٣٠٠ متر، احس الطائر الكبير بذبذبات مخلوقات اخرى تتحرك في العتمة. وفجأة انطلق وسط مجموعة



الزائد وتبقي نفسها على قيد الحياة لمدة اسابيع، او حتى اشهر، من دون ان تأكل شيئا٠ وهي، اذا ما احتشدت وتراصت ليدفىء بعضها بعضًا مستخدمة ريشها الكثيف، امكنها ان تصمد امام الاعاصير، وهو انجاز لا تقوى عليه الا مخلوقات قليلة في هذا العالم٠

من اسماك البحار واعمل منقاره الحاد في اجسادها٠ ثم اتجه نحو السطح٠

وومض الماء عندما رفع نفسه مترا في الهواء ثم هوى جاعلا بطنه الى اسفل، على الجليد٠ وتركت الماء معه مئات من الاباطرة الاخرى، ووقفت منتصبة كأنما هي حشد من خدام المقاهي المرتدين قمصانا ناصعة البياض ومعاطف سوداء طويلة٠ وكان الامبراطور الكبير، بوزنه البالغ ٤٥ كيلوغراما، اكبر طائر بينها جميعا٠

طائر لا يطير ــ هنا كان واحد من اغرب مخلوقات الارض: طائر لا يطير، انما يعيش في اصقاع القطب الجنوبي النائية، ويستطيع ان يقطع آلاف الكيلومترات في البحر المفتوح خلال رحلات صيده٠ وهو مخلوق لا يخشى اعتى الرياح ولا اشد الاجواء بردا٠ وقد تطورت لدى جنسه قدرات فائقة لرد غوائل الشتاء٠ ففي امكان هذه الطيور ان تستهلك من دهنها

ها قد غطس الامبراطور الكبير مرة اخرى٠ وتناهت الى اسماعه اصوات الصفير والنخير والزفير الصادرة عن حيتان وفقمات تصطاد في المياه نفسها٠ لقد كانت حياته مرتبطة بحياة مخلوقات اخرى لا تحصى في هذا العالم الجليدي البارد المعادي٠ فالاسماك الصغيرة، التي لا يتجاوز طول الواحدة منها سنتيمترا ونصف سنتيمتر، تلتهم نبات الدياتوم البحري المجهري٠ لكن هذه الاسماك لا تلبث ان تصبح طعاما لملايين المخلوقات المفترسة، من حيتان وفقمات وطيور بحرية واسماك حبار وغيرها٠ لقد كان شهرا يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط، وهما شهرا الصيف في تلك المنطقة، افضل وقت صيد بالنسبة الى الامبراطور٠ واستمر يتغذى بنهم على سمك الحبار والاسماك الصغيرة، وازداد سمنة٠

وفي نهاية فبراير (شباط) ومع اقبال الخريف واشتداد العواصف

القوية التي اجتاحت البحر والجليد، كف الامبراطور عن الطعام وبدأ يمشي جنوبا، متقدما آلافا من رفقائه. لقد بدأ موسم الهجرة الى منطقة التناسل المعهودة. ففي ذلك الوقت من كل عام، تقود الغريزة تلك الطيور الى منخفض جليدي بالقرب من الشاطىء القاري.

لقد قام بهذه الرحلة ست مرات خلال اعوامه الثمانية. وفي احدى السنوات كان موضع التوالد يبعد كيلومترا ونصف كيلومتر عن المياه المفتوحة. وفي سنة اخرى مشى مسافة اربعين كيلومترا على الجليد ليبلغ تلك البقعة. وهذه السنة تكسر الجليد في اوائل فبراير (شباط)، ثم تجمد من جديد في هيئة كتل ضخمة مشرئبة شكلت سلسلة من الحواجز. ووقف عند كتلة جليد ضخمة، فتعثرت الطيور وراءه احدها بالاخر، وتدافعت زاعقة بغضب الى ان توقفت كلها عن الحركة.

الزوج المخلص – واثر تأخير لمدة نصف يوم، تسلق الامبراطور الكبير آخر حاجز متعرج واسرع متزحلقا على بطنه عبر الجليد المنبسط، دافعا نفسه الى الامام بضربات من ساقيه القويتين. وخلال ساعة واحدة، بلغ موضع التوالد. وهناك نادى مرارا وتكرارا، مصدرا صرخات مدوية كصوت النفير استدعاء لشريكته في السنة الماضية. وهو سيعرفها عن طريق غنائها. وكانت بضع اناث تغني امامه كل يوم، ويقاتل بعضها بعضا من اجل انتباهه. لكنه تجاهلهن جميعا وظل ينتظر ويتمشى بين جوقة البطاريق المغنية الودودة. وهبطت درجة الحرارة منذرة بان الشمس لن تعلو كثيرا فوق الافق الشمالي، وان النهار الشاحب سيدوم سبع ساعات ويمتد الليل ١٧ ساعة. واخذت رقعة التجمد في البحر تتسع الى ان اصبحت المياه المفتوحة على بعد ٦٥ كيلومترا الى الشمال.

وفي امسية اشتدت ريحها، عثر الامبراطور الكبير على انثى وحيدة واقفة في ملاذ كتلة من الجليد. فغنى، ثم غنت هي. وانحنى ونفخ رقبته، وغنى مرة اخرى. ووقف هو وشريكته القديمة متلاصقي الصدرين. وتناهى الى سمعهما هدير جبل جليدي متداع.

في تلك الليلة انحدرت الحرارة الى اربعين درجة تحت الصفر. وارتصت البطاريق في كتلة طويلة بيضوية، وكان الامبراطور الكبير وشريكته بينها. وظلت الريح تعصف طوال الليل، لكن الطيور كانت دافئة بعضها مع بعض.

استمرت صحبة البطاريق وتزاوجها خلال ابريل (نيسان) ومطلع مايو (ايار) عبر اسوأ عواصف بداية الشتاء. وران الصمت على المستوطنة وازداد النهار قصرا. وبحلول منتصف مايو (ايار) ظهرت حافة الشمس الملتهبة فوق الافق لدقائق معدودة، وطالت الليالي ٢٣ ساعة. وفي احد الايام قبيل الفجر، وضعت الانثى بيضتها. وانضم الامبراطور الكبير اليها في غناء ثنائي مليء بالفرح، فيما راحت ازواج اخرى تغني حولهما احتفالا بالبيض الموضوع حديثا.

غير ان النصر الذي حققه ظهور البيضة كان نهاية موقتة لعلاقة الامبراطور الكبير وشريكته. فبعد وضع البيضة بوقت قصير، انحنت

وكشفتها له بسحبها جلد حضانتها الفضفاض. وغنى الامبراطور ثم انحنى لامسا البيضة بمنقاره، وخطت شريكته الى الوراء فيما ظلت البيضة مكشوفة على الجليد.

وتحرك الامبراطور وجر البيضة بمنقاره الى الوراء بحيث استقرت على قدمه المسطحة المكففة. وثنى مخالبه القوية تحت قدميه فارتفعت البيضة عن الجليد، ثم اغلق كيس حضانته. وغنت الانثى وانحنت، واتجهت بعيدا حيث انضمت الى اناث اخريات متجهات شمالا نحو المياه المفتوحة.

وخلال الشهر التالي قاسى الامبراطور الكبير، الذي كان يحرس البيضة، اسوأ احوال الشتاء القطبي. وفقد بعض ذكور البطاريق القدرة على الصمود، حتى اذا عصفت به رياح الشتاء اماتته ودحرجته على الجليد. وهجرت ذكور اخرى بيضها وسط الظلام المهيمن، واتجهت شمالا نحو المحيط. وكثيرا ما صادر البيض المهمل ذكور عازبون.

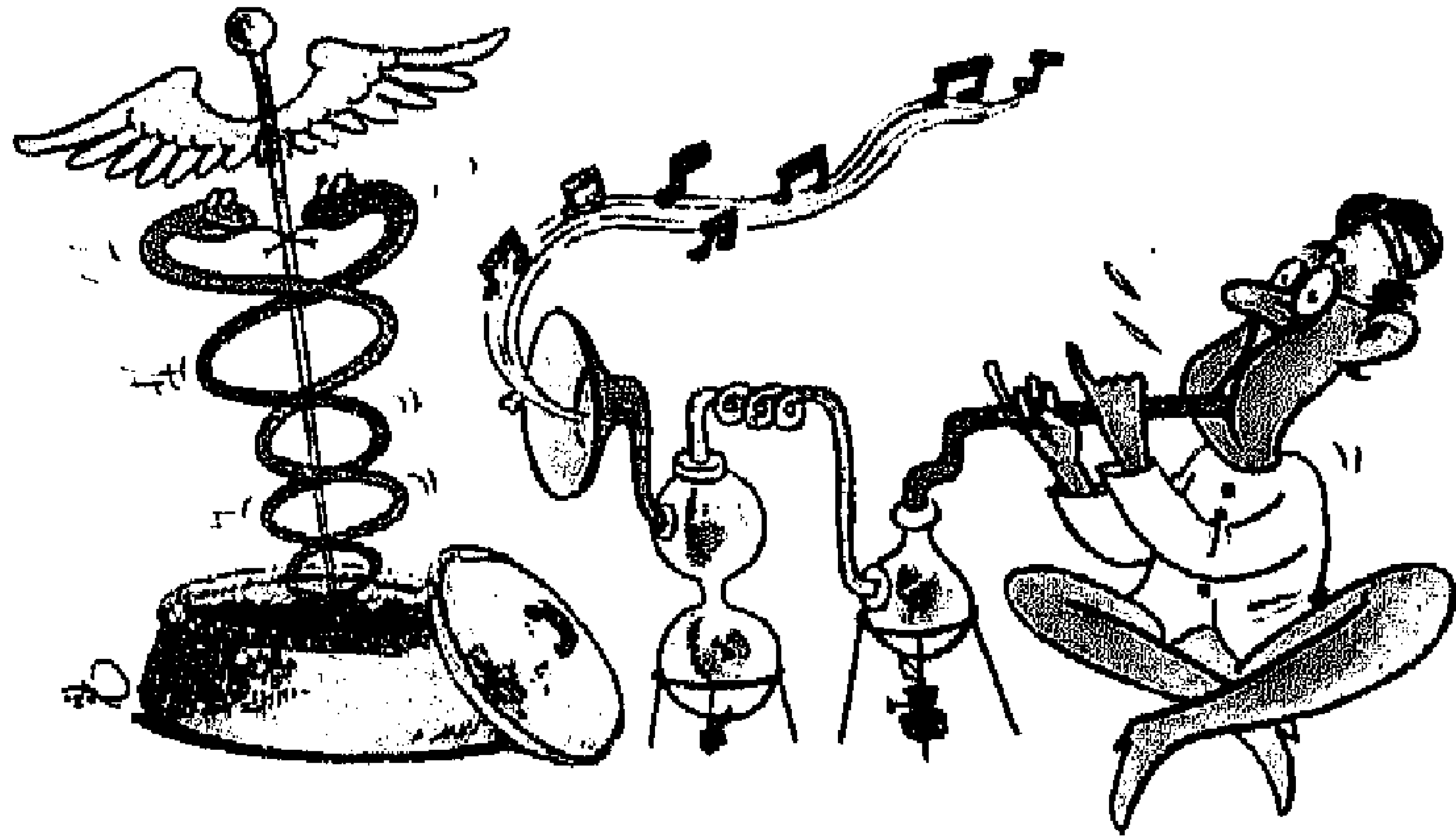
تحت بطن ابيه ـ ثم كان في احد الايام ان ظهرت الشمس قليلا فوق الجليد، لامست الافق الشمالي برهة قصيرة والقت بعضا من دفئها الخافت على منطقة التناسل. عندئذ بدأت الفراخ تخرج من البيض وتصرخ جوعا، ولكن من دون جدوى. فالاناث التي تحمل الطعام كانت لما تزل تكافح في ذلك الاتجاه عبر اكثر من ١١٠ كيلومترات من الجليد.

وفي منتصف يوليو (تموز) احس الامبراطور الكبير بحركة في بيضته. فانحنى وفتح كيس حضانته، وكشف عن بيضة مشروخة اخذت تهتز بعنف. واغلق الكيس، واحتكت البيضة بالجلد العاري في الداخل. وعند فجر اليوم التالي كسرت البيضة، وصرخ المخلوق الصغير وقفز من تحت بطن الامبراطور. وانحنى الامبراطور وغذى الفرخ بمقدار ضئيل من افراز حليبي كان آخر مدخراته خلال اشهر الصيد السابقة. وكان بقاء الفرخ على قيد الحياة يعتمد على الدفء وكمية الطعام القليلة من ابيه وبقية مح في معدته هو. وسوى الامبراطور ريش الفرخ ودفعه الى كيس حضانته. وما عليه الان الا ان ينتظر ويجوع نفسه الى ان تأتيه شريكته بالغوث.

وبدأت الاناث تظهر في نهاية عاصفة ثلجية بعد اسبوع. ومشت سمينة انيقة الى الامام بينما عمت قوقأة هادرة انحاء موضع التكاثر. ودفعت البطاريق نفسها في مزالق منحدرة عبر الثلوج. وسمع الامبراطور الكبير، الذي كان يحتضن فرخه منذ ٦٥ يوما والذي فقد اكثر من ١٨ كيلوغراما من وزنه، اغنية مألوفة آخر الامر. ورد على الغناء واجابت شريكته.

لكنه لم يستطع التخلي عن الفرخ بسهولة، حتى لشريكته. وفي اليوم الثاني هاجمته بضربات قوية من منقارها. وصرخ الفرخ، وسقط من كيس الحضانة متدحرجا على الجليد. فتسابق الاثنان عليه، ثم حاول ذكر اعزب سرقته. ولما انتهت حالة الاضطراب اخذت الانثى الفرخ في كيسها. وغذته بسمك حبار نصف ممضوغ. وتردد الامبراطور لمدة ٢٤ ساعة، ثم غادر الموضع متجها الى البحر.

■ فرانكلين رصل



علاج مثير
يشفي الوهن العضلي

يتسم مرض "ماياسثينيا غرافيس" بالوهن التدريجي للعضلات الارادية الذي يؤدي بالمريض في النهاية الى حال العجز عن التنفس بانتظام، بل انه قد يصبح عرضة للموت بداء ذات الرئة على رغم الاستعانة بجهاز تنفس اصطناعي. ففي حال الاصحاء هناك مادة تدعى "اسيتيل كولين" وظيفتها تحفيز اجهزة الاستقبال في خلايا العضلات مما يؤدي الى تقلص الاخيرة. ويبدو ان ضحايا هذا المرض يفتقدون العدد الكافي من اجهزة الاستقبال هذه مما يعوقها عن الاستجابة المناسبة لتأثير المادة الكيميائية. وربما كان سبب ذلك ان النظام المسؤول عن توفير المناعة في الجسم انتج كميات غير عادية من الاجسام التي تهاجم اجهزة الاستقبال. ولما كانت اشكال العلاج المتبعة، بما فيها العقاقير، تعجز احيانا عن انقاذ المريض فقد قرر الدكتور بيتر داو الذي يعمل في مستشفى سان فرنسيسكو للاطفال تجربة "البلاسما فيريسيس" وهو الاسلوب التقليدي المتبع في بنوك الدم لتصفية مصل الدم، وكانت النتائج مثيرة.

يضع داو انبوبة تفريغ في وريد ذراع المريض فيتدفق الدم نحو جهاز نابذ يعزل خلايا الدم عن المصل (البلاسما) الذي يحتوي على الاجسام المضادة غير المرغوب فيها، ومن ثم تمزج خلايا الدم ببلاسما بديلة ليعاد ضخها الى جسم المريض. ويحتاج معظم المرضى الى قرابة عشر جلسات معالجة تستغرق كل منها بين ثلاث وخمس ساعات.

وقد طرأ تحسن كبير على حال معظم المرضى الخمسة والعشرين الذين عالجهم داو، وكان اثنا عشر منهم يستعينون بجهاز تنفس اصطناعي ولا تظهر اي دلائل على وجود المرض الآن بين ثلاثة ممن كانوا في حال أشد خطرا من حال الآخرين، وهم استعادوا الآن انشطتهم العادية. كما ان احد عشر مريضا من بين اثني عشر كانوا يعتمدون على جهاز تنفس اصطناعي يستطيعون التنفس من دونه. ويقول الدكتور آلان بيسترونك من جامعة جونز هوبكنز، وهو اختصاصي آخر يتبع هذه الطريقة التجريبية، ان تحسنا يطرأ على صحة معظم المرضى بعد اسبوع او اسبوعين فقط، كما ان كثيرين سيستغنون عن جهاز التنفس الاصطناعي قبل ان يستغني عنه المرضى الذين يعالجون بواسطة العقاقير باشهر.

م. كلارك ("نيوزويك")

بدأ الامر كحلم مستحيل، ومع هذا فقد ظلت الفتاة الصغيرة تتوق الى تحقيقه

الحلم الذي تحقق

لكل انسان حلم يساوره في حداثة سنه ويتوق الى تحقيقه، كأنما هذا الحلم ضرب من الولاء للمستقبل المنشود ونوع من الايمان بامكانات الحياة وينبغي لهذا الحلم ان يكون حلما ذا شأن، حلما تخاله مستحيل التحقيق، كأن تصبح مثلا نجما متألقا في معهدك الدراسي او ان تستأثر بمفردك على "كعكة" عيد ميلادك لتأكلها برمتها. اما انا فقد كان حلمي ان امتطي فيلا ذات يوم.

وقد حدث ابان الازمة الاقتصادية الشهيرة في مستهل الثلاثينات أن قدمت الى مدينتنا الصغيرة بعض مجموعات "السيرك" في شتى المناسبات من دون ان تكون مصحوبة بفيل في معظم الاحيان. وكانت ضواحي المدينة خالية من حديقة للحيوانات. فكان، والحال هذه، مجرد رؤية الفيل فرصة نادرة، واما ركوبه فكان امرا مستحيلا، لا يتصوره العقل.

ولكنني كنت شغوفة بالافيال. فكانت تبدو لي انها اضخم المخلوقات والطفها، وكانت في نظري بمثابة رسالة من الطبيعة تؤكد ان افضل الاشياء لا تأتي دوما بحجم صغير. ولكم كان يعوزني الايمان

بهذه الرسالة، انا التي كان ينطبق علي" كل شيء ما عدا قصر القامة. واصبحت رغبتي في اعتلاء ظهر الفيل فكرة اخاذة ساحرة، لاعتقادي بأنني سوف اري جمال العالم يشرق من فوق هذا المجثم الشامخ، فازهو جمالا بدوري ولا ريب.

لقد كانت لدي حاجة وانا في التاسعة من عمري الى الايمان بشيء، كركوب الفيل. فلم يمض زمن طويل على وفاة امي، وكان ابي قد انتقل الى مدينة اخرى سعيا وراء الرزق، فاقمت مع جدتي وكنت احبها وتحسن هي معاملتي، ولكن العالم كان يبدو غريبا في نظري. وكثيرا ما يحملني بصري الى قافلة الفيلة العاجية الصغرى على رف المستوقد في غرفة الجلوس، فابدأ افكر في فيلة حقيقية، ولو انني اعلم انها بعيدة ابداً عن متناولي.

وكانت هذه الفكرة تراودني في تلك الامسية الخريفية، حين رأيت ملصقات السيرك وانا في طريق عودتي من المدرسة الى البيت. وكنا دوما نذهب الى السيرك انا وامي وابي، عندما يأتي الى المدينة. اما ذلك العام فلم اكن واثقة من الامر. لم يدر في تصوري ان في استطاعة جدتي ان تجلس الى جانبي تحت الخيمة الضخمة التي ابلتها الاسفار. فوقفت في ضوء العصر انظر الى وجوه المهرجين المطلية بالاحمر والازرق، والى فتيات السيرك بثياب راقصات الباليه القصيرة، والى الفيل رافعا خرطومه.

الخيمة السحرية - كان من المتوقع حسبما كان مقرراً في سياق البرنامج ان يقدم السيرك حفلتين يوم السبت. وفي ذلك اليوم، جلست في الارجوحة المتدلية من شجرة الجوز ورحت اقرأ كتابا واحاول عدم التفكير في نشارة الخشب المنثورة على ارضية الحلبة، او في الفيل، او في زمن تولى حيث كان ابي وامي يصحبانني معهما الى الخيمة السحرية.

وفي الساعة الخامسة وقفت سيارة والدي عند باب البيت، فقال وانا اركض لاستقباله: "مرحى يا حبيبتي! سمعت ان في المدينة سيركا وتصورت ان في امكاني اقناعك بحضور حفلته".

وكان قد استأذن للتغيب بعد ظهر ذاك اليوم من عمله، وقطع مسافة ١٠٠ كيلومتر في السيارة ليزورني، ولكني كنت اجهل هذا حينذاك.

لم تكن الخيمة التي أقامها السيرك في جوار المدينة ملأى الا بنصف مقاعدها. وقد تجمع المتفرجون، بسبب الريح الملحاح الباردة، في الوسط على المقاعد المدرجة العارية وايديهم في جيوبهم، لكن احدا منا لم يبال بالامر. وقد تضمن البرنامج العاب المهرجين، ثم فارسا على جواد بغير صهوة، وتليه ارجوحة البهلوان.

وكانت هناك مجموعات من الكلاب والخيول، ومشعوذ يتلاعب بكرات زاهية الالوان. فها نحن نعيش، لبرهة وجيزة، في ليلة قاتمة، وفي مدينة مظلمة، وفي زمن عبوس - اعجوبة الانسان البارع الطليق الحركات، اللولبي الخاطف السرعة، المتألق في أوج المهارة. ولقد كان المهر"ج موضع ثقتنا وتقديرنا وابهاجنا والترويح عن انفسنا. ولم

تلبث الفيلة ان برزت وسط الحلبة ·

وكانت الفيلة متقدمة في السن، مهرها الزمن بمجموعة ضخمة من الاخاديد والتجاعيد التي وسمتها بحلة الجمال والرهبة في آن، فتقدمت وتوقفت ثم تراجعت تتقبل التصفيق والاطراء منا كأنه دين مستحق لها او مظهر ألفته من مظاهر الحياة ·

وتمنيت في اعماق نفسي لو يتسنى لي ركوبها · وهمست: "حبذا لو تحقق لي ذلك ذات يوم" ·

فسألني والدي: "ماذا تقولين؟" فاجبته: "لا شيء · فما اكبرها وما اجملها" ·

اركبوا سوزي — ثم اعلن مدير الحلبة: "اقدم اليكم الان سوزي، وهي تحب الناس" · وتوقف برهة مثقلة بالاحتمالات · ثم قال: "نحن نعلم ان هناك بين الحضور اناسا كم تمنوا في حياتهم ان يمتطوا الفيل · · · "

فحبست انفاسي ·

ثم اردف الصوت: "اذا كان ثمة صبي يشاء ركوب الفيل، فليتقدم الى هنا" · فتدافع اربعة صبيان على المدرج بسرعة صاخبة، وشد المروض اذن الفيلة فركعت فيما اخذ مدير الحلبة يساعدهم على اعتلاء ظهرها ·

واحسست بالدمع في عيني، غير انني صررت اسناني · وقلت في قرارة نفسي ان الفرصة مقصورة بالطبع على الصبيان، فانهم يتاح لهم دائما ان يفعلوا كل شيء · ودارت بهم سوزي حول الحلبة وهم يتطايرون ضحكا متشبثين بها · وتتبعت المشهد، يمتلكني الاذعان بان "ما كل ما يتمنى المرء يدركه" ·

ثم انطلق صوت مدير الحلبة مرة ثانية، لكنني لم استمع اليه ·

فقال والدي: "لقد اتت الان فرصتك!"

- ماذا؟

"انه يدعو الفتيات اللواتي يشأن ركوب الفيلة · وهذا يعنيك ولا شك · اليس كذلك؟"

فحملقت في ابي ثم في سوزي، وشعرت بانني لا اقوى على الركوب، فذلك مستحيل!

فألح والدي: هيا! قبل ان يفوت الاوان ·

فأجبت: "لا استطيع" · والحق انه كان يتعذر علي النهوض ثم نزول الدرجات والتربع الظافر على ظهر سوزي · وكدت ان ابقى قابعة في مكاني فتفوتني لحظة القرار، وتعقبها لحظة الندم الذي لا مرد له بأنه كان في امكاني يوما ان اعتلي ظهر الفيلة ولم افعل · وهكذا كان دأبي · بيد ان والدي عاد الى الالحاح: "انهضي يا حبيبتي، وسيراك مدير الحلبة" · ثم دفعني برفق من قدمي ·

فقال مدير الحلبة: "تعالي! كنت اعلم ان هناك فتاة واحدة على الاقل ترغب في ركوب الفيلة" ·

نزلت الدرجات مخدرة القدمين وتخطيت حافة الحلبة، فلحقت بي ثلاث بنات اخريات · ووقفت وسط الحلبة استنشم رائحة نشارة الخشب ورائحة سوزي، خائفة، لا من الفيلة او المشاهدين او الركبة المنتظرة، بل من جسامة تحقيق حلمي ·

علونا ظهر سوزي، فكان خشناً يخز ساقي العاريتين · تمسكت بالرحل امامي، وكانت فتاة ورائي

تطوق خصري بذراعيها. ثم نهضت سوزي فاذا بي هاهنا، عالية فوق العالم على ظهر الفيلة.

وكانت هذه المرة الاخيرة التي اصطحبني والدي الى السيرك، وبات الان في مكنتي ان اعيش من غير سيرك، بعدان تم لي ان امتطي فيلا.

ومن بعد، فلم تبرح تلك اللحظة خاطري كلما واجهتني صعوبة: اضواء السيرك الباهرة والشتاء القارس تحت الخيمة والتفكير المرير في كل من عجزي ومن فوات الفرصة علي. ولا يلبث ان يعاودني صوت أبي، ودفعته الرقيقة، ونداء مدير الحلبة: "كنت اعلم ان هناك فتاة واحدة على الاقل ترغب في ركوب الفيلة". وعندما برزت مشكلة الزواج من دون الاعتماد على عمل، ومشكلة المغامرة بمستقبل طويل، لم تغب عن بالي صورة الفتاة التي كانت تشاء ركوب الفيل، فتحقق لها ذلك وادركت انها تستطيع.

■ بابس هـ. ديل



استعدادا للعشاء الرسمي

يدهش الرئيس جيمي كارتر وزوجته بتواضعهما الجم في السلوك واسلوب الحياة. فخلال عشاء في البيت الابيض لاعضاء المحكمة العليا وزوجاتهم نهض الرئيس وزوجته عن المائدة بعد الثامنة والنصف، وقد عجب الضيوف لرؤيتهم المضيفين يغادران المائدة مبكرين، الا ان الرئيس كارتر بادر ضيوفه وهو يودعهم قائلا: "ربما ستهتمون لما نحن ذاهبان لعمله. ان رئيس المكسيك سيكون بعد ايام ضيفنا على عشاء رسمي وبما انني وروزالين لم يسبق ان كنا في عشاء رسمي لذلك فنحن ذاهبان لمشاهدة اشرطة عن مناسبات مماثلة استعدادا لهذه الحفلة.

("شيكاغو تريبيون")

وحي السجن

كان المبعوثون الرسميون من بريطانيا العظمى وامريكا في طريقهم الى كوستاريكا عام ١٨٥٣، حين اكتشف رجال الجيش الذين قاموا بالثورة العسكرية آنذاك ان كوستاريكا ليس لها نشيد وطني. فاستدعى رئيس الجمهورية اشهر موسيقي في البلاد في ذلك الحين، واسمه مانويل ماريا غونييريز، واطرى مواهبه الفذة واخبره ان الاختيار وقع عليه لوضع نشيد للبلاد في مدة خمسة ايام. ولما رد الموسيقي طلب الرئيس بدعوى انه يؤلف الموسيقى سماعيا من دون كتابة، بلغ غيظ الرئيس حدا حداه على القاء غونييريز في السجن.

وبعد اربعة ايام قضاها في السجن، نجح الموسيقي في وضع لحن عسكري مفعم بالحماسة ليعزف في حضور المبعوثين. وهو لا يزال نشيد كوستاريكا الرسمي حتى اليوم.

("الاحسن والاسوأ والاغرب")



منقذة أطفال العالم

ان الامم المتحدة، باعلانها السنة الحالية ١٩٧٩ سنة عالمية للطفل، انما تحيي تلك المرأة الانكليزية الفذة اغلانتين جيب التي كانت اول من صاغ وثيقة حول حقوق الاطفال.

اثارت المرأة ذات الجمال الاخاذ، التي كانت تحاكم في محكمة "مانشن هاوس" في لندن بتهمة تعريض الامن القومي للخطر، دهشة اصدقائها. ففي اليوم الخامس عشر من شهر مايو (أيار) عام ١٩١٩، شاهدوا اغلانتين جيب وهي تخطو نحو المدعي العام المتجهم الوجه لتبدأ معه حديثا جديا. كانت اغلانتين جيب نحيفة طويلة في الثانية والاربعين من عمرها، تتوج مقدم رأسها خصلة من الشعر الذهبي الاحمر.

كانت المحكمة قد استمعت الى المدعي العام وهو يدرج المخالفات التي ادت عقب الحرب العالمية الاولى الى استدعاء اغلانتين للمثول امام المحكمة. فهي نشرت ووزعت، من دون اذن مراقب المطبوعات، بيانا يدويا يظهر صورة طفل نمسوي هزيل

كان واحدا من بين اكثر من اربعة ملايين طفل يعانون الجوع في اوروبا نتيجة الحصار الذي كان الحلفاء يواصلون فرضه على الدول المهزومة .

واكتشفت اغلانتين، بما اتسمت به من النشاط والذكاء، آثار الحصار بمتابعة انباء الصليب الاحمر والصحف الاوروبية . ووجدت لروعها ان الامهات المنتحبات في فيينا كن يقتلن اطفالهن الذين لم يكن في مقدورهن اطعامهم . ونظرا الى شفقتها الشديدة، صممت على تحقيق المستحيل، الا وهو انقاذ الاطفال . وهكذا بدأت بالجنيهات العشرة التي كانت لديها صندوق اغاثة للطوارىء بالاشتراك مع شقيقتها الاصغر منها دوروثي، ونشرت البيان اليدوي الذي ادى الى محاكمتها .

وعندما كانت في المحكمة اخذ اصدقاؤها يتساءلون عما يمكن ان تكون وجدته لتقوله لذلك الرجل الذي قدم الدعوى ضدها بقسوة وبلا شفقة . وتحولت اغلانتين نحوهم وقالت مبتهجة: "يقول انه سيتبرع لصندوقي لانقاذ الاطفال، ولكن بعد انتهاء المحاكمة !"

العقيدة والحياة - وانتهت المحاكمة بادانة اغلانتين وحملها على دفع خمسة جنيهات غرامة، وبذيوع شهرتها . فبعد اربعة ايام من انتهاء المحاكمة، عقد اول اجتماع عام لصندوق انقاذ الاطفال في قاعة "البرت هول" الضخمة في لندن التي ضاقت، على سعتها، عن استيعاب الناس مما أدى الى استدعاء الشرطة لتفريق الجمهور . واعتلت دوروثي المنبر تحمل علبة من الحليب المكثف، ورفعتها للحضور وقالت وسط تصفيقهم الحاد: "ان علبة الحليب هذه فيها من الفضيلة العملية اكثر مما في جميع العقائد !" .

ولكن حتى اصدقاء اغلانتين كانوا يعتقدون ان صندوق انقاذ الاطفال مصيره الاخفاق . وحذروها بقولهم: "ستكونين محظوظة اذا جمعت مئة جنيه" . لكنهم اغفلوا حماستها الشديدة وقدرتها البالغة على الاقناع . ولم تكد تمضي تسعة ايام على اجتماع البرت هول حتى كانت الدفعة الاولى من الاعانة في طريقها الى فيينا . واخيرا وصل الحليب الى الرضع الجياع .

وعلى رغم ان اغلانتين كانت تكره التحدث في الاجتماعات العامة، الا انها سافرت في مختلف انحاء بريطانيا تناشد الناس ببلاغة وقوة حجة على جمع الاموال . وتفاوتت التبرعات من عشرة آلاف جنيه قدمها اتحاد عمال المناجم الى ما يعادل ثمن جنيه تبرع به صبي في التاسعة من عمره، كتب يقول: "لقد تمكنت من اقتطاع شلنين ونصف شلن من صندوق نقودي، واملي ان تتمكني الان من انقاذ جميع الاطفال الجياع" . وخلال سنتين، تمكنت اغلانتين، مع دوروثي وبعض المساعدين، من جمع ما يقارب المليون جنيه .

ونفذ نداؤهم كالسهم الى اقصى ارجاء العالم . وعندما وصلت انباء الصندوق الى سكان جزيرة "بيتكيرن"، وهم من نسل البحارة الذين تمردوا على سفينة "باونتي" الملكية البريطانية، هبوا الى تعبئة

خمسة براميل وصندوقين بالملابس، ثم اشاروا الى احدى السفن العابرة ان تتوقف وتحملها على متنها. وسلمت الملابس الى مقر الصندوق الرئيسي في لندن، وهو المقر الذي كانت اغلانتين، بحلول العام ١٩٢١، ترسل منه فرق عمال الاغاثة الى روسيا لتأمين ١٥٧ مليون وجبة طعام لضحايا المجاعة نتيجة اخفاق الموسم الزراعي في حوض نهر الفولغا.

لا أعداء تحت السابعة - وفي الفترة المريرة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى، كثيرا ما كانت اغلانتين وزملاؤها من العاملين معها يوصفون بانهم غير وطنيين ومحبون للالمان وبلشفيون. لكن احد مؤيديها الاوائل، وهو الروائي الشهير جورج برنارد شو، رد على ذلك ردا مفحما. فعندما انتقد لانه يساند صندوقا يهدف الى افادة "العدو"، علق قائلا: "لا اعداء لي تحت السن السابعة!"

واصبح صندوق انقاذ الاطفال في بريطانيا اليوم اكبر مؤسسة خيرية دولية للاطفال. وهو ينفق ستة ملايين جنيه كل سنة على مساعدة الاطفال في اكثر من خمسين بلدا. ويدير عماله الميدانيون عيادات للامهات والاطفال في مناطق مثل افغانستان وبنغلادس. وفي افريقيا الجنوبية وحدها يتولون اطعام قرابة ٢٥٠ ألف طفل يوميا. اما في بريطانيا فالصندوق يشرف على ما يزيد على ١٥٠ مشروعا بما فيها الدراسات التي تجري على التخريب المتعمد للممتلكات، وتعليم الغجر (البدو الرحل)، وجمعيات الحضانة المحلية، واندية الشباب في ايرلندا الشمالية.

وقد حافظ الصندوق منذ تأسيسه على مبدأ تقديم المساعدة المحايدة الى كلا الطرفين في أي نزاع، سواء اكان ذلك في ايرلندا الشمالية او بيافرا (نيجيريا) او فيتنام (شمالها وجنوبها) او لبنان. ذلك لان الحرب، كما كتبت اغلانتين، "سواء اكانت عادلة او غير عادلة، هي حرب ضد الطفل".

ان اغلانتين جيب مصلحة اجتماعية، غالبا ما تقارن بفلورانس نايتنغيل واليزابيث فراي. ويقول عنها الدكتور كورت فالدهايم، الامين العام للامم المتحدة: "لقد كان لها اثر عميق على قيم جيل كامل وآرائه". اجل فالعالم كله بالنسبة اليها كان ابرشية واحدة، يتحمل كل من يقيم فيها مسؤولية صحة الاطفال وسعادتهم، من كل بلد او عقيدة او لون.

ان اهتمام اغلانتين الشديد الملتهب حماسة كان جزءا من حركة عالمية النطاق. فقد انشأت دول اخرى، وفي طليعتها سويسرا واسوج وفرنسا، صناديق اغاثة للاطفال خاصة بها. وسعيا الى توحيد جميع هذه المؤسسات، بادرت اغلانتين عام ١٩٢٠ الى تأسيس الاتحاد الدولي لانقاذ الاطفال الذي اتخذ مقره الرئيسي في مدينة جنيف. واعيدت تسميته بحيث اصبح يوم "الاتحاد الدولي للعناية بالطفل". وهو ينسق جهود ١٧٠ منظمة من منظمات انعاش الطفل في ٧٤ بلدا، كما يشن حملات طارئة لمساعدة ملايين الاطفال في الكوارث والازمات المختلفة، كالقحط في اثيوبيا والحرب في لبنان.

حقوق الطفل ـ وسرعان ما تحققت اغلانتين من ان هذه الحركة العالمية الجديدة تحتاج الى نوع من العقيدة التي توحدها· وفي احد ايام الآحاد من صيف ١٩٢٢، بينما كانت على قمة جبل ساليف المطل على بحيرة جنيف، وضعت مسودة اعلان حقوق الطفل· وجاءت المسودة كأنها نسخة مصغرة من "الماغنا كارتا" (الوثيقة الانكليزية المتعلقة بالحريات والتي تعود الى العام ١٢١٥)· ولخصت وثيقة اغلانتين الواجبات التي تقع على عاتق الدول في رعاية النمو الجسدي والخلقي والروحي لاطفالها· وانتهت الوثيقة برأي عاطفي يمثل ما اختصت به اغلانتين: "يجب ان ننشىء الطفل على وعي ان مواهبه ينبغي تكريسها لخدمة اخوته في الانسانية"·وتبنت عصبة الامم "اعلان جنيف" عام ١٩٢٤، كما تضمنه الاعلان الخاص بالامم المتحدة عام ١٩٥٩، مما خلد اسم اغلانتين في التاريخ الاجتماعي الدولي·

ربما كانت طفولة اغلانتين الخاصة هي التي الهمتها بحلم نشر السعادة على الاطفال في كل مكان· فعندما ولدت في ٢٥ اغسطس (آب) عام ١٨٧٦، كانت الطفل الرابع من بين ستة اطفال لابويها· واسم "اغلانتين" غريب، لكنه تقليدي، ومعناه "الوردة البرية"· وقضت السنوات الاولى من حياتها في لايث، وهي مزرعة العائلة بالقرب من اليسمير في مقاطعة شروبشير الانكليزية· وكان والدها على درجة من الوعي الاجتماعي تفوق كثيرا ما كان عليه معظم افراد طبقة مالكي الاراضي في تلك الفترة· وانشأت والدتها "رابطة الفنون والصناعات المنزلية" التي اتاحت اوجه نشاط خلاقةللناس العاملين· ونشأت اغلانتين وترعرعت في العائلة، في ظل افكار والدتها الانسانية التي انتشرت ونمت حتى اصبحت حركة وطنية·

درست اغلانتين التاريخ في كلية "ليدي مارغريت هول" في جامعة اوكسفورد· وتدربت لتصبح مدرسة في المدارس الابتدائية، وهي مهنة لم تكن تعد لائقة بسيدة من الطبقة الراقية في ذلك الوقت· واحبها تلاميذها نظرا الى حيويتها وخفة ظلها، وهي يضا احبتهم· غير ان كبر الصفوف والنظام الصارم والمنهاج القائم على التعلم الكئيب بالاستظهار من غير فهم، جعل من ايامها كمعلمة في مدرسة دينية في مقاطعة مارلبورو اياما غير سعيدة·

سنوات الالم والدأب ـ وادى التوتر الى انهيار في صحتها كان بمثابة مقدمة لسنوات طويلة من المعاناة من مرض التهاب الغدة الدرقية الذي جعلها في النهاية شبه مقعدة· واضطرت الى التخلي عن وظيفتها في المدرسة، وحولت مواهبها الخلاقة الى تعليم ولدي عمها،جيم واغلانتين جيب الصغرى· وقد ابدع كل منهما في حياته العملية في ما بعد، اذ اصبح جيم رئيسا لكلية بدفورد في جامعة لندن، بينما اصبحت اغلانتين جيب الصغرى رئيسة لمعهد فروبيل التعليمي في روهامبتون· وتقول اغلانتين الصغرى عنها: "انها حولت حياتنا واعطتنا احساسا عظيما



شعار السنة العالمية للطفل.

بالمسؤولية الاجتماعية".

عندما استقرت اغلانتين، وهي في العشرينات من عمرها، مع والدتها الارملة في كيمبريدج، كانت فتاة جميلة وذكية وشديدة الجاذبية. وقد رفضت عددا من طلاب يدها للزواج لانها كانت تحب احد الشباب العاملين في الجامعة حبا جما. لكن هذا خطب فتاة أخرى، فاصيبت اغلانتين بحزن قوي جعلها ترمي نفسها في ميدان العمل الاجتماعي التطوعي من اجل الفقراء في كيمبريدج.

وفي اوائل العام ١٩١٣، طلب اليها، عن طريق شقيقتها دوروثي وصهرها السياسي تشارلز باكستون، ان تسافر الى مجاهل البلاد المكدونية لادارة صندوق لاغاثة ضحايا حرب البلقان. ووصلت الى موناستير (وهي اليوم في يوغوسلافيا وتعرف باسم بيتولا) فوجدت ١١ الف لاجىء مسلم يعانون المجاعة. ووضعت تقريرا وصفت فيه الاطفال بانهم خائفون وجياع ومرضى ومهجورون، لان اباءهم وامهاتهم ماتوا او فقدوا. وكانوا ينتظرون، على نحو مثير للرثاء الاحسان اليهم بكسرة خبز. وظلت صورة اجسامهم المرتجفة ووجوههم الشاحبة تلازمها بقية ايام حياتها.

ولدى رجوعها الى انكلترا، قضت اغلانتين اسابيع تلقي المحاضرات من اجل جمع المزيد من المعونة، ثم عادت الى كيمبريدج. ومع اقتراب الحرب العالمية الاولى من نهايتها، اكتشفت هي ودوروثي المعاناة البشعة التي سببها حصار الحلفاء، ومن هنا انبثق الوحي بتأسيس صندوق انقاذ الاطفال.

شخصية آسرة - كانت اغلانتين عاطفية وجسورة وذكية. ووظفت جميع قواها المدهشة في الاقناع الشخصي في خدمة منظمتها الجديدة. وسرعان ما تبين لعدد كبير من الرجال والنساء المنهمكين في اعمالهم ان اتجاه حياتهم تغير كليا بعد اجتماع وجيز معها. ففي زيارة واحدة قصيرة الى عيادة الدكتور هكتور مونرو في شارع سيمور، اقنعته بان يتخلى عن عيادته الراقية في لندن وان يسافر في الحال لكي يعمل مديرا طبيا للصندوق في فيينا. وهو كتب حول ذلك: "عندما تكلمت، بدا لي ان كل شيء آخر يفقد اهميته. ووافقت على فعل اي امر تريده مني".

وبالاضافة الى قدرتها على الهام الآخرين، تميزت اغلانتين بعقل بارع في التحليل وجرأة تليق بملوك المال. وكالعديد من المقاولين والملتزمين، كانت تعي اهمية الاعلان البالغة. ولهذا استثمر الصندوق مبالغ ضخمة واستخدم اساليب حيوية وجذابة بعدما كانت اساليبه تقتصر على الدعاية للعقاقير الطبية. ونشر الصندوق اعلانات كبيرة مثيرة في الصحف الوطنية. واحتل مكانة في

التاريخ الاعلاني اذ كان المؤسسة الخيرية الاولى في التاريخ التي تنشر اعلانا على صفحة كاملة من صحيفة التايمس اللندنية.

وسرعان ما اخذت الرسائل تنهال على مكتب اغلانتين المتداعي القائم في احدى البنايات التي لم تكن تصلح للاستعمال، في الميدان الذهبي في حي سوهو. وقد بلغ عدد هذه الرسائل في احد الايام ١٧ الف رسالة. وكانت فرق المتطوعين الذين جرى توظيفهم بسرعة تتولى فرز الرسائل وترتيبها في صناديق الاحذية. وكانت اغلانتين مصممة، الى اقصى حد، على عدم تبديد اي فلس. ويذكر زملاؤها كيف كانت تلتقط الدبابيس من الواح الارضية العارية ثم تضعها بعناية على اقرب مكتب بال استحضر من مخلفات الجيش. وكان اعضاء اللجنة يجتمعون حول طاولتين من طاولات غرف الثكنات التي يمكن طيها. وقد بقيت هاتان الطاولتان تستخدمان حتى العام ١٩٧٤ حين اصبحتا قطعا غير صالحة للاستعمال. ولا تزال روح اغلانتين في الاقتصاد تلازم صندوق انقاذ الاطفال حتى الان. ويفخر الصندوق اليوم بان نسبة مصروفاته ونفقاته الاساسية العامة ضيئلة جدا.

وعندما اصبح صندوق انقاذ الاطفال منظمة راسخة ومستمرة وعالمية النطاق، اتضح له ان ارسال المعونة في الاحوال الطارئة لم يعد كافيا، وانه لا بد من برامج طويلة الامد كاقامة مراكز العناية بالرضع ومستشفيات الاطفال ومؤسسات الحضانة واندية الشباب. وقد وضع و٠أ٠ ماكنزي، الذي كان امينا لصندوق الاتحاد الدولي لانقاذ الاطفال في جنيف عندئذ، برنامجا يقضي بان يكون التبرع ذا طابع شخصي اوثق، بحيث يتولى مشرف او ضامن مفرد تقديم المساهمات المنتظمة الى طفل واحد او عائلة واحدة، ويحافظ على اتصاله بها عن طريق الرسائل والصور. وادركت اغلانتين على الفور هذه الفكرة، فطبقتها عمليا. ومنذ ذلك الحين اصبحت فكرة الضمان او الرعاية (وهي فكرة نقلتها بضع جمعيات خيرية اخرى) شكلا يثلج الصدر من اشكال المعونة الدولية.

وخلال سنوات قليلة من تأسيس الصندوق، بدأت علائم السن تظهر بوضوح على اغلانتين، فتحول شعرها الذهبي الاحمر الى فضي اشيب. واصبحت، نتيجة لمرض الغدة الدرقية الذي كان يزداد سوءا، شاحبة اللون وكأنها شبح او طيف. كما ان مرض القلب ادى الى ارهاقها بسهولة. وبقيت اغلانتين من دون زواج، وعاشت حياتها الخاصة في تقشف، معتادة ارتداء زي بني كلباس راهبة، وحمل حقيبة على ظهرها انى توجهت.

اللهب الابيض — وعلى رغم ما كانت عليه من ضعف جسدي، الا ان روحها ظلت تخفق متوهجة كسابق عهدها، حتى ان العاملين معها خلعوا عليها كنية "اللهب الابيض". وعندما كان الصندوق يبني قرية للاجئين في بلغاريا، ذهبت اغلانتين لزيارتها وهي ترتدي زيها الشبيه بزي الراهبات، ووصلت فرحة على قطار بخاري يقوده عاهل بلغاريا آنذاك الملك لويس. وبلغ نجاح تلك القرية

حدا ادى الى بناء قريتين اخريين في البانيا، سميت احداهما "جيب".

وحين بلغت اغلانتين الخمسينات من عمرها، اخذت صحتها تتدهور بسرعة. وكثيرا ما كانت تواصل اسفارها من اجل الصندوق وتعاني الآلام المبرحة، بل انها استمرت في رحلاتها حتى عندما اقتضى الامر حملها على نقالة من القطار. وعلى رغم علمها بانها كانت تزهق روحها بالعمل فوق طاقتها، الا ان قلقها على بقاء الصندوق واستمراره اجبرها على مواصلة عملها. لكنها، قبل فترة قصيرة من وفاتها في السن الثانية والخمسين، كتبت الى شقيقتها دوروثي عن اقتناعها المتزايد بان كل شيء سيكون على خير ما يرام: "اني اضع ثقتي في الله في ما يتعلق بمستقبل صندوق انقاذ الاطفال، ولولا هذه الثقة لكانت المسألة برمتها تافهة وغير طبيعية".

لقد تمكنت اغلانتين، خلال تسع سنوات فقط، من ان تحول صندوق انقاذ الاطفال من صندوق موقت للطوارىء الى منظمة دائمة عظيمة لتقديم المساعدة والمعونة، فانقذت ملايين الاطفال من المرض والموت، وساعدت ملايين اخرى على الاتجاه نحو حياة مجدية سعيدة. وهي كانت على الدوام تؤمن بالمستحيل. وقد حققته فعلا. وكما كتب الفيكونت سيسيل اوف تشيلوود: "ان اغلانتين جيب تنتمي الى تلك الجماعة الصغيرة من الرجال والنساء الذين يمكن ان نسميهم بحق قديسين".

■ **جانيت غراهام**



فلسفة النعامة

كان طفلي ذو السنتين يشعر بمتعة بالغة وهو يدفع قطعة الخشب على الارض ويرافقها بصخب مصطنع يشبه دوران محرك. فعلقت محاولة ان أدخل جو لعبته: "يا للسيارة الجميلة". عندئذ توقف عن صخبه، ورمقني بنظرة شفقة ثم قال": "هذه ليست سيارة يا أمي. انها قطعة خشب".

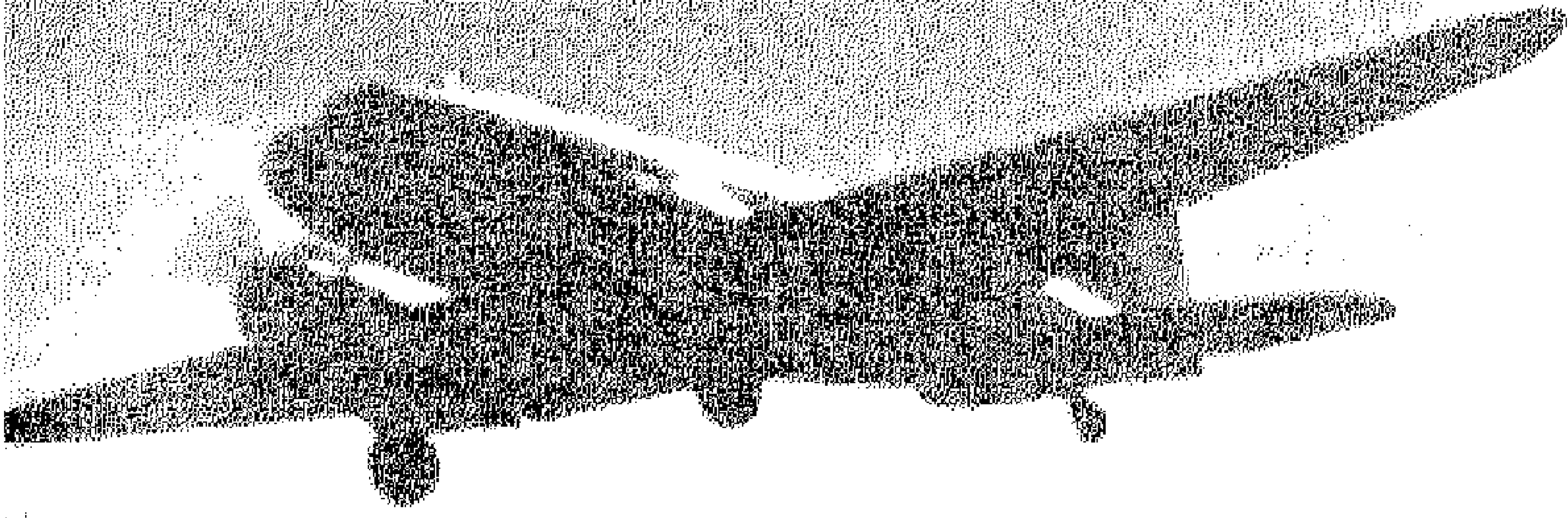
ب.و.

من الصدق ما يضحك

تسلمت معلمة الاعتذار الآتي عن غياب احد تلاميذها: "ارجوك ان تغفري غياب بيلي هذا اليوم. فقد كان اطفالي الباقون مرضى. وحين فرغت من اعطائهم الدواء والعناية بهم كانت الساعة بلغت الحادية عشرة، وعند ذاك اكتشفت الطفل السليم الوحيد الذي كان عليه الذهاب الى المدرسة".

ر.ك.

كتاب الشهر



ملخص من كتاب
بقلم ريتشارد كولير

جسر عبر السماء



جسر عبر السماء



طائرات لبدت موقتًافي أرض مطار تمبلهولف في قلب برلين بسبب

"ملحمة جسر برلين الجوي" تعتبر احدى ابرز المآثر الانسانية لانقاذ مدينة محاصرة من الجوع والاحتلال٠

كانت برلين التي هزمت عام ١٩٤٥ جاثمة في انقاضها، اهلوها يرتدون الاسمال ويتضورون جوعا، وقد امسى الآن، في يونيو (حزيران) ١٩٤٨، مليونان ونصف مليون من سكانها بيادق في لعبة الصراع على القوة، عندما شرع الروس المحتلون في تنفيذ خطة استهدفت أمرين: تجويع الأهالي بغية اخضاعهم، وتضييق الخناق على الحلفاء بقصد اخراجهم من المدينة٠ لكن البريطانيين والفرنسيين والامريكيين عقدوا العزم على مواجهة الاجراء الروسي باطعام المدينة وتموينها جواً، وبدأوا ذلك فعلا على نطاق ضئيل ومحدود٠ على ان جهودهم الأولية سرعان ما تصاعدت وتضافرت حتى غدت مأثرة من اعظم المآثر الانسانية والسياسية اعجازا وتصميما٠٠



بقلم ريتشارد كولير



الثلوج، وهي تنتظر صدور الأوامر لاستئناف حركة التموين الجوية.

وقد تحدّث مؤلف الكتاب ريتشارد كوليير الى مئات الاشخاص الذين خبروا تجارب المدينة المحاصرة، وبينهم جنرالات وطيارون وسكان مدنيون لا تزال اذهانهم تنبض بذكريات تلك الأيام البطولية التي كادت ان تكون أياماً مفجعة ومأسوية.

كانت عقارب الساعة في غرفة الاخبار في صحيفة دير تاغ الالمانية تشير الى الحادية عشرة ليلا، والاعدادات لاصدار النسخة الصباحية ليوم ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ توشك على الانتهاء، حين وقفت مارغو ديريغز تدقق في آخر تجارب لوحة الطباعة. وفي تلك اللحظة بالذات دبت الحياة من جديد في جهاز المبرقة الكاتبة (التليبرنتر).

وللتو هجر المراسلون مقاعدهم قبالة الآلات الكاتبة وأخذوا ينادون بعضهم بعضا ويتجمعون حول الجهاز. وانضمت اليهم مارغو، في حين راحت حروف المبرقة تطقطق الكلمات على الورق الابيض واحدة تلو الأخرى:

"برلين، ٢٣ يونيو (حزيران). قسم النقل التابع للادارة العسكرية السوفييتية مرغم على وقف حركة النقل والركاب من برلين واليها

اعتبارا من الساعة السادسة صباحا يوم غد نظرا الى وجود مصاعب فنية. حركة المرور المائي ستعلق أيضاً".

واستمرت المبرقة تطقطق مزيداً من التفاصيل. وما ان جاء صباح اليوم التالي حتى كانت الأنباء المروعة قد بلغت معظم المليونين ونصف المليون نسمة من سكان برلين الغربية الذين علموا ايضا ان شحنات الفحم من الغرب عبر المسالك المائية قد حظرت ومنع عليهم استيراد الحليب، وان جميع الودائع في دار المحاسبة (شتادكونتور) قد جمدت. وهكذا اصبحت برلين الغربية معزولة عن العالم الخارجي براً وماء وسكة حديد، وتوجب عليها الآن مواجهة احد امرين: إما الاعتراف بالحكم الروسي وإما الجوع.

لقد مضت ثلاث سنوات منذ أن أسر" الجنرال لوسيوس كلاي، حاكم المانيا الامريكي وقائد القوات المسلحة الامريكية في اوروبا، لأحد المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية بتأكيده على ان "مفتاح التعامل مع السوفييت انما يتأتى عن طريق منحهم الثقة لكسب الثقة من جانبهم". بيد أن ذلك المسؤول في الخارجية تنبأ في حينه بان كلاي سيصبح، في مدى عام واحد، من أعنف المناوئين للروس. وهذا ما حصل فعلا.

وكانت قصته مع السوفييت، التي استعاد كلاي ذكرياتها عام ١٩٤٨، قصة مؤسفة حبكت فصولها النيات الخبيثة ونكث العهود، وشابتها باستمرار تأكيدات على استعراض العضلات السوفييتية لاختبار مدى تصميم الحلفاء على البقاء في برلين. وتعود جذور هذه الحكاية الى تلك النشوة المتفائلة التي لعبت بالرؤوس في مؤتمري طهران ويالطا قبل خمسة اعوام حين شجع الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت وهما خادعا ومهلكاً، وهو ان الولايات المتحدة، في تعاملها مع الروس الشيوعيين، انما تتعامل مع اصدقاء.

وفي ذلك الوقت اتخذ قرار تقسيم المانيا فور انتهاء الحرب الى أربع مناطق: فرنسية وبريطانية وامريكية وروسية، وكذلك تقسيم الحكم في برلين على نحو مماثل. واذا كان لذلك القرار اي حسنة لمصلحة الغرب، فهي ابعاد الروس عن منطقة الروهر، قلب الحركة الصناعية الالمانية. لكن القرار حوّل برلين، في الوقت ذاته، الى قنبلة موقوتة تنذر دقاتها ابدا بوشوك الانفجار. فقد غدت المدينة جزيرة ذات ادارة بلدية يتشارك السوفييت والعالم الغربي معا في حكمها، إلا انها جزيرة تقع في خضم النفوذ السوفييتي داخل المانيا.

ولم تكن برلين، حتى قبل الحرب، قادرة على الاكتفاء الذاتي. فكيف تكون حالها الآن وقد دعت الحاجة الى تزويدها بآلاف الاطنان من الحمولات اسبوعيا؟ وكان ذلك التزويد يجري عبر خط حديدي "دولي" منفرد يبدأ من مارينبورن على الحدود الغربية للمنطقة السوفييتية وينتهي في القطاع الغربي من برلين، مخترقا مسافة ١٧٥ كيلومترا داخل المنطقة السوفييتية ذاتها. كما كانت كل مادة يستهلكها اي من سكان برلين الغربية، فضلا عن ٦٥٠٠ جندي من

قوات الحلفاء، يقسم استيرادها عبر طريق برّية هي بمثابة حبل الحياة الذي يمكن الروس ان يقطعوه.

ومن اجل اعطاء صورة اوضح عن الوضع، تجدر الاشارة الى ما وقع في شتاء ١٩٤٦ الذي يعد اقسى فصل شتاء عرفته المانيا منذ قرن خلا، اذ انخفضت الحراة الى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، فتجمدت انابيب الماء واتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال ارتفاعا مروعا وعثر على عشرات الاشخاص الذين ماتوا تجمدا حتى في احياء راقية مثل ضاحية غرونفالد. وقد دفع الجوع بذئاب الغابات حينذاك الى اقتحام "برلينر رينغ"، وهي شبكة الطرق الواقعة على اطراف برلين. وعمد بعض الاهالي الى انتهاك حرمة المقابر وسرقة ٢٠٠ صندوق كانت تضم رفات الضباط البروسيين، واستخدموها وقودا للتدفئة. وهكذا يتضح انه لو ابتليت البلاد بفصل شتاء مماثل في قسوته وشاء الروس ان يغلقوا الطريق في وجه شحنات الفحم، لتعذر على الحلفاء الصمود في مواقعهم.

اما الآن وقد أغلقت الطرق فعلا، فقد حق السؤال الآتي: هل سيبقى الحلفاء في برلين ام انهم سينسحبون تاركين الاهالي وشأنهم امام السيطرة السوفييتية؟ ولئن يكن الجنرال كلاي صرّح علنا بأنه "لن يتمكن الروس من طردنا الا غلبة في الحرب"، غير انه كان في الواقع متحيراً ومرتكبا. وقد علق احد مستشاريه على الوضع ناصحا: "اذا كانت يدك في النار، فلم لا تسحبها؟".

لكن كلاي فضل، بادىء الامر، الزحف بقافلة مسلحة قوامها ٢٠٠ سيارة شحن على الطريق الرئيسية الى وسط برلين، لأن السوفييت لن يستطيعوا ردعها الا باستخدام القوة، مما يعني المجازفة باندلاع الحرب، وهو أمر لا يريده الروس حسب اقتناع كلاي الشخصي. ووافقت رئاسة الاركان المشتركة، خلال الاجتماع الذي عقدته في واشنطن، على المشروع، شرط ان يؤمر الجنود الامريكيون الذين سيرافقون القافلة بعدم محاولة شق طريقهم عنوة بفتح النيران اذا ما تصدت لهم قوات الحصار الروسية بعناد. بيد ان كلاي رفض الانصياع لهذه الشروط.

عندئذ اقترح الحاكم العسكري البريطاني، السير بريان روبرتسون، خطة بديلة لتموين برلين بطريق الجو. والواقع انه صدر امر مسبق باقلاع الطائرات من انكلترا الى المانيا في اليوم التالي، فضلا عن ان كلاي نفسه كان قد جرب هذا البديل الباهظ التكاليف عندما تولى، خلال شهري ابريل (نيسيان) ومايو (أيار)، عملية امداد جوي محدودة النطاق الى افراد القوات الامريكية في برلين. على انه، وان كان يسلم بان هذا النوع من عمليات الامداد اقل عرضة للاخطار من غيره وانه يمكن استخدامه لسد حاجات العسكريين المرابطين في برلين، الا انه استبعد كليا امكان امداد المدينة بأسرها جوا، ولذلك رفض الاقتراح رفضا باتا، مؤكدا انه "يستحيل ذلك قطعا".

وانقضى النهار من دون ان تبرز خطة بديلة. وعاد الجنرال روبرتسون

يحث من جديد على تبني مقترحاته، فسايره كلاي بشرط ان يكون رأي رجل واحد آخر - هو ارنست رويتر - حاسما في الموضوع. والمعروف عن رويتر انه مناهض عنيد للشيوعية عمل مستشارا لخدمات المرور والمرافق العامة وانتخب رئيسا لبلدية برلين قبل عام، ولكن السوفييت نجحوا في الحيلولة دون تسلمه مهام منصبه.

واستدعي رويتر الى مقر كلاي، حيث بادره الجنرال الامريكي قائلا: "سأحاول اطعام المدينة جوا". ثم تواترت الاسئلة على رئيس البلدية المحظور: هل يستطيع البرلينيون الصمود على رغم ضآلة الامدادات التي يمكن نقلها جوا؟ وهل يستطيعون الثبوت ايضا طوال فصل الشتاء اذا اقتضت الضرورة؟

يا لها من لحظة تاريخية وقف فيها الجنرال الانيق المظهر، الحاد الملامح، المضنى من شدة الارهاق، امام هذا الرجل الساخر الاشيب في سترته المهلهلة المقلمة تقليما دقيقا، والمعروف بميوله الديموقراطية الاشتراكية، وكلاهما يبحث عن وسائل كفيلة بتحقيق المعجزة!

ورد رويتر بكلمات هادئة ومتزنة: "برلين تضحي بكل ما لزم"، ولكنه اردف: "من الخطأ التوهم ان كل شيء سيكون على خير ما يرام ما دام البرلينيون يتزودون بالطعام والثياب والوقود. بل ينبغي ايضا، بقدرة قادر، ان تستمر صناعات برلين الغربية على مواصلة انتاجها على نحو اعتيادي قدر المستطاع، "لأن الناس، اذا فقدوا اعمالهم،فقدوا كذلك ثقتهم بالنفس واستسلموا صاغرين للشيوعية".

وحين خرج رويتر من مكتب كلاي، التفت الى جنرال امريكي آخر قائلا: "ان تصميم كلاي رائع، ولكن لا أظن شخصيا ان تحقيقه ممكن". وهز الجنرال رأسه وقال: "ولا أنا أيضاً".

وفي تلك اللحظة بالذات رفع كلاي سماعة الهاتف للاتصال بفرانكفورت حيث كان مقر الجنرال كورتيس لوماي، قائد سلاح الجو الامريكي في اوروبا: "قل لي، يا كورتيس، هل لديكم طائرات لنقل الفحم؟".

وتردد لوماي هنيهة، ثم اعتذر بقوله: "لا بد من ان يكون الخط مشوشا ايها الجنرال، فقد توهمت انك تستفسر عن طائرات لنقل "الفحم"!".

- نعم، هذا ما قلته بالضبط: الفحم.

وسادت المكالمة فترة اخرى من الصمت قبل ان يتعهد لوماي بأن في امكان سلاح الجو ان ينقل اي شيء.

تلك كانت اللحظة التي ولد فيها "جسر برلين الجوي"، وهو المواجهة الاولى التي درج العالم في ما بعد على تسميتها بـ"الحرب الباردة".

"استمتعوا بالحرب"

تفاقم الوجود الروسي خلال السنوات الثلاث التي اعقبت الحرب العالمية الثانية حتى لاح كنذير يهدد بهبوب عاصفة رعد في سماء اوروبا. وأمست كل دولة "حررها" الجيش الاحمر في زحفه غربا - وهي بولونيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والمانيا الشرقية - تابعة للسوفييت ترابط فيها القوات الروسية ويحكمها صنائع

الروس، حتى اصبح ١٢٣ مليون فرد سيء الطالع سجينا ضمن حدود مليون كيلومتر مربع. وكان الشيوعيون قبل وقت قصير لا يتجاوز شهر فبراير (شباط) الماضي قد استولوا على الحكم في تشيكوسلوفاكيا، واعقب ذلك انتحار وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية جان مازاريك. وكان هدف الروس الابعد تعميم الشيوعية ونشرها في ارجاء اوروبا، مما بعث على تساؤل الجنرال كلاي: هل المقاطعات الالمانية الخاضعة للحلفاء الغربيين، ومدينة برلين المقسمة هي السلع التالية المدرجة في قائمة مشتريات موسكو؟

كانت برلين لا تزال مدينة من الهياكل الجوفاء بعدما قوضت باكثر من ٧٠ الف طن من القنابل. وبدت من الجو ركاما من الحجار تتصاعد منه رائحة الحرائق القديمة وزيت الديزل وغبار الاسمنت الرطب.

وفي زيغزاللي (شارع النصر) بدت تماثيل الحكام الذين رحلوا عن هذا العالم منذ زمن بعيد وكأنها تحدق بعقم عبر جذوع الاشجار. واما فندق ادلون الذي يقع في اونتردن ليندن، وهو من أرقى شوارع المدينة سابقا، فقد اصبح كالهيكل الاجوف، واقتصرت لائحة الطعام في قبوه على حساء الكرنب وصحن من اللفت. وانك لتسمع ايضا اصداء مكررة لخفقات اجنحة الغربان في فروع مبنى الرايخستاغ!

وانعكست مظاهر المدينة هذه على وجوه الناس وملامحهم. واندثرت روح الفكاهة الساخرة بعدما كانت تجود، حتى في اوج القصف، بكتابات على الجدران مثل: "استمتعوا بالحرب،



الجنرال لوسيوس كلاي وارنست رويتر.

لان السلام سيكون مخيفا". وصارت المواد الغذائية كالحليب والسكر والسمن والخضار، اندر من من السماء بالنسبة الى معظم الاسر، واقتصرت وجبات العديد من الناس على جذور النباتات واوراق القرّاص بعد غليها. واجمل احد العاملين في الحقل الاجتماعي الحال بقوله: "يبذل الناس طاقاتهم في الكدح والكد وراء رغيف من الخبز وزوج من الاحذية. اما الامل في الحياة فقد غاب كغراب نوح".

لكن الداهية الدهياء تمثلت في الوجود الروسي. وقبل ثلاث سنوات طفق الجنود السوفييت يعصفون في ارجاء المدينة بضراوة لا نظير لها. ويقدر عدد النساء اللائي اغتصبهن

السوفييت في اثناء ما يسميه الالمان "الزمن الروسي"، اي فترة الاربعة عشر يوما من ابريل (نيسان) ١٩٤٥ التي حددت معركة الاستيلاء على برلين، بما يراوح بين ٢٠ الف و١٠٠ الف امرأة. وفي خضم صيحات "فراو كوم"، اي "تعالي يا امرأة"، المحمومة ابتهاجا بالنصر، اقتاد الجنود السوفييت النساء والفتيات اللواتي لطخن وجوههن بالسخام اخفاء لمحاسنهن، الى المخابيء واقبية المنازل واغتصبوهن. حتى ان الدكتورة آن ماري نيتشه، التي تعمل في مستشفى فيلمرز دورف للاطفال، لاحظت بعد ثلاث سنوات ان الاحداث، في السن الثامنة ما زالوا يلعبون "لعبة الاغتصاب" اذ يثب الصبيان على البنات محاولين تمزيق ملابسهن.

وتبع ذلك النهب والسلب. ولم يسلم على المستوى الصناعي اي شيء، من عبث الروس - لا مولد الطاقة الضخم بقوة ٢٢٨ ألف كيلو واط في منشآت الطاقة في كرافت فيرك الغربية، ولا انواع المعدات في كبريات المصانع مثل سيمنز - شوكرت واوزرام وتليفونكن وديملر - بنز، التي جردت، جميعا من كل الآلات بغية نقلها الى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية. وقام الجيش الاحمر اثر ذلك بنهب كل ما وقعت عليه ايديهم من المنازل الآهلة بالسكان على نحو يصعب تصوره. الدراجات واجهزة التلفون والمغاسل حتى الازرار الكهربائية واقفال الابواب.

واخذ مجرى التفكير السوفييتي يتزايد وضوحا. وفي محاولة عنيفة لحمل الامة الالمانية على الافلاس، طبع السوفييت آلاف الملايين من عملة المارك الالماني مما ادى الى كابوس اقتصادي. وانهالت على الاسواق سلع من كل ما لذ وطاب: الكافيار والشمبانيا والحرير الناعم والبنزين والافلام الفوتوغرافية، في حين بلغ سعر الكيلوغرام الواحد من الزبدة ١٣٠ دولارا ووصل سعر رغيف الخبز الى ١٢ دولارا. كما كان على المرء ان يدفع ١٠٠ دولار وما فوق للحصول على زوج احذية رديئة.

وغدت حديقة الحيوان الصغيرة (تيرغارتن) فسحة من الاعشاب المحروقة والاشجار المجتثة، ممتدة خلف مبنى الرايخستاغ. واخذ الناس يتوافدون اليها يوميا، وظهورهم مثقلة بالاكياس وايديهم تجرجر على الارض حقائب اليد او العربات ذات الدواليب. وراح الاطفال، الذين سلبهم الحرمان نضرة وجوههم، يلوحون ببضائعهم من السجائر التي كانوا يستجدونها من جنود الحلفاء، بينما أخذ المحاربون القدامى، وقد استندوا الى عكازاتهم، يعرضون الميداليات للبيع. وكان بعض الرجال البدن يبيعون جوارب النايلون النسائية بـ٤٥ دولارا للزوج الواحد. غير ان اصعب ثلاث عملات في السوق كانت السجائر والقهوة والشوكولاته. وربما انتقلت ملكية علبة واحدة من السجائر من شخص الى آخر مئات المرات. وكانت تباع بسعر ٣٥ دولارا على الاقل.

في هذه الاثناء نجح الروس في اعاقة كل محاولة بذلها الحلفاء في سبيل اصلاح الوضع النقدي. وبعد يأس عزمت امريكا وبريطانيا وفرنسا

على ادارة المناطق التابعة لها في المانيا كوحدة اقتصادية مستقلة. وردا على هذا الاجراء انسحب الحاكم العسكري الروسي المارشال سوكولفسكي في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٤٨ من الاجتماع الدوري لمجلس قيادة الحلفاء- وهو الهيئة المشتركة التي تحكم برلين - بكبرياء وأنفة. ثم اوقف الروس في الاول من ابريل (نيسان) قطار الاكسبريس "برلينر" السريع عند نقطة الحدود في مارينبورن واعادوه الى فرانكفورت. كما اوقفوا قطارين آخرين في اليوم ذاته لمنع وصول مواد حيوية ضرورية، تزن ٦٠٠ طن، الى برلين. عندئذ امر الجنرال كلاي بنقل ٦٠ طنا من اكثر المواد ضرورة بالطائرة الى برلين.

وبعد بضعة ايام، في ٥ ابريل (نيسان)، شنت احدى الطائرات المقاتلة السوفييتية هجوما مصطنعا على طائرة بريطانية عندما اقتربت من برلين فوق احد الممرات الجوية الثلاثة المخصصة للطيران الدولي. واخترقت المقاتلة السوفييتية من طراز "ياك -٣" الاجواء بسرعة فائقة حتى تجاوزت الطائرة البريطانية التي كانت تحمل عشرة ركاب. ثم عكست المقاتلة اتجاهها مع صعود مفاجىء، سريع، وعلى ارتفاع الف قدم ارتطمت الطائرتان وجها لوجه وتحطمتا فوق الحقول وصرع جميع من فيهما.

وعلى رغم المضايقات المستمرة، مضى الحلفاء قدما في مخططاتهم الاقتصادية الخاصة بالمانيا الغربية. وكان رد الروس الاخير الحصار والامتناع عن اجراء المحادثات، والاصرار ببساطة على احتجاز برلين الغربية بكاملها، رجالا ونساء واطفالا، رهائن بين ايديهم.

عرض عضلات

شرع كلاي لتوه في تنفيذ عملية تعد من اكثر عمليات الانقاذ طيشا على الاطلاق. لقد كان في امكان البريطانيين حشد ما مجموعه خمسون طائرة. ولم يكن لدى الفرنسيين طائرات نقل متوافرة نظرا الى انهماك الاسطول البحري الفرنسي في الهند الصينية. اما ما يملكه سلاح الجو الاميركي في اوروبا - عدا طائرتين اثنتين من طراز "سكاي ماستر سي - ٥٤" ذات المحركات الاربعة - فلا يتجاوز عدده ال١٠٢ من طائرات "سي - ٤٧". ذات المحركين، التي تبلغ حمولة الواحدة منها اقل من ثلاثة اطنان. وكان بعض الطيارين يصفونها بانها "اشد الطائرات رأفة وتسامحا". لكنها قامت بدورها في ما مضى على وجه حسن.

كان الملازم جوزيف كيسر من الرعيل الاول الذي طار في ذلك اليوم وفي عشرات الرحلات الجوية في ما بعد، حيث قاد طائرات من طراز "سي - ٤٧" تعطل فيها جهاز حفظ التوازن الجيروسكوبي وانعدم الضوء في معظم اجهزتها، حتى توجب عليه حمل مصباح كهربائي من اجل قراءة قياساتها المختلفة. وصادف طيار آخر هو الكابتن فرانسيس كنيدي، عاصفة في احدى رحلاته، واكتشف ان حاجب الريح الزجاجي في قمرة القيادة في طائرته "سي - ٤٧" يرشح مطرا كالغربال. ولدى انتهاء رحلته افرغ الطيار الماء من حذائه.

اضف الى هذا ان مطاري برلين الغربية لا يصلحان في اي وجه من الوجوه لاستقبال عملية النقل الجوي. كما ان مطار سلاح الجو الملكي البريطاني في غاتو لا يتعدى كونه مطارا ريفيا على حافة المنطقة السوفييتية، ولا يبعد سوى دقائق قليلة عن قواعد المقاتلات السوفييتية. وسرعان ما اكتشف طيارو الجنرال ليميه ايضا اخطار المطار الامريكي في تمبلهولف، قلب مدينة برلين. ولا يمكن ان ينسى الرقيب فيرنون ايرلي، احد رجال الاتصال بالراديو، ما حدث له خلال رحلته الاولى عندما بدأت طائرة "سي - ٤٧" تهبط كعادتها في انحدار شديد. وما ان شقت حجب الغيوم حتى غدت في مستوى بناية سكن ذات سبعة طوابق. ويذكر الرقيب رؤية وجوه هلعة تحدق من وراء زجاج النوافذ.

لكن ثمة عاملا واحدا بعث على تشجيع الامل والتفاؤل. ويعود الفضل فيه الى بعد نظر الكولونيل فرانك هولي قائد الوحدة العسكرية الامريكية في مدينة برلين الذي عمد وفريق خبرائه، تحرزا من ضرب الحصار على المدينة، الى تكديس المؤن الغذائية بكميات تفي باحتياجات الاهالي طوال ٣٦ يوما. ولهذا لا يتوقع ان يسوء الوضع على نحو ميؤوس منه قبل مضي بضعة اسابيع.

واستهدف كلاي من الحركة الجوية النشطة التي نظمها ان يظهر بوضوح عدد الرحلات التي يمكن القيام بها الى برلين، مما سيثبت للمسؤولين في واشنطن ان في امكانه توفير الغذاء لبرلين الغربية بكاملها عن طريق الجو لو اتيح له ان يستخدم اسطولا من طائرات "سي - ٥٤" الاكثر حمولة. ولكن الى اي مدى ستدعمه حكومات الحلفاء بثبات وعزم؟

لم يستغرق الجواب طويلا! فقد اتخذ مجلس الوزراء البريطاني يوم الاثنين ٢٨ يونيو (حزيران) قرارا يقضي بالمكوث في برلين مهما ساءت الظروف. وعلق ارنست بيفن، وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة بريطانيا على موضوع النقل الجوي بقوله انه لن يجدي على المدى الطويل، اذ من المتعذر اطعام مليونين ونصف مليون نسمة من الجو. بيد انه اردف ان العملية جديرة بالمحاولة ومن شأنها تأمين متسع من الوقت لاجراء المفاوضات.

وفي اليوم ذاته اجتمع الرئيس هاري ترومان في واشنطن مع وزير الدفاع جيمس فورستال ووزير الحربية كينيث رويال ووكيل وزارة الخارجية روبرت لوفيت.

وتجدر الاشارة الى انه كان قد مضى على رئاسة ترومان حتى ذلك اليوم ثلاث سنوات، وكان من عادة النقاد السخرية منه لضآلة معرفته بالشؤون الخارجية والاستهزاء بنزعته الى مخاطبة زوجته بـ"الريس" على غرار ما يفعله اهالي المدن الصغيرة وبميله الى الافتخار الشديد بمقدرة ابنته مارغريت على الغناء. وقد جلس ترومان ذلك اليوم منصتا الى لوفيت وهو يسرد وقائع الجلسة التي عقدها رجالات الخارجية والدفاع في اليوم السابق حيث نوقشت ثلاث وسائل بديلة: اولا الانسحاب من برلين، ثانيا البقاء فيها تحت ضغط الازمات المستمرة والمستجدة، ثالثا تموين

المدينة جوا والمجازفة بالحرب. وقال لوفيت ان اجتماع وزارتي الخارجية والدفاع لم يتخذ قرارا حاسما في الموضوع، واجمل كلمته بالقول ان الغرض من الاجتماع اليه شخصيا الان هو دراسة هذه الامور الثلاثة.

وما ان فرغ لوفيت من كلامه حتى قاطعه الرئيس ترومان قائلا: "ليس في المسألة نقاش. اننا سنبقى في برلين. وانتهى الموضوع".

وأعترض رويال قائلا: "سيادة الرئيس، هل فكرّت ملياً في الأمر؟"

فأجابه ترومان:

- سنعالج الوضع في ضوء ما يطرأ عليه من تطوراته. ان وجودنا في برلين حسب شروط الاتفاق هو جوهر القضية، ولا يحق للروس اخراجنا سواء بالضغوط المباشرة او غيرها.

وتبع ذلك اتخاذ قرار رئيسي آخر. لقد أراد ترومان ان تتوسع عملية كلاي المرتجلة للنقل الجوي الى أقصى حدّ ممكن وأن ترتكز الى أسس تنظيمية سليمة. وبناء عليه امر بتعبئة جميع الطائرات الامريكية في القارة الاوروبية من اجل هذه الغاية، وأكد على ضرورة تموين برلين، "حتى وان اقتضى الامر تطويع كل شبل في كشافة الولايات المتحدة". وخوّل الرئيس الامريكي السلطات المسؤولة، اثر حصوله على موافقة البريطانيين الفورية، "استعراض قوتها"، وصادق على مخططات لنقل اسراب طائرات "ب - ٢٩" الى قواعد في انكلترا والمانيا مما عنى وضع هاتيك القلاع الجوية المنيعة، التي كان الروس يدركون حق الادراك انها حاملات القنابل الذرية، ضمن مدى يهدد الاهداف في موسكو نفسها.

عملية "سقط المتاع"

اتخذ الجنرال ليميه، توقعا لأوامر الرئيس ترومان، قرارا بتجميع الطائرات الامريكية من اماكنها القصية المتباعدة مثل فيينا وبريمن. وبذلك التزمت جميع الطائرات في الميدان الاوروبي التزاما تاما بعملية النقل الجوي. الا ان الحاجة دعت الى مزيد من الطائرات، خصوصا طائرات "سي - ٥٤" التي تبلغ طاقة حمولتها ثلاثة اضعاف طاقة "سي - ٤٧".

وتشكلت على الفور قوّة عسكرية جديدة أنيطت بها مهمة "الجسر الجوي"، وترأسها البريغادير جنرال جوزيف سميث قائد معسكر فيسبادن الذي يناهز السابعة والاربعين من عمره. وهو رجل عسكري فظّ الطباع، قَبِلَ القيام بمهمته الجديدة بعدما أُبلغَ ان العملية كلها ستدوم فترة اسبوعين. وعندما الح عليه احد رجال الاعلام المتحمسين - وكان هذا مشغوفا باضفاء لون مسرحي مثير على العملية - ان يستنبط لها اسماً رمزياً يأسر الالباب، اجابه سميث متأففاً:

- بئس الاسم وبئس المصير! كل ما أفهمه اننا سننقل حمولات الأكل ونسقطها على المدينة. واذا كان لا بدّ من اسم، فسمها "سقط المتاع".

وهكذا اصبحت العملية تعرف بسقط المتاع. وفي ٢٩ يونيو (حزيران)، اي حين بدأت الطائرات تتوجه الى مقر العمليات، عقدت هيئة النقل الجوي اجتماعا برئاسة سميث، اعلن فيه مدير الشحن الجديد الميجور ادوارد ويلرفورد عن ثقته قائلا: "أقدّر ان تبلغ الشحنات المرسلة الى برلين بحلول ٢٠ يوليو (تموز) معدّل ١٥٠٠ طن كل ٢٤ ساعة"، علما بأن المجموعتين ٦٠ و٦١ من ناقلات الجنود لم تستطيعا، على رغم جهودهما المتضافرة وحشد أقصى الطاقات في ذلك اليوم بالذات، من نقل أكثر من ٣٨٤ طنا. وبدا من الحماقة التنبوء بمضاعفة تلك الكمية في مدى ثلاثة اسابيع مقدار اربعة أضعاف.

غير ان الهدف المنشود تحقق في موعده المحدد. واستنفر ليميه، الذي وجد نفسه ملزماً باستخدام كل وسيلة ممكنة، جميع الطيارين غير العاملين آنذاك للعودة موقتا الى قيادة الطائرات. وعلى رغم حشد جميع الطاقات المتوافرة، كان الطيار يعد نفسه محظوظا جدا اذا ما اقتنص لنفسه سبع ساعات نوم كل ٣٦ ساعة.

وواصلت الطائرات رحلاتها ذهابا وايابا كالمكوك طوال الليل والنهار. وكانت تحلق في الممرات الجوية ١٠٤، طائرات امريكية و٥٠ طائرة بريطانية محملة بكل ما امكن تجهيزه للشحن. وكان الطيارون ينتهزون الغفوة انتهازا كلما سنحت الفرصة ويتناولون وجبات الطعام اختطافا، وكثيرا ما اقتصرت على فنجان قهوة وقرص كعك. والهب حماسة الجميع شعار كتبت كلماته في كل مكان، من هيكل الطائرة الداخلي الى أكياس الطحين: "شركة ليميه للفحم والطعام - خدمات مضمونة ليل نهار".

وفي هذه الاثناء أكبّ الكولونيل هاولي مع رجلين من بلدية برلين، هما كارل مونتر وبول فولساك، ساعات طويلة على العمل في محاولة لابتداع طرق جديدة من شأنها تخفيض وزن الحمولات الى ادنى حدّ ممكن

وقصرها على المواد الجوهرية. وتبين لهم ان في نقل الخبز جوا الى برلين تبذيرا هائلا لطاقات الشحن، خصوصا لأن ثلث وزن الرغيف هو وزن الماء الذي فيه. وبما ان برلين محاطة بالماء، يجب ابدال الخبز بالطحين. وتحققوا ايضا من ان تجفيف البطاطس من عصارتها يوفر وزنا يعادل ٧٨٠ طناً يومياً، وان سلخ اللحوم عن عظمها يخفف الوزن بمقدار الربع. وأدت هذه الحسابات الدقيقة الى خفض الحد الادنى لاحتياجات برلين اليومية في بحر ١٩ يوما من ٢٠٠٠ طن اغذية الى نصف هذا الوزن.

والواقع ان هذه العملية المشتركة بين الالمان والحلفاء من أجل نجدة برلين وانقاذها ساعدت على ظهور شعور قوي بالتضامن بحلول شهر يوليو (تموز) وعلى تلاشي الضغائن بين الاطراف. واخذ أهالي برلين يطوقون السياج الانيق المضروب حول ثكنات لوفتفافه سابقا حيث يقوم مطار غاتو البريطاني، ويصفقون ويهتفون استحسانا وتشجيعا كلما هبطت طائرة من طراز "يورك" ذات المحركات الاربعة على مدارجه. وكانت الجماهير تحتشد ايضا حول مطار تمبلهولف الامريكي بحيث بلغ عدد الرجال والنساء والاطفال في برلينر شتراسه (شارع برلين) المحاذي عشرة آلاف نسمة. وكان بعضهم يتسلق الاشجار فتعكس الشمس المشعة في وجوههم ظلالا لهم على جدران المنازل المهدمة خلفهم. وكان البعض الآخر يتسلق سطوح السيارات والحافلات والجميع يلوحون بأيديهم ومنهم من حمل الهدايا الى الطيارين، بما فيها اواني "ميسن" الشهيرة والرقيات وجراء كلب الدشهند الالماني ذات الاجسام الطويلة والقوائم القصيرة.

لقد نطق ارنست رويتر بالحق حين اقسم باسم اغلبية المواطنين: "لتصبحن برلين ستالينغراد الالمان التي سترد موجة الضغط الشيوعة الى النحر". وشك بعض المقربين اليه بثقته قائلين له: "سيرغمنا الروس على الركوع". غير ان ايمان رويتر لم يتزعزع: "ان ما يحدث سيهز ضمير العالم".

والحق انه عند الشدائد تذهب الاحقاد وتنمو عرى الصداقة وتتوثق بين الذين يتهددهم خطر مشترك. ولكن على رغم ذلك وعلى رغم هدير الطائرات المستمر فوق سماء برلين، ظلت هناك مشكلات عدة مستعصية اولها الفحم. وقد صرف وليم وست، ضابط العمليات في المقر العسكري في برلين، ساعات طويلة وهو يحوم بطائرته الاستطلاعية بحثا عن مناطق صالحة لانزال الفحم. وتم اخيرا اختيار موقعين، احدهما في ساحة التدرب على المرمى داخل المقر ذاته والآخر في المنطقة المحيطة بالستاد الاولمبي ضمن القطاع البريطاني.

وتقرر في نهاية الامر انزال اكياس الفحم من عنابر القنابل بطائرات "ب - ٢٩"، على ان تتولى مجموعات من العمال نقلها ليليا الى المخازن تحت الانوار الكاشفة. وتبين بعد الانزال التجريبي الاول ان قوة الارتطام بالارض حولت قطع الفحم الى غبار فحمي. وهكذا، على رغم رد فعل ليميه التقليدي عندما سأله الجنرال كلاى عما اذا كان سلاح الجو

الامريكي قادرا على نقل الفحم، لم تصل الشحنة الاولى منه الى برلين الا ليلة ٧ يوليو (تموز)٠ وقد بلغ وزن الحمولة ١٦٠ طنا فقط، وكان الفحم محشوا داخل اكياس للجيش مصنوعة من نسيج صوفي غليظ٠

وتهكمت احدى الصحف الشيوعية آنذاك قائلة: "ان نقص الوقود حاليا يمكن احتماله، ولكن ما الذي سيحل بالناس في الخريف او الشتاء؟"٠

وتحسبا للمستقبل، اصدر هاولي ورفقاؤه في القيادة مرسوما بخفض استخدام الطاقة بنسبة ٧٥ في المئة حفاظا على الفحم، وبحظر حركة السيارات في الشوارع وقطارات النفق بعد الساعة السادسة مساء، وبتحديد استخدام الكهرباء للاغراض المنزلية باربع ساعات يوميا، فضلا عن قطع الكهرباء كليا عن عدد كبير من المصانع الصغيرة٠

ومع ذلك، بدأت نبوءة رويتر تثبت صدقها٠ وها ان بلدة ملسونغن ذات الاسوار القديمة، التي لا تبعد سوى ٣٥ كيلومترا عن حدود القطاع السوفييتي غربا، تدخر حمولة اربع سيارات شحن مملوءة قمحا وسمكا مجففا وخضرا طازجة لنقلها جوا الى برلين٠ وأصدرت كل من هامبورغ وبريمن وساكسوني المنخفضة قرارا بالتبرع بمؤن يوم كامل من جميع المواطنين بغية ارسالها الى برلين٠ وفي الروهر، حيث ارتفع شعار "الفحم لبرلين" فوق تكنات عمال المناجم، حول ١٠٠ ألف طن من الفحم

المخصص للاستهلاك المنزلي المحلي الى العاصمة برلين. وسرعان ما بدأ جسر برلين الجوي، الذي عرف باسم "دي لوفت بريكيه" بالالمانية و"برلين ايرليفت" بالانكليزية و"لو بون اييريان" بالفرنسية، يأسر الخيال ويهز ضمير العالم.

وعادت الى برلين روح الدعاية اللاذعة القديمة التي لا تراعي حرمة لشيء، وبدأت تقوى وتنتشر يوما بعد يوم. ومن طريف كلامهم الآتي: "اننا محظوظون: تصوروا فقط لو عكست الامور وكان الحلفاء هم الذين يحاصروننا والروس يتولون اغاثتنا من الجو".

سقط المتاع الصغير

شاءت المصادفات الغريبة ان يكسب رجل بعينه خلال هذه الاسابيع العصيبة قلوب عدد كبير من اهالي برلين اكثر من اي شخص آخر. وذلك الرجل هو الملازم غيل هالفرسون الذي يبلغ السابعة والعشرين من عمره، وهو حيي الطبع، قضى ايام خدمته الاولى في قاعدة "راين - ماين" الجوية خارج فرانكفورت بين الطيران وسرير النوم كغيره من الطيارين. ولهذا خشي ان تنتهي عملية النقل الجوية من دون أن يطأ بقدميه ارض برلين. وتصحيحا للوضع، اتخذ في ١٧ يوليو (تموز) خطوات معينة.

قضى هالفرسون الليلة السابقة في رحلات جوية. وما ان تناول وجبة الفطور في ساعة مبكرة حتى صعد الى متن طائرة رفيق له للتوجه معه الى مطار تمبلهولف. والحقيقة ان هالفرسون كان، في تحليقه سابقا الى ذلك المكان، يحار في امر الهبوط على زاوية حادة في محاذاة عمارة الشقق السكنية قرب المطار في برلين. وأراد هذه المرة ان يصور ذلك الهبوط فوتوغرافيا. ولما هبطت الطائرة ترجل هالفرسون حاملا معه معدات التصوير، ومشى عبر حقول المطار الذي يبلغ قطره اربعة كيلومترات فيما كانت عدسة الكاميرا مصوبة الى اعلى لتلتقط صور الطائرات وهي تنقض في انحدارها نحو الارض. وظل على حاله تلك حتى بلغ الحاجز المحيط بالمطار، حيث أبصر عددا من الاطفال - ربما اكثر من عشرة - يراقبونه بحذر واهتمام. وكانوا يرتدون ثيابا رثة مرقعة، ووجوههم الذابلة تنم عن عيشهم في اقبية المنازل تحت سطح الارض. وكادت تلك الثياب وهاتيك الوجوه ان تكون رمزا لاوروبا بعد الحرب.

وبدأ على الفور حوار متردد باللغة الانكليزية بينه وبين اكبر الاطفال سنا، وهؤلاء كانوا يتعلمون الانكليزية في مدارسهم. وسألهم هالفرسون عما اذا كانت مراقبة الطائرات تهز مشاعرهم، لكنهم لم يفهموا قصده، وأجابوا بابتسام وتردد: "اننا نراقب الطائرات طوال النهار".

ولما كان هالفرسون قد عمل مع الشباب الكشافة في امريكا، احس بصلة قوية تربطه بالصغار. لكنه لاحظ امرا غير طبيعي في تلك الساعة، وفجأة ادرك وجه الغرابة. لقد اعتاد طوال سنيّ الحرب رؤية الاطفال وهم يلاحقونه او يلازمونه ويلحون عليه بلجاجة وفرح وصخب في طلب العلكة والشوكولاته. اما هؤلاء الاطفال فلا يفعلون شيئا، ربما لانهم لا يعرفون اصلا بوجود هذه السلع لكي يطلبوها.

واذ لم يكن في جيب هالفرسون سوى قطعتين مستطيلتين من العلكة، اخرجهما وقسمهما اربعة اقسام بينما أتلع الاطفال اعناقهم، وملامحهم تدل على "عدم التصديق، كأنما دلفوا لساعتهم الى بلاد العجائب".

ومن لم يسعده الحظ بالعلكة تأسى بلعق الغلاف او بشمه. وظن هالفرسون ان في مستطاعه ان ينقل هؤلاء الاطفال الى قمة النعيم بثلاثين سنتا لا اكثر، ولهذا قال بصوت عال:

- تعالوا الى هنا يوم غد ،سأقذف اليكمالعلكة والشوكولاته من طائرتي، شرط ان تعاهدوني على تقاسمها بالتساوي.

وسأله احد الصبيان: "ولكن كيف سنعرف طائرتك بين الطائرات؟"

راقبوا الاجنحة لان طائرتي ستهز جناحيها. راقبوا رفرفة الجناحين.

وحين عاد ادراجه الى قاعدة راين ماين، احس هالفرسون بالندم على ما تعهد بفعله. ان من اليسر الحصول على الشوكولاته، ولكن أنى له ان يسقطها والمنفذ الوحيد الذي يمكن استخدامه لهذه الغاية في طائرة "سي - ٥٤" هو الانبوب ذو الفوهة الموسعة بطول ٣٥ سنتيمترا خلف مقعد الطيار؟ وكيف يمكنه انزال الحلوى الى الاطفال بلا مظلة؟ وما الذي يمكن ان يستعمله بديلا لمظلة الانزال؟ اضف الى ذلك ان مثل هذه العمليات محظورة قطعا في انظمة سلاح الجو.

ولمعت في ذهن هالفرسون فكرة جديدة. غير ان اول ما فعله كان جعل رفيقه في الطيران جون بيكرنغ يقسم على عدم افشاء السر. ثم دخل حجرته واخرج كيسا مملوءا بالمناديل التي اشتراها درءا لزكام اصابه.



الميجور جنرال وليم تانر.

وفي اليوم التالي، عندما اخترقت طائرته أكداس الغيوم المتفرقة فوق مطار تمبلهولف، شاهد هالفرسون زمرة من الاطفال متراصة على السياج، فحرك جناحي الطائرة حسب الاشارة المتفق عليها، وامر رفيقه بانزال ثلاثة مناديل ربط كلا منها على هيئة مظلة عبر الانبوب المتسع تدريجا، وكانت محملة بانواع من العلكة والحلوى تكفي لاسعاد ثلاثين طفلا. وهكذا حافظ الرجل على كلمته وانتهى الامر على خير وسلام.

ولكن مهلا ! ان العملية لم تنته، وانما هي بدأت لتوها. ومع مرور الايام لم يغادر الصبية المكان. وانما تزايدوا عددا وعنادا حتى فاق عددهم المئة. وكانوا يتدافعون الى السياج ويراقبون بلا طائل رفة الجناحين التي سترف لها افئدتهم فرحا. ومرة اخرى اخطأ هالفرسون الحكم على الامور

بقولـه: "انـزال آخـر يكتـفـون بـه ويكفونني شرهم"٠

الا انهم لم يكتفوا٠ وفي محاولة يائسة لارضائهـم، قـام هالفرسـون بعمليتين اخريين لانزال الحلويات، منزلا في كل منهما ستة مناديل٠ وفي عصـر احـد الايـام، عنـدمـا هـبط هالفرسـون بطائـرتـه وسط حـجـب الضبـاب الـتـي اكتـنـفـت مطـار تمبلهولـف، احـس بارتيـاح عظيـم وتنفس الصعداء لانه لم يستطع رؤية اطراف المطـار مـن خلـل الضبـاب، فاقنع نفسـه بـان الاطفـال ليسـوا هناك٠ لكنه، في وقت لاحـق، دخل مكتب العمليات والقى نظرة عابرة علـى اكـداس مـن الرسـائـل فـوق المنضدة، ذات غلف بنيةومعصوبة بخيط قنـب، وشـل هالفرسـون فـي مكانه وتجمد٠ يا للهول! انها كلها موجهة اليه!

كان بعض الرسائل مكتوبا باقلام من الشمع حمراء وخضراء فاقعة اللون، وقد رسمت على غلفه صور طفولية لطائرة "سي - ٤٥" وهي تسقط المظلات، وحملت كلها٠ اسماء اسطورية جديدة مثل٠ "اونكل فاكل فلوغل"، اي "العم ابو الجناحين الهزازين" و"در شوكولادن فليغر"، أي "طيار الشوكولاته"٠ واحسرتاه! هذه هي الخاتمة التي تودي بالطيار الى المحاكمة العسركية!

ولم يطل ترقب المجابهة طويلا٠ وفـي صبـاح احـد الايـام استدعـي لمقابلة قائد الجناح٠

- ما الذي فعلته، بحق السماء؟

وأجاب هالفرسون ببراءة:

- الذي فعلته هو الطيران كالمجنون ليل نهار ايها الكولونيل٠

عندئذ استشاط رئيسه غيظا وصاح:

- اسمع انا لست ابله٠ الخبـر مـلأ الصفحات الاولى في صحف برلين٠ اتدري انك كدت تصيب احد رجال الصحـافـة فـي أم رأسـه بـتلـك الشوكولاته؟

ثم اضـاف بصـوت اكثـر عذوبـة: "لحسـن حظـك، يأمـرك الجنـرال بمواصلة ما تفعله٠

ومنذ تلك اللحظة اتسع نطاق انزال الشوكولاتـه، واطلـق عليهـا اسـم: "عملية سقط المتاع الصغيرة"٠ وحين نفد رصيد هالفرسون من المناديل، ساهـم سائـر الطيـاريـن بمناديلهـم وبشراء العلكة والشوكولاته٠

وبيـن عشيـة وضحـاهـا اصبـح هالفرسون نجما متألقا لا في سماء المانيا فحسـب، وانمـا فـي ارجـاء الولايات المتحدة ايضا حيث تبنت المحطات الاذاعية من لوس انجلس الى بوسطن قضيته في حملة "ارسلوا المناديل اليه"٠ وفي غضون وقت قصير بات هالفرسون يتسلم خمسة اكياس بريدية في اليوم الواحد٠

ويذكـر هالـفـرسـون ان سيـاج تمبلهولـف اصبـح بمثابـة صـفـوف متراصة من الاطفال٠ ولذا توجب البحث عن مناطق انزال اكثر أمنا وسلامة٠ وبعد انتزاع الحواشي من فتحات النجاة في طائرات "سي - ٥٤" التابعة للوحدة التي ينتمي اليها هالفرسون، خصصت للطيارين مناطق محددة لانزال الحلوى من ارتفاع ٦٠٠ متر فوق حديقة الحيوان وباحات المدارس والمتنزهـات حيـث كانـت تفرغ صناديق الكرتون من محتوياتها من الشوكولاته فتتناثر عبر الحدائق والبساتين تناثر العناقيد من زغب النباتات الشائكة٠

وحين اشتكى الاطفال في برلين الشرقية من حرمانهم هذه الطيبات، وسع هالفرسون بصفاء طوية نطاق مظلات الشوكولاته لتشمل فيسنسي وبانكوف. ولكنه امر بعد ايام قليلة بالتوقف لان السوفييت بعثوا بمذكرة الى وزارة الخارجية الامريكية تندد بالعملية وتصفها بانها "خدعة رأسمالية مفضوحة".

انذار

ومهما يكن الامر فقد بقيت الاخطار تهدد وضع التموين. ولئن كانت كميات المواد الغذائية المشحونة جوا تتناسب واحتياجات الاهالي، الا ان المشكلة الكبرى كانت تأمين الفحم. وثمة حاجة ماسة الى عدد اكبر من الطائرات لنقله. لكن واشنطن، على ما يبدو، مترددة في الاستجابة لمطالب الجنرال كلاي الملحة. وفي آخر الامر استدعي الجنرال الى العاصمة الامريكية في اليوم السابع عشر من يوليو (تموز). ولدى اجتماعه الى الرئيس ترومان في اليوم الثاني والعشرين من الشهر ذاته، ابلغ كلاي الرئيس الامريكي وكبار مستشاريه ان برلين لن تقوى على الصمود اذا اقتصرت طائرات التموين على ٥٢ طائرة "سي - ٥٤" و ٨٠ طائرة "سي - ٤٧"، وانه اذا اريد لها الثبات الاكيد فلا بد من الحصول على اسطولجوي قوامه لا اقل من ١٦٠ طائرة "سي - ٥٤" واستطاع كلاي، على رغم وجود بعض المستشارين الذين ما زالوا يفضلون الانسحاب الكامل من برلين، ان يربح الجولة ويفوز بتعهد من ترومان لتلبية مطالبه.

واتضح، بناء على هذا الالتزام ضرورة تحويل الامداد الجوي من عمل ارتجالي، جريء، كعهده في بداياته، الى عملية منظمة لا تقل عن مقياس الايقاع الموسيقي (المترونوم) دقة وانتظاما. ولهذا جاء الى المانيا في ٢٩ يوليو (تموز) الميجور جنرال وليم تانر (٤٢ سنة) الذي ترأس ايام الحرب عملية مد جسر جوي فوق الجبال الواقعة بين بورما والصين. وكان تانر رجلا شديد البأس، كفؤا، مشهورا بصلابته، الى حد ان احد اعوانه حذر ذات مرة موظفا جديدا بقوله: "أؤكد لك يا بني انه لو لعب الجنرال تانر دور ترويض الاسد في سيرك الاخوان "رينغ لينغ"، لانعكست الآيةووضع الاسد رأسه بين فكي الجنرال".

وسرعان ما اكتسبت حجرات مكاتب الجنرال تانر صبغة فنية سوريالية، اذ امتدت من النوافذ الى الابواب، وبالعكس، حبال ارتكزت فوقها تشكيلة من علاقات الملابس المرقمة ترقيما يمثل طراز الطائرات المتوافرة لعملية النقل الجوي. واسفرت مناورات المعاونين في ترتيب العلاقات على الحبال عن ظهور انماط جديدة للجسر الجوي.

وتمخضت المشروعات المحدثة عن قرار جوهري يلزم الطائرات بالسلوك في اتجاه واحد عبر الممر الجوي الجنوبي الى برلين وبالعودة بعد تفريغ حمولتها عبر الممر الجوي الاوسط. وأمكن بذلك تفادي احتمال وقوع اصطدام في الجو بين الطائرات في كلا الاتجاهين، خصوصا لأن الطائرات كانت في ما مضى تستخدم الممرين الجويين من دون تمييز في الاتجاه. وبالاضافة الى ذلك، توجّب

على كل طيار الآن ان يحرص على اجتياز نقاط المراقبة في الوقت المحدد له، واصبح ملزما بالتحليق فوق مركزي المرشد الاشعاعي لهداية الطائرات في فولدا بالقرب من فرانكفورت وفي فروهناو في ضواحي برلين، مستخدما كلا المرشدين للحفاظ على مسافة محددة بينه وبين الطائرة السابقة ولضبط مدى ارتفاعه عن سطح الارض وسرعة طيرانه ضبطا دقيقا للغاية.

وترتبت الامور بحيث لا تكاد عجلات الطائرة تستقر في سكون بعد الهبوط في مدارجها في برلين حتى ينطلق فريق النقل الخاص لتفريغ حمولتها في الوقت نفسه اذ تتقدم عربات الوقود والصيانة. والزم الطيار ايضا بالبقاء على مقربة من طائرته حيث يسارع اليه فريق آليات خاص لتزويده بتقارير الاحوال الجوية وبأكواب القهوة والسندويشات، "لأن الطائرة الجاثمة بلا حراك انما تضيع سدى" في رأي الجنرال تانر.

وما من شك في ان التعاون الانكلو - امريكي كان عاملا حاسما. وفي (٢ اغسطس (آب) حصل تانر على موافقة بريطانيا في ما يتعلق بجعل قاعدة سلاح الجو الملكي في فاسبرغ قرب هانوفر التي تقع داخل المنطقة البريطانية من المانيا محطة لثلاثة أسراب من طائرات "سي - ٥٤". والجدير بالذكر ان الممر الجوي الجنوبي الذي يفضي الى القطاع البريطاني من برلين كان أقصر بمعدل النصف من الممر الجوي الشمالي (الامريكي) الى تمبلهولف، مما عنى

ان الطائرات انطلاقا من قاعدتها الجديدة في فاسبورغ، ستتمكن من انجاز خمس رحلات كاملة يوميا الى برلين ومنها بدلا من ثلاث رحلات ونصف رحلة فقط، وهو معدلها الحالي انطلاقا من قاعدة راين ماين.

ولكن، على رغم هذه الترتيبات، تبين انه سيتعذّر على برلين الصمود في وجه الشتاء القاسي ما لم تقم مدارج اضافية لاستقبال الطائرات. واذ تعذّر بناء مدارج جديدة في مطار غاتو البريطاني الذي بدأ يستوعب حركة جوية تعادل ضعفي الحركة في تمبلهولف وأصبح اكثر نشاطا وانشغالا حتى من مطار لاغوارديا في نيويورك بمقدار ثلاثة امثال، فقد اقبل ١٩ ألف برليني بهمة ونشاط لفتح مطار ثالث في تيغل، القطاع الفرنسي من المدينة.

ولكم كان منظر هؤلاء القوم رائعا ومؤثرا وهم يعبرون الاراضي المنبسطة التي كانت في وقت من الاوقات ميدانا لتدريب فرق المدفعية المضادة للطائرات بقيادة هرمان غيرينغ، وقد اعتلت اكتافهم المعاول والمجارف وكأنها بنادق الجنود في ساحة الوغى! وكان نصفهم تقريبا من النسوة اللاّتي ضاهين الرجال قوة وتصميما في نقل الطوب والحجار الى الكسارة، بينما أخذ اساتذة الجامعات سابقا، بستراتهم السوداء الرثة التي تكاد تلامس الركب، يعملون جنبا الى جنب مع الفلاحين الأشداء الذين انتعلوا القباقيب الخشبية، ومع رجال فقد الواحد منهم يده أو رجله أيام الحرب. ووصف احد المراقبين العملية بانها شبيهة بالمعجزات التي اجترحها الحمالون في الصين وهم في طريقهم الى بورما. واستمر العمل بالتناوب اثناء الليل تحت الاضواء الكاشفة وأطراف النهار في نوبات متصلة، طول الواحدة منها ثماني ساعات.

على ان احداً من الناس لم يعمل أكثر من تانر نفسه الذي كان يتنقل كالمكوك صباح مساء من مقره في فيسبادن الى تمبلهولف ثم الى فاسبرغ، ويقفل بعدها راجعا الى مقره، متناولا وجبات طعامه حيثما امكن ومرتديا معطف الطيارين الزيتي اللون، وقد نزع عنه جميع شارات رتبته العسكرية واعتمر طاقية كالتي يرتديها لاعبو البيسبول. وكان يتهالك فوق سرير وضع موقتا داخل مكتبه، عاجزا عن متابعة السير بضعة امتار الى حجرته الخاصة. ويذكر الرقيب لويس كوتنر، المسؤول عن العمليات خلال النوبة الليلية التي تبدأ عند منتصف الليل وتنتهي في الثامنة صباحا، انه كان يرى تانر في الساعة الثالثة صباحا وهو يجيل النظر بعينيه الزرقاوين في جداول الطائرات والنقل بانتباه وتأهب، مستفسرا عن عدد الطائرات المعطلة وكم تطول فترة صيانتها. ثم يراه مرة أخرى في السابعة صباحا يترأس اجتماعا مع فريق خبرائه للنظر في امكانات تحسين عمليات النقل الى حد أبعد.

وتبلورت مع الايام مسألة اكيدة واحدة هي مسألة زيادة التنسيق التي أصبحت امرا ملحا طالما بقيت الطائرات الامريكية والبريطانية تستخدم الممرات الجوية نفسها. ولا يتم ذلك التنسيق في رأي تانر الا اذا اصبحت جميع الطائرات المخصصة لاغراض النقل الجوي تحت قيادته

هو. وعلى رغم الضغوط المختلفة والمقاومة، فقد تم التوصل الى اتفاق نهائي في اواسط شهر اكتوبر (تشرين الاول)، تشكلت اثره قوة مشتركة أنيطت بها عمليات الجسر الجوي برئاسة تانر باعتباره القائد الاعلى، وعين قائد سلاح الجو الملكي، ج.و.ف. ميرر، نائبا له. وبذلك تهيأت لتانر اسباب تنسيق نظام نقل يسهل الحركة ويسمح بشحن حمولات جوية كل ثلاث دقائق على مدى ساعات الليل والنهار.

ومع ذلك ارتعدت فرائص الكولونيل نيكلاس شافاس، المسؤول عن "مجموعة ٢١٠٥" الخاصة بالاحوال الجوية، وهو ينتظر حلول فصل الشتاء. وبلغ به الفزع أشده اذ سمع الجنرال تانر يقول له في صباح أحد ايام الخريف المعتدلة: "لن تضيرنا الاحوال الجوية مطلقا". واعترض شافاس على الملاحظة:

– لن يدوم الطقس على هذا المنوال ايها الجنرال، بل قد يسوء كثيرا ابتداء من أول شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بحيث يصعب الارتقاء فوق الغيوم المتعالية او الانخفاض تحتها لشدة دنوها من الارض.

وبروح تتحدى العراقيل، لم يعره تانر اهتماما كبيرا، وأجاب: "عليك فقط ان تقدم لنا افضل خدمة ممكنة عن الاحوال الجوية".

وكان هذا الرد بمثابة حسم للمناقشة. وعاد شافاس الى مقر المراصد الجوية مشوش الذهن ومثقلا بالهموم، ولديه بعض التحفظات.

"سيبيريا أبرد"

بدأت اوراق الشجر ترتعش على اغصانها وتتساقط واحدة بعد الاخرى على الارض في "غونافيلد" (منطقة الغابات)، وانساب الهواء الجليدي على شواطىء بحيرات هيغل مشبعا بالادخنة الحادة التي تصاعدت من النار المضرمة في الهواء الطلق للتخلص من الاغصان اليابسة وغيرها. وتوهجت في صفحة سماء رصاصية اللون مثقلة بالغيوم شمس شاحبة اشبه ما تكون بيقطينة برتقالية اللون. وفي سقيفات التموين الباردة في مطاري غاتو وتمبلهولف، حيث تجمع الحمالون، راح الرجال يضربون الارض بأقدامهم ويصفقون بأيد مكسوة بالقفافيز درءا للبرد.

وهكذا جاء فصل الشتاء القارس، "رفيق الشيوعيين المرتقب"، واتخذ من برلين مقاما له. ودلت احصائيات الحلفاء لدى اقبال "الرفيق" على أن نصيب معظم المنازل في برلين من الفحم لن يتجاوز ١١ كيلوغراما .ونصف كيلوغرام، أي ما معدله ملعقة شاي واحدة من الفحم يوميا. وأيقن الجميع ان زمن الشدائد بدأ حقا.

ولئن كان الانسان عرضة للنسيان، الا أنه لا يمكن للبرليني ان ينسى قسوة تلك الاشهر. وعلى سبيل المثال، حاولت هيلينا غوزه، التي كانت تعمل في قسم بحوث ارنست رويتر، ان تعد لنفسها في احدى الليالي شرابا دافئا من قنينة تحتوي على ثمر العليق. وبما ان الثمر كان قد تخمر، فما ان فتحت هيلينا غطاء القنينة حتى تطاير العصير الاسود في ارجاء الغرفة وتجمدت فورا قطراته التي سقطت على الجدران. ويروي ايضا الممثل الهزلي فولتر غروز، الذي كان يلعب دورا تمثيليا على مسرح "كورفيرسن دام"، انه وجد خشبة

المسرح كحلبة التزلج على الجليد نتيجة لتصدع انبوب ماء واندلاق قليل منه على الخشبة· وبكل شجاعة واقدام، تولى افراد الفرقة التمثيلية تأدية أدوارهم بعدما عصبوا احذيتهم بالخرق والثياب· اما الجمهور الذي شاهد المسرحية فكان مدثرا بالمعاطف والبطانيات· ويقول فولتر غروز: "لقد صفق الجمهور لنا بحماسة منقطعة النظير، وأظن انهم فعلوا ذلك طلبا للدفء"·

وراح الناس يحتطبون في الغابات المحيطة ببرلين· بل ان بعضهم اقتلع ارضيات الغرف المفروشة بقطع خشبية مزخرفة ذات قيمة فنية رفيعة وألقمها وقودا للنار، كما فعل الشيء نفسه بالأثاث غير الضروري قطعة بعد قطعة· بل ان الصحافية كورنيليا هيرستات في تيرغارتن احرقت رزما من رسائل الغرام، "الا ان تلك الرسائل، على رغم لهيب عواطفها، لم تسعف حتى في قلي شرحات قليلة من البطاطس" على حد قولها·

وعمد كلّ من استطاع الى انجاز اعماله من داخل فراش النوم مرتديا كامل ملابسه، بما في ذلك المعطف والقفازان والطاقية، كما فعل كاتب الاغاني كوبت فلاتو· ونظرا الى انعدام وسائل التدفئة، اصبح الدوام المدرسي امراً اختيارياً· وأمضى عدد كبير من الاطفال اشهرا داخل الاسرة، بكامل ملابسهم ايضا·

وفي السادسة من صباح ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني)، استيقظ الكولونيل شافاس (المسؤول عن رصد الاحوال الجوية) مذعورا من نومه اذ شعر غريزيا بان خللا ما قد طرأ· ولبد في فراشه لحظة يفكر في ما عسى أن يكون ذلك الخلل· وفجأة ادرك حقيقة ما حدث، لأنه الآن انما يصغي الى السكون فقط·

وهرع الكولونيل من سريره الى النافذة وأزاح الستائر عنها، لكنه لم ير شيئا على الاطلاق· لقد غابت معالم الشارع واختفت خلف جدار أبيض من الضباب· وانقطع أزيز الطائرات كليا تقريبا، ولم تتمكن من الاقلاع في ذلك اليوم بطوله سوى ٣٥ طائرة من كلا القاعدتين الامريكيتين·

وتذكر شافاس قول تانر له في احد الايام: "اذا هبطت الغيوم دون ١٥٠ مترا، فسآمر بتحديد تباعد زمني بين الطائرة والاخرى مدته خمس دقائق· اما اذا هبطت دون ٧٥ مترا، فيجب على الطائرات ان تجثم في مدارجها، على ان تبقى محركاتها مشتغلة"·

لكن عددا كبيرا من ضباط عملية النقل الجوي لم يسمحوا ابدا بوجود اي تباعد زمني حفاظا على استمرار الشحن· وقد تلقى الطيار الملازم ادوارد ويبر وفريقه في قاعدة راين – ماين الجوية نشرة الانباء الجوية باسلوب عسكري محض: "ايها الرجال! انتم الان متطوعون للطيران في حال الصفر المطلق: مدى الرؤية صفر وعلو الضباب عن سطح الارض صفر ايضا"· وتلمّس الملازم ويبر طريقه الى طائرته وركز مقودها باتجاه خط ابيض، وانطلق مسرعا كالاعمى لا يرى شيئا· حتى اذا سجل مقياس السرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة، ارتفع بها فوق سطح الارض مقتحما خضم الغيوم المتلبدة ومسترشدا بأجهزة القياسات، الى ان اصبح على بعد ثوان فقط من برلين·

استمر الضباب طوال شهر نوفمبر

(تشرين الثاني)، وهجعت اوروبا تحت غطاء بلون الزعفران، وهو بارد كالثلج وكثافته ٣٠٠ متر. وغالبا ما كانت الطائرات تقلع من قاعدة راين - ماين قرب فرانكفورت متجهة الى برلين، في حين ان حافلات النقل (الاوتوبيس) في شوارع فرانكفورت شلّت عن الحركة بسبب انتشار ظلمة حالكة يتعذر سبرها. حتى ان الرجل الذي كان يسير في الشوارع حاملا مشعله الكهربائي، لم يكن يرى أبعد من نطاق مترين فقط. ولم تقتصر الصعوبات على حركة الطيران وحدها، بل اصبحت عملية نقل مواد الشحن الى الطائرات مشكلة عويصة في ذاتها. ولعل ما كان يحدث في بلدة بيبريخ على ضفة نهر الراين، التي تبعد ٣٩ كيلومترا عن القاعدة الجوية الامريكية، ما يوضح مدى هذه المشكلة. فثمة ألف عامل يعملون بالتناوب على حمل اكياس الفحم من المراكب النهرية الى موقف سيارات الشحن التي ستنقل الفحم الى القاعدة الجوية. لكن الرؤية انعدمت الى درجة استوجبت صف العمال واحدا بعد الآخر من ضفة الراين حتى سيارة الشحن بحيث تلامس القدم اليسرى لكل عامل كعب زميله للتعرف على مكان وجوده. وكان الواحد منهم يتلقف كيس الفحم ويمده الى رفيقه حتى يصل الكيس الى الرجل الاخير قرب سيارة الشحن، ثم تتحرك قافلة السيارات المحملة بالفحم فيما تسترشد كل منها طريقها بالاضواء الحمر الخلفية للسيارة التي تتقدمها. وكان سائق سيارة الاولى يهتدي بضوء مشعل كهربائي حمله مرشد القافلة الذي يسير على قدميه.

وكانت هناك، بطبيعة الحال، لحظات حرجة كثيرة. ويذكر الملازم البحري ريتشارد جيرزوفسكي أنه تلقى، فور هبوطه بالطائرة على المدرج "٢٤" في مطار راين - ماين، الارشادات الآتية: "اتجه يسارا... والآن اتجه يمينا الى ارض الوقوف الصلبة". لكنه اوقف الطائرة فجأة بدافع فطري، وطلب الى رفيقه انزاين برنالد سميث النزول من الطائرة والتحقق من طبيعة المكان. ووجد سميث ان الطائرة توقفت على بعد مترين لا اكثر عن مقدم طائرة عملاقة اخرى من طراز "سي - ٧٤" (التي لم تكن مدرجة في جداول الطيران).

وانحطت حركة النقل الجوي الى الحضيض يوم ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني)، اذ لم تصل الى برلين سوى عشر طائرات. وقبعت بصمت، تحت ستار زاحف من الضباب، مطارات برلين الثلاثة: غاتو وتمبلهولف وتيغل الذي فرغ الالمان باعتزاز من بنائه قبل شهرين من الموعد المحدد لاتمامه.

وأخذت كميات المخزون من الاغذية تتناقص، فيما تضامن مع الشيوعيين "رفيق" آخر هو "الجوع العام".

وكانت مخصصات الاغذية لسكان برلين الغربية قد زيدت في اواسط الشهر السابق، اي اكتوبر (تشرين الاول)، حتى بلغت الحد المطلوب للبقاء على قيد الحياة: ٢٨ غراما من السمن في اليوم الواحد، ٥٦ غراما من اللحم المعلّب او البيض المجفف المسحوق، ٨٤ غراما من البطاطس المجففة او الدقيق، ٥٦ غراما من الحبوب، ٢٨ غراما من السكر، ٥٠٠

غرام من الخبز. وتقلّص سيل الامدادات وهبط حجم المواد المتوافرة في الاسواق، ولم يتمكن أصحاب المتاجر من الوفاء بمتطلبات بطاقات التقنين، حتى بالنسبة الى الزبائن القدامى.

وبلغت الازمة في محافظات ستيغليتز وداهلم وليخترفيلد حدّ استدعاء مدير فرقة الاطفائية - رودولف هاردر - الى عشرات البيوت لنقل جثث اصحابها من المسنين والمقطوعين الذين ماتوا جوعا. أما الاحياء فقد لاحظ عدد كبير منهم ان ردود فعلهم اصبحت بليدة وبطيئة الى حد مؤلم. ومن الظواهر الغريبة ان بعض المسائل الحسابية البسيطة أعيت حتى رجال المحاسبة، ولم يعد اطفال المدارس قادرين على حفظ أبسط المعلومات. وغالبا ما كانوا يتكئون على المناضد امامهم نصف نائمين او شبه مغمي عليهم.

وتكاثرت في تلك الآونة وصفات أطباق الطعام، ونزلت في اعمدة الصحف الخاصة بشؤون المطبخ نصائح لملء البطون، كنقع الخبز الاسود بالماء واضافة البهارات اليه ثم قليه على النار بلا سمن. وأقدمت هيرتا بيزولد، احدى ربّات البيوت، على طحن حبات من القمح كانت التقطتها من الحقول إثر موسم الحصاد، في مطحنة القهوة لتجعل منها طبق تريد مغذ للفطور. واستنبطت ربة بيت أخرى اسمها هيرتا يونغتو وهي زوجة مهندس يعمل في مصانع "سيمنز" اسلوبا جديدا في طهي فطيرة الحلوى اذ خلطت مسحوقا من قشرة البطاطس مع قليل من طحين القمح ومسحوق البيض المجفف، ثم قلت الخليط في زيت السيارات الذي جاء به زوجها من مكان عمله. ولما أكمل كارل يونغتو أكل الفطيرة، سألته زوجته ما اذا كانت لذيذة المذاق، فأجاب: "انها مقيتة، ولكنها تملأ المعدة".

وقاوم معظم سكان برلين، على رغم الحرمان الكبير، ملاطفات الشيوعيين واغراءهم. وكان السوفييت قد اعلنوا، منذ وقت مبكر في شهر اغسطس (آب)، عن عرض أعتبر بمثابة رشوة نكراء، وهو منح أي مقيم في القطاع الغربي من برلين حق صرف قسائم التقنين في برلين الشرقية التي قيل انها تتمتع بوفرة عظيمة من المواد الغذائية. لكن عدد الذين قبلوا العرض السوفييتي لم يزد على ١٩ ألف شخص، ولم يتجاوز، حتى في اوج أزمة الغذاء، ٨٥ ألفا من أصل مليونين ونصف مليون نسمة. وكان معظم هؤلاء يعمل اصلا في القطاع الشرقي ويشتري مقتناته من هناك.

وعندما استفحل البرد القارس، أقيمت نقاط اخرى للتفتيش الصارم، وأصبح البرلينيون الذين يتوجهون الى القطاع الشرقي للمقايضة بمدّخراتهم وكنوزهم مقابل الحصول على الفحم او البطاطس، عرضة للتفتيش الدقيق لدى عودتهم. وكثيرا ما صودرت سلعهم باعتبارها مواد محظورة مهربة. واتسع نطاق التفتيش حتى شمل قطارات النفق ما بين شرق برلين وغربها. ولم يتورع السوفييت حتى عن تفتيش دفاتر الجيب او محافظ النقود ومصادرة الاوراق المالية. وبذلك تعاظم الشعور بالحصار واشتد احساس الناس بالسخط والنقمة.

وربما كان من العجيب استمرار سبل الحياة على رغم هول المصاعب. غير ان معظم الناس تقبلوا واقع الجوع والبرد بخضوع لحكم الضرورة ومن غير تذمر، بعدما ادركوا حقيقة كلمة ارنست رويتر: "البرد هنا قارس، لكن سيبيريا أبرد".

لعبة الروليت الروسية

لقد شارف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) على الانتهاء، وبدأت عزائم طياري الجنرال تانر تنهار في وجه الانهاك الجسدي المضني. ولم يسبق الا لقلة بينهم ان عملت في ظروف مرهقة مماثلة. وبدأت تلوح على سيمائهم ملامح الارهاق والتوتر. وكان الد اعدائهم في معظم الاحيان ذلك الضباب العنيد وتلك الجحافل المخيفة من الجليد. وفي احدى الليالي الباردة المتجمدة، كان الطيار الملازم فيرنون هامان يحوم بطائرته فوق مطار تمبلهولف في برلين استعدادا للهبوط عندما امر بصورة قاطعة لا تقبل المناقشة بالعودة الى قاعدة راين - ماين. وفجأة خيم صمت مطبق! لقد انطفأت محركات الطائرة الاربعة دفعة واحدة بسبب الجليد. ومن علو ٦٠ مترا بدأ هيرمان ينحدر انحدارا اخيرا مرعبا نحو الهلاك. وباعجوبة ارتطمت عجلات طائرته بارض مقبرة سانت توماس على الطرف الشرقي من مطار تمبلهولف بقوة واندفاع هائلين جعلا الطائرة ترتد كالكرة في الهواء وتنقذف الى المدرج الرئيسي في مطار تمبلهولف حيث اندفعت العجلات فوق الارض حتى توقفت من دون ان تنفجر حتى عجلة واحدة.

ومن بين الاعداء اللداد ايضا ذلك المطر الذي يظل ينهمر يوما بعد يوم من سماء سوداء مكفهرة حتى اطلق على تلك البقعة الموحلة المعروفة بالراين - ماين اسم جديد هو الراين - طين.

وجابهت عمليات النقل البري ايضا صعوبات جمة. وكانت الجزم التي ينتعلها الرجال تتشرب بزيت الديزل الذي ينز من قارنات الصهاريج فتسبب التهابات في انسجة باطن القدم. وفي غمرة الامطار، كانت تلك الفسحة من الارض بطول خمسة امتار ما بين قمرة الطيار وبوابة التفريغ تتحول الى "كتلة دبقة من العجين" حيث يختلط الطحين بالماء. اما غبار الفحم فكان يتسرب الى كل مكان داخل اعمدة القيادة فيسدها، والى نقاط الوصل والمفاتيح الكهربائية فيفسدها بالتآكل. وكان الغبار يندس في فتحتي الانف والاذنين وبين الجفون.

وهكذا تضافرت جميع العقبات والاخطار والمتاعب معا وتجسدت في هيئة عدو لا يقهر هو الانهاك. وكان الطيارون، بعد قضاء ١٢ ساعة في الجو، يغطون في نوم عميق ثم يستيقظون ولا يدرون اين هم. وفيما كانت محركات الطائرات الجاثمة تهدر باستمرار ريثما يسمح لها بالاقلاع. كان الطيارون يغطون من جديد في النوم داخل قمرات القيادة، ولهذا احتفظ الرائد البحري توماس كريتس، وهو ضابط عمليات من سلاح البحر، بعصا طويلة في حجرة الانذار. وكان، كلما سمحت الظروف الجوية بالاقلاع، يتوجه الى الطائرات واحدة بعد الاخرى ويضرب بعصاه جسم الطائرة ضربات ايقاعية لتنبيه الطيارين.

وكان من المحتوم في هذه الظروف ان يرتفع عدد الاصطدامات. وذات ليلة من ليالي الصقيع الشديد ابصر الكابتن جاك اولين بينيت، من افراد مجموعة الطيارين المدنيين، ارض المطار بوضوح امامه، وكانت تتقدمه طائرة اخرى على وشك الهبوط. وعلى حين غرة هبت من ناحية جبال تاونوس عاصفة ثلجية من دون سابق انذار، ورشقت ندف الثلج الحاجب الزجاجي امامه وكأنها "طلقات مدفع رشاش". وللتو اطفأ بينيت، الطيار المحنك، انوار هبوط الطائرة احترازا من الاصابة بدوار العواصف الثلجية، وحدد نظره بكل تصميم الى لوحة المفاتيح واجهزة القياسات. غير ان الطيار الذي كان يقود الطائرة الاخرى امامه عشي بصره من شدة دوران ندف الثلج وكان اقل خبرة من بينيت، وراحت طائرته تتهابط في حركة دائرية حول نفسها حتى ارتطمت بالارض وتبعثرت اشلاء فوق المطار.

وما اكثر الليالي التي بات فيها رجال الارشاد الجوي في مراصد المراقبة على الارض مجرد مستمعين عاجزين عن اسداء المساعدة الى طيارين واجهوا محنا خطرة مهلكة. وفي احدى تلك الليالي التقط الطيار الملازم جورج غيلبرت في مطار غاتو الكلمات الاخيرة التي تبادلها طياران كانا يقودان طائرتيهما من طراز "سي - ٥٤" في مكان ما فوق الغابات بين فروهناو ودانبرغ، وسمع احدهما يتصل بالاخر قائلا: "انني احاول السيطرة عليها. اظن ان في امكاني ان اسيطر عليها". ثم سمع صوت الاخر يحثه بالحاح: "ابتعد، ابتعد عن هذا المكان". واذا بالطيار الذي اصطدم يصيح لاهثا: " لقد هبطت الان الى علو ١٥٠ مترا". وبعد هنيهة قصيرة تلفظ الطيار الاخر غير المنظور بكلمات كأنها النعي لرفيقه: "اللهم، لقد سقط".

في تلك الفترة من التاريخ شهد اناس عديدون سلسلة من الاحداث لا تخبو ذكراها ما حيوا. وذات يوم رأى الملازم يوجين فيدل شاحنة وقود من طراز لانكاستر مقبلة مع الريح المتعامدة، اي التي تهب على زاوية قائمة من خط طيران الطائرة. واذ بها تضرب مدرج الهبوط في مطار غاتو بعجلتها اليمنى وتنقلب من جناح الى آخر اربع مرات متتالية، وتنفث دخانا اسود كثيفا مشوبا بالسنة اللهب وكأنه ركام السحب التي تسبق العاصفة الرعدية. واتصل فيدل ببرج المراقبة فورا:

- برج غاتو! هل خرجوا احياء؟

وجاءه جواب يجمد الاطراف:

- لا نظن ذلك. وكيف ينجو من ركب القنبلة؟

لكن الاقدار شاءت ان ينجوا باعجوبة من موت محقق.

غير ان النجاة لم تكتب للجميع. فقد لقي ستون طيارا مصرعهم في اثناء عمليات النقل الجوي، بينهم ٣١ طيارا عسكريا امركيا و١٨ بريطانيا و١١ مدنيا، فضلا عن خمسة المان من رجال الادارة الارضية. وقد نقشت اسماء الخمسة والستين رجلا على قاعدة النصب التذكاري" برلين لوفت بريكية" (جسر برلين الجوي).

وادت كثرة حوادث الاصطدام الى اعتقاد عدد كبير من الناس بصحة الانباء التي راجت في ذلك الوقت حول قيام الروس بعمليات التشويش

والتخريب، على نحو كبير، الا ان الجنرال تانر لم يستطع معرفة مدى صحتها، ولكن ما من شك في ان المضايقات السوفييتية الرامية الى احباط الجسر الجوي تزايدت حدة، وانهم بذلوا ما في وسعهم للتشويش والعرقلة بشتى الاساليب والحيل.

وكم مرة سمع الملازم جيرالد هالاس بعد اقلاعه من قاعدة راين - ماين طنينا غريبا داخل سماعتي رأسه اسفر عن تشوش في جهاز البوصلة. وكان الروس يشوشون ايضا الاشارات الاشعاعية على مركزي الارشاد الارضي المستخدمين لهداية الطائرات. وكثيرا ما ابتلي الملازم فيرنون هامان بسماع اصوات تقلد صوت ضابط حركة الطيران في تمبلهولف وتصدر اليه التعليمات بغية انحرافه عن مسار رحلته الجوية. وواجه الطيار انزاين برنالد سميث في احدى رحلاته ٤٢ مقاتلة روسية من طراز "ياك" تعترض ممره الجوي كأنها حشد من الدبابير القارصة. وفزع الملازم وارين ساندمير خلال رحلته ليلا عندما انقضت عليه من بطن الظلام مقاتلات روسية اشعلت انوار هبوطها في وجهه. واحس طيار آخر هو ادوارد فيبر بان جسم طائرته من المقدم الى الذيل بدأ يهتز كالريشة عندما جابهته مقاتلة "ياك" روسية وجها لوجه، حتى اذا دنت منه انزلقت تحت طائرته، كأنما هذا العمل نمط جديد من انماط لعبة "الروليت" الروسية. لكن رحلات النقل الجوي مضت على رغم كل شيء.

استعراض عيد الفصح

أيقن القائد الامريكي فرانك هاولي، حين استعاد ذكريات الحصار، ان الاسبوعين الاولين من شهر يناير (كانون الثاني) كانا بمثابة فترة حاسمة، أذ اقدم في ذلك الوقت، بعد الاتفاق مع نظيريه البريطاني والفرنسي، على اخطر مغامرة في تاريخ الحصار. وكانت موجودات المواد الغذائية حينذاك متوافرة بكميات مناسبة تكفي ٣١ يوما. الا ان مخزون الفحم آخذ في التناقص بنسب مفزعة، ولن يلبث ان ينفد في بحر عشرة ايام.

وفي حين كان يتضرع الى الله لكي تنفرج كربة الطقس، امر بحسم استيراد المواد الغذائية جوا والتعويض عنها بمزيد من الفحم، واتخذ في الوقت ذاته اجراءات لخفض مستوى انتاج الغاز والكهرباء، اللذين يعتمدان على الفحم، الى ادنى حد ممكن، علما بان درجات الحرارة كانت تنخفض الى ما دون درجة التجمد. ونتيجة لخفض حركة سير الحافلات الكهربائية، غصت العربات التي كانت تتسع لنقل ١٢٤ راكبا بالناس الى حد الاختناق، واصبح معدل ركابها ١٧٥ شخصا في الرحلة الواحدة. ونجحت المغامرة: فبينما تقلصت المؤن الغذائية الى معدل ٢٧ يوما، ارتفع مستوى احتياطي الفحم الى معدل ٣٠ يوما.

بيد ان هذه الاجراءات اسفرت عن اغلاق خمسة آلاف مؤسسة ومصنع وارتفاع عدد العاطلين عن العمل الى ١٥٠ ألفا. ولكن دخلت ميدان الصراع عوامل اخرى في مصلحة الحلفاء الذين اتخذوا من جانبهم اجراءات تقييدية مضادة لحظر شحن المواد الاساسية الى مناطق النفوذ السوفييتي، مما حرم المنطقة الروسية منتوجات

المانية غربية حيوية مثل فحم منطقة الروهر والفولاذ وقطع الغيار. واوقفت بموجب هذه الاجراءات المضادة جميع الشاحنات البرية المتوجهة من المانيا الغربية الى القطاع الروسي، وامرت بالعودة من حيث اتت. وهكذا بدأ الحصار الاقتصادي المرير اخيرا يؤلم القطاع الشرقي اكثر مما يضر بالقطاع الغربي.

وكأن الوحي هبط على ارنست رويتر يوم ٣١ يناير (كانون الثاني)، فالتفت الى صديقه القديم درو ميدلتون من صحيفة "النيويورك تايمس" خلال تناولهما طعام الغداء، وقال له: "لقد انتهى الامر. ان الروس يدركون الآن انه ليس في استطاعتهم الاستيلاء على برلين بالحصار، وسيبحثون قريبا عن مخرج للازمة".

والجدير بالذكر ان الصحافي كينغزبوري سميث، من "وكالة الانباء الدولية"، كان قد ارسل في ٢٧ يناير (كانون الثاني) اربعة اسئلة مكتوبة الى جوزيف ستالين للاجابة عنها، وبينها سؤال ذو اهمية خاصة: "هل يحتمل ان يفك اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الحصار اذا ارجأ الحلفاء الغربيون انشاء دولة المانيا الغربية التي يفكرون في انشائها حتى يتم انعقاد مجلس وزراء الخارجية؟". (وهو المجلس المؤلف من ممثلي الحلفاء في الحرب العالمية الثانية: فرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية). وبعد ثلاثة ايام اجاب ستالين انه لا يرى صعوبة في تحقيق ذلك، شرط ان يرفع الحصار المضاد في الوقت ذاته.

وبدا ان الروس، حتى في تلك الآونة، كانوا يستبقون أجرأ خطة فكر فيها وليم تانر في حياته.

وقد بدأت تلك الخطة، كما يذكر الكولونيل ادوارد غيلبرت، بمجرد وميض في عيني تانر خلال جلوسهما الى مائدة الفطور في فندق "شفارزر بوك" في فيسبادن صباح يوم من شهر ابريل (نيسان)، حين التفت تانر، ووجهه يشرق حيوية وانفعالا، في اتجاه غليبرت وسأله فجأة: "كيف يمكننا يا غيلبرت ان ننجز أقصى ما يمكن؟".

وبصفته ضابط الشحن، كان غيلبرت قد فكر مليا في هذه المسألة، بل صمم مع فريق الموظفين في مصلحة الشحن، منذ اوائل اغسطس (آب) ١٩٤٨، رسما يمثل وجه الساعة، وقد بلغت نقاط الدقائق فيه ١٤٤٠ نقطة بعدد دقائق اليوم الكامل. وراحوا يسترسلون في حلم طالما راود المسؤولين عن النقل الجوي، وهو نقل عشرة اطنان في كل دقيقة اذا توافرت الطائرات اللازمة والطيارون والاحوال الجوية المثالية. ولهذا رد غيلبرت على سؤال تانر بقوله: "لو توافرت الظروف الملائمة، لامكننا شحن ١٤ ألف طن يوميا".

ومع ان تانر لم يكن يدري بالمفاوضات الحاسمة التي كانت تدور بين فيليب جيساب، سفير الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة، ونظيره السوفييتي جاكوب مالك، الا انه توصل الى قرار حصيف معلنا: "قسما يا غيلبرت لنفعلن ذلك".

ومنذ اليوم الاول الذي مد فيه جسر النقل الجوي وبلغت الحمولة ٨٠ طنا، تزايدت مستويات الشحن الجوي

باستمرار. وارتفعت الحمولات المنقولة من ١٠٠٠ طن في ٧ يوليو (تموز) الى ٣٨٠٠ في ٧ اغسطس (آب) ثم الى ٧٥١٣ في ٢٢ فبراير (شباط). لكن الحمولات اليومية لم تبلغ ابدا الهدف الجديد الذي وضعه تانر الآن نصب عينيه.

وتوالت الاحداث على جناح السرعة. واتضح، بعد تحليل خمسين جدولا بيانيا معلقا على جدران قاعة المؤتمر حيث يعقد تانر اجتماعاته، ان افضل ظروف جوية قد تسود في يوم معين ستكون فترة الـ٢٤ ساعة بين ظهر يوم السبت ١٦ ابريل، (نيسان) وظهر الاحد ١٧ ابريل الذي يصادف عيد الفصح. واذ كان من المتوقع ان يكون الطقس معتدلا في تلك الفترة وان تكون معظم طائرات "سي - ٥٤" - وعددها ٢٢٥ - جاهزة للطيران بالاضافة الى وجود مخزون من الفحم جاهز للنقل يزيد على عشرة آلاف طن، فقد عقد تانر العزم على ان تكون العملية "استعراض عيد الفصح وهدية العيد الى شعب برلين".

وبقيت المسألةحتى اللحظة الاخيرة سرا مطويا، لانه لو اعلن عن نقل عشرةآلاف طن في يوم واحد واخفقت العملية، لأثار ذلك هرجا ومرجا بين رجال الدعاية السوفييتيين. وهكذا لم يتحول الاستغراب العابر بين ضباط الصف في الراين - ماين وفاسبرغ وست قواعد جوية اخرى الى انفعال قوي نام الا وقت الظهر من يوم السبت، ذلك اليوم البارد من ايام ابريل (نيسان) حين بدأ ضباط الصف هؤلاء يشدون الحمولات الى الواح الشحن. وعندها تعاظم الاحساس بأن ذلك اليوم لن يكون عاديا بين الايام.

واستمرت حمى النشاط وتزايدت دقيقة تلو دقيقة في جميع القواعد الجوية، وصارت السماء مثل اللوح المصوت ترجع الى الارض اصداء رعد المحركات. وفي خضم ضجيج محركات الطائرات، كانت ترتفع قليلا اصوات اخرى تنم عن الروح الباسلة في استعراض عيد الفصح: هدير كالقذائف حين يهوي الفحم في مساقطه وصيحات "شنيل، شنيل" (بسرعة، بسرعة) وحشرجة محركات سيارات الشحن بحمولة عشرة اطنان.

وأحس الجميع، حتى الطيارون المتمرسون المحنكون، برهبة المسؤولية حين انسابت في صفحة السماء طائرة بعد طائرة من دون ان تفصل الواحدة عن الاخرى سوى ٩٠ ثانية. ولم يسبق ان ظهر في التاريخ اسطول نجدة من هذا القبيل. وكانت معظم الطائرات محشوة بالفحم حتى السقف. الا ان حمولات بعضها تنوعت بحيث اشتملت على كل ما يخطر في البال من مواد تحتاج اليها مدينة محاصرة: الكاكاو والمقانق ودقيق الشوفان، وحمولة طائرة كاملة من اغطية القنوات والمجاري، وبراميل مملوءة تبغا، ورقاقات موز مجفف للاطفال المرضى، وقرب ماء ساخن لمستشفيات برلين، وكثير سواها.

واشتد الانفعال والهياج على الارض ايضا. وكان الخدم في مطاعم قاعدة راين - ماين يتراكضون الى خدمة الطيارين الجائعين وكأنهم في سباق التناوب بين الموائد. وبلغ نشاط الفريق المسؤول عن تفريغ الطائرات في تمبلهولف حدا جنونيا كاد ان يذهب ضحيته الكولونيل تيودور ملتون، رئيس اركان الفرقة

التابعة لتانر. فما ان هبط بطائرته المحملة على ارض المطار في الرابعة صباحا من يوم الاحد وبدأ ينزل السلم حتى تلقفه افراد ذلك الفريق بحماسة وهمّوا خطأ بقذفه مع بقية اكياس الفحم على ظهر سيارة الشحن.

وفي فيسبادن اختار موظفو حركة النقل الجوي العمل نهارا وليلا، والنوم بين الثالثة والسادسة صباحا.

وبقيت شاشة الرادار البعيد المدى تومض بصورة ذات معالم ثابتة طوال الليل والنهار: نقاط متقاربة من الضوء منسربة الى برلين ضمن عمودين غير مستقيمين كأنهما طابوران من النمل، وعمود ثالث من النقاط يومض بثبات مماثل في اتجاه معاكس.

وأحس الطيارون بان الفرصة سنحت لاثبات تفوقهم في الاجواء، فاغتنموها. وعف عدد كبير منهم عن تناول وجبات الطعام، مكتفين بأكل السندويشات داخل قمرات القيادة. وفي برلين تناول الكابتن كورتني دانيالز فنجانا من الشوكولاته الساخنة. وما كاد يلسع شفتيه بحرارة السائل حتى تعالت صيحات الاستحسان معلنة اتمام تفريغ طائرته في غضون سبع دقائق ونصف دقيقة. فارتقى دانيالز سلم الطائرة مستأنفا رحلة العودة.

وبقي تانر طوال ذلك اليوم يجول في ميدانه الطبيعي، متنقلا كالمكوك من فيسبادن الى تيغل وغاتو وقد تشجع برسالة وجهها اليه الجنرال كلاي تقول: "لست ادري ما الذي تحاول ان تفعله، ولكن ارجو ان تواصل فعله".

وبلغ تانر مقره في فيسبادن مرة اخرى عند الفجر، وكانت تفصله عن معرفة النتائج الباهرة سبع ساعات. لقد انجزت طائرات الحلفاء في ٢٤ ساعة ١٣٩٨ رحلة جوية، ونقلت الى برلين ١٢،٩٤١ طنا من المؤن. غير ان ما أدركه تانر في تلك الساعة المبكرة من اقسى يوم في حياته هو الحقيقة الآتية التي تم برهانها: ان الروس، في حصارهم البري، قد أخفقوا أخفاقا ذريعا مخزيا.

نوعان من الابطال

لم يسعد رودولف غونتر فاغنر، المذيع في محطة الاذاعة في القطاع الامريكي، من قبل بمثل هذا الجمهور الغفير من المستمعين الذين بدأوا يتدافعون في اتجاه عربته، وهي بمثابة وحدة ارسال اذاعي متنقلة. وغصت منطقة "كورفيرسن دام" على مدى النظر بالناس الذين كانوا ينتظرون موعد اذاعة فاغنر لنشرة الاخبار، على غرار عادتهم طوال ايام الحصار. ومع ان نشرة الانباء المطبوعة كانت جاهزة بين يديه، الا انه لم يسهل عليه ان يقرأ اخطر اعلان اوكلت اليه مسؤولية اذاعته. واخيرا بدأ يخاطب الميكروفون بتردد على النحو الآتي:

"تم التوصل الى اتفاق بين الدول الغربية الثلاث والاتحاد السوفييتي في ما يتعلق برفع الحصار عن برلين وانعقاد مجلس وزراء الخارجية. وتقرر بموجب هذا الاتفاق رفع جميع التقييدات التي فرضت من كلا الجانبين على وسائط النقل والتجارة بين برلين والقطاعات الشرقية اعتبارا من يوم ١٢ مايو (أيار) و....".

وخامر فاغنر الشك في ما اذا كانت

الجماهير سمعت مزيدا من التفاصيل، لأن المدينة باسرها هاجت حينذاك وانطلقت هتافات صاخبة مدوية:

"هورا فياليبن نوخ! هورا! فيا زنت نخت فير هونغات!" - مرحى! اننا ما زلنا احياء! مرحى! اننا لم نتضور جوعا!

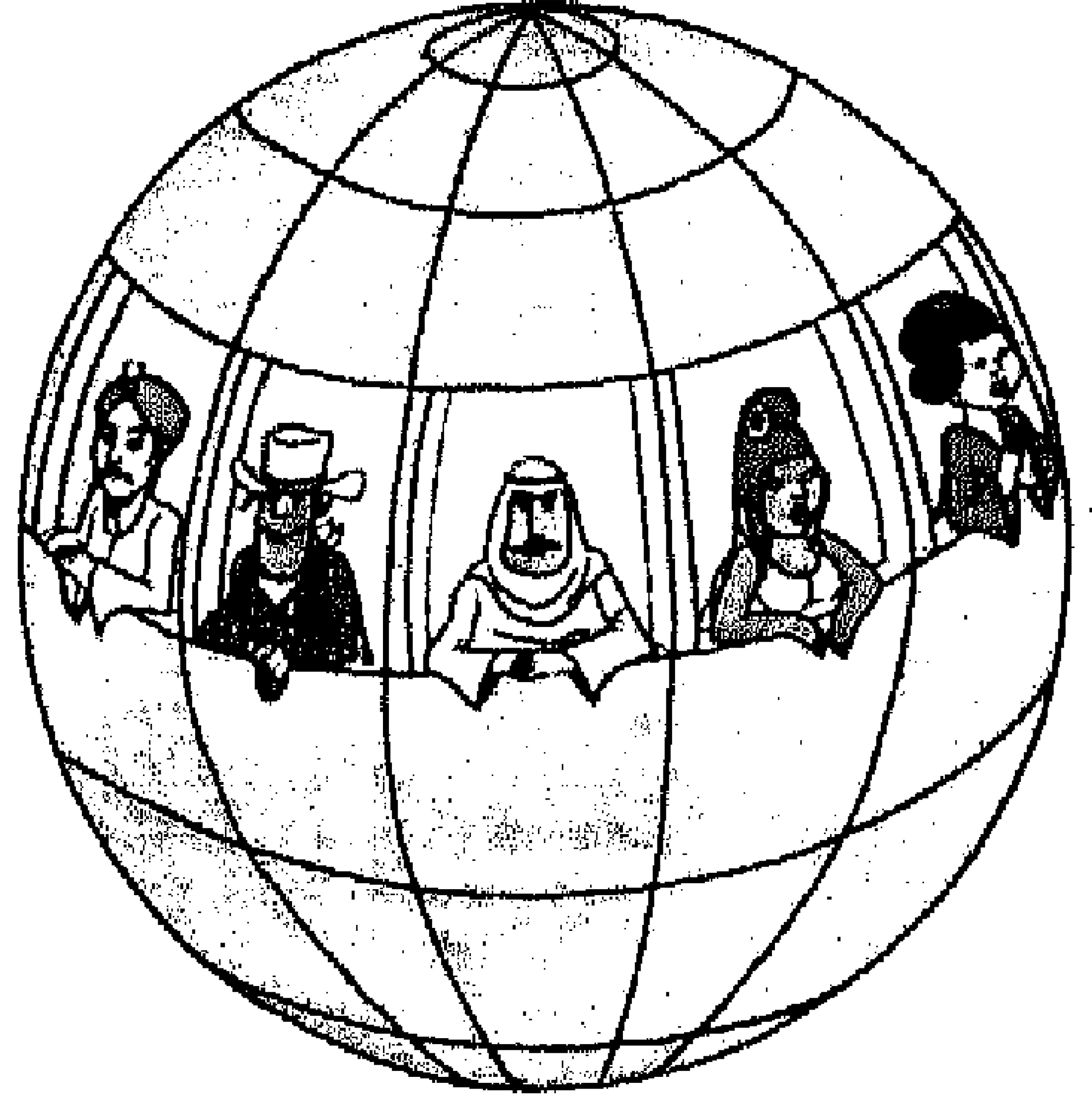
وفي تمام الثانية عشرة والدقيقة الاولى بعد منتصف الليل، وتحت شعاع يخطف الابصار من الانوار الكاشفة، رفعت حواجز الحصار الروسية عن الطريق الرئيسية الى برلين، وتدفقت على الفور اول قافلة من سيارات الشحن البريطانية محملة بالامدادات الى برلين.

لقد كانت ليلة عوض الناس فيها عما فاتهم زمنا طويلا. وفي محافظات داهلم وشتيغليتز وفيدينغ، كان جميع افراد الاسر يتنقلون من غرفة الى اخرى كالاطفال تماما، يشعلون الانوار الكهربائية ويطفئونها للمتعة المجردة. وخرج افراد بعض الاسر بثياب السهرة الى السيارات واتجهوا بها الى نقطة انطلاق الطريق الرئيسية، ثم ترجلوا ورقصوا على الارصفة تحت اضواء سياراتهم.

وعلى رغم القرار الذي اتخذ بمواصلة النقل الجوي حتى اغسطس (آب) ضمانا لتوفير احتياطي من المواد الاستهلاكية، فقد اعتبر معظم الطيارين يوم ١٢ مايو (أيار) نهاية الشوط. ففي ذلك اليوم ازيلت جميع تقييدات الحصار وبدأت الاستعدادات النهائية لتأليف حكومة المانية غربية برئاسة المستشار كونراد اديناور وزعامة تيودور هس، اول رئيس للدولة الجديدة.

وبحلول الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم ١٢ مايو (أيار)، ازدحمت الشوارع المحيطة بدار البلدية بالناس. وفي الساحة المفتوحة، حيث رفرفت مع النسائم اعلام الجمهورية الالمانية القديمة بالوانها السود والحمر والذهبية، توافد ٣٠٠ ألف برليني تحية وتقديرا للرجل الذي قادهم خلال ٣٢٨ يوما من الحرمان والشدائد. انه صباح يوم تاريخي، الا انه ايضا وقت حسرة واسف، لان لوسيوس كلاي جاء ليقف في الجموع مودعا. واذ اصطف حوله عدد كبير من الاعوان الذين آزروه خلال الاشهر العصيبة، بمن فيهم روبرتسون وهاولي ورويتر، دخل كلاي المبنى وصعد الى منصة الخطباء في قاعة الاجتماع، وقال للناس ان ثمة نوعين من ابطال الجسر الجوي: اولهما الطيارون الذين قادوا طائراتهم في جميع الاحوال الجوية الى برلين، وثانيهما شعب المدينة الذي لا يقل عنهم اهمية، لانه، باختياره الحرية، ظل على استعداد لتقديم جميع التضحيات اللازمة حفاظا على حريته، وقد قاده صبره والتضحيات الى الانتصار.

وارتفع الهتاف والتصفيق بينما وقف كلاي في مكانه وقد خانته الكلمات. ولاحظ المترجم روبرت لوخنر، الذي وقف الى جانبه، ان قناع كلاي سقط وبدأت الدموع تسح على وجهه. ولكن لم تكن هناك حاجة الى قول المزيد من جانب كلاي. فقد تضاعف الهتاف والتصفيق نيابة عن كلامه، وترددت الاصداء في ارجاء المدينة كلها كأنشودة من اناشيد الشكر والتقدير.



حكايات صغيرة من العالم

روزنامة الاوز

يتحدثون في حديقة حيوانات دبلن في ايرلندا، عن نوع من الاوز البري يبدو انه لا يميز بين الفصول فحسب، وانما كذلك بين ايام الاسبوع.
ففي الشتاء يقضي هذا الاوز وقته في الحدائق العامة، حيث يلقي اليه الناس بالطعام أكثر مما في اي مكان آخر.
أما في أيام الآحاد فان الأوز يظهر دائما في حديقة الحيوانات لأنه يعرف، على ما يبدو، ان عدد الناس في هذه الحديقة يفوق ذلك اليوم عددهم في الحدائق العامة.
ولكن كيف يميز الاوز يوم الأحد؟
قد يرجع ذلك الى صوت اجراس الكنائس في المدينة والى تضاؤل ضجيج حركة المرور حول الحدائق العامة.

("الايريش تايمس")

المهم النية

قرر مواطنو مدينة جواياكيل في الاكوادور اقامة نصب لشاعر البلاد في القرن التاسع عشر خوسيه يواكيم اولميدو، وتقرر ان يرتفع النصب في ميدان المدينة الرئيسي، غير ان تنفيذ قرارهم تعثر عندما تبينوا ضخامة المبلغ اللازم لتكليف احد النحاتين تنفيذ المهمة، وأخيرا أمكن حل المشكلة عندما عرض عليهم مسبك التماثيل تمثالا قديما للشاعر الانكليزي اللورد بايرون بثمن زهيد.
فقد اشترى مواطنو جواياكيل تمثال بيرون وأجروا تعديلات عدة في وجهه، ثم رفعوه في الميدان وكتبوا اسم شاعرهم اولميدو على قاعدته!

ب.س.هـ.

من التراث الياباني

يقول الاختصاصي الياباني في علم الاجتماع ياسوجي هوندا:
"في التراث الياباني ان روح الانسان تتعب رويدا رويدا يوما بعد يوم على مدى العام، حتى تغدو في نهايته وقد حل بها العياء والقذارة" لذلك يجري التنظيف الشتوي السنوي للبيوت اليابانية يوم وقفة رأس السنة، وتجري مزارات ديانة "الشينتو" والمعابد البوذية طقوس التطهير الشخصي

لستين مليون ياباني تقريبا، وفي منتصف ليلة رأس السنة تدق الاجراس ١٠٨ مرات في مقابل خطايا الانسان الـ١٠٨.

أ.م.

طائرة الثوم

اضطرت شركة طيران "سويس آر" الى ايقاف احدى طائراتها النفاثة الضخمة من طراز "دي سي - ١٠" في شهر أبريل (نيسان) ١٩٧٨ بعدما انتشرت فيها رائحة الثوم التي اثارت شكاوى ركاب رحلة الطائرةمن زوريخ الى بوسطن وشيكاغو. وعندما وصلت الطائرة الى وجهتها أسفر البحث الدقيق عن ان مصدر الرائحة هو زجاجة من زيت الثوم المركز تحطمت في مخزن الامتعة.

ي.ب.

... في انتظار دون كيشوت

في هولندا، يستدعى البناؤون والنجارون وغيرهم من الحرفيين المهرة الذين يعاني كثيرون بينهم البطالة، للمعاونة في ترميم طواحين الهواء. وينفذ هذا المشروع في مقاطعة درينتي في شمال البلاد بهدف اتاحة فرص العمل لامثال هؤلاء.

ولم يبق في هولندا الآن سوى ٩٤٥ طاحونة هواء، وفي القرن السابع عشر، وهو العصر الذهبي في تاريخ هولندا، كان هناك أكثر من ١٠،٠٠٠ من هذه الطواحين العملاقة التي كانت تطحن القمح وتقطع الاخشاب وتضخ المياه وتساهم في رخاء الأمة.

د.س.

موازنة للفئران؟

كان جون ويلتون، سفير بريطانيا في السعودية، تعرض مرتين لعضة احد الفئران المغيرة، فكتب الى صحيفة "التايمس" اللندنية: "ان الفئران لدينا قد اصابها اليأس من الغذاء التافه الذي لا تجد سواه في مطبخ سفارة حديثة ذات نظام صارم لا يسمح بالاسراف ويخضعللتفتيش الدقيق، فدفعها هذا اليأس الى ان تصبح من أكلة لحوم البشر".

وعندما قرأ المسؤولون في وزارة الخارجية البريطانية هذا الكلام، ارتسمت على وجوههم ابتسامات خالية من التعاطف، وقال احدهم بصرامة: "ليست في الموازنة اعتمادات لشراء الجبن لمصايد الفيران".

أ.ب.

ملجأ المضطهدات

ان الوجه الذي نراه على صفحة القمر عادة هو وجه رجل، لكن الناس في اماكن اخرى يرون صورا مغايرة. فالهنود الحمر يرون أرنبا بريا، وأهل جزيرة ساموا يرون امرأة تغزل، اما الصينيون فيرون - بين اشياء اخرى - السيدة تشانغ - او الزوجة التي لجأت الى القمر هربا من طغيان زوجها المستبد.

ي.ب.

رعاية فنلندية

حديقة "ليناغاكي" في مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا هي مدينة للملاهي تذهب عائداتها الى الجمعيات الخيرية لرعاية الاطفال.

ففي اثناء الحرب العالمية الثانية كان من اصعب المشكلات التي واجهتها فنلندا مشكلة الآلاف من ايتام الحرب. وفي عام ١٩٤٥ كانت الموارد المالية شحيحة فتعاونت ست جمعيات خيريةلرعاية الاطفال على مواجهة المشكلة، وحققت حلمها عام ١٩٥٠ باقامة بناء مدينة الملاهي في حديقة ليناغاكي. وتتجاوز عائدات الحديقة ٣٥٠٠٠٠ دولار كل عام ويوزع هذا المبلغ على الجميعات الخيرية لتمويل نشاطها في رعاية الاطفال.

هـ.س.

... لكنها رجعت

عندما سرقت لوحة موناليزا (الجوكوندا) من متحف اللوفر عام ١٩١١ وظلت مختفية مدة عامين، كان عدد الزوار الذين ذهبوا خلال هذه الفترة كي يشاهدوا مكانها الخالي يفوق عدد من جاؤوا لرؤية التحفة الفنية في اثناء وجودها على مدى الـ١٢ عاما السابقة لسرقتها.

ب.ك.

